موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (3)

العولمة

الباب الثالث

العولمة

إعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الباب الثالث
العولمة

#العولمة.. مقاومة وتفاعل

ما زال مصطلح (العولمة) من المصطلحات الغامضة التي لم تُحدَّد معالمها بدقة؛ على الرغم من كثرة الكتب والدراسات التي كتبت فيه. لكن يبدو أن هناك رأياً سائداً عند جمهرة من الساسة والمفكرين يشير إلى أن مصطلح (العولمة) قرين لمصطلح (الأمركة)، وهذا ما أشار إليه مؤلفا كتاب (فخ العولمة) عندما قالا: (إن ثمة جهوداً خارقة تبذل لكي يتخذ العالم صورة واحدة؛ ولا ريب في أن المحصلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي كما يتبناها ابن نيويورك الفنان «كورت روي ستون» بسيادة الصراخ والزعيق الأمريكي بمفرده في العالم أجمع)(1).

لقد انهارت أوروبا أمام الغزو السينمائي والتلفزيوني الأمريكي كما ذكر ذلك بعض المفكرين(2)، ولم يحمها شعار الاستثناء الثقافي الذي رفعه وزير الثقافة الفرنسي، وشعرت كثير من الدول بالقلق من هذه التحولات الثقافية والحضارية التي يشهدها العالم؛ حتى قال وزير الخارجية الكندي: (لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً في صناعة استهلاكية؛ فإنه أسوأ إلى أقصى درجة في صناعة الثقافة؛ حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار، وإنما تثبيت الأفكار!).

فإذا كان هذا الانهيار والقلق قد حصل في الدول الكبرى التي تدرك خطورة العولمة؛ فما بالك في الدول المهزومة التي ترى أن نهضتها إنما تكون بالانسلاخ من هويتها، والوقوع في شرك التبعية، خاصة بعد إرهاب الأمركة الذي امتد هديره بعد أحداث نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر ليجرف بطوفانه ما بقي من كرامة الشعوب..؟!

إن سراب العولمة وأكاذيبها المتتالية . خاصة في المجال الاقتصادي . بدأت تتضح وتتكشف سوءاتها؛ ولهذا فإن مستقبل العولمة (الأمركة) أصبح مهدداً بالسقوط

التدريجي، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي زلزلت الكيان الأمريكي وأسقطت هيبته.

ـــ

(1) فخ العولمة، ص 49.

(2) منهم: روجيه جارودي في كتابه: (أمريكا.. طليعة الانحطاط)، ص 114.

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

=================

#الشرعي من العولمة

أ. د.ناصر بن سليمان العمر

يرفض قطاع عريض من البشر العولمة _كما سلف_ ولكن رفضه من قبل المسلمين أشد، وليس ذلك للتصور الذي يحاول أن يرسمه بعض الغربيين، فبعض مثقفيهم نمى إلى علمه أن الله هو الذي يشرع لعباده في نظر المسلمين فقرر متوهماً أنه"لا توجد بالنسبة إلى المسلم سلطة تشريعية بشرية، اللَّه هو الوحيد مصدر القانون"(1)، وردّد قوله هذا (لوي غارديه)، فقال:"اللَّه هو الشارع بامتياز"(2).

ولا شك أن المسلمين يؤمنون بأن التشريع من خصائص الربوبية"ألا له الخلق والأمر"(3)" أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله"(4)،"ولا يشرك في حكمه أحداً"(5)،قال العلامة الشنقيطي _رحمه الله_:"ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أم كونية قدرية، من خصائص الربوبية.. كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع رباً، وأشركه مع الله"(6).

ولكن ما يغفل عنه هؤلاء هو أن المقصود بهذا كل تشريع يتعبد به الناس، ولهذا قال: "من الدين" فكل ما شرعه الله دين لا تجوز مخالفته، وكل تشريع في الدين بغير دليل باطل يرد ولا يقبل"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(7)، ولا يعني هذا المنع من وضع قوانين تنظم الأمور الدنيوية والحياتية وتحكم الوسائل وفقاً للشرع فيما سُكت عن النص عليه، فضلاً عن عد ذلك مصادماً لتشريع الله كما قالت الكنيسة! ولكن يجب أن تكون تلك القوانيين والنظم تحت إطار تلك التشريعات الربانية والموجهات العامة والخاصة، وهذا ما فهمه من أنزل عليهم الوحي، وخاطبهم

النبي – صلى الله عليه وسلم – وكانوا أشد هذه الأمة تمسكاً بما جاء به، ففي تاريخنا نجد أن أول من دون الدواوين، وجعلها على الطريقة الفارسية لإحصاء الأعطيات وتوزيع المرتبات لأصحابها حسب سابقتهم في الإسلام، وأول من استحدث التأريخ الهجري، وأول من وضع وزارة للمالية (بيتاً للمال)، هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

فالشارع الحكيم وضع أحكاماً عامة وخاصة في كثير من الأمور الحياتية الدنيوية، وأوكل مهمة سن الآليات التنفيذية والقضايا التنظيمية إلى البشر، بحسب ما يتوافر لهم من وسائل قادتهم إليها مبتكرات عصرهم، ما لم تخالف الشرع، وفي صحيح مسلم عن عائشة وأنس – رضي الله عنهما –أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"(8).

إن أمر هذه الأمة أمر عجب، فلم يكن هذا دأبها فيما مضى، وليست هذه سِمَتها، ولم يكن كذلك سَمْتها، بل كانت هي الأمة الرائدة، الأمة القائدة، فهل عقمت؟ أم ماذا حل بها؟ وما سر تغير حالها وتبدل شأنها؟

فلم يمنع الإسلام فيما يتعلق بأمور الدنيا وتنظيم المعاش من سن تشريعات ليست من الدين ولكنها تنظم أمر المعاش، شريطة أن تكون خاضعة للتشريعات الإلهية العامة والخاصة لا تناقضها، تقود إلى العمل بها لا تعارضها، وبناء على هذا فالإسلام يرفض العولمة لكونها غير خاضعة لتشريعاته السمحة، التي جاءت لهداية البشرية وإرشادها للطريق الأقوم، وهذا يعني أن رفض الإسلام للعولمة معللاً لاعتقاد المسلمين أن تشريع الخالق العليم أحكم"ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"(9)، وليس هذا الرفض رفضاً مجرداً عن التعليل أو تقديم البديل، ولكنه رفض مع تبين الطريق الأرشد، كما أنه ليس رفضاً مطلقاً لكافة تفاصيل العولمة وآلياتها، ولكن لما خالفت فيه التشريعات الربانية، بحجة تحصيل المصلحة الشخصية أو المحدودة على حساب مصلحة الأمم والمجتمعات.

والحقيقة التي لابد من الاعتراف بها، أن للعولمة قوانينها ونظمها، وهذه القوانين والنظم لابد لها من يحكمها، فمن يكون؟

لسان حال دعاة العولمة يقول: يحكمها الأقوى وفقاً للمصالح التي يراها، فيجيز ما أراد ويمنع ما أراد، ويقترح السبل والوسائل التنظيمية التي أراد.

وهذا ما يرفضه قطاع عريض، وتيارات متباينة من البشر، فليست مصلحة الأقوى أولى، وليست شريعة الغاب دستوراً يُرضى.

أما المسلمون فيقولون: يحكمها الأصلح للبشرية جمعاء، وهذا له شقان؛ شق نزل من السماء، وأهل الإسلام يؤمنون بأنه الأصلح، فعلى الأقل ليس لغيرهم أن يلزمهم بسواه، ولهم أن يدعوا الناس لهداه، وشق آخر لا يعارض ما جاء به الأنبياء، فهو محل نظر وتقييم ولكل رأيه الذي من حقه أن يبديه، ولكل نظامه الذي يرتئيه.

الفرق بين رفض العولمة والتعامل معها بسياسة الرفض:

إن رفض العولمة، لا يعني الانزواء في ركن قصي، مع المبالغة في إغماض العينيين، فهذا أمر لا يليق بأمة الرسالة، التي ابتعثها الله لتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ومن الملحوظ على هذه الأمة في عصورها المتأخرة، مواقف السلب وعدم الإيجابية، فقد رضيت أن تكون في صفوف المتفرجين، وعلى هامش الحياة، فإذا ما وقع حدث ما أو كاد أن يقع، هبت تصرخ وتولول، وتنادي بالويل والثبور وعواقب الأمور.

تأملت هذا الواقع فأزعجني ما أرى، وأقض مضجعي ما أشاهد، ثم ازددت يقينا أن سر قوة هذه الأمة، ومكمن عزها، ومنبع مجدها، هو في دينها وعقيدتها، ومدى التزامها بمبادئها، ولا يعود هذا إلى أصلها ونسبها ولغتها، كما تصور الواهمون ونادى المضللون.

لذا فإننا سنظل عالة على الأمم، كالأيتام على موائد اللئام، والخدم في قصور الأسياد، ما لم نعد إلى ديننا، ونعرف حقيقة عزنا ومجدنا"وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"(10).

وهناك لن نقف مكتوفي الأيدي أمام مكائد الشرق ومؤامرات الغرب، بل سيهرع الشرق والغرب والشمال والجنوب يخطب ودنا، ويستجدي رضانا، ويتسول ما يفيض به كرمنا، مع أننا سنكون أكرم من أن ننتظر السائل حتى يسأل والمحتاج حتى يطلب، وسنجود بمهجنا وأرواحنا –فضلا عن أموالنا– في سبيل نشر عقيدتنا،

وترسيخ مبادئنا، إذا أصر الظالمون إلا على الحيلولة بيننا وبين نشر الخيرية التي منحنا الله إياها.

إن هذه الأمة لم تعقم، ولن تعقم _بإذن الله_، والطريق أمامنا مفتوح، والسبيل سالك والمنهج واضح، فعلينا أن ننبذ الكسل والخمول:

لا تصحب الكسلان في حالاته *** كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة *** كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

ولكن علينا أن ندرك أنه لا بد من تحمل الصعاب وبذل المهج والأرواح، وإلا:

فمن يتهيب صعود الجبال *** يعش أبد الدهر بين الحفر

وإذا كانت النفوس كبارا *** تعبت في مرادها الأجسام

وبذلك يكون يصدق فينا قول الله – عز وجل – :

"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"(11).

وحتى يتحقق هذا الأمل الموعود لابد من العمل على محاور ثلاثة:

المحور الأول: تطوير النظم الإسلامية وآليات تفعيلها، ثم تطبيقها في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم إخراجها للناس، ودعوتهم إليها.

المحور الثاني: بيان ما في العولمة الوافدة من مثالب، وبيان الحلول الشرعية، والبرامج الإسلامية التي يمكن أن تحل محلها، مع توضيح الوجه الذي جعلها تفضل غيرها.

المحور الثالث: تحصين المجتمع المسلم من مثالب العولمة، وما فيها من أخطاء.

وجماع هذا كله، بناء المجتمع المسلم، المؤهل في كافة المجالات، وعلى أكتاف هذا المجتمع تقوم الدول التي إن قالت سمع لها.

وقد شاركت في ندوة بجامعة أم القرى حول البث المباشر(12) وبعد انتهاء الندوة قام الأستاذ أحمد محمد جمال(13) فعلق على الندوة بكلام جيد، وكان مما قال:"إن الحل أو المواجهة ليست بأيدي الشعوب المستضعفة، كما لا يمكن ولا يجوز الانتظار حتى نصلح شأننا، ونقوم إعوجاجنا، ولكن الحل أو المواجهة بأيدي ولاة أمور

المسلمين –على مد أقطارهم– فهم أصحاب السلطة المادية والسياسية والتنفيذية، وهم القادرون على التجمع والاتفاق على خطة للمواجهة الجماعية.

ولاة أمور المسلمين هم القادرون على المواجهة بالأسلوب الذي يتفقون عليه، سواء أكان....، أم بمقاطعة دبلوماسية واقتصادية وسياسية للدول صاحبة هذه الأقمار المعادية، أو انسحاب جماعي من المنظمات الدولية، أم بأية وسيلة حاسمة يتفقون عليها، ويبادرون بتنفيذه دون إبطاء ولا استثناء"(14).

وما ذكره الأستاذ أحمد من الحلول الحاسمة لأحد مظاهر العولمة (البث المباشر)، أتفق معه فيه على وجه الإجمال، ويصلح أن يقال حول مظاهر العولمة الأخرى، وإن كنا لا نتوقع حدوث ذلك، في واقعنا الحاضر، ولكن مع العمل الدؤوب في بناء المجتمعات، والجيل الذي يمثل مؤسسات الدولة وقطاعتها المختلفة، فسنصل إلى نتيجة، كما وصل سلفنا الصالح ونبينا الكريم، والذي بدأ دعوته فرداً.

على الرغم من الترحيب المصرح به وغير المصرح بالعولمة وضرورة اللحاق بركبها، من قبل كثير من المسؤولين العرب، مع هذا أقول لو صدقت النوايا، وسرنا في مشروع البناء، لأمكن تحقيق البرنامج الإسلامي والنزول به إلى أرض الواقع، بل ودعوة الآخرين إليه، وهذا ممكن عقلاً جائز وقوعه، ولكنكم قوم تستعجلون.

---

1 زاعمه هو (برنارد لويس)، وهو كما يقول عنه فهمي هويدي:"صاحب الموقع المشهود في معسكر الخصوم الذين يتحدثون عن الأمة باحتقار وازدراء شديدين".

2 الحياة الاجتماعية والسياسية في المدينة الإسلامية، مجلة المقاصد، العدد 12، ص137.

3 سورة الأعراف جزء من الآية: 54.

4 سورة الشورى: 21.

5 سورة الكهف جزء من الآية: 26.

6أضواء البيان 169/7.

7 حديث عائشة وهو متفق عليه انظر البخاري 959/2، ومسلم 1343/3.

8 صحيح مسلم 1836/4.

9 سورة الملك: 14.

10سورة المنافقون آية: 8.

11سورة آل عمران آية: 110.

12وذلك في 15-8 -1410 هـ، وقد شارك في الندوة كل من د/ عبد القادر طاش و د/ أحمد البناني، وذلك بدعوة من رئيس اللجنة الثقافية د/ عبد العزيز العقلا.

13الأستاذ بجامعة أم القرى والكاتب المعروف.

14انظر مجلة التضامن الإسلامي عدد شوال 1410 هـ، حيث نشر هذا الكلام، وقد اقتصرت على مكان الشاهد.

المصدر : http://www.almoslim.net

==================-

#صفقة موانئ دبي . . عولمة باتجاه واحد !

د.فيصل القاسم

ساذج كل من يعتقد أن الهدف من العولمة جعل العالم قرية واحدة تتفاعل فيها الشعوب والثقافات سياسياً واقتصادياً وإعلامياً لصالح البشرية جمعاء. ربما كان ذلك صحيحاً لو أن الأمم المنصهرة في العولمة متساوية في الأهمية والتأثير وتريد أن تتحد وتستفيد من بعضها البعض في عالم أوسع. لكن بما أن العالم مقسم إلى جنوب متخلف وشمال متطور، فإن نتيجة الانصهار الكوني ستكون بلا شك في مصلحة الأقوياء خاصة وأنهم هم الذين يدفعون باتجاه إسقاط الحدود بين الدول وتحويل المعمورة إلى ساحة واحدة. لا عجب إذن أن تسمع البعض يقول إن العولمة ما هي سوى الامبريالية القديمة التي غيرت جلدها وشكلها كي تصبح أكثر قبولاً لدى العالم وخاصة لدى أولئك الذين يخشون على ثقافاتهم وهوياتهم وثرواتهم من الجشع الامبريالي والاستعمار الكوني.

وكي لا يعتقد البعض أن هذا الكلام ضرب من ضروب الثرثرة اليسارية السخيفة التي ما لبثت تحذر من الرأسمالية المتوحشة التي تحاول التهام العالم، فإن الذي يفضح مقاصد العولمة المزعومة هم سادتها، فهم الذين يبشروننا بعالم واحد متوحد من جهة ومن جهة أخرى يقيمون الحدود والجدران العازلة والعوائق الكأداء أمام الانفتاح

العالمي وخاصة على الصعيدين الاقتصادي والثقافي وهما عصب التعولم المنشود. فقبل سنوات خرج علينا منظرو العولمة ليتحدثوا عن عالم جديد لا حدود فيه ولا سدود، تحكمه حالة انسياب كاملة للمعلومات والأفكار ورؤوس الأموال والبضائع والأشخاص وتتراجع فيه سيادات الدول أمام مشاريع الشركات. لكن يبدو أن المقصود بالشركات ليس كل شركات العالم بل الشركات الأمريكية والمتحالفة معها دون غيرها كي تصول وتجول على هواها دون حسيب أو رقيب.

لقد جاءت الحملة الأمريكية الهائلة ضد شركة موانئ دبي العالمية لتميط اللثام عن تلك الكذبة الكبرى المسماة العولمة أو التجارة الحرة. فقد عقدت الشركة صفقة مع السلطات الأمريكية تقوم الشركة الإماراتية بموجبها بإدارة موانىء نيويورك وميامي ونيوارك في نيوجيرسي وبلتيمور في مريلاند ونيو اورلينز في لويزيانا وفيلادلفيا في بنسلفانيا. وقد بلغت قيمة الصفقة حوالي سبعة مليارات دولار. لكن بما أن المطلوب من العولمة أن تتمثل في هيمنة الأقوياء على الضعفاء وسلبهم ونهبهم واستغلالهم فقد ثارت ثائرة الشركات الأمريكية. كيف تسمحون لشركة عربية أن تدير بعض موانئنا وتكسب الملايين من ورائها؟ هذا أمر مرفوض جملة وتفصيلاً. وهل صدقتم كذبة التجارة الحرة وسقوط الحواجز الاقتصادية والتجارية؟ فعلاً إنكم مغفلون. ألا تعلمون أن كل تلك التسميات الكبرى كالديمقراطية والعولمة ما هي إلا شعارات وهمية يستغلها سادة العالم لتمرير مشاريعهم وفرض هيمنتهم؟

لا ضير في أن تستبيح الأساطيل الأمريكية المياه الدولية، ولا ضير في أن تصبح أمريكا جارة لكل بلد في هذا العالم بفعل قواعدها العسكرية الممتدة حتى حدود الصين، ولا ضير في أن تغزو القوات الأمريكية بعض البلدان دون أي رادع، ولا ضير في أن تنهار الحدود أمام الشركات الأمريكية العابرة للقارات، ولا ضير في أن تستباح سيادة الدول بحجة التجارة الحرة، ولا ضير في أن تصبح كل موارد الطاقة في العالم تحت سيطرة العم سام، ولا ضير في أن تفرض المنتوجات الأمريكية على كل القارات تحت التهديد الاقتصادي والابتزاز التجاري، ولا ضير في أن تجتاح الثقافة الأمريكية كل بقاع الأرض. كل ذلك جزء من العولمة. أما أن تتجرأ شركة عربية على الاستثمار في بلاد سادة العولمة وتفوز بصفقة كبيرة فهذا رجس من عمل

الشيطان. عليكم أن تفتحوا كل حدودكم أمامنا، لكن إياكم ثم إياكم أن تحاولوا عبور حدودنا.

ولو اقتصر الأمر على الجانبين التجاري والاقتصادي لقلنا إن الرزق غال ولا بد من حمايته بالنواجذ ضد القادمين من وراء الحدود. لكن الأمر امتد إلى الإعلام لتصبح "السموات المفتوحة" خرافة جديرة بالازدراء والسخرية. فلا بأس أن تخترق وسائل الإعلام الغربية حدودنا وتفتك بعقول شبابنا وشاباتنا بدعوى الانفتاح والتعولم، لكن عندما يصل بث بعض قنواتنا الفضائية العربية إلى أوروبا وأمريكا، فيتحرك سادة العولمة لسد السموات في ووجها ومنعها من الوصول إلى المشاهدين الغربيين تحت حجج واهية. وقد شاهدنا كيف تم منع بث فضائية المنار اللبنانية في أوروبا بعد أن أزاحوها من الأقمار الصناعية الغربية، ناهيك عن الضغوط الرهيبة على وسائل الإعلام العربية الأخرى. وهذا يؤكد ما ذهب إليه الكاتب والباحث نصر شمالي عندما تحدث عن "الحرب الذهنية" الأمريكية التي تتضمن شن حروب ثقافية مفتوحة ضد الشعوب. و"يتحقق ذلك عبر وسائل الإعلام التي تمتلكها الولايات المتحدة، والتي تملك القدرة علي الوصول إلى جميع الشعوب في أي مكان علي وجه الأرض، وهذه الوسائل الإعلامية تشمل الإعلام الإلكتروني إضافة إلى الإذاعة والتلفزة، وتشمل اتصالات الأقمار الصناعية، وتقنيات تسجيلات الفيديو، ووسائل الإرسال الإذاعي عبر الليزر والحزم البصرية، الأمر الذي سيمكّن من اختراق أذهان البشرية في العالم أجمع بفعالية! ويعتقد الأمريكيون أنهم يملكون من أدوات اختراق الذهن البشري العام، وتطويعه وتنظيمه على هواهم" بحيث يلهمون الثقافات الأجنبية بتبني أخلاقياتهم. والمرعب في الأمر أن هناك توجهاً أمريكياً حسب بعض الخطط الاستراتيجية لحرمان الآخرين من الوصول إلى الشعب الأمريكي. بعبارة أخرى فإن المطلوب ثقافياً وإعلامياً التأثير في الخارج لكن دون السماح لذلك الخارج أن يؤثر في الداخل الأمريكي الذي حسب التوجه المنشود يجب أن يبقى محمياً إعلامياً وثقافياً من أي تأثيرات خارجية. إنها الحمائية الثقافية في أجلى صورها، فمن جهة يريدون للعالم أن يستقبل إعلامهم وثقافتهم بصدر رحب بدعوى القرية الكونية الواحدة المنفتحة على بعضها البعض، ومن جهة أخرى يتصدون لأي جهة تحاول الوصول

إلـى عقول شـعوبهم. وإذا ظـن الـبعض أن العـالم أصـبح مفتوحـاً للجميـع مـن خـلال وسـائل الاتصـال الحديثـة فهذه إسطورة يجـب دحضـها. وقد رأينـا كيـف بـدأ بعـض المفكرين والإعلاميين الأمـريكيين يضـيقون ذرعـاً بكذبـة المجتمـع المفتـوح ويحـاولون فضحها من خـلال كشفهم للجهات المالكة لوسائل الإعلام والمعرفة في أمريكا التـي لا يزيد عددها عن أصابع اليد.

ويحـدثونك بعـد كـل ذلـك عـن العولمـة الاقتصـادية والتجاريـة والثقافيـة والإعلاميـة والانصـهار الكوني! أليست بربكم عولمة باتجاه واحد إجباري؟

المصدر : http://www.meshkat.net

================–

#دورة الألعاب الأولومبية . . وثنية معاصرة في ثياب (العولمة)

رضا أحمد صمدي

لـم يكـن أحـد ليـدرك أن المسـلم قـد يتهـاون فـي أخـص خصوصـيات إسـلامه وهـو التوحيـد... ويتمـادى فـي تـدمير ركـن المعتقد (وهـو الكفر بالطـاغوت) ليصـل لدرجـة الوثنيين وعباد الأصنام.

الطواغيت لها نماذج كثيرة، ولكن الطواغيت الأصيلة، التـي عبدت من دون الله وأريد لهـا أن تكـون آلـهة مـن دون الله ورضيت هـي بذلك، كيف يمكـن لمسلم أن يرتضـيها ويثني عليها أو يمشي في ركاب ممجديها؟؟؟

إنها دورة الألعاب الأولومبية..

فعلى ضفاف سهول الأولمب في بلاد الإغريق القديما وعلى مقربة من اثينا عاصـمة الأغريـق أقيم المعبد الأكبـر لكبيرة آلهـة الأغريـق (زيـوس) ونصـب لـه صـنم عظيم (اعتبره المؤرخـون مـن عجائـب الـدنيا السـبع) ثم نصـب بجانـب المعبـد ملعبا ليتقرب الناس بالألعاب إلى هذا الإله.

وكان لهذا الإله (الطاغوت) عيد كل أربـع سنوات، عظمـه اليونـان واعتبروه من أكبـر أعيـادهم المقدسـة، فحرموه وحرموا الأشـهر المحيطـة بـه، وجعلوه موسما لكف الحـرب بينهم.

. وأطلقوا فيه الشعلة رمزا لخلود الآلهة عندهم.

وكانت الراهبات (باللباس الأبيض) يصطففن لاستقبال اللاعبين في تلك الأعياد..
وكان الفائزين من اللاعبين يمجدون كآلهة..
هذه هي حقيقة الألعاب الأولومبية.. وثنية في وثنية، شرك في شرك، وبعثت في أواخر القرن التاسع عشر، ثم أحيتها الدول الغربية تعظيما للتراث الغربي الذي لا حضارة قديمة يمكن أن يفخروا بها أقدم من حضارة اليونان.. فكانت دورة الألعاب الأولومبية وثنية المنشأ غربية المبعث حتى جاءتها العولمة فصاغت لها الفلسفة المناسبة ليقبلها المسلم الموحد فهي دورة من أجل السلام... والحلقات الخمس (رمز الألعاب) هي القارات الخمس (وفي الحقيقة هي رمز لبعض الألعاب اليونانية وهي الحلقة)، والشعلة رمز للعدالة، وفي الحقيقة هي رمز لخلود آلهتهم التي يدعون من دون الله..
وما معنى أن يكون هناك قسم أوليبمي وتحديد لعقدها كل أربع سنوات وشعار الدورة هذا العام غصن الزيتون الذي كان علامة أو شعارا من شعارات اليونان القدماء..
كل هذا أليس كافيا لنقول: إن مشاهدة هذه الألعاب تمجيد للوثنية؟؟؟
المصدر : http://www.saaid.net

================

#عولمة العدالة: الطاقة النووية نموذجاً

عبد الحق بوقلقول* – الجزائر
1427/2/14هـ الموافق له 2006/03/14 م
منذ عدة أشهر تحرص كل من الولايات المتحدة وبريطانيا إلى جانب فرنسا (أعضاء دائمون بمجلس الأمن) بالارتكاز على مجهودات كبيرة تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية على إعادة تنشيط معاهدة عدم الانتشار النووي التي خرجت إلى النور في العام 1968، والتي تعني باختصار شديد رغبة الدول الكبرى في أن يكون العالم منقسماً إلى معسكرين اثنين: معسكر نووي وآخر محرّم عليه أي طموح من هذا النوع.
لقد سمحت الحملات الإعلامية والسياسية الكبيرة وغير المتسامحة التي خاضتها هذه الدول منذ عقود بأن يُفرض على عدد كبير من البلدان القبول بهذا الواقع، والالتزام

به؛ بمعنى أنه يُحرّم على باقي الدول التفكير في الاستفادة بأي شكل من الأشكال من هذا النوع من الطاقة التي يمنحها اليورانيوم المخصب؛ لأن هذا الأخير يتيح فرصة تصنيع القنبلة النووية، وبالتالي فإن بلداً كالجزائر مثلاً التي رفضت التوقيع على نص المعاهدة سالفة الذكر لمدة (25) سنة كاملة بحجة حرصها على الاتفاق بأن يكون الحوض المتوسطي بكامله خالياً من أسلحة من هذا النوع؛ في إشارة واضحة إلى دولة الكيان الصهيوني، إلا أنها وأثناء سنوات الاقتتال الداخلي الذي عاشته في العقد الأخير وجدت نفسها وجهاً لوجه في مقابل حملة غربية تتحدث عن وجود طموحات نووية لديها، فاضطرت إلى الإمضاء تحت وطأة التصعيد، ولكن موقفاً كهذا لم يكن متوقعاً يوماً من قادة "إسرائيل "، والتي لا تمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة غير التقليدية التي في مقدورها أن تدمر كوكب الأرض بكامله فحسب، ولكنها تتمكن على الرغم من ذلك من مخادعة الرأي العام العالمي، وتدير ظهرها لتوصيات المؤسسات الدولية من غير أن يشجب أحد مثل هذا الواقع، فضلاً عن أنه يغرق العالم الإسلامي كله في حالة من الحيرة والذهول والهلع أيضاً.

تذكير لا مناص منه:

القنبلة النووية في الواقع هي المرادف اللغوي لكلمات على وزن القوة والقدرة والعصمة والرعب بالنسبة للضحايا، وحري بنا أن نعرف أنه ومنذ بداية القرن الماضي، كانت آلية الانشطار الذري الشغل الشاغل لعدد كبير من العلماء، فكمية الحرارة المنبعثة من وقوع انشطار وحيد هي في الحقيقة مذهلة؛ فهي تماثل عشرة آلاف ضعف أي احتراق تقليدي آخر، ويعود الفضل في كيفية التوصل إلى التحكم في سلسلة الانشطار الذري إلى العالم الفيزيائي الإيطالي (إنريكو فيرمي) في 2 من شهر تشرين الأول/أكتوبر 1942، لقد كان ذلك الاكتشاف يعني لأول مرة في التاريخ البشري قدرة الإنسان على التحكم في الطاقات الهائلة.

إلا أن البدء الفعلي في الاستعمال السلمي لهذه الطاقة لم يقع إلا في العام 1973 بمناسبة أزمة النفط الشهيرة حين بُدئ في العمل على إقامة مفاعلات نووية لغرض إنتاج الطاقة الكهربائية، والتي يفوق عددها اليوم (450) مفاعلاً تمتلك الولايات

المتحدة نصيب الأسد منها (120) وحدة، تليها فرنسا (59) التي تنتج ثلاثة أرباع احتياجاتها الكهربائية بهذه الطريقة.

الاستعمال الآخر للطاقة النووية يكمن في القيام بتحرير كل الطاقة في ظرف زمني قصير جداً من رتبة جزء من الثانية للحصول على ما يُعرف بالقنبلة الذرية، لقد كان (ألبرت آينشتين) و(إدوارد تيلر) (أب القنبلة الذرية) هما مَن حرضا الرئيس الأمريكي: هاري ترومان في العام 1945 على استعمال هذا "الاكتشاف" الجديد لأجل وضع نهاية للحرب العالمية الثانية، وهو ما وقع فعلاً بعد أن أمر هذا الأخير بقنبلة ناغازاكي ثم هيروشيما اليابانيتين (6 و 9 آب/أغسطس 1945) على الرغم من أن اليابانيين أبدوا استعدادهم للاستسلام.

تمر دورة تخصيب اليورانيوم باختصار على ثلاث مراحل: بداية بحرق اليورانيوم الخام للوصول إلى نتيجة على شكل عجين يدعى (Yellow Cake)، ثم مرحلة تحويل هذا الناتج إلى الحالة الغازية للحصول على ما يسمى (4UF) ثم (6UF) لتأتي بعدها المرحلة الأخيرة المتمثلة في الحصول على اليورانيوم المخصب الذي يمكن الوصول إليه على طريقتين: الطرد المركزي أو الانتشار الغازي، الطريقة الأولى والتي هي الخيار الذي يعتمده الإيرانيون تتم من خلال وضع الغاز في معدات مركزية الطرد، ثم تسريعها لتصل إلى درجة (600) دورة في الثانية.

بالمختصر إن لليورانيوم استعمالين متناقضين؛ ففي الوقت الذي يمكن الحصول على الطاقة الكهربائية من خلال مراقبة سلسلة التخصيب إلى درجة 3%، يتطلب الاستعمال الثاني تخصيباً كثيفاً لا يقل عن نسبة 90%.

القدرات النووية الإسرائيلية:

انطلق المشروع النووي في دولة الكيان الغاصب في العام 1948 في وقت كانت هذه الدولة اسماً جديداً في قواميس الدبلوماسية الدولية، فضلاً عن أن الطاقة النووية لم تكن وقتها مجالاً واسعاً لأنها كانت لا تزال خاصة جداً، ولم يكن الاتحاد السوفييتي نفسه قد تمكن من كل حيثياتها بعد، ثم إن إسرائيل وبرفضها الإمضاء على معاهدة 1968 أكدت حرصها على العمل في سبيل التقدم ببرنامجها النووي من غير أية

رقابة دولية، زيادة على أن شيمون بيريز – أبو المشروع النووي الإسرائيلي – أقر أخيراً أن فرنسا كانت مساهمة بقدر كبير في هذا الجهد الإسرائيلي.

كانت إسرائيل ومنذ العام 1967 تمتلك على الأقل قنبلتين اثنتين حركتهما بسرية خلال حرب الأيام الستة، وأما الطائرات المقاتلة التي كانت تستطيع نقلهما فلقد وصلتها من أمريكا، ثم إنه لمن المعروف الآن أيضاً أن إسرائيل فكرت في حرب 1973 في استعمال السلاح النووي التكتيكي لأجل وقف تقدم الدبابات السورية في الجولان المحتلة، زيادة على أنه وبناء على سياسة الاحتواء والمراقبة التي تنتهجها الولايات المتحدة وبدعم مباشر من هذه الأخيرة أقدمت المقاتلات الجوية الإسرائيلية في 07 حزيران/يونيو 1981 على تفجير المفاعل النووي العراقي "تموز"؛ لتفرض نفسها بالتالي في موقع المالك الوحيد لهذا السلاح على مستوى الشرق الأوسط.

حينما زار محمد البرادعي مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الواقع مقرها في العاصمة النمساوية فيينا تل أبيب في 07 تموز/يوليو 2004، أعلن هذا الأخير أنه لم يأت إلى هناك لأجل توبيخ إسرائيل على موقفها الرافض لأن تؤكد أو تنفي برامجها النووية، وعلى الرغم من هذا الموقف "الحيادي جداً، والمخزي إلى أبعد الحدود " من جانب هذا الشخص، لم يجد وزير خارجية الكيان سابقاً سيلفان شالوم من رد إلا القول: "إذا كان يتعين علينا فعل أي شيء مع البرادعي فإننا لن نطلب منه أكثر من مواصلة نشاطه لأجل دفع الإيرانيين إلى وقف جهودهم في سبيل تطوير السلاح النووي"?، ثم إن شارون نفسه – الذي بات الكثيرون من المتنورين يعددون محاسنه – لم يبد أي اعتراض على هذا التهكم الواضح الصادر من طرف وزيره، قبل أن تقرر الهيئة المانحة لجائزة نوبل العالمية للسلام أن تقدم مباركتها لهذه الوكالة ورئيسها بسبب تواطئهم وتسامحهم المفضوحين مع تل أبيب، وإن كانت العدالة تقتضي على الأقل منح تلك المبالغ لضحايا ناغازاكي وهيروشيما مثلاً.

من الثابت – الذي يبدو مسلمة عالمية – أن كل البلدان فيما عدا الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي بطبيعة الحال، والتي تتفاوض فيما بينها بصورة داخلية عن كيفية قيام كل منها بالتفتيش داخل منشآتها الخاصة – أن إسرائيل هي دولة فوق القانون، وفوق طاقة (وكالة البرادعي)!، في حين أن دولة

أخرى كالعراق التي تسكنها ملايين النفوس البشرية تُنتهك سيادتها، ويُقتل فيها عشرات الألوف من الغلابى تحت ذريعة حيازة أسلحة ذات قدرات تدميرية شاملة لم تستطع الأقمار الصناعية – التي ترصد دبيب النمل – اكتشافها، وتحديد مواقعها، زيادة على أن دولتين أخريين هما سورية وإيران تُتهمان بذات التهمة، بمعنى أنهما قد تواجهان ذات المصير، في إمكاننا أن نفهم لماذا أعلن شارون في 7 أكتوبر 2003 غداة قيام طيرانه بقصف موقع قيل هو "لإرهابيين" فلسطينيين في سورية: "إننا سوف نضرب أعداءنا في أي مكان وبأية وسيلة"، هذا يعني أن إسرائيل تملك كل الحق في أن تضرب أي جهة في العالم بأسلحتها النووية، وبدعم لا مشروط من الإدارة البيضاوية.

تمتلك إسرائيل حالياً بناء على تقديرات تجريها مؤسسات بحثية في الغرب ما بين (200 – 400) رأس نووي، وعلى حسب المجلة الإنكليزية المتخصصة في شؤون الاستخبارات والأمن (جينس آنتيليجانس ريفيو) فإن الترسانة الإسرائيلية توازي ما يمثل (3850) ضعف القنبلة التي ألقيت على هيروشيما، وأما في مجال الوسائل المستعملة في هذا الصدد فإن الكيان يمتلك (300) مقاتلة من نوع (16F) أمريكية الصنع، بالإضافة إلى (25) مقاتلة (15F) بتجهيزات توجيه خاصة ومتطورة، إلى جانب أن الصاروخ النووي (بوباي تيربو) قد تم وضعه على ثلاث غواصات من نوع "الدلفين" التي حصلت عليها بين عامي 1999 و 2000 من الألمان، من غير أن ننسى إضافة ما لا يقل عن نحو (50) صاروخ باليستي (أريحا2) يتعدى مداها (1500) كيلومتر، في مقدور كل واحد منها أن يحمل رأساً نووية زنتها (1) طن، علاوة على أن الدولة العبرية تمتلك أيضا أقماراً تجسسية تولت هي بنفسها مهمة وضعها على المدار.

تغيرت الأوضاع منذ العام 1998 حينما قرر اليمين الهندوسي الحاكم في نيودلهي أن يعزز علاقاته مع الأمريكيين والإسرائيليين في الميدان النووي من خلال استحداث محور واشنطن – تل أبيب – نيودلهي لتقوم دولة الكيان بعد هذا مباشرة بالتعاقد مع الهنود لمساعدتهم في سبيل تطوير قدراتهم النووية، قبل أن يقوم شارون في سبتمبر 2003 بزيارة نيودلهي في أول زيارة يقوم بها رئيس وزراء إسرائيلي إلى تلك العاصمة

منذ استقلالها عن التاج البريطاني في 1947، وفي مقابل هذا التصعيد الثنائي قامت باكستان بإجراء تجاربها التفجيرية أيضاً في خطوة تحذيرية لها أكثر من معنى قبل أن يقفز الجنرال برويز مشرف على السلطة في إسلام آباد، ويقيل رئيس الوزراء نواز شريف، ناقلاً بهذه المغامرة الدولة النووية المسلمة الوحيدة إلى معسكر الأمريكان، ولتصير القوة النووية الباكستانية وبالاً على الأمة بعد أن كان يُفترض أنها تجربة رائدة.

الأهم من هذا أنه و بناء على "الشراكة الإستراتيجية" التي عقدوها مع الهنود قررت الولايات المتحدة أن تقدم لتل أبيب مساعدات مالية إضافية، وصادق الكونغرس في نهاية العام 2005 على صك بقيمة (133) مليون دولار لفائدة إسرائيل حتى تتمكن هذه الأخيرة من تطوير الأبحاث فيما يتعلق بصاروخ (آرو)، إلى جانب منحة أخرى بقيمة (600) مليون دولار، زيادة على المساعدات المالية السنوية التي تتحصل عليها الدولة العبرية من واشنطن تحت ذريعة واهية تسمى "الدرع الصاروخي الإسرائيلي"؛ لأن الحقيقة البينة مفادها أن الولايات المتحدة إنما هي بصدد تسليح إسرائيل في مقابل إيران، والأموال ستتوجه من غير شك إلى مشاريع تصنيع وتطوير طائرات التجسس التي لا يقودها الطيارون، وإنما تُوجّه عن بعد من مقرات القيادة العامة لجيش الاحتلال، ثم إن هذه الأموال تستعمل أيضاً بقصد أن تقوم إسرائيل باقتناء المدرعات التي تنقل الجنود من الدول الأوروبية.

الطموحات النووية لكوريا الشمالية:

المباحثات سداسية الأطراف (الصين، الكوريتان، اليابان، الولايات المتحدة وروسيا) هي حالياً وخلافاً لما هو معلن في طريق مسدود منذ الاتفاق المتوصل إليه في شهر أيلول/سبتمبر الأخير، والذي على أساسه قبل نظام بيونغ يانغ التنازل عن مشاريعه النووية في مقابل مساعدات اقتصادية وضمانات أمنية، فعلى الرغم من أنه كان يُعدّ وقتها خطوة على الطريق الصحيح؛ لا يتطرق نص الوثيقة المتفق عليها إلى أي جدول زمني، ولا أي طريقة للتنفيذ، فكل شيء لا يزال قابلاً للتفاوض والاختلاف مجدداً.

لقد أعلنت كوريا الشمالية مثلما نعلم جميعنا أنها تمتلك قنبلتين ذريتين، والاتفاق لم يتطرق بالتفصيل لكيفية التخلص من هاتين القنبلتين، علاوة على أن بكين – التي هي في الواقع حليف استراتيجي لتلك الدولة – فعلت كل ما في وسعها في سبيل أن ينشغل العالم بغير الموضوع النووي لحليفتها الضعيفة بيونغ يانغ.

الحالة الإيرانية.. العدالة الدولية في أوضح صورها:

منذ ما يزيد عن السنتين ونصف السنة، تقود ثلاث دول أوروبية – بتحريض ودفع من واشنطن – حملة ضغط شعواء على طهران لأجل أن تقلع هذه الأخيرة عن كل طموحاتها النووية، على الرغم من أن طهران ما انفكت تؤكد منذ سنوات أن برنامجها ذو أهداف سلمية، وأن جهودها لا تطمح إلاّ إلى التمكن من استخدام الطاقة النووية في مجالات مدنية، فهي ووفقاً لبياناتها الرسمية ستشهد بعد نحو عشرين عاماً من الآن؛ كثافة سكانية تجاوز المئة مليون شخص، مما يعني ارتفاعاً كبيراً في الطلب الداخلي عندها على الطاقة، وعلى الرغم من أنها البلد الثالث عالمياً من ناحية الاحتياطات النفطية؛ إلا أن الدراسات تؤكد أنها وبعد هذه المدة سوف تكون مضطرة إلى استهلاك نصف ما تنتجه حقول النفط فيها.

لقد أعلنت إيران في العاشر من يناير الماضي عن نيتها في استئناف أبحاثها في ميدان تخصيب اليورانيوم، رافضة المقترح الروسي الخاص بإمكانية أن تتولى موسكو هذه المهمة فوق أراضيها الاتحادية، بعد أن حذّرها مجلس محافظي الوكالة الدولية في شهر نوفمبر الماضي من كل محاولة في هذا الاتجاه، بمعنى أن أي تصعيد من جانبها سوف يعني إحالة ملفها إلى مجلس الأمن، وهذا ما وقع مؤخراً بعد أن قال محافظو وكالة الطاقة (أي وكالة البرادعي): إن إيران أخلت بالشروط، بمعنى أنه وفي رأي الغرب تُعدّ تحدياً وتهديداً جدياً للأمن والسلام العالميين، فوصول إيران إلى تحقيق "الاكتفاء" النووي بحسب رأي الساسة الغربيين هو بداية تهديد شديد الخطورة لكامل منطقة الشرق الأوسط، ثم إنه تهديد أيضاً لمستقبل معاهدة الحد من الانتشار التي هي على المحك الآن، زيادة على أنه تهديد مباشر لأوروبا التي سوف تكون بعد هذا في متناول الصورايخ الإيرانية "شهاب".

الحقيقة أن معاهدة عدم الانتشار هي اتفاق يعكس تماماً مدى الازدواجية والانتقائية في تطبيق مبادئ قيم العدالة والحرية التي تتغنى بها الدول الكبرى الغربية على وجه الخصوص؛ لأنها أُعدت بعد ما تم تحديد أعضاء النادي النووي بدقة شديدة، وفي الوقت الذي تقع فيه دولتان كإسرائيل وإيران في موقعين متشابهين كثيراً، تحرم المجموعة الدولية على الثانية أي طموح يجعلها في موقع موازٍ للأولى، بحجة قانونية مضحكة مفادها: أن إيران نفسها وقعت على نص المعاهدة، مما يجعلها تقع تحت طائل مقرراتها، على خلاف إسرائيل الرافضة للتوقيع، وهو ما يعني – ببساطة – أنها غير معنية بالقانون الدولي!!

ثم إنه وحتى لو أننا سلمنا بصدقية نص معاهدة حظر الانتشار؛ فإن المادة السادسة منها تتحدث صراحة على أن كل الدول ملزمة بالتعاون في سبيل التخلص النهائي من هذه الأسلحة التي تهدد كل ما حققته الحضارة الإنسانية حتى الآن، ولكن الواقع أنه لا وجود لأي دولة كبرى نستطيع القول بشأنها إنها كانت قد احترمت هذا الكلام، وهذه حكاية أخرى طويلة وشائكة.

لو قررت إيران عدم الرضوخ لهذه الضغوطات، وواصلت سياستها الحالية؛ فكل الحكومات الغربية مستعدة لأن تحرك وسائلها الدعائية والسياسية – وربما العسكرية – في سبيل فرض عقوبات على طهران، وفي هذه الحالة يمكننا أن نتوقع أن اللجوء إلى الحل العسكري من قبل أمريكا سوف يقع من غير حاجة "للاستئذان" من السيد عنان وهيئته الأممية!، فكل السيناريوهات جاهزة، ولا تنتظر إلا الأمر بالتنفيذ الذي قد يصلها في أي لحظة من البنتاغون، وسوف يخرج علينا الأمين العام للمنظمة الأممية كوفي عنان بعدها ليعلن لنا عن "انشغاله العميق" بما يحدث، من غير أن يخبرنا بالضرورة أن الهيئة التي يرأسها قد تقرر وضعها على رفوف أرشيف الدبلوماسية العالمية، ثم إنه أخيراً لن يتجرأ على أن يقول لنا إن تيودور هيرتزل – مؤسس الصهيونية الحديثة – كان قد قال قبل أكثر من قرن: "سوف نبني هنالك جداراً يفصل الغرب عن البربرية"، لقد بُني الجدار فهل تشكّون أننا المعنيون بنعت "البربرية"؟

---

* كاتب ومحلل سياسي من الجزائر

المصدر:http://www.islamtoday.net

==================

#ثلاث اوجه للعولمة

د. محمد السيد سليم

لا توجد رؤية واحدة لمفهوم العولمة سواء على مستوى الأدبيات العالمية، أو أدبيات الدول الإسلامية، أو حتى المفكرين في الدول الإسلامية. فالعالم الإسلامي هو جزء من المنظومة الفكرية العالمية تنتشر فيه مختلف الرؤى والمفاهيم المطروحة حول العولمة.

ويمكننا استخلاص ثلاث رؤى رئيسية للعولمة نستعرضها بإيجاز، مع محاولة تلمس أبعاد رؤى إسلامية للعولمة بداخل كل منها:

* رؤية "الليبرالية الجديدة" للعولمة: الرؤية الاندماجية

* نقد العولمة: مفهوم "الاستعمار الجديد"

*الرؤية "التفاعلية" للعولمة

رؤية "الليبرالية الجديدة" للعولمة: الرؤية الاندماجية

تتمثل الرؤية الأولى للعولمة فيما تطرحه المدرسة "الليبرالية الجديدة" من أفكار بخصوص التحولات في النسق العالمي بعد نهاية الحرب الباردة.

وجوهر هذه الرؤية هو الاعتقاد الصارم بأن العولمة ظاهرة إيجابية ينبغي على الجميع التكامل معها واللحاق بها لأنها عملية "حتمية" لا فكاك منها، مما جعل بعض الدارسين يطلق على تلك الرؤية "الهوس بالعولمة"، وطبقا لهذه الرؤية، فإن العولمة تعني ظهور اقتصاد عالمي مفتوح ومتكامل، ونشأة نسق عالمي جديد يتخطى نسق الدولة القومية ويفوض السلطة إلى الشركات متعددة الجنسية وغيرها من المؤسسات عابرة القوميات.

كذلك تفترض تلك الرؤية أن المتغيرات الاقتصادية في ظل العولمة قد أصبح لها الأولوية على المتغيرات السياسية والثقافية، كما أن المتغيرات الاقتصادية قد أنشأت

شبكة من المصالح الاقتصادية العالمية المتكاملة جعلت بدورها من المتغيرات الأخرى أقل شأنا من ذي قبل.

من ناحية أخرى فإن هذه الرؤية والتي يعد الباحث الأمريكي "توماس فريدمان" من أبرز المدافعين عنها، تؤكد أن العولمة هي "نظام دولي جديد يعتمد على التكامل بين رأس المال والتكنولوجيا والمعلومات التي تتخطى الحدود القومية للدول بطريقة نشأ عنها سوق عالمية واحدة. ومن ثم فإن العولمة ظاهرة اقتصادية – تكنولوجية بالأساس.

وفي هذه الظاهرة التي تجسد طبيعة النظام الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، فإن قوة الدول لا تقاس بمتوسط الدخل الفردي، وإنما بعدد خطوط شبكة الإنترنت التي تستخدم في الدولة، وكيفية استخدام وفهم وتوجيه تلك المعلومات. كذلك فإن العولمة ظاهرة إيجابية تؤدي إلى ارتقاء الدول التي ترتبط بها، وانحطاط الدول التي قد تحاول الانفصال عنها.

وعلى أي حال فإن العولمة أمر واقع وحتمي فسواء أعجبتنا العولمة أم لم تعجبنا، فهذا لن يغير من الأمر شيئا، فأنا لم أبدأ العولمة، ولا أستطيع في الوقت ذاته إيقافها. فالعولمة صارت حتمية ينبغي على الجميع الارتباط بها، وإلا حكم على المعارضين بالفناء.

وأخيرا فإن العولمة ظاهرة تلقائية نشأت نتيجة الثورة الصناعية الثالثة وما أثمرته من تقدم تكنولوجي، وهي ليست بالضرورة ظاهرة مقصودة تدفعها قوى دولية معينة. كذلك فإن الحل أمام دول الجنوب، ومنها الدول الإسلامية، هو الاندماج الكامل مع قوى العولمة. وكلما زادت سرعة هذا الاندماج زادت المكاسب المحتملة أمام تلك الدول، وإلا فإن قوى العولمة ستسحق دول الجنوب.

وفي هذا الإطار فإنه لا ينبغي التردد طويلاً أمام الشروط التي تفرضها القوى الدافعة للعولمة.

ويمكن القول إن تركيا تعتبر من أبرز المدافعين عن تلك الرؤية للعولمة من بين الدول الإسلامية. وفي هذا الإطار يأتي سعيها الحثيث للانضمام إلى الاتحاد

الأوروبي وقبول شروطه الاقتصادية والسياسية والثقافية لدخول الاتحاد، بل والتعاون معه عسكرياً كما حدث في المرحلة الأخيرة.

ويمكن القول إن هذه الرؤية هي التي تسود خطاب كثير من القيادات الرسمية في العالم الإسلامي عند تحليلهم للعولمة. وتجد هذه الرؤية تعبيراً عنها في فكر الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف.

نقد العولمة: مفهوم "الاستعمار الجديد"

ينتمي إلى هذه الرؤية عدد من المدارس الفكرية والتيارات السياسية الشعبية غير المتجانسة والتي تستمد أصولها من فلسفات متباينة، ولكنها تشترك في قاسم مشترك أعظم وهو انتقاد العولمة والتركيز على آثارها السلبية، وإن كان هذا التركيز يتم بدرجات متفاوتة.

ومن تلك المدارس الفكرية مدرسة "الواقعية الجديدة"، ومدرسة "نظرية التبعية"، والمدرسة الماركسية التقليدية بالإضافة إلى التيارات الشعبية الداعية إلى الحفاظ على البيئة، وانتقاد إهمال العولمة للبعد الاجتماعي لعملياتها الاقتصادية، وهي التيارات التي تندرج تحت مصطلح "شعب سياتل" إشارة إلى القوى الاجتماعية التي تظاهرت في مدينة سياتل بالولايات المتحدة احتجاجا على مؤتمر منظمة التجارة العالمية المنعقد في تلك المدينة نوفمبر عام 1999، ومن المعروف أن تلك المنظمة هي أبرز المحركات الاقتصادية لعملية العولمة.

ويرى أنصار الواقعية الجديدة أنه لا جديد تحت الشمس في ظل العولمة.

فالنظام الدولي للعولمة لم يغير من واقع أن الدولة القومية ما زالت هي الفاعل الرئيس في الساحة الدولية، كما أن عدم التكافؤ الدولي في ظل العولمة لم يقل، إنما ازداد.

كذلك يرى أنصار مدرسة مقاومة "التبعية" أن العولمة عملية تشير إلى سعي القوى الرأسمالية إلى الهيمنة على أسواق الجنوب وإلحاق اقتصادات الجنوب باقتصادات قوى العولمة، وأن الحل لا يكون بالاندماج مع العولمة، وإنما بمحاولة الفكاك منها واللجوء إلى الاعتماد على الذات سواء على مستوى الدولة أو مستوى التعاون بين دول الجنوب.

ويعد محاضير محمد –رئيس وزراء ماليزيا– من أبرز المعبرين عن تلك الرؤية للعولمة.

فالعولمة في تقديره واجهة لإعادة استعمار الدول النامية. ففي خطابه أمام مؤتمر قمة الدول النامية الخمس عشرة المنعقد في جامايكا فبراير 1999 أشار إلى أن الدول الرأسمالية تسعى في إطار العولمة إلى إنشاء نظام سياسي واقتصادي واحد هو الرأسمالية مهما كانت النتائج. كما أنه في ظل تيار العولمة فإن الحديث عن الاقتصاد العالمي المتكامل والقرية العالمية، وعصر المعلوماتية وسهولة الانتقال يجب ألا يخفي أن الشركاء لن يكونوا متساويين. ففي ظل إزالة الحدود وأمام حركة رؤوس الأموال لتنتقل دون قيود فإن فقراء العالم الثالث وتجارتهم ليس مسموحا لهم بعبور الحدود إلى الدول الغنية، وستظل الحدود مغلقة كما هي. وفي ظل العولمة يستمر سباق التسلح، والضغط على الدول الفقيرة لشراء المزيد من الأسلحة لكي تعوض الدول المتقدمة ما أنفقته على البحث والتطوير العسكري. وفي ظل العولمة هناك ضغوط إعلامية لرفض أي نقد للعولمة.

لهذا فقد طالب بمحاولة الفكاك من قبضة القوى الدافعة للعولمة من خلال التعاون بين الدول الآسيوية وإنشاء صندوق النقد الآسيوي، ومن خلال اتباع إستراتيجية انتقائية عبر عنها بقوله: "قد تسقط الحدود مع المضي قدماً في العولمة لكن يمكننا أن نكون انتقائيين فيما يتعلق بشروط التجارة، والتوقيتات والنطاق. وليس هناك حاجة حقيقية لأن تسقط جميع الحدود أمام كل شيء وكل الناس في وقت محدد".

وتسود هذه الرؤية في كتابات المفكرين الإسلاميين مثل محمد عمارة وجمال البنا، حيث العولمة هي الوجه الآخر للهيمنة الغربية.

الرؤية "التفاعلية" للعولمة

تتحصل هذه الرؤية في أن العولمة هي أمر واقع ينبغي "التعامل" معه، وليس قبوله بكافة عناصره. ويقصد بالتعامل في هذا السياق الدخول في حوار حقيقي مع قوى العولمة بهدف الإقلال من الخسائر وتعظيم المكاسب. تفترض تلك الرؤية أن رفض العولمة، أو الدخول في "مواجهة" مع القوى الدافعة لها إنما ينطوي على مخاطر جسيمة.

بعبارة أخرى تركز تلك الرؤية على أهمية التعامل المتوازن مع القضايا التي تطرحها العولمة من خلال إستراتيجية تقوم على التعامل التدريجي، والربط من مختلف القضايا المطروحة.

فهذه الرؤية تنزع إلى فهم العولمة على أنها ظاهرة مركبة تتضمن أبعادا إيجابية يجب الاستفادة منها وأخرى سلبية ينبغي تفاديها. ففي مقابل الفرص الإيجابية التي أتاحتها العولمة، ومنها التطور الهائل في التكنولوجيا، وخاصة تكنولوجيا المعلومات، وزيادة تدفقات رؤوس الأموال، وانفتاح الأسواق، فإن هناك جوانب سلبية لهذه الفرص تبعث على الكثير من القلق المتمثل في استمرار مشاكل الفقر والجهل والديون وانتشار الأوبئة التي تهدد أمما بأكملها وتفشي ظاهرة تهميش المجتمعات النامية وحرمانها من جني ثمار العولمة مع ما يقترن بذلك من اتساع الفجوة التي تفصلها عن الفئات الأوفر حظاً.

وهاتان الصورتان وجهان متلازمان للعولمة ينبغي التعامل معهما. فمن الممكن خلال الحوار الإيجابي مع الدول الصناعية المتقدمة والمؤسسات المالية الدولية التغلب على الآثار السلبية وتحقيق تكامل اقتصاديات الدول النامية مع الاقتصاد العالمي.

وفيما يتعلق بالقضايا الناجمة عن العولمة والتي يتعين على الدول النامية أن تتعامل معها، فإن هذه الرؤية تركز على صياغة أجندة جديدة للنظام الدولي من خلال الحوار الإيجابي المتوازن مع الدول المتقدمة والمؤسسات المالية الدولية والأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة على أن يكون على قمة تلك الأجندة معالجة مشكلة الفقر، وحرية التجارة بشكل متكافئ بحيث تفتح الأسواق بشكل متبادل، مع وضع نظام تجاري عالمي منصف والتطبيق الكامل لاتفاقيات جولة أورجواي، وجذب رؤوس الأموال العالمية والاستثمارات إلى الدول النامية من خلال التعاون مع المؤسسات المالية الدولية، وتطوير آليات لتمكين الدول النامية من مواجهة الأزمات المالية الدولية.

ومن ثم فإن القضايا الجوهرية المرتبطة بالعولمة في الرؤية المصرية على سبيل المثال هي بالأساس قضايا اقتصادية. وتجد هذه الرؤية تعبيرا لها في الخطاب السياسي الرسمي المصري حول العولمة.

وتتضح هذه الرؤية كذلك، وإن كان بشكل أكثر ميلاً إلى انتقاد العولمة، في الرؤى الإيرانية التي ترى أن العولمة أنتجت آثارا سلبية على إيران ليس فقط في المجال الاقتصادي، وإنما في المجالين الأمني والثقافي كذلك. فالعولمة كما يقول المفكر الإيراني سجاد بور: "خلقت تهديدات جديدة ليس فقط بالنسبة لإيران ولكن لكل دول المنطقة ولكل دول العالم أيضا". فالعولمة الاقتصادية وسيطرة أدوات الاتصال والتقدم المذهل في وسائل نقل المعلومات، كل هذا يمكن أن يخلق شروخا عميقة في محيط الأمن الخارجي لإيران، كما أن العولمة "خلقت قواعد جديدة للأمن الخارجي وهذا يعد سببا لنشوء تهديدات جديدة كاملة لإيران". ويضيف "أن العولمة الثقافية لو اعتبرت محاولة لتوحيد الثقافات فإنها تعد بذلك تهديدا مباشرا للهوية الإسلامية الإيرانية".

ولكن سجاد بور يرى أن للعولمة نتائج إيجابية بالنسبة لإيران تتمثل في إمكانية دخول إيران كفاعل جديد في مجال تكنولوجيا المعلومات، كما أنها خلقت فرصا ملائمة للتعاون الإقليمي الاقتصادي، وأدت إلى انتشار الدبلوماسية متعددة الأطراف مما جعل لإيران وأعضاء المجتمع الدولي دورا مؤثرا في تشكيل القواعد الدولية الجديدة من خلال المؤتمرات الدولية المتعددة، مما خلق بدوره فرصاً جديدة لإيران.

ولدينا وثيقة إيرانية تعبر عن تلك الرؤية للعولمة وهى خطاب كمال خرازي وزير خارجية إيران في المؤتمر السابع والعشرين لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في كوالالمبور في يونيو سنة 2000. في هذا الخطاب أشار خرازي إلى أن العولمة أتت بتطوير في وسائل الاتصال؛ وإزالة الموانع التجارية، والتنمية الاقتصادية السريعة، وكلها تطورات إيجابية، لكنه أشار إلى أن "العولمة غير مقبولة" لأنها "تقدم مكاسبها وفوائدها بشكل غير عادل وغير منصف". إن ذلك محاولة لتبديل وجه السيطرة والاستيلاء والعنصرية ومحو الثقافات المختلفة لصالح ثقافة واحدة مسيطرة مهما كان اسمها.

وقد عبر خرازي عن تلك الرؤية في خطاب أمام مؤتمر قمة مجموعة الدول الثماني المنعقد في القاهرة في فبراير سنة 2001 فأشار إلى أن "العولمة لديها إمكانات كبيرة للإسهام الإيجابي للتنمية المستديمة والشاملة للبلدان النامية" لكن عندما تطبق على نحو أحادي فإن بوسعها أن تؤدي إلى مزيد من التهميش للبلدان النامية وتفاقم الفقر

والجوع في الجنوب، وتوسيع الفجوة بين الغني والفقير، وأيضاً قد تزيد معاناة الكثير من مناطق هذا الكوكب ومواردها القليلة ونصيبها في التجارة العالمية.

من ناحية أخرى فالعولمة لا بد أن تثير قضايا اقتصادية مثل إصلاح النظام الاقتصادي الدولي بما يضمن مشاركة الدول النامية في اتخاذ القرار وتفادي الأزمات المالية والمشاركة الفعالة للدول النامية في المنتديات ومراكز تخطيط الاقتصاد العالمي بهذه المشاركة في البناء التجاري والمالي الدولي، وقضايا ثقافية مثل الحوار الحضاري العالمي لرفض الهيمنة الثقافية وبناء مجتمع مدني عالمي وهو ما عبر عنه خرازي في خطابه في كوالالمبور في يونيو سنة 2000 ثم في القاهرة في فبراير سنة 2001.

من الواضح إذن أنه لا توجد رؤية واحدة تسود دول الجنوب ولا الدول الإسلامية للعولمة، بل إن هذا التباين يمتد ليشمل مختلف الجماعات الثقافية ومؤسسات المجتمعين المدني وغير المدني.ويعكس ذلك اختلاف في ملامح التطور السياسي والاقتصادي للدول الإسلامية، ودرجات ارتباطها بالقوى الرأسمالية العالمية، والمشروعات الداخلية والإقليمية للنخبة السياسية الحاكمة، ومدى شعور تلك النخب والجماعات بالآثار المتباينة للعولمة.وهو ما يجعل من مهمة صياغة إستراتيجية إسلامية للتعامل مع العولمة مهمة معقدة.

المصدر : http://www.aldaawah.com

================

#حتى الجامعات غمرتها العولمة !

في كتابه Grammars of Creation ت يقول (جورج ستاينر) ناقد الثقافة المقارنة، الذي يدرس حاليا في اكسفورد، تخيل أن نعشا أنزل لتوه إلى اللحد، ثم سمع صوت رنين الهاتف الجوال الخاص بالميت منبعثا من داخل القبر المحكم المغلق..إنه بحق أصدق تعبير عن عصرنا المحموم المكتظ، فالهواء من حولنا يبدو مشبعا بصرير يكاد يسمع، تحدثه موجة عارمة من الثرثرة التي تدور حول الأرض بسرعة خارقة.وكلما قل ما نريد أن نقوله، كلما ارتفعت الذرى التي تصلها تلك الموجة.

فالخصوصية، والعزلة، والحنين للماضي، والذكريات، والماضي، والتاريخ، كلها غارقة في هذه الموجة. ويشهد على ذلك التضخم في برامج الحوار الحي في الإذاعة والتليفزيون عبر القنوات الفضائية، وهذا الكم الهائل من رسائل الجوال التي تصلنا، والتحول إلى النصوص الأقرب إلى لغة الكلام في غرف الدردشة بالإنترنت، وكذلك الرسائل الإلكترونية التي تنهال علينا من أجهزة الحاسب الآلي، والصفير المستمر لماكينات الفاكس، ولعلنا نذكر زمنا كان يقال لنا فيه (اسكت فالجدران لها آذان)! لقد مورس فن الصمت في بعض البلدان وفي بلدان الكتلة الشرقية سابقا، والذي كان يهدف إلى الهروب من أذن المراقبين أو تنصت أجهزة الأمن.

إن موجة الثرثرة التي تغمر العالم اليوم ليست، فيما يعتقد إلا الوجه المقابل لفشل اللغة، والتشكك في قدرتها على التعبير، والتي كانت واضحة بالفعل في الأدب العربي القديم.

إن هاجس كون اللغة لم تعد قادرة على الاستجابة لبدايات القرن الحالي، أو التلاؤم مع التجربة الإنسانية، وأن فسادها من خلال الخذلان السياسي، وغوغائية الاستهلاك الضخم، كما يقول أستاذ الأدب الألماني، وولفجانج فروهوالد سوف يحولها إلى أداة للانغماس في البوهيمية.

وبنفس القدر الذي أصبح عليه تاريخ العلم ذاته تاريخ انسحاب اللغة، وتاريخ التشكك في اللغة وفي التجربة اللغوية، والذي وضح فيه الابتعاد المخيف لمجالات أكثر اجتماعية، واقتصادية، وسياسية وثقافية، وعلمية عن (لفظية) الثقافة (والذي يرمز له الآن بالتحول الرمزي في ثقافتنا) تتغير الجامعة أيضا.

فالجامعة، قبل كل شيء، معرضة لمتطلبات السوق غير المنطقية، والأيديولوجية تأخذ شكل نظرية اقتصاديات الأعمال التي تحولت إلى أيديولوجية.

فلقد دخلت أيديولوجية القيمة مقابل المال الجامعات على مستوى العالم كوباء سرطاني. وقد أعلنت جريدة الجارديان الأسبوعية عن طرح كتاب (رون بارنيت) في الأسواق. هذا الكتاب يقيم الدليل على كيف أن أيديولوجية المبيعات قد اكتسبت لنفسها قدما راسخة في الجامعات البريطانية. وتثبت كيف أن بعض الأفكار، مثل المقاولات، والجودة، والتنافس، والإدارة، قد غيرت عادات وتقاليد الجامعات. ويعتقد

(بارنيت) أن هذه القيم الجديدة تتحدى الهوية التاريخية، والقيم التقليدية للجامعة، إن الجامعة، على مستوى العالم لا تمر بمجرد أزمة، ولكنها في قلب عملية تحول تتزايد بسرعة رهيبة، وهي عملية قد غيرت الهوية التي تطورت عبر 1700 سنة، وتتحرك في اتجاه تجارة وبيع العقليات، وإلى معنى من معاني الانتماء إلى تعليم وتدريب السوق، هذا السوق حول العلاقة بين الأستاذ والطالب إلى علاقة مندوب المبيعات والزبون (بما في ذلك كل حقوق الثقة في المنتج، وتعدد قنوات تقديم الشكاوى)، إنه أمر يهدد المهمة الثقافية لمؤسسة الجامعة.

إن المبدأ الأساسي للجامعة بأشكالها المختلفة باختلاف البلدان، نشأت كلها من فكرة أساسية في العصور الوسطى.

فالجامعة تقوم على العلاقة بين الأستاذ والطالب، والتي تتم عن طريق اللغة، ويقول (وولفجانج فروهوالد):

إن الجامعة الحديثة تقوم على العديد من الأسس:

(1) مفهوم العلم غير الكامل والذي لن يكتمل أبدا

(2) العلاقة بين الأستاذ والطالب، التي تنشأ من العلاقة الندية بين الباحث القديم والباحث الجديد عن العلم

(3) المتابعة التي يمارسها الطالب على الأستاذ (من خلال اهتمامه بموضوعات الدراسة)، وتلك التي يمارسها الأستاذ على الطالب. فلو لم يجتمع الطلبة حول المدرس بمحض إرادتهم، قد يذهب المدرس إليهم للمساعدة في الوصول إلى أهدافه، بربط تجربته الخاصة بهم، بل قد تنتقل المعلومات في اتجاه واحد من الأقوى إلى الأضعف، ولكن بشكل أقل حيوية فكريا، وبعقلية أكثر انطلاقا وجرأة من جانب الطلاب، لتصل إلى كل الاتجاهات كما يشير لذلك (فون هامبولدت).

لا يجب أن ينظر إلى الجامعة على أنها مركز استهلاك، أو مركز تسوق، أو مكان تباع فيه المعرفة المغلفة تغليفا يجعلها سهلة التناول، والاستهلاك، والفحص، ولكن يجب أن ينظر إليها على أنها مؤسسة توفر مساحة للعقل حتى يعمل في حرية، ومكان يجتمع فيه المتمكن مع قليل الخبرة، والمتمرس مع المبتدئ، والمسن مع الشاب من الباحثين ليتناقشوا حول الأفكار، والمنهج، والحلول.

فقد حققت الجامعة الأمريكية هذا النموذج من أنقى صوره، وهو ما كفل لها الريادة بين جامعات العالم حتى يومنا هذا، لذلك فللجامعات مهمة ثقافية تفوق في أهميتها مهمتها التعليمية. فهي تتضمن النظرة الكلية للتجربة والموضوعية، أي المهام المساوية لذلك في الأهمية، والمتمثلة في اكتساب المعرفة، والوصول لحلول وتوجيهات فوق المحيط الهائل من الجهل، والذي يبدو في موضوع البحث في كل العصور، مجرد جزيرة، وليس كفارة، وبهذا المعنى فالجامعات جزء من (الثقافة الأخلاقية) لأي أمة، فهي المؤسسات العالمية المحلية.

يجب على الجامعة أن تلعب دورا يختلف تماما عن مجرد كونها مكان إنتاج لسلع خاصة. حتى وإن كان ذلك بسبب تجدد العلوم التي انزلقت إلى النزعة التجريبية والصمت، فقد أصبح لزاما على الجامعة أن تستغل إمكاناتها النظرية، التي لم تستغل بعد إلى حد كبير، خارج نطاق ألعاب اللغة، وتافه الفكر، لتبحث عن سبل وجسور عبر جبال البيانات، حتى تستطيع أن تقدم نظرية للعالم الذي أصبح غير شفاف، والذي لا نستطيع معه الآن أن ننظر إليه ككيان واحد.

المصدر : http://www.aldaawah.com

==============

#الثقافة الإسلامية في عصر العولمة (1- 2)

سهيلة زين العابدين حمَّاد

إنَّ الموضوع الذي نحن بصدده جد خطير وهام؛ إذ لابد من هذه الوقفة مع واقع الثقافة في عالمنا الإسلامي الذي يواجه الآن كل تحديات أنواع العولمة (الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأدبية، واللغوية، والفكرية، والثقافية).

ومما لاشك فيه أنَّ هذه المجالات جميعها تكون عقيدة وفكر وثقافة الأمة التي من خلالها يتحدد سلوك أفرادها، وقرارات قاداتها.

وقراءة منا لواقع الثقافة في عالمنا الإسلامي، وحال مثقفيها نجد أنَّنا -للأسف الشديد- مهيئين تماماً لقبول العولمة، بل والذوبان في الآخر، وهذه ليست نظرة تشاؤمية، ولكن حاضرنا الثقافي هو الذي يشهد بهذا، فنحن منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الراهن كنا فريسة لمخططات الغرب التي أوصلتنا إلى هذه المرحلة، ولابد لنا أن

نكون صريحين وواقعين حتى لانخدع أنفسنا ونوهمها بحسن نية الآخر تجاهنا، وحتى لا نعطي للآخر حجماً أكبر من حجمه، أو نستهين بما يخططه ضدنا للتظاهر بأننا لسنا من ذوي نظرية التآمر التي نجح الغرب في أن يجعل عددًا كبيرًا من مثقفينا يعتنقها ليخطط ويحقق أهدافه دون أن توجه إليه أصابع الاتهام، ولنتقبل ما يخطط لنا دون إدراك أبعاد وخطورة هذه المخططات كما هو حاصل الآن، علينا أن نقرأ التاريخ، ونتعرف على حقيقة علاقة الشرق بالغرب، وأبعاد هذه العلاقة وأهدافها، ونتوقف عند علاقة الغرب بالإسلام وموقفه منه، ومخططاته لمواجهته، ونظرته للمسلمين عامة وللعرب بصورة خاصة، وما يفعله الآن معنا.

إنَّ ما يحدث ليس وليد التسعينيات من القرن العشرين ولكنه حصيلة قرون عديدة تصل إلى ما قبل عصور التاريخ، ومما ينبغي علينا أن نحذر من الغرب؛ لأنه يريد طمس هويتنا ومسخ شخصيتنا واقتلاعنا من جذورنا وإحلال ثقافته ودينه وعقيدته وأمراضه وانحلاله محل ديننا وثقافتنا وقيمنا وأخلاقياتنا، مع فرض هيمنته السياسية والاقتصادية والعسكرية علينا، وحرماننا من حق المعارضة وإبداء الرأي، والدفاع عن حقوقنا الشرعية. وجعلوا منا من أصبح يناهض كل ما هو إسلامي، ويطالب بإلغاء ثوابت الإسلام، وإسقاط الإسلام من دساتير الدول الإسلامية، وقصره على العبادات، ومنا من فقدوا ثقتهم في العقلية الإسلامية، وشككوا في قدرات المسلمين، ونسبة إنجازات المسلمين للغرب، ووصفوا الإسلاميين بسرقة أفكار الغربيين ونسبتها إليهم، بل نجد اللغة الإنجليزية قد أصبحت هي الأساسية في الدراسات الجامعية في جامعاتنا، ليس في العلوم التجريبية فقط، بل أصبحت لغة دراسة الاقتصاد والإدارة أيضاً.

كما نجد الغرب قد نجح في نسبة الإرهاب إلى الإسلام بشرائه لمجموعة من الأفاكين مستغلين حبهم للمال وحاجتهم إليه للقيام بأعمال إرهابية، ونسبتها إلى جماعات إسلامية، هم في الغالب وراء إيجادها وتكوينها، حتى أصبحت الحكومات الإسلامية تخشى من كل ما هو إسلامي.

أليس هذا هو واقعنا الآن؟

قد يقول قائل: الخطأ خطؤنا ونحن أوصلنا أنفسنا إلى ما نحن عليه الآن، وأنا أتفق مع هذا القائل، ولكن لكي نكون واقعيين لابد لنا أن نضع أيدينا على الأسباب التي أوصلتنا إلى الحال هذه، ومن وراءها؛ علَّنا نستطيع تلافيها. وهنا يتطلب منا أن نطرح هذه الأسئلة:

متى تعَّرف الغرب إلى الشرق؟ وماذا كانت طبيعة هذه العلاقة؟ وما أهدافها وغاياتها؟ وكيف كانت نظرة الغرب إلى الشرق؟ وما هو تأثيرها على الثقافة العربية والإسلامية؟

وسأبدأ بالإجابة عن السؤال الأول:

متى تعرَّف الغرب إلى الشرق:

لقد تعرَّف الغرب إلى الشرق عبر قرون طويلة، وعن طريق عدد كبير من الكتَّاب والرَّحالة والجغرافيين والمؤرخين، وقد اختلفت وسائل اتصال أوربا بالشرق باختلاف أهدافها وبواعثها من وراء هذا الاتصال، وقد بدأت بعلاقات تجارية ترجع إلى أيام الكنعانيين، ثمَّ تلتها علاقات حرب واحتلال في زمن الإسكندر الأكبر في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد الذي وقف علماؤه لدراسة الشرق ليتمكن من غزوه. وهذه تعد البداية الحقيقية للاستشراق.

صورة الإسلام في أوربا من خلال الكنسية وكتابات المستشرقين:

وعندما ظهر الإسلام كثّفت الكنيسة جهودها لمهاجمة الإسلام والنبي محمَّد – صلى الله عليه وسلم –، ولقد ظهرت آراء ومواقف فظة ومشوبة بالعصبية في العقيدة الإسلامية، وقد أوضح المستشرق البريطاني ريتشارد سوذرن في كتابه "صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى"، وكذلك نظيره نورمان دانيال في كتابه "العرب وأوربا في العصور الوسطى" تلك المواقف الفظة المشوبة بالعصبية ضد الإسلام ونبيه –محمّد – صلى الله عليه وسلم –، وإلحاق فعال وصفات به هو منزه عنها، ولا تمت إلى الحقيقة والواقع بصلة، فقط ليشوهوا صورته وليصرفوا الناس عن الإيمان برسالته وبنبوته، وليفرغوا حقدهم عليه، والمجال لا يتسع لذكر ما نسبوه إليه باطلاً، ولكن يبين لنا هذا أنهم في تعاملهم معنا يخرجون عن جميع مبادئ وأسس الحوار العلمي الموضوعي المنطقي الذي يتظاهر به الغرب في نقاشه وحواره معنا.

قد يقول قائل إن طريقتهم اختلفت مع مشارف القرن العشرين، ولا سيما في العقود الأخيرة منه، وأقول هنا من خلال دراستي للاستشراق، ولبعض المدارس الاستشراقية -وأهمها المدرسة البريطانية والفرنسية والألمانية، وغيرها- وموقفها من السيرة النبوية؛ وجدتها لم تخرج عن الإطار الذي رسمه المستشرقون الأوائل الذين كان معظمهم من رجال الكنيسة، وعند دراستي لمصادرهم وجدت أن كتابات أولئك المستشرقين هي مصادرهم الأساسية، أمَّا المصادر الإسلامية فما هي إلاَّ مجرد إطار لوضع الصورة التي رسمها المستشرقون الأوائل مع تخفيف حدة الهجوم المباشر بتغليفه بغلاف يوحي بالمنهجية العلمية والموضوعية، ولكن عندما تتفحص في المحصلة والنتيجة تجد أنها لا تخرج عن الصورة التي رسمها أولئك المتعصبون الحاقدون على الإسلام ونبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم، وتؤكد ما أقوله أهداف الدراسات الاستشراقية ونتائجها.

أهداف الاستشراق ونتائجه:

نتيجة لكشف بعض الباحثين العرب- في مقدمتهم الدكتور إدوارد سعيد، والأستاذ عبد النبي أصطيف، والدكتور أنور عبد الملك- أمام الرأي العام العالمي أهداف ومناهج المستشرقين مبينين مثالبه وعيوبه فلقد تخلى المستشرقون رسمياً عن مصطلح "مستشرق" في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس صيف عام 1973م، وقال المستشرق الصهيوني البريطاني الأمريكي برنارد لويس: "فلنلق بمصطلح مستشرق في مزبلة التَّاريخ"، لكنهم لم يتخلوا عن مناهجهم، وقد أعلنوا هذا في ذات المؤتمر، واتخذوا من مراكز المعلومات مصطلحاً جديداً للاستشراق الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية لتمارس من خلاله على الشرق ولاسيما الشرق الإسلامي ودول العالم الثالث نوعاً جديداً من الاستعمار، وهو أخطر أنواع الاستعمار ولم يسبق للبشرية أن رأت مثيلاً له، وهذا الاستعمار هو "العولمة".

هذا و للاستشراق أهداف دينية وتنصيرية، وأهداف سياسية، وأهداف استعمارية عسكرية، وأهداف علمية، والحديث عن هذه الأهداف طويلة جدًا، لذا سأوجز الحديث عنها.

1424/9/3

2003/10/28

المصدر : http://www.islamtoday.net

==============

#الثقافة الإسلامية في عصر العولمة (2 - 2)

سهيلة زين العابدين حمَّاد

توقفتُ في الحلقة الأولى من هذه المقالة عند أهداف الاستشراق التي سوف أوجزها في الآتي:

أولاً: الأهداف الدينية والتنصيرية:

1- لقد أسهمت الدراسات الاستشراقية في إيجاد الأرضية في كثير من بلاد المسلمين للدعوة التنصيرية، وقد كتب بعض المستشرقين ونظَّروا لكيفية التَّنصير مع المسلمين، مثل ما قام به المستشرق المُنصِّر القس صموئيل زويمر في معهده الذي أنشأه باسمه من قبل المؤتمر التَّنفيذي ليكون مركزاً للأبحاث مهمته إعداد الأبحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين لتعزيز قضية تنصير المسلمين، وكذلك المستشرق البريطاني وليم موير، ويشهد على ذلك كتابه " شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية " فهو كتاب تنصيري في المقام الأول. ومسلسل التنصير لم ينته بعد فلقد أعلن البابا في المجمع المسكوني الثاني الذي عقد عام 1965م خطته لتنصير العالم واقتلاع الإسلام مع قدوم الألفية الثالثة بحيث يتم استقبالها بلا إسلام، ولعل حملات التنصير المكثفة التي شهدتها إندونيسيا تعطينا مؤشراً لذلك، بل الأخطر من هذا وجود بعض المدارس التنصيرية في بعض دول الخليج العربي، ولعل كتاب " الغزو التبشيري النصراني في الكويت" لأحمد النجدي الدوسري يكشف أبعاد هذا المخطط، أيضاً النشاط التنصيري المكثف في الجنوب السوداني لإيجاد دولة مسيحية سودانية تمهيداً لاقتلاع الإسلام من السودان، وقد شرعوا بالفعل لتنفيذ هذا المخطط، كما نجحوا في تفتيت وحدة إندونيسيا، وقسَّموا تيمور إلى شرقية وغربية، بينما نجدهم وحَّدوا برلين الشرقية والغربية.

إنَّ مخطط تجزئة الدول الإسلامية وشطرها إلى شطرين: مسيحي وإسلامي، أو تقسيمها على أساس مذهبي أو عرقي كما هو مخطط للعراق، وغيرها من دول

المنطقة، كل هذا يؤكد أنَّ هدف الغرب القضاء على الإسلام، وأن أساس الصراع بيننا وبين الغرب هو الدين الإسلامي في المقام الأول ويظهر هذا بوضوح في الحروب الصليبية، إذ خشي الغرب من المد الإسلامي، وعندما فشلت هذه الحملات، ولم تحقق أهدافها نشأ الاستشراق الذي ركَّز هجومه على القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، وكذلك دراسة الأدب العربي، والعمل على إحياء الفرق المنحرفة في تاريخ المسلمين كالباطنية، وقضوا السنوات في إخراج كتب ليؤثروا في المفاهيم الأساسية للإسلام، وذلك بثنائهم على البهائية والقاديانية، وقد أوجد الاستعمار البريطاني القاديانية، إذ أشاد بها لأنها كما زعم- جاءت بآراء حرة مستقلة ووصفها بالعقلانية، والاستنارة والتجديد ليخدع بها بعض المسلمين، وليشوه تعاليم الإسلام، وللأسف هناك أقلية من المسلمين تأثرت بفكر هذه الفرق المنحرفة واعتنقت عقائدها.

كما أسهم المستشرقون بقدر كبير في إحياء القوميات في العالم العربي خاصة في النصف الأول من القرن العشرين، فقد نبَّش المستشرقون في الحضارات الجاهلية القديمة؛ لإحياء معارفها من ذلك: بعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا، والآشورية في العراق، والفارسية في إيران، والطورانية في تركيا، أمَّا الجزيرة العربية فلقد بحثوا في آثار السَّابقين، وأسموا دراستهم " التاريخ الحضاري للعرب قبل الإسلام "، وتعمدوا بذلك إظهار الحضارات القديمة ليطفئوا نور الإسلام، وأنَّ الإسلام ليس وحده هو الذي قدَّم الحضارة الإنسانية، وترتب على مثل هذه الدراسات الآتي:

ا- تحسين سمعة الجاهلية القديمة، وتمجيد رجالها.

ب- بث النعرات الانفصالية في الأمة الإسلامية.

ج-محاولة قطع صلة الأمة الإسلامية بماضيها الحقيقي الذي بدء بظهور الإسلام.

د- تهيئة بعض المسلمين لتقبل قيام حضارة لهم غير مهتدية بهدي الإسلام، كما نشأت في تلك الحضارات القديمة.

- كما سعى المستشرقون في نشر بعض الأيدلوجيات الأجنبية في الأراضي الإسلامية كالشيوعية، فلقد أشاد المستشرق " بندلي جوزي" بالقرامطة، وأدعى أنَّهم والإسماعيلية الشيوعيين الأولون في الإسلام، وذلك في كتابه "من تاريخ الحركات

الفكرية في الإسلام "، كما زعم المستشرق الفرنسي "جاك أوستري" أنَّ هناك بعض الشَّبه بين الإسلام والشيوعية من حيث عالميتها وتساميها على القوميات والعنصريات، وقد شبَّه كذلك نظام الدَّولة في الإسلام بنظام الدَّولة في النِّظام الشيوعي، وقد تأثر بهذه الكتابات بعض الكتاب المسلمين، وعملوا على نشرها مثل الكاتب الكبير "توفيق الحكيم" في سلسلة مقالاته التي نشرت في الأهرام "دفتر الجيب"، وذلك في الفترة من 21إبريل حتى 15سبتمبرعام 1981م، وقد قرَّر في هذه المقالات أنَّ الشيوعية تسير على مبدأ الإسلام في قوله – تعالى –(وفي أموالهم حق معلوم* للسائل والمحروم)، وأراد أن يثبت أنَّ المادة قد طغت على الإسلام عند تطبيقه لنظمه؛ ليجعل الإسلام لا يختلف عن الشيوعية من ناحية طغيان المادة، واتخذ من الإسلام وسيلة للدعوة لتطبيق الاشتراكية، والأخذ بالشيوعية، بل قال في كتابه شجرة الحكم السياسي صفحة 507: " أنَّ الرسول محمَّد – صلى الله عليه وسلم – كان يسارياً هو وسائر الأنبياء "، ونسمع الآن عن الإسلام اليساري الذي يتزعم دعوته الأستاذ حسن حنفي.

– كما شجَّع الاستشراق على نشر الليبرالية الغربية وتبعيتها في بلاد المسلمين، وقد حاول بعض المستشرقين أن يخدعوا بعض المسلمين، بأنهم إذا أرادوا التقدم واللحاق بركب الأمم الصناعية ما عليهم إلاَّ أن يتبنوا المنهج الأوربي الذي قام وفُرِض بعد نقض كتب العهد القديم والعهد الجديد "، وهي أقدس كتب لديهم وهم بهذا يريدون من المسلمين التجرؤ على كتاب الله ونقده، وللأسف فقد تأثر بعض الأساتذة المسلمين بهذه الدعوة في مقدمتهم الأستاذ الدكتور طه حسين، إذ دعا طلبته في كلية الآداب إلى نقد القرآن الكريم بوصفه كتاباً أدبياً، وأثار الشبهات حول كلمة كتاب وقرآن، وقال إنَّ الكتاب غير القرآن، وأنَّه كان موجوداً قبل نزول القرآن، وإنَّ القرآن صورة عربية منه، وأنَّه أخذ صوراً من الكتب التي قبله، ويقول: "إنَّ هناك قرآناً مكياً له أسلوب، وقرآنا مدنياً له أسلوب آخر، وإنَّ القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطق، أمَّا القسم المدني فيمتاز بمناقشة الخصوم بالحجة الهادئة، وهذا القول هو ما يردده المستشرقون، وفي مقدمتهم المستشرق اليهودي البريطاني دافيد صموئيل مرجليوث في كتابه "مقدمة الشعر الجاهلي" الذي ترجمه الدكتور طه حسين

ونسبه إلى نفسه، مسمياً كتابه " الشعر الجاهلي"، والذي قال فيه بخلق القرآن، ثمَّ تراجع عن ذلك عندما وجد اعتراضاً على ذلك.

- قيام بعض المستشرقين برصد الحركات الإسلامية المعاصرة، ودراسة أحوالها وأوضاعها ليمكنوا صناع القرار في البلاد الغربية من مكافحتها، وبذل كافة الوسائل لإطفاء نورها، وهناك عدد من المستشرقين مثل: "هاملتون جيب"، و"ميشيل ريتشارد"، و"ألفريد سميث" وغيرهم كتبوا عدة دراسات عن هذه الحركات، ومن أحدث الدراسات عن هذه الحركات أعدها المستشرق الأمريكي جون سبوزيتو عن ظاهرة الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهي على صلة وثيقة بالبيت الأبيض الأمريكي.

إنَّ رجال الحكم الغربيين والإعلاميين حريصون على معرفة الحركات وزعمائها، وفي شهر مايو سنة 1992م صرَّح نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية بولاية ماريلاند "بأنهم في هذا القرن أي القرن العشرين قد أخيفوا بثلاث تيارات: الشيوعية، والنَّازية، والأصولية الإسلامية، وقد سقطت الشيوعية والنَّازية ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية"، فمن أخطر دراسات المستشرقين عن الإسلام وأهله الدراسات التي تحذر الغرب من قدرات الإسلام الكامنة، وتنبيه الغربيين إلى ثروات المسلمين الهائلة ليخطط الغرب مواصلة سيطرته على بلاد المسلمين، ومن أخطر الدراسات الاستشراقية تلك التي أعدها المستشرق الألماني "باول شمتز" باسم "الإسلام قوة الغد العالمية".

إنَّ مقولة نائب الرئيس الأمريكي عن الإسلام في التسعينيات من القرن العشرين تعيد إلى أذهاننا مقولة رئيس الوزراء البريطاني "جلاد ستون" في أواخر القرن التاسع عشر، أي قبل حوالي قرن من الزمان؛ إذ أعلن رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم البريطاني وقد أمسك بيمينه كتاب الله - عز وجل -، وصاح في أعضاء البرلمان وقال: "إنَّ العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر، أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلاً، بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق وقال: هذه الكعبة ".

أليس هذا أكبر دليل على أنَّ الغرب لم ولن يغير موقفه من الإسلام والمسلمين؟

إنَّ دور المستشرقين لم يتوقف عند هذا الحد، إذ نجدهم مهدوا وساعدوا على الاستعمار منذ عصر الإسكندر الأكبر، ونابليون بونابرت، حتى أواخر القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، سواء كانوا رحالة أو قناصل أو جواسيس، أو منصِّرين.

ثانياً: الأهداف السياسية والاستعمارية والعسكرية:

ممَّا ينبغي التوقف عنده والتأكيد عليه أنَّ نشاط المستشرقين والخبراء الأمريكيين بشؤون الشرق الأوسط يشكل جزءًا رئيساً من نظام التخطيط للعمل الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة العربية، وهذا ينبهنا إلى حقيقة هامة، وهي أنَّ الاستشراق يقوم في عصرنا الراهن على مخطط تحدده المصالح الأمريكية والصهيونية في الشرق الأوسط، كما لعب الاستشراق الأوربي من قبل، والاستعمار الإنجليزي بدور في خدمة الأهداف الصهيونية بإنشاء صندوق اكتشاف فلسطين، وإعلاء شأن اليهود مع التقليل من شأن العرب المسلمين، والذي سهَّل للصهيونية تحقيق أهدافها من خلال الاستشراق وجود أكثر من أربعين يهودي في المدارس الاستشراقية الأوربية والأمريكية، ومن أكبر مستشرقيها مثل: جولد تسهير، وشاخت، وكارل بروكلمان، ولويس ماسينون، ومكسيم ردونسون، ومرجليوث، وبرنارد لويس.

ولا ننسى أنَّ بعض المستشرقين أوجدوا النظرية العرقية ليبرروا الاستعمار، ووصفوا العقلية العربية بأنَّها عقلية ذرية غير قادرة على التجميع والقيادة، وممن قالوا بهذا القول المستشرق البريطاني هاملتون جيب، وملف الاستشراق حافل بهذه المواقف التي تدين الحركة الاستشراقية، والتي بسببها أصبح مصطلح الاستشراق مشبوهاً، وأعلن المستشرقون تخلصهم منه ورميه في مزبلة التاريخ، واستبداله بمراكز المعلومات التي تقوم بنفس دور الاستشراق القديم، ولكن في ثوب جديد.

ثانياً: الأهداف العلمية والتمهيد للعولمة الثقافية:

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه أن الاستشراق قام بدور كبير في التمهيد للعولمة الثقافية باحتواء كثير من المسلمين ثقافياً عن طريق خدمة المستشرقين للتراث وتحقيقه ونشره وفهرسته، وما إلى ذلك حيث أصبح كل باحث مسلم لا يستغني عن بعض جهودهم في أبحاثه ومكتباته، فيعتمد عليها أو يتناولها بالدراسة، وتأثر بها شعر أو لم يشعر، ويرجع هذا إلى نجاح الاستشراق في السيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي،

وعلى الرغم من أن بعض الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد إلاَّ أنها في النهاية، وبكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثَّقافي، وقد نجم عن هذا الاحتواء الآتي:

أ–شعور كثير من المسلمين بضعفهم، ونقص إمكاناتهم، وتأخرهم عن غيرهم في العصر الحديث، ونسبة كل الإيجابيات إلى الغرب.

ب–تبعية كثير من الكتَّاب والباحثين فكرياً لهم، ودفاعهم عن مبادئهم ومناهجهم.

ج– وضع أسس لمنهج البحث والتفكير المادي، فكتبوا وبحثوا ونقدوا في ضوء هذا المنهج، كما نجدهم قد طبَّقوا المناهج الفكرية المادية على كثير من علومنا الإسلامية سواءً في التفسير المادي للتاريخ، أو في كتاباتهم عن القرآن الكريم والرسول – صلى الله عليه وسلم – فدَّعموا شهادتهم في هذه الجوانب الفكرية باسم المنهج العلمي، ممَّا أدى إلى رواجها واستسلام كثير من الكتاب لها ودفاع بعض المسلمين عنها.

د– لقد رسَّخ المستشرقون مبدأ العلمانية وصدَّروه إلى عالمنا الإسلامي سواء في الجانب الفكري والسياسي، فأصبح من المسلمين من تبنوا مبدأ العلمانية، بل نجد هناك بعض الدول الإسلامية قد تبنت العلمانية، وأعلنت أنَّها دولة علمانية، أو هناك من المسلمين من ينادي بعلمانية السياسة، ونحن لو رجعنا إلى أصل نشأة هذه الدعوة نجد أنَّ المستشرقين ممن روَّجوا لها ودعوا إليها، ولا ننسى أثر ميكافلي في ترسيخ العلمانية السِّياسية، وتجريد السياسة من معاني الدِّين والأخلاق وتبرير الوسائل باسم الغايات.

هـ–دعوة المستشرقين إلى الحرية الفكرية المزعومة التي دعوا إليها، ولم يلتزموا بها في بحوثهم وكتاباتهم؛ إذ نجدهم صوروا المفكرين الإسلاميين مجرد نقلة للتراث اليوناني الفلسفي بناءً على نظرتهم العنصرية المقسمة للشعوب إلى: ساميين، وآريين. فالساميون ومنهم العرب لا قدرة لهم على التفكير الفلسفي، وتناول الأمور المجردة بخلاف الشعوب الآرية، كما صرَّح بذلك رينان في كتابه " تاريخ اللغات السامية "، وكذلك "جوتيه" في كتابه " المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ".

و–كان الاستشراق وراء طرح ونشر مصطلحات متعددة في الجانبين الأدبي والنقدي مثل "الحداثة" و " البنيوية" و "الأبستولوجيا المعرفية" و "والوجودية" و "النثرية" في

مجالات الأدب، ولقد كشفت الباحثة البريطانية فرانسيس ستونور سوندرز في كتابها "بعنوان "التكاليف؟ -الصادر في يوليو عام 1999م- قيام الحكومة الأمريكية عبر وكالة المخابرات المركزية لإيجاد مدارس وتيارات ثقافية كاملة ومنها تيار الحداثة، ودعم مجلة الحوار العربية وغيرها، فتجرأ بعض الأدباء والشعراء على الذات الإلهية، فأدونيس كتب قصائد بعنوان " الإله الأعمى، و " الإله الميت "، ويقول في هذه القصيدة: " وبدلت إله الحجر الأعمى وإله الأيام السبعة بإله ميت "

(1)، وأعلن كرهه لله، بل ادعى الألوهية في قصيدة " الخيانة "

وأنا ذاك الإله

الإله الذي سيبارك أرض الجريمة

وصلاح عبد الصبور قال في شعره " الشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم "

(2)، وقال في قصيدة " الإله الصغير":

ورقصنا وإلهي للضحى خداً...لخد

ثمَّ نمنا وإلهي بين أمواج وورد

ويقول ذات الشاعر في قصيدة " الناس في بلادي ":

كم أنت قاس موحش يا أيها الإله

(3)وأمل دنقل مجَّد الشيطان فقال في قصيدة له:

المجد للشيطان ......معبود الرياح

من قال " لا " في وجه من قالوا " نعم "

من علّم الإنسان تمزيق العدم

من قال " لا " فلم يمت

وظلَّ روحاً أبدية الألم.

والأمثلة كثيرة لا حصر لها، ولكن ما ذكرته يبين لنا سمة الشعر الحداثي، ومقومات الحداثة القائمة على فصل العقيدة عن الفكر والأدب آخذة بمذهب " الفن للفن، متبنية مذاهب فكرية لا تمت للدين الإسلامي بصلة، بل تدعو إلى الإلحاد وإلغاء العقل، وإحياء فكر الفرق الباطنية من دعاة الحلولية والتناسخ، كما أوجد المستشرقون في الساحة مصطلح "الأصولية " و " السلفية " لتغييب اسم الإسلام.

ز –لم يقتصر المستشرقون في بحوثهم على علم واحد، وإنَّما تناولوا مختلف العلوم، وللأسف لم يلتزموا بالحيدة والموضوعية في أغلب بحوثهم، إذ نجدهم سلكوا سبل التحريف والتشويه في دراساتهم عن القرآن الكريم والطعن في مصدره، وكذلك الطعن والتشكيك في السنة المطهرة وصحتها، وامتد التشويه إلى نبي الإسلام محمَّد – صلى الله عليه وسلم –، وحسبنا قول المستشرق البريطاني وليم موير: "إنَّ سيف محمَّد والقرآن هي أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية الحقيقية ".

ح –تأليف الكتب والمراجع والموسوعات العلمية في موضوعات مختلفة عن الإسلام ونظمه مع التحريف الخفي، والتزييف المتعمد في الوقائع التاريخية، وفي نقل النصوص من القرآن والسنة، وبيان سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وإصدار النشرات الدورية والمجلات العلمية الخاصة ببحوثهم عن الإسلام والمسلمين، وإلقاء المحاضرات والخطب في الجمعيات العلمية، وفي كل مكان، ونشر مقالات وبحوث في الصحف والمجلات الواسعة الانتشار ، وخاصة في أوساط المثقفين، وترجمة كتبهم ومراجعهم وموسوعاتهم إلى اللغة العربية، ويكفي أن نعرف أنَّ هناك وأقسام عديدة مستقلة للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية في الغرب كله، وأنَّ في القارة الأمريكية وحدها حوالي تسعة آلاف مركز للبحوث والدراسات الشرقية عامة، ومنها حوالي خمسين مركزاً خاصاً بالعالم الإسلامي، وأنَّه منذ مئة وخمسين عاماً، وحتى الآن يصدر في أوربا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، فقد صدر ستون ألف كتاب بين سنة 1800–1950م. أي عبر قرن ونصف، ويصدر المستشرقون الآن ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات في تراث الإسلام، وأنَّ المستشرقين عقدوا خلال قرن واحد ثلاثين مؤتمراً مثل: مؤتمر "أكسفورد" الذي ضمّ تسعمائة عالم.

وما هذا إلاَّ خطة لتهيئة الرأي العام لقبول الغزو العسكري والاقتصادي والثقافي الغربي لبلاد الإسلام من جهة، ولدراسة أحوال العالم الإسلامي، وكل ما يتعلق بشؤونه ليساعدهم ذلك على السيطرة وبسط النفوذ من جهة أخرى.

كل هذا كان إعداداً وتمهيداً لتقبلنا لما هو آت، وهو " العولمة "، بل لخضوعنا لما تفرضه علينا العولمة، وعدم إعطائنا فرصة للقبول أو الرفض، فنحن ما بين عشية

وضحاها وجدنا أنفسنا أمام العولمة الدينية –من خلال فرض الحوار الإسلامي المسيحي– والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية في آن واحد، ووجدنا أنفسنا قد فقدنا القدرة حتى على شجب ما تتعرض له الأمة الإسلامية من عدوان ومحاولات إبادة، بعدما فقدنا القدرة عن المشاركة في القتال للدفاع عن ما يتعرض له المسلمون من غزو، فلقد شوهوا مفهوم الجهاد في الإسلام، فصوروا الجهاد في سبيل الله ومقاومة الاحتلال والعدوان إرهاباً، وقتلوا روح الجهاد في نفوس المسلمين بعد اتفاقية كامب ديفيد، وخداعنا بأسطورة السلام مع الذين لا يعرفون السلام، ولا يحترمون العهود والمواثيق، ولا يلتزمون بها.

أخطار العولمة السياسية

والطَّامة الكبرى أن "العولمة" السياسية سوف تلغي دور الدولة والحكومة، وأنَّ النظام الاقتصادي العالمي الجديد المفروض علينا سوف يجعل البلاد النامية التي نصنف نحن ضمنها مراكز للتلوث الصناعي، إذ يخطط الكبار نقل مصانعهم إلى بلادنا لحماية بيئاتهم من التلوث الصناعي، مع استغلال العمالة في هذه البلاد لرخصها، ولكن دون أن تنقل لنا تقنية الصناعة أو جعلها في أيدينا، وهذا ما تدرسه الآن بريطانيا لطلبتها وتعِدُّهم لتنفيذه، كما أنَّ النظام المالي الجديد سيتيح المجال أمام المضاربين لضرب اقتصادنا كما حصل في إندونيسيا وماليزيا، كما أنَّ النظام الاقتصادي الجديد سوف يفتح باب الاستثمار على مصراعيه، وهذا يعني أن الصهاينة سيدخلون أسواقنا ويتحكمون في اقتصادنا كما دخلوا بيوتنا من خلال التمويل الأجنبي للجمعيات النسائية الأهلية، والاتفاقيات الدولية –كاتفاقية إزالة أشكال التمييز ضد المرأة التي وقع عليها عدد من الدول الإسلامية–، ومؤتمرات المرأة العالمية، وأصبحوا يفرضوا علينا الخروج عن ثوابت الإسلام مع توعدهم لعلماء الدين إن اعترضوا على ما يفرض علينا من توصيات مؤتمرات المرأة العالمية بسن قوانين دولية تطبق على الجميع، وخاصة القوانين التي تسمح بالانفلات الجنسي تحت مسمى " الصحة الجسدية " أو " الصحة الجنسية"، والتي تتضمن إقرار الإجهاض كوسيلة من وسائل منع الحمل إلى جانب الحرية الجنسية الانفلاتية.

———————————————

1- ديوان أدونيس: المجلد الأول، ص346.

2- ديوان صلاح عبد الصبور: قصيدة الحزين، ص 38.

3- قصيدة كلمات سبارتكوس لأمل دنقل.

1424/9/10

2003/11/04

المصدر: http://www.islamtoday.net

==========

#العولمة الاقتصادية

إن الظاهرة المعروفة بعولمة الاقتصاد، التي كان هناك ميلٌ لتجاهلها في أثناء سنوات النمو المرتفع وخلال النصف الثاني في الثمانينيات أصبحت الآن تحتل عناوين الصفحات الأولى.

بَيْد أن ذلك ليس تطوراً حديثاً، وإنما استجابة لضرورات الحجم والتنافسية قامت شركات من بلدان كثيرة منذ فترة طويلة بترسيخ نفسها في مناطق العالم ذات النمو الاقتصادي القوي.

وقد ساعدت العولمة الاقتصادية استراتيجيات دول تلك المناطق على النمو الاقتصادي وفتح أسواق جديدة ورفع قيود سعر الصرف وتحرير حركة رؤوس الأموال.

ما أدى إلى زيادة التجارة في السلع المصنّعة على حساب المنتجات الأولية الزراعية والتعدينية ومنتجات الطاقة، وارتفعت نسبة هذه السلع من التجارة الكلية من 50% في السبعينيات إلى 70% في التسعينيات.

إن الاستثمارات في ظل العولمة الاقتصادية كما تشير كثير من الدراسات والأبحاث والتقارير يمكن أن توسع التجارة والأسواق مما يشجِّع التنمية الاقتصادية المستدامة داخل الوطن، وهذه التنمية يمكن أن تسهم في تحسين الظروف المعيشية في البلدان النامية ودعم برامج التنمية البشرية.

ثم إن هناك الكثير ممّن يعملون في صناعة أو أخرى وفي ظل الاستثمارات المفتوحة، سيكون بمقدور كثير منهم العمل في مجال السفريات والسمسرة والعقارات

وما إلى ذلك ومع نجاح تلك الاستثمارات وستكون هناك زيادة متوقعة في حجم العمالة الماهرة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الصورة ليست ناصعة على الإطلاق، إذ قد تحدث بعض العقبات أو الآثار غير المحمودة في مجالات معينة، وربما تعيق عمل صناعة معينة أو تجارة معينة.

إن كل التغييرات في حاجة إلى وقت، والتغييرات الكبرى تتطلب وقتاً طويلاً.

فخلال انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتوظيف في >هافانا< العام 1948م، اجتمعت الدول الكبرى الشريكة في التجارة العالمية واتفقت على صياغة ميثاق منظمة التجارة الدولية (WTO) ومنظمة التجارة الدولية أنشئت للإشراف على تطبيق اتفاقية (الجات) ووضع أسس التعاون بين (الجات) والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي وتنسيق السياسات التجارية في الدول الأعضاء.

وقد ذكر بعض الاقتصاديين أنه قد يترتب على إنشاء منظمة التجارة العالمية آثار كثيرة وبخاصة في مجالي الاستثمارات والصناعات الوطنية، مثل:

1 . الانفتاح على العالم الخارجي دون حماية جمركية للصناعات الوطنية.

2 . تحرير التجارة من كل قيود تعوقها، وإتاحة المنافسة التامة التي تهدف إلى تحسين الأداء، وجودة الإنتاج.

3 . اشتداد حدة المنافسة بين الصناعات الوطنية والصناعات الأجنبية.

4 . حصول المستهلك على أقصى درجات الإشباع لحاجاته ورغباته بأقل تكلفة ممكنة، على حساب الولاء الوطني.

المصدر : http://alwaei.com

=============

#هذه صورة للعولمة

د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني

الحمد لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذه صورة التقطها تصوري من مقروءاته ومسموعاته ومرئياته أعرضها للناظرين:

يراد للعولمة أن تكون ملّة عامة تجتمع عليها جميع شعوب الأرض، تعطيها ولاءها الملِّي العام، تجتمع عليه وتتعايش به.

وهذه مع كونها رغبة تبدو مغرقة في الخيال لاستحالة نزع ولاء مختلف الناس لمعتقداتهم، وجمعهم على ولاء لملّة واحدة، إذ قال خالقهم: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" [هود: 118]. إلا أن ذلك استُدْرك بإظهار أخذ الملل المتباينة التي تعتنقها الشعوب بعين الاعتبار، ولكن مع إحالتها إلى ثقافات تظهر خصوصياتها من غير أن تمنع اندراجها في تعايش منضبط بضوابط العولمة، ويتأطر بأطرها ويستبقي الولاء العام لها.

واستُدْرك أيضًا بحركة عملٍ مغرقة في الجديّة والإتقان، تقوم على دراسات تفصيلية تجمع دقائق المعلومات وتستقرئ دلالالتها، وتستجلي أغوارها وتستظهر معالمها وتحلل أبعادها، وتؤلف بين متوافقها وتميز بين متباينها وتستنبط طرق التعامل معها وتستنبئ مختلف المتوقعات، ثم تضع الخطط المتعددة المناسبة لكل حالٍ متوقعةٍ، ثم تتتبع النتائج بدراسات تقريرية توضع عليها خطط عمل تتلافى الأخطاء، وتستدرك الإخفاقات وتستديم النجاحات.

وقد أنشئت لحركة العمل هذه مؤسسات، واستُغلت مؤسسات.

فمما أُنشئ: المؤسسات التبشيرية التي من أهم أعمالها المسح وجمع المعلومات وإعداد البيانات للعمل بعيد المدى، وإشاعة معتقدات التبشير للعمل قريب المدى.

والمؤسسات الإعلامية التي من أهم أعمالها تلقين المبادئ، وإشاعة الأفكار وتهيئة الساحة.

ومما استُغل: هيئة الأمم المتحدة؛ فاستخدمت مؤسساتها في عقد التعهدات والمواثيق وجمع التواقيع عليها ومتابعة الالتزام بها، وفي إقامة المؤتمرات للتمهيد لإقرار التحولات الثقافية والتشريعية.

والمراكز الاستخباراتية؛ فاستخدمت في عمليات المسح، وجمع التقارير وإجراء الدراسات واقتراح الخطط.

وفي الطريق إلى العولمة اتخذت وسائل وركزت دعائم.

أما الوسائل: فاستهدفت أمرين:

الأول: إنشاء روح قبول العولمة والإقبال عليها، وذلك بإشاعة قدر من العلاقات العامة، يجمع مختلف أهل الملل على روح إخاء ومودة متحررة من ضوابط مللهم.
واتُّخذت (الرياضة) وسيلة فاعلة لتحقيق هذا الهدف.
فالرياضة – بدوراتها المختلفة وأولمبياتها المتنقلة بين دول العالم، وما يرافقها من زخم إعلامي فاعل – أحدثت تعايشًا بين شعوب العالم متحررًا من التباين الملي والثقافي، بإشاعة الروح والأخلاق الرياضية التي تنتمي في ولائها لقوانين الفيفا تجتمع عليها وتصدر عنها.
فالمسلم والكافر المسيحي والكافر البوذي وغيرهم يجتمعون في حميمية رياضية، يتنافسون مجتهدين للوصول إلى الكؤوس وتحصيل الميداليات، لا تلحظ فرقًا يميِّز أحدهم عن الآخر أو خصوصية يبرزونها إلا ألوان الأعلام على أجسادهم، ولا شريعة يدينون لها إلا أحكام الفيفا.
وأحكام الفيفا هي الملة الرياضية التي تأخذ بتلابيب الحركة الرياضية في العالم، حتى إنه لا عبرة لأي حركة رياضية في أي مدينة في أي دولة من العالم ما لم تكن مسجلة في كشوفات الفيفا وتحمل تصريحها.
وفي الرياضة يتبلور نموذج حي للعولمة في هيئتها النهائية.
الثاني: نزع روح رفض العولمة والإعراض عنها، وذلك بالتركيز على الفرد، وربطه بشهواته، وتدريبه على التمرد على الروابط الثقافية التي ينتمي إليها وتربطه بأهل ملته خاصة، وإغرائه بروابط تدفعه إلى الانتماء إلى كل ما يشبع شهواته من أي ملَّة كان.
واتُّخذت (الإباحية) وسيلةً فاعلة لتحقيق هذا الهدف.
فأغرق العالم بإعلام إباحي ينشر ثقافة الحرية العاطفية والجنسية المتحررة من قيود الدين والتقليد والعادة إلا قيدًا واحدًا هو قيد التراضي بين طرفي العملية العاطفية والجنسية؛ فلا يُقبل التحرش والاغتصاب، وهو القيد الذي تحل طاقاته الإثارات الصارخة التي تجري مجرى الدم في الطرفين، التي يروجها الإعلام ويلقن الطرفين معها ثقافة الحرية الفردية في ملة العولمة، ويرفد ذلك توفير وسائل ممارسة تلك القاذورات:

- من وسائل اتصال عديدة كالمحادثات في الإنترنت.
- وأماكن ممارسة الرذائل، كالخمارات ودور الدعارة والملاهي الليلية.
- وسن القوانين التي تحتضن هذه الممارسات، وتحرسها بسلطة من سلطان العولمة، كقانون الإجهاض.

وأما الدعائم فاستهدفت أمورًا:

الأول: ربط العالم أجمع بمختلف ملله بمصالح مشتركة لا تقوم حياة الشعوب إلا بها، وتديرها جهة واحدة يبتدئ منها وينتهي إليها سائر شأن هذه المصالح.

واتُّخذ (الاقتصاد) دعامةً ليس ثمة أثبت منها لتحقيق هذا الهدف، إذ هو عصب الحياة.

وهاهي دول العالم تلهث لهاثًا شاقًا للانضمام إلى (منظمة التجارة العالمية) التي تجمع أعضاءها على الولاء لملةٍ اقتصادية عولمية تلغي كثيرًا من خصائص الملل التي ينتمون إليها، وتلحق ما تتبناه بهوية العولمة، فلا تبقى له خصوصية يتميز بها. وإنما يدفع دول العالم إلى هذا اللهاث أن المنظمة العولمية هذه أمسكت بزمام الاقتصاد العالمي، حتى بدا أن مصالح الشعوب لا تتم إلا بالانضمام إليها، والولاء لملّتها، وإلا فليصارع الرافض الممتنع البقاء.

الثاني: نشر الحرية الفكرية والدينية في كل مجتمع، ومنع غلبة دين أو فكر في أي مجتمع، ورد الشرائع التي يجري عليها عمل كل مجتمع إلى مجموع ما فيه من ديانات وأفكار.

واتخذت (الديمقراطية) دعامة تُثبت هذا الهدف.

فالديمقراطية نظام ثقافي يقوم على تمكين كل أصحاب دين أو فكر من ممارسة شعائره ونشر تعاليمه والدعوة إلى مبادئه، وتكوين قاعدة شعبية له من أفراد المجتمع، وذلك في ظل حزب يشكله ويتخذ مقرًا له، وهيئة تتولى إدارته وتأسيس مطبوعات دورية ونشرات دعائية، والقيام بسائر النشاطات الثقافية التي يمارس من خلالها عرض ثقافته والدعوة إليها، وفي الديمقراطية مجلس تشريعي يسمى (البرلمان) إليه يرد سنُّ القوانين وتشريع الأحكام التي تكون شريعة المجتمع، تفرض على أفراده يلتزمونها ويتحاكمون إليها. وهذا البرلمان يتكون من مقاعد يشغلها المنتخبون من

مرشحي الأحزاب، تقسم بينهم بنسب تعادل النسب التي يشغلها كل حزب في المجتمع. يجتمع هؤلاء ويقترح من شاء ما شاء من قوانين للمجتمع، ويعرض اقتراحه بعد مداولات على التصويت، فإن فاز بأغلبية أصوات أعضاء البرلمان اعتمد قانونًا يخرج للمجتمع للعمل به والتحاكم إليه، يخرج تشريعًا يحمل هوية شعبية مشتركة، لا هوية أي دين أو فكر اقترحه أو أعطى صوتًا له.

وعليه فليس للمجتمع ملة إلا ملة العولمة في نظامها المسمى بالديمقراطية، وكل ملة تنتهي في هذا النظام عند اقتراح تشريعاتها في برلمانه، فإن فازت أو شيء منها بأغلبية الأصوات استحالت شريعة شعبية ديمقراطية.

وأي حزب أراد أن تغلب في المجتمع تشريعات ثقافته فعليه ممارسة أكبر جهد لتكوين أكبر قاعدة شعبية له، لعله يحظى بأكبر عدد من مقاعد البرلمان، فيستطيع تمرير مقترحاته بأغلبية الأصوات، ثم هي بعد هذا لن تنسب إليه ولن تحمل اسمه.

الثالث: تعميم نظام دولة في كل مجتمع يحكم شؤونها بتمكين ثقافة الديمقراطية وممارستها عمليًا ورعايتها وحراستها وحماية حماها، فلا تتمكن أي ملة أو فكر من الإفلات من سلطة هذا النظام وتولي زمام الأمور.

واتخذت (العلمانية) دعامة تثبت هذا الهدف.

والعلمانية هي السلطة التي أقصت سلطة الكنيسة في المجتمع الغربي، وعزلتْ الدين عن الدولة وقيدته بالفرد، جعلته حريته التي لا تتجاوزه إلى غيره، فهي في أصلها حركة تمرد على التدين بدينٍ؛ إذ هي (اللادينية)، وما دام الأمر على هذا فليس خير منها للعولمة في سياسة المجتمعات، وقمع تسلط الديانات فيها، وهي السلطة التي تمنح التصريح لإنشاء الأحزاب أو تمنعه، وهي التي تراقب وتشرف على حركة الأحزاب وممارساتها، وتنظم انتخابات المجلس التشريعي، وتنفذ القوانين التي يصدرها.

الرابع: تمكين تمييع الأديان وإزالة خصوصياتها بضم شعائرها بعضها إلى بعض لتكوين شعائر موحدة للعالم، والتقريب بين شرائعها للخلوص إلى شريعة موحدة للعالم.

واتخذت (وحدة الأديان) دعامة تثبت هذا الهدف.

والدعوة إلى وحدة الأديان والتقريب بينها دعوة غير خافية ولا مجهولة، فهي قائمة على قدم وساق منذ زمن ليس بالقريب، ولا تسل عن كثرة المؤتمرات والندوات الدورية في الشرق والغرب تتوالى فيها الدراسات للتقريب بين المسيحية والإسلام.

وفي الفاتيكان مركز لأرشفة الدراسات في التقريب، وتسهيل الاطلاع عليها واستفادة الباحثين منها.

ولا تسلْ عن شعار (الإبراهيمية) الذي استحدثه دعاة الوحدة، والصلاة الإبراهيمية التي رعتها الأمم المتحدة، وهي خليط من صلاة المسلمين والنصارى اليهود، ولا عن الدعوة إلى طبع القرآن مع الكتاب المقدس في مطبوعة واحدة مجتمعة بين دفتين، ولا عن إنشاء المبنى الواحد المشتمل على المسجد والكنيسة ودار الأوبرا، وشعار "الإبراهيمية" ناشئ عن دعوى أن الأديان السماوية الثلاثة تجتمع في الانتساب إلى إبراهيم – عليه السلام – فلا وجه للتفريق بينها.

هذا، وتقف هذه الصورة للعولمة بوسائلها ودعائمها أمام خلفية تطل من ورائها على النحو التالي:

أصل فكر هذه الملة (العولمة)، ومنشأ منهجها وُلد من رحم معاناة النصارى من سلطان الكنيسة، ولم تكن صورتها في البدء إلا تنحية الدين عن القيادة في المجتمع الغربي في فكر سمي بالعلمانية، ثم أثمرتْ الدراسات الاستشراقية العمل على تعميم هذا الفكر والمنهج في العالم الإسلامي، وتمكين ذلك بخدمته بالوسائل والدعائم المذكورة، وبإدراج بقية العالم فيه ليخلص الكون لهذا المنهج فلا يند منه شيء عنه.

والدراسات الاستشراقية إنما أنشئت لتخدم أمرين: أحدهما: حاجة الغرب وضرورته لثروات الشرق الإسلامي، ونزعة الغرب بتاريخ قيصريته وغاراته الصليبية للحصول على تلك الثروات بيد عليا عزيزة لا سفلى ذليلة، ولا يكون ذلك إلا بسيادة على تلك الثروات لا تكون بالاحتلال العسكري المباشر؛ لأنه يثير التمرد ويؤدي إلى الصراع، فتتكدر السيادة أو تزال، ولكن بسيادة مستقرة دائمة آمنة، ولا سيادة تحقق ذلك كالسيادة الفكرية الروحية التي تضمن تبعية عقول أصحاب الثروات وسلوكهم للغرب، والسيادة الاقتصادية التي تضمن تعلق أسباب حياتهم بالولاء للسياسات الغربية.

والأمر الثاني في مقاصد الدراسات الاستشراقية هو التوصل إلى وسائل المواجهة الفعّالة لخطر الإسلام على الغرب الصليبي الخطر الذي لا يعوق طموح السيادة الصليبية فحسب، بل ويؤذن بإزالة ثقافتها ووجودها.

وقد سبق في تجارب صراع الصليبية مع عدوها هذا ما أظهر –بجلاء لا ريب معه ولا شك وراءه – أن الجند والسلاح والاحتلال، وإن أزالت في حينٍ دولة الإسلام إلا أنها لم ولن تستأصل شأفته، فهو يبقى حيًا ظاهرًا يغالب ظروفه بقوةٍ ذاتيةٍ شامخةٍ لا يضره من خذله.

وقد تيقنت تلك الدراسات أن خطر الإسلام يكمن في ذاته عقيدة ومنهجًا، فهو حيث كان سليمًا من القوادح كانت قوته واستشرت خطورته، فالحرب معه ذاته، وكلما أمكن تحريفه بالشبهات والصد عنه بالشهوات كلما أمكنت السلامة من خطره، ثم إن من أسرار قوته عالميته، فهو يخاطب كل فرد في كل عصر على كل شبر، ويجد خطابه القبول التام الواثق المتيقن؛ لأنه حاجة كل فرد ومنهج كل عصر وعمارة كل شبر، فكلما أمكن تحييده وتمييعه ومنع تميزه عن أي منهج يضاده، وجعله فردًا في مجموعة له ما لها وعليه ما عليها كلما أمكنت السلامة من خطره.

وأثمرت تلك الدراسات أن معالجة خطر الإسلام إنما تكون بما عولج به سلطان الكنيسة، بالعلمانية اللا دينية، ولما كان الإسلام عالمي المنهج والخطاب جابهوه بعالمية الإقصاء والاحتواء حتى لا تبقى له كوة يطل منها، ولكن من غير إثارة تلفت النظر، ولا صراعٍ يذكي روح المقاومة والدفاع، بل بسحر بيان وكهانة شيطان، بمنهج يعد ويمنّي ويضل ويأتي من أمام ومن خلف وعن يمين وعن شمال حتى يغيّر أمر الله ويغوي عن طريقه المستقيم، فكانت (العولمة) بوسائلها ودعائمها ذلك السحر وتلك الكهانة.

وابحث عن الإسلام في ظل العولمة ستجده حرية فردية، فإن ترقّى فحزب في جملة أحزاب، فإن ترقّى فمقعد وصوت في برلمان، ثم ليس له وراء ذلك جنس وجود.

وإذا علمت أن الإسلام دين الله وقد تكفل بحفظه، فاعلم أن (العولمة) حرب مع الله.

وإذا كنت مؤمنًا، وتصوَّرت عاقبة تلك الحرب استبشرت ولا بد.

ولينظر العاقل إلى أي الحزبين يركن.

والحمد لله في الأولى والآخرة لا شريك له.

1425/12/2

2005/01/13

المصدر: http://www.islamtoday.net

===============

#دول أم كتل ؟

د. عبد الكريم بكار

نحن نعيش في عصر جديد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، ما في هذا شك ولا ريب. ونحن مطالبون باكتشاف ملامح هذا العصر، وما يفرضه من متطلبات وتداعيات. وحين نتمكن من ذلك فإن الخطوة التالية تتمثل في إعادة برمجة وهندسة أحلامنا ورغباتنا وطموحاتنا بما تسمح به الظروف الجديدة، وإلا فإن تحقيق ما نصبو إليه يصبح بعيد المنال، ويصبح العمل من أجله نوعاً من هدر الوقت والجهد.

تقوم العولمة بعملية خلع وتفكيك واسعة النطاق، إنها تخلع الفرد من أسرته، والأسرة من مجتمعها، والمجتمع من أمته. وخلال هذا الخلع يحدث نوع من التهميش لكثير من القوى الجامعة والضابطة والمسيطرة؛ وذلك من أجل تكوين كتل ضخمة تكون لها السيطرة والنفوذ على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية.

العولمة تهمِّش فعلاً مجالات الحركة أمام الدول والحكومات من أجل تسهيل حركة الشركات العملاقة ذات الجنسيات المتعددة أو العابرة للقارات. ولهذا فإن من الممكن القول إننا نشهد اليوم إعادة تركيب العالم على الصعيد السياسي بطرق غير مباشرة.

نحن نحلم منذ زمن بعيد بأن يكون للمسلمين في العالم دولة واحدة، تجعل منهم قوة ضاربة، وتحمي بلدانهم من التآكل الداخلي والغزو الخارجي. وهذا الحلم ينبغي أن يظل موجوداً، لكن تحقيقه اليوم أو في مدى الثلاثين سنة القادمة يبدو بعيداً للغاية..إننا نحب أن يكون لنا شيء هو أعظم بكثير من (الإمبراطورية) لكن في زمان يقاوم بناء الإمبراطوريات.وكلنا يشاهد الصعوبات التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية وهي تحاول توسيع نفوذها بما يشبه محاولة تشكيل إمبراطورية جديدة.ومن هنا فإن هناك من يقول: في المستقبل غير البعيد لن يكون هناك دول كبرى تفرض

هيمنتها وتبسط سلطانها؛ ولكن سيكون هناك كتل ومجموعات عملاقة تفرض شروطها على الدول العظمى. والسبب في هذا أن الأموال والأعمال التي كانت تتركز في الدول العظمى، وتكوِّن من ثَم عناصر القوة فيها، باتت تتحرك في الأرض، وبات المستفيدون منها ينتمون إلى دول شتى. ويقدم جنوب شرق آسيا مثالاً على ذلك؛ حيث إن كثيراً من الشركات العملاقة باتت تهيئ فرص عمل كثيرة جداً لأبناء تلك المنطقة، وترتقي بقدراتهم الفنية، كما أنها تنقل اليوم الكثير من الخبرات التقنية خارج حدود أوطانها، مما يحرم الدول المسيطرة في العالم الكثير من امتيازاتها، ولكن تأثير هذا لا يظهر إلا بعد مدة.

ليس للعولمة قيادة مركزية وإن كان هناك من يحاول إخضاعها لرغباته ومصالحه، ولكن كل المشاركين في العولمة يتحركون على قواعد السوق وفي إطار التوجهات الليبرالية والرأسمالية، ومن هنا فإن العولمة تصنع وسائل انتشارها، وتستخدم وسائل موجودة، لكنها لا تستطيع في معظم الأحيان منع الضعفاء والمهمشين من استخدام تلك الوسائل لأهداف مضادة لأهداف العولمة ومصالحها؛ وهذا هو شأن الأفكار وشأن الوسائل، إنه المطاوعة للاستخدامات المختلفة.

انطلاقاً من كل ما تقدم فإن لمّ شعث أمة الإسلام في هذه الحقبة من التاريخ ينبغي أن يقوم على تكوين كيانات ذات طبيعة اختصاصية وعلى كتل ممتدة، يسهم فيها على قدر الوسعة والطاقة كل من يستطيع المساهمة على مستوى الحكومات والهيئات والمؤسسات والأفراد. ويمكن أن ترتكز البدايات على مواقع الإنترنت. نحن لا نريد تشكيل قوة ضاربة، ولكن نريد أن نقوي جسم الأمة ومعالجة المشكلات التي يعاني منها الكثير من أبنائها؛ وحين تتاح الفرصة لاجتماع الأجزاء القوية، فإنه يكون لوحدة الأمة معنى ودلالة وآثار... أما اجتماع المرضى والضعفاء والمفلسين، فإنه لا يولد في العادة إلا المزيد من التوتر والمزيد من الشعور باليأس والإحباط.

وهذه بعض الأمثلة لما يمكن أن يتم:

1 – موقع عملاق علىِ الإنترنت ترعاه جهة أو هيئة يخصص لجمع معلومات عن العالم الإسلامي: سكانه واقتصاده وأحوال مجتمعاته والتقاليد والعادات السائدة في كل بلد؛ إلى جانب توفير معلومات عن التعليم في كل بلد وكذلك الصناعة والزراعة...

إن كثيراً من تباعد المسلمين عن بعضهم يعود إلى عدم توفر معلومات كافية عن العالم الإسلامي. والصعب دائماً هو البداية، وبعد ذلك تذلل العقبات، ويكثر العاملون والمتطوعون؛ ولا سيما أن لدينا أعداداً كبيرة من الشباب المتحمس والراغب في عمل شيء لكنه عملياً لا يقدم أي شيء.

2 – تكتل اقتصادي أو نادٍ لرجال الأعمال المسلمين يتبادلون فيه الخبرات، ويُجرون من خلاله الدراسات، ويعقدون الصفقات، وينشرون المعلومات عن الاستثمارات والفرص المتاحة في البلدان الإسلامية، ويقومون بإنجاز المشروعات الكبيرة التي تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة.

3 – إيجاد اتحاد عالمي يعمل على تحسين صورة الإسلام في العالم، ودفع الافتراءات الموجهة ضده.

4 – إقامة أكبر عدد ممكن من الروابط بين الشرائح الاجتماعية وبين المهن والقطاعات المختلفة، مثل اتحاد الشباب المسلم، واتحاد الأسرة المسلمة، واتحاد المعلمين المسلمين، ومثل ذلك للأطباء والمهندسين والمفكرين والناشرين وغيرهم.

لا شك أن الطريق إلى تحقيق هذا ليس معبّداً، لكنه ليس مغلقاً، وحين نفكر بواقعية، ونعقد العزم على أن لا نضيع الممكن في طلب المستحيل؛ فإننا سنندفع بكل قوة في هذا الاتجاه. المهم أن نبدأ.

ومن الله – تعالى – الحَوْل والطَّوْل.

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

===============

#نوادي نخب العولمة

يحيى اليحياوي *

-1-

لنخب العولمة نواديها ومحمياتها ومجالها الخاص بها يلتقي المنتمون إليها بجنباتها لمناقشة أمر أو تدبير شأن أو للتسامر العفوي دونما حرج أو تعكير صفو.

هم يتجاذبون إليها من كل ذي صوب وحدب، من عالم الأعمال والمال والاقتصاد، من عالم السياسة والاستراتيجيا والحرب، من عالم الإعلام والإعلان والإشهار كما

من عالم الكتابة والفكر والشعر لا فيصل بينهم في الوظيفة يذكر ما داموا مجتمعين على خلفية من وفاق تام حول النظرة إلى قضايا الكون في حاضره كما في المستقبل.

والمقصود بنخب العولمة هنا لا يحيل فقط على الشركات العالمية الكبرى ذوات السلطات الواسعة في تحديد حال اقتصاد العالم ومآله (تحتكم بعضها على أرقام معاملات يتجاوز النواتج القومية الخام للعديد من الدول) ولا على الدول الكبرى التي تقوم (وإن بطرق غير مباشرة على الشركات إياها) بل وأيضا وبالأساس على مجموعات الفكر والبحث والتنظير التي تقوم على إنتاج الرمز (نظريات وطروحات وتصورات) وتعمل على ترويجها لتغدو بسلطة العنف أو بوسائط السلطة الناعمة " عقيدة الكون " تمثلا وسلوكا ونظم حكم.

والمقصود بالنوادي إنما تلك " الفضاءات المغلقة " ذات الأبواب الموصدة التي يعمل خلفها باحثون وخبراء من جنسيات وأطياف علمية مختلفة يجتمعون بدورات (أو عندما يتطلب الأمر ذلك) لتوصيف مكامن الخلل بالكون وصياغة الوصفة التي من شأنها وفق تصورهم، علاج ذات المكامن أو التخفيف من أعبائها.

لا يقتصر الأمر هنا على مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية التي أقامتها هذه الشركة الكبرى أو تلك، هذه الدولة الكبرى أو تلك بغرض استقطاب "أوكار الفكر" من هذا المجال أو ذاك، بل ويتعداه إلى النوادي العالمية التي تستوظف الشبكات في تواصلها وتبادل الأفكار فيما بين منضويها أو تقيم لهم الملتقيات الدورية بغرض اللقاء المباشر وحسم ما قد يعلق من أمور ومن قضايا.

هي نواد غير رسمية لا يستطيع المرء تحديد سلطها بدقة ليس فقط كونها تتجاوز الدول القطرية والحدود الوطنية، ولكن أيضا لأنها تحيل على فضاء غير محدد المعالم حتى وإن تسنى للمرء تعيين بعض من عناصره وأعضائه:

* فأعضاؤها غير معروفين (حتى وإن عرف بعضهم). وهم لا يمثلون جماهيرا ولا هم منتدبون من لدن دولة قائمة السيادة ولا تم انتخابهم من لدن هذه الجهة أو تلك للتعبير عن صوتها أو التفكير في حل مشاكلها الآنية والمستقبلية.

*والمنخرطين فيها لا رقابة عليهم تذكر فيما يتراءى لهم مناطق ومجالات للبحث والتفكير إذ بإمكانهم الانتقال دونما حرج من الاقتصادي والسياسي إلى الاجتماعي والثقافي، ومن الذاتي الخاص إلى العام الشامل، ومن الاقتصاد السياسي للمناطق والجماعات الضيقة إلى اقتصاد العولمة بفروعه المختلفة وتشعباته.

*والمنضوون تحت لواء ذوات النوادي لا يعمدون إلى الشفافية والوضوح في إبلاغ آرائهم وتصريف مقترحاتهم (حتى وإن تجرأ بعضهم على نشر ما يعتقد)، بل تراهم يلجأون بغرض التأثير على الأقل، إلى استعمال قنوات غير رسمية، غامضة وملتوية يتعذر معها على المرء العادي معرفة قوتهم الحقيقية وعلى المختص تقييم درجة ذات القوة في صناعة القرار أو التأثير على الذين يحررون صيغته النهائية مضمونا وشكلا.

إنها بالتالي، وبمحصلة أولية على الأقل، نخب ونواد تجتمع وتشتغل خارج إطار السلط المؤسسة التي من المفروض أنها مفوضة للتقرير في حاضر الكون ومستقبله، وتجتمع وتشتغل دونما تفويض شعبي لديها وتجتمع وتشتغل دونما رقابة ديموقراطية مباشرة على أعمالها.

إنها صورة طبق الأصل لسياق وحركية العولمة التي لا قدرة للمرء في ظلها على الإبداء برأيه بشأن قراراتها أو صيرورتها في الزمن أو في المكان.

-2-

ليس بمقدور المرء (ولا بمستطاع غيره من مستويات) تحديد عدد هذه المنتديات ولا تعيين أماكن انعقادها ولا حصر حجم أعضائها أو المنتسبين إليها، إذ هي بردهات الدول الكبرى وضمن هياكل الشركات العابرة للقارات ومن بنيان الجامعات ومراكز البحوث والدراسات وما سوى ذلك.

لكنها، وإن توزعت نقط تواجدها وتفرعت ضروب اشتغالها، فإنها تلتقي انتظاما ودورية بمحافل سنوية كبرى لعل أكبرها وأكثرها موسطة إعلامية ملتقى دافوس السنوي.

والواقع أنه لأكثر من ثلاثين سنة مضت يستقطب منتجع دافوس السويسري أهم صناع السياسة والمال والأعمال والفكر من مختلف بقاع الكون في إطار الاجتماع السنوي لما أضحى "المنتدى الاقتصادي العالمي".

هم يعبرون عن " روح دافوس" حيث يتوحدن "الزمن العالمي" كل يناير من كل سنة ويتقلص المكان...حيث لا أثر لأماكن التسلية المتاحة في مؤتمرات أخرى اللهم إلا سبل التزلج المحصورة المدة والمجال.

لا تلتقي نخب منتدى دافوس للمتاجرة المباشرة (حتى وإن كانت إمكانات الحصول على عقود متوفرة) ولا تحتكم على جدول أعمال محدد لا مجال للالتئام إذا استنفذت بنوده وفض اللقاء، ولا تلتقي لغرض الحوار من أجل الحوار... لا نعتقد أنها تلتئم لهذه الأغراض (حتى وإن كانت غير مستبعدة)... إنها تستهدف غايتين اثنتين لا طبيعة براغماتية مباشرة بصلبهما:

* فهي تتغيأ "إثارة وعي" المسيرين السياسيين والاقتصاديين المجتمعين (سيما الأعضاء الجدد ضمنهم) إزاء الشروط العامة والآليات القمينة بتصريف فلسفة العولمة القائمة (أو المراد لها القيام) ونشر المبادئ النيوليبيرالية التي تبني لها في الشكل كما في الجوهر.

إنها تتغيأ نشر "القيم" الكبرى التي تبني لذات الفلسفة المنظومة والسياق وتحدد لها الأدوات والسبل.

*وهي تتطلع لنشر " تمثل للعالم" كما تؤمن به أو يبدو لها أنه "الأسمى" قياسا إلى تمثلات أخرى تخال لها أنها من مرتبة دنيا أو لا قيمة لها حتى.

إنه تمثل للعالم يدفع بأطروحة وجود "مصلحة عامة كونية" للكل واجب الدفاع عنها والدفع بها حتى في تباين بنيات الدول والحكومات واختلاف مستويات التنمية الاقتصادية التي بلغتها.

بالتالي، فنخب العولمة بالحالة الأولى كما بالثانية، إنما تعبر عن "أممية لرأس المال" من الواجب توسيع فضاء إشعاعها لتطال شتى بقاع الأرض.

هي كذلك دون شك، لكنها أيضا "أممية للفكر الواحد" لا يتراءى من بديل عنها إلا ضرورة السير في ركبها وتطويع البنى والمؤسسات، الأفراد والجماعات كي لا تبقى

عصية على صهر ما تنتجه ذات الأممية من أفكار وتصورات، من معتقدات وسلوكيات ... حتى الشاذ منها، الغير قابل للتطبيق بفضاءات أخرى لها ذاتيتها وخصوصياتها.

ولئن لم يكن يصدر عن منتدى دافوس قرارات ذات صبغة تنفيذية أو محمية بقوة قاهرة تستلزم تطبيقها، فإنها أفكار وتصورات غالبا ما تعمد المنظمات الدولية الكبرى إلى ترجمتها ببرامجها وسياساتها لتغدو تدريجيا ولكأنها تتوفر على منطوق الإكراه البدني بالنسبة لدول العالم وحكوماته وشعوبه.

-3-

لا يستطيع أحد أن يتجنب الاعتقاد بأن المنتديات العالمية الكبرى (وفي مقدمتها منتدى دافوس السنوي) إنما هي وبكل المقاييس "سلط خفية" وإلى حد بعيد موازية لسلطات الدول والحكومات.

إنها سلط "ناعمة" تدفع بمنطق أولوية الفكر ومركزية النقاش والحوار، لكنها لا تفتأ تضحو سلطة خشنة عندما تتحول ذات الأفكار ومواضيع ذات النقاش والحوار إلى سياسات اقتصادية واجتماعية قد لا يسلم منها الفرد ولا الجماعة.

لهذا الاعتبار (ولربما دون سواه) تتزايد المعارضة بشأنها وترتفع أصوات المناهضات ضدها والاحتجاج على اجتماعاتها من لدن العديد من منظمات المجتمع المدني والمدافعين عن البيئة وعن حقوق الإنسان وعما سوى ذلك.

والحقيقة أن مسلسلات مناهضة المنتديات العالمية من قبيل منتدى دافوس إنما تتأتى من ثلاثة اعتبارات تعود بانتظام وقوة كلما تسنى لهذه المنتديات الانعقاد أو تم التعرف على مكان إقامة "ضيوفها":

* الأمر الأول ويتعلق بطبيعة هؤلاء وصفتهم ومستوى الانتداب لديهم للنطق باسم هذه الجهة أو تلك.

فعلى الرغم من وجود رؤساء دول وحكومات منتخبين يعبرون (على المدى القصير تحديدا) عن سياسات بلدانهم، فإن الغالبية العظمى من هؤلاء غير مخولين (على المدى الطويل) لصياغة "سياسات الكون" ولا لهم الصفة الشرعية للتقرير باسم مئات الملايين من البشر الذين هم مادة ذات السياسات ومكمنها بداية وبنهاية المطاف.

إن الذي غدا يقرر مكان هؤلاء وبالنيابة عنهم، على المدى القصير والمتوسط، إنما هي الشركات المتعددة الجنسيات التي تدغم مصالح العالم في مصالحها. وهي الدول الكبرى التي عبر هذه الشركات او غيرها، تصيغ سياسات لأفراد وجماعات لم تنتدبها لذلك و لا فوضت لها أمر النطق باسمها.

إنها مسألة مشروعية لطالما دفع بها مناهضو هذه المنتديات ونددوا بمبدأ الوصاية الذي يجره خلفه شكلا ومضمونا.

* الأمر الثاني ويرتبط بالنخبوية الكبيرة التي تطبع ليس فقط صفة الحاضرين بمنتجع دافوس (من الرئيس الأمريكي إلى آخر رئيس بإفريقيا) بل وأيضا مداولاتها وما يصدر عنها من بيانات وتوصيات.

إنها بالمحصلة ملتقيات لا يبعث القائمون عليها بدعوات الحضور (فما بالك بالحديث أو المحاضرة) إلا للذين يتبنون نفس المنظومة الفكرية أو طال بهم مدى رفضها فاضحت القابلية لديهم قائمة للانضمام إليها.

إنها تشبه نوادي الشركات والمؤسسات القطرية التي لا يدخل في عضويتها إلا العاملون بها أو المتعاطفون مع تصوراتها أو الذين لهم صلة بذلك من قريب أو بعيد.

* أما الأمر الثالث فيكمن في غياب الشفافية الذي يميز أعمال هذه المنتديات (وهي في خلوة بجبال الألب) يخال للمرء معها أن الذي يحاك هناك إنما هو مؤامرة على الكون يتواطؤ الفاعل في خضمها مع المفعول به زمنا وفي المكان.

إنها كذلك وأكثر، فيما نعتقد، ليس فقط لما ذكرناه من أسباب ودفوعات، بل وأيضا كونها تعمل في معزل عن تطلعات الجماهير ورغبات الشعوب... لذلك تأسست على أنقاضها (بموازاتها أعني) منتديات مناهضة لها لعل أبرزها "المنتدى الاجتماعي العالمي" الذي ينطلق بموازاتها وبجدول أعمال مناف لجدولها لكن دونما إعمال من لدنه لمبدأي النخبوية والسرية.

(*)- كاتب وأكاديمي من المغرب

المصدر : http://al-shaab.org

=============-

#تأثير العولمة على وضعيات المرأة المسلمة

أحمد شهاب

مدخل:

يتعرض العالم منذ فترة ليست بالوجيزة إلى تغيرات عميقة على مستوى العلاقات، وموارد القوة، وانتقال الصورة، وصناعة الرموز والشخوص، وتطور ملحوظ على آليات تصدير الأفكار والثقافات، كما البضائع والتقنيات، وتبدل حاد في الأولويات والأهداف والقيم، بما ينطوي على صياغة جديدة لعالم راهن مفاصل لعالم ما قبل العولمة.

إذ تضاءلت الفواصل بين الأمم والشعوب، وضُربت الخصوصيات الثقافية في خاصرتها، وبدا أن ثمة هوية جديدة تتخلق لإنسان ما بعد العولمة، وهي ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح (الهوية الهلامية)، كنتاج ملموس لطرقات العولمة على الخصوصيات الثقافية للبلدان المستقبلة، الأمر الذي ترتب عليه تغيير في الأذواق والأحاسيس والوجدان، وتحويل الأشياء إلى سلعة تأخذ قيمتها من خلال مقاييس الثقافة المرسلة، التي تفرض نماذجها على الثقافات المستقبلة، فتتشوه المعالم التي تميز كل جماعة بشرية عن الأخرى.

يذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الهوية الجديدة، المتخلقة بسبب الحركة العولمية - وإن كانت "هلامية" في مراحلها الأولى - تُبشر بالتفاؤل، فهي سرعان ما ستتحول إلى "هوية عالمية مشتركة"، مما يتيح لسيادة حالة من التوافق الثقافي والقيمي بين الجميع، وهذا ما يرى عدد من البحَّاثة الغربيين أنه قد تحقق فعلاً مع انتشار قيم الحياة الغربية، وسيادة ثقافتها "المرسلة" وفرض أنماطها على العالم.

ويشارك عدد من أهل الرأي في العالمين العربي والإسلامي أندادهم الغربيين التفاؤل إذا أحسن المسلمون الاستفادة، وتفاعلوا إيجابياً مع العولمة كحركة إنسانية عامة، فلا انسحاق تحت عجلاتها ولا رفض لكل معطياتها وثمراتها، وتأتي على رأس القضايا التي تتأثر سلباً وإيجاباً بمدى تفاعل ثقافتنا مع الثقافة الإنسانية، وضعيات المرأة على المستوى الاقتصادي و السياسي والاجتماعي والثقافي.

سيكون للعولمة أثر واسع على طبيعة دور المرأة، من خلال تطوير وعي المرأة عولمياً، بصفتها أحد أعضاء هذا المجتمع الإنساني الكبير المستهدف بالبرامج الموجهة، وأيضاً من خلال تهيئة ظروف (استثنائية) للمرأة لتأخذ دوراً عملياً، وتقدم إسهاماتها إلى جانب الرجل في العملية التنموية من خلال أبعادها المختلفة.

سنعرض في هذه الدراسة بعضاً من تأثيرات العولمة – الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية – على وضعيات المرأة المسلمة، سواء في بُعدها الإيجابي أو السلبي، في محاولة لتلمس الفرص التي يمكن للمرأة المسلمة أن تستثمرها لصالحها في العصر العولمي، والعقبات التي خلفتها هذه الظاهرة والأمل بتجاوزها في المنظور القريب.

* تأثير العولمة على الوضع الاقتصادي للمرأة:

تعد العولمة الاقتصادية أحد أبرز مظاهر العولمة وأكثرها تجلياً، حيث ابتدأت الفكرة بسعي منظم لدمج أسواق العالم، عبر توسيع حقول الاستثمارات المباشرة بين مختلف الدول، وتسهيل حركة انتقال رؤوس الأموال والقوى العاملة بعيداً عن الحواجز الجغرافية المعهودة. ويمكن اعتبار "السوق المالية" المفتوحة أحد أبرز التعبيرات العملية لحركة رأس المال بين أسواق العالم بانسيابية فريدة، وما يتطلبه ذلك من تدفق حر للمعلومات، وتبادل الاتصالات بفعالية تواصلية ملفتة للنظر.

وتأتي ولادة الشركات المتعددة الجنسيات كإفراز طبيعي للحركة المالية العالمية المفتوحة، والتي انطلقت لتحقيق مصالح مشتركة في "نقاط الاستثمار" المختلفة، سرعان ما تحولت إلى إمبراطوريات مالية ضخمة تتحكم بالأسواق العالمية، وترسم معالم حركتها، وتلعب دوراً أساسياً في تحديد مستقبل نموها.

لقد بشر الكثيرون بنتائج العولمة الاقتصادية، واعتبرها البعض بوابة تحرير السوق من أزماته المحلية الداخلية، وتحريره من هيمنة "الجهات الكبيرة" على "الجهات الصغيرة"، وهو الأمر الذي سوف يساهم بنظرهم في دفع الموارد البشرية والمادية نحو المواقع الإنتاجية، بما يعنيه ذلك من إشباع الاحتياجات المتزايدة للناس.

لقد أتاح الانفتاح الاقتصادي فرصاً ضخمة للاستثمار، ويعتقد أن وضع المرأة في عصر العولمة في بعض الحالات شهد تحسناً ملحوظاً، حيث أتيحت الفرصة لعدد

كبير من النساء لدخول عالم الاستثمار، والتواصل مع قطاع كبير من الشركات والأنظمة الاقتصادية، إن سهولة الاتصال كأحد أبرز تجليات العولمة سمح للمرأة بتقصي مختلف الفرص الاقتصادية واكتساب خبرات كانت محصورة على الذكور فقط، كما مكنها من معرفة ما ينبغي عمله وما ينبغي الامتناع عنه في السياسات والبرامج الاقتصادية.

إن أحد أهم أسباب تعثر دور المرأة العربية والمسلمة في المجال الاقتصادي حرمانها من التعليم، وتضييق فرص اكتسابها للمهارات المعرفية المتقدمة، ويعود ذلك لأسباب تتعلق بالعادات والتقاليد، أو بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية، فالثابت أن المرأة هي الأقوى تمثيلاً بين الفئات المحرومة، ويعتقد أن سرعة وسهولة تدفق المعلومات كأحد أهم سمات العولمة، أدت إلى إحداث تغييرات جوهرية في هذه القناعات، وبدا أن الكثير من المجتمعات اليوم، أضحت أكثر تسامحاً حيال تعليم المرأة، وبالتالي تجاه عملها، مما ساعد المرأة على دخول ميدان الإنتاج بصورة أكبر، وثمة تزايد في الإقبال النسائي على انتقاء المسار العلمي التخصصي، فنجد أن "المرأة العربية لها تمثيل مرتفع في الأعمال المهنية في عشر على الأقل من دولنا الـ22، ففي مصر مثلاً نجد أن ما يقرب من 45% من الوظائف في مجالات الطب والوظائف الأكاديمية ووسائل الإعلام تشغلها طبيبات وأستاذات وصحفيات ومذيعات، والآن أصبح نصف الطلبة الملتحقين بالجامعات من الفتيات، بل إن عدد النساء المشتغلات بالاقتصاد في مصر أكثر من عدد الرجال، وهو ما تشهد عليه كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة"(1).

إلا أنه في ظل العولمة اتجه العالم نحو استقطاب شديد في الفقر، الذي اتسعت دائرته بشكل مخيف (يعاني 840 مليون نسمة من الجوع، و 2 بليون آخرين يعانون من سوء التغذية)، والضحايا يتركزون في الجنوب، بينما الشمال يتضاعف فيه مستوى دخل الفرد، والمؤشر في تصاعد مستمر، وأحد أهم أسباب هذا التباين الحاد بين شعوب العالم، هو تركيز التنافس العولمي بين الشركات على تحقيق أكبر قدر من الأرباح، دون الالتفات إلى ما يعقب ذلك من انتقاص لحقوق الآخرين.

وهو ما أشار إليه تقرير التنمية البشرية لعام 1999م، الذي يرى أن "الرعاية البشرية مهددة لأن السوق العالمية التنافسية الموجودة الآن، تفرض ضغوطاً على ما يلزم لأعمال الرعاية من وقت وموارد وحوافز، وهي أعمال بدونها لا ينتعش الأفراد، ومن الممكن أن ينهار التماسك الاجتماعي". وسبقت الإشارة إلى أن أكثر الفئات المتضررة من هذه النتائج هي "المرأة"، لكونها لا تزال تصنف إلى جانب الأطفال والقصر وكبار السن من الفئات الأضعف اجتماعياً.

أحد المآخذ على السوق العولمية، أن مستوى المخاطر مرتفع، ولا تتوفر ضمانات كافية لحماية العمال وصون حقوقهم، ويعود ذلك إلى طبيعة السوق العولمية التي لا تزال سوقاً غير رسمية، ولما كانت وظائف النساء هي غالباً في السوق غير الرسمية، فإن معاناة المرأة ستكون أشد من معاناة الرجل(2)، لكون المنافسة بين الشركات تتركز في تعيين العمال بمرتبات منخفضة، أو عبر تنامي عقود الباطن، وتشير إحصاءات البنك الدولي إلى أن عمل النساء العربيات في السوق غير الرسمي تفوق أعداد الرجال.

وبالنظر إلى أن العولمة تعتمد على السبق في ميدان التنافسيات الاقتصادية، وتحقيق أكبر معدل من الربح بأقصر وأسرع الطرق، فإنها لم تلتفت إلى العدالة في تجارب التنمية، وهو ما نتج عنه زيادة الهوة بين الأغنياء والفقراء. صحيح أن التقدم التكنولوجي استطاع أن يحقق زيادة في الدخل، لكن صحيح أيضاً أن هذه الزيادة لم تكن لصالح الجميع، بل صبت لفائدة فئات محددة، وقد لوحظ ذلك من استمرار ارتفاع نسبة الوفيات بين النساء، واستمرار معدلات الأمية، وضعف مشاركة المرأة العربية في مجال الصناعات.

أفاقت الشعوب في العصر العولمي على واقع تضخم المشكلات والأزمات الاقتصادية في بعض البلدان النامية، وأدت بعض السياسات المتبعة إلى زيادة نسب البطالة، ويعود ذلك في بعض أسبابه إلى أن تنامي الشركات المتعددة الجنسية بإمكاناتها الضخمة، يؤدي إلى تلاشي المشاريع الاقتصادية المتوسطة والصغيرة، وتسريح العشرات من الأيدي العاملة.

إن انفتاح السوق العالمي لم ينتهِ إلى توفير الأمن الاقتصادي لجميع الفئات، فكثيراً ما تتعرض الفئات الاجتماعية الضعيفة وفي مقدمتهم النساء، وكبار السن، وذوو التعليم المتدني إلى أضرار بالغة السوء، فبرامج الإصلاح الهيكلي والخصخصة أدت إلى فقدان الكثير من هذه الفئات لوظائفها، نتيجة تآكل القطاع العام في معظم الدول العربية، فالسياسيات التنموية في الدول العربية، أعطت للنساء فرصاً جيدة في القطاع العام من حيث الأجور، لكنها لم تحقق الشيء ذاته في القطاع الخاص، باستثناء دول الخليج حيث لا يزال القطاع العام يحتفظ بقوته.

من العوائق التي تقف أمام تقدم المرأة في سوق العمل، مخاوف بعض الجهات من أثر دخول المرأة على فرص عمل الرجل، وعلى مستوى دخله الفردي، وتطرح العديد من الجهات الدينية المحافظة هذه المخاوف، مستعينة بها لتدعيم موقفها من أهمية عودة المرأة إلى المنزل، وضرورة عزوفها عن العمل خارج بيت الأسرة، ويتخذون منه مبرراً لتشجيع الدولة على تهميش حق المرأة في العمل، لإتاحة الفرصة لعمل الرجل وزيادة دخله، لكن حسب تقديرات البنك الدولي(3) فإن الدول تحقق مستويات أعلى من الدخل الفردي، من خلال مشاركة النساء في قوة العمل، إذ لم تلحظ الإحصاءات الرسمية أن البطالة قد ازدادت بدخول المرأة إلى سوق العمل.

* تأثير العولمة على الوضع السياسي للمرأة

تصاعد الحديث عن حقوق المرأة بصورة ملفتة للنظر خلال السنوات الأخيرة، رغم أن الحديث عن حقوق المرأة السياسية لم يغب عن الطرح بشكل عام، لكنه شهد اهتماماً أكبر مع انتقال التجارب بين بلدان العالم، وتبوُّؤ المرأة مناصب ومواقع سياسية وإدارية وفنية في العديد من البلدان المتقدمة، مما شجع "دعاة حقوق المرأة" على تكثيف المطالبات نحو تحقيق المساواة على المستوى الوطني مع الرجل، وإفساح الفرصة لها أسوة بغيرها في البلدان المتقدمة، ودفعها للمساهمة في الارتقاء بالواقع السياسي والإداري.

وقد لاحظت أن عدد البحوث والدراسات التي عكفت على معالجة هذا الموضوع قد تضاعف بصورة ملفتة، بحيث لا ينقضي يوم إلا وقد حررت دراسة أو مقالة في هذا الشأن، سواء ما يتعلق منها بالدعوة إلى إقرار حقوق المرأة السياسية، كالإصدار

الرابع لتجمع الباحثات اللبنانيات والموسوم بـ(موقع المرأة السياسي في لبنان والعالم العربي)(4)، ومثل (المشاركة السياسية للمرأة في الأردن وبعض الدول العربية)(5)، أو الدراسات والبحوث التي تناقش الأدلة الشرعية الهادية لحقوق المرأة السياسية، وأبرزها ما كتبه الشيخ محمد مهدي شمس الدين في (مسائل حرجة في فقه المرأة، أهلية المرأة لتولي السلطة)(6)، ومثل (عشر عوائق أمام حقوق النساء في الاسلام)(7)، أو حتى الكتابات التي تنقض هذه الحقوق، مثل الكتاب الذي أصدره الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في هذا الصدد، والمعنون بـ(حكم تولي المرأة الولايات العامة والاشتراك في المجالس التشريعية نائبة وناخبة)(8).

وخلال شهر مايو من العام المنصرم أثارت مقالة عرضها الشيخ محمد سليمان الأشقر تحت عنوان (نظرة في الأدلة الشرعية حول مشاركة المرأة في الوظائف الرئاسية والمجالس النيابية ونحوها)(9)، ردود أفعال ملفتة أفردت لها صحيفة الوطن جزءاً من صفحاتها، وكانت مادة جيدة كشفت عن شدة الالتباس في تصور الإسلاميين حول حقوق المرأة السياسية، والتي مالت بين التشكيك في تلك الأدلة أو تدعيمها بصورة مطلقة، لكنها على صعيد آخر أشارت إلى تصاعد التنبه الاجتماعي نحو قضية مشاركة المرأة وضرورتها.

ولا يمكن إغفال العلاقة بين حجم الانفتاح بين دول العالم، وبين ارتفاع نسب المطالبة، بالمزيد من الحقوق السياسية النسائية، ودور الانفتاح في تحويل الآمال والتصورات العامة إلى برامج وخطط ومحاولات مدروسة، وقد ساهمت العولمة وسرعة انتقال المعلومة، في اتساع رقعة الداعين والداعمين لحقوق المرأة السياسية، إذ لم تعد الآراء السائدة في المجتمعات التقليدية هي وحدها المعتبرة والقادرة على تحريك الجمهور، بل زاحمتها آراء جديدة لمجتمعات أكثر تحرراً قدمت مساهمات بارزة أدت إلى إحداث تغييرات ملحوظة في القناعات المتوارثة، وأضعفت من الرأي السائد، وحولت الأنظار إلى زوايا أخرى أكثر اتساعاً وموضوعية.

إن اطلاع المجتمعات التقليدية على تجارب الآخرين، ورؤيتهم لثمرات الديموقراطية، والدور الفاعل الذي لعبته المرأة في العديد من المجتمعات، ساهم في تعزيز هذه المطالبات، وفند الكثير من المخاوف والقلق المبالغ به من الديموقراطية ومشاركة

المرأة السياسية، فأصبحت الأدلة ترفق بأمثلة ونماذج حية، تتحرك في مجتمعات إنسانية، قد لا تختلف من حيث ظروفها الاجتماعية والسياسية، دون أن ينفي ذلك صحة الممارسة أو جدوى تطبيقاتها.

من جهة أخرى أتاحت العولمة للدول العظمى –بما وفرته من تبريرات للتدخل في شؤون الدول الأخرى– ممارسة المزيد من الضغوط في سبيل نشر الديموقراطية، وصيانة حقوق الإنسان، ومنح المرأة كامل حقوقها.

من الناحية الإيجابية، فإن الخطاب السياسي في عصر العولمة ساهم في تأكيد حضور المرأة في العملية التنموية كما الرجل دون تمييز بينهما، ودمج مساهماتها في حركة التنمية الشاملة، وإن لاحظ المدقق أن درجة هذه المساهمة تختلف من دولة إلى أخرى، حسب اتفاق أو عدم اتفاق الدول مع السياسات الأمنية الغربية، بما يوحي بحالة أقرب إلى الانتقائية، على أن ذلك لا يقلل من تأثير موجة التحولات الديموقراطية حتى على تلك الدول غير المستهدفة بنشاط البرنامج الإصلاحي في عصر العولمة.

إذ لا تكاد الدول أن تصمد طويلاً أمام ضغوط المطالبات اليومية بالإصلاح والانفتاح، خاصة أن هذه المطالب تتفاعل مع المجتمعات بصورة مباشرة عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، ففي سنة 1990م أدت تلك الضغوط إلى حصول المرأة في ثمان دول على الأقل على بعض المناصب الوزارية(10)، وفي عام 1999م نالت المرأة القطرية حق الاقتراع والترشيح للمجالس المحلية، وفي العام نفسه جاءت الرغبة الأميرية في الكويت بمشاركة المرأة في الانتخاب والترشيح، لكنها تعرقلت نتيجة وقوف غالبية أعضاء مجلس الأمة موقفاً مضاداً لحقوق المرأة السياسية، وبحلول سنة 2000م ضم الملك البحريني عدداً من النساء لعضوية اللجنة الوطنية العليا لوضع ميثاق العمل الوطني، والذي أكد من خلاله على حق المرأة في الانتخاب والترشيح، ثم أتبعها بخطوة متقدمة أخرى، بإنشاء المجلس الأعلى للمرأة في أغسطس 2001م، وهو جهاز استشاري هدفه مساعدة حكومة البحرين في رسم السياسات المتعلقة بالمرأة، وفي سنة 2003م استجاب الرئيس المصري لمناشدات الجمعيات الحقوقية بالسماح للمرأة المصرية منح جنسيتها لأولادها، وفي 2004م تقدمت المملكة العربية

السعودية خطوة لافتة في هذا المضمار، إذ سمحت للمرأة ولأول مرة بالمشاركة في الحوار القومي والمنتدى الاقتصادي العالمي.

كما وفرت "المواقع الحوارية" في شبكة الإنترنت للمرأة فرصة نادرة للتعبير عن رأيها بكل سهولة ويسر، وإن لاحظ بعض المتابعين أن المرأة العربية لا تزال تتخفى خلف أسماء مستعارة نظراً للتحفظات الاجتماعية الشديدة على مشاركتها، وعلى إبداء وجهة نظرها بصورة علنية. وسمح تطور وسائل الاتصال بتكثيف اتصال المرأة مع أصحاب الرأي من كُتَّاب الصحافة والإعلاميين وأساتذة الجامعات، والتعبير عن وجهات نظرها في شتى المجالات السياسية والاجتماعية، وخلال السنوات الخمس الأخيرة استطاعت العديد من النسوة نشر إنتاجهن العلمي والأدبي والسياسي والديني عبر مواقع الإنترنت، ودشنت بعض الكاتبات والناشطات مواقع خاصة بهن، متجاوزات حزمة العراقيل التي تقف أمام حركة النشر النسائية في الصحف المطبوعة.

غير أنه من الخطأ الجزم بأن الانفتاح الإعلامي وتطور وسائل الاتصال، يقف دائماً في صف تعزيز الديموقراطية وحقوق الإنسان ودعم قضايا المرأة، فالتفاتة سريعة إلى وسائل الاتصال والإعلام تكشف عن دور سلبي، موجه من قبل السلطات السياسية أو القوى الاقتصادية، يعيق في أحيان كثيرة التطور الديموقراطي، ويقف عثرة أمام (قضايا المرأة)، ويتستر على ممارسات سادية ضد الإنسان وحقوقه، وإن كان هذا الدور متوقعاً على مستوى وسائل الإعلام في العالم العربي، فهو أيضاً ليس غائباً تماماً في الدول الغربية، فقد وصلت ملكية وسائل الإعلام في بعض أعرق الديموقراطيات، إلى ما يعتبره البعض مستوى خطيراً من التمركز والاحتكار.

ففي المملكة المتحدة "تصل نسبة الانتشار الإعلامي لمؤسسات روبرت مردوخ إلى 37% من معدل تداول الصحف الوطنية اليومية، كما نجد أن الصحف الوطنية التي يمتلكها روبرت هيرسانت –وقد دخل السجن لتعاونه مع النازي أثناء الحرب – تمثل ما يزيد على ثلث الصحف الوطنية المتداولة في فرنسا، وفي إيطاليا فإن رئيس الوزراء الملياردير سيليفيو بيرلسكوني، يمتلك القنوات التلفزيونية التجارية الثلاث التي تحتل موقع القمة، إضافة إلى شبكة تلفزيونية أخرى مدفوعة الاشتراك، وعدد من

الصحف والمجلات، وقامت هذه الأدوات بدعم حزبه السياسي اليميني الذي وصل إلى السلطة"(11).

ووفقاً لاستقصاء للرأي العام في نهاية 1999م، فإن 59% من الفرنسيين غير مقتنعين باستقلال الصحافيين عن السلطة وعن الأحزاب السياسية، و 79% من الإنجليز يعتبرون أن كتابات الصحافيين لا تستحق الثقة التي يمحضهم إياها القراء، و56% من الأمريكيين كانوا يجدون في العام 1997م أن الوقائع التي ترويها وسائل الإعلام غير صحيحة، ولذلك انخفضت نسبة الأمريكيين الذين كانوا يشاهدون نشرة الأخبار المسائية بانتظام، من 60% عام 1993م إلى 38% عام 1998م(12).

وهو ما يؤكد تضاعف الحاجة إلى دفع المرأة العربية والمسلمة، في اتجاه ترجمة تطلعاتها السياسية إلى تغييرات حقيقية تصب في خانة المشاركة الإيجابية في الحراك السياسي المحلي، وعدم الاتكاء على الضغوط القادمة من الخارج، أو الاعتماد على التحولات العولمية فحسب، لكون هذه التحولات لا تزال في طور التشكل والنضال في سبيل تحقيقها، وقد أشار تقرير المكتب الإقليمي للدول العربية لصندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، إلى "أنه على الرغم من أن هناك تقدماً عالمياً بصدد المشاركة الفاعلة للمرأة في العمل السياسي، إلا أن مشاركة المرأة العربية تتسم بدرجة أكبر من البطء وعدم التنظيم"(13)، على المرأة أن تدلي برأيها، وتؤدي دورها بفعالية عالية، عبر اقتراح الاستراتيجيات الملائمة لإخراج الأكثرية الصامتة التي تلازم الصمت من صمتها، وإدخالها إلى دائرة الضوء.

ويقترح تقرير تقدم المرأة العربية لسنة 2004م(14)، صياغة سياسات تتسم بالاستجابة لاحتياجات المرأة من أجل تعزيز مشاركتها، ويشمل ذلك:

1- إصلاح النظم الانتخابية.

2- تطبيق تدابير التمييز الإيجابي لصالح المرأة.

3- تطبيق آليات محددة لدعم القيادات النسائية.

4- بناء قدرات ومهارات القيادات النسائية.

5- تعزيز دور الإعلام في رسم صورة إيجابية للمرأة ومشاركتها في العمل السياسي، وفي مواقع صنع القرار في مختلف القطاعات(15).

* تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي للمرأة:

لعقود طويلة لعبت الأسرة إلى جانب المدرسة ودور العبادة دوراً أساسياً في تكوين مدارك الإنسان، وتحديد القيم التي يجب عليه أن يتمسك بها، فشكل ذلك قالباً معدّاً سلفاً تحت مسمى العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، إلا أن ذلك الوضع قد تبدل بصورة كبيرة جداً في السنوات الأخيرة، حيث دخلت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام المختلفة، كموجه بالغ الأثر في حياة الأفراد، وتشكيل نمط تفكيرهم وسلوكهم العام.

لقد خلقت وسائط الاتصال نمطاً جديداً من العلاقات، يقوم على فرض علاقات حميمة بدرجة ما مع إنسان كوني بعيد جغرافياً، يحمل قيماً وعادات مختلفة وأحياناً متناقضة تماماً، مع ما يحمله الفرد الآخر، وفي الوقت ذاته ساهمت هذه الوسائط، في تخفيض "درجة التآلف" في العلاقات الأسرية، بالصورة التي يمكن وصفها بأن القريب جسداً بعيد نفسياً وفكرياً، والبعيد جسداً قريب روحياً وسلوكياً في أحيان كثيرة، ولعل أبلغ تعبير عما آلت إليه الأمور، هو كتاب عالم الاجتماع ديفيد كوبر "موت الأسرة"(16)، استدل فيه على أن الأسرة بطابعها الكلاسيكي قد ماتت، من خلال موت روحها الإنسانية وافتقادها للعاطفة.

لا ندعي أن المرأة هي المتضرر الوحيد من آثار التدهور الاجتماعي لدور الأسرة، لكنها الطرف الأكثر تضرراً، نظراً لما يحيط بوضع المرأة من ملابسات شديدة التعقيد، مثل العادات والتقاليد والنظرات الاجتماعية، إذ تميل النظرة الاجتماعية للمرأة في حال تفكك الأسرة إلى النظرة السوداوية(17)، فكل الإسقاطات السلبية تقع عادة على كاهل المرأة الأم والمرأة الزوجة والأخت والبنت، بينما لا تكاد تطال تلك السلبيات نظيرها الرجل بالقدر ذاته، وقد وصل كل من د. منى الصواف و ?د. قتيبة الجلبي، إلى تحديد العوامل الاجتماعية التي تشكل الاضطراب النفسي عند المرأة العربية، في تسع نقاط(18):

(1) المرأة العربية شريك غير مشارك مع الرجل.

(2) اعتماد المرأة العربية على الآخرين.

(3) عدم الاستقلالية والاعتماد على النفس.

(4) فرض العزل وعدم اختلاط الجنسين، في مجالات يكون الاختلاط فيها مقبولاً.
(5) جعل المرأة الجنس الضعيف بدلاً من الجنس الناعم.
(6) أن يكون اعتمادها النفسي وكبرياؤها صادراً من الرجل وليس منها.
(7) المرأة الشريك ذو أقل الصلاحيات في الشركة.
(8) تقييم المرأة من قبل افتراضات مسبقة متحيزة.
(9) المرأة كزوجة ثانية.

ولا تزال مجتمعاتنا العربية أقرب إلى استيراد مشكلات وأزمات العولمة، لكنها بعيدة عن مكتسباتها وثمراتها(19)، إنها بكلمة واضحة لا تزال مجتمعات نمطية عند تعاملها مع الحداثة ومتوالياتها، تستسلم لمنتجات الغرب المتقدم، وتصر على تقليدية أفكارها وعاداتها الاجتماعية، وإن كانت بالية وبعيدة عن قيم الدين ومتطلبات الحاضر، ويذهب الدكتور باقر النجار إلى أن "عمليات العولمة أو آلياتها، قد وظفت لإعادة إحياء أشكال جديدة لعلاقات إنسانية قديمة، أو ما قبل حداثية، وساهمت في خلق حالة اجتماعية جديدة، يتساكن فيها القديم مع الجديد، وتتعمق من خلالها مشكلات اجتماعية جديدة وأخرى طارئة، أبرزها تلك التي أصابت بنية الأسرة ووظائفها"(20).

يمكن على سبيل المثال، الاستعانة بوضع المرأة المطلقة في مجتمعاتنا بصورة عامة، للتعرف على مقدار تشعب تأثيرات العولمة في قضية واحدة، فمن جهة أدت العولمة إلى تضاعف حدة التفكك الأسري، وانتشار حالات الطلاق بصورة واضحة، وهو ما انتبه إليه بعض الراصدين لآثار العولمة، ومن جهة أخرى فإن المطلقة" حسب التقاليد والأعراف الاجتماعية، واستجابة للنظرة المحافظة، يتم التضييق عليها، ويُحد من حركتها الاجتماعية والعلمية، وإن كان ذلك مناقضاً للدين ومخالفاً لما مارسه أئمة الإسلام.

وفي العديد من الحالات حرمت المرأة المطلقة من إتمام تعليمها، أو قُطع أمامها مشوار ممارسة أدوار تنموية، كان يمكن لها أن تساهم بها قبل وقوع الطلاق، وباسم الرعاية الأسرية يتم محاصرتها في دائرة المنزل، والعلاقات الخاصة المقتصرة على الأسرة، وإذا عرفنا أن معدلات الطلاق في المجتمعات العربية مرتفعة، وفي تصاعد

مستمر(21)، أدركنا خطورة سيادة نظرة الشك والريبة والحرمان عليها وعلى المجتمع ككل، فهو يعني أن أعداداً كبيرة من الطاقات سوف تكون معطلة، أو ربما تؤدي أدواراً أقرب إلى السلبية.

أحب أن أتوقف هنا قليلاً، عند (وضعيات المرأة الاجتماعية) بصورة عامة في المجتمعات العربية، والتي يغلب عليها الرغبة في عزل النساء بسبب العرف الاجتماعي، أو بسبب سيادة الفهم السلفي للدين، ومن أبرز الذين ناقشوا هذه المسألة باستفاضة جريئة، الشيخ محمد الغزالي الذي استنكر أن يتم التعامل مع المرأة "كبندول الساعة، إلى أقصى اليمين تارة، وإلى أقصى اليسار تارة أخرى، ولا يستقر مطلقاً عند الحد الوسط الذي يطلبه الإسلام"(22).

ويحمل الغزالي في كتابه "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" على بعض علماء الدين، ممن يصفهم بأنهم "يكرهون وجه المرأة، ويحمّلونها مسؤولية خروج آدم من الجنة، كما زعم اليهود في كتبهم، ويرون الدين إمساك النساء في البيوت حتى يتوفاهن الموت". ويرى أن "هؤلاء العلماء القاصرين لو كانوا على عهد الرسول (ص)، لطالبوه بطرد السيدتين اللتين حضرتا بيعة العقبة الكبرى، وقالوا له: ما للنساء وهذه الشؤون، ولو كانوا موجودين عند فتح مكة لقالوا له: حسبك بيعة الرجال، ولو كانوا مع نبي الله سليمان وهو يكتب خطابه لبلقيس {أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} لقالوا له: عدل هذه الصيغة فإنها تعترف بتوليها منصب الملك، اكتب بعزلها أولاً ثم تفاهم مع الرجال وحدهم"(23).

ويساعد على تأكيد هذا المنحى الانعزالي دور المرأة المحوري في تعميق الروابط الأسرية، إذ تتكفل المرأة عادة بإشاعة حالة من الدفء الأسري الضروري لاستمرار مؤسسة الأسرة فاعلة ونشطة، لكنه في الوقت ذاته يؤدي إلى استهلاك جل وقتها في ميدان "الخدمة المنزلية" و "الخدمة الزوجية"، ولا تزال فكرة تنظيم الوقت، وخلق حالة من التوازن بين دور المرأة الأسري الخاص، وبين دورها الاجتماعي العام، من الأمور الغائبة بصورة شبه تامة.

إلى جانب استثناء أو عطالة هذا القطاع النسائي الكبير، يُستثنى قطاع آخر لا يقل أهمية وهو قطاع "الطالبات"، ومع العلم بأن دور الطلاب لا يزال غائباً في العملية

التنموية بصورة عامة، فإن هذه الهامشية تتضاعف في أوساط الطالبات، وهو ما يمكن أن ينتهي بنا إلى تحصيل نتيجة بالغة السوداوية، مؤداها "موت المرأة"، أي فقدان مساهمة قطاع كبير من النساء في العملية التنموية، وقد يروق ذلك لبعض التوجهات الدينية المتشددة، والتي تلتقي مع العادات والأعراف الاجتماعية التقليدية، التي تنظر بازدراء إلى مشاركة المرأة في الحياة العامة.

لكن أمام هذا البعد السلبي لتأثيرات العولمة على وضع المرأة الاجتماعي، فإن العولمة تقدم من جانب آخر خدمة غير مسبوقة لتحسين وضعها الاجتماعي، ولو أحسنت المرأة الاستفادة من هذه المعطيات فسيكون بإمكانها أن تبدل الصورة المنطبعة عنها تماماً.

فلقد بدأت بعض الأفكار التي تخدم وضع المرأة بالتسلل، بفعل "الاتصال الكوني" بين شعوب العالم، وعملت هذه الأفكار على تعزيز مكانة المرأة إلى جانب الرجل، حيث ساهم تسليط وسائل الإعلام على فاعلية المرأة الغربية، ووجودها في كافة الحقول المعرفية والعلمية والصحافية والسياسية، على تحسين نظرة المجتمعات العربية والإسلامية للمرأة، وزيادة ثقتها بإمكانية بل وضرورة أن تضطلع المرأة المسلمة بأدوار إيجابية وفاعلة كنظيرتها الغربية، دون أن يستدعي ذلك التنازل عن القيم الدينية والمبادئ الاجتماعية السليمة.

والأمل معقود على عدد من المجتمعات، التي استطاعت المرأة فيها أن تنقل بعض التجارب الكونية إلى الواقع المحلي، فكانت أكثر إصراراً من أي وقت مضى على تسجيل حضورها في مختلف الأنشطة، والنزول إلى ساحة الإنتاج والتعبير عن معاناتها بصوت مسموع، والاستفادة من تقنيات الاتصال الحديثة والتطور التكنولوجي المتسارع.

* تأثير العولمة على الوضع الثقافي للمرأة

اتصالاً بما سبق، يمكن القول: إن تحسين الأوضاع الاجتماعية للمرأة، يمكنه أن يساهم في دفع العملية التنموية في العالم العربي بمختلف أبعادها، ولنا أن نتفاءل إيجابياً مع حركة الضغوط المتواصلة في هذا الجانب، رغم جملة العوائق التي عرضناها آنفاً.

المهتمون بشؤون العولمة(24) في العالم العربي، يعتقدون أن "التحدي الثقافي" هو من أبرز تحديات العصر، مما يضع التنمية الثقافية على رأس المهام التنموية، التي ينبغي للمعنيين من مهتمين وبحاثة وعلماء، إيلاؤها الاهتمام المناسب بها.

هذا الاهتمام يتراوح في عرف المفكرين العرب، بين الدعوة إلى إحداث قطيعة معرفية تامة مع العولمة، لما تسببه من أخطار داهمة، قد تعصف بالثقافة العربية والإسلامية، وما بين الافتتان بالثقافة الغربية، والعمل على التماهي معها بصورة كاملة.

إن خطورة أي من وجهتي النظر السالفتين، تتبين من خلال معرفة النتائج التي يريد علماء العولمة بلوغها، فهم في المجمل يتحركون لبسط مفهوم الثقافة بالمفرد، وما يلازم ذلك من فرض قيم تلك الثقافة الواحدة على الآخرين، وإلغاء الخصوصيات الثقافية أو التنكر لها، وإن لم تخلُ الساحة الغربية من أقلام جادة وناقدة، حذرت من خطورة هذا التنميط الثقافي، وأكدت على حقيقة وجود ثقافات متعددة، مثل "زيجمونت بومان" عالم الاجتماع الثقافي البريطاني الجنسية، ومثل "نعوم تشومسكي" عالم اللغويات الأمريكي الجنسية.

ولا شك أن عولمة الثقافة بمعنى إلغاء كافة الثقافات غير الغربية أو غير الأمريكية تحديداً، يثير مخاوف متصاعدة عند كافة الأطراف الأخرى، ويترتب على تلك المخاوف إعاقة مجهودات التنمية العالمية، وسيادة حالة من الترقب والرغبة في إنزال أكبر قدر من الإضرار بالثقافة المهيمنة (صراع الثقافات)، وهو دفاع متوقع ومشروع عن الهوية والذات، في المقابل فإن منهج القطيعة يبدو متعذراً إلى درجة المحال، لاسيما وأن "حقائق الواقع العالمي" تشير إلى هيمنة غربية – أمريكية بالخصوص، على التقنيات الحديثة المصدرة للبرامج والمواد الثقافية والترفيهية (كتب – أفلام – سينما – برامج تلفزيون)، وفي الوقت ذاته تتحدث إحصاءات منظمة اليونسكو أن ثلث إجمالي البث في سوريا ومصر، ونصف البث في تونس والجزائر هو من البرامج المستوردة.

وفي سياق الهم الثقافي في عصر العولمة، تبرز بقوة مشكلة تضاؤل الاهتمام بالمسألة الثقافية في العالم بصفة عامة، فمن بين الأبواب الخمسة لحقوق الإنسان،

الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والمدنية، حظيت الحقوق الثقافية بالقدر الأقل من الاهتمام، فلجنة حقوق الإنسان لم تتبن أول قرار لها عن الحقوق الثقافية إلا في عام 2002م، ومحوره "تشجيع تمتع الجميع بالحقوق الثقافية، واحترام الهويات الثقافية المختلفة". وظلت الحقوق الثقافية في نظر الكثيرين كماليات يتم التوجه لها بعد إحقاق الحقوق الأخرى(25).

وسعياً لتحقيق التنمية في العالم، ركّز المهتمون بالقضايا التنموية على البعد الاقتصادي، لخدمة المعوزين ورفع الفقر والحرمان، وتحركت الجهود لتنمية الديموقراطية، وإحقاق حقوق الإنسان، وتوسعة المشاركة السياسية، ودعم التوجهات التنموية في مجالي الصحة والتعليم، لكن هذه الجهود لم تضع الكثير من الرؤى حول حق الناس في الحفاظ على هويتهم الثقافية، وحقهم في العيش بكرامة وعدالة مهما كانت اختياراتهم الثقافية، وقد عبَّر تقرير التنمية البشرية الأخير عن قلقه من فقدان الإنسان لاحترام تقدير الآخرين، أو الاستبعاد لمجرد انتمائه وهويته الثقافية.

وفي سبيل تعزيز هذه الحقوق، تصدى التقرير(26) لتفنيد عدد من الخرافات التي تتخذ كمبرر لعدم الاعتراف والاعتناء بالهويات الثقافية المختلفة، مثل القول بتعارض هويات الناس العرقية مع ولائهم للدولة، أو القول بجنوح المجموعة العرقية لخوض نزاعات عنيفة فيما بينها نتيجة لتضارب القيم، أو القول إن البلدان المتعددة العرقيات أقل قدرة على النمو، منتهياً إلى أهمية وضع سياسات متعددة الثقافات، تعترف بالاختلافات بين المجموعات، لمعالجة الإجحافات ذات الجذور التاريخية والمترسخة اجتماعياً.

بالنسبة للعالم الإسلامي، فإن خيار التفاعل الإيجابي القادر على انتقاء الجيد، واستبعاد المواد الرديئة، والعمل على اقتحام ميدان الإنتاج والمنافسة العالمية، هو الخيار الوحيد الملائم لمواكبتهم الحركة العولمية المتسارعة، ولذلك شروط ومتطلبات لا تزال غير متحصلة في العالم العربي، ومن أهم هذه المتطلبات الغائبة هي "البنية الثقافية" الصالحة للنمو والإنتاج، فثمة عجز داخلي مرده سيادة "ثقافة متأكسدة" غير قابلة للتفاعل المثمر مع العصر، تتصدرها فتاوى وآراء فقهية تقليدية، وعادات وتقاليد

بالية، ومنظومة مفاهيمية تقدس قيم الاستهلاك وتقتل روح الإبداع، وتقف عقبة كأداء أمام الدخول في ميدان التنافس المعرفي.

ولعل المرأة هي الأكثر تأثراً من غياب "البنية الثقافية" الصالحة، فهي لا تزال ضحية الأفهام البشرية الخاطئة في العالمين العربي والإسلامي، وهو ما يؤكد ضرورة إسراع المرأة في تقديم مساهماتها النوعية لرسم الهوية الثقافية الجديدة المتناسبة مع طموحاتها العريضة، وبما يعمق من دورها في كافة المجالات التنموية.

وبالنظر إلى حجم أعداد النساء وطبيعة أدوارهن الراهنة، فيمكن للمرأة اليوم أن تدير نظرها عن الأدوار الهامشية، وأن تلعب دوراً أصيلاً في تحريك عجلة التغيير في مجتمعها، لو استجابت للفرص الإيجابية التي توفرها طفرة التواصل الكوني، وعلى سبيل العناية يمكن للمرأة أن تسد فجوة هائلة ومتسعة في ميدان البحث العلمي والدراسات الفكرية والتخصصية، فإحدى أهم العوائق التي تقف حائلاً أمام تقدم العالم العربي والإسلامي، قلة أعداد البحاثة وأهل الاختصاص، فعدد مراكز الدراسات والأبحاث على طول وعرض العالم العربي تقارب الـ 600 مركزاً، أما عدد البحاثة فهو لا يتجاوز 371 من كل مليون شخص.

هذه الفجوة الهائلة بين الواقع والمطلوب، يمكن للمرأة لو توجهت إلى حقول البحث أن تردمها تماماً، لا سيما وأن الأرقام تشير إلى أن 70% من عدد خريجي الجامعات العربية هم من الإناث، وعلى سبيل المثال بلغت نسبة الإناث في الجامعة الكويتية 69%(27)، وفي المملكة العربية السعودية فاقت نسبة الإناث نسبة البنين حيث بلغت (58. 4%)(28)، أما في عمان (جامعة السلطان قابوس) فبلغت نسبة الخريجات 53. 6% من إجمالي عدد المتخرجين في عام 2000م(29)، وفي فلسطين بلغت 51% من مجموع الملتحقين في كليات المجتمع المتوسطة، و 42. 5% من الملتحقين في التعليم الجامعي. وقد ارتفعت نسبة النساء الملتحقات في علم الحاسوب إلى 37% من مجموع الملتحقين(30)، وفي الإمارات بلغ عدد الخريجات حتى الدفعة التاسعة عشرة التي تم تخريجها في شهر مايو 2000م (18 ألفاً و228 خريجة) من مختلف كليات الجامعة(31)، أما عدد الإناث البحرينيات الحاصلات على المؤهل الجامعي فبلغ 8620 نسمة في العام 2001م مقابل 3735 امرأة في

1991م، وإن عددهن زاد على عدد الذكور والبالغ عام 2001م حوالي 8049 رجلاً(32)، بما يعنيه ذلك من توفر القابلية عند النساء للدخول في حقول التنمية بمختلف أبعادها بنسبة معقولة، إذاً أين تذهب هذه الأعداد الهائلة من الخريجات؟ وما هو مقدار مساهماتهن في الحقل العلمي أو الحقول التنموية الأخرى؟.

الإجابة ربما تثير قلق المعنيين بشؤون التنمية في العالم العربي، فازدياد انخراط النساء العربيات والمسلمات في حقل التعليم العالي، لم ينعكس إيجابياً على تضاعف مشاركتهن الفعلية في القوة العاملة، أو مشاريع التنمية، فمستوى أداء المرأة في معظم الدول لم يصل بعد إلى الدرجة التي يظهر أثر تعليمها على التنمية، حتى المكاسب التي تساق عند الحديث عن تحرير المرأة فعادة ما يقودها الرجل، ورغم أننا لا نجد أية غضاضة في هذا الأمر، إلا أنه يشير إلى حجم تقصير النساء في هذا المضمار، قياساً بما يمكن أن تؤديه المرأة فعلاً في سبيل تعزيز حقوقها ومكتسباتها التنموية.

* مهام ختامية:

شهدت نظرة المجتمعات العربية والإسلامية في عصر العولمة، تغيرات مهمة -كما عرضنا- على كافة الصعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، بعضها على مستوى الفرص المتاحة، وأخرى على مستوى النظرة السائدة عن المرأة وأدوارها، ويمكن لمجتمعاتنا أن تستثمر هذه التغيرات لصالحها إذا استطاعت أن ترسم لها هدفاً واضحاً في مجال استثمار العنصر النسائي لصالح التنمية الشاملة، على اعتبار أن الهوية الإسلامية تعزز مكانة ودور المرأة، ولا تتعارض مع الرغبة في الاستفادة من فرص الانفتاح العالمي، ودون غض النظر عن التحديات الحقيقية، التي تخلقها العولمة أمام مجتمعاتنا اليوم.

إن أهم ما ينبغي عمله الآن، وبصفة عاجلة لمواجهة التحديات التي تواجه المرأة في عصر العولمة:

1- توجيه وعي المرأة نحو حقوقها السياسية والاجتماعية.

2- رفع وعي المجتمع بحقوق المرأة ومكانتها.

3- التأكيد على ضرورة التوازن بين دور المرأة داخل البيت وخارجه. التوازن بين دورها في بناء الأسرة السليمة المتماسكة، وبين جهودها الرامية إلى النهوض بالمجتمع.

4- مصالحة المؤسسة الدينية مع حقوق المرأة، في بعض البلدان الإسلامية، التي لا تزال تحمل مفاهيم معادية لدور المرأة السياسي والاجتماعي، والتأكيد على موافقة الدين الإسلامي لفاعلية المرأة في المجتمع.

5- إن تحقيق تنمية المرأة في بعديها الاجتماعي والاقتصادي، يتطلب تغييراً جذرياً في الكثير من المفاهيم الثقافية السائدة، وهو ما يتطلب بذل جهود بحثية معمقة متلازمة مع إعلام فاعل لتحقيق الهدف المأمول.

6- تدريب وتأهيل المرأة وإعدادها على كيفية استخدام الخطاب السياسي والاستفادة من القاعدة المعلوماتية.

7- تأمين بيئة عمل المرأة لا سيما في جانبها السياسي.

8- تعزيز مكانة النساء في الهيكل الاقتصادي، واعتبار المرأة عضواً رئيسياً في سوق العمل، يسهم وجودها في النمو الاقتصادي.

9- وقف ومقاومة الصورة السلبية التي يعرضها الإعلام العولمي للمرأة بوصفها رمزاً للجنس والمتعة.

10- تفعيل دور المنظمات النسائية غير الحكومية، والتأكيد على دور النساء في تنمية العمل الأهلي.

الهوامش:

(1) سوزان المبارك، الكلمة الافتتاحية للمؤتمر الرابع للتنمية العالمية الذي عقد في القاهرة تحت عنوان "العولمة والعدالة".

(2) سوزان المبارك، مصدر سابق.

(3) "تتحمل النساء والفتيات أكبر التكاليف المباشرة لانعدام المساواة بين الجنسين. ولكن هذه التكاليف تضر على نطاق واسع بقطاعات المجتمع كافة، وتضر في النهاية بالجميع. وتؤدي التباينات بين الجنسين إلى انخفاض إنتاجية العمالة،

وانخفاض كفاءة تخصيص وتوزيع العمالة بين الأسر وعلى مستوى الاقتصاد. كما تؤدي أيضاً إلى التوزيع غير المنصف للموارد، وإلى جوانب الفقر الأخرى التي لا تتعلق بالمال –مثل غياب الأمن وانعدام الفرص وعدم تمكين المواطنين من أسباب القوة– الأمر الذي يقلل من مستوى جودة الحياة لدى الرجال والنساء والأطفال على حد سواء". المصدر: مؤشرات التنمية في العالم 2004م البنك الدولي.

(4) موقع المرأة في المجال السياسي في لبنان والعالم العربي، الكتاب الرابع 1997-1998، منسق الكتاب: منى فياض، المستشارون: فريد الخازن، نهى بيومي، منى خلف، منشورات تجمع الباحثات اللبنانيات.

(5) د. بارعة النقشبندي، (المشاركة السياسية للمرأة في الأردن وبعض الدول العربية)، رسالة دكتوراه.

(6) الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مسائل حرجة في فقه المرأة. كتاب الستر والنظر، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

(7) محمد سيف عبد الله العديني، لملتقى المرأة للدراسات والتدريب (WFRT)، سنة 2004م.

(8) الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، كتاب "حكم تولي المرأة الولايات العامة والاشتراك في المجالس التشريعية نائبة وناخبة"، المصدر: ..html52http://www.salafi.net/books/hbook

(9) اطلع على صحيفة الوطن الكويتية، تاريخ 2004/5/29م. كذلك المقابلة التي أجراها رئيس تحرير صحيفة الوطن الكويتية مع د. محمد سليمان الأشقر، والمنشورة بتاريخ 2004/5/31م. (ولذلك جلد عمر – رضي الله عنه – أبا بكرة ثمانين جلدة حد القذف بالزنى. ثم قال له: تب أقبل شهادتك، فأبى أن يتوب، وأسقط عمر – رضي الله عنه – بعد ذلك شهادته، فكان أبو بكرة بعد ذلك إذا استشهد على شيء يأبى أن يشهد، ويقول: إن المؤمنين قد أبطلوا شهادتي.

وقد قال الله – تعالى – في آية لاحقة: {لَوْلاَ جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} (النور 13). أي أنهم في حكم الله – تعالى – كاذبون لا يثبت بقولهم حق. هكذا حكم الله – تعالى –على من قذف محصناً، وهذا

منطبق على أبي بكرة، فإن الآية تدمغه بالفسق وبالكذب، وهذا يقتضي رد ما رواه عن النبي (ص) مما انفرد به كهذا الحديث العجيب "لن يفلح قوم تملكهم امرأة" فينبغي أن يضم هذا الحديث إلى الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي (ص). المصدر بتاريخ 2004/5/29م.

(10) مصر، الأردن، سوريا، الجزائر، تونس، موريتانيا، السودان، جزر القمر.

(11) سليمان إبراهيم العسكري، إعلام العولمة قيم جديدة، أم انكفاء على الذات؟، مجلة العربي، العدد 517، ديسمبر 2001.

(12) العالم الأوروبي والأمريكي والصراع العربي – الإسرائيلي، قراءة في الأرقام. جورج فرشخ، نقله عن كتاب "طغيان الاتصال" لـ(انياسيو راموئير)، مجلة "الموند ديبلوماتيك".

(13) "تمهيد الطريق نحو التمكين" صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة 2002م.

(14) تقدم المرأة العربية 2004م – نسق واحد، أربعة مجالات وأكثر من 140 مليون امرأة.

(15) تقدم المرأة العربية، مصدر سابق ص 289.

(16) سمير عبد الرحمن الشميري، المرأة في زمن العولمة، كلية التربية، جامعة عدن.

(17) فقد جرى ربط مقام المرأة بدور استهلاكي ومقام الرجل بدور إنتاجي.

(18) منى الصواف – قتيبة الجلبي، الصحة النفسية للمرأة العربية، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع.

(19) انظر حول عولمة المشاكل والأزمات، أحمد شهاب، نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، مجلة الكلمة، العدد 25.

(20) محمد باقر النجار، تحديات العولمة ومستقبل الأسرة في الخليج العربي: قراءة أولية، ورقة مقدمة لـ"ندوة التحولات الدولية الراهنة وتأثيرها على مستقبل الخليج" المنعقدة في الفترة من 5–7 يناير 2003م.

(21) تشير الأرقام في دول الخليج العربي على سبيل المثال إلى تنامي ظاهرة الطلاق خلال العقود الثلاثة الماضية، في الكويت تمثل حالات الطلاق ما نسبته

25% عام 1980م، و 31% عام 1995م، ثم ما نسبته 32. 8% عام 1999م. وفي البحرين ارتفعت نسبة الطلاق في المجتمع بما نسبته 41. 3% خلال الفترة الممتدة من 1977م إلى 2001م. محمد باقر النجار، مصدر سابق.

(22) الشيخ محمد الغزالي، من هنا نعلم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 2000م.

(23) الشيخ محمد الغزالي، السُّنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، القاهرة: دار الشروق، 1989م.

(24) راجع كتاب "صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة"، د. محمد الشبيني، دار العلم للملايين – بيروت، 2002م.

(25) تقرير التنمية البشرية للعام 2004م، المصدر: 2002stamatopoulou، 2004; and Arizpe. 2004kymlicka.

(26) تقرير التنمية البشرية لعام 2004، انظر ص 3، 4، 5، 9.

(27) يشير التقرير الصادر عن وزارة التخطيط حول "المرأة الكويتية والمشاركة المجتمعية" الصادر في فبراير/ شباط 2002م أن نسبة الإناث في الجامعة الكويتية بلغت 69%، المصدر: قناة الجزيرة، المعرفة. http://www.aljazeera.net/NR/exeres/AB609BF-94AAC-4584-9382FDCFE-747DEBB.htm

(28) عبد الله بن علي الحصين، وكيل كليات البنات بوزارة التربية والتعليم لـ(صحيفةالرياض) في 7 ربيع الأول 1424هـ.

(29) عبد الستار خليف "النهوض بالمرأة ومشاركتها في التنمية"، صحيفة الوطن العمانية، 10 أكتوبر 1994م.

(30) المصدر: موقع جامعة بيرزيت: http://home.birzeit.edu/dsp/DSPNEW/arabic/phdr/ahdr-zahira.html

(31) حسب المقابلة المنشورة في صحيفة البيان الإماراتية مع الشيخة فاطمة بنت مبارك قرينة رئيس الدولة الراحل فإن عدد خريجات جامعة الإمارات حتى الدفعة التاسعة عشرة التي تم تخريجها في شهر مايو 2000م (18 ألفاً و228 خريجة) من

مختلف كليات الجامعة، ومن كليات التقنية العليا الدفعة الثامنة التي تضم 1056 خريجة ليرتفع بذلك عدد الخريجات من كليات التقنية العليا منذ إنشائها في أكتوبر 1998م إلى 3375 خريجة، المصدر: جريدة البيان، تاريخ 2000/12/23م.

(32) صحيفة البيان الإماراتية 9 ديسمبر 2001م.

المصدر: http://kalema.net

============

#سياسة مواجهة تحديات العولمة ضد المرأة والمجتمع 1 - 2

أفراح بنت علي الحميضي

إنَّ خطورة التحدِّيات التي جاءت في رِكاب العولمة والقائمة على تذويب الفوارق الدينية وكسر الحواجز الاجتماعية ومحاولة إزالة الحدود الجغرافية لتسهيل مرور المعلومات وإشاعة أنماط السلوكيات الغربية ممَّا يؤدي إلى تمييع الثوابت العقدية والأخلاقية، ومن ثمَّ تحويلها إلى حرية مُطلقة في المعتقد، وبالتالي الوصول إلى الهدف الذي تسعى له العولمة، وهو زيادة معدَّلات التشابه بين سائر الجماعات والمجتمعات، وذلك من خلال توحيد الرغبات والتطلعات وطرق النظر إلى الذات والآخر، ومن خلال توحيد الأذواق والعادات الاستهلاكية.

إنَّ خطورة ذلك أنَّ الذي يقود تلك العملية هو الطرف الأقوى في معادلة العولمة، ولذلك فإنَّ مبادئه هي التي ستسود، وبما أنَّ العولمة لا تسير في طريق واحد بل تمضي وبشراسة منطلقة في كل اتجاه متخطية كل الحواجز، فإنَّ أثرها يعمّ جميع النواحي الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، وينتج عن ذلك عولمة سياسية واقتصادية واجتماعية وتوجيه للأفكار والثقافات. وخطورة أخرى هي أنَّ الأمم المتخلِّفة أو المتوسطة التنمية هي التي تُذاب أو تذوب حين تخترقها العولمة. وحين تمضي قوافل العولمة الاقتصادية تنهب الطريق لمزيد من الضغط الاقتصادي على الدول الفقيرة، فإنَّ المعادلة الاقتصادية تنقلب. فبينما كان الاقتصاد فيما مضى في خدمة العقيدة والسياسة والإستراتيجية، نجد في ظل العولمة قد أضحى ذلك كلَّه في خدمة الاقتصاد 4. إنَّ من الخطورة محاولة العولمة تبنِّي الحرية المُطلقة بلا أية ضوابط، ممَّا قد يؤثِّر حتماً على قيم المجتمعات ويؤدي إلى استبدالها بمفاهيم غربية

مؤدلجة طارئة، وبالتالي ستؤثِّر تلك الحرية على استقلالية الأمم الفكرية، إذ تحاول العولمة في إطار ذلك تهجين الأفكار وتحويل المجتمعات عمَّا ألفته من أخلاق وما تعارفت عليه من تقاليد وأعراف، ووسيلة العولمة في ذلك محاولة اقتحام المجتمعات الإسلامية بأساليب لها طابع الحداثة والتقدُّم، وفي ذات الوقت تعمل على نسف كل قديم صالح ليحلَّ محلَّه جديد لا يلتقي مع الدين5 كما أنَّ وسيلة العولمة في ذلك السرعة في حركة الانتشار والتهميش المستمر للاعتبارات والمعطيات المحلية، وحيث إنَّ التشكيل الثقافي والحضاري الغربي هو المحيط الذي وُلدت ونشأت فيه العولمة الحديثة، فإنَّ العولمة لأجل ذلك ليست مُطلقة ولا بريئة ولا محايدة، ذلك أنَّها وقد وُلدت من رحم الغرب الذي ينكر مرجعية الوحي ويدفع إلى اعتماد المرجعيات البشرية المتناقضة.

وإنَّ اختراق العولمة للمجتمعات أمراً خطيراً، إذ بذلك الاختراق تفقد المجتمعات هويتها المميَّزة لها مما يسهِّل ذوبانها في بحر العولمة، ذلك أنَّ المطلوب من المجتمعات المسلمة أن تتنازل عن هويِّتها وخصوصيتها الثقافية حتى تقترب من المفاهيم الكونية التي تنشرها العولمة، وإلاَّ فالنبذ والتهميش سيكون مصيرها، أمَّا المفاهيم التي تخترقها العولمة في النطاق الاجتماعي، فيشمل أنماط السلوك، الأسرة، المرأة، الرعاية الاجتماعية، قضايا حقوق الإنسان...الخ وأسلوبها مع سائر المجتمعات عامَّة ومع المجتمع المسلم خاصة، يعتمد على تهميش المفاهيم العقدية والشرائع السماوية وفي نفس الوقت تبذر مفاهيم جوفاء.

إنَّ خطورة العولمة كما أوجزت تستدعي تضافر الجهود من أجل مواجهتها، ذلك أنَّنا إذا كنا حقيقة لا نستطيع رفضها، فعلى الأقل نستطيع أن نحسِّن وضعنا وموقفنا في هذه المعمورة من خلال ركائز أساسية تشكِّل أولويات في سياسة المواجهة، وهذه الركائز هي:

أولاً: تنمية حسّ الممانعة والصمود:

وتنمية هذا الحسّ على المستوى الفردي والجماعي يستلزم عدم الاستسلام للمنهجيات الرأسمالية ونشر الوعي بالعولمة، طبيعتها ومجالاتها وتأثيراتها، وتنمية ذلك الحسّ يتطلَّب رفض سياسات الاستسلام والعزلة، وسياسة الانتفاضات السريعة والمؤقتة.

ثانياً: تدعيم الأمن الثقافي:

ويتأتّى ذلك من خلال العلاقة الواعية مع الثقافة ومحاولة إيصالها لكل أفراد المجتمع لتشكِّل درعاً يصمد تجاه كلّ عمليات العولمة، وأيضاً من خلال تنمية الوعي الذاتي بغرس المفاهيم الثقافية الذاتية، وذلك عن طريق التربية الأسرية ومناهج التعليم ووسائل الإعلام. ولتحقيق الأمن الثقافي والاجتماعي لا بدَّ من السعي بخطوات حثيثة لمجابهة ما تقوم به العولمة من تنميط الأذواق والأعراف من خلال تجذير الفروق الفردية بيننا وبين ما تدعو له العولمة، ووضع أساس بيِّن وركيزة واضحة لتوضيح خصوصية الرؤية الإسلامية للحياة والموت، الدنيا والآخرة، العلاقة عموماً بالخالق، الحلال، الحرام، وحدة الأمَّة الإسلامية.

إنَّ تحقيق ذلك كلّه سيؤدي إلى تقوية إرادة التمنُّع عن الذوبان الثقافي والاجتماعي في تيَّار العولمة وفق خصوصية تتميَّز بها الأمَّة الإسلامية نابعة من قوله – تعالى –: (كُنتم خير أمَّة أُخرجت للناس)

ثالثاً: وضع إطار عملي لتطوير الواقع:

ويشمل ذلك:

أ/ إعادة بناء البنى الإدارية والاقتصادية والسياسية بشكل يقضي على اليباس الإداري من أجل خطوات قويَّة للتكيُّف مع العالم بشكل إيجابي.

ب/ بلورة استراتيجية عملية فعَّالة للاستفادة من كل الفرص التي توفِّرها العولمة والعمل على التمكين لحضور إسلامي فعَّال في مسيرة العولمة.

ج/ إعادة بناء النُظُم التعليمية والتربوية بحيث تكون منسجمة مع متطلّبات التنمية الشاملة، وفي إطار ذلك فلا بدَّ أن تشمل تربية النشء إبراز القدوات التي تتخذها الناشئة مسباراً لسلوكيَّاتها. إنَّ مواجهة العولمة تتطلَّب العطاء المجَّاني من كافَّة أفراد المجتمع، ذلك أنَّ وضع مجالات التربية في أضعف موقف ممَّا يسهِّل الهجمة الشرسة فيُصبح المجتمع المهاجم كجيش فقد سلاحه.

رابعاً: توفير الإطار المرجعي:

إنَّ تلك الركيزة ضرورية لتقييم الأسس والمفاهيم والسلوكيات التي تقوم عليها العولمة، ونحن كأمَّة إسلامية لا نستطيع أن نكون إطاراً مرجعياً بعيداً عن الإيمان بالله واليوم الآخر والقيم الإسلامية.

لمَّا كانت العولمة تتَّخذ كما ذكرت مسارات عديدة عدَّة، إذ تهجم بلا هوادة، فإنَّ المسار الاجتماعي كان من أبرز المسارات التي وطأته بأقدامها، كيف وأنَّ تأثيراتها تطال الأسرة، المرأة، القيم والعادات والتقاليد. وقد سعت العولمة عبر أقنية المرأة والعنف والفقر والرعاية الاجتماعية والتعليم والصحة والعمل، هادفة بذلك إلى تحطيم الرؤى المحلية الخاصة بمعالجة تلك القضايا، وفارضة رؤية موحَّدة تخالف الخصوصيات وتعارض القيم والدين، ولكي نتمكَّن من مواجهة تيَّار العولمة بخصوص تلك القضايا، فإنَّ تضافر الجهود لوضع إطار عملي يسعى إلى مجابهة ما قد تفرضه العولمة من محاولات لدمج المجتمعات في إطارها هو الحل الأمثل.

وفي هذا الإطار فإنَّ علينا أن نؤكِّد أنَّ رؤيتنا للأشياء لابدَّ أن تتم من خلال منظارنا المتوافق مع قيمنا، لا من خلال رؤية الآخرين، كما لا بدَّ أن نراعي تميُّزنا كأمّة لها الخيرية، فإنَّ هذا هو السبيل الأقوم للحفاظ علينا من الإذابة في بحر النمطية والعولمة.

فبالنسبة لقضايا الفقر:

فعلى الرغم من أنَّ العولمة لا تقدِّم سوى وعوداً جوفاء لحل مشاكل الفقر، فإنَّ الملاحظ أنَّ مشكلة الفقر ستتزايد من خلال المشروع الكوكبي، ذلك أنَّ الأغنياء لا يقدِّمون في إطار التسارع العظيم للربح إلا مزيداً من المستهلكين ومزيداً من الفقراء، حيث أنَّ النهم العظيم للربح يجعل مزيداً من الفقراء يُداسون تحت عجلة العولمة الاقتصادية.

وبهذا الخصوص فإنَّ على المجتمعات الإسلامية مواجهة تلك المشكلة من خلال:

على مستوى العالم الإسلامي:

. دعم البنك الإسلامي للتنمية ليدعم مشروعات التنمية في البلاد الإسلامية، ممَّا لا يدع مجالاً لمحاولات البنك الدولي بالتدخُّل في الدول، ذلك أنَّ أمام الدول النامية

والفقيرة خيارين: إمَّا الاستفادة من الميزات المقدَّمة من المؤسسات المالية العالمية، إذا ما التزمت بالشروط المُعلنة مقابل تدخُّل تلك المؤسسات في الكثير من خصوصياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وإمَّا المحافظة على سيادة الدولة ورفض أي تدخُّل في شؤونها، مما يجعلها رهناً للفقر والانعزال.

ـ تهيئة الفرص لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، مما يؤدي إلى إنشاء السوق الإسلامية المشتركة، وبالتالي يقلل من وقوع الاقتصاد الإسلامي تحت رحمة البضائع الأجنبية ويدعم الاكتفاء الذاتي.

ـ إبراز المشروع الإسلامي فيما يخصُّ مواجهة الفقر عبر مبدأ التكافل الاجتماعي (الزكاة، الصدقات، صلة الرحم المادية... الخ).

على مستوى الدولة:

. أن تقوم الدول الإسلامية بتوفير سعر ملائم للمواد الاستهلاكية، ومن المناسب أن تدعم الدول في مجتمعاتها إنشاء جمعيات استهلاكية تعاونية يسهم بها الفقراء ومحدودي الدخل.

ـ إقامة المشروعات وأماكن التسوُّق والورش والمزارع والأنشطة الصغيرة، وهي المشروعات التي ظلَّت على مدار التاريخ أبواب رزق مرضية للشريحة الأضعف في المجتمع، ولتحقيق ذلك فعلى الدولة منح قطع أراضٍ لذوي الدخل المحدود أو لراغبي القيام بأعمال لا تحتاج لرؤوس أموال كبيرة ومساعدتهم عن طريق الإقراض المالي وعن طريق سنِّ القوانين التي تعينهم على الصمود في وجه الطغيان الرأسمالي، ومن المفيد أن تشترط الدولة عند ترسية مشروعاتها تخصيص جزء من تنفيذ تلك المشروعات لأصحاب الأعمال الصغيرة دعماً لهم.

وبالنسبة لقضايا التعليم:

إنَّنا بحاجة لخوض بحر العولمة والتمكين لأنفسنا في المشروع الكوكبي العملاق من خلال تدعيم البرامج التربوية والتعليمية ومسايرة التطورات العالمية في وسائل وتقنيات التعليم، وإلاَّ فإنَّ مكاننا في المنظومة العالمية سيكون في آخر الركب، حيث نحبو وقد وصل محرِّكو العولمة إلى آخر السباق يوجِّهون ويسيطرون ويحرِّكون من يرغبون، ويتأتَّى ذلك من خلال:

ـ دعم مشروع التعليم للجميع في كافة البلاد الإسلامية، فلا يكون من حقِّ الطبقة المترفة أو الغنية فقط.

ـ تحسين أوضاع البحث العلمي في البلاد الإسلامية، فمن المؤسف أنَّ أوضاع البحث العلمي محبطة في عالمنا الإسلامي، فبينما نجد أنَّ حصيلة:

البرازيل 42 بحث لكل مليون شخص

وفرنسا 840 بحث لكل مليون شخص

وسويسرا 1878 بحث لكل مليون شخص

نجد أنَّ العالم العربي بأسره 26 بحث لكل مليون شخص 14.

وهي حصيلة لا تؤهلنا لمكانة أسمى في المجال الكوكبي، ولذلك فنحن بحاجة إلى:

• الاهتمام بالمشاريع العلمية البحثية دعماً وتشجيعاً ونشراً وتمويلاً.

• تحسين أوضاع البحث العلمي عن طريق تغيير المناهج الدراسية وأن تتحوَّل من التلقين والحفظ إلى الفهم والبحث وإجراء التجارب، ممَّا يؤدي إلى تنمية روح البحث وملكة النقد لدى الطلاب، ولتحقيق ذلك فلابدَّ من تزويد المدارس والمعاهد بالورش والمعامل والمختبرات. كما إنَّ دعم التعليم التقني والتوسع فيه أفقياً ورأسياً مما يجعل التعليم التقني هو القاعدة.

• إعادة بلورة الأهداف العليا لتعلمي الفتاة بحيث يكون الهدف الرئيسي هو إعداد الفتاة لتؤدي عملها داخل مملكتها، لا أن يكون الهدف الرئيسي هو أداء عملها خارج منزلها.

وبالنسبة لقضايا الرعاية الاجتماعية:

إنَّ الإفراز الأسوأ الذي ستفرزه العولمة هو سحق المحتاجين اجتماعيا للرعاية من المعاقين وكبار السن والأرامل والأيتام والمطلّقات، حيث تقوم العولمة على نظرية أساسية هي أنَّ الكبار يسيطرون والصغار يذوبون، وأنَّ الأقوياء والضعفاء يُستعبدون، والأصحَّاء يعيشون والضعفاء يموتون، وفي ذلك فإنَّ احتمالية تأثُّر مستوى الرعاية الاجتماعية لمن يحتاجها هو المنتظر في خضم تلك الهجمة، حيث أنَّ الفئات التي لا فائدة منها في الإنتاج الاقتصادي فإنَّ أية رعاية لها لن يُجنى من

خلالها أي ربح، وبالتالي فإنَّ مستويات تلك الرعاية ستتأثَّر من خلال الاندماج الكوكبي. ولمجابهة تلك النتيجة السيئة فإنَّ على الدول المسارعة لـ:

. دعم المشاريع الخيرية والربحية فيما يخص رعاية ذوي الحاجات الخاصة.

. دعم الأرامل والمطلَّقات والأيتام بتوفير أفضل الضمانات الاجتماعية لهم.

. نشر الوعي إعلامياً فيما يخصُّ استثارة دعم أصحاب رؤوس الأموال في إنشاء دور التربية ودور الحضانة الاجتماعية ودعمها معنوياً ومادياً.

. التوسُّع الأفقي في نشر الرعاية الاجتماعية، وألاَّ تكون خاصة بالمدن الكبيرة، فإنَّ المحتاجين للرعاية الاجتماعية ينتشرون على الأغلب في المدن والقرى البعيدة عن مراكز الاهتمام السياسي والاقتصادي.

وبالنسبة للصحة:

ففي إطار الخوض النهم للكسب المتسارع تتساقط قضايا الصحة والبيئة، حيث لا يهتم مؤيدو المشروع الكوكبي بما يطال الأفراد من تردٍ صحي والأجواء من تردٍ بيئي، وهو أمر ملحوظ، إذ حين تدوس عجلة العولمة على القيم والسلوكيات تخرج الأمراض التي لم تحدث في الأمم من قبلنا. وإذ ينتشر دخان المصانع تتلوث البيئات بما يؤثِّر على الصحة العامة وتنتشر الأوبئة. وإذ يقوم الطامعون في الكسب بالبحث عن أسهل وسيلة للتخلُّص من نفايات مصانعهم، فإنَّ البحار تكون ملاذاً لها فتتلوَّث مياه الشرب وأغذية البشر. وإذا كانت الدول التي تسمِّى الكبرى وتدير دفَّة العولمة لم تستطع أن تحقق أمناً صحياً وبيئياً شاملاً وهي زعيمة العولمة، فإنَّ الدول النامية والدول الإسلامية منها ستقع في مأزق إذا لم تراع ذلك الجانب وتحقق التوازن بين التطوُّر الاقتصادي والرعاية الصحية، ويتبع ذلك الاهتمام بالنواحي الآتية:

. إنشاء المشافي التي لا تهدف إلى الربح وإنَّما تتقاضى رسوماً لتشغيلها ويدخل في ذلك دعم المستشفيات الخيرية بالأطباء المتطوِّعين.

. دعم الأبحاث فيما يخصُّ الأمراض الوبائية والمستعصية والمزمنة، وذلك من خلال إقامة المعاهد البحثية الملحقة بالمستشفيات.

. زيادة الاهتمام بتلوث البيئة وطرق الوقاية.

. تكثيف إجراءات الطب الوقائي ودعم مجالات التوعية الصحية والبيئية.

. دعم مكافحة المخدرات والمهدئات بكافة صنوفها.
ـ توفير أقصى حد من الرعاية الصحية للطفل والمرأة عن طريق إنشاء مشافي الأمومة التي توفِّر خدمات عالية في مجالات مختلفة في كافة المناطق.
. نشر الخدمات الصحية رأسياً وأفقياً.
ـ التأكيد عند خصخصة القطاع الصحي أن يكون للدولة يد في وضع الأنظمة واقتراح الأسعار لئلا تكون خدمات ذلك القطاع وفقاً للعرض والطلب، مما ينتج عنه تردِّي الخدمات.
وبالنسبة لقضايا حقوق الإنسان:
إنَّ أبرز ما أنتجته العولمة السياسية، التركيز على قضايا حقوق الإنسان باعتبارها قضايا تهم المجتمع الدولي وتعطيه الحق في اتخاذ إجراءات تأديبية ضد من يتعدَّى على هذه الحقوق، وهو أمر جعل حماية تلك الحقوق تفقد قيمتها بالاستغلال الحاصل لها في التدخُّل بشؤون الدول، وبما أنَّ الإطار الإنساني للشرعة العالمية لحقوق الإنسان متوافق مع القيم والفلسفات الغربية للإنسان والحياة، مما يوحي أنَّ تلك الحقوق تتخذ صبغة موحَّدة يجب فرضها أو إملاؤها على سائر الشعوب والحضارات باسم حقوق الإنسان. فإنَّ تلك المسألة تُعدُّ إفرازاً سيئاً للعولمة ومحاولة إلغاء الآخر بثقافاته ونظمه وسلوكياته، ولكي لا تُعدُّ تلك الشرعة الدولية مجازاً لمرور تدخلات الدول الكبرى في السياسات الداخلية للدول الإسلامية، فإنَّ من المناسب التأكيد على:
. صلاحية الشريعة الإسلامية كقانون لحقوق الإنسان وقانوناً للأحوال الشخصية.
ـ التأكيد على ما يتيحه الإسلام من مساواة بين مختلف الأفراد في حقِّهم الإنساني وحقوقهم الاجتماعية والاقتصادية.
. رفض أي مبرر لتدخُّل القوى الكبرى في الدول بحجّة حماية حقوق الإنسان، ومن المناسب عدَّ ذلك معارضاً لسيادة الدولة.
ـ قيام وسائل الإعلام بدورها في تحصين المجتمعات المسلمة ضد فرض النموذج الغربي عليها فيما يخص الحريات وحقوق الإنسان.
11–ربيع ثاني–1426 هـ

19-مايو-2005

المصدر : http://www.lahaonline.com

===========

#سياسة مواجهة تحديات العولمة ضد المرأة والمجتمع 2 - 2

أفراح بنت علي الحميضي

المرأة في المشروع الكوكبي:

لم يغفل مسيّرو مشروع الكوكبي أنَّ المرأة هي أهمُّ قناة يجب أن تستغل من أجل تمهيد الأجواء للاجتياح العولمي ووسيلة العولمة في ذلك عدد من المجالات لعلَّنا نهتم بمجالين استغلتهما العولمة، وهما عمل المرأة وقضية العنف ضد المرأة، ولمجابهة ذلك الاستغلال الملحوظ، من المناسب أن نتعرَّض لما يجب التأكيد عليه في هذين المجالين:

1/ عمل المرأة:

. لا بدَّ من التأكيد على:

أ . أنَّ عمل المرأة طارئ وليس حتمياً، وفي ذلك لابدَّ من الوقوف بحزم ضد محاولات الرأسماليين والمنظمات الدولية جعل عمل المرأة قاعدة وعملها في بيتها شاذاً، فهذا قلب للأصل الفطري والفطرة السويَّة وفيه خدمة لمصالحهم من جهتين:

1/ دعم القوى البشرية لديهم.

2/ صرف المرأة عن وظيفتها السامية بتقليل فترة مكوثها في البيت، ممَّا يساعد على تقليل فرص تحصين الأطفال ضد ملوِّثات التربية.

ب . التأكيد على سلامة الموقع الذي تمارس فيه المرأة عملها من حيث طبيعته وخلوِّه من المحرَّمات الشرعية.

. توسيع أوعية العمل أمام المرأة المسلمة في إطار تعاليم الإسلام وأخلاقه 16.

ـ دعم مشاريع اقتصادية إسلامية تقوم على بنية اقتصادية قوية من أجل توظيف الآلاف من النساء الفقيرات اللاتي تعتمد أسرهن عليهن في كثير من الدول الإسلامية، بحيث تحافظ تلك المشاريع على كيانهن كنساء مسلمات، مما لا يضطرهن للعمل وفق ظروف صحية ونفسية وجسمية صعبة في مصانع ومشاريع

خاضعة لكبار الرأسماليين، حيث تُعامل النساء كالآلات البشرية بجوار الآلات الحديدية.

. وأخيراً اتخاذ نهج المملكة أسلوباً وأنموذجاً فيما يخص عمل المرأة.

2/ العنف ضد المرأة:

حقيقة إنَّنا لا يجب أن نكون هنا مدافعين عمَّا يحدث في المجتمعات من عنف تجاه المرأة أو الطفل، إنَّما يجب أن نشير أنَّنا لسنا مجتمعاً يخلو من هذه القضايا، لكنّنا نعدها أخطاءً، وهي قد وقعت حتى في عهد النبوة (لقد طاف بأبيات محمد نساء كثيرات يشتكين أزواجهن، ليس أولئك بخياركم) كما قد نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ضرب النساء وحدده في القرآن الكريم بحالة معيّنة ومشروطة، لكننا هنا ندافع وبقوة عن الرؤية الإسلامية في معالجة تلك القضية من خلال منظارنا الإسلامي، لا منظار دول العولمة، وبهذا الخصوص:

أ/ تحديد مفهوم العنف ضد المرأة، فهل يُعدّ عنفاً في مجتمعنا إجبار الزوج زوجته على ممارستهما حياتهما الزوجية كما جاء في مؤتمر بكين البند رقم (13) وكما جاء في المؤتمر نفسه بند (125)..(التنديد بكل ممارسات العنف ضد المرأة ومطالبة الحكومات بعدم وضع الاعتبارات التقليدية أو الدينية موضع التنفيذ).

ب/ لماذا لا يُعدُّ عنفاً ما تمارسه صناعة السينما، حيث أعادت السينما صياغة المرأة في الوجدان العام ونزعت عنها مكانها وعزَّتها من إنسانيتها وكينونتها الحضارية بعد أن عرَّتها من ملابسها وتدخَّلت في خصوصياتها الثقافية والاجتماعية، لماذا لا يُعدّ ذلك عنفاً ضد المرأة كإنسان وككيان له ذاكرة وله وعي وله خصوصية.

ج/ لماذا لا تُعدّ صناعة الأزياء (الموضة) نوعاً من العنف ضد المرأة، ذلك أنَّها صناعة لا تقل عنفاً وشراسة عن صناعة السينما، حيث تقترب عروض الأزياء من الإباحية الصريحة، إذ يتفنّن أبطال تلك الصناعة في طمس الشخصية الإنسانية والاجتماعية للمرأة، وتتحوَّل المرأة من عالم الحياة الخاصة والطمأنينة، إلى عالم الحياة العامة والسوق والهرولة والقلق.

د/ ولماذا لا تُعدّ صناعة مستحضرات التجميل نوعاً من العنف الموجَّه للمرأة حيث جعلت هذه الصناعة المرأة هدفاً أساسياً لها من خلال آلاف المساحيق والعطور وخلافه، مما جعلها سوقاً متجددة كل عام.

هـ/ ولماذا لا تُعدُّ مسابقات ملكات الجمال عنفاً موجهاً لإنسانية المرأة حيث تعامل المرأة كجسد يثير الشهوة المحرَّمة.

و/ ولماذا لا تُعدّ صناعة الإعلانات عنفاً موجهاً ضد المرأة، حيث تُستخدم المرأة لتصعيد الرغبات الاستهلاكية عند الرجل والمرأة، كما قد تعاملت صناعة الإعلانات مع المرأة باعتبارها جسداً مادياً محضاً موضوعاً للرغبة المادية المباشرة.

إذا كانت العولمة تنادي بإيقاف العنف ضد المرأة، فنحن ننادي بذلك، لكنّنا لا نريد الجسر الذي يعبرون منه أن نهرول خلفهم عبره، فلا بدَّ أن نأخذ موقفاً واضحاً تجاه اتفاقية إلغاء التمييز ضد المرأة، فما في هذه الاتفاقية من خير فقد سبق الإسلام له، وما فيها من باطل فهو عنصرية وتمييز تغافلوا عنه وعنصرية يريدون نشرها من خلال نشر ثقافتهم هم وإلغاء ثقافة الآخر يعززها شعورهم الوهمي بالتفوق، بل إنَّ بعضاً من بنود هذه الاتفاقية تُعدُّ عنفاً ضد المرأة، فكيف تُلزم المرأة بالعمل في جميع الأعمال بما فيها المحاجر والمناجم أو إلزامها بالعمل في الأعمال الليلية؟

ويمارس البنك الدولي وحكومات الدول الغربية ضغوطاً على دول العالم الثالث للتوقيع على تلك الاتفاقية18، ألا يُعدُّ ذلك عنصرية؟

من خلال هذا المحور فإنَّ مواجهتنا لما تفرضه العولمة من تحدِّيات ضد المرأة والمجتمع لابدَّ أن ينبع من إحساس الجميع دولاً وأفراد بأنَّ المجابهة لابدَّ أن تتوازن مع التحدِّيات أو تتفوّق عليها، وإلا فإنَّ التهميش ثمَّ الإلغاء والذوبان هو النتيجة.

وحفظ الله أمّتنا.

17-ربيع ثاني-1426 هـ

25-مايو-2005

المصدر : http://www.lahaonline.com

=============

#العولمة 1 - 2

الظاهرة والتحديات

د. بدران بن الحسن (*)

ظاهرة العولمة:

تعد العولمة أهم ظاهرة تشهدها الحضارة الإنسانية والتاريخ العالمي في وقتنا الحاضر، وهي مصب لمجرى التاريخ الذي طالما سارت به سننه ليصل بنا إلى تقدم بشري في مختلف مجالات الحياة بطريقة أصبح الوجود الإنساني شديد التشابك والارتباط.

كما أن العولمة مسار من عملية أوسع ينخرط من خلالها الشعوب والدول عبر القارات والأقاليم في ترابط وعلاقات أوثق، أفرزت نمطا من العلاقات ومجموعة من القيم، وأظهرت للوجود نوعا من المؤسسات المشتركة لم تكن معهودة من قبل.

ولعل الطابع التكنولوجي والاقتصادي والإعلامي للعولمة زاد من أثرها الثقافي والاجتماعي والسياسي، فصارت الأرض كلها تقوم مبادئ السوق والتبادل التجاري والإعلامي والتكنولوجي، وانتهت بموجبه كثير من مفاهيم الاستقلال والصياغات المحلية لمفردات الحياة، وتشكل وعي بالوجود المشترك، الذي يصنعه البعض ويستهلك مفرزاته البعض الآخر.

تحديات العولمة:

إن العولمة تواجهنا بمجموعة من التحديات في مختلف المستويات، وفي مقالنا هذا نحاول أن نتناول أهم ثلاثة مستويات تواجهنا فيها تحديات كبرى في عصر العولمة، هذه المستويات هي: المستوى المعرفي والمستوى الأخلاقي والمستوى الكوني.

1. تحدي النموذج المعرفي:

إن النسق المعرفي الغربي الذي يؤطر المعرفة ويثريها بمقولاته، والرؤية الغربية لله – عز وجل – والكون وللكون والحياة هي التي تسيطر على توجهات أغلبية شعوب الأرض الآن، وتحاصر ثمرات هذا المنهج وعي الإنسان وفكره وسلوكه ورغباته، حتى تكاد تأسر رؤية الإنسانية للوجود، فأصبحت الحضارة الغربية "قانون العصر المهيمن(1).

فالغرب أتلف قداسة الوجود في النفوس والضمائر والثقافة، بسبب منشأ ثقافتها التي أطلقت عليها اسم العلمية، والتي أخضعت كل شيء وكل فكرة إلى مقاييس الكم منذ عهد ديكارت. ذلك أن المادية المتمركزة، والكمية التي أشيع عنها أنها هي العلم وهي المنهج العلمي الصحيح، صارت معيارا لقيا مدى صحة أو علمية أي فكرة أو شيء في هذا الوجود.

فالتطور الهائل الذي عرفته العلوم الطبيعية والتكنولوجية وحتى الإنسانية، قائم على الفكر المادي، والفلسفة المادية التي طغت على الحضارة المعاصرة، سواء في أصولها النظرية أو في تطبيقاتها الاجتماعية والسياسية.

فصار المجال العقائدي وفق النظرة المادية الوضعية من قبيل الشأن الشخصي الذي لا يخضع لمنطق البرهان الاستدلالي العقلي، وبالتالي لا يمكن اعتباره علما، وفي هذا يقول أنجلز: "إن أي عقيدة دينية ليست سوى انعكاسة خرافية في ذهن الإنسان للقوات الخارجية التي تسيطر على حياته اليومية، وفي ذلك الانعكاس تكتسي القوات الأرضية شبح قوات لاهوتية"(2).

فالمنهج المعرفي الغربي مادي في أساسه، متمركز على المادة، وبالتالي فهي تنكر الغيب وما يتصل به من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وترفض الحضارة الغربية وفق منهجا العلمي أي مصدر آخر للمعرفة خارج عن نطاق الفحص الحسي المادي، الخاضع للتجربة المخبرية أو المشاهدة.

وبما أنها مادية فإنها تخضع كل شيء لقوانين المادة من تحول وتغير، ولا يوجد هناك ما يسمى ثابت مثل القيم والأخلاق، لأنها ليست أشياء يمكن تقديرها بالكم، فالصدق بما انه لا يمكن وزنه ولا قياسه بالكمية أو بالأرقام فهو – في المفهوم الغربي – شيء مفتعل وغير موجود، ولا ثمرة من ورائه.

والعلوم الإنسانية في طابعها العلماني الحديث وزخم الاكتشافات الخارقة والمكتسبات الهائلة التي أحرزت عليها أدت من حيث أبعادها الأخلاقية والروحية والإنسانية إلى متاهات عقائدية. فسلبت الإنسان من مكوناته الأساسية التي ترتفع بها فطرته البشرية، وتعتدل بها نفسيته، وتتزكى بها عقليته ويتسامى بها ضميره وروحه(3).

2. تحدي الأزمة الأخلاقية:

من أهم التحديات التي تواجهنا بها العولمة تحدي الفساد الأخلاقي الذي يكتسح العالم بفعل غياب بعد الأخلاق في الحياة المعاصرة، والقيمة الخلقية أرقى من السلوك التجاري الذي يظهر في تصرفات الكثير، وليس الغاية من ذلك نداء الضمير بقدر ما هو بروتوكولات وإتكيت وبالتعبير الغربي (Ethics)، وهناك فرق بين الخلق الذي هو ألصق بالفطرة ونداء الضمير والتزام التقوى، وبين الإثيكس بالمفهوم الغربي الذي يراعي المظهر الشكلي دون الجوهر.

لقد غدت الأخلاق بالمفهوم الغربي ذات بعد نفعي تجاري، فالرجل لا يكذب لأن سمعته تتأثر، فإذا لم تتأثر فليس في الأمر تثريب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التحلل من القيم صار موضة، وعلامة على الحضارة الغربية التي هتكت الأستار وعرّت الإنسان، وتجاوزت في إباحيتها كل وصف، وهذا الذي دفع كثيراً من الشباب إلى الاستقالة الاجتماعية من الحياة؛ إما عن طريق الانتحار بطرقه المختلفة، وإما بالانغماس في عالم الرذيلة والمخدرات والفجور، مما أصبح يهدد الأسرة بالانهيار والتفكك، ويقضي على قيم التآلف والرحمة والعطف، وكل القيم الروحية التي تفتح أمام الإنسان أبواب الأمل في الحياة الكريمة، وتخفف عنه آلام حضارة البعد الواحد.

وللأخلاق دورها الريادي في تحقيق سعادة البشرية، وفي صياغة وجهة البنيان الاجتماعي، وتزويده بالمبررات الغيبية اللازمة لحفظ التوازن بين مطالب النفس وتطلعات الروح، وبين زخم الحركية الاجتماعية.

يقول مالك بن نبي في موقع الأخلاق من البناء الاجتماعي: "إن القيمة الأخلاقية لها أهميتها في الحفاظ على البناء الاجتماعي والحضاري، إذ تحمي البنيان الاجتماعي من التفكك وتعطيه قيمة فوق أرضية، وتدفع النفَس الحضاري إلى الاستمرار في الإنجاز وتزوده بالمبررات التي هي أسمي من الكسب المادي وحياة الترف. ومن هنا ندرك سر القيمة الأخلاقية التي خص بها محمد – صلى الله عليه وسلم – الفضائل الخلقية باعتبارها قوة جوهرية في تكوين الحضارات"(4).

3. تحدي الفساد الكوني:

إن المجتمع الغربي والعالم كله يدفع حاليا ثمن الثورة الصناعية...وملاحظة سريعة لبعض الإحصاءات تشير إلى التدهور الخطير الذي أحدثته هذه الثورة في الطاقة الإنتاجية للطبيعة، وفي ازدياد التلوث، لدرجة تهدد الجنس البشري... فالغابات مثلاً بدأت تضمحل بمعدل 16 مليون هكتار سنوياً، ويفقد العالم 24 مليار طن من تربته السطحية، وتختفي العديد من المناطق الرعوية، وانخفض مستوى المسطحات المائية نتيجة للضخ الجائر لمياه الري... وتشير تقديرات الاتحاد العالمي لصون الطبيعة أن 1283000 جنس نباتي وحيواني مهدد بالانقراض، وإلى اختفاء 30 ألف نوع سنويا"(5).

كما أن تكنولوجيا القتل الجديدة تهدد بقتل البشر وغيرهم من الكائنات الحية، وأن الأسلحة الكيميائية، والبكتيرية الفيروسية، والنووية، من أحدث تقنيات هذه التكنولوجيا القاتلة للحياة على كوكب الأرض.

لقد حقق الإنسان الذروة فيما يستطيع به أن يدمر كل الكائنات الحية على الأرض والبحار... إن قنبلتي هيروشيما وناكازاكي وما أحدثتاه من الدمار... وحادثة محطة القوى النووية في تشيرنوبيل، قد أظهرت كيف يمكن حين لا يتم التحكم، في آلية محطة القوى النووية، أن تقتل المواد النووية المتفجرة الشديدة السريعة كل إنسان بالقرب منها، وتسبب دماراً إشعاعياً بالغ الخطورة للناس والكائنات الحية التي تعيش على مسافات بعيدة، بل حتى في القارات البعيدة(6).

و"إذا نظرنا إلى مخزون الولايات المتحدة وروسيا الذي يصل إلى مئة ألف سلاح نووي، تبلغ قوة كثير منها أكبر من القنبلتين اللتين ألقيتا على اليابان آلاف المرات، فإذا انفجر حتى جزء قليل منها فليس هناك احتمال أن يبقى على قيد الحياة أي كائن من الكائنات الثديية، كما سوف تقاسي الكائنات الأخرى من أضرار مرعبة، ولن يصبح العالم قابلاً للحياة بالنسبة للجميع"(7).

(*) دكتوراه في دراسة الحضارة والفلسفة، رئيس قسم البحوث في متحف الفنون والآثار الإسلامية بماليزيا، رئيس تحرير مجلة (المقدمة).

(1) انظر مقالنا: الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية رؤية معرفية، إسلامية المعرفة، العدد الرابع، ذو القعدة 1416هـ/ أبريل 1996م، ص 211-225.

(2) نقلاً عن أحمد عروة، العلم والدين مناهج ومفاهيم، ط1، دار الفكر، دمشق، 1407هـ/1987م، ص10.

(3) نفس المرجع، ص153. بتصرف.

(4) وجهة العالم الإسلامي، ص30.

(5) منذر سليمان، "مقولة هتنغتون.. صدام للحضارات أم دعوة للتطهير الحضاري؟ "، الحوار، نيسان/ أبريل1997، ص24.

(6) سير روي كالن، عالم يفيض بسكانه، ترجمة: ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة (213)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996م، ص ص147-149، بتصرف.

(7) المرجع نفسه، ص149.

1426/6/4

المصدر : http://www.almoslim.net

============

#العولمة 2 - 2

وعي الذات سبيل النجاة

د. بدران بن الحسن

في ظل هذه التحديات في مستواها العلمي، والسياسي، والاجتماعي، والحضاري، وبخصائص العولمة المتميزة بارتباط المصير الإنساني ببعضه البعض، وبإفلاس الأديان الأخرى أمام تحديات العلم، وهيمنة النموذج الغربي، الذي أصبغ فوضاه على العالم، فأصبحت أزمته أزمة عالمية، تأثرت بها كل الأمم والمجتمعات، إضافة إلى أزمتنا الخاصة بنا. وفي سبيل مواجهة التحديات التي يطرحها عصر العالمية، سواء على مستوى تحدي النموذج المعرفي، أو تحدي الأزمة الأخلاقية، أو تحدي الفساد الكوني.

في هذا كله، ما هو دورنا؟ وما العمل الذي يقوم به المسلم حتى يحفظ ذاته من الذوبان؟

وكيف يساهم في حل أزمة الإنسانية التي تنتظر منقذاً، يرفعها من مهاوي الإخفاق والجدل الوضعي وأوهام المادية، إلى مستوى نور الهدي الرباني، واستقامة المنهج، ووضوح الرؤية القائمة على التوحيد لله – عز وجل –؟

لا شك أن المأزق العالمي، الذي تعيشه الإنسانية إن على مستوى الروح أو المادة أو العقل وإن على مستوى الحضارة بعمومها، لا يمكن مواجهتها بالانكفاء على الذات، أو بالاستقالة من مجال صناعة التاريخ، كما "لا يمكن مواجهته بانفعال عاطفي بالإسلام، أو إيمان نظري بقدرة الإسلام على حل مشكلات البشرية، وأنه صالح لكل زمان ومكان"(1).

وإذا كان العالم اليوم موحد في مصيره، ويتوجه نحو تجميع قواه في صورة مصير مشترك، قد يصاغ على غير ما نرغب، وأن البشرية صارت تعمر الأرض، وكأنها في عمارة واحدة تتقاسم طوابقها الأمم، تربطهم وشائج، مهما كانت هذه الوشائج. فما هو دورنا نحن؟

فهل نتمثل قول الشاعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت *** غويت وإن ترشد غزية أرشد

أم هل نتبع سنن من سبقنا إلى الحضارة والتقدم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى إذا دخلوا جحر ضب دخلناه(2)؟ أم هل يكون لنا دور؟ فنوطن أنفسنا، جاء في الحديث: "لا يكون أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس فأحسنوا وإن أساؤوا تتجنبوا إساءتهم"(3)، وننقذ سفينة البشرية من الغرق، وننجو وينجو معنا غيرنا، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها..."(4).

إن أي دور للمسلم في هذا العصر، لا يمكن تصوره إلا دوراً قائماً على ركائز نحسبها مهمة، هذه الركائز تضبط هذا الدور، وتؤصله، وتحقق فيه الفعالية، وتمنحه

الوعي، وتجعله عملاً محققاً للقدوة العلمية والعملية. هذا الدور يقوم على نظرية واضحة عمادها الوحي إطاراً وتصوراً، والواقع ممارسة وإعماراً.

ومن أهم هذه الركائز التي تشكل ضامنا لتجاوز التحديات والحفاظ على كينونتنا الحضارية نجد الوعي بالذات الإسلامية، والوعي بخارطة الواقع الحضاري، وتكامل الأصالة والفعالية، ودخول التاريخ من باب الواجب، وتقديم نموذج عملي للإسلام مثلما كان على عهد السلف الصالح.

والوعي بالذات الإسلامية أمر ضروري، ومهم ودونه لا يمكن أن نحل مشكلاتنا، ولا أن نبلِّغ الهداية إلى الآخرين، ورسالتنا في عصر العالمية تتحدد بمدى فهمنا وتمثلنا للقيم الإسلامية، ولا يمكن أن نحقق التغيير المطلوب إذا لم نرتفع إلى مستوى الإسلام؛ لأننا لكي يتحقق التغيير في محيطنا يجب أن يتحقق أولا في أنفسنا، وبذلك تتوافر شروط رسالة المسلم في هذا العصر، وإلا فإن المسلم لن يستطيع إنقاذ نفسه ولا إنقاذ الآخرين.

ثم إذا كان منهج الرسالة يقتضي التغيير، والتغيير يقتضي تغيير ما بالنفوس أولا، إذا كان منهج الرسالة يقتضي هذا، فإننا نستطيع أن نتكلم عن وسائل الرسالة أو الطرق العملية لتطبيق هذه الرسالة كي تفي بمهمتها، ألا وهي الإنقاذ أو مواجهة حالة إنقاذ أو حالة طوارئ تخص المسلم وتخص الإنسانية عامة. عندها يجب على كل مسلم أن يحقق بمفرده شروطاً ثلاثة: أن يعرف نفسه، وأن يعرف الآخرين، وأن يعرف الآخرين بنفسه ولكن في الصورة المحببة(5). والأمر هنا يتمثل في الانسجام مع أهداف وغايات الرسالة الإسلامية، والتطابق معها، على مستوى التصور العقدي، وعلى مستوى الممارسة العملية.

والوعي بالذات الإسلامية يعني تحقيق وتمثل المثل الإسلامية، وأن يعيشها الفرد المسلم والمجموع، وأن تصبح صبغة لمفردات الحياة اليومية للمسلم، وليس فقط التلفظ بعبارات التوحيد والتوكل والرضا والإتقان للأعمال، وغيرها.

فالتوحيد الذي هو جوهر الذات الإسلامية، ينبغي أن يحياه المسلم في أبعاده الاجتماعية والنفسية والعلمية، فعلى المستوى النفسي يربط المسلم مصيره وأمله وتوجهاته وأهدافه بالله – عز وجل –، فيخلص التوجه إلى الله، ليحقق وحدته من

التمزق، وعلى المستوى الاجتماعي تنتفي مظاهر الصراع والتناقض ويكون توجه المجتمع نحو التكامل والتآلف، فتحكمه مبادئ الاستخلاف والإعمار والتسخير والعبودية لله – عز وجل –، وعلى المستوى العلمي يتحقق لدى المسلم وحدة الحقيقة، وانسجام سنن الله في الكتاب وفي الأنفس والآفاق والتاريخ، فلا يحدث عنده تناقض بين الوحي والكون، ولا بين الوحي والعلم؛ لأن الوحي هدي صادق، والعلم توجه صادق بحثا عن الحقيقة.

لهذا، فإن الوعي بالذات الإسلامية يقتضي أن يحياها المسلم ويحقق بها غايات الحق من الخلق، كما كان الجيل الأول رضوان الله عليهم، إذ كانوا قرآنا يمشي، فالمسألة لا تتمثل في تلقين أو في إعادة تلقين المسلم عقيدته؛ ولكنها تتمثل في إعادة تلقينه استخدامها وفعاليتها في الحياة(6).

ثم أن مواجهة أي غزو فكري تتطلب هذا الوعي بالذات، حتى يميز المسلم بين تفوق ذاته الإسلامية، وقصور مصدر هذا الغزو، وبالتالي تحقيق الحصانة من الغزو، والقضاء على عنصر القابلية للاستضعاف والغزو.

فقبل أن نواجه الغزو الفكري، لا بد من بناء شخصيتنا، وتحصين أنفسنا، لنصبح ممنوعين من تأثير الغزو، ليس عندنا قابلية له... وإذا تحصننا، لم يعد للغزو تأثير فينا.. ولهذا لا بد لنا إذا رغبنا ألا تؤثر فينا مخططات المتربصين، أن نبني شخصيتنا بحيث تكون مصبوغة بصبغة الإسلام، وموسومة بميسم الإيمان(7).

والوعي بالذات الإسلامية يستتبعه ويرتبط به ويكمله الوعي بالخريطة الحضارية للمجتمع الإنساني الراهن الذي يتشكل من حضارات، وكل حضارة تعبر عن نموذج حياتي متميز عن غيره، وفهم الحضارة مقرون بوعي مذهبيتها ونظامها الفكري ومشروعها الاجتماعي ومنهجيتها المعرفية التطبيقية(8).

كما أنه من الواضح أن الضمير الإنساني في هذا العصر لم يعد يتكون في إطار الوطن والإقليم، بل إن الضمير الإنساني إنما صار يتكون على ضوء الحوادث العالمية التي لا يستطيع أن يتخلص من تبعاتها، فإن مصير أي جماعة إنسانية يتحدد جزء منه خارج حدودها الجغرافية. فثقافة العالم أصبحت تتحدد أخلاقياً وتاريخياً داخل تخطيط عالمي(9).

خاصة مع التطور الذي دفعت به الحربين العالميتين الأولى والثانية، وتلاهما من تطورات وأحداث عالمية أحدثت تأثيراً في وعي الإنسان واهتماماته ولم يعد وعيه يتشكل بشكل انعزالي عن المؤثرات الخارجية، ومن هنا فالوعي بها، ووضعها في الحسبان يمكن من التفاعل الإيجابي معها. لذلك فإن المسلم نفسه ملزم بأن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية الرحبة، حتى يدرك دوره الخاص ودور ثقافته في هذا الإطار العالمي(10).

ولم يعد من المستساغ علمياً وواقعياً الغفلة عن ما يجري من حولنا في القرية العالمية، وإلا فإن وعينا سيصيبه الضمور، ونجهل المعالم التي تتحرك على منحاها أحداث التاريخ، فالمستوى الشخصي للمسلم حتى ولو نما نمواً نسبياً، يمكن أن يبدو في حالة تضاؤل، بقدر ما ينمو تطور الآخرين بسرعة أكثر، والواقع أن الوعي الاجتماعي الذي كان يتكون منذ حين في دائرة محدودة أمام منظر محدد عموماً، بنطاق بلاد معينة هي الوطن، قد أصبح يتكون اليوم في إطار أكثر امتداداً بدرجة لا تضارع، وفي منظر أكثر انفساحاً.

فالوعي بالذات الإسلامية والوعي بخارطة الوجود الحضاري الإنساني يتشكل ويتطور وينضج باتساع دائرة الاهتمام التي يوليها كل منا عنايته، فبالنسبة لفرد من الجزائر ودوائر وعيه المتعاقبة من الجزائر إلى العالم العربي إلى العالم الإسلامي وصولاً إلى الدائرة الإنسانية، يمكن أن يتشكل وعيه حسب اتساع دوائر الاهتمام فبقدر ما يعي فيه الفرد المولود في الجزائر أو السعودية مثلاً دائرته ويتخطى إلى الوعي بمشاكل العالم العربي واتجاهاته وآماله، بقدر ما يكتمل وعيه ذاته وينمو مستواه الشخصي، وبقدر ما يتخطى دائرة داخلية إلى أخرى خارجية بقدر ما ينمو عالم أفكاره؛ وعندما يبلغ وعيه الاكتمال المتطابق مع الدائرة العالمية يكون مستواه الشخصي قد بلغ أقصى اكتماله، بحيث ينبث حضوره في سائر أجزاء المعمورة.

لهذا فالاهتمام بالآخرين يفرضه واجب ديني إسلامي لمعرفة مصير المسلمين في العالم وكيفية الحفاظ على وجودهم الديني والحضاري وبعث حضارتهم من جديد، ويفرضه المنطق الإنساني، وتحتمه التداخلات بين الشعوب والأمم في عصر العولمة، كما أن في حياة الشعوب التي تواجه في عصر العولمة مشكلات خاصة

بكيانها، ومشكلات مشتركة، تعبير عن امتداد كيانها في عالم الآخرين، وتأثير العامل التكنولوجي الذي صاغ بالنسبة لكل شعب ضرورات من نوع خاص تفرض على حياته التزامات ومسؤوليات جديدة في نطاق أوسع من نطاقه التاريخي الجغرافي المعتاد(11).

---

(1) فريدة صادق زوزو، البعد المقاصدي في فقه عمر بن الخطاب وأثره في المذهب المالكي، رسالة ماجستير غير منشورة، ص13.

(2) الحديث: " لتتبعن سنن من كان قبلكم... "

(3) انظر: كنز العمال، رقم43035، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م، ج15/ص772؛ والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، رقم2075، وقال حسن غريب، تحفة الأحوذي للمباركفوري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ج6/ص145؛ وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ القاري، كتاب الآداب، الفصل الثاني، رقم5129، عن حذيفة، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ج8/ص853. كما أخرجه الهيثمي في الزوائد عن ابن مسعود بلفظ آخر، انظر: مجمع الزوائد، باب القياس والتقليد، ط2، دار الكتاب العربي، ج1/ص180.

(4) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب(6)، هل يقرع في القسمة؟ والاستفهام فيه، رقم2493، انظر: فتح الباري، المكتبة السلفية، القاهرة، ج5/ص157.

(5) دور المسلم ورسالته، ص ص58-59.

(6) قضايا كبرى، ط1، دار الفكر، دمشق، 1991م، ص123.

(7) أحمد عبد الرحيم السائح، في الغزو الفكري، ص ص79-80.

(8) عبد العزيز برغوث، الوعي المعرفي القرآني ومنهجية التغيير الحضاري، مخطوط، ص90.

(9) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص121.

(10) مشكلة الثقافة، ص116.

(11) مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص ص 7-8.

1426/6/11

المصدر : http://www.almoslim.net

=============

#أربعة آراء في العولمة

مازن هاشم

اجتمع أربعة رهط يتناقشون في مسألة العولمة، وانقسم هذا المجلس تلقائياً إلى أربعة أقسام، ناظر في التاريخ وناظر في الفقه وناظر في السياسة الحركة وطالب علم يتصيد الحكمة، وقام كلّ يدلي بحجته ويتحفظ على رأي الفريق الآخر، وما يلي بيان رأيهم وملخص حججهم.

قال الأول:

العولمة والتنمية مسائل هامة، وما هي إلا تمظهر لمنطلقات فكرية وأسس مفهوماتية، وإنه لمن ضياع الوقت أن نناقش الفروع والأعراض، بل يجب علينا أن نغوص في الأعماق والخلفيات.

إن مفهوم التنمية هو امتداد للنظرة العلمانية منذ أن أطلّت بقرنها في القرن الثامن عشر الميلادي، إنها تلك النظرة الشرهة نحو الكون والوجود التي نحّت الإله والقيم جانباً وأرادت الانطلاق من غير قيد ولا شرط، تأكل بنهم وتتمتع كما يتمتع الأنعام. إنها تلك النظرة التي تريد أن تُسيطر وُتخضع وتستأثر؛ إنها قبل كل شيئ وجهة في تصور الوجود: الوجود جماد، الوجود ليس فيه روح ولم يخلق لهدف...إنه ذاك الوجود الدارويني الذي تمكن الإنسان فيه أن يرتقي إلى قمة الهرم الغذائي بحيث يسمح لمن تحته أن يأكل بعضه بعضاً ولكنه متمكّن في القمة يلتهم الجميع...

إنها النظرة التي ترى أن الإنسان قد أثبت نفسه في هذا الوجود، ومكنته الصدفة أو الذكاء أو كليهما أن يرتقي ويتطور في حين فشلت باقي السلالات الحيوانية. ولكن نجاح السلالة البشرية من بين الحيوانات الأخرى ليس نجاحاً مطلقاً إذ أن وجوده محكوم بمعضلتين: الأولى هي أن عند البشر شهوات لا تشبع، والثانية أن موارد

الأرض محدودة. إن هذين المبدأين (النهم والندرة) هما اللذان يشخصان الأرضية التحتية لمفاهيم التنمية والعولمة.

لقد كان لهذا البشر النهم في عالم الندرة أن يفجر طاقاته باتجاه إشباع أكبر لشراهته في بقعته الأرضية محدودة الموارد والتي تمكن من السيطرة عليها... وبذلك كان عليه حتماً أن يوسع البقعة التي يسيطر عليها لأن بتوسيعها تزداد الموارد. ولا بد أيضاً من تصعيد مستوى الاستخراج من موارد الأرض لكي تنتج أكبر قدر ممكن من المتاع. ولكن تصعيد مستوى الاستخراج من الأرض يحتاج إلى سواعد عاملة وطاقات منفّذة.. ويلزم تحصيل هذا بأرخص الأسعار... وهكذا استهلت حركة الشره الثقافي-الاقتصادي القرون الماضية باستجلاب الرقيق ليكونوا وقود آلة الاستخراج هذه، وما يزال يتابع هذا الخط بالـ (الجات) الجديدة... وما يزال صراخ هذا التوجه يتعالى: أريد عمالة رخيصة... أريد نفطاً رخيصاً... أريد سوقاً مفتوحة بلا عوائق.

وتبلورت هذه النظرة في مفاهيم أصبحت عملة التداول الفكري: التنمية والتقدم والانفتاح؛ والركود والتخلف والانغلاق. ثم شفعت هذه المفاهيم بنزعة جبرية. التنمية ممكنة للأبد وخط التقدم صاعد إلى الأعلى باستمرار... والإنسان يحطم يومياً الحواجز التي أمامه... والسعادة الأبدية ليست إلا على مرمى النظر... لقد كتب إنسان القرن العشرين والواحد والعشرين نهاية التاريخ! وليس ثمة شيء ينتظر إلا مزيداً من التقدم الذي تتضاعف سرعة نموه.

ويتابع هذا التوجه متبختراً فيقول: لقد كانت بعض المفاهيم العقدية أساس هذا النصر الذي حققناه. لقد كان التخلص من سطوة الإله حلماً يدغدغ الإنسان منذ الأزل. ولقد تجرأ أحياناً على التمرد وأماته الرعب أحياناً أخرى. ولكن ها نحن حققنا الفوز النهائي بضربة قاضية. فشكراً للأجيال الجريئة الأولى التي مكنتنا من هذا الفوز. على أنه يجب أن لا يغلبنا الشعور بالأمن، فما زال هناك من الهمج من يتشكك في سجل إنجازاتنا الباهرة. إن عبء الإنسان المتقدم عبء كبير ارتضينا أن نحمله ونضطلع به. وإنه محتم علينا أن نستعمل ما أمكننا من الوسائل لتأديب الرجعيين المتخلفين الذين مازالوا يحلمون بعوالم مثالية ومبادئ متسامية. إن واجبنا الأخلاقي أن نزيل هذه الأعشاب الضارة من وجه الإنسانية، وأن نمكن لثقافة التقدم والرقي أن

ترسخ. ولا يمكن تحقيق هذا إلا بعد أن نعولم عاداته وذوقه وطرق لباسه ومعاشه، فنحن نريد أن يعمّ ما وصلنا إليه الجميع.

قال الثاني:

لن أخفي عليكم أني لا أستسيغ شيئاً مما قاله فيلسوف الزمان، وفي الدين غنى عن التعقيد المتعب. بل إن مثل هذا الكلام ليلهينا عن مهمتنا الكبرى في إصلاح أنفسنا واستعادة أمجادنا. لقد صلحت نفوس أجدادنا فصلح حالهم. إن خطر العولمة يتحدد بالذات في أنه يهدد إيماننا ويحاربنا بالفضائيات والأفلام والموسيقى.

إن واجبنا الأكيد أن نحمي أنفسنا من هذا الأخطبوط.. أن نغلق المنافذ الشيطانية التي يدخل علينا منها، وأن نبني مجتمعنا من خلال التربية السديدة في حلقات العلم. إن علينا أن نحيي تراثنا ونفتخر به.. وهل يمكن لأمة أن تنهض إذا لم تغترف من تراثها الأصيل.

لكن أرجوا ألا تسيؤا فهمي.. إن التقدم الذي أحرزه الفرنجة تقدم باهر.. وإننا نحن المسلمون الواثقون لا يخيفنا هذا التقدم فقد حققنا مثله في تاريخنا. ثم إن في الغرب نفسه أمراض تكاد تفتك به، وتعرفون قصة الأمراض الجنسية عندهم... والأرض لله يورثها من يشاء، ولا بد أن تسقط حضارته لقمة سائغة في أفواه أهل الله يوماً ما، ونسأله – تعالى –أن يعجّل في هذا. وعلى كل حال لا يهمنا ما سيحدث في حياتنا القصيرة، فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة.

أعود فأؤكد أن الخطر هو في تربية الفرد والمجتمع بشكل لا ينبهر فيه بالإنجازات الحضارية الغربية، ولابد لنا من أن نحمي أنفسنا من سلبيات الغرب وأن نستفيد من إيجابياته. وهذا لا يتم إلا بتطوير الضوابط والأحكام اللازمة لهذا العصر. إن الشريعة الباهرة استطاعت أن تعيش أربعة عشر قرناً وهي غنية بالأقوال والمذاهب وتتسع للتغيرات. إن الذنب ذنبنا في عدم فهم الشريعة فهماً عصرياً وعدم تأصيل مواقفنا وفق أصول فقهنا المجيد. إن علينا أن نغربل آثار العولمة السيئة لتصبح متماشية مع الشريعة.

قال الثالث:

أعذروني يا إخوتي.. فإن كليكما يتكلمان في خيال لا يتصل بالواقع الذي نعيش فيه، ولا يمكن أن يرفع أمتنا الجريحة مما ابتليت به. ربما يصح بعض الذي تقولون، ولكن لا يهمني هذا. إن الذي يجب علينا أن نفعله هو ((العمل))؛ نعم العمل من خلال هذا الواقع المفروض وتسخير كل الوسائل في إحداث تغيير في واقع الناس المرّ.

إن العولمة يا أخوة تحدٍّ وفرصة.. إنها تحدٍ لأن وراءها إمكانات ضخمة وشركات ومؤسسات. ولكن من قال أنه لا يستطاع فعل شيئ؟! ولماذا نتناسى أن عند المسلمين إمكانات ضخمة علينا أن نعرف كيف نسخرها لمصلحة بلادنا ولمصلحة المسلمين. إن علينا الانتقال من التغني بالمبادئ إلى الجهاد في البرامج. ولن ينفعك إذا صورت العولمة وحشاً مخيفاً أو وسيلة مفيدة. إن الذي ينفع هو وضع الخطوات العملية للتأثير فيها. وها هي أقوام أخرى واجهت التحدي وتقدمت نسبياً. إن علينا أن نكون أذكياء ونعرف كيف نخترق الحواجز من خلال الثغرات الموجودة في أي منظومة مهيمنة، وإن الباب الذي تتصورونه أصماً موصداً ليس بكذلك. وإن تضارب المصالح واختلاف المآرب بين الأقوياء يدع فرصة للضعيف أن يعمل بفاعلية تفوق قوته بآلاف المرات.

إن علينا الثقة بأنفسنا والتوكل بالمباشرة بالعمل.. ولن يغنينا مزيد فلسفات فقد شبعنا منها، وإنه لو افترضنا أنها بلسم سحري فإن عامة الأمة تئن في جراحها ولا يمكن أن تسمع لمن لا يستجيب إلى شكواها المباشرة. إن حالتنا إسعافية لا تحتمل التأمل وتقليب وجهات النظر... فلنهبّ جميعاً للعمل في حاجات المسلمين. ولنكن صرحاء، فإنه لن يحل مشاكلنا صلاح النفوس، وإن كان ذلك يسرنا ويباركنا... وكم من قوم ملأتهم الذنوب ووصلوا إلى ما يبغون بالعمل المنظم وبالتخطيط الاستراتيجي. إن الرؤية الاستراتيجية هي تلك التي تكتشف مواقع القوى ونقاط التأثير. وما دامت جهودنا محدودة فإن أولى بها أن توظف في تلك المواطن الحساسة.

إن من شأننا أن نتعلم المهارات الحديثة ونتقن العلوم ونصل إلى أعلى المراتب في المنظومة العالمية وأن نبني المؤسسات الموازية. وهذا عين الواقعية، ولا يفل الحديد إلا الحديد. إن علينا أن نبني مؤسسات على طراز حديث يناسب العصر ومنطقه.

ولقد أشار الأخ الفقيه الى خطورة الإعلام، ولا يخفى على أحد أثر صناعة الأفلام وما شابهها. إنها الخطاب الذي يصل كل بقعة في العالم ويشكل ويصوغ أذهان وعواطف الصغار والكبار. وهذا مثال جيد على جبهة حساسة يمكننا المواجهة فيها بشكل قوي.

بل دعني أشير إلى أن التفكير الاستراتيجي يذهب إلى أكثر من هذا بحيث يموقع نفسه ليستفيد من حركة الغير ولو لم يكن صديقاً، ويترقب القوى التي تمشي إلى طريق الارتطام لتسنح فرصة التسلل إلى مواقع أعلى والقفز إلى مشارف لم يكن يُطمع بها. ولنتذكر أولاً وآخراً أن هذه الدنيا لا تسير وفق حسن النيات ولا شطحات العقول وإنما تدفع بالحرب والمكر والخديعة.

قال الرابع:

مهلاً يا إخوتي، ولماذا تختلفون بهذا الشكل؟ وإني لطالب علم أحاول أن أجد في طرح كل منكم ما يمكن الاتفاق عليه؟ إن النظرة التاريخية تفتح العيون وتحرك العقول حقاً، فلا بد أن نفهم العولمة ضمن منظور زمني ممتد يحيط بأبعاد هذا المشروع الحضاري المحكوم برؤية كلية وتتصور وفهم مخصوص للوجود والكون. وبالطبع فيجب أن لا ينقلب هذا الكلام العميق إلى سبحة تعفي من العمل المبصر بعيد الرؤية.

وأما أنت محبّ السياسة فبارك الله بفألك وتطلعك، لكن يلزم بعض التوضيح لكي لا تنقلب النيات والامكانيات إلى شعارات. وذلك لأن الاقتناع بضرورة العمل والتوجيه نحوه لا يعني بالضرورة أن نتاجه سوف يكون في صالح الشعار المرفوع! ويحدث ذلك عندما لا نتدبر ملياً الآثار بعيدة المدى ولا ندرس مستتبعات آليات الوصول. إن الفخ الكبير الذي يمكن أن يقع فيه هذا الطرح هو أنه يفترض نفسه مسبقاً أنه يفهم الإشكال والحل بآن واحد، وأن ليس عليه إلا المباشرة بالعمل. والكلام في الاستراتيجيات يمكن أن يتحول إلى شعار يُرفع ليبرر حركات رد الفعل والاستسلام للواقع المفروض. إذ أنه كيف نضمن أن لا ينقلب تصور العمل الاستراتيجي إلى براغماتية مستعجلة ليس عندها الصبر على طول الطريق؟

ثم إن المقابلة بالمثل قد تجر إلى إخفاق محقق بسبب التفاوت الكبير في القدرات. ولنأخذ مثال الأفلام الذي ضرب، فهل بالاستطاعة إنتاج أفلام موازية لاتقان أفلامهم وهي تكلف الملايين؟ وهل يمكن إخراج أفلام ناجحة بلا أدب أصيل؟ إن الأدب المتين المستند إلى قاعدة فكرية سليمة هو الذي يمكّن من الانتاج النوعي؛ والعكس بالعكس. وإني لأفهم أن الرؤية الاستراتيجية هنا هي التي تعطي الأولوية لـ(الحركة) على مستوى الأدب، لا الـ(حركة) العملية البحتة. فالهرع نحو إخراج أي فيلم واعتماد الترجمة والتقليد و(دبلجة) إنتاج الآخر تحت شعار الانفتاح والإيجابية يغلب أن يعطي نتاجاً ذا نوعية ثقافية متدنية بغض النظر عن نجاحه.

بل لعله يصح القول بأن مواجهة الغالب بغير ما غلب به هو الأقرب للصواب. يعني مواجهته بغير أدواته، لأنه لن يبرح ألا يكون متفوقاً فيما أتقنه وطوره. ثم إن المقابلة بالمثل قد تنتهي عملياً بأن يتحول المخالف إلى جزء لا يتجزأ من تلك الحركة الضخمة. وذلك أنه إذا اتبعنا وسائل الغير بحذافيرها وتحركنا ضمن منظومته فسوف نجد أنفسنا تحت حاجة حركية وضرورة واقعية أن نعمل من خلال تلك الآليات ذاتها وأن نقبلها وأن ندخلها ضميرنا وأن نخترع لها المسوغات الفكرية، لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يكون لنا فاعلية في التعامل معها. والخلاصة أني أرى بعض الصواب في فكرة العمل الاستراتيجي، لكن أخشى أن يفرّغه الاستعجال من معناه.

وأخيراً ألا يلزم أن يستحضر الطرحَ الفقهيَ بأن القضية ليست مشكلة فردية تنحصر بإصلاح النفوس. إن التحدي الذي يواجهنا ليس تحدي أفراد بل هو تحدي منظومة قوية تلتهم ما تجده أمامها وتحوله إلى وقود يزيد في قوتها. وإن دعوى التأصيل يمكن أن تتحول إلى تبرير للواقع، مع الإعراض عن الواقع والعيش مع الرضى أو التذمر- وفق الشروط المفروضة من منظومة كبرى. ولا يعدو النشاط المطلوب حينذاك أن يكون تخريجاً للحيل الشرعية للتعايش مع ما يُدّعى بأنه مرفوض.

وساد صمت قطعه سلام الانصراف، فما رأيك أخي القارئ الكريم؟

* باحث مهتم في دراسة سنن الاجتماع

المصدر: http://www.alrashad.org

==========

#(1) دردشة ثقافية .. نهاية العولمة ؟

بقلم :د.صلاح عبد المتعال
@hotmail.com50samotal

أردت من العودة الى(دردشة ثقافية) التى كنت أكتبها أحيانا فى صحيفة الشعب قبل تعطيلها بسبب كيد وعند النظام الحاكم وحزبه الوطنى ؛ هو كسر الملل السياسى الذى بات مخيما على مناخ الحياة السياسية فى مصر ، وجعل الحديث عن أخطر قضايا الإصلاح أشبه بإسطوانة مشروخة تخرج منها الأصوات الشاذة لمحتكرى السياسة من أقطاب الحزب الحاكم والمنافقين وحاملى المباخر من بعض الوصوليين المثقفين زعما والإعلاميين ارتزاقا .

وليعذرنى القارئ على هذه الخاطرة التى جاءت عفو الخاطر قبل الدردشة الثقافية والخوض فى موضوع العولمة ومايحيط به من أصوات تمجده كقدر محتوم لا فكاك منه ، ومن أراء وإتجاهات معاكسة تفضح أبعاده الحقيقية باعتباره تجسيدا لرأسمالية متوحشة وموجات متتابعة من غزوات اقتصادية وسياسية وثقافية تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وأضرابها من الحلفاء الغربيين .

ولنبدأ بطرح مفهوم العولمة وأبعاده كمصطلح مستحدث ولكنه بدآ شيوعه منذ نهاية القرن الماضى ومطلع القرن الحالى حيث لا يقتصرالنطق به على المثقفين والمتخصصين . فالتواصل الاقتصادى المتزايد بين مختلف دول العالم أدى الى حصول ثورة سياسية واجتماعية عميقة ،وهي من المنظور الرأسمالى عبارة عن تكامل الاقتصاديات الوطنية و تحويل السوق العالمية إلى " سوق أممية "، و أنها تعبّر عن تقدم وانجاز هام من إنجازات الرأسمالية .وهى من المنظورالمعارض ؛ عملية " التهام " رؤوس الأموال بعضها البعض، و إخضاعها لصالح الرأسمال الأقوى فهى من الزاوية اقتصادية . عبارة عن عملية إدماج الرأسمال الضعيف في آخر أكثر قوة، مع فارق واحد هو أن مثل هذا الاندماج في عصر الإنتاج السلعي يتم بطريقة قسرية، تحت أسم قانون التنافس والعولمة الراهنة ليست بدعة أو مستحدثة ، بل كان لها مثيل فى السابق منذ أن تواصلت الشعوب بعد الاكتشافات الجغرافية وتطورات العلاقات بين الدول الاستعمارية والأخرى المستعمرة حيث مثلت ثرواتها

رصيدا متجددا لرؤوس أموال الدول المستعمرة من الغرب الأوروبى فى نفس الوقت مثلت الدول الذى سلب استقلالها أسواقا لمنتجات رؤوس الأموال الغربية . فاذا كان تاريخ العولمة ليس مفصولا عن تاريخ التوسع الأوروبى والاكتشافات الجغرافية والرحلات وبعثات التبشير فى ربوع القارات الخمس فقد كان ذلك بمثابة بروفة تاريخية لمشروع العولمة الذى أطل علينا من الغرب الأمريكى .

لقد تعرضت مشروعات العولمة الأولى لسقطات أدت الى فشلها بسبب الحروب الأهلية والصراعات المذهبية بين مختلف بلدان أوروبا مما أدى الانتهاء وحدتها الدينية وعولمتها الاقتصادية خاصة بعد الركود الاقتصادى المفاجئ الذى أعقب الازدهار الحضاري والاقتصادى فى مطلع القرن العشرين بشكل لم تشهده أورروبا فى تاريخها كله من قبل ؛ الا أن الاستعمار التقليدى ظل باسطا نفوذه وسيطرته وحرمان الدول الضعيفة اقتصاديا من استقلالها السياسي حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية . وبعد صحوة الشعوب المستعمرة خاصة فى الدول العربية ونيلها وغيرها من البلاد المستعمرة الاستقلال . (للحديث بقية)

==================

#دردشة ثقافية .. نهاية العولمة ؟ (2)

صلاح عبد المتعال

كان جنين العولمة الحالية آخذا في النمو وبدأ يستبدل لغة القوة بإطلاق مسميات التكافل الاقتصادي بين الدول القوية والأخرى الضعيفة وأن هذا التكافل بعيد عن مآخذ القوة وقريب تماما من الطابع السلمي ومن ثم يتضح الفرق، حسب ما يزعمون، بين الاستعمار الذي كان يحصل خلال مرحلة ما يسمى بالرأسمالية الصناعية، وبين ما يسمونه " العولمة التقدمية " التي يجري تطبيقها في زمن الرأسمالية ما بعد الصناعية عملية تحول الرأسمالية إلى إمبريالية بحد ذاتها هي عملية خروج الرأسمال المالي الاحتكاري للدول الرأسمالية المتطورة إلى الأسواق العالمية، بهدف " التهام رؤوس الأموال الوطنية وإخضاع اقتصاديات البلدان الأقل تطوراً في المجال الصناعي.هذا بدوره يؤدي إلى تدمير الصناعة الوطنية والقطاع الزراعي لتلك البلدان، إلى نهب ثرواتها الطبيعية، الاستغلال المزدوج، وبالتالي إلى الانحطاط

الاجتماعي والموات الجماعي للشغيلة الفقراء.. وهكذا فان" التهام " رؤوس الأموال الوطنية و إخضاع اقتصاديات الدول النامية، يمكن أن يتم بوسائل سلمية وغير سلمية، أي عسكرية.

لا يمكن أن تنفصل العولمة الرأسمالية الأمريكية الجشعة عن سياق الثقافة والنفوذ الصهيوني لإسرائيل الذي التحمت أوصاله مع الزيغ الفكري للمسيحية الصهيونية والذي يتبناه الجناح اليميني المحافظ للسياسة الأمريكية الراهنة. ويمكن أن نلاحظ كيف استطاعت هذه السياسة أن(تؤدلج) أو تمذهب (توجهاتها بذلك الزيغ الفكري الذي اعتمد على تصورات وأساطير دينية حول وقوع معركة هرمجيدون المرتقبة بقيادة السيد المسيح ضد أعدائهم وذلك بين سنوات 2000 و2007. أنهم يخلطون أوراق معتقداتهم المزيفة بأوراق مصالحهم الأمريكية الإسرائيلية. ومن ثم فإن العولمة الأمريكية لا تكتفي بتعميق دوافع الاستغلال والجشع الرأسمالي بل بإلهاب السذج بمشاعر وأفكار دينية مغلوطة تلتقي مع الفكر العدوان الصهيوني الذي تقوم به إسرائيل تحت تأييد وحماية أمريكية. فالعولمة الأمريكية لا تشكل مجرد هيمنة وبسط نفوذ اقتصادي وثقافي بوسائل أقنعة (اتفاقية الجات ومعونات ومنح وقروض أمريكية للدول النامية) ومن بينها الدول العربية؛ بل تمثل هذه العولمة قمة العدوان الفاضح بعد ان ضاقت بها السبل والوسائل السلمية والدبلوماسية. فكان مسلسل الغزو لأفغانستان والعراق ومساندة المذابح ضد الفلسطينيين ومشروع التدخل في دارفور السودان والتهديد المستمر لسوريا وإيران.

على هدى ما سبق هناك عدد من التساؤلات محورية؛ علينا أن نطرح بعضا منها إزاء المقولات الذائعة الصيت بسبب التفوق الاعلامي والعلمي والإنتاجي وتفجّر ثورة المعلومات والاتصالات.

هل العولمة الجديدة قدر محتوم لا مفر منه بخيراته وشروره؟

هل تحمل العولمة المستحدثة علامة " أمريكية الصنع "؟

هل العولمة الأمريكية الصنع ستنهي الدولة القومية الحديثة لكي تحل محلها كيان امبراطوري يشمل العالم كله؟ (للحديث بقية)

المصدر : http://al-shaab.org

==============

#دردشة ثقافية .. نهاية العولمة ؟ (4)

صلاح عبد المتعال

غالبا ما يعتقد أن هذا المسار الجديد ٬ مسار العولمة يشكل ظاهرة لا رجوع عنها ٬ وأنها الطريق الوحيد للمستقبل ولكن المنظور التاريخي من وجهة نظر (هارولد جيمس) في كتابه نهاية العولمة 2002 وغيره يملى علينا ضرورة الحذر من إطلاق مثل هذا التعميم باعتبار أن التجارب التاريخية للعولمة أو أشباهها تشير إلى أن لكل عولمة في التاريخ لها خصوصيتها كما يري (جيمس) وبالتالي فلا نستطيع أن نقول بأن ما حصل في الماضي سوف يحصل في المستقبل بالضرورة فالتاريخ لا يكرر نفسه بنفس الطريقة ٬ أو بشكل كامل ومماثل ولكن لا نستطيع أن نهمل دروس التاريخ.

إن المقصود بتوقعات نهاية العولمة ليس العولمة بإطلاق في القرية الكونية للعالم التي أتخمت بثورة المعلومات وتقنيات الاتصالات وشاعت ملكيتها واستخداماتها على أطراف المعمورة ولم تقتصر أسرار فنون المعرفة لها (Know How) على الولايات المتحدة. إنما المقصود هو نهاية عولمة الرأسمالية الأمريكية المتوحشة التي لا يقف في طريق تحقيق مقاصدها الاستغلالية أي حائل فوسيلتها الاختراق بالقوى العسكرية إن ضاقت عليها السبل بالوسائل السلمية.

ألا توجد صيغة أكثر إنسانية وعدالة للعولمة؟ ألا توجد قواسم مشتركة بين مصطلحي العالمية والعولمة. حيث يستوعب الأول (العالمية)المردود الحضاري لكل الثقافات والمدنيات وأنساق القيم والأخلاقيات الإنسانية وكل الأفكار والمعارف والعلوم النافعة للمجتمع الإنساني بتنوعاته شعوبه وأعراقة وقومياته. فالعالمية رغم بعدها الإنساني الشامل فإنها لا تنكر السمات القومية لشعب من الشعوب وتحترم خصائصه؛ بينما يوحى مصطلح العولمة بانه نظام مصنوع هبط لتهديد القوميات بقصد انتهاك السيادة لحدود الدول خاصة الدول النامية وإذابة مصائر الأضعف فى مصالح الأقوى. كما تحمل العولمة قسمات و أفكار ومذهبيات (ايديولوجيات) صانعيها التي ستحمل بالضرورة تناقضات وصراعات المصالح والأفكار بين الأقوى والأضعف من

الشعوب. ألم تحمل الديانات السماوية الكبرى وخاتمها الإسلام سمة العالمية بقصد التوحيد والتقارب والتعارف بين البشر و جعل تقوى القلوب والإحسان والإتقان في العمل ونبذ العداوة والتآخي بين البشر جميعا هو دستور العلاقة بين الناس. أما العولمة الجديدة التي خرجت من العباءة الغربية الأمريكية فنها تسير عكس العالمية بمضمونها الفطري والإنساني وتصطنع مواقف الصراع على المصالح مرجّحة مصالحها ولو على حساب القيم الإنسانية والأخلاق وسحق المعارضين إلى درجة الإفناء.

ستختلف الحجج والبراهين بالنسبة لاحتمالات نهاية العولمة الجديدة إنما الكفة راجحة الآن إزاء مؤشرات زوال العولمة الرأسمالية الأمريكية الجشعة؛ فربما كانت (سياتل) هي بداية القرن الواحد والعشرين فالمظاهرات الضخمة التي حصلت ضد النظام الاقتصادي العالمي الذي تحاول أمريكا ترسيخه كانت تعنى أن المعركة أصبحت مفتوحة بين الظرفين وربما كان ذلك هو بداية نهاية العولمة. نقول ذلك وبخاصة أن معظم المتظاهرين كانوا من أبناء الدول الغنية لا الفقيرة.

فربما دمرت الرأسمالية الجشعة نفسها بنفسها بسبب تناقضاتها الداخلية الحادة. ألم تر كيف أدت الأزمات المصرفية الكبيرة في دول النمور الآسيوية 1977 وكادت أن تؤدى إلى انهيار اقتصادها ؟ ألم تر فضيحة شركة (اينرون) الأمريكية التي ذهبت بفضيحتها المليارات مع أدراج الرياح. ثمة سبب آ خر سوف يؤدى إلى انهيار العولمة الرأسمالية الأمريكية الجشعة هو إهدار العدالة وتكريس الظلم والتفاوت الاجتماعي بين بلدان الشمال وبلدان الجنوب. وقد زاد هذا التفاوت عن حده في السنوات الأخيرة بدلا من أن ينقص. وقد يؤدى هذا الوضع إلى الانفجارات والاضطرابات والقلاقل وهو حتما سوف يزعزع النظام العالمي الجديد الذي يحاول الغرب فرضه على العالم بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية. ومهما يكن من الأمر فان العولمة الحالية سوف تنهار وتنتهي إذا ما استمرت على هذا النحو من احتقار ملايين الفقراء في العالم. فهذه العولمة التي بدأت في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين كانت فد انهارت سابقتها في بحلول الانهيار الاقتصادي العالمي في

مطلع الثلاثينيات ونشوب الحرب العالمية الثانية في نهايتها حتى منتصف الأربعينيات. ومن ثم فكل نظام جائر مهدد بالانهيار قربت ساعته أم بعدت.

المصدر: http://al-shaab.org

==============

#قيادة العولمة

أ. د. عبد الكريم بكار

هل يعقل أن تكون هذه الحركة الهائلة نحو تعميم الأفكار والنظم والأشياء، وهذه الحركة بتجنيس أذواق الأمم وتوحيد أنماط حياتها في الإنتاج والاستهلاك والنظر إلى الذات والآخر.

هل يعقل أن يجري كل ذلك على نحو عفوي، وبدافع من الحرص على جني المكاسب وتوسيع العمل التجاري؟ أو أن المسألة عبارة عن مؤامرة كبرى تديرها الدول الغنية – ولا سيما أمريكا – ضد الشعوب الفقيرة والضعيفة؟

هناك اجتهادات كثيرة في الإجابة على هذه التساؤلات؛ وسنحاول هنا تكوين رؤية موضوعية متوازنة حيال هذه المسألة الحيوية في قضية العولمة.

اعتقد ابتداءً أن تيار العولمة الذي عمّ كل شبر في الأرض – على درجات متفاوتة – هو بمثابة نهر عظيم له ملايين الينابيع الصغيرة والمتفجرة في أنحاء عديدة من الأرض، ومن غير الممكن لأي دولة مهما فعلت أن تسد تلك الينابيع، ولا أن تغير مجرى ذلك النهر، وأنشطة العولمة هي أكبر بكثير من أن تتحكم فيها دولة، بل إنه يمكن القول: إن ما تفعله شركة كبرى من نشر للعولمة قد تعجز عنه دول عديدة، لا يعني هذا – بالطبع – أن مساهمة الدول والشركات والجهات العلمية والتقنية متساوية في حجم المشاركة، كما لا يعني أن لا تجري عمليات تخطيط سرية لتوجيه العولمة، أو اتخاذها أداة ضغط في بعض الأحيان، كما لا يعني أن التوازن العالمي في العديد من المجالات يتم دون أيد خفية تسعى فيه، لكن مع هذا وذاك أرجو أن يسمح لي القارئ الكريم بتوضيح ثلاث نقاط في غاية الأهمية في هذا الشأن:

الأولى: هي أن قيادة العولمة تتم على نحو جوهري من قبل الغرب، ومن يتحرك في فلكه مثل اليابان وبعض دول جنوب شرق آسيا، وأعتقد أن هذا ليس موضع جدل

كبير؛ إذ أن الذي نقل العولمة إلى بؤرة الاهتمام العالمي ليس أفكاراً موجودة في بطون الكتب، أو شعارات يهتف بها بعض الناس هنا وهناك، وإنما هو تجليات وتجسيدات للتقدم العلمي والتقني والتنظيمي الذي أحرزته على نحو جوهري الدول الصناعية الكبرى، كما أنه تعبيرات عن القوى الاقتصادية والمالية التي تملكها بعض الدول؛ وانطلاقاً من هذا فإن من الواضح جداً أن براءات الاختراع والتجديدات التقنية، بالإضافة إلى الثروات الهائلة ورؤوس الأموال الضخمة ليس متوطنة في العالم النامي أو العالم الإسلامي، وإنما في أمريكا واليابان وأوروبا وكندا، وإذا استعرضنا أوضاع الـ (40) ألف شركة المتعددة الجنسية وجدنا أن أكثر من 90% منها يتوطن في الدول التي ذكرناها، وهذه الشركات هي التي تخطط للعولمة، وهي التي تقوم بتنفيذ ما تخطط له، ومن المؤسف أنه ليس للدول الإسلامية بين هذا العدد الضخم من الشركات سوى النزر اليسير، مع أن المسلمين يقتربون من أن يكونوا ربع سكان الأرض!

وهكذا فمن الناحية النظرية سيكون في إمكان كل الأمم والشعوب أن تسهم في حركة العولمة والتأثير في مساراتها، أما على المستوى العلمي فإن الذين يفعلون ذلك هم أولئك الذين يعفون ويصنعون ويملكون.

الثانية: هي أن كثيراً من الباحثين يرون أن ما يسمى بـ" العولمة " ينبغي أن يسمى " أمركة "، حيث أن الذي يسيطر على قرارات المنظمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الدولية هي الولايات المتحدة الأمريكية. فصوتها هو الأقوى، والثقافة الشعبية الأمريكية هي الأقوى والأسرع انتشاراً في العالم..وهذا كله يعطي المسوغ لهذا الرأي، لكن الموضوع يحتاج إلى نظرة أكثر عمقاً وأكثر اتزاناً؛ فنحن نعتقد أن العولمة ظاهرة مستقلة، لها آلياتها الخاصة وانحطاط أمريكا واليابان – مثلاً، أو تقلص نفوذها العالمي لن يلغي العولمة، وإنما قد يغير في بعض ملامحها، إن المركز الأساس لأنشطة العولمة هو الاقتصاد.

وإن للولايات المتحدة شركاء أقوياء في المجال الاقتصادي فالناتج القومي لأوروبا الغربية أكبر من الناتج القومي للولايات المتحدة، كما أن اليابان تتمتع بمركز اقتصادي متقدم جداً، واقتصادها مع اقتصادات جنوب شرق آسيا أضخم من

الاقتصاد الأمريكي، والصين " العملاق القادم " تحقق نمواً اقتصاديا عاليا، ونفوذها في حركة العولمة يزداد يوماً بعد يوم، لكان هذا كله لا ينفي أن الولايات المتحدة هي أقوى مساهم في قيادة العولمة، ومهما ساءت أحوالها فربما ظلت تحتفظ بموقع مهم في الأنشطة الدولية إلى وقت بعيد إذا خسرت الموقع الأهم.ويكفي أن نعلم لاكتشاف قوة أمريكا في أنشطة العولمة أن ناتجها القومي قد بلغ عام 1997 م نحو (7100) مليار دولار، على حين بلغ ناتج اليابان نحواً من (4964) وناتج فرنسا (1451) وناتج مصر (46) مليار دولار. وأمريكا بلد الخيرات والثروات، فسكانها الذين يناهزون 280 مليون نسمة يأكلون ويصدرون من وراء جهد 3% فقط منهم يشتغلون في الزراعة، ولديها شركات عملاقة يزيد حجم مبيعات بعضها على (130) مليار دولار في السنة.

أما في المجال الثقافي فإن للولايات المتحدة تفوقاً واضحاً جداً على منافسيها الاقتصاديين في مجالات الثقافة الشعبية، ولا سيما صناعة الأفلام وشؤون اللهو والطرب، وقد ورد في تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن أمريكا تصدر إلى أوروبا سنوياً مليوناً ومائتي ألف ساعة من البرامج التلفازية، وهذا الكم الهائل من ساعات البث كاف لتشغيل أكثر من 130 محطة تلفازية على مدار الساعة. وفي دراسة لليونسكو ما يفيد أن البث الأمريكي في تلفازات العالم يتجاوز 75% على حين تتوزع النسبة الباقية على هيئات الإنتاج الوطني الأوروبي وغيره، أما قطاع الإنتاج السينمائي الأمريكي فهو يمثل 85% من الإنتاج العالمي، كما هو الحال في عام 1996 م.

الثالثة: إن الخلفية العقدية والفكرية والتاريخية والثقافية للدول والشعوب التي تقود العولمة خلفية مادية دنيوية علمانية، فمهما اختلف اليابانيون مع الأمريكيين أو الكنديين أو الأوروبيين فإن الذي يجمع هؤلاء جميعاً هو أنهم يتحركون بوحي من عقائد وأخلاق وضعية، لا تعطي " الدار الآخرة " اعتباراً يذكر، ولا ريب أن المؤثرين الأساسيين في عولمة الكوكب هم الأمريكيون الأوروبيون ولهؤلاء أجداد من اليونانيين يلقبون بـ " السوفسطائيين " كانوا يؤمنون بين ما يراه الفلاسفة الغربيون اليوم من مبادئ المنفعة والقوة، وقد كانوا يؤمنون أن العدالة تسير مع مصلحة الأقوى وجوداً

وعدماً، وكان أرسطو الفيلسوف اليوناني الشهير يرى أن الحرب جائزة في حالة واحدة، هي حالة اصطياد الأرقاء. ولا ننس ما انغمس فيه الغربيون من عمليات إبادة منهجية لم يعرفها تاريخ البشرية من قبل، على نحو ما فعلوا في إبادة سكان " الأمريكيتين " وفي عمليات نقل السود من أفريقيا إلى بلادهم، ونقل العناصر البشرية غير المرغوب فيها اجتماعياً إلى جيوب استيطانية، ومن أجل تحقيق مكاسب اقتصادية ضخمة خاض الغرب ضد الصين حرب الأفيون الأولى والثانية، ولماذا نذهب بعيداً وقد عانينا على مدى قرن ونصف من الاستعمار العسكري الأوروبي على امتداد العالم الإسلامي.

وهذه الاعتبارات في تصوري كافية للوقوف على قيادة العولمة ومدى تحكم الغرب فيها.

ولا ننس أن هذه الوضعية قد تتغير بحسب الدول التي يكتب لها النفوذ السياسي والثقافي في المستقبل. والله المستعان.

المصدر : http://www.tttt4.com

==============

العولمة من خلال رؤية إسلامية

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدهُ ونَستعينُهُ ونستغفره، ونعوذ بالله مِنْ شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مِنْ يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضل لَهُ، وَمَنْ يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

?يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ? [آل عمران: 102].

?يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا? [النساء: 1].

?يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا? [الأحزاب: 70، 71].

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم، واهتدى بهداهم، واقتفى أثَرَهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فالحديثُ في السنوات الأخيرة تكرر حول عنوان كثيرًا ما يظهر؛ إما في عناوين الكتب، أو في الطُّرُوحات الأخرى؛ كالمجلات والصحف والوسائل الإعلامية، وهذه الطُّرُوحات المتنوعة المتعددة كثيرًا ما تتحدث عن هذه القضية التي سنعرض لجانب منها؛ ألا وهي: " العولمة "، وسنُرَكِّز عليها في إطار "نَظراتُنا لها من خلال المنهج الإسلامي".

تعريف العَوْلَمة

إنَّ العولمة من خلال تعريف سهل ميسر هي : جَعْلُ العالَم واحدًا.

فهي مُشتقَّة من العالَم؛ فهي تَفاعُل وانْفِعالٌ يقصد إلى جَعْل العالَم واحدًا في تَوَجُّهاتِه وأحواله الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وهذه الدعوة التي اتَّخَذت اسم " العولمة " لا تقتصر على الطَّرْح الفكري أو الإعلامي فقط، وإنما تُمَارس الطَّرْح العملي في حياة الأمم والشعوب، ويُهِمُّنا نحن المسلمين أثرها ومؤثراتها علينا وعلى ديننا وعقيدتنا وأخلاقنا.

ونحن نعلم بادئ ذي بَدْء أَنَّ الإسلام نفسَه دِينٌ عالَمي، فلو استَعَرْنا المصطلح لَقُلْنا: إنَّ دِين الله سبحانه وتعالى يسعى إلى عولَمةِ العالَم، لكنْ من خلال أصول تُسْعِد الإنسانَ في الدنيا والآخرة، من خلال منهج رباني دَعَت إليه رسل الله عليهم الصلاة والسلام، ومِن ثَمَّ فتاريخ الرُّسل وعقيدتهم ومنطلقاتهم واحدة، فَلَمَّا خُتِمت الرسالات بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم جعلها الله للعالمين جميعًا: ?وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا? [سبأ: 28]؛ ?وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ? [الأنبياء: 107]. وبالفِعْلِ انْطَلَق الصحابة رضي الله عنهم ومَن بعدهم مَشْرِقًا ومَغرِبًا، ينشرون دين الله سبحانه وتعالى، حتى إنهم لَمَّا قابلتهم البحار قال قائلهم: لو أنني أعلم أن بلادًا خَلْف هذا البحر لركبتُ إليها ؛ ماذا يقصد؟!!

إنَّه نشرٌ لدين الله سبحانه وتعالى، وإخراجٌ لهم من النَّار إلى الجنة، ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد تبارك وتعالى، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

ومِنْ ثَمَّ فمِثل هذه الدعوة بمجردها تَطْمَح إليها جميع الأمم؛ فالشيوعية حاولت أن تكون عالمية ولكنها جُوبِهت، والاستعمار الحديث – وأعني به في القرن الماضي – حاول أن يَفرض نفسه على العالم كله، لكنه واجَهَ مقاومات وفشل إلى حد كبير، فالمحاولة الأخيرة التي نعيشها في السنوات الأخيرة هي محاولة ضمن تاريخ ونُسُق عاشته قوى وأمم أرادت أن تفرض فِكْرَها وعقيدتها وأخلاقها ونظام حياتها فيمن تستطيع أن تفرضها عليه.

خُطُورةُ العَوْلَمة في وَاقِعِنا المُعَاصِر

وأَخْطَرُ ما في العولمة التي نعايشها في هذه السنوات الأخيرة أنها قامت على خمسة أَذْرُع، وهذه الأذرع في الحقيقة أدَّتْ إلى ما نعايشه اليوم من خطر أحسَّتْ به غالبيةُ الدول؛ إسلاميةً كانت أو غير إسلامية، لكنَّ الإحساس بالخطر كان من جانب المسلمين أكبر لأمر؛ وهو أن هذه العولمة وإنْ وُجِّهت إلى دول العالم كلها؛ إلا أنها موجهة إلى العالم الإسلامي بشكل واضح وصريح.

العَوْلَمة وأَذْرُعُها الخَمْسة!!

الأول : " الذراع العسكري ".

ويُقْصَد به القوة العسكرية الضاربة التي تريد أنْ تَفرض العولمة من خلال هذه القوة، وقد سمَّاها بعض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية من عشر سنين بـ" العصا الغليظة ".

وسمى شَعْبَه هناك بـ" شعب الله المختار" الذي أرسله الله إلى العالمين؛ ليبثوا وينشروا فيهم الديمقراطيةَ أو الحريةَ، وحقوقَ الإنسان والرخاءَ الاقتصادي ونحو ذلك، فهذه العصا الغليظة بمنجزاتها العسكرية المتنوعة – سواء منها ما يتعلق بالسلاح النووي والبيولوجي، أو بأسلحتها المتنوعة المختلفة الأخرى المعروفة – هم يَسعَوْن بهذه القوى العسكرية إلى أنْ يفرضوا عولَمتهم.

الثاني : " الذراع السياسي " .

ويكون استخدامه من خلال السيطرة على المنظمات السياسية العالمية وتوجيهها الوجهة التي يريدونها، ومن ثَمَّ نجد أن هذه التوجهات والمنظمات السياسية العالمية تسير وتُقَاد بطريقة معينة، وتفرض من خلال ضغوطها وشروطها ونظمها ومواثيقها على دول العالم الأخرى السير في الركب؛ شاءوا أم أبوا !!

ومن ثَمَّ استخدم الغرب هذه الذراع لفرض هذه العولمة مع الأذرع الأخرى التي سنوردها هاهنا.

الثالث : " الذراع الاقتصادي".

ويستخدم أيضًا من خلال المنظمات العالمية، وعلى رأسها منظمة التجارة العالمية والبنوك العالمية الكبرى، والشركات العالمية، ومن خلالها يحاولون أن يُعَوْلِموا العالم، ويسيطروا عليه اقتصاديًّا، ونَعْلَم أهمية القضية الاقتصادية فيما يتعلق بحياة الأمم والشعوب؛ فتَجِدُ مثلًا بعض هذه القوى الاقتصادية أو الشركات تستطيع بقدرتها المالية أن تبتلع دولًا، وهذا الابتلاع مقتضاه أن هذه الدول تصبح مدينة خاضعة تُمْلِي عليها النظم والحياة، وتسير من خلال استعمار اقتصادي، والتجارب متعددة، وما جرى لشرق آسيا حين حاولوا أن ينهضوا اقتصاديًّا - بما سُمُّوا بالنُّمور هناك - جَعَلَتْ أعداء الله (يتدخلون في أمور هذه الدول من خلال الناحية الاقتصادية، ويخترقون شركاتها وأسسها الاقتصادية، ثم بطُرُق معينة يلعبون بالاقتصاد لينهار السوق في ساعات محدودة!!

كيف سار هذا؟!

إنَّه استخدام لهذه الذراع الاقتصادية؛ لأجل إخضاع كل من لا يسير على الطريق الذي لا يريدونه، وإذا ما برزت قوة اقتصادية حاولوا تدميرها بقواهم الاقتصادية الأخرى.

الرابع : " الذراع التقني والعلمي ".

ونستطيع أن نعتبرها من أهم هذه الأذرع؛ لأنَّ أثرها كان كبيرًا، فأعداءُ الله في السابق حاولوا عولمة العالم واستعمار العالم الإسلامي، لكنْ ما كانت التقنية العلمية - المتمثلة في الاتصالات ووسائل الإعلام والشبكات العنكبوتية والمحطات الفضائية وغيرها من الوسائل - ما كانت مؤثرةً وبالغةَ الدقة كما هو الحال في السنوات

المتأخرة؛ فهذه التقنية العالية عند الغرب جعلته بالفعل يستخدم هذه الذراع بكل ما يملك من قوة لِفَرض العولمة على غيره من دول العالم الثالث ومنها العالم الإسلامي، وهي قضية واضحة مثل الشمس؛ لأنَّ هذه التقنيات فعلًا قد اخترقت الحُجُبَ، وأصبحت الدول التي كانت تَظن أنها تحيط نفسها بسُور من الجمارك مثلًا أو من غيرها؛ لتمنع وصول ما لا تريده إليها، أصبحت من خلال هذه التقنية تَرِد إلى بلادها وبيوتها، ومن خلال هذه الوسائل التقنية الدقيقة؛ لتخترق الحواجز والحجب، وتَنْفُذ لتنشر ما تريده من فكر وعقيدة وأخلاق ونظم .. إلى آخره.

فهذه الذراع التقنية المتطورة، والتي تتطور بسرعة، استطاعوا أن ينفذوا من خلالها، وهذا النفوذ الخطير هو الذي عَجَّل بالمتغيرات الكبيرة في كثير من بلاد العالم، ومنها بلاد العالم الإسلامي.

الخامس : " الذراع العقدي والثقافي والفكري ".

وهي من أخطر هذه الأذرع، وما الأذرع السابقة إلا لأجل أن تُمَكِّن هذا الذراع من أن يصل إلى الدول الأخرى، ويَنْفُذ في داخل المجتمعات من خلال وسائل متعددة، لينشر فيها عقيدة الغرب، ومنطلقاته الفكرية وثقافته، وحضارته ونظمه وأخلاقه وحياته، وهذا هو الخطر الأكبر .

هذه العولمة الثقافية والفكرية والعقدية حاولت أن تَنْفُذ، وتَنْقُل ما عند الغرب من حياة على مختَلف وجوهها إلى تلك الدول؛ مُعَوْلِمة لها، وفارضة عليها ما تريد؛ لتحقق بذلك جميع أهدافها، ومن ثَمَّ فإن هذه الذراع الخطيرة التي نعيشها نحن المسلمين بشكل أوضح؛ لأنَّ عقيدتَنا وإسلامَنا ودينَنا وشريعتَنا متميزةٌ، لها خصوصيتها الدقيقة الواضحة، أي أنه عند شعوب أخرى ربما لا يُهِمُّها أن تَنْتَقل من إلحادٍ إلى إلحاد، أو من كُفرٍ إلى كفر؛ لا يُهمها أن تَنْتَقل من مظاهر حضارية إلى مظاهر حضارية أخرى مختلفة، لا يهمها أن تنتقل مِن نظام وتشريع إلى نُظُمٍ أخرى مختلفة عنها، أما نحن المسلمين فلا؛ فالأمر عندنا خطير وكبير ومُهِمٌّ جدًّا.

آثَارُ العَوْلَمة في الجَانِب العَقَدي والثَّقافي والفِكْري

ومِنْ ثَمَّ فإن التفصيل في هذه الذراع وأثرها مهم جدًّا؛ ونحن نَقِف مع بعض آثارها باختصار:

[1] الانْحِراف العَقَدي

إنَّ من الآثار المتعلِّقة بهذه الذراع العقدية والفكرية والثقافية هو ما يتعلق بالعقيدة ، ونعني بها: أَنَّ حضارة الغرب أصلًا تقوم على الإلحاد، فهي حضارة مادية كافرة، وهي في ظل العولمة تَنْقُل إلينا نحن المسلمين عقيدتها، وإلحادها وماديتها، وهذا أمر واضح المعالم؛ فبلاد أوروبا اليوم تعيش على أصل كبير جدًّا يقوم على ركيزتين:

الركيزة الأولى: هي العلمانية الشاملة.

فهذه هي حياة الغرب، حتى وهُمْ يُدَعِّمون التنصير، ويدعمون الخدمات التي تقدمها الجهات الدينية وغيرها، لكنها حضارة قائمة بأصلها على العلمانية الشاملة.

الركيزة الثانية: أنها تنطلق من الحياة المادية، فالحياة عندهم هي أكل وشرب واقتصاد ?مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا? [الجاثية: 24].

هذانِ الركيزتان يَبرز من خلالهما – بصورة كبيرة جدًّا – الهدف من كون الغرب يريد أن يُعَوْلِمَ العالمَ الآخر، ومنه العالم الإسلامي؛ فإِنَّه ينقل إليه هذه الأصول الإلحادية الكبرى.

ولكَ أَنْ تتصور حياة الغرب القائمة على الكفر بالله ، سواء كان إلحاداً أو دينٌ محرَّف..

عبادة المسيح..! عبادة العُزَيْر..! أديان إلحادية أخرى وَثَنِية..!

فهذه هي التشكيلة الغربية سواء ما كان منها فلسفة معاصرة من اشتراكية أو شيوعية، أو من يكون منها مرتبطًا بِنَزَعات دينيةٍ سابقةٍ، لكنها تقوم على الكفر بالله سبحانه وتعالى ، وهي بِمُجْملها يريد العالم أن ينقلها إلينا نحن المسلمين عن طريق العولمة.

[2] الانْحِراف في النُّظُم والتَّشْرِيع

ومما أثر ت فيها العولمة أيضًا: نُظُم الحياة التي نسميها نحن بالشريعة، فالعدو يريد أيضًا من خلال هذه الذراع أن يفرض علينا نُظُمَهُ وحياته، فحياة الغرب ونظمه تختلف تمامًا عن حياتنا نحن المسلمين القائمة على أساس العقيدة التي تَنْبَثِق منها شريعة متكاملة تشمل جميع شئون الحياة، أي أَنَّ الْمُسلم لا يمكن أن يخرج في أي

شأنٍ مِنْ شئونه عن شريعة الله سبحانه وتعالى الكاملة: ?الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا? [المائدة: 3].

والحقيقةُ أَنَّ هذا المظهر من أخطر المظاهر؛ لأنَّ مظهر الحياة الغربية بنظمه لَمَّا تَعَوْلَم وانتشر في العالم – ونحن من هذا العالم – فإِنَّنَا نحن المسلمين نكون في هذه الحالة ممن يرتضي نظمًا غربية ونتخلى عن دينه وشريعته، وكما قال علماء السلف الصالح قديمًا: (مَا مِنْ بِدْعَةٍ تَحْيَا إِلَّا وَتَمُوتُ فِي مُقَابِلَهَا سُنَّةٌ) ، فكذلك أيضًا: مَا مِنْ نُظُم حياة تُسْتَوْرَد إلا ويقابِلُها انحسارٌ في شريعة الإسلام بالنسبة لنا نحن المسلمين؛ وبالطبع فنلاحظ أننا نَفْصِل تمام الفصل بين الشريعة المبنية على أصول عندنا نحن المسلمين وبين القضايا الإدارية البَحْتة، فنحن نتكلم اليوم عن الْأُوْلَى بشكلٍ أساسي، ونتكلم عن الثانية التي تَقْدُم إلينا بأصولها وجذورها.

[3] الانْحِراف الأَخْلاقِي

كذلك أيضًا بالنسبة للأخلاق ومعرفة الآثار الأخلاقية للعولمة في بلاد العالم الإسلامي؛ فالفسادُ الأخلاقي المتنوّع تجد أن هذه الذراع الثقافية بالفعل تؤثِّر وبشكل مباشر، وأظن أن هذا الأمر واضح تمام الوضوح، وأمثلتها كثيرة جدًّا، ونذكر منها :

• المرأة :

وخَصَّصْناها لأنَّها – فِعْلًا – مِيدانٌ ضخم لحرب الإسلام والمسلمين وتَغْيير أحوالهم؛ فجاءت العولمة بالنسبة للمرأة لتؤَثِّر على كثير مما يتعلق بحياة المرأة المسلمة، سواء ما يتعلق منها بدينها، وأهدافها، وغاياتها، أو بمظاهر الأخلاق والتصرفات، أو بالألبسة والأزياء وغيرها.

• اللغة العربية :

إنَّ اللغة العربية هي لغة القرآن، فالعولمة الآن تحاول أن تطغى لتجعل لغة العالم هي اللغة الأجنبية، وبالأخص اللغة الإنجليزية، وكثيرٌ من شبابنا اليوم بدأت طموحاته متأثرة بعوامل عِدَّة، يرى أَنَّ النمو الحضاري لن يكون إِلَّا بأَنْ يكون صاحب لغة أجنبية يُتْقِنها!!

وإتقانها – والحالة هذه – سيكون على حساب لغته العربية، فكيف إذا تطور الأمر ليكون منهج المدارس الابتدائية وما بعدها؟!

كيف إذا تطور الأمر لتنشأ المدارس العالمية التي تُدَرِّس أحيانا باللغة الأجنبية؟!

كيف إذا تطور الأمر إذا صار الخطاب الإعلامي في كثير من أحواله لا يكون إلا باللغة الأجنبية؟!

ونحن نعلم أَنَّه في الشبكة العنكبوتية لا تكاد تَذْكُر اللغة العربية، أما المواقع التي تُعَدُّ بالملايين باللغات الأخرى وعلى رأسها اللغة الإنجليزية، فهذا التَّصَلُّب اللغوي هو مظهر خطير جدًّا من مظاهر العولمة الفكرية والثقافية.

وينتج عن ذلك بالفعل عدةُ مؤثرات تتعلق بالأسرة وبالشباب وبالتعليم، تتعلق بحياة الإنسان وخصوصياته؛ هذه الأمور وغيرها هي من المظاهر الخطيرة بالنسبة للعولمة، وكثير من الناس – وإِنْ طُرِحَت عليه العولمة الاقتصادية أو السياسية أو غيرها – إِلَّا أَنَّه يرى أن الخطر الأكبر حين تكون العولمة فكرية ثقافية أخلاقية؛ لأن الأمم إذا دُمِّرَت من الداخل فإنها ستكون قد انتهت، إذا خَرِبت قلوبُها وعقيدتها وأخلاقها وأهدافها في الحياة، فإنها ستكون غنيمةً سهلة لأعدائها.

إنَّ الأَذْرُع الْأُوْلَى كافَّةً؛ السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والتقني، كلها جاء لتُسْتَخدم لفرض هذا المظهر والذراع الخطير، ألا وهو الخطر العقدي والفكري والثقافي على العالم الإسلامي.

العَوْلَمة والدَّعَوات البَاطِلة

هناك مظاهر عالمية أحيانًا تجدها تُقَادُ مِنْ قِبَل الغرب القوي المسيطر، والعالم الإسلامي يعاني ما يعاني منها؛ ومن أمثلة ذلك:

دعوى " حقوق الإنسان " :

فهي في المنهج الإسلامي منضبطة بالضابط الشرعي.

أما اليوم فانظر كيف تدور قضايَا حقوق الإنسان عالميًا ليُفرض المنهج الغربي؛ حتى وهو يَكيل بمكيالين مَفْضوحَيْنِ أمام العالم كله، إنها قضية تُطرح عالميًّا وتتعلق بحقوق الإنسان، والعالم الإسلامي يتلقى مثل هذه الطروحات ولا يدري كيف يتعامل معها؛ طُرُوحات لحقوق إنسان مبنية على المنهج الغربي والإلحاد الغربي، بالرغم من أنَّ لدينا منهج مُؤصِّل ونظيف في حقوق الإنسان، ثم تأتي حقوق الإنسان أو المنظمات العالمية لتبني منطلقاتها على المساواة التامة ، ومقتضى هذا أنه لا فَرْقَ

بين دِين ودِين، لا فرق بين من يعبد الأحجار، وبين من يَعبد الواحد القهار؛ فكل هؤلاء سواسِية، وفي منهج الإسلام العظيم لا يمكن أن يستوي هؤلاء: ?لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ?[الحشر: 20].

?أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ?[القلم: 35، 36].

وهكذا عندما تأتي الطُّروحات العالمية، مثل: المساواة بين المرأة والرجل، وهي قضية تخالف الطبيعة؛ فربنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ?وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى? [الليل: 1-3].

فالليلُ ليلٌ والنهار نهارٌ؛ هذا له طبيعته، وهذا له طبيعته، كذلك أيضًا الذَّكر له طبيعته والأُنْثى لها طبيعتها، فعندما تأتي مثل هذه الدعوات لتنادي بالمساواة، يأتي المنهج الإسلامي ليقول: لا.

فالبديل هو العدل، والعدل أحيانًا يكون بالمساواة، وأحياناً يكون بعدم المساواة، ولو قال قائل: تجب المساواة بين المجرم وغير المجرم!! لكان جميع الناس يعترضون على مثل هذا الطرح، وهل هناك أعظم إجرامًا ممن يكفر بالله سبحانه وتعالى ويلحد لنساويه بالمؤمن العابد لله تبارك وتعالى؟!

دعوى " تقارب الأديان العالمية " :

والمقصودُ بها عولمة هذه الأديان؛ ليخضع الإسلام لها، فعندما تأتي المؤتمرات العالمية كمؤتمر " السكان "، أو " المرأة "، أو غيره .. تجد أَنَّ هذه المؤتمرات تفرض حياة الغرب وثقافته، ونظمه.

والعالم الأخر أو الثالث، ومنه العالم الإسلامي يستجيب ويُوَقِّع ولا يعترض، وليس هذا للجميع، بل فيهم من يعتذر عن مثل ذلك، لكنَّ الغاية لِمِثل هؤلاء هي أن يتحول هذا المؤتمر المنبثق من قضايا غريبة ليفرض على المسلمين في حياتهم ودينهم وتعليمهم وأخلاقهم.

هذه الأذرع الخمسة للعولمة قد أَوْجَدت حالةً في العالم كله ومنه العالم الإسلامي، هذه الحالة سارت مسار نقاش وطروحات متعددة؛ لأن الكل يَحس بها ويراها ويعايشها..

مَوْقِفُ المُجتَمَعَات مِنْ العَوْلَمَة؟!

لقد بَرَزَت مواقف عِدَّة لِفِئَاتٍ عِدَّة مِنْ هَذِهِ العَوْلَمة نُشِير إِلَيها باختصار، ونُفَصِّل فيما نراه أصولًا ومنطلقات في الموقف من العولمة .

الفئة الأولى : وقفت بالنسبة للعالم الإسلامي من العولمة موقفَ المرحِّب بها الداعي إليها؛ ففَتَحَتْ لها ذراعيها، وهَلَّلَتْ لها، وصارت تنتظر سرعةَ تأثيرها في بلاد المسلمين، وهذا النوع يشمل غالبية أصحاب الأفكار المنحرفة في داخل العالم الإسلامي؛ كأصحاب التوجهات الاشتراكية، واليسارية، والقومية، والعلمانية، وأصحاب الحداثة الفكرية على مختلف مدارسها..

فكُلُّ هؤلاء يرحبون بالعولمة، ورأوا أنها ستكون وسيلةً لتحديث بلاد العالم الإسلامي وتغييرها، وهؤلاءِ إنما رحَّبوا بها لأنهم يَعيشون غربةً في بلاد المسلمين، يَعيشون صراعَ نُخَبٍ عربية ترى أنها هي الأعلى فكرًا وثقافةً .. إلى آخره.

لكنها تَصطدم مع أصول المجتمع وقضاياه وأُسُسه الإسلامية والعقدية، وهذا الصراع برزت مظاهرُه أكبرَ فأكبرَ من خلال المرحلة الماضية بالنسبة للصحوة الإسلامية التي بدأت بعد هزيمة (67)(1)، ومِن ثَمَّ فإن أصحاب هذه الأفكار لَمَّا أقبلَتْ هذه العولمة بأَذْرُعتها وجدوها مخرجًا له، وهذا المخرَج جعلهم يُرحِّبون بهذه الحضارة وعولمتها وفسادها وإفسادها، وتَبِعَهم على ذلك جمهرةٌ من العامة أصحاب الشهوات والفجور؛ فهم يريدون هذه العولمة ليأخذوا منها ما يشاءون بحسب ما تريده شهواتهم.

فهذا النوع من المفكرين والمثقفين رحَّبوا بالغرب، وبكل ما يأتي من الغرب، وليسوا بِدْعًا؛ فقد سَبَقهم قبل سبعين وثمانين سنة مِن أساتذتهم مَن أتى بنفس الفكرة لَمَّا استعمر الغرب العالم الإسلامي بعد سقوط الدولة العثمانية ، فكانت هناك دعوات لأدباء ومفكرين في ذلك الوقت تنادي بأن نكون قطعة من أوروبا، وبأن نتحول إلى جزء من الحضارة الغربية؛ رافضين لدينهم وإسلامهم وعقيدتهم وتراثهم.

الفئة الثانية : هي الفئة التي رَفضت العولمة، وهذه الفئة رأَتْ أَنَّ العولمة مظهر من مظاهر الاستعمار والاستعباد، وأنها خطر على الأمة، فرفضتها واعتزلتها اعتزالًا تامًّا؛ وهذا النوع من العجيب أنه انقسم – وإن كانوا قلةً – نوعانِ متضادانِ:

النوع الأول: من الأخيار الذين رأوا أن خطر هذه العولمة يقتضي العزلة؛ عليكَ بخاصة نفسك.

وهذا بلا شك إنِ اسْتطاعه فردٌ أو فردانِ، لكنْ من الناحية العملية؛ ففيه صعوبات كبيرة جدًّا، خاصَّةً في هذه الأحوال التي نعيشها .

النوع الثاني: هو فئات من أصحاب التوجهات اليسارية وغيرها الذين رأوا في العولمة استعمارًا رأسماليًّا ؛ فرفضوها من منطلقات يسارية إلحادية.

الفئة الثالثة : وَهُم بعض الذين طرحوا هذه القضية ، وحاولوا أن يعالجوا وضعها؛ فانتهوا إلى حلٍّ هم يسمونه وسطًا ؛ وأعني به الحلَّ الْمُلَفَّق بين " الحضارة الغربية والإسلام "!!

بمعنى : أن هؤلاء رأوا أَنَّه لا يمكن أن نقاوم العولمة بالقرآن والسنة، أو بكتب الفقهاء المتقدمين، وقال هؤلاء: لا يمكن أن نواجه حضارة المحطات الفضائية والإنترنت والاتصالات والإعلام والسرعة .. إلى آخره بتلك!!

إذًا؛ فما هو الحل عندهم؟

جاء في أُطْرُوحاتِهم أَنْ لَا نَتَخلى عن أصولنا، لكنْ أيضًا يمكن أن نواكب هذه المتغيرات لنجد لها مساحات معينة في المنهج والفكر الإسلامي وفي الفتاوى الإسلامية، في كلام الفقهاء، وأحيانًا في شذوذات الفقهاء، في رخصهم وهكذا..

عملوا نوعًا من الدمج والجمع بين هذينِ؛ ليتَوَصَّلوا إلى منهج عصراني يتواكب مع الحالة المعاصرة والعولمة التي نصطلي بنارها في هذه السنوات الأخيرة.

إنَّ هذا النموذج أيضًا ليس بِدْعًا؛ فقد سَبَقه إليه أيضًا نموذجٌ آخرُ قبلَ سبعين أو ثمانين سنة لَمَّا جاء الاستعمار إلى العالم الإسلامي، فهناك فئات أرادت أن تجمع بين الإسلام والحضارة الغربية، وأن تخضع لكثير من الأمور الحضارية الغربية بعض الأصول والقواعد الإسلامية والشرعية، وجمعوا بينهما بما يسمى بـ" المدرسة العقلية الحديثة "، لكنها في النهاية لم تنجح، والسببُ في ذلك هو أن هذا الطَّرْح المبني على تنازلاتٍ، وإخضاع أصول الدين وقواعده لتلك الأحوال المعاصرة من باب مجاملتها.

كل ذلك يؤدي في النهاية إلى أن يَعتَزَّ الغرب بطرحه، ويؤدي إلى أن يكون المسلم المتبَنِّي لذلك أن يَضْعُف انتماؤه لأصولِه، فهو بذلك يشبه إلى حد كبير علماءَ الكلام الذين كانوا في الزمن الأول.

كـان فـي الـزمن الأول وفـق الكتـاب والسـنة والعقيـدة الصـافية، ثـم تُرْجِمـت الفلسـفة اليونانية، فاطلعوا عليها وأُعْجِبوا بها، فلمَّا أُعْجِبوا بها أرادوا أن يجمعوا بين أصولهم الإسلامية وبين الفلسفة اليونانية الإلحادية، فحدث الخَلْط بينهما، ونَتَج ما سُمِّي بـ" علم الكلام "، الذي أصوله فلسفية، ومُزَيَّن ومُزَرْكَش بما يوافقه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وما الذي أنتجه علم الكلام هذا؟

كان أحد أسباب تأخُّر العالم الإسلامي؛ لأنه شغلهم في مناقشات لا مساس لها بالواقع والحياة العملية، فأصبح علماء الكلام كما قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا للفلاسفة كسروا، ولا للإسلام نصروا)(2).

فانتبهوا إلى العبارة!! لأن الفلاسفة تسلطوا عليهم لَمَّا وافقوهم على بعض أصولهم.

كذلك أيضًا التوجهات العصرية في هذه الأيام؛ فلو أنها – واللهِ– كَسَرَتِ الغربَ وأَحْرَجَتْه، واستطاعت أن تنتج لنا – فعلًا – توجهاتٍ فيها الاستقلال، ولو أنه فيه ما فيه؛ لقلنا واللهِ: نعم .. هذه جهود لها ثمرتها ونحترمها؛ لكنها طُرُوحات أَطْمَعت فينا الغرب مرةً ثانيةً؛ وأيما دولة إسلامية أو عالِم أو مفكر إسلامي قدّم تنازلاته بهذه الطريقة إلا وجعل أعداءَ الله سبحانه وتعالى يطمعون فيه وفي دينه؛ ليقوم بتنازلات أكثر فأكثر.

الطَّرْحُ المُعاصِر " اسْتِسْلام المَغْلُوب "!!

ومِنْ هنا فإنَّ هذا الطَّرْح – الذي نسميه نحن بالطرح المعاصر – خطورَتُه تأتي مِنْ أَنَّه ينظر إلى القضية من خلال تنازلاتٍ يجب أَنْ يُقَدِّمها لعدوٍ غَالبٍ ظالِمٍ مُسَيْطِر، أي: أَنَّه استسلام المغلوب؛ هذا الوضع سيجعل هذا الطاغي الظالم يطالب بتنازلاتٍ أكثرَ فأكثرَ؛ مع أنه في دين الله سبحانه وتعالى الأمر واضح تمام الوضوح؛ يقول الله – تبارك وتعالى– فيه ? وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ?[البقرة: 120].

البلاد العَلْمانية اليوم في كثير من العالم الإسلامي، أليست بعلمانيتها قد لَحِقت برَكْب علمانية الغرب؟!

الجواب: بلى.

وهل الغرب اليوم يحترمها ويُقَدِّرها؟!

الجواب: لا؛ فهو لا يزال يعتبرها شرقيةً، ويطلب منها المزيد من الخضوع، لا يزال يَسْخر منها ويحتقرها، لا يزال يقول بصوت عالٍ: إن الديمقراطية وحقوق الإنسان هي للغرب وليست لهؤلاء؛ إذا كنا قَدَّمْنا لأعدائنا وتنازلنا لهم إلى حد أن نُقَدِّم لهم العلمانية ونفرضها ونحارب دين الله من أجل ذلك، ومع ذلك فالغرب لا يرضاه، وإنما يريد المزيد من التبعية والتبعية حتى يكون الدهس بالأقدام؛ أي: إلغاء الهوية من جميع جوانبها، فكذلك أيضًا نقوله لمن يريد أن يَطْرح طُرُوحات معاصرة؛ فنقول له: إنَّ هذا الطرح في النهاية لن يُرْضِي الغرب، ولن تكون – والحالة هذه – ممن ثبت وبَقِيتَ على منهجك وعلى أصول دينك.

مَوَاقِفُنا تِجاهَ " العَوْلَمَة "

إنَّ مَوْقِفنا من هذه العولمة اليوم ينبغي أن يكون موقفًا مدروسًا، واسمحوا لي في هذه الفقرة الأخيرة أن أطرح جملة من المنطلقات التي يجب أن ننطلق منها في موقفنا من العولمة:

أولا : أن نحدد منذ البداية طبيعة الدين الإسلامي في موقفه من " الجديد " :

بمعنى: أننا لا يجوز لنا أن ننظر إلى قضية العلم والإسلام على أنها صراع، فقد وُجِد الصراع نعم في الغرب بين الدين والعلم؛ لأن الدين محرَّف، أما عندنا نحن المسلمين فلا يمكن من أن يوجد صراع، لا يمكن أن يكون في دين الله من كتاب الله والسنة الصحيحة ما يخالف نظرية غربية صحيحة أبدًا، فلا صراع بين الدين والعلم، ولا تَعارُض بين العقل والنقل في المنهج الإسلامي؛ لأن كليهما من الله ?أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ?[الأعراف: 54].

فالحضارةُ المعاصرة هل هي التي اخترعت؟!

بالطبع لا؛ فهي تعمل في مخلوقات الله عز وجل، واللهُ هو الذي جعل في هذه المواد القابليةَ للتصنيع وليس الغربُ، ولهذا فَإِنَّ غاية الغرب أَنَّه يكتشف، حتى الإنسان خلقه اللهُ، غاية ما عنده من العلم أَنَّه يكتشف طبيًّا خليةً كان جاهلًا بها آلاف السنين، لكنَّ الخلقَ خَلْقُ اللهِ.

وكذلك كتابُ الله وسنةُ النبي صلى الله عليه وسلم التي هي وحيٌ، فهما عندنا يجب ألا نوجِد الصراع بينهما؛ لأنه لا يوجد في المنهج الإسلامي.

فهذا المنطَلق من هذه القضية مهم جدًّا؛ حتى نعلم كيف يتميز الإسلام عن غيره في نظرته للحياة؟

الإسلام دين الله الحقُّ، فالقضيةُ فيه منفصلة، فهو ليس دين يقول لك: اجلس في المسجد إذا أردت العبادة وانتهى الأمر؛ فهو ليس دين رهبنة، ولا صوفية ولا غيرها من المناهج التي تريد أن تعزل الإنسان عن الحياة، بل بالعكس، فديننا دين علم يبني حضارة، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

ثانيا : أن نواجه عولمة الغرب بالعودة إلى الذات :

العودة إلى ما عندنا من أصول ؛ إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما يَنْبَثِق عنهما من عقيدة وشريعة.

وقد يقول قائل: وهل هذه العودة ممكنة مع هذه العولمة الطاغية؟!

فأقول: هناك دول أخرى كافرة مثل اليابان؛ دولة وثنية ومتطورة صناعيًّا، وبالفعل واجهت العولمة كغيرها، أتدرون كيف واجهتها؟!

واجهتها بأن عادت إلى أصولها وجذورها وهي كافرة؛ حتى لُغَتها، ويخبرني أحد الأطباء ويقول لي: " جاء فريق طبي ياباني ليُجري عملية في مستشفى الملك فهد في الرياض، وجلسنا نحن معه في أثناء العملية، وأشدُّ ما أَحْرَجَنا أنه في أثناء العملية لا يعرف اللغة الإنجليزية؛ حتى المِقص والقطن كنا نحاول أن نُفْهِمه إياها بالإنجليزية، فكان لا يعرفها ".

فسبحان الله!! فلاحظ كيف يعتزُّ بلُغَته، وكيف يبني حضارة من خلال لُغَته.

ويقول لي هذا الأستاذ: " واللهِ في الجامعة في اليابان كنتُ قد بحثتُ عن كتاب بالإنجليزية لأقرأ فيه وما وجدتُ؛ بل كلها مترجمة إلى اللغة اليابانية ".

فأقول: سبحان الله!! دولة وثنية تواجه العولمة وتعود إلى أصولها وتؤصل. فأين نحن منها؟!

ونحن المسلمون لدينا دين وعقيدة وشريعة، بل بعض دول أوروبا مثل فرنسا وألمانيا ترفض عولمة أمريكا، وترفض عولمة اللغة الإنجليزية وحضارة أمريكا؛ لأنها لها

أصولها وتراثها ولغتها، فإذا كانت هذه الدول نفسها تعود إلى أصولها وجذورها مواجِهةً لهذه العولمة، فما بالُنا نحن المسلمين؟!

إنَّ المنطلق الثاني الأساسي حقيقةً بالنسبة لنا نحن المسلمين في مواجهة هذه العولمة هو فعلًا أنْ نسارِع إلى أن نواجه عولمة الغرب بالتأصيل، والعودة إلى أصولنا وجذورنا وإلى ديننا، وليس بالانسياح أمام ثقافة هؤلاء الأعداء وفكرهم وعقائدهم.

ثالثًا : الأخذ بالأسباب الشرعية والمادية في مواجهة هذه العولمة :

ونحن نَعْلَم علم اليقين أن قوة العدو مهما كبرت وكثر عددها وعدتها، إلا أنها في ميزان الصراع بين الحق والباطل حين يكون المسلمون حاملين لدينهم الحق لا يمكن أن يُنظر إليها على ميزان المساواة، فتاريخُ المسلمين من أوله إلى آخره وانتصاراتهم كلها مبنيَّة على قلة المسلمين وضعفهم في العدد والعُدَّة وعلى كثرة عدوهم؛ فكذلك أيضًا بالنسبة لقوة هذه العولمة وتأثيرها؛ فإننا نستطيع أن نواجهها بأمرينِ:

• الأخذ بالأسباب الشرعية. • الأخذ بالأسباب المادية.

فربُّنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ?وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ? [الأنفال: 60]، وبالإمكان أن نحول تقنية هذه العولمة بضوابط إلى أن تكون وسيلةً لنا نحن؛ لنقاوم هذه العولمة، ونعيد تأصيل حياتنا ومناهجنا.

رابعًا : مواجهة عولمة الغرب بعالمية الإسلام :

والحقيقةُ أنَّ هذا خيارٌ عالمي بالنسبة لنا نحن المسلمين؛ أَنْ نواجه عولمة الغرب بِأَنْ نَنْشُر وندعو بكل الوسائل إلى عالمية الإسلام.

وهذه الدعوة يجب أن يُلاحَظ فيها الأمور التالية :

1- أنه لا مكان للقوميات والجاهليات في بلاد المسلمين :

فإنَّ أمةٌ الإسلام، أمةٌ واحدة، وهي لا يمكن أن تدعو إلى عالمية الإسلام في الغرب ما لم تكن أيضًا بلاد المسلمين يجمعها فقط رابطٌ واحد؛ هو رابط الإسلام، ومن هنا فإن الدعوات القومية والوطنية والمادية الجاهلية وغيرها هي بالفعل بالنسبة لنا نحن المسلمين تنتهي إلى أن يتفرد الغرب بعولمته من هذه الدولة إلى تلك الدولة؛ لتكون في النهاية أشتاتًا ممزَّقة بين أنياب الغرب الذي لا يَرْحم.

2- نحن ندعو إلى عالمية الإسلام في مقابل عولمة الغرب :
نُقَدِّمه ونحن نَثِق بهذا الإسلام وبهذا الدين، والإنسان الذي لا يَثِق بدينه لا يمكن أن يُقَدِّمه؛ فالمهزومُ الذي يرى عدوَّه هو الأقوى والمنتَصِر، ويُعْجب به وبحضارته وفِكْرِه لا يمكن أن يقاوِم أبدًا، فضلًا أن يقدِّم البديل.
ومِن هنا فلا بُدَّ أن ننطَلِق من الثقة في الذات؛ ففي زمن النبي صلى الله عليه وسلم تَحزَّبت الأحزاب على المسلمين من كل ناحية، فماذا فعل المسلمون؟ قال الله تعالى: ?وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا?[الأحزاب: 22]؛ فانظر إلى المنهج! فعولمة الغرب يجب أن تَزِيدكَ ثقةً في إسلامِكَ، وليس رَكْضًا ولَهْثًا أمام الزُّبالات من أفكار الغرب.
3- أن نقدم النموذج لتطبيق الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة :
ومِنْ ثَمَّ فلا مكانَ للعلمانية في بلاد العالم الإسلامي، فإذا أردنا أن نواجه هذه العولمة فعلينا أن نقدِّم النموذج الصحيح، وإذا صَدَقْنا - وأعني بذلك جميع فئات الأمة - في العودة لديننا وتحكيمه، فسَنُقدِّم - فعلًا - النموذج؛ لأن دين الله لا يمكن إلا أن يكون صالحًا لكل زمان ومكان.
4- اليقين بأن المستقبل للإسلام :
فالإسلامُ ينتشرُ وينتصر؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب وهم ينتظرون الأحزاب مُقْبِلين على المسلمين لِيدمِّرُوهم في ساعةٍ كان صلى الله عليه وسلم في أثناء حَفْر الخندق في قصة الصخرة يُبشِّرُهم بفتح كنوز كِسْرى وقيصر واليمن ، إنه يبيِّن لهم أنه مهما حُورِب الإسلام، ومهما تَحزَّب عليه أعداؤُه؛ إلا أن المستقبل للإسلام.
ووالله؛ إنَّ هذا لَيُرَى اليوم رَأْيَ العين، فالإسلام يَنْتشر ويَقوَى في كل مكان.
ووالله؛ إنكَ لتَعْجب أنكَ لَتَجِدُ في بعض المسلمين ضعفًا وخَورًا وتنازلاتٍ في نفس اللحظة التي ينتصر فيها الإسلام وينتشر هنا وهناك. لِمَ؟!
لأنه دين الله الحق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا في الحديث الصحيح أَنَّ رُوما ستُفْتَح(3)؛ روما عاصمة النصرانية سيَفْتَحُها المسلمون، وهذا خبرُ مَن لا يَنطق

عن الهوى صلى الله عليه وسلم، وقال في الحديث الآخر: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ)(4).

إذًا؛ ننطلقُ من خلال إدراكنا أَنَّ المستقبل للإسلام، وأَنَّه لا مستقبل للبشرية حقيقيًّا وحياةً حقيقيةً إلا بالإسلام.

5- أن نقدم عالمية الإسلام ونحن نُوقِن أنه هو البديل لعولمة الغرب وحضارته الزائفة:

إنَّ حضارة الغرب هي حضارة تحمل في طَيَّاتها عواملَ انهيارها وفسادها، وما رأيُكم بحضارةٍ تقوم على الإلحاد، وعبادة الإنسان؟!

ما رأيكم بحضارة تقوم على الأخلاق النفعية؟!

فمُنْذُ خمسين أو ستين سنة يُطَنْطِن الغرب بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فلمَّا تعارضت مع مصالحه صار يَدْهَسُها بالأقدام!!

فهل هذه حضارة تقدِّم للعالم ؟!

لا يمكن.

ما رأيكم بحضارة الانحراف الخُلُقي والإيدز؟!

حضارة يُقِرُّ البرلمان - الذي يُمَثِّل الشعبَ - الشذوذَ الجنسي، ويضع له نظامه، ويحترم أصحابه!!

حضارة تُقِرُّ بقضية الخيانة الزوجية بين الطرفين!!

حضارة عُرْي!!

حضارة مادة!!

صحيحٌ أنَّ لها عنوانًا مظهريًّا وهو: (القوة سياسيةً كانت أو عسكريةً)؛ لكنها في داخلها يَنخر فيها الفسادُ، ولا أَسْتثني من ذلك دول أوروبا كلها، ولهذا لا يَشْعر بهذه الحقيقة إلا المسلمُ الذي أَسْلَم من بلاد أوروبا؛ هو الذي يُحِس بالفارق الكبير بين ما يقرأه ويُحِسُّه ويشعره عن الإسلام، وبين الحضارة الغربية بكل ما فيها من مظاهر جوفاء خَدَّاعة.

يُخْبِرني أحدُ الإخوة ويقول:

" بعضُ البَعثات الدَّعَوية في فرنسَا كان لهم جهودٌ، فأَسْلَم على يديهم رجلٌ مفكِّرٌ فرنسيٌّ، ويقول بأنه رجلٌ فاضلٌ وأَسْلم، فيقول: دَعَوْناه إلى إحدى دول الخليج للزيارة، فزَارَنا، ووَضَعْنا له حفلةً ضخمةً في إحدى الصالات حتى نلتقي به ونسأله، فجَهَّزْناها وحَضَر الحاضرون، وجاء هذا الأخُ على المنَصَّة وبجانبه المقدِّم، وإذا به يقول للمُتَرْجِم: قل لهؤلاء الحاضرين لا سلامَ عليكم ولا رحمةً ولا بركةً، فتَلَعْثَم المترجِم!!

فالأخوة قد فَرِحوا به ويريدون أن يسمعوا منه ويسمع منهم، وإذا به يُجابِهُ بهذه الكلمة الغريبة!!

فأعاد عليه مرةً ثانيةً وقال له: قل لهم أقول لكم لا سلامَ عليكم ولا بركةً ولا رحمةً، فتَلَعْثَم، فقال: قُلْهَا؛ لا تتردد، أنا أعني ما أقول، فقال : أخوكم في الله يقولُ لا سلامَ عليكم ولا بركةً ولا رحمةً، فضَجَّت القاعة؛ كيف يحدث هذا؟!

ولكنه سُرْعانَ ما تكلَّم وقال لهم: اسمعوني، أنا جِئْتُكم من بلاد الغرب وهداني الله للإسلام، أين أنتم منذ عشرين وثلاثين سنة وأربعين سنة؟!

أين أنتم ومعكم هذا النور المبين؟! لماذا لا تقدموه لنا؟!

أنا ماتت أمي، وماتت أختي وأقاربي على غير الإسلام، فأين أنتم من هذا النور؟ لماذا لا تقدِّمُونه لنا في بلاد الغرب؟! "

إنَّ حَرْبَ الغرب للمسلمين وتشويههم، يمكن أن نَنْفذ من خلالها، لكن بشرط أن نُقَدِّم هذا الإسلام للناس حضارةً ليس لها بديل.

في عالم اليوم حضارة قابلة للانهيار؛ لأنها منهارة من الداخل، فالبديل ما هو؟

البديل لن يكون إلا بالإسلام؛ لأنه – فعلًا – دِينُ الله الذي ارتضاهُ، دينُ العبودية للواحد القهار، دين السعادة للإنسان في الدنيا وفي الآخرة.

وهو – واللهِ – لَدَوْرٌ عظيم بالنسبة لنا نحن المسلمين، يجب أن يُنَبِّه له العلماء والدعاة ورجال الصحوة وطلاب العلم، وكلُّ مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة يدرك ويعلم أنه على ثَغْرة من ثغور الإسلام.

فاللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قِبَلِك في ظل عولمةٍ طاغية لا تَرْحم.

أسأل الله تعالى أن يُعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأنْ يجعلنا من أنصار هذا الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتويات

الموضوع الصفحة

مقدمة ....

تعريف العولمة ....

خطـــــــــورة العولمـــــــــة فــــــــي واقعنـــــــا المعاصــــــــــر ....

العولمة وأذرعها الخمسة ....

الأول : الذراع العسكري ....

الثاني : الذراع السياسي ....

الثالث : الذراع الاقتصادي ....

الرابع : التقني العلمي ....

الخامس : العقدي والثقافي والفكري ....

آثَارُ العَوْلَمة في الجَانِب العَقَدي والثَّقافي والفِكْري ....

1- الانْحِراف العَقَدي ....

2 – الانْحِراف في النُّظُم والتَّشْرِيع ....

3- الانْحِراف الأَخْلاقِي ....

العَوْلَمة والدَّعَوات البَاطِلة ....

دعوى " حقوق الإنسان " ....

دعوى " تقارب الأديان العالمية " ....

موْقِف المجتمعات مِنْ هَذِهِ العَوْلَمَة؟! ....

الطَّرْحُ المُعاصِر " اسْتِسْلام المَغْلُوب "!! ....

مَوَاقِفُنا تِجاهَ " العَوْلَمَة " ....

المحتويات ....

(1) يُقْصَد : حرب (5 / يونيو / 1967) .

(2) مجموع الفتاوى(300/16) ، ودرء التعارض(345/3) .

(3) [صحيح] أخرجه أحمد [176/2]، والدارمي [126/1]، وابن أبي شيبة في المصنف [2 /47/ 153] وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة [4/33/1] .

(4) [صحيح] أخرجه أحمد في المسند (4 / 103) ، والحاكم في المستدرك (4/ 477) وغيرهما من حديث تميم الداري رضي الله عنه ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي بقوله : على شرط البخاري ومسلم .

==============

#كي لا نسقط في الهاوية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فقد أخفق العلمانيون في محاولتهم إقناع الأمة بأفكارهم، واستمروا على اختلاف اتجاهاتهم شراذم قليلة معزولة لا تمت إلى عامة الأمة بِصِلَةٍ، وبعد فترة طويلة اتجهوا إلى تطوير استراتيجيتهم؛ فمن محاولة التأثير على الأفكار إلى محاولة تغيير السلوك والأخلاق وتفكيك الأسرة وإفساد المجتمع وطمس هويته من داخله، والقيام بتفريغ عقول الأمة من قيمها وإغراقها بالشهوات من دون ضابط شرعي أو حاجز أخلاقي.

والمتأمل في واقع الأمة اليوم يلمس نجاحًا كبيرًا تحقق للقوم في هذا الاتجاه، وكان المدخل الكبير والباب العريض الذي ولجوا منه إلى ذلك هو التأثير على المرأة دفاعًا عن حريتها وإرجاعًا لحقوقها المهدرة . فيما زعموا ..

ويعود هذا النجاح إلى أسباب عديدة يمكن إجمالها في جوانب ثلاثة:

الأول: أسباب تعود إلى المرأة والمجتمع، وأهمها:

– الجهل المفرط في أوساط كثير من النساء بقيم الإسلام وأحكامه ومقاصده، وقد زاد من خطورة هذا الأمر عمليات التشويه التي يمارسها العلمانيون تجاه التشريعات الإسلامية المتعلقة بالمرأة عن طريق تناولها بشكل مجزأ يجعلها بعيدة عن التشريعات التي وردت في سياقها، مع إغفال متعمد لبيان مقاصد الإسلام من تشريعها؛ بهدف

إظهار قصورها وتجاوز العصر لها ووقوفها حجر عثرة في طريق نيل المرأة لحريتها وحقوقها.

– ظاهرة ضعف الإيمان لدى كثير من النساء نتيجة عدم قيام المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية بالدور المنوط بها تجاه هذا الأمر، وتركها الحبل على الغارب لصواحب السوء وذوي الشهوات ليقوموا عبر الوسائل المختلفة بالسيطرة على عقل المرأة ومشاعرها ومن ثَمَّ تحديد اتجاهاتها وتوجيه ميولها حسب ما يشتهون.

– غفلة كثير من النساء عن حقيقة رسالتهن في الحياة، والدور المنوط بهن في بناء الأمة وصيانتها من عوامل الزيغ والانحراف.

– قيام بعض النساء المترفات بتبني دعوات العلمانيين وبروزهن واجهة لكثير من الأنشطة المقامة، وتوفيرهن للدعم المعنوي والمادي الذي تحتاجه بعض الأنشطة،إضافة إلى تغريرهن بقطاع عريض من النساء اللاتي جرت العادة بقيامهن بتقليد مترفات المجتمع وكبرياته لعظم جهلهن وضعف إيمانهن.

– أن جزءًا كبيرًا من المحافظة الظاهرة لدى كثيرات يعود إلى أعراف قبلية وتقاليد اجتماعية متوافقة مع الشرع دون أن يكون لها بعدٌ إيماني في نفوس كثيرات، ومن المعلوم أن الأعراف والتقاليد ليس لها طابع الثبات بل هي قابلة للتبدل بمرور الوقت خصوصًا متى تغيرت أوضاع المجتمع: علمًا وجهلاً، غنىً وفقرًا، انفتاحًا وانغلاقًا، ويتسارع هذا التغير حين توجد جهات تخطط للتغيير وتستخدم سبلاً ملتوية تحتفي فيها بالقديم . إذا احتفت . معتبرة إياه تراثًا لعصر مضى، وتلمِّع فيها ما تريد نشره وتجعله من متطلبات التقدم وعلامات الرقي والنهضة.

– الانحراف العام والانحطاط الشامل الذي أصاب المجتمع المسلم في كثير من جوانب الحياة المختلفة،والذي بدوره كان له أكبر الأثر في ضعف كثير من النساء وقيامهن بالتفاعل مع الطروحات العلمانية بشكل ظاهر.

الثاني: أسباب تعود إلى العلمانيين، وأهمها:

– عملهم بهدوء وبأساليب خافتة حرصًا على عدم الدخول في مواجهات مكشوفة، وسعيهم إلى تحقيق أغراضهم المشبوهة عن طريق لافتات وشعارات مقبولة، مع الحرص على الاستفادة بأقصى مدى ممكن من بعض أهل العلم وبعض المحسوبين

على الدعوة لقبول أعمالهم من قِبَل العامة وتسويغها أمامهم شرعًا من جهة، ولإحداث شرخ في صفوف العلماء والدعاة من جهة أخرى.

– استفادتهم من مرحلة الضعف والهوان التي تمر بها الأمة، ومن قوة الغرب النصراني – حيث يرتبطون به ويعملون على تحقيق مصالحه بصورة فجة – والذي يضغط بقوة في سبيل فرض حضارته وهيمنة قيمه وشيوع سلوكياته في المنطقة تحت مسميات مختلفة كالعولمة والديموقراطية ودعاوى حقوق الإنسان وحرية المرأة وحرية الاعتقاد إلى آخر القائمة.

– إبرازهم لصور الظلم التي تقع على المرأة في مجتمعاتنا، واتخاذها موضوعاً ومدخلاً للحديث عنها بهدف تحقيق مآربهم وإشاعة السلوكيات والأخلاق التي يروجون لها ويدعون النساء إلى تطبيقها.

– العمل على زعزعة الثقة بين العلماء والدعاة من جهة والمرأة من جهة أخرى بهدف إيجاد فجوة بينها وبين الدين، وذلك عن طريق وصمهم لأهل العلم والدعوة بالتخلف والجمود وعدم عيش الواقع وإدراك متطلبات العصر والوقوف حجر عثرة في طريق نهضة المرأة ورقيها، والتسبب في صور الظلم الحاصلة عليها في بعض مجتمعاتنا الإسلامية.

استهواء المرأة وإغرائها وتزيين ما يشتهون لها عن طريق الاستفادة من بعض الخصائص التي تتمتع بها إجمالاً كقوة العاطفة وسرعة التأثر وضعف الخبرة في مجريات الحياة ومكائدها،وحب التزين والرغبة في الترفيه.

– تحسين صورتهم لدى المرأة وكسب ثقتها عن طريق إقامة بعض المؤسسات الطوعية التي تقدم بعض الأنشطة الاجتماعية والجمعيات التي ترفع عقيرتها بالمطالبة بحقوق المرأة وإنصاف المجتمع لها.

– الاستفادة من الخلاف الفقهي وشذوذات بعض أهل العلم في بعض المسائل الشرعية المتعلقة بالمرأة في محاولة إيجاد مسوغات شرعية لما يدعون المرأة إليه عن طريق التلفيق بين تلك الآراء والأخذ من كل عالم فتواه التي تخدم أهواءهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى سعيهم إلى الاستفادة من ذلك في تشويه صورة بعض أهل العلم والدعوة، وزعزعة الثقة بينهم وبين المرأة عن طريق ضرب آراء بعض أهل العلم

ببعض، ووصم أصحاب الاجتهادات التي لا تتوافق مع أهوائهم بالتشدد والجمود وإرادة التعسير على المرأة وكبتها والتضييق عليها.

– التدرج في تحقيق أهدافهم؛ فمن المطالبة بحقوق مشروعة هي من صميم قيم الإسلام وتعاليمه إلى مزج ذلك بحقوق تتناقض مع قيم الإسلام إلى العمل على إحلال قيم الغرب وتقاليده محل قيم الأمة وتقاليدها ومطالبة أفراد المجتمع بتغيير هويتهم للوصول إلى الوضع المرتجى لهم.

– سعيهم إلى الفصل بين ما يزعمون أنه الدين الصحيح الذي يرفعون شعار التمسك به والدفاع عنه، وبين العلماء والدعاة الذين يزعم العلمانيون بأن دعوتهم للمرأة ليست من الدين الصحيح في شيء وإنما هي مجرد تشدد وتحكم في المرأة بأمر لا أصل له في الدين.

– تضخيم أخطاء العلماء والدعاة ونسبة بعض الشنائع زوراً إليهم، والاستفادة من ذلك في عملية التشويه وزيادة الفجوة بينهم وبين بعض نساء المجتمع،وفي المقابل تضخيم العلمانيين لأعمالهم والمنكرات التي يروجونها لتضخيم وزنهم في المجتمع،ولتصوير أن جل النساء معهم، ولتيئيس العلماء والدعاة من إمكانية الإصلاح.

الثالث: أسباب تعود إلى العلماء والدعاة، وأهمها:

– ضعف مستوى الجهود والأنشطة العلمية والدعوية الموجهة للمرأة، وقلتها وعدم كفايتها لسد احتياج الساحة، وذلك يعود في ظني إلى قلة الاهتمام وضعف عملية التخطيط وتشتت الأفكار والجهود وعدم التركيز مما أدى إلى عدم استثمار الطاقات بصورة مرضية.

– عدم وجود طروحات متكاملة لقضية المرأة والقيام بطرح النظرة الشرعية مجزأة مما يفقدها قيمتها ويظهرها . في كثير من الأحيان . بأنها غير صالحة للتطبيق؛ لأنها تتصادم مع جوانب من الواقع المعاش؛ علماً بأن الواقع السيئ للمرأة يرجع إلى عدم أخذها بالتوجيه الشرعي في كافة جوانبه.

– مجاملة بعض العلماء والدعاة للواقع السيئ، ومحاولتهم التعايش مع رغبات بعض أفراد المجتمع المتجهة نحو التغريب، وقيامهم بإصدار الفتاوى المتسقة مع ذلك.

- الرتابة والتقليدية في جل البرامج والأنشطة العلمية والدعوية الموجهة للمرأة، وعدم وجود إبداع أو تجديد فيها مما أدى إلى ضعف التفاعل معها وقلة الإقبال عليها من كثير من النساء.

- عدم أخذ زمام المبادرة في التعامل مع القضايا والأحداث، والتفاعل حسب ردود الأفعال دون أن يكون هناك مشاركة في صنعها أو تأثير في تحديد اتجاهها في غالب الأحيان، وهو مما أفرغ الساحة الاجتماعية أمام العلمانيين، ومكنهم من فعل ما يحلو لهم تخطيطًا وتنفيذًا وتوجيهًا وقطفًا للثمار بما يخدم مصالحهم ويحقق أغراضهم.

- عدم بيان أهل العلم والدعوة لدائرة المباح المتعلق بالمرأة بشكل جيد، وأخذهم لها بالأمثل عن طريق طرحهم للأفكار وتبنيهم للحلول المثلى في كثير من المواقف والقضايا بطريقة يفهم منها بأنها الطرح الشرعي الوحيد في الجانب المتناول.

وقضية الأخذ بالأمثل من الأمور التي لا يطيقها سوى قلة من الصالحات، أما غيرهن من نساء الأمة فقد وسَّع الله عليهن بما أباحه لهن، وواجب العلماء بيانه، وعدم التثريب على من أخذت به ما دامت لم تتعد حدود الله و لم تنتهك محارمه.

- عدم مراعاة بعض الدعاة لتعدد الفتوى ووجود خلاف بين أهل العلم في بعض المسائل الاجتهادية، وقيامهم بمحاولة إلزام المرأة برأي معين مع أنها ليست مكلفة شرعاً إلا بتقليد الأوثق لديها في دينه من أهل العلم لا صاحب رأي أو بلد بعينه.

- حساسية بعض الدعاة المفرطة في التعامل مع المرأة وقضاياها، وانغلاقهم الشديد الذي يمنعهم في أحيان كثيرة من تناول الأمور بموضوعية؛ مما جعل الأمور تتجاوزهم بشكل أدى إلى انفتاح صارخ غير منضبط.

- الخلط بين الأعراف والتقاليد والمنهج، وعدم تمييز بعض العلماء والدعاة بين الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة والمبنية على نصوص الشرع وقواعده وبين آرائهم التي تكون مبنية على أعراف وتقاليد اجتماعية، ولا ريب في أن لهم الحق كغيرهم من أبناء المجتمع في أن يتخذوا ما يشاؤون من مواقف تجاه أعراف المجتمع وتقاليده التي لا تتعارض مع الشرع، وأن يحاولوا إقناع من يشاؤون بمواقفهم تلك كما يحاول غيرهم، لكن الواجب عليهم إيضاح أن تلك الآراء مردها إلى العرف والتقاليد من غير

محاولة إلباسها لباساً شرعياً متكلَّفاً فيه، وأن لكل أحد أن يتخذ الموقف الذي يشاء ما دام رأيه غير متعارض مع الشرع، وهذا بخلاف الأحكام الشرعية الثابتة التي يجب على الناس التزامها كل حسب وسعه وطاقته.

– التعميم: بعض من الدعاة يقومون بمحاربة المشاريع والأنشطة النسوية التي تتضمن بعض المخالفات الشرعية في المجتمع بشكل مطلق بدل محاولة مد جسور التفاهم والثقة مع أصحاب تلك المشاريع وتنمية جوانب الخير لديهم، والقيام بترشيد مناشطهم وتوجيهها الوجهة السليمة، مما يدفع القائمين عليها . من ذوي النفوذ ورجال الأعمال . في أكثر الأوقات إلى استخدام كافة ما يملكون من أوراق لمضي الأمر على ما يريدون.

– هيمنة الأعراف والتقاليد وخوف بعض الدعاة من تجاوزها؛ إلى جانب إغفال بعض المناشط الملائمة للمرأة التي أثبتت نجاحها في مجتمعات أخرى وفسح المجال أمام العلمانيين ليسدوا الفراغ الذي تعاني منه نساء المجتمع من خلال البرامج والأنشطة التي يقيمونها.

– عدم إدراك كثير من العلماء والدعاة لطبيعة التحول الذي حصل في عقلية النساء وسلوكياتهن واحتياجاتهن في وقتنا وحجم ذلك، واستصحابهم لواقع المجتمع في زمن ماض، أو تعميمهم لواقع بيئاتهم الخاصة على البيئة العامة مما جعلهم لا يشعرون بأهمية إعطاء دعوة المرأة أولوية ومزيد عناية.

– إغفال العناية بالجوانب التي فطر الله المرأة على الاهتمام بها كأمر الزينة والجمال، والأمور التي لكثير من النساء تعلق قوي بها في وقتنا كالترفيه بحيث لم يتم تقديم برامج ومشاريع حيوية مباحة في هذا المجال تسد حاجة المرأة وتقطع الطريق على العلمانيين الذين يكثرون من الولوج إلى المرأة عبر هذه البوابة ولا يجدون أدنى منافسة من العلماء والدعاة حيالها.

– ضعف الرصد والمتابعة لجهود العلمانيين وأنشطتهم مع عدم المعرفة بكثير من أعمالهم إلا بعد وقوعها مما يؤخر من مواجهتها ويجعل العلماء والدعاة يتعاملون مع آثارها ويتناسون . في الغالب . أهدافها والأسباب التي هُيِّئت لنجاحها وشجعت القوم على المضي فيها.

- ضعف كثير من العلماء والدعاة في بناء العلاقات وتكوين الصلات والقيام بواجبهتم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله . تعالى . بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، مما هيأ الفرصة للعلمانيين لكسب كثير من ذوي النفوذ ومثقفي المجتمع ورجال الأعمال لخدمة طروحاتهم ودعم مشاريعهم مع أنهم ليسوا منهم.

الانفصام لدى بعض الدعاة بين النظرية والتطبيق في التعامل مع المرأة فبينما يوجد لدى جلهم إدراك نظري جيد لما يجب أن تكون عليه الأمور، نجد ممارسة سيئة لدى كثيرين تمشياً مع الأوضاع البيئية ورغبة في الراحة وعدم المعاناة في مواجهة شيء من ذلك.

كيف ندافع العلمانيين؟

تعد النجاحات التي حققها العلمانيون في مجال المرأة ثمرة التقصير والغفلة التي عانى منها قطاع كبير من العلماء والدعاة وتيار الصحوة، وعليه فإن المدخل الصحيح للمدافعة يقتضي استشعار الخطر وإدراك ضخامة المسؤولية والتفكير بموضوعية والتنفيذ بجدية للخطوات المراد تحويلها إلى واقع، وما لم يتم ذلك فإن الخطر سيستفحل والخرق سيتسع على الراقع، ولن يجدي عندها كثير من خطوات الحل المؤثرة والمتاحة الآن.

وقبل أن أتطرق إلى ذكر بعض السبل التي يمكن بواسطتها مدافعة القوم وكبح جماحهم أو التخفيف من شرهم، لا بد من ذكر بعض القواعد والمنطلقات التي لا بد من استيعابها قبل الدخول في مواجهة معهم، ومنها:

- لا بد من التوكل التام على الله وصدق اللجوء إليه والاستعانة به والتضرع بين يديه وطلب عونه وتسديده مع الأخذ بالأسباب وإعداد العدة، وذلك لأن من ينصره الله فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له كما قال . تعالى .: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) [آل عمران: 160].

- الاعتناء بالوضوح الإسلامي في الطرح، والمطالبة بجلاء لكافة أفراد المجتمع بتحقيق العبودية الحقة لله . تعالى . والانقياد التام له والتسليم لشرعه وعدم الخروج عن أمره والتأكيد على الدعاة بعدم إخفاء حقيقة دعوتهم في طروحاتهم سعياً في

استصلاح جوانب الانحراف في المجتمع، وإقامةً للحجة على العباد وإبراءاً للذمة أمام الله . تعالى ..

الحذر من التفلت الشرعي الذي يقع فيه بعض الدعاة أثناء طروحاتهم عن المرأة، ومع إدراك أن الدافع لبعضهم قد يكون الحرص على الدعوة والسعي إلى تقريب الكثيرات إلى الإسلام؛ إلا أنه قد فاتهم تذكُّر أن الانضباط بالشرع شرط لصحة العمل وأن الغاية مهما كانت شريفة لا تسوِّغ الوسيلة، وأن الباري . عز وجل . لا يُتقرب إليه بمعصيته ومخالفة أمره بل بطاعته وامتثال شرعه.

– التوجه إلى التخطيط الجاد والمتكامل في دعوة المرأة وتربيتها، والمبني على إدراك عميق للماضي ومعايشة للحاضر واستشراف للمستقبل، وترك الارتجال والعفوية وسطحية التفكير والتنبه إلى أن ذلك وإن قُبِلَ في أزمنة ماضية فإنه غير مقبول بحال اليوم نظراً لضخامة الاستهداف للمرأة والعمق في التخطيط والدقة في التنفيذ لدى العلمانيين، والحذر من أن ينشغل العلماء والدعاة بردود الأفعال تجاه قضايا وأحداث جزئية يصنعها العلمانيون تتصف بالإثارة والهامشية على حساب قضايا جوهرية سواء في جهة البناء والتربية أم في جهة مواجهة القوم ودفع أخطارهم.

– العمل على طرح مبادرات إصلاحية جذرية تتسم بالعمق والشمول والواقعية بدلاً من الحلول الترقيعية وتجزئة القضايا بشكل يمكن العلمانيين من التلاعب بالأمر والمزايدة فيه بالدعوة إلى إصلاحات جزئية هامشية لها بريق تستغل في تخدير فئات كثيرة من المجتمع وتحييدهم عن الوقوف في صف العلماء والدعاة والذين يسعون إلى القيام بإجراء إصلاحات جوهرية في القضايا والمجالات الأساسية.

– الاعتناء بالقيام بإجراء تقييم شامل لأنشطة الدعاة وبرامجهم المختلفة والموجهة إلى المرأة، ومراجعتها من حيث الكم والكيف، ويتأكد ذلك اليوم نظراً لتغير الاحتياجات وتبدل الأحوال وتطور الإمكانات، وما لم يتم ذلك وتهيأ له الفرص الكفيلة بالنجاح فإن الزمن سيتجاوز أنشطة الدعاة وبرامجهم، ويجعلهم كمن يوصل الرسائل بين البلدان عبر الأقدام والدواب في زمن الأقمار الصناعية و الإنترنت.

– توحيد الصفوف ولمّ الجهود وسعة الصدر لرأي أهل العلم الأثبات المخالف في مسائل الاجتهاد، والتطاوع فيما لا إثم فيه، والمحاورة بالتي هي أحسن، وحسن الظن

بالآخرين، والتماس العذر لهم، ومغفرة زلاتهم، والتجاوز عن هفواتهم... من أهم المهمات التي على العلماء والدعاة العناية بها؛ لأن الاختلاف شر والفرقة عذاب، وتضرر الدعوة من كون بأسها بينها وعدوها من داخلها أعظم عليها جداً من تربص أعدائها بها وكيدهم لها.

-إدراك الدعاة لحقيقة الوضع وأنهم في صراع مع قوم ينتمون إلى جهات تريد اجتثاث قيم الإسلام وأخلاقياته وإحلال قيم وأخلاقيات حضارة أخرى تناقضها مكانها، وعليه فالواجب عليهم طول النفَس وبعد النظر ومحاسبة الذات وإدراك صعوبة الطريق وأن الهدم أسهل من البناء وتهيئة النفْس لتحمل الهزيمة والمواصلة بعدها لأن العاقبة للمتقين، ومعرفة أن الانتصار الحقيقي يكمن في الثبات على المبدأ، أما شيوع المبدأ فالداعية يسعى له ويجد في سبيل ذلك، ولكن ليس من شأنه تحققه، وله أسوة بالأنبياء . عليهم السلام . إذ قتل بعضهم وطرد آخرون، ويأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، والنبي ومعه سواد كثير قد سد الأفق.

- أهمية أن تتجه برامج الدعاة إلى تربية كافة شرائح النساء في المجتمع والبناء الصحيح لشخصياتهن وبخاصة تلك التي لم تؤثر فيها طروحات العلمانيين بعدُ، أو أن تأثيرهم محدود فيها، وأن تشتمل تلك البرامج على جرعات تحصينية ضد أساليب العلمانيين في الطرح، وذلك لأن الوقاية خير من العلاج وما استدفع الشر بمثل الاستعاذة بالله منه، والتعرف عليه للحذر من التلبس به.

- الإقرار بوقوع صور متعددة من الظلم الواقع على المرأة في مجتمعاتنا بسبب الجهل بالشرع وعدم تطبيقه، وهو ما يجب إفهامه للمرأة التي يريد العلمانيون تشويه صورة الإسلام في ذهنها، والإسلام لا يتحمل نتاج البعد عنه.

- الاعتناء بتحلي صغار شباب الصحوة بصفات الحكمة والصبر والحلم والروية وعدم الاستعجال، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والتعامل مع الأحداث بعقل لا بعاطفة مجردة، ومشاورة أهل العلم والخبرة في سبل مدافعة العلمانيين حتى لا تُجَر الصحوة إلى مواقف غير محمودة العواقب، وبخاصة أنه لا توجد لدى (القوم) أي معايير أخلاقية تمنعهم من فعل أي شيء في سبيل تحقيق أغراضهم ومآربهم.

إقامة تعاون إيجابي في المجالات الدعوية والتربوية بين البيئات والمناطق المختلفة يتم بواسطته تبادل الأفكار والخبرات، والبدء في البرامج المختلفة من حيث انتهى الآخرون، وهذا ولا شك سيشجع على مزيد انطلاق، ويوسع دائرة الاختيار أمام الدعاة ويمنع من هدر الطاقات والإمكانات في إقامة برامج ثبت إخفاقها متى امتلك الدعاة الشجاعة الأدبية للتراجع عن أنشطتهم ذات العائد الدعوي والتربوي الأقل، وتجاوز المألوف مما لا بعد شرعياً له وتحمل الضغوط البيئية الناتجة عن ذلك.

سبل المدافعة:

السبل المقترحة لمدافعة العلمانيين في مجال المرأة كثيرة، ومن أبرزها:

أولاً: سبل تتعلق بالمرأة والمجتمع ومن أبرزها:

العناية بتأهيل المرأة وبناء شخصيتها بناءاً متكاملاً في كافة الجوانب التي تحتاجها و من أبرز ذلك:

أ- تعميق قضية الهوية والانتماء لهذا الدين لديها وتوضيح مقتضيات ذلك ولوازمه كوجوب المحبة الكاملة لله، والانقياد التام لشرعه فيما وافق هوى العبد وفيما خالفه، "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"(1).

ب - تجلية رسالة المرأة المسلمة في الحياة والدور المنوط بها في عصرنا في سبيل نهضة الأمة ورقيها واستعادتها لعزتها، والسبل المعينة لها على أداء ذلك.

ج - العناية بالجوانب الإيمانية والعبادية لدى المرأة، وتزويدها بالعلم الشرعي، وبخاصة فيما تحتاج إليه ولا يسعها جهله في مراحل حياتها المختلفة.

د - رفع مستوى ثقافة المرأة وتحبيبها بالقراءة وتدريبها على ممارسة التثقيف الذاتي والاستفادة من الوسائل التقنية المتاحة في ذلك.

هـ - رفع مستوى وعي المرأة وإدراكها لواقعها والتغيرات الضخمة الحاصلة فيه، وما يحاك ضد الأمة عموماً والمرأة خصوصاً من مخططات تهدف إلى إبعادها عن دينها، وتهميش دورها في الحياة بشكل يجعلها تعيش في عزلة شعورية عن حاضرها.

و - الرقي باهتمامات المرأة وتعميقها وإبعادها عن السطحية، وتعويدها على الجدية وترتيب الأولويات وعدم الانشغال بالترهات والتوافه.

– تقرير الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة، نحو: كون الأصل قرارها في البيت، والتزام الحجاب، وعدم إبداء الزينة والتبرج تبرج الجاهلية الأولى، ودعوة المرأة إلى التزامها.

– رصد المشكلات التي تعاني المرأة منها في كافة الجوانب المختلفة، والسعي إلى تلافيها والتقليل من نتائجها السلبية.

– العناية بوقت المرأة وشغله بالمفيد واقتراح السبل الملائمة لتحقيق ذلك(2).

– تقوية البناء الأسري وبخاصة في المجال الدعوي؛ إذ إن للدعوة العائلية أهمية فائقة في تعليم المرأة دينها وتحصينها ضد طروحات العلمانيين ومكائدهم.

– تفعيل دور المرأة في مواجهة مخططات العلمنة الساعية لإفسادها، وتشجيعها على القيام بدعوة بنات جنسها؛ لأنها الأعرف بمجتمعاتهن والأكثر تأثيراً فيهن والأقدر على الاتصال بهن والبيان لهن فيما يخصهن، مع أهمية العناية بجانب التحفيز لها وإيجاد الدوافع لديها لمواصلة نشاطها الدعوي حتى لا تفتر أو تصاب باليأس والإحباط نتيجة طول المسير ومشقته(3).

– مطالبة النساء بالعناية ببيئاتهن الخاصة . أزواجاً وأولاداً . والقيام بالدور المنشود منهن في استصلاحها وإمدادهن بالوسائل والآليات والسبل المناسبة، وخاصة فيما تجهله المرأة مما يناسب في خطابها للرجال من محارمها؛ لأنهن الأكثر دراية بها، والأقدر على توجيهها والتأثير فيها متى استخدمن الحكمة. تفعيل دور الصالحات في المجتمع وإفساح المجال وفتح القنوات والميادين الملائمة أمامهن، ومحاولة إعداد بعض المتميزات . علماً وتفكيراً وسلوكاً . ثم إبرازهن بصفتهن قدوات لنساء المجتمع.

– توعية المجتمع بأهمية دور المرأة في نهضة الأمة ورقيها، ومطالبة أفراده بمؤازرتها والتواصي برفع صور الظلم المختلفة عنها والموجودة في بعض البيئات، وترك اللامبالاة والغفلة والتهميش للمرأة الذي يقع فيه بعض الأفراد، اقتداءاً بنبينا صلى الله عليه وسلم في تعامله مع المرأة.

ثانياً: سبل تتعلق بمجابهة العلمانيين، ومن أهمها:

– إبانة أهداف العلمانيين والتي من أبرزها:

أ – التشكيك بالأصول وإزاحة ثوابت الأمة العقدية وأسسها الفكرية والسلوكية وإحلال حضارة الغرب وقيمه مكانها.

ب – إخراج المرأة عن العبودية لله . عز وجل . والاستمساك بشرعه، وجعلها مجرد متاع في مسارح الرذيلة وملاهي الخنا ووسائل الإعلان وأوراق الصحف والمجلات وشاشات التلفزة والقنوات الفضائية.

ج – الدعوة إلى التفلت الديني والفوضى الاجتماعية تحت مسمى الحرية والمساواة.

د – إيضاح أن حقيقة الحقوق المزعومة التي يطالبون بإعطائها للمرأة حق الإلحاد والزنا والعري والحمل السفاح والشذوذ الجنسي سالكين طريقة التلميع للوسائل والتزوير للحقائق والإظهار للباطل بمظهر أخاذ.

– تتبع العلمانيين وكشف تاريخهم ودراسة إنتاجهم الفكري ورصد أنشطتهم ووزنها بميزان الشرع وإبانة ما فيها مما يتناقض مع ثوابت الأمة والسعي إلى زعزعتها لكي يتم فضح القوم وكشف انعزالهم عن قيم الإسلام وحضارته، وارتباطهم خدمة وتربية وفكراً وسلوكاً بجهات خارجية معادية تسعى إلى استئصال هوية الأمة وإحلال قيمها مكانها، وذلك من شأنه أن يمكن العلماء والدعاة من نقل الطرف الآخر من مرحلة الهجوم إلى الدفاع.

– تتبع مداخلهم النفسية وأنشطتهم الجاذبة لكثير من النساء والعمل على الحد منها والتخفيف من آثارها وإيجاد بدائل إسلامية عنها.

– العمل على استمالة القريبين فيهم من الحق ودعوتهم والعمل على كسبهم إلى جانب الموقف الشرعي الصحيح.

– تحديد الشبهات التي يثيرونها حول النظام الإسلامي في مجال المرأة مما يتخذونه وسيلة لتشكيك المرأة في دينها وزعزعة عقيدتها، والقيام بتفنيدها(4) والإثبات . عقلاً وواقعاً – أن النظام الإسلامي هو الطريق الأمثل لحماية المرأة من الظلم وصيانة المجتمع من الفساد، وإعطاء كل ذي حق حقه.

– بيان حقيقة واقع المرأة في الغرب وكشف ضخامة الأمراض والمشكلات التي تواجهها على كافة الأصعدة(5)، وفي ذلك أعظم تعرية للعلمانيين والذين يطالبون المرأة في مجتمعاتنا بمحاكاة المرأة الغربية والسير على منوالها إن هي أرادت سلوك طريق التقدم والمضي في دروب الحضارة . كما زعموا ..

ثالثاً: سبل تتعلق بالعلماء والدعاة، ومن أهمها:

–إدراك الواقع إدراكاً جيداً وتحليل جوانب القوة والضعف لدى الطرفين(6)، والاستفادة من ذلك في تحديد أهداف المرحلة والسبل المثلى للمدافعة. إبانة حقيقة النظام الإسلامي في معاملة المرأة، وتجلية محاسنه وإزالة الشبهات التي تثار حوله؛ لأنه لن يدحض الظلام إلا النور كما قال ـ تعالى ـ: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) [الإسراء: 18].

– إيضاح الاختلاف الجذري بين النظام الإسلامي وواقع المجتمعات الغربية، والذي من أبرزه:

أ – أن الأسرة في النظام الإسلامي تعد اللبنة الأولى في تكوين المجتمع؛ بينما يعد الفرد في الغرب هو الركيزة الأساس.

ب – أن العلاقة بين الجنسين في النظام الإسلامي علاقة تكامل وتلاحم وحرص من كلا الطرفين على مصالح الآخر كحرصه على مصالحه، وطبيعة العلاقة في كثير من أرجاء الغرب اليوم قائمة على التنافس والتنافر بين الجنسين وحرص كل من الطرفين ـ وبخاصة المرأة التي تشعر بالاستضعاف ـ على فرض هيمنته على الآخر.

ج – أن النظام الإسلامي يعطي المرأة حقوقها الشرعية كاملة وفي المقابل يطالبها بالقيام بالواجبات الشرعية التي يفرضها عليها والتي لا تقوم الحياة السوية إلا بها، وفي الغرب نجد أن كثيراً منهم ـ يتبعهم العلمانيون في بلداننا ـ يوهمون المرأة بسعيهم لإعطائها حقوقاً هي في واقع الأمر بوابتهم الرئيسة لاستعبادها واستخدامها استخداماً جسدياً قذراً بعيداً عن مراعاة متطلبات روح المرأة وعقلها وقيم المجتمع وأخلاقياته.

– إقامة لجان ومراكز أبحاث مهمتها العناية بالجوانب الإعلامية وإبراز جهود العلماء والدعاة ـ أفراداً ومؤسسات ـ في قطاع المرأة عموماً والأسرة خصوصاً في الجوانب المختلفة: العلمية، الاجتماعية والصحية، وإعداد المعلومات والإحصائيات عنها، ونشر ذلك بشكل دوري عبر وسائل الإعلام لإظهار ضخامة الجهد المبذول وضآلة ما يقوم به العلمانيون مقارنة بها.

– العناية بالنساء في البيئات الخاصة بالدعاة تعليماً وتربية؛ نظراً لإمكانية التأثير القوي والاتصال المباشر لكي يتم تلافي الإهمال غير المتعمد لها الناتج عن

الانشغال بالبيئة الخارجية وإبراز قدوات نسائية للمرأة ذات عمق في التفكير وجدية في الاهتمامات وقوة في الأخذ بالإسلام.

– تفعيل دور العلماء والواجهات الاجتماعية الخيرة . ذكوراً وإناثاً . وكافة أفراد المجتمع ومطالبتهم بالقيام بالدور المنشود منهم في مواجهة طروحات العلمانيين ودفع خطرهم، استفادةً منهم من جهة وتوسيعاً لدائرة المعركة من جهة أخرى بدلاً من جعلها كما يريد العلمانيون بينهم وبين الدعاة فقط.

– زيادة المناشط الدعوية والاجتماعية وتحسينها والاعتناء بتناول الموضوعات المختلفة التي تحتاجها المرأة مع الحرص على التجديد في الأساليب والإبداع في الوسائل لضمان تفاعل المرأة معها بشكل أكبر.

– توثيق الصلة بالمثقفين ورجال الأعمال ومد الجسور معهم لترشيد أعمالهم من جهة والحيلولة دون أن تكون عوناً للعلمانيين على إفساد المرأة من جهة أخرى، وللتنسيق معهم في اقتحام مجالات جديدة تحتاجها المرأة كصناعة الترويح والملابس ونحوها وفق الضوابط الشرعية.

– توسيع دائرة الانفتاح الدعوي على كافة مجتمعات النساء: ملتزمات وغير ملتزمات، مثقفات وعاميات، متزوجات وغير متزوجات، أمهات وأخوات وبنات، وعدم قصر النشاط على فئة دون أخرى.

– اقتحام ميادين وقنوات دعوية جديدة في مجال المرأة، ومن أهم ذلك:

أ – قيام العلماء والدعاة بإنشاء جمعيات تنادي بالحقوق الشرعية للمرأة لقطع الطريق على العلمانيين الذين يَلِجُون من هذا الباب لتحقيق مآربهم.

ب –إقامة مراكز أبحاث نسوية خاصة بشؤون المرأة.

ج – إنشاء مؤسسات إنتاج ودور نشر متخصصة بقضايا المرأة ودعوتها.

العمل على تغيير هيكلة تعليم المرأة ليناسب وضعية المرأة ورسالتها في الحياة، والسعي لتطوير المناهج وفتح التخصصات التي تساعدها على القيام بدورها الأساس المنوط بها زوجةً وأماً ومربية.

وختاماً: فلا بد من إدراك أن الخطب جسيم، ويحتاج إلى استعانة صادقة بالله . تعالى . وعمل جاد، وتضافر قوي لكافة جهود المخلصين؛ وإلا فإن العاقبة ستكون وخيمة

والمصير غير محمود، وعندها سيهيئ الله لدينه جيلاً ينصره ويقوم بأمره، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

(1) تاريخ بغداد للخطيب: 963/4، شرح السنة للبغوي: 312/1، وصححه النووي في الأربعين واستبعد ذلك جداً ابن رجب في جامع العلوم والحكم: 493/2، وقال الحافظ في الفتح: 203/31: (أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، ورجاله ثقات).

(2) من الأمور الهامة التي ينبغي تحريض المرأة على ممارستها: العبادة والذكر، مدارسة القرآن والأحاديث النبوية، القراءة المبرمجة، الاستماع إلى الأشرطة النافعة، إدارة المشاريع النسوية التعليمية والاجتماعية ودعمها، التعرف على الأرامل والأسر المحتاجة ومساعدتها، تعلم الأعمال المهنية والأنشطتة الملائمة من خياطة وحاسوب وأشغال فنية ومسائل الأمومة والاهتمام بالطفل ونحو ذلك.

(3) من أهم الحوافز التي ينبغي العناية بها: بيان ما أعد الله للداعين للهدى، وإيجاد الشعور بالتحدي ببيان ضخامة الاستهداف العلماني الموجه للمرأة، وذكر نماذج متميزة لبعض داعيات الحق وأخرى لداعيات الضلال.

(4) من أبرز الجوانب التي يكثر القوم من الطعن فيها: أحكام التعدد والميراث والحجاب والخلوة والاختلاط، ومسائل القوامة والولاية والطلاق.

(5) من الأمور التي لا بد للدعاة من الحديث عنها في هذا المجال: نسب العفة والزواج والطلاق والأولاد غير الشرعيين والخيانة الزوجية في الغرب، ومشكلات العنوسة والخروج عن الفطرة والتحرش بالمرأة والأمراض الجنسية والنفسية والتفكك الأسري وواقع الأبناء بعد خروج المرأة للعمل والمعاناة التي تلقاها الفتاة حتى تتزوج هناك، ومسائل النفقة والمعاملة التي تلقاها المرأة الغربية في أطوار حياتها المختلفة: أماً وأختاً وابنةً وزوجةً ومسنةً، متزوجة ومطلقة وأرملة.

(6) من أبرز جوانب قوة العلماء والدعاة: جلاء الحق الذي يدعون إليه، وعمق انتمائهم إليه، والعاطفة في المجتمع نحو الدين، وكراهية أفراده لأعدائه والعاملين

لحساب جهات خارجية تريد تقويضه، والعودة الصادقة لكثيرات من نساء المجتمع نحو الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكاً.

================

أبناؤنا في ظل الواقع المفتون

يقول صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمٌ يتبع به شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن) رواه البخاري...

فتنٌ كقطع الليل المظلم، تُحيط بنا من كل جانب، وتُعرضُ علينا ليل نهار..

مُلهياتٌ ومحرمات... مُستنقعاتٌ للشهوات... محطاتٌ ممقوتة وفضائيات...تنشر شباكها هنا وهناك... جميعها يستهدف عقول شبابنا وفتياتنا.

وفي ظل هذه الفتن ، يقف الكثير منّا حائراً متسائلاً :

* كيف نربي أبنائنا تربية أسلامية صحيحة في ظل هذا الواقع المفتون...؟

* كيف يمكن أن نُنشئ جيلاً قوياً بعزيمته وأرادته وعقيدته كجيل علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وأرضاهم....؟؟

* كيف نبث حمل هم الإسلام، وحمل لوائه في نفوس أبنائنا...؟؟

أسئلة تطول ..... وفي هذا اللقاء نحاول أن نُجيب على بعضاً منها سائلين الله النفع والفائدة للجميع.....

ويسعدنا أن تكون ضيفتنا الأستاذة / أحلام الضبيعي ، محاضرة في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود...

****

س1- ما هي أنواع الفتن......وأيهما أشد ضرراً على الأبناء..؟؟

للفتن أنواع كثيرة ، وقد ورد ذكر الفتن في كثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والملاحظ في هذه الأحاديث أنه قد ذكر فيها أمهات الفتن التي تكون في كل زمان ، وتندرج تحتها فتن فرعية تخرج بأثواب جديدة في كل زمان .

من أبرز الفتن المنتشرة في زماننا هذا : فتنة المال – فتنة الصحة والجمال – فتنة الفراغ – فتنة الانفتاح الثقافي والفكري (العولمة) ، وهذه الأخيرة هي أخطر فتنة على الأبناء إذا انضمت إليها الفتن السابقة .

****

س2- عقيدة هذا الجيل هشة...سهلة الانكسار والتغير....عكس ما عليه جيل الصحابة والسلف الصالح......فما الأسباب؟؟

الأسباب كثيرة في ذلك لعل من أبرزها :

1) ضعف الوازع الديني لدى بعض المجتمعات .

2) قلة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

3) الزهد في تعلم العلم الشرعي والتوجه إلى العلوم الدنيوية البحتة بحجة أنها أضمن للمستقبل كما يزعمون .

4) تساهل الوالدين وغلبة العاطفة عليهما بحيث لا ينكران على الأبناء سوء التصرف وقلة الاهتمام بالدين .

5) عدم الحرص على تعليم الأبناء العقيدة وأمور الدين.

6) الثقة العمياء التي يوليها الوالدان للأبناء والدفاع الضاري عنهما إذا بدر منهما أمور تخل بالدين والحياء.

****

س3- تعزيز المفهوم العقدي مطلوب من الآباء تجاه أبنائهم..... في نظرك متى يبدأ الآباء بتطبيق هذا المفهوم على الأبناء؟؟

يجب أن يبدأ تطبيق المفهوم العقدي منذ الصغر أي منذ أن يبدأ الطفل بنطق بعض الحروف والكلمات يحاول الوالدان أن يلقناه الشهادة باستمرار لأن الطفل وهو صغير يكون مستعدا للتلقين فيستقبل كل ما يعطى سواء كان خيرا أو شرا ولا يسأل عن المعاني والأسباب ، خاصة في فترة السنتين إلى الخمس سنوات على العكس من الطفل من سن ست سنوات فما فوق فإنه في هذا السن يبدأ بالسؤال عن كل شيء خاصة إذا كان مستوى ذكاؤه مرتفع.

****

س4- ما هي الأساسيات التي لا بُد من الوالدين أن يُزودا بها أبنائهم منذ بداية نشأتهم؟؟

الأساسيات هي ما أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم من التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى ، وعدم الكذب عليه حتى لا يتعلم هذا الخلق الذميم وأمره بالصلاة إذا بلغ سبع سنين وضربه عليها إذا بلغ العاشرة ولم يحافظ عليها ، والتفريق بين الأبناء في المضاجع ، وآداب الاستئذان ، وتعليمه أساسيات العقيدة (من ربك ما دينك من نبيك) ، أين الله ، كل هذه الأمور التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها ويطبقها .

إضافة إلى عدم إيقاع الأبناء في الحيرة من أمرهم وذلك بسبب تناقض الوالدين فتجد بعض الآباء والأمهات يقولون ما لا يفعلون فيجب على الوالدين أن يعلما الأبناء ويطبقا في نفس الوقت حتى يرسخ المبدأ العقدي في ذهن الأبناء.

****

س5- كيف نتعامل مع الأخطاء والتجاوزات الشرعية التي تصدر من أبنائنا..؟؟

الأخطاء الشرعية إذا صدرت أول مرة من الأبناء فيجب التعامل معها بكل رفق فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه فيعلم الأبناء في البداية أن هذا العمل لا يجوز وأنه يغضب الله سبحانه وتعالى ويبين له ما هو الفعل البديل الذي يجب عليه أن يقوله أو يفعله لأن هذه الطريقة كان ينتهجها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم مثل قوله : ((لا تقولوا ما شاء الله وشئت وقولوا ما شاء الله وحده)) ، هذا التصرف يقي الوالدين من سؤال ابنيهما : إذن ماذا أفعل أو ماذا أقول ؟

ومسألة مهمة أيضا يجب التنبيه لها وهي أن كل أب وأم لهما أن يعرفا ما هي طبيعة ابنيهما هل هو من النوع الذي يقبل النصح مباشرة ؟ أو أنه يتضايق من هذا الأمر فيضطر الوالدان أن ينتهجا مسلكا آخر في النصح والتوجيه كأسلوب القصة مثلا أو التلميح أو غير ذلك من الأساليب.

ويبينا له أيضا أن كثيرا من الناس يقعون في أخطاء ولكنهم إذا علموا ووجهوا فإنهم يتراجعون ويتوبون إلى الله وإن الله يقبل توبة عباده ، وأن هذا الذنب إذا تركه وتاب منه فإنه لا يضره بإذن الله تعالى ، مع العلم أن الأبناء ليسو كلهم سواء فإن منهم

من يتقبل بمجرد أن تنصح أمامه أحد ومنهم من يحتاج إلى النصح مرة ومنهم مرتين وهكذا .

****

س6- يعيش أبناء هذا الجيل في غمرةٍ من الفتن....وموجٌ من المغريات، كيف يمكن التصدي لها؟؟

هذا الأمر يتصدى له بالعلم الشرعي فنحرص كل الحرص على حث الأبناء على تعلم العلم الشرعي كعلم العقيدة وما يتبعه من علوم كتعلم المذاهب المعاصرة المخالفة للعقيدة الصحيحة ، وما هي بالتحديد نقاط المخالفة فيها حتى يحذروا ، فالأبناء يسمعون بالشيوعية والعولمة والليبرالية وغيرها من المذاهب الهدامة ولا يعلمون ما المراد بها ، لذا فإنه يجب إعطاء الابن نبذة تناسب سنه وفكره وعقله وفهمه وثقافته حتى يعرفها ويكون على حذر منها .

ثم يبدأ الابن – إذا كبر وكان ذكيا – يبحث هو بنفسه ويقرأ ويحذر.

ويجب أن يبين للابن أن أكثر هذه المذاهب تتوجه إلى طبقة الشباب في المجتمعات فتعرض لهم أفكارها الهدامة بطريقة مغرية حتى ينخدعوا وينضموا إليهم ويكونوا من دعاتهم وهم لا يعلمون.

****

س7- الفراغ....والتقليد الأعمى..... من المسائل التي لا يفقه ضررها الكثير....كيف عالجت الشريعة الإسلامية هذه المسائل؟؟

عالجت الشريعة هذه المسائل بالبيان والتوضيح والتحذير والتنبيه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ)) فبين صلى الله عليه وسلم أن الفراغ نعمة من الله إلا أن صاحبها مغبون فيها أي مغلوب فيها وليس بغالب ففي ذلك حث على استغلال أوقات الفراغ لأنها لا تتوفر للمسلم في كل مرة وإذا توفرت فإنها قد تضره ولا تنفعه .

أما عن التقليد الأعمى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه)) فهذا تحذير من

تقليد الكفار بجميع أصنافهم لأن تقليدهم يؤدي إلى التشبه بهم في دينهم : ((ومن تشبه بقوم فهو منهم)) .

****

س8- في زمن الانفتاح الفضائي...كيف يمكن أن نزرع في نفوس أبنائنا المراقبة الذاتية؟؟

بتذكيرهم بالجنة والنار، فعندما يتصور الابن نعيم الجنة، وعذاب جهنم فإنه سيبتعد تلقائيا عن هذه الأمور حتى لا يحرم نعيم الجنة ولا يعذب بنار جهنم.

كذلك يبين للابن بأن للمعصية شؤم في الحياة وإنه كلما زادت مراقبته لله بعدم النظر إلى هذه القنوات فإنه سيزداد توفيقا من الله وهداية ورزقا وصلاحا.

****

س9- يبرر بعض الشباب والفتيات أن ما يقعون فيه من تجاوزاتٍ شرعية يعود سببها للمجتمع الزاخر بالفتن والتي طغت عليه من كل جانب....في حين يصعب عليهم مجاهدة النفس...........ما رأيك في هذا التبرير؟؟

بالطبع هذا المبرر غير صحيح وإنما هو من أتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء وضعف الوازع الديني وقلة مراقبة الله سبحانه أو انعدامها تماما عند بعض الشباب والفتيات .

****

س10- يُقال " أن الفتاة سريعة الانجذاب للمغريات أكثر من الشباب...لذا كانت الرقابة عليها أكثر من قِبل المجتمع".....هل هذه المقولة صحيحة...وإن كانت كذلك فما الأسباب....؟؟

هذه المقولة لا تؤخذ على إطلاقها فهي تصدق على شريحة معينة من الفتيات ولا تصدق على الباقيات الصالحات منهن ومعلوم أن الأصل في المرأة قرارها في البيت ، ولكن هذه المقولة لا تنطبق على الفتيات فقط بل تنطبق على شريحة معينة أيضا من الفتيان ، فكما أن الفتيات يحتجن إلى رقابة فكذلك الفتيان لأنهم سريعي الانجذاب للمغريات كذلك .

****

س11- كيف يمكن تحصين أبناؤنا ضد الفتن...بحيث نُنشئ جيلٌ مسلم، متمسك بهويته الإسلامية، ومُحبٌ لله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟؟

نحصنهم بأن نعلمهم سير الصحابة نساء ورجالا خاصة الشباب منهم لبيان كيف أنهم كانوا على قوة كبيرة من الصمود أمام المغريات أو التهديد والوعيد كقصة سعد بن أبي وقاص ومصعب بن عمير وخبيب بن عدي وغيرهم كثير رضي الله عنهم جميعا .

****

س12- رسالة توجهينها إلى:

- الآباء والأمهات.
- المعلمون والمربون.
- العلماء والدعاة.

الرسالة الأولى: إلى الآباء والأمهات:

الأب والأم هما الصرح التعليمي الأول الذي يتخرج منه الطفل إلى هذه الحياة فيجب عليهما أن يتقيا الله في جميع شؤون حياتهما حتى يسقيا تلك البذرة الصغيرة التي نشأت بينهما بالدين والصلاح والهداية وتطبيق كل ما أمر الله به سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم برعاية الطفل وتربيته .

الرسالة الثانية: إلى المربين والمعلمون:

إنهم الصرح التعليمي الثاني الذي يخرج إليه الطفل فينشأ بعد ذلك عضوا صالحا في المجتمع لأنهم يرون أمامهم معلمين صالحين ، فكم من شاب وفتاة تأثروا تأثرا كبيرا بمعلميهم أكثر من تأثرهم بوالديهم وهذا معروف ملموس في كثير من المجتمعات .

الرسالة الثالثة: إلى العلماء والدعاة:

العلماء والدعاة نعمة من الله أنعم بها على عباده فهم الذين يعلمون الناس الخير والصلاح والاستقامة لذا فيجب عليهم التنبه والالتفات إلى شريحة الشباب والفتيات خاصة أكثر من غيرهم لأنهم هم الأكثر في المجتمعات الإسلامية لقوله صلى الله عليه وسلم : ((نحن أمة فتية)) فهم دعاة وعلماء المستقبل فإذا صلحت هذه الشريحة صلح أكثر المجتمع وقل فيه الفساد والعصيان بإذن الله تعالى .

هذا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

****

ختاماً:-

نشكر الأستاذة / أحلام الضبيعي على ما أدلت به من توجيهاتٌ وفوائد في هذا اللقاء.

ولا ننسى أن الشباب والفتيات هم عماد هذه الأمة، فبصلاحهم تسير القافلة بأمان بإذن الله تعالى، ولذا أدرك الأعداء أهمية هذا، فأشهروا أسلحتهم ونشروها بكل ما لديهم من قوة...فعلى الوالدين أن يدركوا مهمتهم كمسؤلين ، وينجزوها بكل أمانة وصدق... ويقفوا كالحصن المنيع في وجه تيار الفتن والتي تقود أبناؤنا نحو الهاوية دون وعي أو تفكير....ولنتذكر قول الشاعر:

ومن رعى غنماً في أرض مضيعة

...

ونام عنها ، تولى رعيها الأسدُ !!!

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

================

ظاهرة الهجوم على منهج السلف (2-1)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الهجوم على منهج ومذهب السلف ليس جديداً، بل هو قديم قدم نشوء البدع والافتراق في هذه الأمة، حيث كانت كل طائفة ترى في مذهبها الحق وتعادي من يخالفه، ولما كان السلف هم الوسط المخالفين لأهل الغلو والجفاء والإفراط والتفريط نالهم من كافة الطوائف المنحرفة ما نالهم، وصبت عليهم كل فئة حادت عن الطريق المستقيم غضبها.

وكان ذلك – من فضل الله – سبباً في رسوخ الحق وعلوه ونشره، وفي رفعة رجاله الحاملين للوائه وذيوع ذكرهم في الأمة وقبولهم عند الناس، مع ما لهم عند ربهم من مزيد الأجر والحسنات وحسن الثواب.

والنبي _صلى الله عليه وسلم_ لما أخبر عن اتباع هذه الأمة من سبقها من الأمم وافتراقها كما افترقت أمر بإتباع ما كان عليه هو وأصحابه وأمر بإتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده وأمر بالعض عليها بالنواجذ ونهى عن البدع والمحدثات في الدين، وكل هذا لأجل خطورة مثل هذا الافتراق والبدع.

ولما كانت كل طائفة تدعي أن مذهبها الحق وأنه يقوم على دلائل الكتاب والسنة أو على الأقل لا تعارضها جاء الأمر مع اتباع سنته وما كان عليه صلى الله عليه وسلم باتباع أصحابه وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وفي هذا بيان لمسألة – قد يغفل عنها البعض – خاصة في الأزمنة المتأخرة فيظن أنه ينبغي الرجوع إلى الكتاب والسنة دون الالتفات إلى ما وقع من افتراق في هذه الأمة ونشوء طوائف في كل زمن وعصر، وأن تجاوزها شرط لوحدة الأمة الإسلامية في دينها وعقيدتها.

وهذا كلام طيب وحسن وهو أمنية كل مسلم ولكن شرطه أن تتخلى كل فرقة وطائفة عن معتقداتها المنحرفة لترجع إلى ما جاء في الكتاب والسنة دون تحريف أو تأويل أو إلحاد.

أما والواقع غير ذلك فلا بدّ من تمييز منهج السلف عن مناهج غيرهم كما فعل الأئمة منذ عهد الصحابة – رضوان الله عليهم – وإلى يومنا، ولا بد من نشره والدفاع عنه والرد على المنحرفين وأهل البدع جميعاً، ونصحهم وأمرهم بالتوبة والرجوع إلى الله وتحذير الأمة كلها من هذه البدع والضلالات، مع بيان العقيدة الصحيحة وشرحها وتوضيحها لهم، والردود والمناقشات بحسب أحوال هذه البدع وانتشارها وعموم خطرها.

والخلاصة:

1- أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ أخبر عن تقليد هذه الأمة لغيرها وعن افتراقها وقد وقع هذا فلا داعي لإنكار ما ورد في ذلك، خاصة ممن يريد جمعها بأيّ شكل وعلى أي منهج.

2- أنه لا تعارض بين الشرع والقدر – كما قرر ذلك الأئمة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بل نؤمن بهما جميعاً فنؤمن ونصدق ما جاءت به الأخبار من الافتراق في هذه الأمة، ونتبع الشرع في اجتنابها والإعراض عن بدعها واتباع ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والقرون المفضلة.

أما من أراد أن يلغي الشرع باعتبار الافتراق أمراً قدرياً فنرضى بهذه الفرق ونقبلها، أو أراد أن يلغي القدر وينفي وجود هذا الافتراق لأن الله لا يحبه ولا يحبه رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا من الخطأ البيّن الذي يجب أن يحذره الجميع وخاصة طلاب العلم.

3- عقيدة ومنهج السلف باقيان إلى آخر الزمان كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور أنه لا تزال طائفة من أمته باقية على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، وهذا مع ما سبقت الإشارة إليه من الأمر باتباع أصحابه وسنة الخلفاء الراشدين، فيه الدلالة القاطعة على وجوب اتباع منهج السلف في كل وقت ومنه وقتنا هذا في فتنه وعولمته ومتغيراته.

وقد عجبت لعبارة شيخ الإسلام ابن تيمية حين ذكر في أول العقيدة الواسطية ما يفيد هذا حيث قال: "أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة إلى يوم القيامة، فقوله : إلى قيام الساعة تنبيه للأمة في زمنه، وهو تنبيه لنا في هذه الأيام مقتضاه أن الحق واحد باق، لا يتغير ولا يتبدل".

4- وعلى هذا فما يجري في هذه الأيام من هجوم على منهج السلف هو جزء من سنة الله تبارك وتعالى في الصراع بين الحق والباطل، وهي سنة باقية ولا تتغير ولا تتبدل.

5- والصراع قد يشتد في زمان دون زمان أو في مكان دون مكان حسب قوة الباطل وحسب قيام أهل الحق بما أوجب الله عليهم، ولكن العاقبة للمتقين المتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم – نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يجعلنا منهم -.

وهذه الكلمات المختصرات جعلتها في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أسباب الهجوم على مذهب السلف.

القسم الثاني : مظاهر الهجوم على منهج السلف.

القسم الثالث : العلاج ووسائله.
وأسأل الله أن ينفع بها.
القسم الأول: أسباب الهجوم على مذهب السلف:
لقد عظمت الحملة في هذه الأيام على منهج وعقيدة السلف الصالح واشتد أوارها إلى حدّ لم نعهده في زماننا المتأخر – خاصة في بلاد الحرمين المملكة –.
وأسباب ذلك معلومة لا تخفى، ولا بأس من أن نشير إليها باختصار من باب التذكير، ويمكن تقسيمها إلى أسباب عامة وأسباب خاصة:
أولاً: الأسباب العامة:
1- سنة الله في الصراع بين الحق والباطل.
2- اتباع الهوى.
3- التباس الحق بالباطل لدى بعض الناس [فتن الشبهات].
4- ضعف التقوى وكثرة التفريط وانتشار المنكرات [فتن الشهوات].
5- الجهل، والخوض في مسائل الدين بلا علم.
6- عدم القيام بالواجب من جانب بعض أهل العلم والدعوة.
7- عداوة اليهود والنصارى والملحدين والمنافقين والعلمانيين ورؤوس البدع للمسلمين عامة ولأهل السنة خاصة.
8- العولمة ووسائل الإعلام والاتصال التي ساهمت في نشر الباطل وفشوه ودخوله إلى كافة بلاد المسلمين ومدنهم وقراهم وبيوتهم إلا ما عصم الله. [مع ملاحظة أن بعضها ساهم في نشر الخير والعقيدة الصحيحة والدفاع عنها].
ثانياً: الأسباب الخاصة:
1- تنامي ظاهرتي الإفراط والتفريط: فمن جهة ظهور الغلو عند البعض وعدم ضبط مسائل الإيمان والكفر، وما ترتب على ذلك وغيره من وقوع التفجيرات التي أفرحت أعداء هذه العقيدة في داخل المملكة وخارجها، ومن جهة ظهور التفريط عند بعض ممن تأثر بمذاهب المرجئة حتى أخلوا بمسائل الإيمان وربما صحح بعضهم دين اليهود والنصارى والمشركين. ومن ذلك التفريط الخطير غلو العلمانيين في نشر مبادئهم الإلحادية وحربهم على ثوابت الدين وأصوله.

2- الحرب العالمية الصليبية على الإسلام ركزت على عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة – ولم تطل الحرب أهل البدع من الرافضة والصوفية ومن شاكلهم – وقد تركزت الحرب بشكل أخص على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى هذه البلاد المنتسبة إليها – وخاصة بعد أحداث نيويورك.

3- ظهور العلمانيين والحداثيين وأهل البدع [لأسباب معروفة] وعلو صوتهم في كثير من وسائل الإعلام ومجاهرتهم بالكثير من أفكارهم دون رادع – مما شجعهم على المضيّ سريعاً في نشر أفكارهم ومذاهبهم.

4- الناظر في الموقف الرسمي مما يجري يرى الليونة والضعف – وقد يقول البعض إنه تخلٍ – عن أعظم ميزة تميزت بها هذه البلاد وهي العقيدة السلفية الصحيحة والتي لا يخفى تاريخها في هذه البلاد منذ عشرات ومئات السنين.

وهذا شجع الملاحدة وأهل الأهواء وأصحاب البدع على أن تعلو أصواتهم في نشر ضلالاتهم في الرد والطعن في عقيدة أهل السنة والجماعة ومصادرها وعلمائها قديماً وحديثاً.كما أنه أصاب أهل السنة بالضعف والوهن.

5- وجود عدد من المنتكسين والناكصين على أعقابهم – لأسباب كثيرة – حيث حمل هؤلاء لواء الهجوم على العقيدة والشريعة وأصولهما وقواعد العلم الشرعي المعروفة.

وقد استخدم العلمانيون والمفسدون هؤلاء شر استخدام فروّجوا لهم في وسائل الإعلام وكرروا وأعادوا وزادوا وعملوا على تحويلهم إلى ظاهرة فكرية يحاربون بها دين الله عموماً وعقيدة ومنهج السلف خصوصاً.

6- ظهور المدرسة [العصرانية] – مدرسة أهل الأهواء – حيث تبنى بعض أسس هذه المدرسة من قد ينتسب إلى العقيدة الصحيحة ممن تأثر بهذه المدرسة، فصار بعض هؤلاء يروجون لهذه المدرسة في بعض مقولاتها وأسسها.

وهذه المدرسة من أخطر المدارس على الإسلام وقد أدرك هذا العلمانيون وأهل البدع المعروفون من الرافضة والصوفية ونحوهم، فوطدوا العلاقة مع هذه المدرسة وصاروا ينشرون فكرها، ويعلون من شأن كل من تأثر بها أو تبنى بعض مقولاتها.

7- تراجع بعض من كان ينتسب إلى عقيدة السلف من تبنيها، وفي المقابل صار يظهر الميل وأحياناً الانتساب إلى ما يخالفها، فهذا يظهر مذهب المعتزلة وذاك يقول بمذهب الأشاعرة، وهذا يدعو إلى التصوف ويراه حقاً...الخ

القسم الثاني: مظاهر الهجوم على منهج السلف:

من خلال ما سبق ذكره من الأسباب الخاصة والعامة تظهر جملة من مظاهر الهجوم على عقيدة ومنهج السلف – رحمهم الله – بشكل عام.

ويمكن أن تذكر هنا جملة من هذه المظاهر لعلها تكفي في إعطاء التصور الواضح للمشكلة، وأما الإحاطة بذلك أو بجله، فمما يُعلم صعوبته.

فمن هذه المظاهر:

أ/ عالمياً أخذ الهجوم على منهاج السلف وعقيدتهم – أو على الإسلام – لكن يقصد به من يعتمد هذا المنهج – شكلاً لم يعهد من قبل [بسبب وسائل الإعلام المتقدمة].

وقد اتخذ هذا المحاور التالية:

المحور الأول: الهجوم الصليبي والغربي على الإسلام واتهام أتباعه بالتطرف والأصولية والإرهاب... إلخ. وتتبع مظاهر ذلك مما لا يمكن حصره، ولكن يكفي فيه أن الإسلام صار متهماً في عقيدته وفي شريعته، وفي أعلامه، وفي مظاهره [من سمت إسلامي، وحجاب، ولحية،...إلخ]، وفي نشاطاته الإسلامية، وفي جمعياته الخيرية... ولم يسلم من هذا إلا أهل البدع المرضيّ عنهم من جانب الصليبيين.

المحور الثاني: وسائل الإعلام – وخاصة المحطات الفضائية – التي تتبع إما أهل البدع وأما أن أصحابها أذناب للغرب الكافر من العلمانيين والمنافقين والمفسدين في الأرض، فقد شنت هذه الوسائل حروباً متتالية وبأساليب متنوعة على عقيدة السلف ومصادرها ورجالها وأئمتها.

ونماذج ذلك ظاهرة للعيان في تلك المحطات التي تبث بالعربية لتنشر الفكر المنحرف والبدعي وتحارب بشكل صريح الإسلام وعقيدة السلف.

المحور الثالث: إعادة التجمعات والروابط الجاهلية على مستوى الأمة، حيث إنه بعد الفشل الذريع للأفكار العلمانية من يسارية وقومية ونحوها في المرحلة السابقة [ولا

تزال والحمد لله] أخذت بعض القوى من أجل حرب الإسلام وعقيدته الصحيحة تعيد تنظيم صفوفها أو ابتداع منظومات فكرية جديدة.

1 – فهناك مراكز بحوث في لندن وبيروت وعمان وغيرها يقوم عليها أناس مشبوهون، حيث عرف عنهم تبني قواعد وأسس مخالفة للعقيدة والمنهج الصحيح.

2 – ومؤسسة الفكر العربي تنشأ في ظل هذه الظروف وتمول ويشرف عليها أناس معروفون في حقدهم وحربهم للعقيدة الصحيحة...

3. إضافة إلى مراكز البحوث والدراسات العلمانية التي كانت موجودة سابقاً، فأعادت ترتيب أمورها مدعومة مادياً بشكل قوي من قوى صليبية وعلمانية وغيرها.

ب/ ومن المظاهر: الشدة والقسوة في الهجوم على عقيدة ومنهج السلف، في هذه البلاد حيث بلغت حداً لم يعهد من قبل، وجرأة لم ير مثيل لها فيما سبق.

ومن أمثلة ذلك:

- اتهام عقيدة السلف بأنها تكفيرية إرهابية – هكذا –.
- اتهام الأئمة المعروفين المعتبرين بذلك.
- الدعوة الصريحة إلى إلغاء بعض أصولها – كالولاء والبراء، ونواقض الإسلام.
- الدعوة الصريحة إلى إحياء الآثار الجاهلية وغيرها والدعوة إلى إعادة بناء الأضرحة على القبور.
- سب العقيدة بأنها تفرقنا وتمزقنا والدعوة إلى وطنية جاهلية مفرغة من العقيدة.
- الدعوة الصريحة إلى العلمانية والليبرالية الغربية وتبنيها.
- تحدي الأمة في المسائل المتعلقة بالمرأة ودعوتها قولاً وفعلاً إلى التمرد على دينها وشريعتها.
- التبجح بالفكر الحداثي والافتخار به، والتسابق إلى الإعلان عن رواده ودعاته وتنافسهم في ذلك.
- مدح الحضارة الغربية وثقافتها وفكرها ونظمها بشكل لا أظن أنه وقع قبل ذلك.

وهكذا.. والأمثلة لا تكاد تنتهي.

ج/ ظهور أهل البدع وعلوّ صوتهم وتحديهم للأمة:

1 – فالرافضة لا يخفى أمرهم على أحد لا من ناحية أهدافهم أو خططهم ولا من ناحية أعمالهم وأفعالهم.

[والكلام حولهم يطول: ولعل فيما كتب عنهم من ملفات ما يكفي لبيان حالهم وخطرهم].

2 – والصوفية بدؤوا يظهرون المخفيّ عندهم، وصاروا يعملون بكل ما أوتوا من وسائل لاستباق كل عائق حتى ينشروا تصوفهم وخرافاتهم بل وشركياتهم الصريحة.

ويمكن أن نذكر هنا ما يلي من نشاطهم:

1) الدعوة إلى التصوف صارت علناً لا يتدسس بها أصحابها.

2) نشر مقالاتهم وحججهم وشبههم على صفحات الصحف مثل المدينة وعكاظ والوطن..

3) إقامة الموالد والمناسبات الصوفية علناً في البيوت والاستراحات.

4) السعي إلى إحياء الآثار في مكة والمدينة والدعوة إلى تعظيمها والتبرك بها.

5) العداء السافر من كثير منهم لأهل السنة أصحاب العقيدة السلفية ورميها بما سبق أن رُميت به من التهم.

6) وآخر قصص جرأتهم ما جرى أخيراً في النادي الأدبي في المدينة النبوية حيث ألقيت محاضرة تدعو إلى إحياء الآثار والتبرك بها.

3 – والأشاعرة أخذوا يدعون إلى مذهبهم داخل شباب أهل السنة، ويحمل لواء ذلك أشاعرة كانوا يخفون مذهبهم ثم أظهروه، وأناس تمشعروا بعد أن كانوا سلفيين.

والملاحظ أن هذا الصنف من أهل البدع عادوا إلى ما عُرف عن شيوخهم من التصاقهم بالصوفية، ودعوتهم إلى الأصول الكلامية، والعداء لأهل السلف ولكتبهم قديماً وحديثاً، مع المهادنة لبقية أهل البدع، كما أن حرصهم على نشر كتب الأشاعرة نشط كثيراً.

4 – مدرسة الاعتزال والتجهم تعود هنا وهناك، وتُنشر كتبها وآراؤها التي يتبناها للأسف جمهرة من العقلانيين والعلمانيين وغيرهم.

د/ ظهور أصحاب الفكر المنحرف – في هذه البلاد – من الحداثيين والعلمانيين على مختلف مدارسهم المعروفة من ماركسية وقومية وبعثية وحداثية وليبرالية وغيرها.

وقد عملوا على :

إظهار رموزهم – دون خجل – على أنهم رواد الفكر والثقافة والتوجيه في المجتمع، كما عملوا على استقطاب عدد كبير من المتأثرين بهم من الشباب والصحفيين وتجييشهم بأساليب مختلفة حتى يسايروا الخط الذي يسيرون عليه. ومما يؤسف له أن يقع هؤلاء فريسة لهذه الأفكار المنحرفة عن وعي وعن غير وعي. وهذا تشخيص لما يجري، وإلا فهم يتحملون مسؤولية ما يكتبون.

[وهؤلاء كالرافضة والصوفية يحتاجون إلى من يتتبع أفكارهم ونشاطهم، وهناك جهود في هذا ولكنها قليلة إذا ما قورنت بعظم خطرهم على الأمة وعلى العقيدة والشريعة].

ونحن هنا نشير إلى أبرز مظاهر نشر فكرهم وحربهم للدين عقيدة وشريعة وخلقاً كما يلي:

1 – أغلب هؤلاء العلمانيين كانوا أصحاب تنظيمات سرية كانت معروفة في السابق في البلاد العربية ومنها ما كانوا يسمونه فرع الخليج العربي [البحرين – عمان – الكويت – السعودية].

وأبرز هذه التنظيمات [الشيوعيون، والبعثيون، وحركة القوميين العرب، والناصريون، والقوميون القدامى، الوحدويون]. والحداثيون هم خليط من هؤلاء، وإن كانوا في الغالب ينتمون إلى التيارين: الشيوعي والليبرالي الغربي.

وأغلب هؤلاء غلب عليهم الفكر الثوري واليساري.

وهناك التيار الغربي العلماني الليبرالي ويقود هذا مجموعة من الدارسين في الغرب الذين تشربوا فكره وأصبحوا من أدواته.

والملاحظ أن هؤلاء يعيدون ترتيب صفوفهم وشيئاً من تنظيماتهم السابقة، ويتحالف بعضهم مع بعض، وينتقل الواحد منهم في لحظة من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ما دامت المصلحة الشخصية تقتضي ذلك.

2 – بدؤوا يجاهرون بأفكارهم ويفاخرون بتاريخهم السابق من شيوعي وبعثي وغيره.

[ونحن نخشى أن يأتي اليوم الذي يقف فيه الواحد من هؤلاء أمام وسيلة إعلامية رسمية ليشرح بكل فخر قصة انتسابه للفكر الشيوعي ودخوله في تنظيمه، وقصة

انتسابه لتنظيم البعث أو الناصرية وغيرها كما فعل بعثيوا العراق وسوريا وشيوعيوا عدن وغيرهم حين صارت لهم سلطة ودولة].

3 – حولوا مراكز نفوذهم إلى منابر لنشر أفكارهم المنحرفة ومحاربة من يخالفهم وهذا واضح جداً في بعض الصحف، وغيرها التي شنوا من خلالها حرباً لا هوادة فيها على العقيدة ومنهج السلف وشريعة الإسلام.

4 – استولوا من جديد – بطريقة ثورية انقلابية – على أغلب إن لم نقل كافة الأندية الأدبية في المملكة عن طريق نفوذهم في وزارة الإعلام وما فوقها.

5 – شنوا حملة شعواء على الشريعة، وإقامة الحدود، وعلى القضاء والقضاة والإفتاء وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكم سخروا من كثير من القضايا – آخرها موضوع هلال رمضان.

6 – عملوا على تعطيل الأحكام الشرعية التي أصدرت على أصحابهم من الزنادقة وأشباههم لأنهم يريدون إضعاف قاعدة الحسبة على هؤلاء وهو الإحالة للقضاء، ولأنهم يضعون خط دفاع عنهم؛ لأنه لو نفذت الأحكام فالدور عليهم.

7 – استولوا على المهرجانات الثقافية: كالجنادرية، ومعرض الكتاب والمناسبات الثقافية، وحاولوا من خلال معارض الكتاب الدولية، ومن خلال المراقبين في الإعلام إدخال كتب الفساد والانحلال والفكر المنحرف على مختلف مدارسه، إلى هذه البلاد ونشرها وبيعها.وفي مقابل ذلك حاربوا الكتاب الإسلامي ومنعوا الكثير منها من الفسح والدخول إلى المملكة.

8 – وفي الشبكات العنكبوتية لهم مواقعهم الصريحة في العلمنة والإلحاد وحرب الدين والاستهزاء الصراح به.

وصاروا ينشرون فيها ما لا يستطيعون نشره في صحفهم ووسائل إعلامهم المعروفة.

9 – أما أخطر مجالات عملهم التغريبي والإفسادي للعقيدة وللأمة فهو المثلث العلماني الخطير، وهو:

أ – التعليم. ومحاولة إفراغه من محتواه الإسلامي إلى تعليم علماني، وما الهجوم على المناهج الشرعية ونقد عملية الحفظ، والدعوة إلى الاختلاط وابتعاث الشباب إلى بلاد الغرب، وطلب إلغاء سياسة التعليم، والدعوة إلى إلغاء التخصصات الشرعية من

الجامعات والدعوة إلى حذف مقررات الإسلام واللغة العربية من التخصصات العلمية... إلا جزء من هذه الحرب.

ب – الإعلام. وقد قفز هؤلاء بوسائل الإعلام قفزات إفسادية سريعة تشتمل على نشر الأغاني والتبرج والاختلاط في البرامج وعلى نشر الفكر المنحرف، والهجوم بأشكال متفاوتة على الدين، وهذا في الإعلام الرسمي أما الصحف والإعلام الخارجي فحدث ولا حرج عن عبث هؤلاء بدين الأمة وعقيدتها وشريعتها وأخلاقها.

ج – المرأة. وقد رموا بثقلهم حتى تتحول إلى قضية يومية في كافة وسائل الإعلام، وأصبح إفساد المرأة وتبرجها واختلاطها بالرجال وتمردها على دينها وعلى ولي أمرها مطالب تتكرر عند هؤلاء كل ساعة وفي أية مناسبة.

10 – الدعوة إلى الوطنية والحوار الوطني بعد إفراغها من العقيدة. وقد تحول ذلك – وللأسف – إلى تمكين لأصحاب البدع وربان العلمنة أن يعلنوا عن آرائهم ومذاهبهم الفاسدة بكل جرأة.

11 – وأخطر ما يفعله العلمانيون وأصحاب هذه التيارات محاولات شق الصف الإسلامي من خلال:

1) الاستهزاء بالمشايخ والقضاة وهيئة كبار العلماء والإفتاء ورميهم بالجمود والتحجر والسخرية منهم.

2) إعلاء شأن كل من ينتسب إلى العلم إذا كان صاحب شواذ في أقواله وفتاويه، ونقل كلامه الذي يناسبهم ومدحه والثناء عليه، وإذا كان هذا يقال في الصحف علناً فماذا هم قائلون للشيخ إذا انفردوا به؟

3) تبني المدارس الإسلامية المنحرفة فهم يعظمون الرافضة ويلينون للصوفية، ويعلون من شأن المدارس العقلانية العصرانية ويرفعون شأن كل من ينتسب إليها.

4) الهجوم على المشايخ والدعاة الصادقين والحط من شأنهم في كل مناسبة، والتمكين من الردود عليهم.

وهذا واضح في الردود على المشايخ صالح الفوزان، وصالح اللحيدان، وسماحة المفتي، وبعض الدعاة.

هـ/ ومن مظاهر هذه الحرب على العقيدة:

1 – تشجيع الناكصين على أعقابهم حتى صاروا كتّاباً في صحف متعددة وضيوف منتديات إذاعية وتلفزيونية يستضاف هؤلاء على أنهم من كبار الكتاب والمفكرين وقد ركز هؤلاء الناكصون على أعقابهم على أمور:

أ – إظهار تجاربهم الشخصية السابقة بمظهر ساقط وسافل لما كانوا مستقيمين.

ب – الكذب على أهل الخير واختلاق الحكايات التي لم تقع وكل ذلك من باب التشويه لأهل الدين.

جـ – إبراز نكوصهم على أنه مراجعات فكرية عقلانية وتصوير ذلك على أنه عودة إلى المنهج الصحيح مع أنه منهج منحرف ساقط.

د – شن الهجوم على العقيدة وحملتها في كل مناسبة وصارت مقالاتهم متخصصة في هذه الجوانب ولا تكاد تقرأ مقالة لواحد من هؤلاء أو تسمع له مقابلة أو مشاركة في ندوة إلا ولبّها وموضوعها الرئيس الهجوم على الثوابت والاستهزاء بالدين وبأهله والرفع من شأن كل صاحب بدعة وضلالة وفكر منحرف.

هـ – التعاون والتفاعل من العلمانيين في هذه المجالات فكل منهم يمدح الآخر ويرفع من شأنه تشابهت قلوبهم.

2 – ومن المظاهر المؤلمة – في المدة الأخيرة – وجود بعض من ينتسب إلى العلم أو من الشباب الذين نشؤوا على العقيدة الصحيحة – الذين مالوا أو تبنوا بعض مناهج أهل البدع.

مثل من مال إلى الصوفية وصار من دعاة هذا المذهب وهو يشعر أو لا يشعر.

ومثل من مال إلى المدرسة العصرانية وصار يقدم أفكاراً توافق أصولهم.

ومثل من مال إلى مذهب الأشاعرة وصار يدعو إلى مذهبهم ويغض من مذهب أهل السنة.

ويؤسفنا أن أهل البدع فرحوا بهذه الفئة وطاروا بها وبأقوالها في كل ناد، وصاروا يحتجون بهؤلاء على صحة مذاهبهم وبطلان مذهب وعقيدة أهل السنة.

ويا ليت هؤلاء – إن كانوا يفقهون ويريدون حقاً أن يدافعوا عن دينهم وعقيدتهم – يدركون مقدار جنايتهم على أمتهم وعلى عقيدة السلف والصف الإسلامي الذي فتحوا فيه ثغرات وثغرات، والله المستعان.

==============

أطفالنا في خطر

جاءتني طفلتي الصغيرة مستنكرة على إحدى صديقاتها في الروضة رسم سحاب وفوقه صورة تزعم أنها "الله" – تعالى الله علواً كبيراً – وبقدر ما كانت طفلتي مستنكرة لهذا الأمر الشنيع تفاعلت معها وبينت لها خطر تشبيه الله تعالى بأحد من خلقه وأنه ليس كمثله شيء، فلا يصفه الواصفون ولا يمكن لأحد تخيله فهو الكبير ، المتعال ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، سبحانه وتعالى ، وبسّطت لها فهم هذه الأمور بقدر ما استطعت

ولكني وقفت برهة لأعرف سبب تصرف هذه الطفلة والذي سبقه تصرفات مشابهة من بعض الطالبات أثناء اشتغالي بالتدريس في المراحل الأولية ، حيث تأملت ما حولي من المؤثرات ومن الوسائل التي أطلقنا لها العنان لتصنع في أولادنا ما تريد فتوصلت إلى نتيجة وهي أن " أبناءنا في خطر" !! خطر عقدي وأخلاقي إن لم تتداركهم رحمة الله تعالى ، ثم حرص الأبوين وتكريس الجهود في حسن التربية والتوجيه.

ومن هذه المؤثرات: القنوات الفضائية بجميع برامجها الموجهة للأطفال.. والتي يقضي الأطفال معظم أوقاتهم أمامها دون حسيب ولا رقيب ! والبرامج التلفزيونية والأفلام الكرتونية ، والتي أظهرت الدراسات أن 29.6% منها يتناول موضوعات جنسية ، و27.4% تعالج العنف والإجرام ، و 15% تدور حول الحب بمعناه الشهواني !

يقول الدكتور (ستيفن بانا) الطبيب بجامعة كولومبيا: " إذا كان السجن هو جامعة الجريمة ، فإن التلفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الأحداث " !!

يقول الدكتور شاكر مصطفى في كتاب (بصمات على ولدي) : " أبناؤنا أبناء وسائل الإعلام التي افترست الأسرة لدينا افتراساً... "

من ناحية أخرى فإن كثيرا من المواقع التي خصصت للأطفال على شبكة الإنترنت تقدم ما يضر الأطفال أكثر مما ينفعهم ، مما يستوجب متابعة الوالدين لا سيما وأن

كثيراً من الأطفال أصبحوا يعرفون كيفية الدخول على هذه المواقع ويتبادلون فيما بينهم أسماءها وعناوينها .

ولا ننسى هذا الكم الهائل من المجلات والقصص الموجهة للأطفال بالأسلوب العامي الركيك والتي تحمل بين طياتها محو الفضيلة وغرس الرذيلة وتعليم الجريمة والعنف.

إلى غير ذلك من وسائل إعلام هدامة تستهدف فلذات أكبادنا، والطفل – كما يؤكد خبراء التربية – ذو خيال واسع يتأثر كثيراً بما يسمعه ويشاهده في طفولته وخصوصاً المبكرة.

بالأمس القريب اكتشف الناصحون أن أطفالنا أصبحوا يلعبون القمار، ويعشقون " البوكيمون " !! وقبله نادي المصلحون بخطورة جهاز " البلاي ستيشن" الذي لم يدع بيت إلا دخله – إلا من رحم الله – بما يحويه من مظاهر الشرك والسجود للأصنام ونشر الصليب وخزعبلات السحر والشعوذة والقمار والموسيقى ومشاهد العري والفساد بالإضافة إلى أضراره الصحية كما أثبتها الأطباء والتي من أهمها مرض "الصرع" !! أن أطفالنا يرون من خلال هذه الوسائل ما يهدم عقائدهم فيسمعون صوت الرعد ثم تتكشف السماء عن كائن أو دجاجة معها طبل، ويرون العاصفة تسير بأمر "شرشبيل" ويرون الأفلام الفضائية التي تتحدث عن الكواكب الأخرى وما تحويه من الحديث عن المستقبل بتخرصات لا أساس لها ويرون خلالها أشباح تظهر ليس لها تفسير عقدي .. إنهم يتعلمون من خلالها مشاهد السحر والشعوذة والكهانة حتى البرامج التعليمية لا تخلو من هذه اللقطات .. !!

كل ذلك ونحن في غفلة نهدر أموالنا، ونضحي بأبنائنا وثمار قلوبنا على مذبحة العولمة، والمسح الأخلاقي ومخططات الماسونية باسم التحرر والتقدم.

ومن هنا كان لا بد من الوعي والعمل لصد هذا الكم الهائل والسيل الجارف من هذا الغثاء، بأعمال إسلامية نقية وجهود فردية وجماعية لإنقاذ أطفالنا من هذا الخطر الداهم وذلك من خلال :

•تقوية البناء الأسري ، ودعم دور الأسرة في مجال التربية وتنفيذ الخطط الهادفة المتنوعة، وتكثيف التوعية والتأصيل العقدي لأولادنا والقرب منهم، وبذل الوقت

والجهد في إصلاحهم والجلوس معهم، وصرفهم عن هذه الوسائل وتطهير المنازل منها ، وتقديم البديل المناسب .

•إنشاء مدارس ومعاهد إسلامية لتخريج الدعاة والداعيات المتميزين والمتفاعلين مع قضايا العصر .

•تكثيف البرامج الدعوية الخاصة بالأطفال والمراهقين، واحتواء الناشئة في فترات الصيف في مراكز صيفية موجهة ، ودور نسائية ، وغيرها من المؤسسات لصد هذه الحملات الإعلامية المكثفة .

•تنظيم الجهود وتكثيفها لإخراج أعمال إسلامية مميزة للأطفال ترفيهية، وتعليمية مقروءة ومسموعة ومرئية وعمل الدعاية اللازمة لها.

•بث الوعي لدى معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية بأهمية هذه المرحلة ، وحثهم على غرس العقائد في قلوب التلاميذ ، وتوعيتهم بهذا الخطر المحدق.

•إعداد دورات تربوية للآباء والأمهات والمربين.

•إعداد مسابقات من قبل المدارس ومكاتب الدعوة وغيرها مخصصة للأطفال وتعد لها الجوائز القيمة ، وتنتقى موضوعاتها بحيث تحقق الهدف المنشود .

•توعية أفراد المجتمع بأخطار هذه الأجهزة والوسائل وأهداف الأعداء وأساليب مكرهم ، وبيان مسئولية كل فرد في موقعه فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

============

أورام البناء الثقافي

فحين تنبض الثقافة بهمّ الأمة، وحين تمدّ الأمة الثقافة بمقومات صمودها وعوامل بقائها وأصالة منبتها ونبل مخبرها، وإذا توثَّقت العلاقة بين الطرفين؛ كان ذلك مدعاة لسيادتهما جميعاً، وإذا تهاوت تلك العلاقة فلا بقاء لواحدة دون الأخرى. وحينما يكون للأمة رسالة يحملها مثقفوها عبر أقنية الاتصال لإبلاغها دعوة للخير للعالم أجمع، يعيشون آنذاك حالة من الهمّ والقلق لأجلها. وإذا انتفى ذلك وفضل المثقفون سلك طريق غير معبَّد وأسلوب غير ممهَّد وطريقة ومنهج مرسوم بالعبثية والمصلحة الفردية، عند ذاك يظهر الخلل بين الجذر والساق، بين الأمة والثقافة، فلا الساق بقادر على السمو والعلو، ولا الجذر يستطيع وهبه مقومات شموخه، وتغدو العلاقة

حالة من العقوق. وفي هذه الوريقات أضع مبضع الجراح على ورم البناء الثقافي، مستحثة المثقفين والمثقفات لمهمة استئصاله قبل أن يتشعَّب فيهلك الجسم الواهن.

الورم الأول: الفجوة الواسعة بين المثقف المحلي ومطالب ورغبات وهموم وتطور المجتمع، والمعنى المقصود: اتساع المسافة الزمنية بين المراحل التاريخية للتطور الثقافي، وهو أمرٌ قد يُلبس بعض المثقفين التهمة حين يقفزون قفزات واسعة متجاهلين المراحل التي يمرّ بها المجتمع دون وعي بأنَّ قفزاتهم قد تبعد بهم عن أرض الواقع.

الورم الثاني: ضعف الجانب الإبداعي لدى المثقف المحلي، حتى غدت التكرارية والتلقي من الآخرين سمت بعض المثقفين.

الورم الثالث: انتفاء الهمّ الثقافي الذي يدافع عنه المثقف ويسعى لإجلائه، فقد يدور في دائرة من النرجسية والخيالية أو العبثية أو الحداثية وما بعدها، وهذا الانتفاء يجعل مساهمات المثقف هزيلة ضعيفة لا تصمد أمام تيارات العولمة وأعاصير التغريب.

الورم الرابع: وضع حدود بين الثقافة العربية والإسلامية، وهي حدود تدلُّ على ضيق أفق واضعيها في فهمهم الشامل لمفهوم الثقافة الإسلامية؛ ممَّا يؤدي إلى تهميش الأصول الثابتة التي ترتكز عليها الثقافة الإسلامية، وبالتالي تحييد قضية الولاء والبراء.

الورم الخامس: استلهام تجارب وثقافات الآخرين دون غربلة لما ينالنا ويمسّ ثوابتنا، ويدخل في ذلك أيضاً المحاور الثقافية التي يدور حولها النص والمصطلحات والجمل التي تعارض أسسنا وقيمنا.

الورم السادس: سعى بعض المثقفين إلى الإيهام بأنَّ هناك خطاباً أنثوياً خاصاً مع ما يجرَّه ذلك من رفض لصيغ الأمر والنهي الواردة في الشرع، والتي يدخل في محتواها الجنسين؛ إذ طالما ـ في فهمهم ـ أنَّ للأنثى خطاباً يوجه لها، فهي غير ملزمة بالخطاب الآخر، وفي ذلك نكسة وعصيان.

الورم السابع: شعور بعض المثقفين أنَّ العادات والتقاليد عنصر كبح لإبداعاتهم، ولهذا فهم يستغلون الفرص للخروج من إطاراتها إلى عوالم أوسع ومجالات أفسح

للتقليد والالتحاق بركب الآخر، حتى وإن قاده ذاك الآخر إلى مصير منبوذ، فلا هو ابن أمته، ولم يشأ الآخر أن يتبناه.

الورم الثامن: عدم إدراك بعض المثقفين للحدود التي يجب أن يقفوا عندها في محاولاتهم التجديدية وكتاباتهم الأدبية والتاريخية، بل وحتى العلمية، فهناك حدود لا تمس وثوابت لا تجس، يجب أن يقفوا عندها؛ فالذات الإلهية والعبادات والقرآن وسيرة الرسول وتراجم الصحابة والتابعين وعاداتنا الأصيلة ولغتنا العربية ليست مجالات للتغيير والتبديل والعبث.

الورم التاسع: حصر مفهوم الثقافة بالدراسات الأدبية والنقدية والتاريخية، واعتقاد ذلك يُحجم مفهوم الثقافة ويضيّق أفق المثقف الذي هو إنسان مبدع.

الورم العاشر: المثقف مجدد، وهو إذا حمل همّ بيئته كان مفجراً لآمالهم معالجاً لأولادهم. وكثير من المثقفين لا يكونوا مماثلين للنابغة الجعدي أو الذبياني، وإنَّما تبدأ سيرهم الثقافية في صغرهم، فتتولاهم أسرهم رعاية واستنباتاً ورياً حتى تنهض هاماتهم الثقافية وتسمو سوقهم الإبداعية الإيجابية، ولا يتأتى ذلك إلا إذا أدركت أسرهم أنَّ مجتمعاً بلا ثقافة إيجابية أو مثقفين إيجابيين، سيستسلمون بلا وعي تحت وقع الإعجاب بالآخر.

الورم الحادي عشر: استعجال كثير من المبتدئين نشر إنتاجهم دون وعي لمدى نضجهم وكفاءتهم، ومن ثم قد تتلقاهم وسائل الإعلام بالدعاية والتلميع دون أن يكون ذاك المثقف قد حوى تجربة ثرة تمكنه أن يعرضها حيث يشمخ مغزاها ويسمو معناها مثلما يعلو إطارها اللفظي وبناؤها الشكلي.

الورم الثاني عشر: تجاوز بعض المثقفين أطر مجتمعهم، متناسين أنَّ الثقافة نتاج عقول الأمة، وهي أعظم راسم للهوية ومحدد للبناء المستقبل. وبمعنى أدق: كثير من المثقفين يتناسون أنَّ تمايز الثقافات يعني تمايز الأمم، وهو أمرٌ ينعكس على تمايز وجودها على الخارطة التاريخية.

الورم الثالث عشر: سعى بعض المثقفين إلى العالمية ولو على حساب غموض تصرفهم وأطروحاتهم وعروضهم، فيفضلون كونهم في هوامش مجتمعهم على أن تكون نصوصهم الثقافية في هوامش العالم، مما يعكس وجود فجوة هائلة بينهم وبين

الجماهير، فلا هم الذين أخذوا بيد الجماهير إلى العالمية وفق ثوابت وأصول، ولا هم الذين استطاعوا أن يدخلوا العالمية تحت مظلة ثقافية واضحة قادرة على الصمود. يقول شوقي عبدالأمير: "أنا لا أعترض أن يُقال عن شعري إنَّه شعري نخبوي؛ لأنَّه لديَّ هم في القصيدة، وحتى يواكب هذا الهم أي قارئ يجب أن يكون لديّ حقيبة معينة. أنا لا أعتقد أنَّ مهمتي كشاعر هو تحميس الجماهير أو إرضاؤهم، ولا أظن أنَّ الهدف العميق للشعر هو مواكبة الشعب بكل شيعاته وطوائفه بأحاسيسهم اليومية وعواطفهم المباشرة، هذا صعب في مشروعي الشعري الذي الهدف منه تأسيس رؤيا جديدة للعالم.. نحن مطالبون بأن نأخذ بعين الاعتبار بكتابة نص جديد، وإلا سنظل على هامش العالم، فالشاعر إما أن يقع على هامش المجتمع الذي هو فيه، أو يقع النص الشعري على هامش العالم، أنا أفضل أن أشتغل في هامش المجتمع من أجل نصّ شعري يقع في قلب السؤال الحضاري لا العكس" اهـ. (نقلاً عن: مجلة اليمامة، ع1592 ص265،266). وبعد، فإذا كان ذلك حصيلة فحص مبدئي للبناء الثقافي لجعله صامداً أمام محاولات فرض العولمة الثقافية، فإنني أخلص إلى بعض التوصيات:

* من الضرورة أن يولد المثقف في مجتمع ويرضع من مجتمعه وتنبثق أفكاره منه، وحيث تكون علاقته بالمجتمعات الأخرى والثقافات المغايرة علاقة احتكاك وصقل، لا ذوبان.

* من وظائف المثقف أن يجدِّد نفسه ويكثر من الإطلاع، وأن يُدعم بين جوانحه موضوعاً يُسير أطروحاته ومناقشاته، على أن ينبع ذلك الموضوع من حاجات بيئته.

* مثلما يدافع ساسة فرنسا وبريطانيا عن الثقافتين الفرنسية والإنجليزية من ذوبان بعضهما في بعض؛ يجب أن يقف مثقفونا نفس الموقف من الثقافة الإسلامية، بل إنَّ الأمر يجب أن يتعدى الدفاع إلى عرضها كنموذج خلاص من الضحالة الفكرية التي تفرق العالم، كيف وهي تحوي من مقومات الصمود ما لم يتوفر لغيرها، ومن المتوقع إذا دفعها أبناؤها إلى جدار العولمة أن تكون اللبنة الظاهرة فيه؟

* ضرورة أن يدرك المثقفون عامة، وأصحاب النظريات الثقافية خاصة، أنَّ لهم أن يمارسوا إبداعاتهم التجديدية في كل شيء إلا الثوابت.

* علـى المسـارعين إلـى العالميـة أن يـدركوا أنَّ الأدب الإنجليـزي العـالمي لـم يكـن عالمياً، إلا بعد أن ذاب فـي المحليـة الإنجليزيـة، والأدب الفرنسـي العـالمي لـم يكـن عالمياً إلا بعد أن خرج من بوتقة اللغة الفرنسية، أو ليس حرياً بنا أن ندخل العالمية تحت مظلة الثقافة الإسلامية؟

وحفظ الله أمتنا.

============

قلق من انخفاض عدد اليهود في العالم وخطر الحركات الاسلامية

نـور الإسـلام_ وكـالات_ 2006/10/8_ يسـتعد دينـيس روس رئـيس مجلـس ادارة " معهـد تخطـيط السياسـة للشـعب اليهـودي " التـابع للوكالـة اليهوديـة، ورئـيس مجلـس التوجيه المهني فيه لتقديم التقرير السنوي الثالث الصادر عن المركز لرئيس الوزراء الصهيوني إيهود اولمرت. وسيطلع روس أولمرت على معطيات توصف في إسرائيل بأنها " مقلقة جداً " حول تناقص عدد اليهود في العالم والخطر الديموغرافي الناجم عن إمكانية فقدان اليهود لأغلبيتهم العددية في اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة؛ إلـى جانـب تحـذير مـن خطـر الحركـات الإسـلامية فـي العـالم ودورهـا فـي تفشـي اللاسـامية كمـا يـزعم التقريـر. فقـد حـذر التقريـر السـنوي الثالـث للمعهـد مـن مغبـة التـداعيات الخطيـرة لتنـاقص عـدد اليهـود فـي العـالم، والـذي لـم لا يتجـاوز حاليـاً 13 مليـون نسـمة، بنـاء علـى معطيـات الوكالـة اليهوديـة. وأشـار التقريـر إلـى أن إسـرائيل تضم أكبر تجمع سكاني لليهود في العالم حيث يعيش فيها 5.3 مليون نسمة. وحسب المعطيات التي يوردها التقرير فإن عدد اليهود في العالم ينمو بنسبة قليلة جدا تؤول إلى الصفر سنويا. واعتبر التقرير أن المسؤول بشكل أساسي عن تدني عدد اليهود هـو التعريـف الـذي تضـعه الديانـة اليهوديـة لمـن هـو يهـودي، حيـث يعتبـر الانسـان يهودياً إن كان قد ولد لأم يهودية، بغض النظر عن ديانة والده. وأشار التقرير الى أن اعتماد هذا التعريف ساهم في توجه عدد كبير من اليهود الى التحلل من اليهودية والانـدماج فـي المجتمعـات التـي يعيشـون فيهـا، سـيما فـي الولايـات المتحـدة. وينـوه التقرير الـى أن هـذه القضـية ظهـرت بقـوة مـع موجـات الهجـرة الضـخمة إلـى اسـرائيل التـي بـدأت فـي العـام 1990 واسـتمرت حتـى العـام 1999، حـين هـاجر إلـى إسـرائيل

مليون مهاجر، إذ أن المؤسسة الدينية لم تعترف بيهودية حوالي ثلث المهاجرين، إلى أن اضطر قسما كبيرا منهم للشروع بعملية تهويد جديدة، وحتى الآن هناك 300 ألف شخص في إسرائيل يعتبرون أنفسهم يهودا وترفضهم المؤسسة الدينية، وهناك قرابة 29 ألف مهاجر ضمن عائلات يهودية، حافظوا أو انتقلوا للديانة المسيحية، ولكنهم "ينعمون" بقانون الهجرة القائم. ويضيف التقرير أن عدد اليهود (المعترف بهم) في الولايات المتحدة 5,27 مليون نسمة، ولكن لو اعترف بيهودية اولئك الذين آباءهم يهود لكان عدد اليهود اليوم في الولايات المتحدة عشرة ملايين نسمة. وحسب معطيات الوكالة الصهيونية فإنه في العام 1970 كان عدد اليهود في العالم 12,633 مليون يهودي، ليصل هذا العدد في العام الجاري 2006، إلى 13,08 مليون نسمة، أي أن مجمل الزيادة خلال 36 عاما لم تتجاوز 3,6% فقط، في حين أن عدد سكان العالم في هذه الفترة ازداد بنسبة تتراوح ما بين 60% الى 70% على الأرجح. ويتبين من الإحصائيات، أن عدد اليهود في العام الجاري في إسرائيل بلغ أكثر بقليل من 5,3 مليون نسمة، وهذا ضعف عدد اليهود الذين عاشوا في إسرائيل في العام 1970، والذي بلغ حوالي 2,58 مليون نسمة، وهذا الارتفاع ناجم بقدر كبير عن الهجرة اليهودية الى أرض فلسطين.ويشير التقرير الى أنه خلال السنوات الخمسة عشرة الأخيرة لوحدها ازداد عدد اليهود في إسرائيل بفعل الهجلرة بحوالي 1,2 مليون نسمة. وأشار التقرير الى معطى بالغ الخطورة بالنسبة لليهود في إسرائيل وهو ان نسبة التكاثر الطبيعي لليهود في إسرائيل هي 1,5%، مقابل 2,6% لدى فلسطينيي 48. أما عدد اليهود في إسرائيل في العام 2020 فتتوقع الوكالة الصهيونية ان يرتفع إلى 6,228 مليون نسمة، أي بزيادة 17,3%. ولا يتوقع التقرير يبدو هجرات يهودية ضخمة أخرى إلى إسرائيل، وهذا لأن 90% من اليهود في العالم يعيشون في دول المستوى المعيشي فيها أعلى من المستوى في إسرائيل. أما عدد يهود الولايات المتحدة فقد تراجع من 5,44 مليون نسمة في العام 1970 إلى 5,275 مليون نسمة في العام الحالي 2006، وهذا التراجع ناجم بالأساس، وبنسبة كبيرة، عن انصهار اليهود في مجتمعهم الأمريكي، ونسبة ضئيلة منهم هاجرت إلى الكيان الصهيوني. ونوه التقرير الى أن فرنسا تضم ثالث اكبر تجمع لليهود في

العالم، حيث يتواجد هناك 492 ألف يهودي، مسجلين تراجعا بحوالي 38 ألف نسمة عن العام 1970، ثم تأتي بريطانيا حيث يعيش اقل بقليل من 300 ألف يهودي، بعد ان كانوا 390 ألفا في العام 70. إلا أن أكبر عملية نزوح لليهود من أوطانهم كانت في دول الاتحاد السوفييتي السابق، التي هاجر منها منذ العام 1990 وحتى اليوم قرابة مليون يهودي، ففي حين عاش في الاتحاد السوفييتي في العام 1970 حوالي 2,151 مليون نسمة، فإن عددهم في دول الاتحاد اليوم لا يتعدى 366 ألف يهودي، بمعنى انه إلى جانب الهجرة الضخمة، هناك عدد أكبرمن اليهود انصهر في مجتمعه، ومنهم أيضا من هاجر إلى دول أوروبية، وبشكل خاص ألمانيا. ويعبر المعهد عن "قلقه"، من غياب سياسة ديمغرافية تهدف إلى تحسين وتيرة تزايد عدد اليهود في العالم بشكل أكبر، ومن بين ما يوصيه المعهد، تشجيع العائلات اليهودية على إنجاب طفل ثالث أو رابع.

خطر الحركات الإسلامية

يعبر التقرير بشكل واضح عن قلقه من تداعيات الحرب الأمريكية على العراق. ويضيف " إن الوضع في العراق يثير انتقادات حادة متنامية في الولايات المتحدة، وعلى الأغلب سيكون لها انعكاسات على السياسة المستقبلية للولايات المتحدة، بما في ذلك سياستها في الشرق الأوسط، فعدم الاستقرار في العراق قد يحوله إلى أكبر بيئة للمجموعات المتطرفة العالمية، وأن يتحول العراق أيضا إلى حالة اختبارية لقدرات الغرب، ولهذا الأمر انعكاسات كثيرة على المستقبل ومن ضمن ذلك على الكيان الصهيوني.

ويشير التقرير الى القنبلة الموقوتة المتمثلة في ازدياد عدد المسلمين في دول الاتحاد الاوروبي. ويضيف " إن عدد المهاجرين المسلمين يزداد في الغرب، وصعوبات استيعابهم إلى جانب تطرفهم الديني، يشكل مشكلة ذات انعكاسات متوقعة على الجاليات اليهودية".. ويواصل التقرير " إن التغير المركزي في العمليات التفجيرية الأخيرة التي وقعت في بريطانيا وإسبانيا وهولندا وأماكن أخرى في أوروبا يكمن في حقيقة ان هذه التفجيرات تم تنفيذها بمساعدة وتخطيط مسلمين أوروبيين، أبناء الجيل الثاني للمهاجرين الذين ولدوا ونشأوا في أوروبا".. ويهاجم التقرير الدين الاسلامي

قائلاً " أن المساهمة الأساسية للإسلام المحافظ في تنمية اللا سامية تكمن في الدعاية المعادية لليهود من النوع القديم ضمن: سلسلة كتب ومواقع انترنت ومواعظ في المساجد، والقصة المحزنة حول علاقة النبي محمد بيهود المنطقة العربية، ومكانة اليهود كدين أقلية وضيع في الشريعة". . ويواصل التقرير مزاعمه "إن المعركة المعادية لليهود تتسع، وتشمل في هذه الفترة "برتوكولات حكماء صهيون"، التي تظهر بحلل جديدة في الشاشات العربية تقريبا سنويا، وتنتشر الكتب في الأحياء الإسلامية في أوروبا"..

كما يدعو التقرير بإسهاب الى مواصلة احياء ذكر ى ما اسماه ب " المحرقة " التي تعرض لها اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، ويوصي التقرير بتنظيم حملات دعائية واعلامية لتذكير العالم بالمحرقة عن طريق زيادة النصب التذكارية والمعاهد والمتاحف التي تخلد ذكراها.

التكامل مع اسرائيل على صعيد العلاقات الخارجية:

يدعو التقرير الى أن يواصل اليهود لعب دوراً مؤثراً على الأحداث في العالم. ويضيف التقرير " فهناك فرصة ليتحول الشعب اليهودي إلى لاعب هام أكثر بالشكل الذي يلائم أجواء العولمة، هذا من جانب، ومن جانب آخر (استغلال) كِبَر حجم وظيفة الحضارات على الصعيدين العالمي والدولي. ويحث التقرير على تعزيز علاقات اليهود ومنظماتهم بقوى عظمى صاعدة، وتحديداً الصين واستغلال الفرص لتحسين العلاقات مع مؤسسات الاتحاد الأوروبي. ويحث التقرير على ضرورة استغلال التطورات السكانية في الولايات المتحدة سيما ازدياد عدد الأمريكيين من أصول أسبانية ومحاولة كسب اليهود لهم. ويدعو التقرير الى رفع مستوى عمل المنظمات اليهودية أمام الأمم المتحدة وتنظيمات دولية "من أجل الحصول على إنجازات أفضل".

==============

السعوديات قابضات على الجمر!!!

أنى لأتساءل وحق لي هذا التساؤل فأنا امرأة سعودية تحمل بين جنابتها حباً لهذا الوطن الذي كان وسيبقى مهداً لنشر الدين الإسلامي .

وتساؤلي : هل حقوق المرأة السعودية صُمت عنها الآذان , وكُممت منها الأفواه, وأغلقت دونها القضبان !! فلامناص.... إلا أن تقف أحداهن على جسر الملك فهد على الحدود مع البحرين حاملة لوحة تطالب فيها بحقوقنا المهضومة!!

ولكن تساؤلي سمج وجه " حقوق المرأة" في عيني , وأثقل حديثها في مسمعي !! لأن الكاتبة المعنية (وجيهة الحويدر) وهى المعروفة بأطروحاتها الفجة من القهر الأنثوي لنسائنا ,والقمع الذكورى لهنّ !!قد استمرأتها , واستعذبت طعمها , واستطابت مذاقها.. وهى في الحقيقة أطروحات لو كشفنا عنها لوجدناها خراباً وأسطراً يباباً ..لاتهب فيها ريح ولا يتحرك فيها شجر ؟؟؟ معللةً ما يصيبنا بسبب التعصب الديني لمرجعياتنا الدينية السنية ؟؟؟!!! واليك ما في أطروحاتها:

(1)اتهامها للمرأة السعودية :

• تقول عن المرأة السعودية "أشباه نساء , مؤودات حتى النخاع"

• "بداخل كل امرأة سعودية صنفين من الخوف داخلياً وخارجياً, أما الداخلي فمصدره سلطة الأسرة أو القبيلة وغالباً ما يتجسد ذلك الخوف في شخص ولى أمرها , السعوديات مستضعفات مهما علا شأنهن"مقال مالذى تخشاه المرأة السعودية.

• " لم أعرف أنها إنسان , لم يعلمني أحد أنها إنسان, الإنسان لايخلق من ضلع أعوج وليس نجساً بعض الأيام" مقال: هل المرأة إنسان؟

• " اذا كانت إنسانا لماذا لم ينصفها ربها في شيء مقال: هل المرأة إنسان؟

• المرأة حسب تفسيرات الذكور" عورة" طوال الوقت, و"نجسة" في بعض الأوقات, لكنها "حرث" للرجل يأتيها متى شاء , المرأة " ناقصة عقل ودين"مقال: من أين تبدأ الدائرة؟

• الوعود التي أعطيت لكن ياسعوديات كثيرة بينما حالكن ما زال مزري ومتردي منذ عقود؟ مقال: الى متى ستنتظرن ياسعوديات؟

• لأن أرواح النساء السعوديات رخيصة برخص التراب , لذلك تزهق دون ان يلتفت إليها أحد؟ مقال: الى متى ستنتظرن ياسعوديات؟

• الأفارقة الأمريكيون عبيد وأيدي عاملة مجانية، حالهم كحال معظم النساء السعوديات لا يملكن حتى أجسادهن. مقال: فضوها سيرة.

(2) اتهامها لثوابتنا الدينية:

*السلطة الدينية هى التي تتحكم فى أكثر قضايا المرأة , وتشدد القبضة عليها. مقال: مالذى تخشاه المرأة السعودية.

*وتقول "المرأة السعودية تصارع الويلات من ثلاث مؤسسات: الأسرية , الدينية,السياسية محاطة طوال حياتها بأسوار البيت والنقاب, ونقط التفتيش, والخطوط الحمراء. مجلة شعاع الإلكترونية. 2005-08-29 (3)دعوتها لتبنى المواثيق الدولية:

فقد قالت "اذا أرادت المرأة العربية ان تخرج من الدائرة المغلقة عليها ان تنطلق من المواثيق الدولية التى تعنى بحقوق المرأة" في كلمة لحفل جمعية المرأة البحرينية بتاريخ 10 مارس 2005.

وهذه المؤتمرات الدولية هى التي نصت مؤخرا على ترسيخ مفهوم الجندر(Gender Identity) وهو مصطلح مضلل وقد ظهر لأول مرة في وثيقة مؤتمر القاهرة للسكان 1994 في (51) موضعا، وفي وثيقة بكين 1995، حيث تكرر مصطلح الجندر (233) مرة.

ومن أهدافهم:

*إلغاء دور الأب في الأسرة من خلال رفض (السلطة الأبوية),

*رفض الأسرة والزواج,

*ملكية المرأة لجسدها,

*رفض الأمومة والإنجاب,

*إباحة الإجهاض,

*الشذوذ الجنسي,

* بناء الأسرة اللانمطية,

* عولمة المرأة.

ولقد انعكس هذا المفهوم "للحرية" في المواثيق التي صدرت عن هذه اللجنة CEDAW

يجعل معارضة الشذوذ الجنسي –حتى ولو برسم كاريكاتيري – عملا يعرض صاحبها للمساءلة القانونية، لكون هذه المعارضة مُعارضة لحقوق الإنسان . فالأطروحات في كتابات وجيهة الحويدر مما يطبل له هؤلاء ويزمرون للدلالة على سوء أوضاع المرأة السعودية!!!

قامت اليونيفم (صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة) بتدشين شبكة معلوماتية حديثة خاصة بالمرأة تدعى "شبكة المرأة العربية". ويتكون الموقع من صفحات إلكترونية باللغتين العربية والانجليزية تحتوى على أحدث الدراسات والأبحاث .

فماذا كان نصيب المرأة السعودية !!

لقد قاموا بنشر مجموعة قصصية لهيام المفلح" حروف مسروقة" بتاريخ ونشرتها أيضا الميدل ايست , 2003-03-04

فماذا تقول فيها الكاتبة: والتي ترينا أزمة المرأة العربية . في عيني الكاتبة– حيث يعاملها المجتمع على أنها" شيء" وليس إنسانا يشعر, ويحس, وله وجوده المتحقق والمختلف ..

حين ولدت ابنتي أخبرتني الوجوه المقطبة حولي اننى ولدت "شيء" غير مرغوب فيه..وحين تعي ابنتي ما حولها آمل الا تكتشف أنها " شيء" غير مرغوب فيه "زقزق الولد في صحراء بيتي ..

شهادات التقدير، وأوسمة الرضا، وبطاقات الحب تقاطرت عليَّ تهنئني بهذا الإنجاز الرائع ..

أحاطوني برعاية ذوّبت جزءاً من إحساسي بالهامشية ..

فهذه محاولات مفضوحة من هذه المنظمات للانتقاص من السعوديات, وطرح ادعاءات خالية من الصحة ساهم فيها السعوديات أنفسهن للأسف, مع علمهن بما يكنه الغرب للسعوديات من عداء خاص متهماً الأسلام بأنه قمع حقوقها , وقهر إنسانيتها!! :

• تقول أخرى" لم يريدون تغييب دورها في الحياة باعتبارها عار على مجتمعها وان صوتها وصورتها عورة ولهذا يجب أن تقبر وهي على قيد الحياة حتى لا يراها الآخر ؟ مقال لنوال اليوسف :ماذا يريدون من المرأة السعودية؟

• شخصـية المـرأة السـعودية، محصـورة فـي نمطيـة تقليديـة، منعتهـا منـذ البدايـة مـن المشاركة الفعلية في القاعدة الأساسية لبناء المجتمع. يمكن القول انه وبالرغم من التعليم الذي حظيت به المرأة السعودية، الا انها لم تقترب من مفهوم الوعي بمعناه الحضاري التطوري !!ثريا الشهري مقال : المرأة السعودية بين التنظير والتطبيق .

• أمـا هـذه التـي تـرى أنهـا حققت بصـمة فـي السـاحة السـعودية لمـدة عشـرين سـنة فقالت:انـا أسـتخدم الجنس للوصـول الـى أغـراض نبيلـة, ويجـب ان نعلـم الجـنس فـي المـدارس مـن المرحلـة الإعداديـة؟؟ زينـب حفنـي برنـامج اضـاءات 29-ربيـع الثـاني 1427

هذا شـيء مـن أطروحـات بعضـهن الجـادة!!! , والتـي تسـاهم فـي احتـواء بعضـاً مـن جوانب أزمات المرأة كالبطالة, والفقر , والعنوسة , والطلاق ,.؟

وأنا لا أدعى الكمال للمرأة السعودية , نعم لديها نصيبها من المشكلات والهموم بل ان مشاكلها وهمومها لا تعدو أن تكون جزء لا يتجزأ من مشاكل أخواتها العربيات منها:

العنوسه: أكدت دراسات صادرة عن وزارة التخطيط أن ظاهرة العنوسة امتدت لتشمل حوالي الثلث من الفتيات في سن الزواج , وأن عدد اللواتي تجاوزن سن الثلاثين بلغ مليون و529 فتاة.

الطـلاق: فـي السـعودية صـاحبة اكبـر كثافـة سـكانية فـي الخلـيج فقـد وصـلت نسـب الطلاق في الرياض وحدها إلي 35,3%.

قلة فرص العمل :ففي تقرير عن المؤسسة العربية لضمان الاستثمار أن هناك ثلاثة ملايين امرأة عاطلة عن العمل في السعودية.

العنف المنزلي:فبحسب التقرير الصادر عن البنك الدولي أن 20% من النساء في العالم تعرضن للعنف المنزلي؟؟فلا يمكن بحال من الأحوال تبرئة المرأة السعودية من هذا العنـف والصـادر دومـاً عـن فئـة معينـة مـن الرجـال؟؟ وجميعهـا نسـب قـد تكـون مألوفة اذا ما قورنت بما تعانيه أخواتها فى الدول المجاورة فهذه جرائم الشرف أكبر دليل !!

ففي باكستان وفقاً لهيئة حقوق الإنسان والدعم القانوني شهدت خمس السنوات الماضية مقتل (4770) فتاة باسم جرائم الشرف!

وإحراق (1570) امرأة!

وفي فلسطين: في تقرير لوزارة المرأة أن (71) جريمة قتل للنساء على خلفية جريمة الشرف!

وفي سوريا: في تقرير لمنظمة الأمم المتحدة تُصنّف فيه سورية بين أكثر خمس دول في العالم تُرتكب فيها جرائم الشرف!.

ومع ذلك لا نسمع من يكتب عنهن بالشكل المأساوي الذي نراه في السعوديات؟!!

أما واقعها :

التعليم: حققت السعودية منذ الستينات تقدما كبيرا في مجال تعليم الإناث. بلغ عدد الخريجات من الجامعات والمعاهد النسوية في البلاد ما يقل عن 78000 امرأة فى عام2000 , وفى التعليم بلغت المرتبة الثامنة بنسبة 62.8% تليها السورية في المرتبة التاسعة , والتونسية في المرتبة العاشرة , ومن ثم المصرية.

وقد اختار معهد العالم العربي بباريس الفيزيائية السعودية البروفيسور(ريم الطويرقي (أستاذة الفيزياء وقال رئيس الأبحاث بالمركز القومي للبحوث ورئيس المرصد الفلكي الفرنسي، المشرف العلمي على التظاهرة برينو عبدالحق كيدردوني قال: يأتي هذا التكريم للتأكيد على دور المرأة السعودية بالذات في هذا الحقل المعرفي الصعب.(جريدة الوطن 1805(

الاقتصاد: ووفقا لمنظمة العفو الدولية تمتلك النساء 390ر16 مصلحة تجارية، فيما تمتلك الإناث 40 %بالمائة من الثروة الخاصة في المملكة أكد تقرير للمؤسسة السعودية للاستثمار ان سيدات الأعمال فى الاقتصاد السعودي يقدرن بنحو 2500 ,وفى الانتخابات الأخيرة للغرفة التجارية فى جدة ترشحت امرأتان للعضوية فيها. .

التعليم الديني: تلاقى مدارس التحفيظ إقبالا كبيراً من النساء فقد بلغ إجمالي مدارس تحفيظ القرآن الكريم النسائية بمنطقة الرياض 226مدرسة يدرس بها 53.000طالبة ويدرسهم أكثر من (2269) معلمة وإدارية.

الأحزاب السياسية: ترى المرأة ان الخوض فى التجربة السياسية لا طائل منه مع قدم تجارب المرأة فى الدول العربية ففي مصر مثلاً لم تقبل الأحزاب علي ترشيح السيدات في قوائمها في الانتخابات البرلمانية مع تزايد إقبال المرأة علي الترشيح من 87 سيدة عام 1995 إلي 121 سيدة عام2000 ومع ذلك ظلت ترشيحات الأحزاب للسيدات اقرب إلي الصفر ؟؟؟, كما لم تسجل المرأة الكويتية أى نجاح فى الأيام الماضية ؟؟

ومع كل هذه الإنجازات ستبقى المرأة السعودية إنسانة كاملة الأهلية , ومحترمة كزوجة , ومربية صانعة للأبطال. صانت سمعتها عن الأغاليط ,وعفّت جسدها عن الأنظار, تخفق لها القلوب تقديراً وإجلالا, شامخة في وجه كل الصعوبات التي تواجهها من أعداءها في الخارج ,وبعض بنات جنسها في الداخل , أفلا نعتبرها بعد ذلك من القابضات على الجمر؟!!!

===============

منظمة التجارة العالمية

منظمة التجارة العالمية

وآثارها الثقافية

وموقف المملكة فيها

أولاً : تعريف عام بالمنظمة :

• نشأت المنظمة مع نهاية الجولة الثامنة من مفاوضات اتفاقية الجات GATT (جولة الأورجواي : 1986 . 1994م) والتي انتهت في مراكش لتبدأ عملها في 1995/1/1م باسم منظمة التجارة العالمية (WTO) ، فهي الوريث الحقيقي لاتفاقية الجات (الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة)، التي نشأت عام 1947م فأصبحت المنظمة الجديدة هي المنظم والمنفذ والمراقب الوحيد لأحكام والتزامات واتفاقيات التجارة الدولية.

• تهدف المنظمة إلى تحرير التجارة الدولية بواسطة إيجاد نظام تجاري دولي متعدد الأطراف معتمد على قوى السوق (العرض والطلب) ، من خلال إزالة القيود والعوائق التي تمنع تدفق حركة التجارة عبر الدول معتمدة على مبادئ رئيسية هي :

تجارة بدون تمييز (شرط المعاملة الوطنية ، شرط الدولة الأولى بالرعاية) ، تجارة حرة من خلال التفاوض (خفض أو إلغاء الرسوم الجمركية والقيود الكمية وفتح الأسواق) ، تعامل تجاري قابل للتوقع (تثبيت الالتزامات والشفافية).

• تغطي المنظمة بأحكامها واتفاقياتها مجالات وأنشطة كثيرة ومتنوعة أكثر مما كانت اتفاقية الجات تغطيها وهي : تجارة السلع وعددها / 7177 / سلعة وتحكمها اتفاقية الـ(94GATT) ، وتجارة الخدمات وتشمل 12 قطاعاً رئيسيا و155 قطاعاً فرعيا وتحكمها اتفاقية الـ(GATS) ، وحقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة بالإحالة إلى أربع اتفاقيات رئيسية متعلقة بهذه الحقوق من خلال اتفاقية الـ(TRIPS) وهذه الاتفاقيات الثلاث هي محور اتفاقات منظمة التجارة العالمية(WTO) .

• يحتوي النظام الأساسي للمنظمة على أكثر من 60 اتفاقية ومبدأ وملحق ومذكرة تفاهم (مطبوعة حاليا في 34 مجلداً) ، وأهمها (28) اتفاقية متعددة الأطراف تشمل : (في مجال السلع : الزراعة ، المنسوجات والملابس ، العوائق الفنية أمام التجارة ، الصحة والصحة النباتية ، الفحص قبل الشحن ، شهادات المنشأ ، تراخيص الاستيراد ، الإجراءات الوقائية الخاصة ، مكافحة الإغراق، التجارة ، وفي مجال الخدمات (6 اتفاقيات) ، وكذلك مجال حقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة وغيرها .

• منظمة مستقلة وليست إحدى منظمات الأمم المتحدة ، يحكمها أعضاؤها ومقرها الرئيسي في جنيف وليس لها فروع ، ويعمل فيها حاليا (600) موظف ، وميزانيتها السنوية تتجاوز / 160/ مليون فرنك سويسري (حوالي 130 مليون دولار) ، ويتم تمويلها من خلال اشتراكات الدول الأعضاء .

• يبلغ عدد الأعضاء الحاليين 150 دولة ، منها 127 دولة كانت أعضاء في اتفاقية الجات و23 دولة انضمت فيما بعد وفق أسلوب التفاوض ، وآخر دولتين انضمتا قبل توقيع المملكة هما نيبال وكمبوديا ، وآخر دولة انضمت للمنظمة بعد المملكة هي مملكة تنجا في قارة أوقيانا .

• أعلى سلطة في المنظمة هي المؤتمر الوزاري (Ministerial Conferecnce) والذي يمثله وزراء التجارة والاقتصاد في الدول الأعضاء ، ويختص هذا المؤتمر

باتخاذ القرارات الحاسمة للمنظمة وينعقد كل سنتين ، ويعمل كحكومة للعالم في مجال التجارة .

• للمنظمة مجلس عام أو مجلس عمومي (General Council) يقوم مقام المؤتمر الوزاري في فترات عدم انعقاده ، وأمانة عامة (سكرتارية) ، ومدير عام ، وله أربعة نواب ، يتفرع من المجلس العام ثلاثة مجالس رئيسية ، وهي مجلس التجارة في السلع ، ومجلس التجارة في الخدمات ، ومجلس خاص بالأمور التجارية المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية ، ويتبع لهذه المجالس العديد من اللجان ومجموعات العمل .

• يجتمع المجلس العام على هيئتين : هيئة جهاز لمراجعة السياسات التجارية ومتابعة المراجعات العادية للسياسات التجارية لكل دولة ، وهيئة جهاز لفض المنازعات التجارية ومتابعة إجراءات حسم المنازعات ، و تؤكد المنظمة على أهمية الحلول الودية بين الدول في المنازعات التجارية ، ولذلك فإن ما يقارب ثلثي القضايا المرفوعة للمنظمة تحل ودياً .

• عقدت المنظمة حتى تاريخه ستة مؤتمرات وزارية الأول في سنغافورة(1996م)، والثاني في جنيف (1998م) والثالث في سياتل (1999م) والرابع في الدوحة (2001م) والخامس في كانكون بالمكسيك (2003م) والسادس في هونج كونج 2005 م ، ويعتبر المؤتمر الوزاري الثالث في سياتل (1999م) ، والمؤتمر الوزاري الخامس (كانكون 2003م) من المؤتمرات الفاشلة للمنظمة ، ولم يتم خلالهما اتخاذ أي قرارات حاسمة ، وكان السبب الرئيسي في ذلك تكتل الدول النامية وتنسيق مواقفها أمام تعنت وممارسات الدول المتقدمة ، ورفضها تقديم أي تنازلات في الكثير من القضايا التي تهم الدول النامية .

• يعتبر المؤتمر الوزاري الرابع في الدوحة (9 ـ 2001/11/14م) أهم مؤتمرات المنظمة ، حيث تم الاتفاق خلاله على إطلاق مفاوضات شاملة في الكثير من المواضيع (21 موضوعاً) سميت (أجندة الدوحة للتنمية) ، وشكلت لها لجان خاصة ترجع إلى لجنة عامة سميت بلجنة المفاوضات التجارية الشاملة (TNC) وهدفها المزيد من تحرير التجارة بطرح مبادرات جديدة أخرى كمعايير العمل /

والتجارة والبيئة / والتجارة والاستثمار / وخدمات الطاقة / وتسهيل التجارة / والتجارة والصحة / والتجارة والتقنية / والقواعد الاقتصادية .

• يوجد حالياً اثنتا عشرة دولة عربية عضواً في المنظمة وهي: (المغرب ، تونس ، مصر، موريتانيا ، جيبوتي ، الكويت ، الإمارات العربية المتحدة ، قطر ، البحرين، الأردن ، وعمان ، وأخيراً السعودية) ، وهناك 24 دولة تفاوض حالياً للانضمام للمنظمة منها أربع دول عربية وهي : (لبنان ، الجزائر ، السودان ، اليمن) .

• الدول الراغبة في الانضمام تتقدم بطلب للمنظمة ، وعند الموافقة المبدئية يطلب منها تقديم وثيقة شاملة عن سياسيات الدول التجارية والمالية والاستثمارية وحماية حقوق الملكية الفكرية والنظام القضائي العام وطرق التقاضي وسبل التظلم كما تقدم أعضاء فريق التفاوض الذين يجب أن يكونوا من موظفي الدولة الرسميين .

• بعد ذلك يتم تشكيل فريق عمل من ممثلي الدول الراغبة في المشاركة ممن تربطها علاقات تجارية مميزة مع الدول الراغبة في الانضمام ويحدد له رئيس ، وذلك للإشراف على عملية المفاوضات ، ومناقشة تقرير فريق العمل (وثيقة أو برتوكول الانضمام) ويختلف عدد الدول في فريق العمل حسب الثقل الاقتصادي للعضو المستجد فبينما كان فريق العمل المعني بانضمام تايوان 26 دولة وعمان 23 دولة والأردن 19 دولة كان العدد في حالة روسيا 63 دولة ، والصين 58 دولة ، والسعودية 52 دولة ، وخلال فترة المفاوضات تمنح الدولة صفة مراقب لحضور اجتماعات لجان المنظمة ومؤتمراتها .

• الانضمام للمنظمة يمر عبر ثلاثة مسارات تفاوضية متوازية ، فبعد تقديم المعلومات اللازمة عن جميع أوجه الاقتصاد والأنظمة وتقديم العروض الأولية الخاصة بالنفاذ لسوق السلع والخدمات تجري مفاوضات بين مجموعة من الدول الأعضاء وبين الدولة المستجدة تسمى مفاوضات عديدة الأطراف (plurilaleral) للتأكد من تطابق أنظمتها مع اتفاقيات المنظمة الأساسية ، وفي نفس الوقت تجري المفاوضات الثنائية (Bilateral) بشأن هذه العروض حتى يتم الاتفاق النهائي الذي يوضع في وثيقة تسمى الجداول الموحدة النهائية للالتزامات في السلع والخدمات ، يُضمن في تقرير فريق العمل الذي يتم إقراره من خلال مفاوضات

متعـددة الأطـراف مـع جميـع الـدول الأعضــاء (multilateral) بحيـث يتضـمن بروتوكـول الانضـمام الوثـائق الـثلاث المعبـرة عـن نتـائج المفاوضـات الـثلاث المتفـق عليهـا وهـذه الوثـائق هـي : جـداول عـروض السـلع والخـدمات الموحـدة للالتزامـات(Unified Schedules of Commitments)/ وتقرير فريق العمل (Work Party report) / والأنظمة واللوائح التنفيذية الصادرة عن الدولة (Legislation) .

• تتركز رغبات الدول الأعضاء في المنظمة أثناء المفاوضات مع الدولة المستجدة على فئات السلع التي تنتجها هذه الدول ، حيث تتركز طلبات الوفد الأمريكي عادة على القمح والشعير والذرة والمعدات الثقيلة والأجهزة والطائرات والسيارات ، والإتحاد الأوربي على منتجات اللحوم والألبان والحديد والصلب والمنسوجات ، وسويسرا على الساعات والمجوهرات ، والهند وسريلانكا وتايلاند على الشاي والأرز والفواكه ، واليابان وكوريا وماليزيا على الأجهزة الكهربائية والإلكترونيات والمعادن والأخشاب ، والنرويج على الأسماك ، وتركيا على المنسوجات والسجاد ، ونيوزلندا واستراليا على المواد الغذائية والحبوب وهكذا بقية الدول.

• أصبحت متطلبات الانضمام للمنظمة الجديدة أكثر تعقيداً وأشد تكلفة وذلك لأن الدول المؤسسة لهذه المنظمة خاضت (8) جولات من المفاوضات الشاملة الشاقة عبر نصف قرن (1994-1948م) حتى نجحت في الاتفاق على النظام التجاري العالمي الذي يعظم لها مكاسبها التجارية ويحقق لها النفاذ للأسواق ، ولذا فإن الدول المتأخرة مطالبة بالانصياع لأحكام هذه الاتفاقيات وتقديم التزامات وخوض مفاوضات طوية وشاقة ، فبينما احتاجت الكويت التي انضمت عام (1952م) إلى يوم واحد فقط نجد أن الصين مثلاً استغرقت 15 سنة ، وتايوان 12 سنة وروسيا 10سنوات والجزائر مازالت تفاوض منذ 15 سنة ، أما السعودية فاستغرقت 8 سنوات ، عقد خلالها فريق العمل المكلف بالتفاوض معها 14 اجتماعاً بدأت في مايو 1996م ، وانتهت في أكتوبر 2005 م .

• ومن حيث الالتزامات نجد أن الكويت التي انضمت مبكراً لاتفاقية الجات قبل المنظمة ثبتت رسومها الجمركية على كافة السلع عند مستوى 100% بينما اضطرت

قطر والإمارات اللتان انضمتا للمنظمة عام (1995م) و (1996م) على التوالي تثبيت سقوفها الجمركية عند مستوى لا يزيد في المتوسط عن 15% وفي مجال الخدمات التزمت البحرين التي انضمت عام (1995م) بفتح 44% من سوق الخدمات للاستثمار الأجنبي في حين عمان التي انضمت عام (1999م) فتحت بنسبة 72% ، أما الأردن والصين اللتان انضمتا عام 2001م فبنسبة 86% ، وقل مثل ذلك في حق استخدام "معايير الحاجة الاقتصادية" في محال الخدمات التي حصل عليها الاتحاد الأوربي بينما لم تحصل عليها الدول المتأخرة في الانضمام .

• المنظمة بهذا العدد من الدول الأعضاء تشكل حوالي 80% من مجموع دول العالم وتستحوذ على 89% من التجارة الدولية في قطاعات السلع والخدمات والأفكار ، وعلى 90% من التعاملات المالية و 93% من خدمات الاتصالات وتقنية المعلومات و 97% من حقوق الملكية الفكرية و 92% من الخدمات المالية والتأمين ، و 90% من خطوط الملاحة الجوية و 88% من مشتروات العالم في الطاقة والألمنيوم والحديد والبتركيماويات .

• والمنظمة بهذا الهدف – وهو تحرير النظام التجاري الدولي – تعتبر الضلع الثالث من أضلاع مثلث العولمة الاقتصادية مع صندوق النقد الدولي (IMF) الذي يشرف على تحرير النظام النقدي الدولي والسياسات النقدية (أسعار الصرف / موازين المدفوعات / العجز والمديونية الخارجية / أسعار الفوائد / السقوف الائتمانية للبنوك) ومع البنك الدولي للإنشاء والتعمير (IBRD) والذي يشرف على تحرير النظام المالي الدولي ومساعدة الدول النامية (تقديم قروض طويلة الأجل / التخصيص / الاستخدام الأمثل للموارد) .

ثانياً : مجالات التجارة الدولية وموقف المملكة فيها :

مجالات التجارة الدولية لدى المنظمة تتضمن ثلاثة قطاعات هي : قطاع السلع و قطاع الخدمات و قطاع الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية ، وفيما يلي تعريف مختصر لهذه القطاعات ، وبيان موجز لموقف المملكة فيها حسب ما ورد في وثائق بروتوكول اتفاق المملكة مع المنظمة :-

1- قطاع السلع :

• السلع الصناعية والزراعية المصنفة لدى المنظمة تبلغ 7177 سلعة ، وتحكم تجارة السلع الاتفاقية العامة بالتعريفات الجمركية والتجارة(الجاتGATT1994).

• يخضع تنظيم التجارة الدولية في قطاع السلع إلى 20 اتفاقية و 3 مذكرات تفاهم وعلى رأسها الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات 47) والتي أبرمت بين الأطراف المتعاقدة عام (1947م) وعدلت لتكون إحدى اتفاقيات منظمة التجارة العالمية (الجات 94) عام 1994م .

• من أبرز المشكلات بين الدول المتقدمة والدول النامية في تجارة السلع ؛ أن الدول المتقدمة تطالب الدول النامية بتخفيض السقوف الجمركية على الواردات الزراعية بينما تطالب الدول النامية الدول المتقدمة بتخفيض الدعم الزراعي وعدم دعم الصادرات .

• ستنخفض الرسوم الجمركية على 12% من عدد السلع البالغة 7177 خلال خمس سنوات من انضمام المملكة وعددها 870 سلعة ، 6% منها من البداية والباقي خلال خمس سنوات تدريجياً .

• من البداية ستنخفض رسوم بعض السلع من فئة20% إلى 15% مثل البلاستيك والورق والحديد والأثاث ، وإلى 10 % مثل زيوت المحركات ، وإلى 8% مثل الحلويات و الشوكولاتة وأنابيب الحديد.

• بعد خمس سنوات سيتم تخفيض الرسوم الجمركية من فئة 20 % وفئة 12% إلى 6.5 % مثل الأسمدة والبويات والصابون والعطور ومنتجات البلاستيك .

• التزمت المملكة بالإعفاء من الرسوم الجمركية لبعض السلع مثل المواد الصيدلانية وأجهزة تقنية المعلومات وبعد ثلاث سنوات سيتم إعفاء أجهزة الحاسب الآلي ولوازمها وأجهزة الاتصالات الهاتفية (ثابت وجوال) .

• سوف تلغى جميع الرسوم النوعية ، التي كانت تطبق كحد أدنى للتحصيل الجمركي على بعض السلع باستثناء الدجاج والبيض والتبغ .

• تبلغ السلع الزراعية 1320 سلعة تعادل 18 % من إجمالي السلع منها 165 سلعة صنفتها المملكة سلعاً حساسة نجحت في تحديد سقوف جمركية جيدة لها وهي أهم السلع الزراعية الرئيسية التي تم الاستثمار فيها خلال السنوات الماضية مثل التمور /

القمح / الدجاج اللاحم / بيض المائدة / الحليب طويل الأجل / بعض الخضار والفاكهة.

• *90% من السلع الزراعية تزيد رسومها الجمركية الملتزم بها مع المنظمة " المثبتة " على الرسوم المطبقة ، ويبلغ متوسط الرسوم على السلع الزراعية حوالي 15% وهذا يزيد على الرسوم المطبقة بمقدار الضعف .

• بعض الرسوم الجمركية المطبقة على بعض السلع أقل من التزام المملكة تجاهها مع المنظمة والتوجه لعدم رفعها إلا عند الحاجة وبالتنسيق مع دول مجلس التعاون الخليجي ، كما يوجد 223 سلعة رسومها المطبقة صفر بينما لا يوجد سوى ثلاث سلع مثبتة مع المنظمة بصفر .

2- قطاع الخدمات :

• الخدمات هي الأنشطة التجارية في سلع غير حسية (غير مجسدة) مثل الاتصالات والتعليم والبنوك وتحكمها الاتفاقية العامة في الخدمات (GATS).

• قطاع الخدمات يغطي جميع الأنشطة الخدمية فيما عدا التي تقع في نطاق صلاحيات الحكومة مثل خدمات المصارف المركزية ، والتأمينات الاجتماعية ، ومعاشات التقاعد والتي لا تقدم على أساس تجاري ولا تنافس الخدمات التي يقدمها الآخرون ، ويصنف قطاع الخدمات لدى المنظمة إلى 12 قطاعا رئيسيا و155 قطاعا فرعيا وأكبر نسبة في فتح أسواق الخدمات حصل في الدول المتقدمة كاستراليا وسويسرا وأمريكا ثم الاتحاد الأوربي والأقل نسبة حصل في الدول النامية مثل مصر والهند وإندونيسيا والأرجنتين وأما في المملكة فقد تم فتح 11 قطاعا رئيسا و 111 قطاعا فرعيا في اتفاق المملكة مع المنظمة وتم حجب الباقي لأسباب دينية وأمنية وصحية وبيئية استنادا إلى المادة (14) من اتفاقية الجاتس (GATTS).

• قطاعات الخدمات الرئيسية هي : خدمات الاتصالات ومن ضمنها الاتصالات الهاتفية والسمعية والبصرية والبريد / خدمات الإنشاءات وما يتعلق بها من خدمات هندسية /خدمات الأعمال ومن ضمنها الخدمات المهنية والعقارية وخدمات التأجير / خدمات التوزيع ومن ضمنها خدمات البيع بالوكالة وتجارة الجملة والتجزئة وعقود الامتياز / الخدمات التربوية وتشمل التعليم بكافة مراحله وتعليم الكبار / الخدمات

البيئية ومنها خدمات الصرف الصحي وتصريف النفايات والنظافة الصحية / الخدمات المالية ومن ضمنها التأمين والبنوك / الصحة والخدمات الاجتماعية ذات العلاقة / خدمات السياحة والسفر وما يتعلق بها / الخدمات الثقافية والترفيهية والرياضية / خدمات النقل ومن ضمنها النقل البحري والبري والجوي / خدمات أخرى غير واردة في أي قطاع مثل الخدمات المتصلة بالتجارة الإلكترونية ومثل إدارة الموارد الطبيعية كالطاقة ، والخدمات المقدمة من أجهزة حكومية مثل إدارة الجوازات ، شؤون الطيران المدني ، كذلك القواعد واللوائح الخاصة بالهجرة من بلد إلى آخر .

• تبلغ نسبة مساهمة قطاع الخدمات في الناتج المحلي الإجمالي في العالم 40% في المتوسط ، وفي الدول النامية 50% بينما في السعودية 40% وهي نسبة تقل بكثير عن مثيلاتها في الدول الصناعية التي تصل إلى 70% حسب إحصائيات عام (2005م) ويتوقع أن ترتفع هذه النسبة في المملكة تدريجياً بعد الانضمام .

• مثلت التجارة العالمية في الخدمات نحو 23% من إجمالي حجم التجارة العالمية (سلع وخدمات) حيث بلغت قيمة الصادرات العالمية من الخدمات عام 2005م نحو (1440) مليار دولار ، وتشير إحصائيات المنظمة في منتصف عام 2003م إلى أن المملكة أحرزت المركز (21) بين الدول في واردات الخدمات لتصل إلى (18.3) مليار دولار وبذلك تحتل المملكة المركز الأول عربياً والمركز الثاني– بعد تركيا – إسلامياً في واردات الخدمات .

• أهم الالتزامات المحددة على القطاعات الرئيسية والفرعية في الخدمات في اتفاق المملكة مع المنظمة هي:

– خدمات الأعمال : الملكية الأجنبية في الخدمات المهنية تصل إلى 75% (الخدمات القانونية / المحاسبية / الهندسية / الطبية) ، عدم حضور المحامين الأجانب للمرافعة في المحاكم .

– خدمات الاتصال : الملكية الأجنبية في خدمات الاتصالات السلكية واللاسلكية من 49% – 70% حسب نوع الخدمة .

– خدمات التوزيع : الملكية الأجنبية 51% ترفع إلى 75% بعد ثلاث سنوات ، وبحد أدنى لرأس المال الأجنبي 20 مليون ريال لكل خدمة ، وبما لا يزيد عن منفذ

واحد في كل حي ، مع تدريب 15% من السعوديين كل عام ، ويبقى وضع الوكلاء بالعمولة كما هو .

– الخدمات المالية : الملكية الأجنبية 60% (المصارف ، شركات التأمين).

– السفر والسياحة وما له علاقة : التراخيص حسب الحاجة الاقتصادية للبلد .

– خدمات النقل : لم يتم فتح خدمات النقل البري والجوي للاستثمار الأجنبي وقصره على السعوديين لأسباب أمنية واستثناء مصر وتركيا وسوريا ولبنان وتونس من مبدأ الدولة الأولى بالرعاية في نشاط النقل البري حيث تتمتع هذه الدول باستثناءات إضافية وفق اتفاقيات ثنائية.

– الخدمات الترفيهية والثقافية والرياضية : تم فتح خدمات الحدائق العامة والمنتزهات فقط وحجبت خدمات التسلية ووكالات الأنباء والمكتبات والمتاحف والرياضة .

– الخدمات المصنفة بخدمات أخرى تم حجبها لأسباب أمنية وسياديّة .

• التزامات أفقية في قطاع الخدمات :

– الوجود التجاري للخدمات الأجنبية يتم وفقاً لنظام الشركات المساهمة أو ذات المسؤولية المحدودة ، أما خدمات الأعمال فوفقاً لنظام الشركات المهنية .

– جميع مقدمي الخدمات يلزمهم الحصول على التراخيص للعمل التجاري من الهيئة العامة للاستثمار .

– تطبيق الأنظمة واللوائح المحلية على جميع الخدمات الرئيسية والفرعية .

– لا تزيد نسبة العمالة الأجنبية على 25% من إجمالي القوى العاملة في الشركة الأجنبية العاملة في المملكة ، وقصر وظائف الاستقبال ، و إدارة التوظيف ، والمحاسبين ، ورجال الأمن ، والعلاقات العامة ، على السعوديين .

– يستطيع المستثمرون الأجانب الاستفادة من جميع الخدمات في المملكة عدا بعض الخدمات المعانة (الخدمات الصحية ، قروض البنك العقاري ، إعانات التعليم ونحوها) ، كما يمكن للشركات الأجنبية المصرح لها تملك العقار وفق نظام تملك العقار لغير السعوديين .

– وجود المستثمرين الأجانب في المملكة غير مقيد ، باستثناء ذوي الإقامات المؤقتة ، فرجال الأعمال الزائرون مدة إقامتهم 180 يوما ، والعاملون في الشركة سنتان قابلة للتجديد ، ومقدمو الخدمات وفق عقود تجارية مؤقتة 180 يوما قابلة للتجديد .

3- قطاع حقوق الملكية الفكرية:

• يقصد بالملكية الفكرية منح أصحاب الأفكار الحق في تملكها والاستفادة المادية منها عن طريق حمايتها خلال فترة معينة ومنع الآخرين من التعدي عليها دون موافقة أو ترخيص من مالكها وقد صارت إحدى مجالات التجارة الدولية خلال مفاوضات جولة الأورجواي التي انتهت بإعلان منظمة التجارة العالمية في مراكش وتضمينها اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية " تربسTRIPS"

• تنحصر هذه الاتفاقية في مجالات ثمانية هي : حقوق المؤلف والحقوق المتعلقة بها / العلامات التجارية / المؤشرات الجغرافية/ المعلومات السرية (الأسرار التجارية) / النماذج الصناعية ومدة الحماية 10 سنوات / براءات الاختراع ومدة الحماية 20 سنة/ التصميمات التخطيطية للدوائر المتكاملة ومدة الحماية 10 سنوات / الأصناف النباتية ومدة الحماية من 20–25 سنة.

• هناك لجنة دائمة لحقوق الملكية الفكرية في المملكة من الجهات ذوات العلاقة برئاسة وزارة التجارة والصناعة وقد عملت كإحدى اللجان الفنية في مفاوضات الانضمام .

• هذه الاتفاقية عبارة عن إحالة إلى الالتزام بأحكام عدد من الاتفاقيات الدولية في هذا المجال وهي :

– اتفاقية (باريس) لحماية الملكية الصناعية .

– اتفاقية (بيرن) لحماية المصنفات الأدبية والفنية .

– معاهدة الملكية الفكرية المتصلة بالدوائر المتكاملة .

– التفاهم بشأن تسوية المنازعات من الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة(GATT 94)

ثالثاً :الاستثناءات المتعلقة بالهوية التي حصلت عليها المملكة :

جاءت جميع نتائج مفاوضات المملكة للانضمام في ثلاث وثائق رسمية هي :

1- وثيقة تقرير فريق العمل 61wtaccsau .

2- وثيقة الجداول الموحدة للسلع 1add61wtaccsau .

3- وثيقة الجداول الموحدة للخدمات 2add61wyaccsau.

وهذه الوثائق الثلاث التي تتجاوز عدد صفحاتها 600 صفحة هي الوثائق الرسمية الوحيدة للانضمام ، وليس هناك أي وثائق أو اتفاقات أخرى غير هذه الوثائق ، ويمكن الإطلاع عليها من خلال موقع المنظمة على شبكة الانترنت www.wto.org ، وجميعها متعلق بالاقتصاد والتجارة والاستثمار وما يتصل بها من إجراءات وأنظمة ولوائح ، وليس فيها ما يتعارض بشكل مباشر مع الشريعة الإسلامية ، ولا ما يخل بالأمن والصحة والبيئة ، حيث تم الاستفادة من المادة(20) من اتفاقية الجات والمادة (14) من اتفاقية الجاتس للحصول على الحماية اللازمة .

من جانب آخر ليس لأحكام والتزامات الانضمام أي علاقة بأمور أخرى اجتماعية أو دينية بشكل مباشر مثل إنشاء دور للعبادة أو وضع الهيئات الدينية والخيرية أو وضع المرأة أو حقوق العمال ، ولم يتم التطرق خلال المفاوضات لجميع لهذه الموضوعات بشكل رسمي وعلى العموم فقد حظيت المملكة في انضمامها لمنظمة التجارة العالمية على بعض الاستثناءات لهويتها الإسلامية ويتضح ذلك من خلال الاستثناءات التالية :

1) في قطاع السلع :

منع استيراد السلع المحرمة (65 سلعة) تمثل الخمور بأنواعها ولحوم الخنزير ومشتقاتها ولحوم الضفادع وجميع الأغذية المحتوية على دماء الحيوانات ، وعدم قبول أي رسوم جمركية عليها حتى ولو كانت مرتفعة جداً .

2) في قطاع الخدمات :

تم استثناء أحد الخدمات الرئيسية المسماة بـ(خدمات أخرى) وعدد من الخدمات الفرعية لأسباب دينية وأخلاقية وأمنية وصحية استناداً إلى الفقرة رقم (14) من اتفاقية الجاتس GATS (الاتفاقية العامة للتجارة في الخدمات) وأهم ذلك :-

أ – فيما يتعلق بخدمات الأعمال السمعية والبصرية Audio- Visual Works في خدمات الاتصالات ، لم يتم فتح خدمات النشر والمطابع والإنتاج السينمائي والتلفزيوني للاستثمار الأجنبي.

ب – تم حجب أنشطة صالات القمار والبارات والأندية الليلية من الخدمات الثقافية والترفيهية والرياضية والتي تصنف ضمن نشاط فرعي يسمى التسلية ، ولم يفتح سوى خدمات الحدائق العامة والمنتزهات من الخدمات الترفيهية .

جـ – تم استثناء الخدمات الاجتماعية من الصحة والخدمات ذات العلاقة نظراً لحساسيتها في مجتمع مسلم محافظ كمجتمع المملكة.

د– لم يتم فتح خدمات الحج والعمرة للأجانب ، حيث تقتصر هذه الخدمة على السعوديين فقط .

هـ – تم فتح نشاط التأمين في الخدمات المالية أمام الاستثمار الأجنبي وفق نظام التأمين التعاوني (ولا يخفى أن المسمى تأميناً تعاونياً ما هو إلاّ محض تأمين تجاري في الغالب وهناك جهود لتصحيح الوضع).

و– تقديم الخدمات الرئيسية والفرعية لجميع المستثمرين وفق الأنظمة والضوابط والإجراءات المحلية.

ز– جميع المستثمرين الأجانب عليهم دفع الضرائب المقررة على أرباحهم، أما المستثمرون السعوديون فعليهم دفع الزكاة الشرعية فقط ، ماعدا الاستثمار في الغاز وإنتاج الزيت والمواد الهيدروكربونية ، فإن الجميع يخضع لنظام الضريبة.

3) في قطاع حقوق الملكية الفكرية :

تضمنت أنظمة ولوائح حقوق الملكية الفكرية التي تم إعدادها لمتطلبات الانضمام نصوصاً بعدم التزام المملكة بحماية ما يتعارض في تلك الحقوق مع أحكام الشريعة الإسلامية ، ومن ذلك :

أ – عدم حماية المؤشرات الجغرافية للخمور والمشروبات الكحولية لأنها سلع محرمة .

ب – تم حذف الخمور والمشروبات الكحولية من قائمة تصنيف السلع والخدمات الملحقة بنظام العلامات التجارية .

ج – نصت المادة الرابعة في نظام براءات الاختراع على عدم منح الحماية إذا كان الاستغلال التجاري مخالفاً للشريعة الإسلامية ، وكذلك ورد في المادة الثانية من نظام العلامات التجارية .

رابعاً : انضمام المملكة بين المكاسب والتكاليف :

لا جدال في أن انضمام المملكة إلى منظمة التجارة العالمية يحمل مكاسب وتكاليف فالمكاسب هي الاستثناءات التي حصلت عليها المملكة وعددها 59 والتكاليف هي الالتزامات التي قدمتها المملكة وعددها 58 ومن أمثلة الالتزامات :

إبقاء الضرائب على أرباح الشركات الأجنبية على حالها وهو 20% دون رفع وكذلك تخفيض الدعم الزراعي المباشر بحدود 13.3% في مدى عشر سنوات , ومن أمثلة الاستثناءات :

بقاء قروض البنوك الصناعية والزراعية وكذلك الإبقاء على إعفاء مدخلات الإنتاج المستورد من التعرفة الجمركية ، ولذا فالجدل قائم في أي من المكاسب والتكاليف أعظم ، وفيما يلي بيان ذلك :

1- المكاسب:

يرى البعض أن مكاسب الانضمام أكثر من تكاليفه ، ويمكن عرض أهم المكاسب في النقاط التالية:

أ – وجود المملكة داخل المنظمة سينعكس عليها إيجابياً من الناحية الاقتصادية ، لأن الانضمام يعطيها القدرة – بمشاركة بعض الدول المستفيدة – على توجيه مسارات القرارات وتفعيل سبل إطلاق المبادرات والتفاوض بشأن مصالحها، من خلال مشاركة فعالة في جميع القضايا التي تطرحها المنظمة للنقاش، مستفيدة من النظام التجاري العالمي ومنها هيئة حسم المنازعات للدفاع عن مصالح المملكة الاقتصادية ومن أهم ذلك تحرير استثناء النفط ومشتقاته من قبل عشرين دولة (منها أمريكا واليابان وكندا والبحرين والكويت...............الخ) .

ب – سيتوسع نطاق التبادل التجاري بين المملكة والدول الأخرى الأعضاء وسينفتح اقتصاد المملكة على الاقتصاد العالمي بشكل أكبر، بحيث تتمكن الصادرات السعودية من النفاذ بسهولة إلى أسواق الدول ا?عضاء في المنظمة ، ?ن الرسوم

الجمركية ستكون منخفضة أو ملغاة مع عدم التمييز في المعاملة بينها وبين منتجات أي عضو آخر، وعلى هذا فإن الصادرات السعودية سوف تزداد إلى ا?سواق العالمية وكأمثلة على ذلك فإن الصين ارتفعت صادراتها بمقدار 20% سنوياً وعمان 15% والأردن 10% بعد دخول هذه الدول إلى المنظمة .

جـ- إن عضوية المملكة في المنظمة ستحسن مناخ الاستثمار وستدعم برنامج ا?صلاح الاقتصادي الذي تنفذه الحكومة حاليا، لأنها ستجد نفسها ملزمة بتطبيق مبادئ المنظمة ومن ضمنها مبدأ الشفافية ، ووضوح الأنظمة والإجراءات ، وتوفير الحماية اللازمة ، ومنها حماية الحقوق الفكرية ، الذي سوف يحفز الابتكار والإبداع ،فلقد أصدرت المملكة 42 نظاما جديدا مع لوائحها التنفيذية كمتطلب للانضمام ومن أهمها أنظمة حقوق الملكية الفكرية وأنظمة القضاء الإجرائية ، ومن جهة أخرى فإن إضفاء المزيد من الانفتاح على السوق السعودية أمام السلع والخدمات ا?جنبية من شأنه التعجيل بعملية الخصصة وتعزيز مناخ المنافسة مما يحسن الإنتاجية ويخفض الأسعار ويقلل الفساد الإداري والمالي .

د - حصول المملكة على استثناءات في جداول الخدمات والسلع وحقوق الملكية الفكرية فلم يفتح المجال الرئيسي المصنف تحت اسم " خدمات أخرى " لأسباب أمنية وسياديّة ، وحجبت عدد من المجالات الفرعية مثل نشاط التسلية لأسباب دينية وأخلاقية ومنع استيراد السلع المحرمة ، وتحديد نسبة العمالة ا?جنبية بما لا يزيد عن 25% من إجمالي العاملين ، وتطبيق الزكاة الشرعية على المستثمر السعودي في معظم مجالات الاستثمار وعدم حماية الحقوق الفكرية فيما يتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية ، سيخفف من الآثار الثقافية السلبية للانضمام .

هـ- سيكون المستهلك مستفيداً من هذا الانضمام حيث ستتوفر أمامه خيارات أكبر من السلع والخدمات بأسعار أقل وجودة أعلى ، وستزيد ثقته في السلع المتوفرة التي سينحسر عنها الغش التجاري والتقليد والتلاعب با?سعار، حيث تخضع السلع المحلية وا?جنبية إلى قواعد وضوابط قوية.

و - فتح ا?نشطة الخدمية أمام الاستثمار الأجنبي سيثري الاقتصاد السعودي ، وسيضمن تدفق ا?موال والتقنية والخبرة في هذه الخدمات ويضاعف القيمة المضافة

المحلية وكأمثلة على ذلك فإن القيمة المضافة في أسواق الصين والأردن من جراء تدفق الاستثمار الأجنبي بلغت 22% ، 17% على الترتيب بعد انضمامهما للمنظمة ، وسيسهم الانضمام في تنشيط القطاع الخاص، ويحقق التنوع في الاقتصاد المحلي، كما أنه يساعد على تأمين مزيد من فرص العمل لليد العاملة المتنامية مما يقلل من نسبة البطالة .

ز – الإبقاء على الوضع القائم لبعض السياسات والبرامج التنموية مثل تسعيرة الغاز، ووضع بعض المؤسسات المملوكة للدولة مثل الصوامع (ومؤسسات أخرى غيرها) ، والصناديق الاقراضية (كصندوق التنمية الزراعي والصناعي) ، والسياسات العامة الزراعية الداخلة تحت ما يسمى بالصندوق الأخضر (Green Box) والتي تشمل بناء السدود ومكافحة الآفات والأبحاث والتطوير ونحو ذلك ، وتحديد نسبة العمالة الأجنبية بـ 25% ، وتدريب العمالة الوطنية ومجالات دعم أخرى مسموح بها من خلال أنظمة المنظمة أو حصلت عليه المملكة بالمفاوضات مع المنظمة ، كل ذلك من المكاسب للاقتصاد والتجارة المحلية .

2– التكاليف :

يتخوف البعض من آثار انضمام المملكة إلى المنظمة ، ? سيما على المدى المتوسط والبعيد، حيث إن هذه ا?ثار لن تظهر بشكل واضح في المدى القصير؛فالتأثير سيحدث بشكل تراكمي ، ومن ثم يمكن القول إن التكاليف تتزايد بمرور الوقت بعد الانضمام ففي دراسة قدمت لمنتدى الرياض الاقتصادي الثاني تبين أن 91% ممن شملهم الاستفتاء يعتقدون بأن تكاليف الانضمام أكبر بكثير من المكاسب وأن 90% من موردي الخدمات يرون أن قطاع الخدمات سوف يتأثر سلباً وأن 77% منهم لا يؤيدون الانضمام ، وفيما يلي ذكر لبعض هذه التكاليف :

أ – ارتفاع أسعار السلع المحمية بحقوق الملكية الفكرية، مثل: برامج الحاسب الآلي، و ا?دوية ، والحبوب المعدلة جينياً ، لأن القيود على استيراد المملكة للتقنية الحديثة ستزداد تعقيداً في ظل اتفاقيات المنظمة ، حيث ستلجأ كثير من الشركات المالكة لهذه التقنية إلى الحد من بيعها إلا بمبالغ باهظة.

ب – سيصبح للشركات ا?جنبية وجود قوي في السوق المحلية، خاصة في مجال الخدمات ، وهذا بدوره سينعكس سلباً على بعض الشركات والمؤسسات المحلية الصغيرة التي سُتجبر على الخروج من السوق لعدم قدرتها على المنافسة.

جـ – تقليص الدعم المباشر للصادرات الزراعية والصناعية وارتفاع نسبة الملكية الأجنبية في بعض الخدمات و تقلص القائمة السلبية مع الوقت ، ومنح حق المفاوض الأول لبعض الدول على بعض السلع حسب المادة 28 من اتفاقية الجات 94(2817 سلعة من 7559 سلعة) سيزيد من أعباء وتكاليف الانضمام على التجارة المحلية .

د – التوجه في المفاوضات الحالية وفق " أجندة الدوحة للتنمية " لتخفيض الرسوم الجمركية على السلع الزراعية والصناعية وتخفيض الدعم الزراعي وزيادة النفاذ لأسواق الخدمات والالتزام باتفاقات جديدة على حساب الاتفاقات السابقة مما يؤثر على الالتزامات والاستثناءات التي حصلت عليها المملكة حال الانضمام .

هـ – فتح بعض قطاعات الخدمات للاستثمار ا?جنبي ونفاذ السلع قد يترتب عليه آثار ثقافية بما تحمل من أنماط اجتماعية وسلوكية غير مرغوبة، وينطبق ذلك خصوصا على قطاع التعليم الذي فتح بلا قيود خاصة ما قبل الجامعي إذ تحمل المدارس ا?جنبية آثارها الثقافية والسلوكية التي تتعارض مع سياسة التعليم الوطنية.

هذه أهم المكاسب والتكاليف ويبقى الجدل قائماً في أي منهما أعظم،فيمكن أن يقال:– من الممكن تفادي هذه السلبيات بالاستعداد الجيد وإنشاء التكتلات الاقتصادية المحلية ا?قليمية، ودمج الشركات الوطنية مع بعضها البعض بما يحقق مزايا نسبية للإنتاج المحلي ، ومنع ظهور آثار ثقافية سلبية بتطبيق الأنظمة المحلية والضوابط المقررة . ويعزو البعض أن سبب المخاوف من آثار الانضمام إلى المنظمة ناجم عن غياب الدراسات وا?بحاث العلمية في هذا المجال التي تشرح طبيعة المنظمة ونشاطها ومميزات الانضمام إليها وسلبياتها ففي دراسة منتدى الرياض الاقتصادي الثاني أجاب 95% بأنهم يجهلون مبادئ واتفاقيات المنظمة ، والسبب الآخر لهذه المخاوف يعود إلى تصور البعض بأن المملكة قد قدمت تنازلات تتعلق بالقيم والثوابت الدينية والاجتماعية ، وهو أمر مبالغ فيه ، وفي كل ا?حوال

فإن المادة (15) من اتفاقية المنظمة تعطي الحق ?ي دولة أن تنسحب من المنظمة في الحالات التي يثبت فيها أن قوانين المنظمة وقراراتها تسعى للنيل من سيادة الدولة العضو أو التدخل في شئونها الداخلية .

خامساً : أهم التحديات التي تواجه خطط التنمية والقطاعات التجارية في المملكة :

1) التحديات التي تواجه المملكة في التنمية :

– النفط يشكل 87% من إجمالي الصادرات فهو مصدر الدخل الرئيس .

– المواد المصنعة ونصف المصنعة تشكل 95% من إجمالي الواردات .

– تصنف المملكة في المركز الخامس بين أبطأ الدول في النمو الاقتصادي .

– وفي المركز السابع عشر بين أعلى الدول نسبة في نمو عدد السكان .

– وفي المركز السادس عشر بين أقل الدول استخداماً للعمالة المحلية .

– وفي المركز الخامس والستون بين الدول في تطوير الموارد البشرية .

– وليست ضمن الدول التي تهتم بالبحث العلمي حتى في المجالات التي تحتل فيها المراكز الأولى كالنفط وتحلية المياة .

– وليست من الدول التي تصدر الخدمات بل هي المستهلك الأكبر ضمن الدول النامية .

– ويختفي اسم المملكة من قائمة الدول التي تحتل أفضل المراكز في قطاعات الاتصالات واستخدام الدوائر الالكترونية العددية واستخدام الأقمار الصناعية والمناطق الحرة .

– تراجع مستوى التعليم وازدحام الجامعات وعدم وجود إستراتيجية واضحة للتعليم الفني والتدريب المهني والإخفاق في اعتماد وسائل علمية في توطين العمالة .

– زيادة أعباء الديون الداخلية لتصل إلى نسب عالية من قيمة النتاج المحلي الإجمالي وانخفاض مستوى دخل الفرد في العقدين السابقين .

– وهناك تحدٍ آخر هو المحافظة على الموارد الطبيعية وترشيد استهلاكها خاصة النفط والماء وحفظ حق الأجيال فيها .

2) التحديات التي تواجه القطاعات التجارية في المملكة :

- البطء في تطبيق الأنظمة و إجراءات التقاضي وضعف نظام التحكيم وتأخير إنفاذ الأحكام والقرارات وعدم وجود محاكم متخصصة لبعض الأنشطة التجارية ففي الدراسة المشار إليها سابقاً ظهر أن 100% ممن شملهم الاستفتاء من موردي الخدمات السعودية يعتقدون بأن مستوى القوانين والتشريعات الحالية في المملكة لا تضمن غطاء الحماية لأنشطة منشآتهم الخدمية .

- البيروقراطية الحكومية خاصة في الخدمات بقطاعاتها المتعددة حيث لا يوجد جهة واحدة مسؤولة عن التعامل مع هذا النوع من التجارة ، وإنما تتوزع المسؤولية بين عدد كبير من الجهات الحكومية مما يضاعف من حجم هذه المشكلة .

- ضعف مستوى المعرفة بمبادئ واتفاقيات المنظمة والفرص المتاحة ومواقع المنافسة الحادة / وعدم وجود مراكز وبوابات الكترونية كافية للاستفسارات ، وقد سبق ذكر نتائج دراسة ملتقى الرياض الاقتصادي الثاني بأن 95% ممن شملهم الاستفتاء يجهلون مبادئ واتفاقات المنظمة .

- ضعف كفاءة الأجهزة الحكومية اللازمة لتحقيق المشاركة الفعالة في النظام التجاري العالمي / عدم وجود آليات رسمية وشعبية لحماية الأنشطة التجارية من المخالفات ولمراقبة تطبيق الأنظمة المحلية والعالمية / وعدم كفاءة الموجود منها لمتطلبات الانضمام / وقلة برامج تدريب الكوادر الكافية للقيام بهذه المهام .

- ضعف الشفافية والإفصاح عن ما يخص الجوانب القانونية والإجرائية والتعاقدية من القرارات والأنظمة والتعاميم والأحكام و القصور في نشرها ، وعدم وجود مركز استفسار مدعم بقاعدة بيانات بما يتيح الرد على الاستفسارات وموافاة المنظمة بأي تعديلات تطرأ عليها .

- قلة الدراسات الاقتصادية المتخصصة لتوضيح نقاط القوة ونقاط الضعف في الأسواق المحلية المفتوحة للاستثمار الأجنبي ومن ثم اقتراح السبل المثلى للتعامل مع مبادئ النظام التجاري العالمي وكيفية استثمار الفرص المتاحة والميزات النسبية في الأسواق المحلية والأسواق العالمية .

– إمكانية تقليص المكاسب التي حصلت عليها المملكة في حالة سير المفاوضات المستقبلية حسب أجندة الدوحة والتي تهدف إلى مزيد من تحرير التجارة حسب وجهة نظر الدول المتقدمة .

– احتمال إثارة أسعار الوقود المنخفضة محلياً بالمقارنة بسعر البرميل عالمياً من قبل الدول الأعضاء أو بعضها باعتبار أن أسعار الوقود لها أثر بالغ في سعر بيع المنتج النهائي وعلاقة هذا السعر بأسعار ذات المنتجات في تلك الدول مثل قطاع الكهرباء والماء حيث يعتمدان بشكل كبير على الوقود من النفط ، وقطاعات صناعية أخرى مثل الألمونيوم والأسمنت والأسمدة والبتركيماويات .

– المملكة ليست بحاجة إلى تدفق أموال الاستثمار الأجنبي لأنها مصدرة لرؤوس الأموال للخارج فالتحدي هو في كيفية الاستفادة من الاستثمار الأجنبي في الحصول على التقنيات لتطوير القطاعات المحلية المختلفة .

سادساًً : الميزات النسبية التي تتمتع بها المملكة :

تتمتع المملكة بالمزايا النسبية التنافسية التالية :

أولاً : تختص المملكة بكونها مهبط الوحي وقبلة (25%) من سكان العالم وفيها الحرمان الشريفان ، وبالتالي :

1) تمثل المملكة المركز المناسب لقيام السوق الإسلامية المشتركة لتحقق الأهداف التالية :

أ – إنشاء المصارف الإسلامية والبنوك التمويلية الشرعية وتطوير آليات الأسواق المالية .

ب تأسيس شركات تأمين وإعادة تأمين تعاونية متوافقة مع فتاوى المجامع الفقهية .

ج وضع نظام معلوماتي متطور لتشجيع التجارة البينية بين الدول الإسلامية .

د –إقامة اتحادات جمركية وتكتلات تجارية وتحالفات صناعية بين الدول الاسلامية .

2) إمكانية استقطاب العلماء العرب والمسلمين في كافة المجالات ومن جميع الدول وتوطينهم لتحقيق الأهداف التالية :

أ إنشاء معاهد التقنية ومراكز الأبحاث .

ب نقل المعرفة وتوطين التقنية .

ج توفير الخبراء المسلمين المؤهلين والعمالة المسلمة المدربة في كافة المجالات .

ثانياً : تمتلك المملكة (30%) من المخزون النفطي العالمي . وتحتل المركز الأول في إنتاج النفط وتصديره والمركز التاسع في إنتاج الغاز ، وبالتالي :

1) تمثل المملكة المركز المناسب لقيام المنشآت البحثية والتدريبية التالية :

أ معاهد أبحاث الطاقة النظرية والعملية في كافة مجالات الطاقة .

ب معاهد وكليات للتعليم العالي والدراسات العليا في مجال الطاقة .

ج- مراكز التدريب الفني والتعليم المهني في حقل النفط ومشتقاته والغاز واستخداماته .

2) قدرة المملكة على اختيار الشركات الكبرى العاملة في نفس المجال والتعاون معها في تحقيق التكامل الصناعي من خلال :

أ إنتاج النفط والغاز وتكريرهما .

ب تطوير الصناعات البتروكيماوية .

ج تسويق هذه المنتجات في الأسواق العالمية .

د توطين التقنية في هذا المجال .

هـ- إقامة مصانع إنتاج أجهزة حفر الآبار وتكرير النفط وإنتاج الغاز وقطع غيارها .

و إقامة المشاريع الصناعية التي تعتمد مقومات تصنيع منتجاتها على الطاقة للاستفادة من هذه الميزة النسبية مثل إنتاج الألمنيوم والحديد و الزجاج و المعادن الفلزية ونحوها .

ثالثاً : تتمتع المملكة بموقع جغرافي مميز حيث يحدها شرقاً دول المجموعة الآسيوية التي تتمتع بالعمالة الفنية المدربة ويحدها غرباً دول الاتحاد الأوربي التي تتمتع بالتقنية والخبرة والمعرفة وبالتالي تستطيع المملكة استغلال موقعها المتميز عن طريق :

1. استخدام التقنية الغربية والعمالة الشرقية المدربة لتصنيع المنتجات اللازمة للأسواق العالمية .

2. استغلال خطوط الملاحة بين المشرق والمغرب في إقامة المناطق الحرة .

3. إنشاء المناطق الاقتصادية في المملكة على غرار المدن الصناعية .

4. تطوير مرافق محطات القوى الكهربية في المملكة عن طريق استخدام النفط والغاز لتوليد الطاقة الكهربية وتصديره لدول الجوار في الجهات الأربع عبر خطوط الكهرباء ذات الجهد العالي .

5. بناء مرافق متقدمة لخطوط السكة الحديدية لنقل الركاب والبضائع والمنتجات من وإلى مختلف مناطق المملكة وخارجها .

رابعاً : تحتل المملكة المركز (30) بين دول العالم من حيث القوة الشرائية كما تحتل المركز (29) من حيث قيمة الناتج المحلي الإجمالي . وبالتالي :

1. تستطيع المملكة تعظيم مكاسبها عن طريق تخصيص منشآتها الحكومية في أجواء منافسة حرة وعادلة ومن ثم تشجيعها على إبرام صفقات تحالف إستراتيجية (Strategic Alliances) مع المنشآت العالمية المماثلة للاستفادة من قوة المملكة الشرائية وقدرتها على النفاذ لأسواق الغير .

2. إمكانية استرجاع رؤوس الأموال المهاجرة (Capital Repatriation) وتشجيع الاستثمار الوطني والاستفادة من الاستثمار الأجنبي في نقل التقنيات وتطوير الانتفاع من زيادة القيمة المضافة المحلية .

3. توفير فرص العمل للمواطنين وتدريبهم على رأس العمل وبناء قاعدة اقتصادية محلية ذات مركز مرموق لتتفاعل مع التوجه العالمي لتحرير التجارة وتسخير مواردها للصالح العام مباشرة .

4. إعطاء أولوية لترسيخ مبادئ التجارة الإلكترونية وتنميتها في ظل اتفاقيات تقنية المعلومات (214سلعة) في قطاع السلع و اتفاقية الاتصالات الأساسية في قطاع الخدمات.

سابعاً : الآثار المتوقعة على بعض الجوانب الثقافية :

? يمكن الفصل بين تأثير انضمام السعودية لمنظمة التجارة العالمية وتأثير ظاهرة العولمة التي تلقي بظلالها على جوانب الحياة الثقافية في السعودية في المرحلة القائمة و القادمة، والمرتبطة بمتغيرات كبيرة على صعيد تطور تقنيات الاتصالات والانترنت، وتركيز الخطاب السياسي الغربي(ا?مريكي خصوصا) على نشر ثقافة

المجتمع المدني بالمفهوم الغربي ، وتزايد التدخل من جانب الو?يات المتحدة والدول الغربية في قضايا التعليم في السعودية خصوصاً (والعالم ا?سلامي عموماً) بحجة الإصلاح ، وشيوع نظرة غربية متعالية تتهم ا?سلام بالتحيز ضد المرأة وإهدار حقوقها .

وبالرغم من أن كثيراً من الخبراء الغربيين يميلون إلى تجريد العولمة من أي مضامين ثقافية فضلاً عن منظمة التجارة العالمية ، ولا يرون فيهما إلا تجارةً حرةً ، وأسواقاً عالميةً مفتوحةً، ومؤسسات مالية لا تعوقها القيود، وحوارا عالميا حراً غير مباشر عبر الحدود من خلال شبكة الاتصالات والانترنت أو مباشراً عبر المؤتمرات الدولية واجتماعات لجان المؤسسات والاتفاقيات الدولية ، وهم بعد ذلك يفسرون معارضة الدول النامية للتحرير الكامل للتجارة بتدني مهارات العمل لدى مواطني تلك الدول نتيجة لانخفاض مستويات التعليم وسوء مخرجاته وضعف الشفافية ، لكن في المقابل يتخوف باحثو وخبراء العالم الثالث من الأبعاد الكامنة في تحرير التجارة ، ولاسيما بالنسبة لتعميم قيم السوق وثقافة الاستهلاك والمادية المفرطة، التي تزخر بها الثقافة الغربية عموما وا?مريكية خصوصا، والخوف من السيطرة الاقتصادية ، وما تجلبه معها من قيم ثقافية غربية .

ويخطئ البعض عندما يظن أن الخشية من تعميم النمط الثقافي ا?مريكي أو" أمركة العالم" قاصرة على الدول النامية فقط ، فدولة كفرنسا بكل ثقلها الثقافي رفعت أثناء مفاوضات الجات شعار "الاستثناء الثقافي " الذي يعني عدم معاملة المنتجات الثقافية وا?علامية باعتبارها سلعا اقتصادية تباع وتشترى في سوق عالمي متنافس ،وإنما باعتبارها منتجا يحمل رسالة ثقافية بحتة، بل إن فرنسا أصدرت قانونا توجيهيا عام 1997 م ، يلزم القنوات التليفزيونية الفرنسية بأن تكون 60% من برامجها التي تبثها من أصل أوروبي،وهو قانون موجه أساسا ضد ا?نتاج السينمائي والتليفزيوني ا?مريكي، وتمثل فرنسا اتجاها داخل المجتمع ا?وروبي يدعو إلى إيقاف مسيرة "أمركة أوروبا" .

والواقع أن ا?ثار الثقافية لمسألة تحرير التجارة لا يمكن أنُ ترصد بسهولة ، لأن أساس وجود المنظمة وقوانينها هو اقتصادي ، والأمر الثاني أن الآثار الثقافية لا

تظهر مبكراً ، وإنما تحتاج إلى زمن طويل نسبياً حتى تظهر، والدراسات الاستشرافية لمثل هذه الآثار غير متوفرة ، ونحن هنا نرصد بعض المؤشرات التي تسهم في تكوين ملامح عامة عنها ، وسنهتم فيما يلي برصد بعض القضايا الخاصة بالسعودية .

1- التعليم ا?جنبي

يمثل التعليم بكافة مراحله معظم قطاع الخدمات التربوية التي تم الاتفاق على تحريرها في اتفاق المملكة مع المنظمة بلا استثناءات أو قيود في إطار اتفاقية الخدمات (GATS) ، وقد تم فتح هذا المجال للاستثمار الأجنبي ، وفتح هذا المجال بهذه الصورة مثير للجدل فهو من أخطر المجالات التي تتحفظ الدول عادة في فتحه فالدول النامية التي تقع المملكة ضمن منظومتها لم يفتحه منها سوى 20% منها ، بل إن عدداً من الدول المتقدمة لم تفتحه بهذه الصورة التي حصلت مع المملكة ، وبلغت نسبة الدول التي فتحت هذا المجال من مجموع دول المنظمة 31% ولذا يبقى السؤال قائماً كيف حصل هذا ؟

ومعلوم أن أحد أوجه تميز التعليم في المملكة كونه ينبع من عنايته بغرس الهوية ا?سلامية في نفوس الطلاب منذ نعومة أظفارهم حتى بلوغهم مرحلة التعليم الجامعي من خلال المنهج والمدرس والبيئة التعليمية ، وغني عن البيان ما للبيئة التعليمية من تأثير على الهوية ، حيث تضطلع بمهمة ترسيخ مقومات الهوية ، وأهمها العقيدة واللغة والثقافة والتاريخ و تحصين أبناء المجتمع ضد ما يتعرض له من تشويه لهويته ، والرقي بالمجتمع من خلال تطوير مخرجات المناهج الدراسية استجابة لمتطلبات التنمية و تحديات العصر .

وفي المملكة تعليم أجنبي في المستوى قبل الجامعي، حيث بلغ عدد المدارس ا?جنبية 170 مدرسة (منها 40 مدرسة في مدينة الرياض) ، وثمة شكاوى عديدة من ا?ساليب التي تتبعها هذه المدارس فيما يتعلق بالتجاوزات الشرعية ، والمتوقع أن يزداد الأمر سوأ في حالة دخول مستثمرين أجانب إلى هذا المجال .

ومن ناحية أخرى قد تركز تلك المدارس على اللغات ا?جنبية في تدريس مقرراتها مستغلة رغبة البعض في ذلك ، وهو أمر يؤدي في الغالب إلى إضعاف اللغة ا?م

للطالب، وغني عن البيان ما تتعرض له اللغة العربية من أزمة خانقة بسبب تخلف طرق تدريسها وتقصير المتخصصين في العناية بها ، ومن شأن انتشار المدارس ا?جنبية أن يزيد من إعراض الطلاب عن اللغة العربية،وترسيخ شعور لديهم بأن اللغة الانجليزية هي لغة العصر والعلم والبحث التي تعكس رقي المتحدث بها وسعة اطلاعه ، ومن المهم هنا التنبيه إلى الفرق بين تعلم اللغات ا?جنبية وإتقانها الذي يبقى أمرا مطلوبا للبعض في مراحل متقدمة ، وبين تعليم الناشئة اللغات الأجنبية في مراحل تعليمهم ا?ولى وإلزامهم بذلك بما ينطوي عليه من إهمال للغة العربية وفقدان للهوية .

وحيث تم فتح هذا المجال فينبغي أن نفرق بين المستويين الجامعي وما قبل الجامعي ، فما قبل الجامعي خطير جداً لأنه تعليم عام في مراحل بناء الهوية فإذا صعب استثناؤه فعلى الأقل يقيد بأن تكون الإدارة من قبل وزارة التربية والتعليم ولا يكتفى بالمدير فقط مع التأكيد على تطبيق الأنظمة المحلية والحزم في التزام الضوابط المرعية أما الجامعي فيمكن أن يستثمر هذا المجال المفتوح والذي أصبح أمراً واقعاً في التخصصات التقنية والطبيعية للنهوض بمستوى التعليم العالي في المملكة شريطة وجود نظام إشراف ومتابعة فعال على المؤسسات ا?جنبية ، وإيجاد الأنظمة الكفيلة بجعل عمل هذه المؤسسات يصب في صالح البلد من خلال اشتراط توفير التخصصات الناقصة والمطلوبة للمملكة، وا?سهام في تنمية البحث المحلي ، وتقديم المنح الدراسية للمتفوقين والمحتاجين، وعدم تنحية اللغة العربية في التدريس والبحث ، مع التزام الجامعات بالأنظمة المحلية من منع الاختلاط وضبط المحتوى . وعند توفر هذه الشروط تقل إمكانية حدوث اختراق ثقافي .

2- مقاطعة إسرائيل

يتكون نظام مقاطعة إسرائيل على مواد تدور حول حظر التعامل مع إسرائيل أو استيراد البضائع والسلع والمنتجات ا?سرائيلية بكافة أنواعها، وحظر تبادلها أو الاتجار فيها داخل المملكة وحظر التعامل مع الشركات التي تتعامل مع إسرائيل .

لكن المملكة قررت بعد توقيع اتفاقات أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في سبتمبر 1993 م ، استجابة لقرار مجلس وزراء خارجية دول مجلس التعاون

الخليجي في دورته التحضيرية الثالثة والخمسين التي عقدت في نوفمبر 1994 م إيقاف المقاطعة للكيان ا?سرائيلي من الدرجتين الثانية والثالثة ، وصدر في هذا المعنى قرار مجلس الوزراء السعودي رقم 5 بتاريخ 1416/1/14 هـ.
و قبيل انضمام المملكة إلى منظمة التجارة مباشرة شرعت مصادر أمريكية وإسرائيلية في الترويج لأنباء تفيد أن المملكة تعهدت في اتفاقها الثنائي للتجارة مع الولايات المتحدة الذي أُبرم في 5/8/ 1426 هـ بأن تتاجر مع كل أعضاء المنظمة ومنها إسرائيل ، غير أن مصادر سعودية قالت إن الانضمام للمنظمة يفرض على المملكة أن تتعامل مع جميع الدول ا?عضاء إلا أن التعامل مع إسرائيل والشركات ا?مريكية المتعاملة معها سيخضع ?حكام خاصة جدا تم الاتفاق عليها بين الجانبين السعودي وا?مريكي، وفي حدود النص المعلن من الاتفاقية السعودية الأمريكية لم تأت على ذكر إسرائيل لا من قريب ولا من بعيد، وبعد انضمام المملكة للمنظمة بقي الموقف من المقاطعة كما هو في قرار مجلس وزراء خارجية دول مجلس التعاون المشار إليه سابقاً ، وهو بقاء المقاطعة من الدرجة الأولى وهو عدم التعامل المباشر مع إسرائيل فقط أسوة بأمريكا التي ما زالت تقاطع كوبا مع أنهما عضوان في المنظمة حيث أن قانون المنظمة يسمح بذلك ، واستمر سريان إلغاء المقاطعة من الدرجتين الثانية والثالثة وهما التعامل مع الشركات أو الدول المتعاملة مع إسرائيل .
أما بند مقاطعة الدول المتعاملة مع إسرائيل فهو بند لم ينفذ أصلا ، أما بند مقاطعة الشركات فقد ألغي منذ ذلك التاريخ ومثاله شركة فورد للسيارات وشركة الكوكاكولا التي تمت مقاطعتهما لعقود ثم ظهرتا في الأسواق الخليجية بعد إلغاء المقاطعة بعد توقيع اتفاقية أوسلو ، هناك حالة رابعة وهي مخرجات الاستثمار الإسرائيلي في الدول الأخرى ومنها دول عربية وإسلامية ، وكذلك الاستثمار المختلط مع إسرائيليين في البلدان الأخرى ، ستجد المملكة نفسها ملزمة بفتح أسواقها لهذه المخرجات سواء كانت سلعا أو خدمات باعتبار أنها غير إسرائيلية المنشأ حسب التزام المملكة مع دول المنظمة ، وفي حالة ظهور السلع أو الخدمات الإسرائيلية المنشأ أو الاستثمار ، فينبغي أن يقوم الشعب بمقاطعة هذه البضائع والخدمات ، ويحتسب على من يجلبها من رجال الأعمال وهذه المواقف الشعبية لا علاقة للمنظمة بها ، ومن

الضروري المبادرة بإيجاد آليات من خلال مؤسسات المجتمع لمقاومة التطبيع الاقتصادي مع إسرائيل والتحذير منه ، وبيان الموقف الشرعي من ذلك .

3- دور المرأة

شهدت السنوات الماضية صدور العديد من القرارات الداخلية تتعلق بالمرأة ، كان أبرزها قرار مجلس الوزراء في 2004/5/31الذي تضمن زيادة فرص ومجالات العمل أمام المرأة بإصدار تراخيص للنساء لمزاولة الأنشطة الاقتصادية بدون عوائق . وهو قرار جاء بعد إزالة شرط وجود وكيل شرعي لكي تمارس المرأة العمل التجاري، وكذلك قرار الحكومة بأن تنشئ الجهات الحكومية التي تقدم خدمات ذات علاقة بالمرأة وحدات وأقساما نسائية بحسب ما تقتضيه حاجة العمل فيها. كما تم تخصيص فعاليات الجولة الثالثة للحوار الوطني الذي نظمه مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في المدينة النبوية لمناقشة قضية (المرأة:حقوقها وواجباتها) في 2004/6/14 م والذي جاءت توصياته في الحدود المعقولة ، وتم السماح للمرأة السعودية بالمشاركة في انتخابات الغرف التجارية ، بالرغم أنه يلزم من ذلك الاختلاط بين الجنسين الذي تحظره الأنظمة والتعليمات .

وبالرغم من عدم وجود علاقة مباشرة بين قوانين المنظمة وقضية المرأة إلا أن هناك توجهاً لتوسيع مشاركة المرأة السعودية بعد الانضمام مدعوما بقرارت إدارية وممارسات رسمية ، وبالرغم من أن قرارات توسيع عمل المرأة نصت على الفصل بين الجنسين وعدم الاختلاط غير أننا نشهد دفعاً قوياً نحو تطبيع الاختلاط بين الجنسين في مواقع عديدة وتشجيعاً لذلك من قبل بعض وسائل الاعلام والصحف المحلية ، ومن ذلك الاختلاط الذي يحصل في غالب البنوك في الإدارات العامة وفي الأعمال غير المواجهة للجمهور .

هذه التطورات تأتي استجابة للتأثير الكبير لضغوط البيئة الدولية المطالبة بالإصلاح - حسب رؤيتها الغربية - حيث أصبحت قضية المرأة على رأس اهتمامات بعض المنظمات الدولية وا?قليمية خصوصا تلك التيُ تعنى بالشؤون الاجتماعية والتنموية والحقوقية من منظور علماني غربي .

المصدر الثاني الذي سيفتح المجال أمام المرأة هو ما يمكن أن تجلبه الاستثمارات الأجنبية من أيدٍ عاملة نسائية من خلال نسبة الـ25 % المسموح بها حسب اتفاق المملكة مع المنظمة وسواء كانت هذه العناصر النسائية من الداخل أو الخارج فإنها قد تساهم في تغيير سمت بيئة العمل المحلية والتأثير السلبي على مبدأ الفصل بين الجنسين خاصة إذا لم يلتزم بالضوابط المحلية مع ضعف الرقابة أو تهاونها .

4- حقوق المستثمرين

في سياق انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية لم تسمح المملكة بإنشاء دور عبادة أو كنائس لغير المسلمين للنصوص الشرعية الواضحة في هذا المجال، مع أن كثيراً من أسئلة الوفود المفاوضة تعلقت بهذا الجانب، وكان الفريق المفاوض يعتمد في إجاباته على أمرين:

أ أن الأنظمة الداخلية لا تسمح بوجود مثل هذه الدور.

ب أن حرية ا?ديان مسألة لم تتطرق لها اتفاقيات منظمة التجارة العالمية.

وقد كان الموقف الرسمي تجاه هذه القضية منذ البداية واضحا وجيدا .

ومن المتوقع أن انضمام المملكة إلى المنظمة يفتح الباب لطرح قضية العلاقة مع غير المسلمين من زوايا عديدة ، فالسماح بزيادة أعداد المستثمرين قد يشجع المطالبة في وقت لاحق بإنشاء دور للعبادة ، وممارسة طقوس ذات بعد ديني وإبراز أعياد دخيلة على أهل الإسلام باعتبار أن هذه من حقوق المستثمرين ، الذين قد يستغلون شيوع مسألة انتقاد أوضاع الحريات الدينية في السعودية من قبل بعض منظمات حقوق ا?نسان الغربية و كذلك في تقارير لجنة الحريات الدينية التابعة للكونجرس ا?مريكي لإثارة المطالبات في هذا الشأن ، ولذا فأهمية الوعي بهذه القضية والحذر من التهاون فيها ودعم الموقف الرسمي المعلن تجاه هذه القضية أمر مطلوب ، والمسارعة في الاحتساب على أي بادرة في هذا الجانب ، والحذر من التساهل في بيان الموقف الشرعي منها لأن بقاء هذه الجزيرة خالية من وجود ديني غير الإسلام أحد خصائصها المعلومة .

5- الجوانب التنظيمية والقضائية

كان أحد أهم الجوانب التي كانت مسار المفاوضات مع المملكة، هو مدى تطابق أنظمة المملكة مع اتفاقيات المنظمة المختلفة، وبناء على ذلك صدر قرار مجلس الوزراء رقم (66) وتاريخ 1421/3/17هـ القاضي بأن تقوم جميع الأجهزة الحكومية بمراجعة جميع الأنظمة ذات العلاقة بما يتفق مع ما يقتضيه انضمام المملكة إلى منظمة التجارة العالمية، ورفع ما يتم التوصل إليه لاستكمال الإجراءات النظامية اللازمة وإعداد الدراسات التي تبين المكاسب والتكاليف المترتبة على الانضمام والتهيئة لمرحلة ما بعد الانضمام.

كما نص القرار على تشكيل لجنة فرعية للتحضير للجنة الوزارية المكلفة بمهمة متابعة جميع ما يتخذ من قرارات وما يرسم من سياسات وقواعد في النظام التجاري العالمي، وذلك بالقيام بمراجعة مستمرة لما يتم التوصل إليه من قبل فريق التفاوض السعودي.

وبناءاً على ذلك فقد حُدثت بعض الأنظمة الموجودة استجابة لشروط المنظمة ومنها على سبيل المثال :-

أ - نظام العلامات التجارية.

ب- نظام حق المؤلف.

جـ- نظام براءة الاختراع.

كما استحدثت أنظمة لم تكن موجودة بالأصل مثل:

أ - نظام الأسرار التجارية .

ب - الاستثمار الأجنبي .

وهذه الأنظمة استحدثت قبل التوقيع النهائي لانضمام المملكة إلى المنظمة لكنها تمت كمتطلبات واستعداد للانضمام ، وبعض هذه الأنظمة لا يخلو من مخالفات شرعية خاصة المتعلقة بالاستثمار وسوق المال بسبب عدم حسم مسألة الربا في المعاملات التجارية والمالية .

كما صدر مرسوم بإعادة هيكلة القضاء بشكل جذري ومع ما فيه من إيجابيات إدارية وتنظيمية إلا أنه استثنيت فيه مزيد من اللجان الإدارية ذوات الاختصاص القضائي

من القضاء الشرعي مثل نظام الاستثمار الأجنبي والتأمين وسوق المال بالإضافة إلى اللجان السابقة مما يعني مزيدا من تكريس ازدواجية القضاء .

6- الجوانب الأخلاقية والسلوكية :-

كان من ضمن التحديات التي تواجهها المملكة في سياق انفتاحها التجاري والتنموي هو أنها بلد محافظ لا يسمح بأماكن اللهو والترفيه المحرم شرعاً ، وقد أدى وجود الأجانب من غير المسلمين إلى مغافلة المجتمع وإقامة أماكن للهو وشاع بينهم تجارة الخمور ، ونشأت تجمعات سكنية للأجانب لا تخلو من هذه المخالفات المحرمة ، ويخشى أن تزداد هذه التجمعات التي يتاح فيها اللهو غير البريء بمقدار ازدياد عدد المستثمرين الأجانب والاستثمار الأجنبي، والأسوأ هو أن يتمكن بعض السعوديين وغيرهم من المسلمين من الوصول إلى هذه الأماكن بحكم علاقة العمل والتجارة مع سكان هذه التجمعات ، مما يُيسر الوصول إلى اللهو المحرم وتطبيعه في المجتمع .

ثامناً : اقتراحات لمواجهة الآثار السلبية الثقافية والاقتصادية المحتملة :

1 – الآثار الثقافية

– دراسة منظمة التجارة العالمية من كافة جوانبها الثقافية والاجتماعية وضرورة وجود دراسات تبين هذه الآثار ووسائل تلافيها وهذا لن يتم إلاّ بوجود متخصصين فيها من أصحاب الاهتمام بالثقافة الإسلامية .

– استثمار الانضمام إلى المنظمة ومبادئ حرية التجارة لتطوير مؤسسات الاقتصاد الإسلامي وتكثيرها وتحسين مخرجاتها وتقديمها كبديل لمؤسسات الاقتصاد الربوي ، وهذا لن يتم إلاّ بوجود متخصصين في المنظمة والتجارة الدولية من أصحاب الاختصاص بالاقتصاد الإسلامي .

– تأصيل قواعد العلاقات الدولية وتنظيم التجارة الدولية على ضوء قواعد السياسة الشرعية وضوابط مشروعية الانضمام إلى المنظمات الدولية للمحافظة على الهوية الاسلامية في خضم عولمة التجارة الدولية وما تحمله من أنماط ثقافية واجتماعية وهذا لن يتم الا بوجود المتخصصين في القانون و التنظيم الدوليين من أصحاب التخصص في السياسة الشرعية.

- العناية بالدراسات الفقهية المتعلقة بالتجارة الدولية كالإغراق والغبن واحتكار السلع والغش التجاري وغير ذلك من المباحث الفقهية ذات العلاقة وإعادة دراستها على ضوء التطورات الاقتصادية المعاصرة ونشرها من خلال المجامع الفقهية و الهيئات الشرعية.

- التجارة كانت وسيلة للدعوة إلى الإسلام في البلدان غير المسلمة في السابق فينبغي العناية بهذا الجانب ، من قبل المستثمرين المسلمين عموماً والسعوديين خصوصاً الذين سينفذون إلى الأسواق العالمية من خلال اتفاقية الخدمات خاصة قطاع التعليم .

- الحذر من بعض أصحاب التوجهات المنحرفة التي تريد أن تستثمر انضمام المملكة إلى المنظمة في تغريب المجتمع بحجة الاندماج في النظام العالمي والعولمة وبيان الموقف الرشيد في كيفية استثمار ايجابيات الواقع العالمي الجديد مع المحافظة على الهوية الاسلامية .

- رصد التغيرات السلبية في المجتمع من جراء الانفتاح والتعولم ، من أجل الاحتساب عليها مبكرا وتقوية الحس الاحتسابي في الوسط التجاري وتفعيل الدعاوى الاحتسابية فإن الدفع أسهل من الرفع.

- تطوير المؤسسات والهيئات الشرعية الرسمية والشعبية كالمجامع الفقهية ولجان الفتوى والهيئات الشرعية في المؤسسات المالية والإعلامية والاجتماعية من اجل ضبط حركة التنمية في الجوانب الشرعية وأهمية مواكبة هذه الأجهزة لذلك من حيث السرعة والتأهيل.

- تطوير التعليم وتحسين مخرجاته سواء كان تعليماً شرعياً أو تعليماً طبيعياً وسواء كان عاماً أو جامعياً في الميدانين الرسمي و الأهلي والحذر من أن يكون التعليم المحلي متخلفاً عن التعليم المؤسس باستثمار اجنبي .

- تخليص المؤسسات المالية والمصرفية من الربا لمخالفته للشريعة أولاً ثم لمخالفته للدستور (نظام الحكم) والذي كان سببا في ازدواجية الهوية الثقافية للبلد وما ترتب على ذلك من ازدواجية في النظام القضائي السعودي واعادة جميع اللجان الادارية وذات الاختصاص القضائي الى مظلة القضاء الشرعي .

- تشجيع تخفيض الجمارك وإلغاءها لأنه يتفق مع مقاصد الشارع في تحريم المكوس .

2 – الآثار الاقتصادية

أ – تطوير البيئة القانونية والقضائية والتشريعية الحالية من أجل ضمان غطاء قانوني لحماية أنشطة المؤسسات الخدمية المحلية ، وسرعة تطبيق الهيكلة القضائية الجديدة ، وتسهيل إجراءات التقاضي ودعم المؤسسات القضائية بمزيد من القضاة المؤهلين .

ب- تطبيق الأنظمة وسرعة إجراءات التقاضي وإنفاذ الأحكام والقرارات وإيجاد المحاكم المتخصصة / تقليص البيروقراطية الحكومية / تدريب العمالة المحلية من خلال برامج تدريبية فعالة ، ففي دراسة ملتقى الرياض الاقتصادي الثاني كانت نسبة من يعتقد أن هذه تحديات لسوق الخدمات هي 53% ، 55% ، 60% على التوالي .

ج- رفع مستوى المعرفة بمبادئ واتفاقيات المنظمة والفرص المتاحة ومواقع المنافسة الحادة / وإنشاء مراكز و بوابات الكترونية للاستفسارات .

د إيجاد آليات لحماية الأنشطة التجارية من المخالفات / وإيجاد الهيئات الرقابية لمراقبة مدى الانضباط بقواعد وأنظمة التجارة داخلياً وخارجياً / وتدريب الكوادر الكافية للقيام بهذه المهام.

هـ- توفير الشفافية والإفصاح عن جميع ما يخص الجوانب القانونية والإجرائية والتعاقدية من القرارات والأنظمة والتعاميم والأحكام ونشرها ، وإنشاء مركز استفسار مدعم بقاعدة بيانات بما يتيح الرد على الاستفسارات .

و إعداد الدراسات الاقتصادية المتخصصة لتوضيح نقاط القوة ونقاط الضعف في الأسواق المحلية المفتوحة للاستثمار الأجنبي واقتراح السبل المثلى للتعامل مع مبادئ النظام التجاري العالمي وكيفية استثمار الفرص المتاحة والميزات النسبية في الأسواق المحلية والأسواق العالمية .

ز إنشاء التكتلات (الاتحادات الجمركية / الأسواق الحرة) لتبادل عناصر الإنتاج من سلع وخدمات وتقنية وحقوق ملكية فكرية بحرية تامة والاستفادة من المادة (5)

من اتفاقية الجاتس التي تستثني دول التكتل من تطبيق مبدأ حق الدولة الأولى بالرعاية مع الدول خارج التكتل .

ح تطوير الأجهزة الحكومية ذات العلاقة كالإدارات الجمركية لأنها صارت مسئولة عن تنفيذ عدد من الاتفاقيات التجارية واستحداث أجهزة جديدة تعنى بالتجارة الخارجية وتأهيل العاملين فيها لتحقيق المشاركة الفعالة في النظام التجاري العالمي ولمواجهة تحديات انضمام المملكة إلى المنظمة .

ط- دراسة الآثار التجارية السلبية والإيجابية على بعض الدول التي مضى على انضمامها مدة كافية للاستفادة من ذلك ، واستشراف المستقبل لتعظيم المصالح وتقليل المفاسد .

خلاصة الموقف:

مما سبق يتبين أن المملكة حصلت على استثناءات جيدة فيما يتعلق بالهوية الإسلامية من خلال استثناء السلع المحرمة وعدم فتح أنشطة الخدمات المحرمة واشتراط عدم مخالفة الشريعة في أنظمة حقوق الملكية الفكرية ، ويبقى بعد ذلك مدى الالتزام بهذه الاستثناءات والمكتسبات من قبل أجهزة المراقبة على الحدود أو داخل الأجهزة الحكومية والمحاسبة على المخالفات ، أما في ما يخص المسألة التجارية فهناك استثناءات (مكاسب) وهناك التزامات (تكاليف) متعادلة إلى حد ما ولكن نظراً لأن سوق المملكة مفتوح من قبل والتعرفة الجمركية لمعظم السلع المطبقة أقل من المثبتة مما يرشح قدرة السوق السعودي على امتصاص آثار الالتزامات السلبية ، أما إذا أحسن الاستفادة من قوانين المنظمة ووظفت الموارد توظيفا جيداً واستثمرت المزايا النسبية للمملكة فسيكون انضمام المملكة إلى المنظمة مفيدا من الناحية التجارية .

أما الآثار الثقافية التي يخشى منها فهي خطيرة إذا تم الاختراق الثقافي من خلال أنشطة ومتطلبات الاستثمار وانفتاح الأسواق الذي سيحدث مثل هذه الآثار تدريجياً إلا أنه يمكن التقليل منها بالحزم في تطبيق الأنظمة والتعليمات المحلية ، وتمكين أجهزة الرقابة الإدارية والاحتسابية من مراقبة مخالفة الضوابط العامة ومنع ذلك سواء

حصلت من أجانب أو من سعوديين وعدم إعطاء الأجانب – خاصة الغربيين – تمييزاً على الآخرين عندما يتجاوزون النظام العام .

المراجع:

• أوراق منتدى الرياض الاقتصادي الثاني (2- 4 ذي القعدة1426هـ).

• أوراق المنتدى الاقتصادي الرابع لدول مجلس التعاون الخليجي (دبي 17-21 ديسمبر 2005).

• موقع وزارة التجارة والصناعة السعودية على الانترنت .

• موقع منظمة التجارة العالمية (WTO) على الانترنت وفيه وثائق انضمام المملكة إلى المنظمة .

• موقع محامون على شبكة الانترنت .WWW.MOHAMOON.COM

• أبحاث ومحاضرات مسجلة عن المنظمة د. فؤاد العلمي نائب رئيس الفريق السعودي المفاوض .

• مقالات منشورة وغير منشورة عن المنظمة د.عبدالله العبيد وكيل وزارة الزراعة وعضو الفريق المفاوض .

• كتب مطبوعة عن المنظمة .

=============

غزَّة وابن تيمية والنشيد الوطني الصهيوني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه..أما بعد :

1) فقبل ثمانية قرون تقريبا ، مرّ العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله بغزّة ، وعقد في جامعها (لعله العمري) مجلسا علميا كبيرا ، فتعلق أهل غزّة به ، وسأله أميرها المنصوري أن يضع له برنامج عمل سياسي إسلامي ، فأجابه ابن تيمية رحمه الله إلى ذلك ، وحرّر له مشروعا متكاملا في هذا الشأن ، كتبه في ليلة واحدة ، وقدمه له صلاة الفجر ، واشتهر وانتشر تحت مسمى : (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) ، وهو الكتاب القيم المعروف المشهور ، الذي لا تخلو منه مكتبة طالب علم .. تذكرت هذا العالِم وقصته ، وأنا

أفكِّر في ذلك الثغر الذي يحمل رقما قياسيا في الكثافة السكانية على مستوى العالم مع صغر مساحته ، وقلَّة موارده ، ومحاصرة أهله .

2) وغزة تاريخ إسلامي عريق دونه الشيخ عثمان الطباع في : إتحاف الأعزة في تاريخ غزة ، .. وغزّة هي غزّة التي عرفناها من قبل في فتوحات الفاروق رضي الله عنه ، ومرت بنا في ترجمة الإمام محمد بن إدريس الشافعي الغزي ، أحد أئمة الفقه الأربعة ، تلميذ الإمام مالك ، وشيخ الإمام أحمد رحمهم الله ..

وإنِّي لأتذكر غزّة بل فلسطين المحتلة كلّها ، كلّما قرأت أو سمعت أو تذكرت آخر سورة آل عمران ، لأنَّها جمعت خصالاً نراها رأي العين في الأسرة الفلسطينية الصابرة ، المصابرة ، المرابطة ، رجلا وطفلا وامرأة وعجوزا .. غزّة التي تكاد تتجاوز حدود المعقول في صمودها واستبسال أهلها وتضحياتهم ، بل تجاوزت حدود المألوف وقاربت تجاوز حدود المعقول ، حين نعلم أنَّ حوامل غزّة يساهمن في المقاومة بتبرعهن بنوع من الأحماض البولية الخاصة بالحوامل ، لأنها توفر لمصانع الأسلحة المحلية للمرابطين مواد أولية ليدافعوا بها عنهن !!

3) تذكرت غزّة وماضيها ، و تذكرت جميع الأراضي المحتلة في فلسطين والجولان ومزارع شبعا وغيرها ، ثم تذكرت دعوات التطبيع وما يصاحبها من جهد مأزور فيما يشبه التمهيد لتطبيع المسلم عقديا من خلال القدح الجائر والاعتداء السافر على مسلمات العقيدة الإسلامية ، ودلائل النصوص القرآنية القطعية ..

تذكرت تلك الجهود الخاسرة التي يتبنّاها كتّاب الخَوَر المهين في عالمنا العربي ، ما بين قاصد و جاهل ومستغفَل ، للنيل من عقيدة الولاء للمؤمنين وكأنّما هو جهد في تذليل الصعوبات العقدية أمام الغزاة المحتلين والصهاينة الغاصبين ، بوعي أو دون وعي لحقيقة المعركة ، التي يجسدها علناً النشيدُ الوطني للكيان الصهيوني :

" طالما في القلب تكمن .. نفس يهودية تتوق .. وللأمام نحو الشرق .. عين تنظر إلى صهيون .. أملنا لم يضع بعد .. حلم عمره ألفا سنة .. أن نكون أمّة حرّة على أرضنا .. أرض صهيون والقدس .. " .

أقول هذا ، لأنَّنا وجدنا من الكتاب العرب من يتعاطف مع جندي أسره مقاومون شرعيون على أرضهم – وهو الحق الذي تكفله قواعد القانون الدولي – تحت دعاوى

الحرص على الفلسطينيين ، في حين أنني سمعت بعضهم من قبل يردد جملة : " إخواننا في فلسطين !! " إخواننا في فلسطين !! " على سبيل السخرية .. مستهجنا تعاطفنا مع إخواننا المسلمين ، داعيا إلى التقوقع في ظل العولمة ونبذ الأممية زَعَم ، وعدم التدخل فيما وراء الحدود . فيا ترى هل يظن هؤلاء أنَّ الجندي اليهودي المأسور ، دون الحدود أو يعلمون أنه وراءها ؟

4) لقد كانت صناديق الاقتراع التي نادى بها دعاة الديمقراطية امتحانا صعبا لهم .. فبعد عدد من النتائج غير المرضية لهم في عدد من البلدان ، حاولوا تدجين الأمة إعلاميا ثم طالبوا بوضع الصناديق لها مرّة بعد مرّة ، وكان مكان اختبارهم الأخير للأمة ، هو أقسى مواقع معاناتها ، فتمَّت : انتخابات المجلس التشريعي في السلطة الفلسطينية ؛ وما إن ظهرت النتائج الأولية حتى تهامس الظلمة من الإفرنج ، فلم نلبث أن سمعنا صراخ (الشرعية الدولية وحقوق الإنسان) – التي طالما يطالبون خصومهم برعايتها ، في مثل حالة الصين وكوريا الشمالية – سمعناها تصرخ في فلسطين تحت أقدام واضعيها ، وتنتهك دون قدرتهم على تبرير منطقي لما يجري منهم تجاهها ، فحوصر الشعب الفلسطيني الذي كانوا يقدّمون صورة الحرص عليه في قالب (الديمقراطية) ، وبلغ الأمر بأدعياء الديمقراطية ، والمتباكين على حقوق الإنسان ، أن يتآمروا على الشعب الفلسطيني في مناطق السلطة بمنعه من استلام أجرة عَرَق الجبين ، التي يشتري بها – وليس منها – حليب المولود ، وغذاء الطفل ، وقوت الإنسان.

لقد أزالت هذه الانتخابات ، بقايا أوراق التوت عن سوءات دعاة الشرق الأوسط الكبير ، وبصقت في وجوه المبشرين برغده وعدالته وتفوق حقوق الإنسان فيه .

لم لا ؟ ألم ير الناس كيف حوصرت حكومةٌ منتخبة في انتخابات لم يشكك أحد في نزاهتها ، مع محاولاتٍ جرت لتدارك النتيجة ولو في اللحظة الأخيرة .

لقد شهد العالم كيف خلت – ولم تكن من قبل كذلك – خزينة المالية الفلسطينية قبيل تسليمها للحكومة المنتخبة بفواق ناقة ، وكأنَّ أموال الأمة وأرزاق الناس ، ومستحقات اليتامى محلّ عبث سياسي .. والإمعان في الحصار بمنع البنوك من التعامل مع

الحكومة المنتخبة – التي حصلت على أصوات لم يحصل على مثلها المرشحون في أعرق الأحزاب السياسية الغربية – بعيد إعلان النتائج .
ثم رأى العالم بالصوت والصورة كيف يُجلب قوت الشعب للشعب تهريبا ، عبر منفذ بري حدودي وحيد بين غزة ومصر ، في معاطف وزراءَ في حكومة شرعية !
إنَّ هذا الظلم والجور والتعامل غير الحضاري – ذاته – ذكرني رسالة أبي العباس ابن تيمية رحمه الله إلى ملك قبرص التي يطالبه فيها بإطلاق سراح أسرى المسلمين ، ويحذره فيها من عقوبة الظلم وسنة الله في الظالمين دولا وأفرادا .
5) ظنّ الخصوم أنّ الأمة هزمت واستسلمت ، ولكن الوهم تبدّد ، ولنا في التاريخ معتبر ، فلقد تيقنوا فيما بعد أنَّها لم تمت وإنَّما كانت مسترخية ، وربما كان منها من أخذته سِنة من النوم ، تحت شعارات القومية العربية الزائفة ، والشعارات الثورية الفارغة ، في ظاهرة صوتية لخصتها للجيل الذي لم يشهدها ، تصريحات وزير الإعلام العراقي الذي غطّى غبارُ القصف آثار أقدامه قبل أن يغادر بغداد هاربا و هو يتحدّث عن الصدّ والصمود إلى آخر نطفة دم ..
لقد رُكِلَت الأمة عام النكسة ، فاستيقظت وصحت ، واكتشفت سرّ هزيمتها الحديثة ثم سرّ نصرها القديم الذي قامت عليه دولتها الأولى وما تلاها من دول الإسلام ، وحتى هذه الأحقاب المتأخرة التي تحالف فيها الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ، في دليل مادي ملموس على سبب النصر الإلهي ؛ ولعلّ هذا سرَّ التضايق من الصحوة ، ومن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن قبلهما ابن تيمية إيَّاه – رحمهم الله – وكأنَّ ظَلَمَة الإفرنج ومساندي المغتصب ، يستشرفون آثار تراث هؤلاء القادة وتجربتهم في مستقبل القضية .. إنَّ ظلمة الإفرنج ومن خُدِع بهم أو وافقهم من بني جلدتنا ، يريدون من الأمة أن تموت لا أن تغرق في النوم فقط ؛ ليسرحوا ويمرحوا خارج وحي الله ، في ليبرالية مخزية ، لا تعرف دينا ولو كان الإسلام ، ولا ثابتا ولو كان عقيدة التوحيد ، ولا أصلاً يقينياً منصوصا ولو كان الولاء في أواسط الحجرات والبراء في أواخر المجادِلة .
وما علم هؤلاء أنَّ من النّوم نوماً كهفياً يصحو فيه المضطهدون على زغاريد النصر ومباهج الاحتفاء .

6) إنَّ من المؤسف أن نرى التطبيع الإعلامي في إعلام العرب والمسلمين يسابق التطبيع السياسي في ظل أجواء لا تسمح لذي حياء أن يتكلم . ولكن يا ترى ماذا يستطيع أن يقول دعاة التطبيع (الصلح الدائم الذي يتم بمقتضاه الدخول في جملة من الاتفاقات متنوعة الجوانب بما في ذلك الجانب الثقافي والاقتصادي والأمني وغيرها) مع هذا الكيان الصهيوني الغاصب المحتل ، الذي لم يحترم شيخا ولم يرحم طفلا ، ولم يقدر – ولو إنسانيا – وضع امرأة حامل ! ليضعها وجنينها في عنابر قذرة ، خلف قضبان ظالمة ، ومعاملة جائرة .. ما الذي يمكنهم قوله ، ولِمَ صَمَت بعضهم عن الحديث في الحدث ، وانكفأ بعضهم على إثارة قضايا داخلية محسومة شرعا ونظاما ، وفعل بعضهم الأسوأ بما تقدم ذكره ..

7) وهنا لا يفوتني أن أهمس في آذان المخلصين من الدعاة والكتاب بأنَّنا يجب أن ندرك الفرق بين الصلح مع اليهود في فلسطين بالمعنى القانوني الدولي ، وبين ما قد يضطر إليه الإخوة في الحكومة الفلسطينية الحالية من الدخول في مفاوضات والوصول إلى اتفاق هدنة سواء كان ذلك في العاجل أو الآجل ، فلنفترض أنَّ الإخوة في القيادة الفلسطينية الحالية – وهم ما بين علماء و طلبة علم أو رادّون إليهم – سلكوا هذا المسلك ، فهل يسوغ التثريب عليهم ، فضلا عن تخوينهم والنيل منهم ؟ كلّا فثمة فرق بين مسألة الصلح الدائم الذي أجمع العلماء على منعه . العلماء السابقون . ، واتفق على تجريمه في قضية فلسطين العلماء المعاصرون ، وبين عقد هدنة مؤقتة أو مطلقة في نظر مصلحي ممن يملك آلة الاجتهاد وتقدير المصلحة المرعية في الشرع .

وبسبب الخلط في فهم هذه المسألة ، غلط بعض الناس على شيخنا العلامة / عبد العزيز بن باز – رحمه الله – حين نسبوا إليه جواز الصلح مع اليهود بالمفهوم العرفي الدولي (الصلح المؤبّد) مع أنَّه قد أوضح ما عناه وبيّنه بقوله : " الصلح بين ولي أمر المسلمين في فلسطين وبين اليهود لا يقتضي تمليك اليهود لما تحت أيديهم تمليكا أبديا ، وإنما يقتضي ذلك تمليكهم تمليكا مؤقتا حتى تنتهي الهدنة المؤقتة ، أو يقوى المسلمون على إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة ."(مجلة البحوث الإسلامية : العدد (48) ص : 130–132) .

8) قد يصاب بعض الناس من أهل الغيرة والحمية ، وخاصة الشباب بنوع من الإحباط أو اليأس وهم يشهدون هذا الحدث وأمثاله ، وحق لهم أن يتألموا .. ولكن ربما تصرف بعضهم تصرفاتٍ غير مشروعة ، لا يرجعون فيها لعالم معتبر ، ولا سياسي حاذق .

ولهؤلاء يقال : السكينة السكينة .. يمكنكم أن تصنعوا شيئا في نصرة المسلمين بطرق مشروعة مرجوة النفع مأمونة العواقب ، إزاء ما يجري من حصار إخواننا في غزة على سبيل المثال .

وإذا ما استبعدنا استخدام جميع الوسائل القانونية المعترف بها في سبيل مطالبة العدو بالعدالة ، ومراعاة القوانين الإنسانية الموافقة للشرع ، على المستوى الرسمي والمؤسسي في العالم العربي والإسلامي – وهي أمور يفقهها أهل الشأن – فإنَّ بإمكاننا كأفراد أن نقوم بجهود نصرة شرعية قانونية مؤثِّرة إن شاء الله تعالى ، ولو لم يكن فوريا .

وهذه بعض الأمثلة للوسائل المشروعة المتاحة أذكرها على سبيل التنبيه لا الحصر :

فالمثال الأول : الدعاء لإخواننا في غزّة والقنوت لنازلتهم ، وقد أفتى بذلك في هذه القضية بالذات سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله لكل من سأله ، واصفا ذلك بأنّه أيسر ما يمكننا تقديمه من نصرة .

كيف وقد وجدنا في الأنباء أنَّ حاخامات يهود يدعون إلى الصلاة من أجل تحرير جندي ظالم ، ويقومون على أرض مطار غزة في محاولة لتثبيت الغزاة الغاصبين ، فما أهوننا إن لم نرفع أيدينا إلى الله عز وجل نطلب منه الغوث لأهلنا في غزة ، ونتضرع إليه طلبا للطفه سبحانه بالأجنة في بطون الحوامل ، والصغار في أحضان الأمهات ، والشيوخ في زنازين الصهاينة ، والمصابين والمرضى في عنابر المشافي وغرف الإنعاش .

والثاني : الكشف الإعلامي للحقائق المتعلقة بأسرانا في فلسطين ، أعداداً وأوضاعا ، وأحوالا ، فليزر من يروم نصرة إخوتنا في فلسطين – على سبيل المثال – مواقع الأسرى على الشبكة العالمية ، وليحكِ منها للناس بعض ما يجد من معاناة امرأة أو طفل أسير أو شيخ قد بلغ من الكبر عتيا ! أو مولود فلسطيني ولد أسيرا في عنابر

السجون الصهيونية الظالمة ! فربما رقّ مؤمن فانتصر بالدعاء الذي قد لا يرد ، أو اطلع ذو مالٍ فاتقى الله في ماله وبذل ، أو قرأ خصم فارعوى ورجع ، أو بلغ من هو أوعى من قارئ . ومثله كشف الحقائق المتعلقة باللاجئين الذين يحل محلهم ظلما وعدوانا قطعان المستوطنين في المغتصبات الصهيونية الظالمة .

الثالث : إبراز كل ما يتعلق بجهود المقاطعة الشعبية وأسبابها المشروعة ، من خلال مواقع المقاطعة الشعبية للكيان الصهيوني على الشبكة العالمية وغيرها ، ومنها مواقع عديدة معروفة ومليئة بالحقائق الميدانية ، والمزيد من الأفكار العملية المشروعة التي تحتاج إلى مزيد تفعيل ، لتساهم في بقاء القضية الإسلامية حية في نفوس الأمة ، وتوعية الرأي العام العالمي بها من خلال عرض كل جديد وتوضيحه مدعما بالوثائق والأدلة . وعدم نسيان الحقائق المتعلقة بالجهود الصهيونية في محاولة هدم المسجد الأقصى ، وما يجري منهم تحته من أعمال حفر وتنقيب ، وخلخلة لمبانيه ، وامتهان لأرضه ، وتهديد بذلك على أيدي العصابات الصهيونية شديدة التطرف ، وكذا محاولاتهم السيئة في تغيير التركيبة السكانية في القدس المحتلة .

الرابع : كشف خطوات التطبيع الظالم ، والإفادة في ذلك من إحصائيات المواقع الموثوقة التي أنشأتها المؤسسات الإسلامية والعربية في البلاد التي تضرر أهلها من التطبيع ، ولم يجنوا منه غير الفساد في الاقتصاد والزرع والنسل ، وتيسير الاختراق الصهيوني للبلاد العربية والإسلامية ومؤسساتها الحيوية المهمة . ولنلق الضوء على خطوات التطبيع الإعلامي ، كترداد الأسماء والمصطلحات العبرية ، مثل : (حاجز إيريز) بدل معبر بيت حانون ؛ و(حائط المبكى) بدل حائط البراق ؛ و(إيلات) بدل أم الرشراش ، و(أشكيلون) بدل عسقلان ، و(تل أبيب) بدل تل الربيع .. و (الأراضي الفلسطينية) بدل فلسطين ، إقرارا ضمنيا بأنَّ ما تبقى حق ليهود ! و (إسرائيل) للإشارة للكيان اليهودي الصهيوني المحتل أو للأراضي المحتلة عام 1948م ، والإيحاء بأنَّ هذا الجزء المحتل صار حقاً ليهود ، لا يجوز حتى التفاوض عليه ، بخلاف الأراضي المحتلة عام 1967م فلا زالت تستحق أن يُتفاوض عليها !(ينظر للمزيد : مصطلحات يهودية احذروها – مركز بيت المقدس) .

الخامس : المساهمة في إيصال طلبات أُسَرِ الأسرى الفلسطينيين وما يعانيه المأسورون ، إلى منظمات حقوق الإنسان فإنَّ الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر كما في الصحيح ، ومطالبة هذه المنظمات بالمزيد من الجهود في سبيل إحسان معاملة الأسرى وإطلاق سراحهم ، بيانا للحقيقة ، ومحاولة في التأثير على الرأي العام العالمي ، وقطعا للطريق على تباكي الصهاينة أمامها واستعطافهم لها من خلال قضايا نادرة أو مختلقة أو مدعومة بحبل من الناس . وفي هذا مساندة للجهود الرسمية المخلصة ، كالذي جرى في مجلس حقوق الإنسان في الأيام الماضية القريبة ، حين تمكنت الدول العربية والإسلامية الأعضاء فيه من تمرير قرار يؤكد إعادة طرح موضوع الانتهاكات في الأراضي العربية المحتلة على المجلس في المستقبل ، وتنظيم دورة خاصة حول الموضوع ، من خلال التصويت الذي حسم الموقف بعد تباكي اليهود وأعوانهم ، وقد اعترفت سويسرا موطن اتفاقيات جنيف بانتهاك الكيان الصهيوني للقانون الإنساني بإنزال"عقاب جماعي" بالفلسطينيين في غزة ، مع أنها صوتت ضد القرار السابق .

هذه أمثلة لبعض الأمور التي يمكننا أن نقوم بها دون عناء بصورة مشروعة مأمونة .

نسأل الله عز وجل أن ينصر الإسلام والمسلمين ، وأن يوفق ولاة أمور المسلمين للقيام بكل ما يطيقون من جهد في نصرة الحق وأهله ، ورفع الظلم عن إخواننا المسلمين في كل مكان .

هذا والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله .

=============

آهات الطبيبات ..بين أروقة المستشفيات

حدث :

فالبرغم من الصعوبات والعقبات التي واجهتها في بعض تلك القطاعات إلا أنها أثبتت جدارتها وأهميتها بالمجتمع ، ولم تستلم لأية صعوبة مهما كانت شدتها .

ومن هذه القطاعات التي برزت فيها المرأة السعودية ((القطاع الطبي)) وتقدمت فيه بشكل واضح ولأهمية وجود الكادر النسائي في هذا القطاع الحيوي الإنساني ..

فردت ((المتميزة . عدد 40)) صفحاتها للعاملات في هذا القطاع الحيوي ليبثثن معاناتهن ويوضحن الصعوبات التي تعترض طريقهن .. ثم الشروع من خلال المختصين والعلماء الربانيين بالحلول الناجحة – بإذن الله– للمرحلة القادمة .. إن شاء الله .

تقرير:

ما بين شرف المهنة والتحديات ..

التقينا بعدد لا بأس به ممن يشغلن وظائف بالقطاع الطبي أو سبق أن عملن به فكان أن تحدثت كل واحدة منهن بكل صعوبة واجهتها أو ما زالت تواجهها ، والتي تحد من إنجازاتها واستمرارها بهذا المجال الهام .. بداية كان لنا لقاء منيرة محمد – طبيبة عامة في إحدى المستشفيات الحكومية بالرياض – تحدثت معنا عن معاناتها وفي عينيها تساؤلات كثيرة ، حيث قالت : مع أن نظرة المجتمع للمرأة العامة بالقطاع الطبي بشكل عام ، والطبية بشكل خاص في تحسن واضح إلا أن فرص الزواج منها لا تزال قليلة مقارنة بالموظفات الأخريات في المجالات الأخرى ((وتضيف)) دائماً أوجه لنفسي تساؤلات كثيرة عن سبب عزوف بعض الرجال أو بالأصح أغلبهم عن الزواج من الطبيبة !!

فأنا مثلاً بلغت سن الأربعين ولم يتقدم لي أحدى سوى نادراً ولم يكتب الله لي النصيب !!

وتشاركها زميلتها نهي عبد الله – طبيبة العيون – حيث تقول : على الرغم من أننا في القرن الواحد والعشرين إلا أننا نرى أعداداً لا بأس من المعارضين لالتحاق المرأة السعودية بالطب ، فمثلاً أنا ما زلت أذوق الأمرين من نظرة أقاربي لي بأنني فتاة متمردة لا تستحق الاحترام !! وأضافت قائلة : ومن المشاكل كذلك التي تعانيها الطبيبة بشكل عام ساعات الدوام الطويلة ، وكثرة المناوبات .. وتتفق معها طبيبة الأسنان نادية محمد حيث تقول : بالفعل والله إن ساعات الدوام طويلة جداً جداً ، والمناوبات كثيرة أيضاً وذلك يؤثر على أسرتي وأبنائي وتلبية احتياجاتهم

وتضيف .. لو كان هناك مراعاة وتقدير لطبيعة المرأة وظروفها ، وأنها أم وزوجة لما عشنا الأمرين ما بين حبنا لمهنتنا ، وما بين القيام بواجباتنا الأسرية .

كما التقينا بالممرضة التي رمزت لاسمها بـ (ن. ل) . فتحدثت لنا قائلة : الزواج ومهنة التمريض خيارين يرى مجتمعي أنه يجب علي اختيار أحدهما ، وليس من حقي الجمع بينهما !! هذا ما ابتدأت به حديثها معنا وأضافت : لا أعلم لماذا كثير من الناس ينظرون للممرضة السعودية نظرة ازدراء ، ويعممون حكمهم بأن كل ممرضة ، أو بالأصح كل من تعمل بالمستشفيات فتاة منحلة أخلاقياً ، ولا تحافظ على حجابها ، فأنا مثلاً ولله الحمد محافظة على حجابي وأحاول قدر استطاعتي أن لا أختلط بالرجال كثيراً ، وأختصر أكثر تعاملي مع النساء اللاتي من المؤكد يفضلن الممرضة على الممرض .

أغيثونا من داء الاختلاط

لا يغفل عاقل عن الآثار السلبية الناتجة من الاختلاط .. ((إنّه داء عضال أغيثونا)) هذا ما ابتدأت به سارة السعد حديثها وهي موظفة سابقة في إحدى المستشفيات بالرياض .

وأضافت : لولا ما كنت أعاني من الاختلاط بالرجال لما تركت وظيفتي رغم حاجتي لها ، فقد واجهت عدة مضايقات سواء من الموظفين ، أو من المرضى – هداهم الله – لذا فضلت ترك العمل خوفاً على نفسي من الفتنة.

أما منى العتيبي – مترجمة في إحدى المستشفيات بالرياض – فتقول : هناك عدة مشاكل تواجهها المرأة العاملة بالقطاع الطبي بشكل عام وأواجهها أنا بشكل خاص وهي :

– طول فترة الدوام فتسع ساعات طويلة جداً بحيث لا يبقى وقت للعلاقات الأسرية أو حتى التواصل مع عائلتي إلا بشكل قليل .

– الاختلاط وإن قل .

– النظرة السلبية من المجتمع للمرأة العاملة في مجال مختلط .

– انعدام الأمان الوظيفي ((بالنسبة لي خوفاً من انتهاء العقد)) .

– نظام الشركات التي تهضم حق الموظفة من حيث التقاعد ، الإجازات ساعات العمل .

– المواصلات وما أدراك ما المواصلات .

– كما التقينا بهدى ناصر كانت طالبة في كلية الطب ثم تركتها .. سألناها عن سبب عدم مواصلتها رغم شغفها منذ صغرها بالالتحاق بالطب حيث قالت : كنت أحلم منذ صغري بأن أكون طبية أطفال ولتفوقي الدراسي وحصولي على نسبة عالية أهليتي للالتحاق بكلية الطب ، ولتحمسي الشديد لم أعير اهتماماً بأنني سأختلط بالرجال كثيراً سوءاً أثناء دراستي أو حتى بعد التخرج والالتحاق بالعمل ، لكن عند ما وصلت لمرحلة التطبيق العملي وبدأت أخالط الرجال ، بدأ ينتابني شيء من الخوف خاصة عند ما أرى بعض زميلاتي يتسابقن ليحزن على إعجاب زملائنا الطلبة والأساتذة ، فخفت على نفسي من أن أتبع هواي وأتنازل عن حجابي ، لذا قررت وبكل حزم أن أقطع طريق مواصلتي للتخصص الذي أحبه – محتسبة الأجر عند الله – وألتحق بتخصص آخر ، وها أنا الآن أدرس بجامعة الإمام ..

وللرجال رأي

وعن سبب عزوف بعض الرجال من الزواج بالطبيبة أو من يعملن بالقطاع الطبي قال فهد القحطاني :

هناك سببين برأيي أديا إلى عزوف بعض الرجال من الزواج بالطبيبة وهما : تعالي بعض الطبيبات على بعض المتقدمين لهن خاصة إذا كانوا أقل منهن من ناحية المستوى التعليمي والوظيفي ، فأنا مثلاً تقدمت لواحدة من قريباتي تعمل طبيبة ورفضتني لأن شاهدتي ثانوية !!

والسبب الآخر يرجع لأوقات الدوام وطول ساعات العمل .

ويوافقه الرأي خالد ناصر حيث قال : أرى أن ساعات الدوام بالنسبة للطبيبة طويلة جداً مقارنة بالموظفات اللاتي يعملن في قطاعات أخرى ، لذا يفضل بعض الرجال اختيار من كانت ساعات عملها مناسبة ، حيث تستطيع أن توفق بين عملها وبيتها .

أما تركي إبراهيم فيقول : في رأيي أن السبب يرجع إلى خوف الرجل من الشعور بالدونية وعدم الإمساك بزمام الأمور ، وخشيته كذلك من تعاليها عليه خاصة عند ما يرزق بأبناء سيجد صعوبة من إنهاء العلاقة خوفاً عليهم من التشتت ، فيضطر إلى التنازل عن موقعه داخل المنزل من أجل استمرار الحياة .

ويقول عبد العزيز عبد الله .. رغم قناعتي بالدور الهام الذي تقوم به كل طبيبة وممرضة إلا أنني لا أفضل الارتباط بمن تعمل بالقطاع الطبي وعن السبب قال : لأن غيرتي لا تسمح لي بأن أرى زوجتي تخالط الرجال .. وأضاف : لا أعلم لماذا لا تخصص وزارة الصحة مستشفيات خاصة بالرجال وأخرى خاصة للنساء.؟ مع أن دولتنا تسعى جاهدة لتوفير سبل الراحة لمواطنيها .

نظرة المجتمع ومدى تغيرها

في السابق كان المجتمع ينظر لكل من تعمل بالقطاع الطبي نظرة دونية قاصرة ، مهما كانت مكانتها لكونها تعمل في مكان مختلط مع الرجال ، أو لعدم ثقتهم بإمكانيات المرأة .. ترى هل ما زالت تلك النظرة موجودة في عصرنا .. عصر العولمة أم أنها زالت ؟

سؤال طرحناه على الدكتور سليمان الغديان – الأخصائي النفسي – حيث أجاب قائلاً : في تصوري أن نظرة المجتمع تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ينظر إلى المرأة العاملة في المستشفيات نظرة تقدير واحترام لأنها اتجهت إلى هذا المجال لخدمة دينها ، ووطنها ، عن طريق مساعدة وعلاج بنات وطنها ، والاستغناء عن الأجنبيات ، وهذه النظرة برأيي تمثل شريحة كبيرة من المجتمع .

أما القسم الثاني : فينظرون للمرأة العاملة بالقطاع الطبي نظرة سلبية وهم قلة من أفراد المجتمع .

كما طرحانا تساؤلنا على الأستاذة هدى بخاري – الأخصائية الاجتماعية – وأجابت قائلة :

أصبح هناك تفهماً ووعياً أكثر من المجتمع على مختلف شرائحه بطبيعة دور المرأة التي تعمل في المجال الطبي ، فلم يعد يُنظر لمن تعمل في هذا المجال نظرة دونية كما في السابق ، وذلك لأن المرأة أصحبت تحقق نتائج مبهرة ، وأثبتت كفاءتها ، وحسن أدائها ، مع عدم التفريق بكونها امرأة والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع ، مما أدى إلى ثقة الأسرة والمجتمع بالمرأة العامة في المجال الطبي .

وتحدثت معنا الدكتور بدرية الدبل – أستاذ مشارك واستشارية في طب الأسرة والمجتمع – قائلة :

أعتقد أن هناك تغير واضح في نظرة المجتمع للمرأة العاملة بالقطاع الطبي ، ففي السابق كان عدد الطبيبات السعوديات في المجتمع قليلاً ولم يألف المجتمع خروج المرأة للعمل في هذا القاطع ، ولكن في الوقت الحاضر ازداد أعداد الطبيبات ، على جانب أنهن أثبتن جدارتهن في معظم التخصصات ، بل البعض منهن قد تميزن في مجال تخصصهن ، ليس على مستوى المملكة فقط بل قد تعدى حدود الوطن .

ساعات الدوام

لأن طول ساعات الدوام من أبرز المشاكل التي تواجهها كل امرأة تعمل بالقطاع الطبي . وهي مشكلة تحد من قدراتها على التواصل مع مجتمعها ، والتوفيق بين متطلبات عملها وأسرتها .. ناقشنا الآثار النفسية والاجتماعية ، والحلول التي يمكن طرحها لمعالجة هذه المشكلة مع نخبة من المتخصصين في هذا المجال ..

فابتدأنا الحديث مع الدكتور الغديان عن آثار طوال ساعات الدوام النفسية على المرأة العاملة بالقطاع الطبي فتحدث إلينا قائلاً :

إن من أكثر الآثار النفسية شيوعاً لدى المرأة في المجال الصحي .

القلق والاكتئاب والوساوس ، والسبب الرئيسي لهذه الاضطرابات يعود على عدم قدرة المرأة على إيجاد التوازن بين احتياجاتها ومتطلباتها الخاصة والأسرية وبين متطلبات العمل .

ومع استمرار هذه الآثار النفسية على المرأة تظهر آثارها على الجسد ، وذلك على شكل اضطرابات سيكوسماتيه ، مثل الصداع النفسي ، القولون العصبي ، قرحة المعدة .

التأثير الاجتماعي فيضيف الدكتور سليمان قائلاً :

إن أبرز أثر من آثار طول ساعات الدوام يظهر في انعزال المرأة العاملة في القطاع الصحي عن المجتمع ، ويتضح ذلك في قلة علاقتها بأقاربها مما يجعلها تفقد تواصل الآخرين معها بسبب انعزالها عنهم .

وتضيف الأستاذة هدى حول طول فترات الدوام لمن تعمل بالقطاع الطبي قائلة :

إن الأنظمة واللوائح المشرعة للعمل عند ما وضعت لم يكن يتجاوز عدد العاملات أصابع اليد واليوم العدد كبير جداً ؛ لذا لا بد أن يعاد النظر في كثير من الأنظمة المشرعة لعمل المرأة ليس على مستوى الدوام وعدد ساعاته فقط ، بل في نوحي أخرى كساعات الرضاعة والالتزامات الأسرية ، وما يناط بها من دور في تربية الأبناء .

وتضيف أيضاً .. إن تعد الفرص الوظيفية قليلة ، وتكاد تكون محصورة في مجال التعليم – وهو الغالب – والمجال الطبي الذي يتطلب نوعاً من الخصوصية من حيث عدد الساعات ، أو المناوبات حتى يتسنى لمن يعملن التوفيق بين متطلبات عملهن ومتطلبات أسرهن .

وتوافقها الدكتور – نهى طبيبة العيون – قائلة : إن الحل للحد من مشكلة طول ساعات الدوام يتمثل في زيادة عدد العاملات بالقطاع الطبي ، ومن ثم التقليل من ساعات الدوام والمناوبات ، فبدل من أن تكون 9 ساعات تكون 6 ساعات .

وتضيف : فلو تم زيادة عدد العاملات سواء من طبيبات ، أو ممرضات ، أو إداريات ، لن يؤثر ذلك في تكديس عدد كبير من المراجعين والمرضى عند ما يقلل من ساعات الدوام .

وكم أتمنى من المسئولين مراعاة طبيعة المرأة ، واحتياجاتها ، وظروفها والوقوف على كل مشكلة تحد من عطائها وراحتها .

داء خطير بين أروقة المستشفيات

ولأن الاختلاط هو أكبر داء في عالم الطب كان معه وقفات ...

ابتداء برأي الشرع ومروراً بآثاره ، وانتهاءً بحلول لعلاجه .

وعن رأي الشرع قال الشيخ الدكتور يوسف الأحمد :

هناك أدلة واضحة في القرآن والسنة تدل على حرمة الاختلاط منها :

قوله تعالى : ((وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)) ((والأحزاب : 53)) .

ومن السنة حديث عقبة بن عامر أن رسول الله r قال : ((إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو .. قال : الحمو الموت)) متفق عليه .

وما يحدث في المستشفيات من اختلاط، مخالفة صريحة لتحذير النبي r .

وحديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان)) وحديث ابن عمر قال : قال رسول الله r)) لو تركنا هذا الباب للنساء)) قال نافع فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن دخول الرجال على النساء ، وفي المسجد لا يجوز للمرأة أن تؤم الرجال ، ولا تؤذن لهم ولا تقيم .

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم صفوف الرجال في الأمام وصفوف النساء في الخلف ، ونظم الخروج من المسجد ، يخرج النساء أولاً بعد السلام مباشرة قبل قيام الإمام ، وما كان الناس يقومون حتى يقوم النبي r ، بل كان النساء ينصرفن فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف الرسول عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم .

ولما حصل الاختلاط مرة في الطريق نهى عنه النبي r وبين كيف يكون الحال إذا تقابل رجال ونساء في الطريق ، وأن النساء يكون لهن حافات الطريق ، وخصص عليه الصلاة والسلام باباً للنساء في المسجد .

وأضاف .. ولنلاحظ أن هذا كان في الإتيان للمساجد ، وفي زمن النبي r والصحابة ، والنساء في غاية الحشمة والحجاب ، وهذه بعضاً من الأدلة الظاهرة على حرمة الاختلاط لمن تجرد في ابتغاء الحق ، وللأسف أصحاب الهوى لا ينفعهم شيء .

سلبيات لا يغفل عنها إلا مكابر

وعن الآثار السلبية للاختلاط قال : الدكتور سليمان الغديان . ..

إن الاختلاط بين الرجال والنساء في ميدان العمل له آثاراً سلبية كبيرة سواء كان ذلك على الشخص ذاته ، أو العمل لا يغفل عنا إلا مكابر أو جاهل ، ومن أهم هذه السلبيات هي مشكلة التحرش الجنسي ، ويظهر التحرش من خلال ثلاث صور :

1- تحرش لفظي : حيث يستخدم عبارات غير لائقة لها دلالات جنسية .

2- تحرش فعلي : نتيجة للاحتكاك المباشر بين الجنسين الرجل والمرأة في ميدان العمل .

3- الاغتصاب : وهو وقوع الفعل الجنسي .

وأضاف .. إن مشكلة التحرش الجنسي من أهم المشاكل التي تواجه المؤسسات التي يتم فيها الاختلاط ، وهناك دراسات ليست من المجتمع الإسلامي بل من المجتمع الغربي كذلك تؤكد خطورة الاختلاط الذي ينبع منه مشكلة التحرش الجنسي ، حيث تشير الدراسات الأمريكية إلى أن التحرش الجنسي هي المشكلة الأساسية للعاملين في مجال التمريض التي تتعرض له الممرضات من الأطباء 88.5% ، زملاء العمل 83.% المرضى 75% ، والزوار 73% .

ويوافقه بذلك الشيخ الأحمد حيث قال : هناك عدة آثار سلبية نتجت عن الاختلاط أهمها التحرش الجنسي بالطبيبات والعاملات والمريضات ،وقد أخبرني بذلك عدد من الاستشاريين والإداريين في مستشفيات مختلفة .

وقد سمعت منهم قصصاً يشيب لها الرأس ويتفطر لها قلب المؤمن .

وأضاف .. إن المجتمعات الغربية تئن بسبب كثرة حمل السفاح وكثرة الإجهاض والأرقام والدراسات لمعدل الاغتصاب والتحرش في الغرب لا تنقطع الصحف والمجلات عن ذكرها ، وكل ذلك بسبب الاختلاط .

ويضيف : ومن آثار الاختلاط كذلك الوقوع في التبرج من بعض النساء ، وعدم التزامها بالحجاب الساتر فالمرأة ضعيفة يستشرفها الشيطان إذا خرجت بين الرجال كما أخبر بذلك النبي r .

الحلول .. وأمنيات التطبيق

وحول ما إذا كان هناك إمكانية القضاء على الاختلاط أو حتى التقليل من مخاطره قال الشيخ الدكتور يوسف :

هناك حلول أطرحها على المتفائلين بتغيير الوضع في المستشفيات وهي أن يكون التصحيح على مرحلتين :

المرحلة الأولى : على المدى القريب .

المرحلة الثانية : على المدى البعيد .

أما المدى البعيد فهو ما نادى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومن قبله سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، كذلك ، وهو إيجاد مستشفى خاص بالنساء وآخر بالرجال ويبدأ ذلك من دراسة الطب فيكون هناك كلية خاصة للنساء وأخرى للرجال ، ومستشفى تعليمي للنساء وآخر للرجال .

أما عن الحل الذي يكون على المدى القريب فيكون بأمور :

أولاً : وجود القناعة الشرعية بحرمة الاختلاط بالأدلة الشرعية ، وتكرار الوعي فيه بين العاملين في الميدان الطبي وغيرهم .

ثانياً : أن يقوم ببيان ذلك للأطباء وطلاب الطب فلا بد أن يسمع طالب الطب من أستاذه الصالح عن حرمة الاختلاط ، وأن هذا الواقع لا بد من إصلاحه ، وهذه أفضل طريقة لتخلص طلاب الطب من عقدة الانهزامية في طرح القضايا الشرعية ، نظرياً أو عملياً كموضوع منع الاختلاط ، وحفظ العورات .

ثالثاً : التدرج في منع الاختلاط :

إن الأطباء يحتاجون أن يتدرجوا مع أنفسهم في منع الاختلاط لطول ما نشأوا عليه ، لذا من الأفضل على الأطباء الأخيار أن يضعوا تخطيطاً متدرجاً حتى يتقبله الكثير من الأطباء والعاملين بشكل عام بالقطاع الطبي

وعن كيفية التدرج في منع الاختلاط قال الأحمد :

هناك أمور يسهل منع الاختلاط فيها فعلى سبيل المثال الدروس النظرية التي يقدمها أساتذة الطب للطالبات ، واجتماعات الأقسام اليومية أو الدورية أو المحاضرات الطبية ، تكون من خلال شبكة ولا أعلم ما المانع أن تكون من وراء حجاب كما أمر الله تعالى !!

و من الأمور اليسيرة كذلك التي يسهل منع الاختلاط بها :

قسم العمليات فلو يتم تخصيص غرف للمريضات ، وأخرى للرجال ، والغرف الخاصة بالنساء لا يدخلها إلا نساء من طبيبات وفنيات وممرضات وما دعت إليه الضرورة من الرجال .

ومن التدرج أيضاً إلزام الطبيبات والفنيات والممرضات المسلمات وغير المسلمات بلباس ساتر وموحد في لونه وصفته ، وأن يكون التزامها بذلك في تقويمها الإداري أو الدراسي إن كانت طالبة .

وهذا كله كما بينت على سبيل التدرج وليس هو الأمر المنشور .

رابعاً : السعي في إنشاء كليات طب النساء والولادة كما هو الحال في كليات طب الأسنان ، وقد طبق في اليابان هذا النظام حيث بلغت كليات طب النساء والولادة سبعة عشر كلية ولا يدخلها إلا الطالبات فقط .

خامساً : الانتفاع بفتاوى أهل العلم ونشرها بين طلاب الطب والعاملين في المستشفيات .

سادساً : الانتفاع بالتعاميم الإدارية الصادرة من وزارة الصحة والكليات الطبية وهي كثيرة ولله الحمد وعلى رأسها تعميم رئيس مجلس الوزراء وفقه الله رقم 8/759 في 1420/10/5 هـ المتضمن اعتماد منع الاختلاط بين النساء والرجال في الإدارات الحكومية ، أو غيرها من المؤسسات العامة أو الخاصة ، أو الشركات ، أو المهن ونحوها ، ومحاسبة المخالف كرامة للأمة وإبعاداً لها عن أسباب الفتن والشرور كما في نص التعميم .

===============

المبادرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ..

إخوةَّ الإسلام (المبادرة) لفظٌ جميل ، ومعنى عظيم توحي بالجديةَّ ، وتشعر بالعزيمة ، وتنبيءُ عن علوّ الهمة والمتأملُ في كتاب اللهِ وفي السُّنة النبوية يجد (المبادرة) أو ما يماثلها وتقاربها من الألفاظ (كالمسارعة ، والمسابقة) كثيرةً ، ولكن (المسارعة) في القرآن أكثر و (المبادرة) في الحديث أكثر ، أما (المسابقة) فقد وردت فيهما على السواء (نظرة النعيم 8 / 3388) .

وأهل اللغةِ يقولون : المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه (لسان العرب 8 / 151) .

وقد تجتمع لفظةُ (المسارعة) و(المسابقة) في آيةٍ واحدة ويوصف بذلك أصحاب الإيمان والخشية كما في قوله تعالى : ((أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)) (سورة المؤمنون :61) .

فما الفرقُ هنا بين المسارعة والمسابقة ؟

قال المفسرون : يسارعون أي يسابقون مَنْ سابقهم إليها ، ومعنى : (سابقون) السبقُّ إلى أوقاتِها ، وكلَّ من تقدم في شيء فهو سابقُ إليه (تفسير القرطبي 12 : 133) (نظرة النعيم 8 :3394) .

أيها المسلمون المبادرة والمسارعة إلى الخيرات أمرٌ دعى إليه القرآن، وحثَّ عليه الإسلام قال تعالى : ((فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ)) (سورة البقرة :148) ، ((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)) (سورة آل عمران : 133) .

وفي ذلك حثٌّ واستعجال على جميع الطاعات (القرطبي 4 / 203)

وقال عليه الصلاة والسلام : ((بادروا بالأعمال)) , ((والتؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة)) صححه الحاكم ووافقه الذهبي)

فكيف حالُنا مع المبادرة ؟ وكيف كان حالُ أسلافنا ؟

لماذا يعترينا الضعفُ أحياناً في المبادرة ؟ وما هي الأمورُ المعينةُ على المبادرة ؟

لقد شهد تاريخُنا المجيد ألواناً من المبادرات الخيّرة ودلل أسلافنا على أنهم أهلُ مبادراتٍ ومسارعةٍ إلى الخيرات

وهذا محمدٌ r صاحبُ المبادرات وإمامُ المسارعين للخيرات .. ومن يقرأُ سيرتَه يقف على الكثير من المبادرات لم يتوقف عنها في العهد المكي مع شدة وطأة الكفار وألوان المطاردة والحصار .. وها هو يدعو الخلق إلى الإسلام وهو محصورٌ في الشَّعب .. ويفتح الفرص لأصحابه للدعوة حتى ولو كان خارج إطارِ مكة .. والهجرتان إلى الحبشة نماذجُ عالية للمبادرة والدعوة .. أما دعوتُه العربَ r في المواسم .. ثم ذهابه إلى الطائف لدعوة ثقيف فكلُّ ذلك أدلةٌ واضحة على قيمة المبادرة) في السيرة ثم كانت الهجرة للمدينة وما استتبعها من جهادٍ ودعوة مرحلةً متميزةً في المبادرات النبوية .

أجل لقد بادر وحيَّد اليهود بمعاهداتٍ شرقوا بها حتى نقضوها .. وبادر إلى بعث البعوث التعليمية والدعوية في المدينة وما جاورها ، ومهما نزل بالمسلمين من مصائب وابتلاءات لهذه البعوث والمعارك فقد أدت هذه المبادراتُ دورَها وطار صيتُ الإسلام في أرض العرب كلِّها .. بل تجاوزت مبادراتُ الرسول r أرض العربِ لتصل إلى أرض الروم وفارس يوم أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم الرُسل وكتب الكتب لملوك الأرض يدعوهم إلى الله ويشرحُ لهم الإسلام ولم ينس قريشاً إذ بادرها بالحديبية ، وفتح مكة ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً .

وفي فترةٍ وجيزة من الزمن تغيرت الحياة في الجزيرة .. وبدأ العدُّ التنازلي للأمم المسيطرةِ حينها .. ولم يمت رسول الله r حتى أرسل سرية (مؤتة) إلى أرض الروم .. وبلغت دعوته كِسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وهرقل .. ومن يدينُ بدينهم أو يتبعُ لسلطانِهم .. ثم كان صحابته رضوان الله عليه من بعده (مسارعين ومبادرين) وكان حركة الفتح الإسلامي وأعدادُ الداخلين في الإسلام شاهداً حياً على هذه المبادرة .

وهكذا استمر المسلمون بعدهم يدعون ويُعلمون ويُسيَّرون الجيوش حتى بلغ الإسلامُ شأواً بعيداً ، ودخل العربُ والعجمُ في دين الله أفواجاً .

إن المتأمل في مبادرات المسلمين يرى أنها لم تكن قصراً على القادة بل شملت القاعدة ، ولم تكن خاصةً بالكبار بل شارك فيها الشباب ، ولم يتخل الضعفاء المعذورون بل شاركوا الأقوياء .. وكان للمرأة نصيبُها من المبادرة ولم تكن قصراً على الرجال ، وإن مجتمعاً يُشارك جميع أفراده بالمبادرات الخيرة لمجتمعٌ خليق بالتقدير والبقاء .. ودونكم هذه النماذج للمبادرات .

فأبو بكر صِّديقُ الأمة ، وصاحبُ المبادرات في كل ميدان في الصدقة والجهاد ، والصوم والصلاة ، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله r يقول : ((من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خيرٌ ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقةِ دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهلِ الصيام دُعي من باب الصيام

وباب الريان فقال أبو بكر : ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة وقال : هل يُدعى منها كلِّها أحدٌ يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر)) (الصحيح ح 3666 ، الفتح 7 /19) .

إنها مبادرةٌ وطموح ، وهمَّةٌ عالية تدعو أبا بكر للتفكير في الإسهام في مجالات الخير كلَّها ، وإنما تجتمع أعمالُ البرِّ وأنواع المبادرات في عظائم الرجال كأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وفي صحيح البخاري (كذلك) قال النبي r : ((من يحْفرُ بئر رُومة فله الجنة)) فحفرها عثمان رضي الله عنه ، وقال :((من جهَّز جيش العسرة فله الجنة)) فجهزه عثمان رضي الله عنه (الفتح 7 / 52)

أجل لقد ورد أن عثمان رضي الله عنه اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم فجعلها للمسلمين ، وأن عثمان رضي الله عنه جهز المسلمين بثلاثمائة بعير وفي رواية أنه جاء بألف دينار في ثوبه فصبَّها في حجر النبي r حين جهز جيش العسرة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ما على عثمان مِن عملٍ بعد اليوم)) (الفتح 7 / 408) أو ((ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم)) .

للهِ درك يا عثمان وكذلك فالتكن المبادرات في خدمة الإسلام والمسلمين .

على أن المبادرات لا ترتبط بالغنى والجاه ، وليست قصراً على الأكابر والمشهورين ، بل يصنعها الشباب وإن كان شهرتهم أقلَّ من غيرهم .. ودونكم هذه المبادرة الطموحة .. فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : إني لواقفٌ يوم بدر في الصف ، فنظراتُ عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانهما فتمنيتُ أن أكون بين أضلعَ منهما (أقوى) فغمزني أحُدهما فقال يا عمَّ أتعرفُ أبا جهل ؟ فقلتُ : نعم ، وما حاجُتك إليه ؟ قال : أُخبرتُ أنه يسبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموتُ الأعجلُ منا ، فتعجبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ وهو يجول في الناس ، فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحُبكم الذي تسألان عنه ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه .. الحديث (البداية والنهاية 3 / 316) .

تأملوا في همّةِ هذين الشابين وطموحهما ونجاحتهما في مبادرتهما ، وإذا كانت تلك همة شباب هذا الجيل وغلمانهم فلا تسأل عمن فوقهم .

ويكفيك أن تعلم أن من هِمم أصحاب الأعذار وأولي الضرر ما يكشف عن مبادرات القوم ... وهذا عمرو بن الجموح يُصرُّ على أن يطأ بعرجته الجنة فيستأذن الرسول r في الجهاد في (أحد) فيأذن له فيُقاتل ثم يكون في عداد الشهداء .

وابن أم مكتوم الأعمى يُصر على أن يحمل راية المسلمين غازياً معهم ويقول : ادفعوا إليَّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفرَّ وأقيموني بين الصفين (سير أعلام النبلاء 1 / 364) .

وبقي أن تعلم من همم النساء ومبادراتهن أن منهن من أسلمت في ظروف المحنة والشدة بمكة ، وثبتت على إسلامها ،بل هاجرت إلى المدينة ولم يستطع أهلُها أن يردوها كما صنعت أمُّ كلثوم بنتُ عقبة بن معيط رضي الله عنها وفيها وأمثالها نزل قول الله تعالى : ((فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ)) (سورة الممتحنة / 10) (سير أعلام النبلاء 2 / 276) .

ومنهن من تطلعت إلى الجهاد على ثبج البحر فاستشهدت حيث طلبت كأمِّ حرام حين غزت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فصرعتها دابتُها فدقت عنقها وذلك في غزوة قبرص زمن عثمان رضي الله عنه (سير أعلام النبلاء 2 / 316) .

وكانت من قبل قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدثها عن قوم يركبون البحر غُزاةً في سبيل الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال ((أنت من الأولين)) فكانت منهم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ((وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا)) (سورة البقرة / 148) .

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان لا حصر لمبادرات المسلمين على امتدادِ تاريخهم حتى أصبحت هذه المبادراتُ سمةً لهم ولأجيالهم وما عادت المبادراتُ في زمن أسلافنا مبادرات فردية بل كانت صفةً لازمةً للمجتمع والأمة ، ولذا برزَ العلماءُ في شتى الفنون واشتهر عددُ

من قادة الجهاد ولمعت أسماءُ لا تُحصى في الفتوح والثغور، وكثر العُبَّادُ والزهاد ، وانتشر المحتسبون والوعاظ ، وكان المنفقون والمحسنون، ورحل الدعاةُ على كل صقع يحتاج إلى الدعوة والبيان، وكان عزُّ الإسلام هماً للصغير و الكبير والذكر والأنثى والأمير والمأمور .

وإلى زماننا هذا ولا يزال في الأمة خير كثير ، ورغم الحصار والتضييق فلا تزال المبادرات تترى ، وكلما خُيل للأعداءِ أنهم ضيقوا الخناق على الإسلام والمسلمين وإذا بخالقهم يجعل لهم من الضيق مخرجاً ومن المِحن منحا

إلا أن ثمة نفراً من المسلمين خُيل لهم أن فُرص الخير تقلَّصت وأن مساحة المبادرات قلّت وخوفهم الشيطان من مكرِ الأعداء ، وأوهمهم أن الجولة لغيرِهم ، واللهُ يقول : ((إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) (سورة آل عمران/ 175) .

وآخرون من المسلمين ظنوا أنهم يكفيهم أن يعيشوا على مبادرات سلفت لغيرهم ، ونسي هؤلاء أن الزمان يتجدد ، وأن الجديدَ يعتق ، وأن الدعوة تحتاجُ على الدوام إلى متابعةٍ وتجديد ، وأن المبادرات إلى الخيرات لم تتوقف في التاريخ ولا ينبغي أن تتوقف .

إن قيم الإسلام الأساسية، وأصوله الثابتة ليست مجالاً للمزايدة والتطوير .. ولكن الوسائل التي تُبلغ بها هذه الثوابت قابلةُ للتجديد _ حسب ما تقتضيه ظروف الزمان والمكان _ وما لم يُمس أصلُ من أصول الإسلام . فالتحدي قائمٌ في تطوير الأداءِ .. وتجديد ما عتق من الوسائل ، وإذا كنا نرفض منهج الذين يزعمون الإصلاح ويرون أن كلَّ شيء قابلٌ للتجديد _ حتى وإن خالف نصوص الوحيين _ فنحن كذلك نرفض منهج الجمود على القديم حتى وإن كان تحديثاً في الوسائل وتطويراً في الأداء ، ومسايرةً للواقع بما لا يُعارض ثابتاًً في الدين أو نصاً من نصوص الشريعة .

إن الجمودَ وعدمَ معرفة فقه الواقع معوق عن المبادرات الخيرة وإن الجهل بتاريخ الأمم وتجاربهم معوق عن التجديد والمبادرة .

ومعرفةُ هذه التجاربِ وتقويمها والإفادةُ من الصالح منها سبيل ومعينُ على المبادرات النافعة ..

إن من يستقرأ تاريخ المسلمين _ في عصور العزة والتمكين يرى أن هؤلاء تمكنوا من الإفادة من تجارب من سبقهم ، لكنهم احتفظوا بأصالتهم وعزتهم ، فاستفادوا من النظم ، ولم يخضعوا أو يذلوا أو يضعفوا أمام أصحاب هذه النظم إلا حينما ضعفت الأمة ووقع الخلل في رجالها

نعم نحن أمةُ لا ترفض الاستفادة من تجارب وحضارة الأمم الأخرى ، ولكنها تأبى على الذوبان والتأثر ، وكلما كانت الأمة قويةً كلما كانت كذلك ، وأمامنا في التاريخ تجربتان حريتان بالتأمل والدراسة ، كانت الأولى في زمن النبوة والخلافة الراشدة ، حيث حُفر الخندق ودُونت الدواوين ، وبقيت الأمة محافظةً على سمتها متميزةً في منهجها ، مستفيدةً من تجارب غيرها .

ثم كانت التجربة الثانية في زمن المأمون العباسي حيث حركة الترجمة ونقلُ علوم الآخرين .. وحين لم تكن الأمةُ على مستوى التحدي فقد أصابت هذه التجربة الأمة بلوثاتِ فكرية وانحرافاتٍ سلوكية حيث بزغ فجرُ الكلام ، ونجم التشيعُ والاعتزال ، واتسع نطاقُ أهل الأهواء ، ونشأ للناس _ كما يقول الذهبي _ علمٌ جديدٌ مردٍ مهلك لا يُلائم علمُ النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين ، وكانت الأمة في عافية منه .. وامتحن الناس على دينهم .. (تذكرة الحفاظ 1 / 328) .

واليوم يعيش المسلمون مأزقاً صعباً ، حيث يُريد لهم أعداؤهم أن يصلحوا أوضاعهم لكن على منهج لا يستقم مع إسلامهم .. ويُراد لهم أن يتحضروا ولكن الثمن فقدُ هويتهم ، ويُراد لهم أن يغيروا نمط حياتهم ولكن البديل نمطٌ وسلوكياتُ أعدائهم .. إنه تحدٍ لا بد أن ندرك مخاطره وهو يسير باتجاه العولمة الغازية .. ويهيء السبيل لاستعمار العقول والأفكار بعد استعمار البلاد ونهب الثروات ..

ليس يُهم أن يُفرض الإصلاح من الخارج أو من الداخل ، ولكن المهمَّ هو مدى قُرب هذا الإصلاح أو بُعده من شريعة الإسلام .. وليس يعنينا أن يتم التغييرُ في حياتنا على يد (جورج) أو باسم (عبد الله ومحمد) ولكن الذي يعنينا ألا تستهدف القِيمُ بالتغيير .. وألا يُتعرض للثوابت بالنقض والإبرام وأن يصير المنكرُ معروفاً ، والباطل حقاً _ فذلك فهم منكوس للإصلاح ...

إن رياحاً عاتيةً تهبُ على منطقتنا .. بل وعلى عالمنا الإسلامي ولم يعد خافياً أن ثمة مخططاتٍ تطبخ في دهاليز الغرب ويُراد لها أن تطبق على دولنا ومجتمعاتنا .. بل عادت قضايانا مجالاً لمزايدةِ الناخبين في الغرب ، ولم يخفِ الساسة هناك تعاطفهم مع الصهاينة لأن هذا التعاطف مؤثر على أصوات الناخبين ، وسواء كان المرشح يهودياً صرفاً أو متهوداً ..

وبإزاء هذه الأوضاع المتردية والتحالفات المريبة ، والمخططات الظاهرة والخفية ، على المسلمين أن يدركوا حجم الخطر وأن يستعدوا لهذه النوازل وأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يتشاوروا في أمرهم ، وأن لا تكون الشُقة بين الحاكم والمحكوم والعالم والعامي ، وأن يحذروا من يعيشون بين أظهرهم وهواهم مع أسيادهم .

وإذ1 كان الهجوم على المسلمين كاسحاً .. فنصيب أهل السنة منه كبير .. وقد أحاطت بهم المخاطر من كل صوب ، وهم مستهدفون من أكثر من عدو .. وعليهم أن يستعينوا بالله وحده فهو فارج الكربات .. وعليهم أن يُراجعوا أنفسهم ، فما أصابهم من مصيبة فبما كسبت أيديهم .

وعليهم أن يركنوا إلى الله فهو ركن شديد وأن يبادروا بالأعمال الصالحة ، وأن يفكروا على الدوام بالمبادرات النافعة فالماء يئسن إذا ركد، والقافلة تسير ، وعالمُ اليوم يُقدر الأقوياء ويسحق الضعفاء ، وإذا كان الإسلام قوياً في نظمه وتشريعاته فعلى المسلمين أن يكونوا على مستوى إسلامهم ، وألا يهنوا ويحزنوا وهم الأعلون إن كانوا مؤمنين

===============

غزوٌ من الخارج أم من الداخل ؟

لا غرابة أن نرى أو نسمع أو نشاهد شيئاً من عداوة الكفار، تختلف أديانهم وأهدافهم، ولكن المستغرب حقاً أن نُهدد من داخل بيوتنا، وأن تُشن حملات ظالمة وجائرة على ديننا وقيمنا من أبناءِ جلدتنا، وممن ينتسبون إلى إسلامِنا، أولئك لا بد من الحذرِ منهم والوعي بمخططهم وأهدافهم، ومعرفة منطلقاتِهم، والتعرفِ على أساليبهم في المكرِ والمخادعة، ورسم معالم للموقف منهم، وحماية البلاد والعباد من آثارهم، أجل، لقد بليت الأمةُ بالمنافقين في سالِف تاريخها وعزِّ سلطانها، ونجح المسلمون حينها

في كشفِ هؤلاء وتجاوزوا محنتهم، حتى عاد هؤلاء والمنافقون يعتذرون ويحلفون وهم كاذبون، واليوم تتجدد النازلةُ بالمسلمين بهؤلاء، وتتسعُ دائرةُ العداوةِ، ويكثر الإرجافُ والاستهزاء، وتُبلى الأمةُ بهؤلاء المعوِّقين، ويتكرر الموقفُ المسارعُ للكفار، ((فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ)) (المائدة:52).

ويكثرُ اللمزُ بالمطوعين والسخريةُ بهم وبإسلامهم، وهؤلاء الصنفُ من الناس يركبون كلَّ موجة وكلَّ وسيلة تُحقق لهم أهدافَهم، فهم قوميون – مع ضيق عطن القومية– حين يشتد عودُ القومية، ثم تراهم ينقلبون على القومية– ولو كانت في سبيل الدفاع عن الحدود والحرمات – وينسلخون منها كما تنسلخ الحيَّة من جلدها، وربما بلغ بهم التخلي عن (الهوية) حداً مجَّدوا معه الغُزاة ورحبوا بالمستعمرين، أيُعقل هذا من مربي ؟!!

أفا يقبل هذا الترحيب بالمستعمر الكافر من مسلم ؟!!

ولولا كلماتُ القوم ما صدّقنا، وهذا أحد المحسوبين علينا ودون خجل يقول: (إنني من أكثر الناس تفاؤلاً بقدوم أمريكا إلى العراق، وعندي أسبابٌ عديدةٌ، أولها إن أمريكا لم تدخل بلداً إلا وحسَّنت من أوضاعِه، إلى أن يقول: إنني واثقٌ أن أمريكا ستلعب في منطقتنا دورَ المعلمِ الحازم الذي يريد النجاحَ لتلاميذه حتى لو تطلب ذلك درساً قاسياً، إن العالم العربي لن يتغيَّر من تلقاءِ نفسِه، لذلك أقول: أهلاً بالنموذج الأمريكي الحرّ، ((وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)) (البقرة:216) .

جريدة الشرق الأوسط 3 / 4 / 2002 م ، عبد العزيز الدخيل) ..

لست أدري كيف تجرأ الكاتب هذه الجرأة، وكيف تجرأت الشرق الأوسطُ على نقل مقال المسوّق للاستعمار ؟

إننا أمام شريحةٍ في المجتمع غريبةٍ في فِكرها، متطرفةٍ في طرحها، جريئةٍ في استفزازها، ومهما تعددت مُسمياتُ هؤلاء أو اختلف الناسُ في تصنيفهم بين عَلماني وعَصراني ، وعقلاني أو حداثي أو مستغرب، فالمهم أن نعرف انتماءَهم وجذورَهم الفكرية، ومن اعترافاتهم نَدينهم، وحتى لا نتجنى عليهم هذا أحد أصحابِ هذه المدرسةِ يربط بين ثقافتهم وثقافة الغرب وتاريخهم، ويقول: إن الحديث عن حَداثةٍ

عربية مشروطٌ تاريخياً بوجود سابق للحداثة الغربية، وبامتداد قنواتِ للتواصل بين الثقافتين » [القائل : محمد برادة، والمصدر د. عبد الرحمن الزنيدي: العصرانية في حياتنا الاجتماعية ص 27] ..

و(العلمانية) التي يُوصفون بها أحياناً، لا يكتفون بالانتماء إليها، بل ويبلغ الهوسُ بهم وبها حداً يتهمون (القرآن الكريم) بالعلمنة ؟ ويقول قائلهم: إن الدراسة المُعمّقة للقرآن الكريم تُبين أنه عَلماني المنحى، وإنما حوَّله المسلمون إلى وجهة دينية ؟! [القائل : حسن حنفي ، انظر د. الزنيدي : العصرانية ص 44]

وهؤلاء القوم لا يكتفون بالانخداع والمخادعةِ لمنهج التغريب بل يصرون – مع ذلك – على نقد المناهج التي قام عليها التراثُ الإسلامي ويقول أحدُ كُبرائِهم:

« كي نؤمن بفعالية المنهج العلمي الغربي لا بد أن ننقد المناهجَ التي قام عليها التراثُ عند المسلمينَ قيمتَها في دائرة المنهجية القائمةِ اليوم » ؟ [محمد عابد الجابري ، نقل العقل العربي ، د. الزنيدي ، العصرانية ص 44]

إن نظرتَهم تلك للإسلام والقرآن، وارتباطَهم بحضارةِ الغرب وثقافتهِ، وتسويقَهم لفكرهِ وترحيبَهم بغزوه – كلُ ذلك يجعلنا نتبين هويّة القوم وجذورَهم التاريخية، فلا ننخدع بطروحاتِهم الزاعمة للإصلاح، ولا نُغَرَّ بمقدماتِهم القائلة « في ضوء شريعتنا الإسلامية » أو « وفيما لا يتعارض مع ثوابتنا وقيمنا » أو من مثل قولهم « في إطار قيمِ المجتمعِ ومبادئه » إنها عبارات خادعة، وذرٌ للرماد في العيون ، واستغفالٌ للبسطاء !

أجل لا بد أن نعيَ وندرك ونتدارك الأمرَ قبل فواتِ الأوان، ففي مجتمعنا ناقوسُ خطر، وحصونُنا تُهدد من داخلها، وفينا سما عون لهم، بل ومروِّجون لبضاعتهم ومستبشرون بغزوهم، فهل بعد هذا من خطر !!

إنَّ هذه الشريحةَ في مجتمعنا– وإن قلَّ عددُها– لها امتدادٌ خارجي، ولذا تراهم ينشطون أثر حينما يقترب أسيادُهم من بلاد المسلمين، وتراهم يرقصون على الجراح النازفة ويتلذذون بالمآسي النازلة ، وبالتالي فهم لا يهددون هويتنا الإسلامية فحسب، بل ويهددون كياننَا الاجتماعي والسياسي، ويطمع الغرب ويُراهن على استخدام هؤلاء في فرصِ سلسلاتهم في الشرق الأوسط ، فقد ذكر مسؤولٌ في أحد مراكزِ البحث في

(واشنطن) أن المركزَ يعمل لاختيار عددٍ من الشخصيات الإصلاحية، ودعوتها إلى واشنطن للتعاون معها – في سبيل الترويج لمبادرة أمريكا لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط خلال الأشهر القادمة، وأن تلك الشخصيات ستحصل على حمايةٍ ضمنية من خلال حصولها على دعمٍ سياسي وإعلامي سيفرضها على الساحةِ السياسية

(جريدة الحياة) .

وهؤلاء ومرةً أخرى بلا حياءٍ ولا خوفٍ يقولون مستبشرين ومبشرين بالحملة الأمريكية على بلاد المسلمين: « وإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر ومشرقِ العرب، أو الصدمة الأولى قبل قرنين من الزمان تقريباً – قد قدمت العرب للحداثة، وقدمت الحداثة للعرب، فإن الحملة الأمريكية سوف تقدم العرب للعولمة، وتقدم العولمة للعرب على أوسع نطاق »

(تركي الحمد ، الشرق الأوسط) ..

إنهم باختصار خطرٌ يتهددنا من الداخل، وخَطرٌ يُهيئ السبلَ للمستعمر، ويبشرَ ويمهد الطريق للغزو الخارجي، ولا غرابة بعد هذا أن تكون حملاتُهم الشعواءُ ضد مناهِجنا الدراسية، ومطالباتُهم المتكررة بالتغيير، وإذا حققوا شيئاً من نجاحاتهم على حين غفلةٍ منا فهل يستطيعون تحقيقَ نجاحاتٍ أخرى ؟ .

إنهم لا يحملون على علماء الأمة ورموزِ الصحوةِ الإسلامية، بل يهددون المجتمعَ بأسره، فإذا صدرت فتوى معتبرةٌ شنُّوا على المفتي حرباً لا هوادةَ فيها كما حصل مع المفتي في بيانه عن فتوى جده الاقتصادي، وإذا نجح نشاط إسلامي أجلبوا عليه، واتهموا القائمين به – كما حصل في تعليقهم على مخيم جُدّه الرسمي .

المرأة لم تسلم من مكرهم، فهم يريدونها سافرةً مختلطة، وغايةُ أمانيهم أن تكون المرأة المسلمة كالمرأة الغربية في ضياعها وحيرتها وشقائها ؟

والإعلام في بلادنا خرجوا به عن حدود السياسة المرسومة، وتجاوزوا بنودَه وموادَه المقررةَ، وتربعوا على ناصيته فلا يُتيحون الفرصةَ إلا قليلاً لمن يخالفهم وينقدُ مسارَهم، أو يطرح طرحاً معتدلاً ونزيهاً.

بل زادوا وتجرؤا على نقدِ السياسات العليا للدولة ليخلخلوها ويطرحوا البديلَ عنها، كما حصل من أحدهم في نقد السياسة العليا للتعليم، حينما استغرب أن يكون من أهداف (المرحلة المتوسطة) : حفزُ همةِ الطالب لاستعادة أمجادِ أمتِه المسلمة التي ينتمي إليها ؟ واستغرب كذلك أن تُخصص سبعة أهداف (في المرحلة الثانوية) للجوانب الإسلامية ؟ [جريدة الوطن 17 شوال 1424 هـ عدد 1168] ..

غريب هذا الطرح في زمنٍ باتت الأممُ تعتزَّ بهويتها – وتُعمق الانتماء لفكرها في مناهج أبنائها، ولكن الأغربَ أن يُسمح لهذا الطرح الفجَّ – وأن يُغفل عن الأهدافِ من ورائه ؟ وأن تزيد لهجةَ هؤلاء ليسوِّق للفكرِ العفن القادم من الغرب، وحين لا يخفى أن الغرب باشر غزوَ العرب والمسلمين إعلامياً عبر إذاعة (سوا) ومجلة (أهلاً)، وأخيراً أطلقت الإدارة الأمريكية قناة (الحرّة) الفضائية الإخبارية وباللغة العربية – فقد يخفى على البعض أن بعضَ هؤلاء المرجفين المطبلين سَخر في مقالةِ له باللذين يرفضون (قناة الحرّة)، وقال : أمةٍ تخشى من محطةٍ فضائية مهما كان لونَها ومصدرها هي أمة خائفةٌ ومترددة ، ودعا إلى النظر إلى هذه القناة باعتبارها إضافةً جديدةً للحرية التي نحتاجها مثل حاجتنا للهواء النقي، وفي المقابل يرفضُ هذا المُطبل كلَّ ما تبثه القنوات الفضائية إذا كانت ضد الهيمنة الأمريكية .

أليس هذا بذلٍ وهوان وانتكاس في المفاهيم والقيم ؟! [د.نورة السعد ، الرياض ، 12/28/ 1424 هـ]

إذاً نحن أمام هجمةٍ شرسة على ثقافتنا وقيمنا، وأمام تسويقٍ مفضوح للبضاعة المزجاةِ لأعدائنا، تتكئ هذه الهجمة على الإعلام، وتسخر من مناهجِ التعليم، وتسعى جاهدةً لإفسادِ المرأة ، وترشق بسهامها الموتورة أهلَ الخير، ولا يسلم من نقدها المسؤولون والمنظرون للسياسات العليا في البلاد ، إنها خلخلةً للكيانِ كله، واستهدافٌ للمؤسسات التربوية والدعوية، وتمهيدٌ للغزاة، ومجاهرةٌ بالفسوق وإعلان للتطرف، وتلويحٌ للإرهاب .

فكيف يكون الموقف، وبماذا يُنقذ العباد، وتسلم البِلاد ؟

1- لا بد أولاً من الوعي واستشعار هذهِ المخاطر، ومعرفة أصحابِ اللحن في القول، ورصد التوجهات، والتعرف على الصِّلات والارتباطات.

2- ولا بد ثانياً من النصح والمصارحة لهؤلاء، فقد يكون من بين هؤلاء مُغترٌ فيعود إلى رشده، أو جاهلٌ مستغرق في خيالاته، وتجاربُ من سبقه توقفه على الحقيقة، وهذه تجربةٌ شجاعةٌ يقول صاحبها – بعد أن هداه الله – « اندفع الفكرُ المتغرب يُشهر حرباً شاملةً على الإسلامِ وأهله ، ظاناً أن في ذلك تحريراً للشعب وللمرأة ، وإطلاقاً للعقل، ولكنَّه ما درى أن تلكَ الحربَ تأتي بنتائج عكسيةٍ تماماً، إذا بالشعب يُحطِّم ويُشل، وإذا بالمرأة تتيه وتضيع، وإذا بالعائلة تتمزق وتتخبط، وإذا بالعقل يصبح مغلولاً إلى الغرب، وإذا بالاستقلال تبعيةً ، وإذا بالتقدم الاجتماعي مزيداً من التخلف ، ثم وصلت الأمور إلى أن يُعلن ذلك الفِكرُ نفسَه أننا نعيش زمنَ الانحطاطِ العربي ؟! [منير شفيق ، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر ص 148، 149 / عن د.الزنيدي ، العصرانية س 47]

3- ولا بد من تكاتف الجهود مع كل مخلص لحماية البلاد والعباد من خطرِ هؤلاء، مع اعتبار أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » واعتبار أن المركبة واحدة والسلامةُ للجميع .

4- لا بد من مشاريع عمليةٍ، ومثابرة في الإعلام والتعليم والتربية والتوجيه والدعوة، وأن تكون شاملةً للمرأة والرجل، والطفل والكبير والمثقف والعادي.

5- لا بد من وضع حدٍ للنقد الصارخ لسياسات الدولة العليا، وفي مقدمتها السياسةُ التعليمية والإعلامية، وإن الإصلاحَ مطلب ولكن تجريدها من عمقها الإسلامي وأهدافها العليا أمرٌ مرفوض .

6- الارتقاء بمستوى وعي الناس عموماً والخيرين خصوصاً، والجرأة في تصحيح الأخطاء وتطوير الأعمال والمؤسسات حتى تكون المشاريع الإسلامية على مستوى التحدي والقدرة على الجذب والتأثير.

7- ربط الجسور مع كل جهدٍ خيّر ، والتعاون مع كل عاملٍ مخلص، وأهمية التواصل مع الآخرين، وعدم الانكفاء على الذات، فمظلة الدين واسعة، وهاجسُ حماية الوطن من المؤثرات الخارجية والداخلية هدف يشمل شريحةً كبرى في المجتمع .

8- تعميم توعيةِ الناس بالانحرافات الفكرية والأخلاقية في وسائلِ الإعلام عموماً، والتنبيه إلى مخاطرِها الواقعة والمستقبلية، واستنهاض الجميع للاحتساب على المنكر والأمر بالمعروف، فليس أضرَّ على الناس من قومٍ يُلبسون عليهم دينهم ويزيفون وعيهم ؟

9- التواصل مع ولاة الأمرِ من الأمراء والعلماء وأهل الفكر، وأصحاب المال والجاه والمسؤولية، والتشاور معهم في وضعِ حدٍ للمبطلين .

10- التعامل مع الأحداث والمستفزات بحكمةٍ وعمق، فلا نُخدع ولا نُستفز، ولا نتعرف بردود الأفعال، ولا نقابل الخطأ بخطأٍ آخر.

============

المجاعةُ في النيجر..مسؤولية من؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واصلي الله وأُسلم على الهادي البشير والسراج المنير نبينا محمد وعلى أله وأصحابه أجمعين أما بعد..

هي الدنيا أفراح وأتراح, وأحزان ومسرات , لهو ولعب وزينة وتفاخر في الأموال والأولاد

مركب ذلول لكنها سريعة التقلب ,كثيرة التغير, تبدو أوراقها خضراءُ جميلة لكنها سرعان ما تصفّر وتيبس وتتساقط ,وربما سقطت أوراقها الخضراءُ فجأة على غير توقع.

تنام بالليل على حال وأخبار.. وتستيقظ على حال وأخبارٌ أخرى .

قولو لي من سلم من عواديها ..ومن اطمأن في مركبها, ومن نجا من خدوشها ومَن تجاوز حُفرها أو كان بمعزل عن ُكدرها..

إنها الدنيا ..متاع الغرور,سريعة العبور,

يبتلي الله فيها أقواماً بالأسقام والأمراض- فيحصد المرضُ جماعاتٍ يغيّبون في اللحود.. ويُؤخذ أقوام على حين غرة وهم مكتملون في صحتهم ساربون في معاشهم.. فتحل بهم الكوارث.. زلازلٌ وبراكين وفيضانات مدمرة تقف أمامها قدرات البشر مهما كانت قويةً ضعيفةً عاجزة.

سبحان الله هل من مُدكر.. موتٌ بالآلاف نتيجة إعصار مدمر أوفيضانات عظيمة. والماء مصدر حياة ونما – لكنه يعود بقدرة الله وسيلة تدميرٍ وفناء..

كم في هذه الأحداث من نُذر ((وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ))

كم في الكون من ظلم وظلمات, وراءها الظلوم الجهول, ورَّبك يغار, ولا يرضى الظلم ولا يحب الظالمين, وينتقم للمظلومين

((يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) (الإنفطار : 6) ؟ الست في كل يوم تنام وتقوم على قوارع وعظائم مالها من كاشف إلا الحيُّ القيوم!

يا ابن آدم انك كادح إلى ربك كدحاً وملاقيه .. فهل ستأخذ كتابك بيمينك .. أم سيكون الكتاب وراء ظهرك؟

هل تُذكرك النوازل بغيرك .؟ مايمكن أن يقع لك؟ أم تراه يكفيك أن تتسلى بسماع الأحداث ورؤية المشاهد .. وكأنك بمعزل !! فلا عاصم من أمر الله إلا من رحم.

إن الله يبتلي عباده بالسراء ليرى شكرهم ,ويبتليَهم بالضراء ليرى صبرهم ((وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)) (الأنبياء : 35) .

((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)) (البقرة : 156,155) .

عباد الله : دولةٌ مسلمةُ وشعبُ مسلم, وإخوانٌ لنا في العقيدة يعانون اليوم من جفافٍ قاتل ومسغبة , مؤلمة,جفافٌ وتصحر وقلة في الأمطار وهلاك في الزروع والضروع, وموجات من الجراد تقضي على الأخضر واليابس ,وزحف في الرمال في بيئة صحراوية ساهمت كذلك في إهلاك الكثير من المحاصيل..

إنها حالة بؤس يعيشها إخواننا المسلمون في النيجر وما أدراك مالنيجر؟

دولة أفريقية يحدها من الشمال ليبيا والجزائر , ومن الجنوب نيجيريا وبنين ومن الشرق تشاد , ومن الغرب مالي وبوركينا فاسو , وعدد سكانها يزيد على أحد عشر مليون (حسب تعداد 2003م)

ويدين بالإسلام ثمانٌ وتسعون بالمائة 98% من السكان , وضعها الاقتصادي متدني .. ويزيد في حالات الجفاف وقلة الإمطار كما هو الحال.حيث يعمل معظم سكان

النيجر في الزراعة والرعي , ويؤكد البنك الدولي في تقريره عن النيجر أن أكثر من ستين بالمائة منهم يعيشون بدولار واحد في اليوم.!

الأزمة المتداعية في النيجر وما حولها – تعتبر من أكبر الأزمات في البلاد وتعد المجاعة الحالية من أسوا المجاعات التي تواجه شعب النيجر منذ عام 1984م. لقي مجموعة من الأطفال حتفهم ,ولا تسأل عن هلاك الزروع والمواشي – أما عامة الشعب النيجري فقد بات يُنافس الحيوان على أكل أوراق الشجر– وإن كان بعضها ساماً ومُرا ! لكنهم يعمدون إلى غليه حتى تخفّ سمومه ومرارته!

وينافسون النمل في أخذ الحبوب المُدخرةِ في بيوت النمل.

إنها أزمةٌ متفاقمة, تشير الإحصاءات إلى أن ثمانمائة ألف طفل يعانون المجاعة , منهم أكثر من خمسمائة ألف في حالة خطره , ولا تسأل عن انتشار الأمراض هناك كالكوليرا والسل والإسهال والحصبة والملاريا مما زاد عدد الوفيات .

ولقد بلغ إجمالي القرى المتضررة قرابة ثلاثة ألاف قرية من أصل عشرة آلاف قرية تحتويها الدولة , ويسكن هذه القرى قرابة أربعة ملاين نسمه , أي أكثر من 40% من سكان البلاد .

ونظراً لخطورة الوضع فقد وجه رئيس الوزراء في النيجر في 28 مايو 2005م نداء الاستغاثة للمجتمع الدولي للحصول على عون غذائي عاجل ,كما وجهت منظمات الأمم المتحدة تحذيراً للمجتمع الدولي من احتمال وقوع كارثة صامته في النيجر . ويصف مدير برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة في النيجر مايحدث هناك بأنه (واحده من أسوأ المجاعات التي رأيتها في حياتي)

وتقول منظمة أطباء بلا حدود أن ثلاثة أطفال يموتون يوميا في بعض مراكزها بالنيجر بسبب المجاعة أو سوء التغذية .

أنها أزمة تتفاقم وشبح مخيف ليس للفقر والمرض بل وللموت أيضاً..... والسؤال أين المسلمون عن إخوانهم المسلمين؟؟

عبادة الله : ((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)) (الإنفطار : 13) .

ومن صفات الأبرار إنهم ((وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)) (الإنسان : 8) .

ويروعك الأمر حين تعلم تواجداً سريعاً للمنظمات الغربية , ويروعك الأمر أكثر حين تعلم شيئاً من أهداف هذه المنظمات والجمعيات الغربية – إنهم يغيثون ويُنَصِرون ويُساهمون في صنع الأزمات حين يُحاصرون المؤسسات الأخرى ويجمدون أرصدتها .

وهل تعلم أن جزءً من أزمة النيجر الواقعة نتيجة تغييب أدوار الجمعيات والهيئات والمنظمات الإسلامية الاغاثية والدعوية , وهكذا يهلك الناس بدعاوى الإرهاب وكذلك تبدُ نتائج الحصار للقطاع الخيري.

انها جرائم يموت لها الأطفال الرضع .. ويتهاوى مرضى الشيوخ الرُّكع , ولا تسلم منها المرأة والشباب فضلاً عن الشجر والحيوان .

كم يُجرمُ أولئك الذين يمنعون الخير في الإنسانية و بشكل عام وفي حق المسلمين على وجه الخصوص .

ولكن المسلمين لا يسلمون من مسؤولية الإغاثة والنصرة والله يقول لهم ((وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)) (الحج : 28) .

والمصطفى صلى الله عليه وسلم يناديهم يقول لهم ((فكو العاني واطعموا الجائع وعودوا المريض)) رواه البخاري ح 3046(الفتح / 167) .

ولا يُعذرون بسياسات القوم الكافرين الذين يحاولون عزلهم عن إخوانهم المسلمين والله يقول ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) (الحجرات : 10) .

وعجب ولا عجب ونحن في زمن العجائب, شعوب ترمي زوائد المحاصيل الزراعية كالحبوب والثمار في البحر حتى تحافظ على قيمتها دون انخفاض..

وشعوب أخرى لاتجد ما تأكله حتى يضطرها الجوع و الإبلاس إلى أكل ورق الشجر ,بل ومزاحمة النمل على طعامها ..

شعوب تموت من الجوع وأخرى تصيبها الأمراض من التخمة ! إنها مُفارقات عجيبة .. وفي زمن الوعي والمعرفة والعولمة والدعوات الإنسانية الجوفاء

آهٍ على أزمنة الصدق.. وآهٍ على مجتمعات الرحمة..

وسلام على الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..

وتحية لدينٍ يُعلم أصحابه أن رجلاً سقى كلباً يلهث من شدة العطش فغفر الله له,

يأمـة المليـار : أو تزيـد ألـيس عيبـاً أن يوجـد فينـا معـدم أو بـائس أو محاصـر أو مظلوم؟

أي بلاءٍ يعيشه إخواننا المسلمون في النيجر فأين نحن منهم؟

يُحدث أحد شهود العيان الذين زاروا النيجر ووقفوا على المجاعة هناك : ويقول لقد رأيـت بنفسـي قـدور القـوم وهـي خضـراء مـن طـبخ الأعشـاب حيـث أصـبح طعـام الحيوانات طعاماً للإنسان .. والغنيُّ من القوم من يجد مِلحاً يضعه مع الماء؟والملحُ فقط!

ويقول ولقد حملت بنفسي أطفالاً على هيئة هياكل عظمية من الجوع وسوء التغذية .. والحـال أشد مـع الأطفال الرضـع .. فـلا أهلوهم يجدون قيمـة الحليب الصناعي فيشترونه ولا في ثدي أمهاتهم حليباً يُرضِعن منه الأطفال .. وأين يتكون اللبن في ثدي أم لا تجد ماتأكل سوى الحشائش !!

أنها نازلـة تحتـاج من المسلمين عامـة إلـى التفاتـه وإغاثـة .. وبلادنا فـي قائمـة الركب عادةً تغيث الملهوف وتطعم الجائع وتعين المتضررين والأمل أن نسمع قريباً تحركاً رسـمياً و شـعبياً لإغاثـة هـذا الشـعب المسـلم والرأفـة بالأطفـال والنسـاء والشـيوخ بـل وبعامه من به حاجة للغوث والنصرة .

وإذا بـالغ الغـرب فـي حملتـه الإعلاميـة فـي إغاثـة هـؤلاء المنكـوبين وكـان ضـجيجاً إعلاميـا أكثـر منـه واقعـاً ملموسـاً كمـا يقـول أهـل النيجـر فينبغـي أن يكـون واقـع المساعدات الإسـلامية كبيرا , وينبغي أن يكون الأعلام الإسلامي حاضراً ومصوراً دقيقاً لحجم هذه الكارثة .. وحين تتواجد المنظمات الغربية هناك فالمنظمات والهيئات والجمعيات الإسلامية أولى وأحرى بالوجود والمساندة .

يحتاج أهل النيجر ويتطلعون إلى فتح جسر جوي لهم ينقل حاجتهم من الطعام ويُوفرُ لهـم المعونـات الأخرى .. ويحتـاجون إلـى دعـم ومسـاندة مـن الموسـرين لحفـر آبـار تعوضهم عن نقص الأمطار .

كما يحتاجون إلى فتح مراكز للتعليم والدعوة هناك , فكارثة النيجر ليست هي الجوع والجفاف والتصحر فحسب , فثمة كوارث في الجهل والأمية , وثمة جفاف وتصحر في جوانب العلم والمعرفة وإذا كانت الفرنسية هي اللغة الرسمية , فينبغي أن يساهم

الخيرون والموسرون بفتح معاهد لتعليم العربية, لغة القران لأبناء وبنات المسلمين, وفتح مدارس ومعاهد وكليات لتعليم المسلمين هناك لأمور دينهم ودنياهم وحمايتهم من المخاطر المحدقة بهم كالتنصير والعلمنة والانحراف الفكري ....

وتشير بعض التقارير أن ثمّة مخططات للغرب بتقسيم النيجر وإيجاد دول نصرانية هناك .. إننا نهيب بالمسلمين عموماً والقادرين خصوصاًَ على مد يد العون لهؤلاء المتضررين .... وحمايتهم من مخاطر الآخرين ونهيب بالجمعيات والهيئات والمنظمات الإسلامية لتواجدها وممارسة دورها الفعال ولا ننسى أن نقدم تحية عطرة للجمعيات والهيئات والمنظمات الإسلامية العاملة هناك ,وان كانت قليله والشكر والتقدير للرجال الذين زاروا تلك المناطق المنكوبة وقدموا للمسلمين خبراً وتقريراً عنها .

وإذا كانت الأزمة تتفاقم والمستقبل لأهل النيجر مخيف فلا تزال الفرص مواتيةً للإغاثة والدعم والمساندة.. وبارك الله في كل جهد يبذل , وخلف الله على كل منفق , وهيئة الإغاثة , والندوة العالمية ,ولجنة الأعمار ,وجمعية د.السميط لمسلمي أفريقيا, وجمعية العون المباشر .. ونحوها.. كل أولئك يستقبلون تبرعاتكم لإيصالها للمستحقين.. ومن عمل صالحاً فلنفسه . ((وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)) (محمد : 38) .

اللهم أطعم جياع المسلمين, وكن لهم عوناً ونصيراً . اللهم أصلح أحوال المسلمين, وألّف بين قلوبهم, واجمع كلمتهم على الحق,وأهدهم سُبل السلام . اللهم من أرادنا أو أراد بلادنا أو بلاد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره ,وتدبيره تدميراً عليه يا حي ياقيوم .

اللهم نفّس كرب المكروبين من المسلمين , واشف مرضاهم , وعاف مُبتلاهم , واهد ضالهم , وثبت هُداتهم على الحق إلى أن يلقوك يارب العالمين,

ربنا ظلمنا أنفسنا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا إنك سميعٌ قريبٌ مُجيب

=============

الغزو الفكري وآثاره على الأفراد والمجتمعات 1 / 2

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد :

فمنذ أشرقت شمس الإسلام وأعداؤه يكيدون له المؤامرة تلو المؤامرة ، فاستخدموا كثيراً من الوسائل ونوعوا العديد من الخطط ، فتارة بالقوة ، وتارة بالحيلة ، نجحوا أحياناً وفشلوا أحياناً أخرى ، وهكذا الصراع بين الحق والباطل.

وعصرنا الحاضر ما هو إلا حلقة في سلسلة التداول بين الإسلام وأعدائه ؛ إلا أن الأعداء هذه المرة ابتكروا أسلوباً جديداً ؛ حيث ابتعدوا عن الاعتماد على القوة وحدها ولجأوا إلى محاربة الإسلام بالفكر فكان ما يسمى بالغزو الفكري .

ولا شك أن لهذا الغزو الجديد خطورته ووسائله ، وله أهدافه و آثاره ، مما جعل الغيورين من أبناء المسلمين يتنادون بوجوب مجابهته ومحاربته ، وكشف زيفه وبيان مغازيه .

ومن المحاولات الرامية إلى مواجهة هذا الغزو عقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات الإرشادية ، وكتابة الكتب والمقالات ومنها هذه المقالات والتي هي بعنوان (الغزو الفكري وآثاره) .

أولا: تعريف الغزو الفكري :

الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة , وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك [1].

فالغزو الفكري إذاً مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تدخل على الفكر الإسلامي هدفها السيطرة على هذا الفكر أو على الأقل حرفه عن وجهته الصحيحة.

نشأة الغزو الفكري:

بعد فشل الحروب الصليبية وعدم استطاعة الصليبين السيطرة على المسلمين بالوسائل العسكرية تنادى مفكروهم وقوادهم إلى ضرورة استحداث أسلوب آخر يكفل لهم تحقيق أهدافهم, فكان هذا الأسلوب المطلوب هو الغزو الفكري.

يقول لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن وقع في الأسر وبقي سجيناً في المنصورة يقول(إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده, فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم) [2].

وبالفعل بدأت الحملات الصليبية ولكن هذا المرة عن طريق الفكر وبالفكر, واستخدمت الوسائل المتعددة والأساليب الكثيرة لتحقيق ما يريدون, سواء كان ذلك عن طريق الوسائل التعليمية أو عن طريق الوسائل الاقتصادية أو عن طريق الوسائل الاجتماعية أو عن طريق الوسائل السياسية, مما سيأتي الكلام عنه مفصلا عند الكلام على وسائل الغزو الفكري.

ثانياً: أهداف الغزو الفكري:

- السيطرة السياسية على بلاد المسلمين:

قد ذكرت أن نشأة الغزو الفكري كان بعد فشل السيطرة العسكرية, فحتى يتم لهم ما يريدون من الاستيلاء على البلاد الإسلامية بدأوا بالغزو الفكري.

والسيطرة السياسية تنقسم إلى قسمين أو يمكن أن تأتى على وجهتين:

الوجهة الأولى:

الاحتلال المباشر لبلاد المسلمين كما حصل في وقت ما يسمى بالاستعمار, حيث تدخل الجيوش الغازية إلى البلد المسلم, وتبسط نفوذها عليه, كالاستعمار البرتغالي لمنطقة الخليج ثم انحساره عنها ليحل محله الاستعمار الهولندي ثم الاستعمار البريطاني, وكان هذا الاستعمار يهدف في ما يهدف إليه إعطاء الغطاء السياسي اللازم لحركات الغزو الفكري.

الوجهة الثانية:

الاحتلال غير المباشر لبلاد المسلمين بأن يجعلوا من حكامها تابعين لهم لا يخرجون عن أرادتهم وطوعهم ولا ينفذون إلا ما يريدون, وقد حدث هذا بعد خروج المحتل ولكنه أبقى نفوذه ووصايته, فبعد اكتشاف النفط في دول الخليج بادرت بريطانيا إلى اخذ التعهدات من حكام تلك الدول ألا يمنحوا امتياز التنقيب عن النفط لشركات أو أشخاص دون مشورتها([3]).

- الاستغلال الاقتصادي:

لا تقوم البلدان إلا على اقتصاد قوي, والاقتصاد يحتاج إلى موارد اقتصادية, وبلدان العالم الإسلامي في الغالب تحتوي على موارد اقتصادية هائلة سال لها لعاب الدول الغربية مما جعلها تحاول جاهدة استغلال هذه الموارد, فكان في بداية الأمر أن فرضت الدول المستعمرة شروطا واتفاقيات تبيح لها التصرف في ثروات الشعوب الإسلامية سواء كانت هذه الاتفاقيات مفروضة بالقوة أو كانت بقوة غير مباشرة كمعاهدات الحماية بأن تتعهد الدولة القوية بحماية الدولة المسلمة الضعيفة مقابل ابتزازها اقتصادياً, ولأن القوة ربما تولد القوة والهجوم يولد الدفاع, لذا رأت الدول القوية أن منطق القوة قد لا يستمر لها وأن الدولة المسلمة ربما أفاقت وقاومت, لذا لجأت هذه القوى إلى الغزو الفكري الذي يحقق لهم ما يريدون دون إثارة حفيظة المسلمين وحنقهم.

- إبعاد المسلمين عن مصدر قوتهم وعزتهم:

أدرك الغزاه أن المسلمين وإن كانوا في ضعف وهوان وتشتت وانقسام إلا أنهم يملكون سلاحاً قوياً يستطيعون به الانتصار على عدوهم متى ما استخدموه لذا حرصوا اشد الحرص على إبعادهم عن هذا السلاح وعن مصدر قوتهم, فبدءوا بمحاربة العقيدة الإسلامية ومحاولة إبعادها عن حياة المسلمين, لا عن طريق ذمها في البداية وبشكل مباشر فهذا يثير المسلمين عليهم ويرجع المسلمين إلى عقيدهم, ولكن عن طريق دس السم في العسل كما يقال, وبطرق ملتوية غير مباشرة, فحاولوا التشكيك في العقيدة أو في جوانب منها فإن لم ينجحوا في ذلك فعلى الأقل عملوا على زعزعة ثقة بعض المسلمين بعقيدتهم.

وقد لجأوا في ذلك إلى أساليب كثيرة أحيانا تحت مسمى التدرج وعدم التعصب وأحيانا تحت مسمى البحث العلمي وأحيانا تحت مسمى التقارب العقدي للأديان وهكذا,,,,

وسيأتي الكلام عن الأساليب التي اتخذوها.

ثالثاً: وسائل الغزو الفكري:

- التدخل في مناهج التعليم:

من أخطر وسائل الغزو الفكري, لأنه على مناهج التعليم يتربى الجيل, ومناهج التعليم على قسمين:

القسم الأول:

قسم تتولى الدولة وضعه أو بمعنى آخر يضعه أناس ولكن تحت إشراف الدولة, ويتم الغزو الفكري في هذا القسم بما يبذله العلمانيون من جهد في تغيير المناهج ولهم في ذلك أساليب ووسائل يخادعون بها دولتهم ومجتمعهم, حتى يتم لهم ما يريدون, يقدمون التقارير ونتائج الندوات والمؤتمرات المبرمجة سلفاً لشيء معين وكلها تنصب في ضرورة التغيير, وأن المناهج الحالية لا تلبي حاجة المجتمع أو حاجة السوق كما يعبر عنه أحيانا, وأحيانا تتهم أنها سبب في توليد الإرهاب, وأنها تنمي الكراهة والبغض عند الطلاب ضد الكفار, الذين اصبحوا أصدقاء وأعوان, وهكذا, ولا بأس إذا أرادوا شيئاً معيناً أن يحركوا بعض الصحفيين ليكتبوا في الصحف عن ضرورة التغيير وعن حاجة المجتمع, وعن عدم قدرة المناهج الموجودة على مواكبة العصر.

وأحياناً يمكن أن يكون الغزو في هذا القسم تحت ضغوط مباشرة من الغزاة الحقيقيين, ويستخدمون لهذه الضغوط وسائل متعددة ليس المجال مجال ذكرها.

– القسم الثاني:

قسم لا تتولى الدولة وضعه ، وإشرافها عليه غير مباشر, وهذا يتمثل في الجامعات, وبعض المدارس الخاصة والمدارس الأجنبية.

ويتم الغزو الفكري فيها باختيار مناهج تضعف فيها المواد الدينية ويركز على غيرها, ثم هذه المواد تدرس بعيداً عن الدين, وربما كان فيها من الانحراف الفكري ما يشوش على أفكار الطالب ، وربما درست نظريات وأفكار لعلماء غربيين مليئة بالانحراف, دع عنك النظريات العلمية في مواد العلوم الطبيعية كما تسمى, وإنما نقصد العلوم الاجتماعية, كعلم الاجتماع ، و علم النفس, وغيرهما.

وربما درست للطلاب أشياء مخالفة للدين فيدرس الربا على أنه فوائد ، ويدرسون كيفية حساب الفائدة, حتى إنه يلقى في روع الطالب أن الاقتصاد لا يقوم إلا على الربا.

وربما يوكل للأستاذ الجامعي وضع المنهج وقد لا يكون على مستوى المسؤولية.

- المدارس الخاصة والأجنبية ، ومنها الجامعات الغربية المقامة في بلاد المسلمين : وذلك لأنها لا تخضع في مناهجها ومدرسيها للدولة بشكل مباشر, وبالتالي تكون مجالاَ َ َ َ َ َ ً خصباً لبث ما يريدون, كما أن هذه المدارس قد تتعدد فيها الديانات ولاسيما المدارس الأجنبية مما يخفي عند الطالب المسلم عقيدة الولاء والبراء أو يضعفها ؛ لأنه يرى أستاذه نصرانياً وزميله كذلك وهو يعاشرهم ويعيش معهم مما يضعف البراء من الكفار.

كما أن هذه المدارس ربما تمارس أنشطة غير منهجية فيها مخالفات للدين.

من أخطر آثار هذه المدارس أنها تجذب الأنظار إليها بما تملكه من وسائل تعليمية عالية, وبما تتمتع به من تنظيم إداري فائق, كما أنها تهتم باللغات الأخرى ، مما يجعلها محط أنظار فئات خاصة من المجتمع, هذه الفئات تتخرج من هذه المدارس لتتولى المناصب في مجتمعاتهم ، مما يجعلهم سنداً بعد ذلك لقادة الغزو الفكري.

- تقليل الاهتمام بمواد الدين:

ويتم ذلك بما يلي:

- تقليصها في الجدول الدراسي.
- دعوى صعوبتها, وصعوبة فهمها.
- جعلها في آخر الجدول اليومي, مما يجعلها في وقت تعب وملل.
- التقليل من شأن مدرسها.
- دعوى أنها لا تلبي حاجة المجتمع.
- دعوى أن الطالب ربما يستفيدها من خارج المدرسة.
- جعلها مادة لا يترتب عليها نجاح الطالب, وإنما للفائدة فقط.
- جمع مواد الدينية كلها تحت مسمى واحد كأن تسمى مادة الثقافة الإسلامية مثلاً, أو مادة إسلامية, أو دين أو تربية إسلامية وهكذا.
- حصر الدين في المواد الشرعية وإخراج العلوم الأخرى كالاقتصاد والاجتماع وعلم النفس و العلوم الإدارية والعلوم التطبيقية.

- تدريس المواد غير الشرعية بعيداً عن الدين فالاقتصاد بعيد عن الإسلام أو فيه مخالفات شرعية كثيرة, وعلم الاجتماع كذلك , وعلم النفس كذلك , والعلوم التطبيقية لا تربط بقدرة الله ، وإنما الطبيعة هي كل شيئ ..

- تقسيم المدارس أو التخصصات إلى دينية وغيرها

مما يولد الشعور عند الطالب أن الدين لا يصلح في التخصصات الأخرى.

- تهيئة الفرص الوظيفة لخريجي الأقسام غير الشرعية, وتقليل هذه الفرص بالنسبة لخريجي الأقسام الشرعية, مما يجعل الطالب لا يحرص على دخول هذه الأقسام.

- هدم اللغة العربية: ويتم هذا بما يلي:

- الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية بدعوى أن الحركات لا تكتب.

- الدعوة إلى العامية والبعد عن الفصحى.

- دعوى صعوبة اللغة العربية وعدم قدرة النشء على تعلمها.

- الدعوة إلى تعلم اللغات الأجنبية, وربما للصغار مما يفسد لغتهم الأصلية.

- تشويه التاريخ الإسلامي: ويتم هذا بما يلي:

- تصوير أن الإسلام لم يعش إلا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين, وما بعده انحرف المسلمون عن الإسلام.

- إبراز مظاهر الانحراف التي حدثت في عصور الإسلام, وجعلها هي الأصل والأساس ، وبالذات الانحرافات السياسية.

- إلصاق التهم السيئة بنوايا الفاتحين, وبنوايا المصلحين ، كاتهام الفتوحات الإسلامية بأنها نوع من الاستعمار.

- تمثيل المواقف الإسلامية أو المعارك بتشويه متعمد, فهذا القائد يحب ابنة الخصم أو يحب أخرى ، وعلاقات الحب تمثل مع عدم وجود مستند تاريخي لها ، وكتابات جورجي زيدان في التاريخ الإسلامي شاهد على ذلك.

- الاختلاط:

وهذا يكون في مسلك التعليم وفي غيرة, فأما في التعليم فيتم في البداية في الروضة ، وفي المختبرات في الجامعات ونحوها ، ثم في المراحل الأولية من الدراسة الابتدائية ، ثم يتطور بعد ذلك إلى ما هو أكثر.

هذا في المدارس الحكومية وأما المدارس الأجنبية فالأمر مختلف فالاختلاط فيها ظاهر سواء بين الطلاب والطالبات أو بين المدرسين والطالبات أو بين المدرسات والطلاب أو بين المدرسين والمدرسات.

وأما غير التعليم فالاختلاط يكون في المستشفيات ، وفي الحدائق ، وفي مطاعم العوائل ، وفي الأسواق ، وفي المنتزهات وغيرها.

- الابتعاث:

ويعني إرسال أولاد المسلمين إلى البلاد الكافرة للتعلم هناك وهذا قد تضطر له الدول الإسلامية لتتعلم العلوم التي سبقتنا فيها البلاد الكافرة, ولكن الإشكال حينما يفتح الابتعاث على مصراعيه لكل أحد ، وبدون ضوابط ولا عوامل حماية للمبتعثين, فيذهب المبتعث ويرجع بفكر غير الذي ذهب به.

- الدعوة إلى تعلم اللغة خلال الصيف في مدارسهم ومعاهدهم في بلادهم الكافرة, فيذهب الشاب إلى هناك ، وربما سكن مع عائلة كافرة ، مما يجعل فرصة تأثره بأفكارهم ومعتقداتهم سانحة, وربما احتقر بلاده وتعاليم دينه.

- نشر الأفكار الهدامة التي تدعو إليها بعض المؤتمرات والمنظمات والجمعيات العالمية.

- الحديث عن أعيادهم ، ونشر ما يحدث فيها كعيد الميلاد وعيد الحب.

- الدعوات إلى الفرق والأديان الباطلة.

- زعم التقريب بين الأديان, والدعوة إلى الندوات والمحاضرات والمؤتمرات لمناقشة هذه القضية.

- محاولة نشر الكتب أو الكتيبات أو النشرات التي تدعو إلى أديان باطلة أو تشكك في الدين الإسلامي.

- الدخول من باب الأدب لحرف الفكر الإسلامي, فتارة عن طريق الحداثة ، وتارة عن طريق القصص الغرامية, وتارة عن طريق فكر مخالف للدين بدعوى الحرية الفكرية.

- نشر الأدبيات المنحرفة وتمجيد أصحابها, سواء كان عن طريق القصة أو الشعر أو غيرها, وكتاب في جريدة شاهد على ذلك.

- ترجمة غير المفيد من اللغات الأخرى فلا تترجم الكتب العلمية المفيدة و إنما تترجم الغراميات ، أو التي تحمل الأفكار العلمانية أو الإلحادية.

- استغلال الإذاعة أو التلفزيون أو القناة الفضائية لبث الأفكار التي يريدون.

- استغلال العادات والتقاليد:

ويتم عن طريقين:

أ- استغلال واقع خاطئ يعيشه المجتمع المسلم أفرزته العادات والتقاليد البعيدة عن الإسلام, فيقوم هؤلاء باستغلال هذا الوضع ويهاجمونه هجوماً شديداً لا لرد الناس إلى الحق ولكن للشطوح بهم بعيداً عن الدين.

- الطريق الثاني:

الحرص على جعل تعاليم الإسلام عادات وتقاليد مما يهون من شأنها ويسهل تركها, كالحجاب مثلاً.

- إفساد المرأة:

والدعوة إلى تغريبها وسفورها واختلاطها ، ولهم في ذلك طرق كثيرة ودعوات مغرضة ؛ لأنهم يعرفون أهمية المرأة ودورها في المجتمع.

- استغلال النكبات في العالم الإسلامي بدعوى تقديم العون للمنكوبين المحتاجين ، وهم في الحقيقة لا يقدمون العون إلا مع تقديم أفكارهم ومعتقداتهم.

- السيطرة على مصارف النقد ومحاربة الاقتصاد الإسلامي لإضعاف المسلمين ، وبالتالي السيطرة عليهم.

- تكثيف الدراسات الاستشراقية ، والاهتمام بها ؛ لتسهل السيطرة على العالم الإسلامي .

- القيام بالعمليات التنصيرية ، ورصد الأموال الطائلة ، والجهود الكبيرة لإنجاحها .

- اختراع مصطلح العولمة لإذابة الفكر الإسلامي ، بل ليس سراً أن نقول إن العولمة هو المصطلح الجديد للغزو الفكري .

- الضغوط الخارجية على الحكومات المسلمة لئلا تقف في وجه الغزو الفكري.

- الدعم السياسي للغزاة المحليين ممن هم على شاكلتهم, ولذا ليس سراً صلة حركات التغريب بالاستعمار وبالدول الكافرة بعد الاستعمار.

1 واقعنا المعاصر ص195.

2 المرجع السابق ص196.

3 الخليج العربي دراسة في الجغرافيا السياسية ص281.

============

مفهوم السياحة ومخاطرها

الحمدُ للهِ خلقَ الخلقَ لحكمةٍ جليلةٍ محددة، ((وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ)) (سورة الذاريات :56).

وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ لـه، فاوتَ بينَ الناسِ في مسعاهُم إلى ربِّهم في هذهِ الحياة، ((إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)) (سورة الليل:4).

وفاوتَ بينهم في منازلِ الآخرةِ، ((فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)) (سورة الشورى:7).

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ، حماهُ ربُّهُ عن الضلالةِ والغوايةِ، ((مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)) (سورة النجم:2).

اللهمَّ صلِ وسلم عليهِ وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلينَ وارضِ اللهمَّ عن الصحابةِ أجمعين، والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

عبادَ الله :

اتقوا اللهَ حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلامِ بالعُروةِ الوثقى، وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأمور، ومُضِلاتِ الفتن، ((وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ})) (سورة آل عمران: 101). ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ)) (سورة لقمان: 33).

أيُّها المسلمون:

وهبَكُم اللهُ نعماً وأَودَعُكم أماناتٍ، وسوفَ يسألُكُم عن صنيعِكم بها، فالصحةُ نعمةٌ وأمانةٌ، والمالُ نعمةٌ وأمانة، الوقتُ والشبابُ ، والسمعُ والبصرُ والفؤادُ ونحوها من نعمِ الله، كُلَّها أماناتٍ استُودعتم إيَّاها، وستُسألُونَ عن نوعِ استخدامكم لها، وكلُّكم يقرأ قولهُ تعالى: ((إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)) (سورة

الإسراء: 36)، ويعي قولهُ r : ((لنْ تَزُول قَدَمَا عَبدٍ يَومَ القِيامَةِ حَتَى يُسأل عَنْ أَربَع)) الحديث .

عباد الله :

ُذكرُ بهذه المسؤوليةِ على الدوام، وتشتدُ الحاجةُ أكثرَ وقتِ الفراغِ والإجازاتِ والعُطل، التي أعتادَ عددٌ من الناسِ السفرُ فيها، وقضاءَ الإجازةِ بنفسهِ أو بصحبةِ أهلهِ وأولادهِ، هُنا أو هناك، فإلى أينَ يذهَبُونَ ؟ وبماذا يقضُونَ فراغهم ؟ وكم يُنفِقُونَ ؟ وبماذا يُنفِقُون ؟ وكيفَ ذهبوا؟ وبمَ يرجِعُون ؟ إنَّها أسئلةٌ مهمة، وإيرادُها على النفسِ قبلَ السفرِ من العقلِ والحكمة، والاستفادةُ منها والعَملُ بمقتضى الشرعِ فيها أثناءَ السفرِ إلى العودة، مؤشرٌ للصلاحِ ودليلُ الديانة.

إنَّ حياتك أيُّها المسلمُ والمسلمةُ دقائقُ معدودة، وأنفاسٌ محددة، ولستَ تدري ولا غيركَ يدري – إلاَّ الله – ماذا تكسبُ غداً، ولا بأيِّ أرضٍ تموت، وإذا حفظكَ اللهُ – مُعظمُ الوقتِ – وجاهدتَ نفسَكَ عن مُقارفةِ الخنا والفجورِ والفسوقِ، فمنَ الحماقةِ أن تُحطِمَ هذا السياجُ الواقي، وترغبُ عن هذا الأمانُ الإلهي فترةً من حياتك، وقد يُختَمُ لكَ بها، فتكونُ الحسرةُ والندامة، إذ حلت بكَ سُوءُ الخاتمةِ، وتعرضتَ لمقتِ اللهِ وغضبه، إذا استُخدمت نعمُ اللهِ في معصيته، وليسَ يليقُ بكَ أن تأكلَ من رزقهِ وتعيشَ في أرضهِ، ثم أنتَ تُجَاهِرُهُ بالمعاصي، وهُو يَرَاكَ وإن لم تره.

إخوةَ الإسلام: ومصطلحُ السياحةِ مصطلحٌ يترددُ كثيراً، ولكنَّ الحديثَ عنهُ يكثرُ مع قُربِ الإجازةِ الصيفية، ورُبَما استهوت دعواتُهُ، بعضُ الناسِ غافلينَ عن حقيقتهِ ومخاطِرِه، فما مفهُومهِ في زمننا، وما هِي مخاطِرُهُ ؟ وما مفهومُ السياحةِ الأصيلُ في شريعتنا، وما سياحتُنا أهلُ الإسلام؟ وما هيَ خصائصُنا ومسؤولياتِنا في بلادِ الحرمين؟

ودعونَا نبدأُ الحديثَ عن أصلِ السياحةِ في الإسلام، وما المرادُ بالسائحينَ في كتابِ اللهِ وسنةِ رسولهِ r لقد وردت السياحةُ في كتابِ اللهِ وسنةِ رسوله r تحملُ معاني ساميةً، وارتبطَ وصفُ السائحينَ بنماذجَ عاليةٍ من البشر، يقولُ تعالى في وصفِ الذين اشترى اللهُ منهُم أنفسَهم وأموالهم بأنَّ لهُم الجنة: ((التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ

السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ)) (سورة التوبة:112).

وترددت عباراتُ العلماءِ في معنى السياحة، ومَنْ هُمُ السائحون؟ فقيلَ هُم الصائمون، واستدُلَ لهُ بقولهِ تعالى في وصفِ نساءِ النبيِّ r ((عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ)) (سورة التحريم:5) .

وبما وردَ في الحديثِ عن عائشةَ –رضي الله عنها– مرفوعاً: ((سِيَاحَةُ هَذهِ الأَمةُ الصِيَامُ)) .

وقيل السائحونَ: هُم المُجَاهدون، واستدلَ لهُ بقولهِ r –في الحديثِ الصحيح–: ((إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) (وهو في صحيح سنن أبي داود472/2).

وقيل السائحون : المُهاجِرون، وقيل: هُم الذين يُسافرون بطلبِ الحديثِ والعلم، وقيل: هُمُ الجائلُون بأفكارِهم في توحيدِ ربهم وملكوتهِ، وما خلقَ من العبرِ والعلاماتِ الدالةِ على توحيدهِ وتعظيمه.

قال القُرطُبي– رحمه الله– مرجحاً قلتُ: (س ي ح) يدلُ على صحةِ هذهِ الأقوال، فإنَّ السياحةَ أصلُها الذهابُ على وجهِ الأرضِ كما يسيحُ الماءُ، (الجامع لأحكام القرآن 270/8).

أيُّها المؤمنون :

وتأملوا ما جاءَ في سنةِ محمدٍ r عن مفهومِ السياحةِ، بل ونهيهِ عن نوعٍ من السياحة، ففي سُننِ أبي داود، وفي كتابِ الجهادِ فيه (بابٌ في النهي عن السياحة)، ثُمَّ أوردَ المصنفُ فيه حديثُ أبي أمامةَ t أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي بالسياحةِ، قال النبيُ r: ((إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالى)) .

تُرى ما نوعُ هذه السياحةِ التي طلبها هذا الصحابي، وأرشدهُ النبيُ r إلى خيرٍ منها؟ لقد استأذنَ هذا الصحابي t في العُزلةِ عن الناسِ والتفرغَ للعبادةِ ومفارقةِ الأمصار، وسُكنى البراري والكهوفِ والجبال، فلم يأذن لهُ النبيُّ r لما في ذلكَ من تركِ العلمِ والجهاد، ولِما فيهِ من بُعدٍ عن الجمعةِ والجماعة، ودلَّهُ على الجهادِ لأنَّ فيهِ ذروةُ سنامِ الإسلام، وكُبتاً للكفرِ والظلال، كذا قال العلماء (بذل المجهود 383/11، 384).

وقالوا: ولا تشرعُ العزلةُ إلاَّ في أيامِ الفتنِ والزلازلِ في الدينِ، (ابن كثير/ تفسير آية التوبة 635/2، 636).

إخوةَ الإسلام :

فإذا كانَ هذا توجيهُ r لمن رغبَ العزلةَ للعبادة، فكيفَ بمن يسيحُ في الأرضِ للفساد، وإهلاكِ الأوقاتِ، وتبذيرِ الأموالِ وانتهاكِ الحُرمات، والتفريطِ في الواجبات؟

إننا معاشرَ المسلمين أصحابُ رسالةٍ عظمى، ينبغي أن نعيها دائماً، ونسعى جاهدينَ لنشرِها وتبلِيغِها، وإنَّما أشرقَ الكونُ وعمَّ العدلُ، وانطوى بساطُ الظُلمِ يومَ أن أشرقت حضارتُنا ببعثةِ محمدٍ r بعد أن عاشت البشريةُ ردحاً من الزمن، تتقلبُ في الفوضى وتسُودُها الصراعاتُ النكدة، ويُخَيِّمِ الجهلُ والاستبدادُ في أرجائِها، وذلكَ على أثرِ فترةٍ من الرسلِ غابت فيها تعاليمُ السماء، وسادَ فيها خُزعبلاتِ الجاهليةِ الأولى !

واليومَ وقد ضعُفَ سُلطانُ المسلمين، وتسلّمَ رايةَ القيادةِ غيرُ المسلمين، شاعت مفاهيمُ الجاهليةِ المعاصرة، وسادَ العالمَ قتلٌ هنا، وتشريدٌ هناك، ظلمٌ وعُدوان، وفسادٌ في القيم، وانهيارٌ في الأخلاق، ومسخٌ في التصوراتِ، والأدهى والأمر إنَّ هذا الفسادُ مُقنن، تُستخدمُ لهُ مصطلحُ (العولمة) ويُعممُ شرُّه عبرَ (القنوات الفضائية).

ويُرمى الرافضونَ لهُ، والمدرِكُونَ لأبعادهِ ومخاطرِهِ (بالتطرف والأصولية)، وتدرجُ السياحةُ والفنُ الرخيصُ والرياضة، والنجوميةُ الوهميةُ ونحوها من الفسادِ الخُلقي والفكري في قوالبه، والهدفُ تخديرُ الناسِ وإبعادُهم عن الهدفِ الأسمى لوجُودِهم في هذه الحياة، وحملُهم في عربةِ القطارِ ذاتَ النهايةِ البائسةِ من حيثُ يشعُرُونَ أو لا يشعُرُون.

معاشر المسلمين :

إنَّ الأخلاقَ والقيمَ العالية– في كلِّ أمةٍ أساسُ بقائِها، وهي بالنسبةِ لنا معاشرَ المسلمين جزءٌُ عظيم من ديننا، ومقوّمٌ أساسي من مقوماتِ حضارتِنا، وإذا أفلسنَا في هذا الجانبِ الخلقي، وقد غُلبنا من قبلُ في الجانبِ المادي التقني، فماذا يبقى لنا؟ أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لعَلكُمْ تُفْلِحُونَ)) (سورة آل عمران:200).

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العـالمينَ عزَّ مـن أطاعـهُ، وذُلِّ مـن عصـاه، وأشـهدُ أن لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ لـه، يُمهل ولا يُهمل، ويُؤخِرُ العُقُوبةَ ولا يغفل، وأخذهُ أليمٌ شديد، وأشـهدُ أنَّ محمـداً عبـدهُ ورسـوله، أخبـرَ وهـو الصـادقُ الأمـين ((ليَكُـونَنَّ مِـنْ أُمَّتِـي أَقْـوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ)) (البخاري مع الفتح 51/10).

اللهمَّ صلِّ وسلم عليهِ وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلين.

إخوةَ الإيمان :

وهكذا يتبينُ لكم فـي العرضِ السابقِ الفرقُ فـي مفهومِ السياحةِ فـي الإسلام، ومـا آلَ إليه مفهومُها في هذا الزمان.

أجل إنَّ سياحتنا- أهلَ الإسلام- صيامٌ وجهاد، وهجرةٌ ودعوة، ورحلـةٌ للعلمِ نافعةٌ، وسيرٌ فـي مناكبِ الأرضِ، وتأملٌ فـي ملكوتـهِ، وإدراكٌ لعظمتـهِ، وإقرارٌ بتوحيدهِ، أمَّا السياحةُ عنـدَ غيرنـا - وبمفهومِهـا المعاصـر- فهـي كـأسٌ وغانيـة، ومـرقصٌ وبـار، حفلاتٌ صاخبة، ولقاءاتٌ مختلطةٌ على الشواطئ، وفي القواربِ صـورٌ فاتنـة، وتهتكٌ وسفور، تبـذيرٌ للأمـوالِ، وفحشٌ فـي الأقـوالِ، وضـياعٌ للأوقـاتِ، وإسـقاطٌ للأخـلاقِ، وقتـلٌ للمكرُمَـاتِ، وابتـزازٌ بشـعٌ للأمـوال، وتصـديرٌ لزبالـةِ الأفكـارِ ورديءُ الثقافـات، وطريـقٌ لانتشـارِ الأمـراضِ الفتَّاكـةِ، والوقـوعِ فـي شبكةِ المخـدرات . (انظـر: جريـدة الدعوة السعودية 1414/2/10هـ) .

وفوقَ ذلك كلهِ، وأعظمَ التشكيكُ في المعتقد، ونشاطُ ناصبي الخيامِ، فقد ذكرت إحدى الصحفِ (شباكاً يُنصبُ لتنصيرِ المسلمين السائحين)، ثُمَّ ذكرتُ أنَّ هُناكَ مُنصِرين عرباً لتنصيرِ المُسلمين، رُبَمَّا جاءُوا من بلادِهم لهذهِ المهمـة، وتلقُّوا دروساً كنسيةً مطولةً لهذا الغرض ؟ (جريدة المسلمون، عن الدعوةِ السعودية 1414/2/10هـ) .

عباد الله :

ومما يُحزنُ القلبَ ويُعظمُ الخطبَ أن تتسللَ بعضُ هذه المفاهيمِ وتلك السلوكياتِ في السياحةِ المُعاصِرةِ إلى عالمنا الإسلامي، بل وقعَ ذلكَ أو جلُّهُ في أجزاءٍ من عالمنا، وذلكَ فـي مرحلـةِ الضعفِ الروحي، والهزيمـةِ الفكريـةِ، وباتـت السياحةُ تُمارسُ كرافدٍ اقتصـادي، ومؤشـرٍ للانفتـاحِ علـى العـالم، ولـو كـانَ ذلكَ علـى حسابِ الخُلقِ والـدين، وإشاعةِ الفاحشةِ والرذيلة، واجتثاثِ القيم، وذبحِ الفضيلة.

أيُّها المسلمون: وحمى الله بلاد الحرمين – فيما مضى– من عقاقيرُ هذه السياحةِ المُصدرة، فلم تُستبح حماها، ولم يعبث السُوَّاحُ الأجانبُ بأرضها، بقي مجتمعُها أصيلاً محافظاً لم يخترقهُ الآخرونَ بسلوكياتِهم المشينة، وأفكارِهم المُنحلة وأمراضهم الفتَّاكة، وبقيَ الأمنُ فيها مستتباً، والناسُ يُتخطفُونَ من حولِنا، والسياحةُ والسُوَّاح سببٌ من أسبابِ هذا الخللِ الأمني .

ولكنَّا – عباد الله – بدأنا نسمعُ مؤخراً عن دعواتٍ للسياحةِ في بلادِنا تستهدفُ العائلاتِ في المملكةِ والخليج، كما أُعلنَ في الصحفِ، وفيها إعلانٌ لحفلاتٍ غنائيةِ، وتلميعٌ لنجومٍ وهمية، بل جاءَ في إحدى الصُحف الخبرُ التالي:

بعد النجاحِ الكبيرِ الذي خرجَ بهِ مهرجانُ صيفِ أبها العامَ الماضي الذي عدّهُ البعضُ أكبر تجمعٍ فنيّ غنائي عربي لنجوم الساحة الفنية، فقد أقرت اللجنةُ برامجَ حفلاتِ مهرجان صيفِ هذا العامِ الغنائيةِ الكبيرة، التي سيكُونُ للجمهورِ موعدٌ معها ومع كبار مُبدَّعي الأغنيةِ، في المنطقةِ الذين سَيصنعُونَ صيفاً ساخناً مليئاً بالفنِّ والطربِ والثقافةِ العامة، (عكاظ عدد 11940 في 1420/1/20هـ).

أيُّها المسلمون :

ينبغي أن تتميزَ سياحتُنا عن سياحةِ الآخرين، وإذا نجحنَا في صرفِ الناسِ عن السفرِ للخارج، فذلك أمرٌ مرغوبٌ ومحمود، ولكن شريطةَ ألاَّ نقعَ في المحظورِ بأيِّ لونٍ من الألوان، فالحكُمُ الشرعيُّ في المُحرمِ واحد، وإن اختلفَ المكانُ أو الزمان .

ونحنُ في بلادِ الحرمينِ لنا خصوصيةٌ تُميزُنا عن غيرنا، فسلوكياتِنا محلُ نظرٍ وتقديرِ العالم الإسلامي، وفينا قبلتُهم، وفي بلادِنا محيا ومبعثُ ومماتُ نبيهم، ومن أرضِنا انطلقت راياتُ الجهادِ وحملَ الفاتحونَ العِلمَ والحضارةَ الحقَّةِ للعالم، فكُنَّا بحقٍ مصابيحُ الدُجى، ودعاةَ خيرٍ، وسطَّرنَا صحائفَ من ضياء، فما نسيَ الزمانُ ولا نسينا، وبلادُنا اليومَ مُؤهَلةً للقيادةِ من جديد، بإمكانَاتِها، وعُلمائِها، وموقعَ المُقدساتِ فيها، وسلامةَ الفكرِ، وصحةَ المعتقد فيها، وذلك في خضمِ حربِ الأفكارِ وصراعِ المعتقدات، ولئن عَجزنا أو قصَّرنا في حملِ ذلكَ للناسِ في دِيارِهم، فأقلَ الواجبِ أن نحفظَ هذا الكنْز الكبيرِ، ونحافظُ على هذا التاريخِ المجيدِ في بلادنا، حتى يتذكرهُ من

وفدَ إلينا، وتبقى أرضُنا جُذوةً لإحياءِ المشاعرِ الإسلامية، لا أن نستبدلَ الذي هُو أدنى بالذي هو خير .
إنَّ بلادنا – والحمد لله – غنيةٌ بمواردِها الاقتصاديةِ الأخرى، وخيرٌ لنا أن نُنَميها ونزيدُ من فاعِليَّتِها، من أن نلجَ من بوابةِ السيَاحةِ الضيقةِ لدعمِ اقتصادنا، بل بإمكانِنَا أن نُجددَ في مفهومِ السياحةِ، ونقترحَ أنماطاً مشروعةً تستجلبُ الآخرينَ دُونَ أن تُأثرَ على دِينهم وأخلاقِهم .
إنَّها دعوةٌ للمسئولينَ ، والعلماءَ والمفكرينَ والأولياءَ، للمحافظةِ على أصالتنا، وحمايةِ بلادِنا ومُجتمعِنا من سُمُومِ الآخرين، عبر بوابةِ السياحةِ، وقد تزدادُ مُستقبلاً فتكونُ بوابةُ انحرافٍ خُلقي، وباعثةٍ لمشكلاتٍ أمنية، وطريقاً لانتشارِ الأدواءِ والأمراضِ الفتَّاكة ؟
إنني أُناشِدُ كلَّ غيورٍ، وصاحبَ مُواطنةٍ صالحةٍ للمساهمةِ في استدامةِ الأمنِ والإيمانِ في هذهِ البلادِ الطاهِرة، والبعدِ عن كلِّ أسبابِ الفسادِ والانحرافِ الخلقي، ومحمد r جاء – يوم بُعث – ليُتممَ مكارمَ الأخلاق، وجاءت شريعتُهُ ناهيةً عن اللهوِ والغفلةِ، وضياعِ الأوقاتِ، وتبذيرِ الأموال، وكانَ فيما أُوحي إليه: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِل عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولئِكَ لهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)) (سورة لقمان:6).
سُئلَ ابنُ مسعودٍ t عن تأويلِ هذهِ الآية، فأقسمَ ثلاثاً هو الغناء، واللهِ الذي لا إلهَ إلاَّ هو، وكذا قالَ ابنُ عباس، وجابرٌ، وعكرمةُ، وسعيد بنُ جبير، ومجاهدٌ ومكحول وغيرهم، (تفسير ابن كثير 703/3).
وفي السُنةِ النبويةِ تأكيدٌ على حُرمةِ الغناء، ففي صحيحِ البخاري: ((ليكُونَنَّ من أمتي قومٌ يستحلونَ الحِرَ والحريرِ والخمرِ والمعازف)) (الفتح 51/10).
وتأملوا كيفَ جُمعَ تحريمُ الغناءِ والمعازفِ مع تحريمِ الفروج، والحريرِ والخمر؟ وما فتئَ علماءُ الأمةِ الربانيون يُحذِرُونَ من فتنةِ وعبوديةِ الشهوات.
يقولُ الشافعي – رحمه الله –: (من لزمَ الشهواتِ لزمتهُ عبوديةُ أبناءِ الدنيا) (سير أعلام النبلاء 97/10).

ويقولُ ابنُ تيميةَ – رحمهُ الله –: (والعشقُ والشهواتُ إنَّما يُبتلى به أهلُ الإعراضِ عن الإخلاصِ لله، الذين فِيهم نوعٌ من الشركِ، وإلاَّ فأهلُ الإخلاصِ كما قال تعالى في حقّ يوسفَ– عليه السلام–: ((كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)) (سورة يوسف:24) (الفتاوى 421/15).

وأخيراً أحذر أخي المسلم، أختي المسلمة أن نكونَ ممن قالَ اللهُ فيهم: ((فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)) (سورة مريم:59).

اللهمَّ احفظنا بحفظك، واكلأنا برعايتك، وحبب إلينا الإيمانَ، وزينهُ في قُلوبِنا، وكره إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلنا من الراشدين .

اللهمَّ احفظ بلادَنا وبلادَ المُسلمِينَ من كلِّ سُوءٍ ومكرُوه.

===========

القرآن الكريم في غوانتناموا تدنيس أم تكريس ؟

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ على عبدهِ الكتابَ ولم يجعل لهُ عوجاً، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله وحدهُ لا شريكَ لهُ، نزَّلَ الفرقانَ على عبدهِ ليكونَ للعالمينَ نذيراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أوحى إليهِ ربُهُ بشأنِ القرآنِ، ((وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)) .

أيُّها الأخوةُ المؤمنون :

نزلَ الوحيُ من السماءِ مُعظَّماً، وكانَ الوحيُ عمادَ شريعةِ الأنبياء، كانت صحفُ إبراهيمَ وموسى، وكانَ التوراةُ والإنجيلُ والزبورُ، ثُمَّ كانَ القرآنُ فرقاناً ومهيمناً ومصدقاً لما بين يديهِ من الكتابِ ومهيمناً عليه، ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)) (سورة المائدة / 48)

واندست الكتبُ السماويةُ وبقيَ القرآن الكريم محفوظاً علّياً، {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} ((بل هو قرآن مجيد * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ)) ، ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) .

أجل إنَّ حفظَ القرآنِ معجزةٌ لمحمدٍ r ، ودليلٌ على أنَّ الإسلامَ رسالةُ اللهِ الأخيرةِ للبشر .

بالقرآنِ حُفظت أخبارُ الأنبياءِ ودعوتُهم مع أقوامهم، وبالقرآنِ كانتِ الإشارةُ إلى شرائعَ السماءِ بالقرآنِ قُصَّ أحسنَ القصصِ، وبالقرآنِ أُحكِمت الشرعيةُ فلا نسخَ ولا تبديلَ إلاَّ ما أتى اللهُ بخيرٍ منها أو مثلها، وفي حياةِ محمد r فقط وبعدَ موتِه انقطعَ الوحيُ من السماء، وتوارثت أمةُ الإسلامِ هذا القرآن تحفظهُ في الصدور، وتجدهُ مكتوباً في الألواحِ والمصاحفِ، ومهما أصابَ الأمةَ من نكباتٍ وخطوب، ومهما اجتاح العدوّ ّ ُ أرضها أو دمّرَ ما دمّرَ من حضارتِها، فقد بقيَ القرآنً شاهداً على التحدي، وبرهُاناً على الحفظِ والإعجازِ، لا يأتيهِ الباطلُ من بينَ يديهِ ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميد .

وكُلَّما ضعفَ المسلمونَ عن القرآنِ هبَّت صيحاتٌ تُنادي بالعودةِ إلى كتابِ الله ، فينبعثُ للقرآنِ جيلٌ جديد، وتنبعثُ همٌم لحفظهِ وتدريسهِ والعنايةِ به وبعلومه، وتنشأُ مؤسساتٌ ودورٌ، ومعاهدٌ وجامعات للقرآنِ

وعلى مرّ ّ ّ َ العصورِ وللقرآن رجالٌ ونساءٌ يُحيُون الليلَ بالقرآنِ قراءةً وتدبراً، وبكاءً وخشوعاً.

وعلى اختلافِ الدولِ كانَ للقرآنِ سلطانٌ ، به يُساسُ الناسُ، وبأحكامهِ يُأخذون ، وبهديهِ يهتدون.

وعلى اختلافِ الأحوالِ حضراً وسفراً، وصحةً ومرضاً، كانَ القرآنُ للمسلمِ رفيقاً ومؤنساً، يتلوهُ المسلمُ قائماً وقاعداً وعلى جنب، وبقي القرآنُ خيرُ جليسٍ ومؤنسٍ في حالِ الغربةِ والوحشة، فالقرآنُ يُتلى في غياهبِ السجون، ويترنَمُ السُجناءُ بآياتهِ وهم في قبضةِ الأعداءِ يُسامُون سُوءَ العذاب، ويُعامَلونَ بوحشيةٍ مُفرطة، ويُعزلُونَ عن أهليهم ومجتمعاتِهم في جُزرٍ بعيدةِ الأعماقِ، نائيةً عن الأمنِ والإيمانِ، هُناكَ في ((غوانتناموا)) يُسمعُ دويُّ للقرآن ويَنفسُ المكروبينَ عن أنفسهم بترتيلِ القرآن، ويُناجُونَ ربّ ّهم بالقرآنِ، ولكنَّ الظلمَ َ يتجاوزُ الحدودَ، وكرامةُ الإنسانِ تُهانُ إلى الأذقانِ، بل وشرائعُ السماءِ ووحيُ اللهِ تُنتهكُ إلى حدٍ لا تكادُ تصدقهُ العقول، وفي زمنٍ من العلمِ والعولمةِ، والزعمِ بتصديرِ الحريةِ والديمقراطية ؟

أجل لقد نشرت وسائلُ الأعلامِ العالميةِ – وفي مُقدِمتِها وسائلُ أعلامِ الغرب – عن انتهاكِ الجنودِ الأمريكانِ للقرآنِ في سجنِ غوانتناموا، مُزقَ القرآنُ وأُهينَ في المراحيض، وذلكَ كأسلوبٍ من أساليبِ الأذى والتعذيبِ للسُجَناءِ المسلمينَ هُناك، ولكن الحادثُ أبعدُ مدى، وأوسعُ انتهاكاً، فهو تحدٍ سافرٍ للمسلمين، وهو استفزازٌ لمشاعرِ أكثرِ من مليارِ مسلم، وعلى أثرِهَا احتجت دولُ، وتظاهرت شعوبٌ وصدرت بياناتٌ واستنكاراتٌ، من هيئاتٍ ومجمّعاتٍ، ولجانٍ ومنظماتٍ إسلامية.

ولقد عبَّرت الأمانةُ العامةُ لمجمعِ الفقهِ الإسلامي بجدة، والمنبثقُ عن منظمةِ المؤتمرِ الإسلامي باسمِ شُعوبِ الأمةِ الإسلاميةِ وعلمائِها وفقهائِها عن سَخطِهم الشديد، واستنكارِهُم الكبير، لما نقلتهُ وكالاتُ الأنباءِ العالميةِ استناداً إلى مجلةِ (نيوزبك) الأمريكية، الصادرةُ في 9 مايو 2005 م من أخبارٍ مُزعجَةٍ حولَ قيامِ بعضِ جنودِ الجيشِ الأمريكي في قاعدةِ (غوانتناموا) الأمريكيةِ بكوبا، بتدنيسِ المُصحفِ الشريفِ، وإلقائهِ في المراحيضِ، قصدَ إيذاءِ السُجناءِ المسلمين، ومن ورَائهم من عامةِ المسلمينَ وأهلِ الدياناتِ الإلهيةِ المعترفينَ، بأنَّ الكتابَ المُنزل على الرسولِ r هو كمثلهِ من الكُتبِ المقدسةِ – التوراة والإنجيل – واجبٌ احترامُها وتقديسُها .

وأشارَ البيانُ إلى أنَّ هذا الانتهاكُ من أشدِّ المُوبقاتِ جُرماً ، ولا يمكنُ للمسلمينَ التسامُح فيه، (جريدة الجزيرة 9 / 4 / 1426 هـ) .

أيُّها المسلمون :

ومع أهميةِ هذه البياناتِ المستنكِرةِ، فينبغي للمسلمينَ حكوماتٍ وشعوباً ألاَّ يقفُوا عند حدودِ التنديد، بل يُواصِلُوا استنكارَهم حتى تَوقعَ العقوبةُ الرادعةُ على المجرمينَ ومن ورائهم، وحتى يعلمَ العالمُ أنَّ الإسلامَ عزيزٌ في نفوسِ أتباعه، وأنَّ القرآنَ عظيمٌ في قلوبِ أهله، وأنَّ للمستضعفينَ من يُناصِرُهم ويُدافعُ عن حقُوقِهم وكرامتهم، فالسجناءُ المسلمونَ هُناكَ أُوذُوا وعُذِّبُوا، وانتُهكت حقُوقِهم وقد آنَ الأوانُ لنُصرتِهم والدفاعِ عنهم، وينبغي أن تُعرَّى أنظمةُ الغربِ المُدَّعيةِ لحريةِ الأديان، والزاعمةِ لتأمينِ الديمقراطيةِ للشعوب ، وهاهيَ اليومَ تُمارِسُ العنصريةَ والاستبدادَ والانتهاك، بأبشعِ صُورِها ، وترسِمُ مشهداً موحشاً للغربِ وجنودهِ ، يتجاوزُ الإساءةَ للبشرِ إلى الإساءةِ وقلّة الأدبِ مع اللهِ وكلامهِ ووحيه، ويُطالُ ذلك شرائعَ السماءِ كلَّها .

اللهمَّ إنا نبرأُ إليكَ ممَّا صنعهُ المُجرِمُون، ونسألُكَ أن تسلّطَ عليهم من ينتقمُ منهم إنَّكَ قويٌ شديدٌ المحال .

وبالمناسبةِ نُذكِّرُ المسلمينَ وغيرَ المسلمينَ، ولا سيما من أهلِ الكتابِ أنَّ القرآنَ خضعت لعظمتهِ الأفئدة، وخرَّ للأذقانِ سُجداً أهلُ العلمِ من أهلِّ الكتاب حين تُلي عليهم، وسُجلَ الموقفُ الرهيبُ في القرآنِ، وتحدى اللهُ من أعرضَ عن القرآنِ ولم يُؤمن به، فقال تعالى مادحاً لأهلِ العلمِ من أهلِ الكتابِ ، وقادحاً على من كَذَّب بهِ وأعرضَ عنهُ من أهلِ الأوثانِ: ((قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا *)) (سورة الإسراء 107 – 109) قال السَعدي– رحمه الله–: (" وهؤلاءِ كالذينَ مَنَّ اللهُ عليهم من مُؤمني أهلِ الكتابِ كعبدُ اللهِ بن سلام وغيرهِ ممن أسلمَ في وقتَ النبي– صلى الله عليه وسلم–، بعد ذلك (تفسير السعدي 4 / 322)

والمشهدُ هُنا يفوقُ الوصفَ ولا تكفي الألفاظُ لتصويرِ الموقفِ، فتنسكبُ الدموعُ معبرةً عمَّا يجيشُ في الصدورِ،

أينَ هؤلاءَ المُدَنِسُونَ للقرآنِ؟ والمُمَزِقُونَ لما أُنزلَ على الرسولِ r ممن سبقَهم من نصارى، قال اللهُ عنهم: ((وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)) (سورة المائدة / 83) اللهمَّ اجعلنا من أهلِ القرآنِ، وممن يُعظِمونَ القرآن .

الخطبة الثانية

إخوةَ الإسلام :

القرآنُ في غُوانتناموا تدنيسٌ أم تكريس ؟

هل ما نُسبَ إلى الجنودِ الأمريكانِ هُناكَ تدنيسٌ للمصحفِ الشريفِ أم تكريسٌ للعدوانِ على المسلمينِ بشكلٍ عام ؟

أهُوَ تدنيسٌ للمصحفِ كما صنعُوا أم هُو تكريسٌ للاهتمامِ بهِ من قبلِ المسلمينَ كما ينبغي، فالمسلمونَ يُدرِكُونَ أنَّ القرآنَ هادٍ لا يَضِلُّ، وناصحٌ لا يغشُّ، ومحدثٌ لا

يكذبُ، فيه زيادةٌ من هُدى ونقصٌ من عمى ، وشفاءٌ من عي، شافعٌ مُشفع، وقائِلٌ مصدق .

إنَّ المسلمينَ لا ينبغي أن ينطلِقُوا في عِنايتهم بالقرآنِ من ردودِ الأفعالِ، ولكن مِثلَ هذهِ الأحداثِ المُؤسفةِ تُذكِرُهُم بواجِبِهم تجاهَ القرآنِ تعلماً وتعليماً، وعنايةً ودعماً ، ودعوةً ونشراً للقرآن .

إنَّ حادثةَ تدنيسِ القرآنِ هُناكَ تُذكِرُ المسلمينَ بموقفِ أعدائِهم من القرآنِ والإسلام، وتُنبِهُهُم إلى تعظيمِ اللهِ بتعظيم كتابِه، وإغاظةِ الأعداءِ بالعودةِ للإسلامِ وحَمْلِ القرآن.

ولقد فَهمَ السابِقُونَ أنَّ القرآنَ رسائلُ من ربِهم، فكانُوا يتدبرُونَهُ بالليلِ، ويتفقدُونَهُ بالنهار– وكذلك ينبغي أن يفهَمَ اللاحِقُونَ من المسلمين – (كما أثُرَ عن الحسنِ بن علي– رضي الله عنهما–) التبيان للنووي / 28) .

أيُّها المسلمُون: وقفةٌ ومصارحةٌ، ماذا وراءَ احتجاجِنا وغضبتِنا لما يصنَعُهُ الأعداءُ بالقرآن ؟

وشكراً لك أيُّها المسلمُ وأنتَ مُثابٌ حين تغضبُ للهِ، وتدافعُ عن القرآنِ، ولكن قُل لي بصراحةٍ ما وردَكَ اليومي من القرآنِ حين تغضبُ للقرآن ؟ وكيفَ تعظيمُكَ لأحكامِ القرآنِ حينَ تُدافِعُ عن القرآن ؟ وما مدى عِنايَتُكَ بتعليمِ وتحفيظِ أبنائِك للقرآن ؟ ((وخيرُكُم من تعلمَ القرآن)) .

يا أيُّها المُوسِرُونَ والمقتدِرُونَ، وهل يدعُوكُم هجومُ الأعداءِ على القرآنِ على البذلِ من أجلِ القرآن، تشجيعاً للحفظةِ ودعماً لحلقِ القرآن، وجمعياتِ تحفيظِهِ، وتوزيعاً للمُصحَفِ لمن بهِ حاجةً إليه، وحينَ تُشكرُ وزارةُ الشُؤونِ الإسلاميةِ مُمثَّلَةً في مُجمَّعِ الملكِ فهد لطباعةِ المصحفِ الشريف، ورابطةُ العالمِ الإسلامي ممثلةً بلجنةِ الأعجاز للقرآن ، وسواهُمَا من الهيئاتِ والمُنظَماتِ الإسلاميةِ العالميةِ المعنيةِ بالقرآن، فهل يُزاد من طباعةِ المصحفِ وتوزيعهِ؟ إذ لا تزالُ الحاجةُ قائمةً ولا يزالُ في المسلمينَ من يتعاقَبُونَ على المصحفِ الواحد ؟

وهل يا تُرى تزدادُ العنايةُ بترجمةِ معاني القرآنِ بعددٍ من اللغاتِ، ليصلَ القرآنُ لكلِّ راغبٍ في البحثِ عن الحقيقةِ، والوقوفِ على الجوهرةِ الثمينةِ، وهل من مشاريعَ أُخرى لخدمةِ كتابِ الله ؟

وإذ نسمعُ بينَ الفينةِ والأُخرى عن مُسابقَاتٍ محليةٍ أو عالميةٍ في القرآن، ونحي هذه البوادرُ الطيبة، فكم نتمنى أن تَرحلَ هذه المسابقاتِ للمسلمينَ في بلادِهم ليتيَسَرَ لأكبرِ عددٍ من أبناءِ المسلمينَ الاستفادةُ من هذهِ المسابقات، وكم هُو طُموحٌ لو زِيد في مدارسِ ومعاهدِ وكلياتِ القرآنِ في مشرقِ العالمِ ومغربه، ليبلغَ القرآنُ ما بلغَ الليلُ والنهار .

أيُّها المسلمون :

مشاريعٌ كثيرةٌ يُمكنُ أن يُفكّرَ بها المسلمونَ ويدعَمُوها في سبيلِ تعليمِ القرآن، وحينها ينتشرُ الهُدى، ويكونُ الشفاءُ بالقرآنِ، ويَعمَّ النورُ وتُنوَّرُ البصائرُ، وتَعمُّ البشائرُ، وتعلُو الفضيلةُ، وتنساحُ الحكمةُ، ويرتبطُ الناسُ بحبلِ الله ، ويفرحَ المُؤمنون بفضلِهِ وبرحمتِهِ، وذلك خيرٌ ممَّا يجمعون، وحينها ينقلبُ السحرُ على الساحرِ، وينقلبُ المكرُوهُ إلى محبوبٍ، ويعلمُ الأعداءُ أنَّ للقرآنِ وزناً عندَ المسلمين، وأنَّ التحدي والاستفزاز يدعُو المسلمينَ إلى مزيدِ الاستمساكِ بالقرآنِ وتعظيمهِ ونشره .

أيُّها المُؤمنونَ :

على أنَّ حادثةَ تمزيقِ المُصحَفِ في غُوانتناموا – تلفتُ نظرَ المسلمينَ إلى ما يلقاهُ أخوانُهم المسلمونَ المعتقلونَ هُناكَ من إهانةٍ وتعذيبِ، آنَ الأوانُ لأن تنتهي، وينصرَ المسلمونَ إخوانَهم المستضعفينَ هُناك، فثمةَ تأوهاتٍ تُذهبُ أدراجَ الرياح، وثمةَ أنينٍ وحنينٍ لا يُسمعُ في لجِّ البحار، وثمةَ ظُلمٍ تعفيهِ الأمواجُ كالجبالِ، ولكنَّ الله يسمعُهُ من فوقِ سبعِ سماوات، أما آنَ للظُلمِ أن يُرفع، وللمظلومينَ أن يُنصرُوا ؟!

لقد أُفرجَ عن عددٍ من المُعتقلين لاحتجاجِ هيئاتٍ، أو مدافعةِ مُحامِين، وبقيَ أعدادٌ من المسلمينَ ينتظرونَ فرجُ السماءِ وشفاعةُ الأقرباءِ، اللهمَّ فارجَ الكربات، نفِّس عن من سُجنَ ظلماً وعدواناً، اللهمَّ آنس وحشتَهُم ، وثبت قُلوبَهم على الحق، وأنزل عليهمُ السكينةَ والرحمة، وأخرجهُم من الظلمِ والظُلماتِ سالمين غانمين.

اللهمَّ اجعلنا من أهلِ القرآنِ الذينَ هُم أهلُكَ وخاصتك، وانصر أهلَ القرآنِ على من دنسوهُ، اللهمَّ من أرادَنا وأرادَ إسلامنا وبلادَنا بسوءٍ فأشغلهُ بنفسه، واجعل كيدهُ في نحره، واجعل تدبيرهُ تدميراً عليهم، اللهمَّ أعزَّ الإسلام وانصرِ المسلمين، ودمّر أعداءَ الدين، واجعل هذا البلدَ آمناً مُطمئناً وسائرَ بلادَ المسلمين .

============

مبررات منع المرأة من قيادة السيارة

مبررات

منع المرأة من قيادة المركبات

من المنظور التربوي الإسلامي

تأليف

د . عدنان حسن باحارث

آية وحديث

قال تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف: 18].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رُوَيْدَك يا أَنْجَشَةُ لا تَكْسِرِ القَوَارِيرَ)) [صحيح البخاري].

مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن ظروف الحياة الاجتماعية المعاصرة تختلف عن فترات زمنية ماضية في العديد من جوانبها، فقد أصبح التجديد، والتطور، والتغير سمات بارزة لطبيعة الحياة المعاصرة، ولم تعد لدى غالب فئات المجتمع تلك القناعات السابقة التي كانت تحدُّ من عنف تيار التغيير الجارف. وقد أسهمت الطبيعة المتسارعة للحياة المعاصرة في زعزعة كثير من الثوابت الأخلاقية والعرفية، وشارك في ذلك التقدم التقني الهائل، وما رافقه من الإنتاج الصناعي المذهل، الذي انفتحت أمامه أسواق العالم التجارية . رغبة ورهبة . في الوقت الذي لم يكن للأمة المسلمة . ضمن هذه المنظومة العالمية المتسارعة، والتطور العلمي والتقني . أيُّ دور جاد في هذا البناء الحضاري المعاصر يُخوِّلها فرضَ معاييرها الاعتقادية والأخلاقية، أو حتى لاحترامها والاعتراف بها ضمن ثقافات الأمم المتغلبة، مما أوقع الأمة المسلمة في شباك مصالح الآخرين المادية والفكرية، وزاد بالتالي من تمزُّقها وتفككها.

ولقد عاشت الأمة زمنًا ليس بالقصير تقاوم رياح التغريب، وتدفع عن نفسها موجات التغيير، إلا أن هذا الصمود وتلك المقاومة لم تدم طويلاً، حتى أخذت حصون الأمة تتداعى، ومعاقلها تتهاوى أمام قوى الغزو الفكري الجارف. حتى بلغت الأمة عصر العولمة، والانفتاح الثقافي العالمي الذي لم يكن ليبقي للأمة خصوصية تتميز بها، أو أصلاً تلوذ به، حتى وصل الداء إلى أخصِّ خصوصيات الأمة الاجتماعية، وأهم ما يُميِّزها . اجتماعيًا . عن غيرها وهي قضية المرأة، ونوع الحياة التي يجب أن تحياها.

لقد أدرك الغربيون أن تغيير نمط الحياة الاجتماعية للأمة المسلمة لا يمكن أن يتم إلا من خلال تغيير أسلوب وأهداف تربية المرأة المسلمة، فكانت الهجمة . منذ فترة ليست قصيرة . على الوضع الاجتماعي للمرأة المسلمة في غاية القسوة، توَّجتها . في السنوات الأخيرة . مجموعة من المؤتمرات العالمية والندوات المحلية تُؤصِّل من خلال توصياتها توجهات عالمية عامة توحِّد نهج تربية المرأة في جميع أقطار العالم، وتُذيب الفوارق الثقافية، والأنماط الاجتماعية لتصب نساء العالم في قوالب ثقافية من شكل واحد، لا يفرِّق بينهن سوى ما تفرضه الجينات الوراثية من الألوان والأشكال.

ولقد عانت المملكة العربية السعودية منذ زمن . ولا سيما في الفترة الأخيرة ([1]) . من هجمات شرسة تستهدف الشريعة الإسلامية، ونمط الحياة الاجتماعية المحافظ، مما جعلها مقصودة من الدول الغربية ومنظماتها الإنسانية بالنقد والإساءة، تحت ستار حقوق الإنسان، مستهدفة بذلك وضع المرأة في بلاد الحرمين، وحقوقها المسلوبة . حسب زعمهم . في شكل لباسها، وأسلوب سفرها، ونوع ارتباطها الأسري، ومجالات عملها، وغيرها من قضايا المرأة المسلمة الحيوية.

وقد كان من بين هذه الانتقادات الموجهة إلى بلاد الحرمين حرمان المرأة من حق قيادة المركبات أو ما يسمى اليوم بالسيارات، بحجة أنه أصبح حقًا عامًا تستمتع به كل امرأة راغبة في الدول الأخرى. دون نظر جاد لعواقب الأمور، وطبيعة المرأة، والخصوصية التي تتميز بها بلاد الحرمين الشريفين.

ولقد كان هذا الموضوع موضع اهتمام الباحث منذ زمن، ولا سيما بعد أن احتدم الصراع عبر وسائل الإعلام بين المشجعين والمانعين، رغبة في بيان وجه الصواب

ضمن المنهج التربوي الإسلامي، الذي يعتمد الكتاب والسنة أساسًا للانطلاقة الفكرية والعلمية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث المطروحة للدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما مبررات منع المرأة من قيادة المركبات من المنظور التربوي الإسلامي؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية التي يسعى البحث للإجابة عنها وهي على النحو الآتي:

1. ما المبرر الفقهي لمنع المرأة من قيادة المركبات ؟
2. ما المبرر الأخلاقي لمنع المرأة من قيادة المركبات ؟
3. ما المبرر الصحي لمنع المرأة من قيادة المركبات ؟
4. ما المبرر الفطري لمنع المرأة من قيادة المركبات؟
5. ما المبرر الاقتصادي لمنع المرأة من قيادة المركبات؟
6. ما المبرر التاريخي لمنع المرأة من قيادة المركبات؟

أهمية البحث:

تعاني الأمة المسلمة المعاصرة مشكلات اجتماعية واقتصادية كبيرة، وتأتي قضايا المرأة بطبيعتها وخصوصيتها في نظام الاجتماع الإسلامي لتضع الأمة المسلمة في حرج أمام العالم من حولها وهو يخوض في نظامه العالمي الجديد؛ ليصهر الشعوب المستضعفة في قوالب ثقافية عالمية متشابهة.

ولئن كانت قضية قيادة المرأة للمركبات أو السيارات . ضمن هذه الموجة العالمية . لا تعدو أن تكون جزئية ضمن قضايا كثيرة وكبيرة متعلقة بالمرأة إلا أنها حلقة من حلقات تماسك المجتمع، بانحلالها تنحل حلقات أخرى كثيرة، تنتهي بهتك خصوصيات المرأة المسلمة، ودخول المجتمع المحافظ في قضايا اجتماعية جديدة ومتشعبة كان بالإمكان تفاديها، والوقائع والشواهد التي تدل على ذلك في كثير من الدول العربية والإسلامية لا تخفى.

والبحث في هذه المسألة يلقي الضوء بصورة علمية موثقة . ضمن التوجه التربوي الإسلامي . على المبررات التي من أجلها ترجَّع اختيار المنع من قيادة المرأة للسيارة،

مما يدعم قرار وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية في منع المرأة من مزاولة هذه المهارة، ويضيف البحث في هذا الميدان موضوعًا لم يسبق بحثه تربويًا – في حد علم الباحث– كما سيتضح من واقع الدراسات العربية السابقة، ومن جملة ما تقدم تظهر أهمية البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث من خلال فقراته إلى تحقيق الغايات الآتية:

1. إلقاء الضوء على المبررات المختلفة لمنع المرأة من قيادة المركبات.
2. الوقوف على التوجيه التربوي الإسلامي في مسألة قيادة المرأة للمركبات.
3. تحقيق القناعة الفكرية لدى المرأة المسلمة وأوليائها بعدم المطالبة بقيادة المركبات.
4. دعم قرار وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية في منع المرأة من قيادة المركبات.

منهج البحث:

يتشعب البحث في العديد من الميادين العلمية التي تتطلب استخدام أكثر من منهج لمعالجة مشكلة البحث والإجابة على تساؤلاته، فقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي الذي يعد أهم المناهج المستخدمة في بحوث التربية الإسلامية، وذلك في معالجة الناحية الشرعية من البحث، وما يتعلق بها من النصوص والمنقولات الشرعية المختلفة. كما استخدم الباحث المنهج الوصفي الذي يعد أوسع المناهج التربوية استخدامًا، وذلك في معالجة المبرر الأخلاقي، والصحي، والفطري، والاقتصادي.

وأما المبرر التاريخي فقد استخدم الباحث لمعالجته المنهج التاريخي فيما يتعلق بتاريخ قيادة المرأة للمراكب.

الدراسات السابقة([2]):

1. دراسة محمد عيسى فهيم وآخران (1405هـ) بعنوان: "السلوك المزعج الصادر عن السائقين في أثناء القيادة . دراسة ميدانية بمدينة مكة المكرمة". كان هدف الباحثين التعرف على رأي أصحاب السيارات تجاه تصرفات السائقين المزعجة ومدى تكرارها، مع تحديد علاقة كل من العمر والمستوى التعليمي ونوع السيارة والجنسية

والخبرة بمهارة القيادة إلى إدراك السائق للسلوك المزعج الصادر عن غيره من السائقين، ودرجة الشعور بهذا السلوك المزعج. وكانت عينة الدراسة مجموعة من السائقين من فئات عمرية وثقافية مختلفة داخل مكة المكرمة، حيث وُجِّهت إليهم استبانة مكونة من خمس وثلاثين فقرة، تستطلع إدراك: مدى انزعاجهم من السلوك القيادي المزعج، حيث اتضح من النتائج أن المستجيبين على وعي كامل بما يجري من السلوك المزعج في أثناء القيادة، ويتمتعون في غالبيتهم بوعي جيد بأنظمة المرور، وقد أعقب الباحثون الدراسة بمجموعة من التوصيات.

2. دراسة عبد الله النافع وخالد السيف (1408هـ) بعنوان: "تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادات السيارات بالمملكة". وقد استهدفت الدراسة التعرف على الخصائص النفسية والاجتماعية التي تميز سلوك قيادة السيارات في المملكة، مع تحليل وتقويم لهذه الخصائص، وتحديد أكثرها ارتباطًا بسلوك القيادة غير الآمن المسبب للحوادث المرورية. وقد استخدم الباحثان أربع استبانات لجمع المعلومات الأساسية للمبحوثين، وطبيعة سلوك قيادة السيارات، ونوع سمات الشخصية، والمعلومات المرورية. وقد كانت عينة الدراسة من الذكور، شاملة لمناطق المملكة من فئات متنوعة. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: وجود ميل نحو المخاطرة في القيادة لدى السائقين بالمملكة خاصة من الشباب، مع مخالفة للأنظمة المرورية، وعدم مراعاة أسباب السلامة، وقد ذيلت الدراسة بمجموعة من التوصيات والمقترحات للأفراد والجهات المعنية بالحركة المرورية.

3. دراسة ناصر عبد الله الصالح (1408هـ) بعنوان: "حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة . العلاقة المكانية والاتجاهات الزمانية". وتهدف الدراسة إلى تحليل أسباب الحوادث في مكة المكرمة في ظل التوسع الهائل في أعداد السيارات وطبيعة ظروف منطقة المشاعر المقدسة. وقد اعتمد الباحث في جمع البيانات على إحصاءات إدارة المرور خلال السنوات الثلاث: 1403، 1404، 1405هـ. حيث اتضح من الدراسة كثرة الحوادث في فترات المواسم، والإجازات الرسمية. كما أظهرت الدراسة وجود علاقة بين كثرة الحوادث وخطورتها وعدد السائقين دون سن 18 سنة، وأن أكثر

الحوادث تقع من السعوديين والمتعلمين والعزاب، كما بينت الدراسة كثرة حوادث النهار عن حوادث الليل، ثم أعقب الباحث دراسته مجموعة من التوصيات.

4. دراسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (1410هـ) بعنوان: "حوادث السيارات وبيان ما يترتب عليها بالنسبة لحق الله وحق عباده". وقد كان هدف الدراسة معالجة أربع قضايا رئيسة هي: تصادم السيارات بعضها مع بعض، ما تحدثه بعض السيارات من دعس أو انقلاب، بيان ما يترتب على حوادث السيارات من العقوبات لمخالفة أنظمة المرور، وأخيرًا توزيع الجزاء على من اشتركوا في وقوع الحادث. وقد كشفت الدراسة عن وجود كم هائل من الذخيرة الفقهية العلمية في تراث الأمة الإسلامية حول قضايا حوادث التصادم وما يترتب عليها من أحكام الجنايات والغرامات والعقوبات. وقد عرضت الدراسة مجموعة من أمثلة الحوادث وما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والعقوبات.

5. دراسة محمد المنجي (1993هـ) بعنوان: "دعوى تعويض حوادث السيارات" حيث شملت الدراسة قضايا كثيرة متعلقة بحوادث السيارات، والدعاوى المدنية ضد شركات التأمين. حيث عالج الباحث في فصول دراسته الجنائية، والتنظيم القانوني للدعوى ضد شركة التأمين، والحكم بالتعريض. حيث فصَّل الباحث في هذه المسائل من الجهة القانونية، وقد كان الدافع من وراء هذه الدراسة شدة حاجة الناس في العصر الحديث إلى تناول مثل هذه القضايا الشائكة الملحة بين المتضررين من حوادث السيارات وشركات التأمين، في وقت أصبحت فيه السيارات جزءًا من حياة الناس تلاحقهم بأضرارها وحوادثها في كل مكان.

6. دراسة عبد العزيز أحمد دياب (1416هـ) بعنوان: "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية . دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج". حيث كان الدافع من وراء هذا البحث كثرة الحوادث في المملكة العربية السعودية في العقدين الأخيرين كنتيجة للنمو الاقتصادي المتسارع، وما ينجم عنها من هدر للثروة واستنزاف للطاقات. وقد سعى الباحث إلى دراسة إحصائيات الحوادث المرورية في المملكة خلال الفترة من 1977م وحتى 1991م. وقد توصل الباحث إلى أن المتغيرات

المستقلة التي تسهم بدرجة عالية من الثقة في تحديد الحوادث المرورية في المملكة هي: الدخل، وثمن السيارة، ووعي السائق، والحالة الفنية للسيارة، ووقت القيادة.

7. دراسة جهاد محمد قربة (1420هـ) بعنوان: "طبيعة العلاقات المجالية للحوادث المرورية داخل الوسط الحضري لمدينة الشارقة . دراسة تحليلية لفترة التوسع 1987م . 1992م". وقد سعى الباحث من خلال دراسته إلى التعرف على الحوادث المرورية التي تحدث داخل المجال الحضري لمدينة الشارقة، والوقوف على الأسباب الرئيسة وراء وقوع هذه الحوادث. وقد اعتمد في جمع البيانات العلمية على الإحصاءات والمحاضر الصادرة عن إدارة مرور إمارة الشارقة. وقد توصل الباحث إلى أن التوسع العمراني الذي شهدته المدينة كان سببًا رئيسًا في كثرة وقوع الحوادث. ثم أعقب دراسته بمجموعة من التوصيات المتعلقة بالتدريب والتوجيه، وأخرى بالتخطيط الحضري للمدينة.

8. دراسة عامر ناصر المطير (1421هـ) بعنوان: "قيادة التلاميذ للسيارات وأثرها على الحركة المرورية في المملكة العربية السعودية". تناول الباحث في دراسته مشكلة قيادة التلاميذ للسيارات وحوادثهم المرورية في مدينة الرياض، حيث أعد الباحث استبانة تم توزيعها على عينة من طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية بلغت 900 طالب من مدينة الرياض. وقد أسفرت الدراسة على أن ما نسبته 54% من طلاب المرحلة الإعدادية و87% من طلاب المرحلة الثانوية يقودون السيارات، وأن نسبة كبيرة منهم يرتكبون حوادث ومخالفات مرورية كثيرة، وأن نسبة تصل إلى ربع العينة من طلاب الثانوية تتعمد ارتكاب الخطأ المروري. كما اتضح من الدراسة أن مدينة الرياض تأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد صغار السن دون 18 سنة المشتركين في حوادث المرور.

9. دراسة محمد حسين منصور (د. ت) بعنوان: "تدخل السيارة في حادث المرور . مناط مسؤولية القائد". تناول الباحث في دراسته استعراض وسائل النقل المختلفة وطبيعة حادث المرور، وتدخل السيارة فيه سواء كانت المتحركة أو الساكنة، وحوادث فتح باب السيارة، إلى قضايا قانونية أخرى متعلقة بمسألة التأمين، وأضرار الحوادث.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال الاستعراض الموجز للدراسات العربية السابقة التي وقف عليها الباحث في ضوء الموضوع المختار للدراسة الحالية اتضح أن هذه الدراسات في جملتها لم تتعرض لموضوع قيادة المرأة للمركبات، وأنها تشترك مع الدراسة الحالية في مسألة قيادة السيارات وما يتعلق بها من الحوادث، والآثار المترتبة على ذلك من الناحية الشرعية والاقتصادية والقانونية. فالدراسات: الثالثة والسابعة والثامنة جغرافية التخصص، والدراستان الخامسة والتاسعة تنحو منحنى قانونيًا، والدراسة الرابعة فقهية شرعية، والدراسة السادسة اقتصادية التوجه. إلا أن الدراستين الأولى والثانية أقرب الدراسات إلى موضوع الدراسة الحالية لطبيعتهما التربوية.

وهذه النتيجة التي ظهرت من خلال استعراض الدراسات السابقة: تعزز لدى الباحث اختيار الموضوع باعتباره دراسة جديدة لم يُسبق إليها من الناحية التربوية الإسلامية على الأقل.

* * *

مبررات منع المرأة من قيادة المركبات

من المنظور التربوي الإسلامي

تعتبر المواصلات من أهم المشكلات التي تواجه المرأة العاملة في هذا العصر، ولا سيما بعد التوسع الهائل في تشغيل النساء الذي شهده سوق العمل ضمن خطط التنمية المتعاقبة التي توصي بمشاركة النساء في التنمية الشاملة؛ ولهذا يضيق بعض النساء العاملات والمتحمسون لهن في البلاد المحافظة بالمنع من مزاولة المرأة قيادة السيارة، ويشعرن بالضيم، فلا يزلن يطالبن بذلك، دون نظر جاد لعواقب الأمور ([3]).

ورغم أن مهارة قيادة المركبات الصغيرة من حاجات هذا العصر المهمة ([4]): فإنها لا تبلغ عند المرأة المسلمة درجة الضرورة التي تبلغها عند رب الأسرة، بل ولا تبلغ درجة الحاجة التي تبلغها عند الشاب العَزَب الذي لا يقوم على أسرة، فهي في حقها في الأعم الأغلب من باب التحسينيات التي لا تتضرر بنقصها، والنادر .كما هو معروف . لا حكم له ([5])؛ ولهذا يُلاحظ في البلاد التي تسمح للمرأة بالقيادة توافر السيارات لدى الشباب أكثر بكثير من توافرها لدى الفتيات ([6])، كما أن إتقان

مهارتها يكاد يكون عامًا لدى غالب طلاب المرحلة الثانوية وكثير من طلاب المرحلة الإعدادية، حتى إن الشاب منهم يشعر بأن السيارة جزء من حياته، وعدم امتلاكها يمثل له نوعًا من الحرمان ([7]).

ورغم أن غالب دول العالم تسمح للنساء بممارسة هذه المهارة دون حرج، ورغم إتقان كثير منهن لها بصورة كبيرة ([8])، ورغم ممارسة جمع منهن لهذه المهارات في بعض الأرياف خارج المدن ([9]): فإن المختار في هذه القضية المنع، حتى في البلاد التي سمحت بها، واعتادها بعض النساء، فإن الأولى تركها، وإفراغ الوسع في تجنُّبها ([10])، لا لكون مهارة القيادة محرمة في ذاتها ولكن لما يمكن أن تفضي إليه من المحظورات المتعددة. ولعل فيما يلي من المبررات ما يجلي هذا التوجه ويقوي اختياره:

أولاً: المبرر الفقهي ([11]) لمنع المرأة من قيادة المركبات:

ويظهر هذا المبرر في كون الشريعة مبناها على جلب المصالح ودفع المفاسد، فما غلبت مصلحته أباحته، وما غلبت مفسدته منعته ([12]). فالمأمورات والمنهيات في الشريعة تشتمل كل منهما على مصالح ومضار، والحكم في كل منها على الأغلب ([13]). يقول ابن عبد السلام: "المصالح المحضة قليلة وكذلك المفاسد المحضة، والأكثر منها اشتمل على المصالح والمفاسد... والإنسان بطبعه يؤثر ما رجحت مصلحته على مفسدته، وينفر مما رجحت مفسدته على مصلحته"([14]). وهذه المسألة في تقديم الجهة الغالبة: من مسائل الإجماع عند العلماء، الثابتة بالكتاب والسنة والعقل، خاصة في هذا العصر الذي اختلطت فيه المصالح بالمفاسد بصورة كبيرة ([15]).

ومن هنا جاء باب سد الذرائع المفضية إلى المفاسد ([16])، أو المؤدية إلى إهمال أوامر الشرع، أو التحايل عليها ولو بغير قصد ([17])، فإن "سد الذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية، وحقيقته: منع المباحات التي يُتوصل بها إلى مفاسد أو محظورات... ولا يقتصر ذلك على مواضع الاشتباه والاحتياط؛ وإنما يشمل كل ما من شأنه التوصل به إلى الحرام"([18])، فالشارع الحكيم إذا حرَّم أمرًا حرَّم الوسائل

المفضية إليه ([19])؛ فإن "الوسائل تبعٌ للغايات في الحكم"([20])، و"وسائل الحرام" ([21])، و"ما أفضى إلى حرام حرام".([22])

والمسألة الفرعية التي يختلف في حكمها الناس: يُؤخذ فيها بالإجماع، فإن لم يُوجد، أخذ بالأحوط، ثم بالأوثق دليلاً، ثم يُؤخذ بقول من يُظن أنه أفضل وأعلم ([23]). ولا شك أن ترك المرأة لقيادة السيارة في هذا العصر هو الأحوط على أقل تقدير؛ فإن"فعل ما يُخاف منه الضرر إذا لم يكن محرماً فلا أقَلَّ أن يكون مكروهاً"([24])، حتى وإن تكلف رب الأسرة مهام نقل نسائه، أو اضطر لجلب الرجل الأجنبي لتولي هذه المهمة .كما هو حاصل في بعض البلاد ([25])- فإن هذا في العموم أهون الشرين، وأخف الضررين؛ لأن الضرر الخاص الذي تكلفه هذا الأب وأمثاله، وما يمكن أن يحصل من الرجل الأجنبي يُتحمل في سبيل دفع الضرر العام ([26]) الذي يمكن أن يعم المجتمع بتوسيع دائرة قيادة النساء للسيارات، فإن المفسدة العامة المنع فيها أشد من المفسدة الخاصة ([27]).

كما أن الفقهاء لا يعتبرون الطريق خلوة، فإنما الخلوة: الأمن من اطلاع الناس ([28])؛ بحيث يجتمع رجل بامرأة "في مكان لا يمكن أن يطلع عليهما فيه أحد، كغرفة أغلقت أبوابها ونوافذها وأرخيت ستورها"([29])، أو في فلاة لا يصلهما فيها أحد. ويُستأنس في هذا المقام بما نقله المروزي عن الإمام أحمد رحمهما الله حين سُئل عن: "الكحال يخلو بالمرأة وقد انصرف من عنده النساء، هل هذه الخلوة منهي عنها؟ قال: أليس هو على ظهر الطريق، قيل: بلى، قال: إنما الخلوة تكون في البيت"([30]). ثم إن مبدأ خدمة الرجل الأجنبي في السفر حين يركب النساء الهوادج كان أمرًا معلومًا منذ القديم، وقد كانت النساء زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحملن في الهوادج، ويقوم الرجال على خدمتهن وحمل هوادجهن ([31]). ولا يفهم من هذا التهاون في مسألة خلوة السائق بالمرأة ، فإن المفروض تقليل هذه الفرص، وضبطها قدر المستطاع؛ بل إن بعض العلماء([32]) يرى أن ركوب المرأة وحدها مع السائق الأجنبي أخطر من الخلوة في البيت ؛ لكونه يستطيع أن يذهب بها حيث شاء. وقد عالجت بعض الأسر في البلاد التي يُسمح فيها بقيادة المرأة للسيارات

مشكلة الخلوة بطريقة عجيبة حيث جلبت من بعض البلدان الأجنبية نساء سائقات. يتولين هذه المهام بدلاً من الرجال الأجانب ([33]).

ثانيًا: المبرر الأخلاقي لمنع المراة من قيادة المركبات:

وتظهر قوة هذا المبرر من حيث المفاسد الكثيرة التي يمكن أن تترتب على انطلاق النساء والفتيات بهذه المركبات الخاصة من: هجران المنزل، والسفر بغير محرم، والتعرض للمضايقات، والاختلاط بالأجانب، والتوسع في مجالات عمل المرأة المتعلقة بشؤون النساء السائقات، إضافة إلى مشكلات صيانة مركباتهن ضمن أجواء لا تناسب المرأة المسلمة، مع الاضطرار لكشف الوجوه، إلى مفاسد كثيرة يمكن أن تحدث إذا استمرأ المجتمع صورة المرأة السائقة ([34])؛ فإن غالب التغيرات الاجتماعية التنازلية تبدأ باليسير ثم تنتهي بما لا قِبَل للمجتمع به، وكما قيل: معظم النار من مستصغر الشرر؛ ففي بريطانيا قبل خمسين سنة تقريبًا كانت المرأة لا تحصل على رخصة القيادة إلا بعد إذن زوجها ([35])، ثم ما لبث أن فتح لهن الباب على مصراعية. وفي إحدى البلاد المحافظة كانت المرأة لا تركب المواصلات العامة الصغيرة إلا مع محرم لها، ثم تبدل الوضع وتوسع الأمر دون نكير ([36]). وهكذا طبائع الناس تنتقل من الأهون إلى الأشد بالتدريج حتى يصبح الممنوع مرغوبًا فيه، والسيارة كمركبة متحركة داخل المجتمع ليست حصنًا للمرأة من أن تُنال بسوء، أو تتعرض للفتنة، أو تعرض غيرها للافتتان، ولا سيما عندما تتعطل مركبتها في أماكن لا تأمن فيها المرأة على نفسها.

ثالثًا: المبرر الصحي لمنع المراة من قيادة المركبات:

ومبنى هذا المبرر أن الشريعة تنهى عن التعرض للهلاك؛ إذ حفظ النفس من مقاصدها ([37])، وقيادة المرأة للسيارة يعرضها للتلف ([38])، فإن السيارة آلة عنيفة لا تناسب طبيعة الإناث، وقد أكدت ذلك دراسة بريطانية على مجموعة من النساء السائقات، حيث توصلت إلى "أن 58% منهن يتوفين قبل الأربعين، و 60% منهن يصبن بأمراض نفسية، وقالت الدراسة: إن قيادة المرأة للسيارة لا تليق ولا تتناسب معها"([39]). ولا تزال هذه الآلة تتصف بالعنف حتى بعد تطورها، فإن حوادثها على المستوى العالمي في غاية القسوة، وغالبًا ما يتعرض لها العُزَّاب من الشباب، والنساء

المبتدئات، وينفرد الشباب بأعنف وأشد حوادثها ([40]). وقد أشارت الإحصاءات أن نسبة ضحايا حوادث المرور في دول الخليج تفوق نسبتها في أمريكا وبريطانيا ([41])؛ حيث يهلك في كل ساعة سبعة أشخاص في دول مجلس التعاون الخليجي ([42])، ويهلك في المملكة العربية السعودية وحدها . التي سجلت أعلى معدل لحوادث السير في العالم . حوالي سبعة أشخاص يوميًا ([43]).

وبلغ عدد الحوادث في العالم العربي خلال عام 2000م نصف مليون حادث، نجم عنها اثنان وستون ألف قتيل ([44]). ولا شك أن توسع النساء في هذه الممارسة سوف يزيد من نسبة تعرضهن للهلاك، مما يجعل هذه المهارة خطيرة على شخص المرأة، وعلى دورها التناسلي الذي يستوجب مزيدًا من السكون والاستقرار ([45])، إلى جانب ما يحدثه هذا التوسع من استنزاف للبيئة وتلويثها ([46]).

ويحاول بعض المتحمسين لتمرير موضوع قيادة المرأة للسيارة بضبطه من خلال منعهن من السفر بسيارتهن خارج المدن، والسماح لهن بقيادتها في فترات النهار دون الليل ([47]). وقد اتضح من خلال بعض الدراسات المحلية بالمملكة العربية السعودية أن 79% من حوادث السيارات تحصل داخل المدن، و65% منها تحصل في فترات النهار، كما أن

65% من هذه الحوادث تشارك فيها سيارات من الحجم الصغير ([48])، وهو الحجم المناسب من السيارات المرشح للمرأة. ويضاف إلى كل هذا وجود تلك العلاقة القوية بين ارتفاع درجة حرارة الجو وزيادة عدد الحوادث ([49])، ومن المعلوم أن دول الخليج من أكثر دول العالم ارتفاعًا في درجات الحرارة. ولما كان غالب حوادث السيارة "تقع في الوقت الذي يجب أن يكون فيه الإنسان في أعمق فترات النوم"([50])؛ فإن مزيدًا من الحوادث المرورية سيكون من نصيب المرأة العاملة السائقة؛ لكونها أكثر فئات المجتمع على الإطلاق جهدًا، أقلهن نومًا ([51]). ثم إن متغير التعليم والزواج لا دخل لهما في التقليل من حوادث السيارات؛ فقد دلت إحدى الدراسات في المملكة العربية السعودية على أن أكثر من 76% من السائقين المشتركين في حوادث المرور من المتعلمين، وأكثر من 53% منهم من المتزوجين؛ مما يدل على أن التعليم والزواج لم يخففا من أزمة الحوادث المرورية ([52]).

رابعًا: المبرر الفطري لمنع المرأة من قيادة المركبات:

وتظهر حجة هذا المبرر من حيث رقة جهاز الأنثى العصبي الذي لا يساعدها على حسن الأداء ([53])، وسرعة ارتباكها في أثناء القيادة لأبسط الأسباب ([54])، إلى جانب الخوف الذي ينتابها عادة من المسافات الطويلة ([55])، والخوف أيضًا من المناطق المفتوحة، الذي يزيد عند الإناث كلما كبرت أعمارهن ([56])، وهو ما يُسمى برهاب الساح، وهو نوع من الخوف ينتاب بعض الناس من المناطق المزدحمة والمفتوحة ([57])، إلى جانب ضعف قدراتهن على تعلم المفاهيم الجغرافية، كالمواقع والأماكن وتقدير الحيز الفراغي المرئي والمسافات، وقلة خبرات السفر لديهن؛ ولهذا يُلاحظ أن الإناث أقل قدرة على تعلم المفاهيم الجغرافية من المذكور ([58]). ولا شك أن هذه القضايا الفطرية مهمة لإتقان مهارة القيادة.

وأهم من هذا كله الضعف الصحي العام الذي لا تنفك عنه المرأة في العموم من آثار الدورة الشهرية، ومضاعفات النفاس وفترة الحمل، من حيث: الانفعالات النفسية، وارتفاع الضغط، وكثرة الصداع، والتوتر، والقلق، والتذبذب، والكآبة، وحدة المزاج، والآلام العامة خاصة في الحوض والظهر، والغثيان، وما يصيب عامة النساء الحوامل من الاضطرابات النفسية، وما يرافق ذلك من انكماش فطري طبيعي في حجم الدماغ عندهن في أثناء الحمل، وما يصاحب ذلك من ضعف الذاكرة، وصعوبة التذكر. إلى جانب تأثير هذه الأعراض على الاتزان العام، مما قد يدفع المرأة في هذه الظروف الفطرية إلى شيء من العنف والعجلة في بعض المواقف ([59])؛ ولهذا يشير العديد من الدراسات والإحصاءات المختلفة إلى ارتفاع نسبة تعرض المرأة أكثر من الرجل للاضطرابات النفسية، وحدة الانفعال، والانهيارات النفسية خاصة في هذه الفترات الفيسيولوجية، وبعد الولادة، وفي سن اليأس، وبعد عمليات الإجهاض ([60]). ومن المعلوم أن واحدة من هذه الأعراض الجسمية لا تسمح للرجل واقعيًا ولا نظاميًا بالقيادة، فكيف بها مجتمعة؟ ولا شك أن ما بين ربع إلى ثلث النساء على الأقل يقعن تحت هذه التأثيرات الفطرية بصورة دائمة، بمعنى أن ثلث النساء في المجتمع لا يصلحن . تحت ضغط هذه الطبيعة الفطرية وتأثيراتها

الجسمية . لقيادة السيارات. ولعل هذه الأسباب كانت وراء قلَّة أعداد النساء السائقات في العالم مقارنة بأعداد الرجال.

ولعل أعظم من هذا وأخطر: التأثير السلبي لنزيف الدماء الطبيعية على حاستي السمع والبصر عند النساء ([61]) . أهم عناصر هذه المهارة . ولهذا يُلاحظ كثرة حوادث النساء المرورية في العموم ، ولاسيما في أثناء فترة الحيض وما قبلها بقليل ،حيث تزيد لديهن العصبية، وتكثر لديهن الغفلة والنسيان والشرود الذهني، وهن في العموم يعانين من نقص في الاتزان النفسي والفسيولوجي، يجعلهن أكثر تعرضاً للسآمة والتعب، وأقل انتباهاً وتركيزاً، وأميل للتوتر والقلق، ولاسيما المرأة العاملة، التي تجمع بين العمل الوظيفي ومسؤولياتها المنزلية ؛ لذا فإن أكثر النساء أكثر تعرضاً لعصاب قيادة المركبات – أكثر من الذكور ([62])، مما يجعل قضية القيادة بالنسبة لهن في غاية الحرج. ومن المعلوم أن السائق هو همزة الوصل بين المركبة والطريق، وصفاته الوراثية والمكتسبة ومهارته وخبرته تلعب أدوارًا رئيسة في حصول الحوادث، وقد ثبت يقينًا من خلال الواقع أن السائق يتحمل أكثر أسباب الحوادث المرورية ([63])، وهي مرتبطة – إلى حد كبير – بشخصيه، فقيادة السيارة تشكل ضغطاً على نفس قائدها حين يحتاج إلى طاقات نفسية وذهنية وجسمية، تمكنه من التعامل مع الطريق وشكله، وما يحويه من متغيرات كالسيارات الأخرى، والمارة، وإشارات المرور، وظروف الازدحام، وهذا يتطلب من السائق درجة عالية من الانتباه ، والتركيز، والتوازن النفسي ، وقدرة جيدة على الحركة التلقائية السريعة التي تحصل بالخبرة والمران ، وتأتي بعفوية دون قصد.([64])

ولعل هذه الأسباب الفطرية في عنصر النساء كانت السبب في رفع قيمة التأمين على السيارات التي تمتلكها النساء ([65])، ومن المعلوم أن شركات تأمين السيارات تراعي ظروف الشخص المتقدم لطلب التأمين؛ ولهذا تزيد من قيمته على الأشخاص المطلقين ([66])؛ لكونهم في الغالب يعيشون حالة من التوتر النفسي الذي يعد سببًا رئيسًا في وقوع الحوادث.

خامسًا: المبرر الاقتصادي لمنع المرأة من قيادة المركبات:

ويظهر هذا المبرر من الناحية الفقهية في حالات حوادث المرور وما يقع فيها من الجنايات؛ حيث تُعفى المرأة مطلقًا من المشاركة في دية المقتول خطأ حتى وإن كانت هي الجانية، في حين يشترك الجاني البالغ من الذكور . على خلاف بين الفقهاء . مع باقي العاقلة من القرابات في دفع دية القتل الخطأ ([67])، بل وتستمتع المرأة مع الورثة في الحصول على نصيبها من دية زوجها ([68])، في الوقت الذي لا تُكلَّف فيه مع العاقلة بشيء، وهذا فيه إجحاف اقتصادي بحق رجال الأسرة من العصبات إذا مُكِّنت الفتيات من ممارسة أسباب العطب، خاصة إذا شعرن بالأمان من مغبة تحمل الغرامة المالية، ومن المعلوم أن الأصل في إلزام العاقلة دفع الدية في حال القتل الخطأ . مع ما فيه من التعاون . هو تأديبها لتقصيرها في كفِّ المستهترين والطائشين المنتمين إليها من العبث بأمن المجتمع، مما يدفعها . بصورة تضامنية جماعية . لحفظ سفهائها، ومن يُتوقع منهم الخطأ الذي يُكلفها الغرامات المالية ([69]).

وأما الزعم بأن مسألة الدية في مثل هذه الجنايات قد انحلت اليوم من خلال التأمين التجاري فلا حاجة إلى نظام العاقلة؛ فإن هذا النوع من التأمين القائم اليوم في المعاملات التجارية ممنوع شرعاً ([70]) , والضرر . كما هو معلوم شرعاً . لا يُزال بضرر, والخطأ لا يُعالج بخطأ.كما أن التأمين التعاوني . الغائب من المعاملات الاقتصادية المعاصرة . لو عُمل به في مثل هذه الجنايات – بالشروط الشرعية– لكان جلُّ ميزانياته تُنفق في جنايات النساء السائقات . ولا سيما المبتدئات منهن . والشباب المتهور، مما يُجحف من جديد بباقي المساهمين، من الحريصين على سلامة المجتمع وأمنه. ولهذا لن يرضوا بمشاركة هذه الفئات المتوقع منها الضرر بصورة كبيرة في صندوق تأمينهم التعاوني، مما سيضطر هذه الفئات . من جديد . للرجوع مرة أخرى بأزماتها الجنائية إلى العاقلة والعصبات، مما يُعطي لنظام العاقلة أهميته الاقتصادية والتعاونية، ودوره التربوي التوجيهي في الحياة الإسلامية ([71]).

وفي الجانب الآخر من المسألة الاقتصادية: استهلاك الثروة في هذه المراكب، وتجميد الأموال فيها، والاستنزاف المالي في مصروفاتها، وخسائرها التي تُقدر في دول الخليج ببليون دولار، وفي المملكة وحدها بملياري ريال، إضافة إلى ضغط

الحركة المرورية في البلاد النامية التي لا تتسع طرقها لمراكب الرجال فضلاً عن مراكب النساء والفتيات، خاصة بعد أن ثبت أن ازدحام الطرق من أعظم أسباب كثرة الحوادث ([72]). وفي بلد مثل المملكة العربية السعودية زاد عدد السيارات تسعة أضعاف ما بين عامي 1395هـ و 1411هـ ([73])، وأعجب من هذا ما أشارت إليه الإدارة العامة للمرور بالمملكة أن واقع عدد السيارات عام 1405هـ تضاعف عما كان عليه عام 1391هـ ثمانية وعشرين ضعفًا ([74])، وأعجب من هذا وأغرب ما أشارت إليه إحدى الدراسات أن عدد السيارات في المملكة تضاعف 38 مرة في الفترة ما بين عام 1391هـ وعام 1413هـ، كما أشارت الدراسة إلى أن ما بين كل 1000 شخص في المملكة هناك 350 شخصًا يمتلكون سيارة خاصة، رغم أن النساء لا يقدن فيها السيارات، في حين يملك في بريطانيا السيارة الخاصة من كل 1000 شخص 306 شخص ([75]).

"وبالرغم من التوسع الهائل في المملكة في إنشاء الطرق داخل المدن وخارجها فإن هذا التوسع لا يُواكب الزيادة الهائلة في أعداد السيارات ووسائل النقل الأخرى، وهذا قد سبب . ولا شك . الكثير من الاختناقات المرورية والزحام الشديد في المواصلات خاصة في المدن الكبيرة كجدة والرياض"([76]). فهاتان المدينتان مع مدينة الدمام تستوعب ثلث سكان المملكة تقريباً ([77]). ولا شك أن لو سُمح للنساء بالقيادة لزاد عدد السيارات بصورة كبيرة لا تستوعبها الطرق، في الوقت الذي يُهدد فيه العالم . ولا سيما في الدول الصناعية . بزيادة عدد السيارات والتلوث البيئي. ومن المعلوم أن سحر السيارة الجديدة في هذا العصر مظهر من مظاهر الترف الذي يتنافس فيه الناس ([78])، وسوف يكون في غاية القوة والترف إذا شارك النساء في هذه المنافسة الاجتماعية الأخَّاذة؛ لكونهن . بالفطرة . مأخوذات بعواطفهن، مشدودات برغباتهن. فلن يكون امتلاك السيارة عن حاجة بقدر ما يكون للمفاخرة والاستكثار، وقد دلَّ البحث الميداني في دول الخليج على أن عدد السيارات للأسرة الواحدة يزيد عند الأسر التي لا يشارك نساؤها في قوى العمل، وتقل أعدادها في الأسر التي يشارك نساؤها في قوى العمل ([79])؛ مما يدل على أن امتلاك السيارة ليس هو

دائمًا للحاجة؛ فإن المرأة العاملة التي يقل لدى أسرتها عدد السيارات قد تكون أحوج إليها من غير العاملة التي يكثر لدى أسرتها عدد السيارات.

سادسًا: المبرر التاريخي لمنع المرأة من قيادة المركبات:

يعتمد المؤيدون لقيادة المرأة للسيارة على المبرر التاريخي رغم أنه لا يُؤيد توجههم؛ فعلى الرغم من الفارق الكبير بين طبيعة وظروف قيادة السيارة وقيادة الدواب فإن النساء منذ القديم لم يكنَّ من أهل الخيل والفروسية إنما الخيل من مطايا الرجال ([80])، وقد كان من المستغرب ركوب النساء للخيل في بلاد زنجبار في القرن التاسع عشر،([81]) والسيارات الخاصة أشبه مراكب هذا العصر بها ([82])، فهي من هذه الجهة متعلقة بالرجولة إلى حد كبير ([83]). ولهذا لا يجد الباحث ذكرًا للنساء عند ذكر الخيل والفروسية؛ لما اشتمل عليه ركوب الخيل من البطولة والطلب والهرب، ومواقع القتال من الكر والفر ([84])، مما لا يناسب الطبيعة الأنثوية، بل إن بعض القبائل في القديم كانت تُحرِّم على النساء ركوب الخيل لمعتقدات وأخلاق اجتماعية كانوا يرونها ([85]).

وأما البغال . مع كونها ليست من المراكب الآمنة بصورة مطلقة . فقد نُقل عن بعض نساء السلف ركوبها وهنَّ مستورات بستور أو في بواطن الهوادج ([86])، إلا أن الإبل كانت من أوسع مراكب النساء العربيات وألطفها بأحوالهن، ومع هذا لم يكنَّ . في الغالب . ينفردن بركوبها، فقد ارتبط ركوبهن عليها بالهوادج المستورة، التي يتولى قيادتها عادة ساقة الإبل من الرجال ([87])؛ ولهذا ارتبط الهودج بالمرأة في تنقلها وأسفارها ([88])، وحتى على مستوى التعريف اللغوي والاصطلاحي فالهودج مركوب المرأة ([89])، وأبعد من هذا تفسير رؤية الهودج في المنام بالمرأة عند مفسري الأحلام ([90]). ومما يُشير إلى هذا أيضًا ويؤيده جواب التابعي أبي ثفال المري حين سُئل عن خروج المرأة؟ فقال: "لأي شيء تخرج؟ والله لا تنفر في النفير ولا تسوق البعير"([91])، ولما استأذنت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة أردفها أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما خلفه على الدابة، ولم تنفرد بركوبها وحدها ([92])، ومن المعلوم أن سائق إبل النساء يتلطف في سيره، ولا يشتد عليهن خوفًا من سقوطهن لقلة ثباتهن على الدواب ([93])؛ فقد

وصفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوارير ([94])، يعني أنهن كالزجاج، "يُسْرِع إليها الكسر، ولا تقبل الجبْر"([95]). وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها اعتناء الرجال، وقيامهم على بعيرها وهودجها فتقول: "وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتيني القوم ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به"([96])، وفي خبر الإفك لما تأخرت عن الركب، وأدركها صفوان بن المعطَّل رضي الله عنه قالت: "ثم قرَّب البعير فقال: اركبي، واستأخر عني فركبت، فأخذ برأس البعير وانطلق سريعًا يطلب الناس"([97])، يعني أنها لم تنفرد بقيادة البعير رغم وقوعها في مثل هذا الموقف الحرج، في خلوة مع شخص أجنبي، وما ترتب على مرافقته لها . بعد ذلك . من أزمة اجتماعية خطيرة. وفي هذا المعنى يصف الأخطل . شاعر الأمويين ([98]) . رحيل النساء على الإبل حين يسوقهن الحادي، وقد رُحِّلت مراكبهن فيقول:

لبثن قليلاً في الديار وعُوليتْ على النُجْب للبيض الحسان مراكب

إذا ما حدا الحادي المجدُّ تدافعت بهن المطايا واستُحثَّ النجايب ([99])

وهذا كلُّه يُشير . في الجملة . إلى أن مهارة القيادة للآليات أو للدواب مرتبطة بالذكور ارتباطًا وثيقًا؛ بل إن المرأة المعاصرة لم تقد السيارة في أوروبا إلا قبل زمن يسير؛ فإلى الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي كانت السيارة حكرًا على الرجل، ووسيلته لجذب المرأة وإغرائها بالزواج ([100])، إلا أنه ذُكر أن صانع أول سيارة في ألمانيا عام 1888م سمح لزوجته أن تقودها لأول مرة أمام الجماهير ([101]). وهذا الخبر إن صحَّ لا يعدو أن يكون لطيفة من اللطائف الأوروبية؛ وإلا فإن تحريك عجلة القيادة إلى عهد قريب جدًا كان شديدًا على الرجل المكتمل البنية فضلاً عن أن يكون سهلاً بيد المرأة العادية.

* * *

الخاتمة

إن هذه المبررات المتعددة لكفِّ النساء عن مزاولة مهارة قيادة السيارات لا تُجيز . في الجانب الآخر . للمرأة المسلمة أن يُقتطع من عرضها وشرفها في المواصلات العامة

المزدحمة بالأجساد المتراكمة كما هو حاصل في كثير من البلاد النامية ([102])؛ وإنما الهدف من كل هذا ربط المرأة بحصن البيت من الجهة المالية عن طريق تطوير التنمية الاقتصادية العائلية، من خلال الصناعات المنزلية التي أثبتت جدواها الاقتصادية ([103])، مع الاستفادة من فرص العمل المتاحة عبر شبكات الإنترنت التي أصبحت واقعًا في كثير من بلاد العالم ([104])، فلا تحتاج للكسب خارج نطاق الأسرة. وربطها أيضًا بالبيت من الجهة المعرفية من خلال التعليم عن بعد بوسائله المختلفة، فقد أصبح هذا النوع من التعليم واقعًا عالميًا مقبولاً ([105])، فلا يبقى للمرأة خارج المنزل إلا ما لا بد لها منه من الحاجات والمصالح.

وإلى جانب ذلك لا بد أيضًا . ضمن ظروف الحياة الواقعية . من التوسع في وسائل النقل العام من الحافلات الكبيرة ونحوها؛ بحيث تصبح أكثر جدوى وراحة وأمانًا بالنسبة للمرأة المحتاجة للخروج، كالمعلمة والطالبة ونحوهما. إلا أن الواقع يشهد بقصور وسائل النقل العام؛ ففي بلد كالمملكة العربية السعودية لا يزيد النقل العام عن استيعاب 7% فقط من حركة الرحلات المرورية، في الوقت الذي يستوعب فيه النقل العام في أوروبا 40% من هذه الرحلات المرورية ([106])، حتى إن مدينة مثل الرياض لا يتولى فيها النقل المدرسي العام أكثر من 1% من أعداد الطلاب ([107])، في حين لا يُسمح لطلاب المدارس في اليابان الانتقال إلى مدارسهم بسياراتهم الخاصة، ولا حتى بالدراجات النارية ([108])، إنما بالنقل العام، وفي سنغافورة تتبنى الدولة سياسة متشددة في استخدام السيارات الخاصة، وتفرض قيودًا عليها، رغبة في توجيه الناس نحو النقل العام ([109])؛ ولهذا جاء في توصيات الندوة العلمية الأربعين المنعقدة في الرياض عام 1417هـ حول أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، والتي شاركت فيها ثلاث عشرة دولة عربية ما نصه: "ضرورة التوسع في وسائل النقل الجماعية في المدن العربية، وتوفيرها بأسعار مشجعة، لحمل ساكني المدن على استخدامها بمختلف فئاتهم من موظفين وطلاب وغيرهم"([110])، فلا بد أن تكون توصية كهذه ضمن اهتمامات المسؤولين، بحيث تفعَّل بصورة جادة لتحقيق هدف التخفيف من كثرة السيارات، وإقناع المجتمع . ولا سيما النساء . باستخدام وسائل النقل العام، وفي الوقت نفسه تُغنيهنَّ عن السعي في المطالبة بقيادة

السيارات الخاصة التي تزيد من أعداد السيارات، وبالتالي تزيد من احتمالات وقوع الحوادث، إلى مشكلات أخرى تقدم ذكرها.

إن مما ينبغي أن تدركه المرأة والنساء عمومًا أن هناك تقبلاً اجتماعيًا خطيرًا نحو قيام المرأة بأدوار الرجل التي كانت إلى عهد قريب مناطة به كالعمل للكسب، وعلاج الأبناء، والترفيه عنهم، ونحوها من الأعمال، فقد أصبح المجتمع المعاصر يتقبل اتكال الرجل على زوجته في هذه المهمات ([111])، فلا يعدو تولي المرأة قيادة السيارة أن تكون تكليفًا جديدًا لمهمات أخرى تنحط عن كاهل الرجل لتنوء بأعبائها المرأة، مقابل استمتاعها بمهارة قيادة السيارة.

نتائج البحث:

من خلال فقرات الدراسة توصل الباحث إلى العديد من النتائج ومن أهمها:

1. الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد عنهم، ومن حق السلطان المسلم أن يمنع النساء من قيادة المركبات سدًا للذرائع المفضية إلى المفاسد.

2. لا تعتبر السيارة الخاصة مهما كانت صالحة حصنًا للمرأة من أن تنال بسوء، إلى جانب ما يترتب على انطلاقها بها من انفلات اجتماعي لا يوافق توجيه الإسلام لها بالقرار والالتفات إلى المنزل.

3. السيارة آلة عنيفة في طبيعتها وبنائها لا تناسب الطبيعة الأنثوية والدور المناط بها المتطلب لمزيد من السكون والهدوء، إلى جانب مخاطرها وقسوة حوادثها.

4. الجانب الفطري في طبيعة خلْقة المرأة وظروفها الجسمية والنفسية لا يسمح لها بتحمل مسؤولية القيادة، والمخاطرة بنفسها وبغيرها.

5. تعود أسباب كثير من الحوادث إلى ضيق الشوارع عن استيعاب السيارات، كما أن حجم التلوث البيئي مرتبط بكثرتها أيضًا، وفي السماح للنساء بقيادة السيارات زيادة في أعدادها المسببة للحوادث من جهة، وزيادة في تلويث البيئة من جهة أخرى. إلى جانب أن النساء لسن من العاقلة التي تتحمل في حال القتل الخطأ الغرامات المالية التي يتحملها البالغون من الرجال، هذا فيه إجحاف بالرجال إذا مكِّنوا النساء من أسباب العطب والضرر.

6. المرأة عبر التاريخ لم تكن من أهل الفروسية والخيل وإنما ارتبطت منذ القديم بركوب الإبل في الهوادج المستورة، وتولى الرجل منذ ذلك الزمن خدمتها في الأسفار وحمل هودجها عند الترحال، فلا يصح . بناء على ذلك . اعتبار ركوب المرأة في القديم على الإبل كقيادتها للسيارة في هذا العصر.

7. وجود بدائل عصرية يمكن من خلالها إغناء النساء عن قيادة المركبات من خلال وسائل النقل العام الكبيرة وإحياء الصناعات المنزلية، والاستفادة من وسائل التعليم عن بعد.

8. شح الدراسات العملية في موضوع قيادة المرأة للسيارات مما يتطلب مزيدًا من البحث في الموضوع والوقوف على دراسات أجنبية للتأكيد على صحة القرار بالمنع.

كتبه

د. عدنان حسن باحارث

السعودية . مكة المكرمة

ص. ب 6525

هاتف: 5501569

فاكس: 5663677

جوال: 055532605

البريد الالكتروني

@hotmail.com3456Adnan

المراجع

1. أحمد، عبد الرحمن يسري (1417هـ). تنمية الصناعات الصغيرة ومشكلات تمويلها. (د. ط). الإسكندرية: الدار الجامعية.

2. إدريس، عبد الفتاح محمود (1414هـ). أحكام العورة في الفقه الإسلامي . بحث مقارن. (د.م): (د. ن).

3. أسعد، يوسف ميخائيل (د. ت). الشخصية القوية. (د. ط). مصر: دار غريب.

4. الأسود، أبو محمد الأعرابي الغندجاني (د. ت). أسماء خليل العرب وأنسابها وذكر فرسانها. تحقيق محمد علي سلطاني. (د.ط). بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع.

5. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية (1418هـ). "توصيات الندوة العلمية الأربعين". الندوة العلمية الأربعون بعنوان: أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور . الرياض 1417هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

6. الألباني، محمد ناصر الدين (1409هـ). صحيح سنن النسائي. بيروت: المكتب الإسلامي.

7. أيوب، ياسر (1995م). الانفجار الجنسي في مصر. القاهرة. دار سفنكس للطباعة والنشر.

8. البار، محمد علي (1402هـ). خلق الإنسان بين الطب والقرآن. ط 3. جدة: الدار السعودية.

9. ابن باز، عبد العزيز عبد الله (1416هـ). مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. جمع محمد سعد الشويعر. ط2. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

10. باشا، حسان شمسي (1413هـ). النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن. ط 2. جدة: دار المنارة.

11. باول، دوغلاس (1422هـ). تسع خرافات عن الشيخوخة. ترجمة هالة النابلسي. الرياض: مكتبة العبيكان.

12. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1410هـ). صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط 4. دمشق: دار ابن كثير.

13. البدر، محمود عبد العزيز (1412هـ). "الإعلام التربوي في دول الخليج العربية". وقائع اجتماع مسؤولي الإعلام التربوي في دول الخليج العربية . قطر 19 . 5/20/ 1412هـ. مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

14. البرديسي، محمد زكريا (1407هـ). أصول الفقه. ط3. بيروت: دار الفكر.

15. البرهاني، محمد هشام (1406هـ). سد الذرائع في الشريعة الإسلامية. بيروت: مطبعة الريحاني.

16. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (1420هـ). شرح صحيح البخاري. تحقيق ياسر إبراهيم. الرياض: دار الرشد.

17. بكار، عبد الكريم (1418هـ). مدخل إلى التنمية المتكاملة . رؤية إسلامية. الرياض: دار المسلم.
18. بكار، نادية أحمد (1421هـ). "مدى وعي معلمات الجغرافيا بقضية سوء فهم المفاهيم الجغرافية". مجلة رسالة التربية وعلم النفس. العدد (12). الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، الرياض.
19. البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس (د. ت). كشاف القناع عن متن الإقناع. (د. ط). بيروت: عالم الكتب.
20. بوحجي، هناء (1998م يونيه 29). "البحرين تمنع المنقبات من قيادة السيارات". صحيفة الشرق الأوسط. العدد (7153). لندن.
21. البورنو، محمد صدقي (1415هـ). الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية. ط 3. الرياض: مكتبة التوبة.
22. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي النيسابوري (1344هـ). السنن الكبرى. بيروت: دار المعرفة.
23. بيوشامب، إدوارد (1420هـ). التعليم الياباني والتعليم الأمريكي . دراسة مقارنة. ترجمة محمد طه علي. الرياض. دار المعرفة للتنمية البشرية.
24. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (د. ت). الجامع الصحيح. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخران. (د.م): دار إحياء التراث العربي.
25. تيس، سي. ود. بيركس (1397هـ). "دور المرأة في الريف العماني". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد (10). جامعة الكويت، الكويت.
26. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (د. ت). مجموع الفتاوى. ترتيب عبد الرحمن محمد العاصمي النجدي. (د. ط). الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، مكة المكرمة.
27. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1997م). البغال. تحقيق علي بن ملحم. ط2. بيروت: دار الهلال.
28. جبر، يحيى عبد الرؤوف (1421هـ). "مشروع تلفزة الأيام الدراسية". مجلة رسالة الخليج العربي. العدد (42). مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

29. الجراية، أنور (1994م). "الشخصية". مجلة الثقافة النفسية. العدد (17). مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية، بيروت: دار النهضة العربية.
30. ابن جزي، أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الكلبي الغرناطي (1406هـ). الخيل. تحقيق محمد العربي الخطابي. (د. ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
31. الجوهري، محمد فائق (1418هـ). العادة السرية عند الرجل والمرأة. ط 2. الرياض: أضواء السلف.
32. أبو جيب، سعدي (1985م). موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي. (د. ط). إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.
33. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (د. ت). المستدرك. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.
34. الحربي، سعد شارع (1415ه). الأحكام الخاصة بالمرأة. الرياض: دار المسلم.
35. ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (1398هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخران. (د. ط). القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
36. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري الأندلسي (1408هـ). المحلى بالآثار. تحقيق عبد الغفار البنداري. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
37. حسون، تماضر زهري (1414هـ). تأثير عمل المرأة على تماسك الأسرة في المجتمع العربي. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، وزارة الداخلية، الرياض.
38. الحسيني، عائشة (1409ه). إعداد وتنمية القيادات الإدارية النسائية في قطاع التعليم العاليم بالمملكة العربية السعودية. جدة: دار البيان.
39. الحسيني، عائشة (1985م). "التخطيط للاحتياجات من الكفاءات الإدارية النسائية في المملكة العربية السعودية . دراسة نظرية ميدانية". المؤتمر الإقليمي الثالث للمرأة في الخليج والجزيرة العربية 1984م. لجنة تنسيق العمل النسائي في الخليج والجزيرة العربية، الكويت.

40. الحفني، عبد المنعم (1412هـ). الموسوعة النفسية الجنسية. القاهرة: مكتبة مدبولي.
41. الدباغ، فخري (1983م). أصول الطب النفسي. ط 3. بيروت: دار الطليعة.
42. حمود، رفيقة سليم (1417هـ). المرأة المصرية . مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل. القاهرة: دار الأمين.
43. خلف، سليمان نجم (1998م). "العولمة والهوية الثقافية . تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية". المجلة العربية للعلوم الإنسانية. العدد (61). جامعة الكويت، الكويت.
44. الدربندي، عبد الرحمن سليمان (د. ت). المرأة العراقية المعاصرة. وزارة التربية، العراق.
45. الدويك، يوسف راتب (1405هـ). "الرياضة في الإسلام". مجلة التربية. العدد (72). قطر.
46. دياب، عبد العزيز أحمد (1416هـ). "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية . دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج". مجلة جامعة الملك عبد العزيز . الاقتصاد والإدارة. (د.ع). المجلد التاسع، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
47. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (1421هـ). الحاوي في الطب. تحقيق محمد محمد إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلمية.
48. رشاد، نادية محمد (د. ت). التربية الصحية والأمان. (د. ط) الإسكندرية: منشأة المعارف.
49. الزحيلي، وهبة (1405هـ). الفقه الإسلامي وأدلته. ط2. دمشق: دار الفكر.
50. الزرقاء، مصطفى أحمد (1408هـ). الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها. دمشق: دار القلم.
51. الزركلي، خير الدين (1980م). الأعلام. ط 5. بيروت: دار العلم للملايين.
52. السالم، زغلولة (1997م). صورة المرأة العربية في الدراما المتلفزة. (د. ط). عمان: دار آرام.

53. السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (د. ت). شرح كتاب السير الكبير. تحقيق صلاح الدين المنجد. (د. ط). (د. م): (د.ن).
54. السعدي، عبد الرحمن ناصر (1415هـ). الفتاوى السعدية. بيروت: عالم الكتب.
55. السفاريني، أبو العون شمس الدين محمد بن أحمد النابلسي الحنبلي (د. ت). غداء الألباب. (د. ط). (د.م): مؤسسة قرطبة.
56. أبو سنة، أحمد فهمي (1412هـ). العرف والعادة في رأي الفقهاء. ط2. (د. م): (د. ن).
57. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي (د. ت). الموافقات. عناية عبد الله دراز ومحمد عبد الله دراز: (د. ط). بيروت: دار المعرفة.
58. ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (د. ت). تاريخ المدينة المنورة. تحقيق فهيم محمد شلتوت. (د. ط). (د. م): (د. ن).
59. الشربيني، محمد الخطيب (د. ت). مغني المحتاج. (د. ط). بيروت: دار الفكر.
60. شريف، سعيدة (1419هـ ربيع الآخر 27). "حوادث السير.. حرب صامتة في المغرب". صحيفة الشرق الأوسط. العدد (6204). لندن.
61. شعبان، زكي الدين (1394هـ). أصول الفقه الإسلامي. ط3. بيروت: دار القلم.
62. الشيباني، عبد الله بن أحمد . محمد بن حنبل المروزي (1421هـ). فضائل عثمان بن عثمان. جدة: دار ماجد عسيري.
63. شيخاني، سمير (1416هـ). سجل الأيام. بيروت: دار الجيل.
64. الصالح، ناصر عبد الله (1408هـ). حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة . العلاقات المكانية والاتجاهات الزمانية. (د. ط). مركز بحوث العلوم الاجتماعية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

65. الصوفي، محمد سالم (1418هـ). "الشباب الباحث عن الموت". مجلة المجتمع. العدد (1261). جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت.
66. الصنيع، عبد الله علي (1415هـ). دراسات في قضايا المدن المعاصرة والتحضر بأقلام نخبة من العلماء الأفاضل. جدة: دار المجتمع.
67. الظفيري, عبد الوهاب محمد(1421هـ). "النساء المعيلات للأسرة في حالة غياب الأب . نموذج أسر الشهداء". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد (98). جامعة الكويت، الكويت.
68. ابن عابدين، محمد أمين (1412هـ). حاشية رد المحتار. ط 2. بيروت: دار الفكر.
69. العالم، إسماعيل أحمد (2000م). "الصور الحركية ومجالاتها في شعر الأخطل". المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد (71). جامعة الكويت، الكويت.
70. عبد الخالق، أحمد محمد وعويد سلطان المشعان (1419هـ). "المخاوف الشائعة لدى الأطفال والمراهقين الكويتيين ومدى تأثرها بالعدوان العراقي". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد (89). جامعة الكويت، الكويت.
71. ابن عبدالسلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (د. ت). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تحقيق محمود التلاميد الشنقيطي. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.
72. عبد العال، جمال عبد المحسن (1418هـ). "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها". الندوة العلمية الأربعون بعنوان: أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور . الرياض 1417هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
73. عبد الفتاح، فاطمة (1414هـ). الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي. (د. ط). بيروت: دار الفكر.
74. العريني، محمد ناصر (1420هـ). المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوي التحرير. ط 2. الرياض: مطبعة سفير.
75. علي، بدر الدين (1410هـ). قضاء وقت الفراغ لدى الشباب العربي. (د. ط). المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

76. عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (1419هـ). إكمال المعلم بفوائد مسلم. تحقيق يحيى إسماعيل، المنصورة: دار الوفاء.

77. العيسوي، عبد الرحمن (1419هـ). علم نفس الشواذ والصحة النفسية. بيروت: دار الراتب الجامعية.

78. عيسى، مصباح الحاج (1407هـ). "استخدام الهاتف والشاشة الإلكترونية في التعليم عن بعد بدول الخليج العربية". المجلة العربية لبحوث التعليم العالي. العدد (6). المركز العربي لبحوث التعليم العالي، دمشق.

79. الغامدي، علي سعيد (1418هـ). "تقنية المستقبل في مواجهة مشكلة المرور". الندوة العلمية الأربعون بعنوان: أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور . الرياض 1417هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

80. فهيم، محمد عيسى وآخران (1405هـ). السلوك المزعج الصادر عن السائقين أثناء القيادة . دراسة ميدانية بمدينة مكة المكرمة. (د. ط). مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

81. القاري، نور الدين علي بن سلطان الهروي (د. ت) شرح عين العلم وزين الحلم. (د. ط). القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

([1]) انظر: المحرر. قطوف رمضان 1422هـ. ص 6 . 10.

([2]) الدراسات مرتبة حسب سنة النشر.

([3]) انظر: أ . الحسيني، عائشة. إعداد وتنمية القيادات الإدارية النسائية في قطاع التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية. ص 113.

ب . الحسيني، عائشة. "التخطيط للاحتياجات من الكفاءات الإدارية النسائية في المملكة العربية السعودية . دراسة نظرية ميدانية" ج 1، ص 406.

ج . المحرر. قطوف شعبان 1421هـ . ص 95.

([4]) أسعد، يوسف ميخائيل. الشخصية القوية. ص 218.

([5]) انظر: البرهاني، محمد هشام. سد الذرائع في الشريعة الإسلامية. ص 334.

([6]) انظر: علي، بدر الدين. قضاء وقت الفراغ لدى الشباب العربي. ص 85 و 158.

([7]) انظر: المطير، عامر ناصر. "قيادة التلاميذ للسيارات وأثرها على الحركة المرورية في المملكة العربية السعودية" ص 49 و 54.

([8]) انظر: الدربندي، عبد الرحمن سليمان. المرأة العراقية المعاصرة. ج 1، ص 184 ـ 185.

([9]) انظر: تيس، سي. و د. بيركس. "دور المرأة في الريف العماني" ص 106 ـ 107.

([10]) تبقى للضرورة حدودها التي تُقدر بقدرها للنساء المضطرات للقيادة في بعض البلاد.

([11]) المقصود بالمبرر الفقهي هنا: هو المعنى الاصطلاحي الخاص لكلمة "الفقه" وهو الجانب العملي التطبيقي من الشريعة الإسلامية المنزلة، وحكم الفقهاء في مسألة قيادة المرأة للمركبات بناء على المصادر الفقهية.

([12]) البرديسي، محمد زكريا. أصول الفقه. ص 308.

([13]) انظر: ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج 1، ص 265.

([14]) ابن عبد السلام. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. ج 1. ص 12.

([15]) الوكيل، محمد. فقه الأولويات ـ دراسة في الضوابط. ص 225.

([16]) الشاطبي. الموافقات. ج 4، ص 199.

([17]) الزرقاء، مصطفى أحمد. الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها. ص 45.

([18]) منظمة المؤتمر الإسلامي. قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي. ص 209 (بتصرف).

([19]) ابن القيم. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج 3. ص 135.

([20]) الإدريسي، عبدالواحد. القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة. ص 428.

([21]) المرجع السابق. ص 430.

([22]) المرجع السابق. ص 430.

([23]) القاري. شرح عين العلم وزين الحلم. ج 1، ص 47.

([24]) الإدريسي، عبدالواحد. القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة. ص 427.

([25]) انظر: ولي، نور بيكم محمد. دراسة استطلاعية عن كيفية ودواعي اعتماد الأسرة السعودية على السائقين المستقدمين ص 68، 158 . 159.

([26]) انظر: البورنو، محمد صدقي. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية. ص 206.

([27]) البرهاني، محمد هشام. سد الذرائع في الشريعة الإسلامية. ص 210.

([28]) إدريس، عبد الفتاح محمود. أحكام العورة في الفقه الإسلامي . بحث مقارن. ج2، ص 569.

([29]) قلعه جي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي. معجم لغة الفقهاء. ص 200.

([30]) السفاريني. غذاء الألباب. ج 2، ص 22.

([31]) انظر: أ . عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ج 8, ص 287 . 288.

ب . ابن بطال. شرح صحيح البخاري. ج 8، ص 39.

([32]) مثل: ابن إبراهيم. فتاوى ابن إبراهيم. ج10 ، ص 52 – 54.

([33]) خلف، سليمان نجم. "العولمة والهوية الثقافية . تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية" ص 75.

([34]) انظر: أ . ابن باز، عبد العزيز عبد الله. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. ج 3، ص 351 . 353.

ب . المسند، محمد. فتاوى المرأة. ص 192 . 194.

جـ . المجدوب، أحمد علي. اغتصاب النساء في المجتمعات القديمة والمعاصرة. ص 201 . 202.

د . العريني، محمد ناصر. المرأة بين تكريم الإسلام ودعاة التحرير. ص 65 . 78.

بوحجي، هناء. "البحرين تمنع المنقبات من قيادة السيارات" ص 28.

([35]) الموسى، عبد الرسول. "الوظيفة كأحد إفرازات التحضر في الكويت" ص 128.

([36]) الحسيني، عائشة. إعداد وتنمية القيادات الإدارية النسائية في قطاع التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية. ص 113.

([37]) انظر: شعبان، زكي الدين. أصول الفقه الإسلامي. ص 386 ـ 387.

([38]) انظر: المحرر. قطوف جمادى الأولى 1419هـ. ص 9.

([39]) المحرر. "سياقة المرأة للسيارة تقصر العمر" ص 1.

([40]) انظر: أ. النافع، عبد الله وخالد السيف. تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادات السيارات بالمملكة. ص 49 ـ 50، 60.

ب ـ الصالح، ناصر عبد الله. حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة ـ العلاقات المكانية والاتجاهات الزمانية. ص 35.

جـ ـ دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية ـ دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج" ص 6 ـ 7.

([41]) المحرر. قطوف صفر 1419هـ. ص 123.

([42]) الغامدي، علي سعيد. "تقنية المستقبل في مواجهة مشكلة المرور" ص 70.

([43]) انظر: أ ـ الصنيع، عبد الله علي. دراسات في قضايا المدن المعاصرة والتحضر بأقلام نخبة من العلماء الأفاضل. ص 217.

ب ـ المحرر. قطوف ربيع الثاني 1423هـ. ص 123.

([44]) المحرر. قطوف ربيع الثاني 1422هـ. ص 112.

([45]) الرازي. الحاوي في الطب. ج 3، ص 1456.

([46]) بكار، عبد الكريم. مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية ص 355.

([47]) انظر: المحرر. قطوف شعبان 1421هـ. ص 96.

([48]) انظر: أ ـ دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية ـ دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج" ص 10 ـ 11.

ب ـ عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 22.

([49]) العيسوي، عبد الرحمن. علم نفس الشواذ والصحة النفسية ص 269.

([50]) باشا، حسان شمسي. النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن. ص 48.

([51]) انظر: أ . حسون، تماضر زهري. تأثير عمل المرأة على تماسك الأسرة في المجتمع العربي. ص 66 . 67، 152 . 153.

ب . يونس، منى. "اعتراضات المرأة العاملة على العمل . بحث استطلاعي" ص 209 . 211.

([52]) عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 28.

([53]) انظر: كحالة، عمر رضا. المرأة في القديم والحديث. ج 3، ص 62.

([54]) الصوفي، محمد سالم. "الشباب الباحث عن الموت" ص 10.

([55]) انظر: عبد الخالق، أحمد ومحمد وعويد سلطان المشعان. "المخاوف الشائعة لدى الأطفال والمراهقين الكويتيين ومدى تأثرها بالعدوان العراقي" ص 328.

([56]) محمد، عادل شكري وفريح عويد العنزي. "دراسة إنمائية لبعض المتغيرات الباثولوجية لدى فئات عمرية متباينة" ص 115.

([57]) النابلسي، محمد أحمد. "رهاب الساح . دراسة حالة واستراتيجية علاج" ص 186.

([58]) انظر: أ . الجراية، أنور. "الشخصية" ص 50.

ب . السالم. زغلولة. صورة المرأة العربية في الدراما المتلفزة. ص 66 و 70.

جـ . بكار، نادية أحمد. "مدى وعي معلمات الجغرافيا بقضية سوء فهم المناهج الجغرافية"ص 67، 88.

د . باول، دوغلاس. تسع خرافات عن الشيخوخة. ص 102.

([59]) انظر: أ . الدباغ ، فخري. أصول الطب النفساني. ص 214 و 253 و 346.

ب . المالكي، موزة. "علم النفس حول العالم العدد (31)". ص 17.

([60]) النابلسي، محمد أحمد، "الاضطرابات النفسية لدى المرأة" ص 64 و 66 . 67.

([61]) انظر: أ . البار، محمد علي. خلق الإنسان بين الطب والقرآن. ص 103.

ب . رشاد، نادية محمد. التربية الصحية والأمان. ص 73.

([62]) الحنفي، عبد المنعم. الموسوعة النفسية الجنسية. ص 809.

([63]) انظر: أ . دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية . دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج" ص 4 و 6.

ب . قربة، جهاد محمد. "طبيعة العلاقات المجالية للحوادث المرورية داخل الوسط الحضري لمدينة الشارقة . دراسة تحليلية لفترة التوسع 1987 . 1992م". ص 103 . 104.

([64]) أ – الحفني، عبد المنعم. الموسوعة النفسية– علم النفس والطب النفسي. ص 136 – 138.

ب– الحفني، عبد المنعم. الموسوعة النفسية– علم النفس والطب النفسي. ص 140.

([65]) معلومة غير موثقة بالمراجع منقولة من بعض أهل الخبرة ممن عاش في بعض الدول الغربية.

([66]) انظر: المسيري، عبد الوهاب. "الفكر الغربي . مشروع رؤية نقدية" . ص 133.

([67]) انظر: أ . ابن حزم. المحلى بالآثار. ج 11، ص 273 . 276.

ب . الكاساني. بدائع الصنائع. ج 7، ص 255 . 257.

ج . النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج 11، ص 176 . 177.

د . الشربيني. مغني المحتاج. ج 4، ص 95.

هـ . المرداوي. الإنصاف. ج 10، ص 124.

و . القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج 5. ص 326.

ز . ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج 26، ص 80 . 81.

حـ . ابن عابدين. حاشية رد المختار. ج 6، ص 564 و 642 . 643.

ط . البهوتي. كشاف القناع. ج 6، ص 61.

ي . زحيلي، وهبة. الفقه الإسلامي وأدلته. ج 6، ص 322 . 323.

ك . أبو جيب، سعدي. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي. ج 1، ص 426.

ل . الحربي، سعد شارع. الأحكام الخاصة بالمرأة ص 421.

([68]) انظر: الترمذي. الجامع الصحيح. رقم (2110). ج 4، ص 425 ـ 426. (حديث حسن صحيح).

([69]) انظر: أ ـ السعدي، عبد الرحمن ناصر. الفتاوى السعدية. ص 83.

ب ـ أبو سنة، أحمد فهمي. العرف والعادة في رأي الفقهاء. ص 242 ـ 244.

([70]) انظر: منظمة المؤتمر الإسلامي. قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي. ص 20.

([71]) أدى ظهور التأمين الإلزامي على رخص القيادة في المملكة إلى إحجام كثير من أفراد القبائل عن الإسهام المالي المعتاد في صناديقهم التعاونية، مما أثار جدلاً مع رؤساء قبائلهم. انظر: المحرر. قطوف ذو الحجة 1423هـ. ص 124.

([72]) انظر: أ ـ الصنيع، عبد الله علي. دراسات في قضايا المدن المعاصرة والتحضر بأقلام نخبة من العلماء الأفاضل. ص 267 ـ 272.

ب ـ عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها". ص 14.

ج ـ شريف، سعيدة. "حوادث السير.. حرب صامتة في المغرب" ص 15.

د – المحرر. "حوادث السير تقتل ثلاثة أشخاص كل يوم في لبنان". ص 15.

([73]) دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية ـ دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج". ص 8.

([74]) انظر: النافع، عبد الله وخالد السيف. تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادات السيارات في المملكة. ص 4.

([75]) عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 17 ـ 19.

([76]) فهيم، محمد عيسى وآخران: "السلوك المزعج الصادر عن السائقين أثناء القيادة ـ دراسة ميدانية بمدينة مكة المكرمة". ص 6. (بتصرف).

([77]) الوهيد، محمد سليمان. "القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور". ص 43.

([78]) أ . المجرن، عباس علي "محددات الطلب العالمي على الجازولين" ص 96 . 97.

ب . مارتن، هانس بيتر وهارالد شومان. فخ العولمة. ص 73 . 74.

([79]) القدسي، سليمان. سياسات أسواق العمالة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. ص 19 . 20.

([80]) انظر: أ . السرخسي. شرح كتاب السير الكبير. ج 1، ص 136 . 137.

ب . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج 1، ص 580.

جـ . هامرتن، جون وآخرون. تاريخ العالم. ج 5، ص 377 . 398.

([81]) انظر: أشكناني، زبيدة علي. "مذكرات أميرة عربية– الإثنوغرافيا والسيرة الذاتية". ص 132.

([82]) الدويك، يوسف راتب. "الرياضة في الإسلام" ص 121.

([83]) انظر: معاليقي، عبد اللطيف. المراهقة . أزمة هوية أم أزمة حضارية. ص 146 . 147.

([84]) انظر: أ . الجاحظ. البغال. ص 24.

ب . ابن جزي. الخيل. ص 296 . 302.

جـ . الأسود. أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها. ص 15 . 20 و 291 . 319.

([85]) انظر: الجوهري، محمد فائق. العادة السرية عند الرجال والمرأة. ص 25.

([86]) انظر: أ . ابن شبَّه. تاريخ المدينة المنورة. ج 4، ص 1311 . 1313.

ب . الجاحظ. البغال. ص 26 و 31 و 47 . 52.

جـ . الشيباني. فضائل عثمان بن عفان. ص 136.

([87]) انظر: أ . البخاري. صحيح البخاري. ص (3251). ج 3، ص 1266 ورقم (3910). ج 4،

ص 1517.

ب . الحاكم. المستدرك. ج 4، ص 42 . 43. (حديث فيه إرسال... وقد رُوي بإسناد صحيح... مختصرًا).

جـ . البيهقي. السنن الكبرى. ج 4، ص 34 . 35.

د . المقريزي. إمتاع الأسماع. ص 114.

هـ . ابن منظور. لسان العرب. ج 2، ص 389. (هدج).

و . ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج 19، ص 150.

ز . الزركلي. الأعلام. ج 3، ص 114 . 115.

([88]) انظر: أ . النسائي. سنن النسائي. ج 5، ص 120. (صحيح) الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن النسائي. ج 2، ص 560.

ب . عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ج 4، ص 369.

جـ . محمد، طارق عوض الله. الجمع والتوضيح لمرويات الإمام البخاري وأحكامه في غير الجامع الصحيح. ج 1، ص 514.

د . عبد الفتاح، فاطمة. الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي. ص 104.

([89]) انظر: أ . ابن منظور. لسان العرب. ج 2، ص 389. (هدج).

ب . قلعه جي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي. معجم لغة الفقهاء. ص 496.

([90]) انظر: النابلسي. تعطير الأنام في تعبير المنام. ص 466.

([91]) المرزبان. المروءة. ص 58.

([92]) انظر: ابن بطال. شرح صحيح البخاري. ج 5، ص 147.

([93]) انظر: عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ج 7، ص 287.

([94]) مسلم. صحيح مسلم. رقم (2323). ج 4، ص 1811.

([95]) ابن منظور. لسان العرب. ج 5، ص 87. (قرر).

([96]) ابن شبَّه. تاريخ المدينة المنورة. ج 1، ص 329.

([97]) نفسه. ج 1، ص 330.

([98]) ترجمة الأخطل غياث بن غوث. انظر: الزركلي. الأعلام. ج 5، ص 123.

([99]) العالم، إسماعيل أحمد. "الصور الحركية ومجالاتها في شعر الأخطل" ص 189 . 190.

([100]) انظر: المحرر. "علم النفس حول العالم العدد (17)". ص 20.

([101]) شيخاني، سمير. سجل الأيام. ج 3، ص 229.

([102]) انظر: أ . المجدوب، أحمد علي. اغتصاب النساء في المجتمعات القديمة والمعاصرة. ص 54.

ب . أيوب، ياسر. الانفجار الجنسي في مصر. ص 179.

جـ . حمود، رفيقة سليم. المرأة المصرية . مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل. ص 72.

([103]) أحمد، عبد الرحمن يسري. تنمية الصناعات الصغيرة ومشكلات تمويلها. ص 25.

([104]) انظر: أ . المحرر. "تعويم أفكار في الكويت لرفع معدل تشغيل النساء". ص 11.

ب . المحرر. "فرص وظيفية للمرأة بأسلوب العمل من بعد". ص 17.

([105]) انظر: أ . البدر، محمد عبد العزيز. "الإعلام التربوي في دول الخليج العربية". ص 49.

ب . عيسى، مصباح الحاج. "استخدام الهاتف والشاشة الإلكترونية في التعليم عن بعد بدول الخليج العربية". ص 51 . 54.

جـ . جبر، يحيى عبد الرؤوف. "مشروع تلفزة الأيام الدراسية". ص 30 . 31.

([106]) عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 22 . 24.

([107]) المطير، عامر ناصر. "قيادة التلاميذ للسيارات وأثرها على الحركة المرورية في المملكة العربية السعودية".

ص 49.

([108]) بيوشامب، إدوارد. التعليم الياباني والتعليم الأمريكي . دراسة مقارنة. ص 28.

([109]) المجرن، عباس علي. "محددات الطلب العالمي على الجازولين". ص 110 . 111.

([110]) أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. "توصيات الندوة العلمية الأربعين". ص 156.

([111]) الظفيري، عبد الوهاب محمد. "النساء المعيلات للأسرة في حالة غياب الأب . نموذج أسر الشهداء". ص 34.

=============

من فقه الائتلاف

يعيش العالم الإسلامي اليوم على قمم الحضارة والمدنية، ولكنه يعيش أيضاً في ظل أعتى الحروب القِيمية الطاحنة.

كان الإسلام بقوته والمسلمون بضعفهم أول مستهدف في هذه الحرب، إلاّ أنَّ الناظر يعجب كيف يكون هذا بين تلك القوى الضخمة وما يُواجههم من إمكانات ضئيلة بالمقياس البشري، ولكن ما أن ينظر إلى الكفة الأخرى فيدرك جانب القوة عند المسلمين، إنَّ المسلمين وإن لم يملكوا العتاد والقوة فإنَّهم يملكون رصيداً هائلاً من القيم التي عادة ما تَرْجحُ بكفة الميزان.

من هنا كان العمل الإسلامي يتربعُ على كرسي القيادة في الصف الإسلامي، فلا عجب أن تعقد اللقاءات والمؤتمرات للتباحث في هذا الشأن، ومن الوعي والسبق أن يكون محور التباحث حول سبل الاتفاق وعوامل الافتراق في العمل الإسلامي.

العمل الإسلامي – كغيره من الأعمال – قائمٌ على أساسٍ بشري يعتريهِ ما يعتري أعمال البشر من القصور والتقصير.

ولأن كان العمل الإسلامي قد خطى خطواتٍ فاعلةٍ فيما مضى، إلاَّ أنَّ التحديات المعاصرة تفرضُ مزيداً من التأمل وإعادة النظر مرةً بعد مرة.

العالم اليوم بمؤسساته السياسية والاقتصادية يسعى حثيثاً نحو التكتل والتجمع، ولو على أدنى مستوى من دواعي الشراكة والعولمة، أبرز مظاهر هذا التكتل، وسنة الله الكونية أنَّ الاجتماع قوةً والفرقة ضعفٌ وخور، وقد كان يقالُ الكثرة تغلب الشجاعة، وأولى الناس بالاجتماع أهل الحق ليبلغوا ما أُمروا به من البلاغ، وليقوموا بواجبِ الرسل الذين اتحدت كلمتهم ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) (الأنبياء:25) .

وهم أبناء لعائلات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى.

وهذا الإجماع والاجتماع العالمي على الإسلام، وهذه الفريات المتواليةِ على المسلمين وقيمهم، فرصةً لجمعِ الشتات ووحدة الصف، إذ أنَّ الفريةَ التي لا تقتلكُ تقويك.

وقد كانت الآمالُ تولدُ من أرحام الآمال، وقد قال الله فيما أنزل على عبده:

((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)) (الشرح: 6,7) .

فجعل اليسر قرين العسر، ولن يغلب عسر يسرين.

إنَّ الدارس لتاريخ الأمم والشعوب يرى أنها مرت بنوبات فتور وركود، لكنها ما أن تتحد على كلمةٍ سواء، حتى تستعيد عافيتها وعزها.

تأبي الرماح إذا اجتمعن تكسرا *** وإذا افترقن تكسرت آحادا

والمشروعات النهضوية هي أبنيةٌ ضخمة لا تتقيد بمحدوديةِ عمر إنسانٍ واحد، بل ولا حتى بلدٍ واحد، فما لم تُعتمَد استراتيجية إكمالِ ما بُدِء وتحسين ما أُنشئ، فستظلُ محاولاتٍ مبعثرةٍ آيلةٍ للسقوط في أيّ ظرف.

وحينما تتقاطع المشروعات الإسلامية تتحولُ مع الزمن من مهامِ البناء إلى مهام انتهاز الفرص، للإجهاز على الخصمِ والإطاحة به، وأولُّ خاسرٍ في هذه المعركةِ القيم التي بُنيت عليها تلك المشروعات، أمَّا إذا تآلفت وتصالحت قام البنيان الشامخ وصارت أمةَ البنيان المرصوص.

ولقد حثَّ الشارعُ على الاجتماع ونبذَ الفرقة والخصام، ففي شعائرِ الدين الظاهرةِ تلحظُ هذا المعنى بجلاء؛ فالصلاةُ والحج والصوم والجمعة والعيدين وغيرها قامت على الاجتماع والتوحد.

وحثَّ الشارعُ على لزومِ طاعةِ من ولاهُ اللهُ الأمر، ورتَّبَ على الطاعة أجراً، وحذَّر أشدَّ التحذير من شقِ هذه العصا، بل من مات مفارقاً للجماعةِ مات ميتةً جاهلية، أما إذا اشتدت الكروبُ وضاقت السبلُ فتأكد هذه الدعوة.

ألا ترى أنَّ الله أكد في سورة الأنفال التي كان ابن عباس- رضي الله عنه- يقول: تلك سورةُ بدرٍ أكد فيها على الاجتماع، ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (لأنفال:1) .

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (لأنفال: 47,46).

وكان من أولَ المشروعات المحمدية في المدينة، المؤآخاةُ التي تجاوزت حدود الحياة إلى الموت، فكان التوارثُ بين الإخوةِ في الله مشروعاً ثم نسخ.

وكان أول عملٍ قام به محمد- صلى الله عليه وسلم- في المدينة بناءَ المسجد؛ ليكون المركز الإسلامي الذي ينطلقُ منه إشعاعَ النور والهدى.

إنَّ التكتلات البشرية – أياً ما كانت – فهي تتمحورُ حول قاعدةٍ من المسلماتِ التي لا تقبلُ الجدل، واللهُ تعالى لما أمرَ بالاعتصام أمرَ بأن يكونَ ذلك بحبله ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)) (آل عمران: من الآية103) .

وأشدَّ من تُلهبهِ نارَ الفرقة والافتراق، هم الأتباع، وهؤلاءِ هم السوادُ الأعظم، وهم القيمة الفاعلة في أممهم.

وفي سبيل تحقيقِ هذا التوافق وتنميتهِ، لا بدَّ من معرفةِ دواعي الافتراقِ، ووضع اليد عليها، فصرف الدواء إنما يكون بعد تشخيص الداء. ومعرفتنا للأسباب هي في ذات الوقت علاج؛ لأننا متى ما شئنا أن نخلي الساقية من الماء فلنبادر إلى ما يمدّها فنوقفه.

والتجردُ لله من الحظوظ والشهوات، خاصةً ما خفي منها، كحب الترأس والظهور، من أعمقِ الأسس في هذا الشأن، فلم يمنع عمر وكبار الصحابةِ رضوان الله عليهم أن يراجعوا الحق لما استبان لهم على لسان أبي بكر- رضي الله عنه-، ولمَّا اختلف الصحابة في بدرٍ، وأمر الله بالإصلاح ثنَّى ذلك بصفات المؤمنين ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) (لأنفال:3) .

والولاءِ والبراء عقدٌ شرعي لا يشترطُ فيه مطلقُ التوافقُ، فالله سمَّى الطائفتين المقتتلتين باسم الإيمان، ثُمَّ أعقب تلك الآيةِ بالأمر بالإصلاح بين الإخوة المؤمنين، وأمر هُنا أيضاً بالتقوى.

إنَّ كثيراً من الخلافِ المسببِ للافتراق، خلافٌ حول مسائلَ يسعُ الخلاف فيها، ولا تعدُ أن تكون وجهاتِ نظرٍ قابلةٍ للأخذ والرد، وهذا الحماسُ المفرط للاجتهادات يُؤدي في أحيانٍ كثيرةٍ إلى شقاقٍ وفرقة.

ولا بدَّ في سبيلِ توحيدِ الصفِ من وجود قياداتٍ علميةٍ راشدة، تكونُ محطَّ ثقةٍ، فينفتلُ منها المختلفون بنفوسٍ مرضية.

أيُّها الأخوة: إنَّه إذا لم يمكن التوافق فلا أقل من السير في خطوطٍ متوازيةٍ، إن لم تتفق فلا أقل من أن لا تتقاطع، وقاعدة الشريعة العامة أنَّهُ لا واجب مع العجز، وأن التكليف بقدر الوسع.

إنَّ إثارةَ فقه الائتلاف على مستوى المؤسسات والأفراد، أمرٌ بات من ضرورياتِ العمل الإسلامي، ونحنُ اليوم بأمسِ الحاجة إلى تداولِ هذا الفقه وبكثافة.

وإنَّ الذي بيني وبين بين بني أخي *** وبين بني عمي لمختلف جداً

فإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم *** وإن نهشوا عرضي وفرت له عرضاً

ولا أحملُ الحقدَ القديمِ عليهم *** وليس رئيس القومِ من يحمل الحقدا

وهنا أمرٌ مهمٌ إذ لا بدَّ من التفكير بجديةٍ في واقعِ الجيلِ الصاعد حيال فقه التوافق والاختلاف، حتى لا تتكرر الأخطاء، ولا نزال بحمد الله نرى نماذجاً لمشروعاتٍ جادة قامت على الاتحاد، فأفلحت في مسيرتها، وجنت ثمارَ زرعها.

ولا بدَّ في هذا الصدد من تأملِ هدي القرآن والسنة في الأمر بالعدل مع الصديق والعدو، ومن قراءةٍ متأنيةٍ في السيرةِ النبويةِ وتراجمِ السلف، وهدي العلماء في الائتلاف.

إن العدل سمةٌ مميزةٌ لشريعتنا، عاش في كنفها البرُّ والفاجرُ، والمسلمُ والكافرُ، كل هؤلاءِ بالعدل يُحكمون ولا يُظلمون، حتى وإن أبغضنا الكافر فنحنُ مأمورون بالعدل معه، ذلك توجيهُ ربنا في كتابه العزيز: ((وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)) (المائدة: من الآية8) .

قال ابن تيمية– رحمه الله– : وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغضٌ مأمورٌ به، فإذا كان البغضُ الذي أمرَ اللهُ به قد نُهيَ صاحبهُ أن يظلم من أبغضه،

فكيف في بغضِ مسلمٍ بتأويلٍ وشبهةٍ أو بهوى نفس ؟ فهو أحقُّ أن لا يُظلم، بل يُعدل عليه[1].

لقد فاق المسلمون في تاريخنا المجيد غيرهم في العدل، وتجاوزوا بعدلهم أهل الملة من المسلمين إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى.

ويُذكر أنَّ عمر بن عبد العزيز– رحمه الله– كتب إلى واليهِ على البصرة يقول له: ["ثم انظر من قِبَلك من أهل الذمة قد كَبُرت سِنُّه، وضعفت قوته وولّت عنه المكاسبُ، فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحهُ وذلك أنَّهُ بلغني أنَّ أميرَ المؤمنين عمرَ– رضي الله عنه– مرّ بشيخٍ من أهلِ الذمةِ يسألُ على أبوابِ الناسِ فقال: ما أنصفناك إن كنَّا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيّعناك في كِبرك، ثم أجري من بيتِ المال ما يصلحه" [2].

إنَّ من مظاهر العدل قبول الحقِّ ممن جاء به، فالعبرةُ بالقولِ لا بالقائل، وفي قصةِ الشيطان مع أبي هريرة– رضي الله عنه– حين وكَّلهُ الرسول– صلى الله عليه وسلم– بحفظِ زكاة رمضان، ومجيءِ الشيطان إليه أكثرَ من مرة، حتى علّمه أن يقرأ آية الكرسي إذا أوى إلى فراشه، وأنَّهُ بذلك يكونُ محفوظاً من اللهِ ولا يقربه شيطانٌ حتى يصبح، في هذه القصة صدَّق الرسول– صلى الله عليه وسلم– القول وإن صدرَ من الشيطان، حيثُ قال: ((أما إنَّه قد صدقك وهو كذوب)) ([3]).

ومن فقه هذا الحديث وفوائده – كما قال ابن حجر رحمه الله – : إنَّ الحكمة قد يتلقّاها الفاجرُ فلا ينتفع بها، وتؤخذُ عنه فينتفعُ بها، وإنَّ الكافرَ قد يصدقُ ببعض ما يصدقُ به المؤمن، ولا يكون بذلك مؤمناً، وبأنَّ الكذّاب قد يصدُقُ [4].

وفي هذا الصدد يُذكرُ من وصايا ابن مسعود– رضي الله عنه– قوله لرجلٍ قال له: أوصني بكلماتٍ جوامع، فكان ممَّا أوصاهُ به أن قال: ومن أتاك بحقٍّ فاقبلْ منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن أتاك بالباطلِ فارْدُدْه وإن كان قريباً حبيباً [5].

إننا حين نفقدُ هذا الميزانَ في قبول الحقِّ قد نرفض حقاً، لأنَّه جاءَ من شخصٍ نبغضه أو لا نهواه، أو لا نرتضي منهجهُ بشكلٍ عام، علماً بأنَّ قبول الحق الذي جاء به لا يعني موافقته في كل شيء، ولا الرضى عنه فيما يخطئُ فيه، وقد يضطرنا هذا الخلل في العدلِ في قبول الحقّ ورفض الباطل، لقبول زلّة خطأٍ من

شخصٍ نحبه، ونرتضي منهجهِ علماً بأنَّ رفضنا لهذه الزلَّة والخطأ منه، لا يعني بغضهُ ولا الانتقاص من قدره، ولا رفض بقية الحقِ الذي جاء به.

إنَّه العدل الذي ينبغي أن نأخذ أنفسنا به، ونتمنى بهِ أن يُجري الله الحقَّ على ألسنتنا وألسنة خصومنا، وكم هو عظيمٌ الإمامُ الشافعيُّ- رحمه الله- حين قال: (ما ناظرت أحداً إلاَّ قلتُ: اللهمّ أجرِ الحقّ على قلبه ولسانه، فإن كان الحقُّ معي اتبعني، وإن كان الحقُّ معه اتبعته) [6].

وأين هذا يا مسلمون ممن يتمنون انحراف خصومهم، أو يرمون مخالفيهم بالباطل، ويتهمونهم وينفّرون الناس منهم وهم مسلمون، بل قد يكونون علماء، وقد يكون ما معهم من الحق أكثر من خصومهم، فإلى الله المشتكى، وكم يتلاعبُ الشيطان أحياناً ببعض المحبين، وكم يخطئُ هؤلاء وينسفون قواعد العدل وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً، وكم نظلم أنفسنا ونظلم غيرنا بتصنيف هذا، وتجريح ذاك، واتهام ثالث وإشعال معارك وهمية بين نفرٍ من المسلمين، الكاسبُ الأول والأخير منها هم الأعداء المتربِّصون والخاسر الأكبر هم المعتدون الفاقدون للعدل والإنصاف.

وإن كانت الخسارة تعمُّ والفتنة تقع على المسلمين! وأين نحنُ من هذا الموقف البديع والعدلِ حتى مع غير المسلمين يقدمه لنا شيخُ الإسلام ابن تيمية بسلوكه العمليّ، فهو حين سعى بإطلاق سراح أسرى المسلمين من التتار أصرَّ كذلك على إطلاق سراح المأسورين من أهل الذمة قائلاً لمسؤول التتر: " بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمَتنا، فإنا نفكُّهم ولا ندعُ أسيراً لا من أهل الملَّة ولا من أهل الذمة" [7] .

فإذا أنصفَ هذا العالمُ الربّاني وعدلَ مع غير المسلمين، وكان سبباً لفكّ أسرهم، فماذا يقولُ من يسعى للوقيعة بإخوانه المسلمين ويتمنّى الضُّرَّ لهم بشكلٍ أو بآخر؟

إن من قواعد الائتلاف إنصاف عامة المسلمين وخاصتهم.. فكيف السبيلُ لهذا الإنصاف؟

إن مما لا شك فيه أن المسلمين – قديماً وحديثاً – يتفاوتون في مراتب الإيمان، فهناك من هم في الذروة من الإيمان، وهُناك من هُم في أدنى درجات الإيمان، وهناك طائفةٌ في الوسط بين هؤلاءِ وأولئك، ولكن الجميع تجمعهم رابطةُ الإسلام،

وحسابهم على الله، وما لم يخرج المسلم من الملة، فإنَّ لهُ حقاً في الموالاةِ على قدر إيمانه.

وما من شكٍ كذلك أنَّ الفرقة الناجية من خيرةِ المسلمين، وهم أهلُ السنة والجماعة الذين قالوا وعملوا بالكتاب والسُّنة.

ولكن دائرةَ المؤمنين تتسعُ لتشملَ غيرَ الفرقة الناجية من عُصاة المسلمين، ومن وجد عندهم نوع انحراف لكنهم في دائرة الإسلام، وهذا ما نصَّ عليه الشيخُ ابن تيمية- رحمه الله- حين قال: "وإذا قال المؤمن : ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ)) (الحشر: من الآية10) .

يقصد كل من سبقهُ من قرونِ الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويلِ تأوّله فخالف السنة، أو أذنب ذنباً، فإنَّهُ من إخوانه الذين سبقوهُ بالإيمان، فيدخلُ في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقةً، فإنَّهُ ما من فرقةٍ إلاَّ وفيها خلقٌ كثيرٌ ليسوا كفاراً، بل مؤمنون فيهم ضلالٌ وذنبٌ، يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاةُ المؤمنين" [8].

[1] منهاج السنة: 127/5.

[2] أحكام أهل الذمة لابن القيم، تحقيق صبحي الصالح 38/1.

[3] رواه البخاري برقم 2311.

[4]الفتح 616/4 ح 2311.

[5] الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم: 586/4، عن كتاب "فقه الائتلاف" محمود الخزندار ص98.

[6] عن فقه الائتلاف ص104.

[7] حياة شيخ الإسلام، محمد بهجت البيطار ص15، عن الرسالة القبرصية، فقه الائتلاف: 47.

[8] منهاج السنة: 240/5، 241 عن فقه الائتلاف: 186.

===============

أسس الانتصار على الأعداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لِله نحمدهُ ونستعينهُ, ونستغفرهُ, ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا, ومن سيِّئاتِ أعمالِنا, منْ يَهدهِ اللهُ فلا مُضلَ لهُ, ومنْ يُضلل فلا هاديَ له . وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له, وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله . ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (آل عمران:102) . ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)) (النساء:1) . ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)) (الأحزاب:70-71) .

أما بعدُ : فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله, وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ r وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها, وكل محدثةٍ بدعة, وكلَّ بدعةٍ ضلالة, وكلَّ ضلالةٍ في النار

أما بعد ، أيَّها المسلمون :

فإن أمة الإسلام في هذه الأيام تعيش وتواجه متغيراتٍ كثيرة ، لأسبابٍ منها: وجود الانفتاح الإعلامي العالمي، وعولمة الغرب، وتفرق المسلمين وتنوع مناهجهم، سواءً فيما يدعون إليه، أو في كيفية مواجهة أعداء الدين على مختلف مللهم ونحلهم. وطوائف أهل البدع الضالة على تفاوت درجاتها في الضلالة.

ومواجهة ذلك المواجهة الصحيحة، تكون بقوة الحق الواضح المستبين ، بالتأصيل العلمي والمنهجي في حياة المسلمين عامة وأهل العلم والدعوة إلى الله خاصة، وهذا الذي سار عليه سلفنا الصالح منذُ زمن الصحابة- رضي الله عنهم- ومن جاء بعدهم، من أئمة الهدى في القرون المفضلة وما بعدها.

أيها الأخوة في الله : إن أي انحرافٍ عن منهجهم- بتنازلاتٍ عن أصول الدين ومسلماته، أو بالتقاربِ مع طوائفِ الضلالِ والبدع، أو الرضا براياتٍ جاهليةٍ علمانية، لتحقيق مصالح قومية ونحوها، أو تبني أطروحاتٍ كلاميةٍ عقلانيةٍ منحرفة من أجل التقاربِ مع حضارة الغربِ وثقافته، وعدم الصدام معها- أو غير ذلك من ألوان الانحراف، فلن يزيدنا إلا تفرقاً وضعفاً وهزيمة أمام أعدائنا.

وعلى ذلك فالدعوة إلى العودة إلى منهاج السلف الصالح علماً وعملاً، وسلوكاً ومنهجاً، هو الواجب عند اختلاف الأمة وتفرقها، كما أخبر بذلك رسول الله e، وتفصيل ذلك يطول، وقد كُتبت فيه والحمد لله دراسات متعددة.

عباد الله :

ولعلي أشير- في هذه العجالة- إلى جملةٍ من الأسس التي لابد منها، أهمها:

اليقين القاطع الذي لا يتزعزع بصلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان، ومنه هذا العصر الذي نعيشه، بعولمته، وتقنياته، وقوة أعداء الإسلام المادية، وضعف المسلمين وتأخرهم.

وليس هذا من باب الأماني، ولا من باب التعلق بمطلق الغيبيات الذي يحاول التيار العلماني أن يفسر به الحلول الإسلامية المؤصلة، ولكنه حقائق هذا الدين علماً وعملاً، وتاريخاً وحضارةً وتجربة، وشهاداتٍ من الأعداء تلجمُ أفواه هؤلاء الذين ما فتئوا يطعنون في هذا الدين وحقائقه العقدية والشرعية الكاملة، وها هي تجاربهم العلمانية- على مختلف مدارسها الفكرية- وعلى مدار قرابة المائة عام، لم تقدم فكراً مؤصلا، ولا مواجهةً لحضارة الغرب، ولا نصراً على الأعداء، ولا حياةً هنيئةً لشعوبهم المسكينة، بل جرت الأمة إلى ألوانٍ من الهزائم العسكرية والسياسية، والثقافية والاجتماعية والتقنية، ونحن في مزيد.

ولكن ينبغي أن يعلم جميع من يحبُّ هذا الدين، ويفرح بالانتساب إليه، ويرى فيه الحلول المثلى لواقعنا، أن هذا لا يكفي، وأن مجرد العواطف الجياشة لا تصنعُ شيئاً بمجردها.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي أعزَّنا بالدين، وجعلنا خيرَ أمةٍ أخرجت للعامين، وأشهد ألا إله إلاَّ الله وحدهُ لا شريك له، ولي المؤمنين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله سيدُ الأولين والآخرين- صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الدعاة المجاهدين وسلم- تسليما.

فأيها المسلمون :

لابد- إن كنا جادين في أخذ هذا الدين بقوة- من أمورٍ ثلاثة:

الأول : العودة الصادقة إلى هذا الدين والثبات عليه، ونعني بذلك أن تعود الأمة

إلى إسلامها، عقيدةً وشريعةً ومنهاج حياة، وثقةً بهذا الدين وصلاحيته، وأن تأخذه بقوةٍ وصدق مع ربها تبارك وتعالى، وأن لا يزيدها عداءَ الأعداء واتهاماتهم وأقاويلهم إلا ثباتاً على هذا الدين، وثقةً به وتمسكاً بحبل الله المتين.

ومن ثم فلا مجال في هذه الأمة- إن أردنا العودة حقاً وصدقاً- للمشككين والمرتابين والمنافقين، فضلاً عن الملاحدة والزنادقة المعلنين رفضهم لهذا الدين.

الثاني : اليقين التام بأن هذا الدين حق، لأنَّه من عند الله تعالى، الملك الحق المبين،الذي أرسل خاتم رسله محمداً e، لتكون رسالته ناسخةً لما سبقها من الديانات، فدين اليهود أو النصارى لو فرض أن أهله تخلوا عن كل كفرٍ وشرك، عرفوا به ولم يؤمن!ا ويتبعوا محمداً e، فهم على ضلالٍ وكفرٍ بحكم رب العالمين، قال تعالى: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (آل عمران:85).

ويتبع ذلك اليقين بأن الله ناصرُ هذا الدين، وأهله المتمسكين به كما أمر وشرع،وقد جاءت السنة النبوية الصحيحة مبينةً بقاءَ هذا الدين وأتباعه، ونصرهم إلى أن تقوم الساعة، وعليه فالمستقبل- على كل الأحوال- لدين الإسلام.

وعلى المسلمين أن يعوا هذه الحقائق، وهم يقدمون دينهم إلى العالمين جميعاً، هدى ونوراً ورحمة وإنقاذاً لهم من عذاب الله تعالى، وأن يتمسكوا به وهم يواجهون أصناف الكفار والأعداء، على مختلف عقائدهم ومللهم ونحلهم.

الثالث : الأخذ بالأسباب الشرعية والمادية، كما فعل رسول الله e وصحابته الكرام وهذا يقتضي:

أ - العمل بهذا الدين وتطبيقه في واقع حياتنا الخاصة والعامة، علماً وعملاً، عقيدةً وشريعة، عبادةً ومعاملات ،حكاماً ومحكومين،ولنعلم أنه مالم نعمل بهذا في خاصة أنفسنا نحن المسلمين، فلن نستطيع تقديم هذا الدين للآخرين ودعوتهم إليه.

ب- الأخذ بالأسباب المادية التي أمر بها شرعنا الحنيف، فهي في النهاية شرعيةٌ مادية، وذلك بأن نأخذ بأسباب ووسائل القوةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وذلك في جميع المجالات المختلفة الاجتماعيةِ والزراعيةِ، والصناعيةِ والاقتصادية،والتقنية على مختلف فروعها.

ودينـنـا والحمـد لله لـم يعـرف- قـديماً أو حـديثاً- الصـراعَ بـين حقائقـهِ الثابتـة، والعلـمُ المادي الصحيح النافع !! وإن كانت التيارات العلمانية في العالم الإسلامي- تقليداً لظروف علمانيةَ الغرب، وصراع الكنيسة والعلم عندهم، تحاول أن تنقل الصراع نفسهُ إلـى عـالم الإسـلام والمسـلمين، نظـراً لبغضـها وحقـدها علـى ديـن الإسـلام، وجهـل بعضـهم بـه.

ودين الإسلام إنما يحاربُ إلحاد الغرب وزندقته،وانحرافه وتحلله وضلاله، واستعماره وظلمـه، وحربـه الضـروس ضـد الإسـلام أمـام التقدم العلمـي المـادي النـافع- علـى مختلف تخصصاته وفروعه- فهو من أكبر الداعين إليه .

وها هي شواهد حضارة الإسلام تدلُ على ذلك.

اللهم أعز الإسلام وأنصر المسلمين ...

=============

صور الأسرى العراقيين

يقول الله عز وجل : ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)) (الإنسان:3) إنَّما هما سبيلان لا ثالث لهما, كفرٌ أو إسلام, شكرٌ أو جحود, والبشرية كلَها منقسمة بين هذين المعسكرين, فالإسلام له ثقافته ونظمه وثوابته, ونظرته للإنسان والحياة والكون, وغير المسلمين بكل فئاتهم ومللهم ونحلهم, يُمثلون معسكر الكفر وقيمه وثقافته, يقول عز وجل: ((فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ)) فليس ثمة اختيار وسط بين الطريقين, منذُ أن أشرقت شمس الإسلام, وفرقاءَ الكفر تحاربه وتناوئه, وتحاولُ إطفاء نوره ((وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)).

إنَّ الكفرَ في حقيقتهِ ظُلمٌ وقسوةٌ وطغيان, إذ أنه مؤسس على إيذاءِ الله وظلمِ النفس, وتكذيب الرسل والكتب, وهضم الآخرين, ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) ظلم للحقيقةِ الكبرى لوحدانية الله, ومن ظلم الحق البين, وآذى خالقه الذي برأه, وظلم نفسهُ التي بين جنبيه من تورط في هذه الجرائم, فلن يعدلَ مع أحدٍ, ولن يرقَ لمخلوق, ولن يحترم حقاً ولا حقيقة, ودونكم شواهد ذلك, من تصرفات العالم الحر, ودعاة التسامح والانفتاح, دونكم هذه الفظائع التي ترتكب في العراق, وقد طارت وسائلُ الإعلامِ

بغيضٍ من فيض, وقليلٍ من كثير, ولكنَّها نماذج يفضح الله أدعياء القيم والمباديء الزائفة.

إنَّ ما رأيتموه في وسائل الإعلام قليل, إنَّ التصرفات الهمجية الوحشية, التي يمارسُها الصليبيون في العراقِ ضدَّ الأسرى, إنَّها تعبيرٌ صادقٌ, وتمثيلٌ واضح, لثقافةِ أمةٍ ارتكست في الكُفر بالله, ومضت تزعمُ الحضارة, وتنعق بقيم العدلِ والرحمةِ والنزاهة, إنَّ صورَ الأسرى الذين تسحق إنسانيتهم في العراق, وتنتهك آدميتهم, ويدمرون من داخلهم بلا رحمة, ودون مُسوغ, إنَّما هي واحدة من شواهدِ الانحطاطِ في أخلاق الغُزاة ، بإضافة إلى هذه الصور ما تقومُ به شركاتهم هُناك, من أكبرِ عمليات لصوصية, تشهدُها البشرية منذُ تاريخها, من نهب لما فوق الأرض وما تحتها من خيرات ومقدرات, واجعل معها ما يمارسهُ الجيش البربري من حصارٍ آثم للحقائق, واغتيال لصادقِ الأنباء, يستبيحون في سبيله قتلَ الصحافيين, وتهديد القنوات, بل وتهديد الدول التي تستضيفُها, ويجنُّ جُنونهم إن ظهرت صورة أو تصريح أو خبر دون أن يكون من إعدادهم و إخراجهم, كل ذلك تمارسه أكبر دول الصليب, التي تعد ما وصلت إلى مثلٍ ومباديء, هو نهاية التاريخ, وقمة ما يمكن أن تصل له الإنسانية, وتعد نفسها رمز الحرية, فإنَّ صور الأسرى أيُّها المسلمون جاءت متناغمةً منسجمةً مع تصرفاتهم, بل مع تاريخهم مع الهُنود الحمر, والشعوب السوداء, فالمسألةُ ليست تجاوزاً فردياً, يمكن درءه باعتذارٍ لذ ق, أو تصريحٍ مراوغ, إنَّها ثقافة متأصلة, ومنهج ثابت في التعامل مع الآخر كما يقولون, وكل هذه الصنائع التي تُخجلُ الإنسانية, وتزري بالبشرية, لا عجب منها ولا جديد فيها, فهذا هو الكفرُ في أوضحِ صوره، فكيف يعدلُ الكافر وقد جار على ربه؟! وكيف يرحمُ ونبأنا اللهُ بخبثه وهو خالقه, إنَّه ميّتُ القلبِ, كيف يلينُ قلبهُ وقد قسا, حتى صارَ كالحجارةِ أو أشد قسوةً, كيف ترقُ قُلوبهم وقد شهدوا على أنفسهم, " وقالوا قُلوبُنا غلف, " أما شُعورُهم تجاهنا فهو مفضوحٌ مكشوف, ((قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر)) ((وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ)) , ((إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوء)) فمثل هذه الجرائم البشعة لا تفاجئُنا ولا نستغربُها, ولكن الذي لا نفهمهُ نعجبُ منه, أن يقومَ فئاتٌ من أبنائنا وإخواننا يسوقونَ

لهذه الأمم التي هذه ممارساتها, فلله كيف ينخدعون بأمةٍ فضحها القرآن, وظهرت مخازيها على العيان, . كيف يريدون لأمةِ الإسلامِ أن تخرُجَ من النور إلى الظلمات, ومن عدلِ الإسلام إلى جورِ الأديان, رفقاً بأمتكم أيَّها المتنورون, فتلك الحضارة التي تُنشدون, أولئك هم القوم على حقيقتهم, قد فضحهمُ كفرهم بالله وبغضهم لعباده, إنَّها فرصة للمخدوعين أن يُؤدبوا إلى دين الله, فما مرت البشريةُ ولا جربت ديناً خيراً منه, أما دعاةُ التغريب, ووُكلاءُ الغربِ المحليين, الذين يُدركون حقائقَ الأمورِ, مع ذلك يدفعون أمتهم دفع من لا يرحم إلى مستنقعات الكفر, فنقولُ لهم إلى أين ؟ أين تذهبون بنا؟ فما نراهُ في العراق من استباحةٍ لحقِ الإنسان في أرضه وماله, ودينهِ وخُلقهِ وحيائه, بل في آدميتهِ, وما نشهدهُ في فلسطين من عداوةٍ للإنسانِ والشجر, والثمرِ والماءِ والحياةِ والأحياء, كل تلك هي نماذج الحضارة التي تسوقونَها, والقيم التي ترجون لها, إنَّ أمريكا التي تُبارك هذه الفظائع, هي ذاتها التي تُريدُ أن تُعلمنا كيف تحترم الآخر, وكيف تحترم العدالةَ؟ وكيف نضمن حريةَ الرأيِ والتعبير؟ وكيفَ نحفظُ للإنسانِ حقهُ, حتى وإن كان أسيراً أو متهماً, ماذا لدى العلمانية البذيئة، التي آذتنا في قِيمنا وأخلاقنَا وثوابتنا, وأزرت على نسائنا حشمتهنَّ, ولمزت تعليمنا ومعلمينا، وشنَّعت بمساجدنا ودعاتنا, ماذا لديها لتُقدمه غير مخازي سادتهم الصليبيين .

ما أشبهَ الليلة بالبارحة!! بالأمس سقطت الشيوعية, وكان سقوطاً مدوياً, وحامل الخزيّ بمن كانوا ينعقون بمبادئها وظلوا, واليوم وأمام أعين العالمِ المخدوع, تتهادى منظومة القيم, التي كانت في الأمس رأس ماليةً, تُبشر بها وتهدد من يرفضها, هي ذي اليوم تتكشف في كوبا وأفغانستان, والعراقَ وفلسطين, بل هي قلب بلادهم, تتكبوا قيمهم بما آمنوا من قبل, فأينَ دعاة الانفتاح؟ على أيّ شيءٍ تريدون الانفتاح؟ وأينَ المنادون بالتعددية؟ أينَ المبادئُ التي تستحقُ أن تُزاحم قيم الإسلام ؟! الله أكبر, ليس على وجه الأرضِ حضارة تطاول حضارةَ الإسلام, وكيف لنظم يصنعُها البشر, ويلفقها الخلق أن تزاحم ديناً أنزلهُ الله .

لم نكن بحاجةٍ إلى صورٍ تُنشر, وأخبارٍ تُذاع, أو تحليلاتٍ تُكتبُ, حتى نفهمُ أعداءَنا، وما حاجتنا لذلك, وقد نبئنا القرآن العظيم بمواقفهم معنا, ومشاعرهم تجاهنا, وكيف

تحدثنا أنفسنا أن أعيننا لهم, وقد أنزل الله علينا في كتابه : ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (الأنعام:153) , وقال سبحانه : ((اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) (لأعراف:3) , وقال عز وجل: ((وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ) (القصص:86) .

واعلموا أنَّ هذه الانتكاسات الحضارية, والانهيارات القيمة, التي يُمنَّى بها أعداؤنا, إنَّما هي مقدمات الفناء, ودلائل الزوال, ولذلك أوجِّهُ خطابي للدُعاة وحملةِ الحق, فالله عز وجل قد أرادَ هذا الدين لكلِ البشر, بل لكلا الإنس والجن, فقال سبحانه: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)) فرسالةُ الإسلام ومنهجه, ونظامِهِ وثقافته, هي هبةُ اللهِ للبشرية جمعاءْ : ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)) .

فالإسلام: هو النظام العالمي, وهو الثقافة الكونية التي أرادها الله لخلقه, فلا شيءَ يستحقُ العولمة غيره, والبشرية بأمسِ الحاجة لهديه ونوره, ومهمتنا هي إقامة هذا الدين, والدعوة إليه, والتبشير بسيادته, والتوطئة لقيادته, فالبشرية تُعاني من تخبط القيادة الكفرية, وتُقاسي بطشها وصلفِها واستبدادها, ولا خلاصَ لها إلاَّ بهذا الدين, فالإسلامُ: هو الدينُ الذي يملكُ المشروعُ الحضاري الإنساني العالمي المتكامل, فهو دينُ الرحمة والعدل والقسط, هو دينُ الحرية والنزاهة والصدق, تاريخهُ مليءٌ بشواهدِ الرُقي والتذوق, ولا سبيلَ لنشرِ هذا الدين إلاَّ بالانخراطِ الكامل في مشاريعِ الدعوةِ, والتأكيد على شرعةِ الجهاد, والجهاد رُغمَ الألم الذي نقاسيه من عدونا الحالي, لن يكونَ للانتقامِ والثأرِ والتشفِّي, الجهاد لا يقوم إلاَّ للدعوةِ, ولا يسيرُ إلاَّ بالرحمة والعدلِ, الجهاد ما شرعه الله إلاَّ لنشر الإسلام, وإقامة سلطان الله, وتمكين البشر من ممارسةِ حرياتهم الدينية, ثمَّ على دُعاةِ الإسلام أن لا تستغرقهم جزئيات الأحداث, وعارض القضايا, فليست قضيتنا مع الصليبيين, إنَّ ذلك الرئيس المنافون له يحكمهم, إذ أنَّ ذلك الحزب المتغطرس يقودهم, وليست مُشكلتنا مع اليهود في حزبٍ أو قائدٍ, أو قضية اغتيال شيخٍ أو طفلٍ, مشكلتنا مع أولئك وهؤلاءِ أنَّهم كُفَّار, يُريدون فرض كُفرهم, ونحنُ مسلمون مأمورون بتبليغ ديننا.

=============

لا عزة لنا إلا بالإسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن أمة الإسلام في هذه الأيام تعيش وتواجه متغيراتٍ كثيرة ، لأسبابٍ منها: وجود الانفتاح الإعلامي العالمي، وعولمة الغرب، وتفرق المسلمين وتنوع مناهجهم، سواءً فيما يدعون إليه، أو في كيفية مواجهة أعداء الدين على مختلف مللهم ونحلهم. وطوائف أهل البدع الضالة على تفاوت درجاتها في الضلالة.

ومواجهة ذلك المواجهة الصحيحة، تكون بقوة الحق الواضح المستبين ، بالتأصيل العلمي والمنهجي في حياة المسلمين عامة وأهل العلم والدعوة إلى الله خاصة، وهذا الذي سار عليه سلفنا الصالح منذُ زمن الصحابة- رضي الله عنهم- ومن جاء بعدهم، من أئمة الهدى في القرون المفضلة وما بعدها.

وأي انحرافٍ عن منهجهم- بتنازلاتٍ عن أصول الدين ومسلماته، أو بالتقاربِ مع طوائفِ الضلالِ والبدع، أو الرضا براياتٍ جاهليةٍ علمانية، لتحقيق مصالح قومية ونحوها، أو تبني أطروحاتٍ كلاميةٍ عقلانيةٍ منحرفة من أجل التقاربِ مع حضارة الغربِ وثقافته، وعدم الصدام معها- أو غير ذلك من ألوان الانحراف، فلن يزيدنا إلا تفرقاً وضعفاً وهزيمة أمام أعدائنا.

وعلى ذلك فالدعوة إلى العودة إلى منهاج السلف الصالح علماً وعملاً، وسلوكاً ومنهجاً، هو الواجب عند اختلاف الأمة وتفرقها، كما أخبر بذلك رسول الله e، وتفصيل ذلك يطول، وقد كُتبت فيه والحمد لله دراسات متعددة.

ولكني أشير- في هذه العجالة- إلى جملةٍ من الأسس التي لابد منها، أهمها:

اليقين القاطع الذي لا يتزعزع بصلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان، ومنه هذا العصر الذي نعيشه، بعولمته، وتقنياته، وقوة أعداء الإسلام المادية، وضعف المسلمين وتأخرهم.

وليس هذا من باب الأماني، ولا من باب التعلق بمطلق الغيبيات الذي يحاول التيار العلماني أن يفسر به الحلول الإسلامية المؤصلة، ولكنه حقائق هذا الدين علماً

وعملاً، وتاريخاً وحضارةً وتجربة، وشهاداتٍ من الأعداء تلجمُ أفواه هؤلاء الذين ما فتئوا يطعنون في هذا الدين وحقائقه العقدية والشرعية الكاملة، وها هي تجاربهم العلمانية- على مختلف مدارسها الفكرية- وعلى مدار قرابة المائة عام، لم تقدم فكراً مؤصلا، ولا مواجهةً لحضارة الغرب، ولا نصراً على الأعداء، ولا حياةً هنيئةً لشعوبهم المسكينة، بل جرت الأمة إلى ألوانٍ من الهزائم العسكرية والسياسية، والثقافية والاجتماعية والتقنية، ونحن في مزيد.

ولكن ينبغي أن يعلم جميع من يحبُّ هذا الدين، ويفرح بالانتساب إليه، ويرى فيه الحلول المثلى لواقعنا، أن هذا لا يكفي، وأن مجرد العواطف الجياشة لا تصنعُ شيئاً بمجردها.

بل لابد- إن كنا جادين في أخذ هذا الدين بقوة- من أمورٍ ثلاثة:

الأول : العودة الصادقة إلى هذا الدين والثبات عليه، ونعني بذلك أن تعود الأمة إلى إسلامها، عقيدةً وشريعةً ومنهاج حياة، وثقةً بهذا الدين وصلاحيته، وأن تأخذه بقوةٍ وصدق مع ربها تبارك وتعالى، وأن لا يزيدها عداءَ الأعداء واتهاماتهم وأقاويلهم إلا ثباتاً على هذا الدين، وثقةً به وتمسكاً بحبل الله المتين.

ومن ثم فلا مجال في هذه الأمة- إن أردنا العودة حقاً وصدقاً- للمشككين والمرتابين والمنافقين، فضلاً عن الملاحدة والزنادقة المعلنين رفضهم لهذا الدين.

الثاني : اليقين التام بأن هذا الدين حق، لأنَّه من عند الله تعالى، الملك الحق المبين،الذي أرسل خاتم رسله محمداً e، لتكون رسالته ناسخةً لما سبقها من الديانات، فدين اليهود أو النصارى لو فرض أن أهله تخلوا عن كل كفرٍ وشرك، عرفوا به ولم يؤمن!ا ويتبعوا محمداً e، فهم على ضلالٍ وكفرٍ بحكم رب العالمين، قال تعالى: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (آل عمران:85).

ويتبع ذلك اليقين بأن الله ناصرُ هذا الدين، وأهله المتمسكين به كما أمر وشرع،وقد جاءت السنة النبوية الصحيحة مبينةً بقاءَ هذا الدين وأتباعه، ونصرهم إلى أن تقوم الساعة، وعليه فالمستقبل- على كل الأحوال- لدين الإسلام.

وعلى المسلمين أن يعوا هذه الحقائق، وهم يقدمون دينهم إلى العالمين جميعاً، هدى ونوراً ورحمة وإنقاذاً لهم من عذاب الله تعالى، وأن يتمسكوا به وهم يواجهون أصناف الكفار والأعداء، على مختلف عقائدهم ومللهم ونحلهم.

الثالث : الأخذ بالأسباب الشرعية والمادية، كما فعل رسول الله e وصحابته الكرام وهذا يقتضي:

أ – العمل بهذا الدين وتطبيقه في واقع حياتنا الخاصة والعامة، علماً وعملاً، عقيدةً وشريعة، عبادةً ومعاملات ،حكاماً ومحكومين،ولنعلم أنه مالم نعمل بهذا في خاصة أنفسنا نحن المسلمين، فلن نستطيع تقديم هذا الدين للآخرين ودعوتهم إليه.

ب –الأخذ بالأسباب المادية التي أمر بها شرعنا الحنيف، فهي في النهاية شرعيةٌ مادية، وذلك بأن نأخذ بأسباب ووسائل القوةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وذلك في جميع المجالات المختلفة الاجتماعيةِ والزراعيةِ، والصناعيةِ والاقتصادية،والتقنية على مختلف فروعها.

وديننا والحمد لله لم يعرف– قديماً أو حديثاً– الصراعَ بين حقائقهِ الثابتة، والعلمُ المادي الصحيح النافع !! وإن كانت التيارات العلمانية في العالم الإسلامي– تقليداً لظروف علمانيةَ الغرب، وصراع الكنيسة والعلم عندهم، تحاول أن تنقل الصراع نفسهُ إلى عالم الإسلام والمسلمين، نظراً لبغضها وحقدها على دين الإسلام، وجهل بعضهم به.

ودين الإسلام إنما يحاربُ إلحاد الغرب وزندقته،وانحرافه وتحلله وضلاله، واستعماره وظلمه، وحربه الضروس ضد الإسلام أمام التقدم العلمي المادي النافع– على مختلف تخصصاته وفروعه– فهو من أكبر الداعين إليه .

وها هي شواهد حضارة الإسلام تدلُ على ذلك.

===============

القوامة .. دكتاتورية وتسلط أم تهذيب وتبسط؟

* ما هي القوامة؟

*سبب قوامة الرجل على المرأة

*هل تعني القوامة إلغاء شخصية المرأة؟

*القوامة: دكتاتورية وتسلط أم تهذيب وتبسط؟

*استجابة المرأة الزوجة سرّ نجاح زواجها!

*هل قوامة الرجل على المرأة مقصورة على الحياة العائلية؟

الحمد لله رب العالمين على نعمه وآلائه المتوالية، وأصلي وأسلم على نبيه الأمين الذي هدى البشرية والإنسانية لدين رب العالمين، وبعد:

فقد خلق الله . الإنسان، وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، وحثنا على التعارف، فقال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)) ،وبيَّن تعالى أنَّ ميزان كرامة الإنسان لديه، ذكراً وأنثى، هو التقوى، فقال سبحانه : ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) ([الحجرات/13) .

وكتاب الله تعالى جاء بتحقيق مصالح الناس، ودرء المفاسد عنهم، في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ((وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) [فصلت:42،43].

وقال تعالى : ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)) [النحل:90].

وقال جلَّ في علاه: ((مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ)) [الأنعام:38].

ومن هذه الأمور التي جاء الشرع المطهر ببيانها بياناً وافياً (في القرآن والسنة)، ثم أفاض علماء الأمة في شرحها وتفسير مجملها للناس: أمر" القوامة"، فقد قال الله تعالى: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)) ([النساء/ 34،35].

ماهي القوامة؟

لا شك أنه تعالى أثبت في القرآن قوامة الرجل على المرأة،والنقاش مع الذين يدورون في رحى الخلاف:التحديد لماهية القوامة،وكيف يقوم الرجل على امرأته؟ وما معنى القوامة هذه؟

والحمد لله فإنَّ أهل العلم السابقين تكلموا عن ذلك ،وشرحوا النصوص الربانية القرآنية بكل تحقيق وتدقيق، فأحسنوا وأبدعوا في إيصال معانيها وفوائدها النفيسة، ولا ريب أنهم أعلم بمقصود الآية منَّا؛لأنهم قريبون من عهد النبوة، ولأنَّ كثيراً منهم تلقى العلم عن الصحابة والتابعين، فسألوهم عن مراد الله ورسوله في كل آية، ثم إنَّ الرسول تكلم عن القرون التي عاشوا فيها فمدحها وأثنى عليها، فقال: "خير أمتي القرن الذي بُعثتُ فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يخلف قوم يحبون السَّمن، يشهدون قبل أن يُستشهدوا " (1)

وقد تكلم المفسرون في شرح آية القوامة السابقة كلاماً بديعاً، وهاأنذا ألتقط شيئاً من درر كلامهم في شرحهم لماهية القوامة وكيفيتها:

قال ابن كثير في تفسيره عن هذه الآية:

((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء)) أي: الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء)) : يعني: أمراء:عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله،وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك..وقال الشعبي في هذه الآية: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء)) قال: " الصداق الذي أعطاها... (2)

وقال الشوكاني في تفسيره عن هذه الآية الكريمة:

"والمراد: أنَّهم يقومون بالذب عنهن، كما تقوم الحكام والأمراء بالذب عن الرعية، وهم أيضاً يقومون بما يحتجن إليه من النفقة، والكسوة، والمسكن، وجاء بصيغة المبالغة قوله: ((قَوَّامُونَ)) ليدل على أصالتهم في هذا الأمر" اهـ.

وقال أبوبكر العربي في كتابه "أحكام القرآن":

"قوله: ((قَوَّامُونَ)) يقال: قوَّام وقيّم، وهو فعال وفيعل من قام، المعنى هو أمين عليها، يتولى أمرها، ويصلحها في حالها، قاله ابن عباس، وعليها له الطاعة.. ثم قال عندما ذكر القوامة: "فعليه أن يبذل المهر والنفقة، ويحسن العشرة، ويحجبها، ويأمرها بطاعة الله، ويرغب إليها شعائر الإسلام من صلاة وصيام إذا وجبا على

المسلمين، وعليها الحفظ لماله، والإحسان إلى أهله، والالتزام لأمره في الحجة وغيرها إلا بإذنه، وقبول قوله في الطاعات" اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره:

"يخبر الله تعالى أنَّ : ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء))أي: قوَّامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه، وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهم بذلك، وقوَّامون عليهن أيضاً، بالإنفاق عليهن،والكسوة، والمسكن" اهـ.

وبمجموع كلام هؤلاء المفسرين نستنتج أنَّ معنى القوامة يدور على خمسة أشياء:

1. أنَّ الرجل كالرئيس على المرأة والحاكم عليها والأمير.

2. مؤدبها إذا اعوجت وأخطأت وضلَّت طريق الهدى.

3. أنَّ الرجل يبذل لها المهر والصداق.

4. أنَّ الرجل يتولى أمرها ويصلح حالها، ويحسن عشرتها، ويأمرها بالاحتجاب عن الأجانب ،وأهل الشر والفتنة.

5.إلزامهن بحقوق الله تعالى،بالمحافظة على فرائضه، والكف عما نهى عنه.

وقد يتساءل البعض لماذا كانت القوامة قد اختص بها الرجل على المرأة ولم يكن ذلك بالعكس،فيقال:ذكرابن العربي . رحمه الله . في تفسيره أحكام القرآن (3) أنَّ سبب تفضيل الرجل على المرأة في القوامة"وذلك لثلاثة أشياء:

الأول : كمال العقل والتمييز.

الثاني : كمال الدين والطاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرعلى العموم، وغير ذلك، وهذا الذي بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للبّ الرجل الحازم منكن. قلن: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: أليس إحداكن تمكث الليالي لا تصلي ولا تصوم، فذلك من نقصان عقلها". وقد نصَّ الله سبحانه على ذلك بالنقص، فقال:)) أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى((.

الثالث : بذلهُ لها المال من الصداق والنفقة، وقد نصَّ الله عليها ها هنا" اهـ.

قال الشوكاني (4) في قوله تعالى: ((بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) قال: ((بِمَا فَضَّلَ اللّهُ)) للسببية، والضمير في قوله: ((بَعْضَهُمْ عَلَى

بَعْضٍ ((للرجال والنساء، أي: إنما استحقوا هذه المزية لتفضيل الله للرجال على النساء بما فضَّلهم به من كون فيهم الخلفاء، والسلاطين، والحكام، والأمراء، والغزاة، وغير ذلك من الأمور.

قوله: ((وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) أي: وبسبب ما أنفقوا من أموالهم، وما مصدرية، أو موصولة، وكذلك هي في قوله: ((بِمَا فَضَّلَ اللّهُ)) ومن تبعيضية، والمراد: ما أنفقوه في الإنفاق على النساء، وبما دفعوه في مهورهن من أموالهم، وكذلك ما ينفقونه في الجهاد، وما يلزمهم في العقل".

وقال الشيخ محمد رشيد رضا (5): "وسبب ذلك أنَّ الله تعالى فضَّل الرجال على النساء في أصل الخلقة، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة، فكان التفاوت في التكاليف والأحكام أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد، ومن ثم سبب آخر كسبي، يدعم السبب الفطري، وهو ما أنفق الرجال على النساء من أموالهم، فإنَّ في المهور تعويضاً للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال، فالشريعة كرَّمت المرأة إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة، وهو أن يكون زوجها قيّماً عليها، فجعل هذا الأمر من قبيل الأمور العرفية التي يتواضع النَّاس عليها بالعقود لأجل المصلحة، كأنَّ المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة وسمحت له بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القوامة والرياسة، ورضت بعوض مالي عنها... ".

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره عن آية : ((بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) : "أي: بسبب فضل الرجال على النساء،وأفضالهم عليهم..فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة؛ من كون الولايات مختص بالرجال، والنبوة والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات، كالجهاد،والأعياد،والجمع، وبما خصَّهم الله به من العقل، والرزانة، والصبر، والجَلَد، الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصَّهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات يختص بهاالرجال، ويتميزون عن النساء. (6)

ولعلّ هذا سر قوله : ((وَبِمَا أَنفَقُواْ)) وحذف المفعول، ليدلّ على عموم النفقة، فعلم من هذا كله أنَّ الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به..." اهـ.

وبعد هذا التتبع والاستقراء، نستنبط من كلام هؤلاء العلماء سبب قوامة الرجل على المرأة :

1. كمال عقل الرجل وتمييزه.
2. كمال دينه كله ؛فطبيعة التي خلق عليها جعلت تكليفه أكثر من المرأة .
3. إعطاء المرأة صداقها ومهرها، والنفقة عليها.
4. أن الرجال عادة يكون منهم الأنبياء والرسل والخلفاء والغزاة والأمراء.
5. أنَّ الرجل بطبيعته أقوى من المرأة قوة بدنية،ونفسية، فهو يتحمَّل المشاق والمتاعب والأعباء.

وهنا سؤال قد يتبادر إلى الذهن وهو هل تعني القوامة إلغاء شخصية المرأة؟

قال سيد قطب . رحمه الله .: "ينبغي أن نقول: إنَّ هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء وضعها المدني.. وإنَّما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها، ووجود القيم في مؤسسة ما ؛لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها، والعاملين في وظائفها، فقد حدَّد الإسلام في مواضع أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية وصيانة وحماية، وتكاليف في نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله"(7)

القوامة : دكتاتورية وتسلط أم تهذيب وتبسط؟

يسيء بعض الناس فهم آية ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء)) فهذا الرجل تجده يشتم ويلطم ويضرب زوجته المسكينة، ثم إذا اعترضت عليه يقول:قال تعالى: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء)) ،وقد يكون لا يحفظ من القرآن إلا القليل منه مع هذه الآية؛ لأنَّها . بزعمه . آية واضحة في أنَّ الرجل قوَّام على زوجته فليفعل بها ما شاء.

وهذا فهم سقيم، وتأويل فاسد؛ فإنَّ معنى الآية ليس هكذا،بل المعنى ما سبق بيانه في تفاسير العلماء.

لذلك بعض النساء قد تحصل لهن ردة فعل أمام هذه التأويلات الخاطئة، فلا يثبتن للرجل القوامة، بل قد نجد نساء بدورهن يؤولن هذه الآية تأويلاً مضحكاً وغريباً، كأن يرين أنَّ هذه الآية مناسبة للعصر الذي كان يعيشه الرسول صلى الله عليه وسلم

والصحابة من بعده، أمَّا الآن (في عصر العولمة) فإنَّ النساء يستطعن أن يستقللن ببيوتهن وآرائهن.

وقد حدَّثني أحد الإخوة الذين ذهبوا للدراسة في "باكستان" بأنه توجد بعض المناطق في تلك البلاد المرأة فيها هي التي تدفع المهر للرجل، وهي التي تقود به في السيارة، وهي التي تحاسب عند محل "البنزين" وعند السوق ونحوها.. فالله المستعان!

وعود على بدء: فإنَّ قوامة الرجل على المرأة تعني تهذيبها وأمرها بما تطيق وتستطيع ، وليس من القوامة: الظلم والتسلط.

وقد قال تعالى:)) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ(([التحريم:6] فالقوامة هنا تعليم الرجل امرأته وأولاده دين الله؛ حتى يقيهم نار يوم القيامة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (خياركم خياركم لنسائهم" وقال صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله). (8)

وقال عليه الصلاة والسلام كما رواه عنه ابن عمر: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيِّته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته) .(9) وفي هذا الحديث أنَّ الرجل راع، وكذلك أنَّ المرأة راعية فهي ترعى الأبناء وترعى زوجها وتحفظ بيتها من كل سوء ومنكر.

وقال صلى الله عليه وسلم : (استوصوا بالنساء خيراً، فإنَّ المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً) (10).

ففي هذا الحديث ما يدل على أنَّ القوامة تعني الأمر بالمعروف بمحبة وألفة، والنهي عن المنكر برفق وتلطف، لا بغلظة وتعسف.

إن المرأة بطبيعة الحال والخلقة التي ركبها الله فيها ضعيفة، ولذا فإنَّ الله أسقط عنها الجهاد والقضاء وسائر الولايات، كالولاية في النكاح، وقد خصَّ الدين الإسلامي

الرجال بفروض وأسقطها عن النساء، مثل الجمع والجماعات والأذان والإقامة، وجعل الطلاق بيد الرجل لا بيدها.

بل إنَّ الميراث جعل الله الرجل له حظ الأنثيين، وليس ذلك ظلم في الإسلام للمرأة ومصادرة حقوقها، بل هو العدل والإنصاف؛ لأنَّه تدبير من عزيز عدل رحيم رؤوف حكيم . سبحانه وبحمده .، ومن الحكم التي نلتمسها في جعل الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين أنَّ الرجل صاحب نفقات، فهو الذي ينفق على أهله، والمرأة لا تنفق في بيت زوجها . إلا برضا الطرفين . والرجل مشاغله كثيرة، والمرأة ليست كذلك، بل إنَّ الله أمرها بالقرار في البيت، فقال: ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)) إلى غير ذلك من الحكم. وقد تكون الحكمة في ذلك تعبدية، ولذا فإنَّ سبب نزول قول الله تعالى: ((وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)) ([النساء/32].

وسبب نزولها ما رواه مجاهد (11) قال: قالت أم سلمة: أي رسول الله: أيغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث؟ فنزلت: ((وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ))

كما أن المرأة – بحكم ضعفها التكويني الطبيعي– تحتاج لمن يقوم عليها ويكرمها بهذا القيام،حتى بلغ ببعض النساء في الغرب إلى أن تعطي الرجل المهر حتى تكن– هي– تحت رئاسته!، فهل هذا إلا بدافع الفطرة التي جُبل عليها الإنسان؟!

* استسلام الزوجة سرّ نجاح زواجها!

هذا عنوان كتاب ألَّفته امرأة أمريكية تبلغ من العمر (32) سنة، اسمها "لوردا دويل"، يقول الأستاذ "جاسم المطوع" (في مجلة المجتمع(12) بمقالٍ لـهُ بعنوان: "القوامة على الطريقة الأمريكية) :

".. وفكرة هذا الكتاب أنَّها عرضت فيه تجربتها الشخصية مع زوجها، وكيف كانت متسلطة تريد أن تتحكَّم في كل شيء وباستمرار، إلى أن بدت تشعر بأنَّ زوجها في طريقه إلى الفشل، واكتشفت ذلك عندما شعرت بأنَّ زوجها بدأ يتهرَّب منها، ثم غيَّرت منهجها في الحياة إلى الحوار الهادئ معه وعدم التدخل في كل شؤونه وعدم

مضايقته، والمسارعة إلى السمع والطاعة في كل ما يطلبه، وتقول للزوجات: كفوا عن التحكم في حياة أزواجكن..!"

إنَّ هذا الكلام قد ذكره الله من قبل (1400) سنة، ولكن الكفار لا يعلمون ((يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)) (الروم:7)

وقد قيل قديماً: "والحق ما شهدت به الأعداء".

ويقول الدكتور "عبد الله وكيل الشيخ" في كتابه "المرأة وكيد الأعداء": "أمَّا قوامة الرجل، فالمرأة أحوج إليها من الرجل؛ لأنَّ المرأة لا تشعر بالسعادة وهي في كنف رجل تساويه أو تستعلي عليه، حتى لقد ذهبت إحداهن إلى القاضي تطلب طلاقها من زوجها، وحجتها في ذلك أنَّها سئمت من نمط الحياة مع هذا الرجل الذي لم تسمع له رأياً مستقلاً، ولم يقل لها يوماً من الأيام كلمة: "لا"، أو "هكذا يجب أن تفعلي"، فقال لها القاضي مستغرباً: أليس في هذا الموقف من زوجك ما يعزز دعوة المرأة إلى الحرية والمساواة؟ فصرخت قائلة: كلا.. كلا.. أنا لا أريد منافساً، بل أريد زوجاً يحكمني ويقودني"(13)اهـ.

فيا سبحان الله! من هذه المرأة التي تعرف حق قوامة الزوج على زوجته وإن لم يفعل معها زوجها تلك القوامة؟

وهكذا المرأة الصالحة التي تستسلم لأوامر زوجها إن كانت بطاعة الله عز وجل ولا تحاول أن تعصيه، وقد ورد عن الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً للنبي . عليه الصلاة والسلام . "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" (14)

ومن اللطيف الظريف ما ذكره الشيخ "مازن الفريح" في كتابه أسرة بلا مشاكل: (قال الزوج لصاحبه: من عشرين لم أرَ ما يغضبني من أهلي.. فقال صاحبه متعجباً: وكيف ذلك؟ قال الزوج: من أول ليلة دخلت على امرأتي، قمت إليها فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية.. كما أنت، ثم قالت: الحمد لله وصلاة على رسول الله.. إني لامرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبيِّن لي ما تحبه فآتيه، وما تكره فأتركه، ثم قالت: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال الزوج لصاحبه: فأحوجتني والله إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله وأصلي على النبي وآله وأسلم، وبعد:

فإنك قلتِ كلاماً إن ثَبَتِّ عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجةً عليك.. أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا.. وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها، فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قال: ما أحب أن يملني أصهاري.. (يعني لا يريدها أن تكثر من الزيارة) فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ؟ ومن تكره فأكره؟ قلت: بنو فلان قومٌ صالحون، وبنو فلان قوم سوء.. قال الزوج لصاحبه : فبت معها بأنعم ليلة، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب.. فلما كان رأس الحول.. جئت من عملي.. وإذا بأمَّ الزوجة في بيتي فقالت أم الزوجة لي: كيف رأيت زوجتك ؟ قلت: خير زوجة.. قالت: يا أبا أمية.. والله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.. فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب.. قال الزوج: فمكثت معي عشرين عاماً لم أعتب عليها في شيء إلا مرة وكنت لها ظالماً).

قال الشيخ مازن الفريح: "ما أسعدها من حياة.. والله لا أدري أأعجب من الزوجة وكياستها، أم من الأم وتربيتها، أم من الزوج وحكمته؟! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

*هل قوامة الرجل على المرأة مقصورة على الحياة العائلية؟

أي: هل قوامة الرجل على المرأة مقتصرة على الحياة العائلية فقط أم على غيرها من أمور الخلافة والقضاء والسلطة وغيرها.

والجواب على ذلك أن يُقال: إنَّ قوامة الرجل على المرأة ليست مقتصرة على الحياة العائلية، بل على كل شيء، فمثلاً الخلافة لا يجوز للمرأة أن تتولاها، وقد قال الإمام ابن حزم . رحمه الله . في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" ما نصَّه: "ولا خلاف بين أحد أنَّها لا تجوز للمرأة". (15)

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي – رحمه الله–في قوله تعالى : ((وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)) : "فالدرجة هي القوامة، وهي ليست مقصورة على الحياة العائلية، لأنَّ قوامة الدولة أخطر شأناً من قوامة البيت، ولأنَّ النص القرآني لم يقيد هذه القوامة بالبيوت".

ثم قال:)إنَّ قوامة الرجال على النساء لا تقتصر على البيوت بدليل أنَّه لم يذكر البيوت في الآية، فهي إذاً قوامة عامة لسائر البيوت كذلك، ثمَّ إذا جعل الله قوامة على المرأة المفردة في بيتها فهل يظن بالله أن يجعل قوامة على ملايين في حين أنه لم يجعلها لها على بيت هو بيتها((16)

وإن أقوى الأدلة في ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين علم أنَ أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنت كسرى قال:"لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" (17)

والعجب من أناس يقولون عن هذا الحديث: هذا مقيَّد بزمان النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان الحكم فيه لأبي جهل استبدادياً أمَّا الآن فلا. والله المستعان.

بل إن الهدهد (الغيور على التوحيد) عندما رأى الملكة بلقيس تحكم قوماً جاء عند سليمان عليه السلام وقال له : ((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)) (النمل:23) .

فبعد ذلك جاء سليمان وأبطل حكمها ودخلت تحت ولايته وقالت: ((قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (النمل: من الآية44) .

بعد أن قال سليمان: ((أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)) (النمل: من الآية38).

ولذا فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُوَلِّ المرأة في حياته ولا أوصى بعد مماته بأن تتولى المرأة أي منصب رفيع.

ولذا يتبين لنا،أنَّ من ينادي بتحرير المرأة وأنَّ لها أن تتولى مناصب في الدولة ويكون تحتها أناس من الرجال تدير شؤونهم قد أخطؤوا خطأً بيناً، وخالفوا هذه النصوص الواردة في ذلك

ولقد ألف أحد المفكرين العالميين وهو"بليرداجو" . رئيس مدرسة التحليل النفسي العلمي، ومقرها سويسرا . كتاباً اسمه "المرأة: بحث في سيكولوجيا الأعماق" وذكر في هذا الكتاب أنَّ أهم خدعة خدعت بها المرأة في هذا العصر هي التحرر والحرية، وفي الواقع أنَّ المرأة ولو علت وادعي أنَّها متحررة وتمارس شؤونها بنفسها فإنَّما هي قد سقطت أكثر في عبودية الرجل.

فتأملي ـ أختاه ـ رعاك الله، واعلمي أنَّ الخير كل الخير في إخلاص الوجه والعبادة لله وحده، واتباع نبيه محمَّد صلى الله عليه وسلم، والرضا بأحكام الله تعالى وأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال تعالى:)) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)) [النور:51،52]

ولنحذر جميعاً من دعاة السوء والفتنة والشر والرذيلة (ولتعرفنهم في لحن القول).

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر *لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا

عمي القلوب عروا عن كل قائدة *لأنهم كفروا بالله تقليدا

وابتعدي عن كل ما يمسُّ عرضك من الدعوة إلى التبرج،أو الاختلاط، أو التنكر لفطرتكِ التي فُطرتِ عليها، وذودي عن حريتك وحقك بقلمك ولسانك، ورُدِّي عليهم في الجرائد والمجلات ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإنَّ دين الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

من الدين كشف الستر عن كل كاذب*وعن كل بدعي أتى بالعجائب

ولولا رجال مؤمنون لهدمت* صوامع دين الله من كل جانب

وأقول لكل من قرأ ماكتبت ـ رجلاً كان أو امرأة ـ: ليؤدِّ كل منكم حقوق الله عزّ وجل التي فرضها ؛ فمن الرجل القوامة والأمر بالمعروف بمعروف والنهي عن المنكر بلا غضب ومنكر، ومن المرأة أداء حقوق زوجها عليها.

وأختم بكلام للعلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ ونصُّه:"ومعلوم أنَّ الذي جعل الرجال قوامين على النساء هو الله عزّ وجل في قوله تعالى في سورة النساء: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) فالطعن في قوامة الرجال على النساء اعتراض على الله عزّ وجل، وطعن في كتابه الكريم وفي شريعته الحكيمة، وذلك كفر أكبر بإجماع علماء الإسلام، كما نصَّ على ذلك غير واحد من أهل العلم..) اهـ (18).

هذا وأسأله ـ تعالى ـ أن يجعلنا جميعاً ممن يقف عن حدوده ، وطبق شرائعه،وأن يهدينا سواء السبيل، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

1- رواه مسلم (انظر صحيح الجامع الصغير:622/1 . 624 فقد ذكر روايات عدة في هذا الموضوع) .

2- من تفسير ابن كثير .

3- ذكرها في مجلد 416/1) .

4- فتح القدير" (414/1) .

5- تفسير المنار(5/6) .

7- (ص142) .

8- في ظلال القرآن652/2.

9- رواه الترمذي وصححه الألباني .

10- رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني .

11- متفق عليه .

12- رواه الطبري، والإمام أحمد، والحاكم، وغيرهم .

13- العدد:1422/10/14هـ .

14- ص(25)

15- حديثٌ صحيح صححه الإمام الألباني وغيره ، ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم:3366

(15)(129/4) وذكر الإمام الماوردي نحو هذا الكلام في كتابه (الأحكام السلطانية ص46).

-16ذكره في كتابه (نظرية الإسلام وهديه ص319) .

17- فتح الباري 159/8 حديث(4425). .

18-مجلة البحوث العلمية، العدد 32 سنة 1412هـ

=============

البديل الإسلامي بين الانضباط والتسيب

بسم الله الرحمن الرحيم

(حدَّثتني إحدى الصالحات أنَّ ثلاث فتيات في مدرستها اتفقن على قيام الليل . ولكن من نوع آخر. إنَّ برنامج ستار أكاديمي قد خلب لبَّهم ، وسحر فكرهم ، ولأجل ذا فقد

تواعدن على أن يقسِّمن الليل إلى ثلاثة أثلاث كلُّ واحدة منهن تنظر في هذا البرنامج وتقوم بتسجيله ، ثمَّ تتصل على زميلتها بعد أن تنتهيورديتها في ملازمة التسجيل لهذا البرنامج وتقوم الثانية بهذا الدور، وهكذا العمل مع الزميلة الثالثة إلى أن ينتهي البرنامج)

بهذا المنطق يتفاعل الكثير من الشباب والفتيات المنتسبين للإسلام حين يريدوا مشاهدة هذه البرامج الهابطة، والتي بثَّت أخيراً عبر الفضائيات، وجعلت لدى الشباب نوعاً من الهوس لإعجابهم بهذه البرامج المباشرة ، وكأنَّها مغناطيس يجذبهم بقوَّة وقهر، وليس لهم إلَّا تلبية رغبات النفس، وخطرات الروح.

أما آن للمصلحين أن يفيقوا من نومهم العميق، لإنقاذ شبابنا وفتياتنا من مأساة فكرية وشهوانية تعصف بهم ذات اليمين وذات الشمال ، وقد جعلتهم يتطايرون على الشَّاشات كالفراش وهم لا يشعرون!!

ودعونا أيها الفضلاء أن نراجع أنفسنا ، وننقد ذاتنا !فجزى الله علمائنا خيراً حين أفتوا بتحريم هذه البرامج ، وبينوا بلا لبس أو غموض حكم مشاهدتها ، والنظر إليها ، فقد أثَّرت تلك الفتاوى في البعض وأقلعوا عن مشاهدتها . ولله الحمد والمنَّة .

ولكن هل نكتفي بهذا، ومازال الكمُّ الهائل من شباب الأمَّة يشاهدون ويصفِّقون ، ويحلمون في منامهم ويقظتهم في ذكريات البرنامج الشبابي!

ألا يوجد لدينا حلولٌ وافرة ، وأكفٌ رفيقة ليّنة تحتضن الشباب والفتيات في برامج إسلامية مشوقة ، ومشاريع تربوية وترفيهية ، وبدائل عن تلك المُثُلِ منضبطة بميزان الشريعة؟

أين أصحاب الحلول المنتجة ، أين أهل الثراء والمال والغنى ، أين أصحاب الأفكار الإبداعية ، والمشاريع الابتكارية؟

أين هم من الذي يحاك لشباب هذه الأمَّة ، ويخاط لهم وينسج في مواخير الفساد ، وأندية الظلام، والكواليس الخفية لتعليمهم دروساً في العربدة والشهوات؟

ترى لو أنَّ جيشاً عرمرماً أحاط ببلدة من بلاد الإسلام ، وأثخن فيها وأكثر من القتل والتعذيب لأبناء الإسلام ، ثمَّ خرج علينا رجل يبيِّن خبث هذا العدو ومكره، وحذَّر المسلمين من استقباله أو احتضانه... ثمَّ وقف إلى هذا الحد، واكتفى بهذا القدر.

هل سيؤدِّي هذا إلى دحر العدو وإنقاذ النَّاس؟ أم أنَّ هناك لوازم ينبغي إضافتها على ذلك الحدث!!

وبعد:

فإنَّ المراقب لهذه الأوضاع ، وتلك الأحداث ، ينبغي عليه أن يعرف أنَّ من أسباب وجوده في هذه الأرض دعوة الناس لدين ربِّ العالمين ، وتقريبه إلى قلوبهم،فليست كلَّ الدعوة بالمحاضرات ولا بالخطب، وليست كلُّها بالدروس أو الفتاوى فحسب ، بل لا بد من استخدام جميع الوسائل المشروعة والمتاحة فالدعوة إلى الله لا تحدُّ بحدود ، ولا تقيد بقيود.

وحيث أنَّني شرعت في المقصد فإنِّ من الأولويات الهامة للعمل في حقل الدعوة الإسلامية ؛ الفهم الناضج لدى طلَّبة العلم، ومتعلمي الشريعة بالذات، ليخرجوا لنا بمحصِّلات مدروسة، ونتائج محروسة في فقه البديل الإسلامي المواكب لروح هذا العصر ومتطلباته ، وكيفية إنقاذ هذه الأمَّة المنكوبة من الأزمات التي تحلُّ بها سواء أكانت تعليمية أو تربوية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو عسكرية وغيرها من ألوان المشاكل، وأشكال المحن.

والعالم الحق هو من وصفه الإمام أبو العباس ابن تيمية . رحمه الله . بأنَّه(الذي يعرف الحق، ويرحم الخلق) وأنَّه(كلَّما اتسعت معرفته بالشريعة وروحها ، كان أرحم بالعباد وأعظم الناس تيسيراً عليهم ورفقاً بهم).

وحين يتأمل الإنسان الهدي الربَّاني في القرآن الكريم يجد أنَّه . سبحانه وتعالى . ما حرَّم على عباده شيئاً إلَّا وأبدلهم عوضاً عنه ما هو خير منه ، بل وصل ذلك إلى الألفاظ فإنَّه تعالى قال (يا أيُّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) البقرة(104) فقد نهاهم . تعالى . عن ذلك لأنَّ فيه شبهاً بيهود حين كانوا يقولون ذلك لمحمد . صلَّى الله عليه وسلَّم . ويقصدون بذلك السخرية به . عليه الصلاة والسلام . فنهى الله صحابة رسوله أن يقولوا هذه الكلمة لمحمد . صلَّى الله عليه وسلَّم . وأبدلهم بأن يقولوا له(انظرنا).

كذلك من تدبر سيرة المصطفى . صلَّى الله عليه وسلَّم . يجد ذلك واضحاً في منهجيته في التربية والتعليم، فإنَّه كان إذا حرَّم شيئاً أتى بالبديل المشروع مقابل ذلك الأمر

المُحَرَّم لأنَّـه يعلم أنَّ النفوس ضـعيفة ، ومجبولـة علـى حبِّ العوض والبديل ، وخذ أمثلة على ذلك/

فعن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . قال: جاء بلال إلى النبي . صلَّى الله عليه وسلَّم . بتمر برني، فقال له: النبي . صلَّى الله عليه وسلَّم . من أين هذا ؟ قال بلال: كان عندنا تمر رديء ، فبعت منه صاعين بصاع لنُطعم النبي . صلَّى الله عليه وسلَّم . فقال . عليه السلام . أوَّه أوَّه عين الربا عين الربا لاتفعل ، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثمَّ اشتره) رواه البخاري(2201) ومسلم (1593)

أتأملت أيها المبارك كيف أنَّه . عليه الصلاة والسلام . حين حرَّم فعل بلال . رضي الله عنه . نقله نقلة توعوية بديلة ومشروعة قبالة ذلك الأمر المحرم، وتلك صفة العالم الرباني ، والبصير بالواقع الذي حوله ولهذا قال الإمام ابن القيِّم في ذلك:(من فقه المفتي ونصحه إذا سأله المستفتي عن شيء فمنعه منه،وكانت حاجته تدعوه إليه ،أن يدلَّه على ما هو عوض له منه،فيسد عليه باب المحظور، ويفتح له باب المباح ، وهذا لا يتأتى إلَّا من عالم ناصح مشفق قد تاجر الله وعامله بعلمه ، فمثاله في العلماء مثال الطبيب النَّاصح في الأطباء يحمي العليل عمَّا يضره ، ويصف له ما ينفعه ، فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان ، وفي الصحيح عن النبي . صلَّى الله عليه وسلَّم . أنَّهَ قال:(ما بعث الله من نبي إلاَّ كان حقَّاً عليه أن يدلَّ أمَّته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم) وهذا شأن خلق الرسل وورثتهم من بعدهم ، ورأيت شيخنا . قدَّس الله روحه . يتحرَّى ذلك في فتاويه مهما أمكنه ، ومن تأمَّل فتاويه وجد ذلك ظاهراً فيها) أعلام الموقعين (4/121- 122) و سأنقل كلاماً للشيخ ابن تيمية في ذات الموضوع الذي مدحه به تلميذه ابن القيِّم حيث قال ابن تيمية:(إذا أراد تعريف الطريق الَّتي يُنَالُ بها الحلال ، والاحتيال للتخلص من المأثم بطريق مشروع يقصد به ما شرع له ، فهذا هو الذي كانوا يفتون به . أي السَّلف الصالح .، وهو من الدعاء إلى الخير، والدَّلالة عليه ، كما قال . صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . بع الجمع بالدراهم، ثمَّ ابتع بالدراهم جنيباً) وكما قال عبد الرحمن بن عوف لعمر الخطَّاب:(إنَّ أوراقنا تُزيَّفُ علينا أفنزيد عليها ونأخذ ما هو أجود منها؟ قال: لا ولكن

ائت النقيع فاشتر بها سلعة ، ثمَّ بعها بما شئت) بيان الدليل على بطلان التحليل / صـ133.

ومن الأمثلة على ذلك من هدي المصطفى . عليه الصَّلاة والسلام . في أنَّه إذا منع شيئاً فتح لمن منعه باباً آخر من الأمر المشروع، والبديل المنضبط بمعيار الشَّريعة، ما رواه أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال: قدم النبي . صلى الله عليه وسلَّم . ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ، فقال: (قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية ، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما : يوم النحر، ويوم الفطر) أخرجه أحمد في المسند(3/103-178-235) وأبو داود(1134) والنَّسائي(3/179) بسندٍ صحيح.(واليومان الَّذين يلعبون فيهما أهل الجاهلية هما / يوم النيروز ويوم المهرجان . وللمزيد انظر/ عون المعبود(3/485) للعظيم آبادي)

أرأيت . أخي القارئ . إلى هديه . عليه الصلاة والسَّلام . في ذلك، حيث أنَّه لا يرضى بوقوع المنكر، ولا أن يؤلف ، ولكنَّه . عليه الصلاة و السَّلام . يبيِّن خطر الشيء المحرَّم، ومن ثمَّ يبين البديل الشرعي عن ما حرَّمه الله ، ومن هنا فطن علماء الإسلام لتوضيح هذه القضيَّة في مدوناتهم ، ورسائلهم ومنهم شيخ الإسلام / ابن تيمية . طيَّب الله ثراه . فقد بيَّن بأنَّ المبتلى بالمنكر أو البدعة فإنَّه يتوجب على ناصحه أن يدعوه للإقلاع عن هذا الأمر المحرَّم ولو كان في ظاهره الخير، ومثَّل لذلك ابن تيمية، بالبدعة فقال:(إذا كانت في البدعة من الخير فعوِّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلَّا بشيء...فالنفوس خلقت لتعمل لا لتترك، وإنَّما الترك مقصود لغيره) اقتضاء الصراط المستقيم(2/125)

ومن هذا المنطلق فإنَّ البحث المضني من العالم أو المربي أو المفكر لما يخدم به أمَّة الإسلام من برامج جذَّابة تكون بديلاً عن ما هو متاح ويستطاع الوصول إليه بأسرع الوسائل، وأدنى السبل ؛ من الضرورة بمكان وخاصَّة في هذا العصر الراهن فأمتنا تحتاج لبدائل كثيرة في عدَّة مضمارات ، وتحتاج للبدائل المفيدة عن القنوات الفاسدة التي تنشر الغثَّ بلا سمين ، وتلهي النَّاس عن دين ربِّ العالمين ، وإيقاعهم بفتن الشبهات أو الشهوات ، وما البرامج الأخيرة التي نشرت في هذه القنوات الفضائحية كسوبر ستار، وستاركلوب ، وستار أكاديمي ، وتحدي الخوف، وغيرها

إلَّا شاهداً قويًّا على أنَّ أهل العلمنة والكفر والفجور يريدون إلهاء الأمة وشبابها عن قضاياها الكبرى ، وشؤونها المصيرية ، بل كانت تعرض بعض هذه البرامج العاهرة في الوقت الذي تضرب فيه بلاد الرافدين (العراق) بالصواريخ ، وتقصف بالطائرات ، وتجتاح بالدبَّابات والمجنزرات ، وكذلك في فلسطين المباركة في أزمة الحصار المشدد على مدنها وقراها ، وعمليات الاغتيال الصهيوني لقادة الجهاد والصمود ، في الوقت الذي كان فيه كثير من شباب العالم الإسلامي قد أطلق بصره ، وأرخى سمعه لما يعرض في هذه الفضائيات من مشاهد مخزية ، يستحيا والله من ذكرها.

إنَّ شباب وفتيات المسلمين اليوم يعانون من أزمة الفراغ المدقع ، فليس لهم من الأعمال التي تشغلهم أيُّ أثر ، ولذا يحاول الكثير منهم أن يفرَّ إلى هذه الشاشة ويسمِّر عينيه صوبها ، لعَّلهم يلبون بعض رغبات النفس وهواها ، وكما هو معلوم فإنَّ الفراغ للرجال غفلة ، وللنساء غلمة. أي تحريك للشهوة . وصدق من قال:

لقد هاج الفراغ عليه شغلاً وأسباب البلاء من الفراغ

وإذا كنَّا قد علمنا مكمن الدَّاء ، وموطن الخلل ، فليت دعاة الإصلاح والتغيير أن يستشعروا المسؤولية الفردية والجماعية ، والتأهل للإنقاذ وللمشاريع الإصلاحيَّة لهذا الشباب التائه، الذي قلَّ من أخذ بيده ، وبيَّن له طريق النَّجاة ، والحلول المثمرة ، والبدائل النافعة والإيجابيَّة.

في الوقت نفسه فنحن لا نريد حلولاً مستوردة من الغرب الكافر، ولا بدائل غير شرعيَّة ، أو فيها تنازلات عن سنَّة خير البرية ، فمعاذ الله أن ينصح بذلك وقد قال الإمام ابن تيمية . رحمه الله . شيئاً من هذا القبيل ثمَّ أعقبه قائلاً:(لكن لا يجوز لأحدٍ أن يغيِّر شيئاً من الشريعة لأجل أحد) اقتضاء الصراط المستقيم(133/2)

بيد أنَّ من أراد أن يحمل نفسه على تجنُّب البدائل المباحة ، والالتزام بالأوامر والنَّواهي الشرعية فله ذلك ، وصاحب العزمات يأخذ بالأقوى ، وقد يكون في جانبه أفضل ، إلَّا أنَّ عليه أن لا يقارن نفسه بغيره من الناس ، ويفرض رأيه على ضعفاء الدين ، وقليلي الإيمان ، ومن المعلوم بأنَّه إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع.

ولن يستطيع الداعية بقدر ما أوتي من فصاحة وإقناع أن يصنع ذلك المجتمع المثالي المتخيل في الذهن ، وخاصَّة أننا نعيش في هذا العصر المنفتح ، والذي تعجُّ

فيه الفوضى الفكرية ، والمتنوعات الثقافيَّة ، وكلٌّ منها تضغط بطرف على العقول والأمزجة محاولة أن تقنعها بمثلها ومبادئها.

فمهمَّة الدعاة إذاً أن يأتوا البيت من بابه ، ويضعوا الحقَّ في نصابه، ويرشدوا أبناء هذا الجيل مبيِّنين لهم مخطَّطات الغرب، ووسائل المجرمين بالإطاحة بهذا الجيل عن غاياته النَّبيلة وأهدافه السَّامية.

وثمة نقاط أحبُّ أن أذكِّر بها نفسي ومن سلك طريق الدعوة ، وكل قارئ لهذا المقال ، يجدر التنبيه إليها ، والتلويح بها/

1. يجدر بدعاة الإسلام وأهل التربية أن لا يخاطبوا الناس من برج عاج ، أو صومعة فكرية ، بل ينزلوا في ميدان الناس ، وواقع البشرية ، ويتداخلوا معهم ، ويتأملوه حقَّ التأمل فما كان فيه من خير أثنوا عليه وأشادوا به ، وما كان فيه من خطأ فلينبهوا الناس له، ويرسموا لهم طريق الصلاح ، ويزنوا جميع الأمور بمعيار الشريعة ، ويعطوهم البدائل المباحة بقدر الإمكان ، وإيجاد الحلول والمخارج الشرعيَّة،لا الحيل الباطلة البدعيَّة.

فأمَّا التشديد على الناس في أمورهم فهذا لا يليق بدعاة الحق والرشاد، بل هو أمر يحسنه كلُّ أحد ، وقد قال الإمام سفيان الثوري . رحمه الله .(إنَّما العلم عندنا الرخصة من ثقة فأما التَّشدد فيحسنه كلُّ أحد) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (784/1) وقال الإمام أحمد بن حنبل:(من أفتى ليس ينبغي أن يحمل النَّاس على مذهبه ويشدِّد عليهم) الآداب الشرعية لابن مفلح(45/2) ولا يعني ذلك أن نكون مماثلين لدعاة العصرنة والمسايرة لهذا العصر، والتراجع تحت ضغط الواقع ، والَّذين يتبنون تتبع رخص العلماء وزلَّاتهم ويبنون عليها أحكاماً يقنِّنونها للناس حتَّى يتعاملوا بها فإنَّ هذا غير هذا ، ولاشكَّ أنَّ التفريط أخٌ للإفراط ، فالمطلوب أن يكون الدَّاعية وسطياً في فتاويه وآرائه على وسطيَّة أهل السنَّة والجماعة ورحم الله من قال:

عليك بأوساط الأمور فإنَّها نجاةً ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

ولهذا فإنَّ العالم الذي جمع بين العلم والتربية لن يغفل عن دراسة نفسيَّات النَّاس ، وإعطاء كلَّ ذي حقٍ حقَّه من الحكم الملائم له، ورضي الله عن الإمام ابن تيمية حين علَّق على حديث رسول الله . صلَّى الله عليه وسلَّم . (كلُّ لهو يلهو به الرجل

فهو باطل، إلَّا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته امرأته فإنَّهنَّ من الحق) أخرجه ابن ماجه (940/2) والنَّسائي ،أنظره مع شرح السيوطي(185/6) بسند صحيح.

فقد علَّق ابن تيمية على هذا الحديث تعليقاً نفيساً مبيناً خلاف ما يعتقده البعض من قارئي هذا الحديث بأنَّ كلمة (الباطل) فيه يعني (المحرَّم) فقال:

(والباطل من الأعمال هو ما ليس فيه منفعة، فهذا يرخص للنفس الَّتي لا تصبر على ما ينفع ، وهذا الحقُّ في القدر الذي يحتاج إليه في الأوقات الَّتي تقتضي ذلك: الأعياد والأعراس وقدوم الغائب ونحو ذلك) الاستقامة(277/1) . وقد كان في هذا الموطن يتكلَّم عن ضرب الدف وأنَّه للنساء فقط وأنَّ الرجال لم يكن منهم أحد يفعل ذلك في عهده . صلَّى الله عليه وسلَّم . ولهذا ذكر ابن تيمية أثراً عن أبي الدرداء . رضي الله عنه . يقول: إنِّي لأستجمُّ نفسي بالشَّيء من الباطل،لأستعين به على الحق) مجموع الفتاوى(368/28)

ومن هنا نستنتج أنَّ معرفة الدَّاعية لنفسيات المدعوين وأهل المعصية ومراعاتها كلٌ بحسبه، بأنَّه من أهمِّ المهمات ليتدرج معهم في إزالة ما لديهم من قصور ديني ، فهو خبير بأنَّ الخروج عن المألوفات من أشق الأشياء على النفوس ، ولذا فإنَّه يعطيهم من البدائل المباحة الَّتي تجعلهم يتناسون ما كانوا عليه، متدرجاً بهم بهذه الطريقة إلى مرحلة القناعة والطمأنينة بما هم فيه،ومن أقوى ما يحتجُّ به لذلك ، ما قاله عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً منكراً عليه عدم إسراعه في إزالة كلِّ بقايا الانحراف والمظالم والتعفية على آثارها ورد الأمور إلى سنن الراشدين:

مالك يا أبتِ لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي، لو أنَّ القدور غلت بي وبك في الحق!! وتأمل كيف كان جواب الأب الفقيه عمر بن عبد العزيز . رضي الله عنه .(لا تعجل يا بني ، فإنَّ الله ذمَّ الخمر في القرآن مرتين وحرَّمها في الثالثة ، وإنِّي أخاف أن أحمل النَّاس على الحقِّ جملة فيدعوه جملة، فيكون من ذا فتنة) الموافقات للشاطبي(94/2)

ولهذا فإنَّ التدرج في الوصول إلى الحقِّ بهذه التربية سببٌ أكيد لقناعة المدعوين ، وليأخذوا بهذه الأحكام بتمام الرضى والفهم العميق لمقاصد الشريعة الإسلامية، قال

الإمام ابن القيّم(إنَّ حكمة هذا التدريج ؛ التربية على قبول الأحكام ، والإذعان لها ، والانقياد لها شيئاً فشيئاً) بدائع الفوائد(184/3)

2ـ التشجيع للشباب المخلصين بإيجاد البدائل الشرعية، وإنتاج المشاريع والبرامج المعينة والجذَّابة لمن ابتلي بمتابعة الصور الهابطة ، والأصوات المحرَّمة، وإنَّ من أهمِّ الأمور في ذلك بثُّ روح الإبداع والتفكير ،والابتكار والطُّموح لصناعة البدائل وإيجادها والموافقة لروح الشَّريعة والاستفادة من المعطيات الجديدة، وتنمية الحس لأهمية الإطلاع والقراءة ، وكسر جميع الحواجز الَّتي تحول للإتيان بالجديد، وبورك في الشباب الطَّامحينا.

وما قتل البعض منَّا إلَّا الترديد لتلك المقولتين القائلتين ، ليس بالإمكان أحسن مما كان ، وما ترك الأولون للآخرون شيئاً ، فإنَّ هاتين المقولتين أصبحتا سمَّاً يلوكه كلُّ يائس أو كسول أو رجل ألف التقليد، مع الضَّحالة العلمية والعقم الفكري (وحين يكون هناك جدب ثقافي ، وضحالة فكرية فإنَّ الإنسان لا يهتدي إلى كثير من البدائل الَّتي تتاح لأهل الثَّراء الفكري) من كتاب / خطوة نحو التفكير القويم . ثلاثون ملمحاً في أخطاء التفكير وعيوبه لعبد الكريم بكَّارصـ59.

وقد أحسن الأستاذ المفكِّر جمال سلطان . وفقه الله . حين كتب(فإذا لم يكن لدى الأمة ومشروعها الحضاري ، بديل جاد ومتفوق يمتلك الجاذبية الفنِّية العالية ، ويتحرك على تقنيات فنِّية رفيعة المستوى ،أو إذا لم يكن بمقدور المشروع الحضاري أن يحقق موازنة جديدة بين النشاط العلمي، والنشاط الترفيهي، أو لم يكن بمقدوره إعادة صياغة المدركات العامَّة للأمة ، بما يحقق وعياً جديداً لمفهوم الوقت ، وتقسيمه وقيمته ودوره ، أو تباين ذلك كلِّه بين الأمم ، حسب متطلَّباتها الإنسانية ، وحسب مناهجها الفكرية العقائدية (الآيديولوجية) وحسب مكانتها الحضارية ، وحسب تحدياتها التاريخية والمستقبلية ، أي أنَّه . بوجه عام . إذا لم يكن لدى المشروع الحضاري خططه وبرامجه للسيطرة على وقت الفراغ فسيكون ذلك بمثابة تأشيرة دخول مفتوحة للتَّيارات الثقافية والقيمة والأخلاقية والأجنبية ، لكي تنفذ إلى صميم الأمَّة من خلال ثقب (وقت الفراغ)) مقدمات في سبيل مشروعنا الحضاري صـ63،62.

3. عدم الدوران في فلك الذات ، وإغلاق منافذ البصيرة في وجه أيِّ جديد بحجَّة أنَّ هذه العولمة المعاصرة أكثرها شرٌ وفساد ، بل ينبغي أن ننفتح على كلِّ جديد ونوازنه بالشرع فما وافقه فحيَّ هلا ، وما خالفه فإن استطعنا أن نبيد مادَّة الحرام منه فعلنا، وإن لم نستطع فلنضرب به عرض الحائط ولا نبالي، ورحم الله من قال:

والشرع ميزان الأمور كلها وشاهد لأصلها وفرعها

ومن جميل كلام أبو حفص النيسابوري(من لم يزن أفعاله وأقواله كلَّ وقت بالكتاب والسنَّة ، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال) الاستقامة لابن تيمية /99.96.

شاهد ذلك أنَّه قبل أن نحكم على أي شيء فعلينا أن نعرف حقيقته وماهيته ، ثم يُطلق الحكم الشرعي المناسب له ، والقاعدة الأصولية تقول / الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

4. لا يعني أنَّه إذا نودي بإيجاد البديل المنضبط ، أن يكون هذا ديدن الدعاة ، بل ينبغي أن ينادي الدعاة بأنَّه ليس كلُّ شيء حرِّم يستطاع أن يؤتى ببدائل تحل عنه، وأنَّ هذا البديل الذي استهلك العقل البشري في التفكير لإيجاده ، ليس شرطاً أن يكون فيه كلُّ مظاهر اللذَّة والمتعة عن الشيء المحرَّم، إلَّا أنَّه ينبغي أن تكون فيه مادَّة تصرف من تعلقت نفسه بالماضي ، وتكون فيه روح شفَّافة جذَّابة ليتعلق بها.

لكن من المهم جدَّاً أن يواكب هذا التغيير لتلك النفس البشرية التي نشأت من قريب على طاعة الله بأن تربى هذه النفس على طاعة الله ، وأن يكون ديدنها لأوامر الله ونواهيه بكلمة (سمعنا وأطعنا) و إذا كان البديل ليس على مستوى درجة الجاذبية لما ألفته النفس في الماضي ، أو في أيام الجاهلية فلا يعني ذلك أن ترجع النفس لماضيها ، لأنَّ ذلك من تبديل نعمة الله على العبد والتنكر لها.

بل يكون على لسان المسلم الأثر المعروف (من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه) وهذا التعويض كما ذكر علماء الشريعة إمَّا أن يكون في الحياة الدنيا، أو أن يكون ذلك في دار الآخرة وجنَّة الرضوان.

5ـ أن يتعدى الدعاة والمصلحون مرحلة المدافعة والتحذير، إلى مرحلة المواجهة والتبشير، ولقد كانت هذه وصيَّة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لبعض أصحابه

فقال:(بشِّروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا) أخرجه البخاري في كتاب العلم(2001) ، ومسلم في كتاب الجهاد(251)

فالعقلية الإسلامية تحتاج في هذا الزمن الصعب أن تكون داعية خير وتبشير، أمَّا مجرد النقد اللاذع، والإبقاء على هذا المنهج فلن يوصل المسلمين إلى مرحلة سبَّاقة ، بل يجعلهم ذلك يرجعون للوراء لأنهم لم يعرفوا كيف يواجهوا هذا العصر بتقنياته، وما هي اللغة المناسبة له ، ولذا فإنَّ المثل القائل بأنَّ إيقاد شمعة خير من لعن الظلام ؛ مثل رائع، يحتاجه دعاة هذا العصر، فإنَّ مجرد التشكي من أبناء هذا الزمان وهذا الدهر لن يفيد شيئاً ، والغريب أنَّ كثيراً من الشباب الصالح قد صار ديدنه في بعض اللقاءات التحدث بمآسي هذا الجيل ، على حدِّ قول الشاعر:

كلُّ من لاقيت يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن

لكنَّ القليل من يحاول أن ينقي الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، ويبين الخلل والاهتراءات التي حلَّت في وسطه ، محاولاً التغيير والإصلاح بالحكمة الحسنة والكلمة الطيبة، حتى يتم المقصود، وينال المراد.

إننا نحتاج حاجة ماسة لإعادة النظر في الطرق التربوية التي أَلِفَهَا بعض المربين أكثر من أربعة عقود من هذا الزمان ، أو وسائل الدعوة التقليدية والتي كانت منذ عشرات السنين وبقي الكثير على نمطها.

نحتاج لوسائل البلاغ المبين ، ولجميع المنابر التي نتواجه بها مع أبناء الجيل المسلم ، والاستفادة من المعطيات الحديثة التي تتناسب مع طبيعتنا الشرعية ، ومثلنا العقدية (ومن خلال معرفتنا بسنن الله . تعالى . والتي تبرز لنا طبائع الأشياء ، يرتقي لدينا ما أسميه بـ(فقه الطرق المسدودة) وهو فقه عظيم لا نجده في أي كتاب ، وإنَّما في سفر الوجود الهائل والمترامي ، حيث إننا من خلال الممارسة العملية نكتشف الهائل والمترامي، وما لا يمكن الوصول إليه ، وبذلك الاكتشاف نقترب من معرفة ما هو متاح ، كما أنَّنا نوفر على أنفسنا عناء (الحرث في البحر) حيث ألف الكثيرون منَّا تبديد الجهد والوقت والمال في محاولات الوصول إلى أشياء ليس إلى الحصول عليها أي سبيل) جزء من كلام الدكتور:عبدالكريم بكَّار في كتابه تشكيل عقلية إسلامية معاصرة صـ78.

إنَّ الداعية . باختصار . من ينفع أمته ، ويبين لها طرق الخير، فهو كما قال الشاعر:

واضح المنهج يسعى دون غش أو نفاق

راضي النفس، كبير القلب، يدعو للوفاق

قلبه المؤمن بالخالق مشدود الوثاق

نبضه الذاكر يمتد إلى السبع الطباق

7. وقبل الختام فهناك تنبيه/وهو في الحقيقة أمر وقع فيه بعض الأخوة الدُّعاة. هداهم الله . في قضيَّة البديل،فالمراقب لبعض البدائل التي أتيح نشرها داخل الأوساط الإسلامية يجد أنَّها قد تجاوزت . وللأسف . الحدود الشرعية، وصار فيها من التنازلات عن الشريعة الشيء الذي ينذر بوقوع حالة مكارثية ممن لهم توجهات إسلامية ، فأكثرهم لم يدرسوا هذا الدين على حقيقته ، وإن كانوا من(محبي الإسلام) ولا شك ، لكنهم يتصرفون بعض التصرفات المخلة بهذا الدين ، لأنَّ كثيراً منهم ينتج إنتاجه الإعلامي أو الاقتصادي أو التربوي ولا يستشير إلَّا أمثاله من قليلي العلم ، وضحلي المعرفة في الجذور الإسلامية ، أضف على ذلك قلَّة استشارتهم لأهل العلم وفقهاء الشريعة الربانيين، في عرض مثل هذه المنتجات، وأخذ آرائهم تجاهها، ومن ذلك :

1- ما يسمى بفيديو كليب فقد شاهد البعض من طلبة العلم مثل هذه البرامج ، وما يعرض فيها من الأناشيد وما يصاحبها من تكسر وتميع ، وحركات لا تمت إلى الرجولة بصلة ، بل فيها من مشابهة بعض الفسقة من المغنين في حركات الرجل وضرباتها الخفيفة على الأرض ، أو حركات اليد والتي تدغدغ مشاعر الرجال فضلاً عن الفتيات (المراهقات) ثمَّ يسمَّى هذا العمل إنتاجاً إعلامياً (إسلامياً).

فهل هذا من البديل الذي اشتُرِطَ أن يكون منضبطاً بميزان الشريعة ، ومأموناً لجميع شرائح المجتمع؟!

2- ما صار يصاحب بعض أشرطة الأناشيد الإسلامية من ضرب بالدف ويرافقه أصوات الصلاصل والمزاهر والخلاخيل ، دع عنك أن يرافق بعضها الضرب بالطبل ، والجهاز المسمى بجهاز(السامبر)، وأجهزة الكمبيوتر والتي سجِّل في بعضها بعض

النغمات من الكمنجة ، والبيانو، كلُّ ذلك بحجة أنَّ هذا من البديل [الإسلامي] وأنَّه إذا لم نضع مثل هذه الملحقات مع الأناشيد فإنَّ السامعين للأناشيد الإسلامية سيكون تعدادهم قليلاً!! وأنَّ أفضل وسيلة لجذبهم هي هذه الطريقة ولأجل الارتقاء بالفنِّ الإسلامي البديع!!

والإجابة عن هذه الحجَّة الباطلة قد يطول ولكنَّنا نقول: إنَّ من أراد أن يقدِّم للناس بديلاً مشروعاً فعليه بأن يتقي الله . سبحانه وتعالى . ويرضيه قبل إرضاء إيِّ طرف من الناس، وليتذكر المرء حديث رسول الله . صلَّى الله عليه وسلَّم . (من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، ومن أسخط النَّاس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس) أخرجه ابن حبَّان بسند جيد . انظر :السلسلة الصحيحة (2311)

والحقيقة أنَّ هؤلاء القوم المنتسبون للدعوة ويصاحبون في أعمالهم ما حرَّم الله بحجة اجتماع الناس عليهم وللمصلحة العقلية الموهومة فإنَّهم وكما قيل في المثل: يريد أن يطبَّ زكاماً فيحدث جذاماً ، فلا هم للبديل نصروا ، ولا للمعصية كسروا . نسأل الله لنا ولهم الهداية ..

3. لا شكَّ أنَّ العالم الإسلامي اليوم ، يحتاج لمصارف إسلامية ، وبنوك تتعامل مع الطبقات البشرية بالشريعة الإسلامية، ونحن نحمد الله . تعالى . أن صار لهذه البنوك وجوداً ولو كان بطيئاً في شوارع بعض الدول الإسلامية والتي تلبي رغبات التجَّار، وتعين المساكين وتقدِّم لهم البذل والمعونة ، وتقرضهم القروض التي لا تجر نفعاً ، وتتعامل مع من يريد تنمية ماله بالمعاملات المشروعة كالمضاربة والمشاركة والمساهمات التجارية.

بيد أنَّ هناك . وللأسف . بنوكاً أرادت أن تسوق بضاعتها بزيادة (الإسلامي) على كلمة (البنك) للتغرير بعوام المسلمين ، وعقول البسطاء والمساكين ، ليتعاملوا معهم ويشتركوا في معاملاتهم المالية وأكثرها . عياذاً بالله . من أبواب الحيل الباطلة ، والتي يتمُّ معظم معاملاتها المصرفية بالتحايل على أبواب الشريعة، جاعلين زلَّات العلماء المتقدمين ، ورخص المعاصرين المتساهلين ديدنهم في الترويج للالتحاق بهم والتعامل معهم.

فيا سبحان الله !! وهل أصبحت البدائل المسماة إسلامية بهذا الشكل المرعب ، وأصبح البعض الذي ليس له من الثقافة الإسلامية رصيداً ولو يسيراً، يسوِّق لما يريد فعله ويضيف عليه كلمة (إسلامية) أو(إسلامي)أو على (الشريعة الإسلامية) على طرفة السمك المذبوح على الطريقة الإسلامية! وإذا كان البعض هكذا؛ فليحذروا من عقوبة تحلُّ بهم من الله . عزَّ وجل . ونقمة شديدة يوم القيامة إن لم يتوبوا ويتداركوا أمرهم.

4ـ ومن ذلك بعض فتاوى المنتسبين للعلم والدعوة بأنَّه يجوز للمرأة أن تشترك مع الرجل في التمثيل على شاشات الرائي(التلفاز) بحجة أن الرسول . صلَّى الله عليه وسلَّم . قال(النساء شقائق الرجال) ، وأنَّ المرأة نصف المجتمع ولها دورها فيه ، فلا بأس عليها أن تشارك في التمثيل بشرط أن يكون (إسلامياً).

والحقيقة أنَّ هذا يفتح باباً كبيراً لأهل العلمنة والفسق في محاولة التدرج بمن أردن التمثيل من النساء المنتسبات للخير والدعوة في مهاوٍ توقعهم في الردى، وفي أصعب الظروف ، وأحلك المواقف ، هذا عدا أكثر من عشرة مخالفات شرعية في هذا الباب.

5ـ ومن ذلك ما يسمَّى بالأفلام المدبلجة ، والتي أنتجتها بعض الشركات الإعلامية الكافرة،أو الشركات الفاسقة ، فما كان من البعض إلَّا وأن حذف منها أصوات الأغاني والموسيقي، وظَنَّ أنَّ تسمية هذه الأفلام بأفلام إسلامية هو الهدف الرئيس ، مع أنَّ البعض من هذه الأشرطة فيها من التلوثات العقدية، والآراء الهدَّامة ما يقشعرُّ له البدن ، ويهتز له الفؤاد، من بعض الألفاظ الشركية ، والعادات المخالفة للقيم الإسلامية ، كالشرب بالشمال، والنوم على البطن ، وعدم تشميت العاطس، والسخرية بمن ابتلي بسمنة أو داءٍ في جسده ، ومظاهر الاختلاط بين الرجال والنساء، وعرض بعض صور النساء كاشفات لشيء من شعورهن وإبراز بعض مفاتن جسدهن ، ومع ذلك تبقى أشرطة إسلامية !!

فأين المراقبة الإعلامية المتخصصة ، وأين المراجعة والتدقيق الشرعي على مثل هذه الأشرطة المد بلجة؟

بل ظهرت بعض الأفلام الإسلامية !! يقمن فيها فتيات جميلات قد قارب أكثرهنَّ البلوغ في السنِّ العاشرة والحادية عشرة ، يقمن بالإنشاد الإسلامي، مع بعض حركات الرقص المرافقة لإيقاع الدف ، ويكون بالطبع معهن بعض الأحداث الفتيان ينشدون جميعاً عند بحر، أو تلٍّ ، وتقدِّم إحدى الفتيات وردة حمراء لأحد الأحداث الذكور وهي تبتسم ابتسامة ساحرة!!

حدَّثني بذلك . والله . جمع من الشباب الذين كانوا على طريق الغواية ثمَّ منَّ الله عليهم بهدايته . سبحانه . فأقلعوا عمَّا حرَّم الله ، وقالوا لي جميعاً اشترينا هذه الأشرطة من التسجيلات الإسلامية! ورأينا أناسا يشترونها! وكنَّا نتناوب على مشاهدة هذه الأفلام! لما فيها من الصور (الإسلامية)!!!

بل قرأت لأحد هؤلاء المنتسبين للإسلام مقالاً كتبه في إحدى الجرائد يطالب فيه بديسكو إسلامي! وما أدري والله ماذا زوَّر أمثال هؤلاء في صدورهم بعد ذلك من البرامج(الاستسلامية للواقع).

وصدق من قال في هذا الزمن:

زمان رأينا فيه كلَّ العجائب وأصبحت الأذناب فوق الذوائب

والآن...أساءل أصحاب هذه البدائل الظالمة...أسائلهم بالله العلي العظيم أذلك كلُّه من باب البديل الإسلامي المنضبط ، عن أشرطة الفسق والمعصية؟ (إنَّ هذا لشيء عجاب)

لقد تعدى الأمر حدَّه ، وخرج عن أصله ، وبلغ السيل الزبى ، والله المستعان..

فليتدارك أمثال هؤلاء القوم منهجهم ، وليصلحوا أمرهم ، وليتوبوا إلى ربهم ، ويعودوا إلى بارئهم ، ولا يكونوا سبباً لإفساد الشباب ، وهم يظنون أنهم مصلحون.

ونبقى نقول نعم للبديل ولكنْ بالضوابط الشرعية، والالتزامات العقدية ، وتحت استشارة أهل الشريعة، ولا للبديل المتسيب ، والذي شطَّ عن الصواب ، وانخرط في دوائر الانفلات ، وأُقْحِمَ في الشبهات, فإنَّ هذا ليس له مكان في قلوب أهل الإيمان، ويبقى الحقُّ عليه دلائل الإشعاع الربَّاني ، والباطل عليه دلائل التحايل العصياني.(فأمَّا الزَّبد فيذهب جفاءً ،وأمَّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله

الأمثال)ومن الله الحول والطول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم أجمعين .والحمد لله رب العالمين..

كتبه

خباب بن مروان الحمد

============

كيف نستثمر المعركة؟

بعد التحولات الخطرة والجولات المتعاقبة هنا سؤال أو عدة أسئلة تطرح، وتحتاج الإجابة إلى رويّةٍ وتفحص، ليس فراراً من الواقع، أو تسلية للنفس حين يقع المصاب، كلا؛ بل هو تلمس للحكمة الربانية فيما تكره النفوس ، إذ يقول تعالى " فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً" [النساء: 19] وقوله تعالى " وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم" [البقرة:216] وهو تصديق لخبر الصادق المصدوق – صلى الله عليه وسلم– إذ يقول: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".

والسؤال يقول: كيف نستثمر المعركة؟ أو ما هي مكاسبنا وخسائر أعدائنا؟ ومرة أخرى لا بد من الواقعية، والقول بأن هناك خسائر لحقت وستلحق المسلمين في هذه الحرب على العراق، وثمة مكاسب لعدونا حققها وقد يُحقق غيرها، ولكن السؤال المطروح استثمار أمثل لنتائج المعركة، وتلمس واعٍ للمكاسب تحت ركام الخسائر، وما من شك أن لكل معركة مكاسب ظاهرة وأخرى خفية، وما من شك كذلك أن مكاسبنا خسارة لعدونا والعكس، والمتأمل في التاريخ الماضي والحاضر يرى صوراً للنصر رآها الناس بعد حين لمن ظنوه منهزماً ، وأذكّر بنموذجين: الأول: في مؤتة حين قابل المسلمون الروم والنصارى بعدد وعُدَّة غير متكافئة ومع ذلك ثبت المسلمون – وإن استشهد أمراؤهم الثلاثة– وقتل من قتل من المسلمين، واستطاع سيف الله المسلول خالد –رضي الله عنه– أن ينحاز بالبقية الباقية من المسلمين، ويفتح الله عليه ما لم يفتح على أصحابه، ومهما اختلفت عبارات السلف في تقييم نتائج المعركة (بين نصر أو هزيمة أو انحياز) فقد استطاع المسلمون أن يستثمروا

المعركة لصالحهم، إذ تحطمت هيبة الروم في نفوسهم، وخبروا أساليب قتالهم، وتعرفوا على نقاط القوة والضعف في جيشهم، ولذا جاء بعث أسامة تأكيداً على قوة المسلمين وعدم خوفهم من الروم، ثم جاءت معركة اليرموك بعد برهاناً على تفوق المسلمين وسقوط دولة الروم على أيديهم.

أما النموذج الحديث: فيمثله تجربة اليابان، حين كانت كارثة هيروشيما ونجازاكي على أيدي الغربيين، ولكن اليابانيين وإن هزموا عسكرياً؛ فقد انتصروا علمياً وتقنياً واقتصادياً، ونفضوا غبار المعركة وأزاحوا ذل الهزيمة وشقوا طريقاً أخرى للنجاح، وإذا وقع هذا لغير المسلمين؛ أفيعجز المسلمون عن استثمار الفرص، وتحويل الهزيمة إلى نصر؟!.

إن من الإيجابية أن يصبر المسلم على ما يلقى من أذى، وفي الوقت نفسه يفتش عن الجوانب المضيئة– وسط الظلام وفوق الركام – ليتقوى بها ويتسلى، ويُنتج ويستثمر الفرص، ويتجاوز دائرة الإحباط واليأس والقعود والسلبية إلى محيط الأمل والإنتاج والعمل والإيجابية.

ومن هذا المنطلق تعالوا بنا لنقف على شيء من مكاسبنا وخسائرهم في الحرب ولا شك أن مكاسبنا خسائر لأعدائنا، ومكاسبهم خسارة علينا .

01 تقاربنا وفرقتهم، لا شك أن المسلمين يعيشون حالة من الفرقة والتشرذم لا يُحسدون عليها، ولكن الأحداث يمكن أن تضيِّق هذه الهوة، وكفيلة – إذا ما استثمرت– لتوحيد الكلمة وجمع طاقة الأمة، فالخطر يحيط بها، والمخطط يستهدفها برمتها، وفرقتها وتناقضاتها أمضى سلاح يلعب به أعداؤها، وهو مذهب لريحها ومضعف لقوتها وحين تجتمع أو تتقارب تبدأ الطريق الصحيح لمقارعة عدوها. ولا شك أن عاطفة المسلم في المشرق حين تلتقي مع عاطفة المسلم في المغرب شيء عظيم، وهذا ما بدأنا نلمسه في هذه الحروب الظالمة الغاشمة، والمؤمل أن تُنمى هذه المشاعر وتُستثمر.

وفي المقابل كشفت الأحداث عن خلل وفرقة في المواقف بين أعدائنا، ومهما كانت مصالحهم وتبريراتهم فهي خرق في سفينتهم، وهي سهم يصيب القوم ويمكن أن يبيدهم، والمسلمون مطالبون باستثمار هذا الصدع لصالح قضاياهم.

02 وفـي الحـرب هزيمـة لمبـادئ القـوم، وسـقوط لشـعاراتهم، وإخفـاق لمؤسسـاتهم وهيئـاتهم، فالحريـة والديمقراطيـة والعدالـة وحقـوق الإنسـان – ومـا شـابهها– باتـت مصطلحات مُحنطة من مخلفات الماضـي، ومجلس الأمن يحتضر، وهيئة الأمم المتحدة تُركل بأقدامهم .

وهكذا تتسارع في السقوط مصطلحات وهيئات طالما اتكأ عليها الغرب في اتخاذ القرار، وروّج لها في سبيل العولمة والنفوذ والاستعمار، فهل يقيم المسلمون بديلاً صالحاً عن هذه المؤسسات والشعارات في أجواء صراع الحضارات ومقارعة الثقافات؟

03 كما أن من خسائر الغرب في هذه الحرب أنها وسَّعت دائرة الكره لهم ولمبادئهم، وكثّرت من سواد الرافضين لأفكارهم ومبادراتهم، وإذا شهدت عواصمهم موجة من الغضب والمظاهرات المنكرة للحرب، والمطالبة بمحاكمة مجرميها؛ فلا شك أن في تلك الخسارة لهم مكسباً للمسلمين ورصيداً يُضاف إلى رصيدهم، فهل يستثمروه؟ وإذا كان هذا تعبيراً من القوم عن كره الحرب ومجرميها فلا تسأل عن كره المسلمين لهم.

04 ومن مكاسبنا في الحرب أنها صدّقت رؤيا الغيورين من أهل الدعوة والإصلاح، الذين طالما حذروا أمتهم من مكائد اليهود والنصارى وحربهم للإسلام والمسلمين، فجاءت الأحداث الراهنة شاهداً على صدق مقولتهم وبرهاناً على نصحهم لأمتهم، وبالتالي فهم محل ثقتها وعيبةُ نُصِحها، وينبغي أن تسمع الأمة لنصحهم مستقبلاً، وأن تستضيء بآرائهم في كشف عداوة الأعداء ومكرهم .

وفي المقابل كشفت الأحداث الوحشية في التدمير عن زيف الدعاوى، والتي طالما خدع بها المتأمركون والعلمانيون وأدلاء الطريق وأهل النفاق أمتهم حين ضللوها فترة من الزمن، وحسَّنوا لها التشبث بالنموذج الغربي في ممارسة الحياة، فهل يستيقظ هؤلاء، وتحذر الأمة أمثالهم مستقبلاً لاسيما وقد خيّب أسيادهم ظنهم فيهم، وكشفوا عن ظلمهم وطغيانهم؟

05 ومن خسائر الغرب في الحرب أنها أفقدت الثقة بآلاتهم العسكرية، فهي لا تستخدم لتأمين العدل والسلام كما يقولون؛ بل استخدمت بشكل سلبي للتدمير والاحتلال لا تفرق هذه الآلة المدمرة بين مدني أو عسكري، بل ربما تقصَّدت

المدنيين الإعلاميين، الذين لا يروقون للغرب فيما ينقلون من أخبار، وكشفت الحرب عن تأسيس خطير لمبدأ التدخل في شؤون الدول، بما يعيد للأذهان حقبة الاستعمار البائدة، وهذا النمط الصارخ للتغيير بلغة السلاح مهما حقق اليوم من نتائج للقوم؛ فسيوقظ في الأمة روح الجهاد والمقاومة للمستعمر مستقبلاً.

06 وإذا كانت هذه الخسارة لهم على مستوى الآلة العسكرية، فقد مُنوا بخسارة إعلامية، وآلتهم الإعلامية كشفت كذباً وتزويراً للحقائق وخداعاً للشعوب واستخفافا بالعقول، وهو ما كان الغرب يروج لخلافة، ويزعمون المصداقية لإعلامهم، وسيكتشف العالم كم حجبت هذه الآلة الإعلامية من حقائق، وكم ضللت، وهذا سقوط مريع لإعلامهم وعلى المسلمين أن يستثمروه لصالحهم.

07 ومن مكاسب المسلمين في هذه الحرب أنها أحيت في نفوسهم مشاعر العزة بالإسلام، فقد كانت الضربة من الوحشية واللؤم بحيث أيقظت نيام المسلمين، وأذكت مشاعر الغافلين، وبات المسلمون – عربُهم وعجمهم- يشعرون بأنهم وحدهم هدف الحاضر والمستقبل لهؤلاء، ويشعرون في مقابل ذلك أن تأمين دولة اليهود في المنطقة هدفٌ يراد للغرب، ولذا فسيعمِّق ذلك شعوراً بالكره لليهود والنصارى المتحالفين، ويحيي ما ذبل من مفاهيم الولاء والبراء عند المسلمين. وبات يتردد على الألسنة كثيراً عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، وأحسّ المُفرَّطون من المسلمين بحاجتهم إلى التوبة والعودة إلى الدين، ولم يعد الحديث عن الجهاد للغزاة المستعمرين حديثاً نظرياً؛ بل واقعاً ملموساً، ولقد كان حمق القوم وصلفهم سبباً في إشعال هذا الفتيل، وبدلاً أن يحذروا مجاهداً واحداً، فإذا بهم يواجهون أسراباً من المجاهدين المتطوعين .

08 ومن مكاسبنا في الحرب تعميق الوعي بشكل كبير في أفراد الأمة المسلمة، فقد تكشفت الحقائق والمخططات أكثر من ذي قبل، وكانت الحرب بصلفها وتسارعها وما صاحبها من تصريحات وأهداف أكبر وسيلة للتعبير وكشف الخطط، الأمر الذي كان يحتاج – قبل الحرب- إلى كم من المحاضرات والندوات والكتب المؤلفة حتى يقتنع عوام المسلمين والمنخدعين منهم، ولكن الحرب جاءت لتقصر مسافة الوعي، وجاءت الحرب لتصنف الناس، وتكشف عن المواقف والتحالفات المريبة، وظهرت

على جانب راية الصليب راياتٌ للكذب والنفاق، والتدليس والخداع "وما ربك بغافل عما يعملون" .

09 ومن مكاسبنا في الحرب أن الفرصة للدعوة مواتية في الدعوة للدين الحق، وكشف محاولة الأعداء لتشويه صورة الإسلام، ونبي الإسلام، وبلاد المسلمين وتعرية عقيدة اليهود والنصارى وحقدهم على الإسلام، ودعوة المسلمين للتمسك بدينهم في ظل هذه الهجمة الصليبية الصهيونية الشرسة، إلى غير ذلك من مفردات الدعوة باتت الآذان مهيأة لسماعها أكثر من ذي قبل، فهل يا ترى يستثمر المسلمون عامة، والدعاة والعلماء والمفكرون المسلمون خاصة هذه الفرصة المواتية للدعوة؟.

10 ومن مكاسبنا في ظل هذه الهجمة أن كثيراً من المفاهيم والأنماط والسلوكيات الاجتماعية سيُعاد النظر فيها، أعني تلك التي صُدِّرت لنا من الغرب على مستوى الرجل والمرأة وعلى مستوى المثقفين وغيرهم، فالكره للغرب سيسري على كره صادراتهم الفكرية وأنماط حياتهم الاجتماعية، ولا مجال اليوم وغداً لمن كانوا ينظرون للغرب عامة ولأمريكا خاصة على أنها قبلة الفكر، ونموذج القيم، فقد كشف القوم عن حقيقتهم، وآن الأوان للمسلمين أن يعتزوا بقيمهم الإسلامية، وأنماط حياتهم الاجتماعية.

11 ومن مكاسبنا في الحرب أنها كشفت عن تفاعلات جيدة، ومواقف مشكورة لدى أفراد الأمة المسلمة، فهذا يستنكر وآخر يتحسر، وثالث يقنت داعياً، ورابع يكتب في جريدة، أو يتحدث في إذاعة أو يظهر في قناة مرئية، وكل أولئك يُسهم في النصح والدعوة حسب ما يسر الله له، ومهما كانت هذه المواقف دون مستوى المأمول من الأمة، فهي إسهامات تحسب، وهي بدايات تشجع، والموفق من سدده الله، وآثر الحق على الخلق، وأرضى الله وإن سخط الناس عنه، فالكلمة أمانة ومسؤولية وفي التنزيل "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"، "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا"، وبكل حال تبقى هذه الإسهامات وغيرها نماذج للتفاعل مع قضايا الأمة، يمكن لها أن تتطور وتتعمق أكثر في المستقبل، إذا ثُمنت وشجعت وقيمت واستُنفرت لها طاقات الأمة .

12 التفكير الجماعي والمشورة، والتفكير بأساليب للخروج من الأزمة غانمين، وليس مجرد سالمين.. هذه إيجابية طالما غفل عنها المسلمون، إذ اعتادوا على التفكير الأحادي، والمشاريع الفردية، وهذه مع أهميتها إلا أن المشورة على الخير والتعاون على البر والتقوى من سمات المسلمين ودينهم، ولقد كان لهذه الأزمات أثر في تحريكها وتقريب وجهات النظر، وتشديد بعض المسلمين لبعض في ما يعملون أو يدعون، والمأمول أن تزيد هذه الإيجابية، وأن يستمر هذا التعاون على الخير والمشورة لصالح الإسلام وقضايا المسلمين فالمؤمنون إخوة، والمسلم أخو المسلم

13 وأخيراً- وليس آخراً – دعوة للمساهمة! فأنت مدعو أخي المسلم للمساهمة في استثمار الأزمة ورد مكائد الأعداء عن الأمة، فماذا قدمت؟ هل ساهمت بكلمة طيبة؟ هل تقدمت بمقترح مفيد؟ هل فكرت في مشروع دعوي نافع ؟ هل أعنت ملهوفاً؟ هل دعوت – من قلب- لمكروب؟ أي نوع من المساهمة قدمت لنفسك ولأمتك؟ هل يكفي أو يصح أن تقول لا أستطيع على شيء؟ هل ترضى أن تكون رقماً هامشياً في أمتك؟ وهل يكفيك أن تدير موجات المذياع بحثاً عن آخر الأخبار – ثم ماذا؟

أو تنظر بسلبية إلى المشاهد الدامية في القنوات عن إخوانك المسلمين وهم يحاصرون ويقتلون وتحتل أرضهم ويُسطى على مقدراتهم؟ إنها دعوة للمساهمة، ومن عمل صالحاً فلنفسه، والإسلام مسؤوليتنا جميعاً، وكيد الأعداء يستهدفنا جميعاً، وحقوق المسلمين علينا جميعاً .

=============

#نور الإسلام ...الآن أيهم أشد عداوة

...

وزراء الخارجية العرب يعقدون اجتماعا طارئا بشأن غزة سعودي يخترع مكيفا يخفض استهلاك الكهرباء والماء ملف عن موضوع السينما وآثاره أحب ابنة خالتي وأحادثها

!! على المسلم أن يتنازل عن حظوظ نفسه

...القائمة البريدية اشتراك إلغاء الإشتراك ...

عنوان الفتوى ...شبهات حول تحريم الربا

المفتي ...د . يوسف بن عبد الله الشبيلي

رقم الفتوى ...14080

تاريخ الفتوى ...1427/1/3 هـ -- 2006-02-01

تصنيف الفتوى ...

السؤال ...

إنني طالب مقيم في أمريكا وخلال إقامتي ناقشت بعض المسلمين الذين يجعلون العقل هو الحكم في قبول أدلة الشرع فاخذوا يناقشوا في حرمة الريا وأن الحال الان في العالم من العولمة و البورصة العالمية تستلزم التعامل بالفوائد ولقد حاولت تبين لهم عظم حرمة الربا ولكن للأسف من غير فائدة أرجو من سماحتكم توجيهي في طريقة مناقشتهم والكتب التي تنصح في قراءتها لمناقسة مثل هذا الصنف من الناس . وجزاكم الله خيراً .

الجواب ...

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فمن الممكن مناقشة هؤلاء من خلال عدة محاور :

الأول : بيان ما يجب على المسلم تجاه النصوص الشرعية من التسليم والإنقياد لحكم الله ، وأن المؤمن لا يكون مؤمناً حقاً حتى يحكم النصوص الشرعية سواء وافقت عقله القاصر وهواه أو لم توافقه ، وأن من مقتضى الإيمان بالله أن يسلم العبد لحكمه ، يقول سبحانه :" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما " .

الثاني : على العبد أن يوقن دوماً أن حكم الله فيه غاية المصلحة والخير الدنيوي والأخروي للعباد ، وأن العبد إذا ظهر له خلاف ذلك فإنما هو لقصوره البشري ، لأن الله تعالى هو واضع هذه الأحكام ، وهو أدرى بمصالح العباد من أنفسهم ، يقول تعالى : " ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون " .

الثالث : وأما كون النظام السائد في الأسواق العالمية هو نظام الفائدة فهذا لا يعني أنه أفضل من النظام الإقتصادي الإسلامي ، لأن إنتشار نظام الفائدة كان له أسبابه ومبرراته ، ومنها الدعم الكبير الذي حظي به هذا النظام من قبل المؤسسات الرأسمالية وأصحاب النفوذ والسلطة ، وهم المستفيد الأول منه ، وصاحب ذلك

ضعف سياسي عند المسلمين نتج عنه غياب أو إنحسار البدائل الشرعية المناسبة ، وكون الدول الرأسمالية قد حققت قدراً أكبر من الرفاهية مقارنة بالدول الأخرى لا يرجع ذلك بالضرورة إلى نجاح نظامها الاقتصادي ، فثمة عدة عوامل ساعدت على ذلك من أهمها : الإستقرار السياسي ، وبناء مؤسسات المجتمع المدني من سلطة تشريعية وقضائية وتنفيذية على نحو تفوقت فيه على كثير من الدول ، والأهم من ذلك هو ابتزازها لخيرات الشعوب الأخرى ، وتسخيرها لكافة إمكانياتها العسكرية والسياسية والإستخباراتية ، لدعم نظامها الإقتصادي ، تحت مسميات متعددة ، فتارة بإسم الإستعمار ، وتارة بالضغوط الخارجية ، وأحياناً بالحصار الإقتصادي ، ومكافحة الإرهاب ، وأحياناً بدعوى الإصلاح الإداري ...، وقل ما شئت من المسميات التي لا تنطوي على عاقل ، ويدرك اللبيب أن المقصود منها هو التضييق على بقية الدول وامتصاص خيراتها وإجهاض أي محاولة لمنافسة الدول الاستعمارية .

الرابع : ولا يخفى على الناظر بتمعن ما سببه النظام الرأسمالي من ويلات ونكبات على الشعوب والمجتمعات ، حيث نجد دولاً برمتها تنهار اقتصادياتها في أيام معدودة بسبب الجو الملائم لمثل ذلك الذي أوجده هذا النظام ، كما يكفي أن نعرف أن أكثر من نصف سكان الأرض – في ظل النظام الرأسمالي – يعيشون تحت خط الفقر ، وأن 5% فقط من العالم تعادل ثروتهم ثروة بقية العالم ، بل نجد المؤشرات الاقتصادية داخل الدول الرأسمالية نفسها تشير إلى أن كفة الأغنياء في تصاعد مستمر على حساب الفقراء ، ومرد ذلك إلى الآلية التي يسير عليها النظام الرأسمالي والتي من شأنها أن تزيد الغني غنىً والفقير فقرا ، فكيف يؤمل بعد ذلك أن يعم الرخاء بسيادة هذا النظام في العالم .

الخامس : وقد ظهرت بعض البدائل المتفقة مع االشريعة الإسلامية في العقدين الماضيين في البلدان الغربية نفسها ، فظهر ما يعرف ب " صناديق الاستثمار " (Investment funds) وهي في الحقيقة مبنية على نظام المشاركة في الربح والخسارة الذي عرفه الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد حققت تلك الصناديق نجاحاً منقطع النظير على حساب نظام الفائدة ، مما حدا بكثير من الدول

الأوروبية وعلى رأسها ألمانيا إلى أن تجعلها من ضمن الأعمال الأساسية التي تمارسها البنوك التجارية ، بعد أن كان مترسخاً في الأذهان لقرون متعددة أن دور المصارف يقتصر على الإقراض بالفوائد ، ويكفي أن نعرف أن القيمة السوقية لصناديق الاستثمار في أمريكا وحدها تزيد عن ثلاثة ترليونات دولار ، وفي اعتقادي أن صناديق الاستثمار خطوة في الاتجاه الصحيح للتخلص من نظام الفائدة والاعتماد على الاستثمار بنظام الربح المبني على عقد المشاركة .

السادس : وإتماماً للفائدة أشير إلى مقارنة سريعة بين نظام الربح المبني على المشاركة ، ونظام الفائدة المبني على عقد القرض ، فقد جاء تحريم الفائدة الربوية وإباحة الربح ، في الشريعة الإسلامية ، لتحقيق مقاصد عظيمة ، ومصالح كبيرة تعود بالخير على البشرية جمعاء ، دفعاً للظلم عنهم ، وتحقيقاً للعدل بينهم ، إلا أن الإنسان ذلك الظلوم الجهول بما يعتري فطرته من الانتكاس والغفلة ، لا يتوانى عن الخضوع ذليلاً لكل ما يشرعه أهل الأرض بما تحمله تلك التشريعات من ظلم وجور وطغيان .

فالإسلام حين حرم الفائدة فإنما حرمها لما تنطوي عليه من الظلم والفساد بين العباد ، وحين أباح الربح فلما فيه من العدل والإصلاح بين الناس ، ولنتأمل في بعض الآثار الاقتصادية لكل منهما :

1- فالربح يحقق الأهداف التنموية للبلاد على عكس ما تؤديه الفائدة ، ذلك أنه من المعروف أنه فيما عدا بعض القروض التنموية الممنوحة من هيئات متخصصة فإن سوق القروض يعد سوقاً قصير الأجل بمعنى أن المقرضين في الغالب يتحاشون الإقراض طويل الأجل خوفاً من تقلب أسعار الفائدة أو تدني القوة الشرائية للنقود أو التغير في معدلات الصرف .

لذلك يبدو التعارض قائماً بين أهداف المقرضين وسلوكهم وبين الحاجة للاستثمار طويل الأجل في معظم المجالات الاقتصادية الحيوية ، والتي لا تتحقق إلا باعتبار الربح معياراً للإنتاج.

2- ونظام الربح يضمن تحول رأس المال في المجتمع إلى رأس مال منتج يساهم في المشروعات الصناعية والزراعية وغير ذلك ، بينما في نظام الفائدة يودع الناس

فائض أموالهم النقدية في البنوك مقابل فائدة منخفضة السعر يقررها البنك لودائعهم ، ثم يقوم بتحويل هذه الأموال إلى خارج البلاد واقتضاء فوائد مضمونة عليها ، دون أن تشارك هذه الأموال في التنميةالاقتصادية .

3- الربح عامل توزيع للموارد الاقتصادية بخلاف الفائدة التي تعتبر أداة رديئة ومضللة

في تخصيص الموارد ، وذلك لأن آلية الربح تشجع على توجيه الأموال إلى الاستثمارات الأعلى جدوى والأكثر إدراراً للعائد ، بينما تتحيز الفائدة بصفة رئيسية للمشروعات الكبيرة التي تحصل بحجة ملاءتها على قروض أكبر بسعر فائدة أقل ، بصرف النظر عن إنتاجيتها ، مما يساعد على تركيز الثروات في بد قلة قليلة من المرابين .

4- ولأن الربح ناتج عن ارتباط المال بالعمل فالتدفقات النقدية التي تتحقق وفقاً لهذا النظام مرتبطة بتدفقات مقابله من السلع والخدمات الضرورية للمجتمع ، وذلك بخلاف نظام الفائدة حيث تنطوي عمليات منح الائتمان في المصارف التقليدية على زيادة كمية النقود المعروضة بما يسمح بمزيد من الضغوط التضخميه .

5 – أن البنوك في استغلالها للودائع بنظام الفائدة إنما تخلق نقوداً مصطنعة هي ما يسمونه بالائتمان التجاري ، وهي بهذا تغتصب وظيفة الدولة المشروعة في خلق النقود بما يحف هذه الوظيفة من مسئوليات ، ولا ينفرد بهذا الرأي علماء المسلمين بل قد أجمع كثير من علماء الاقتصاد في الغرب على أن الائتمان الذي تقدمه البنوك سواء كان في قروض الاستهلاك أو الانتاج من شأنه أن يزعزع النظام الاقتصادي لأن التعامل في البلاد الرأسمالية لم يعد بالذهب أو بالفضة أو بأوراق النقد إلا في القليل النادر ، أما أكثر التعامل فيجرى بالشيكات والثابت بحكم الواقع أن البنوك تميل في أوقات الرخاء إلى التوسع في الإقراض بفتح الاعتمادات التي تربو على رصيدها أضعافاً مضاعفه ، وميلها في أوقات الركود إلى الإحجام عنه وإرغام المقترضين على السداد ، فهذا البسط والقبض الذي تتحكم فيه إرادة القائمين على

المصارف الربوية هو من أهم العوامل التي تهز الكيان الاقتصادي ويفضي إلى تتابع الأزمات.

6- ولا ينقضي عجب الإنسان حين نعلم أن من علماء المسلمين المتقدمين من تحدث عن الأضرار الاقتصادية للربا وكأنما هو يصف حالة التخبط التي يعيشها العالم الاقتصادي اليوم :

فيقول الإمام الغزالي رحمه الله : (إنما حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة الربا من تحصيل درهم زائد نقداً أو آجلاً خف عليه اكتساب المعيشة فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعة وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعة والإعمار).

ويتحدث ابن القيم عن الضرر الناشئ عند الاسترباح بالنقود وحكمة تحريم ربا الفضل فيقول : (والثمن هو المعيار الذي يعرف به تقويم الأموال ، فيجب أن يكون محدوداً مضبوطاً لا يرتفع ولا ينخفض إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات بل الجميع سلع وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الأشياء ويستمر على حالة واحدة ولا يقوم هو بغيره إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض فتفسد معاملات الناس ويقع الحلف ويشتد الضرر كما رأيت حد فساد معاملاتهم والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح فعم الضرر وحصل الظلم ، فالأثمان لا تقصد لأعيانها بل يقصد منها التوصل إلى السلع، فإذا صارت في نفسها سلعة تقصد لأعيانها فسد أمر الناس).

وفي تفسير المنار : (وثم وجد آخر لتحريم الربا من دون البيع وهو أن النقدين إنما وضعا ليكونا ميزاناً لتقدير قيم الأشياء التي ينتفع بها الناس في معايشهم فإذا تحول هذا وصار النقد مقصوداً بالاستغلال فإن هذا يؤدي إلى انتزاع الثروة من أيدي أكثر الناس وحصرها في أيدي الذين يجعلون أعمالهم قاصرة على استغلال المال بالمال) .

وختاماً فهذه بعض أسماء الكتب المفيدة في الموضوع :

1- نحو نظام نقدي عادل / للدكتور محمد عمر شبابرا ، وهو من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، وهذا المعهد موجود عندكم في أمريكا ، وعنوانه على الشبكة العالمية هو : http://www.iiit.org

2- موسوعة الاقتصاد الإسلامي للدكتور / محمد عبدالمنعم جمال

3- بالإضافة إلى عدد من المطبوعات لدى معهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا ، وهو موجود في ولاية فرجينيا ، وعنوانه على الشبكة العالمية : www.iiasa.org وبإمكانك الاتصال بهم على الرقم : 7032073901 وسيقومون بإذن الله بتزويدك بما تحتاج إليه من كتب

================

الحرب والمصارعة على الطريقة الأمريكية

د. جبر البيتاوي*

16 ربيع الأول 1426هـ الموافق له: 25 أبريل 2005م

يبدو بأن التفكير السقيم لإدارة أمريكا للسلام وللحروب مع خصومها قد انتقل لمظاهر شتى في الحياة الأمريكية، منها طريقتها في المصارعة الأمريكية التي لا تسير على أي قانون رياضي يقيدها - فضلاً على المخالفات الشرعية التي تحيط بها -.

لهذا نرى المصارعة الأمريكية تبيح للمتخاصمين استخدام كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة في التغلب على الآخر، وهي طريقة لا نظير لها في العالم، فالمصارعة كغيرها من الألعاب الرياضية تهدف إلى تقوية الروح والجسد للرياضيين، ونشر المحبة بين الأفراد والجماعات، إلاّ مصارعة العم سام فهي تهدف إلى القضاء على الآخرين بكل الوسائل الممكنة.

واللافت للنظر بأن كل المصارعين في حلبات المصارعة الأمريكية بدأوا في التفلت من كل قوانين المصارعة، الأقوياء منهم والضعفاء على حد سواء.

تقوم الإدارة الأمريكية في حروبها مع معارضيها، على استخدام كل ما وصلت إليها تقنياتها من أسلحة فتاكة ومتطورة، منه ما هو مسموح دولياً ومنه ما هو محرم من استخدام لليورنانيوم المنضب إلى إلقاء القنابل والصواريخ النووية كالتي استخدمتها

ضد اليابان في الحرب العالمية الثانية وما بعدها، وما تستخدمه الآن في العراق وأفغانستان من أسلحة محرمة دولياً، فالإدارة الأمريكية ترى في نفسها شرطي العالم، والآمر والناهي، والحارس على نظامها العالمي الجديد، هذا النظام يقوم على أساس إجبار كل الشعوب والأمم على الرضوخ والاستجابة لرغباتها وطريقة حياتها.

ولأن هذه الإدارة رعاها ربها [إله الخير في نظرها] يجيز لها استعمال القوة المشروعة وغير المشروعة في سبيل ترويض غيرها، واخضاعها لسلام العم سام، هذا السلام يقوم على تحرير الشعوب من الأنظمة غير الموالية لها، من أنظمة الشر حسب مفهومها.

ومن هنا فإن هذه الإدارة الخيرة – حسب تصورها – تعتبر مقاومة الشعب الفلسطيني لاحتلال إسرائيل لأرضه عملاً إرهابياً وغير مشروع، والمشروع هو ما يقوم به الطرف الإسرائيلي من قتل وحصار وتدمير للفلسطينيين، وكذا المقاومة العراقية إرهاباً كذلك.

وباختصار هذه الإدارة سمحت لنفسها سن قانون يبيح لها إبادة كل من يخرج على حظيرة الطاعة الأمريكية، وكل من يخالفها.

ولكن على الإدارة الأمريكية أن تعلم بأن استخدام هذه الأساليب العدوانية من استعمال لأسلحة الدمار الشامل والمحرمة دولياً، إلى البحث والتفتيش عن كل الطرق في الانتصار على خصومها؛ سيجعل خصومها يلجأون إلى وسائلها وطرقها التي تستخدمها في القتال والحروب.

ونحن العرب والمسلمون أصحاب حضارة عريقة تنتمي إلى أمة عظيمة قدمت للبشرية الكثير من معارف وعلوم أسهمت في تطور حياة الإنسان مع غيرها من الشعوب الأخرى.

فأمتنا هذه قد صحت من نومها العميق، وهاهي الآن تريد فك القيود التي وضعتها في الأغلال من قبل أمريكا وأعوانها، وهي ترى اليوم بأن عدوان الإدارة الأمريكية والبريطانية – ومن شايعهما – هو عدوان على كل العرب والمسلمين كما هو الحال في أفغانستان وفلسطين والعراق وغيرها.

وترى كذلك بأن هذا العدوان السافر يقصد إلى القضاء على كرامتها المهدورة من قبل المتسلطين على رقابها، ولهذا فإن هذه الأمة اليوم مصممة على رد العدوان، والوقوف في وجه الطامعين في خيراتها ووجودها وكيانها مهما كلفها من تضحيات، فهي تتطلع للعزة والسيادة والسؤدد، فكما قاومت أمة العرب والإسلام كل الغزاة والمستكبرين من التتار وحملات الفرنج والروم على مر العصور وانتصرت عليهم؛ فهي اليوم أكثر تصميماً وإرادة في دحر المحتلين والغزاة الجدد، وهي ترى في نفسها وريثة الأنبياء والمرسلين وكل الخيرين في الأرض، وأن أعداءها هم الأشرار والمستبدون، ولذا فنحن أصحاب حق وأعداؤنا هم أصحاب الباطل، والحق منتصر لا محالة.

---

* جامعة النجاح الوطنية – نابلس

المصدر :

590http://www.islammemo.cc/filz/one_news.asp?IDNews=

===============

#العولمة الإعلامية

ناصر العمر

إن العولمة منظومة متكاملة يرتبط فيها الجانب السياسيُّ بالجانب الاِقتصادي، والجانبان معاً يتكاملان مع الجانب الاجتماعي والثقافي، ولا يكاد يستقل جانبٌ بذاته، ولكن آلة ذلك كله التي لاتنفصل البتة عن أي شكل من أشكال العولمة هو الإعلام بوسائله المتعدد، فمهما رأيت صوراً لعولمة ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، فاقطع بأنها جاءت محمولة عبر آلية إعلامية.

فنجاح مروجي ثقافاتهم واقتصادياتهم وسياساتهم بل وحروبهم، كان من أعظم أسبابه نجاحهم في عولمة إعلامهم.

وإذا كان حافظ إبراهيم قال منذ عشرات السنين:

لكل زمان مضى آية *** وآية هذا الزمان الصحف

فاليوم لم تعد الصحف هي الوسيلة الإعلامية الوحيدة، بل تعددت قنوات ووسائل الاتصال حتى حار الإنسان فيها، واتخذت أشكالاً عدة أبرزها ما يلي:

1- الإذاعات:

وهي أوسع القنوات الإعلامية انتشاراً للأسباب التالية:

(أ) أنه يشترك فيها المتعلم، والعامي، والصغير والكبير، والرجل والمرأة.

(ب) قلة تكلفتها المادية، بخلاف كثير من وسائل الإعلام الأخرى، فما على المرء إلا أن يشتري جهاز راديو حسب إمكاناته المادية، حتى لو لم يملك إلا دريهمات معدودة، فسيجد ما يلائمه منها، مما يحوي عدة موجات.

آلة ذلك كله التي لاتنفصل البتة عن أي شكل من أشكال العولمة هو الإعلام بوسائله المتعدد، فمهما رأيت صوراً لعولمة ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، فاقطع بأنها جاءت محمولة عبر آلية إعلامية.

(جـ) سهولة الاستعمال، فيستطيع الإنسان أن يستمع إلى الراديو في أي مكان كان ما لم يوجد حاجز طبيعي.

(د) طول مدة الإرسال، وكثرة الإذاعات؛ فالإرسال الإذاعي يستمر ساعات طويلة في أغلب الإذاعات، وهناك إذاعات يستمر إرسالها (24) ساعة متصلة.

(هـ) عدم وجود رقابة على الإذاعات، ويستطيع المستمع أن ينتقل من إذاعة إلى أخرى دون حسيب أو رقيب من البشر.

ولهذا فقد لعبت الإذاعات دوراً مهماً في حياة الناس، ولا تزال مع التقدم الهائل في الوسائل الإعلامية الأخرى تحتل مكانة بارزة، وتؤثر تأثيراً واضحاً.

ويكفي أن أشير إلى أن هناك عدداً من الإذاعات العالمية استحوذت على أغلب المستمعين، وعلى رأسها ثلاث إذاعات، وهي:

1- إذاعة لندن.

2- صوت أمريكا.

3- مونت كارلو.

وقد كشفت الأحداث المختلفة تأثير تلك الإذاعات، وتسابق الناس للاستماع إليها، ومازالت الدول المصدرة للثقافة تطلق إذاعاتها الموجهة للعالم العربي، وقد أطلقت

الولايات المتحدة قبل أشهر محطة إذاعة جديدة باللغة العربية باسم [إذاعة سوا]، تشرف عليها [صوت أمريكا] موجهة للعالم العربي، وذكر مسؤولون أمريكيون أنهم بصدد مغازلة الشباب العربي الغاضب والقلق والشباب المسلم بشكل عام، وتبث على مدار 24 الساعة، وقد كانت الحكومة الأمريكية قد بدأت التخطيط للمحطة منذ ستة أشهر، حيث أطلق عليها اسم الشيفرة [مبادرة 911]، وتم رصد 30 مليون دولار كنفقات لمدة ستة أشهر لشبكة إذاعية جديدة تستهدف الشباب العربي، وفي الوقت نفسه بذلت لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الأمريكي جهوداً مكثفة لمضاعفة نفقات البث الإذاعي الأمريكي؛ التي تبلغ 479 مليون دولار لتغطية كل العالم الإسلامي من نيجيريا إلى إندونيسيا، وفي هذا الإطار دفعت لجنة المخصصات في مجلس النواب الأمريكي الأموال الطائلة بزيادة قدرها 19 مليون دولار؛ لإحياء محطات إذاعية منفصلة خاصة بأفغانستان

2- الصحف، والمجلات، والدوريات، والنشرات:

وقد تربعت الصحافة على عرش التأثير زمناً طويلاً، حتى أصبحت في وقت من الأوقات تسمى السلطة الرابعة.

واليوم تبوأت الصحافة مكانة أسمى، وتأثيراً أقوى، حتى أصبح الملوك والرؤساء يخطبون ود رؤساء التحرير، ويتقربون منهم، ويغدقون عليهم العطايا، والهبات رجاء وخوفاً، بل تعدى الأمر إلى صغار المحررين، والمبتدئين من المراسلين، وأصبح كثير من الناس لا يستطيع أن يستغني عن مطالعة الصحف، والمجلات يومياً، بل الكثير منهم لا يتناول فطوره إلا بعد الاطلاع على صحف اليوم.

3- التلفزيون والفيديو:

على الرغم مما تقوم به الوسائل الإعلامية الأخرى، فإن تأثيرها -رغم قوته- لا يتعدى 30% من قوة تأثير التلفزيون والفيديو، وقد أثبتت الدراسات، والبحوث العلمية التي أجريت حول مدى تأثير التلفزيون والفيديو أن تأثيرهما لا تقاربه أي وسيلة أخرى، وستتضح هذه الحقيقة من خلال هذا الكتاب، وذلك للأسباب التالية:

(أ) انتشار هذا الجهاز حتى أنه قل أن يخلو منه بيت، أو يسلم من مشاهدته إنسان.

(ب) عدد الساعات التي يقضيها المرء عند التلفزيون والفيديو، فقد ذكر الدكتور حمود البدر(2) أن الدراسات، والأبحاث أثبتت أن بعض الطلاب عندما يتخرج من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون قرابة (15) ألف ساعة، بينما لا يكون أمضى في حجرات الدراسة أكثر من (10800) ساعة على أقصى تقدير(3) أي في حالة كونه مواظباً على الدراسة محدود الغياب.

ومعدل حضور بعض الطلاب في الجامعة (600) ساعة سنويا، بينما متوسط جلوسه عند التلفزيون (1000) ساعة سنويا.

(ج) طول مدة البث يومياً، واستمراره جميع أيام الأسبوع دون عطلة، أو إجازة.

(د) الحالة النفسية للمتلقي، حيث إن المشاهد للتلفزيون، أو الفيديو يكون في حالة نفسية جيدة راغباً للمشاهدة مستعداً للتلقي، متلذذاً بما يرى، بخلاف الطالب في المدرسة، ومهما كانت حالة الطالب من الارتياح لأستاذ من الأساتذة، أو مادة من المواد، فإنها لا تصل إلى حالة مشاهد يرى فيلماً غريزياً، أو حلقة من حلقات المصارعة، أو مبارة من مباريات كرة القدم.

(د) إن أسلوب عرض البرامج، والتمثيليات بلغ الذروة في الإخراج، واستخدام التقنية مع التشويق، والإغراء وحسن العرض مما يجعل المشاهد أسيراً لها مع قوة التأثير.

(هـ) إن الراديو يدرك بحاسة السمع، والصحافة تدرك بحاسة البصر، أما التلفزيون فتشترك فيه حاستان هما السمع والبصر، مما يجعل تأثيره أكثر، ولقد تطور التلفزيون تطوراً مذهلاً، ووصل إلى تقنية عالية الجودة.

ولقد كان المشاهد أسير قناة واحدة، أو قناتين، وعلى كل الأحول لا تتعدى القنوات التي تبث من بلده، أو من الدول المجاورة إن كان بثها قويا خمس قنوات.

ثم جاء الفيديو، وأتاح للمشاهد فرصة الاستمرار في مشاهدة ما يرغب من أفلام دون أن يكون أسير ما يبث في التلفاز ضمن إطار ضيق.

أما الآن فقد بدأ البث التلفزيوني العالمي، مما يفتح الباب على مصراعيه، ويجعل تأثير التلفزيون فيما مضى محدوداً إذا قورن بالمرحلة المقبلة والانفتاح المذهل

المصدر : go.com3http://www.fin

============

#الطروحات النسوية العولمية تجليات للاستعمار الجديد

أجرى الحوار : الهيثم زعفان

المهندسة «كاميليا حلمي» ـ المدير التنفيذي لمكتب اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل في القاهرة التابعة للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، تخرجت في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية، واشتغلت بالعمل الخيري منذ الثمانينيات، ثم اهتمت بقضية المرأة والطفل، حضرت العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية. متزوجة من مهندس ولديها ثلاثة من الأولاد. وكان للبيان معها هذا الحوار:

البيان:من خلال اهتمامكم بالحركة النسوية وتطوراتها المتسارعة في السياق العولمي ما رأيكم فيما يجري باسم المرأة الآن؟

*الطرح النسوي العولمي هو أحد أبرز تجليات الموجة الجديدة من الاستعمار التي تتبنى مسالك ملتوية، وتتزيف بقضايا براقة مثل: قضية المرأة على المستوى الأممي؛ فاليوم يسعى الغرب جاهداً إلى تفكيك المؤسسات التي تقوم على توريث الإسلام للأجيال، وقد نجح من قبل في تحييد الدولة بمؤسساتها تجاه الدين، وبقيت الأسرة حجر عثرة في طريقه، والمرأة كأم هي حجر الزاوية في الأسرة والعنصر الأهم في تنشئة الأجيال، وحتى لا تستثار الشعوب أمكن توظيف هيئة الأمم المتحدة كمنظمة تنضوي تحتها كل الدول في هذا السبيل، وقد صدرت عنها عدة وثائق وفعاليات لو طبقت ـ لا قدر الله ـ لتحقق لهم ما أرادوا، وقد سخرت كل المؤسسات الدولية لدفع الدول لتبني هذا الفكر في شكل قيم وقوانين وسياسات تدفع بالمجتمعات نحو تبني وتطبيق المفاهيم والقيم النسوية الشاذة عن مدارك البشرية كلها، والسعي في تنشئة الأجيال الجديدة على تلك المفاهيم.

البيان:هل يمكن القول إن تبنّي الأمم المتحدة هذه القضية قد بدأ مع مؤتمر القاهرة للسكان؟

* التبني الأممي للفكر النسوي بدأ يتبلور مبكراً منذ عام 1948م، وتجلّى في مؤتمرات عدة للمرأة، وفي وثائق منها السيداو، لكنه اصطدم بوعينا، وتجلّت لنا خطورته في مؤتمر القاهرة للسكان عام 1994م، ثم استشرت في بكين 1995م، وما تبعهما من مؤتمرات وتفاعلات، حيث بدأت الأجندة النسوية العولمية في إعلان

مطالبها بوضوح وصراحة، وضمنت وثيقة القاهرة للسكان بعضاً من ذلك، بما أحدث صدمة كبيرة ورد فعل قوي من الأزهر، وحين أخفقوا في نيل المشروعية ضمناً من الأزهر، ذهبوا إلى بكين ليحققوا ما أرادوا.

البيان: وما وجه التغير في هذين المؤتمرَين عما قبلهما؟

* قبل المؤتمرَين كان الفكر النسوي فكراً نخبوياً، لكن بعد هذين المؤتمرَين استهدف الفكر ثقافة الجماهير وعامة الناس من خلال تبنّي آليات للتغيير في الأوضاع الاجتماعية بصورة مستفزة، وقد اكتسبت تلك الأفكار والمطالب سلطة الأمم المتحدة، وحققت اعتراف الدول بها والتوقيع عليها من قبْل، ثم جاء المؤتمرَان ليكشفا المخبوء، ويطرحا برامج معلنة للتطبيق، من إباحة الإجهاض، والشذوذ، والممارسات الجنسية للمراهقين، إلى طرح فكرة التمييز ضد المرأة كشعار برّاق ومعمًّى، يحمل في طياته مضامين تهدد المجتمعات، ولما أبى الأزهر أن يكون لهم ذلك، سارعوا بالمؤتمر اللاحق في بكين . أقصى الأرض . وقد رأينا كيف شاركت فيه مئات من المنظمات السحاقية والشاذة، وكيف باتت مطالبهم مشروعة ومضمنة في الوثائق الدولية كجزء من الحقوق في وثائق المرأة والطفل وغيرها.

البيان: «العنف ضد المرأة» و«التمييز ضد المرأة» و«تمكين المرأة» و«المساواة» قيم يطرحها الخطاب النسوي كقيم مطلقة، كيف هي مضامين هذه الشعارات؟

* نحن أصبحنا نتعامل بصورة يومية مع ألفاظ من غير أن ندرك معناها وفي هذا خطورة كبيرة؛ فتمكين المرأة كما قلنا يعني إقصاء الرجل، وتسويد المرأة وما يحمله ذلك من إجراءات تحقق هذه القيمة من التمكين السياسي والاقتصادي والقانوني والاجتماعي. أما التمييز ضد المرأة فهو لفظ فضفاض يدخل تحته أي لون من ألوان الاعتراض أو الإعاقة التي تقف دون تمكين المرأة.

أما العنف ضد المرأة فيعرَّف في وثائق الأمم المتحدة على أنه: «أي تفريق في التعامل بين الرجل والمرأة لمجرد كونها امرأة وكونه رجلاً، وعلى هذا فطاعة المرأة لزوجها وتربيتها لأولادها ومكوثها داخل البيت لرعاية الأسرة، وكون العصمة بيد الرجل والقوامة كذلك كل هذا عنف، أي أن العنف هو أي انتقاص من الحقوق التي حددتها الأمم المتحدة للمرأة، و (السيداو) تعطي المرأة الحرية المطلقة، وتتعامل معها

وكأنها كائن يحيا منعزلاً ليس في أسرة وإنما في صحراء، له حقوق دون أن يكون عليها واجبات، وهذا ما نشهده وسنشهده في واقعنا العربي من خلال سلسلة من القوانين التي بدأت تجد سبيلها للتطبيق.

البيان: هل فكر (الفيمينزم) حين تسعى لتقديس المرأة بهذا الشكل ترسخ لمعاداة للرجل؟

* الـ «Feminism» أو الاتجاه الراديكالي يتبنى مبدأ الاستغناء عن الرجل، أو مبدأ استئصال الرجل، وتمركز العالم حول الأنثى، ويحلمون بعالم من النساء فقط بلا رجال، لدرجة أنهم أنشؤوا جمعية تحمل اسم «تقطيع أوصال الرجال» هذا الطرح يشمل كل صور الاستغناء اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وجنسياً، ويستعيضون عن الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي بحركات أو تيارات تمكين للمرأة، وعن الجانب الجنسي بالسحاق والعلاقات المثلية، بمعنى التجاوز المطلق للرجل والتمكين المطلق للمرأة في مواقع صنع القرار؛ ولهذا فكل ما يقف في وجه هذا التمكين هو تمييز . وفق ما يقصدونه بالتمييز . ضد المرأة، وهذا تمييز سلبي مرفوض في نظرهم، ولو كان حكماً من أحكام الشريعة، كما أن أي تمييز لصالح المرأة هو تمييز إيجابي كما تنص وثائق المرأة، بمعنى أنه ليس هناك مانع أن نميز لصالح المرأة؛ إذن المسألة لا تعني حتى المساواة التي يبشروننا بها، ولو كانوا يبحثون عن العدالة لأعطوا لكل من الرجل والمرأة حقوقه، ونحن مع أن يأخذ كل منهما حقوقه، ويتحمل مسؤولياته، لكنهم يحلمون بعالم خالٍ من الرجال، ولهذا نسمع عن التمكين الاقتصادي والاجتماعي، وأيضاً الاستغناء الجنسي طبعاً بديله أن ينتشر الشذوذ، ويصبح الشذوذ بالنسبة للمرأة منظماً ومشرعاً، وليس مجرد انحلال خلقي، لكي تتعود أن تستغني عن الرجل وعن الأسرة تماماً في حياتها، وتستغني كذلك عنه في الإنجاب من خلال الاستنساخ الذي هو من أجل الاستغناء عن الرجل، وأول طفلة مستنسخة كانت من جمعية (فيمينزم) وهم الذين أشرفوا على هذه العملية؛ فبالاستمرارية البشرية عبر الاستنساخ تستطيع الاستغناء كلياً عن الرجل وعن كل ما يرتبط به..! هذا الفكر لو عم فسيفني البشرية كلها.

البيان: لكن هل يمكن أن تستغني الحركة النسوية بذاتها عن الرجل؟

* لا، بل حتى من واقع فكر الفيمينزم ما زال الرجل هو الذي يقود العالم، ويتحكم في المؤسسات والدول، ما زال هو المسيطر، هم يعترفون أن هناك فقراً في الكفاءات من النساء اللاتي يستطعن أن يسيرن العالم.

البيان: تعد ثقافة الجندر تطوراً نوعياً في الطرح النسوي، كيف ترصدين تسرُّب هذه الثقافة إلى وعينا اليوم؟

* الـGender هو ما يعبر عنه بـ «النوع»، ويعني: «إلغاء أي تفرقة تترتب على الاختلاف الجنسي بين الذكر والأنثى»، هذا اللفظ تحول من كونه مصطلحاً مفرداً إلى منظومة تحمل أكثر من 60 مصطلحاً تنبثق عنه . وهي في ازدياد . بحيث تغطي مختلف جوانب الحياة من خلال ما يسمى: «إدماج الجندر في كل مؤسسات العالم وكل مؤسسات الدولة» (Gender Main Enstring) سواء المؤسسات الحكومية أو المؤسسات الخيرية.. بحيث يدمغ كل مناشط الحياة بمفاهيم الجندر، وهناك مفاهيم اجتماعية، اقتصادية، سياسية... إلخ كلها مبنية على الجندر.

فلو أريد تطبيق «الجندر» على الجوانب الاجتماعية فسنجد «النوع الاجتماعي» Social Gender وما يتشعب عنه من مصطلحات اجتماعية كلها مضافة إلى جندر، ولو أخذنا مثالاً تطبيقياً حول ما يعرف بـ «العلاقات الجندرية» Gender Lotion فهم في الغرب كانوا يتصورون العلاقات بين أفراد الأسرة من خلال منطق القوة Power Relation؛ فالرجل أقوى من المرأة، ولهذا فهو الذي يسيطر على البيت. أما في الجندر فلا يعترفون بوجود فوارق مطلقاً بين الرجل والمرأة، ومن ثم فكل ما ينبني على الفوارق فهو نوع من الظلم وفق رؤيتهم يجب إزالته؛ وعليه تتماثل المرأة مع الرجل في كل شيء.

البيان: وهل هناك تطبيقات لهذه الثقافة؟

* هناك تقسيم وظيفي كامل وفق الجندر؛ بحيث يقوم كلا الطرفين بجميع الأعمال مناصفة وبصورة متساوية، فلا تختص الأنوثة برعاية الأطفال وأعمال البيت، بل تقوم العلاقة على نِدِّية تامة وتقسيم حرفي للوظائف مناصفة؛ فإذا ما أرضعت الأم طفلها مرتين فيجب على الأب أن يقوم بنفس العدد من ذات المهمة، هذا ضمن مفهوم مساواة الجندر.

وإذا كان لا مزية لفرد على آخر داخل الأسرة فلا سلطة إذن لطرف على آخر؛ فالأخت الكبرى ليس لها أي سلطة على الأخت الصغرى، فتزول مختلف الفوارق، الآدميون كلهم صاروا أشبه بآلات «Machine».. ! بلا مشاعر ولا أحاسيس ولا خصائص نفسية أو جسمية؛ فكل ذلك لا وجود له أو لا تأثير له على الاختلاف الوظيفي.

البيان: وهل يمكن أن نجد لمثل هذا التطرف تطبيقاً داخل المجتمعات؟

* الأمر تجاوز التنظير الفكري والنشر الثقافي إلى اختراق بنية المجتمعات لصبها على هذه الصورة نظرياً وعملياً في وقت واحد، هناك سعي لتطوير وتفعيل هذا الطرح، وهم ينطلقون من مسلَّمة أن المجتمع بقيمه هو الذي يبني التفرقة بين الذكر والأنثى، وليس مجرد الاختلاف الجسدي؛ ولهذا فهناك سلسلة متشابكة من القوانين والقيم والرسائل الإعلامية والمضامين التربوية والإجراءات والسياسات التي تفرض من خلال الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية، والتي تمتد عبر مؤسسات للمجتمع المدني ذات صلاحيات كبيرة داخل المجتمعات تتيح فرصاً كبيرة أمام هذا الطرح في اختراق بنيتنا الثقافية والاجتماعية.

البيان: لكن نفي الاختلاف مطلقاً له آثار خطيرة ومخالف لناموس الخلائق كلها!

* الجندر يعمل على محو فكرة التكامل الوظيفي القائم على الاختلاف الفطري داخل المجتمع من خلال بناء منظور جديد لصورة كل من المرأة والرجل والعلاقة بينهما، ولذلك لا بد من هدم جميع القيم والتخلي عنها من دون استثناء، فينبغي إزالة كل صور التفريق، في التنشئة، في التسمية، في اللباس، في التعامل، في كل شيء حتى العلاقات الجنسية ينبغي عدم التفرقة، وإذا انتفت التفرقة فلا فرق بين الزواج في ظل الأسرة الشرعية وبين العلاقات المثلية الشاذة؛ فجميع الأطراف متساوون في كل الحقوق طبقاً لمساواة الجندر Gender Equality، والتي تترجم عندنا خطأ على أنه شيء آخر تماماً: «المساواة بين الرجل والمرأة»، بينما هي تحمل نفس المضامين لو تأملنا.

البيان: هل يمكن القول إن الحركة النسوية نجحت في تسخير المؤسسات الدولية لأغراضها؟

* اللجنة المضطلعة بشؤون المرأة داخل الأمم المتحدة والتي تعرف بـ (لجنة مركز المرأة) جميع أعضائها من الاتجاه النسوي الراديكالي (الحركة الأنثوية المتطرفة)، وهي التي تتخذ الإجراءات وبيدها القرار، وهي التي تضع الأجندة وتتابع تطبيقها.

البيان: إذن الثورة الأممية في صف الشواذ تنال شرعيتها من هذا المدخل!

* نعم! وقد بدأت تداعيات هذا تظهر في مؤتمر نيويورك 2000م، حين أصدر الأمين العام قراراً بمساواة المتزوجين الشواذ بالتقليديين . لا يقول: الطبيعيين، ولكن يقول التقليديين، ولا يعترف أن الشواذ غير طبيعيين . والمساواة تكون في الميراث والضرائب والتأمين، وسائر الحقوق المدنية المعطاة لأي مواطن، وتصبح العلاقة علاقة شرعية تتمتع بكافة الحقوق ودون أي تجريم لأي شكل من العلاقات.

البيان: وماذا عن اعتراضات الدول العربية والإسلامية على هذه القضايا؟

* الدول العربية والإسلامية اعترضت على هذا الطرح، لكن المشكلة أن الاعتراض يأتي في بعض التفاصيل، دون الانتباه إلى أن العلاقات الجندرية Gender Equality هي الإطار الكلي الذي سيظل يحكم الأمور، فتظل رغم تحفظاتك تدور في الحلقة التي وضعوك فيها، ويبقى الهدف الرئيسي كما هو؛ أن يعيش الشواذ بالمساواة في المجتمع، ويأخذوا حقوقهم؛ بينما أنت تتحفظ على الميراث وعلى بعض التفاصيل، نحن نريد من الوفود العربية والإسلامية أن يكون تحفظهم على أصل الوثيقة لا على بعض تفاصيلها.

البيان: وهل لوجودكم باعتباركم منظمة إسلامية جدوى داخل الأمم المتحدة في ظل قوانين تسن من قِبَل قلة في مقابل إذعان أو ضعف الخيارات أمام الوفود الرسمية؟

* اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل تُعد إحدى اللجان الاستشارية المعتمدة من الأمم المتحدة، ومشاركتها يعد دعماً لمواقف الوفود الإسلامية، ووجود اللجنة وغيرها من المؤسسات الإسلامية مهم للغاية من هذا الجانب، كما أنه يتيح لنا موقعاً لمعرفة ما يجري وخلفياته، بالإضافة إلى أنه باب جيد لفهم الأجندات المفروضة وما ينبغي أن يكون معها، واللجنة منذ حصولها على عضوية المجلس الاقتصادي والاجتماعي ـ أحد هياكل الأمم المتحدة . وهي تعمل على الحد من المقررات التي من شأنها الإضرار بالأسرة والقيم المرتبطة بها، كما نسعى من خلال المؤتمرات لبيان القيم

الاجتماعية في الإسلام للجميع، والتعريف بالموقف الإسلامي من قضايا الأسرة والمرأة، والتأكيد على دعم التوجه الإسلامي باعتباره خصوصية ثقافية لم يفهمها كثير من الغربيين على حقيقتها بعد، وقد حققنا . بفضل الله . بعض النتائج الطيبة من خلال إضافة بعض الفقرات في بعض الوثائق، وكان لنا دورنا . بفضل الله . في إلغاء التوقيع على وثيقة إدماج الرجال والصبية في تفعيل «مساواة الجندر»، هذه الوثيقة ولو نجحت . لا قدر الله . لكان لها آثار كبيرة وخطيرة على المجتمعات عموماً، كما كان لنا دورنا في دعم المواقف الرسمية العربية الإسلامية المعارضة لمقررات «بكين». أما عن الطموحات فهي كبيرة، وكذلك نحن نلنا رئاسة غرفة الشرق الأوسط بالأغلبية، وانتخب منا رئيس لهذه الغرفة.

وقد انتهت اللجنة الإسلامية للمرأة والطفل من وضع «ميثاق الطفل في الإسلام» كوثيقة تجلّي مكانة الطفل في الإسلام والتدابير التي وضعها الإسلام لحماية الطفولة، وقد سجل هذا الميثاق في منظمة المؤتمر الإسلامي تمهيداً لتسجيله في الأمم المتحدة، والذي يمكن أن يعد مرجعية للدول الإسلامية في مجال الطفولة.

البيان: وماذا عن المضايقات؟

* المضايقات تعرقل بعضاً من جهودنا، لكنها تزيدنا إصراراً وتمسكاً بمواقفنا.

البيان: وما دور «ائتلاف المنظمات الإسلامية» الذي شاركتم بتأسيسه، وما طبيعته؟

* «ائتلاف المنظمات الإسلامية» هو ائتلاف يضم عدداً من المنظمات الإسلامية على مستوى العالم على اختلاف الهويات والانتماءات والتيارات الفكرية، ويتبنى قضية الأسرة والحفاظ عليها، ويسعى إلى إبراز موقف عالمي إسلامي من قضية المرأة والأسرة، وقد نلنا تأييداً كبيراً من منظمات حماية الأسرة والمنظمات الكاثوليكية الرافضة للفكر النسوي، ونسعى خلال الفترة المقبلة إلى ترجمة هذا الموقف في شكل وثيقة إسلامية عالمية عن المرأة والأسرة في الإسلام، وأملنا كبير أن يتسع الائتلاف ليضم كل المؤسسات الإسلامية العاملة حتى يتعضد موقفنا عالمياً.

وحاجتنا إلى دعم وتأييد أي جمعية وأي مؤسسة وأي منظمة كبيرة وماسة، حتى ولو كان نشاطها في غير المجال النسوي؛ لأن قضية الأسرة مسؤولية الجميع، وليس في

هذا الانضمام أدنى مشكلة؛ فالائتلاف عبارة عن جسد بغير رأس يتزعمه، وأسماء المنظمات مرتبة تحت العنوان الكبير بدون تمايز.

البيان: كثيراً ما يثار أن النسخة العربية من وثائق الأمم المتحدة لا تعبر تعبيراً دقيقاً عن كثير من النقاط، وهذا أحسبه موجوداً في وثائق المرأة، وأحياناً يكون الفرق شاسعاً؟ هل يتاح للدول العربية أن تلتزم بالنسخة العربية دون الإنجليزية؟

* التوقيع يتم على النسخة الإنجليزية؛ أما النسخة العربية فهي غير دقيقة، وتخالف في عباراتها كثيراً من العبارات المنصوص عليها في النسخة الإنجليزية، ولهذا فالنسخة العربية ليس لها حجية في الأمم المتحدة، وعلى هذا ينبغي الرجوع إلى النسخة الإنجليزية إذا ما أردنا أن نعرف ماذا يريدون من هذه الاتفاقيات، مثلاً لفظ «Gender Equality» والذي مُرِّر في بكين تم إحلاله مكان لفظ «sex»، يترجم في العربية: أنه يعني: «المساواة بين الجنسين»، «Sex Education» أي: «تعليم الجنس»، ويترجم على أنه «الثقافة الجنسية»، والذي يعد لفظاً مخففاً لا يحمل نفس الحساسية التي يحملها لفظ التعليم في بلادنا، بينما هو يحمل نفس المضامين، وهم يتحدثون الآن عما هو أكثر من التعليم؛ يتحدثون عن: «خدمات الصحة الإنجابية» التي يدخل فيها تعليم الجنس والثقافة الجنسية وتوزيع وسائل منع الحمل على المراهقين في المدارس، وما يعرف بالإجهاض الآمن (الذي يتم بصورة قانونية)، وقد شهدنا بيان ذلك في مؤتمر الأمم المتحدة 2001م عن حقوق الطفل. والطفولة بنص الوثيقة ممتدة إلى 18 سنة، كل هذا سيحدث في بلادنا لو وقعنا على الوثيقة.

البيان: كيف تجري متابعة تطبيق الدول للاتفاقيات من قِبَل الأمم المتحدة؟

* بالنسبة إلى اتفاقية (سيداو) مثلاً أنت كدولة بمجرد توقيعك عليها تُلزم بعد سنة من تاريخ التوقيع أن تقدم تقريراً شاملاً توضح فيه واقعك من سيداو، ثم تلزم بتقديم تقرير دوري كل أربع سنوات إلى لجنة سيداو، وتقسم دول العالم على جلسات دورية خلال السنوات الأربع؛ بحيث تناقش في كل جلسة خمسة تقارير أو ستة، ويقوم بصياغة التقرير المؤسسة الرسمية التي ترعى قضية المرأة داخل كل دولة، وتجري الصياغة وفق نظام مُعَدّ من اليونيسيف، والتقرير الرسمي يراعي التحفظات التي وضعتها الدولة، لكن هناك تقريراً آخر يقدم يعرف بتقرير «الظل»، ويعده ائتلاف

سيداو داخل كل دولة، وهو عبارة عن مجموعة منظمات مدنية تأخذ دعماً وتمويلاً خارجياً، ويسعى هذا الائتلاف إلى تطبيق «مقررات بكين» دون أي تحفظات، وأول بند في توصيات تقرير الظل رفع التحفظات بالكامل عن السيداو.

وكلا التقريرين يعدد ما تحقق وما لم يتحقق، وغالباً ما يتهم تقرير «الظل» الحكومة بالإخفاق والتواني في تطبيق المقررات. ولا نعجب إذا ما علمنا أن كل تقرير لا بد أن يسبقه مجموعة من الإجراءات والقوانين والسياسات التي تسجل في التقرير، وهو من خلال هذه التقارير يدرس طبائع الشعوب قبل أن يطبق المقررات، ولكن ينبغي للدول الإسلامية أن يكون لها موقف جديد من السيداو؛ بحيث ترفضها وكل ما ينبني عليها من اتفاقيات، وإلا فسنرى ما لا يحمد عقباه في مجتمعاتنا، وقد بدأنا نرى بعض ذلك.

ذو القعدة 1425هـ * ديسمبر/يناير 2005م

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

==============

العولمة ومستقبل العالم الإسلامي

د. فتحي يكن(*

dryakan*etscape.net

تعريف العولمة:هناك تعريفات كثيرة، لا أريد أن أتناولها جميعاً، وإنما أريد أن أتناول العولمة من الجانب الذي يهمنا، على اعتبار أننا دعاة وأئمة وخطباء. العولمة هي حالة تطبيع عالمي، ثقافياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، وأمنياً، وعسكرياً.

والتطبيع يتردد على الأسماع كثيراً، حيث يطرق أسماعنا أن العدو الصهيوني يريد أن يُطبّع المنطقة. فالتطبيع سياسة الاختراق للآخر، وعندما نُخترق من قبل الآخر فمعنى هذا أننا بدأنا نتطّبع بمشروع الآخر.

والعولمة تعني تحقيق عالمية الأمر، ولو قسراً ومن غير تدرج، إنها تعني اقتحام المجتمعات والشعوب والدول اقتحاماً قسرياً، وبدون سابق تحضير أو استئذان فهي نوع من الهيمنة...

ومن الذي يهيمن على الآخر؟ إنه الذي يمتلك القدرات والتقنيات العالمية: وسائل الاتصال وسائل الإعلام مراكز المعلومات الإنترنت الفضائيات الأسلحة الحسية والمعنوية... وأما الضعيف فإنه لا يستطيع أن يهيمن على العالم.

والعولمة على الصعيد الاقتصادي تعني (رسملة) العالم في ظل هيمنة النظام الدولي الأحادي على العالم، وبخاصة الأفراد الأفكار المعلومات النقود المؤسسات السلوك الخدمات المنتجات.

والعولمة من وجهة نظر أخرى حركة لا يمكن لأحد أن يعزل نفسه خارجها، أو أن ينأى عن تأثيراتها.

فهي اقتصادياً، رساميل تتحرك دون قيد أو شرط. وهي بشرياً، أشخاص يملكون سلطة عابرة لكل الحدود.

ففي الثاني والعشرين من أبريل 1997م نشرت شركة ميريل لينش الاستشارية والمالية (جيميني) دراسة توضح أن ثروة أغنى أفراد العالم حوالي ستة ملايين إنسان ارتفعت إلى 16 تريليون دولار عام 1996م وتوشك أن تصل إلى 24 تريليون دولار مع نهاية هذا القرن، وهذا المبلغ يعادل مجموع دخل 2.3 مليار إنسان (الأفقر في العالم) مضروباً في ثلاث مرات.

وفي تقرير للأمم المتحدة ذكر أن 358 مليارديراً من كبار الأثرياء في العالم يحصلون على ربح صافٍ قدره 760 مليار دولار سنوياً، أي ما يعادل دخل 45% من سكان العالم، أي أن 20 % من كبار أغنياء العالم يقتسمون فيما بينهم 80% من الإنتاج العالمي.

والعولمة مصطلح ظاهره الرحمة وباطنه فيه العذاب الشديد.

إنها أشبه بالمصطلحات الأخرى المثيلة: العصرنة، العقلنة، الأمركة، الفرنسة، الصهينة... وصولاً إلى الشيطنة...

ومشكلتنا أننا مجتمعات استهلاكية، مشرعة الأبواب أمام كل المستوردات وإن كانت سمّاً زعافاً!!

وهذا يعني انتقال الآخر إلينا وليس انتقالنا إلى الآخر...

يعني تأثرنا بالآخر وليس تأثيرنا في الآخر.

يعني عالمية ما عندهم وليس ما عندنا!!

إنه أشبه بالاجتياح...اجتياح الكبير للصغير، والقوي للضعيف، والغني للفقير... اجتياح مشاريع الآخرين لحضارتنا وثقافتنا، وتراثنا.. إنها استرقاق كلي ولكن تحت غطاء عصري مزيف، وشعار براق مكذوب!

إنها السقوط في الأفخاخ المنصوبة، وبالتالي ضياع الهوية والشخصية.

وينبغي هنا أن نفرّق بين العولمة والعالمية: فالإسلام دين عالمي، ويحمل مشروعاً عالمياً، إنما لا يعولم العالم على غرار ما تفعله القوى الصهيونية والأمريكية بمعنى أنه لا يفرض ثقافته وفكره قسراً على الآخر.

والطامة الكبرى أن العولمة لا تواجهنا بشكل صريح، ولو كان كذلك فيمكن أن نحترز منها، ونتصدى لها، لكن العولمة تتسلل تسللاً إلى واقعنا، وهنا مكمن الخطر.

أدوات ووسائل العولمة

تقف وراء العولمة أسباب ووسائل كثيرة، متطورة، ومتكاثرة من ذلك:

وسائل الاتصال(الإنترنت، الهاتف بأنواعه، الثابت والمتحرك، التلكس، الفاكس).

وسائل الإعلام: (المرئي "الأرضي الفضائي"، المسموع، المقروء "صحف مجلات وكالات أنباء").

وسائل التثقيف: (المعاهد والجامعات، مراكز البحوث والمعلوماتية، دور النشر، الكتب) ،(الأفلام).

القوى ذات التأثير العالمي

هنالك ثلاث قوى رئيسة ذات تأثير وفاعلية عالمية، بالرغم من تفاوت حجمها، وهي:

أولاً: الرأسمالية والمتمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: الصهيونية.

ثالثاً: الإسلام والمتمثل بالعالم الإسلامي عموماً والساحة الإسلامية خصوصاً، والذي يخطط للعصر الإسلامي.

ونتناول ذلك بالتفصيل في الاعداد القادمة إن شاء الله.

العولمة ومستقبل العالم الإسلامي (2 من4)

العولمة الأمريكية (الرأسمالية)

د. فتحي يكن(*
dryakan*etscape.net
تعني العمل على تعميم النمط الحضاري الأمريكي على بلدان العالم وشعوبه، بقصد الهيمنة على الاقتصاد والسياسة والثقافة والأفكار والسلوك، يقول (صادق جلال العظم) المفكر السوري: (إنها حقبة التحول الرأسمالي العميق للبشرية جمعاء في ظل هيمنة الدولة المركزية وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".

إن هذه الأمركة تستخدم في عولمتها كل الشركات العملاقة متعددة الجنسيات، والمؤسسات المالية لصندوق النقد الدولي، ووكالات الأمم المتحدة العاملة في مجال التنمية والثقافة، ومختلف وسائل الإعلام، وأجهزة المخابرات وما سبق أن أشرنا إليه تحت عنوان أدوات ووسائل العولمة.

نماذج من (العولمة الأمريكية):

كان المثل الشائع قديماً (إن الإنسان ابن بيئته) أما اليوم فقد غدا الإنسان ابن البيئة العالمية، تكونه وتصنعه بصمات الأغرار والأغراب من هنا وهناك، حتى ليكاد يفقد خصائصه التراثية والوراثية. فبصمات العولمة الأمريكية باتت واسعة المساحة وعميقة الأثر وعلى كل صعيد:

صعيد الأزياء التي تتنافس في صناعتها مئات مؤسسات التصميم مثل (بيير غاردان، وفير ساتشي، وإيف سانت لوران، وكوكوبروكو، وغيرها) إضافة إلى الصرعة العالمية المسماة (جينز)، كما تقوم بعرضها مئات عارضات الأزياء.. ومعظم المعروض من الساقط والفاحش.

صعيد الأطعمة والأشربة التي لم تترك مدينة من العالم إلا دخلتها، منها على سبيل المثال (بيتزا هات، كنتاكي شيكن، ماكدونالدز، هامبرجر وغيرها)، حتى يكاد شبابنا لا يأكلون من مطابخ آبائهم وبيوتهم.. هذا نوع من أنواع التطبيع.

لقد تعارفنا أن نشرب على سبيل المثال : ماء السوس والتمر هندي، وشراب الليمون.. اليوم ماذا نشرب؟ (البيبسي كولا والكوكا كولا والسفن أب.. وغيرها) بغض النظر عن المشروبات المحرمة...

صعيد العطور ومستحضرات التجميل وأدوات تغيير خلق الله.
ففي لبنان مثلاً ومن خلال العولمة العطرية ظهرت عشرات، بل مئات من العطور الأجنبية، نتسوقها وتغزو بلادنا.
نحن لسنا ضد العطور، فالعطر سنة من سنن نبينا المصطفى {: "حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة" (أخرجه أحمد في مسنده)... لكن عندما يصبح العطر نوعاً من أنواع التطبيع، واختراقاً لعاداتنا، فهنا مكمن الخطر.
صعيد الحلاقة وقصّات وموديلات الشعر التي عصفت بالأجيال في كل أنحاء الأرض مثل (البونكي والهيبيز والمارينز وغيرها)... لسنا نحن الذين نحدد موديلات الشعر، بل كلما ظهرت صرعة من الصرعات العالمية، إذا بالشباب المسلم يقتفون آثارها، إنه اختراق في كل شيء.
صعيد صناعة الأفلام السينمائية الجنسيَّة والأسطورية والخرافية وغيرها والتي تتصدرها وتتقدمها هوليوود ذات الشركات المتعددة والمتخصصة.
وأنا أسأل: أمام قصف الفضائيات التي لا تغلق 24ساعة، تقصف أفكارنا ومعتقداتنا، ومقدساتنا، أخلاقنا، وقيمنا، وعاداتنا، وتقاليدنا. أسأل الأئمة والخطباء: ماذا تفعل خطبة الخطيب يوم الجمعة أمام هذا القصف الدائم؟! وما حال الأجيال التي تُصنع صناعة مائعة من خلال ما يعرض عليها من مجون وفجور وجريمة مركبة..؟! فأي جيل هذا الذي سيبني أمتنا؟ أي جيل هذا الذي سيواجه المؤامرات التي تشن على أمتنا؟
نحن ننام، ولكن الشياطين لا ينامون.. هذا نوع من أنواع التطبيع في المجال الإعلامي..
ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (41)(الروم).
صعيد سياسات التبشير والتنصير على مثل ما يجري في الكثير من الدول الإفريقية والآسيوية تحت ضغط الفاقة والعوز.

صعيد الغناء والطرب والموسيقى والرقص مما أدى إلى نشأة أجيال أصبح (مايكل جاكسون ومادونا وسبيس غيرلز وجورج مايكل) مثلها العليا..

صعيد العولمة الرياضية وتفاقم بدعة (الموندیال) وضياع شخصية الأجيال في حملة المراهنات على هذا الفريق الرياضي أو ذاك.

صعيد تحريك الفتن والحروب الأهلية والتطهير العرقي والتحولات الديموجرافية (البوسنة والهرسك، كوسوفا..).

صعيد انتقال الأزمات الاقتصادية والسياسية والمالية والتدخل في الشؤون الداخلية للبلدان النامية.. إضافة إلى اصطناع المشكلات الأمنية وتبنّي سياسة الاغتيالات والانقلابات، (إندونيسيا، ماليزيا، لبنان، العراق..).

صعيد تفتيت البنى السياسية والاجتماعية على قاعدة (فرِّق تسُد) التي اعتمدها هنري كيسنجر ثم كريستوفر وزيرا خارجية الولايات المتحدة.

العولمة ومستقبل العالم الإسلامي (3 من4)

العولمة الصهيونية

د. فتحي يكن(*

dryakan*etscape.net

تهدف العولمة الصهيونية إلى تمكين (اليهود) من الإمساك بمقدرات العالم وبخاصة الثقافية منها والاقتصادية عبر التدخُّل الهائل في حركة البورصة العالمية، وامتلاك أضخم الشركات العالمية (كشركة روكفلر) مثلاً.

إن عدداً من بروتوكولات حكماء صهيون تنص بصراحة صهينة العملة العالمية:

يقول البروتوكول الخامس عشر: "يجب أن يكون الدولار في المائة سنة القادمة عملة العالم". ولا يخفى على أحد أن الدولار صناعة يهودية ظاهرها أمريكي (انظر الدراسة) ولقد تحقق ذلك، ومن خلاله تحكَّم اليهود بمقدرات العالم..

والبروتوكول العشرون يقول: "إن استيلاءنا على ثروات العالم عن طريق الأسهم والسندات سيضطر الحكومات إلى طلب العون المالي منّا".

أما الصهينة الاجتماعية والثقافية فيشير إليها البروتوكول العاشر حيث يقول: "سنوصل العالم بدهائنا وألاعيبنا إلى أقصى درجات التمزُّق والانحلال، حتى يعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يوحدّنا ويمحق كل الحدود والقوميّات والأديان".

نماذج من العولمة الصهيونية:

إن بصمات العولمة الصهيونية شديدة التخريب عميقة الإفساد في معظم المجتمعات البشرية..

فهي من وراء الترويج للأفكار والفلسفات الإلحادية والعلمانية.

وهي من وراء تأسيس ورعاية نوادي عبادة الشيطان في العالم.

وهي من وراء الانهيارات الاقتصادية والإفقار المخطط والمنظم للشعوب.

وهي المصنّعة الأولى لأفلام الدعارة ومجلاتها وأدواتها ومراكزها. ومن الأمثلة على ذلك تشجيعها للسلطة الفلسطينية على إقامة كازينو للقمار في أريحا هو (كازينو الواحة)، وتسميتها أريحا (بمدينة الخطايا)، حيث أقيم على أرض وقف إسلامي يعود لعائلة الحسيني. والأغرب من هذا امتناع الكيان الصهيوني عن إقامة الكازينو عنده لأن التعاليم اليهودية تمنع لعب القمار على أراضيه. وهذا ما دفعه إلى إنشاء مصنع للفوسفات في المنطقة المجاورة، في حين نصبت السلطة الفلسطينية 250 ماكينة قمار!

وهي المحركة الأساسية للفتن الداخلية، والحروب الأهلية، والصراعات الطائفية والمذهبية والعرقية والإثنية (البوسنة والهرسك، الشيشان، السودان، الأكراد، كشمير، الصومال، أريتريا، أوغندا وغيرها).

وهي المالكة أو المساهمة بقوّة في شركات النقل والشحن والتأمين العالمية (لويدز).

نتيجة العولمة:

والآن ما هي النتيجة؟

النتيجة أن يتطبع العالم بكل تفاصيل حياته بالحضارة الغربية تبعاً لمنطق ابن خلدون الذي يقول: "المغلوب يُقلد دائماً الغالب" و"الضعيف يُقلد القوي".

عولمة الرياضة (المونديال).

عولمة الرأسمالية كنظام اقتصادي.

وعولمة الديمقراطية كنظام سياسي.

وعولمة العلمانية كمنهج اعتقادي.

وعولمة العنصرية كسياسة اجتماعية.

وعولمة الزواج المدني والزواج المثلي، والشذوذ.

عولمة تجارة وتعاطي المخدرات.

عولمة الانحراف الجنسي ونتائجه المرضية (الإيدز، الدعارة، الأطفال).

عولمة الانحراف الأخلاقي، الجريمة على أنواعها، ويشهد لذلك ما حصل في لبنان مؤخراً.

عولمة عبادة الشيطان.

عولمة الأغذية الغربية.

عولمة الفن الغربي – الموسيقى– الأغاني– المرح.

عولمة الإعلام الغربي.

عولمة العطور الغربية.

عولمة العملة الغربية.

عولمة الصناعة الغربية.

عولمة تفكك الأسرة.

عولمة جسد المرأة (مؤتمر بكين).

عولمة العقاقير: فياجرا المهدئات الملونات أدوات المكياج.. الخ.

العولمة ومستقبل العالم الإسلامي (4 من4)

المشروع الإسلامي

د. فتحي يكن(*

dryakan*etscape.net

بعد أن استعرضنا سمات وقسمات العولمة الحديثة، وأشرنا إلى، أخطارها وآثارها على العالم بشكل عام، وعلى العالم العربي والإسلامي بشكل خاص. نطرح الأسئلة التالية في وجه المشروع (القومي العربي) وفي وجه (المشروع الإسلامي)، وفي وجه الأنظمة العربية والإسلامية، كما في وجه الشعوب العربية والإسلامية:

ما العمل حيال العولمة الأمريكية؟

ما العمل حيال العولمة الصهيونية؟

هل من بديل عربي أو مشروع عربي مضاد؟

وهل من بديل إسلامي أو مشروع إسلامي مضاد؟

هل قدر الأمة العربية والإسلامية أن تكون مستسلمة أمام استراتيجية التطبيع الأمريكي والصهيوني، أم أن بإمكانها القيام بخطوة في مواجهة ما يعطّل دورها، وينهب طاقاتها وإمكاناتها وثرواتها، ثم يعمل على تشويه شخصيتها وطمس هويتها؟

إن غياب المشروع العربي، وبالتالي غياب المشروع الإسلامي العالمي هو الذي ساعد على فتح أبواب المجتمعات العربية والإسلامية على مصاريعها أمام (عولمة الاختراق والغزو) خاصة بعد إسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية، والتي كانت على علاتها وضعفها، سياجاً يحمي الأمة من عاديات المؤامرات الداخلية والخارجية، وبسقوطها باتت الثغور مشرعة بلا حماة، والحصون مهددة من داخلها.. وكان الطوفان!!

ومن يومها كان اجتياح القوميات على أنواعها والشعوبيات على تنوعها، كما كان اجتياح الحركات التبشيرية والاستشراقية والتغريبية والشيوعية والعلمانية.. إلخ..

مواقع القرار وأثرها على العولمة: ومن حين سقوط موقع القرار الإسلامي، بدأت رحلة عولمة القوانين والتشريعات، وعولمة المناهج والسياسات، وعولمة التقاليد والموروثات، كما سبق وبيّنا في موضع سابق.

مواقع المال والصناعة والسياحة وأثرها في العولمة: ومن يوم قيام الثورة الصناعية خارج خريطة العالم العربي والإسلامي، بات هذا العالم (عالماً ثالثاً) أي عالماً متخلّفاً استهلاكياً لا حركة فيه ولا إنتاج.

ولقد فعلت الصناعة كماً ونوعاً فعلها الكبير في تكوين وصياغة وقيادة أنظمة وشعوب العالم النامي. فضلاً عن استغلال ثروات هذا العالم، كالثروة النفطية على سبيل المثال. وما يقال عن هذا القطاع يقال عن قطاع السياحة كذلك..

مواقع الإعلام وأثرها في العولمة: أما موقع الإعلام ووسائله فقد وضعت الصهيونية والصليبية يدها عليها منذ القدم (راجع كتابنا: المكائد الدولية على العالم الإسلامي).

مواقع التعليم ومراكز المعلومات: وما يقال عن مواقع الإعلام يقال عن مواقع التعليم ومراكز الدراسات والمعلوماتية؛ فإن معظمها واقع ضمن دائرة سيطرة وتسخير الآخرين.

المنظمات الدولية وأثرها في العولمة:

أما المنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة، وما ينبثق عنها ويتفرّع منها من أجهزة ومؤسسات ومراكز، كاليونسكو فقد بقيت منذ نشأتها خارج دائرة التأثير العربي والإسلامي، بل إنها سخرت من قبل الغرب والصهيونية ضد مصالح العرب والمسلمين. (راجع كتابنا: المكائد الدولية..).

المواقع العسكرية والأمنية وأثرها في العولمة: ثم إن امتلاك الأسلحة النووية والإستراتيجية من قبل الغرب عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً، وما تبع ذلك من تشكيل الأحلاف العسكرية كحلف شمال الأطلسي، إضافة إلى بناء المؤسسات والأجهزة الأمنية، كوكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) وغيرها، مكّن المشروع الأمريكي من فرض هيمنته على مختلف أقطار العالم.

المشروع الإسلامي والتسخير: لقد عمل الغرب على تسخير كل الوسائل والمواقع من أجل اختراق وتطبيع المجتمعات البشرية، ومن أجل إحكام سيطرته على العالم شعوباً وأنظمة.

من هنا كان مطلوباً من العالم الإسلامي العمل على امتلاك كل وسائل العصر وتسخيرها في إطار عولمة المشروع الإسلامي وتقديم الإسلام كبديل حضاري للبشرية جمعاء. والعالم الإسلامي كما نعلم يمتلك قدرات هائلة إنما جلّها مستغل من قبل الآخرين أو معطّل.

العولمة ومستقبل العالم الإسلامي (4من 4)

ملامح العولمة الإسلامية

د. فتحي يكن(*

dryakan*etscape.net

العولمة الإسلامية تعني نقل الحضارة الإسلامية إلى العالم.. الحضارة ذات البعد الإنساني التي لا تماثلها حضارة أخرى.

إن عالمية الإسلام صفة أساسية في هذا الدين بدليل قوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (107)(الأنبياء) وقوله: وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا (سبأ 28).

وعالمية هذا الدين إلى جانب خصائصه الأخرى الإنسانية جعلته ينساب في المجتمعات البشرية انسياباً طبيعياً، تتلقفه العقول والقلوب، تؤمن به عن طواعية، وتعتنقه عن قناعة.

لم تكن عالمية الإسلام حالة استكراه للغير، أو نتيجة إلغاء للآخر ذلك أن منهجيته تنص على أنه لا إكراه في الدين (البقرة 256).

ولم تكن عالمية الإسلام حالة اتساع حربي وهيمنة عسكرية، وإنما كانت نتيجة دخول الناس في دين الله أفواجاً.

ومن خلال ذلك عمَّت حضارة الإسلام واستمرت على هذا النحو حقبات طويلة من الزمن، بقدر التزام المسلمين بهذه القيم والمواصفات:

مواصفات عقائدية: من خلال عقيدة التوحيد وقدرتها الإقناعية والفطرية، وما تتركه في النفوس من ارتياح وطمأنينة: ألا بذكر الله تطمئن القلوب 28 (الرعد).

مواصفات تشريعية: من خلال خصائص التشريع الإسلامي وتميزه بالربانية والفطرية، والتوازن والشمول والعالمية والمرونة والواقعية.

من خلال الدفاع عن الحريات، (حقوق الإنسان ونشر العدالة والمساواة).

من خلال النظام الاقتصادي العادل.

من خلال النظام الجنائي الرادع.

مواصفات أخلاقية: من خلال تطابق المظهر مع الجوهر، والشعار مع المضمون، والعلم مع العمل.

من خلال حيازة العلوم والنبوغ فيها (الفلك، الطب... الخ).

من خلال الأخلاق الحربية وإنسانية الممارسة العسكرية (وصايا الخلفاء والأمراء والفاتحين).

من خلال الخطاب الحضاري.

من خلال التزام العهود والمواثيق (لا يجوز في ديننا الضرر).

من خلال الأخلاق التجارية (سمحٌ إذا باع، سمحٌ إذا اشترى).
إن مستقبل العالم الإسلامي في مواجهة تلك التحديات تحدده الاعتبارات التالية:
أولاً: إمكان نجاح المسلمين في إقامة وحدة سياسية واقتصادية، وعسكرية فيما بينهم.
ثانياً: إمكان نجاح المسلمين في تطوير إمكاناتهم العلمية والتقنية والمالية، والاستفادة من ثرواتهم النفطية والمعدنية وغيرها.
ثالثاً: إمكان نجاح المسلمين في التحرر من التبعية والولاء للغير وللقوى الأجنبية.
رابعاً: إمكان نجاح المسلمين في إعادة بناء أنفسهم، كأمة دعوة تحمل رسالة الإسلام إلى العالمين. فهي لا تكتفي بإطلاق زفرات الحوقلة وآهات اليأس والإحباط، وإنما تتحضر وتتهيأ، لتكون بديلاً حضارياً يخرج الناس من الظلمات إلى النور.
والحمد لله رب العالمين.

==============

#عولمة الوباء والتلوث أيضا

إبراهيم غرايبة

تظهر دراسات وتقارير دوليّة كثيرة جداً أن العولمة الرأسماليّة في حالتها القائمة والسائدة تهدّد على نحو خطير الدول والمجتمعات والبيئة والكون، ويصل حجم هذا التهديد إلى الكارثة والخطر، كما تكشف شبكات جماعات المناهضة للعولمة الرأسماليّة عن معلومات مذهلة حول ما تلحقه الأنشطة التابعة للعولمة الرأسماليّة من تدمير فظيع يلحق باقتصادات الدول والمجتمعات، وثقافتها ونمط حياتها ومواردها، وأنظمتها الاجتماعيّة والسياسية، والصحة والبيئة والهواء والأنهار والأرض والغابات والصحارى والبحار والمحيطات والجزر وجوف الأرض والموارد العالميّة.
فقد رافق العولمة الاقتصاديّة والإعلاميّة موجات من الأوبئة والمشكلات البيئيّة تسربت وانتشرت في العالم بنفس الآليات والأدوات التي فرضت لتسهيل مرور السلع والأموال، فقد كان للشركات الكبرى التي أُطلق لها العنان في أرجاء العالم دور كبير في تدمير البيئة في العالم ومن أمثلة ذلك: تدمير طبقة الأوزون من خلال إنتاج مبيد "بروميد الميثيل" الذي يساهم في تدمير طبقة الأوزون، ولا تزال هذه الشركات تقف حجرة عثرة أمام تطبيق بنود بروتوكول مونتريال الخاصة بمنع إنتاج هذه المواد.

وتساهم منتجات أخرى أيضا للشركات الكبرى مثل المواد الكيماوية شديدة الخطورة، والتي لا تتحلّل طبيعياً في البيئة، و تؤدي إلى تسمّم الكائنات الحيّة، والمخلفات المشعة، وتقوم كثير من الأنشطة التعدينيّة والصناعيّة على إزالة الغابات.

وتأثرت الزراعة كغيرها من النشاطات الأخرى، تأثرت بسياسات الرأسمالية التجارية والسوق المفتوح، فأصبح قطاع الزراعة مُطالباً بإنتاج مواد غذائية بتكاليف منخفضة، وأهم مظاهر هذه العولمة في الزراعة ظهور الهندسة الوراثيّة.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن الهندسة الوراثيّة ستساعد في تقليل تكلفة الغذاء وإتاحته للفقراء، ومقاومة شحّ المياه والتصحّر في الزراعة، ولكنها أخضعت الدول الفقيرة والنامية لتبعيّة في إنتاج البذور، وقضت في الوقت نفسه على البذور التقليديّة التي كانت مستخدمة، حتى إن البعض سمّى هذه الحالة بِ" الاستعمار الجينيّ".

وعندما طرحت الشركات الأوروبية والأمريكية طعامها المعدل المعالج وراثياً قوبلت الفكرة باستياء كبير وهجوم وصل في بريطانيا لحد الهجوم على مزارع الطعام المعالج وإزالة النباتات من الأرض، ونفس المصير لاقته الشركات الأمريكية التي دفعت ملايين الدولارات لتطوير تلك الأبحاث، ورفض المستهلكون تناول ذلك الطعام، وأعلن الأطباء عن احتمالات إصابة الإنسان بالخلل الجيني، وألزمت إدارة الطعام و الدواء الأمريكية الشركات والمزارعين بعدة إجراءات توضيحيّة قبل بيع ذلك الطعام.

وعندما أرادت تلك الشركات تصديره رفضته أوروبا طبعاً، وكذلك آسيا، فكانت السوق المناسبة والملائمة لهذا النوع من الطعام هو أفريقيا الجائعة، ولكن أفريقيا لا تملك ثمناً لأي طعام، فلماذا لا يُقدّم لهم الطعام كمعونات إنسانية؟ وبذلك تضرب الشركات عصفورين بحجر واحد، فتطعم الجوعى وتختبر طعامها اختباراً مباشراً، و عن طريق غطاء شرعي هو الأمم المتحدة التي تبحث عن أي جهة تقدم عوناً لمئات الآلاف من الأفارقة الذي يعانون من المجاعة و أمراض سوء التغذية.

قدمت الولايات المتحدة الأمريكية للأمم المتحدة كميات من الذرة ومنتجاتها في شكل معونات بقيمة (111) مليون دولار أمريكي، وكان 30% منها عبارة عن ذرة مهجنة وراثياً، ووزّعتها الهيئة الدولية بالفعل على الجوعى في السودان والكونغو وإثيوبيا

والصومال وعدة دول أفريقية أخرى، ولم يكن لدى برنامج الغذاء التابع للأمم المتحدة التابع للأمم المتحدة علم بها، بل لم يناقش أحد الأمر.

وبنظرة على الوضع الصحي في العالم في زمن العولمة نكتشف الكثير من الحقائق المؤلمة:

حوالي (11) مليون طفل دون السن الخامسة يلقون حتفهم في البلدان النامية.

أكثر من 40 % من العبء العالمي الناتج عن الأمراض الذي يعود إلى مخاطر البيئة يقع عل كاهل الأطفال دون الخامسة.

يُتوّفى ما يتراوح بين (6–5) ملايين شخص في البلدان النامية سنوياً بسبب الأمراض المنقولة عن طريق المياه و تلّوث الهواء.

تساهم الأحوال البيئيّة المتدنيّة بنسبة 25 % من كافة الأمراض التي يمكن الوقاية منها في العالم اليوم.

أُصيب أكثر من (60) مليون شخص بفيروس نقص المناعة البشرية الإيدز.

يُصاب (8. 8) مليون شخص بالسلّ سنوياً و يدفع (1. 7) مليون شخص حياتهم ثمناً له.

خسائر الملاريا في أفريقيا تتجاوز (13) مليار دولار أمريكي.

وانتشرت أيضا الأمراض التي تصيب الحيوانات ولها تماسّ مباشر مع البشر.

وتتسبب سبع دول صناعية في إطلاق أكثر من 70% من غاز ثاني أكسيد الكربون في العالم، والولايات المتحدة التي تشكل أقل من 4% من سكان العالم تطلق أكثر من 25% من الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري، وهذا يحتاج إلى جهد عالمي لخفض إطلاق الغازات المسببة للاحتباس الحراري، وكان بروتوكول (كيوتو) الذي رفضت الولايات المتحدة أن توقع عليه التزاماً دولياً عالمياً لمعالجة سخونة الأرض.

واستخدمت التقنية والإرادة السياسية لتحويل طبيعة الأراضي والشعوب في الإنتاج، كما حدث في الصين على سبيل المثال ودول أخرى كثيرة، فتوطّن جماعات الرّحل قسراً، أو تزرع الصحراء بمحاصيل لا تناسبها، أو يُعاد التنظيم الاجتماعي والسياسي لشعوب ومجتمعات درجت على إدارة نفسها بطريقة مختلفة، وفقد الناس تقريباً

المعرفة بنظم الزراعة والإنتاج التقليدية، واستخدمت التقنية الحديثة بطريقة غير مناسبة مثل الإسراف في استخدام الأسمدة والمواد الكيماوية مما أدّى إلى مخاطر صحيّة وبيئيّة مكلفة، واعتبر الملايين الذين شُرّدوا أو فقدوا مواطنهم ومصادر رزقهم، بسبب السدود والمشروعات المختلفة مجرد أفراد تضاربت اهتماماتهم مع الاحتياجات التي حددتها الدولة للمجتمع القومي.

وفي جزيرة غينيا الجديدة، حيث يوجد أكبر تنوّع ثقافي وبيولوجي في العالم أدّت مشروعات استخراج النفط والمعادن إلى حرمان الناس من أراضيهم دون تعويض، وجرت صراعات مسلحة مدمرة، وحُوّل معظم السكان إلى حالة بؤس اجتماعي واقتصادي، ولم يستفيدوا شيئاً من مشروعات الذهب والنحاس والنفط، وتلوّثت الأنهار بالسموم والكيماويات، وكذلك السهول الزراعية والغابات، وقُضِي على الأسماك والحياة البريّة من حيوانات ونباتات مختلفة.

وقد دُفعت تعويضات نقدية للسكان أدّت إلى نتائج معقّدة في حياتهم؛ فقد تحوّلت إلى نمط استهلاكي، وازدادت المهور والهجرة إلى المدن واستهلاك الكحول..وتجاهلت الشركة التي تدير المناجم النتائج البيئية المدمرة لمشروعاتها، واعتبرت أن التعويض النقدي يكفي لإخراجها من المسؤولية.

وأظهرت تقارير منظمة الأغذية والزراعة الدوليّة أن العولمة والتحرّر الاقتصادي تزيد من التصحّر والتلوّث، وبخاصة من الأنشطة القائمة على قطع الأشجار، كما يحدث على نطاق واسع في المناطق الاستوائية، والاعتداء على الأراضي الزراعيّة، ويمكن باتّباع سياسات عادلة أن تضبط عمليات تصنيع وتجارة الأخشاب دون الإضرار بالاقتصادات القائمة عليها.

وهذا غيض من فيض، فمتابعة الكتب والتقارير والدراسات حول أخطار العولمة الرأسمالية والاقتصادية تكاد تفوق قدرة الباحث المتخصص والمتفرغ.

1426/2/2

2005/03/12

المصدر : http://www.islamtoday.net

===========

#التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة

سليمان بن قاسم العيد *

إن أخلاق الأفراد لن تكون بمعزل عن التغير في ظل العولمة، ولا شك في أن التربية الخلقية من أوليات التربية لدى المؤسسات التربوية العالمية على اختلاف أديانها وثقافتها للحفاظ على هويتها، فالأخلاق جزء من هوية الأمة، وتقوم التربية في تلك المؤسسات وفق الضوابط والأسس التي تحددها أديانها وثقافتها، ولا نتصور أمة من الأمم لا تعتني بالتربية الخلقية للنشء فيها، وإلا فإن معنى ذلك انهيار الأمة وزوالها، يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فبالأخلاق تبقى الأمم وبعدمها تزول، كما لا تأمن المجتمعات ولا تسود الألفة بين أفرادها، ولا ينمو اقتصادها إلا إذا كانت شعوبها على قدر كاف من التربية الخلقية.

ولقد عني الإسلام بالتربية الخلقية عناية شديدة، ومما يدل على ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم –: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا"، وقوله: "إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقا".

فإنه ما من خلق فاضل إلا وحث عليه الإسلام وليس هناك من خلق سيئ إلا وقد حذر منه، ولا غرابة في ذلك فالإسلام دين شامل لنواحي الحياة، قال – تعالى –: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ).

وإذا نظرنا إلى هدف العولمة من التربية الخلقية؛ نجد غاية ذلك إعداد الفرد ليعيش مع غيره ويستمتع بهذه الحياة الدنيا فقط، أما التربية الخلقية الإسلامية فتهدف إلى ما هو أبعد من ذلك فهي تهدف إلى تحقيق غاية كريمة للفرد مع الجماعة في هذه الحياة، وكذلك تحقيق رضوان الله – سبحانه وتعالى – والفوز بالنعيم والنجاة من الجحيم يوم القيامة.

ولا شك في أن التربية الخلقية تحتاج إلى مقومات تقوم عليها وتكون سندا لها، فمن تلك المقومات وجود القواعد والضوابط التي تنظم تلك الأخلاق والتي تحدد أطرها وتبين نظمها وتحدد الحسن منها من السيئ، كما تحدد الجزاء على حسنها والعقاب

على سيئها، ولا شك في أن هذا التنظيم موجود بالإسلام بصورة النصوص الشرعية، أما في غيره فإن هذا الإجراء التنظيمي يتمثل فيما يضعه البشر من القواعد والنظم أو العرف السائد فيما بينهم، وذلك كله محتمل للصواب والخطأ، إضافة إلى قصور النظرة البشرية ومحدوديتها.

ومنها الدوافع والموانع، أما الدوافع فهي تلك الأمور التي تدفع الفرد للتحلي بتلك الأخلاق، وهذا نجده في التربية الإسلامية بشكل واضح؛ كطلب رضا الله – سبحانه وتعالى – والفوز بالجنة، لما سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: "تقوى الله وحسن الخلق". أما الموانع فهي الأمور التي تجعل الفرد يمتنع عن الأخلاق السيئة.

ومن المقومات: وجود القدوة الخلقية المثلى، وهذه القدوة في التربية الإسلامية تتمثل في شخصية نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وإن كان غير حي فإن تفاصيل خلقه حية محفوظة للعالم مع بعده منه – صلى الله عليه وسلم –، فالأمم التي لا تؤمن بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – في هذا الزمن لا تمتلك قدوة عالمية في هذا المجال.

ويضاف إلى تلك المقومات: موافقتها للفطرة البشرية، فإن العولمة لا تدرك ذلك، فكم هي الأخلاق التي تسود العالم وهي مخالفة للفطرة البشرية، ولكن التربية الخلقية الإسلامية لا يمكن أن تقر خلقا مخالفا لفطرة البشر.

فالتربية الخلقية الإسلامية إذاً هي التربية التي تمتلك المقومات العالمية والأهداف السامية، وبالتالي هي التي يجب أن تسود العالم، ولكن متى؟

إذا أدرك المسلمون ذلك وكانوا دعاة بأخلاقهم، قبل أن يكونوا دعاة بأقوالهم.

---

*أستاذ الثقافة الإسلامية بكلية التربية جامعة الملك سعود

1425/04/17

2004/06/05

المصدر : http://www.lahaonline.com

============

#حقيقة الدعوة إلى المجتمع المدني، وما وراءها من أهداف

أحمد خضر

احتفل العالم العربي احتفالاً بهيجاً بما يُسمى بالمجتمع المدني. ومع كل الضجة التي أثيرت وتثار حول هذا المفهوم الجديد الذي بدأ يحتل موقعه في بلادنا؛ فإنه لا يهمنا فيه إلا مسألة واحدة وهي: العلاقة بين المجتمع المدني وسلامة البناء العقدي للمجتمع.

يقتنع كثير من الناس بأن المجتمع المدني لا يخرج عن حدود هذا التعريف الذي وضعه له سعد الدين إبراهيم وهو: «مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة؛ لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتآخي والتسامح والإدارة السلمية للتنوع والاختلاف، وتشمل تنظيمات المجتمع المدني كلاًّ من: الجمعيات والروابط والنقابات والأحزاب والأندية؛ أي: كل ما هو غير حكومي، وكل ما هو غير عائلي أو إرثي» [1].

إن هذا المفهوم في تصورنا قاصر ومخادع، ويجب علينا أن نبحث عن أصوله وجذوره في البلاد التي نشأ فيها قبل أن يستورد منها ويصاغ في بلادنا بصورة تجعله مقبولاً.

«المجتمع المدني» مصطلح غامض ومتعدد المعاني، يمكن تطويعه في خدمة عدة أغراض؛ فهو مصطلح قادر على أن يجمع أي شيء بكل شيء، نشأ عبر تطور تاريخي طويل يحمل في طياته فروقاً وتناقضات هي السر في غموضه. وصفه بعض الناس بأنه حساء المتسولين، جمع أعقاب النظريات المختلفة، والحقب الزمانية المتعاقبة، وأنه تسمية جديدة لأحلام قديمة. وأكد بعض آخر أنه ذو تاريخ مشبوه نسي الناس بمرور الزمن أنه مجتمع الأرستقراطية، وأنه قد صيغ لاستبعاد طبقات شعبية معينة، لكنه يُقدم الآن بكثير من الزخرف ليعمِّي بريقُه عن كل ما عداه، وكأنه الحل السحري لجميع مشاكل المجتمع الاقتصادية والاجتماعية وغيرها [2].

ترجع الجذور اللادينية للمفهوم في الغرب إلى (توماس هوبز) الذي رأى فيه تعبيراً عن انتقال مبدأ السيادة من السماء (الحكم بالحق الإلهي) إلى الأرض (الحكم على أساس العقد الاجتماعي)، فأدانته جامعة أكسفورد في عام 1683م؛ لأنه استخلص

كل سلطة مدنية من أصل مجتمعي دنيوي ولم يسندها إلى الحق الإلهي، وجعل هذه السلطة كائناً اصطناعياً أي (إلهاً) من صنع البشر. ويعرِّف (العقد الاجتماعي) بأنه: «تجريد عقلاني مؤسس على الافتراض أن الفرد هو ذات مزودة بأداة حرة، وأن المجتمع عبارة عن تعاقد بين مثل هذه الذوات، وأن شرعية الدولة قائمة على هذا التعاقد وليس على الإرادة السماوية»[3].

أكد الباحثون عن مفهوم المجتمع المدني في دوائر المعارف، أن كلمة (مدني) ترتبط بالمواطن، وأن أهم معانيها: غير إكليريكي أي غير لاهوتي، وبمعنى واضح تماماً: (غير ديني) [4]. أما القانون الذي تسنُّه وتفسره وتطبقه سلطات المجتمع المدني فهو القانون الطبيعي أو قانون العقل. وقوانين الطبيعة عند دعاة المجتمع المدني هي قوانين العقل الأزلية – سبحانه –]. أما (الله) عندهم فهو هذا العقل الذي يسكن القانون الطبيعي [وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواً كَبِيراً (الإسراء: 43). وعمل العقل الأساسي عندهم هو التقدير والحساب الواعي لكيفية الوصول إلى أهداف، أما التزام العقل بنظام كوني للأشياء فهذا ليس من مهامه [5].

استقبل هذا المفهوم في الغرب بالطبول والمزامير، وأصبح سلعة رائجة في الصناعة الأكاديمية بعد أن اهتزت مفاهيم الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية، وبوجه خاص بعد تحدي حركة التضامن العمالية التي ضمت ملايين العمال والمثقفين للنظام في بولندا في نهاية السبعينيات، ولهذا يتحدث الباحثون عما يسمونه بالمجتمع المدني الأول: ذلك المجتمع الذي سعت إليه النخبة الأوروبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والمجتمع المدني الثاني: وهو المجتمع الذي تبنته في الثمانينيات بعض القوى في بلدان أوروبا الشرقية وبخاصة في بولندا و أمريكا اللاتينية ثم العالم العربي [6].

إن مفهوم المجتمع المدني مفهوم غربي مستورد وُلد ونشأ في ظل الصراع السياسي والاجتماعي الذي عرفه المجتمع الأوروبي منذ القرن السابع عشر، وتلازم نشوؤه مع التشكيلة الرأسمالية الغربية، مما يعني أنه مفهوم دخيل على الفكر العربي والإسلامي ولا تاريخ له في هذا الفكر، ولا زال هذا المفهوم كالجنين الذي هو في طور التكوين تختلف تفسيراته وتضطرب وتختلط ويسودها الغموض والضبابية بين المروِّجين له من المثقفين في بلادنا [7] حتى في أشد الدول استهلاكاً له. ولم يتعرف هؤلاء

المثقفون على هذا المفهوم بحد ذاته، وإنما جاء هذا التعرف عبر اهتماماتهم بالأفكار الماركسية المحدثة القادمة من المجتمعات الأوروبية التي نشط فيها هذا المفهوم بعد غفوة طويلة، خاصة بعد أن تأكد لهم عدم مصداقية المفاهيم الماركسية القديمة كالصراع الطبقي وغيرها [8]، وقد تبناه هؤلاء المثقفون باعتباره حجر الزاوية في كل ما يعتقدون أنه تحوُّل ديمقراطي حقيقي في البلاد العربية على حد قولهم. والغريب في الأمر أنهم حاولوا التنقيب عن تماثلات وتشابهات للمفهوم في التراث الإسلامي، فهداهم تفكيرهم إلى تصور أن الجذور الأولى لهذا المفهوم ترجع إلى ما يسمونه بـ « وثيقة المدينة » أو « الصحيفة » التي اعتبروها « دستور المدينة » التي افتتح بها النبي – صلى الله عليه وسلم – إقامته في المدينة بهدف تدعيم ما يسمونه بـ « البناء الداخلي الجديد » الذي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يضع لبناته الأولى في المدينة، وقد بلغت بهم السطحية وكراهية الشريعة أن تصوروا أن هذه الصحيفة تبين أن الإسلام ممثلاً في الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أدار الحكم وشؤون البلاد وفق صيغ وقوانين وضعية؛ ومن ثم فإن نظام الحكم في الإسلام متروك للبشر وفقاً لحاجاتهم وظروفهم والعصر الذي يعيشون فيه [9].

والذي نتصوره هو أن فكرة « المجتمع المدني » التي يُروَّج لها في بلادنا اليوم ليست إلا تقليعة أو موضة جديدة ظهرت في غير أوانها على حد تعبير بشارة أنشئت من أجلها مراكز أبحاث ونشرات إخبارية ودوريات علمية ومؤتمرات وندوات، تبناها مثقفون علمانيون من أصحاب التطلعات الاجتماعية والطموحات الشخصية الذين جرفتهم موضة التيار السائد (المجتمع المدني) دون تفكير في السؤال الهام: لماذا سارع المثقفون الآن إلى تبني هذا المفهوم؟

والجواب في تصورنا للأسباب الآتية:

أولاً: المثقفون نخب مشتغلة بالتنافس على الوكالات؛ فكما توجد حروب على الحصول على الوكالات الأجنبية في الاقتصاد فكذلك يوجد تنافس بين النخب الثقافية على وكالات الأفكار، وبخاصة أن مؤسسات المجتمع المدني يتم تمويلها بأموال المساعدات الغربية؛ فمؤسسات المجتمع المدني تقوم بإرسال أخبار الأوضاع الداخلية للبلاد إلى الخارج، وتراقب الانتخابات في الدوائر العمالية والنقابات، كما

تستفيد من تقارير هذه المؤسسات وخاصة تلك العاملة في مجالات التنمية والصحة والمرأة والأقليات في الاختراق المعرفي، أو ما تسميه (ثناء المصري): اختراق النقاط المنعزلة البعيدة في جسد المجتمع، وإدماج البلاد في السوق الرأسمالي وتدعيم عملية التطبيع مع إسرائيل كما كشفت عن جانب من ذلك أحداث مركز ابن خلدون الأخيرة في مصر. ومما يدعم هذا الرأي أن ثقافة النخبة كما يعترف أصحابها بأنفسهم ليست واقعاً أو حقيقة صلبة إنما هي متغير معرض دائماً ليد المصالح الخفية، وحسابات النظام والقوة [10].

ثانياً: وجد المثقفون أنهم حينما يتحدثون عن المجتمع المدني يتحدثون عن أنفسهم وعن الطبقات الاجتماعية التي يتواصلون معها؛ لأن الإرادة الخاصة لبسطاء الناس لا تنسجم مع الرأي العام الذي يمثله هؤلاء المثقفون ويحاولون عرضه على اعتبار أنه مجتمع مدني، كما أن توافر مستوى معيشي لائق بالجماهير هو شرط لتطور مجتمع مدني كامل، وهذا الهدف مستحيل التطبيق طالما بقيت هذه الجماهير في ظروف أدنى من مستوى الفقر، مما يعني بوضوح أنها مستثناة من المجتمع المدني [11].

ثالثاً: وهو السبب الأكثر أهمية حيث إنه يكمن في أنهم شعروا بشدة الحاجة إلى هذا المفهوم لمواجهة الخطاب الإسلامي. يقول بشارة: « إن ازدياد استخدام المثقفين العرب لمفهوم المجتمع المدني راجع إلى الحاجة لوضع أيديولوجية جديدة بيد خطاب التحديث الفاشل في الوطن العربي في مواجهة الخطاب الإسلامي، ليس الهدف إذن فهماً أفضل لآليات تطور المجتمع المدني، وإنما أداة في مكافحة المد الإسلامي » [12]، ولهذا قام مثقفونا باستحضار المناقشات الدائرة في العالم الغربي منذ ثمانينيات الأزمة البولندية عن دور المجتمع المدني في مواجهة الدولة الشمولية، لعلها تفيدهم في مواجهة المد الإسلامي، ذلك المد الذي حاصر العلمانيين واضطرهم إلى الهروب إلى أنفاق القومية واليسارية، فلم تسعفهم؛ وبدلاً من الاعتراف بالإخفاق راحوا يحسمون المعركة في نفق آخر هو نفق (المجتمع المدني).

ولا زال أهل هذه الشريحة من المثقفين في بلادنا داخل هذا النفق يتمسكون بما يسميه (بشارة) بتقليعة المجتمع المدني، وهم موقنون تماماً بأن المفاهيم المرتبطة بالمجتمع المدني تصطدم تماماً مع قيم المجتمع الإسلامي.

إن المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه المجتمع المدني هو الفرد الجزئي وعليه يصبح المجتمع المدني تركيبة من أعضاء مستقلين لكل منهم نظرة خاصة للأشياء ويعمل أساساً من أجل غاياته الخاصة، وينظم الإنسان حياته في المجتمع المدني ليس على الروابط العائلية وقدسية البنى الاجتماعية وإنما على المصالح الخاصة، أي على كسر علاقات التعاطف وأصل العائلة، فتكون النتيجة هي قيام مصالح جزئية متنافرة ليس بينها لغة مشتركة [13]. ويسوّغ دعاة المجتمع المدني ذلك بالقول: بأن الجزئي هو نفسه الكلي وأن المصلحة الذاتية للفرد هي نفسها مبدأ مشترك يصهر الناس جميعاً في بوتقة واحدة [14].

ومن أهم مقومات المجتمع المدني مبدأ الحرية الفردية والمواطنة القومية، ويتضمن مفهوم المواطنة القضاء على كل الانتماءات القديمة دينية كانت أم غير ذلك، كما يتأسس على حق المواطنة حرية المعتقد، وفصل الدين عن الدولة، وحرية الرأي والتعبير مهما كان مخالفاً لانتماءات غالبية الناس العقدية؛ فعلى كل إنسان أن يسوي أموره مع (الله) بطريقته الخاصة. وفي هذا المجتمع تختفي مفاهيم الفرد المؤمن، وغير المؤمن والرجل والمرأة، والحر والعبد، وتستبدل جميعها بمفهوم الفرد المواطن [15].

أما العلمانية فهي مفهوم لا ينفصل كلية عن المجتمع المدني؛ بحيث يصعب الحديث جدياً عن قضايا المجتمع المدني دون تناول العلمانية ليس باعتبارها جزءاً من منظومات المفاهيم التي تشكل حقل هذا المجتمع المدني وفضاءه، بل لأنها تشكل الجذر الذي تنحدر تحته كل القضايا المرتبطة به [16]. ويقر العلمانيون بأن العلمانية في بلادنا لا تمتلك ولا تستهدف بناء مشروعها الخاص بقدر ما تعبر عن رفض ما يسمونه بالتصور السلفي الديني، وعن الارتباط الوثيق بين المجتمع المدني والعلمانية. يقول محمد كامل الخطيب: « فالعلمانية تبدو اليوم أكثر من أي وقت مضى سبيلاً مفتوحاً، وربما جيداً لإنقاذ المجتمع العربي من تفتته وتخلفه وربما تبعيته

سواء للماضي أو للحاضر الأمريكي الأوروبي، والمجتمع المدني هو القادر على أن يكون متماسكاً وعادلاً، وفي هذا تعلن العلمانية أنها لم تخفق؛ لأن في إخفاقها الموت الحضاري وربما الوجودي لهذا المجتمع، ولأن في إخفاقها العودة إلى مجتمع الملل والطوائف » كما يرتبط مفهوم المجتمع المدني بمفهوم الديمقراطية التي لا انفصال بينها وبين العلمانية في المجتمع المدني؛ بحيث لا يمكن الدفاع عن الديمقراطية كما يقول كمال عبد اللطيف بدون الدفاع عن العلمانية، وكما يقول ناصيف نصار: « الدفاع عن الفلسفة الديمقراطية يكون دفاعاً ناقصاً أو مبتوراً إذا أسقط من الحساب قضية العلمانية » [17]؛ فالديمقراطية تقوم على مبدأ السلطة التعاقدية وتقول بالاختيار العلماني. وتبين مقولة صريحة لعزيز العظمة كيف نستغل الديمقراطية لنبذ الدين يقول العظمة: « إنه لا امتلاك لأسس الديمقراطية إلا بانفكاك الفكر والحياة عن الارتهان للمطلق، والتخلي عن محاولات إدغام المستقبل بالماضي، وترجمة مبادئ ومفاهيم الحاضر المعاصر إلى لغة تنتمي إلى سياق تاريخي تام الاختلاف » [18].

يرى العلمانيون أن التمسك بالعقيدة (تعصب) يؤثر سلبياً على العلاقات داخل المجتمع المدني الذي يفترض التعدد والتنوع وحتى الاختلاف في مقوماته، ويقولون: « التعصب في جوهره نفي للآخر وإقصاء لرأيه وصوته، وتمركز حول العقيدة أو الأيديولوجيا والذات يمنع صاحبه من امتلاك أي تصور من الحقيقة يقع خارجه، وهو يفترض أحادية الحقيقة والانفراد بامتلاكها، كما يفترض تقديم إجابات جاهزة على الأسئلة المطروحة والإشكاليات القائمة. والتعصب بهذا المعنى يقتل الحافز للبحث والتفتيش عن إجابات جديدة أو حتى لصياغة الأسئلة القديمة بأشكال مبتكرة، أي أنه يساهم في تكريس السائد والمعروف والتقليدي، ويصادر على المختلف والمغيب والمبتكر » [19]. وهذه العبارات تشير بشكل أو بآخر إلى رفضهم التمسك بالعقيدة؛ لأن هذا التمسك الذي يسمونه (تعصباً) لن يسمح بأي اختراق لتصوراتهم وأفكارهم التي من شأنها التأثير على البناء العقدي للمجتمع.

وكما لا تنفصل العلمانية عن الديمقراطية في المجتمع المدني فإنها لا تنفصل كذلك عن (العقلانية)؛ فجميع هذه المفاهيم دروع مهمتها الأساسية الحيلولة دون اختراق

العقيدة لبناء المجتمع المدني الجديد. وعن العقلانية وارتباطها بالمجتمع المدني ومقاومتهما للعقيدة يقول دعاة المجتمع المدني إن العقلانية هي: « تحرير العقل من المسبقات والأوهام والمطلق؛ فالعلمانية إذ تقيم سلطة العقل إنما تعلن نسبية الحقيقة وتاريخيتها وتغيرها، بل وإمكانات تجاوزها لفتح آفاق وإمكانيات للمعرفة الموضوعية عبر الانتقال من الأيديولوجيا إلى العلم ومن التبرير إلى التفسير » [20].

والذي يهمنا هنا هو أن دعاة المجتمع المدني قد انتهوا إلى حقيقة هامة أوردها طيب تيزيني على لسانأبو حلاوة اعتبرها جماع القول في مسألة المجتمع المدني مؤداها: «لا يحسبن أحد أن المجتمع المدني هو الحل الناجز لكل القضايا والمشكلات التي تعيشها المجتمعات المعاصرة ومنها مجتمعنا العربي، وهو ليس مفهوماً خلاصياً أو وصفة يمكن تعاطيها وتداولها من تجاوز الراهن المأزوم إلى مستقبل، إنه بصيغة أدق: حقل للتنافس وفضاء للصراع، وميدان لعمل القوى الاجتماعية ذات المصالح والرؤى والمواقف المختلفة بل والمتناقضة» [21].

والسؤال الآن: إذا لم يكن في المجتمع المدني الحل الناجز لكل قضايانا ومشاكلنا التي نعيشها، ونظرنا إلى العقيدة على أنها أوهام ومسبقات وارتهان للمطلق ورفضنا ربط الحاضر بالماضي فأين يكون الحل إذن؟

وإذا كان المجتمع المدني حقلاً للتنافس والصراع، وميداناً لعمل القوى المتعارضة ذات المصالح والرؤى المتباينة، والكل يعمل فيه من أجل غاياته الخاصة ولا قدسية فيه للروابط العائلية والاجتماعية؛ فأين ومتى تتحقق وحدة المجتمع وتماسكه؟

---

(1) تطور المجتمع المدني في مصر، أماني قنديل، عالم الفكر، المجلد 27، العدد: 3، ص97.

(2) تمويل وتطبيع، قصة الجمعيات الأهلية غير الحكومية، ثناء المصري، سينا للنشر، 1998م، ص 165.

(3) المجتمع المدني، بشارة عزمي، دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص 245.

(4) المصدر السابق، ص 69.

(5) المصدر السابق، ص 128.

(6) المجتمع المدني بين النظرية والممارسة، الحبيب الجنحاني، عالم الفكر، المجلد 27، العدد (3)، يناير مارس 1999م، ص 33.

(7) المثقفون العرب، من سلطة الدولة إلى المجتمع المدني، بو علي ياسين، عالم الفكر، العدد السابق، ص 45.

(8) إشكالية المجتمع المدني، النشأة، التطوير، التجليات، كريم أبو حلاوة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى 1998م، ص 6.

(9) المصدر السابق، ص 107.

(10) المجتمع المدني، بشارة عزمي، دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص238 و 287.

(11) المصدر السابق، ص 121.

(12) المصدر السابق، ص 271.

(13) المجتمع المدني، بشارة عزمي، دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص 139.

(14) إشكالية المجتمع المدني، النشأة، التطوير، التجليات، كريم أبو حلاوة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى 1998م، ص 64.

(15) المصدر السابق، ص 30.

(16) المصدر السابق، ص 12.

(17) المصدر السابق، ص120.

(18) المصدر السابق، ص 129.

(19) المصدر السابق، ص 115.

(20) المصدر السابق، ص 149.

(21) المصدر السابق، ص 8.

المصدر: http://www.alkashf.net

===========

#الصين.. العملاق الاقتصادي القادم

معمر الخليل

1426/2/9هـ

تعد الصين واليابان والولايات المتحدة من أسرع ثلاث اقتصاديات منتجة في العالم.

إلا أن الصين تعد – اقتصادياً – الأسرع نمواً من بين تلك الدول، إذ حافظت خلال العقدين الماضيين على متوسط نمو قدره 9.5% في العام الواحد.

وفيما بدأت الديون المالية والمشاكل الاقتصادية ترهقان اقتصاد الولايات المتحدة واليابان؛ تبدو الصين متجهة بقوة لأن تحتل مكانة متقدمة عالمياً في مراكز الاقتصاد، قد تجعلها تتبوأ المركز الأول خلال السنوات القادمة.

فالصين اليوم تعد سادس أكبر اقتصاد في العالم (الولايات المتحدة أولها، تليها اليابان)، وهي ثالث أكبر شريك تجاري مع الولايات المتحدة بعد كندا والمكسيك.

إلا أنه وطبقاً لإحصائيات ودراسات من قبل وكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) فإن الصين عملياً تعد ثاني أكبر اقتصاد في العالم، نسبة إلى أساس معادلة القوة الشرائية، وهو يتعلق بما تنتجه الصين في الواقع بدلاً من المضاربات بأسعار العملات وأسعار الدولار.

وبحسب إحصاءات الـ(CIA) فإن إجمالي الدخل المحلي للولايات المتحدة يتم احتسابه عبر حساب القيمة الكلية لجميع الخدمات والسلع التي أنتجتها الولايات المتحدة خلال عام واحد، وبناء عليه فإن أكبر اقتصاد في العالم هو الولايات المتحدة بواقع 10.4 ترليون دولار، وثاني أكبر اقتصاد في العالم هو الصين بواقع 5.7 ترليون دولار.

وهذا يعني أن إجمالي الدخل لـ1.3 بليون شخص في الصين يعادل 4385 دولاراً للفرد الواحد.

مخاوف أمريكية من الاقتصاد الصيني:

خلال الأعوام بين 1992 – 2003م كانت اليابان تعد أكبر شريك تجاري مع الصين، إلا أن اليابان تراجعت إلى المركز الثالث بعد الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة خلال العام 2004م.

وقد وصل حجم تجارة الصين خلال عام 2004م إلى 1.2 ترليون دولار، وهو يعد ثالث أضخم تجارة اقتصادية في العالم بعد الولايات المتحدة وألمانيا، محتلاً مركزاً متقدماً أمام اليابان التي بلغ حجم تجارتها العالمية مبلغ 1.07 ترليون دولار، واحتل التبادل التجاري للصين مع الولايات المتحدة نسبة 34% من حجم التجارة الصينية عام 2004م، محولة شواطئ لوس أنجلوس بكاليفورنيا وشواطئ أوكلاند خلية عمل للتبادل التجاري الصيني.

وأبرز ما شهده عام 2004م في التجارة الصينية هو بروز الاتحاد الأوروبي كأكبر شريك اقتصادي مع الصين، حيث برز ككتلة اقتصادية مقابل الكتلة الأمريكية اليابانية، وفق ما ترى صحيفة الفايننشال تايمز الأمريكية، التي تؤكد أن الصين التي دخلت منظمة التجارة العالمية قبل 3 سنوات فقط (عام 2001م) لم يعد نفوذها هاماً بل حاسماً في كثير من الأمور، مشيرة إلى أن معظم الكومبيوترات المباعة في الولايات المتحدة مصنوعة في الصين، بالإضافة لملايين مشغلات الأقراص الـ(DVD) والتلفزيونات وغيرها.

وحسب الإحصاءات الرقمية لحجم التجارة الصينية مع دول العالم فقد بلغت عام 2004م، (177.2) بليون دولار مع الاتحاد الأوروبي، و(169.6) بليون دولار مع أمريكا، و(167.8) مع اليابان.

دول العالم الاقتصادية تدرك تنامي الثقل الاقتصادي للصين في العالم، إلا أن الولايات المتحدة واليابان تنظران بعين القلق نحو معدلات النمو الاقتصادية وأثرها على توازن القوى العالمية.

وحسب توقعات وكالة الاستخبارات الأمريكية فإن إجمالي حجم الناتج القومي الصيني سوف يعادل الناتج القومي لليابان في عام 2009م، وسيقفز إلى معدلات تساوي ضعف الناتج القومي الألماني خلال عام 2017م، وسيواصل صعوده نحو معدلات الناتج القومي الأمريكي عام 2042م.

إلا أن (نائب الرئيس السابق لقسم البنك الدولي للصين) جافيد بركي يتوقع أنه خلال العام 2025م سيصل الناتج القومي الصيني مبلغ 25 ترليون دولار، وبالتالي

سيصبح أكبر اقتصاد في العالم، متقدماً على الاقتصاد الأمريكي البالغ (20 ترليون دولار)، والهند (13 ترليون دولار).

وتأتي توقعات بركي على أساس احتفاظ الاقتصاد الصيني بنسبة نمو سنوية تقدر بـ6% خلال العقدين القادمين.

توقعات بنمو صيني وتدهور ياباني:

وحسب توقعات بركي التي نشر جزءاً منها مجلة (آسيا تايمز)؛ فإن الاقتصاد الياباني سوف يعاني من تدهور حتمي، بسبب انكماش أعداد اليابانيين ابتداءً من عام 2010م، إذ طبقاً لتقارير وزارة الشؤون الداخلية اليابانية فإن عدد الرجال في اليابان هبط بنسبة 0.01% خلال عام 2004م، وبناءً عليه فإن خبراء الإحصاء يتوقعون أنه بنهاية القرن الحالي سيكون عدد سكان اليابان قد هبط إلى الثلثين.

وعلى عكس ذلك فإن أعداد الصينيين سوف تستقر عند 1.4 بليون نسمة خلال السنوات القادمة.

وتشير صحيفة النيويورك تايمز إلى أن السياسة الحكومية الصينية التي تطبق في مناطق واسعة من الصين تحتم على أي عائلة عدم إنجاب أكثر من ابن واحد، وأنه حسب الإحصاءات الصينية فإن نسبة الذكور إلى الإناث في الصين بلغت 129 ذكراً لكل 100 بنت، وترتفع هذه النسبة إلى 147 ذكراً لكل 100 بنت لدى العائلات التي تنجب طفلاً ثانياً أو ثالثاً.

لذلك فإن النمو الاقتصادي المحلي للصين من المتوقع له أن يستمر في التقدم، خاصة وأن الصين لا تعاني من ديون خارجية، على عكس الولايات المتحدة واليابان اللتين تقيدهما ديون كبيرة خلال المدة القادمة.

كما يوجد آلاف الشركات الصغيرة التي تقوم بإنتاج ملايين القطع والسلع والبضائع، يتم بيعها في أسواق عائلية، دون أن تسجّل في الإحصاءات الرسمية الصينية.

كما تعاني الولايات المتحدة من تزايد حجم الإنفاق الحكومي والعسكري (خاصة بعد احتلال أفغانستان والعراق)، كما تؤدي أي مشكلة تعاني منها دول جنوب شرق آسيا (التي ترتبط عملاتها بالدولار) إلى تفاقم مشكلة الدولار الذي هبط إلى مستويات متدنية خلال المدة الماضية.

ورغم أن اليابان تمتلك أكبر احتياطي من العملات الأجنبية في العالم، تقدر بنحو (841 بليون دولار) إلا أن الصين بدأت تمتلك (609.9 بليون دولار) منذ مطلع عام 2004م بسبب الفائض التجاري مع الولايات المتحدة، وإذا استمر الوضع كذلك فإنه وخلال زمن بسيط ستكون الصين أكبر دولة تمتلك احتياطياً من العملات الخارجية في العالم.

يقول الصحفي الأميركي "جيمس إف. هوج" في مقال سابق له:" إن وضع الصين لا ينتهي عند هذا الحد، فاقتصاد الصين (التي تلعب دوراً بارزاً في الاقتصاد الدولي) يرتبط على نحو وثيق بالنظام الدولي العالمي، فالصين ما هي إلا قاطرة تقود اقتصادات الدول الآسيوية المتعافية من أزمة التسعينيات"، ويتابع هوج بالقول: " لقد أصبحت اليابان على سبيل المثال المستفيد الأول من تنامي اقتصاد الصين، وتدل إحصاءاتها الاقتصادية على ذلك، فتشير الأرقام الرسمية الأخيرة إلى أن معدل الدخل القومي الحقيقي كان قد زاد بمعدل 6.4 % في الربع الأخير من العام 2003م، وهو المعدّل الأعلى منذ العام 1990م، وقد خرجت اليابان – بفضل الصين – من عقد التوعّك الاقتصادي الذي مرّت وما زالت تمر به، إلا أن جدوى هذا مرهون بمدى صمود اقتصاد الصين".

ومن ناحية أخرى فإن الصين تعد من أوائل الدول التي تتمتع بوجود استثمارات أجنبية لديها، بلغت في المتوسط 35 بليون دولار في العام، وهي نسبة أعلى بكثير من أي دولة أخرى.

صعوبات محتملة:

رغم ما يحققه الاقتصاد الصيني من انتعاش مستمر إلا أن بعض الخبراء يرون أن الأرقام السابقة لا تعني أن الاقتصاد الصيني لا يعاني من عقبات أو صعوبات، أو أنه يسير في طريق سهل ويسير.

حيث يواجه الاقتصاد الصيني بعض العقبات التي تؤثر سلباً على نمو اقتصاده إلى حد ما، والتي تتمثل في ارتفاع أسعار النفط نظراً لزيادة الطلب الصيني عليه بشدة خلال العام الماضي 2004م، إضافة إلى أن الصين تمثل ربع الطلب العالمي على النحاس والألومنيوم والزنك، حيث أشادت شركات المعادن بالنتائج الإيجابية التي

سجّلتها بفضل ارتفاع الطلب الصيني على هذه المعادن، وسط ضعف شديد في الطلب من جانب الأسواق الغربية.

وتشير الإحصاءات إلى نمو سريع في العلاقات بين كل من الصين وإفريقيا، موضحة كم الاستفادة التي جنتها دول هذه القارة من شراكتها مع الاقتصاد القوي.

وفي المقابل تأتي التجارة البريطانية لتسجل نتائج ضعيفة، حيث قُدّرت قيمة صادراتها العام الماضي بأقل من 2.4 مليار إسترليني، أي بنسبة 1.2%، ووارداتها بأكثر من عشرة مليارات إسترليني، مما أسفر عن عجز يُقدّر بثمانية مليارات إسترليني.

كذلك فإن الأمور السياسية التي باتت تدفع إلى التوتر بالعلاقة الصينية مع تايوان أصبحت تشكل مخاطر محتملة على الصين، كما تواجه الصين دولة أخرى يتوقع أن تبلغ معدلات النمو فيها حداً يقودها إلى تبوأ المنصب الأول عالمياً من حيث حجم الناتج المحلي وهي الهند.

إذ تستمر الهند في تحقيق معدل اقتصادي تصاعدي يقترب من نسبة 8% سنوياً، وهو ما يشير إلى إمكانية أن تحقق الهند قفزات تنافسية مع الصين خلال السنوات القادمة.

المصدر :

3http://www.almoslim.net/figh_wagi
576/show_report_main.cfm?id=

============

#عن العولمة

إدواردو غاليانو *

ترجمة: هشام الميلوي

ليست العولمة ظاهرة جديدة، بل إنها نزوع أتانا من بعيد غير أنه في السنوات الأخيرة بدأ إيقاعها يتسارع كثيراً نتيجةً للتقدم الهائل الذي عرفته وسائل الاتصال والتواصل، وكذلك للتطور المماثل الذي شهده تركيز رأس المال على المستوى الدولي والعالمي. لكن ومع ذلك ليس من المناسب الخلط بين العولمة والعالمية، فإحداهما

تأكيد لكونية الشرط الإنساني، تأكيد للعواطف، المخاوف، الحاجات والأحلام. أما الأخرى فهي أكثر اختلافاً وتشبه ممحاة للحدود من أجل حرية رأس المال. فالأولى تعني حرية تنقل الأشخاص، والأخرى ترمي إلى حرية تنقل الأموال وهو ما يمكن ملاحظته بوضوح في الحدود الفاصلة بين المكسيك والولايات المتحدة، والتي تم شطبها افتراضياً أمام رؤوس الأموال والبضائع، ولكن في المقابل أقامت حائط برلين مجدداً أو سور الصين أمام تنقل الأشخاص.

حق تقرير المصير في الطعام

إن العلامة المميزة للعولمة هي عملية النفي المستمر التي تخضع لها الشركات، فماكدونالدز مثلاً تفتح خمس مطاعم جديدة يومياً في العالم، وكان سقوط الروس أمام زحف ماكدونالدز في الساحة الحمراء بموسكو، عندما ذاب الستار المسمى بالحديدي؛ إيذاناً بأن الماكدنة الكونية فرضت أيضاً طعاماً من لدائن بلاستيكية في الجهات الأربع من المعمور، لكن في الوقت ذاته كان ظهور الماكدونالدز بمثابة شرخ وجرح مفتوح في جسم أحد الحقوق الأساسية للإنسان: حق تقرير المصير في الطعام. فالبطن وعاء الروح وبابه الفم، قل لي كيف تأكل أقل لك من أنت، الطعام هو طريقة الأكل، وطريقة الطبخ هي أحد معالم الهوية الثقافية المهمة، لا يهم الكمية التي تأكل، فالطريقة أهم أيضاً لدى الشعوب الفقيرة التي تأكل قليلاً أو لا شيء تقريباً، لكنهم يحتفظون بتقاليدهم عندما يتحول هذا القليل من الأكل إلى نوع من الطقوس اليومية.

ضد التنميط:

أفضل ما في هذا العالم، هو عدد العوالم التي يحتوي عليها. هذا التعدد الثقافي والذي يعد إرثاً للإنسانية يعبر عن نفسه من خلال طريقة الأكل والتفكير، الإحساس، الكلام، والرقص والغناء، يهدده نزوع واتجاه متسارع نحو تنميط وتوحيد العادات، لكنها تواجه في الوقت ذاته ردات فعل في اتجاه الاختلاف بجهد أبدي خارق. إن تحقيق الاختلاف الثقافي والاجتماعي والحفاظ عليه هو ما يمنح الإنسانية وجهاً واحداً بل أوجهاً متعددة في الوقت نفسه. وأمام هذا الهجوم من المجانسة ظهرت ردود

فعل مناسبة وملائمة وأخرى مجنونة أتت من التعصب الديني وأشكال أخرى من محاولات فرض الهوية اليائسة.

أقول: ليس مفروضاً علينا ولا هو بقدر محتوم أن نعيش في عالم لا نملك فيه سوى خيارين اثنين: الموت جوعاً أو الموت ضجراً.

الهوية تتحرك:

الهوية الثقافية ليست مزهرية ساكنة في إحدى واجهات المتاحف، بل على العكس تماماً فهي في حركة دائمة وتغير مستمر وتتحدى واقعاً ديناميكياً. فأنا هو أنا، لكن أنا أيضاً هو ما أقوم به من تغير لكي أصبح أنا. فكما في النقاء العرقي لا وجود للنقاء الثقافي، ولحسن الحظ كلاهما يختلط بأشياء خارجية. إن ما يميز ويعرف إنتاجاً ثقافياً ما .كتاب، الرقص أو حتى طريقة لعب كرة القدم .ليس في أصله بل في مضمونه، المشروب الكوبي المعروف لا يحتوي في عناصره المكونة على أي عنصر داخل كوبا، الشراب البارد والسكر كما الليمون من جزر الكاناريا، ومع ذلك فالمشروب هو كوبي والفطائر الأندلسية عربية الأصل، والعجائن الإيطالية أتت من الصين، ليس هناك شيء يأخذ قيمته من أصله. المهم ما تفعله به وما تضمنه والمقياس الذي تستعمله كل جماعة من أجل تمثل هويتها في رمز من الرموز وفي طريقة العيش واللعب والغناء والحب.

وهذا هو الأجمل في العالم، اندماج مستمر يمنحنا إجابات جديدة لتحديات جديدة، لكن وكما أسلفت هناك اتجاه شك فيه – نتيجة العولمة المفروضة– نحو التنميط على مستوى كبير من خلال تركز السلطة بيد وسائل الاتصال المهيمنة.

آمال الإنترنت ووسائل الاتصال:

ألم يتقلص الحق في التعبير –المعترف به في كل الدساتير– إلى الحق في الاستماع فقط؟ والأمر كذلك بالنسبة للحق في الكلام؟ لكن كم عدد الذين لهم الحق في الكلام؟ تجب معالجة هذه الأسئلة بعمق بفضل >حزوم< التعدد الثقافي.

إن الفضاءات المستقلة في عالم الاتصال، قد تقلصت مساحاتها بشكل كبير. إن الوسائل المهيمنة اليوم على الإعلام هي تلك التي لا تفرض فقط المعلومة والخبر

الملفق، وإنما تفرض رؤية وحيدة للعالم، كيف يمكن تحويل وتقليص ملايين العيون إلى عينين فقط لوجه واحد مهيمن على العالم.

إن انطلاقة الإنترنت التي بدأت وعداً جديداً للقرن الحادي والعشرين، هي إحدى التناقضات التي تغذي الآمال. لقد ولدت شبكة الإنترنت من ضرورة ربط العالم بالمخططات العسكرية أي إنها جاءت لخدمة الحرب والموت، واليوم تشكل مجمعاً للأصوات التي لم تكن تجد من قبل مكاناً للتعبير والانتشار، واليوم يمتلكون شبكات ووسائل للاتصال، لكنها تخدم التجارة العالمية والتضليل أيضاً، وقد فتحت آفاقاً أوسع من دون شك وأكثر حرية، استفاد منها الإعلام المستقل الذي لم يجد إلا أبواباً مقفلة في الوسائل الأخرى كالتلفزيون والصحافة.

الأهداف والوسائل:

في اليونان القديمة كانوا يدينون بشدة القتل بالسكين والمقصلة. فعندما كانت تحدث جريمة، كان الناس يرمون بالسكين في النهر، واليوم نعلم أن هناك الوسائل من جهة، والأهداف التي تتناسب مع هذه الوسائل من جهة أخرى. ففي العالم المأساة هي فرض التلفزيون التجاري والنموذج الأمريكي كألمانيا، الدانمارك وهولندا. فلقد اكتملت مهمة التلفزيون الموجه لأهداف مختلفة تماماً على قاعدة الملك العمومي والمنفعة العامة، وفي المقابل هنا تم فرض النموذج الأمريكي للتلفزيون التجاري حيث كل ما يباع جيد وما لا يباع هو سيئ؟

معركة السكان الأصليين:

واحد من أهم الأسرار العضلية وإحدى أكبر مصادر الطاقة لهذه الأراضي هم أناسها. إن استعادة قوة حركات السكان الأصليين وحيوية القيم التي يتمثلونها تأتي من قيمة أساسية هي قيمة التوحد مع الطبيعة، وهي رمز لقيم جماعية لحياة مشتركة غير متمركزة حول الجشع، قيم أتت من الماضي لكنها تتحدث مع الطبيعة ولديها الكثير لتقوله للإنسانية. واليوم تجد لها صدى واسعاً لأنها هي ما تحتاجه الإنسانية لإسعادها اليوم، في عالم أواصر التكافل جرحت وانقطعت بشكل فظيع، وعالم متمركز حول الذات وقيم >لينجو من يستطيع<، و>كل مسؤول عن نفسه.

عن الإنسان والأرض:

على مدى خمسة قرون، تم ترويض أمريكا اللاتينية على عزل الإنسان عن الطبيعة، والإنسان هنا هو المرأة والرجل، الطبيعة من جهة والشخصية الإنسانية من جهة أخرى، العالم كله عرف وشهد الطلاق نفسه.

الكثير من السكان الأصليين الذين تم حرقهم أحياء بتهمة ذنب عبادة الأوثان، لم يكونوا أكثر من أخصائيي علم بيئة، والذين طبقوا علم البيئة هذا الوحيد المحترم في نظري، علم بيئة يوحد بين الإنسان والطبيعة، الوحدة بين الطبيعة والروح الجماعية، هما المفتاحان اللذان يفسران سر استمرار القيم الأصلية التقليدية على رغم خمسة قرون من الاضطهاد والازدراء.

على مر القرون، صُوِّرت الطبيعة دائماً على أنها حيوان غريب وغادر يجب ترويضه، واليوم حيث أصبحنا جميعاً من الخضر بفعل حملة دعائية إشهارية مبنية على الأقوال لا الأفعال، حَوَّلنا الطبيعة إلى شيء يجب حمايته، لكن ظلت هذه الطبيعة مفارقة لنا على أية حال، و مازالت موضوعاً للسيطرة وجني الأرباح.

أصبح من الضروري استدعاء إحساس السكان الأصليين من أجل إعادة التوحد مع الطبيعة، الطبيعة ليست منظراً ريفياً خلاباً بل هي نحن والمكان الذي نعيش فيه، ولا أعني بالطبيعة فقط الغابات وإنما ذلك التصور المفتوح لها والذي امتلكه السكان الأصليون الأمريكيون، وهي مقدسة لأن هنالك إحساس بسرعة ردة فعلها وانقلاب أي عمل أو جريمة بحقها علينا، وإن كانت هذه الجرائم تتحول إلى انتحارات جماعية، وهو ما نشاهده في المدن الكبرى لأمريكا اللاتينية، النسخ السيئة لمدن العالم المتقدم حيث يصعب التجوال والتنفس.

إننا نعيش اليوم في عالم هواؤه مسموم، ماؤه مسموم وأرضه مسمومة، وفوق هذا كله، الروح أيضا تسممت، ليتنا نستطيع استرجاع طاقتنا للعلاج.

الذاكرة منجنيقاً:

كنت دائم التساؤل خاصة أيام وليالي الحرب والحب: هل ستسعفنا الذاكرة بأن نظل سعداء؟ إلى الآن لم أحصل على إجابة شافية. تحكي رواية لكاتبة أمريكية عن جد التقى بحفيده وكان الجد فاقداً للذاكرة، وأخذت أفكاره لون الماء، كما إن الحفيد ولد حديثاً وبالتالي فلا ذاكرة له أيضاً، عندما قرأت الرواية قلت: هذه هي السعادة

الكاملة، لكنني لا أريدها بهذه الطريقة. أريد سعادة تنبثق من الذاكرة لأحارب بها سعادة تأتي من التجارب. لا أتصور الذاكرة مرساةً حديديةً أو منجنيقاً يرمي باللهب النارية، ليست ذاكرة خط الوصول وإنما الذاكرة بوصفها نقطة انطلاق.

هناك تقليد أصيل في أمريكا اللاتينية في جزر المحيط الهادي، وفي كندا والمناطق الأخرى كشياباس في المكسيك، مفاده أن الحرفي الذي يوشك على التقاعد بسبب الأيدي التي بدأت ترتجف والعيون التي لم تعد ترى إلا قليلاً، يقوم بتسليم أروع إناء خزفي له في طقوس تشبه المراسيم الدينية للمهني المبتدئ الذي يعيد بدوره ثقبها وإعادة صنعها قبل وضعها في ورشته الخاصة، هذه هي الذاكرة التي أؤمن بها حقاً.

صورة ذاتية:

كل كتاباتي صعبة، ومن الصعب القول إنها خيال. ما يعجبني هو السرد. أشعر بأني راوٍ، أتلقى وآخذ لأعطي. هناك ذهاب وإياب. أسمع صوتاً وأحوله إلى أصوات متعددة عبر فعل الإبداع في شكل رواية وفي كتب تجمع ما بين كل الأساليب والأجناس، أحاول خلق جنس مركب غير التصنيفات التقليدية يجمع بين النص، الرواية، الشعر، السرد اليومي، أحاول طرح رسالة كاملة لاعتقادي بأن هذا التركيب يعبر عن اللغة الإنسانية.

لا حدود فاصلة بين الصحافة والأدب. الأدب مجموعة من الرسائل التي ينتجها مجتمع ما في شكل معين. الصحفي المتمرس يستطيع أن يبلغ مستوى رفيعاً من الأدب، كما يتبين ذلك في العديد من الأمثلة كخوصي هارفي وكارلوس كيخاتو وردوولفو والش.

كنت دائماً أرى نفسي صحفياً ولست مستعداً للتخلي عن المهنة، لأنه عندما يدخل المرء في العالم العجيب للتحرير لا يستطيع أحد إخراجه منه، فالصحافة لها فضائلها وميزاتها: تعامل الاختصار. وترغمك على التركيب وهو أمر مهم لشخص يود كتابة ركام من الأشياء. ترغمك على الخروج من عالمك الصغير إلى الواقع الرحب لترقص رقصة الآخرين وتستمع لهم، كما إن لها مساوئ: فالأولوية للسرعة دائماً وفي أحيان كثيرة أذهب طويلاً مع كلمة أو عبارة وأمضي ثلاث ساعات بحثاً عن أخرى، وهذا ترف لا تستطيع الصحافة منحه لي.

عن الحلم واليقظة:

هدفي هو محاولة إخراج الواقع المقنع الذي نراه ولا نستطيع فهمه في الوقت نفسه. إنه واقع اليقظة والحلم، واقع كاذب وأحياناً كذَّاب. وأيضاً حامل لحقائق عدة نادراً ما يلتفت إليها. ليست هناك وصفة سحرية لتغيير هذا الواقع. ولتغييره يجب أن نتعلم أولاً طرق تحمله، وهذا هو المشكل. فنحن عميان لأننا تعودنا أن نرى بعيون الآخرين دائماً، لقد حولتنا مرآة العولمة إلى بقعة زئبق. مجرد بقعة.

عن كرة القدم:

الكل يولد في هذا البلد وهو يصيح: هدف. ولهذا هناك دائماً ضجيج في دور الولادة. أردت في الماضي أن أصبح لاعب كرة القدم كما هو شأن كل الأطفال في الأورغواي، لعبت في الثامنة من العمر وكنت لاعباً سيئاً لاصطدامي بحظي العاثر، فأنا والكرة لم نستطع التفاهم. كانت هناك حالة حب من طرف واحد، وأيضاً مأساة من جانب آخر، عندما يقوم أحد المنافسين بحركة جميلة كنت أهنئه وهو ذنب لا يغتفر في قواعد كرة القدم الحديثة والمعولمة.

الهوامش:

* يُعَدُّ الكاتب إدواردو غاليانو من الأورغواي أحد أبرز الأصوات المضادة للتيار العام والسائد بأمريكا الشمالية خاصة كما يحلو للاتينيين تسمية الولايات المتحدة به حتى لا يصادر حقهم في قارة يتم غالباً اختزالها في الولايات المتحدة، وله العديد من الأعمال المترجمة سواء الأدبية منها أو السياسية، نذكر منها: العروق المفتوحة لأمريكا اللاتينية (1971)، ثلاثية ذاكرة النار (1982)، وقد حصل كتابه هذا على جائزة الكتاب من جامعة واشنطن سنة 1989 ومن وزارة الثقافة بالأورغواي، كما يساند إدواردو غاليانو الحركات المناهضة للعولمة بحضوره الفكري ومشاركته في مجلات عالمية وجرائد مثل لوموند ديبلوماتيك.

المصدر: http://d33938.u27.com.hostingangle.

=============

#المستقبل وأمريكا

محمد العبدة

1426/1/2

الكتابة عن أمريكا ضرورية في هذه الأيام، ليس لأنها دولة كبرى يحسب لها ألف حساب، بل لأنها تحولت إلى دولة نهّابة، وحولت العالم إلى بؤر في النزاعات والمشاكل، دولة تريد استعمار الزمن أي استعمار المستقبل – كما يصفها الكاتب المكسيكي (اوكتافيو باز)-؛ لأنها أمة ليست قائمة على التاريخ كما هو حال الأمم الأخرى، أي ليس لها ماض تعتز به، وبعض الناس في بلادنا يرون أن كثرة الحديث عن أمريكا هو في باب (نظرية المؤامرة)، أو هو كلام عاطفي حماسي، ولكن الواقع يفرض نفسه وهو غير ما يعترضون، فهيمنة أمريكا وحبها للسيطرة أصبح واضحاً.

شيء من أصول العقل الأمريكي:

1- تشكل مقولة: الصراع والبقاء للأقوى أحد أعمدة التصور الأمريكي لعلاقة الإنسان بالإنسان، ولكن في حالات مؤقتة يمكن أن يتنازل الأمريكي إلى مبدأ (المصالح المتبادلة)، ومبدأ البقاء للأقوى مأخوذ من نظرية (دارون) البيولوجية، ولكنهم جعلوها دارونية اجتماعية، فالناس الذين يهلكون في الحروب هم الضعفاء، وهم عناصر التخلف، والمنتصرون هم الأصلح للتقدم، "ونتيجة لشيوع هذا المبدأ صارت القوة عند الأمريكي جمالاً وزينة، وهو معجب بالأقوياء إلى درجة تعميه عن قيمة العدل والإنسانية، وهذا ما يبرر إبادة الهنود الحمر؛ لأن هذا تنظيف للأرض من الإنسان المتوحش!!".

ومن المنظرين لهذا المبدأ في أمريكا: جون فسك، وهنري كيسنجر، وبرجنسكي، وألفين توفلر، وهذا الأخير يعد (المعرفة) هي أقوى سلاح لبقاء أمريكا متفوقة.

2- يلعب الدين في أمريكا دوراً أكبر بكثير مما تتصوره غالبية المراقبين في الخارج، والتعاطف الأمريكي مع إسرائيل ينطلق من تآلف ديني قائم على (الكتاب المقدس)، وإن جرى تغطيته بالحديث عن الديموقراطية المشتركة، وكل تعلق بآمال تغيير أمريكا موقفها من هذا التعاطف هو سراب وأوهام؛ لأن إسرائيل بالنسبة لهم امتداد (ديني – حضاري) يحمل ملامح المشروع الغربي، بل إن المهاجرين في إنكلترا في القرن السابع عشر شبهوا خروجهم إلى الأرض الجديدة (أمريكا) مثل الخروج الجماعي

لبني إسرائيل من مصر، تقول إحدى الجماعات المسيحية العاملة في أمريكا، والتي يرأسها الكاهن (جيري فولويل): "لا توجد أمة اضطهدت اليهود إلا وعاقبها الإله، وإن الله سيرسل للتشريد والذبح والأسر كل من يحاول منع تجمع شعب إسرائيل في أرضه"، "وحين يكون لأمريكا مطامع سياسية واقتصادية تكون البعثات التبشيرية إحدى أدواتها كما حدث في جنوب السودان، وكما يحدث الآن في إندونيسيا".

ويقول السياسي والدبلوماسي عادل أرسلان في مذكراته: "قلت وما زلت أقول: إن الولايات المتحدة في قوتها المادية كالطفل يلعب بقطعة سلاح، ولولا دولاراتها لانبرى لها الكثيرون فأظهروا مساوئ سياستها، أنا لا أشك في أن روزفلت كان قادراً على حل قضية (دانزيغ) بين ألمانيا وبولونيا، وعلى الحيلولة دون الحرب، ولكنه كان خاضعاً لليهود، بل حرض على الحرب..".

3- تحولت أمريكا إلى دولة (نهابة) ليس عندها معايير أخلاقية وإنسانية، يجسد هذا طائرات الأباتشي والصواريخ العابرة للقارات، وقد كشف الرئيس (نيكسون) صراحة عن أهداف أمريكا بقوله: "لا نذهب إلى هناك دفاعاً عن الديمقراطية، ولا نذهب لمحاربة الديكتاتورية، إننا نذهب وعلينا الذهاب إلى هناك؛ لأننا لن نسمح بأن تمس مصالحنا الحيوية"، وليس بلا معنى أن نعلم أن كل وزراء الخارجية الأمريكية في عام 1953- 1990م كانوا مرتبطين مباشرة أو مداورة بالشركات النفطية".

يتساءل مؤلف كتاب (ما بعد الإمبراطورية): لماذا لم تعد هذه الدولة العظمى متسامحة وعقلانية، لماذا أصبحت على هذا القدر من الإصرار على الإضرار بالاستقرار العالمي، هل لأنها بالغة القوة، أو لأنها على العكس من ذلك تشعر بأن العالم يخرج عن سيطرتها، إن أمريكا تخاف من العزلة، وأن تجد نفسها وحيدة في عالم لم يعد بحاجة إليها..".

هل تتحول أمريكا إلى إمبراطورية؟

رغم حجم الآلة العسكرية الأمريكية ولكن هناك شك حول الموهبة العسكرية للولايات المتحدة، يذكر (الخبير العسكري البريطاني) ليدل هارت أن سلوك الجيوش الأمريكية في الحرب العالمية الثانية كان بيروقراطياً، وفي فيتنام لم يكن أداؤها مرضياً، أما في حرب الخليج فقد تم الانتصار على الجيش العراقي الذي كان منهكاً، وكانت خرافة

المقولة التي روّج لها الإعلام أنه من أقوى الجيوش في العالم، ويرى الباحث (تيد) أن من شروط الإمبراطورية معاملة الشعوب المغلوبة بالتساوي مع المواطنين، ولكن هذه المساواة عند أمريكا هي الاضطهاد للجميع، ويضرب (تيد) مثالاً على القدرة على المساواة بين الشعوب بالإمبراطورية العربية (حسب تعبيره) التي يفسر توسعها بمبدأ المغالاة في المساواة الذي يعتمده الدين الإسلامي، بينما نرى الازدواجية الأنجلوسكسونية موجودة وخاصة في أمريكا ونظرتها إلى الآخر: السود، الهنود، الأسبان.

والزعامة تحتاج إلى درجة عالية من الالتزام الثقافي والإشباع الوطني، بينما الثقافة السائدة في أمريكا تتركز حول اللهو والهروبية الاجتماعية، والخوف الذي زرعته حكومة (بوش الابن)، وحين يتم فقدان الثقة بالنفس فلا يبقى سوى هوس الأمن، والعجيب أن المحافظين الجدد هم لا يحبون هذه التسمية؛ لأنهم ليسوا محافظين، بل يعدون أنفسهم أصحاب رسالة تجديدية؟!! العجيب أن هذه الرسالة الديمقراطية وتعميمها على مستوى العالم أجمع ولو بالقوة هي تناقض صارخ بما تمارسه أمريكا في العراق وأفغانستان، وفي كل الدول العربية، وإذا كان الشعب العراقي وقع تحت ظلم صدام؛ فإنه انتقل من ظلم مختل إلى ظلم منظم، ومن ظلم يحمل العصا إلى ظلم يحمل الدساتير والمجالس المعنية والسفارة الكبيرة، من استبداد الفرد إلى استبداد باسم التحالف متعدد الجنسيات.

أمريكا والمستقبل:

هل من المحتمل ظهور قوة عالمية تنافس أمريكا؟

الجواب عند (برجينسكي) المنظر لمستقبل أمريكا أنه لا يحتمل ظهور أي تحد منفرد لمنافسة زعامة أمريكا على المدى القريب، ولكن مفكرين آخرين يقولون: إن أمريكا وأوروبا الغربية صارتا تجدان صعوبة في مواجهة النتائج الحضارية لطغيان مبدأ اللذة في المجتمع، والتردي الحاد في القيم، وقد شعر المؤرخ (هانز كوهن) بالقلق من أن الغرب يمكن أن يكون قد أجهد واستنفد.

إن محاولة تركيز القوة في يد دولة واحدة تهيمن على العالم هي محاولة فاشلة، فالمعرفة أصبحت أكثر انتشاراً وأكثر مشاركة، والقوة الاقتصادية أكثر توزعاً، وهناك

عقبة حقيقية أمام أمريكا وهي: روسيا، اليابان، أوروبا، الصين، وإذا كانت بريطانيا تخطط للانضمام إلى منطقة (اليورو) فهذا سيشكل ضربة كبيرة لنيويورك، وإن العجرفة التي تمارسها أمريكا هي التي مارسها الاتحاد السوفيتي على أوروبا الشرقية وكانت أحد أسباب انهياره، وهي عجرفة الرومان قديماً، والعجرفة مؤشر على بداية الانهيار "، ومع حاجة الولايات المتحدة إلى تعزيز قدرتها العسكرية لابد لها من التخلي عن دورها في التطوير العلمي والتطور الاقتصادي، ومع ميلها لفرض إرادتها دولياً لابد لها من المزيد من الاستعداء من مختلف الأطراف، وتعريض نفسها لمزيد من المواجهات".

وهكذا تمر الولايات المتحدة بوقت عصيب، فحكومتها في أيدي أشخاص لا يتصرفون بعقلانية أو بأخلاقية، وستضع هذه الحكومة الولايات المتحدة على طريق منهك طويل.

المصـــدر :
http://www.almoslim.net/articles/show_article_main.cfm?id=675

==============

#نهاية العولمة

هشام الميلوي

جون غراي *

سوف نتذكر دائماً أن العشرية الفاصلة بين سقوط حائط برلين والهجوم على برجي نيويورك على أنها كانت حقبة للتضليل والخداع بامتياز. الغرب صفق كثيراً لانهيار الشيوعية . جوهر الإيديولوجية المثالية في أوربا . وعده انتصاراً للقيم الغربية. إن انهيار الاتحاد السوفياتي كان إيذاناً بسقوط أسوء التجارب المثالية والكارثية في التاريخ. لكنها استقبلت في الغرب بوصفها فرصة تاريخية للبدء بمشروع يوتوبي آخر وأوسع؛ . السوق العالمية الحرة .. وكان على العالم إذن أن يأخذ صورة وشكل الحداثة الغربية، صورة شرعت بإيديولوجيا السوق الخالية من أي واقعية إنسانية. مع الهجوم على نيويورك وواشنطن تعرضت المفاهيم التوافقية –والتي كانت ترى في العولمة

حدثاً تاريخياً وقدراً لا راد لـه- إلـى التهشم، وعدنا إلـى الأرضـية الكلاسيكية للتاريخ حيث الحروب لا تقوم على الإيديولوجيات وإنما على أساس التاريخ، العرق، الأرض وبالسيطرة على الموارد الطبيعية.

إن الذين هاجموا مبنى البنتاغون مستخدمين في ذلك السكاكين الصغيرة والمحمولة وكذا الطائرات أسلحةً، من الممكن أن يكون هناك من تبناهم أو حتى مولهم، لكن لا يوجد هناك سبب واحد يدفع نحو الاعتقاد بأنهم تحركوا بأمر حكومة ما. لقد كانوا جنوداً من نوع جديد تماماً من جنود الحرب، وجزءاً مكوناً أساساً من ضعف الدول المرتبطة بالعولمة، فالحرب خرجت هي الأخرى من سيطرة الحكومات. إن احتكار وتنظيم العنف هو أحد أسس سلطة الدولة الحديثة، والدولة التي نمت ببطء وبعد عناء كبير لا تجد نفسها بمأمن أينما وجد العنف بكل أشكاله، إلا أن الغريب والعام في الوقت نفسه هو هذه السرعة وهذا الاتساع الذي اختفت فيه الدولة تقريباً خلال العشرية الأخيرة الماضية، عهد عولمة ينوء فيه العالم بدول منهارة، وفي هذا الجزء نصارع الحرب بأسلحة غير عادية من النزاعات السياسية والجماعات الدينية والعشائرية تميل إلى وحشية صارخة لا توجد سلطة تستطيع فرض السلام.

تبين هذه الأحداث الجانب الأسود من العولمة، والتي لطالما حاول مؤيدوها مراقبتها وتدبيرها وتبين أن تكون حتى المجتمعات الغنية ليست بمنأى عن عدوى انهيار الدول والنوع الجديد من الحروب التي باتت تجتاح كل أرجاء العالم. وكان هذا واضحاً منذ زمن مع تدفق المهاجرين من الدول الفقيرة وطالبي اللجوء السياسي والاقتصادي الذين بضغطهم على حدود الدول الغنية يشهدون على تناقضات السوق العالمية الحرة. فالتجارة ورأس المال يتحركان بحرية كاملة عبر العالم، لكن حركة العمل جد محدودة على عكس دولة رجال الأعمال في نهاية القرن 19 حيث كانت الحواجز شبه منعدمة، وهذا تناقض آخر لا يرصده المدافعون عن السوق العالمية ولكنه سيكون أكثر حدة في السنوات القادمة.

مع الهجوم على نيويورك وواشنطن لم يعد أحد يستطيع تجاهل انهيار بنيات الحكومات والتي تُعَدُّ إحدى المنتوجات الموازية للعولمة، عن الأسلحة القديمة والمهترئة القادمة من أكثر المناطق تضرراً في العالم، برهنت على قدرتها على

الوصول إلى قلب أغنى وأقوى دولة في العالم. ثم إن عنف الضربة هو مثال عما يسميه المحللون العسكريون >الرعب اللامتماثل< أو بعبارة أخرى قدرة سلاح الضعيف على مواجهة القوي والذي بدا للعيان أن القوي هو أضعف مما نتخيل، إن فقدان هذا القوي للقدرة ليس جديداً، لقد بدا واضحاً أثناء >الحرب على المخدرات< فتجارة المخدرات – إلى جانب النفط والسلاح – في أحد ثلاث مكونات للتجارة العالمية شأنها شأن الجريمة المنظمة فقد انتعشت هذه التجارة في سياسة التحرير التي أبدعتها العولمة المالية، أصدرت الدولة الأغنى في العالم ملايير في حرب دون طائل ضد صناعة معولمة وعالمية، لذا فإن الحرب الجديدة على الإرهاب واقتلاعه ستكون صعبة المنال لأن تدارك الآثار السيئة لتجارة المخدرات وتقليص الخسائر تَمَّ عبر تنقيتها وشرعنتها، ولا يوجد حل مماثل لعلاج الإرهاب وإرهاب العولمة.

إن العمليات الإرهابية وتدمير المراكز التجارية لم تعكس فقط مدى الدمار وفقدان الأرواح ووهن الأمن ووكالات الاستخبارات بقدر ما أزاحت المعتقدات التي أسست للسوق العالمية. في الماضي كان المستثمرون يعرفون بأن العالم سيظل مكاناً خطيراً بألوان الثورات والحرب قد تعصف بأرباحهم في أية لحظة. لكن خلال العشرية الأخيرة، وبفعل تأثير النظريات المضحكة عن >نهاية التاريخ< التي دفعت للاعتقاد بأن تقدم التجارة الليبرالية لا تقاوم فإن الأسواق المالية قد حددت سعر وثمن هذا الاعتقاد من خلال الأزمة الأسيوية والعجز الروسي سنة 1998 وسقوط الرأسمال للمدى الطويل. هذا كله أزاح الاعتقاد الأعمى في الأسواق والعولمة نفسها.

من المهم هنا التذكير كيف أن العولمة قدمت وعوداً أو أحلاماً ما بتحويل العالم إلى سوق حر كوني لا يعير اهتماماً للتاريخ وللقيم ولعمق الاختلافات ومرارة الصراعات حيث جمعت كل الثقافات في حضارة كونية واحدة. والغريب كيف أن فلسفة السوق الليبرالية والعولمة تشبه إلى حد كبير الماركسية، فهما في الأصل ديانتان علمانيتان حيث الآمال والرغبات المسيحية منحت ضياءً لهما، كلاهما ينظر إلى التاريخ على أنه نتيجة تطور الأجناس التي اكتسبت المعرفة والثروة وأشعت في حضارة كونية ونظرت إلى الكائن البشري انطلاقاً من مبررات اقتصادية. فهم إما منتجون أو مستهلكون . في العمق . مع القيم والحاجات نفسها. وأصبح الدين على الطريقة

القديمة ظاهرة هامشية مصيرها الانقراض أو الزندقة داخل دائرة أو طبقة خاصة حين لن يستطيع إثارة السياسات والثغرات والحروب المشتعلة. أما تاريخ الجرائم والمآسي فالإشارة إليها تجد أصولها في الطبيعة البشرية. فهي أخطاء يمكن إصلاحها بتحقيق تربية أفضل ومؤسسات سياسية ومستوى عيش أحسن. غير أن الخلاف بين الماركسيين والسوق الحرة هو حول النظام الاقتصادي الأفضل فهم على قلب رجل واحد. عقيدة التنوير هذه تلقى استجابة كبرى . بالنظر إلى عدد المثقفين الذين بشروا بها، ولكنها في الوقت نفسه تشكل نوعاً من الدوغماتية والتبشيرية (Missionary site).

بالنسبة لليبرالية السوق . كما بالنسبة للماركسيين . هناك طريقة وحيدة للتحديث، على كل المجتمعات تبني السوق الحرة، وإذا كانت ديانتهم ونظام العائلة لديهم يعيقان هذا الأمر فإن المشكل يكون في غاية السوء ولكنه مشكلهم على أية حال. وإذا كانت القيم الفردانية التي يتطلبها السوق الحر تتماشى وتتناسب مع مستوى عالٍ من التفاوت الاجتماعي ومعدل مرتفع من الجريمة فليكن، فهذا ثمن وضريبة التقدم، وإذا كانت دول بأكملها تنهار حسناً، <لا يمكنك صنع العجة دون كسر البيض>. خلال التسعينات كان تأثير هذه الفلسفة العقلانية لأصولية السوق كبيراً لما يحصل عليه من دعم الصندوق النقد الدولي (FMI) كما تخطئ وتضل الطريق عندما تشغل سلطتها لفرض سياسات (وصفات) متطابقة على دول تختلف بدرجة كبيرة من حيث التاريخ، لأن عرَّابي البنك الدولي وصندوق النقد لا يرون إلا طريقاً واحدة للحداثة يجب فرضها على الجميع.

لقد وضعت أحداث 11 سبتمبر علامة استفهام على فكرة الحداثة، هل هي حقيقة تلك العلبة التي تضم المجتمعات البشرية والتي آجلاً أم عاجلاً ستجمع على القيم نفسها النظرة للعالم؟ قد يبدو هذا سؤالاً أكاديمياً لكنه اليوم يكتسي أهمية عملية ليس فقط في الولايات المتحدة، وإنما في أغلب بلدان الغرب أيضاً. إن الاعتقاد بأن الحداثة ضرورة تاريخية لا يمكن لأي مجتمع تجاهله لأنه يجعل من الصعب إدراك هذا النزاع المضاد اتجاه الغرب. لقد قدنا . بزعامة الولايات المتحدة . الدول الغنية على أساس فرضية أن الشعوب تريد العيش مثلما نعيش وبالنتيجة فشلنا في

الاعتراف بردة فعلهم الثقافية والإحساس بالظلم والرفض الحقيقي للحداثة الغربية. ما نحتاج إليه وباستعجال هو محاولة وضع أسس تعايش حضاري بين الثقافات والنظم التي ستظل دائماً مختلفة.

على مدى السنوات القادمة ستضطر المؤسسات العابرة للقارات والتي ساهمت بإنشاء السوق الكونية الحرة إلى القبول بدور أكثر تواضعاً وإلا ستفقد الكثير. إن مفهوم التجارة والثروة الذي يرتكز على: دعه يعمل دعه يمر؛ لا أساس له في التاريخ. إن الحرب البادرة . وهي فترة مراقبة سيولة لأورثوذكسية السوق الحرة فإن الرأسمالية لا تحتاج إلى سوق حرة واسعة للازدهار بل إلى محيط آمن، بعيد عن تهديد الحروب الواسعة وإلى قوانين آمنة لاستمرار العمال، وهي أمور لا يمكن أن تهيئها البنيات الهشة للسوق الحرة الكونية، بل على العكس تماماً إن فرض نمط وحيد من العيش سيولد صراعاً وعدم أمن وكلما كان ذلك ممكنا فإن القوانين المتعلقة بحركة رؤوس الأموال يجب أن توقع بحضور كل الأطراف المعنية وبين دول ذات سيادة في حين يجب ترك تلك التي تريد البقاء خارج السوق الكونية بسلام وترك حريتها في تصور الحداثة أو ألَّا تتحدث بالذل وبالتالي فلن تهدد الدول الأخرى، فحتى الدول غير المتسامحة يجب التسامح معها.

عالم متحرر من القيود وأكثر تجزئة ومعولم جزئياً سيكون بالتأكيد عالماً أقل ارتباطاً ومختلفاً لكنه أيضاً سيكون عالماً أكثر أمناً.

الهوامش:

?* بروفسور السياسة في جامعة أكسفورد وأستاذ الفكر الأوربي بمدرسة لندن للاقتصاد، ينشر مقالاته بانتظام في كل من جريدة الجارديان والتايمز البريطانيتين..صاحب كتاب الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية.

المصدر: http://d.hostingangle.com27.u33938

=============

#علي بوخمسين

جاء الخطاب الأمريكي تجاه الشرق الأوسط الكبير تجلياً لعلاقات القوة القائمة فيما بعد الحرب الباردة، فالقوة لا تعبر عن نفسها إلا من خلال علاقاتها بالقوى الأخرى، وليس ثمة خطاب يمكن تأسيسه إلا من خلال موقعه على رقعة التشابك بين القوى، ليس في وسع الولايات المتحدة (مثلاً) الإعلان عن مشروع للإصلاح في الصين، لأن خطابها حيال هذا البلد يبقى متموضعاً في أرضية توازن القوة ومستنداً إلى معادلات الممكن والممتنع، وفي السنوات العشرة الأخيرة انحرف الخطاب الأمريكي الموجه للصين عن مساره التصاعدي المعهود منحدراً في طريق تنازلي على وتيرة تعكس نمو وتصاعد القوة الصينية في التقنية والاقتصاد.
كان على الخطاب الأمريكي تجاه الصين أن يتخلى عن نبرته لأن الشروط الموضوعية المنتجة له على صعيد الواقع المتحقق أصابها التغيير وإلا أصبح خطاباً ديماغوجياً لا قيمة له، وفي الجانب الآخر فإن الشروط التي تمنح الخطاب الأمريكي تجاه الشرق الأوسط آمريته وعنفوانه هي حقائق ماثلة وتجربة يومية حية لا تنتهي في العراق أو أفغانستان أو فلسطين ولكنها تبدأ في ما يؤسس للموقف العربي الإسلامي ويحدد موقعه الحضاري المزاح عن دائرة الفعل والتأثير، فلقد كان لابد لخروج هذا العالم من التاريخ والزمن أن يأخذ طابعاً تراكمياً على مستوى العجز الذي جعل المنطقة برمتها تتحول إلى مريض العالم، فاقد الوعي، المستكين إلى مشارط (الحكماء) من الغرب والشرق، حيث توحي الوتيرة المتصاعدة لانهمار مشاريع الإصلاح على الشرق الأوسط بأن التشخيص المرضي لهذه المنطقة قد اكتسب إجماعاً على مستوى العالم بأكمله، حيث إن (الإصابة) الشرق أوسطية لا تنتمي إلى حالات الكمون الذي يمكن عزله ومحاصرته، فهي تتسرب عبر الشقوق والفجوات على جدران التحصينات التي تقام في وجهها لحماية (الحضارة)، تنفجر هنا وهناك وتثير الفزع في عالم (آمن)، من هنا اكتسبت (المشاريع الإصلاحية) الهاطلة من أمريكا إلى اللكسمبورج مشروعيتها، حيث يجري تحضير غرفة العمليات لفحص رجل العالم المريض وتشريح جسده على أيدي الثمانية الكبار في وقت قريب، ويبدو رجل العالم المريض مريضاً بحق، عاجزاً وكسيحاً، وجماع ما تسعفه به قواه المتهالكة أن يتمتم بالرفض وهو يدير وجهه إلى الحائط، وليس ثمة ما يعكس هذا الواقع مثل

(وثيقة العهد) التي بلورتها الجامعة العربية تحت وطأة الوابل المتزايد لمشاريع التدخل الأجنبي المقنعة والمتسترة تحت ألقاب الإصلاح الذي تبلغ مواسمه ذراها وترتفع راياته فوق مهرجانات الأدبيات السياسية ليزود الخطابية العربية بأبجديتها المزوقة المغرقة في الإيهام (كما نشرتها جريدة الحياة 11/3/2004)، حيث تتداخل المعاني والحدود لتعيدنا إلى نقطة الصفر من تاريخ طويل لنضال الأقوال وحروب المنابر وذكرى الانتصارات الدونكشوتية، فالعقلانية المستنيرة التي كنا نعتقد إنها تسللت إلى الردهات المغلقة التي ينتج بين جدرانها القرار العربي والمسلم لم تكن سوى عبارات رتيبة عائمة على محيط لامتناه من احتمالات المعنى والتفسير، فضفاضة صممت بعناية لتحوي كل شيء ولا شيء، فجاءت اللغة التي كان ينتظر لها أن تمنح أمتنا جدارتها لمواجهة المعضل الأكثر خطورة وحسماً لتجسد بكل جلاء موقفاً متهالكاً، لا ينطق إلا بالواقع المتحقق على ساحة توازن القوى ومعادلات السيطرة في العالم المعاصر، عندما نقرأ أن الموقعين المنتظرين على هذه الوثيقة (استذكاراً للإنجاز التاريخي المتمثل في ميثاق جامعة الدول العربية) يؤكدون (تضامننا في تعزيز العلاقات والروابط بين الدول العربية وصولاً إلى التكامل من خلال تطوير التعاون العربي المشترك وتقوية قدراتنا الجماعية لضمان سيادة الأراضي العربية وأمنها وسلامتها وصونها) تصوروا!!! و(وعقدنا العزم على مواصلة خطوات الإصلاح) و(تهيئة الظروف الضرورية لإرساء التكامل الاقتصادي فيما بيننا على نحو يمكننا من المشاركة الفاعلة في الاقتصاد العالمي).

كله رائع وفخم وعلى قدر كبير من الحصافة والفطنة، ولكن كيف؟ متى وأين؟ تبقى كلها هائمة معلقة غائرة في كثافة الضباب، كيف يمكن لهذه العمومية المطلقة أن تحرر مشروع النهضة الحضاري المرتقب من عقاله، تفك أسره المزمن وتنتزعه من احتباسه وغيبوبته؟ كيف لها أن تخلص الأمة العربية من سلبياتها وتعبئ قواها، وتشحذ إمكانياتها ضمن منهجية وعقلانية ملائمة لمرحلتها التاريخية وتمايزها الإنساني والثقافي؟! كيف يكون للدهشة مكان؟ وأين يكمن موضع العجب؟! إذا أصبحت أمة كهذه تواجه أخطر مفاصل تاريخها بهذا القدر من الهلامية مستباحة لكل الانتهاكات، فاقدة لوعيها على مشرحة العالم والتاريخ، ومع ذلك فإن على وعينا

أن يتصدى لشبكة الألغاز التي يقذفنا بها الالتفاف المفاجئ لمسار الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، فلا مجال لتخطي التساؤل عن مغزى أن تتم بسرعة فائقة زحزحة المنطقة من موقع الخصم الحضاري الذي ينبغي محاصرته إلى موقع الحليف المتوعك الذي ينبغي إحاطته بالعناية والحنو، من منطقة تنغرس جذور العداء للحرية والحضارة في عمق تربتها الثقافية، ونزوعها المتأصل، إلى منطقة تحمل (وعد) الحضارة في وطن الإنسانية المصانة والمحررة من همومها وأعبائها، وليس على الجواب أن يضرب بعيداً عن خارطة القوة، عن التبدلات المفاجئة بدورها وعن عملية الحراك السريعة التي شهدتها مواقع القوة في سنوات قليلة متتالية وسريعة، عن المياه الغزيرة المتدفقة تحت طبقة رقيقة لن تلبث أن تنبجس عن تيار هادر يعيد رسم مشهد علاقات القوة في العالم، ويعلن ميلاد العملاق الصيني وظهور الصين الصينية، لا الصين الماركسية، ولا حتى الصين الماوية، بل صين الصين التي لن تكون نسخة لأحد ولا صدى لصوت أحد، أو تابعاً متظللاً بعباءة أحد، هذه الصين المنبعثة على إيقاع سريع بعثرت في ضربة واحدة مرتكزات القراءات السابقة لمستقبل العالم المنظور، وأبرزت أمام الأمريكيين العيوب التي اتسم بها اختيارهم لخصمهم الحضاري الموهوم، الذي تلقفه الاستراتيجيون الأمريكيون بعد سبتمبر البغيض لإذكاء جذوة الحس الوطني وتعبئة روح الانتماء بعد اختفاء الخصم السوفياتي، وهو ما يمثل ضرورة استراتيجية لبلد يمتلك مشروعاً كونياً.

لقد حفل هذا الخيار بسلبيات خطيرة في بعدها الثقافي والإنساني وفي مستوى الاستجابة للتحدي الذي جرى افتعاله، من ناحية فإن هذا الخصم المفتقر إلى أبسط أبجديات الاستراتيجية والتخطيط، قد يستغرق الجهد الأمريكي ويستدرجه بعيداً عن تأكيد تفوقه التكنولوجي الحاسم، ويرغمه على الانخراط في الصراع وفق الشروط البدائية التي يتقنها، ويحد من تفاعله على مستوى المنافسة العالمية في حقول التقنية الفائقة، كما ينطوي الاختيار الخاطئ لهذا الخصم الحضاري على خطر تنامي النزعات الدينية المتطرفة واستقطابها المتسارع لقوى التمييز العنصري والعرقي، وأخطر من ذلك في الانتهاكات الجوهرية للدستور والحقوق المدنية التي أشاعت

القلق في أوساط النخب الأمريكية من خلال القوانين التي أقرها الكونجرس فيما يشبه قوانين الطوارئ في دول العالم الموسوم بالتخلف.

ومع التحولات الجذرية في الصين، والتي يجسد أكثرها خطورة وأهمية في بلورة العمل المؤسسي ونمو روح القيادة الجماعية وتبني العقلانية الإدارية وانحسار التسلط الإيديولوجي، مما ساعدها على تخطي معضلتها التاريخية المدمرة المتمثلة في التضخم، ومع استمرار النمو بمعدلات هي الأعلى في العالم، واتساع رقعة التنمية على الصعيد الجغرافي والإنساني لكي تشمل الأرياف، التي كان القائد التاريخي دينغ شاوبينغ قد أطلق منها تياره الإصلاحي الكبير، يتقدم كل ذلك القفزات التكنولوجية المثيرة التي توجها رجل الفضاء الصيني الأول وسط مزيج من الإعجاب والذهول، مع كل هذه التحولات المتسارعة في العالم الصيني الواسع ومع إدراك المؤسسة الأمريكية في تشكيلاتها المتعددة والمنبثة في عروق المجتمع بتهافت الخصم الحضاري المفتعل وما ينطوي عليه الصراع الدائر من التهديد المستتر وبعيد المدى، للأساس الحضاري والثقافي للمجتمع الأمريكي، فإن الأمريكيين يكتشفون بصورة مفاجئة الحقائق البسيطة التي وضعت أمامهم في أعقاب سبتمبر وأشاحوا بوجوههم عنها في حومة الغضب والهيجان، أن القوة وحدها لن تجتث الإرهاب والتطرف، إن جذوره تضرب في عمق التخلف والفاقة والاستبداد، في الظلم والتسلط الدولي والمحلي بأشكاله المختلفة، في تغييب الإنسان واستباحته وحرمانه وتدمير الطبيعة من حوله لصالح المتسلط المحلي المحتمي بمظلة الأجنبي والملتف بأرديته، وكانت أرض الواقع تنبت حقائق تملأ الأفق وتطلق الرياح التي تبعثر كل الأوراق وتفرض إعادة كل القراءات ومراجعة كل التأويلات، وها هم الأمريكيون يستجيبون لانحرافات موازين القوة، وحركة الإزاحة والزحزحة التي يجري تأكيدها، للعالم الجديد الذي يأخذ سمته في الانبعاث على خلفية الذهنية الأمريكية نفسها، العقلانية العملاتية المطلقة، رأسمالية الاقتصاد، العلم والتكنولوجيا، يترافق ذلك مع وعيهم المتزايد بخطأ خياراتهم في الصراع، ولكن استجاباتهم تأتي أمريكية الروح والشكل والمضمون، إنها استجابة الآمرية المتعالية والمتجاهلة للآخر، شؤونه وشجونه، معاناته وطموحه، أوجاعه ومآسيه، حيث يكشف المشروع الأمريكي عن مستوى القيمة في معادلات المخططين

الأمريكيين لهذه المنطقة من العالم ذلك المستوى الذي يعكس موقع هذه المنطقة على خريطة القوة، فهذا المحيط الجغرافي والبشري الواسع بأبعاده الثقافية وتاريخه الممتد وحضاراته الأولى وإسهاماته الإنسانية الكبرى، تم اقتلاعه من وسطه الإنساني والتاريخي والثقافي وطمست كل الحقائق الماثلة على صفحة واقعه، كل التفجرات والأورام السرطانية على جسده، فلسطين وكشمير والصحراء الغربية وجنوب السودان وغيرها من البؤر التي امتدت لتشمل العراق وأفغانستان، جاء المشروع الأمريكي ليلحق هذا العالم الواسع باستراتيجيته الكونية طامساً ومتجاهلاً لطموحات شعوبه في بناء مشروعها الحضاري الخاص، إقامة أنظمتها الأمنية، صيانة استقلالها الوطني وثقافتها، جاء متلفعاً باطروحاته التقليدية، الديموقراطية والإنسان، المشروع الأمريكي اختزل الجغرافيا والبشر والتاريخ في صياغة مرتجلة تكشف فقط عن الارتباك الذي يعتري المخططين الأمريكيين، ذلك لأن محيط الفاقة الرازح تحت أثقال ساحقة من المعضلات والممتد من جبال الأطلس حتى سفوح الهيملايا بما في ذلك آسيا الوسطى والقوقاز، لا يمكن استئصال أدرانه المزمنة عبر خزانة الإسعاف التي حملها المشروع الأمريكي في عباراته العمومية واستعاراته المرتجلة، ولن يكون للمثاليات التي اطلقها مفعول من أي نوع، قبل أن تتجاوز المنطقة إشكالياتها المتجذرة في الاستراتيجية الأمريكية نفسها، قبل معالجة مسائل إنسانية أصبحت لطخة عار تشوه الجبين الناصع الذي تحاول الحضارة القائمة استعارته، ملايين اللاجئين الفلسطينيين الذي يعانون من لا إنسانية البطش الإسرائيلي بينما يكابدون مستويات من العيش لم تعد لائقة بالبشر، وعشرات الملايين الآخرين من المشردين نتيجة الحروب والتفجرات والنزاعات التي تخدم أغراض الهيمنة الأجنبية، البشر البائسون الهائمون على وجوههم، ضحايا الخوف والاضطراب والاضطهاد المحلي، مظاهر العوز والفاقة ونقص التغذية وتلوث المياه والبيئة، كل الركام الهائل والمتكاثر الذي أنجبه تاريخ طويل من التقهقر والغزو وانتهاب الثروات من قبل الاستعمار الغربي وعملائه المحليين. إن المشروع الأمريكي يبدو ساذجاً وطفولياً إلى درجة النكتة في اختزاله وعموميته، انه مشروع مرتجل في سياق السياسة الأمريكية المعهودة المنبثقة دائماً وأبداً من مصالح متقلبة ونزقة، والمتأثرة بإرادة الحركة الصهيونية عندما تتعلق الأمور

بالشرق الأوسط، فهذا المشروع لا يجهد نفسه كثيراً في إخفاء غايته الاستراتيجية القصوى، التي هي عزل المنطقة عن المصادر الحقيقية لمستقبلها الحضاري وقدراتها الكامنة لتجاوز أوضاعها الحالية، تلك الإمكانات التي يؤطرها كيانها الثقافي وهويتها العربية الإسلامية، يحولها إلى كتل بشرية فارغة من حس الانتماء والرابطة تخفق قلوب جماهيرها باللهفة إلى بريق (الحضارة) المنبعث عبر منارات
الدولة العبرية.

30/03/2004 م

المصدر : http://writers.alriyadh.com.sa

============

#الإصلاح من الداخل ؟ !

د . أسامة الغزالي حرب

ليس بمقدور أحد الآن أن يشكك في جدية الولايات المتحدة وحلفائها في الحديث عن ' الإصلاح ' في العالمين العربي والإسلامي . تلك هي إحدي التحولات الكبرى التي تحدث في السياسة العالمية ، منذ 11 سبتمبر 2001. ففي سياق الاستراتيجية المعلنة ' للحرب على الإرهاب ' خاضت الولايات المتحدة الحرب في أفغانستان على تنظيم القاعدة في عام 2002، ثم قامت – في سياق تلك الاستراتيجية نفسها – بغزو العراق في 2003، والآن – في 2004 – تعلن الولايات المتحدة عن مشروع ' الشرق الأوسط الكبير ' الذي تستعد لمصادقة مجموعة الدول الثماني عليه في يونيو القادم . الحرب في أفغانستان والعراق كانت حربا على الخطر ' المباشر ' للإرهاب ، أي على فلول المنظمات الإسلامية المتطرفة التي عزت إلىها واشنطن القيام بأعمال 11/9، وعلى أي احتمال بأن تصل إلى أيديها أسلحة الدمار الشامل (وهي الأسلحة التي لم تظهر أبدا في العراق !). أما مشروع الشرق الأوسط الكبير ، فيستهدف منع ظهور الإرهاب ، أو – مثلما جري القول الشائع – ' تجفيف منابع الإرهاب '! أي : إيجاد مجتمعات ديمقراطية ، مزدهرة اقتصاديا ، ومتفتحة ومتسامحة ثقافيا ، حتى لا تكون بيئة منتجة للإرهاب !

حسنا ، إن ما هو جديد في الواقع في هذا كله هو أن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تضع على رأس أولوياتها المعلنة في منطقة الشرق الأوسط ، بناء الديمقراطية ، بعد سبتمبر 2001، أما قبل ذلك ، وربما طوال النصف الثاني من القرن العشرين كله على الأقل ، لم تكن تلك هي الأولويات الأمريكية في المنطقة ، حتى ولو كانت هي أولويتها في مناطق أخري من العالم . كانت الأولويات الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم العربي تتمثل في : ضمان الحصول على البترول ، وحماية أمن إسرائيل ، ثم الحيلولة دون سقوط المنطقة تحت السيطرة الشيوعية . ولم يكن أي من هذه الأهداف يستلزم ' نظما ديمقراطية ' بقدر ما كان يستلزم نظما قوية ، وصديقة للولايات المتحدة ، حتى ولو كانت نظما تقليدية محافظة ، أو عسكرية ديكتاتورية ! ومن الصحيح أن تلك العناصر كلها بدأت تتغير : فلم يعد تأمين تدفق البترول مشكلة ، وإسرائيل أصبحت أقوى دولة في المنطقة ، ذات ترسانة نووية هائلة ، وعلاقات سلمية مع أهم دولها ! أما الخطر الشيوعي فقد زال تماما مع سقوط الإتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية ! ولكن تلك التغيرات لم تدفع الولايات المتحدة للسعي إلى بناء الديمقراطية في المنطقة إلا بعد أن تلقت ضربة 11/9.

أما الأمر من وجهة نظرنا نحن أبناء المنطقة فكان مختلفا . فالسعي لتحديث وتطوير النظم السياسية كان على رأس أولويات النخبة في مصر والعالم العربي منذ أكثر من قرن ونصف ! وعرفت مصر الأحزاب السياسية منذ ما يقرب من مائة عام ، وتلازمت الدعوة من أجل الاستقلال الكامل – منذ العقد الثاني من القرن العشرين – مع الدعوة من أجل الدستور . وعندما تعثرت التجربة الديمقراطية شبه الليبرالية في بلادنا ، بعد الحرب الثانية ، لم تكن الولايات المتحدة عنصر دعم لها وإنما كانت عنصر تعويق ، بسبب مصالحها وأولوياتها .

غير أن الدرس الأهم الذي كنا نستخلصه عقب كل هزيمة أو انتكاسة – بعد 1948 وبعد 1967 – هو أن غياب الديمقراطية كان هو سبب الضعف الأساسي لنظمنا ومجتمعاتنا . ولم تكن مصادفة أن الدعوة للمجتمع المفتوح ، ودولة المؤسسات وحكم القانون ظهرت في مصر بقوة عام 1968، وكانت تلك هي الأساس الذي بني عليه

السادات حركته – بعد 1973 – لتحويل مصر إلى التعدد الحزبي ، ثم سعي مبارك للسير على نفس الطريق خاصة من خلال حريات الصحافة والتعبير !

الآن ، وبعد 11/9 تعلن الولايات المتحدة مشروعاتها للتغيير الديمقراطي التي تعددت صورها طوال عامي 2002 و 2003 لتصل إلى طبعتها الأخيرة في مبادرة (الشرق الأوسط الكبير)! ولا يمكن لأي إنسان عاقل مسئول في بلادنا أن يرفض الإصلاح الديمقراطي ، أو إصلاح نظم التعلم أو غيرها من الإصلاحات الضرورية ..، ولكن الأمر البديهي في هذا كله ، هو أن من المستحيل أن يتم أي إصلاح حقيقي بالفرض أو الإملاء من الخارج ! قد يكون هناك حث وتشجيع على ذلك الإصلاح ، وقد تكون هناك مساعدة في تنفيذه ..، ولكن المبادرة بالإصلاح ، والقيام بالدور الرئيسي فيه ، هو أولا وأخيرا مهمة القوي ' الداخلية ' الأدري بشئون بلادها ، والأكثر وعيا بظروفها وأولوياتها .

غير أننا عندما نتحدث عن الإصلاح من الداخل ، فإننا نقصد تحديدا ثلاثة مستويات :

– المستوي الأول : المستوي الوطني أو القطري ، بمعني : أن يتم الإصلاح من داخل ' البلد ' المعني ذاته ، على يد أبنائه الواعين بقضية الإصلاح ، الحريصين عليه . والإشكالية التي قد تثور على هذا المستوي هي : هل يتصور أن تقوم النظم السياسية ، المفترض أنها هي المستهدفة من التغيير .. بإجراء الإصلاح المنشود؟ والإجابة هي أن الانقسام بين من يسعون للإصلاح ومن يقاومونه في المجتمعات الوطنية ، ليس انقساما أفقيا بين حاكمين ومحكومين ، وإنما هو بالأحرى انقسام رأسي يشمل الحاكمين والمحكومين معا ، بمعني أن قوي الإصلاح يمكن أن تكون موجودة في داخل المؤسسات الحاكمة ، مثلما يمكن أن توجد خارجها في الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني .. الخ . والأمر نفسه ينطبق على القوي المقاومة للإصلاح والتي يمكن أن توجد في داخل وخارج المؤسسات الحاكمة . فهناك في المجتمع ، خارج إطار المؤسسات الحاكمة قوي لا تؤمن بالديمقراطية ، أو لا تعطيها الأولوية ! ومجيء الإصلاح على يد قوي من داخل المؤسسات والأحزاب الحاكمة ، ظاهرة عامة ، وربما كانت أبرز مظاهرها المعاصرة ، عمليات الإصلاح

والتغيير الشامل التي عرفتها دول الكتلة الشرقية في تحولها تجاه الديمقراطية ، بما فيها الاتحاد السوفيتي (أو روسيا) نفسها ! وفي هذه الأخيرة مثلا ، جري الإصلاح الليبرالي على يد قيادات وعناصر كانت هي نفسها أعضاء وكوادر في الحزب الشيوعي السوفيتي . ولا يغني عن وجود القوي الداخلية الساعية للإصلاح ، أي ضغط أو تدخل خارجي مهما كانت قوته .. بل إن هذا الضغط يمكن أن يولد بذاته رد فعل معاكسا ، أو أنه يمكن أن يستغل من جانب القوي المعادية للإصلاح لتشويه الدعوة الإصلاحية باعتبارها تدخلا خارجيا مرفوضا !

المستوي الثاني ، هو المستوي الإقليمي ، أي أن تتوافر في إقليم معين قوي وحوافز للإصلاح ، تدعم بعضها بعضا أكثر مما تتأثر بالضغوط من خارج الإقليم . وفي هذا السياق فإن وجود دولة تلعب دور ' النموذج ' للإصلاح والتقدم يمكن أن يكون قاطرة تشد بقية بلدان الإقليم الموجودة فيه ، كما يمكن أن تثير الرغبة في المنافسة والتفوق عليها من البلاد الأخري . وعلى سبيل المثال ، لا يمكن فصل التقدم الحادث في شرق وجنوب شرق آسيا عن الدور الذي لعبته أقطار معينة كنماذج ملهمة للمحاكاة والتنافس ، مثل اليابان ، ثم كوريا الجنوبية . ومن هذا المنظور – فإن وجود نموذج ناجح للتطوير الديمقراطي في الشرق الأوسط ، يمكن أن يشد معه الأقطار الأخري .

وليس خافيا أن بعض الدوائر في الولايات المتحدة الأمريكية تطرح – على سبيل المثال – النموذج التركي للتطور الديمقراطي في الشرق الأوسط ، ومع ذلك ، فإن ارتباط النموذج التركي بتراث وتعاليم كمال أتاتورك ، والدور الفريد للقوات المسلحة فيه ، فضلا عن التوجه السائد لدي النخبة التركية تجاه الغرب يقلل من وزن تركيا كنموذج يمكن تكراره . والأمر نفسه ينطبق على إيران ذات الخصوصية الشيعية الشديدة .. الخ . وفي هذا السياق ، فإن من المتصور أن مصر تمتلك من المقومات ، ما يؤهلها – أكثر من غيرها – للقيام بذلك الدور . وتراث مصر ، وتاريخها ، وثقلها الحضاري والبشري ، غالبا ما وضعها في موضع الريادة عربيا ، وإسلاميا ، وهو ما يؤهلها لأن تلعب هذا الدور ، إذا سارت قدما على طريق الإصلاح الديمقراطي .

المستوي الثالث ، للحديث عن الإصلاح من الداخل ، هو المستوي الثقافي والحضاري ، أي أن يكون الإصلاح معبرا عن الخصوصية الحضارية للمجتمعات المعنية ، ومتوافقا مع التوجه الرئيسي لثقافتها . ويعني هذا – بالنسبة للعالم العربي والشرق الأوسط – ضرورة حل التناقض المصطنع بين ' الإسلام ' و ' الديمقراطية '. حقا ، لقد عرفت بلاد إسلامية معينة صورة متقدمة من الديمقراطية ، مثل تركيا ، وماليزيا وإندونيسيا .. الخ .. ومع ذلك تظل صورة العالم الإسلامي مرتبطة بالنظم الاستبدادية اللاديمقراطية أكثر من أي شيء آخر . في مواجهة تلك الحقيقة المؤسفة ، لا مناص من أن يقدم المفكرون والقادة والعلماء المسلمون رؤى متماسكة ، مخالفة للرؤى التقليدية التي اصطنعت التناقض المزعوم بين الإسلام والديمقراطية ، أو التي تتصور وجود نظم حكم إسلامي ذا قدسية دينية ، غير قابل للمناقشة أو المراجعة !

المصدر: http://www.siyassa.org.eg

============

#وثيقة أمريكية ترسم ملامح الشرق الأوسط الجديد

مصطفي بكري

تقسيم نفط المنطقة بين واشنطن وحليفاتها بنسب محددة:

انتهت الإدارة الأمريكية مؤخرا من إعداد 'وثيقة' جديدة أعدها مستشارو البيت الأبيض وترسم ملامح خطة واشنطن إزاء الشرق الأوسط الجديد في عامي 2003،. 2004 وتتضمن هذه الوثيقة ما أسمته بخطة اختفاء أعداء الديمقراطية والسلام من الشرق الأوسط، وهم بالترتيب حسب طرحها صدام حسين، ياسر عرفات، معمر القذافي، عمر البشير، بشار الأسد.

ومن الغريب أن هذه القائمة خلت من الإيرانيين، على اعتبار أن آخر ما تم التوصل إلىه هو تجنب العمل العسكري مع إيران خلال العامين القادمين، والعمل على تهيئة الظروف الداخلية في إيران لخلع حكم الملالى.

وقد أقرت الوثيقة القيام بعمليات عسكرية مباشرة ضد كل من أسمتهم بأعداء الديمقراطية في الشرق الأوسط، شريطة أن تجري هذه لعمليات بتنسيق مشترك مع دول حلف الأطلسي للسيطرة على الشرق الأوسط.

وتكشف الوثيقة أن الرئيس الأمريكي جورج بوش كان قد طلب من مستشاريه بعد أسبوع من توليه الحكم أن يعدوا تقريرا عن الشرق الأوسط الجديد، وأنه قال لهم خلال اجتماعه بهم: إن العرب يجب أن يظلوا أصدقاء لنا، ولكن شريطة أن ندير نحن شئونهم الأمنية والاقتصادية، وأن تبقي 'إسرائيل' هي الأقوى أمنياً واقتصادياً.

وتقوم الوثيقة الأمريكية على فكرة الارتباط الأوربي الأمريكي، حيث جرى إبلاغ قادة دول حلف الاطلنطي بمضمونها، وسوف تكون مجالا للبحث خلال زيارة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير التي سيقوم بها إلى واشنطن في 31 يناير الجاري، كما أن قادة دول الحلف مطالبون بالرد عليها رسميا خلال الأسابيع القليلة القادمة.

وتوضح الوثيقة أسس هذا التحالف بين واشنطن ودول الحلف على الوجه التإلي:

إنشاء قواعد عسكرية متطورة لحلف الأطلنطي داخل الأراضي العراقية بعد اسقاط نظام حكم الرئيس صدام على أن يكون قوام هذه القوات 120 ألف جندي أمريكي أوربي.

تتولى هذه القوات المسئولية المباشرة عن التطبيق الديمقراطي في العراق وضمان استقراره، وتشكيل حكومة من عناصر المعارضة العراقية ذات الصلة.

إن مهمة هذه القوات لن تقتصر فقط على المهام الأمنية والعسكرية داخل العراق وإنما ستمتد إلى بقية دول المنطقة، حيث إن أمريكا قدمت تهديدا واضحا في هذه الوثيقة إلى دول حلف شمال الأطلسي عندما أشارت إلى أن الدول التي لن تشارك في حماية الأمن والنظام في المنطقة لن تستطيع الاستفادة من الفرص الاقتصادية الواسعة التي تتيحها المنطقة.

وحددت الوثيقة نسبة اقتسام الغنائم البترولية في الشرق الأوسط على الوجه التإلي:

40 % للولايات المتحدة لأنها ستتحمل النصيب الأكبر من القوات والمعدات العسكرية، وكذلك كل ما يتعلق بتنفيذ خطط الطوارئ الأمنية لمواجهة التحديات 'الإرهابية' الجديدة.

أما بقية ال60 % فستقسم بين دول حلف الأطلسي وغيرها، وهو أمر لا يزال محل خلاف بين الجانبين!!

وتشير الوثيقة من جانب آخر إلى ضرورات التوصل إلى فهم واحد ومشترك لحل النزاع العربي الإسرائيلي بحيث لا يجد العرب طرفا آخر وسيطا يوافقهم على كل أو بعض مطالبهم، فيضطرون لقبول ما هو مطروح عليهم، بما يضمن بقاء 'النزاع العربي الإسرائيلي' تحت السيطرة.

وفي هذا الصدد تقول الوثيقة حرفيا: 'لقد عانت منطقة الشرق الأوسط كثيرا بسبب أحداث هذا النزاع الذي ألقى بغيوم سوداء على المصالح المستقرة في هذه المنطقة، ولكن في العامين الأخيرين أصبح مؤكدا أن 'الإرهابيين' بدأوا يلعبون الدور الأكبر في تحويل دفة هذا الصراع، وأصبحت لهم الغلبة الأساسية حتى توارت الحكومة الشرعية الفلسطينية، كما بدا يقينا أن حكومة عرفات تدعم هذا الاتجاه 'الإرهابي' لأنها وجدت ضالتها في أن هذا النشاط 'الإرهابي' يعمل على إلحاق الخسائر الأمنية والاقتصادية بالإسرائيليين.

وتستكمل الوثيقة القول: 'لقد كان لدى عرفات تصور يشير إلى أن ذلك سيجبر الإسرائيليين على القبول بأفكاره، وتقديم تنازلات كبرى لصالحه، ولكن إذا عقدنا السلام على الأساس الذي يرتضيه عرفات، فإننا نكون قد دعونا إلى انتصار إرادة الإرهاب، وأفعال الإرهاب على منطق الحق والسلام، خاصة أننا قدمنا إلى عرفات النصائح مرارا وتكرارا بأن يسيطر على هذا الإرهاب، وأن يكون داعيا وبحق إلى إرساء أسس السلام مع الإسرائيليين بأشكال حقيقية من التعاون، وأنه في كل مرة كان يقدم دلائله وبدائله على أنه يشجع الإرهاب ولكن بطريق غير مباشر، إلى الدرجة التي استحال معها تحقيق السلام أو التقدم بخطوات تجاهه'.

وتقول الوثيقة: 'إن الدول العربية الأخرى لم تكن على علم بالحقائق الكاملة عما يحدث داخل الأراضي الإسرائيلية، وكان لديهم وجه واحد من الحقيقة وهو أن 'إسرائيل' دولة معتدية، وقد حاولنا كثيرا أن نتفق على أن تكون هناك خطوات إضافية وحقيقية من أجل السلام إلا أنها كانت جميعا دون المستوى لأن عرفات كان أحد المشاركين فيها'. وتشير الوثيقة 'إلى أنه وبناء على التجربة الماضية لم يعد أمامنا في المرحلة القادمة سوى خيار واحد، هو أنه وبعد الانتهاء من حكم صدام وعودة الديمقراطية إلى العراق، فإن شعوب الشرق الأوسط لن تقبل باستمرار الصراع

الإسرائيلي الفلسطيني، وأن أحد التحديات الأساسية التي ستواجهنا في المرحلة القادمة هو استمرار المجموعات الفلسطينية في أعمالها 'الإرهابية' ضد إسرائيل وأمنها'.

وتقول الوثيقة: 'إذا أردنا أن نبقي هذا الوضع تحت السيطرة الأمنية فإن جزءا من القوات الأطلسية سيتحرك من الأراضي العراقية إلى داخل الأراضي الفلسطينية وسيكون ذلك بقرابة من 40 إلى 50 ألف جندي أطلسي، ستكون مهمتهم الأساسية مراقبة الأوضاع الأمنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين لحين التوصل لسلام نهائي بين الجانبين'.

وتشير الوثيقة: 'إلى أن هذه المهمة قد تتطور في بعض الأحيان إلى التدخل الأمني العسكري المباشر ضد الجماعات 'الإرهابية' أو من يساندونها إذا قامت بأي نوع من العمليات 'الإرهابية' الجديدة ضد إسرائيل'.

وتقول الوثيقة: 'إن هذه القوات هي التي ستشرف على تنظيم إجراء انتخابات فلسطينية لاختيار قيادة بديلة عن عرفات، وأن عرفات سيكون وضعه في هذه الظروف الجديدة شبيها بوضع صدام حسين: شخصا غير مرغوب فيه، لأنه قام بتشجيع العمليات 'الإرهابية' وأضر كثيرا بالأمن الإسرائيلي على مدار السنوات الماضية، كما أنه غير مؤهل لإدارة المرحلة القادمة نظرا لطبيعتها الأمنية الحساسة بالإضافة إلى أنه سيقترن بها العمل بكل الطرق الممكنة على نشر مبادئ الديمقراطية واحتواء النزاعات والقيادات المدمرة في الشرق الأوسط التي تزيد معها حدة العمليات الإرهابية'!!

وتقول الوثيقة: 'إن أحد المبادىء الأساسية التي لا بد أن تمثل قاسما مشتركا لدينا هو أن يسود السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل على مراحل متدرجة:

أولها: أن يتم اختيار حكومة فلسطينية جديدة من خلال انتخابات حرة يتم الإشراف على كل خطواتها كاملا بمعرفة قيادات قوات الأطلسي، بما يضمن وجود الضوابط التنظيمية للعملية الانتخابية وأهمها التأكيد أن عرفات شخص غير معني بهذه الانتخابات، وأنه لا يمكن إجراء الانتخابات في ظل انتشار الجماعات 'الإرهابية' الفلسطينية فلابد من القضاء عليها أولا من خلال تحركات القوات الأطلسية المدعوة

للقيام بحملات اعتقالات ومداهمات ومحاكمات لهذه العناصر، كما أنه يجب ضمان تفكيك البنية التحتية للمؤسسات 'الإرهابية' الفلسطينية واعتقال كافة قياداتها وعدم السماح بترشيح كل المعادين لعملية السلام مع إسرائيل.

ثانيها: أن من سيتم اختيارهم من ممثلي الشعب الفلسطيني سيدعون مباشرة للدخول في مفاوضات مع 'إسرائيل' وأن قيادات الأطلسي هي التي ستشرف على هذه المفاوضات، وتحييد دور الدول العربية.

ثالثها: بعد الانتهاء من هذه المرحلة التي سنتركها تتواصل سنتجه إلى ليبيا، حيث يرابض هناك واحد من أكثر الأنظمة 'ديكتاتورية' في العالم على حد وصف الوثيقة وأننا سنجد الدوافع والاعتبارات الكافية للتدخل في ليبيا لأنه بدون تقدير هذه الدوافع والاعتبارات فستكون لدينا مشكلة حقيقية في التعامل مع شعوب الشرق الأوسط'.

وتقول الوثيقة: 'إن نظام القذافي دعم المنظمات 'الإرهابية' في العديد من دول العالم وأنه قدم إلى العراق في عام 1998 (200) مليون دولار لشراء العديد من المواد المختبرية اللازمة لصناعة أسلحة الدمار الشامل، كما أنه كان ينفق كثيرا على العلماء العراقيين، وكان هدفه هو أنه عند التوصل إلى صناعة القنبلة النووية العراقية يتم الإعلان بعد عدة سنوات قادمة عن القنبلة النووية العربية حتى تكون هي الرادع لإسرائيل'.

وتزعم الوثيقة 'أن هناك العديد من الأدلة والمذكرات الأخرى التي أكدت أن القذافي سعي شخصيا إلى حيازة أسلحة الدمار الشامل، وأن هناك ما يقرب من 100 عالم ذري عربي يعملون في تصنيع بعض المواد النووية، وأن البرنامج الليبي مازال مستمرا إلا أنه يحمل طابع السرية التامة، كما أن مكونات هذا البرنامج أو أغراضه وآفاقه غير معروفة على الإطلاق'.

تخلص الوثيقة في هذه القضية إلى ضرورة الخلاص من النظام الليبي على نمط ما سيجري مع الرئيس صدام حسين..

وتقول الوثيقة: 'إننا سندعو في المراحل الأولى فرقا من التفتيش الدولي للبحث عن مصادر أسلحة الدمار الشامل الليبية، والأماكن التي تخزن فيها، وأننا نثق في أن القذافي سيضع عقبات كبرى أمام عمل لجان التفتيش الدولية، ولكن ما يجب أن

نفعله هو ألا ندع فرصا كثيرة للقذافي مثل صدام، وأن يتم الانتهاء عسكريا من القذافي وفي أقل الخيارات الزمنية المتاحة'.

وتقترح الوثيقة 'أن يتواجد في ليبيا عدد لا يزيد على 20 ألفا من قوات الأطلسي، وسيكون أحد مهامها الأساسية هو ضمان التطبيق الديمقراطي في ليبيا مثل العراق وفلسطين'.

وتقول الوثيقة: 'إننا على ثقة من أن العملية العسكرية في ليبيا قد تكون معقدة لاعتبارات تتعلق أساسا بمواقف الدول المجاورة خاصة مصر التي ترفض دائما اللجوء إلى القوة في تغيير النظام الليبي، إلا أن مصر أيضا، وعلى الرغم من صداقتها التقليدية لدول حلف الأطلسي، إلا أننا سنحتاج أن نطلب منها إجراء العديد من التغييرات المهمة التي لابد وأن تتوافق مع الاتجاهات الجديدة في منطقة الشرق الأوسط'.

وتتحدث الوثيقة مطولا عن حقيقة دور القوات الأطلسية في المنطقة بعد مرحلة صدام، وهنا تقول الوثيقة: 'إن طبيعة دور القوات الأطلسية في المنطقة لا تقتصر فقط على مجرد إجراء ترتيبات أمنية أو ضمان مساندة الجماعات والأفكار الديمقراطية التي لابد أن تسود كل دول وأرجاء الشرق الأوسط، بل أيضا يجب أن تلعب دورا مهما في التنمية الاقتصادية، باعتبار أن الفقر يمثل عائقا أمام التطور الديمقراطي وسندا أساسيا لانتشار الإرهاب'.

وتقول الوثيقة: 'إذا كانت لا توجد مشكلة في إدارة برامج التنمية الاقتصادية، فإن إحدى المشكلات المهمة التي ستواجهنا في هذه المنطقة هي طبيعة الآليات التي يمكن من خلالها الاعتماد على إدارة برامج التنمية'.

وتشير الوثيقة هنا إلى أن التعاون الاقتصادي الإقليمي سيمثل أحد الخيارات الأساسية للتعاون البناء في هذه المنطقة، وأن هذا التعاون يجب أن تشارك فيه كل الأطراف الإقليمية في المنطقة بما فيها 'إسرائيل' وأن ذلك سيكون تحت رعاية وتوجيه دول حلف الأطلسي، كما أن الحلف سيعمل على تنفيذ عدد من البرامج الاقتصادية الطموحة للتغلب على العديد من العوائق الاقتصادية التي تواجه العديد من دول المنطقة.

وتقول الوثيقة: 'إننا سنضمن من خلال أطر التعاون الإقليمي ضمان مرور أكبر عدد من الشركات الدولية الكبرى للاستثمار في المنطقة'

وبعد ليبيا يأتي الدور على السودان من خلال تذكية الخلافات بين الحكومة السودانية والجنوبيين.. الأمر الذي يدفع بقوات حلف الأطلسي للتدخل المباشر وإسقاط نظام البشير.

أما بالنسبة لسوريا فسوف يجري افتعال العديد من الأزمات معها، تارة بتوجيه الاتهام إليها بحيازة أسلحة دمار شامل وحصولها على أسلحة متقدمة من العراق، واحتضانها لمنظمات 'إرهابية' مما يدفع قوات الحلف للقيام بمهمة اسقاط نظام حكم الرئيس بشار وتولية حكومة تقبل بالسلام والتعاون مع 'إسرائيل' وتدخل ضمن منظومة الدول التي تسعي واشنطن إلى نشر مفاهيم ومبادئ 'الديمقراطية' على أراضيها.

إذن هذه هي الملامح الأساسية لما تضمنته الوثيقة الأمريكية التي تناقش حالياً في أروقة حكومات دول حلف الأطلسي بهدف تطبيقها خلال عامي 2003،. 2004.

وفي هذا الإطار طلبت الولايات المتحدة من دول الحلف سرعة موافاتها بالردود النهائية للمشاركة في تنفيذ الخطة، حيث ترى واشنطن أن الدول التي ستوافق على التنفيذ العسكري معها هي الوحيدة التي سيكون لها حق الاستفادة من الميزات الاقتصادية في الشرق الأوسط.

المصدر : http://www.elosboa.co.uk

============

#نص مشروع الشرق الأوسط الكبير

فيما يلي نص مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الأمريكي المقدم إلى قمة الدول الثماني المنعقد في الولايات المتحدة في يونيو 2004

يمثل "الشرق الأوسط الكبير" تحديا وفرصة فريدة للمجتمع الدولي. وساهمت "النواقص" الثلاثة التي حددها الكتاب العرب لتقريري الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية للعامين 2002 و2003 – الحرية، المعرفة، وتمكين النساء– في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل أعضاء مجموعة الـ8. وطالما تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة، سنشهد زيادة

فـي التطـرف والإرهـاب والجريمـة الدوليـة والهجـرة غيـر المشـروعة. إن الإحصـائيات التي تصف الوضع الحالي في "الشرق الأوسط الكبير" مروعة: (1)

- مجموع إجمالي الدخل المحلي لبلدان الجامعة العربية الـ22 هو أقل من نظيره في أسبانيا.

- حوالي 40 % من العرب البالغين- 65 مليون شخص- أميون، وتشكل النساء ثلثي هذا العدد.

- سيدخل أكثر من 50 مليونا من الشباب سوق العمل بحلول 2010، وسيدخلها 100 مليون بحلول 2020. وهناك حاجة لخلق ما لا يقل عن 6 ملايين وظيفة جديدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل.

- إذا استمرت المعدلات الحالية للبطالة، سيبلغ معدل البطالة في المنطقة 25 مليونا بحلول 2010.

- يعيش ثلث المنطقة على أقل من دولارين في اليوم. ولتحسين مستويات المعيشة، يجب أن يزداد النمو الاقتصادي في المنطقة أكثر من الضعف من مستواه الحالي الذي هو دون 3 في المائة إلى 6 في المائة على الأقل.

- في إمكان 6، 1 في المائة فقط من السكان استخدام الإنترنت، وهو رقم أقل مما هو عليه في أي منطقة أخرى في العالم، بما في ذلك بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

- لا تشغل النساء سوى 5، 3 في المائة فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية، بالمقارنة، على سبيل المثال، مع 4، 8 في المائة في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

- عبر 51 في المائة من الشبان العرب الأكبر سنا عن رغبتهم في الهجرة إلى بلدان أخرى، وفقا لتقرير التنمية البشرية العربية للعام 2002، والهدف المفضل لديهم هو البلدان الأوربية.

وتعكس هذه الإحصائيات أن المنطقة تقف عند مفترق طرق. ويمكن للشرق الأوسط الكبير أن يستمر على المسار ذاته، ليضيف كل عام المزيد من الشباب المفتقرين

إلى مستويات لائقة من العمل والتعليم والمحرومين من حقوقهم السياسية. وسيمثل ذلك تهديدا مباشرا لاستقرار المنطقة، وللمصالح المشتركة لأعضاء مجموعة الـ8.

البديل هو الطريق إلى الإصلاح. ويمثل تقريرا التنمية البشرية العربية نداءات مقنعة وملحة للتحرك في الشرق الأوسط الكبير. وهي نداءات يرددها نشطاء وأكاديميون والقطاع الخاص في أرجاء المنطقة. وقد استجاب بعض الزعماء في الشرق الأوسط الكبير بالفعل لهذه النداءات واتخذوا خطوات في اتجاه الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وأيدت بلدان مجموعة الـ8، بدورها، هذه الجهود بمبادراتها الخاصة للإصلاح في منطقة الشرق الأوسط. وتبين "الشراكة الأوربية المتوسطية"، و"مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط"، وجهود إعادة الإعمار المتعددة الأطراف في أفغانستان والعراق التزام مجموعة الـ8 بالإصلاح في المنطقة.

إن التغيرات الديموغرافية المشار إليها أعلاه، وتحرير أفغانستان والعراق من نظامين قمعيين، ونشوء نبضات ديمقراطية في أرجاء المنطقة، بمجموعها، تتيح لمجموعة الـ8 فرصة تاريخية. وينبغي للمجموعة، في قمتها في سي آيلاند، أن تصوغ شراكة بعيدة المدى مع قادة الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير، وتطلق ردا منسقا لتشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة.

ويمكن لمجموعة الـ8 أن تتفق على أولويات مشتركة للإصلاح تعالج النواقص التي حددها تقريرا الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية عبر:

- تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح.
- بناء مجتمع معرفي.
- توسيع الفرص الاقتصادية.

وتمثل أولويات الإصلاح هذه السبيل إلى تنمية المنطقة: فالديمقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار الذي تتحقق داخله التنمية، والأفراد الذين يتمتعون بتعليم جيد هم أدوات التنمية، والمبادرة في مجال الأعمال هي ماكينة التنمية.

أولا: – تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح:

"توجد فجوة كبيرة بين البلدان العربية والمناطق الأخرى على صعيد الحكم القائم على المشاركة... ويضعف هذا النقص في الحرية التنمية البشرية، وهو احد التجليات الأكثر إيلاما للتخلف في التنمية السياسية". (تقرير التنمية البشرية، 2002)

إن الديمقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط الكبير. وفي تقرير "فريدوم هاوس" للعام 2003، كانت إسرائيل البلد الوحيد في الشرق الأوسط الكبير الذي صُنف بأنه "حر"، ووصفت أربعة بلدان أخرى فقط بأنها "حرة جزئيا". ولفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى انه من بين سبع مناطق في العالم، حصلت البلدان العربية على أدنى درجة في الحرية في أواخر التسعينات. وأدرجت قواعد البيانات التي تقيس "التعبير عن الرأي والمساءلة" المنطقة العربية في المرتبة الأدنى في العالم. بالإضافة إلى ذلك، لا يتقدم العالم العربي إلا على أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على صعيد تمكين النساء. ولا تنسجم هذه المؤشرات المحبطة إطلاقا مع الرغبات التي يعبر عنها سكان المنطقة. في تقرير التنمية البشرية العربية للعام 2003، على سبيل المثال، تصدر العرب لائحة من يؤيد، في أرجاء العالم، الرأي القائل بان "الديمقراطية أفضل من أي شكل آخر للحكم"، وعبروا عن أعلى مستوى لرفض الحكم الاستبدادي ويمكن لمجموعة الـ8 أن تظهر تأييدها للإصلاح الديمقراطي في المنطقة عبر التزام ما يلي:

– مبادرة الانتخابات الحرة

في الفترة بين 2004 و 2006، أعلنت بلدان عدة في الشرق الأوسط الكبير (2) نيتها إجراء انتخابات رئاسية أو برلمانية أو بلدية.

وبالتعاون مع تلك البلدان التي تظهر استعدادا جديا لإجراء انتخابات حرة ومنصفة، يمكن لمجموعة الـ8 أن تقدم بفاعلية مساعدات لمرحلة ما قبل الانتخابات بـ:

– تقديم مساعدات تقنية، عبر تبادل الزيارات أو الندوات، لإنشاء أو تعزيز لجان انتخابية مستقلة لمراقبة الانتخابات والاستجابة للشكاوى وتسلم التقارير.

– تقديم مساعدات تقنية لتسجيل الناخبين والتربية المدنية إلى الحكومات التي تطلب ذلك، مع تركيز خاص على الناخبات.

- الزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلماني.

من أجل تعزيز دور البرلمانات في مقرطة البلدان، يمكن لمجموعة الـ8 أن ترعى تبادل زيارات لأعضاء البرلمانات، مع تركيز الاهتمام على صوغ التشريعات وتطبيق الإصلاح التشريعي والقانوني وتمثيل الناخبين.

- معاهد للتدريب على القيادة خاصة بالنساء:

تشغل النساء 5، 3 في المائة فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية. ومن أجل زيادة مشاركة النساء في الحياة السياسية والمدنية، يمكن لمجموعة الـ8 أن ترعى معاهد تدريب خاصة بالنساء تقدم تدريبا على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة في التنافس الانتخابي على مواقع في الحكم أو إنشاء/تشغيل منظمة غير حكومية. ويمكن لهذه المعاهد أن تجمع بين قياديات من بلدان مجموعة الـ8 والمنطقة.

- المساعدة القانونية للناس العاديين:

في الوقت الذي نفذت فيه الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي والأمم المتحدة والبنك الدولي بالفعل مبادرات كثيرة لتشجيع الإصلاح القانوني والقضائي، فإن معظمها يجرى على المستوى الوطني في مجالات مثل التدريب القضائي والإدارة القضائية وإصلاح النظام القانوني. ويمكن لمبادرة من مجموعة الـ8 أن تكمل هذه الجهود بتركيز الانتباه على مستوى الناس العاديين في المجتمع، حيث يبدأ التحسس الحقيقي للعدالة. ويمكن لمجموعة الـ8 أن تنشئ وتمول مراكز يمكن للأفراد أن يحصلوا فيها على مشورة قانونية بشأن القانون المدني أو الجنائي أو الشريعة، ويتصلوا بمحامي الدفاع (وهي غير مألوفة إلى حد كبير في المنطقة). كما يمكن لهذه المراكز أن ترتبط بكليات الحقوق في المنطقة.

- مبادرة وسائل الإعلام المستقلة:

يلفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى هناك أقل من 53 صحيفة لكل 1000 مواطن عربي، بالمقارنة مع 285 صحيفة لكل ألف شخص في البلدان المتطورة، وأن الصحف العربية التي يتم تداولها تميل إلى أن تكون ذات نوعية رديئة. ومعظم برامج التلفزيون في المنطقة تعود ملكيته إلى الدولة أو يخضع لسيطرتها، وغالبا ما تكون النوعية رديئة، إذ تفتقر البرامج إلى التقارير ذات الطابع التحليلي والتحقيقي. ويقود

هذا النقص إلى غياب اهتمام الجمهور وتفاعله مع وسائل الإعلام المطبوعة، ويحد من المعلومات المتوافرة للجمهور. ولمعالجة ذلك، يمكن لمجموعة الـ8 أن:

- ترعى زيارات متبادلة للصحفيين في وسائل الإعلام المطبوعة والإذاعية.
- ترعى برامج تدريب لصحفيين مستقلين
- تقدم زمالات دراسية لطلاب كي يداوموا في مدارس للصحافة في المنطقة أو خارج البلاد، وتمول برامج لإيفاد صحفيين أو أساتذة صحافة لتنظيم ندوات تدريب بشأن قضايا مثل تغطية الانتخابات أو قضاء فصل دراسي في التدريس في مدارس بالمنطقة.

- الجهود المتعلقة بالشفافية/ مكافحة الفساد:

حدد البنك الدولي الفساد باعتباره العقبة المنفردة الكبرى في وجه التنمية، وقد أصبح متأصلا في الكثير من بلدان الشرق الأوسط الكبير. ويمكن لمجموعة الـ8:

- أن تشجع على تبني "مبادئ الشفافية ومكافحة الفساد" الخاصة بمجموعة الـ8.
- أن تدعم علنا مبادرة منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية/ برنامج الأمم المتحدة للتنمية في الشرق الأوسط – شمال أفريقيا، التي يناقش من خلالها رؤساء حكومات ومانحون وIFIs ومنظمات غير حكومية إستراتيجيات وطنية لمكافحة الفساد وتعزيز خضوع الحكومة للمساءلة.
- إطلاق واحد أو أكثر من البرامج التجريبية لمجموعة الـ8 حول الشفافية في المنطقة.

- المجتمع المدني

أخذا في الاعتبار أن القوة الدافعة للإصلاح الحقيقي في الشرق الأوسط الكبير يجب أن تأتي من الداخل، وبما أن أفضل الوسائل لتشجيع الإصلاح هي عبر منظمات تمثيلية، ينبغي لمجموعة الـ8 أن تشجع على تطوير منظمات فاعلة للمجتمع المدني في المنطقة. ويمكن لمجموعة الـ8 أن:

- تشجع حكومات المنطقة على السماح لمنظمات المجتمع المدني، ومن ضمنها المنظمات غير الحكومية الخاصة بحقوق الإنسان ووسائل الإعلام، على أن تعمل بحرية من دون مضايقة أو تقييدات.

– تزيد التمويل المباشر للمنظمات المهتمة بالديمقراطية وحقوق الإنسان ووسائل الإعلام والنساء وغيرها من المنظمات غير الحكومية في المنطقة.

– تزيد القدرة التقنية لمنظمات غير الحكومية في المنطقة بزيادة التمويل للمنظمات المحلية (مثل "مؤسسة وستمنستر" في المملكة المتحدة أو "مؤسسة الدعم الوطني للديمقراطية" الأمريكية) لتقديم التدريب للمنظمات غير الحكومية في شأن كيفية وضع برنامج والتأثير على الحكومة وتطوير إستراتيجيات خاصة بوسائل الإعلام والناس العاديين لكسب التأييد. كما يمكن لهذه البرامج أن تتضمن تبادل الزيارات وإنشاء شبكات إقليمية.

– تمول منظمة غير حكومية يمكن أن تجمع بين خبراء قانونيين أو خبراء إعلاميين من المنطقة لصوغ تقويمات سنوية للجهود المبذولة من أجل الإصلاح القضائي أو حرية وسائل الإعلام في المنطقة. (يمكن بهذا الشأن الإقتداء بنموذج "تقرير التنمية البشرية العربية).

ثانيا: – بناء مجتمع معرفي:

"تمثل المعرفة الطريق إلى التنمية والانعتاق، خصوصا في عالم يتسم بعولمة مكثفة". (تقرير التنمية البشرية العربية، 2002)

لقد أخفقت منطقة الشرق الأوسط الكبير، التي كانت في وقت مضى مهد الاكتشاف العلمي والمعرفة، إلى حد بعيد، في مواكبة العالم الحالي ذي التوجه المعرفي. وتشكل الفجوة المعرفية التي تعانيها المنطقة ونزف الأدمغة المتواصل تحديا لآفاق التنمية فيها. ولا يمثل ما تنتجه البلدان العربية من الكتب سوى 1، 1 في المائة من الإجمالي العالمي (حيث تشكل الكتب الدينية أكثر من 15 في المائة منها). ويهاجر حوالي ربع كل خريجي الجامعات، وتستورد التكنولوجيا إلى حد كبير. ويبلغ عدد الكتب المترجمة إلى اللغة اليونانية (التي لا ينطق بها سوى 11 مليون شخص) خمسة أضعاف ما يترجم إلى اللغة العربية.

وبالاستناد على الجهود التي تبذل بالفعل في المنطقة، يمكن لمجموعة الـ8 أن تقدم مساعدات لمعالجة تحديات التعليم في المنطقة ومساعدة الطلاب على اكتساب المهارات الضرورية للنجاح في السوق المعولمة لعصرنا الحاضر.

- مبادرة التعليم الأساسي:

يعاني التعليم الأساسي في المنطقة من نقص (وتراجع) في التمويل الحكومي، بسبب تزايد الإقبال على التعليم متماشيا مع الضغوط السكانية، كما يعاني من اعتبارات ثقافية تقيد تعليم البنات. وفي مقدور مجموعة الـ8 السعي إلى مبادرة للتعليم الأولي في منطقة الشرق الأوسط الكبرى تشمل هذه العناصر:

- محو الأمية:

أطلقت الأمم المتحدة في 2003 "برنامج عقد مكافحة الأمية" تحت شعار "محو الأمية كحرية". ولمبادرة مجموعة الـ8 لمكافحة الأمية أن تتكامل مع برنامج الأمم المتحدة، من خلال التركيز على إنتاج جيل متحرر من الأمية في الشرق الأوسط خلال العقد المقبل، مع السعي إلى خفض نسبة الأمية في المنطقة إلى النصف بحلول 2010 وستركز مبادرة مجموعة الـ8، مثل برنامج الأمم المتحدة، على النساء والبنات. وإذا أخذنا في الاعتبار معاناة 65 مليونا من الراشدين في المنطقة من الأمية، يمكن لمبادرة مجموعة الـ8 أن تركز أيضا على محو الأمية بين الراشدين وتدريبهم من خلال برامج متنوعة، من مناهج تدريس على الإنترنت إلى تدريب المعلمين.

- فرق محو الأمية: يمكن لمجموعة الـ8، سعيا إلى تحسين مستوى القراءة والكتابة لدى الفتيات، إنشاء أو توسيع معاهد تدريب المعلمين مع التركيز على النساء. ولمعلمات المدارس والمختصات بالتعليم القيام في هذه المعاهد بتدريب النساء على مهنة التعليم (هناك دول تحرم تعليم الذكور للإناث)، لكي يركزن بدورهن على تعليم البنات القراءة وتوفير التعليم الأولي لهن. للبرنامج أيضا استخدام الإرشادات المتضمنة في برنامج "التعليم للجميع" التابع لـ"يونيسكو"، بهدف إعداد "فرق محو الأمية" التي يبلغ تعدادها بحلول 2008 مئة ألف معلمة.

- الكتب التعليمية: يلاحظ تقرير التنمية البشرية العربية نقصا مهما في ترجمة الكتب الأساسية في الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة، كما تلاحظ "الحالة المؤسفة للمكتبات" في الجامعات. ويمكن لكل من دول مجموعة الـ8 تمويل برنامج لترجمة مؤلفاتها "الكلاسيكية" في هذه الحقول، وأيضا، وحيث يكون ذلك مناسبا،

تستطيع الدول أو دور النشر (في شراكة بين القطاعين العام والخاص) إعادة نشر الكتب الكلاسيكية العربية الخارجة عن التداول حاليا والتبرع بها إلى المدارس والجامعات والمكتبات العامة المحلية.

– مبادرة مدارس الاكتشاف: بدأ الأردن بتنفيذ مبادرته لإنشاء "مدارس الاكتشاف" حيث يتم استعمال التكنولوجيا المتقدمة ومناهج التعليم الحديثة. ولمجموعة الـ8 السعي إلى توسيع هذه الفكرة ونقلها إلى دول أخرى في المنطقة من طريق التمويل، من ضمنه من القطاع الخاص.

– إصلاح التعليم: ستقوم "المبادرة الأمريكية للشراكة في الشرق الأوسط" قبل قمة مجموعة الـ8 المقبلة (في آذار/ مارس أو نيسان/ أبريل) برعاية "قمة الشرق الأوسط لإصلاح التعليم"، التي ستكون ملتقى لتيارات الرأي العام المتطلعة إلى الإصلاح والقطاع الخاص وقادة الهيئات المدنية والاجتماعية في المنطقة ونظرائهم من الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي، وذلك لتحديد المواقع والمواضيع التي تتطلب المعالجة، والتباحث في سبل التغلب على النواقص في حقل التعليم. ويمكن عقد القمة في ضيافة مجموعة الـ8 توخيا لتوسيع الدعم لمبادرة منطقة الشرق الأوسط الكبرى عشية عقد القمة.

– مبادرة التعليم في الإنترنت:

تحتل المنطقة المستوى الأدنى من حيث التواصل مع الإنترنت. ومن الضروري تماما تجسير "الهوة الرقمية" هذه بين المنطقة وبقية العالم نظرا إلى تزايد المعلومات المودعة على الإنترنت وأهمية الإنترنت بالنسبة للتعليم والمتاجرة ولدى مجموعة الـ8 القدرة على إطلاق شراكة بين القطاعين العام والخاص لتوفير الاتصال الكومبيوتري أو توسيعه في أنحاء المنطقة، وأيضا بين المدن والريف داخل البلد الواحد. وقد يكون من المناسب أكثر لبعض المناطق توفير الكومبيوترات في مكاتب البريد، مثلما يحصل في بلدات وقرى روسيا. وقد يركز المشروع أولا على بلدان الشرق الأوسط الأقل استخداما للكومبيوتر (العراق، أفغانستان، باكستان، اليمن، سورية، ليبيا، الجزائر، مصر، المغرب)، والسعي، ضمن الإمكانات المالية، إلى توفير الاتصال بالكومبيوتر إلى أكثر ما يمكن من المدارس ومكاتب البريد.

ومن الممكن أيضا ربط مبادرة تجهيز المدارس بالكومبيوتر بـ"بمبادرة فرق محو الأمية" المذكورة أعلاه، أي قيام مدرسي المعاهد بتدريب المعلمين المحليين على تطوير مناهج دراسية ووضعها على الإنترنت، في مشروع يتولى القطاع الخاص توفير معداته ويكون متاحا للمعلمين والطلبة.

– مبادرة تدريس إدارة الأعمال:

لمجموعة الـ8 في سياق السعي إلى تحسين مستوى إدارة الأعمال في عموم المنطقة إقامة الشراكات بين مدارس الأعمال في دول مجموعة الـ8 والمعاهد التعليمية (الجامعات والمعاهد المتخصصة) في المنطقة. وبمقدور مجموعة الـ8 تمويل هيئة التعليم والمواد التعليمية في هذه المعاهد المشتركة، التي تمتد برامجها من دورة تدريبية لمدة سنة للخريجين إلى دورات قصيرة تدور على مواضيع محددة، مثل إعداد خطط العمل للشركات أو إستراتيجيات التسويق.

النموذج لهذا النوع من المعاهد قد يكون معهد البحرين للمصارف والمال، وهو مؤسسة بمدير أمريكي ولها علاقة شراكة مع عدد من الجامعات الأمريكية.

– توسيع الفرص الاقتصادية:

تجسير الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير يتطلب تحولا اقتصاديا يشابه في مداه ذلك الذي عملت به الدول الشيوعية سابقا في أوربا الشرقية. وسيكون مفتاح التحول إطلاق قدرات القطاع الخاص في المنطقة، خصوصا مشاريع الأعمال الصغيرة والمتوسطة، التي تشكل المحركات الرئيسية للنمو الاقتصادي وخلق فرص العمل. وسيكون نمو طبقة متمرسة في مجال الأعمال عنصرا مهما لنمو الديمقراطية والحرية. ويمكن لمجموعة الـ8 في هذا السياق اتخاذ الخطوات التالية:

– مبادرة تمويل النمو:

تقوية فاعلية القطاع المالي عنصر ضروري للتوصل إلى نسب أعلى للنمو وخلق فرص العمل. ولمجموعة الـ8 أن تسعى إلى إطلاق مبادرة مالية متكاملة تتضمن العناصر التالية:

– إقراض المشاريع الصغيرة: هناك بعض المؤسسات المختصة بتمويل المشاريع الصغيرة في المنطقة لكن العاملين في هذا المجال لا يزالون يواجهون ثغرات مالية

كبيرة. إذ لا يحصل على التمويل سوى خمسة في المائة من الساعين إليه، ولا يتم عموما تقديم أكثر من 0. 7 في المائة من مجموع المال المطلوب في هذا القطاع. وبإمكان مجموعة الـ8 المساعدة على تلافي هذا النقص من خلال تمويل المشاريع الصغيرة، مع التركيز على التمويل بهدف الربح، خصوصا للمشاريع التي تقوم بها النساء. مؤسسات الإقراض الصغير المربح قادرة على إدامة نفسها ولا تحتاج إلى تمويل إضافي للاستمرار والنمو. ونقدر أن في إمكان قرض من 400 مليون دولار إلى 500 مليون دولار يدفع على خمس سنوات مساعدة 1. 2 مليون ناشط اقتصادي على التخلص من الفقر، 750 ألفا منهم من النساء.

– مؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير: باستطاعة مجموعة الـ8 المشاركة في تمويل مؤسسة على طراز "مؤسسة المال الدولية" للمساعدة على تنمية مشاريع الأعمال على المستويين المتوسط والكبير، بهدف التوصل إلى تكامل اقتصادي لمجال الأعمال في المنطقة. وربما الأفضل إدارة هذه المؤسسة من قبل مجموعة من قادة القطاع الخاص في مجموعة الـ8 يقدمون خبراتهم لمنطقة الشرق الأوسط الكبير.

– بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير: في إمكان مجموعة الـ8 ومشاركة مقرضين من منطقة الشرق الأوسط الكبير نفسها، إنشاء مؤسسة إقليمية للتنمية على غرار "البنك الأوربي للإعمار والتنمية" لمساعدة الدول الساعية إلى الإصلاح على توفير الاحتياجات الأولية للتنمية. كما تستطيع المؤسسة الجديدة توحيد القدرات المالية لدول المنطقة الأغنى وتركيزها على مشاريع لتوسيع انتشار التعليم والعناية الصحية والبنى التحتية الرئيسية. ولـ"بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير" هذا أن يكون مذخرا للمساعدة التكنولوجية وإستراتيجيات التنمية لبلدان المنطقة. اتخاذ قرارات الإقراض (أو المنح يجب أن تتحدد بحسب قدرة البلد المقترض على القيام بإصلاحات ملموسة).

– الشراكة من أجل نظام مالي أفضل: بمقدور مجموعة الـ8، توخيا لإصلاح الخدمات المالية في المنطقة وتحسين اندماج بلدانها في النظام المالي العالمي، أن تعرض مشاركتها في عمليات إصلاح النظم المالية في البلدان المتقدمة في المنطقة. وسيكون هدف المشاركة إطلاق حرية الخدمات المالية وتوسيعها في عموم المنطقة،

من خلال تقديم تشكيلة من المساعدات التقنية والخبرات في مجال الأنظمة المالية مع التركيز على:

- تنفيذ خطط الإصلاح التي تخفض سيطرة الدولة على الخدمات المالية.
- رفع الحواجز على التعاملات المالية بين الدول.
- تحديث الخدمات المصرفية.
- تقديم وتحسين وتوسيع الوسائل المالية الداعمة لاقتصاد السوق.
- إنشاء الهياكل التنظيمية الداعمة لإطلاق حرية الخدمات المالية.

مبادرة التجارة:

إن حجم التبادل التجاري في الشرق الأوسط متدن جدا، إذ لا يشكل سوى 6 في المائة من كل التجارة العربية. ومعظم بلدان الشرق الأوسط الكبير تتعامل تجاريا مع بلدان خارج المنطقة، وتوصلت إلى اتفاقات تجارية تفضيلية مع أطراف بعيدة جدا بدلا من جيرانها. ونتيجة لذلك، أصبحت الحواجز الجمركية وغير الجمركية هي الشيء المعتاد، فيما لا تزال التجارة عبر الحدود شيئا نادرا. ويمكن لمجموعة الـ8 أن تنشئ مبادرة جديدة مصممة لتشجيع التجارة في الشرق الأوسط الكبير، تتألف من العناصر التالية:

- الانضمام/ التنفيذ على صعيد منظمة التجارة الدولية وتسهيل التجارة

يمكن لمجموعة الـ8 أن تزيد تركيزها على انضمام البلدان في المنطقة إلى منظمة التجارة الدولية. (3)

وستتضمن برامج محددة للمساعدة التقنية توفير مستشارين يعملون في البلد ذاته في شأن الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية وتحفيز التزام واسع من مجموعة الـ8 لتشجيع عملية الانضمام، بما في ذلك تركيز الاهتمام على تحديد وإزالة الحواجز غير الجمركية. وحالما ينجز الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية، سيتحول مركز الاهتمام إلى توقيع التزامات إضافية لمنظمة التجارة الدولية، مثل "الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية" و"اتفاق مشتريات الحكومة" وربط استمرار المساعدة التقنية بتنفيذ هذه الالتزامات الخاصة بمنظمة التجارة الدولية. ويمكن لهذه المساعدات التقنية أن تربط أيضا ببرنامج على صعيد المنطقة برعاية مجموعة الـ8 بشأن التسهيلات

والجوانب اللوجستية المتعلقة بالرسوم الجمركية للحد من الحواجز الإدارية والمادية بوجه التبادل التجاري بين بلدان المنطقة.

- المناطق التجارية:

ستنشئ مجموعة الـ8 مناطق في الشرق الوسط الكبير للتركيز على تحسين التبادل التجاري في المنطقة والممارسات المتعلقة بالرسوم الجمركية. وستتيح هذه المناطق مجموعة متنوعة من الخدمات لدعم النشاط التجاري للقطاع الخاص والصلات بين المشاريع الخاصة، بما في ذلك "التسوق من منفذ واحد" للمستثمرين الأجانب، وصلات مع مكاتب الجمارك لتقليل الوقت الذي يستغرقه إنجاز معاملات النقل، وضوابط موحدة لتسهيل دخول وخروج السلع والخدمات من المنطقة.

- مناطق رعاية الأعمال:

بالاستناد على النجاح الذي حققته مناطق التصدير ومناطق التجارة الخاصة في مناطق أخرى، يمكن لمجموعة الـ8 أن تساعد على إقامة مناطق محددة خصيصا في الشرق الأوسط الكبير تتولى تشجيع التعاون الإقليمي في تصميم وتصنيع وتسويق المنتجات ويمكن لمجموعة الـ8 أن تعرض منافذ محسنة إلى أسواقها لهذه المنتجات، وتقدم خبراتها في إنشاء هذه المناطق.

- منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير:

لتشجيع التعاون الإقليمي المحسن، يمكن لمجموعة الـ8 أن تنشئ "منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط" الذي سيجمع مسئولين كبارا من مجموعة الـ8 والشرق الأوسط الكبير (مع إمكان عقد اجتماعات جانبية لمسئولين وأفراد غير حكوميين من وسط رجال الأعمال) لمناقشة القضايا المتعلقة بالإصلاح الاقتصادي.

ويمكن للمنبر أن يستند في شكل مرن على نموذج رابطة آسيا – المحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي (أبيك)، وسيغطي قضايا اقتصادية إقليمية، من ضمنها القضايا المالية والتجارية وما يتعلق بالضوابط.

(1) يشير "الشرق الأوسط الكبير" إلى بلدان العالم العربي، زائدا باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل. (2) تخطط أفغانستان والجزائر والبحرين وإيران ولبنان والمغرب وقطر والسعودية وتونس وتركيا واليمن لإجراء انتخابات. (3) البلدان التي

قدمت طلبا للانضمام إلى منظمة التجارة الدولية (شكلت لجنة عمل تابعة للمنظمة): الجزائر ولبنان والسعودية واليمن. بلدان قدمت طلبا للانضمام (لم يُنظر بعد في الطلب): أفغانستان وإيران وليبيا وسورية. بلدان طلبت منحها صفة مراقب: العراق.

2004/02/22

24-05-2004

==============

#قوة أمريكا العسكرية وهبوطها الاقتصادي ومرض الدولار المزمن

خالص جلبي

1425/11/02

الشرق الأوسط/ تتوالى شهادات خبراء الاقتصاد عن مستقبل مظلم للدولار الأمريكي، فعندما يفكر جيم أو نايل Jim O"Neill الخبير الاقتصادي في بنك جولدمان ساكس الاستثماري Goldman Sachs حول مستقبل الدولار لا يخرج إلا بالتشاؤم فيقول: «سوف يفقد الدولار المزيد من قيمته أمام اليورو، وسوف يصل سعر صرف اليورو مقابل الدولار إلى 1.2 أو 1.3 أو ربما 1.4»، وحصل الذي توقع الرجل قبل حدوثه ففي نوفمبر 2004م تراوح اليورو مقابل الدولار بين 1.3 و1.4، ويذهب إلى نفس التحليل ميشيل كلاوتر Micheal Klawitter خبير العملات في بنك West LB في لندن، الذي يرى أن صعود اليورو سيرافقه حضيض في الدولار، وأن يصل اليورو إلى 1.4 دولار موضوع مفروغ منه out of Question، ويتعاظم الشك في البورصات في أداء أمريكا القوة الأعظم ليس في قوتها العسكرية لكن الاقتصادية، وينمو الخوف أن الاقتصاد الأمريكي ليس ذلك الصلب كما كان متوقعاً، وأن النمو الذي عاشه البلد سابقاً لربما يفاجأ بانهيار حاد.

ومرض الدولار مظهر لمرض أعمق عن قوة أداء الاقتصاد الأمريكي كما في مريض الملاريا فلا يعالج بـ (خافضات) الحرارة كما تفعل أمريكا بـ (تخفيض) الدولار؛ بل بجرعة كينين (مّر)، وعلى الأمريكيين تجرع (مرارة) الدواء من ادخار وتقشف وعرق جبين.

وأعجب ما في الأمر هو التناقض بين قوة أمريكا العسكرية وضعف الدولار، ومن الغرابة بمكان أن الأمة العسكرية الأشد بأساً (أمريكا) سوف ينال منها الاقتصاد، وقوة العضلات ليست دليل صحة دوماً.

وفي العادة يهرب الناس زمن الأزمات إلى الدولار كمنطقة أمان، ولكن الذي يحدث هو العكس؛ فلم يتحسن الدولار في حرب العراق بل هبط وما زال، وهناك العديد من الأمم ملأت احتياطياتها من (اليورو) الذي سطعت شمسه على العالمين، وبعد أن بدأ رحلته بخجل وتردد مع عام 2000 م لينزل إلى 0.9 من الدولار، ثم ليشد عزمه في رحلة صعود لا تتوقف ليصبح مع نوفمبر 2004م حوالي 1.34 من الدولار، أي أن العملة الأمريكية خسرت 40 % من قوتها تجاه اليورو، والرحلة الموجعة إلى القاع لم تنته بعد، وأحياناً يتساءل المرء: هل يمكن أن يصحو الإنسان من نومه ليرى مصير الدولار مثل مصير الدينار الأردني أو البات التايلندي حين خسفت به الأرض في ليلة واحدة فخسر نصف قيمته؟

وما يوقف الدولار عن الموت حالياً هو ارتباط بيع النفط بالدولار، ولو انفك النفط عن الدولار لقضي عليه عالمياً، وهذا يحكي قصة السياسة والمال، ومع أن النفط في معظمه ينبع من العالم الإسلامي، و8 % من بترول العالم يتدفق من حقلين في السعودية والكويت، ولكن البترول يباع بأرخص من الماء حتى اليوم.

وقديماً تنبه إلى هذه المشكلة الاقتصادية المفكر الجزائري (مالك بن نبي) فكتب في ضوء مؤتمر باندونغ في (الأفرو آسيوية) عن إيجاد منظمة اقتصادية تضم فقراء العالم الثالث فتتحكم بموارد ثرواتها، وولدت بعدها منظمة (الأوبيك)، وفي آخر كتاب له (المسلم في عالم الاقتصاد) قبل موته – وكنت برفقته شخصياً – حينما سافر إلى بيروت لتفقد طباعته كان الرجل يأمل بقيام كتلة مالية مستقلة عن الرأسمالية والشيوعية.

و(مهاتير) من ماليزيا دعا أيضاً إلى فكرة ربط البترول بالذهب، ويمكن أن يدخل إلى الميدان عملة إسلامية جديدة مستقلة عن الدولار، وهو يعني الاستقلال السياسي.

وبذا (تغول) الدولار، ولم يبق قيمة لعملة عربية، وفي السودان نسوا الجنيه ويتعاملون بالريال، ولكن لا الجنيه ولا الريال لهما قيمة، وفي الإنترنت ينقل عن المؤرخ

الأمريكي (وليام كلارك) أن حرب العراق الأخيرة كانت من أجل حصر بيع البترول بالدولار؛ والدولار فقط، وهو أمر تفطن إليه طاغية بغداد الأسبق صدام المصدوم، وكانت رمية من غير رامٍ حين تخلى عن بيع البترول بالدولار، واستبدله باليورو.

وبالطبع فإن الكلام النظري سهل، وهو أن تعتمد دول الأوبيك بيع نفطها بسلة عملات، بحيث تخرج كتلة أو عمود اقتصادي جديد خارج عمود الين واليورو والدولار، فتحقق استقلالاً اقتصادياً، ودخلاً للثروة ثابتاً لا يخضع لمزاج الدولار الحاد المتقلب مثل أعاصير التيفون في مثلث الموت، وأمريكا تفعل هذا عن قصد عسى أن تدفع عن نفسها الموت الاقتصادي المقبل بخدع اقتصادية من تنزيل الدولار بين الحين والآخر، ولكن منذ أيام الاقتصادي (ريكاردو) فإن السوق يخضع لقوانين حديدية.

والاقتصاد العالمي يقوم على ثلاث: (السلع) و(الخدمات) و(النقد)، والنقد بدوره يستظل بدوره تحت قبة من ثلاث أعمدة من عملات رئيسية هي: الدولار الأمريكي، والين الياباني، واليورو الأوربي، ولذا رأينا الكثير من العملات ربطت نفسها على نحو انتحاري مع الدولار – كما هو الحال مع العديد من العملات العربية –، فتهبط مع هبوط النسر الأمريكي؛ وتحلق مع تحليقه، ولكن الهبوط قد يكسر الظهر أحياناً، ومن أسلم مصيره لغيره لم يأمن انقلاب الزمن عليه، ويقول المثل: " لا تودع مالك حيث لا تستطيع الوصول إليه "، وفي الإنجيل: "حيث مالك قلبك".

ويتوقع (باول كيندي) في كتابه (سقوط القوى العظمى) أن أمريكا لن تخرج عن القدر التاريخي، ولسوف تهوي كما هوت إمبراطوريات كثيرة تحت نفس القانون الإمبريالي، وكان (سكيبيو) الروماني يعارض (كاتو) في تدمير (قرطاجنة) الذي كان يختم كل خطبة له بجملة (ديلندا است كارتا جو أي: دمروا قرطاجنة) لشعوره أن (وجود) قرطاجنة يحافظ على (وجود) روما، ويدفعها للنمو، ولكن القضاء عليها سوف ينهي معها روما بطريقة مختلفة بتشربها بالروح الإمبريالية، وهو رأي ذهب إليه أيضاً (توينبي) و(شبنجلر) بأن هزيمة معركة (زاما) على أبواب قرطاجة عام 202 قبل الميلاد قضت على الإمبراطوريتين معاً، فمع هلاك قرطاج انتهت (جمهورية) روما، وكانت مذبحة قرطاجة (هيروشيما) العصر القديم حينما قضت روما في 17 يوماً

على 450 ألف نسمة من السكان، وهو أمر ذكره (تشرشل) في ظلمات الحرب العالمية الثانية وهو يوجه خطابه إلى الجمهور البريطاني قائلا:«لسنا الوحيدين في هذه المعمعة، فقد مرت قرطاجة بظروف مشابهة، فلم تستسلم ونحن نستلهم روحها في وجه النازي، ولسوف نحارب في كل مكان».

هل أمريكا في طريقها إلى الإفلاس الكبير؟

يستبعد ذلك فهي خمسون دولة مضغوطة في اقتصاد واحد، وتشرب ربع البترول العالمي (عشرين مليون من ثمانين مليون برميل يومياً، وحصة الفرد الأمريكي السنوية من استهلاك البترول 26 برميلاً مقابل 0.9 للهندي و1.8 للصيني)، وهي تنتج 38 % من مجمل التجارة العالمية، ولكنها مع ذلك تخضع لقوانين الاقتصاد، ومن يغفل عن قوانين الله فإن قوانين الله لا تغفل عنه.

ويتوقع (باول كينيدي) أن يتراجع اقتصادها من مجمل الإنتاج العالمي في القرن الواحد والعشرين من 40% إلى 18 %، وفي القرآن ((وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ))(الأعراف94 – 95) أي أن القرى يأخذ أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرَّعون، بمعنى أن الصدمة قد توقظ لتصحيح المسار، فإذا لم تستجب الأمم لهذا الإنذار حصل شيء عجيب وهو دخولها مرحلة كاذبة من تبديل السيئة بالحسنة، وإذا وقع هذا (عفواً) أي نسوا فلم يستفيدوا من الدرس، وقالوا: قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون، وقد نكون شهداء انهيار أمريكا بالاقتصاد أكثر من الحرب، ((وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً))(الكهف:59).

وقد يأتي الوقت الذي يخاف الاقتصاديون، ويرتعب المودعون بأن الأخطار كبيرة فيسحبون أموالهم بالدولار، وعندها ستحدث الصدمة الكبرى وهو ما يخشاه المؤرخ الاقتصادي (هارولد جيمس) من جامعة (برينستون)، وتحذر مجلة (النيوزويك) قراءها الأمريكيين من التطورات الدرامية بقولها:«انسوا الحرب العراقية، انسوا النزاع الأطلنطي، إن أم المعارك تتربص بكم في جبهة أخرى».

المصـــدر :

.php744/7/02/11/1425http://almokhtsar.com/html/news/

============

#الاستحواذ على العقول .. أخطر من احتلال الأرض

شعبان عبد الرحمن (*)

«لكي نكسب الحرب ضد الإرهاب؛ فإن ذلك يتطلب منا أكثر من مجرد قوتنا العسكرية.. يتطلب منا اجتذاب شعوب العالم الإسلامي إلى قيمنا ومجتمعنا؛ إن كان لنا أن ننجح في تحقيق التفاهم والتوعية والاحترام المتبادل، وهو ما سيشكل الأسس لعلاقات سلمية مثمرة، وإن التبادلات (الطلابية) التي يقرها مشروعكم هي أقل السبل كلفة . عند أخذ المردود بعين الاعتبار. لتشجيع العلاقات الشخصية والمؤسساتية التي من شأنها تعزيز أمننا القومي على المدى البعيد... ينبغي للولايات المتحدة أن ترد على الخطر الإرهابي على مستويات عدة، فنحن بحاجة لأن نضمن أن دفاعاتنا قوية وحدودنا آمنة».

هذه فقرات من الشهادة المطولة التي سجلها «كنتن كيث» مدير «الاتحاد من أجل تبادل ثقافي وتعليمي دولي»، وهو اتحاد يضم خمساً وستين منظمة، وله فروع في جميع الولايات الأمريكية.

الشهادة جاءت دعماً لمشروع القانون الذي تقدم به السيناتور «تيد كينيدي» لمجلس الشيوخ الأمريكي في2002/5/10م نيابة عن عشرة آخرين من أعضاء المجلس، ويهدف إلى تحقيق المزيد من الاحتواء الثقافي لشباب العالم الإسلامي؛ لصناعة قادة المستقبل في العالم الإسلامي داخل المؤسسات الثقافية الأمريكية وبين العائلات الأمريكية؛ ضماناً لاستمرار مسلسل التبعية.

المشروع يحمل اسم «الجسور الثقافية لعام 2002م»، وتشرف عليه وزارة الخارجية صاحبة الباع الطويل في برامج التبادل الطلابي والتعليمي، ويطلب تخصيص خمسة وسبعين مليون دولار إضافية لميزانية برامج وزارة الخارجية التعليمية والثقافية الحالية في العالم الإسلامي، في الفترة من عام 2003م حتى نهاية السنة المالية 2007م، ويقترح تخصيص عشرين مليون دولار لإنشاء برنامج تبادل جديد لطلاب المرحلة

الثانوية؛ لإفساح المجال أمام عينة خاصة من طلاب العالم الإسلامي المتفوقين للدراسة في مدارس حكومية أمريكية.

ويشترط المشروع المقترح أن يكون اختيار الطلاب من دول العالم الإسلامي بشكل تنافسي يثبت جدارتهم، وأن يراعى في الاختيار التنوع الجغرافي، والجنسي، وتنوع الطبقات الاجتماعية والاقتصادية التي ينتمون إليها في المجتمع، وأن تتعاون وزارة الخارجية . كما تفعل في برامج مماثلة . مع المنظمات الأمريكية غير الحكومية ذات الخبرة في هذا الحقل عند انتقاء وتعيين المدارس والعائلات للطلبة (الوافدين)، وتبقى على اتصال وثيق مع المدارس الثانوية المختارة، والعائلات الأمريكية المضيفة، والمنظمات غير الحكومية؛ أثناء تواجد الطلاب في الولايات المتحدة.

ولم يفت مقدمي المشروع وضع بند مراقبة صارم للطلبة المختارين، فـ «التشريع سيعزز قدرتنا على غربلة الطلبة الأجانب ومراقبتهم، عبر اشتراط مزيد من الاتصال والتعاون بين وزارة الخارجية، ودائرة الهجرة والتجنس، والمعاهد العلمية التي يلتحق بها الطلبة الأجانب، وعبر سد الثغرات في برنامج مراقبة الطلبة الأجانب المعتمد حالياً».

فقد أثبتت – وفق مقدمي المشروع . برامج التبادل الثقافي والتعليمي مع دول العالم التي يسافر بموجبها خمسة آلاف أمريكي إلى الخارج، ويفد إلى الولايات المتحدة عن طريقها عشرون ألف أجنبي . أثبتت نجاحاً باهراً في الترويج للقيم الأمريكية.

هذا المشروع بقانون جاء انعكاساً لاهتمام البيت الأبيض نفسه، وكذلك اهتمام أركان الإدارة الأمريكية، كما جاء انعكاساً لاهتمام مراكز البحث التي تجد فيه ضرورة قومية لحماية الأمن القومي الأمريكي على المدى البعيد ضد ما يسمونه بالإرهاب (الصحوة الإسلامية).

الرئيس بوش الابن أشار أكثر من مرة إلى ضرورة مد يد الصداقة إلى الأطفال وخصوصاً في العالم الإسلامي، ففي كلمة له في أكتوبر 2001م أمام طلبة مدرسة «ثورغود مارشال» الابتدائية قال بوش:«إن أمريكا عازمة على إقامة علاقات ثقة وصداقة مع الشعوب في جميع أنحاء العالم، وخاصة مع أطفال العالم الإسلامي وشعوبه».

وفي هذا الصدد يقول مقدمو المشروع: «إن تشريعنا، ولتسهيل تحقيق هدف الرئيس في الوصول إلى الأطفال والتأثير فيهم، ينص على إنشاء برنامج جديد لطلاب المرحلة الثانوية، فلا يوجد في الوقت الحاضر أي برنامج فيدرالي لتيسير مثل هذا التبادل الطلابي بأعداد تتزايد على الدوام مع العالم الإسلامي.. وهناك فوائد كثيرة تتأتى من التواصل مع الطلبة أثناء مرحلة شبابهم وانفتاحهم لتشجيع الفهم الثقافي المتبادل، وعدم التعصب، والتسامح، فطلبة المرحلة الثانوية اليوم هم قادة الغد، وعلينا أن نبدأ العمل معهم اليوم لنصوغ مواقفهم من بلادنا».

وفي خطاب ألقاه «بول وولفوفتر» وكيل وزارة الدفاع في 2002/5/3م أمام مجلس الشؤون العالمية في كاليفورنيا أشار إلى الحاجة إلى التواصل مع الأصوات المنادية بالاعتدال في العالم الإسلامي، وإلى تشجيع هذه الأصوات ومد الجسور معها لتجاوز ما أسماه بالهوة الخطيرة بين الغرب والعالم الإسلامي. وقال: «إنه ينبغي على أمريكا أن تبدأ الآن.. فالهوة واسعة ولا تحتمل التأجيل».

بيانات مؤسسة «جالوب» الأمريكية الشهيرة لاستطلاع الرأي عضدت أيضاً المشروع، فقد أجرت المؤسسة استطلاعاً واسعاً للرأي في تسع دول غالبيتها من المسلمين؛ عن مواقف الجماهير حيال السياسة الأمريكية، وكانت النتيجة هي رصد مشاعر عداء متصاعدة بين شعوب هذه الدول ضد الولايات المتحدة.. وهنا يؤكد السيناتور كيندي: «إننا سنعرض أنفسنا للخطر إن نحن تجاهلنا هذه المشاعر. أما إن حاولنا علاج المشكلة عبر تعليم القيم الأمريكية لطلبة العالم الإسلامي؛ فستكون أمامنا فرصة على المدى البعيد لتغيير المواقف السلبية، وهذه عملية طويلة، لقد علَّمنا الحادي عشر من سبتمبر أن علينا أن نبدأها الآن»!

وقد كانت الشهادة التي أدلى بها طالب مصري . حائز على منحة «فولبرايت» للتعليم بالولايات المتحدة . على خطورة ما يجري في الجامعات المصرية ضمن دفاعات مقدمي المشروع للمطالبة بالموافقة على مشروعهم.

فقد أفاد الطالب المصري في مقال نشرته له الواشنطن بوست في 2002/1/20م بأن جامعته المصرية أرض خصبة للباحثين عن أعضاء جدد يضمونهم إلى المنظمات الإرهابية أو المتطرفة!!

ولذا يشدد كيندي قائلاً: «التحدي الذي يواجهنا هو منح الطلاب فرصة للتعرف على جميع أوجه الحياة العائلية الأمريكية، وفهم قيمنا قبل أن يصلوا إلى تلك الدرجة» (الانضمام إلى الجماعات الإرهابية.. في زعمهم!).

أما وزارة الخارجية صاحبة الخبرة الطويلة في الإشراف على مثل هذه المشاريع فهي أشد حماساً له، وزير الخارجية كولن باول كان واضحاً في ذلك؛ ففي بيان ألقاه في أغسطس من عام 2001م حول «أسبوع التعليم» قال: «لا أستطيع التفكير بشيء أنفع لبلدنا من صداقة زعماء العالم المستقبليين (القادمين) الذين تلقوا دراساتهم هنا».

وتدير وزارة الخارجية حالياً العديد من برامج التبادل الثقافي والطلابي الناجحة لطلاب الجامعات والمرحلة الثانوية، مثل برنامج «تبادل قادة المستقبل» أو «فيلكس»، وهو البرنامج الذي يتم بمقتضاه سنوياً إحضار حوالي ألف طالب . تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة . من الدول حديثة الاستقلال عن الاتحاد السوفييتي المنفك، إلى الولايات المتحدة للدراسة في مدرسة ثانوية لمدة عام، والإقامة مع عائلة أمريكية خلال ذلك العام، ومن بين هذه الدول ست دول غالبيتها العظمى من المسلمين، وهي: أذربيجان . كازاخستان . قيرغيزستان . طاجيكستان . تركمانستان . أوزبكستان.

تقول نتائج هذا البرنامج إنه بالغ التأثير في صياغة مواقف الطلبة الذين وقع عليهم الاختيار.

وتشير دراسة أجرتها الحكومة الأمريكية عام 1998م، قارنت فيها بين الطلبة الذين اشتركوا في البرنامج وغيرهم من زملائهم الذين لم يشتركوا، قائلة: «إن الشبان الذين اشتركوا أكثر انفتاحاً وتقبلاً للقيم الغربية والمثل الديمقراطية، كما أن هناك احتمالاً أكبر في أنهم يتطلعون إلى ممارسة دور قيادي في مجتمعهم».

وبناءً على النجاح الذي يحققه مشروع «فيلكس» يؤكد مقدمو المشروع الجديد أنهم صاغوا مشروعهم على نهجه.

وقد حصل مقدمو المشروع على دعم العديد من المؤسسات المعنية المهمة وموافقتها داخل الولايات المتحدة، وفي مقدمتها: رابطة التبادل الطلابي والثقافي الدولية، وأكاديمية التنمية التعليمية، والمجالس الأمريكية للتعليم الدولي، والمعهد الأمريكي

للدراسة في الخارج، والمجلس القومي للزوار الدوليين، ومؤسسات المدن الشقيقة الدولية، والتعليم العالمي، ومجموعة الدراسة العالمية.

ولم يكتف السيناتور كيندي وهو يقدم مشروعه بهذا التأييد غير المسبوق في الداخل، وإنما لفت الانتباه لتأييد آخر في العالم الإسلامي يمكن أن يسهم بقوة في نجاح المشروع، فقد أشار إلى تأييد كثير من الدول الإسلامية للولايات المتحدة في حربها ضد ما تسميه بالإرهاب، وذكّر أعضاء المجلس بالآية القرآنية الكريمة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [الحجرات: 13]، ولم يكمل الآية: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، وانطلق من الكلمات التي ذكرها من الآية إلى اعتبارها مدخلاً جيداً لتسويق مشروعه دون مشاكل داخل العالم الإسلامي، فالآية . في رأيه . تدعو إلى التعارف ومد الجسور، والمشروع كذلك: «من شأنه بناء جسور توعية وتفاهم وتسامح بين الثقافات، ويساعد في جعل الشعب الأمريكي وشعوب العالم الإسلامي يفهم كل منهم الآخر حقاً.. ».

وهناك نقطة جديرة بالتسجيل هنا؛ وهي أن البيانات السالفة الذكر لم أطلع عليها في مطبوعة معارضة للسياسات الأمريكية مثلاً، وإنما مصدرها هو مصدر أمريكي رسمي، فقد وردت معظمها في «نشرة واشنطن العربية» (إصدار يوم 2002/5/15م) التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية بصورة شبه يومية!

وهكذا.. بدأت الولايات المتحدة التحرك للإجابة عن السؤال الكبير المطروح منذ تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر: لماذا يكرهنا العالم؟ أو بالأحرى: لماذا يكرهنا المسلمون؟

الإجابة بالطبع لم تتحرك في اتجاه تغيير السياسات الأمريكية المجحفة بحق العالم الإسلامي وقضايا المسلمين، وإنما تتحرك كما نرى لسرقة عقول أجيالنا القادمة لتكون أمريكية!!

ــــــــــــــــــــــــ

(*) كاتب صحفي، وسكرتير تحرير مجلة المجتمع الكويتية.

ذو القعدة 1423هـ * يناير 2003م

المصدر : http://albayan-magazine.com

============

#تحت تأثير اللوبي اليهودي المحلي:

(إسرائيل) تغزو كازاخستان اقتصادياً، والتعاون يشمل النواحي العسكرية

يعود تاريخ الوجود اليهودي في كازاخستان إلى القرن الثامن عشر، ففي ذلك الوقت تم احتلالها من قبل روسيا، وكان ضمن صفوف الجيش الروسي المحتل عدد من العسكريين اليهود الذين آثروا الاستقرار هناك بعد انتهاء خدمتهم، وأدى هذا الأمر إلى تشكيل نواة للوجود اليهودي هناك، وازداد عدد اليهود في تلك الجمهورية خلال الحقبة الشيوعية حين نقل الزعيم السوفييتي جوزيف ستالين آلاف اليهود إليها للعمل في المزارع الجماعية، كما قصدها أكثر من 100 ألف يهودي خلال الحرب العالمية الثانية هرباً من القوات الألمانية.

يقدر عدد اليهود في كازاخستان في الوقت الحالي بما يقارب 15 ألف شخص, علماً أن الآلاف كانوا قد هاجروا إلى فلسطين المحتلة خلال السنوات الخمسة عشرة الأخيرة.

ويتركز اليهود في كازاخستان في المدن الرئيسية مثل ألما – آتا (11 ألف شخص), قاراكندا, أستنا, جمبول, سيميبلاطنسك، تشمكنت وغيرها.

لم يكن لليهود في كازاخستان أي كيان اعتباري حتى وقت قريب، فقد كانت الشعائر وطقوس العبادة تؤدى بشكل انفرادي في المنازل، رغم وجود كنيس يهودي في العاصمة تم بناؤه عام 1882، ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وقيام جمهورية كازاخستان المستقلة، أسّس اليهود عدداً من الجمعيات الهادفة إلى إقامة كيان واضح المعالم، وأقام اليهود عدداً من أماكن العبادة في أماكن تجمعاتهم الأساسية، وأسسوا أكثر من 20 جمعية تعمل على لمّ شملهم، وربطهم بحكومة (إسرائيل)، كما تم إنشاء 20 مدرسة تضم أكثر من 700 تلميذ, تركز مناهج التدريس فيها على مبادئ الدين اليهودي، واللغة والأدب العبري، إضافة إلى الثقافة والعادات والتقاليد اليهودية.

فقد صرح الحاخام الكازاخي مئير شيينر أن هذه المدارس تقدّم مذاقاً يهودياً لطلبتها، وتابع متسائلاً: كيف يمكن لشخص لا يعرف سوى القليل عن ثقافته أن يحب أو يحترم التقاليد اليهودية؟

ويقوم العديد من هذه المدارس بإقامة مخيمات صيفية لطلبتها يتم خلالها تدريبهم على ألعاب رياضية قاسية، تعتبر مقدمة لتدريب عسكري لاحق، وتتكفل الوكالة اليهودية لدعم (إسرائيل)، ولجنة التواصل اليهودي الأمريكي؛ تمويل هذه المخيمات التي تستقبل كذلك يهوداً من جمهورية قيرغيزستان المجاورة.

تشكيلات سياسية:

وتم تشكيل المؤتمر اليهودي لعموم كازاخستان في كانون الأول/ديسمبر 1999، وحضر الجلسة التأسيسية عدد من السياسيين الكازاخ، والسفير الأمريكي المعتمد لديها، وقد تم انتخاب رجل الأعمال ألكسندر مشكيفيتس رئيساً للمؤتمر. وفي آذار/مارس 2002 انتخب مشكيفيتس كذلك رئيساً للمؤتمر اليهودي الذي يضم الجاليات اليهودية في آسيا وأوروبا.

وكما هو معروف فإن مشكيفتس الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية يسيطر على ما يقارب من ربع الإنتاج القومي في الجمهورية، وهو من المقربين من الرئيس نزربابيف، ويقوم مشكيفيتس بتمويل بناء أماكن العبادة اليهودية في المدن الرئيسية في كازاخستان.

وتعتبر الجمعية الكازاخية للجاليات اليهودية الإطار الذي يجمع اليهود في كازاخستان، وتشرف الجمعية على أكثر من 20 مركزاً صحياً لليهود، وعدد من دور رعاية المسنين من أبناء الجالية، ومكتبة يغلب عليها الطابع اليهودي، ومسرحاً مخصصاً للأعمال الفنية اليهودية.

وتنشر الجالية اليهودية في كازاخستان أربع صحف ومجلة تستغلها أحسن الاستغلال في الترويج للدعاية الصهيونية، وتمجيد اليهود ودولة (إسرائيل)، وبالمقابل الإساءة للإسلام والفلسطينيين الذين تصفهم (بالإرهابيين).

وتعمل الوكالة اليهودية لنصرة (إسرائيل) على الحفاظ على الهوية اليهودية لليهود في كازاخستان من خلال مكتب فرعي أقامته في ألما آتا.

يصف الزعماء اليهود في كازاخستان علاقاتهم بالحكومة بالإيجابية، وكانوا قد أثنوا ثناء حسناً على الرئيس نور سلطان نزربابيف الذي قام شخصياً بتسليم الأرشيف الشخصي للحاخام اليهودي ليفي شنيرسون – المدفون في كازاخستان – والد ميناحيم

ميندل شنيرسون أحد أبرز علماء الدين اليهود، لحفيده خلال زيارة الرئيس للولايات المتحدة عام 1999، أثناء تلك الزيارة وفي خطوة غير مسبوقة وتحت تأثير اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، طلب نزرباييف من مندوب كازاخستان في الأمم المتحدة التصويت ضد أي قرار يدين (إسرائيل).

وكان زعماء الجالية اليهودية في كازاخستان قد حاولوا توسيط الحكومة الكازاخية مع إيران لحل أزمة الجواسيس اليهود الذين اعتقلوا هناك، كما وعد الرئيس نزرباييف إسرائيل سنغر رئيس المؤتمر اليهودي العالمي بتوسيط رجال الدين الشيعة الكازاخ لدى (حزب الله) في محاولة للإفراج عن العسكريين الإسرائيليين المحتجزين لديه.

خدمة الكيان الصهيوني:

ويعمل اليهود في كازاخستان كطابور خامس للحكومة الإسرائيلية، ويعملون ليل نهار على التقريب بين بلدهم القومي والكيان الصهيوني، فبعيد اعتراف دولة الكيان الصهيوني بجمهورية كازاخستان عملوا على قيام وزير الاتصالات الإسرائيلي بزيارة للعاصمة السابقة وذلك في أواسط كانون الثاني/يناير عام 1992 لبحث سبل تطوير العلاقات بين الجانبين، وخاصة في مجال الاتصالات، وفي شهر نيسان/أبريل من نفس العام قام وزير التجارة الكازاخي بزيارة جوابية تم خلالها توقيع اتفاقية لتطوير القطاع الزراعي، وتدريب الخبراء في هذا القطاع، وكذلك الاتفاق على تأسيس شركات تعنى بالتكنولوجيا الصناعية الحديثة, وبعد أسبوع على هذه الزيارة تم الإعلان عن إقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين البلدين.

وتقدَّر قيمة الاستثمارات الإسرائيلية في كازاخستان بما يقارب 300 مليون دولار، وكان الكنيست الإسرائيلي قد وافق على قرار الحكومة بضمان الاستثمار الخاص للشركات الإسرائيلية العاملة في كازاخستان بنسبة 65%, ابتداء من شهر يونيو 1993، كما قام الكنيست بالمصادقة على تقديم قرض للحكومة الكازاخية هو الأول من نوعه في تاريخ الدولة العبرية.

وتقوم شركة الطيران الكازاخية بتسيير رحلة أسبوعية إلى مطار اللد حاملة على متن طائراتها رجال الأعمال، والسواح، والمهاجرين اليهود، ويقيم أكثر من 20 خبيراً إسرائيلياً بصورة دائمة في كازاخستان لتقديم استشارات للحكومة والقطاع الخاص.

أما أبرز الشركات الإسرائيلية العاملة في كازاخستان فهي:

1. شركة (ليفاييف غروب) العاملة في مجال الصناعات الكيميائية، ومناجم الذهب، واليورانيوم.

2. شركة (أورمات) النشطة في مجال الطاقة، وقد قامت الشركة مؤخراً بإهداء الحكومة الكازاخية مستشفى ميدانياً، وتعهدت بتمويل تدريب الأطباء الكازاخ في (إسرائيل).

3. شركة (غيلات) المختصة بالاتصالات، وتعتبر واحدة من أكبر الشركات العالمية في هذا المجال، ويغطي نشاطها القارات الخمس.

تعاون عسكري:

وسارعت شركات الإنشاءات الإسرائيلية لتقديم عروضها للحكومة الكازاخية عندما أعلنت عن نيتها بناء منشآت عسكرية على طول حدودها الجنوبية، أما الشركات العاملة في المجال العسكري فقد سال لعابها لدى إعلان كازاخستان عن نيّتها تحديث قوتها العسكرية، وتقدمت (شركة إلبيت) للأنظمة، وشركة الصناعات الجوية المملوكة للحكومة الإسرائيلية بعروض لتحديث الطائرات المروحية الروسية الصنع التي تملكها كازاخستان، إلا أن عدم وجود السيولة الكافية لدى الحكومة الكازاخية أرغمها على التقدم بعروض لتحديث جزء من هذه الطائرات مقابل الجزء الآخر، وهو عرض رحبت به الشركات الإسرائيلية.

وكانت (شركة صبتون المحدودة) إحدى أفرع (شركة أفريقيا – إسرائيل المحدودة للاستثمار) قد اشترت أكبر مصنع لمعالجة اليورانيوم في كازاخستان، في صفقة بلغت 300 ألف دولار، وأثارت العديد من الأسئلة، ذلك أن القيمة الحقيقية للمصنع كانت قد قدرت قبل الشراء بسنتين بمبلغ يزيد على 20 مليون دولار، ويعالج المصنع ما يتراوح بين 130 و150 طن من اليورانيوم الخام سنوياً، وذكر ليف ليفاييف مدير الشركة أن الصفقة تمت بعد لقائه بالرئيس نزرباييف والعديد من المسؤولين الكازاخ رفيعي المستوى.

وشهد عام 2000 ذروة النشاط الإسرائيلي في كازاخستان, ففي بداية آذار/ مارس من ذلك العام باشر (مركز التعاون الدولي) التابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية (ماشاف)

خطته الخمسية لتطوير مناطق قيزيل أرديني والمتعلقة بوقف التصحر عن طريق التشجير, استخدام البيوت البلاستيكية في الزراعة, تطوير مصادر المياه، ومد شبكات جديدة لتوصيل المياه إلى بحيرة باسكار المهددة بالجفاف، وزراعة آلاف الهكتارات عن طريق استغلال تلك المصادر, والحفاظ على البيئة, وغيرها من المشاريع الاقتصادية والاجتماعية, مثل التوسع في إنشاء أحواض لتربية الأسماك، وحظائر لتربية الإبل، والاستفادة من ألبانها.

ويعمل المركز على التوسيع في زراعة القطن، ومكننة الزراعة باستخدام الآلات، وتطوير نظم الري الحديثة وخاصة الري بالتنقيط، ويقوم مركز ماشاف بتنفيذ القسم الأكبر من هذه المشاريع بتمويل أمريكي وأوروبي.

وفي 29 – 30 أيار/مايو من ذات العام عقد مؤتمر علمي تطبيقي للتعاون بين العلماء الكازاخ ونظرائهم الإسرائيليين برعاية أكاديمية العلوم الكازاخية, وزارة الطاقة, وزارة الصناعة والتجارة وجمعية كازاخستان – إسرائيل، ومركز التعاون الدولي ماشاف، ووكالة العون الأمريكية، تمت خلاله مناقشة سبل التعاون في مجالات الصحة العامة, الزراعة, الطب, الكيمياء, الأحياء, تطوير نظم الري الحديثة, والتعاون العلمي والتقني، إضافة إلى متابعة المشاريع في مجالات الطاقة, الإلكترونيات, الطب, التقنية الحيوية, الزراعة, الحفاظ على البيئة, السياحة والقطاع المصرفي.

النفط والتكنولوجيا:

واتفق المؤتمرون على تطبيق الاختراعات العلمية الكازاخية عن طريق مؤسسات إسرائيلية، وإنشاء مراكز أبحاث علمية مشتركة على غرار تلك القائمة بين (إسرائيل) والدول الأوروبية.

وفي 22 – 29 من شهر أيار/مايو قام الدكتور الإسرائيلي أندريه وايزمان بعلاج عدد من المدمنين الكازاخ، وتدريب عدد من الأطباء المحليين على طرق علاج خاصة للتخلص من الإدمان ضمن فعاليات (القرن 21 دون إدمان)، والذي جرى في كازاخستان.

في محاولة منها لتثبيت أقدامها تسعى (إسرائيل) إلى التمركز في كازاخستان مستغلة أية فرصة تساعدها على ذلك، ورغم المنافسة الحادة فقد استطاعت (إسرائيل)

التغلغل وتثبيت أقدامها في مجال الصناعات النفطية، وقامت شركة (ميتيك ميتال تكنولوجي) ببناء وتشغيل مصفاة لتكرير النفط طاقتها 400 ألف طن سنوياً قابلة للزيادة، ميزة هذا المشروع قربه من مصادر استخراج النفط, الأمر الذي يحول دون إعاقة الضخ، وقد قام بتمويل المشروع عدة مصارف تجارية من (إسرائيل) وكندا وتشيكيا، بضمان من الحكومة الكازاخية، ووزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية.

وقامت شركة كازاخ تيليكوم للاتصالات بتوقيع عقد مع شركة غيلات الإسرائيلية لتوصيل 250 مركز سكني بخدمات الهاتف والإنترنت، والتحويل المصرفي الإلكتروني بواسطة الأقمار الصناعية, و قد بلغت قيمة العقد عشرات ملايين الدولارات, واتفق الجانبان على أن يتبع ذلك مشاريع أخرى في المستقبل.
وقامت (إسرائيل) ببناء مصنع آلات لجمع القطن، و4 مصانع للزيوت النباتية، ومصنع لصهر الألومنيوم طاقته 250 ألف طن، ومصانع لإنتاج الإثيلين, والبولياثلين, والبوليكلورفينيل، وتسعى (إسرائيل) لتسويق إنتاج هذه المصانع في دول شرق أوسطية على اعتبارها كازاخية المنشأ.
ونظراً للصعوبات المالية التي تواجهها كازاخستان تتقاضى (إسرائيل) ثمناً لمشاريعها هناك من المواد الأولية كالقطن، والنفط، وأحجار كريمة، ومعادن، ومواد غذائية وغيرها.
وأخيراً أعلنت (إسرائيل) في شهر كانون الأول/ديسمبر الماضي عن إطلاق قمر صناعي للاتصالات من طراز (عاموس) من (قاعدة بايكانور الفضائية) في كازاخستان.
جشع وتلاعُب:
ورغم كافة التسهيلات التي تقدمها الحكومة الكازاخية للإسرائيليين فإن هؤلاء يسعون إلى جني الأرباح بأي طريقة، سواء كانت قانونية أو غير قانونية، هذا الجشع أدى إلى إحراق كل من شاؤول إيزنبيرج، ويوسي مايمان؛ وهما من كبار رجال الأعمال الإسرائيليين العاملين في كازاخستان، وقد أصيبا بحروق بالغة، أما آل ميلكينز الذين يعملون في مجالات الحبوب والمبيدات الزراعية؛ فقد تم طردهم من هناك، وقد رفعوا

دعوى قضائية في تل أبيب ضد الحكومة الكازاخية حصلوا نتيجتها على تعويض بلغ عشرة ملايين دولار.

ولم يقتصر هذا الجشع على الأفراد فقد استمرت (إسرائيل) في العمل على إبقاء الميزان التجاري لصالحها، ولم تعمل على رفع الحواجز الجمركية بوجه الصادرات الكازاخية كما نصت الاتفاقيات التجارية بين البلدين.

وفي السياق نفسه تأتي دعوة رئيس المصرف المركزي الإسرائيلي بوروخوف – وهو يهودي من أصل أوزبيكي – الحكومة الإسرائيلية إلى المبادرة لتشكيل صندوق مشترك مع البنك الدولي للإنشاء والتطوير لتمويل مشاريع في آسيا الوسطى عامة وكازاخستان بشكل خاص، فهل يأمن البنك الذئب على غنمه؟

المصدر : http://www.fm-m.com/2004/mar2004/story20.htm

============

#الإنترنت والعولمة (1)

د.محمد عبدالرحمن غنيم

هل العولمة مرفوضة؟ ولماذا نرفضها؟ ولماذا كانت الإنترنت وسيلةً من وسائل العولمة؟ وما أثر ذلك على حياتنا وخصوصاً ثقافتنا التي يُشكِّل عمودَها الفقريَّ دينُنا الإسلام؟ وما الحلولُ المقترحة للدفاع عن وجودنا المعنويِّ – وهو دينُنا – ووجودنا الماديِّ الذي يتبع وجودَنا المعنويَّ، فيبقى ببقائه ويزولُ بزواله؟

وهل من سبيل أن ينقلبَ السحرُ على السَّاحرِ، فتكون الإنترنتُ – التي أراد الساحر الأمريكي أن تكون أداة لإذابتنا – أداة لرجوعنا إلى ديننا وثقافتنا؟ فكيف نجعلها أداةً قويةً في دعم حضارتنا وديننا، بل وجذب الطرف الآخر ليدخلَ في ديننا وحضارتنا، وكما في المَثَل العاميِّ (تِيجي تُصيده يصيدك) أو (مَن حفر حفرة لأخيه وقعَ فيها)؟

وسأحاول في هذه الفقرات وضع نقاط مختصرة هي رؤوس عناوين في هذه الموضوعات التي هي جديرة بأن يُؤلَّف فيها كتبٌ لا مقالةٌ ولكن ما لا يُدرك كُلُّه لا يُترك جُلُّه والله المستعان، فأقول:

أولاً: هل العولمة مرفوضة؟

والجواب على هذا السؤال يمكن أن يتضح بعد تعريف (العولمة)، وبيان الفرق بينها وبين (العالمية)، وكيف يتم التلبيس على الناس وترويج (العولمة) في ثوب (العالمية)، فما (العولمة)؟ وما (العالمية)؟ وما الفرق بينهما؟

(أ) العولمة: قد تعددت تعاريف العولمة، ولكني قد اخترت التعريف الذي يصدقه الواقع الذي تُطبقه الولايات المتحدة حاملة لواء العولمة عملياً، فالتطبيقُ والواقعُ خيرُ شاهدٍ لصحة هذا التعريف، فنقول:

(العولمة: هي الحالة التي تتم فيها عمليةُ تغيير الأنماطِ والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث، وفق الرؤية الأمريكية المُهيمنة، والتي تزعم أنها سيدةُ الكون، وحاميةُ النظام العالمي الجديد)([1]).

ويعرفها الدكتور مصطفى محمود فيقول: (العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى).

ولو سألت إنساناً عامياً أن يصفَ لك أفعالَ الولايات المتحدة في العالم – وبخاصة في العالم الإسلامي والعربي – ستجده يشرح لك تلك المعاني التي يحويها التعريف المُتقدِّم دون أن يعرف ما العولمة أو يسمع عنها.

(ب) العالمية: إن الإسلام دين يتميز بالعالمية، والعالمية تعني: عالمية الهدف والغاية والوسيلة، ويرتكز الخطاب القرآني على توجيه رسالة عالمية للناس جميعاً، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء:107]، وقال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [سبأ:28]، ووصف الخالق – عز وجل – نفسه بأنه (رب العالمين).

(ج) الفرق بين (العولمة) التي جاءت بها الولايات المتحدة و(العالمية) التي جاءت من عند رب العالمين في ضمن رسالة خاتم النبيين والمرسلين:

ثمة فرق بين عالمية الإسلام والعولمة، فالإسلام يقوم على العدل وإنصاف المظلوم، ويرفض الاعتداء، ويعترف بحق الآخر في الدين والرأي المخالف، أما العولمة فتقوم على الظلم، وتفتقد للعدل، وتهدف لصالح الاستكبار الغربي، وضد مصالح الشعوب

الفقيرة الأخرى، وفقاً لسياسة التبعية التي تُفسِّر العلاقةَ بين الغرب المتقدم وبين العالم الثالث المتأخر.

يقول أحدُ الكتاب الفرنسيين عن النظام الرأسمالي الأمريكي: (كلما ازداد هذا النظام الرأسمالي الجشع إمعاناً وانتشاراً بالعولمة ازدادت الانتفاضات والحروب العرْقية والقبلية والعنصرية والدينية للتفتيش عن الهوية القومية في المستقبل، وكلما تفشت المعلوماتية والأجهزة التلفزيونية والسلكية واللاسلكية تكبلت الأيدي بقيود العبودية، وازدادت مظاهرُ الوحدة والانعزال والخوف والهلع دون عائلة ولا قبيلة ولا وطن، وكلما ازداد معدل الحياة سوف تزداد وسائل القتل، وكلما ازدادت وسائل الرفاهية سوف تزداد أكثر فأكثر جرائم البربرية والعبودية).

ثم إن الإسلام يدعو إلى طلب العلم النافع الذي يُفيد الإنسان، ويُحقِّق الخير، ويُحق الحق، وكل ما جاءت به المدنية الحديثة من علوم ومخترعات وابتكارات مما فيها نفع للناس، ويحارب كُلَّ علم ضار فيه فساد الإنسان أو هلاكه، أو إشاعة الشر في حياته، بينما العولمة بخلاف ذلك، فرغم ما أنتجته من المخترعات والابتكارات إلا أنها ابتدعت علوماً ضارة أو ابتكرت ابتكارات مخربة للأخلاق والقيم، ومفسدة بل ومهلكة للإنسان، وحتى المخترعات النافعة في أصلها كالطائرات والإنترنت والتلفاز والمذياع استطاعت هذه الحضارة الخربة أن توجهها وجهة الشر والفساد حتى يصبح الاختراع ضرره أكبر من مصلحته ونفعه.

وأيضاً ففتح المسلمين للعالم كان بدافع حضاري فريد، لقد كانوا يعدون أنفسهم أصحاب رسالة عالمية موجهة للناس كافة، كُلِّفوا هم بتبليغها إليهم بالوسائل السلمية، والذين كانوا من المسلمين يهاجرون إلى البلاد الأخرى بعضهم هاجر لدعوة الناس إلى الدين الحق, وكثير منهم إنما هاجر طلباً للرزق، وكانت مهمة الشهادة على الناس, وتبليغهم الإسلام ماثلة أمامهم، فأثروا في البلاد التي هاجروا إليها تأثيراً كبيراً, ونقلوا إليها دينهم وأخلاقهم وقيمهم ولغتهم، ولم يتأثروا بهم إلا في أمور لا تتعارض مع دينهم، بل قد يكون بعضها من مقتضيات الدعوة إليه، أما غزو الغرب للعالم فقد كان في أساسه لأسباب استعمارية, ولمصالح اقتصادية، وقائم على التعصب

العنصري، وكان الغربيون أيضاً يرون أن لهم رسالة أخرى وهي: أن يجعلوا العالم نصرانياً، يكفر بالدين الحق الذي اختاره الله – تعالى– للبشرية.

ومما سبق تظهر الاختلافات جلية بين مفهوم "عالمية الإسلام" ومفهوم "العولمة"، فبينما تقوم الأولى (عالمية الإسلام) على رد العالمية لعالمية الجنس البشري، والقيم المطلقة، وتحترم خصوصيته، وتفرد الشعوب والثقافات المحلية، ترتكز الثانية (العولمة): على عملية نفي أو استبعاد لثقافات الأمم والشعوب، ومحاولة فرض ثقافة واحدة لدول تمتلك القوة المادية، وتهدف عبر العولمة لتحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر.

ويؤكد الدكتور محسن عبد الحميد – أستاذ التربية بجامعة بغداد – على وجود فرق كبير بين المصطلحين (العالمية والعولمة) فيقول: (إن أبناء هذا العالم بمختلف قبائله وشعوبه ولغاته ومِلله ونِحله يعيشون على هذه الأرض، ولذا فلا بد أن يتفاهموا فيما بينهم تمهيداً للتعاون الدائم على خير الجميع، ولا مانع من أن يأخذ بعضُهم من بعضٍ، ولا يجوز أن يفرض وبالإكراه بعضُهم على بعضٍ لغته أو دينه أو مبادئه أو موازينه، فالاختلاف في هذا الإطار طبيعي جداً، والتعاون ضروري أبداً لمنع الصدام والحروب والعدوان، ويضيف: إن تاريخ البشرية عامة وتاريخ الإسلام خاصة لم يرد فيه دليلٌ على أن المسلمين خطُّوا للبشرية طريقاً واحداً، ووجهة واحدة، وحكماً واحداً، ونظاماً وحداً، وعالماً واحداً، بقيادة واحدة، ليس بالإجبار والإكراه، بل اعترفوا بواقع الأديان واللغات والقوميات، وعاملوها معاملة كريمة، بلا خداع ولا سفه ولا طعن من الخلف، ولذلك عاش في المجتمع الإسلامي من أهل الملل الأخرى من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس وغيرهم بأمان واطمئنان، وأما الأمم التي كانت تعيش خارج العالم الإسلامي فقد عقدت الدولة الإسلامية معها مواثيق ومعاهدات في قضايا الحياة المتنوعة، والتوجيه الأساس في بناء العلاقات الدولية في الإسلام قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: 11.

وأما العولمة التي هي الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية (GLOBALIZATION) فهي مصطلح يعني جعل العالم عالماً واحداً، مُوجَّهاً توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تُسمَّى "الكونية" أو "الكوكبة".

(د) هل العولمة مرفوضة؟

مما سبق من تعريف العولمة يتضح أنها محو لوجود الآخر المعنويّ ثم الماديّ، ولخصوصية الآخر، ولذلك سَمَّى بعضُهم (العولمة) بـ(الأمركة)، لأنها محاولة لمسخ الأطراف الأخرى إلى قرود وببغاوات أمريكية لا تعرف إلا كلمة (نعم)، وكل ما جاء من أمريكا فهو خير محض لا تشوبه شائبة، وكل ما دعا إلى تميز بدين أو قيم فهو مرفوض، ومن فضل الله علينا وعلى الناس أن الأدلة على خطورة العولمة كثيرة وواضحة لا تخفى إلا على عُمي البصيرة، ومنها:

1 . أن أي عاقل يتأمل في التعريف الذي قدمناه للعولمة لا يتردد في معرفة خطورتها أدنى تردد.

2 . أن المتأمل في أفعال الولايات المتحدة صاحبة مذهب (العولمة) يرى أنها أكثر دولة تهديداً للسلم العالمي وللتقارب بين شعوب الأرض، وأن دعاوى العولمة البراقة المزينة قد كذبتها على أرض الواقع، فهي لا تمتنع عن انتهاك حرمة أي شعب، والتعدي على دينه وثقافته وأرضه، والنماذج في هذه الانتهاكات والإجرام متضافرة متواترة، وما هيروشيما ونجازاكي وفيتنام وأفغانستان والعراق وضرب السودان وليبيا ببعيد، ولقد ارتكبت الولايات المتحدة في هذه الدول جهاراً نهاراً أكبر الشرور والقتل والتشريد، وليست أفعالُ اليهود في فلسطين السليبة إلا جزءاً من فعل ومساندة ودعم أمريكا، ولا تظن أن الولايات المتحدة تُؤذي شعوبَ العالم وتتورع عن أذية شعبها بل لا تتأخر الولايات المتحدة عن تجريب الأسلحة على شعبها كغيره من الشعوب، فقد كُشف النقاب عن أن الجيش الأمريكي أجرى في عام (1979) تجارب داخل الولايات المتحدة على إمكانية استخدام ريش الديوك الرومية لشن حرب بيولوجية، وقد اعترف الجيش الأمريكي بأنه فيما بين 1949م و 1969 ثم تغطية (239) منطقة مأهولة بالولايات المتحدة من الساحل للساحل بدثار من الكائنات الحية الدقيقة خلال اختبارات مصممة لقياس أنماط الانتشار في الهواء، وتحديد المكان الأمثل

لبثها، وعوامل أخرى، منها مدينة (مينابولس) حيث تم إطلاق كبريتيد الكادميوم الزنك (61) مرة في عام (1953م) في أربعة قطاعات من المدينة، وشمل ذلك تعرض الناس لكميات كبيرة منه، وتوصف هذه المادة بأنها خطرة لاحتوائها على (الكادميوم) وهي تُسبب تلفَ الرئة، والتهاباً حاداً في الكلى، وتحلل الكبد الدهني، ومن المناطق التي شهدت عمليات مماثلة، "واشنطن" و"سان فرانسيسكو" و"سان لويس" و"فلوريدا" و"شيكاغو".

هذه المعلومات وأفظع منها تجدها في كتاب (الدولة المارقة) (The Rogue state) الذي ألفه (ويليام بلوم) (William Blum) وصدر عن دار (Zed books) ببريطانيا، وترجمه كمال السيد للمجلس الأعلى للثقافة في مصر، وهذا الكتاب يُمثِّل صدمة للكثيرين الذين لا يعرفون إلا قدراً ضئيلاً من الممارسات الأمريكية على شعبها وشعوب العالم، وصدمة لمحبي الولايات المتحدة الذين يعتقدون أنها المدافع الأول عن العالم الحر وحرية الإنسان، وصدمة للشعب الأمريكي الذي شارك ملايينَ البشر حول العالم في التعرض لتجارب على أسلحة الدمار الشامل خلال عقود من القرن الماضي في واشنطن العاصمة وكاليفورنيا وشيكاغو ضمن أكثر من (230) مدينة أمريكية تعرضت لتجارب أسلحة دمار شامل بيولوجية وكيماوية وذرية، والكتاب جاء على نسق مصطلح "الدول المارقة" الذي أطلقه بوش على بعض الدول التي كانت تعارض سياسات واشنطن كإيران وكوريا الشمالية والعراق (سابقاً!)، ويقع الكتاب في نحو (400) صفحة من الحجم الكبير، ويعتبر بحق صحيفة اتهام أجهد المؤلف (ويليام بلوم) فيها نفسه، وأجاد في محاولة تتبع مخالفات وجرائم الإدارات الأمريكية المتلاحقة مع توثيق هذه الشهادات والاتهامات؛ فارجع إليه، ويمكنك أن تطالع المزيد عن جرائم زعيمة العولمة في مجلة "المجتمع" العدد (1444) تحت عنوان: (حرب التقارير الرسمية بين واشنطن وبكين تكشف: انتهاك حقوق الإنسان في الولايات المتحدة) ص20– 25، وفي نفس العدد ص9 تحت عنوان: (هل تكون الولايات المتحدة الشريك المباشر في الجرائم الصهيونية؟)، وفي العدد (1580) ص32–33. تحت عنوان: (صورة حية للمأساة الإنسانية داخل معتقل (دلتا) بجوانتانامو)، وفي العدد (1565) ص32–35 تحت عنوان: (كتاب (الدولة المارقة)

صحيفة اتهام للولايات المتحدة) وغير ذلك، وعلى سبيل المثال في أثناء كتابتي هذا المقال اطلعت على خبر في "موقع مفكرة الإسلام" يؤكد ما ذكرته من عموم إجرام زعيمة العولمة وأنها لا ترحم شعبها ولا غير شعبها، قال الخبر الذي كان بتاريخ 17 من يناير 2004م (25 من ذي القعدة 1424هـ) من موقع مفكرة الإسلام قال:

"البنتاغون يستخدم جنود البحرية الأمريكية كفئران تجارب

مفكرة الإسلام: مازالت وزارة الدفاع الأمريكية 'البنتاجون' تواصل حجب وثائق عن اختبارات على أسلحة بيولوجية وكيماوية أُجريت في أثناء فترة الحرب الباردة واستخدمت فيها عدداً من جنود البحرية كفئران تجارب بشرية, وذلك بعد أن كانت قد أبلغت الكونجرس بأنها نشرت كل المعلومات الطبية المتعلقة بهذا الموضوع.

ورداً على تساؤلات صحفية بشأن إفادة أدلى بها عالم عسكري سابق الشهر الماضي كان قد خطط وأشرف على برنامج الاختبارات, اعترفت وزارة الدفاع الأمريكية هذا الأسبوع بأنها مازالت تحتجز وثائق تُوضِّح نطاقَ ووسائل هذه الاختبارات.

وقالت الوزارة في بيان لها أن الوثائق والتقارير التخطيطية التفصيلية بالنسبة لكل الاختبارات تم تصنيفها على أنها سرية, لأنها تُحدِّد نقاط ضعف العربات والسفن العسكرية لعناصر الحرب الكيماوية والبيولوجية والقدرات الخاصة بنشر ونقل هذه العناصر.

وأضاف البيانُ في بعض الحالات تم أخذ عينات من البحارة لقياس تعرضهم لعناصر يمكن تتبعها لمحاكاة العناصر الكيماوية والبيولوجية, مُوضِّحاً أن مشروع 112 ومشروع شيبورد هازارد أند ديفينس شملا 50 تجربة أجريت في الفترة ما بين 1962م و1973م.

وقد أجريت هذه التجارب في ألاسكا ومريلاند وفلوريدا وجورجيا وهاواي وأوتاوا وبنما وكندا وبريطانيا وعلى متن سفن في المحيطين الهادي والأطلنطي.

ونقلا عن ' واس' فقد أوضح بيان البنتاجون أن هذه التجارب السرية أجريت على نحو (5842) جندياً وبحاراً، معظمهم كانوا غير عارفين بها.

وصُممت التجارب لتحديد فعالية العناصر البيولوجية والكيماوية في الحرب ووسائل حماية القوات من هجمات بها, كما تعرض عددٌ غير معروف من المدنيين أيضاً لهذه العناصر خلال إجراء بعض التجارب على القوات.

وفى معظم الحالات تم استخدام مواد من المفترض أنها غير ضارة لمحاكاة عناصر مثل الأنثراكس 'الجمرة الخبيثة' والإيكولى أو عناصر أخرى وذلك على الرغم من أنه تم في عدد من الحالات استخدام عناصر غازات الأعصاب المميتة ومنها غاز السارين.

ويقول العديد من المحاربين القدامى إنهم يعانون الآن من أمراض بسبب تعرضهم لهذه العناصر الكيماوية والبيولوجية ولكن إدارة شئون المحاربين القدامى بوزارة الدفاع الأمريكية رفضت أيَّة طلبات لتغطية تكاليف الرعاية الصحية لهم.

وبعد تحقيق استمر ثلاث سنوات وصفه مسئولون في البنتاجون بأنه شامل أصدرت وزارة الدفاع تقريراً عاماً عن هذه التجارب في شهر يونيو الماضي وأغلقت التحقيق ".,,

نقلاً من "موقع مفكرة الإسلام" وعنوانه: www.islammemo.cc

3 . أن كثيراً من الغربيين أنفسهم وغير الغربيين من الزعماء وقادة الفكر والرأي اكتشفوا ما في العولمة من خطر فحاولوا حماية بلادهم من هذه الحُمَّى، وصرَّحوا بأضرارِها على البلاد والعباد:

أ . فها هو ذا الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) يقول في كلمة ألقاها في (14 من يوليو 2000م) بمناسبة اليوم الوطني الفرنسي يقول: (إن العولمة بحاجة إلى ضبط، لأنها تنتج شروخاً اجتماعية كبيرة، وإن كانت عامل تقدم، فهي تُثير أيضاً مخاطر جدية ينبغي التفكير فيها جيداً، ومن هذه المخاطر ثلاثة:

1- أولها: أنها تزيد ظاهر الإقصاء الاجتماعي.

2 . وثانيها: أنها تنمي الجريمة العالمية.

3 . وثالثها: أنها تهدد أنظمتنا الاقتصادية).

ب . ويُحذِّر (مهاتير محمد) رئيس وزراء ماليزيا من العولمة في المجال الاقتصادي فيقول: (إن منظمة التجارة العالمية تسمح للدولة الغنية بابتلاع الدول الفقيرة).

ج . والكاتب الأمريكي الشهير (وليم جريدر) في كتابه الصادر عام 1977م بعنوان (عالم واحد.. مستعدون أم لا؟One world ready or no?) وصف العولمة بأنها: (آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، وأنها قادرة على الحصاد وعلى التدمير، وأنها تنطلق متجاهلةً الحدودَ الدولية المعروفة وبقدر ما هي منعشة فهي مُخيفة، فلا يوجد من يُمسك بدفة قيادتها، ومن ثَمَّ لا يُمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها).

والحقيقة أن الكلام في مفاسد العولمة وخطورتها كثير ضخم، وهو في هذا المقال كالمُقدِّمة فلا أطيل فيه، وأُحيلك على كتاب (فخ العولمة): لهانس بيترمارتين . وهارالد شومان، ترجمة وتقديم: عدنان عباس علي، ضمن سلسلة (عالم المعرفة) بتاريخ 2003/8/15م فإن فيه كفاية بإذن الله، والله الموفق.

والخلاصة: أن العولمة استعمار جديد بصورة جديدة تُريد السيطرة على العقول والقلوب والاقتصاد والسياسات والأوطان، ولا تُريد ترك شيء، فهي جَشِعة نَهِمة، فهل نستسلم لها؟.

---

[1] – العولمة: للدكتور صالح الرقب، الجامعة الإسلامية.

المصدر : HTTP://WWW.ISLAMSELECT.COM

============

#الإنترنت والعولمة (2)

د.محمد عبدالرحمن غنيم

ثانياً: نأتي إلى بيت القصيد وهو علاقة الإنترنت بالعولمة، وهل الإنترنت وسيلة من وسائل عولمة الدول والناس؟

والجواب على ذلك في نقاط:

أ . ما الإنترنت؟ وما تعريفها؟

ـ الإنترنت (Interent) هي اختصار أو نحت لكلمتين هما: (International) ومعناها: العالمية، و(Network) ومعناها: الشبكة فالترجمة لمزج كلمتين في كلمة (INTERNET) هو: (الشبكة العالمية).

ويُطلق عليها: (النت The net).

ويُطلـق علـى أهـم خـدماتها (الويـب) أي الشـبكة العنكبوتيـة وهـي ترجمـة للكلمـات: (world wide web).

وتختصر بكلمة الويب (The web) أو (www).

والويـب هـو جـزء مـن الإنترنـت وأحـد خـدماتها ولكـن يُطلـق علـى الإنترنـت مـن بـاب إطــلاق اســم الجــزء الأهــم (الويــب The web) علــى الكــل وهــو (الإنترنــت INTERNET).

واختلفوا في تعريفها لضخامتها واتساعها وتعدد جوانبها ولهذا يذكر ريتشاردج سميث ومـارك جيـبس([1]): أن تعريـف الإنترنـت يعتمـد علـى عمـل الشـخص الـذي يريـد تعريفها تعريفاً يختلف عن ذلك التعريف الذي يُقدِّمه باحث آخر في مجال مهنيٍّ معين.

فخبراء الإنترنت ليسوا متفقين فيما بينهم على تعريف جامع مانع لها، إلا أن معظم المشاركين فيها متفقون على أنها شبكة عالمية للآلاف من الحواسيب الآلية المترابطة التي تُمرر المعلومات([2]).

وقد تم تعريف الإنترنت في الكتاب الصادر عن برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة عام 1994م أنها: (شبكة اتصالات دولية، تتألف من مجموعة من شبكات الحواسيب تربط بين أكثر من (35) ألف شبكة من مختلف شبكات الحاسوب في العالم، وتُؤمِّن الاشتراك فيها لحوالي (33) مليون مستخدم من المجاميع أو الزمر، وهنالك أكثر من (100) دولــة فــي العــالم لــديها نــوعٌ مــا مــن الارتبــاطِ وإمكانيــة الوصــول إلــى الشبكة)([3]).

وهـذا تعريـف قـديم إذ لا شـك أن الأعـداد التـي يحويهـا قـد زادت زيـادة عظيمـة ففـي السـنوات الأخيـرة وبخاصـة بعـد سـنة (1996م) حـدثت طفـرة فـي (الإنترنـت) وفـي انتشـارها بصـورة أذهلت الخبراء، ويكفي أن تعريف الأمـم المتحـدة يـذكر أن (100) دولـة فقط هي المتصلـة بالإنترنت، والآن لـيس هنـاك دولـة غيـر متصـلة بالإنترنـت!

ويعجبنـي تعريفٌ للإنترنت من الناحية المعلوماتية والثقافية . وهو موضـوع كلامنا– وهو: (الإنترنـت: عبـارة عن دائرة معـارف عملاقـة، يُمكن للمشتركين فيهـا الحصـولُ

على المعلومات حول أيِّ موضوعٍ معين في شكل نص مكتوب أو مرسوم أو خرائط أو التراسل عن طريق البريد الإلكتروني، لأنها تضم ملايين من أجهزة الحاسوب، تتبادل المعلومات فيها بينها، وتستخدم الحواسيب المرتبطة بالشبكة فيما يُعرف تقنياً بالبروتوكول (Protocol) للنقل والسيطرة، ولغرض تأمين الاتصالات الشبكية)([4]).

ويُطلق على الإنترنت: شبكة الشبكات، ومنتدى عالمي، والطريق الإلكتروني السريع للمعلومات، بالإضافة لما ذكرته من إطلاق (النت)، و(الويب) و(الشبكة المعلوماتية)، و(الشبكة العنكبوتية) وغير ذلك.

ب . خطورة الإنترنت وقوتها:

تتميز الإنترنت بمميزات جعلتها من أقوى وسائل الثقافة والعولمة، ومن هذه المميزات:

1 . حوت الإنترنت أكبر مكتبة عرفتها البشرية: وقد كان يُضرب المثل بضخامة مكتبة الكونجرس، فإذا بمكتبة الكونجرس واحدة من ملايين المكتبات على الإنترنت، فهذا الفيضان المعلوماتي ليس له نظير، ولا تستطيع هيئة أو دولة أن تجمعه في مكان، فمكتبة الإنترنت شاركت فيها البشريةُ كُلُّها، فأصبحت غاية في الضخامة، ويُقدِّرها بعض الخبراء بثمانية مليارات صفحة، ويُقدِّر بعضُ الخبراء أن هذه المليارات هي قمة جبل الثلج وأن قاعدته لا يعلم حجمها إلا الله، وتسمى (الإنترنت الخفي)(Invisible internet).

2 . شمول واحتواء الإنترنت لكل وسائل الثقافة والإعلام: فأنت تجد في الإنترنت الكتاب والشريط والفيديو والصحف والتلفازَ والمذياعَ، فأصبحت الإنترنت تحوي آلاف الصحف والمجلات بل ملايين الصحف والمجلات، وآلاف المحطات، وملايين الكتب والمؤلفات، وملايين الصور وغير ذلك.

فالإنترنت هي التي ستحقق . إن شاء الله . قاعدة (الكل في واحد)، فهي التي ستجمع – إن شاء الله – كل وسائل الإعلام في جهاز صغير ربما سيكون هو (المحمول أو الجوال)(Mobile) في يوم من الأيام، فالتقنية التي تعد الآن تهيئ أن يدخل الناس بواسطة المحمول إلى الإنترنت، وهي وإن كانت قاصرة على بعض الخدمات الآن

إلا أن التطور القادم سيجعل – إن شاء الله – كل الخدمات ممكنة، وما أحق الإنترنت بالمثل العربي المشهور (كل الصيد في جوف الفرا).

والفرا: هو الحمار الوحشي، وأصل هذا المثل أن ثلاثة خرجوا للصيد، فاصطاد أحدهم أرنباً، واصطاد الثاني غزالاً، واصطاد الثالث حماراً وحشياً (الفرا)، وأخذ صاحب الأرنب وصاحب الغزال يفتخران، فقال لهما صاحب الحمار الوحشي: (كل الصيد في جوف الفرا) فسكتا وصارت مثلاً، ومعناه أن كل ما صدتموه إنما هو شيء ضئيل بالنسبة لما صدته، وأن كل ما صدتماه إنما يسعه جوف الحمار الذي صدته (راجع في ذلك: "مجمع الأمثال" للميداني).

واقرأ معي هذا الخبر الذي نقلته لك من موقع " المختصر " http://www.almokhtsar.com/ يقول المختصر:

" يعد الأول من نوعه: كمبيوتر شخصي متكامل في حجم الكف" التاريخ: 1424/12/04

محيط / تعتزم إحدى الشركات الأمريكية الكبرى تطوير جهاز جديد يعد الأول من نوعه الذي يضم كل وظائف الكمبيوتر الشخصي في وحدة صغيرة لا تزيد عن كف اليد، ويمكن وضعها في جيب السترة الصغير. ويحمل الكمبيوتر الجديد اسم(MCC)، ولا تزيد أبعاده على (67 ×127 × 19) مم، ويمكن استخدامه مع أي شاشة كمبيوتر ولوحة مفاتيح، كما يمكن تحويله إلى كمبيوتر دفتري إذا ما تم تركيب شاشة تعمل باللمس، وفي داخل الكمبيوتر يوجد معالج قوي بسرعة (1) جيجا هيرتز وقرص صلب بسعة (256) ميجابايت، ويعمل الكمبيوتر بنسخة كاملة من نظام تشغيل (ويندوز(xp ويستخدم الجهاز شرائح إليكترونية تتميز باستهلاك طاقة أقل، وهو يعمل ببطارية قابلة للشحن، أو يمكن توصيله بمصدر مباشر للطاقة الكهربائية، ويضم جهاز (MCC) العديد من المنافذ الضرورية مثل منافذ توصيل بلوحة مفاتيح وفأرة وسماعات خارجية وغيرها، كما أطلقت إحدى الشركات الأمريكية المتخصصة في عالم الإليكترونيات جهازاً جديداً يجمع بين الهاتف المحمول وكمبيوتر كفي ومحدد للمواقع عبر الأقمار الصناعية وقارىء للشفرات أيضاً، على غرار إنتاج جهاز كفي شامل يجمع بين وظائف أجهزة الهاتف والكمبيوتر المحمول، ويتميز

الجهاز الجديد الذي يحمل اسم (41Gotive H) بصغر حجمه ورقة سمكه رغم إمكانياته الكبيرة المتعددة، فيعمل علي شبكات(GSM) بتردداتها المختلفة، كما أنه متوافق مع تكنولوجيا (GPRS) للاتصال السريع بالإنترنت، كما أنه مهيأ للتعامل مع تطبيقات الوسائط المتعددة خاصة الرسائل القصيرة بأنواعها، كما أنه يسجل الصوت الرقمي، ويضم الجهاز شاشة بللورية ملونة كبيرة تعرض أيضاً لوحة مفاتيح كاملة يمكن التحكم بها بأصابع اليد، وهي مجهزة لاستقبال صفحات الإنترنت كاملة بلغة(HTML) أما درجة تباينها فتصل إلى (240 ×)640 بيكسل، ويعمل الجهاز بنظام تشغيل (ويندوز (CE من ميكروسوفت، كما أنه يضم العديد من البرامج التي تشغل الفيديو وملفات الصوت وتعالج الصور الرقمية مثل بوكيت وورد وبوكيت إنترنت أكسبلورر وايندكس، كما يحتوي الجهاز على معالج قوي من إنتل طراز سترونج ارم، بالإضافة إلى وجود منفذ لإدخال بطاقة الذاكرة، وفي هذا الصدد كشفت شركة كومباك النقاب عن كمبيوتر كفي جديد يضم تقنية بلوتوث اللاسلكية بصورة مدمجة مسبقاً، كما يمكن استخدامه كهاتف محمول، بالإضافة إلى أنه يضم إصدارات مصغرة من تطبيقات مايكروسوفت، والكمبيوتر الذي يطلق عليه "3870Compaq IPAQ H" مزود بمعالج "إنتل سترونج آرم" بسرعة 206 ميجاهيرتز، وذاكرة بحجم 64 ميجابايت، وعلى صعيد آخر وفي إطار كل ما هو جديد في عالم أجهزة الكمبيوتر المحمولة كشفت شركة " آي بي إم " النقاب عن طراز جديد من أجهزة الكمبيوتر المحمولة يطلق عليه " آر32 ثينك باد" يتميز بشكله الفريد، ودقته العالية في الأداء، وسعة تخزين عالية، بالإضافة إلى سرعة في تنفيذ الأوامر، ومتانته وتحمله للأعمال الكثيرة، كما كشفت شركة "إيسر "Acer النقاب عن جهاز جديد لكمبيوتر محمول يحتوي على شاشة خارجية للعرض، ويمكن الاستفادة من هذه الشاشة في أغراض العرض المختلفة في المحاضرات والندوات، ويشار إلى أن وزن الجهاز يصل إلى ثلاثة أرطال، ويمكن لبطاريته العمل لمدة ثلاثة ساعات، ومن جانب آخر أعلنت شركة " إن تي تي دوكومو" أنها ستطرح كمبيوتر محمول ذو شاشة تصل إلى ثلاثة ونصف بوصة في اليابان خلال الخريف القادم، وسيتيح الجهاز الجديد الدخول على شبكة الإنترنت بما في ذلك الخدمات الموسيقية

وصور الفيديو، وسيدار الجهاز بنظام التشغيل (بوكيت بي سي 2002)، كما سيتضمن تطبيقات(ويندوز) الخاصة بتسجيل وتخزين صفحات الويب، حتى يمكن تصفحها دون الدخول على الشبكة، كما طورت إحدى الشركات الأمريكية كمبيوتر محمول جديد خفيف الوزن وصغير الحجم أطلقت عليه اسم " جو بوك " GoBook، وهو كمبيوتر لا يتأثر بالصدمات، ويتحمل درجة الحرارة المرتفعة، ودرجات البرودة التي تصل إلى تحت الصفر، كما أن مواصفاته ككمبيوتر محمول تتفوق علي منافسيه في الأسواق، وطرحت شركة يابانية كمبيوتر محمول قابل للطي، بحيث يمكن توجيه شاشته في أي اتجاه، فإذا تم طيه يتحول إلى دفتري يتأتى للجميع حمله بسهولة، هذا بالإضافة إلى إمكانية الكتابة على شاشته بقلم إليكتروني، ويعمل بنظام التشغيل (ويندوز 2000(وفي كوريا، أطلقت شركة (سامسونج) الكورية كمبيوتر كفي لاسلكي جديد يمكن مستخدميه من استعراض الإنترنت والتحكم بكافة الأجهزة المنزلية المختلفة، وذلك لاحتوائه على شاشة بلورية سائلة بقياس 1.5 بوصة توفر صور عالية النقاء قادرة على استعراض البيانات بنقاء يماثل نقاء العرض في أجهزة الكمبيوتر الشخصية". انتهى النقل عن المختصر.

قلت: والآن وإن كان بعض الناس يجدون صعوبة وبطئاً في تنزيل الملفات الصوتية والفيديوية، فإن هناك تطويراً كبيراً في المعامل والجامعات والشركات لتطوير ما يسمى (إنترنت2 2internet) وهذه الأخيرة فائقة السرعة.

يقول الدكتور مالك بن إبراهيم الأحمد في مقال له تحت عنوان: "العولمة.. مقاومة وتفاعل، العولمة في الإعلام":

أما الإنترنت فالشبكة القادمة والتي بدأ تطبيقها في بعض الجامعات الأمريكية ستصل سرعتها إلى (1000) ميجا بيت (2000 ضعف الشبكة الحالية، و (10000) ميجا بيت في غضون بضع سنوات، هذا يعني بثاً حياً عالي النقاوة للصورة المتحركة أو الصوت (تلفاز رقمي)، أما المواد المقروءة فيمكن نقلها في غضون بضع ثوان بدلاً من الدقائق حالياً، بمعنى أن الإنسان سيمكنه مشاهدة مئات القنوات التلفزيونية بنقاوة معقولة، وهو قابع في مكتبة أمام الكمبيوتر مع العلم أن هناك تجارب لبث تلفزيوني خاص بالإنترنت (ما زالت بصيغة متخلفة عن التلفاز

العادي)، علماً أن الإنترنت هي مولود أمريكي ويرعاه الأمريكان والسيطرة فيه للشركات الأمريكية (خصوصاً الكبيرة منها والتي أصلاً لها وجود إعلامي نافذ دولياً).. "

بل وصلت الولايات المتحدة إلى ما يسمى " إنترنت 6 " وهو الجيل التالي للإنترنت, وهذا خبر أنقله لك من " موقع قناة الجزيرة "www.aljazeera.net " بتاريخ: السبت 1424/4/14هـ الموافق 2003/6/14م على النحو التالي:

"البنتاغون ينتقل للجيل التالي للإنترنت"

قررت وزارة الدفاع الأميركية إجراء تغييرات شاملة لنظام تشغيل شبكة المعلومات الدولية الإنترنت بالوزارة والمستخدم منذ حوالي 30 عاماً، وأعلن جون ستينبت مسؤول المعلومات بالبنتاغون أن خطة التطوير تهدف لربط الأسلحة الأميركية العالية التقنية وأجهزة الاستشعار الميدانية وأنظمة الاتصالات الأخرى بنظام إنترنت حديث في غضون السنوات الخمس القادمة، وأقر ستينبت بأن النظام الحالي لا يفي باحتياجات القوات الأميركية، وليس آمناً بما فيه الكفاية حيث إنه عرضة لكشف المعلومات المستخدمة في بعض الاتصالات مثل مؤتمرات الفيديو، وأضاف أن هناك عيباً آخر في نظام الإنترنت بالبنتاغون يتمثل في نظام الترقيم الشبيه بالهاتف، وقال المسؤول إن النظام الجديد الذي سيعرف باسم "بروتوكول الإنترنت 6" سيقوم بربط المكونات الرئيسية لما يعرف بشبكة المعلومات العالمية لوزارة الدفاع الأميركية والتي تتضمن أجهزة استشعار، وأسلحة، وطائرات، وأنظمة اتصالات، وقوات متصلة رقمياً، وأوضح أنه يجب أن يوضع في الاعتبار الانتقال للنظام الجديد عند إتمام أي عمليات شراء بدءاً من الأول من أكتوبر/ تشرين الأول القادم."

3 . التفاعلية في الإنترنت: من أسباب فتنة الإنترنت ما فيها من تفاعلية مفتقدة في وسائل الإعلام الأخرى، فأنت – في الإنترنت – تستطيع التفاعل مع المواقع التي تدخلها، وتستطيع التحاور والإدلاء برأيك وفي غرف المحاورات الصوتية والمرئية تستطيع أن تتخاطب مع من تشاء في أي وقت تشاء بأي لغة تشاء.

ونتج عن هذا هروب بعض الناس من مجتمعاتهم، والانتماء إلى الإنترنت، مما نتج عنه مرض (إدمان الإنترنت).

والمستخدم كان إذا جلس أمام التلفاز والفضائيات والمذياع والصحف فهو أمام وسائل إعلام غير متفاعلة، لا تستطيع أن تبدي لها رأيك، أو أن تنتقد وإنما أنت متلق فقط، تتقبل المادة التي تعرض لك بدون خيار، فإن لم تُردها لا تملك إلا تركها فقط، دون تغييرها أو إبداء اعتراض..!

4 . الاستمرارية في الإنترنت ليلاً ونهاراً:

من خطورة الإنترنت وجذبها أنها بين يديك في أي وقت وتستطيع أن تستعيد أي مادة مكتوبة أو صوتية أو فيديوية أو غيرها في أي وقت من ليل أو نهار إلا أن يرفعها صاحبها أو واضعها، فالتلفاز أو المذياع إذا عرض لك مادة ثم انتهت لا تستطيع استعادتها إلا أن تكون قد سجلتها أثناء إذاعتها أو بثها، أو يكون القائمون على المحطة قد قرروا إعادة المادة، ولو أعادوها فمرة أو اثنتين على الأكثر ثم لا تستطيع الحصول عليها، ولا بذل ما تستطيع من جهد، فالإنترنت بجميع مادتها واقفة في انتظارك في اللحظة التي تجود فيها عليها بنظرة، فهي فاتحة ذراعيها تقول: (شُبِّيك لُبِّيك أنا بين يديك)!

5 . ضخامة عدد جمهور الإنترنت وازدياده بصفة مستمرة, ويكفي في التدليل على هذا الكلام أن أنقل لك هذا الخبر – وإن كان قديماً نوعاً ما – من موقع " الجزيرة نت "www.aljazeera.net "الأربعاء 1422/6/9هـ الموافق 2001/8/29م

459 مليون من مستخدمي الإنترنت في العالم

أفادت دراسة أمريكية أن عدد مستخدمي شبكة الإنترنت في العالم زاد 30 مليون شخص في الربع الثاني من العام الحالي مقارنة بالربع الأول، وأوضحت الدراسة أن عدد المستخدمين ارتفع إلى 459 مليون شخص.

وذكرت الدراسة التي صدرت عن مؤسسة نيلسون لأبحاث الإنترنت أن نسبة عدد المستخدمين من الولايات المتحدة وكندا بلغت 40% بين زوار الإنترنت في العالم، إذ انخفضت بنسبة 1% عن الربع الأول.

وأضافت أن نسبة المستخدمين في أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا ظلت ثابتة عند 27%، تليها منطقة آسيا والباسيفيك بنسبة 22% بزيادة قدرها 2% عن الربع الأول، ثم تأتي منطقة أميركا اللاتينية بنسبة 4%.

وكانت مؤسسة نلسن قد ذكرت في تقرير لها في مايو/ أيار الماضي أن كوريا الجنوبية تأتي في مقدمة الدول من حيث عدد متصفحي الإنترنت حيث أمضى الزوار هناك قرابة 42 دقيقة على الشبكة في كل جلسة تصفح على أجهزة الكمبيوتر المنزلية الخاصة بهم في أبريل/ نيسان الماضي."

وهذا خبر آخر من موقع "الجزيرة نت " أيضاً يزيد كلامي تأكيداً المصدر :الفرنسية " الخميس 1422/12/23هـ الموافق 2002/3/7م

" نصف مليار مستخدم للإنترنت من المنازل نهاية العام الماضي"

وصل عدد الأشخاص الذين لديهم القدرة على استخدام شبكة الإنترنت من منازلهم في أنحاء العالم إلى نحو نصف مليار مع حلول نهاية العام الماضي، وأشار تقرير لمؤسسة تعنى بقياسات الإنترنت اليوم إلى أن عدد متصفحي الإنترنت من المنازل قفز بنسبة 5.1% بالمقارنة مع الفترة من يوليو/تموز حتى سبتمبر/أيلول الماضيين.

وذكرت مؤسسة نلسن/نتريتنغز أن حوالي 498 مليون شخص كان بإمكانهم تصفح الإنترنت من المنازل مع نهاية عام 2001، وأوضحت المؤسسة أن أكبر معدلات الزيادة تحققت في آسيا حيث ارتفع عدد مستخدمي الإنترنت من المنازل بنسبة 5.6% في الشهور الثلاثة الأخيرة من عام 2001 م مقارنة مع الربع السابق من العام.

وقد جاء الأوروبيون في المركز الثاني بمعدل 4.9% يليهم الولايات المتحدة وأميركا اللاتينية بنسبة زيادة بلغت 3.5% و3.3% على التوالي، في حين احتفظت أميركا الشمالية بمكانتها كصاحبة أكبر حصة من مستخدمي الإنترنت في العالم بنسبة بلغت 40%، وبلغت نسبة الاستخدام في أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا معاً 27% وآسيا 22%.

ومن بين البلدان الثمانية التي تراقبها نلسن/نتريتنغز في آسيا حققت سنغافورة أعلى معدل لتصفح الإنترنت حيث يمكن لحوالي 60% من الأسر في الدولة التي يبلغ عدد سكانها أربعة ملايين نسمة الدخول إلى الشبكة العالمية.

وحلت كوريا الجنوبية وهونغ كونغ في المركزين الثاني والثالث بنسبة 58% و56% على التوالي، وجاءت الهند في المركز الأخير بنسبة 7% فقط إذ لا يزيد عدد

مشتركي الإنترنت في الهند بسرعة بسبب القلة النسبية لعدد من يمكنهم شراء أجهزة الكمبيوتر الشخصي، كما أن تكاليف الدخول للشبكة يمكن أن تكون مرتفعة بالنسبة للكثيرين. المصدر :رويترز "

---

[1] – استخدام شبكة الإنترنت في المكتبات العربية (134).

[2] – راجع: (الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت) عبد الملك الدناني (40–39).

[3] – نقلاً من: (الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت) (36).

[4] – كيف تستعمل الإنترنت: ماريتا تريتر (12).

المصدر : http://www.islamselect.com

=============

#الإنترنت والعولمة (3)

د. محمد عبدالرحمن غنيم

ج . والآن وقد تعرفنا على العولمة، وكذلك على الإنترنت، فما العلاقة بين العولمة والإنترنت؟ ولماذا وكيف كانت الإنترنت أداة ضخمة من أدوات العولمة؟

لا يستطيع أحد أن ينكر أن الإنترنت أداة من أدوات العولمة، ومَعْلم من معالم العولمة، فهي ثمرة العولمة، وهي داعمة العولمة، وسبب الجزم بهذه المقولات هو:

أولاً: أن الإنترنت نشأت في أحضان داعية العولمة الولايات المتحدة، بل في أحضان مخابراتها، وكانت من ضمن الأسلحة التي تعدها الولايات المتحدة هروباً من أن يوجه إليها الاتحاد السوفيتي السابق (لا رحمه الله!) ضربة نووية، فقد نشأت الإنترنت في ظل التحوطات الإستراتيجية التي اتخذتها القيادة العسكرية الأمريكية ممثلة بوزارة الدفاع إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وذلك تحسباً من احتمال تدمير أي مركز من مراكز الاتصال الحاسوبي المعتمدة بضربة صاروخية سوفيتية، مما سيؤدي بالتالي إلى شلل الشبكة الحاسوبية بكاملها، وحرمان القيادة العسكرية الأمريكية من الإسناد المعلوماتي([1]).

والحقيقة أن العلاقة بين المخابرات الأمريكية والجيش والحكومة من ناحية والجامعات والأكاديميات والشركات من ناحية أخرى علاقة غريبة وغير معتادة في عالمنا

العربـي، وهـذه العلاقـة أنتجـت اكتشـافات كبيـرة وعظيمـة أفـادت الدولـة الأمريكيـة، فالهيئات الأكاديمية كالجامعات والمراكز العلمية والبحثية لديها الخبراء والمختصون، وأجهزة الدولة والمخابرات لديها الأموال، فهذه الأبحاث تتكلف المليارات من الدولارات ولذلك لا تستطيع أن تقوم بها كلية أو جامعة أو مركز بحث فضلاً عن الشركات الخاصة والأفراد وإنما لا بد أن تدعمها دولة، وهذا ما تقوم به الحكومة في الولايات المتحدة، وهذه العلاقة جديرة بدراسة جادة تكشف أبعادها!

ثانياً: السيطرة الاقتصادية والتقنية (التكنولوجية) للولايات المتحدة على الإنترنت:

وهذا نـاتج مـن الـذي قبلـه، ومـن الثقل الاقتصـادي والتقنـي للولايـات المتحـدة، فمـن الأمور المسلمة أن أمريكا هي الدولة الأولى من دون منازع في السيطرة على الجانب الاقتصـادي فـي الإنترنـت مـن نـاحيتي حجـم النشـاط والتقـدم التقنـي، ويعتبـر جميـع الخبراء أن تكنولوجيا المعلومات تلعب اليوم الدور الأساسي في الاقتصاد الأمريكي، واسـتناداً إلـى إحصـائيات وزارة التجـارة الأمريكيـة فـإن حصـة الاسـتثمارات فـي مجـال معدات التكنولوجيا الرفيعة التي تقوم بها الشركات والمستهلكون من إجمالي النمو الاقتصـادي فـي أمريكـا بلغـت (38%) منـذ عـام (1990م) وهـي لا شـك فـي تزايـد مستمر.

وهنـاك دور للأجهـزة العسـكرية والمخـابرات المركزيـة الأمريكيـة فـي تعزيـز البحـث والتطوير في الإلكترونيات وعلوم الحاسوب، ويذكر شيللر في عام (1992م) الإنفاق العسـكري الضـخم فـي هـذا المجـال وبتوجيـه مـن الأجهـزة العسـكرية عبـر مختبـرات الشـركات والجامعـات والمختبـرات الحكوميـة، وأن (70%) مـن الأبحـاث الأكاديميـة ممولة من وزارة الدفاع([2]).

ومـن أهـم المؤسسـات الأمريكيـة المعنيـة بـالعلم والتكنولوجيـا والمعتمـدة علـى التمويـل العسكري الأمريكي:

1- مكتب البحث البحري.

2- شركة رند.

3- مؤسسة العلوم الوطنية.

4- لجنة الطاقة الذرية.

ويكفيك أن أكبر الشركات المنتجة لبرامج الحاسوب والإنترنت وكذلك لأجهزتها هي أمريكية، ومنها على سبيل المثال:

1- ميكروسوفت (Microsoft) عملاق البرمجيات، وكلنا يعرف الدوز والويندوز بنسخه المتعددة، وبأنواعه الشخصي والشبكي، ومتصفح الإنترنت (Internet Explorer)، والمجموعة المكتبية من الوورد، والإكسل، والبوربوينت، والإكسس، والفرونت باج..) (word, Excel, PowerPoint, access, Frontpage,..) وغيرها من البرامج، فكل هذا وغيره من إنتاج هذه الشركة.

2- آي بي إم: إن كانت ميكروسوفت هي الشركة الأولى في إنتاج البرامج (Softwore)، فشركة (I.B.M) هي الأولى في إنتاج معدات الحواسيب والإنترنت (Hardware) بل هي أول شركة أنتجت الحاسوب الشخصي المسمى (PC) فأصبح الحاسوب في يد الناس بعد أن كان لا تمتلكه إلا الشركات، وكان كبير الحجم، ويحتاج إلى طاقة كبيرة وأجهزة تبريد، فاختراعها هذا ثورة في عالم الحواسيب!.

3- ديجيتال (Digital).

4- كومباك (Compaq).

5- ماكينتوش (Machintosh).

6- ديل: (Dell).

7- إنتل: (Intell).

8- إتش بي (HP)

وغير ذلك من الشركات التي يعسر إحصاؤها أو جمعها في مثل هذا المقال!.

ثالثاً: لغة الإنترنت الأساسية هي الإنجليزية، وهي بالطبع لغة الولايات المتحدة الأمريكية، فإذا كانت (الأرض بتتكلم عربي) كما في الأغنية المصرية لسيد درويش، فالإنترنت تتكلم الإنجليزية كما في الأغنية التكنولوجية لبيل جيتس([3]) وغيره.

ويكفي أن نعرف أنه ظهر في إحصاء: (أن (88%) من معطيات الإنترنت تُبث باللغة الإنجليزية، مقابل (9%) بالألمانية، و(2%) بالفرنسية، و(1%) يُوزَّع على بقية لغات المساكين ومنها العربية!.

ولا يخفى عليك أن اللغة هي أحد عناصر الثقافة والعولمة، وأن لغة العولمة هي الإنجليزية، ويتجه أصحاب العولمة إلى جعل الإنجليزية لغة العالم.

رابعاً: محتوى الإنترنت:

ولا شك أن النتيجة واضحة إذا كانت السيطرة على الوجه المتقدم، فمن المتوقع أن تحشى الإنترنت بثقافة العولمة بدءاً من تعظيم الثقافة الأمريكية، والحياة الأمريكية، والرجل الأمريكي، والأنماط الأمريكية في الحياة، تدرجاً إلى الدخول معهم ومشاركتهم، وكذلك فجور هذه الحضارة فهو أبرز ما أظهرته على الإنترنت، فإن صفحات العري والخزي والدعارة بصورة لا يصدقها العقل ولا تخطر ببال الصالحين، فإن الإنترنت تعد مسرحاً لهذا ولغيره من الأفكار والأطروحات الزائفة بدءاً من الدعوة إلى عبادة الشيطان ووصولاً إلى عبادة الفروج، فصورة الحياة الأمريكية والأفكار الأمريكية بما فيها من انحرافات وزيغ وبعد شديد عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وبما فيها من فسق وفجور وعبادة اللذات، وبما فيها من خمور ومخدرات وعصابات المافيا وضياع ومتاهات تُذهل العاقل، فقد أصبحت الإنترنت مكاناً لعرض هذه البضاعة بل والإغراء بها والحث على المشاركة العملية فيها، فبالله عليك كم من إنسان مسكين أضاعوه وأفسدوا فطرته وعقله وحياته، ولم يرحموا حتى براءة الأطفال فتاجروا بهم، وانتهكوا أعراضهم، وعرضوهم كما تُعرض البضائع، وإن النساء الذين يزعمون أنهم يدافعون عنهن استخدموهم كما تُستخدم أخس السلع، وعرضوهن كما يعرض الجزار ذبيحته، فيالله كم من أعراض تنتهك، وكم من مسكينة كانت تود أن يجمعها بيت مع زوج تحبه وتحترمه فأصبحت تُقَّلب من يد إلى يد كما تُقلب أحقر البضاعة، وماذا أقول؟ إن ما يفعلونه يندى له جبين البشرية، فوالله لا أملك إلا أن أقول: (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) فوالله إن الأنعام لأشرف من هؤلاء الذين وصلوا إلى هذا الدرك السحيق مما لا تُسعف اللغة على وصفه..!

قال الدكتور مشعل بن عبدالله القدهي في بحثه المعنون بـ(المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت وأثرها على الفرد والمجتمع): "انتقال الداء إلى الإنترنت وتوغله في المنازل:

إن حجم الإقبال على شبكة الإنترنت يتضاعف تقريباً كل مئة يوم، حيث صرحت وزارة التجارة الأمريكية بأن عدد الصفحات في النسيج العالمي بلغ 200 مليون صفحة في نهاية عام 1997 و440 مليون صفحة في نهاية عام 1998، وأن عدد رواد النسيج بلغوا 140 مليون في عام 1998م، ولقد أقر هذا العدد شركة جنيرال ماجيك ومجلة تايم، ولكن هناك من يرى أن هذا العدد فيه تحفظ، وأن العدد الحقيقي للصفحات في عام 1998 قد بلغ 650 مليون صفحة، ويتوقع لهذا العدد أن يزداد إلى 8 مليار في عام 2002م([4])، وعدد الصفحات الإباحية في الإنترنت تقدر بنحو 2.3% من حجم الصفحات الكلية في الإنترنت، وهذا العدد يُعدُّ صغيراً نسبياً إلا أنه لا يعطي الصورة الحقيقية لحجم المشكلة، وكمثال على ذلك يمكن أن يكون في مدينة واحدة مئة سوق ولكن أكثر الناس مقبلون على سوق واحد بين هذه المئة، وبالفعل نجد الأرقام تعضد هذه النظرية، فشركة (Playboy) الإباحية مثلاً تزعم بأن 4.7 مليون زائر يزور صفحاتهم في الأسبوع الواحد، وقامت بعض الشركات بدراسة عدد الزوار لصفحات الدعارة والإباحية في الإنترنت فوجدت شركة (WebSide Story) أن بعض هذه الصفحات الإباحية يزورها 280034 زائر في اليوم الواحد، وهناك أكثر من مئة صفحة مشابهة تستقبل أكثر من 20000 زائر يومياً وأكثر من 2000 صفحة مشابهة تستقبل أكثر من 1400 زائر يومياً، وإن صفحة واحدة فقط من هذه الصفحات قد استقبلت خلال سنتين 43613508 زائر، وإن واحدة من هذه الجهات تزعم أن لديها أكثر من ثلاثمائة ألف صورة خليعة تم توزيعها أكثر من مليار مرة، ولقد قام باحثون في جامعة كارنيجي ميلون بإجراء دراسة إحصائية على 917410 صورة استرجعت 8.5 مليون مرة من 2000 مدينة في 40 دولة فوجدوا أن نصف الصور المستعادة من الإنترنت هي صور إباحية وأن 83.5% من الصور المتداولة في المجموعات الأخبارية هي صورٌ إباحية، وفي عملية إحصاء أجرتها مؤسسة زوجبي (Zogby) في مارس عام 2000 وجد أن أكثر من 20% من سكان أمريكا يزورون الصفحات الإباحية، ويقول الباحث ستيف واترز أنه غالباً ما تبدأ هذه العملية بفضول بريء ثم تتطور بعد ذلك إلى إدمان مع عواقب وخيمة كإفساد العلاقات الزوجية أو تبعات شرٍ من ذلك، وقد وجد التجار صعوبة فائقة في جمع

الأموال عن طريق صفحات النسيج العالمي إلا في شريحة واحدة وهي شريحة صفحات الدعارة فإنها تجارة مربحة جداً، ويقبل الناس عليها بكثرة، ولو اضطروا لدفع الأموال الطائلة مقابل الحصول على هذه الخدمة، وفي سنة 1999 بلغ مجموع مشتريات مواد الدعارة في الإنترنت 8% من التجارة الإلكترونية والبالغ دخلها 18 مليار دولار، كما بلغ مجموع الأموال المنفقة على الدخول على الصفحات الإباحية 970 مليون دولار، ويتوقع أن ترتفع إلى 3 مليار دولار في عام 2003، وهذه الصفحات تتكاثر بشكل مهول تبلغ مئات الصفحات الإباحية الجديدة في الأسبوع الواحد، كثير منها تؤمن هذه الخدمة مجاناً، ولقد صرحت وزارة العدل الأمريكية قائلة: "لم يسبق في فترة من تاريخ وسائل الإعلام بأمريكا أن تفشى مثل هذا العدد الهائل الحالي من مواد الدعارة أمام هذه الكثرة من الأطفال في هذه الكثرة من البيوت من غير أي قيود"، كما تفيد الإحصاءات بأن 63% من المراهقين الذين يرتادون صفحات وصور الدعارة لا يدري أولياء أمورهم طبيعة ما يتصفحونه على الإنترنت، علماً بأن الدراسات تفيد أن أكثر مستخدمي المواد الإباحية تتراوح أعمارهم ما بين 12 و17 سنة، والصفحات الإباحية تمثل بلا منافس أكثر فئات صفحات الإنترنت بحثاً وطلباً "اهـ. نقلاً من موقع " الإيمان" www.aliman.org

خامساً: الحرية التي تغوص وتغرق فيها الإنترنت:

كسرت الإنترنت حاجز الرقابة التي تفرضها الدول على وسائل الإعلام كالتلفاز والمذياع والصحف وغيرها، فإذا أردت أن تنشئ موقعاً أو ألف موقع على الإنترنت، فلن تحتاج إلى تصريح، ولن تمر على مئة موظف لتحصل على تواقيعهم المباركة!، كل ما في الأمر احجز مساحة في أي خادم (Server) في الدنيا، ثم بث ما تشاء، ويستطيع أن يستقبل بثك كل الناس، صحيح أن بعض الدول مازال لديها ما يسمى بالبروكسي أو التصفية (أو الفلترة) (Filter) ولكن هي في الغالب ضعيفة، ويستطيع المستخدم المتمرس للإنترنت أن يتجاوزها، ثم إن هذه التصفية (أو الفلترة) سيتم الضغط على الدول التي تقوم بها من قبل أصحاب العولمة حتى تلغيها بحجة حرية الشعوب أو تحرير الاقتصاد أو... أو... أو حتى بحجة اعتراض الحمير وقيامهم

بمظاهره في جمهورية موزمبيق الغربية أو في القطب الشمالي أو في بلاد تركب الأفيال..!

وبسبب الحرية التي تتمتع أو تعاني منها الإنترنت أضحت حياة الناس الشخصية ناهيك عن العامة عرضة للانتهاك والاقتحام على الإنترنت، فيمكن بالإنترنت الكشف عن أسرار الناس على نحو لم يسبق له مثيل مثل حساباتهم وحالتهم الصحية وحياتهم الخاصة، وهكذا طُرحت حرية الإنسان في إطار جديد، واختلت العلاقة بين الأشياء الخاصة للإنسان والأمور العامة، وهناك مخاطر أخلاقية للإنترنت من حيث وجود أخبار ومعلومات وأفلام خليعة أو إرهابية أو متصلة بالمخدرات أو البغاء، وهناك قضايا وحوادث وجرائم كثيرة حدثت خلال الفترة الماضية بالإنترنت، فمثلاً قام مجموعة من الأشخاص أطلقوا على أنفسهم أعضاء (طائفة بوابة السماء) في مدينة كاليفورنيا الأمريكية عام (1997م) بارتكاب عملية انتحار جماعية، أدت إلى وفاة (39) عضواً من خلال موقع قاموا ببنائه بالإنترنت تحت اسم (Heaven Gate) أي: بوابة السماء . بزعمهم . للتواصل مع جماعات أخرى متشابهة، واستغل زعيم الطائفة الإنترنت لغسل دماغ أتباعه، ومنها: تعرضت شركة (ميموري إكسبريس) البريطانية المتخصصة في بيع شرائح ذاكرة الكمبيوتر لحادثة اختلاس بالإنترنت، عندما تلقت طلباً لشراء شرائح من شركة تقيم موقعاً لها بالإنترنت، لتكتشف بعد ذلك أن الشيكات التي تم بموجبها تسديد ثمن السلع من دون رصيد، وخسرت بذلك نحو (45000) دولار أمريكي([5]).

وهذه الجرائم تستطيع أن تطالع منها المزيد بصفة مستمرة في مجلات الحاسوب والإنترنت مثل مجلة (لغة العصر) المصرية، ومجلة (إنترنت العالم العربي) الإماراتية، فقد كُتب في الأخيرة مقالات باسم (عالم إنترنت السفلى) (جرائم إنترنت) وغير ذلك من المجلات، وكانت وما زالت مجلة (لغة العصر) تقدم قصة جريمة من جرائم الإنترنت في كل عدد (شهرياً).

ولقد كانت هناك قضيتان، وهما قضية (الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران) وأنه حكم فرنسا مدة (14) عاماً وهو مصاب بالسرطان وأن له ابنة من الزنا تسمى (مازارين)، وقضية (الرئيس الأمريكي كلينتون وعلاقته مع مونيكا) هاتان القضيتان تكتَّم عليهما

الإعلام في البداية، بل في قضية ميتران كان هناك حكم من المحكمة يمنع النشر، ولكن لم يمر أسبوع حتى كانت القضية معروضة على الإنترنت، ولم تستطع المحاكم أن تطبق عليها قرار المنع، وقد اعتبر نشر تقرير المحقق (كينث ستار) في الإنترنت (وهو التقرير الخاص بفضيحة كلينتون) اعتبر ذلك بأنه اللحظة الفاصلة لبلوغ الإنترنت المدى في الحرية، وأنها سوف تكشف للعالم كل الوقائع بلا تزيين، وبلغ عدد الأمريكيين الذين تابعوا تقرير المحقق (ستار) على الإنترنت عشرين مليوناً من الأمريكيين([6]).

ولا شك أن هذه الحرية على ما فيها من المفاسد إلا أنها كسرت احتكار الوكالات اليهودية لبث الأخبار، ويمكن أن تخدم هذه الحريةُ الدعوة إلى الدين الحق (الإسلام)، وهو ما سنتعرض له فيما بعد – إن شاء الله –!

(سادساً) استخدام الإنترنت في الأعمال التجارية:

لا شك أن العولمة الاقتصادية هي من أقوى أجنحة العولمة، والإنترنت تعتبر دعامة من دعامات العولمة الاقتصادية، ولذلك نشطت التجارة الإلكترونية وأصبحت الإنترنت من وسائل التبادل التجاري والترويج للسلع المختلفة، متخطية الحواجز والرقابة المفروضة من قبل بعض الدول، وتقدر الأرقام التجارية التي تحققت عام (1997م) بواسطة الإنترنت بنحو (875) مليون دولار، ومن المتوقع أن يصل هذا الرقم إلى (175) مليار دولار في عام (2002م)([7]).

ولذلك حرصت كل شركة على تواجدها على الإنترنت، بل بعض الشركات لا وجود مادي لها في الحقيقة، إلا أنها موجود في الفضاء السيبري (Cyper space) أي على الإنترنت، ولقد حققت بعض الشركات مليارات الدولارات على الإنترنت مثل شركة أمازون (www.amazon.com) وشركة ياهو (www.yahoo.com)، وجوجل (www.google.com)، وشركة إي باي (www.ebay.com) وغيرها من الشركات التي استفادت من الإنترنت.

سابعاً: إضعاف الإنترنت سيطرة الحكومات على شعوبها:

من الأهداف المتأخرة للعولمة إنشاء حكومة أو دولة عالمية واحدة، أو بمعنى آخر إضعاف بنية الدولة الحديثة في مختلف أنحاء العالم حتى تستطيع الدولة رائدة

العولمة أن تتحكم في أحوال الدول الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بل والعسكرية، يقول الدناني في (الوظيفة الإعلامية للإنترنت)(120): (... يمكن أن تضعف (أي الإنترنت) الأنظمة الحاكمة في دول العالم، وقد فسر ذلك المفكر الأمريكي من أصل ياباني (فرنسيس) من خلال تسريب معلومات سرية عنهم، وهذا من أبرز نتائج ثورة الاتصالات الحديثة)، ومن أمثلة ذلك مجلة "عرب تايمز" على الإنترنت فإنها متخصصة في الكلام على الحكومات والرؤساء والوزراء والأمراء وغيرهم من علية القوم، وفيها ما هو كذب..!

ويقصد بالمفكر الأمريكي فرنسيس فوكاياما صاحب كتاب (نهاية العالم والإنسان الأخير) والذي بشر بالعولمة، وزعم أنها هي التطور الأخير الذي كانت تسعى إليه البشرية جمعاء على مدار الأزمنة، وأن الرأسمالية أصلح وأفضل ونهاية الأدوار!.

عزيزي القارئ . هذا هو الوجه الأسود للإنترنت، فهل لها وجه أبيض، وهل يمكن أن نقلب السحر على الساحر، ونستخدم الإنترنت بعكس ما أراد لها صانعوها؟ وهذا موضوع مقالنا القادم – إن شاء الله –، وهو: (الدعوة إلى الله في الإنترنت).

---

[1] – راجع تكملة القصة والتطور بعد هذه البداية في: (شبكة إنترنت) مصطفى السيد (21-19)، و(شبكة إنترنت) بهاء شاهين (8)، و(الوظيفة الإعلامية) للدناني (43-48).

[2] – الإعلام العالمي: فارس أشتي (104).

[3] – بيل جيتس: رئيس مجلس إدارة شركة ميكروسوفت، وأغنى رجل في العالم، ونموذج من نماذج الرأسمالية الأمريكية الصارخة! وتبلغ ثروته (58) مليار دولار ! هل تستطيع عدها, وقد قام بعض هواة الإنترنت بعمل مواقع للكلام على ثروة بيل جيتس!

[4] – ونحن الآن في عام (2004م)، فماذا يكون حجم الإنترنت؟!

[5] – راجع: (الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت) (119-118).

[6] – مجلة (المشاهد السياسي) عدد (137) (1998/10/13م).

[7] – راجع: (الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت) (113-112).

المصدر :http://www.islamselect.com

============

#رمضان يتحدى العولمة

د. نهى قاطرجي

رمضان جديد يطل على أمة الإسلام وأهل الإسلام في مزيد من التقهقر والانقسام نتيجة الأحداث السياسية الجارية في العالم، فبين فريق مؤيد للقوى الدولية التي تفرض نفسها إلهاً جديداً على الدول والشعوب تحكمهم وتخضعهم لسياساتها وتتدخل في شئونهم الداخلية، وبين فريق آخر رافض لسياسة الذل والمهانة وما يتبع ذلك من إلغاء للشخصية الإسلامية الحرة التي لا تؤمن إلا بوجود رب واحد يحكم هذا الكون وفق دستور وسنن ثابتة.

وفي ظل هذا التناقض تفكرت في رمضان هذا العام ورأيت فيه معانٍ جديدة لم تظهر لي سابقاً، ورأيت في هذا الشهر خطاباً جديداً متحدياً يمكن أن يستنبط منه إثبات جديد على وحدانية الخالق ونفاذ حكمه على العالم الذي أوجده.

وخطاب التحدي هذا لا ينحصر في رمضان وحده بل يمكن للمتفكر أن يلحظه في كل العبادات على الإطلاق، وإن كان في رمضان أكثر وضوحاً، فإذا تفكرنا في الحج مثلاً نجد في مظاهر الانقياد والأخوة والتعاون لإرادة الله – سبحانه و تعالى – تحدياً للعولمة التي تدعو إلى الفردية ونبذ الآخر، إلا أن هذا التعاون لا نلمسه عند المسلمين كافة وذلك لكون هذه العبادة غير مفروضة إلا على من استطاع إليها سبيلاً.

أما عبادة الصوم في رمضان فإنها تتميز بتنوع العبادة وشموليتها، ويتجلى هذه التنوع بصيام الليل وقيام النهار والصدقة والتعاون وغير ذلك مما سيتم الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله – تعالى –، كما تتجلى الشمولية في قدرة هذا الشهر على توحيد المسلمين في أنحاء العالم كافة، وتجديد ولائهم، حتى العصاة منهم، لله الواحد مثبتين بذلك عالمية الإسلام التي لا يمكن أن ينافسه فيها أية عقيدة أو فكر بشري مهما بلغت درجة رقيها وتقدمها.

من هنا جاءت خواطري هذه حول كيفية تحدي رمضان للعولمة.

ففي رمضان إثبات لحاكمية الله – سبحانه و– تعالى – على العباد، فالمسلم في هذا الشهر يجدد انتماءه لله الواحد القهار، الحاكم بأمره، السّان لكافة القوانين الدنيوية والأخروية، المرتكزة على قاعدتي الطاعة والعبادة، لقوله – تعالى –: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)، الذاريات: 56–57، والمبنية على حرية الاختيار التي لا تحرم المختار حقه في التمتع بالحياة الدنيوية مع تحمله لما يترتب على ذلك من ثواب وجزاء وذلك على القاعدة المستقاة من قوله – تعالى –: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي): البقرة: 256.

وهذا الأمر هو على نقيض حاكمية العولمة التي تفرض سيطرتها على الإنسان بالقوة والإكراه، فارضة عليه طاعة قوانين وضعية لا تؤمن له أدنى مستويات العيش الكريم من جهة، وتساعد غيره على إحكام سيطرته على موارده البشرية والمادية من جهة أخرى، وذلك دون أي مقابل لهذه الطاعة اللّهم إلا مزيداً من الانكسار والذل والحرمان.

وفي رمضان أيضاً تحد كبير للعولمة الفكرية التي تبث أفكاراً غربية تروج لفكرة التمتع بالشهوات المادية والجسدية دون أية ضوابط أو تحمل للمسئولية، مدّعين أن إطلاق العنان للشهوات يساعد على حصول الإنسان على حريته وسعادته، في حين أن الصوم يثبت أن السعادة والحرية الحقيقيتين لا تكون بالتمتع بالشهوات بل في الترفع عنها، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حينما قال:"ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، و ثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه"، رواه الترمذي.

لهذا جاءت أقوال بعض العلماء في الماضي والحاضر تؤكد على أن السعادة ليست في التمتع بالشهوات وإنما في ضبطها ووضعها الموضع الصحيح الذي لا يحط من إنسانية الإنسان، فقد قال أحد علماء الإسلام:"إن السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه". وأكبر دليل معاصر على عدم وجود ترابط بين المادة والسعادة ما أشار إليه أحد علماء الغرب وهو"روبرت رايت الباحث في جامعة بنسلفانيا"من أنه لا تلازم بين مسار المال والرخاء المادي مع السعادة،إذ تبين أن الدول الفقيرة أكثر سعادة من الدول الغنية التي تتمتع بكل أسباب الرفاه المادي.

وفي رمضان أيضاً تحد كبير للعولمة الاقتصادية التي تسعى لفرض نظام موحد قائم على الفردية ونبذ الآخر وإغراقه بالديون والضرائب التي تزيده تبعية وفقراً في الوقت نفسه الذي تزيده هو استغلالاً وغنى، وهذا الكلام ينطبق مع الفكرة"الأساسية للرأسمالية التي تقوم على القول بأنه من لا يستطيع كسب قوته ينبغي أن يموت!!! وهناك أصوات في الغرب الاقتصادي تنادى بأن المليار من فقراء العالم الثالث، كما يطلق على المجتمعات ذات الاقتصاد المتخلف، زائدون عن الحاجة لذا يجب الخلاص منهم لأن البقاء هو للأقوى".

لهذا جاء الصوم في هذا الشهر لينقد هذه النظرية وليثبت حق الفقير بمال الغني إن كان عن طريق الصدقة أو عن طريق الزكاة، فقال – تعالى –: (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)، الذاريات، آية 19. وقال أيضاً: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)،التوبة، 103.

هذا ويوضح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه المسؤولية التي تقع على عاتق المؤمن بتوجيهه للمؤمن أن يتصدق بفضل ماله على أخيه، فقال – صلى الله عليه وسلم –:"من كان معه فضل ظَهر فليَعُد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له"رواه مسلم.

وإذا كان هذا الحكم عاماً في كل الأوقات فهو أشد رسوخاً في شهر رمضان حيث تكثر فيه الأحاديث التي تشجع على إفطار الصائم والتصدق على الفقراء والمساكين، وقد ورد في السنة النبوية الشريفة عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت:"كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جواداً وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان يأتيه جبريل فيتدارسان القرآن، فلَرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أجود بالخير من الريح المرسلة"، رواه البخاري.

هذا من ناحية الصدقة وإطعام الفقير والسكين، أما بالنسبة للزكاة فإن في قيام كثير من المسلمين بأداء فريضة الزكاة في مثل هذا الوقت من كل عام مساهمة في رفع الضيم عن الفقير وابن السبيل ومساهمة في إعمار وتنشيط بعض المرافق الضرورية من أجل رفع مستوى حياة المسلم وإشعاره بإنسانيته.

وفي رمضان أيضاً تحد آخر للعولمة الاجتماعية التي تسعى إلى عزل الإنسان عن أسرته ومجتمعه، فيأتي الاجتماع العائلي على الطعام ليوحّد العائلة المفتتة من جديد، وليظهر تمسك المسلم بنظامه الاجتماعي القائم على حب أفراد العائلة لبعضهم البعض، وسعيهم لمرضاة رب العالمين وحده الذي حدد لهم أهدافهم في الحياة.
فإذا أخذنا المرأة التي هي ركن البيت المسلم نجدها في رمضان أكثر تحدياً لنظام العولمة الذي يحاول ان يفرض عليها مبادئه الداعية إلى رفض نظام الأسرة التقليدي القائم على القوامة والطاعة وما إلى ذلك من مفاهيم تسعى إلى تقويض بنى الأسرة، فنجد المرأة في هذا الشهر مهما كان انشغالها تسعى إلى تأمين اللقمة الطيبة لعائلتها دون أي مبالاة بمن يجد في العمل المنزلي إنقاصاً لكرامتها.
وإذا أخذنا الزوج ورب الأسرة وجدنا في اجتماعه اليومي بأسرته وتركه العمل والجري وراء لقمة العيش تأكيداً على مبدأ المودة والرحمة التي تبنى عليها الأسرة المسلمة، وينعكس هذا اللقاء اليومي لمدة شهر راحة واطمئناناً على أفراد الأسرة وخاصة الأولاد الذين قد يعانون من قلة هذه اللقاءات خلال السنة، وصدق الشاعر حين قال:
ليس اليتيم من انتهى أبواه من همّ الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له أماً تخلّت أو أباً مشغولا
كما تأتي العلاقات الاجتماعية بين أفراد المسلمين وتزاورهم وتوادهم في رمضان، لِيُثبت أهمية تماسك المسلمين فيما بينهم وتراصهم الذي حث عليه الإسلام، ويتجلى هذا الأمر في تصرفات المسلم المتنوعة، والتي منها:
1- امتلاء المساجد ودور العبادات بالمسلمين من مختلف الأعمار والجنسيات مثبتين المساواة بين المسلمين كافة، قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -:"الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى"، ومثبتين أيضاً تمسكهم بالجماعة التي بيّن فضائلها رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بقوله:"ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان. فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، رواه أبو داود.
2- امتناع المسلم عن إيذاء أخيه المسلم أو الإساءة إليه ولو بالكلمة، وقد جاء هذا النهي على لسان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - الذي قال:"إذا كان أحدكم

صائماً، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم"، أخرجه مسلم.

3- مسارعة المؤمن إلى إدخال الفرح والسرور على قلوب الآخرين عبر أي عمل خيري تطوعي، وإن كان عن طريق إطعام الضيف في رمضان، كل ذلك بهدف اكتساب الثواب في الدنيا والآخرة، قال - عليه الصلاة والسلام - مبيناّ فضل من فطّر صائماً:"من فطّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئ"، رواه الترمذي.

هذا وقد بين الشهيد سيد قطب فرح الإنسان وسعادته بعطاء الآخرين بقوله:"بالتجربة عرفت أنه لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي الشفيف الذي نجده عندما نستطيع أن ندخل العزاء أو الفرح إلى نفوس الآخرين".

هذا الفرح بالعطاء أثبته علماء الغرب ولكن الفرق بيننا وبينهم أنهم يحدّدون هذا العطاء بدولارات قليلة وذلك تخفيفاً لعقدة الذنب التي قد يمكن أن يشعروها تجاه الفقراء، وقال"روبرت رايت": إذا وجدت أنك لا تستطيع النعاس حزناً على حال عمال أُغلق مصنعهم في سري لانكا وأصبحوا بلا عمل نتيجة لبطء طفيف طرأ على العولمة، هناك سبل يمكن اتباعها لتخفيف إحساسك بالانزعاج من ذلك، ومن هذه السبل أن تتبرع ببعض النقود للمؤسسات الخيرية التي توزع الطعام والغذاء على الشرائح الأشد فقراُ في العالم".

المصدر : http://www.saaid.net

=============

#في محاولة لنقد خطاب العولمة

د. سالم آل عبد الرحمن

على الرغم من مظاهر الاتفاق والتعاون المكثفة بين الولايات المتحدة وأوربا في المجالات السياسية والاقتصادية إلا أن حدة التنافس بين أوربا مجتمعة وأمريكا تظهر بشكل حاد في السباق الاقتصادي والتجاري وامتلاك النفوذ الأوسع في حركة الاقتصاد العالمي..

فيظهر الوطن العربي من بين أبرز مناطق التنافس.. فأوربا تحاول جذب الوطن العربي إلى مشروع تعاوني في إطار سياسة عولمة الاقتصاد يسمى مشروع دول (البحر المتوسط)، حيث عقد لهذا المشروع مؤتمر في (برشلونة) بقصد تأسيس مشاريع تعاونية أوربية – متوسطية مع الدول العربية الواقعة على البحر المتوسط في مقابل كل دول أوربا، وفي ذلك تسعى أوربا لإبعاد الولايات المتحدة عن الدخول في هذه المشاريع.

بالمقابل تسعى الولايات المتحدة لإقامة (السوق الشرق أوسطية) لتتأكد من خلالها السيطرة والحضور الأمريكيان لما لهذه السوق من تأثيرات على التكتلات الدولية أو الإقليمية الأخرى.

فالولايات المتحدة ووفقاً لمنطق مصالحها وأهدافها المرغوبة لا تريد التفريط بالمنطقة التي ورثتها وفق منطق الهيمنة عن الاستعمار البريطاني والأوربي في آسيا وأفريقيا منذ نهاية الخمسينيات.

على هذا الأساس فإن دول المجموعة الأوربية تدرك أبعاد الاستراتيجية الأمريكية فلم تكن متحمسة لقمة عمان في إطار (مشروع الشرق أوسطية) ذلك لأنها ستضع إمكاناتها المالية في خدمة المصالح الأمريكية دون منافع، فجاء رد الفعل الأوربي لأجل مواجهة التنافس الأمريكي بعد أقل من شهرين من عقد مؤتمر عمان.

إن الموقف الأمريكي لا يزال مصمماً في تحقيق السبق عبر مشروعه في (الشرق أوسطية) بالاستفادة من المشاكل الاقتصادية والسياسية التي لا يزال الاتحاد الأوربي يواجهها.. ذلك لأن التفكير الأمريكي رغم التظاهر بالتأييد للاندماج الأوربي إلا أن حقيقة الأمر تؤكد بأن الولايات المتحدة تسعى في إطار الشرق أوسطية إلى احتواء أوربا ومنعها من التحول إلى قطب وقوة عالمية قادرة على إعادة الحركة لمبدأ توازن المصالح والقوى الذي أصابه الجمود بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق.

ورب سائل يسأل ما هي المظاهر والسياسات التي يقاس فيها على قضية السعي الأمريكي لاحتواء الاندماج الأوربي؟.

وأمر بات واضحاً في ذلك الهدف الأمريكي من خلال الإصرار على هامشية الدور الأوربي فيما يسمى بعملية السلام في الشرق الأوسط سواء في مسار المفاوضات

الثنائية أو في التحضيرات لاجتماعات القمة الاقتصادية وإداراتها.. وتبرز هذه المظاهر بشكل جلي في تعمد الولايات المتحدة التعامل مع قضية البوسنة والهرسك وإيرلندا بناء على مبادرات أمريكية والتوصل إلى اتفاقية تحت الإشراف الأمريكي علماً بأنها أزمات في القارة الأوربية.

إذاً فإن الهدف من التواجد العالمي الأمريكي وخصوصاً في أوربا إنما هو رسالة للأوربيين بأن الولايات المتحدة هي القوة العالمية القادرة على ضمان الأمن والسلام العالميين ليس في منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط ولكن في أوربا أيضاً.

وبشكل عام فإن الأنظار الأوربية الطامحة نحو الجنوب في كل من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا تحاول جعل النشاط الأوربي مع العالم الخارجي يتجه نحو الجنوب وليس شرق أوربا، فالتفكير الأوربي يتجه نحو تشكيل سوق لدول البحر المتوسط مع الاتحاد الأوربي تشمل كل دول أوربا بالانفتاح على الأقطار العربية (لبنان، سورية، فلسطين، مصر، تونس، ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا، والأردن).

وقد عبر عن الشعور بحدة التنافس الأوربي الأمريكي وزير الخارجية الفرنسي في قمة (برشلونة) حيث قال: إن ثقل الولايات المتحدة جعل المتوسط بحراً خاضعاً للنفوذ الخارجي وللمرة الأولى.

لذلك تسعى أوربا جاهدة لإقناع مجموعة من الأقطار العربية لتشكيل مؤسسات السوق تحت مظلة الفضاء الأوربي الذي يضم بلدان الاتحاد الأوربي الخمسة عشر بلداً ومعها شركاء المتوسط الاثني عشر بلداً، والعولمة الاقتصادية لإمكانات الدول الداخلة في المشروع (البحر متوسطية) حسب المنطق الأوربي، فهي منطقة تجارة حرة لأربعين دولة بـ (800) مليون نسمة، إضافة إلى معالجة شؤون الأمن والهجرة، و (الإرهاب)، وانتشار أسلحة الدمار الشامل وتنظيم شؤون التجارة ومشاريع النفط والغاز ودعم (الديموقراطية)، ودعم (حقوق الإنسان) بحيث ينتظم ذلك كله في ميثاق ومؤسسات على شاكلة (مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي).

وعموماً فإن الرغبة الأوربية ما زالت تصطدم ببعض العراقيل التي من شأنها أن تجعل المشروع مجرد دعاية ودعوة إعلانات، وذلك بسبب صعوبة تحديد الإطار الجغرافي الذي يشمل الأطراف المعنية بالمشروع، فأحياناً يفهم بأن المشروع موجه

إلى دول الاتحاد المغاربي (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، وموريتانيا)، في مقابل أسبانيا وفرنسا وإيطاليا ومالطا والبرتغال من أوربا، وأحياناً يشمل المشروع كل الأقطار العربية، فضلاً عن كون المشروع لم يبلغ من التفاعل والاتصالات سوى تبادل الآراء، كما لا توجد أي من القوى الأوربية الكبرى التي تدعمه بعكس دعم المشروع الشرق أوسطي من قبل الولايات المتحدة وعدد مهم من دول المنطقة. كما أن الدراسات في المشروع الشرق أوسطي ودراسات الجدوى لا بل تحديد المشاريع المقترحة والأرصدة وتسمية البنوك قد تمت الإشارة إليها في مشروع الشرق أوسطي.

وتحاول أوربا إقناع الأقطار العربية لتحويل التعاون الثنائي المشتت إلى شراكة ثابتة ومنظمة في إطار هيكلي يقوم على التبادل الحر، ورغم أن تأثيرات هذا التبادل سلبية على الأقطار العربية في المرحلة الأولى، ولكن – حسب الرؤية الأوربية – وعلى المدى البعيد يسمح بتخفيف أسعار وكلفة المواد المستوردة خصوصاً في مجال التصنيع، وترغب أوربا الأقطار العربية بفتح الباب أمام الاستثمارات الأوربية التي تؤدي إلى النمو الاقتصادي، فتحاول أوربا تبعاً لذلك إغراء الأقطار العربية بتقديم مبلغ بالعملة الأوربية يوازي سبعة بلايين دولار مساعدات موزعة على خمس سنوات لـ (12) دولة تضم: (تركيا، إسرائيل، قبرص، ومالطا، إضافة إلى الأقطار العربية) ومبلغ آخر يوازي المبلغ المذكور قروضاً يحددها البنك الأوربي، وهذه العملية تهيئ لأوربا استعادة دورها المفقود في المنطقة وتحويل الشراكة الاقتصادية لاحقاً إلى شراكة سياسية وأمنية.

ومن خلال التمعن والمقارنة بين (الشرق أوسطية) و (البحر أوسطية) نجد بوضوح حدة التنافس القائمة بين الولايات المتحدة وأوربا.. وفي نتيجتها النهائية وأهدافها بعيدة المدى فإن تلك المشاريع تؤدي إلى تشكيل وضع جديد في خارطة الوطن العربي بحيث ينفصل المغرب العربي عن عمقه في أقطار المشرق العربي.

وسواء كانت صيغة العولمة الاقتصادية للمنطقة بتأسيس التكتلات العالمية الاقتصادية نوعاً من التنافس أو نوعاً من الاقتسام فإنها تستهدف بلا أدنى شك النظام العربي – الإسلامي وتحويله من نظام قائم على الركائز الحضارية والثقافية

والدينية إلى مجرد نظام يتحور وفق النظريات الاقتصادية وبالتالي تحويل شعبه إلى مجرد ناطقين باللغة العربية.

إن سياسة (العولمة) الاقتصادية في المنطقة تظهر بوسائلها التشطيرية التي تجزئ الوطن العربي بأشكال جديدة (فوق ما هو عليه الآن!) بحيث يصعب على المدى البعيد إعادتها في إطار التوحد والاندماج على المستوى العربي الإسلامي، وبذلك فإن فلسفة المشاريع هذه تؤدي إلى انقسام العرب بين فضاءين متنافسين هما: الفضاء الأوربي الذي يضع تحت جناحيه الأقطار في المغرب العربي، والفضاء الأمريكي والذي يسيطر على أقطار المشرق والخليج العربي، وبذلك تصبح الأقطار العربية في الجزء الغربي منافسة للأقطار العربية في الجزء الشرقي.. في إطار التنافس الدولي الأوربي الأمريكي.. مما يعني وعلى المدى البعيد استهداف كل ما تبقى من عناصر قوة هذه الأمة وتشتيت طاقاتها وإمكاناتها.

إننا بحاجة إلى المشروع العربي – الإسلامي النهضوي الذي يعتمد المصالح الشاملة العليا، وينطلق من أرضية الحد الأدنى للمرونة الواقعية التي تؤكد على الثوابت العقائدية، وتتمسك بمتطلبات الحد الأدنى من الحضور والنهوض العربي الإسلامي المشترك.

إننا بحاجة إلى استراتيجية جديدة قوية نستطيع بفضلها أن نصل إلى مستوى جديد من القدرة على أن نسوس التغيير.. وفق عقيدة تؤمن بأن الصعوبات و(التحديات) يجب أن تحفزنا على التحدي لا أن يصيبنا الشلل، والفتور!.

إننا بحاجة إلى تخطي حالة الإحباط، وتفجير عناصر القوة في مجتمعنا العربي المسلم وفي عقلنا المركب لتجاوز المعوقات (الذاتية والموضوعية) من غير انضواء تحت هذه الخيمة أو تلك (ولا شرقية ولا غربية) ولنصمم مشروعنا الريادي الآن في سويعات الأيام المتبقية أمامنا.. للعمل الموحد بعد أن نؤمن بأهمية الابتعاد المطلق عن دوائر التنافس الدولي المتسارع اليوم، وبأهمية انبثاق التعاون العربي – الإسلامي وبأسرع ما يمكن، ذلك لأن عملية التكافؤ في المصالح لا يمكن ضمانها إلا في إطار ذلك التعاون والذي يمكن أن يظهر بصيغة (سوق عربية إسلامية) قادرة

علـى المنافسـة وفـرض المطالـب التنافسـية فـي الفضـاءات الخارجيـة والتكـتلات الاقتصادية، وبذلك تضمن الأمة عنصر وحدتها وإرادتها في الاختيار والقرار.

ذو الحجة 1420 / مارس (آذار) 2000

المصدر: http://www.alsunnah.org

============

#الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في العالم

حسن الرشيدي

إذا انتظرنا إلى أن يتحقق التهديد فسننتظر طويلاً.

هذا قول بوش أمام البرلمان الألماني يستعجل إطلاق ما اسماه باستراتيجية الضربات الوقائية، وهي استراتيجية جديدة تحاول الولايات المتحدة أن تتبناها لتحقق بها مزيداً من التوسع والهيمنة في العالم.

هذه النزعة ازدادت ضراوة مع وصول بوش الابن لـلإدارة، ولكنها بـدأت تتبلور مـع نهاية الحرب الباردة عندما راحت تتفشى طروحات الهيمنة المكشوفة والاعتماد على القوة المتفوقة كواحدة من أهم أدوات السياسة الخارجية الأمريكية، ولم يخف الرئيس بوش وطاقمه في الإدارة منذ البداية نزوعه إلى احتضان هذا التوجه، بل انتماءه لهذا الخندق حين سارع لرفع لواء التفرد والتفوق باعتبارهما حقاً وامتيازاً خاصين بالولايات المتحدة لكونها القوة العظمى الوحيدة على الساحة الدولية، وتجلى ذلك في رفض واشنطن الانضمام لعديد من الاتفاقيات الدولية، أو الانسحاب من عدد منها.

ولذلك فإن فهم هذه التغيرات في السلوك الأمريكي في العالم والتغيرات التي تطرأ على استراتيجيات توجيه الدفة العالمية مهم لاستيعاب الحقائق والأحداث السياسية استيعاباً شاملاً عميقاً ومعرفة إلى أي الاتجاهات تتمدد.

ولعل التهديدات الأمريكية بضرب العراق هي خير تطبيق لتلك الاستراتيجية الجديدة؛ ولذلك يلزم المتابع لما سيجري في العراق بل ما يتم التخطيط له بالنسبة لهذه المنطقة في العالم الإلمام بهذه الاستراتيجية.

ولإدراك أبعاد هذه الاستراتيجية لا بد من اتباع منهج تحليلي يضع في حسبانه عدة محاور:

أولاً: معنى الاستراتيجية.
ثانياً: الاستراتيجيات الأمريكية قبل بروز الاستراتيجية الجديدة لمعرفة مدى التطور في الفكر الاستراتيجي الأمريكي.
ثالثاً: معنى استراتيجية الضربات الوقائية، ومتى بدأت الإدارة الأمريكية في تبنيها، والظروف المصاحبة لانطلاقها، وأثرها على الموقف الدولي.
(*) الاستراتيجية:
وإذا كانت الاستراتيجية تتمثل في التعرّف على أفضل طريقة لبلوغ الهدف والتوصّل إلى أنجع طريق يؤدي إليه في أحسن الظروف الممكنة من خلال استغلال نقاط القوة والتغلّب على مناطق الضعف فإنّها أيضاً تتطلّب القيام بخيارات حول أقوى الأفكار التي ستمثل المحور الأساسي للجهود التي ستخضع إليها الأهداف والوسائل والأولويات.
بينما يجري تعريف الاستراتيجية في أدبيات كثيرة على أنها فن توظيف عناصر القوة للأمة أو الأمم لتحقيق أهداف الأمة أو التحالف في السلم والحرب، وهو أيضاً فن القيادة العسكرية في ساحة المعركة، ومن هنا نجد الربط بين الاستراتيجية وقوة الدفاع.
وفي تعريف لمركز الدراسات الاستراتيجية ومقره جنيف ينظر للاستراتيجية على أنها نظرة عمل لتصميم وبناء حاضر يتيح إنجاز أهداف في المستقبل؛ بمعنى أنها تستوعب مستقبلها فتشرع إليه من حاضرها؛ فهي عملية إيجاد معطيات للواقع وهنا بالذات تظهر الحاجة إلى التحليل والتأمل وملاحقة الظواهر وإخضاعها للربط المتفاعل وليس الربط المجزأ والآلي.
ولذلك فإن الاستراتيجية تعنى بحقيقتين جديدتين هما: الأهداف المتوخاة، والقدرة.
(*) استراتيجية الصراع:
وهي تعني أيضاً أن أفضل تصرف يقوم به طرف مشارك في صراع ما كان مبنياً على تصرفات الطرف الآخر؛ فهي تركز على أن تصرفات طرف إنما يبنيها على توقعاته وتنبؤاته لما ستكون عليه تصرفات الطرف الآخر، وبناء على تلك التنبؤات يصوغ استراتيجيته ويحدد تصرفاته ويتخذ قراراته من أجل التأثير في تصرفات

وقرارات الخصم؛ فجوهر الاستراتيجية إذن يقوم على التأثير في قرارات الخصم وخياراته؛ وتحقيق ذلك إنما يتم بالتأثير في توقعاته لما ستكون عليه قراراتنا أي قرارات الطرف الأول؛ وذلك بمواجهته بدليل مقنع بأن سلوكنا سيقرر في ضوء سلوكه؛ وعناصر الاستراتيجية بناء على ذلك التعريف هي فهم المسألة موضوع الصراع وتحديد أطرافها ومحاولة إدراك مصالح كل طرف.

(*) الاستراتيجيات الأمريكية قبل الحرب الباردة:

وبناء على تلك التعريفات السابقة فقد كانت الاستراتيجية الأميركية قبل عام 1947م لا تستند إلى أسس ثابتة، وكانت مزيجاً من الخطط العسكرية التي دافعت عن فكرة إقامة دولة فيدرالية تلم الولايات المشكِّلة لها تحت جناح دستور وهيكل، ودخلت أمريكا الحرب العالمية الثانية خلواً من أية استراتيجيات سوى الانضمام إلى ركب الدول الكبيرة، فاشتركت في الأحلاف التي قامت ضد المعسكر النازي آنذاك؛ فمبادئ مثل القدر المرموق أو المصلحة الذاتية المستنيرة، ومبدأ منرو وخطاب مسيرة الراية ومبدأ الحرب العادلة فهذه المسميات أقرب إلى فكر متعمق في الوجدان الأمريكي كميراث عن الآباء المؤسسين أكثر من اعتباره فكراً استراتيجياً مؤسسياً سياسياً.

(*) الاستراتيجيات الأمريكية في الحرب الباردة:

ولكن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الولايات المتحدة في وضع الانفراد بالهيمنة على العالم كهدف نهائي تسعى إليه، ومن خلاله توجه استراتيجياتها الدولية، فقدم جورج كينان عام 1947م أولى هذه الاستراتيجيات التي تركزت على نظرية الاحتواء.

وأهم أسس هذه الاستراتيجية كانت مواجهة ما وصفه صانعو السياسة الأميركية بالتهديد الذي كان الاتحاد السوفييتي العامل الأهم والعدو الأخطر بالنسبة لراسمي أسس هذه الاستراتيجية.

وقد سادت استراتيجية الاحتواء في السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية، وعدت الاستراتيجية الأمريكية الرئيسية في حقبة الحرب الباردة، وقد تعاملت هذه الاستراتيجية مع العالم في حقبة ثنائية الأقطاب: الولايات المتحدة وحلفائها ضد

الاتحاد السوفييتي وحلفائه، وكانت تهدف لمنع الاتحاد السوفييتي من توسيع مدى تأثيره ليس فقط في نطاق الولايات المتحدة وحلفائها، وإنما أيضاً في نطاق الدول غير الحليفة معها أيضاً، ولدعم هذه الاستراتيجية أوكلت الولايات المتحدة للقوات العسكرية وقف التوسع الشيوعي في كوريا وفيتنام، وتحت هذه الاستراتيجية واجهت الولايات المتحدة قيادات التمرد الشيوعي في عدد من دول العالم المتطورة، كما دعمت المجاهدين الأفغان في حربهم ضد الجيش السوفييتي الذي احتل أفغانستان في الثمانينيات، ونجد في تعريف السياسيين الأميركيين لهذه النظرية أن السياسة الخارجية ارتبطت بالاستراتيجية الأميركية في تحقيق هدف واحد هو القضاء على المد الشيوعي، ولكن المد الشيوعي بحد ذاته كان هدفاً فرعياً؛ لأن الهدف الحقيقي للاستراتيجية الأمريكية كان الحفاظ على مصالحها في بقاع العالم المختلفة، وليس غريباً أن نجد صناع السياسة الأميركية يضعون على جدران مكاتبهم خرائط تضم أكثر من أربعين بلداً تمثل المصالح الأميركية مثلما تمثل ما أسمته الولايات بمناطق الديون القومية بمعنى المناطق التي التزمت تجاهها أمريكا بالدفاع عنها دفاعاً عن مصالحها هي.

سعى الرؤساء الأميركيون وفق هذه الاستراتيجية إلى إيجاد تحالفات استراتيجية لضمان تحقيق المصالح الأمريكية بعيداً عن سياسة الحروب وسباقات التسلح، وسعت الولايات المتحدة منذ الخمسينيات لوضع سياسة قومية متماسكة، تماشياً مع مبدأ ترومان إلى توضيح استراتيجية الاحتواء والاعتراف بالحرب الباردة كوضع من أوضاع العلاقات الدولية، وقام أيزنهاور بتحديد تلك الاستراتيجية، واعترفت الإدارة الأميركية منذ كيندي حتى جونسون بالاستراتيجية الاندفاعية التي هدفت للتوازن النووي بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، وهو مبدأ نيكسون الذي تابع الرئيس فورد الالتزام به في التفاوض مع الخصوم المحتملين، وطرح مبدأ الشراكة مع الأصدقاء والحلفاء.

ثاني هذه الاستراتيجيات التي وظفتها الولايات المتحدة في حربها الباردة كانت استراتيجية الردع التي سادت لفترة طويلة منطق الفعل السياسي الأميركي؛ وعليها بنيت الترسانة الضخمة التي جاءت نتيجة للحرب الباردة وسباق التسلح النووي.

واستراتيجية الردع تعتمد على منطق الرد بهجوم مدمر على فعل عسكري نووي يهدف للتدمير، ووفق ويدي وولت الخبير الاستراتيجي الأمريكي فإن استراتيجية الردع هي ركوب الموجة إذ يقول: عندما تواجه تهديداً خارجياً كبيراً فإن الدول إما أن توازن موقفها أو تركب الموجة، ويعني بركوب الموجة الانحياز إلى مصدر الخطر.

وهناك مصطلح آخر يندرج تحت مفهوم الردع هو الإكراه، ويعرفه بول هاث وبروس راسيت بأنه: محاولة من صانعي القرار في دولة ما لإجبار صانعي القرار في دولة أخرى على التجاوب مع مطالب الدولة الأولى.

أما الإكراه فيعرفه جاك ليفي بأنه استخدام التهديدات لحث الخصم على فعل شيء، أو التوقف عن فعل شيء، وليس الامتناع عن فعل شيء لم يقم به بعد، وهو بذلك يدرج مفهوم الإكراه داخل استراتيجية الاحتواء.

طورت أمريكا فكرة استخدام الاستراتيجية العسكرية للتدمير الذي قد يصيبها جراء معارض أو معاد لهذه الأهداف، وافترضت قدرةً لإحداث إصابات ودمار صناعي ترد على أي هجوم نووي استراتيجي، وهي فكرة نشأت في الستينيات، وأخذت فيما بعد صيغة الردع أو استراتيجية الردع التي سادت المنطق الاستراتيجي الأميركي لعقود مضت وستبقى سائدة لعقود قادمة.

ولا يعني حديثنا عن هذه الاستراتيجيات بأنها كانت في أيام الحرب الباردة أنها أصبحت الآن بعد انتهاء الحرب الباردة في طي النسيان، ولكنها لا زالت في خدمة المصالح بالإضافة إلى الاستراتيجية الجديدة وهي الضربات الوقائية.

(*) النظرية الأمريكية الجديدة في المنطقة (الضربات الوقائية):

ثمة تعريفات عدة لمفهوم الضربات الوقائية أو الحروب الاستباقية تبعاً للدولة التي تستخدمها في إطار سياساتها العامة.

والثابت أن الضربات الوقائية ليست جديدة في الفكر الاستراتيجي العالمي، ولها تطبيقاتها القديمة والحديثة على السواء، والعدوان الإسرائيلي على ثلاث دول عربية في يونيو 1967م فسر إسرائيلياً بأنه ضربة وقائية لإجهاض المخططات العربية في إنهاء وجود الدولة العبرية. كما أن ما يحدث حالياً في الأراضي الفلسطينية المحتلة على يد قوات الاحتلال، أياً كان الاسم الذي تحمله، كالسور الواقي أو الطريق الحازم

أو الاغتيالات المنهجية أو عمليات الإحباط المسبق، كلها تعبر عن استراتيجية الضرب والعدوان المسبق على الخصم بهدف إنهاكه والسيطرة على حركته التامة. وفي أثناء الأزمة التي هددت بحرب نووية بين الهند وباكستان في الفترة الماضية تعالت أصوات هندية كثيرة باتباع أسلوب الضربات الوقائية ضد ما يعتبرونه معسكرات للإرهاب الكشميري، وتغيير الوقائع على الأرض حتى لا تستفيد منها باكستان أو القوى المتحالفة معها.

ولكن في الولايات المتحدة يحدد مفهوم الضربة الوقائية بأنه ذلك النوع من النشاطات العسكرية الهادفة إلى تحديد وتحييد أو تدمير أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها الآخرون قبل ان يتمكنوا من استخدامها.

ويصف الأميركيون أنصار هذا المفهوم الحرب التي يبشّر بها هذا التعبير بأنها دفاع وقائي أو ردع متمدد لكن خصومه يقولون إنه مجرد نسخة جديدة من ديبلوماسية البوارج الحربية.

وتقول كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي في تعريفها لهذه الاستراتيجية الجديدة هي استباق فعل التدمير الذي يمكن ان يقوم به عدو ضدك.

وفي موسوعة نيوستاندرد الأميركية يحال التعبير إلى بند حق امتلاك الأراضي بوضع اليد في التاريخ الاميركي وهو ما يرد أيضاً في قاموس المورد لمنير بعلبكي، حيث يعني حق الشفعة أي حق الأولوية في الشراء أو الاستيلاء على شيء واحتلاله قبل الآخرين.

(*) متى بدأت صياغة هذه الاستراتيجية الجديدة؟

قبل عام من الآن أطلق برنامج الأمن العالمي الذي أنشأ ضمن مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن، حيث ركزت مجموعتان من الدراسات والأبحاث على السبل الكفيلة بتحقيق ضمانات ضد التهديد عبر الحدود الذي أكد عليه مراراً الرئيس الأميركي جورج بوش منذ ما قبل دخوله البيت الأبيض.

وضعت هذه الدراسات ما سمي بالاستراتيجية الجديدة التي لم نسمع عنها إلا بعد اندلاع ما يسمى حرب الإرهاب رغم أن هذه الدراسات أنجزت قبل أحداث سبتمبر، واستندت أهداف هذه الاستراتيجية بشكل رئيسي إلى ما جاء في تقرير جورج تينيت

رئيس المخابرات الأميركية السابق لسنة 2000م؛ حيث حدد بشكل رئيسي مصادر القلق الأميركي الذي مثله مفهوم فضفاض له اليوم وعنوان كبير هو الإرهاب؛ فالدراسات حددت مصادر الخطر ضد أميركا بالإرهاب، انتشار أسلحة الدمار الشامل، تراجع دعم الحلفاء، وتطور القدرات القتالية لدى دول كثيرة ومنها من تطمح لدخول النادي النووي، وكما نرى هي ليست جديدة قدر كونها أخرجت من جعبة الجمهوريين لبناء سياسة لمن ليس لديه سياسة واضحة.

وقالت صحيفة واشنطن بوست في 2002/6/10م، إن إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش تصيغ سياسة عسكرية رسمية تتبنى مبدأ الضربات الوقائية ضد من تصفهم بالإرهابيين والدول المعادية لواشنطن التي تملك أسلحة دمار شامل.

ونقلت الصحيفة عن مسؤولين بارزين في الإدارة قولهم إن المبدأ الاستراتيجي الجديد يبعد كثيراً عن سياسة حقبة الحرب الباردة التي قامت على الردع والاحتواء وسيكون جزءاً من أول استراتيجية للأمن القومي تضعها إدارة بوش التي من المتوقع أن تنشر تفاصيلها في وثيقة خلال الخريف المقبل.

وقال أحد المسؤولين في تصريحات للصحيفة إن الوثيقة الرسمية ستضيف ولأول مرة تعبيرات الوقائي والتدخل الدفاعي كخيارات رسمية لضرب دول معادية أو جماعات تبدو عازمة على استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد الولايات المتحدة.

ونقلت الصحيفة عن مسؤولين يضعون الخطوط الرئيسية للاستراتيجية الجديدة قولهم: إن الولايات المتحدة اضطرت للذهاب إلى أبعد من الردع بعد هجمات 11 سبتمبر نظراً للمخاطر التي تشكلها الجماعات الإرهابية والدول المعادية التي تؤيدها، وقال مسؤول رفيع إن طبيعة العدو تغيرت، وطبيعة المخاطر تغيرت؛ ولذلك يجب أن يختلف الرد.

وكان الرئيس بوش قد طرح فكرة الضربة الوقائية أمام البرلمان الالماني في مايو أيار الماضي، ثم تحدث عنها بشكل موسع عندما تحدث عن التوجه الاستراتيجي الأميركي في خطاب ألقاه بالأكاديمية العسكرية الأمريكية أول شهر يونية بمناسبة تخرج دفعة من طلبتها، قائلاً إن قادة المستقبل العسكريين الأمريكيين يجب أن يكونوا مستعدين لتوجيه ضربات وقائية في الحرب على الإرهاب وللتعامل مع تحذيرات غير

مسبوقة من إمكانية حدوث هجمات كيماوية أو بيولوجية أو نووية من الإرهابيين والطغاة، وإذا ما انتظرنا حتى يتحول التهديد إلى أمر واقع، فسنكون قد انتظرنا طويلاً؛ إذ علينا أن نحول المعركة إلى الخصم، نشوش عليه خططه ونواجه أسوأ التهديدات قبل أن تبزغ.

وشهد البنتاجون في شهر يونية 2002م مناقشات مطولة حول مبدأ جديد للسياسة الخارجية واستراتيجية الولايات المتحدة في العالم يبنى على تصور أن العدو الجديد هو الإرهاب الذي ضرب في نيويورك وواشنطن في سبتمبر 2001م بديلاً عن العدو القديم . الاتحاد السوفييتي السابق . والذي بنيت السياسة الخارجية طوال سنوات الصراع والمواجهة معه.

أما المبدأ الجديد الذي تجري مناقشته داخل الهياكل السياسية الأمريكية فيقوم أساساً على ضرب العدو الجديد بما يسمى الضربات الوقائية والتدخل الدفاعي، ولما كان العدو وهو الإرهاب ليس دولاً أو كيانات قائمة على أرض لها عنوان معروف فهو يوسع من دائرة الأهداف التي يرمي إلى توجيه ضرباته الوقائية وتدخله الدفاعي ضدها لتشمل ما يقرر أنه دول ترعى الإرهاب وتحوز أسلحة نووية وكيميائية وبيولوجية.

وهو بذلك لا يضع على الجانب الآخر من خط المواجهة الذي يريد أن يقيمه أطرافاً معادية للولايات المتحدة، ولم يحدث أن قامت بأعمال إرهابية ضدها أو حتى تربطها أي صلة بمنظمات الإرهاب التي هاجمت نيويورك وواشنطن، لكنه يدرج على هذا الجانب من خط المواجهة كل من يقدر أنهم يمكن . ولو فرضاً . أن يشكلوا مستقبلاً تهديداً للأمن القومي للولايات المتحدة، فيستهدفهم بما يسميه الضربات الوقائية أي أن تتم قبل أن يكون قد حدث من جانبهم تهديد فعلي للأمن الأمريكي.

وهذا المبدأ قد يمثل تطويراً أو ربما تأكيداً للفكرة التي سبق أن شرحها أمام الكونجرس في فبراير الماضي جورج تنيت مدير وكالة المخابرات المركزية عن العدو المحتمل أي الجهات والمنظمات التي لم يظهر عليها اتجاهات للقيام بأعمال إرهابية أو عدائية للولايات المتحدة؛ لكن قد يحدث في المستقبل أن تؤثر فيها سلباً إجراءات أو سياسات أمريكية مما يحول توجهاتها لاحقاً ضد الولايات المتحدة.

ولما كان هذا المبدأ له آثاره الخطيرة، وأنه يصطنع أعداء من قبيل التقدير وليس اليقين على أساس ان هناك عدواً مؤكداً فإن المناقشات في البنتاجون ما زالت تجري بين مؤيدين ومعارضين لهذه الاستراتيجية.

وأوضح وزير الخارجية الأميركي باول في لقاء مع مجموعة من الصحفيين الاستراتيجية الجديدة لإدارة بوش القائمة على توجيه ضربات وقائية على إرهابيين ومنظمات إرهابية ودول معادية للولايات المتحدة، ربما تشمل ضغوطاً مالية واقتصادية وسياسية، لكنه شدد على أن القوة إذا استخدمت فإنها ستكون حاسمة، كما أكد على أهمية إقناع العالم بضرورة اللجوء إلى القوة بتقديم المعلومات اللازمة.

وأشار باول في ذلك اللقاء إلى الهجوم الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي في عام 1981م، كمثال للاستراتيجية الوقائية.

وقال رامسفيلد في 6/19: ليس صحيحاً أن البنتاغون بات على وشك توجيه ضربات وقائية؛ معترفاً بالمقابل أن مجلس الأمن القومي والبيت الأبيض يقومان بإعادة صياغة الاستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة.

وأضاف: «يمكنكم أن تسموا ذلك دفاعاً، وهو ما أقوم به، أو وقاية، مضيفاً في الوقت نفسه أن للأمريكيين الحق في الذهاب لضرب مصدر الإرهابيين مثل القاعدة حين يعلمون أنهم يتآمرون لقتل مدنيين أبرياء، ولهذا السبب اتخذت الولايات المتحدة القرار الصائب بشنّ حملة عسكرية ضد دولة متورطة بالإرهاب وتهدد الأمن الأمريكي وهي أفغانستان".

ومن ضمن عناصر هذه الاستراتيجية الجديدة قضية إقامة الدرع الدفاعية الصاروخية التي كانت وما زالت الهاجس الذي يؤرق بوش ويعده إنجازه الذي يجب ان يتم قبل رحيله، وما زاد سوى أن أمريكا نجحت في إيجاد مسوِّغ لإقامته بعد أن رفض العالم ذلك وأضافت إليه عنصر الرعب من احتمالات كثيرة قد تحدث وقد لا تحدث.

وفي شهر يونية (حزيران) الماضي أقر الكونغرس الأميركي هذه الاستراتيجية، ويرمي بها تأمين تغطية مسبقة لأي عملية عسكرية أميركية خارج الولايات المتحدة بحجة تأمين وقاية مسبقة للمصالح الأميركية، وعدم تعريض الولايات المتحدة لخطر وقوع هجمات مماثلة لتلك التي وقعت في 11 سبتمبر الماضي.

وقال عضوان جمهوريان بارزان في مجلس الشيوخ الأمريكي إن الرئيس جورج بوش باستطاعته تسويغ توجيه ضربة إجهاضية إلى العراق، وهو ما فسّره المراقبون بأنه موقف يمثل اختلافاً عن الدعوات المتزايدة من كثير من المشرعين الأمريكيين مؤخراً بمن فيهم أعضاء في الحزب الجمهوري الذي ينتمي إليه بوش.

وقال ريتشارد لوجار وفريد تومبسون عضوا مجلس الشيوخ إن بوش لديه بالفعل أسباباً كافية للعمل ضد الرئيس العراقي صدام حسين، واستعان العضوان في تأكيد رأيهما بأحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر الماضي التي تعرضت لها الولايات المتحدة.

وأوضح لوجار عضو مجلس الشيوخ عن ولاية إنديانا أنها أسلحة للدمار الشامل في يد طاغية يمكن أن يستخدمها.

وكان ديك آرمي رئيس الأغلبية من الجمهوريين في مجلس النواب الأميركي قد أثار عاصفة عندما انشقّ عن صف بوش بقوله إن الولايات المتحدة ليس من شأنها شن هجوم على العراق دون سبب كافٍ، وقد انضم كارل لفين عضو مجلس الشيوخ عن الحزب الديمقراطي ورئيس لجنة القوات المسلحة فيه إلى آرمي باعتراضه على شنّ هجوم على العراق بغير مسوغ وبقوله لمحطة إن. بي. سي التلفزيونية إن صدام لا يشكل خطراً كبيراً على الولايات المتحدة.

لكن لوجار الذي يحتل مكاناً بارزاً في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ قال إن بوش بوسعه إيجاد المسوغ لضرب العراق على الرغم من أن الإدارة الأمريكية لم تتوصل إلى هذا بعد، وأضاف في مقابلة مع محطة سي. بي. إس التلفزيونية يتعين على الرئيس أن يتخذ حجة في هذه الحالة بالتحديد بأن انتظار حدوث استفزاز يُعدّ بمثابة دعوة لكارثة هائلة، مشيراً إلى أن هناك معلومات كافية عن القدرات الكيماوية والبيولوجية للعراق بما يسوغ إطاحة طاغية بوسعه استخدامها.. قبل أن تستخدم.. وتخميني أن هذا هو السبب الذي ستستند إليه الحرب في نهاية الأمر.

وقالت كاي بيلي هتشنسون وهي من الأعضاء الجمهوريين أيضاً بمجلس الشيوخ إن بوش أوضح بما يكفي أننا لا نستطيع انتظار أن يطلق صدام سلاحاً للدمار الشامل على أحد جيرانه أو على قوات أمريكية.. علينا توجيه ضربة وقائية، مضيفة لمحطة

سي. إن. إن التلفزيونية: هذا إجراء يمثل سابقة للولايات المتحدة في أن تشنّ هجوماً بهدف الدفاع.

وقال تومبسون عضو مجلس الشيوخ عن ولاية تنيسي وعضو لجنة المخابرات بالمجلس: إن الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة على الإرهاب والتي شنها بوش رداً على الهجمات التي وقعت في نيويورك وواشنطن، وأسفرت عن مقتل ثلاثة آلاف شخص تتضمن منع مثل تلك الهجمات قبل وقوعها، وأضاف لمحطة فوكس التلفزيونية: يتعين أن يكون جزء مما نفعله هجومياً، وعندما نعلم أن هناك شخصاً مثل صدام الذي أظهر قدرته في الماضي على استخدام أي شيء في حوزته.. نحن نعلم أن لديه أسلحة بيولوجية، ونعلم أن لديه أسلحة كيماوية ونعلم بغير شك أنه يعمل لتطوير أسلحة نووية.. بعد أن تتوافر لدينا معلومات بأن لديه القدرة خاصة النووية؛ فعلينا مسؤولية التعامل مع هذا بصورة جدية، ويبدو لي أنه سيكون علينا في نهاية الأمر أن ندخل العراق، ونفعل شيئاً بهذا الشأن.

وهكذا فوجئ العالم بأن المؤسسة السياسية الأمريكية بشقيها التنفيذي والتشريعي أصبحت تنظر بمقياس استراتيجي واحد يتمثل في الضربات الوقائية.

ولكن ما الذي حمل أمريكا على اتخاذ تلك الاستراتيجية الجديدة؟

منذ انتهاء الحرب الباردة سادت توقعات كثيرة بأن يدخل الأمن سياق العولمة بعد العولمة الاقتصادية والتقنية والعولمة في بعدها العسكري والسياسي، وسبب هذا الاعتقاد أنه لا يوجد نظام اقتصادي محلي أو عالمي يمكن أن يعمل دون حماية قوة عسكرية وقوة سياسية تقوده ومناخ آمن؛ لذا فإن طرح العنصر الأمني أو ما يعرف بالضربات الوقائية أصبح ضرورة ليكتمل مشروع العولمة مع أدواته الأخرى السياسية والعسكرية، التكنولوجية والمعلوماتية، الاقتصادية، والاتصالات.

وجاءت أحداث 11 سبتمبر واحتشدت جميع الدول تقريباً في العالم لمساندة أمريكا، ولكن بتراجع التأييد للولايات المتحدة بعد أن خفتت الدعوات للانتقام الذي قادته الأخيرة ضد ما أسمته بالإرهاب، وحيث أفرزت الحرب ضد الإرهاب في مرحلتها الأولى آثاراً سياسية خطيرة انعكست على واقع النظام الدولي مخلفة خيبات أمل على جانبي هذه الحرب، سواء كانت في الجانب الأميركي أم في الجانب الدولي المقابل.

ويبدو واضحاً أن الأمريكيين لم يحققوا الشيء الكبير الذي شمله إعلانهم هذه الحرب، فلا هم استطاعوا القضاء على تنظيم القاعدة، ولا هم استطاعوا فرض الاستقرار في القلب الآسيوي المشتعل والذي كان في الثمانينيات ساحة صراع بينهم وبين السوفييت ونعني هنا أفغانستان.

ولذلك سعى جورج بوش الرئيس الأميركي بإطلاق ما أسماه بسياسة جديدة واستراتيجية عسكرية تستند إلى تحرك عسكري وقائي بهدف منع أي تهديد بالإرهاب أو تدمير الدول الأعداء لأميركا وسياساتها.

وفي حملة دعائية كبيرة هدفت لحرف الانتباه عن القضية الفلسطينية وإعادة التركيز على حرب أميركا ضد العراق والدول التي أسمتها الولايات المتحدة بالمارقة، تم التسويق لهذه الاستراتيجية الجديدة، ونسبت إلى جورج بوش الرئيس الأميركي الذي أشار في أكثر من مرة إلى أنه يريد وضع نظام أمني جديد يتناسب مع مكانة الولايات المتحدة الجديدة وعالمها الجديد بمتغيراته التي تفترض وجود من يهدد الأمة الأميركية كما يقول بوش.

(*) أثر هذه الاستراتيجية على الموقف الدولي:

أخطر ما في هذه الاستراتيجية الجديدة أنها استبدلت مفهوم التسوية بمفهوم القوة، ومفهوم العدالة بمفهوم الحصار، وأباحت لنفسها تدمير الآخر بحجة أنه يشكل خطراً قد يكون واقعاً وقد لا يكون.

ويمكن للإدارة الاميركية الحالية، أو أي إدارة لاحقة، أن تتذرع بهذه الاستراتيجية لتوجيه ضربة وقائية ضد أي دولة بحجة أنها تقوم بالتحضير لهجمات ضد الولايات المتحدة، أو أنها تقوم باحتضان أو إيواء أو تمويل منظمات إرهابية، أو لمجرد أنها مدرجة على لائحة الإرهاب الاميركي. وانطلاقاً من استراتيجية الضربات الوقائية، أصبح بمقدور الرئيس الأميركي توجيه ضربات عسكرية ضد ما تسميه واشنطن بمحور الشر متى يحلو له الأمر، كما أصبح بمقدور أرييل شارون أن يتحين الفرصة السانحة للمشاركة في استراتيجية الضربات الوقائية والإفادة منها بهدف توجيه ضربات خاصة به ضد لبنان وسوريا بغطاء أميركي، وبحجة التهديدات التي تشكلها المنظمات الفلسطينية ضد أمن إسرائيل.

كما أن هذا المبدأ يعكس تراجعاً عن إحدى أولويات السياسة الخارجية للولايات المتحدة التي كانت قد استقرت في عهد الرئيس جورج بوش الأب بعد نهاية الحرب الباردة، وزوال الاتحاد السوفييتي عام 1989م وتبلورت أكثر في عهد خلفه كلينتون، وهي اعتبار الاستقرار الإقليمي مصلحة حيوية ومصلحة أمن قومي للولايات المتحدة، وأن هذا يتحقق عن طريق حل الأزمات والنزاعات الإقليمية بينما من شأن تطبيق هذا المبدأ زعزعة الاستقرار الإقليمي، وتراجع أولوية حل النزاعات والأزمات؛ لأنه مبدأ يخلق أزمات جديدة من خلال ما يسمى بالضربات الوقائية، والتدخل الدفاعي، أي أن الاستقرار الإقليمي يتحول من أولوية عاجلة، إلى هدف مؤجل.

لقد شكل هذا التحول الذي عبر عنه الرئيس بوش تطور مهماً وخطيراً في الآن ذاته؛ فهو في جانب يعكس حجم التغيير الذي أصاب الفكر الاستراتيجي الأمريكي بعد هجوم 11 سبتمبر الدامي، وفي جانب آخر يوضح المدى الذي باتت الولايات المتحدة مقبلة عليه في علاقاتها الخارجية. ونتج عن ذلك قبل ذلك منذ أسابيع قليلة ذلك التسريب المتعمد لخبر توقيع الرئيس بوش أمراً رئاسياً يتيح لوكالة المخابرات الأمريكية العمل في العراق من أجل إسقاط نظام الحكم فيه، حتى لو وصل الأمر إلى اغتيال الرئيس صدام نفسه.

ومثل هذه الأساليب التدخلية ليست أمراً جديداً في السياسة الأمريكية من الناحية التاريخية؛ فقد كانت موجودة من قبل، واستخدمت في حالات شهيرة مثل حالة إيران زمن الرئيس مصدق، وفي تشيلي نهاية السبعينيات، وحالات أخرى في إفريقيا وأمريكا اللاتينية.

بيد أن الولايات المتحدة نفسها تخلت عنها طواعية في ولاية الرئيس فورد الذي أصدر أمراً رئاسياً منع الاستخبارات الأمريكية من التدخل لتغيير نظم الحكم في الدول الأخرى أو اغتيال الزعماء، أو غير ذلك من الأساليب الخفية.

هذه النقلة ستجبر المؤسستين العسكرية والاستخبارية الأميركية على تنفيذ تبدلات واسعة في تركيبتهما وسياساتهما وذلك على مستويين:

الأول: مستوى المفاهيم حيث سيتطلب الأمر تغيير العقلية العسكرية الأميركية التي تعتبر الهجمات المفاجئة عملية غير مشرّفة.

والثاني: مستوى العتاد؛ لأن الهجمات الوقائية تحتاج إلى أنواع جديدة من الأسلحة لجعل القوات الأمريكية أكثر مرونة في الحركة وأكثر قدرة على الفتك السريع.

وبدأ البنتاغون بالفعل وضع الدراسات حول كيفية شن حروب من دون إنذار مسبق تتجاوز بكثير مفهوم الغارات الجوية السريعة، وتعطي دوراً كبيراً للقوات الخاصة الأمريكية وحتى للمارينز والوحدات البرية.

وعلى رغم أن المبدأ يضع استخدام الأسلحة النووية في آخر سلم أولوياته، إلا أنه لا يستبعدها تماماً بصفتها فكرة لا يمكن التفكير بها؛ إذ يمكن للقوات الاميركية كخيار أخير أن تستعمل أسلحة نووية تكتيكية محدودة القوة الحرارية لضرب مخابئ ومستودعات الأسلحة البيولوجية والصاروخية.

والأهم من هذا وذاك أن الاستراتيجية الجديدة ستلغي مفهوم شن حربين إقليميتين في وقت واحد على نمط حرب الخليج الثانية لمصلحة مفهوم أوسع بكثير: القدرة على الحركة العسكرية في 60 دولة في آن وإن كان ذلك بمستويات منخفضة الوتيرة.

وهذا لا يعني فقط العراق الذي سيكون حتماً الهدف الأول لها أيضاً، ولا احتمال استهداف أهداف أخرى في بعض الدول العربية التي تمتلك برامج أسلحة دمار شامل، بل أولاً وأساساً عن احتمال حدوث تطابق كامل بين التوجهات الاستراتيجية الأميركية الجديدة، والتوجهات الإسرائيلية القديمة المتعلقة بمبدأ الهجوم الوقائي.

وهذا التطابق قد يحدث لسببين:

الأول: أن العقيدة العسكرية الإسرائيلية تستند منذ 50 عاماً، ولا تزال، إلى فكرة الحرب الاستباقية أو الوقائية، وهي طوّرت من أجل هذا الغرض سلسلة طويلة من قواعد العمل، وأنماط الأسلحة، وغرف التخطيط التي يمكن أن تفيد منها للغاية المؤسسة العسكرية الأميركية.

والثاني: أن معظم الحروب الوقائية الأميركية الجديدة ستحدث على الغالب على امتداد الرقعة الجغرافية الشرق أوسطية؛ وهنا سيكون دور إسرائيل كبيراً، إما في شكل حروب وقائية تقوم بها هي نفسها لمصلحة واشنطن، وإما في صيغة حروب، عسكرية أو استخبارية مشتركة مع الولايات المتحدة.

وهكذا نرى الفروق بين الاستراتيجيات الأمريكية قبل 11 سبتمبر وما بعده، فاستراتيجية الاحتواء كانت تقوم على أساس التعايش مع الخطر النووي للاتحاد السوفييتي السابق والعمل على منع توسيع دائرته.

أما استراتيجية الردع فكانت تتركز في ترتيب الدفاعات الأمريكية للتأكيد على الرد الأمريكي الساحق المدمر، ومن ثم منع الخصم من الإقدام على أي عمل معاد.

أما استراتيجية الضربات أو الهجمات الوقائية فهي تعطي الولايات المتحدة حق العدوان تحت زعم أو غطاء الدفاع عن النفس.

ولكن ما موقف المسلمين إزاء هذه الاستراتيجيات التي يجري نسجها في العلن وليس في الخفاء؟

وما هي استراتيجيتهم الوقائية لمواجهة الضربات الوقائية الأمريكية؟...لا شك أن هذا هو التحدي الأخطر؛ فماذا أعددنا له؟

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

============

#"الحرة".. اكتمالاً للهيمنة!!

أنور قاسم الخضري*

لم تتوقف إرادة الولايات المتحدة الأمريكية عن تخلية المنطقة الشرق أوسطية من أسلحة الدمار الشامل، ولن تتوقف، "وسوف تنزع في ظل الفرص القائمة الأسلحة التي تتدرع بها الأمة الإسلامية والعربية فكرياً وحضارياً، بدءاً من المناهج الدراسية، والمقررات التعليمية، إلى الثقافة الاجتماعية والقيم.

لقد باشرت الولايات المتحدة الأمريكية هجمتها على الأمة، وفرضت تواجدها عسكرياً وأمنياً لصالح الحفاظ على "أمنها القومي"، ومصالحها الاستراتيجية في المنطقة، وأمن إسرائيل، وبدأت في خلع الأنظمة العربية لتباشر هي إدارة الحكم عبر أنظمة "الكرازاي"، وحتى تجمل صورتها لدينا بعد أن فوجئت بمقاومة الشعب العراقي الذي لم يرحب بها رغم كافة الادعاءات والوعود التي بذلتها للشعب.

تأكد للإدارة الأمريكية بعد ما يزيد عن سنة من المقاومة البطولية أن الشعوب المسلمة لا تزال تتمتع بروح المقاومة العالية، وهي – كما بدا – لا تحب التواجد الأمريكي على أرضها حتى ولو كان للنجدة والإنقاذ!!.

وكما قال أحد الكتاب: "إن في الوعي الجماهيري العربي التقليدي قاعدة تقول: بأن أي شيء عربي متصل بأمريكا يعني العمالة"، فهي مسبة لكل من يظهر في الصورة الأمريكية مسانداً أو مجاملاً!!. فكيف إذن النظرة للولايات المتحدة الأمريكية إدارة وجيشاً محتلاً!!

لهذا انتبهت القيادة الأمريكية/ واتجهت في سياستها الخارجية – عوضاً عن نصب العدل، والتراجع عن التدخل بشئون الغير واستقلالهم وحريتهم – إلى تجميل الصورة القائمة، وتحسين القبيح من أفعالها في المنطقة، وقد انتدبت لهذه الخدمات عرباً مرتدين عن مبادئهم وقيمهم ومصالح أمتهم، أو ذوي اتجاهات لها ماضيها الأسود في التاريخ الإسلامي والعمالة.

وها هي تطل علينا واشنطن من قناتها الجديدة "الحرة"، وهي قناة يمولها الكونغرس الأمريكي، وتشرف عليها وزارة الخارجية، كما هو الحال مع قناة "سوا" الإذاعية التي يذكر المراقبون فشلها في التواصل مع الجمهور العربي، وبالتالي تصبح الولايات المتحدة الأمريكية في عداد الدول الشمولية التي تستخدم الإعلام بوقاً لسياساتها الرعناء، وخططها الفاشلة.

القناة التي تبث من داخل أمريكا إلى المنطقة العربية – بلسان عربي ..!!– كلفت الإدارة في واشنطن 62 مليون دولار للعام الأول، وهي موضوعة فقط للجمهور العربي، وسوف تتناول كما جاء في تصريحات القائمين عليها المواضيع التي تتصل بسياسة أمريكا في المنطقة، بما يحسن صورتها لدى العرب والمسلمين، ويحكم المحللون بأنها ستفشل نظراً لوجود قناة منافسة لها أو قنوات من ضمنها قناة الجزيرة، التي مثلت بحق منبراً حراً، وعملاً إعلامياً مهنياً.

بل تذكر المصادر أن العاملين في القناة هم جملة من الناقمين على الإسلام والقومية العربية، مع تواجد يهودي واضح في المخرجين والعاملين في قسم الأخبار، ومعدي البرامج، وهم يميلون إلى بث المشاهد الخليعة (العارية)، والموسيقى الغربية

الصاخبة، والأفلام التي تطبع صورة الإسرائيليين واليهود في الذهنية الإسلامية خلافاً لما عليه الحال!!

فهي لن تنافس في مشاهدها النسائية، ونغماتها الغنائية الفضائيات العربية الهابطة (وفي كل فسق)، لكنها تدس لأبنائنا مع هذه المشاهد والأنغام مفاهيم وتصورات كاذبة!! ليس هذا تهمة بل هي حقيقة البرامج المعلن عنها في القناة التي انطلقت في عيد "الحب" – زعموا – في أول بثها المباشر "غير الحي ولا المستحيي"!!

لا نريد أن نتحامل – خاصة والآيام كفيلة بإظهار الخبايا – لكن نحن نريد أن لا تصل بنا السذاجة إلى حد تصديق من عودنا على الكذب والخديعة في سياسته وخططه فضلاً عن برامج تلفازية وإذاعية، ولن نسمح أن تمرر الحيل على أجيالنا الشابة وبيئاتنا الجاهلة، بل سنمارس دور الفاضح لهذا التآمر الجديد على ساحتنا الإعلامية والفكرية.

ونتمنى أن يشارك الجميع في نقد هذه الظاهرة، والتوعية بمخاطر ما تواجهه الأمة في التعليم والاقتصاد والإعلام والعمل الخيري والمساجد والمناشط الدعوية وكل ما له صلة بحياتنا الاجتماعية والسياسة، فالقضية لا يستهان بها، وهي تريد اختراق أهم خصوصياتنا في الأسرة والفكر.

ولأن القائمين عليها أصلاً وعلى رأسهم "موفق حرب"!! – حرب حتى في إعلامها – لا يمثلون أي قطاع في الأمة سوى حفنة ممن باعوا أنفسهم للصهيونية العالمية، والموساد الإسرائيلي.

إننا على أية حال مستهدفون في قيمنا ومبادئنا، وحتى في مصادر معلوماتنا، ومن غير المجدي أن تظل القنوات الفضائية إزاء ما يتهددها والمنطقة راقصة ساكرة مسكرة!!

لماذا تراجع العرب عن توجيه قناة إلى الشعب الأمريكي تخاطبه بلغته، وتكسر قيد الاحتكار – كما اقتراح أمين جامعة الدول العربية –، فيما قبلوا بأن تخاطب الولايات المتحدة شعوبهم؟؟ أين التحذير الذي ينبغي أن تمارسه هذه القنوات بشأن ما سوف تتعرض لها الجماهير من أبنائنا؟

ولماذا سمحت الدول العربية بفتح أقمارها الصناعية لتوجيه قنوات منحازة لإسرائيل اللقيطة؟

أسئلة كثيرة، وغيرها في الانتظار، ويبقى أن نتخذ موقفاً حراً من قناة غير حرة وغير شريفة!!

---

* رئيس مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث بصنعاء.

بتصرف يسير جداً : http://www.islamselect.com

============

#العولمة الأمريكية

محمد الإبراهيم

ليس غريباً أن يخترع الغرب المصطلحات والشعارات ويطرحها في سوق النفاق العالمي، ليبدأ أصحاب الكلام الذين يسمون أنفسهم (المثقفين المتنورين) بعقد الندوات والمؤتمرات والكتابة في الصحف والدوريات لمناقشة هذه الشعارات وكأنها حقيقة لا مفرّ منها، وتمر الأيام والسنون ونحن مشغولون بقضية وهمية أو قضية طرحت (بخبث) لتشغلنا عن الهدف الحقيقي، وتوقعنا في (الفخ) الذي يريدون[1].

لقد أتقن الغرب هذه الصناعة، كما أتقن الدعاية لها وتسويقها وتضخيمها حتى يظن الظان أنها سوف تحل كل المشاكل العالقة، ومن الأمثلة الواضحة ما طرح منذ فترة بعنوان (المتوسطية)[2] يعنون بذلك الشعوب القاطنة حول البحر الأبيض المتوسط، ويقولون: إن هذه الشعوب تملك حضارة واحدة[3] وتحمل هموماً مشتركة، فلماذا لا نتعاون كمتوسطيين؟ قد يغتر أو ينخدع بعض الناس بمثل هذه المصطلحات ويقولون: لماذا لا نتعاون وهذه حقيقة جغرافية نستغلها لصالحنا، ويجب أن نبحث عن تحالفات وتنظيمات مع الشعوب الأخرى التي هي أرقى منا وأعلم، والحقيقة أن هذه (المتوسطية) إن هي إلا إبعاداً للهوية العربية الإسلامية، وليس المقصود بها أن تكون اقتصادية بحتة، ويعقد مؤتمر في (مرسيليا) ويطرح السؤال: هل نحن عرب أم متوسطيون؟ هكذا وبجرة قلم يمحى تاريخ أمة وحضارتها لصالح بوتقة لا تسمن ولا تغني من جوع، وهل يوضع المسلمون في وضع من يناقش: هل الجزائر أو طرابلس

الغرب أو بيروت مدن عربية أم لا؟ وهل الشيخ ابن باديس والمجاهد عمر المختار من هذه المنطقة الإسلامية أم متوسطيون؟ ولكن كما يقال: إذا عُرف السبب بطل العجب، فعندما نعلم أن الذين يناقشون مثل هذه الموضوعات يعتزون بتراث اليونان والرومان ويريدونها خلطة عربية عبرية أوربية، ويريدون جعل (المتوسطي) بديلاً عن المسلم العربي، وعندما نعلم لمن يعمل هؤلاء، وما هو الثمن الذي يتناولونه لطرح هذه الموضوعات عندها نعلم أنها حلقة من سلسلة طويلة من الصراع.

وجاء الحديث عن (العولمة) أو كما سماها بعضهم (الكوكبة) فلم يعد هناك خصوصيات لثقافة أو اقتصاد، فالعالم أصبح قرية صغيرة، والتكتلات الثقافية والاقتصادية تحيط بنا من كل جانب، ولابد أن نفكر فيها أو نخضع لها.

العالم يتلقى ضخاً متواصلاً من الإعلام الذي يريد فرض ثقافة معينة على باقي شعوب الأرض، الشركات العملاقة تتكتل، المصارف الكبرى تتوحد، صندوق النقد الدولي يتحكم بالدول الصغيرة، قمة السبع الكبار، منظمة التجارة العالمية، العالم يعيش التقويم الميلادي، ويعش توقيت غرينتش، والدولار هو ميزان العملات.. الخ، هذه العولمة التي تعقد لها الندوات والمؤتمرات وتناقش صباح مساء على صفحات الدوريات، وبعض الكتاب يروج لها ويريدنا أن نخضع لها، بل إن بعضهم يطرح السؤال التالي: هل سيكون القرن الحادي والعشرين الميلادي أمريكياً لأن أمريكا تملك القوة العسكرية والاقتصادية الأقوى في العالم؟.

وأمريكا تطرح نفسها فعلاً كزعيمة للعالم، وبأقل جهد ممكن أيضاً، لأنها ستدير القوى التابعة لها لتقوم بالدور المطلوب الذي يصب أخيراً في مصلحة الزعامة الأمريكية.

فحقيقة العولمة إذن هي (الأمركة) أو العولمة الأمريكية. لأن هذا الضخ الإعلامي وهذه الهيمنة الاقتصادية لم يأت من آسيا أو أفريقيا؛ وإنما من الغرب وتحديداً من أمريكا، وهذه العولمة تركز على أمرين: الثقافة والاقتصاد، فقد أصيب الغرب بزهو حضاري بعد انتهاء المعسكر الشرقي الشيوعي وراح يفرض نفسه ثقافياً، فالنظام الليبرالي الرأسمالي هو (نهاية التاريخ) والشعوب الأوربية قطعت نهر التاريخ إلى الضفة السعيدة، والشعوب الأخرى ما تزال في (مستنقع التاريخ) كما صرح (فوكوياما) وتضخمت وسائل الإعلام بشكل مخيف، فقد استخدمت هذه الوسائل أكثر

من (500) قمر صناعي، وأمريكا تريد من العالم أن يسمع CNN وأمثالها، وفي الجانب الاقتصادي سيشهد القرن المقبل تحكم 20% من سكان الكرة الأرضية في العالم أجمع، وهذه القوى العظمى هي التي تسعر الدولار والبترول الذي تدهورت أسعاره ليتناسب مع اقتصادها، وخسرت الدول المنتجة حتى الآن (60) مليار دولار، وستذهب هذه الأموال إلى جيوب المؤسسات الغربية، وكل ما وقع من انهيارات اقتصادية في شرقي آسيا أو وسط أمريكا يصب في خانة (العولمة)، إنه تغريب للعالم واجتثاث للجذور.

وماذا عن واقعنا تجاه هذه (الأمركة)، الدول العربية تتنازل عن كل شيء في سبيل الانضواء تحت المظلة الأمريكية، وبعض الدول العربية يلغي نفسه وتاريخه مقابل إلغاء ديونه، والمنهزمون (والمهرولون) يطرحون صيغة (العولمة) على أنها ظاهرة واقعية لا ينفع معها الرفض أو السلبية، بل لابد أن نكون جزءاً منها، فالعالم يتغير، ولن ينتظرنا أحد!!.

ونقول لهؤلاء:

أولاً: هذه الضجة وهذا التهويل لقصة العولمة ليس جديداً، وإنما هو نسخة مطورة للنظام العالمي القديم، عصر الاستعمار الأوربي للعالم وامتصاص خيراته ولكن العولمة اليوم تطرح بشكل أكثر ذكاء وتوحشاً، فالمركزية الأوربية ثقافياً واقتصادياً لم تنقطع، والجديد هو استفراد أمريكا، وظنها الذي سيرديها أنها أصبحت زعيمة العالم، وتتصرف على هذا الأساس.

ثانياً: إن لحظة التفرد الأمريكي بدأت بالأفول وهذا شيء طبيعي ومن السنن الكونية فكثير من الدول الكبرى والقوى الإقليمية لم تعد تقبل هذه الهيمنة الأمريكية، وخاصة في النواحي الثقافية كفرنسا مثلاً، وقد طالبت وزيرة الثقافة الكندية أمريكا بالتوقف عن غزو بلادها ثقافياً، وإن بلداً كبيراً مثل الصين لا يقبل محو خصوصياته، وشيء آخر: هل تسمح قوة أمريكا مهما بلغت أن تسيطر على كل الدول الكبرى والصغرى مفردة ومجتمعة، وهل تسكت الدول الأخرى عن المطالبة بمصالحها؟.

ثالثاً: هل نستسلم لهذه العولمة وكأنها أمر لا مردَّ له. هل نمسخ شخصيتنا وثقافتنا لترضى عنا العولمة ولن ترضى، فما من أمة تحترم نفسها ترضى بأن تذوب وتضع

كل مقدراتها تحت رحمة (مصاصي دماء الشعوب) ربما يعتبر الغرب صمود الإسلام إهانة له بعد انتصاره على الشيوعية، ونحن نعتبر هذا من سنة التدافع، فالإسلام كان دائماً محط الأنظار من الشرق والغرب، فهل نتخلى عن ديننا خوفاً من الإرهاب الفكري الذي يمارسه الغرب تحت شعار محاربة الأصولية.

رابعاً: لا يعني هذا تقوقعاً وابتعاداً عن العصر، ولكن ألا يمكن أن تقام تكتلات اقتصادية إقليمية تراعي خصوصية البلدان والشعوب الإسلامية، وتحل جزءاً من مشكلة الاقتصاد، ألا يمكن أن نمنع هذا الضخ الإعلامي الذي لا يشوه صورة المسلم فحسب؛ بل صورة الإنسان. إن الفرد المسلم والأسرة المسلمة مطالبون بأن لا يسمحوا لهذا الغزو المنظم أن يدخل بيوتهم ولتعلم الدول التي تحكم المسلمين أنها وإن دخلت نادي العولمة فلن تكون إلا تابعة صاغرة لا يرمى لها إلا الفتات. بل إن هذا التضخم الاقتصادي سيجعل القرار النهائي في يد حفنة من (الكبار) سواء كانوا دولاً أو أفراداً، وستجد الدولة نفسها لا حول لها ولا طول...

---

[1] مثل لعبة مصارعة الثيران في أسبانيا، عندما يلوح اللاعب بالرداء الأحمر أمام الثور لإبعاده عن هدفه.

[2] من أشد المتحمسين لها والمبادرين لها رئيس وزراء العدو سابقاً (شمعون بيريز).

[3] هل هي الحضارة العربية الإسلامية أم الأوربية الطليانية؟

ذو الحجة - 1419 هـ، نيسان - (أبريل) - 1999

المصدر: http://www.alsunnah.org

============

#مشروع " الشرق الأوسط الكبير " بالمطلوب الأمريكي ..؟!

أحمد عبد الهادي النجداوي

قبل أيام قليلة عملت الأجهزة الأمنية الأمريكية إعلاميا على تسريب نص ما سمي بـ " مشروع الشرق الأوسط الكبير " كواحد من البالونات التي تطلقها بين حين وآخر بعد الحرب العالمية الثانية بهدف التمهيد لتطبيق بل وعلى الأصح فرض رؤيتها على الجميع وبما يتفق مع مصالحها ومصالح " حلفائها " في الساحة الدولية

وبخاصة المنطقة العربية تجاوزاً على مفهوم الوطن العربي الذي كان هدفاً قومياً لجماهير امتنا فاختاروا هم ابتداء أن يطلقوها عليها عن سابق تصور وتصميم مصطلح " الشرق الأوسط " ثم ها هم يوسعون ذلك المصطلح وليس عبثاً وذلك بإضافة عبارة " الكبير " أو " الأعظم " ليضيفوا بذلك إلى خارطة الشرق الأوسط الكيان الصهيوني ثم أقطارا مثل تركيا وإيران وربما أفغانستان وباكستان ومن يدري كيف تتطور مصالحهم المحكومة بالرؤية الصهيونية العالمية أولاً، لشمول مناطق أخرى عبر البحار وخارجها في مسلسل تآمر " العولمة " الذي بشروا به في العقد الأخير من نشوتهم في الانفراد والهيمنة الإمبراطورية وتطلعاتهم لاستمراريتها.

المراقبون والمحللون السياسيون متفقون إلى حد كبير على أن الورقة الأمريكية تستند إلى تقرير وضع في عامي 2003، 2002 لبرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة بشأن العالم العربي وان الورقة سوف تقدمها الولايات المتحدة إلى ما يسمى قمة الثمانية للدول الصناعية التي ستنعقد في حزيران القادم وتعمل بكل جهد للحصول على تأييد مجموعة تلك الدول لها، ومع أن الدول العربية هي المقصودة بتلك الورقة إلا أن واشنطن لم تكلف نفسها من الناحية الرسمية عناء إحاطتها علماً بالمشروع، ذلك أنها لم تعد تأخذ وزناً لآرائها بعد أن خبرت في السابق ردود أفعالها إن حصلت وأنها لا تتجاوز في أكثر الاحتمالات مجرد زوبعة كلامية آنية لا تلبث أن تنتهي بزيارة من المسؤول الأمريكي أو ذاك يتناول بعدها على مضض فنجان القهوه " المرة " ويعود إلى قواعده معززاً مكرماً وفي طريقه قد يعرج على تل أبيب أو القدس مطمئناً إلى أن الأمور والمخططات تسير على ما يرام؛ ومع أن المشروع الأمريكي يتحدث عن تقويض أنظمة وإعادة هيكلة الشرق الأوسط الذي هو الآن عند مفترق طرق وان الخيار الواجب له هو طريق الإصلاح وان بلدان مجموعة الثمانية الصناعية أيدت ذلك الخيار عبر ما يسمى بـ " الشراكة الأوروبية المتوسطية " و " مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط و "جهود إعادة الإعمار متعددة الأطراف في أفغانستان والعراق.. " إلا أن مثل تلك الشراكة موضوع البحث هي في واقعها مخططات يدعو لها أو ينفذها فريق واحد بإذعان من باقي الفرقاء.

المشروع الأمريكي طويل ويورد الكثير من التفاصيل والعناوين التي ترتكز إلى [الحرية، المعرفة، وتمكين النساء] وهي وغيرها الكثير يطلقون دائماً كلمات حق يراد بها باطل، ذلك أن عالمنا هنا قد خبر وعلى مدى قرن مضى من الزمن ماذا تعني المشاريع والوعود والمصطلحات الأمريكية والغربية وكيف يعتمدون دائماً على أساليب دس السم في الدسم لتضليل الشعوب التي ابتليت بسياستهم الاستعمارية قديمها وحديثها مما كان لنا نحن العرب الحصة الأكبر والأوفى منها منذ اتفاقيات سايكس بيكو للاستيلاء على الأرض والثروة العربية والى يومنا هذا مروراً بوعد بلفور المشؤوم والإجراءات اللاحقة لتنفيذه وتشريد الملايين من شعبنا واحتلال كامل فلسطين عام 1967 وبعض مما حولها من الأرض العربية وقبل ذلك كان العدوان الثلاثي على مصر بسبب تأميم قناة السويس عام 1956 وأخيرا وليس آخراً الحربان البربريتان على العراق اللتان انتهتا باحتلاله وإسقاط نظام الحكم القومي فيه وتدمير دولته ونهب ثرواته منذ 9 نيسان / ابريل / 2003 إلى يومنا هذا خلافاً لكل القوانين والشرعية الدولية.

• واحد من العناوين المخادعة التي تطرحها واشنطن عبر ورقتها التي يطيب لها تسميتها " مبادرة " هو ما يتعلق بـ " تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح " حيث تقول حول ذلك بأن الديمقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار الذي تتحقق بداخله التنمية وان الديمقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط الكبير... واعتماداً على تقرير مركز بيت الحرية {FREEDOM HOUSE} يصفون "إسرائيل"على أنها البلد الوحيد في الشرق الأوسط الكبير بأنها "البلد الحر " وان البلدان العربية تقع في أدنى درجات الحرية ولا تتقدم في هذا السياق إلا على إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؛ وقد يكون هناك بعض من الصحة في هذه الفقرة الأخيرة بالنسبة للبلدان العربية، وأما بالنسبة للكيان الصهيوني فإذا كان ذلك الكيان يعطي قدراً من مظاهر الحرية لسكانه اليهود وبرغم التمييز بين اليهود الأوروبيين والشرقيين فإن من المقطوع به جزماً انه يحرم عرب فلسطين من ابسط الحريات ويجردهم منذ عام 1948 من حقوقهم المادية والإنسانية ثم انه يحتل الضفة الغربية وغزه ومناطق عربية أخرى مجاورة ويمارس فيها منذ عام

1967 أقسى أنواع العنف والبطش والقهر بما يدخل في مفاهيم جرائم الحرب والإبادة وقد صدرت العديد من القرارات الدولية بإدانة تلك الممارسات فيما كانت الولايات المتحدة الأمريكية ولا زالت ترعى وتدعم الكيان الصهيوني مادياً ومعنوياً وتحول باستعمال حق الفيتو دون صدور قرارات تستنكر ممارسات الكيان، والمشروع الأمريكي الأخير باستناداته لا يتورع أن يقرر بأن [إسرائيل البلد الوحيد في الشرق الأوسط الذي يصنف بأنه حر –] وربما المقصود بكلمة " حر " في نظر أمريكا انه يمارس بحرية جرائمه بحق شعبنا..!؟ وهو ما يمثله الواقع فعلاً.

وفي مجال الديمقراطية والحرية يتحدث المشرع عن المبادرة لانتخابات حره والدعوة لتقديم مساعدات تقنية لمرحلة ما بعد الانتخابات عبر تبادل الزيارات والندوات والدعوة للتربية المدنية وتعزيز دور البرلمان في دمرقطة البلدان والإصلاحات التشريعية... كلام فضفاض حلو الشكل، أما على ارض الواقع فالأمر مختلف حيث ينطبق القول هنا [أشوف كلامك يعجبني وأشوف أفعالك استعجب] إذ المعلوم للكافة أن الحكومات الحليفة لأمريكا هي حكومات فردية دأبت على ممارسة السياسات العرفية التي تعتمد أساليب القمع والبطش بحق شعوبها بعيداً عن أي رقابة شعبية وتزودها أمريكا بالأدوات والمعدات والخبرات لتلك الغاية وأنها إذا أقامت مؤسسات تشريعية لتحسين صورتها أمام الإعلام الخارجي فإنها تهيء لها كل وسائل تزوير الإدارة الشعبية وتفرغها من كامل محتواها في حرية الرقابة والتعبير.

شعوبنا في هذه المنطقة دأبت منذ أوائل القرن الماضي حيث بداية ما يسمى عصر النهضة الحديثة على طرح قضايا الحرية والديمقراطية والتنمية كطموحات أساسية لمجتمعاتها، لكنها ويعلم ذلك تماماً العالم الغربي على جانبي شواطيء الأطلسي اصطدمت بالحكام والأنظمة الحاكمة التي أنشأها ورعاها الاستعمار ومدها بوسائل البطش والقمع حتى اليوم لتأمين مصالحه ومشاريعه العدوانية على حساب الشعوب وحرياتها وقدمت هذه الشعوب التضحيات من دماء مناضليها من أجل الحرية والديمقراطية والتقدم حتى إذا برزت حالة متقدمة هنا أو هناك تصدت لها الدوائر الغربية بمختلف أشكال التآمر أو الانحراف بها وعند الضرورة إجهاضها أو مقاومتها بالحرب المباشرة ذلك ما تم بثورة مصر ثم ثورات المشرق العربي وما نحن بصدده

الآن؛ وهكذا تهدف الورقة الأمريكية الأخيرة لتدمير مصداقية مناضلي وشرفاء الأمة من دعاة الحرية والديمقراطية والتنمية والتقدم حيث تعود إلى طرح شعاراتهم ولكن عبر رؤيتها ومن اجل ضمان مصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة [والمقصود هنا الحليف الصيهوني أولاً]

• شعوبنا في هذه المنطقة لا ينقصها معرفة بالديمقراطية ولا بالانتخابات وشروطها وتقنية التسجيل لها وأدواتها ولا تحتاج كذلك إلى تبادل الندوات والزيارات التي تتحدث عنها الورقة للمعرفة والإطلاع بمقتضياتها، فإن في حضارتنا وقيمنا وما تطورنا إليه حالياً من الثقافة والفكر ما يؤهلنا للنهوض في مجتمعنا وإشادة البناء الديمقراطي بأنفسنا وفق مصالح هذه المجتمعات وطموحاتها، لكن ما يعوقنا عن ذلك هو أطماع القوى الكبرى في هذا العالم ومخططاتها العدوانية المستمرة منذ الحرب الصليبية وما بعدها حتى الحروب الأمريكية الصهيونية الحالية ومشروعها الأخير هذا حول " الشرق الأوسط الكبير " الذي هو حلقة جديدة من حلقات التآمر والتضليل.

• ويتحدث المشروع عن [بناء مجتمع معرفي] وأن المعرفة تمثل الطريق إلى التنمية والانعتاق وان نزف الأدمغة المتواصل يشكل تحدياً لآفاق التنمية وأن التعليم الأساسي في المنطقة يعاني من نقص [وتراجع] في التمويل الحكومي والعجز عن مواكبة العالم الخارجي... الخ كما ينتقد المشروع بشدة قلة الإنتاج الثقافي والإعلامي وارتفاع نسبة الأمية وخاصة بين النساء فيما يتجاهل المشروع متعمداً الأسباب والدوافع والمعوقات الأساسية في كل ذلك حيث ابتليت مجتمعاتنا بالاستعمار في وقت مبكر، وأننا بعد خلاصنا من عصور الانحطاط أواخر أيام الدولة العباسية خضعت المنطقة الانحطاط إلى الاحتلال العثماني وما ترتب عليه من سياسات الإفقار والتجهيل والتتريك حيث وبعد نضال مرير للخلاص جاء المستعمر الأوروبي الذي وإن حمل معه بعض مكونات التعليم والثقافة التي يسلتزمها ترسيخ وجوده واستغلاله فجزأ المنطقة إلى دول وأقام بينها الحواجز والحدود وأخضعها إلى إشرافه المباشر من خلال الأنظمة العميلة التي تخدم ذلك الوجود والاستغلال فقط وبأدنى الحدود ثم فجر الصراعات والاحتراب بينها بعد أن زرع في عمقها القضايا المتفجرة أو القابلة للانفجار عند الحاجة وذلك لتسهيل سيطرته عليها وتبديد امكاناتها

واستغلال ثرواتها وفي المراحل الأخيرة كان يجري ضمن برامج دولية معروفة استنزاف عقول أبناء المنطقة بأساليب الترهيب والترغيب والإغراءات المنظمة لتفريغ المنطقة من وسائل التنمية التي يجعل منها الآن المشروع الأمريكي مآخذ علينا وهي كانت على الدوام من صنعهم هم وأدواتهم ومخططاتهم، وهم في ذلك ليسوا صادقين و/أو مخلصين في توجهاتهم في الشفقة الكاذبة علينا وإنما هم يطمحون إلى المزيد من استغلالنا وتثبت قواعدهم ومرتكزاتها المبتكرة إلى زمن طويل قادم بعد أن برزت عوامل التمرد وأخذت تعم المنطقة تفاعلات راديكالية قوية اضطرتهم إلى الدخول المكشوف إليها واستقدامهم الجيوش لاحتلالها من جديد تحت عنوان محاربة الإرهاب، لكن ذلك من خلال دراساتهم يحتاج إلى أساليب أمريكية سامة من نوع خاص مغطاة بمعسول المشاريع ومغرياتها للإيقاع بالشعوب من جديد في أحابيلهم وإحكام القيود في أطرافها لضمان إعادتها إلى بيت الطاعة الأمريكي الممتد إلى قرن آخر أو أكثر، وهم في دعواتهم إلى الثقافة والمعرفة والتنمية إنما يقصدون في واقع الأمر الدخول من هذه الأبواب على طريقتهم الخاصة فيتباكون على ضرورة تدريس مادة إدارة الأعمال والانترنت في محاولة لربط شعوب المنطقة ربطا فكريا وماديا محكما لا فكاك منة بعجلة الآلة الأمريكية ومستلزماتها وبذلك تفقد الشعوب مقومات سيادتها وتطلعاتها وامكاناتها إلى الاتفاق والتوحد على طريقة ما جرى في دول أمريكا الجنوبية وهذا أخطر ما في المشروع الأمريكي.

. ثم يبدي المشروع اهتماما خاصا بالموضوع الاقتصادي ويتحدث عما يطلق عليه [توسيع الفرص الاقتصادية]و[تمكين النساء] ويدعو إلى أن ترعى دول الثمانية زيادة مشاركه النساء في الحياة السياسية والمدنية ورعاية معاهد خاصة بالنساء تقدم تدريبا على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة في التنافس الانتخابي على مواقع في الحكم كما يتطرق المشروع إلى الإصلاح القانوني والمساعدة القانونية للناس والعبور إلى موضوع الشفافية والفساد وغير ذلك.

ويتضح من كل ذلك أن أمريكا في عصرها هذا تعمل إلى دس انفها ومخالبها في كل مناحي ومفاصل المجتمعات ومن ذلك مشروعها للشرق الأوسط الكبير وهي لا تخفى من خلال نصوص ذلك المشروع أن رائدها الذي تحدده إنما هو الحفاظ على

مصالحها ومصالح حلفائها... وفي سبيل ذلك فهي تعلن عن استعدادها لتغيير الأنظمة الذي سيكون من خلال منظور أمريكي وأجندة أمريكية لا مجال فيها للمجاملة أو المهادنة وأن الإدارة الأمريكية تفضل أن يتم ذلك بشكل "ابوي" إذ لا مجال عندها للأبناء المشاكسين الذين كان العقيد القذافي نموذجا لهم، فالعصا والعصا وحدها دون الجزرة هي السياسة الأمريكية الجديدة التي تقف وراء مشروع "الشرق الأوسط الكبير" وما على جميع الأنظمة إلا أن تبادر إلى توفيق أوضاعها، وفي ذات السياق يقول المشروع[وقد استجاب بعض الزعماء في الشرق الأوسط الكبير بالفعل لهذا النداء واتخذوا خطوات في اتجاه الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي –كذا....]

وأخيرا وبالمقابل فإذا كانت الإدارة الأمريكية القائمة تحاول أن تجعل من نفسها إمبراطورية العالم في هذا العصر وتعتقد أن قدراتها فوق مستوى شعوب الأرض فإن درسا أو أكثر قد تتلقنه على أيدي بعض الثوار ورجال المقاومة هنا أو هناك من شعوب المنطقة يكفي لتقزيمها أو إحباط خيالات قادتها وغطرستهم، فهم وان بلغوا بقدرتهم العلمية والتقنية أعنة السماء وكواكبها فإن إمبراطوريتهم يمكن أن تتفكك أمام قوة الشعوب أو أن تتحجم وترحل على أقل تقدير أمام ضربات الأحرار..... دروس يجب أن تستوعبها من فيتنام والصومال وأخيرا وليس آخراً سيكون ذلك في العراق مكررين معه التكبير وليخسأ الخاسئون.

المصدر: http://www.alarabnews. com

============

#'أوجد له البديل'

في زيارة الأقارب:

هيا أحمد.. تعال.. أسرع

عمرو يجري مسرعًا آخذًا بيد أحمد بن عمه الذي جاء في زيارة له.

تعال معي نشاهد التلفاز حان موعد السيرك... كم أشتاق لمشاهدة الأسود المدربة والقرود الفكاهية والكلاب المضحكة والسحر العجيب.

سال لعاب أحمد... وجلس أمام جهاز التلفاز وقد اتسعت حدقتا عينه وجلس فاتحًا فمه مندهشًا من هذا الجهاز العجيب الذي لم ير مثله في البيت؛ لأن والده الشيخ ناصر لم يشتر له هذا الجهاز.

تأخر الوقت وحان موعد الانصراف وأحمد مازال جالسًا كالمعتوه أمام التلفاز يتابع برنامج تلو برنامج وفقرة تلو فقرة.

وجاء أبو أحمد ليأخذه للبيت.

هيا يا أحمد لقد تأخر الوقت.

أحمد: أبي انتظر قليلاً حتى أكمل هذا البرنامج.

أحمد هيا هذا خطأ.

أحمد: أبي إنه ممتع جدًا.. دعني أشاهد.

في المدرسة:

وليد: هل رأيت فليم الأمس؟

أحمد: عن ماذا تتكلم.

وليد: ألم تر البطل وهو يبرز عضلاته أمام الجميع ويحارب بقوة خارقة حتى قضى على الأعداء. كم أنا فخور به وأتمنى أن أكون مثله.

أحمد: وماذا أيضًا؟

وليد: تخيل أن البطل له القدرة على الطيران إنه يسمى 'سوبر مان' أي الرجل الخارق.

أحمد: أكمل أكمل... كم أشتاق لمشاهدة هذا الفيلم.

وليد: لقد قمت بتسجيله يمكنك زيارتي في أحد الأيام لمشاهدته.

آباء محتارون:

في البيت المسلم الملتزم بتعاليم الإسلام الحميدة، المحافظ على واجباته المجيدة يحتار الآباء دائمًا في أمر التلفاز.. يشترونه للبيت أم لا؟

كل البيوت يوجد بها هذا الجهاز مع ما فيه من أضرار ومفاسد في أغلب الأحوال.. وبالتالي فعدم وجوده في البيت الملتزم سيؤدي إلى أن يكون الأطفال في هذا البيت

كما يقول البعض متخلفين.. لا يجارون أحداث الواقع ولا يتطورون مع المجتمع ويعيشون في الكهف.

هذا ما حدث مع أحمد ابن الشيخ ناصر فلقد منع أبوه دخول التلفاز البيت، فكانت النتيجة أن أصبح أحمد كما يقول الناس: طفل متخلف لا يعرف شيئًا عن الواقع ولا يدري شيئًا عما يدور حوله.

هذا ما وجده أحمد في بيت أقاربه وفي المدرسة، ولو وسعنا دائرة البحث لوجده في السوق وفي وسائل المواصلات وفي القرى والشوارع والمحطات، لقد نجح أعداء الله أن يخترقوا بهذا الجهاز اللعين كل ثقب في بلاد المسلمين.

ووجوده أكبر الضرر:

فوجود التلفاز في بيت المسلم له من الأضرار الخلقية والنفسية والسلوكية والصحية على الطفل ما الله به عليم.

ثم إن أطفالنا في سن البلوغ من التمرد بحيث لا يستطيع أحد التحكم في تصرفاتهم خاصة والأب مشغول بجمع الأموال، والأم ضعيفة القوة والسيطرة بطبيعة الحال، فوجود أطفالنا بعد ذلك في المجتمع الذي عم به الفساد والأخلاق الذميمة في كل مكان، ونجد بعد ذلك أيضًا التلفاز في البيت بما يُعرض فيه من الأفلام والمسلسلات والإعلانات التي تمثل أغلب برامج عرضه. مع كل هذا كيف سنضمن إذن لأولادنا الصلاح؟

وكيف لا نخاف عليهم من ـ جهاز التلفاز ـ؟

ـ حدِّث ولا حرج عن أفلام الحب والاختلاط التي لا يتورع الآباء عن متابعتها حتى في وجود الأطفال، فيتعلم الأطفال أمورًا لا تناسب سنهم يكون لها أكبر الضرر على سلوكياتهم.

ـ التلفاز مضر بأطفالنا فهو يضيع أوقاتهم أمام تفاهات ويعلمهم الكسل والخمول، ويسبح بخيالهم إلى عالم الأساطير والخيال وينأى بهم عن الواقع وكيفية مواجهته.

ـ ولكن كيف السبيل إذن ووجوده ضرر، وعدم وجوده يجعل أبناءنا في نظر الناس متخلفين لا يعلمون شيئًا عما يدور حولهم، ولا يفهمون شيئًا عن واقعهم مما يضعف ثقتهم في أنفسهم ويجعلهم يرتدون على أعقابهم ليجاروا الواقع.

فكر في أصل المشكلة:

الأطفال عندهم من القوة والطاقة والنشاط ما يملأ العالم بأسره لصغر سنهم وعدم انشغالهم بهموم الحياة، فعندهم طاقة لابد أن تفرغ وبقدر ما تفرغ هذه الطاقة جيدًا بقدر ما يكون لهذا التفريغ أعظم أثر في تقوية شخصية الطفل.

ـ ولكن تنبه فالطاقة المفرغة في التلفاز لا تنشئ طفلاً قويًا... هذه القوة هي قوة وهمية لأنها مستقاة من بحر الخيال وتخاريف الأقوال... هذه القوة ستنتج لك طفلاً يتكلم فقط ولا يفعل؛ لأنه سمع ورأى في التلفاز ولكنه لم يتحرك بنفسه.

. ماذا يوجد في التلفاز إذن؟

مباراة، فيلم، مصارعة، مغامرة، إثارة، فكاهة.

هذه كلها حاجات نفسية لدى الطفل يلبيها من خلال متابعته للتلفاز، ولكنها تملأ نفسه داخليًا وتضغط على أعصابه دون أن تفرغ هذه الطاقة خارجيًا أو على الأغلب لا يفرغ خارجيًا بقدر ما يعبئ داخليًا.

إذن فالطفل القوي هو الطفل الذي يفرغ طاقته خارجيًا في صورة أعمال والذي يعتاد إنجاز الأشياء، ولا بأس من التعبئة الداخلية، ولكنه ليس من التلفاز فقط فالبديل موجود وهو الحاسوب الآلي.

ـ إن الأطفال عندهم طاقة عظيمة بحاجة إلى تفريغ، وهذا الجهاز يمتص قدرات أطفالنا وذكاءهم وقوتهم في أوهام وأحلام وأساطير.

كيف تجعل ابنك متميزًا بلا تلفاز؟

1ـ لا تقل له: التلفاز– بما يقدمه في أغلب الأحوال– حرام . في البداية . لأن هذه المعلومة لن تفيده الآن بل سيكون ضررها عليه، إن هو رددها في المجتمع أكبر بكثير من نفعها؛ لأنه سيقابل بهجوم شديد من الآخرين فيصاب بالإحباط وتضعف ثقته بنفسه.

2. اطلب من أقاربك أو أصدقائك الذين تذهب إليهم ومعك أبناؤك ألا يشغلوا التلفاز في وجود أبنائك.

3ـ أكثر من ذكر أضرار التلفاز بصورته القائمة حاليا، وركز الآن على الأضرار الصحية وإضاعة الوقت وتفكيكه للتجمع الأسري وكثرة التفاهات.

ـ علـى الآبـاء أن يتقوا الله ويكونـوا قدوة لأبنـائهم فعنـدما يـرى الطفل والديـه يشـاهدان التلفاز سيقوم بالتقليد.

ـ الاستفادة من الأوقات للقيام بالواجبات الاجتماعيـة من بـر الوالدين وصلـة الأرحـام وتفقد الأرامل والمساكين وإعانة أصحاب الحوائج.

. الاشتغال بطلب العلم وحث أهل البيت على زيادة معلوماتهم الشرعية.

. وضع دروس يومية منتظمة بجدول ثابت لحفظ القرآن.

ـ الاهتمـام بإيجـاد مكتبـة أسـرية متنوعـة تحـوي مختلـف العلـوم وتكـون فـي متنـاول الجميع.

. الاستفادة من برامج الحاسوب المتوفرة بكثرة بما في ذلك المسابقات وبرامج الذكاء.

. القيام بالنزهات البرية للأماكن الخلوية البعيدة عن أعين الناس والتبسط مع الزوجة والأبناء وإشباع رغباتهم في اللعب والجري وصعود الجبال واللعب بالرمال.

. وضع برنامج رياضي للأب والأم والأبناء بمعدل يومي عشر دقائق مثلاً حتى وإن اقتصر على التمارين الخفيفة.

. زيارة الصالحين والأخيار والاستفادة من تجاربهم والاستئناس بأحاديثهم وربط الناشئة بهم ليكونوا القدوة بدلاً من الممثلين والمهرجين.

ـ اشتغال الفتيات بأعمال المنزل وتدريبهن على القيام بالواجبات المنزلية وتعويدهن على تحمل مسئولية البيت وتربية الأطفال والقيام بشئونهم.

. وضع جدول زمني . شهري مثلاً . لحضور بعض محاضرات العلماء في المساجد.

. اجعل يومًا في الأسبوع يومًا مفتوحًا في المنزل لإلقاء الكلمات المفيدة وبث الفوائد بين الجميع وطرح الأفكار ورؤية إنتاج المنتجين في الأبناء والصغار.

ـ عمل قائمـة بالأنشطة والـدرجات والتقديرات للأبنـاء وتحسـب نقطـة لكل عمـل جيد وأخرى لكل جهد متميز، وهكذا في نهايـة الأسبوع توضـع الجوائز لصـاحب أعلـى النقاط.

ـ التأمل الدقيق في بيوت كثير من الأخيار التـي تخلو من الشاشات وكيف تجد . بفضل الله . صلاح أبنائها واستمرار أهلها وحسن تربيتهم على التقوى والصلاح.

ـ الاهتمام بهوايات الأبناء وتوجيهها نحو خدمة الإسلام والمسلمين وتشجيعهم على المفيد منها.

. إعداد البحوث علامة على مقدرة الشخص وتمكنه العلمي ولكل عمر من الأعمار مستوى معين من البحوث.

. كثير من الناس يعتذر بوجود الشاشة لرغبتهم في معرفة العالم وأخبار الكون، مع حرص هذا، فهو غافل عن أخبار القيامة والبرزخ وأحوال البعث والنشور، ويمكن أن يكتفي بالإذاعة وبعض الصحف لمتابعة الأخبار والأحداث.

. لو طلب منك شخص أو جهة أن تضع في صالة منزلك خمسة أفراد ما بين رجل وسيم وامرأة فاتنة منهم الفاجر والفاسق ومنهم المهرج، وشرطت عليهم ألا يتحدثوا ولا يجتمعوا بأبنائك وزوجتك إلا بحضورك، فهل يا ترى تخرج مطمئن الفؤاد إلى هؤلاء وهم في عقر دارك؟!

. أوجد له البديل:

هو يريد إثارة.. أوجد له الإثارة من خلال جهاز الحاسب الآلي وأفلام الإثارة التي تنتقيها أنت بنفسك.

هو يريد الفكاهة أوجد له الفكاهة من خلال أفلام الكرتون الفكاهية في الحاسوب وكذلك من خلال الفسح والترفيه ومجالس السمر والطرائف.

هو يريد اللعب لابد أن يكون له على الأقل يوم في الأسبوع يذهب فيه للعب سواء الكرة أو الكونغفو أو المصارعة، المهم أن يتحرك ويلعب.

هو يريد الثقافة.. علمه كيف يجمع الأخبار ويتابعها عن طريق شبكة الإنترنت واطلب منه أن يعد لك تقريرًا أسبوعيًا عن أخبار الإسلام في العالم مثلاً.

ـ إذا كانت هناك بعض الفضائيات الهادفة مثل 'المجد' و'اقرأ' يمكنه متابعتها عن طريق كارتة tv من خلال الحاسب الآلي فالتحكم هنا يكون أكثر، إضافة إلى أن التلفاز هنا يكون جزءًا من كل وليس هو كل شيء.

الأحد 12 ربيع الأول 1425هـ - 2مايو2004 م

المصدر: http://links.islammemo.cc

============

#تنامي الاحتجاجات ضد العولمة ..

هل تدفع الأغنياء لمواقف أكثر عدلا ؟؟

أحمد طه

رغم أن الخط البياني لظاهرة العولمة وبروز التكتلات الاقتصادية العالمية العملاقة آخذ في التصاعد لأعلى وبوتيرة أكبر منذ منتصف التسعينات إلا أن اللافت لكافة دول العالم غنيها وفقيرها تلك المظاهرات الصاخبة المناهضة لتيار العولمة والتي اتخذت صورًا حادة من التعبير والصدام والعنف.. لكن اللافت أكثر أن تخرج تلك المظاهرات من معقل الرأسمالية في العالم وليس من داخل الدول النامية والفقيرة التي ستكون أكثر المتضررين من العولمة..

وكانت البداية قد انطلقت من مدينة سياتل الأمريكية في ديسمبر عام 1999م احتجاجًا على جولة جديدة من مفاوضات منظمة التجارة العالمية والتي شهدت أعمال عنف حادة تحولت إلى شبه معركة حقيقية بين المناهضين ورجال الشرطة وسقط خلالها العديد من المصابين من الطرفين.. ثم جاءت المعركة الثانية في أواخر أبريل الماضي بمدينة كيبك الكندية حيث احتشد الآلاف من المناهضين للعولمة احتجاجًا على قمة الأمريكتين التي ضمت زعماء 34 دولة يمثلون 800 مليون نسمة هم مجموع شعوب الأمريكتين باستثناء كوبا التي ترفض هذا التجمع وتصف أعضاءه بأنهم «دمى» في يد أمريكا فيما يعتبرون هم كوبا دولة غير ديمقراطية.

وكانت مظاهرات كيبك أكثر تنظيمًا واحترافًا وامتلك المتظاهرون الذين احتشدوا بالآلاف في منطقة انعقاد القمة القنابل اليدوية والذخائر والأقنعة الواقية من الغاز، وكانت حصيلة المصادمات أعدادًا كبيرة من المصابين من الجانبين إضافة إلى اعتقال 430 شخصًا من المتظاهرين وبعض حوادث تكسير زجاج السيارات وواجهات المحال التجارية.

أما احتجاجات المتظاهرين المناهضين «لغول» العولمة ومنطقة التجارة الحرة التي أقرتها قمة كيبك لتصبح بعد دخولها حيز التنفيذ في ديسمبر عام 2005 أكبر منطقة للتجارة الحرة في العالم فقد تركزت في كونها ستضر كثيرًا بالشعوب الفقيرة وستزيدها فقرًا وأن أكبر المستفيدين منها الشركات الكبرى والمتعددة الجنسيات إضافة إلى أن

التفاوت الكبير بين الدول الأربع والثلاثين المشاركة في منطقة التجارة سيجعل من الصعب التطبيق وتبادل الفوائد بصورة عادلة.

لكن الرئيس الأمريكي جورج بوش انتقد المحتجين وقال: «إذا كانوا يحتجون على التجارة الحرة فإنني اختلف معهم، أعتقد أن التجارة مهمة جدًا لأنها لا تساعد على انتشار الازدهار فحسب وإنما تساعد على نشر الحرية أيضًا» وأكد بوش أنه لذلك يختلف مع أولئك الذين يعتقدون أن التجارة سيكون لها تأثير سلبي على العاملين.

ويبدو أن إرادة القادة في الدول الرأسمالية وبينها زعيمة الرأسمالية في العالم ومهندسة برنامج العولمة . أمريكا . هي التي تفرض نفسها رغم أصوات المعارضين والمحتجين ولو كانت معارضتهم واحتجاجاتهم تستقطب اهتمام الرأي العام العالمي وتحوز إعجاب فقراء العالم والمطحونين على الأخص.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن.. أين نحن في عالمنا العربي والدول النامية بشكل عام من هذه العولمة التي ستكون قاسية التأثير على الضعفاء والتي ربما لن تقدم لهم سوى الفتات بينما يفوز الأغنياء الأقوياء بالنصيب الأوفى لأنهم «فصّلوا العولمة على مقاساتهم!!؟»، وتجيء الاحتجاجات من معاقل الرأسمالية نيابة عن الدول النامية والفقراء .. سؤال مطروح على دولنا العربية والنامية لتُسمع صوتها من أجل عولمة أقرب للعدالة وأقل ظلمًا وقسوة على الضعفاء...

المصدر : http://www.almuhayed.com

===============-

#العولمة خيارات مرة للدول الفقر وطوفان قادم لا مفر منه !

في كل مرة ينعقد مؤتمر أو لقاء يتعلق بالعولمة يستثير ذلك مظاهرات الاحتجاج، سواء على هامش أعمال صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي أو المنتدى الاقتصادي السنوي في دافوس . سويسرا أو كما جري مؤخرًا خلال انعقاد كوبيك. الأمر الذي يدعو إلى تأمل أسبابه مظاهرات الاحتجاج رفعت أهمية البحث عن إجابة على السؤال الآتي: هل تساعد العولمة على تقليل صور الفقر في العالم أم لا؟ هذا هو السؤال المبدئي وراء حركات الاحتجاج مختلفة المشارب وأحيانًا متعارضة الأهداف، إنها حركات غير متجانسة ولذلك غير منظمة فستجد بينها أنصار البيئة

والماركسيين ودعاة حقوق المرأة وأصحاب اليسار الاقتصادي، جماعات لا يجمعها رابط عدا معاداة اتجاهات الاقتصاد العالمي إلى جانب إحساس مرير بعدم العدالة ومن أمثلة تناقضها: رفض اتحادات العمال في الدول المتقدمة العولمة لأنها تريد الاحتفاظ بصور حماية المنتجات الوطنية وبالتالي وقاية عمالها من البطالة وذلك هدف يناقض من يعارضون العولمة في الدول الغنية رأفة بحال الدول النامية على الرغم من أن هؤلاء معنيون أساسًا بفتح أسواق جديدة أمام منتجات تلك الدول ومن يعارضون بهدف حماية البيئة يقدمون قضية التلوث على مطلب النمو الاقتصادي الذي يعني المعنيين بمكافحة الفقر ويرون العولمة وسيلة للافتقار.

إذا كان ثمة ما يجمع هؤلاء المتناقضين فإنه غالبًا فروض عامة نذكر منها التفاوت الاقتصادي غير عادل... العولمة تدمر البيئة... التجارة الحرة ليست بالضرورة التجارة العادلة لأنها لا تخدم إلا الشركات متعددة الجنسية وتحابي الأغنياء على حساب الفقراء والمتقدمين على حساب المتخلفين.

أما الاقتصاديين الجادين فهؤلاء لا يعادونها بإطلاق إنما يعادون عولمة لا تدار بشكل جيد وهجومهم موجه أساسًا إلى طرق التسويق التي تتبعها الشركات العملاقة ذات العلامات التجارية واسعة الشهرة التي تستحوذ على مخيلة المستهلك في الدول المتقدمة وتمارس تطبيقات استغلالية تجاه العمال والعالم الثالث لكن ليس بين المعارضين من يقول بأن العولمة لا تعجل النمو العالمي وهذه هي النقطة المركزية في قضية العولمة فإذا كانت مشكلة الفقر لا حل لها إلا بتسارع النمو فهذا ما تكفله العولمة وبالتالي للفقراء وللدول النامية مصلحة فيها وبدلاً عن المعارضة الأنفع التركيز على تقليل السلبيات.

استباق ما لا مفر منه!!

لابد أن نعترف أن العولمة أضحت الظاهرة الأساسية المهيمنة على العالم والسمة الأساسية لهذه الظاهرة إنها ليست اقتصادية وتجارية فقط بل تشمل المجال الثقافي وينعكس ذلك في الجهود التي تقدم بها وسائل إعلام عالمية لإشاعة رأي عام عالمي موحد تمهيدًا لخلق ثقافة عالمية موحدة مما يتهدد المنطقة العربية التي بدأت قوى العولمة في النظر إليها كسوق كبير مستهلك لمنتجاتها الاقتصادية والثقافية ومن هنا

يمكن لفكرة السوق العربية المشتركة أن تشكل جزءًا من مشروع يواجه هذا التطور الذي لا مفر منه واستباقًا لما سيحدث إن عاجلاً أم آجلاً ومن شأن هذه السوق في حالة نجاحها أن تدفع باتجاه تقارب عربي . عربي بدءًا بالمستويات الاقتصادية ووصولاً إلى الثقافية وربما السياسية ما قد يساعد في نشوء تيار وحدوي عربي جديد ينطلق من هذه الأسس الواقعية ويستند هذه المرة إلي معطيات مختلفة كليًا عن ما سبق وإلى عقد اجتماعي شعبي عربي يشكل حصانة أكيدة ضد محاولات الاختراق وتذويب الهوية والدعوة إلى شرق أوسطية مشبوهة لكن التكتل الاقتصادي لا يكفي بدون توفر عوامل أخرى عديدة منها القيام بعملية تثقيف تستهدف إشاعة القيم العملية وترسيخ حقيقة أن تنامي المصالح المتبادلة بين كافة البلدان العربية هو الضمانة الحقيقية للأمن والرفاه العربي.

من يتحدى العولمة؟!

عناوين النظام الدولي الجديد كلها مبهرة، كلها تتحدث عن الحرية وحقوق الإنسان في إطار عالم واحد تجري عولمته بعناية فائقة، مأزق العناوين المبهرة للنظام الدولي الجديد يكمن في مصداقيتها فهو يتحدث عن حرية التجارة ولا يعني بها سوى حرية الأقوياء في الوصول إلى أسواق الضعفاء وهو يتحدث عن حقوق الإنسان ولا يعني بها سوى حرية الإنسان الأبيض في استبعاد باقي سكان العالم وهو يطالب الجميع باستيفاء شروط الالتحاق بالعولمة دون أن يكترث لمدى عدالة هذه الشروط أو قابليتها للتنفيذ.

لهذه الأسباب خرجت التظاهرات الحاشدة في سياتل بالولايات المتحدة لتفسد سعي منظمة التجارة العالمية إلى التنكيل بالدول النامية ولهذه الأسباب ذاتها اشتعلت كيبك الكندية غضبًا حينما اجتمع على أرضها قادة الأمريكتين لبحث إقامة منطقة تجارة حرة تشمل القارتين (العالم الجديد).

الغاضبون في سياتل يطالبون بعالم أكثر عدلاً ويتشككون في حقيقة نوايا الكبار إزاء الغالبية العظمى من دول العالم التي تكتوي بنيران العولمة ولا تقدر على تحديها لأنها إن رفضتها صارت خارج التاريخ وإن قبلتها صارت تحت مقصلته.

اللافت أن الذين يطالبون بعالم أكثر عدلاً والمدافعين عن حقوق الدول النامية هم في معظمهم من شعوب الدول الأكثر تقدمًا... لماذا؟!

وتحول الاحتفال بعيد العمال في معظم العواصم الأوربية هذا العام إلي فرصة للتنديد والاحتجاج على شراسة العولمة اقتصاديًا وسياسيًا ولم تقتصر تلك التظاهرات على تلك العواصم الأوربية بل امتدت من النرويج إلى كوبا ومن ملبورن إلى مكسيكو سيتي حيث نظم المناهضون للرأسمالية ونقابات العمال احتجاجات عارمة في عيد العمال.

واعتقل المئات بعد اشتباكات مع الشرطة شابت التظاهرات التي شهدتها استراليا وألمانيا وسويسرا وبريطانيا بينما اجتذب التجمع الذي شهدته العاصمة الكوبية هافانا الملايين في حملة مناهضة للرئيس الأمريكي جورج بوش.

وشهدت ألمانيا واحدة من أسوأ الاحتجاجات العمالية في عيد العمال منذ عقود واستخدمت الشرطة القنابل المسيلة للدموع وخراطيم المياه ضد آلاف المحتجين في العاصمة برلين وفرانكفورت بعد أن ألقوا الحجارة والزجاجات الفارغة على أفراد الشرطة.

وفي أوسلو ألقى محتجون فطيرة بالقشدة في وجه وزير الخارجية النرويجي توربيورن باغلاند.

وفي سيدني وملبورن طوق محتجون مناهضون للعولمة مباني بورصة الأسهم الاسترالية بينما قام متظاهرون مناهضون للرأسمالية بالاحتشاد في الحي التجاري في العاصمة البريطانية لندن وقامت مجموعة صغيرة بأعمال شغب وحطمت واجهات المحال التجارية والبنوك وقدرت خسائر وسط لندن بنمو 30 مليون دولار.

ويقول المحتجون إن نفوذ الشركات الكبرى تضخم وأصبحت تحدد مصائر البشر وأن نفوذها امتد أيضًا إلى سياسات حكومات منتخبة ديمقراطيًا.

وكانت سلسلة مطاعم ماكدونالدز هدفًا متكررًا في شل هذه الاحتجاجات وكتب المتظاهرون علي جدرانها شعارات مناهضة مثل «قذارة... ماك».

لم تكن الرأسمالية والعولمة وحدها هما هدف احتجاجات الثلاثاء.

تحرير التجارة أم استعباد البشر... ؟!

ويحمل مصطلح العولمة في طياته الكثير من التبعات على الدول التي ترغب في الانضمام لمنظمة التجارة العالمية إذ لا يقتصر الأمر على الجانب الاقتصادي المتمثل في الالتزام بحرية التجارة أو عدم فرض قيود جمركية أو ضريبية على الواردات وفتح الأبواب على مصراعيها للاستثمارات الأجنبية ومعاملة الشركات الأجنبية في هذا المجال كالشركات المحلية فالعولمة لها جوانب سياسية وثقافية، إذ أن معظم دول العالم الثالث الراغبة في الانضمام للمنظمة مطالبة بالتنازل عن كثير من ثوابت قيمها وثقافتها ومعتقداتها فقط لتكون من رعايا هذه المنظمة العالمية الفرضية للأساسية التي يقوم عليها صرح منظمة التجارة العالمية إن حرية التجارة الدولية تقود إلى تحرير الإنسان العادي في جميع مجتمعات العالم عن طريق إشاعة الديمقراطية فإذا كانت منظمة التجارة العالمية تلقي معارضة من قبل أعرق المجتمعات الديمقراطية في أمريكا الشمالية وأوروبا كما حدث في مؤتمر كويبك مؤخرًا.

ويرى الدكتور طلال بنان أن ليبرالية الاقتصاد الذي تحمل لواءه منظمة التجارة العالمية تعكس فكرًا متخلفًا ظن الكثيرون أنه اندثر منذ القرن قبل الماضي عندما ظهر فكر أكثر عذرًا يقوم على تحديد المسؤولية الاجتماعية للدولة وليس ربطها باحتكارات رأسمالية تعتبر رأس المال هو أداة الإنتاج الرئيسية.

ويضيف لقد ساد هذا الفكر التحرري مجتمعات كانت معاقل للرأسمالية في العالم ووصلت إلى الحكم في كثير من تلك المجتمعات أحزاب سياسية ورقتها الانتخابية كانت تقوم حول فكرة تعظيم مسؤولية الدولة الاجتماعية.

ويوضح وجهة نظره بالقول ويمكن تفهم لماذا تتزاحم حكومات كثير من دول العالم الثالث علي عضوية المنظمة بالرغم من عدم استعدادها السياسي والاجتماعي والثقافي لتحمل مسؤليات تلك العضوية من باب: ملعون إن فعلت ملعون إن لم تفعل... ! ولكن السؤال هنا ألا يثير رد الفعل السلبي من قبل مواطن هذه المجتمعات لهذه القضية شكًا حول مشروع انضمامها للمنظمة... !؟

قد يقول قائل إنه المواطن العادي في معظم تلك المجتمعات ليس له دور في تشكيل خيارات مجتمعه السياسية ولا في تشكيل رموز قيادته ومؤسساته السياسية.. دعك من

كونه مهتمًا بعلاقات بلده الخارجية أو حركة تجارتها الخارجية إلا أن هذه المرونة التي تتمتع بها حكومات هذه المجتمعات ليست سوى مصادر غير مرئية لتفعيل مزيد من الضغط على تلك الحكومات من قبل منظمة التجارة العالمية في سبيل الحصول على تنازلات أكبر من تلك الحكومات الساعية لعضوية المنظمة.. وليس العكس فبينما نجد ضغوطًا هائلة من قبل فئات في داخل الأعضاء الرئيسيين في المنظمة تجابه بسلبية مطلقة من قبل مواطني الدول النامية.. منتهي التناقض والسلبية..!

ويلفت إلى نقطة أساسية وهي كون منظمة التجارة العالمية تأخذ مبدأ الليبرالية في التجارة العالمية علي إطلاق. مؤكدًا أنها تأخذ منه ما يناسب توسيع نطاق صادرات أعضائها الرئيسيين.

ويشير إلى أن النفط مثلاً سلعة استراتيجية لتحفيز صادرات الدول الرأسمالية إلا أنه من السلع التي تتداول خارج نطاق السوق الحرة لمنظمة التجارة العالمية لسبب بسيط هو أنها قد تكون السلعة الوحيدة التي تتمتع بها كثير من دول العالم الثالث بميزة تنافسية حقيقية.

هل بعد ذلك يمكن أن تصدق بأن هناك علاقة بين حرية التجارة والديمقراطية... لندع مجتمعات الديمقراطية تصدقها أولاً.

العولمة قديمًا وحديثًا:

وبالعودة إلى التاريخ نجد أن العولمة هي وجه آخر للرأسمالية وعودة جديدة بطرق ملتوية لأساليب الهيمنة والسيطرة من قبل الدول الاستعمارية آنذاك على مقدرات وثروات الشعوب ونسيت هذه الدول التي تحمل لواء العولمة حاليًا أن الرأسمالية في يوم ما عصرت اللحم البشري في آلات المصانع بعد أن طافت سفنهم الآفاق بحثًا عن الذهب والقطن وخيرات الشعوب وخطف السود لتحولهم إلى رقيق على الجانب الآخر من الأطلس.

وفرضت نظامًا اقتصاديًا بحجة العولمة يزيد من ثراء الأثرياء ويزيد من فقر الفقراء في مصادرة لحريات الشعوب المغلوبة على أمرها وبتصرف لا يقل عن تصرف شيلوك اليهودي بطل مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) الذي أبى إلا أن يأخذ لحمًا بشريًا حيًا مقابل دين العميل الذي لم يستطع السداد.. والعولمة ذات اتجاه ليبرالي

مفرق في التطرف لا يريد من اقتصاديات العالم النامي أن يتحرر من الفقر والجوع دون تحقيق لأي توازن اقتصادي لأنه ينتهي بالتوقيع على اتفاقية منظمة التجارة العالمية (الجات) التي أجبرت الشعوب على توقيعها، لأنها ستتولى فرض العقوبات علي من يرفض حرية التجارة التي تركز الثروة في مناطق محدودة في العالم بعد اتساع الفروق الاقتصادية بين الدول.

والآن تستخدم الدول الرأسمالية صندوق النقد الدولي أداة ضغط أخري على تلك الدول النامية سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وأيدلوجيًا والعالم المتقدم بتجاهل ما تمر به عندما عجزت عن حل مشاكلها مع هذا الصندوق لأن أسعار الفائدة حولتها إلى رهينة في قبضة الآخر في ضوء سياسات ليبرالية تعتمد على العولمة التي تحمي في النهاية مصالح الأثرياء وتضر بالعمال والطبقات الوسطى في أسلوب فوضوي غير مسؤول في البورصات والأسواق النقدية العالمية التي بدأت تنذر بعض الدول النامية بانهيارات اقتصادية هائلة كما حل في أندونيسيا والبرازيل وغيرهما مما شجع بعض المنظمات الإنسانية أن تهب للنضال من خلال مظاهرات جماعية في مختلف أنحاء العالم لوقف جنون العولمة ودكتاتورية صندوق النقد الدولي الذي يمارس الضغط على الدول الفقيرة تحقيقًا لجانب الإنسانية المشرق وحماية للبيئة ومراعاة للعدالة الاجتماعية الحقة.

كتاب فخ العولمة:

ولفهم قضية العولمة لابد من الرجوع إلى أحد أهم الكتب التي تناولت الموضوع بشكل محايد وموضوعي وهو كتاب (فخ العولمة والاعتداء على الديمقراطية والرفاهية) لمؤلفيه هانس بيتر مارتن وهارلدشومان والذي بات أحد أهم المراجع في هذا المجال.

لقد طرح المؤلفان مجموعة من الطروحات المهمة التي تستحق التأمل والتفكير لفهم قضية العولمة من منظور يختلف عن المنظور الزائف الذي غالبًا ما تطرحه علينا وسائل الإعلام المختلفة منها:

إن العولمة من خلال السياسات الليبرالية الحديثة التي تعتمد عليها تنذر بقيام حركة مضادة للديمقراطية ومبادئ العدالة الاجتماعية تقتلع كل ما حققته الطبقة العاملة

والطبقة الوسطى من مكتسبات وتبدو قتامة المستقبل الذي سيكون صورة من الماضي المتوحش للرأسمالية في فجر شبابها إذا سارت الأمور على منوالها الراهن إذ من المتوقع أن يكون هناك فقط 20% من السكان الذين يمكنهم العمل والحصول على الدخل والعيش في رغد وسلام أما الباقون وهم 80% فهم السكان الفائضون عن الحاجة الذين لن يستطيعوا العيش إلا من خلال الإحسان والتبرعات وأعمال الخير.

إن المصالح المشتركة لأصحاب رؤوس الأموال جمعت بينهم وجعلتهم يهددون بتهريب رؤوس أموالهم ما لم تستجب الحكومات لمطالبهم مثل منحهم تنازلات ضريبية سخية، وتقديم مشروعات البنية التحتية لهم مجانًا.

وإلغاء أو تعديل التشريعات التي كانت تحقق بعض المكاسب للعمال والطبقة الوسطى مثل قوانين: الحد الأدنى للأجور، ومشروعات الضمان الاجتماعي والصحي، وإعانات البطالة وتحويل كثير من الخدمات العامة التي كانت تقوم بها الحكومات لكي يقوم بها القطاع الخاص (الخصخصة) ويشير الكتاب إلى أنه مع نمو العولمة سيزداد تركز الثروة وتتسع الفروق بين البشر والدول اتساعًا لا مثيل له، يقول المؤلفان إن (358) غنيًا في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يمتلكه (5. 2) مليار من سكان المعمورة وأن هناك 20% من دول العالم تستحوذ على 85% من الناتج الإجمالي العالمي وعلى 84% من التجارة العالمية ويمتلك سكانها 85% من مجموع المدخرات العالمية وهذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة إذ تستأثر قلة من السكان بالشطر الأعظم من الدخل الوطني والثروة القومية وتعيش أغلبية السكان علي الهامش.

وفي الفصل الثالث من الكتاب الذي خصصه المؤلفان للكلام عن صندوق النقد الدولي والأسواق النقدية العالمية يبينان أن العالم تحول إلى رهينة في قبضة حفنة من كبار المضاربين الذين يتاجرون بالعملات والأوراق المالية مستخدمين مليارات الدولارات التي توفرها البنوك وشركات التأمين وصناديق الاستثمار الدولية وصناديق التأمينات والمعاشات وقد سبب هؤلاء المضاربون عددًا من الأزمات وأصبحت لديهم

مقدرة فائقة علي التحكم برفاهية أو فقر شعوب ودول برمتها دون أن توجد أي سلطة محلية أو عالمية لمحاسبتهم أو ردعهم.

وعند الحديث عن النمو المطرد للبطالة وتحت سياط السعي المحموم لخفض كلفة الانتاج وزيادة الأرباح تمت (مذبحة العمالة) في البنوك وشركات التأمين وحتي في قطاع صناعة الكمبيوتر. إذ بدأت الشركات الكبرى تستورد العلماء الهنود ذوي الرواتب المنخفضة ليحلوا محل العلماء الأمريكيين وحينما تدخلت الحكومة الأمريكية للحد من هذا السلوك قامت الشركات بنقل جزء من أنشطتها إلى نيودلهي.

انتقادات عربية:

وفي عالمنا العربي تتعالى الأصوات المنتقدة لمفاهيم العولمة التي تفتقد للعدالة وتعتمد أسلوب الغابة حيث لا مكان للضعيف، والبقاء للأقوى ولتسقط القيم الإنسانية والأخلاقية تحت أقدام المادية « وعولمة القوة وقوة العولمة.. وعلى المستوى الرسمي مثلاً تشكو المملكة العربية السعودية من أن أنظمة منظمة التجارة لا تراعي العدالة والإنصاف في التعامل بين الدول الصناعية القوية اقتصاديًا وتكنولوجيًا وبين الدول النامية.

وتطالب المملكة بضرورة توفير فرص أوفى للدول النامية وتبادل عادل للمنافع وليس لصالح الطرف القوي على حساب الطرف الضعيف كما تشدد المملكة على ضرورة احترام خصوصيات الشعوب العقائدية والثقافية وعدم الزج بها في ميادين التجارة وفيما يتعلق بإجراءات مفاوضات الانضمام للمنظمة تري المملكة والعديد من الدول أنها تعوزها المعايير والمبادئ الإرشادية العامة التي تحدد معالم واضحة للانضمام مما يجعل من المفاوضات مسألة طويلة ومعقدة وإجراءاتها تطول، كما لا تنجو المنظمة من اتهام يتعلق بعدم اهتمامها بالتمسك بمبادئها تجاه نظام تجاري متحرر دولي يقوم على مبادئ القواعد وحكم القانون ويرتكز على مبدأ الشفافية.

ناقوس خطر:

ومن جانبه يدق رئيس جمعية رجال الأعمال المصريين في فرنسا محمود عمارة ناقوس الخطر مما ستحدثه تطبيقات اتفاقيات منظمة التجارة والتي يبدأ العمل بها في يناير عام 2005 ووصف بداية التطبيق بأنه بمثابة حرب عالمية ثالثة لكنها تختلف

عن سابقيها الأولى والثانية بكونها حرب اقتصادية تختلف أدواتها وأسلحتها عن سابقيها التي كانت تستخدم الأسلحة العسكرية من طائرات ودبابات وبوارج وصواريخ. ويضيف عمارة أن حرب العولمة لا تحتاج إلى أراضي والاستيلاء عليها أو احتلال الشعوب فتلك هي الأساليب القديمة للحروب لكن الحرب الاقتصادية في ظل العولمة تعتمد على احتلال أسواق الدول، وقال لكي تستطيع الدول النامية أن تواجه وتخوض حرب العولمة فعليها أن تستعد وتتسلح بالأسلحة اللازمة وهي كما سبق أن قلت ليست أسلحة حربية بل أسلحة مدنية فبدلاً من الطائرات المقاتلة والقاذفة يجب أن يكون لدى هذه الدول سلاحٌ جوي مختلف يتضمن طائرات شحن مدنية تكون قادرة على نقل المنتجات والسلع إلي الأسواق الخارجية.

واستطرد قائلاً أن أسطول البوارج البحرية يستبدل في حرب العولمة بأسطول ناقلات بحرية تؤدي نفس الغرض الذي تقوم به طائرات الشحن المدنية وتكون عبر خطوط منتظمة حتى تضمن الحفاظ على الأسواق ولا تضيع في ظل المنافسة الدولية.

السوق العربية المشتركة:

ودعا رجل الأعمال المصري إلى ضرورة أن تتجه الدول العربية وبدون إبطاء وبخطوات جادة نحو إقامة السوق العربية المشتركة حتى تتمكن من بناء تكتل اقتصادي قوي وقادر على التعامل مع الخارج بنفس لغة العولمة الاقتصادية التي تحمي الدول الداخلة في هذا التكتل بدلاً من التعامل منفردة وقال إنه قبل أن نصل إلى السوق المشتركة التي تحتاج لمراحل وخطوات عديدة جادة علينا أن نزيد من حركة التبادل البيني بين الدول العربية كخطوة تسبق منطقة التجارة العربية الحرة التي ما تزال تواجهها مشكلات التطبيق.

وقال هل تصدق أن التجارة البينية العربية لا تتجاوز نسبة 5. 8% من إجمالي التجارة العربية مع العالم الخارجي وهي نسبة ضئيلة جدًا ينبغي أن نرفعها كخطوة أولى نحو تحقيق التكتل الاقتصادي وتساءل هل من المستحيل أن نرفع النسبة إلى 10% أو 40% مثل التكتل الآسيوي أو 60% مثل التكتل الأوربي ويجيب بأن التجارة والاقتصاد هي لغة أرقام صادقة وليست ضربًا من الأحلام والخيالات وإذا ما وضعنا خطة للوصول لهدف معين نلتزم به فلابد أننا سنصل.. المهم التنفيذ بجدية

وفق خطوات تتضمنها الخطة التي وضعناها.. مؤكدًا أن لا سبيل أمام الأمة العربية سوي العمل الجاد وأن تتعلم وتستفيد من تجارب الآخرين ولا وقت لديها تضيعه لتخسر المزيد.

أما الاقتصادي اللبناني الدكتور عبد الله جبور فإنه يري أن قوانين العولمة لم تراع العدالة ولم تستخدم القيم الأخلاقية التي تمنع القوى من افتراس الضعيف ولكن لا مجال أمام الدول النامية ومنها الدول العربية من التعامل مع هذه القوانين لأن رفض التعامل معها سيفرض أسوارًا عالية من العزلة حول هذه الدول والأفضل لها أن تقبل بشراسة المنافسة وتعيد هيكلة اقتصادياتها وصناعاتها وتهيء مؤسساتها للعمل في ظل قوانين العولمة المجحفة.

المصدر : http://www.almuhayed.com

============

#تحدي العولمة كيف يمكن لاقتصاديات العالم الإسلامي أن تواجهه ؟

عبد الرحمن سعيد

يشير مصطلح "العولمة" في جانبه الاقتصادي إلى "تحرُّر العلاقات الاقتصادية القائمة بين الدول من السياسات والمؤسسات القومية والاتفاقيات المنظِّمة لها، وذلك بخضوعها التلقائي لقُوى جديدة أفرزتها التطورات التقنية والاقتصادية، وتعيد هذه القوى الجديدة تشكيل وتنظيم العلاقات الاقتصادية بشكل طبيعي على مستوى العالم كله باعتباره وحدة واحدة"، وهناك شبه اتفاق على أن "العولمة" تستند على خمس ركائز أساسية هي:

1- حرية الاستثمار في أي مكان في العالم، أي حرية رأس المال الخاص في الحركة دون أي عوائق تحول دون حركته.

2- حرية إقامة الصناعة في أنسب الأماكن لها في العالم بغض النظر عن الجنسية أو السياسة القومية لأي دولة.

3- عالمية الاتصالات التي ترتبت على تطور تقنيات وصناعة الأقمار الصناعية.

4- عالمية المعلومات التي ترتبت على تطور تقنيات وصناعة الحاسبات الآلية جنباً إلى جنب مع تقنيات وصناعة الأقمار الصناعية.

5- عالمية النمط الاستهلاكي وحرية المستهلك في الشراء من المصدر الذي يختاره في العالم.

وكما تشير الركائز التي تقوم عليها "العولمة" فإن الشركات متعددة الجنسيات تمثل القاطرة التي تقود قطار العولمة، وهي شركات عملاقة تتعدى حدود الدول بحيث تنتشر استثماراتها وعملياتها الاقتصادية والتجارية على مستوى العالم كله، وتمثل هذه الشركات العملاقة قمة التطور الرأسمالي الغربي، وتتسم هذه الشركات العملاقة بحجم مبيعاتها الضخم، فمثلاً شركة "ميتسوبيشي" اليابانية بلغ حجم مبيعاتها عام 1995 مبلغاً قدره 184. 4 مليار دولار، ويشير تقرير الاستثمار العالمي لعام 1995 أن عدد الشركات متعددة الجنسيات في العالم يبلغ 37 ألف شركة تعمل من خلال 200 ألف فرع وبلغ رصيد استثماراتها 2. 7 تريليون دولار عام 1995 مقابل استثمار قدره 370 بليون دولار عام 1978، يستحوذ على 50% من رصيد هذه الاستثمارات مائة شركة عالمية، وهذه الشركات متعددة الجنسيات مسئولة عن ثلثي الإنتاج العالمي، وتمتلك 75% من الطاقة العالمية للبحث والتطوير، وتستخدم 73 مليون عامل يمثلون 10% من حجم الاستخدام العالمي، أي أن القوة التي تروج للعولمة هي قوة اقتصادية جبارة تريد أن تجعل من العالم كله مجالاً مفتوحاً لأنشطتها بلا أي قيود أو عوائق من أي نوع كانت، وتستعين هذه الشركات العملاقة متعددة الجنسية بهيئات ومؤسسات مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي ووكالات الأمم المتحدة المختلفة العاملة في ميادين التنمية والثقافة وأجهزة الاستخبارات في الدول الكبرى، ومختلف وسائل التأثير في الرأي العام مثل الصحف والمجلات السيارة وشبكات التلفاز والمؤسسات المانحة للجوائز الدولية المهمة أو المشتغلة بحقوق الإنسان كما أنها لا تدخر وسعاً في تجنيد الكُتَّاب والمفكرين الذين يروجون لأفكار العولمة والكونية.

وبالإضافة إلى الشركات متعددة الجنسيات تأتي ثمار ثورة التقنية خاصة فيما يتصل بالمعلومات والاتصالات بحيث يمكن للمرء وهو في أي مكان في العالم أن يتصل بأي مكان آخر وأن يحصل على ما يريد من معلومات، وشبكات "الإنترنت" - الخط السريع الدولي للمعلومات - تمثل أكبر شاهد على ذلك، ولم يعد التبادل بين البشر أو الدول قاصراً فقط على السلع ورؤوس الأموال بل امتد ليشمل الأفكار

والمعلومات، وأصبحت الأفكار والمعلومات هي العنصر الأهم والغالب في العلاقات الإنسانية، ولم يعد استيراد القيم أو الأفكار مرتبطاً بحجم التجارة أو حجم تدفق الأشخاص أو رؤوس الأموال بل أصبح استيراداً مباشراً عن طريق الاتصال بمصدر هذه الأفكار والقيم، وكما هو واضح من السياق السابق فإن العولمة تدعو للحرية الاقتصادية بمعناها الواسع بعيداً عن أي قيود أو سلطة، ومن ثم فإنها تبدو وكأنها المرادف – على المستوى الاقتصادي – لمقولة "فرانسيس فوكاياما" الشهيرة "نهاية التاريخ" وما ارتبط بها من مقولات أخرى مثل "نهاية الأيديولوجيا" وتحوُّل الإنسان إلى حيوان اقتصادي لا يتحكم في سلوكه سوى غرائزه المادية المتصلة بالإنتاج والاستهلاك، أي أن العولمة هي تعبير عن نمط جديد للحياة هو ذلك الذي صمد واستمر وهو نمط الحياة الرأسمالية الغربية، ومسألة الإلحاح الدائم مع فكرة "العولمة" يفرض ضرورتها لأنها الموجة الجديدة التي تكتسح العالم ولا يصح لأحد أن يتخلف عن ركوبها.

إن العولمة تهدف إلى أن يصبح العالم سوقاً تحكمها قواعد الربح والاحتكار والمنافسة بينما يصبح الإنسان جزءاً من هذه السوق الكبيرة لا تسيِّره هو الآخر سوى قواعد البيع والشراء والمكسب والخسارة، ومن ثم يتم نزع أهم ما في الإنسان، وهو هويته وثقافته ودينه وكرامته وانتماؤه وولاؤه وبراؤه، وفي الواقع فإن هذا المفهوم "العولمة" لا يمكن أن يكون محايداً ولكنه يستبطن ترويجاً لأفكار قُوى رأس المال الجبارة الغاشمة، والتي تريد تفكيك مجتمعات العالم الإسلامي على المستوى السياسي والثقافي لصالح الشركات متعددة الجنسيات، على المستوى السياسي بضرب قوة الدولة في العالم الإسلامي وتحويلها إلى ما يطلق عليه "الدولة الرخوة" أي التي تقل سيطرتها على مقدرات أوطانها، وعلى المستوى الثقافي بضرب ثقافة المجتمعات الإسلامية والترويج لنمط الحياة الغربي عبر دعاوى حرية المرأة، وحرية الرأي، وحقوق الإنسان والأقليات.

إن قوى العولمة تقوم بعمليتين متناقضتين في آن واحد: فهي تسعى إلى تكتل قوى رأسمالية على المستوى الكوني حتى يمكن تعميق سيطرة هذه القوى وهيمنتها، وفي نفس الوقت هي تسعى إلى تفكيك مصادر التوجيه والضبط والوعي في العالم

الإسلامي عبر أنماط بديلة تخدم أهداف القوى الرأسمالية الغربية، ومن المثير أن "العولمة" تم التعبير عنها في العالم العربي بمصطلح "الشرق أوسطية"، حيث يصبح الاقتصاد ورأس المال ومشاريع التنمية هي أدوات حل الصراع بين العالم العربي والكيان الصهيوني، حيث يمكن أن يوجد إنسان جديد في المنطقة هو "الإنسان الشرق أوسطي" الذي لا يهدف إلا إلى تحقيق مصلحته باعتبارها جوهر العقلانية والعلمية، ومن ثم فإن هذا الإنسان لن يشعر بأي حرج في أن يبحث عن مصلحته عند الصهيوني واليهودي فيؤْثِره على أخيه المسلم إذا لم يكن لدى أخيه نفس المصلحة أو كانت لديه لكنها أقل، ومن ثم فإن "العولمة" لها منطقها الذي تروج له وقواعدها التي لا تقاوَم، وهذه القواعد تستبعد أن يكون "للإسلام" – باعتباره المرجعية العامة والحاكمة للسلوك الإسلامي على مستوى الأفراد والجماعات والحكومات – دخْل في ضبط ما يتنافى مع أحكامه مما تأتي به العولمة، فمثلاً هل المسلمون يرحبون بكل أشكال الاستثمار الأجنبي بصرف النظر عن طبيعة الأنشطة التي يوجَّه إليها هذا الاستثمار؟، فالتركيز على قطاع السياحة وما يرتبط به من نوادٍ للقمار وفنادق تستورد الخمور وتنشط فيها حفلات الرقص الماجنة سوف يتم رفضه، وهل المسلمون يرحبون بالاستثمارات الأجنبية في قطاع الصناعة حين تجذب عناصر الإنتاج المحلية لإنتاج سلعة ترفية كالسيارات الفارهة ومساحيق التجميل والعطور بدلاً من إنتاج سلع ضرورية أو حاجية عليها طلب عام من أصحاب الدخول المنخفضة أو المتوسطة؟، كما قد يقرر أصحاب الاستثمارات الأجنبية سحبها خاصة لو كانت استثمارات ضخمة في محافظ الأوراق المالية وهو ما قد يؤدي إلى انهيار مفاجئ في البورصات كما حدث في اقتصاديات دول جنوب شرق آسيا، كما أن حرية رأس المال وعولمة الاستثمار قد تدفع رؤوس أموال إسلامية صافية إلى أن تتجه إلى خارج العالم الإسلامي في الدول المتقدمة، وتشير الإحصائيات إلى أن تدفقات الاستثمارات الأجنبية إلى البلدان المتقدمة أضعاف تدفقاتها إلى البلدان النامية، وأكدت إحصائية أن ما يمتلكه المصريون من أسهم في أوروبا وأمريكا يزيد عن المائة مليار دولار، وتشير التقديرات إلى أن الفوائض المالية للدول العربية والإسلامية المودعة في مصارف أمريكا والدول الغربية تبلغ 800 مليار دولار، وهذا

يؤكد غياب الوعي الإسلامي والتضحية بمصالح البلدان الإسلامية من أجل مصالح مادية بحتة لمن يملكون هذه الأموال، وهنا تثور قضية مَن الذي يستخدم الأموال المسلمة في العالم الغربي، وفي أي المجالات يتم استخدامها؟، وألا يمكن أن تقع هذه الأموال في أيدي أعداء الإسلام والمسلمين من المحاربين كاليهود أو الصرب مثلاً، ومن هنا فإن الحضور الإسلامي كجزء من وعي المسلم وهويته – يمثل أحد الحقوق الأساسية التي يواجه بها العالم الإسلامي مخاطر العولمة.

وبالنسبة للحديث عن المستهلك العالمي – باعتباره أحد الركائز التي تستند إليها العولمة – فإن المستهلك يمكن تلبية طلباته في أي مكان في العالم بسبب سرعة وسائل الاتصال، وبسبب تحرر التجارة من القيود الحمائية وسهولة قيامه بالتحويلات المصرفية عبر الشبكة المصرفية التي تعتمد على شبكة الاتصال العالمية، وفي الواقع فإن زيادة كفاءة عناصر الإنتاج لابد وأن تتجه إلى تحقيق رفاهية المستهلك، بيد أن التفاوت الهائل في مستويات المعيشة بين المستهلك في بلجيكا أو سويسرا وبين المستهلك في سيراليون يجعل من مقولة المستهلك العالمي هذه أكذوبة كبرى إلا إذا كان يقصد به المستهلك الغربي، فمتوسط دخل المواطن في سيراليون يبلغ 180 دولاراً، بينما يبلغ متوسط دخل المواطن في اليابان 30000 دولار وفي سويسرا 40. 630 دولار وفي أمريكا000 27 دولار.

اقتصاد العالم الإسلامي:

يبلغ عدد الدول الإسلامية المشتركة في منظمة المؤتمر الإسلامي 55 دولة، ويبلغ عدد سكانها 21. 5% من مجمل السكان في العالم بينما تبلغ مساحة العالم الإسلامي 25% من مجمل المساحة الكلية للعالم، بينما لا تزيد مساهمة العالم الإسلامي في الإنتاج العالمي عن 3. 5% من جملة هذا الإنتاج، ولو قارنا بين العالم الإسلامي – بدُوله الخمس والخمسين – وبين الاتحاد الأوروبي مثلاً لهالتنا المقارنة، إذ يبلغ الناتج المحلي الإجمالي للاتحاد الأوروبي عشرة أمثال الناتج المحلي للعالم الإسلامي سبعمائة مليار للأول وسبعة تريليون للثاني) بينما تبلغ صادرات الاتحاد الأوروبي أيضاً عشرة أمثال صادرات العالم الإسلامي مائتان وثمانون مليار دولار للأول، وحوالي ثلاثة تريليون دولار للثاني)، وبالطبع فإن

الاتحاد الأوروبي يمثل سوقاً واحدة لها نظام جمركي واحد، أما العالم الإسلامي فإنه أسواق متعددة بنظم جمركية متباينة، ولو قارنا مثلاً حجم الناتج المحلي الإجمالي للعالم الإسلامي كله بدولة مثل اليابان – لوجدنا نسبته 1: 6 لليابان بينما نسبة الصادرات بين الاثنين تبلغ 1: 14 لليابان، على الرغم من أن عدد سكان اليابان يبلغ عُشر سكان العالم الإسلامي، ولكن هذا لا يعني أن العالم الإسلامي ليس لديه مقومات التكامل الاقتصادي الذي يعد فريضة شرعية لا يجوز التأخر عنها أو إهمالها، وأهم هذه المقومات الآتي:

1- الامتداد الجغرافي الواسع للعالم الإسلامي على ثلاث قارات (إفريقية – أوروبا – آسيا) ويتسم هذا الامتداد بتنوع الموارد الطبيعية فمثلاً الغابات تبلغ مساحتها حوالي 3445 ألف كم2 ولدى بعض دول العالم الإسلامي والعربي حوالي 1147. 7 ألف كم2 أراضٍ محمية.

2- يبلغ عدد السكان في العالم العربي والإسلامي حوالي 1042. 5 مليون نسمة أي أكثر من 21% من تعداد سكان العالم (عام 1997)، وتبلغ مساحة العالم العربي والإسلامي حوالي 30751. 8 مليون كم2 أي حوالي 25% من مساحة العالم، فالعالم الإسلامي سوق واسعة يمكنها أن تحقق مفهوم الإنتاج الكبير بكل معانيه.

3- تملك الدول العربية والإسلامية 73. 1% من الاحتياطي العالمي من النفط الخام، وينتج 38. 5% من الإنتاج العالمي ويمثل النفط أهم صادراته حوالي 90% من جملة الصادرات بيد أن 90% من النفط يصدرها العالم الإسلامي خاماً وليس مصنعاً وهو ما يهدر عائدات وفوائض مالية تزيد بعشرات المرات عن بيع النفط خاماً، ولدى العالم الإسلامي احتياطي من الغاز الطبيعي يبلغ 39. 7% من الاحتياطي العالمي، ويبلغ إنتاج العالم الإسلامي منه 19. 8%، وأندونيسيا هي الأولى في تصديره بنسبة 14%، تليها السعودية.

4- يوجد لدى العالم الإسلامي كميات هائلة من الفحم فالمغرب ينتج وحده (75 مليون طن) تليه الجزائر (40 مليون طن) ومصر (36 مليون طن) وأندونيسيا (27. 5 مليون طن) وتركيا (3 ملايين طن) كما يوجد خام الحديد ويقدر مجمل احتياطيه بـ (17 مليار طن) تتوزع بين الجزائر وموريتانيا وليبيا والسعودية، وينتج العالم

الإسلامي 8. 3 مليون طن حديد الآن، ولدى العالم الإسلامي كِبريت يقدر بـ 18% من جملة الاحتياط العالمي، ولديه أسمنت.

5- لدى العالم الإسلامي 80 مليون هكتار أرض زراعية صالحة للزراعة ولم يتم استغلالها حتى الآن وهي تمثل 85. 4% من جملة المساحة الصالحة للزراعة في هذه الدول بينما يستورد العالم الإسلامي مواداً غذائية من الخارج تقدر بـ 33 مليار دولار (عام 1994) ولو تم استخدام جزء يسير من هذه الأموال في استغلال هذه الأراضي لوفرت الكثير على العالم الإسلامي.

6- تبلغ الفوائض النفطية للدول العربية والإسلامية في المصارف الأمريكية والغربية حوالي 800 مليار دولار، تملكها دول نفطية، واقتصادياتها لا يمكنها استيعاب هذه الفوائض، بينما توجد دول أخرى لديها القدرة على استيعاب واستغلال هذه الفوائض وهو ما يعود بالخير على العالم الإسلامي بدلاً من الأعداء.

7- يبلغ إجمالي التجارة البينية بين الدول العربية حوالي 10% من تجارتها الخارجية بالنسبة للصادرات وحوالي 10. 33% بالنسبة للواردات، (بينما تبلغ التجارة البينية بين دول الاتحاد الأوروبي حوالي 70%)، وهذه النسبة من التجارة البينية بين الدول الإسلامية يأتي بدون تنسيق أو اتفاق.

أي أن العالم الإسلامي يملك مقومات السوق الواحدة والإنتاج الكبير ويملك مقومات التكامل الاقتصادي وهو ما يجب على العالم الإسلامي أن يفعله بلا تأخير لأن اتفاقية الجات سيتم بدء تنفيذها عام 2004 م على الجميع، ومن المعلوم أن 34 دولة إسلامية أعضاء في اتفاقية الجات التي بدأ تطبيقها فعلاً في شهر أبريل عام 1994.

مواجهة العولمة:

لا سبيل للعالم الإسلامي لمواجهة العولمة إلا سعيه الجاد لتحقيق التكامل الاقتصادي بين دوله، فالعالم يعيش عصر التكتلات الكبيرة، ولا مستقبل لأي دولة بمفردها تحاول مواجهة زحف العولمة، ونعني بالتكامل وضع آليات تستهدف إلغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية التابعة لدول مختلفة وتبدأ خطوات التكامل بمنطقة التجارة الحرة، حيث تُلغى الضرائب الجمركية والقيود المفروضة على التجارة الخارجية بين

الدول التي تشترك بمنطقة التكامل، وهناك العديد من المناطق الحرة بين البلدان العربية والإسلامية ثم تأتي مرحلة الاتحاد الجمركي وفيها يتم توحيد الإجراءات الجمركية على التبادل التجاري لكل الدول الأعضاء - في الاتحاد - مع غير الأعضاء ثم تأتي مرحلة السوق المشتركة وفيها يتم إلغاء القيود على حركة عوامل الإنتاج ثم يأتي الاتحاد الاقتصادي وفيه توجد درجة معينة من التنسيق بين السياسات الاقتصادية للدول الأعضاء، وأخيراً يأتي الاندماج الاقتصادي الكامل - أي الوحدة - وفيه توجد سلطة عليا يكون لها الحق في اتخاذ قرارات إلزامية لكل الدول الأعضاء، وعلى الدول الإسلامية أن تبدأ بتنمية المؤسسات الموجودة لديها فعلاً والتي تشجع على تحقيق التكامل الإسلامي مثل البنك الإسلامي للتنمية بحيث يزيد رأس المال المصرح به إلى 10 مليار دينار إسلامي بدلاً من مليارين حالياً وهناك منظمات موجودة ضمن منظمة المؤتمر الإسلامي مثل "مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية والإحصائية والتدريب للدول الإسلامية" في أنقرة، والمركز الإسلامي لتنمية التجارة بالدار البيضاء، والغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع بكراتشي.

وعلى العالم الإسلامي أن تنشط تجارب التعاون والتكامل الاقتصادي لديه مثل "منظمة التعاون الاقتصادي" "إيكو" وهي تضم تركيا وباكستان، وتأسست عام 1964 وانضمت إليها أفغانستان وقازاقستان أوزبكستان وقرغيزستان وآذربيجان وتركستان عام 1992 وتطرح المنظمة مشروع إنشاء سوق مشتركة بين دولها، ولدى العالم الإسلامي "مجموعة الثماني" وتضم في عضويتها مصر ونيجيريا وتركيا وباكستان وأندونيسيا وماليزيا وبنغلاديش، وتشكلت بمقتضى إعلان إسلام بول "إسطنبول" في 15 من يونيه عام 1997، وتطرح المجموعة من المشاريع المشتركة بين دولها والتي تشجع على الاعتماد والتبادل بين دولها كخطوة على طريق تحقيق التكامل الاقتصادي.

إن العالم يشهد اندماجاً بين شركاته الكبرى متعددة الجنسيات كشركات النفط الكبرى البريطانية والأمريكية وشركات الطيران الكبرى وشركات السيارات الكبرى وشركات الدواء الكبرى وتشهد المصارف الكبرى اندماجاً بينها، وهذا الاندماج يأتي في إطار

سعي هذه الشركات إلى السيطرة على الأسواق وتحقيق التكامل بدلاً من التنافس، ولا يمكن للعالم الإسلامي أن يبقى مجزَّأً بنظم اقتصادية متعددة، ونظم جمركية متعددة؛ لأن قطار العولمة سيدهسه، وهذا ليس خياراً أو ترفاً إنما هو ضرورة شرعية وضرورة حياتية وضرورة وجود.

إن العالم مقبل الآن على مرحلة جديدة مختلفة – كيفياً ونوعياً – عما حدث في منتصف هذا القرن، وعلى الدول الإسلامية أن تبدأ بتأسيس بِنية تحتية حقيقية حتى يمكن لمشاريع التكامل بين الدول الإسلامية أن تستند إليها، مع الفصل الكامل بين الإرادة السياسية المتقلبة وبين مشاريع التعاون والتكامل الاقتصادي...

المصدر : http: //www.alsunnah.org

============

#في رأس السنة تحسسوا رؤوسكم

حسن عبد الحميد

يتخذ الغزو الفكري والعولمة الثقافية أشكالاً عديدة وألواناً مختلفة، لعل أخطرها ذلك الذي يتصل بالجانب العقدي ويتسلل بنعومة ويتسرب خفية فلا ينتبه الناس إلاّ وقد تورطوا في أعمال مخالفة للشرع منافية لأخلاقهم، وخير نموذج لذلك الغزو وأصدق تمثيل لتلك الممارسات ما يحدث في معظم بلاد المسلمين ليلة رأس السنة.

وابتداءً نزيل اللبس أو التلبيس الذي يلجأ إليه البعض في موضوع التعامل مع النصارى مستندين إلى فهم خاطئ لآية الممتحنة: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين). محملين الآية من المعاني ما لا تحتمله من مشاركة النصارى في أعيادهم الدينية، لكن العلماء فرَقوا بين البر بمعنى حسن المعاملة والعدل، وبين إقرارهم على كفرهم وضلالهم، فيجوز ـ مثلاً ـ أن تهنئ أحدهم بمولود جديد أو عودة من سفر أو شفاء من مرض، لكن لا يجوز تهنئتهم بعيد الكريسماس أو مشاركتهم الاحتفال به.

وعودة إلى موضوع الاحتفال بالكريسماس و رأس السنة، فقد أصبحت هذه الأعياد من الأعياد الثابتة عند معظم المسلمين، ويستعدون لها ويفرحون بها على قدم

المساواة ـ إن لم يكن أكثر ـ مع احتفالات أعياد المسلمين. وخطورة الاحتفال بأعياد الميلاد تتجلى ـ بالإضافة إلى البعد العقدي ـ فيما يصاحبها من ألوان المعاصي وأنواع المخالفات، فقد ارتبطت هذه الأعياد بليالي الغناء الممتدة إلى الفجر وما يصاحبها من رقص واختلاط وما يتبعها من تبرج وسفور.

على العقلاء من المسلمين ـ والأصل في المسلمين أنهم كلهم عقلاء ـ أن يتدبروا في معاني ومغازي الاحتفال بهذه الأعياد مع النصارى، ويحذروا من عواقب هذه الممارسات على دينهم وأثرها على أجيالهم. وليرصدوا معنا هذه الآثار على حياتهم:

ـ الاحتفال بأعياد الكريسماس والميلاد يدخل المسلم في فعل المحظور واقتراف المنهي عنه من اختلاط ومجون، وهذا محل إجماع بين علماء المسلمين.

ـ الاحتفال بأعياد النصارى يذهب بعقيدة الولاء والبراء ويضعف الانتماء لخير أمة أخرجت للناس.

ـ الجو الاحتفالي الصاخب يرسخ في أذهان ناشئة المسلمين وعقلهم الباطن أن النصارى على حق فيحبون هذه الأعياد لما يجدونه فيها من الفرحة والتوسعة.

ـ تزداد في هذه الاحتفالات مظاهر التبرج والسفور مع الموسيقى والرقص وما يجره ذلك من فسق يستوجب غضب الله – تعالى – وإنزال عقابه.

ـ تطورت مظاهر الاحتفالات بين الشباب إلى درجة أشبه بالجنون والهستريا من صياح وتقافز في الشوارع ورش الماء على بعضهم البعض وسهر حتى الساعات الأولى من الفجر.

لكل ذلك احذروا أيها المسلمون من المشاركة في الاحتفالات هذا العام وحكموا عقولكم واحفظوا أبناءكم قبل أن تخسروا دينكم.

المصدر : http://new.meshkat.net

===========

#إنهم يخافون الإسلام !

"لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة" [لورانس براون].

"من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب" [ألبر مشادور].

"المسلمون يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم" [مرماديوك باكتول].

"إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير" [المنصر لورانس بروان].

"إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ" [أرنولد توينبي]

"إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها" [المستشرق الأمريكي"و ك سميث"(الخبير بشؤون الباكستان)].

"و ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا" [لاكوست (وزير المستعمرات الفرنسي عام 1962)].

"لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه؛ فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق أي دين آخر" [هانوتو (وزير خارجية فرنسا سابقاً)].

"إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم" [سالازار].

"إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي؛ فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون الحاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية"

"إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية" [مورو بيرجر].

"يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم". [الحاكم الفرنسي في الجزائر بعد مرور مائة عام على احتلالها].

"إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى" [المستشرق البريطاني مونتجومري وات].

"إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد".

المصدر: http://www.aljalees.net

============–

#تجارة البشر في عصر العولمة (2/1)

أحمد أبو زيد

– أكثر من مليون طفل وامرأة يتعرضون للبيع والشراء كل عام خلال تجارة الرق المعاصرة والمتسارعة في النمو.

– وقد بدأت المنظمات الخيرية الألمانية تنفيذ خطة تقضي بوضع صناديق في مدينة هامبورج تشبه صناديق البريد لإيداع المواليد الجدد غير المرغوب فيهم من قبل أمهاتهم!.

قد لا يصدق أحد أن تجارة الأطفال تزدهر اليوم في أوربا المتحضرة على أيدي عصابات تمارس الرق والنخاسة الحديثة في أبشع صورها، فهناك شبكات ووكالات دولية تتاجر في الأطفال بين دول العالم المختلفة وتروج لهذه التجارة الملعونة تحت ستار " التبني "، وهذه حقائق تؤكدها منظمة " اليونيسيف " التي أعلنت أنه تم بيع 20 مليون طفل خلال السنوات العشر الأخيرة ليعشيوا طفولتهم في ذل وهوان وفي ظروف معيشية صعبة لا يرضاها متحضر. وأن أكثر من مليون طفل وامرأة يتعرضون للبيع والشراء كل عام خلال تجارة الرق المعاصرة، وأن تجارة البشر باتت تشكل ثالث أكبر المصادر المربحة لعصابات الجريمة المنظمة في العالم بعد تجارة السلاح والمخدرات.

وأن سعر الطفل الرضيع في كمبوديا يصل إلى 100 دولار، ويصل في الصين إلى 1200 دولار، وأن الشرطة الصينية كشفت 484 مهرباً و54 عصابة لخطف

الأطفال وبيعهم خارج البلاد، وأن هناك أمهات في الدول الفقيرة اضطررن لبيع أطفالهن من أجل الطعام والمأوى.

وأمام هذه الحقائق والأرقام صار الاتجار في البشر أحد أسرع الأعمال التجارية نموا في العالم، وعادت أسواق الرقيق إلى الظهور لتعود بالبشرية إلى عصور الجاهلية الأولى التي كان فيها البشر يباعون ويشترون ويسترقون كغيرهم من الحيوانات والدواب، وأخذت هذه الأسواق شكلاً آخر في عصر العولمة والإنترنت، ودخلت فيها شبكات ووكالات دولية تتاجر في الأطفال بين دول العالم المختلفة، وتروج لهذه التجارة الملعونة تحت ستار "التبني" وغيره من المسميات التي يتخفون وراءها لجمع الملايين بل المليارات.

الفقر والحروب سبب الانتشار:

والأرقام الرسمية المعلنة من الهيئات الدولية – كما ذكرنا – تشير إلى أن هذه الكارثة البشرية قد استشرت في السنوات الأخيرة نتيجة انتشار الفقر والجوع والحروب والمنازعات والكوارث الطبيعية والبشرية، فقد أعلنت منظمة "اليونيسيف" العالمية للطفولة التابعة للأمم المتحدة في تقرير حديث لها أنه تم بيع 20 مليون طفل خلال السنوات العشر الأخيرة ليعشوا طفولتهم في ذل وهوان، وفي ظروف معيشية صعبة لا يرضاها متحضر. وأن أكثر من مليون طفل وامرأة يتعرضون للبيع والشراء كل عام خلال تجارة الرق المعاصرة والمتسارعة في النمو إلى حد أنها باتت تشكل ثالث أكبر المصادر المربحة لعصابات الجريمة المنظمة بعد تجارة السلاح والمخدرات. ويوظف معظم ضحايا هذه التجارة في أعمال مشينة أو لاستئصال أعضاء بشرية منهم بهدف بيعها للمرضى القادرين على دفع أسعارها.

وأكدت المنظمة أن الدول الصناعية وحدها تستورد سنوياً خمسة ملايين طفل للتبني، معظمهم يأتي من دول أفريقيا وأوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية، حيث تضم هذه المناطق ما يزيد عن 100 مليون طفل مشرد يجوبون الشوارع بحثاً عن الطعام أو الكسب الزهيد.

وقالت المنظمة: إن التفاوت في الفقر والغنى بين دول الشمال ودول الجنوب يساعد في الترويج لهذه التجارة، حيث يوجد ملايين الأسر في المناطق الغنية ترغب في

تبني الأطفال، وفي المقابل يوجد في المناطق الفقيرة ملايين الأطفال الذين لا يجدون الطعام ويبحثون عمن يسد جوعهم، وفي هذه الظروف يعمل تجار الأطفال الذين يستغلون حاجة البشر لتحقيق الربح الوفير. وليست مراكز التبني التي تنشئها بعض الدول بهدف مكافحة الظاهرة إلا خطوة نحو تقنين هذه التجارة البشعة، وخلق عصابات منظمة للسيطرة عليها.

تجارة الأطفال في رومانيا:

وتعتبر أوربا المتحضرة بغربها وشرقها سوقا رائجة لهذه التجارة، ففي عام 1995م كان حوالي 38% من الأطفال المستوردين إلى ألمانيا من شرق وجنوب شرق أوربا وخاصة من رومانيا وبولندا ودول الاتحاد السوفيتي، وهناك شبكة تُسهِّل تجارة الأطفال في قرى رومانيا التي تعاني الفقر المدقع، بل وصل الحد بالقرويين هناك إلى عرض أطفالهم على زوار القرى. وتؤكد الدلائل وجود عصابات رومانية وأجنبية تشترك في ازدهار هذه التجارة وتصدير الأطفال إلى العواصم الغربية الكبرى تحت شعارات وأوراق رسمية تمنح هذه " السلعة البشرية " صفة " التبني ". وقد أكد رئيس اللجنة الرومانية المختصة بمتابعة 18 – الظاهرة الجديدة أنه تم تسجيل نحو 2000 حالة تبنٍ عالمية، وأن هناك ما بين 22 ألف طفل تم تبنيهم بطريق البيع من عائلات غربية، ويشكل الأطفال الرومانيون ما يقارب ثلث هذه الحالات.

وفي روسيا يوجد ثماني مؤسسات أمريكية تحتكر سوق تجارة الأطفال العالمية فيها مقابل أسعار تتراوح ما بين عشرة آلاف وخمسين ألف دولار للطفل الواحد.

وفي بولندا أصبحت تجارة الأطفال من اختصاص شبكات المافيا بسبب أرباحها الكبيرة وتقوم هذه الشبكات بنقل السيدات البولنديات لوضع أطفالهن بالسويد ثم يتركنهم هناك مقابل مبلغ من المال.

وفي ألمانيا تشهد تجارة الأطفال انتعاشاً ظاهراً، وقد ذكرت المنظمة الإنسانية الألمانية في تقريرها السنوي عام 1997م أن حالات التبني القانونية للأطفال الأجانب عبر المنظمات الإنسانية لا تشكل سوى 25% من مجموع 1100طفل أجنبي تم تبنيهم عام 1996، أما الجزء الأكبر من هؤلاء الأطفال فقد تم تبنيهم عبر

وسطاء مشبوهين يستهدفون ترويج تجارتهم غير المشروعة من خلال عمليات التهريب وتزوير الوثائق.

أطفال الصناديق البريدية:

وقد بدأت المنظمات الخيرية الألمانية تنفيذ خطة تقضي بوضع صناديق في مدينة هامبورج تشبه صناديق البريد لإيداع المواليد الجدد غير المرغوب فيهم من قبل أمهاتهم، وهذه الخطة –كما أكدت المنظمة الخيرية للعناية الاجتماعية "ستيرنياك"– ستحد من قتل المواليد غير المرغوب فيهم من قبل أمهاتهم اللواتي يمكنهن إيداع الطفل في الصندوق المجهز لذلك خفية دون معرفة الناس بعملهن أو الكشف عن هويتهن. وهذه الصناديق مجهزة من الداخل بفراش ناعم وجهاز إنذار العاملين في المستشفى القريب من الصندوق بوجود مولود جديد فيه، فيقوم العاملون بالتقاطه بعد عشر دقائق من وضعه، لتتولى المستشفى رعايته لمدة شهرين قبل وضعه مع وكالات خاصة من أجل إيجاد عائلة تتبناه بشكل دائم، ولا يخفى على أحد ما يصاحب ذلك من تجارة مقنعة لهؤلاء الأطفال تحت ستار التبني.

الأوضاع المتردية للأطفال:

ولعل الرواج الكبير الذي تشهده تجارة الأطفال في أوروبا الشرقية يعود إلى الأوضاع المتردية للأطفال في هذه الدول، ففي روسيا يوجد آلاف الأطفال الذين أُخذوا من آبائهم جبراً بسبب عدم أهليتهم للتربية، إما بسبب الإدمان على الكحول أو المخدرات، أو ربما لأسباب سياسية أخرى، والاعتقاد المقبول هناك هو أن الدولة هي أفضل مربٍّ لأي طفل.

أما في رومانيا فهناك مئة وأربعون ألف طفل هجرهم آباؤهم في مؤسسات الدولة بسبب عدم قدرتهم المالية على تربيتهم.

ومن ينظر إلى دور الرعاية في هذه البلدان المتقدمة مادياً المتخلفة حضارياً وروحياً؛ يجدها بحاجة إلى من يرعى الأطفال، ففي رومانيا –كما وصفتها الصحف العالمية– لا تختلف دور رعاية الأطفال عن حظائر الحيوانات حيث رائحة البول الطاغية في الدور، والبرد والظلام اللذان يهيمنان عليها، والأطفال الذين فقدوا كل خصوصية لهم، حتى إنهم لا يمتلكون صندوقاً يضعون فيه أشياءهم الشخصية.

وهناك شائعات تقول إن 1% في المائة فقط ممن يسمون باليتامى في رومانيا هم يتامى حقيقيون، أما الباقي فهم ممن تركهم آباؤهم، لأسباب اقتصادية.

وفي ظل هذه المأساة الإنسانية تنتشر تجارة الأطفال وكل من يملك الثمن بإمكانه التوقف في رومانيا وشراء طفل، فمعظم الأطفال – كما أكد المسؤولون عن دور الرعاية هناك – لم يزرهم أحد منذ ستة أشهر، وهذا يعني أن الأطفال أصبحوا في عين القانون الروماني رهن تصرف الدولة..

ويؤكد مسؤول البعثة الأوروبية في رومانيا أن محاولة إقناع الحكومة الرومانية بأن تقوم بعمل حاسم في هذا المجال لم تجد صدى بسبب تحكم المصالح الخاصة لبعض المنتفعين، فهناك آلاف الوظائف التي توفرها إقامة بيوت رعاية الأطفال، أو مؤسسات الدولة المكلفة بالرعاية، لذلك فإن الاتحاد الأوروبي يتعامل مع من أسماهم المسؤولين بتجارة الأطفال.

ومما يروج تجارة الأطفال هناك أيضا أن إجراءات التبني سهلة وميسورة، فإذا كان المرء مستعداً لبذل المال؛ فإن بإمكانه الحصول على طفل بسهولة عجيبة، على العكس مما يحصل في بريطانيا على سبيل المثال حيث تستغرق الإجراءات شهوراً عدة.

وتقول التقارير المحلية: إن مديرة بيت رعاية الأطفال تستفيد مادياً من تجارة الأطفال؛ فهي تمتلك أصدقاء من ذوي النفوذ، وليس بإمكان الشرطة أن يحققوا فيما تقوم به.

وقد أَطلعت مديرة بيت رعاية الأطفال مراسلي الصحف العالمية على ستين طفلاً معروضين للبيع. وكل من هؤلاء الأطفال أُعد لذلك إعداداً كاملاً من الناحية الشكلية، مثل مظهرهم الخارجي، إلا أنهم لا يزالون معرضين للإهمال، وهي تخيِّر المشتري بين ثلاثة أطفال: أندري، ونيكول، وليفيو، فهي تعرف أن بإمكانها أن تحصل على رخصة من آبائهم الفقراء بسهولة، لأنها كما قالت تستطيع أن تزور تواقيعهم بسهولة وذكرت المديرة مبلغ عشرين ألف دولار كثمن للطفل، ويدخل ضمن ذلك إكمال كافة الأوراق وإيصاله إلى لندن، تساعدها في ذلك ابنتها المحامية.

خطف الأطفال:

وفي الصين ارتفع عدد النساء والأطفال المخطوفين بهدف التجارة والاستغلال، فقد تمكنت الشرطة الصينية خلال عملية استمرت عشرة أيام من تحرير 1600 امرأة وطفل خطفوا في مقاطعة جاندونج في جنوب الصين. وذكرت صحيفة "ون ووي بو" الصادرة في هونج كونج أن النساء خُطفن لبيعهن كزوجات أو الاتجار بهن، والأولاد للتسول أو لبيع الزهور، واستطاعت الشرطة كشف 484 مهرباً و54 عصابة، انتزاع آلاف الأطفال من براثن المهربين.

ومن المعروف أن عدد النساء والأطفال المخطوفين في الصين ارتفع بنسبة 4 – 11 في المائة عام 1999 عما كان عليه في السنة السابقة، ففي القرى التي تزداد فيه الهوة اتساعاً بين الأغنياء والفقراء المتروكين لرحمة الإصلاحات الاقتصادية، يشكل المهاجرون يداً عاملة رخيصة، وكتلة مهمشة يسهل الاعتداء عليها. فهؤلاء الذين يعيشون غالباً بصورة غير قانونية، يترددون في إبلاغ الشرطة، لا سيما وإن كان الطفل الذي تعرض للخطف مولوداً بخلاف التشريع الخاص بتنظيم الولادات، فسياسة الحد من الولادات التي تسمح للأسرة المدينية بإنجاب طفل واحد وللفلاحين بإنجاب طفلين كحد أقصى إذا كان الأول أنثى، شجعت المتاجرة بالأطفال لا سيما الذكور. وتختلف أسعار الأطفال والفتيات تبعاً للمقاطعات لكنها تتراوح بين ألف و10 آلاف يوان 120 و1200 دولار.

المصدر: http://www.islamtoday.net

=============

#تجارة البشر في عصر العولمة (2 / 2)

أحمد أبو زيد

وكالات دولية للتجارة الملعونة:

وفي شرق آسيا أصبحت فيتنام وكمبوديا مصدرًا رئيساً لبيع أبناء الأسر الفقيرة إلى شبكات دولية وآسيوية تعمل في تجارة الرقيق الأبيض، وهي أسواق يلجأ إليها بصورة كبيرة الأزواج الأثرياء من الدول المجاورة مثل سنغافورة لتعويض حرمانهم من الأطفال، كما قد يلجأ إليها آخرون للبحث عن عمالة جديدة في تجارة الجنس.

وقد شهدت عمليات الاتجار بالأطفال في فيتنام زيادة كبيرة خلال الفترة الأخيرة، وقضت إحدى المحاكم هناك بالسجن لمدد تصل إلى عشرين عاما على تسعة أشخاص لاشتراكهم في عمليات تهريب الأطفال إلى الخارج.

وقال مسؤول قضائي: إن القضية تضم نحو مائتي طفل هربوا إلى الخارج خلال السنتين الماضيتين، بغرض الاتجار فيهم عن طريق عرضهم للتبني، وتضم عصابة الأطفال طبيباً وأحد العاملين بدور الأيتام وموظفاً بإدارة السكان بإقليم جيانج جنوب البلاد. وتؤكد الصحف العالمية أن عمليات الاتجار بالأطفال شهدت زيادة كبيرة في فيتنام خلال الفترة الأخيرة، إذ يباع معظمهم لمواطنين من أوروبا وأستراليا.

ومن الوكالات النشطة في تجارة تبنّي أطفال فيتنام وكالة "جود هومز فور ذا تشلدرين" السنغافورية، ومنذ خمس سنوات تستلم الوكالات كل عام من سنغافورة وحدها 700 طلب لتبني أطفال فيتناميين، وتقول تقارير صحفية: إن هناك شبكات أخرى تعمل على شراء الأطفال من الصين وإندونيسيا وحتى ماليزيا المجاورة لسنغافورة.

وبسبب انخفاض عدد الأطفال السنغافوريين المعروضين للتبني، ومع ارتفاع نسبة الإجهاض حيث سجلت 13 ألف حالة إجهاض في المستشفيات السنغافورية – بدأت تنشط وكالة "جود هومز" التي أُسّست في أكتوبر العام الماضي، بالاتفاق مع دور الأيتام في فيتنام، وهي تنظم رحلات لمن يريد اختيار "ابنه" الذي سيتبناه من بين أطفال دار الأيتام، وقد ينفق أحد السنغافوريين مبالغ كبيرة ليكون له "ابن" بعد طول انتظار من زواجه، وقد تتفاوت فترة البحث والاختيار والاستلام ما بين ستة أشهر إلى عام.

سماسرة للتسويق:

أما في كمبوديا فإن دور الأيتام تتحرك في القرى بين الفقراء لشراء الأطفال المولودين من أمهاتهم و"تصدير" الرقيق الناعم إلى الخارج. فسكّان قرية "تشيري كوانغ" التي تقع بالقرب من العاصمة بنوم بنة أكدوا أن "رابطة النساء والأيتام المهنية" تشتري أطفالاً من العائلات الفقيرة لتلبية حاجة شبكات أجنبية، وأنها كانت تبحث عنهم في الأقاليم النائية، ولكنها الآن تتحرك في القرى القريبة من العاصمة.

وقد تحدثت الأمهات الفقيرات اللاتي اضطررن لبيع أولادهن حديثي الولادة – للصحف العالمية – بعد أن عرضت عليهن مديرة الرابطة العجوز" تيتث فون " شراء الوليد ب100 دولار فقط، وقالت إحدى الأمهات: إنها بكت كثيرًا عندما باعت ابنتها لكنها كانت تأمل أن تعيش حياة أفضل في بيت غني "أجنبي".

وتختلف طريقة "تسويق" الأطفال الكمبوديين عن الفيتناميين بأن الرابطة المذكورة تشتري الطفل من أمه وتبيعه لمن تشاء، غير أن وكالة "جود هومز" السنغافورية تركز على الأطفال الأيتام، وتسهّل زيارة المتبني لفيتنام ليختار بنفسه مباشرة وقد يلتقي بأقارب اليتيم.

وتقول (هونغ ثا) – وهو اسم مستعار لأم باعت طفلتها –: إن زوجها قد مات ودمرت العواصف والأمطار كوخهم ولا قريب لها فبقيت بدون مأوى ولا مصدر للعيش، ومعها ولد وبنت فباعت البنت على أمل أن ترسل العائلة التي تتبنى ابنتها مبلغًا ماليًّا مجزيًا لها ولابنها، ولكن بعد أيام من بيعها إياها غيّرت رأيها وعادت لتحرر ابنتها لقاء مبلغ مالي؛ ولذلك لا تفضّل مديرة الرابطة شراء أطفال من قرى قريبة من العاصمة حتى لا تتكرر هذه الحالة.

وترفض الكثير من الأمهات بيع أبنائهن كما حصل مع "تشهيم فادي" التي رفضت بيع طفلتها التي لم تبلغ أربعة أشهر بسعر 100 دولار مع أنهم يعيشون في فقر شديد، وقالت للتي عرضت عليها ذلك بغضب:" نحن لسنا حيوانات ولا نحتمل أن نبيع أطفالنا، وحتى الحيوانات لا تقبل التخلي عن أطفالها "، لكن دور الأيتام تبحث عمن لا سبيل لهم في العيش، وفي حاجة لأي مبلغ مالي ويغرونهم بآمال بيع أبنائهم لأجانب يدفعون لهم أكثر من ال100 دولار التي يشترون بها الوليد من الأم، وهو السعر الذي حددته دار الأيتام.

وقد تأسست رابطة دار أيتام منذ عام 1997، وتنكر الرابطة شراء أطفال من أمهاتهن بغرض عرضهم لمن يتبناهم من الأجانب، مع اعتراف أرامل بذلك، وتقول "فون" مديرة الدار: إن كل الأطفال الذين لديهم ممن لا أب لهم ولا أم، أو إنه غير مرغوب فيه من قبل أمه بعد علاقة غير شرعية، وتحاول "فون" إخفاء عملية تبني الأطفال من الأجانب، وقد رفضت في حديث للصحف أن تكشف عن الدول التي

"يُصدّر" لها الأطفال، لكن ممرضة سابقة في الدار اعترفت لمنظمة حقوق الإنسان التي تهتم بتهريب الرقيق الناعم بأن قريبات لها قد بعن أطفالهن للدار ب60 دولارًا فقط!.

وكالة سياتل الدولية للتبني:

ومن بين المشترين للأطفال الكمبوديين وكالة " سياتل الدولية للتبني" التي قال مديرها: إن لجنة وزارية قد شُكّلت للتحقيق في أسلوب بيع الأطفال لهم، غير أنه لم ينكر المعلومات الواردة بشأن ذلك، كما أنكرت لورين غاليندو –الوسيطة في دار الأيتام – ما روته أمهات من قرى كمبودية، مع أنها تتعامل في توصيل الأطفال لوكالة "هاواي العالمية للطفل"، وهي وكالة دولية معروفة تعمل في معاملات تبني الأطفال منذ عام 1975، وقد أنكرت هذه الوكالة التي تعمل في كمبوديا منذ 3 سنوات وجود أية فضائح عن أسلوب غير سليم في إدخال الطفل إلى دور الأيتام.

وقد اعترفت وكالة سياتل: إن الطفل الكمبودي يكلف ما بين 11 – 13 ألف دولار لتوصيله لزوجين خارج الولايات المتحدة، تدفع منها 5500 لعملائها في كمبوديا، ولكن الوكالة لم تكشف عن تفاصيل تقسيم هذا المبلغ الذي يرسل إلى كمبوديا، غير أن مديرها أشار إلى أن سعر الطفل الكمبودي متفاوت، بينما تدفع وكالة هاواي لدار الأيتام 3500 دولار وتسلمه لزوجين مقابل مبلغ أكبر من ذلك بالطبع، لكن الطفل الآسيوي أقل كلفة من الأطفال من أوروبا الشرقية بشكل عام حسب أسعار وكالة سياتل!!.

وتقول زوجة أمريكية نشرت قصتها على الإنترنت: إنها وزوجها تراجعا عن قرار تبني طفل صيني بعد أن اكتشفا سرعة توصيل الطفل الكمبودي من وكالة سياتل!.

وتتحمل وزارة الشؤون الاجتماعية الكمبودية أمر تقنين عملية التبني وتجهيز أوراق الطفل الرسمية وتسفيره، وقد أنكر نائب مدير قسم رعاية الطفل فيها استلام موظفي الحكومة لمبالغ كبيرة تصل ل10 آلاف دولار كرسوم للمعاملة ورشاوى لكبار المسؤولين وصغارهم –حسب زعم الوكالات الأمريكية، وأنكر ما قاله أحد الأجانب المقيمين في كمبوديا الذين تبنوا طفلا كمبوديًا، وما أكده نشط في مجال حقوق الإنسان، ولكنه أكد أن وزارته قد صادقت على تبني 381 طفلاً لأزواج أجانب العام

الماضي، فيما منحت السفارة الأمريكية 240 تأشيرة لأطفال من مجموع هؤلاء، وأشارت السفارة الفرنسية إلى تلقيها عددًا متزايدًا من الطلبات في الأشهر الأخيرة.

أطفال الشيشان:

وفي الشيشان كشف المجاهدون الشيشان النقاب عن وجود عصابة دولية تولت المتاجرة بأطفال قاصرين من الشيشان وبيعهم في أسواق الدول الأوروبية والأميركية وغيرها، وقال السفير المتجول لحكومة الشيشان (بدر الدين بينو) في ندوة صحفية في عمان: إن أفراد العصابة الذين يحملون جنسيات عدة دول غربية استغلوا الظروف المأساوية التي يعيشها أبناء الشعب الشيشاني من جراء العدوان الروسي المتواصل على الشيشان وقاموا بنقل أطفال قاصرين من الشيشان إلى دول غربية بحجة رعايتهم ومن ثم القيام ببيعهم مقابل 15 ألف دولار للطفل الواحد. وأعلن أن لديه وثائق تثبت قيام العصابة ببيع ما يزيد عن 35 طفلاً شيشانياً خلال العام الحالي لعائلات في جنوب أفريقيا وعدة دول أوروبية وأميركية.

أطفال يحتجون:

وفي كولومبيا تظاهر آلاف الأطفال الكولومبيين في شوارع العاصمة بوجوتا للمطالبة بوقف عمليات خطف الأشخاص – ولاسيما صغار السن منهم – وقد سار ثلاثة آلاف صبي على الأقل إلى جانب آباء ودعاة سِلْم للاحتجاج بشكل خاص على الخطف الذي يمارس في حق الأطفال.

وظلت كولومبيا على مر سنوات عدةٍ مركزاً لخطف الأشخاص، وذلك بمعدل ثماني عمليات خطف يومياً.

وتُدر هذه العمليات على مرتكبيها أرباحا تقدر بملايين الدولارات سنويا، ويلجأ إليها على الخصوص الثوار الماركسيون للحصول على فِدْيات لتمويل الحرب التي يخوضونها منذ 36 عاماً على الحكومة المركزية.

وبعد أن صار الكولومبيون – ولاسيما الأثرياء منهم – يتخذون إجراءات مُحكمة لحماية أنفسهم، اتجه الخاطفون نحو القاصرين، وقد سجل العام الماضي رقماً قياسياً في خطف الأطفال إذ تجاوز عددهم مائتين من بين زهاء ثلاثة آلاف شخص تعرضوا للخطف.

وفي مارس الماضي أصيب الكولمبيون بالرعب لدى سماعهم بنبأ تعرض صبي يبلغ ست سنوات من العمر للقتل على يد خاطفيه؛ لأنه تعرف على هويتهم، وقد واصل الخاطفون طلب فدية عنه رغم مضي شهور على قتله.

ولمحاربة هذه الظاهرة تعكف الحكومة الكولومبية حالياً على صياغة قانون تُنزل بموجبه عقوبة لا تقل عن 25 عاما على كل من نفذ عملية خطف.

وفي بريطانيا تكثف الحكومة البريطانية جهودها للعثور على 28 شخصاً ممن وردت أسماؤهم في التقرير الذي أصدرته هيئة التحقيقات القضائية في قضية استغلال الأطفال في دور الطفولة في شمال ويلز، وقد خلص التقرير إلى أن أكثر من ستمائة وخمسين طفلا عانوا استغلالاً جسدياً وجنسياً خلال تواجدهم في دور رعاية الأطفال في السبعينات والثمانينات، وأن عشرة منهم حاولوا الانتحار، وهذه الفضيحة تعد واحدة من أسوأ الفضائح التي قد تقضي على فكرة دولة الرفاه في بريطانيا.

مؤتمر دولي لمكافحة الظاهرة:

وقد بدأ المجتمع الغربي يدرك خطورة هذه الظاهرة التي تمثل أحد أشكال الرق والعبودية في العصر الحديث، فانعقد في العاصمة الفلبينية مانيلا منذ سنوات مؤتمر دولي يبحث إيجاد السبل الكفيلة بمكافحة الاتجار في النساء والأطفال في منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

وقال المشاركون في المؤتمر: إنه في القارة الآسيوية وحدها يباع ويشترى نحو مائتين وخمسين ألف شخص سنوياً معظمهم من الأطفال والنساء والفتيات، حيث يرغمن على امتهان الدعارة أو أعمال الخدمة في المنازل أو السقاية في الحانات.

ماذا بعد..

إننا أمام مأساة حقيقية يعيشها ملايين الأطفال الفقراء على مستوى العالم والذين يسترقون ويباعون في أسواق الرقيق على أيدي عصابات دولية وشبكات ووكالات هدفها تحقيق الربح السريع والوفير من وراء هذه التجارة الخسيسة ولو على حساب حقوق البشر وحرياتهم، ويجب على المجتمع الدولي أن يتصدي لهذة النخاسة، ويتعقب عصاباتها وشبكاتها ويعتبرهم أخطر من مجرمي الحرب، حتى نحمي أطفال العالم من الوقوع في أيديهم.

المراجع:
1 - تقارير وكالات الأنباء العالمية.
2 - مجلة الشريعة - العدد 401 - الأردن - عدد محرم 1420هـ.
3 - مجلة الرابطة - العدد 424 - صفر 1421هـ / مايو 2000م.
4 - شبكة " الإسلام علي الإنترنت " - 6يونيه 2000م.
5 - قناة محيط على الإنترنت - 11ابريل 2000م.
6 - موقع بي بي سي على الإنترنت - 6 مارس 2000م.
المصدر : http://www. islamtoday. net

============

#حملة صليبية وليست غزوة حضارية

السيد أبو داود

إذا كان الرئيس الأمريكي بوش قد خانه التعبير وقال في رده على ما حدث في واشنطن ونيويورك في 11 سبتمبر 2001م "إن هذه الحرب ستكون مختلفة عن كل الحروب.. إنها حرب صليبية على الإرهاب، فالإرهاب موجه ضد المسيحية واليهودية".

هذا الكلام فضح المسألة برمتها، وهو يفسر تمامًا تفكير وفعل الإدارة الأمريكية - مسنودة في الغالب بكثير من الدعم الأوروبي - في عملياتها ضد العالم الإسلامي في أفغانستان والعراق وباكستان وإيران وليبيا وفي تهديدها لمصر والسعودية والسودان واليمن.. إلخ.

والمشكلة في العقل الأوروبي ليست وليدة اليوم؛ بل هي ترجع إلى فترة الإمبراطورية الرومانية، فهذه الإمبراطورية تمثل مرجعية أساسية للتفكير الغربي.. ومعروف أنها كانت تسعى لفرض قيمها على العالم بالقوة والحرب، حيث كانت مؤمنة بأن العالم يجب أن يتبع قانونها الإمبراطوري.. والمؤرخون يؤكدون أن الإمبراطورية الرومانية حينما اعتنقت النصرانية طوعت الدين لخدمة أغراضها الإمبراطورية الإمبريالية

التوسعية ولم تسع هي إلى ضبط تصرفاتها بالدين.. وأصبح هذا موروثًا في الفكر والممارسة الأوروبية والأمريكية على مر التاريخ.
وأصبح الغرب يدبرون الحروب التي يخوضونها ضد العالم لفرض هيمنتهم عليه بأنها "حرب عادلة".. والحرب العادلة هي التي تحقق أغراض وأهداف وخطط الغرب الصليبي.
وهكذا ظلت ازدواجية القيم أمراً ثابتاً في علاقة الغرب بالعالم فباسم الصليب شنت أوروبا النصرانية على العالم الإسلامي حروباً دامت مئتي سنة احتلت بلاده ومقدساته وذبحت أهله.
الاستعمار الحديث جزء من الحرب الصليبية:
كثير من المؤرخين والمثقفين العرب والمسلمين يرون أن الحروب الصليبية انتهت بتحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي وهذا فهم خاطئ بكل تأكيد.. لأن الحروب الصليبية اتخذت في الفكر الغربي مفهوماً جديداً بعد فك أسر لويس التاسع عشر من مصر وعودته إلى بلاده مرة أخرى.. حيث كتب أن التعامل مع العالم الإسلامي يجب أن يتغير ولا يأخذ شكل الحرب المباشرة ورفع الصليب.
ولذلك يعتبر كثير من المثقفين أن احتلال البلاد العربية والإسلامية سواء أكانت ليبيا 1811م أو الجزائر 1830م أو مصر 1881م أو تقسيم الدول العربية بين دول الإمبريالية الغربية في أعقاب الحرب العالمية الأولى والاستحواذ على خيراتها ومص ثرواتها وتعطيل تطورها وذرع الكيان الصهيوني على أرضها.. كل ذلك كانت حرباً صليبية أو مرحلة من مراحل الحرب الصليبية التي حافظت على تخلف العرب والمسلمين وأبقت الفجوة كبيرة وواسعة بين الطرفين تمنع النهضة الإسلامية التي تخيف الغرب الإمبريالي الاستعماري الصليبي وعلى رأسه أمريكا وبريطانيا.
بل إننا نقول إن حركة الكشوف الجغرافية التي أصابت الغرب في فترة من تاريخه لم تكن هدفاً بريئاً لاستكشاف العالم الجديد؛ بل كانت مرحلة من مراحل الحرب الصليبية للالتفاف حول العالم الإسلامي وتقطيع أطرافه واحتلال قلبه.
وفي أعقاب موجة الكشوف الجغرافية ظهر مفهوم غربي كاذب وهو مسؤولية الرجل الأبيض نحو تحضير العالم – كما يدعي الأمريكان اليوم الذين يقولون إن مسؤوليتنا

تحضير الشعوب المتخلفة (ولو بالقوة) – وتغيير نظمها السياسية ومناهجها التعليمية.

وطبعاً الغرب يريد شماعة دائماً كي يعلق عليها أهدافه، ويخفي وراءها أغراضه الخبيثة، فوجدوا هذه الشماعة فيما يسمى "الإرهاب".. وهي كلمة معادلة في قاموسهم ل "الإسلام" تماماً..وجاء تصريح بوش بها كاشفاً لكثير من الخبايا والسياسات.

أفغانستان والعراق.. حملة صليبية جديدة:

ما حدث في أفغانستان واستباحة أمريكا – مؤيدة بالغرب – لكل المواثيق الدولية لضرب بلد آمن لم يفعل لها شيء.. كل ذلك كان في إطار سياسة الاستعلاء الإمبريالي الغربي الصليبي بزعامة بوش؛ فأمريكا بدون تحقيق ولا إدانة دولية توجه أصابع الاتهام إلى حكومة طالبان لإيوائها تنظيم القاعدة، فتحرق الأخضر واليابس وتقتل عشرات الآلاف من الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين وتهدم المساجد والمستشفيات والمدارس، بل وتضرب مواكب العرس والأفراح.

وكأن الغرض الأساسي هو محاربة المد الإسلامي في هذا البلد الفقير وإخافة كل المجتمعات الإسلامية بأن من يسلك سلوك أفغانستان وطالبان فسوف يكون مصيره الدمار والهلاك كما حدث في أفغانستان.

العجيب أن حجة "تحضير ومدنية " الدول المتخلفة التي تتحدث عنها أمريكا قد اختفت بعد أن تحققت الأهداف العدوانية، فالمرافق الأساسية تم تدميرها وإلى الآن لم يحصد الأفغان من الأمريكان إلا الخراب.. بل وزادت المخدرات بنسبة 19 ضعفاً عما كانت عليه أيام طالبان.

وما حدث في العراق كان أكبر وأبشع.. فهذه الدولة التي حققت في يوم من الأيام أعلى معدلات التنمية، أغرى الغرب رئيسها صدام حسين بغزو الكويت ودفعوه دفعاً إلى الخطأ، ثم حاصروه من 1991م وحتى 2003م حصاراً مات بسببه الولدان والشيوخ.. وضربوه باليورانيوم.. ولأنها حرب صليبية فقد غزوا العراق – بلا أي مبرر اللهم إلا النزعة الصليبية الإمبريالية.

لماذا هذه الحملة الصليبية الجديدة؟

بعد أن انهار الاتحاد السوفيتي وانهارت معه الشيوعية ظهرت فكرة العولمة.. وتم تأصيلها فكريًّا وثقافيًّا عن طريق بعض الأعمال الثقافية مثل كتاب نهاية العالم لفوكوياما، وكتاب صدام الحضارات لصمويل هنتنجتون.. يقولان إن النظام الغربي وعلى رأسه النظام الأمريكي هو النظام الأفضل والأنجح ولابد أن يسود العالم بعد خوض صراع مع عدة قوى وعلى رأسها العالم الإسلامي.

وبدأ الغرب يروج لهذه المقولات وتركز الحديث عن الصراع الحتمي مع الإسلام أقصد مع "الإرهاب".. وكأنه لم يبق في العالم أية منظومة ثقافية أو حضارية أخرى غير الإسلام.. ونسي القوم أو تناسوا الثقافة الصينية والهندية والإفريقية واللاتينية.

ولأن مفكري الغرب يعلمون أن هوية الإسلام مستقلة لها سماتها وخصائصها في الجانب الفكري والثقافي والعقائدي؛ فقد ركزوا على ضرورة الاصطدام معه، وفرض الأفكار الغربية عليه، حتى ولو بالقوة.

وهكذا فإن الذين لا يقتنعون بمشروع العولمة الغربي الذي هو امتداد للإمبريالية والحملات الصليبية ليسوا سوى إرهابيين أصوليين.

إن رد الفعل الأمريكي على ما حدث في 11 سبتمبر 2001م ليس مجرد رد اعتبار أو انتقام، إنما هو نتيجة مخزون نفسي وفكري وثقافي قديم تبلورت في فترات زمنية بعيدة المدى.

مشكلة التواجد الإسلامي في الغرب:

يعتقد الغربيون أنه إذا أتيح للإسلام الريادة من جديد، فسوف يقوم أتباعه بنشر الإسلام في كل أنحاء أوروبا وأمريكا، ومن هنا يشعر الغرب بخطر الإسلام داخل بلدانهم.. ولذلك فهم يعملون دون كلل على محاصرة هذا المد الإسلامي قبل أن يقوى.. ولهذا أيضًا اتخذت حربهم ضد الإسلام – بخلاف الحملات الصليبية والتدخل المباشر – أشكالاً متنوعة من التنصير والماسونية والغزو الفكري.

ويظهر في الكتابات الغربية الآن من يقول بضرورة إعادة استعمار الشرق العربي ونشر المسيحية فيه خاصة وأن الغرب – وعلى رأسه الساسة والمفكرون – يزعجه ما يمثله العالم الإسلامي من استقلالية في الفكر والعقيدة والثقافة والانتماء والنهج السياسي والاقتصادي.

لكن ما يزعج في هذا المجال هو أن رجال الإعلام والسياسة في بلادنا قد صدقوا ما تروجه وسائل الإعلام الغربية من أن الغرب ليس في حالة عداء مع الإسلام أو الشعوب الإسلامية.. وإنما هو ضد التطرف والأصولية والحركات الإسلامية لأنها حركات "إرهابية".. وحينما يصدق القوم هذه الادعاءات يتنادون لضرب الحركات الإسلامية ويقعون في الفخ.

وتحاول أمريكا أن توهم المسلمين بأنها تخوض حربًا حضارية وليست حربًا دينية.. ونحن هنا نقول: إن كوبا وكوريا الشمالية من الخارجين على أمريكا.. فلماذا لا تظهر لهم السلاح وتحرك لهم الجيوش؟

لسبب واحد هو أن الحرب صليبية والجيوش لا تتحرك إلا لضرب واحتلال البلاد العربية والإسلامية.

المصدر: http: //www.islamtoday.net

==============

#الثقافة الإسلامية وعولمة الثقافة

أ.د. ناصر بن سليمان العمر

العلاقة بين الثقافة الإسلامية والعولمة:

إن الله هو رب العالمين، والدين الذي ارتضاه للعالم هو الإسلام (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (1)، وقد بعث الله محمداً – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين، فأدى الرسول الكريم رسالة ربه، فخاطب العرب والعجم، بل دعا الثقلين، ثم أخبر من لا ينطق عن الهوى بأن دين هذه الأمة ظاهر، وأنه أكثر الأنبياء تبعاً.

فأمة الإسلام مبعوثة لتنقل ركناً ركيناً من أركان الثقافة إلى البشرية بل إلى العالم، فقد قال الله – تعالى – عن نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم –: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) (2) ومما قيل في معناها:"لينذر بهذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض"(3).

وقال – سبحانه –: (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو إلاّ ذكر للعالمين) (4)، (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلاّ ذكر للعالمين) (5)، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (6)، وقال – سبحانه –: (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) (7)، (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (8).

وفي حديث الصحيحين: (أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي) قال – صلى الله عليه وسلم –: (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) (9).

فاستجاب نبينا – صلى الله عليه وسلم – لأمر ربه وبدأ بدعوة قومه، فاستجابة له قلة وجمع من الضعفاء على استخفاء، أما الأقوياء والكبراء فقد فرحوا بما عندهم من العلم، (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) (10) فجاهروا بصريح العداء، وزعموا أن ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – معتقدات (راديكالية) بالية، لها جذور قديمة، لا أساس لها من الصحة (إن هذا إلاّ خلق الأولين) (11)، (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) (12).

ولكن سنة الله في الأمم تمضي فما هي إلاّ سنوات قلائل حتى تغيرت الحال، ومما امتن الله به على عباده المؤمنين: (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) (13).

وتنفيذاً لأمر الله لم يكتف – صلى الله عليه وسلم –، بدعوة من بدأ بهم من عشيرته الأقربين، فدعى قومه ثم سائر العرب، بل خاطب الأمم والشعوب ممثلة في عظمائها، وكان من ثمرات ذلك إسلام بعضهم كالنجاشي بأرض الحبشة، وإقامة جسور للدعوة بأرض مصر عن طريق الاتصال بمقوقسها، أما كسرى فمزق رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – فمزق الله ملكه، وعظيم الروم آثر اتباع الهوى من بعد ما تبين له الحق.

ولأنه – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين لم يكتف بدعوة البشر بل دعا – صلى الله عليه وسلم – الجن أيضاً فانقسموا (فمن أسلم فؤلئك تحروا رشداً) (14)، (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد

فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) (15)، (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (16).

وقد تكفل الله بنشر دعوة الإسلام، فعن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:"إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها"(17)، فهذا وعد بقبول دعوة الإسلام وعالميتها، وفي حديث ابن عباس: خرج علينا النبي – صلى الله عليه وسلم – يوماً فقال: (عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسى وقومه، ثم قيل لي انظر فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق، فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب) (18).

إن هذا الانتشار الواسع لأمة جاءت في ختام الأمم، لدليل يبين أن لديها من الخصائص والمميزات ما لا يوجد في سواها.

كما أن لسيادتها وظهورها في عصرها الأول عندما قام أهلها بها حق القيام، لدليل على صدق الوعد بظهورها في الآخرين على سائر الملل.

فإذا سرنا على نفس الطريق تحقق الوعد الإلهي بظهور هذه الدعوة وقبولها على نطاق واسع، وإذا تأخرنا تأخر، وبشائر الحاضر بحمد الله حاضرة شاهدة، فعجلة الدعوة رغم النكوص والعراقيل والحواجز والسدود لم تتوقف وإن تباطأت، فدعوة الإسلام –بحمد الله– في اطراد مستمر، والناس يدخلون في دين الله يوماً بعد يوم، رغم ضعف الآلة الإعلامية والمقومات المادية الأخرى.

ومتى رجع المسلمون لسابق عهدهم وترسموا خطى سلفهم، ازدادت قوة دعوتهم، وانتشرت ثقافتهم واكتسحت، كما ظهر الصدر الأول وعلا في سنوات قلائل.

ومن البشائر أيضاً أنه ليس ثمة مكان – بحمد الله– في أرض الله يخلو من مسلم، وهذا يدل على مواءمة دعوة الإسلام وثقافته لكافة المجتمعات، وعلاجها لظروف أي زمان ومكان، وليس هذا تنظيراً علمياً بل هو واقع عملي.

وليس معنى هذا أن دعوة الإسلام خاضعة للتشكل كالطين أو العجين، يلعب به الصبيان فيصورونه كيف شاءوا، ولكن المراد بيان أن في شريعة الله علاجاً لكافة أوضاع البشر أين كانوا وأيان وجدوا، وأن من تمسك بها فهو موعود بالحياة الطيبة، وكل المطلوب ممن أرادها هو أن ينهل من المعين الصافي الذي نهل منه الصدر الأول، دون أن يحاول تغيير مجراه، أو تحسين محتواه، فالذي وضعه عليم خبير، والذي أداه حريص أمين.

فالواجب أن نؤدي ما علينا من تبليغ دعوة الله، فنأخذ بالأسباب المادية ونضع الخطط والبرامج الاستراتيجية، والله قد كفل القبول والعالمية.

أما ما يرد إلينا من علوم وثقافات وافدة، فإن فيها حقاً وخيراً، وهذا يقبل ممن جاء به، كما أن فيها باطلاً وشراً، وهذا يرد على من جاء به، وهو غالب ما يرد، والمطلوب أن لا نخضع شريعتنا ونلويها حتى توافق ما وفد، وإنما نُحكِّمها فيما يرد، ونرضى بحكمها، ثم لا نجد حرجاً فيما قضت، ونوقن بأنه الخير والحق.

إن في سنة نبينا – صلى الله عليه وسلم – وفي عمل الصدر الأول تقرير لهذا المنهج، فقد نقل أهل السير لنا استفادته – صلى الله عليه وسلم – من ثقافة الفرس يوم حفر الخندق بمشورة سلمان الفارسي – رضي الله عنه –، وقد لبس – صلى الله عليه وسلم – جبة من صوف رومية، وعرف الإستبرق وأصله أعجمي، وأطلقوا على الجمال طويلة العنق ما كان يطلقه العجم فقالوا بختي وبختية، ورمى الصحابة بالمنجنيق وهي فارسية، واستعملوا سيوف الهند، وعرفوا الصولجان، وقرأوا المجال – مفرد مجلة – وهي وافدة، وأقر نبينا – صلى الله عليه وسلم – الدركلة ضرب من لعب الحبشة حتى جاء في الأثر: (خذوا يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة) (19).

وبالمقابل نبذ الصدر الأول ثقافات وعادات وافدة، ومنها اللعب (بالإسبرنج) وهي الفرس التي في الشطرنج، وعرفوا الشطرنج وما فيه من بياذق أو بيادق وكلها

فارسية، وجاء في الأثر: (من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه) (20)، وعرفوا لعبة السُّدُّر – نوع من القمار – وأنكروها، وعرفوا السمسرة من فارس وتكلموا فيها.

و لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ما هذا؟) قال: يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك.

قال: (فلا تفعل) (21).

بل أكثر من ذلك كان عندهم نوع استقراء وتحليل للثقافة الوافدة، فقد تصوروا بعضها، وحكموا عليها – حكماً خاصاً – قبل أن تفد، ومن ذلك ما جاء في البخاري: عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: لما اشتكى النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة – رضي الله عنهما – أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: (أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله) (22).

فينبغي للمسلمين أن يعدوا الدراسات ويقيموا الثقافات من حولهم، حتى يميزوا بين حقها وباطلها وفقاً لضوابط الشرع، فيقبلوا ما فيها من خير، ويحصنوا المجتمعات ضد ما فيها من شر، وأول ذلك يكون بتقرير الثقافة الإسلامية في نفوس ذويها، وترسيخ مفاهيمها وبيان محاسنها قبل دعوة الآخرين إليها.

---

1 سورة آل عمران: 85.

2 سورة يس: 70–71.

3 تفسير ابن كثير 581/3.

4 سورة ص: 87.

5 سورة يوسف: 104.

6 سورة الأنبياء: 107.

7 سورة الفرقان: 1.

8 سورة سبأ: 28.

9 حديث جابر رواه البخاري 128/1، ومسلم 370/1.

10 سورة سبأ: 35.

11 سورة الشعراء: 137.

12 سورة الفرقان: 5.

13 سورة الأنفال: 26.

14 سورة الجن: 14.

15 سورة الجن: 1-2.

16 سورة الأحقاف 29-32.

17 صحيح مسلم 2215/4.

18 صحيح البخاري 2170/5.

19 انظر زوائد الهيثمي، مسند الحارث 826/2، والصحيحة 443/4 رقم (1829)، وقد أعلها أبو حاتم كما في العلل لابن أبي حاتم 297/2، ولكن جاء بمعناه عند الإمام أحمد 116/6: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ:"لتعلم زفر أن في ديننا فسحة إني أرسلت بحنيفية سمحة"، قال ابن كثير (التفسير 199/2):"أصل الحديث مخرج في الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرق عدة".

20 حديث بريدة بن الحصيب في صحيح مسلم 1770/4، ورواه غيره.

21 رواه ابن حبان في صحيحه 479/9، والحاكم في مستدركه 190/4، وروى نحوه أبو داود في السنن 244/2، وابن ماجة 595/1، ومسند أحمد 381/4، ورواه غيرهم وقد صححه الألباني في الإرواء 55/7-56 وأدب الزفاف 178 والصحيحة 1203 وغيرها.

22 صحيح البخاري 450/1، ومسلم 376/1، ورواه غيرهما.

المصدر: http://www.almoslim.net

============

#العولمة والسنن

أ. د.ناصر بن سليمان العمر

كان الناس في عصرهم الأول نموذجاً مثالياً لعولمة حضارية، وحدة على مستوى البشرية جمعاء؛ فكرية ثقافية، سياسية، اقتصادية، وكان ذلك وفقاً لمنهج الله الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ثم جاءت الأذواق والأهواء بعجرها وبجرها، فحاولت جبابرة القرون – جيلاً بعد جيل– رفض الكتاب الذي أنزل ليقوم الناس بالقسط، موظفةً الحديد والنار في محاولات شتى لفرض أضرب من"العولمة"، بل لفرض نفوسهم ونفوذهم على العالمين"كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم"(1)،"وما كان الناس إلاّ أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون"(2).

إن إرادة الله الكونية اقتضت وجود الخلق، ومشيئته الشرعية اقتضت توحدهم على منهج الحق كما قال– سبحانه–:"يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"(3) ولكن خالفت الإرادة الكونية المشيئة الشرعية"فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون"(4)، أي: يفرحون بما هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون (5).فاقتضت حكمته – سبحانه وتعالى – وجود الخير والشر في هذا الكون "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"(6)،"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين"(7)،"هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير"(8)، "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ"(9).

وكما اقتضت حكمته وجود الخير والشر، جرت سنته بدوام التدافع بينهما، فقد جعل الله الأيام دولاً" ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين"(10)،"... ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع

وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز "(11)،"وتلك الأيام نداولها بين الناس"(12).

غير أن العاقبة للتقوى، فصاحب الحق يجب عليه أن يستعين بالله ويصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين" (13).

فالناس من حيث المآل فريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير، وعلى الأعراف فريق ثالث مآله إما إلى جنة أو إلى نار، فالمحصلة فريقان.

أما في الدنيا فصراع أهل الحق مع أهل الباطل مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإلى أن يرسل الله ريحاً تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى في أرض الله من يقول: الله الله، وعندها تقوم الساعة على شرار خلق الله.

كما أن أهل الباطل طوائف مختلفة ولكن مآلها واحد، تجمعهم أهواء وأهداف مصالحهم الضيقة، فيتداعون لحرب من يعارضهم من أهل الحق، كما أخبر – صلى الله عليه وسلم– "توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تدعى الأكلة على قصعتها"، ولكن هم مع ذلك طرائق قدداً، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

ولما كان الناس كذلك، فقد راعت شريعة الإسلام العالمية هذه السنة الكونية، فجاءت تشريعات الإسلام معتبرة للفروق بين ما يجب التفريق فيه كالأديان، فأصحابها بين متبع للباطل ومتبع للحق، فهم متباينون، ومن الجور التسوية بين المتباينين، ولا يمكن أن يسمى هذا عدلاً.

وجاءت كذلك ملغية للتفرقة فيما تلزم المساواة فيه، كالتفريق بين الناس على أساس الأعراق بينما هم كلهم لآدم وآدم من تراب.

أما النظام العالمي الأمريكي فله حقيقة ودعوى تجاه هذه المسألة:

أما حقيقته، فهي فرض للهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدولة الأقوى،على كافة الشعوب والمجتمعات، وهو شكل جديد من أشكال الاستعمار كما سبق، وقد اعترف بنحو هذا بعض الأمريكيين كالكاتب الصحفي (توماس فريدمان).

أما دعواه فهي زعم أن النظام العالمي الجديد قائم على عدم التفريق بين الناس على أي أساس، سواءً أكان ديناً أو عرقاً، رجلاً أو امرأة أو غير ذلك، فلا فرق البتة، ولست هنا في مقام مناقشة تفصيلية لهذه الفكرة.

ولكن يكفي القول بأن العدل هو التسوية بين المتساويين والتفريق بين المختلفين، وإن إلزام المختلفين بفعل واحد أو سلوك طريق بعينه سيكون مجحفاً في حق بعضهم.

كما أن اعتبار الفروق لامناص منه، والواقع التطبيقي العملي الفعلي اضطر هؤلاء لاعتبار بعض الفروق، فعلى سبيل المثال، لماذا يمنع غير الأمريكي مثلاً من الترشح لحكم أمريكا؟ أليست المساواة تقتضي جواز ترشح أي إنسان، سواء جاء من إحدى الولايات أو جاء من إحدى القارات؟ كذلك لماذا يمنع من كان دون سن معينة من الترشح؟ ومع ذلك لم نر أحداً خرج يطالب بحقوق الشباب! إذن فلابد من ضوابط ومحددات، وهذه المحدادات هو ما يرفض العالم أن تكون أمريكا هي صانعتها، وبخاصة في بلداننا.

وأخيراً أشير إلى فشل هذا النظام في إلغاء هذه الفوارق حتى بين مصدريه من أبناء الملة الواحدة، فهذه بريطانيا تعيش ردحاً من الزمن أزمة سياسية ثقافية اجتماعية عجزت أن توحد فيها بين رؤى الجيش الأيرلندي الكاثوليكي الذي يسعى للانفصال، وبين الوحدويين البروتستانت، ومازلنا نسمع بين الفينة والأخرى نبأ انفجار عبوة وضعها متطرفون بروتستانت، أو مقتل بروتستانتي برصاص كاثوليكي أو اشتباكات بين كاثوليك وبروتستانت، كل ذلك في الدولة التي تعد الحليف الأول لراعية العولمة الجديدة!

وقل مثل ذلك عن الجيش الأحمر الياباني الوثني، وجيش التحرير الكوبي الشيوعي.

وكم من مرشح غربي فاز في الانتخابات العامة بسبب برنامجه الاقتصادي الإصلاحي!

وبعد ذلك يريد النظام العالمي الجديد أن يقنعنا بإمكانية إلغاء سنة كونية لن تنتهي إلاّ بنهاية هذه الدنيا.

1سورة البقرة: 213.

2سورة يونس: 19.

3سورة المؤمنون: 51.

4سورة المؤمنون: 53.

5تفسير ابن كثير 248/3.

6سورة يونس: 99.

7سورة هود: 119.

8سورة التغابن: 2.

9سورة الشورى: 7-8.

10سورة البقرة: 251.

11سورة الحج: 40.

12سورة آل عمران: 140.

13سورة الأنبياء: 105-107.

المصدر : http://www.almoslim.net

============

#من أنماط العولمة الاقتصادية

أ.د. ناصر بن سليمان العمر

يتحدث الناس عن مجالات مختلفة للعولمة، منها: الاقتصادي، ومنها الثقافي، ومنها الإعلامي، ومنها السياسي، ومنها العسكري، وغير ذلك.

وهذه المجالات متداخلة فيما بينها، يصعب فصلها، غير أن الثلاثة الأولى هي مفاتيح أنماط العولمة الأخرى وأهم آلاتها، فالاقتصاد والثقافة والإعلام، هي التي تصنع المجتمعات، فالسياسات وما يتبعها، فلهذا ولأن تفصيل الحديث عن أنماط العولمة المختلفة يحتاج إلى جهد وبسط ربما طال أمده، أكتفي في هذه الدراسة بالإشارة إلى الأنماط أو المجالات الرئيسة للعولمة.

أولاً العولمة الاقتصادية:

الأسئلة التي سبق طرحها يعاد طرحها مرة أخرى لفهم المشكلة الاقتصادية، فطالما أن الأعراق متنوعة، والثقافات متعددة، والأديان مختلفة، والأهواء متباينة، فمن يحكم هذه الصبغة الواحدة؟ من يضع ضوابطها ويحدد قوانينها؟

ولأن هذا نزر يسير من الأسئلة والإشكالات، فلا عجب أن تشهد (براغ) عنفاً لم تشهد مثله منذ قرون! فقد انقلبت العاصمة التشيكية في سبتمبر من عام ألفين رأساً على عقب، ففي اليوم السادس والعشرين تلقى عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من خلال شبكة الإنترنت رسالة تحدد موعداً للقيام بتحرك في مدينة (براغ) التشيكية، وتطالب الرسالة أولئك الذين تلقوها بالحضور في الموعد المحدد من أجل المساهمة في التظاهر ضد العولمة والرأسمالية العالمية؛ للاحتجاج على الشركات والمؤسسات الكبرى التي أصبحت تتحكم بمصائر العالم من خلال تزايد نفوذها أكثر فأكثر وما يتبع ذلك من آثار مأساوية على العديد من شعوب العالم، وخاصة الفقيرة منها المستثناة عملياً من دورة المناقصة التجارية،

وقد تم اختيار الموعد على ضوء انعقاد المؤتمر السنوي لصندوق النقد والبنك الدوليين في مدينة (براغ) نفسها، ومما يلفت النظر أن الدعوة وجهت خطاباً خاصاً لمن سبق له التظاهر ضد العولمة في (سياتل) و(ملبورن) و(لندن).

ويرى بعض الغربيين: أن العولمة الرأسمالية والحركات النقابية والعمالية والاجتماعية المضادة لها سيكون بينهما صراع كبير في القرن الحادي والعشرين، وقد ابتدأ بالفعل هذا الصراع في مطلع القرن الحادي والعشرين في مدينة (سياتل) بأمريكا –معقل فكرة العولمة– عام (1999م)، فمؤتمر (سياتل) الذي اجتمعت فيه معظم الحركات والمنظمات المضادة للعولمة استطاع أن يكشف مؤتمر التجارة العالمية الذي يضم قادة العالم الرأسمالي(1).

إذن فمناهضة العولمة حركة عالمية لا تخضع لأيديولوجية معينة بمعنى أنها ليست محصورة في إيديولوجيا كالماركسية مثلاً، وهذا ما كان يحصل للحركات النقابية العمالية سابقاً، بل هي حركة تتجاوز القوميات والأقطار، وتعمل لصالح العمال والفلاحين والمضطهدين في شتى أنحاء العالم، كما يزعم أنصارها.

وهدف هذا الطيف المتباين، وهو: محاربة الليبرالية أو الرأسمالية الجديدة، بل قل العالمية الجديدة، التي تريد أن تلغي الآخر وتحكم للأقوى بالسيادة والبقاء، ولذا يرى كثير ممن لا تجمعهم أيديولوجية أن العولمة آفة متوحشة تحتقر الإنسان والفقراء والمهمشين والعاطلين عن العمل، سواء كان ذلك على نطاق الدول الرأسمالية ذاتها أو على نطاق دول العالم الثالث، فإنها تؤدي إلى كم من المآسي في نهاية المطاف.

وهذه الحركة الجديدة المضادة للعولمة الرأسمالية ليست أحادية الجانب وليست متفقة بالضرورة على كل شيء، بل كما يقول بعض دعاتها:"إنها ليست حزباً نمطياً ببغائياً يقول نفس الشيء عن كل شيء على الطريقة الشيوعية السابقة، ومن يتأمل حالها يجد فيها كل الاتجاهات: من أحزاب الخضر المدافعة عن البيئة إلى الأحزاب الاشتراكية، فالحركات السلمية فالحركات الإنسانية، فحركات تحرر المرأة، وغيرها"(2).

بعضها يتعاون فيما بينه، وبعضها يعمل مستقلاً لتحقيق نفس الهدف، وكما أن الأيديولوجيات المناهضة للعولمة مختلفة، فإن الاستراتيجيات التي اعتمدتها الجهات المناضلة مختلفة، فبعضهم يتبع استراتيجية عنيفة إلى حد ما، كما فعل النقابيون الفرنسيون الذين هجموا على المطاعم الأميركية في بعض مناطق فرنسا، وكان ذلك بقيادة (جوزيه بوفيه) ليصبح بذلك المناضل المعروف في الوقت الحاضر!

ومن الطريف أن الرجل عندما قدم للمحاكمة في شهر يونيو من عام ألفين بتهمة تخريبه لأحد مطاعم (مكدونالدز) تجمع في فرنسا نحواً من 40 ألف شخص للاحتجاج على تقديمه للمحاكمة.

فقد كان هدفه وهدف من معه ظاهراً بالنسبة لهم، وهو لفت الأنظار إلى خطورة الأغذية الصناعية، والدفاع عن الأغذية الطبيعية أو الصحية، وهو هدف مشروع في وقت لا تبالي فيه الرأسمالية العالمية بتسميم اللحوم، وتشكيل خطر حقيقي على الصحة العامة، ومن براهين ذلك عندهم قضية البقرة المجنونة وقضايا أخرى مشابهة، فالرأسماليون من شدة حرصهم على الربح بأسرع وقت ممكن وبأكبر قدر ممكن لا يتورعون عن تقديم اللحوم المطحونة كغذاء للحيوانات بدلاً من العلف النباتي!

وقد قال توماس فريدمان معلقاً على مظاهرات سياتل، كلمة يصح لمتظاهري (بوفيه) قولها، قال:"لقد كان لمظاهرات سياتل جانبها الأحمق، لكن ما أراد المحتجون الجادون طرحه هناك كان:"يا أميركا، إنك الآن تؤثرين على حياتي بشكل يفوق تأثير ما تفعله حكومتي. إنك تؤثرين علي بنفس أسلوب تغلغل ثقافتك في ثقافتي، وبنفس أسلوب تسريع تقنياتك لتغيير جميع مناحي حياتي، وبنفس الأسلوب الذي فرضته إجراءاتك الاقتصادية علي، إنني أريد أن أدلي برأيي في كيفية فرضك لقوتك؛ لأنها الآن باتت قوة تشكل حياتي".

عوداً على بدء، فما اتبعه (جوزيه بوفيه) استراتيجية، وبعض المناهضين للعولمة قد يلجأ إلى استراتيجية أخرى أشد، ومن هؤلاء أولئك الذين جعلوا برجي التجارة العالمية أثراً بعد عين.

ومنهم من يكتفي بمسيرات يحشد لها مئات الآلاف كتلك التي خرجت في بوليفيا عام ألفين بمناسبة خصخصة شركة المياه.

إن هذا الاعتراض العالمي على ما يسمى بالعولمة الأمريكية هو الذي حدى بتوماس فريدمان للتساؤل: لماذا لم تتهيأ الأمم عسكرياً ضد الولايات المتحدة؟

قال:"يجيب مايكل ماندلباوم، مؤلف كتاب (الأفكار التي غزت العالم) قائلاً:"تطرح واحدة من أبرز مدارس العلاقات الدولية –مدرسة الواقعيين– أنه متى ما برزت قوة مهيمنة، كأميركا في النظام العالمي، فإن دولاً أخرى ستحشد جهودها بشكل طبيعي ضد هذه القوة، لكن ولأن العالم يدرك بشكل أساسي أن هيمنة أميركا (سلمية)، فان عملية التصدي لها لا تتخذ شكل العمليات الحربية، وبدلاً من ذلك، تصبح مسعى لكبح جماحها، باللجوء إلى قواعد منظمة التجارة العالمية أو الأمم المتحدة، وبقيامها بذلك فإنها تطالب باستخدام حق النقض (الفيتو) فيما يتعلق بكيفية تفعيل قوة أميركا".

وهناك أيضاً سبب آخر لرد الفعل غير العسكري، وهو: أن بروز أميركا كقوة مهولة حدث خلال عصر العولمة، حيث باتت الاقتصاديات متشابكة للغاية، إلى حد أن الصين وروسيا وفرنسا، أو أي تجمع منافس آخر لا يمكنه إلحاق الأذى بالولايات المتحدة بدون إصابة اقتصادياته بضرر ما.

ثم ذكر أن الناس الوحيدين الذين بإمكانهم إلحاق الضرر العسكري هم من ليست لهم أي مصالح مع النظام الدولي، ومثل بأسامة بن لادن.

وأضيف سبباً آخر على ما ذكراه، وهو أن أصحاب القرار والنفوذ والأموال في العالم ليس من مصلحتهم حرب العولمة، وهؤلاء هم القطاع المؤثر الحقيقي بصورة مباشرة أو غير مباشرة في قرارات الدول.

فإذا كانت المعارضة للعولمة حدت بطرح هذا التساؤل، وهذه الآراء في الدول الغربية لكون الفارض والمسيطر دولة أخرى، فإن ما يسمى بدول العالم الثالث أشد معارضة لهذا النظام، والإسلامية والعربية منها على وجه الخصوص، فكيف تخضع هذه الأمم لغير الشرائع الإلهية أو الأحكام الدينية، ثم إن الدراسات الاقتصادية أو التجارية والإحصائية والاجتماعية المبنية على مصلحة مجتمع ما، ليس من العدالة فرضها على المجتمعات الأخرى.

---

1 (العولمة والحركات الاجتماعية والأمميات الجديدة) لبيتر وتر مان.

2 بيتر وترمان في كتابه (العولمة والحركات الاجتماعية والأمميات الجديدة).

المصدر : http://www.almoslim.net

==============

#صونوا السفينة قبل أن تغرق! (1)

جرت عادة العقلاء، على أخذ الحيطة والحذر من كل ما يخافون خطره على أنفسهم، وأموالهم وأسرهم وكل ما يمت إليهم بصلة من مصالحهم.

فتجد أهل الأموال يحرصون على إيداع أموالهم في البنوك التي يأمنونها على تلك الأموال، وهو ما يسمى في الفقه الإسلامي بـ"الحرز" الذي يعد شرطا من شروط إقامة الحد على السارق.

وتجد المحاربين يبنون القلاع، ويحفرون الخنادق لحماية أنفسهم من هجوم أعدائهم، لمقاتلين.

وتجد السكان في المدن والقرى والبوادي، يحرصون على اتخاذ ما يستطيعون من حماية أنفسهم وأموالهم وأسرهم، من المغيرين والوحوش، وعلى حيواناتهم من الذئاب..

فيبنون البيوت، ويتخذون لها الأبواب المناسبة، ويوظفون الحراس، من البشر ومن الكلاب.... وتجد شركات المواصلات تحاول اتخاذ أقصى ما تستطيع من الوسائل التي تمكنها من إتقان صنعة مواصلاتها، بحيث يأمن المسافرون في أسفارهم على تلك المواصلات، سواء كانت سيارات، أو طائرات، أو قطارات، أو بواخر، بل حيوانات النقل، كالإبل والخيل والبغال والحمير... يجتهدون في تغذيتها وتدريبها على السير البعيد وحمل الأثقال..

وتجد الحكومات والدول تجتهد في اتخاذ الوسائل التي تحمي بها بلدانها مما يخل بأمنها الداخلي الخارجي:

فتتخذ لأمنها الداخلي جهاز الشرطة والمرور، وأجهزة المباحث المتنوعة المدربة على كل وسيلة تمكنها من التصدي للمجرمين-حسب مفهومها-فتبني لهم السجون وتعد المعتقلات، وتحضر لذلك كل وسيلة من وسائل التعذيب والقمع...

وتتخذ لحماية أمنها الخارجي إعداد الاستخبارات المتنوعة، والجيوش المدربة على أعلى ما تتمكن منه من التدريب، لجيوشها البرية والبحرية والجوية -ولكل فرقة من الفرق المتخصصة تدريبها الدقيق في تخصصها-وتوفير السلاح وما يتبعه من وسائل ...

كما تعد لحماية زعمائها حرسهم الخاص الذي توفر له من السلاح والتدريب، ما لا يتوفر لغيره...

وتعد لحماية عقول أبنائها من الأفكار والمبادئ التي تعتبرها خطرا عليها، المؤسسات التعليمية بمناهجها وكتبها وأساتذتها، والمناهج الإعلامية، لحماية تلك العقول من أفكار إعلام الأعداء الموجه إليها.

كأني بالقارئ هنا يقول: تلك أسباب ووسائل معروفة يتخذها الأفراد والأسر والجماعات والأحزاب والشركات والحكومات، كل منها يتخذ ما يراه مناسبا لمصلحته، ولا شك أن اتخاذ الأسباب والوسائل لحماية المصالح أمر مطلوب.

ولكن ماذا تريد أن تقول؟

ولم لم تدخل في صلب الموضوع؟

ومن تخاطب في عنوانك؟

وأي سفينة تريد؟
وما نوع الصيانة التي تدعو إليها؟
وفي أي بحر تخشى أن تغرق تلك السفينة؟
أخاطب جميع المسلمين في الأرض: حكاما ومحكومين، وكافة العلماء والمتخصصين في علوم الشريعة أو غيرها من العلوم البشرية والكونية، وأعيان البلدان الإسلامية، من زعماء القبائل وقادة الجيش، ومسئولي التعليم والإعلام، والتجار والأغنياء، والمنظمات النقابية جميعها... والخلاصة جميع "أهل الحل والعقد" في بلدان المسلمين.
أما السفينة التي أقصدها، فهي سفينة حياة المسلمين في الأرض كلها، سفينتهم التي لها أرض وسماء، ويابسة وأنهار وبحار، ومقدسات في بلدان الوحي والرسل، ومساجد...
ولها قيادة وأعوان ووقود، وبها مرافق من الغذاء والدواء والكساء والمسكن، ومؤسسات تعليمية، ومؤسسات إعلامية، ومؤسسات اقتصادية، ومؤسسات عسكرية، ومؤسسات اجتماعية.... وأساس تلك المرافق والمؤسسات كلها هو الدين الذي نزل به القرآن وفصلته سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
كما أن بتلك السفينة ضرورات حياة، فرض الله على المسلمين كلهم حفظها، ولا حياة لهم بدون حفظها، وهي: "دينهم، ونسلهم وأعراضهم، ونفوسهم، وعقولهم، وأموالهم"
وفي السفينة الصحيح السليم، والمريض السقيم، والشجاع الجسور، والجبان غير الصبور، وفيها المؤمن القوي الإيمان، الملتزم بمنهج الإسلام وطاعة الرحمن، وفيها قليل الدين ضعيف الإيمان، غلبه هواه وشهواته وعدوه الشيطان، وكلهم مأمورون بالتعاون على البر والتقوى، ومنهيون عن المعاصي والتعاون على الإثم والعدوان.
أما الصيانة التي أريد من ركاب السفينة اتخاذها للمحافظة عليها من الغرق، فألخصها في الأمور الآتية:
الأمر الأول: الاتفاق على منهج الرحلة الذي يضمن لهم النجاة والفوز والأفراح، ويقيهم الهلاك والخسران والأتراح.

هذا المنهج هو صراط الله المستقيم، غير المغضوب عليهم والضالين: ((اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) المنهج الذي أرسل الله به رسوله الكريم، وأنزل عليه به كتابه العظيم، وضمن لأهله الفلاح المبين، فقال: ((قد أفلح المؤمنون)) و ((أولئك على هدى من ربهم وألئك هم المفلحون))

الأمر الثاني: الاعتصام بحبل الله المتين، والأخوة الصادقة بين عباده المؤمنين: ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون)) [آل عمران: (103)]

وسأفرد لهذا الأمر حلقة خاصة بإذن الله تلي هذه الحلقة، لأنه هو المقصود في هذه المرحلة من مراحل الأمة الإسلامية.

الأمر الثالث: تقوية الإيمان والعمل الصالح، والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، وهو من أهم أبواب هذا الدين: ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو ءامن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)) [آل عمران: (110)]

الأمر الرابع: العلم اليقين أن أعداء هذه السفينة، يسعون جادين لإغراقها أو تعطيلها، حتى لا ترسوا على شاطئ الأمان، وهذا العلم من أهم ما يحفز أهل السفينة على صيانتها والدفاع عنها، وإذا فرطوا في ذلك فهم معرضون للهلاك واستبدال الله بهم غيرهم ممن يحمون حوزة الإسلام: ((يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) [البقرة: (217)]

((يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)) [المائدة: (54)]

((إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)) [التوبة: (39)]

((هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) [سورة محمد: (38)]

الأمر الخامس: الوقوف صفا واحدا ضد من يريد إغراق هذه السفينة، من أعداء هذا الدين: ((إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)) [الصف:(4)]

((يا أيها الذين ءامنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)) [التوبة: (38)]

الأمر السادس: طلب العزة من الله وحده، فهو صاحبها، وهو واهبها، ولا قدرة لغيره على منحها، مهما عظمت قوته في الأرض، فردا كان أو جماعة أو حكومة، فالقوة لله والعزة لله لا لغيره:

((الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا)) [النساء: (139)]

((ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم)) [يونس: (65)]

((من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور)) [فاطر: (10)]

((سبحان ربك رب العزة عما يصفون)) [الصافات: (180)]

((يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)) [المنافقون: (8)]

((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)) [آل عمران: (26)]

وأما البحر الذي أخشى أنت تغرق فيه السفينة، فهو بحر الخسران والذلة والمهانة، والعبودية لغير الله، فيفقد بذلك ركاب السفينة العزة التي يظنون أنهم قد ينالونها من غيره سبحانه:

((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))

((فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين)) [المائدة: (52)]

((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)) [الفتح: (41)]

يأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين)) [آل عمران: (149)]

((يأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)) [آل عمران (100)]

((يأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين)) [آل عمران: (149)]

وإنه لمؤسف كل الأسف أن تغفل الأمة الإسلامية-حكاما ومحكومين-عن هذا الكتاب العزيز الذي يهدي الضال، ويوقظ النائم، وينبه الغافل، ويرفع الراية للسالكين، مبينا لهم معالم طريقهم التي لا يمكن أن يعبروها بدون تلك المعالم.

وللحديث صلة في الحلقة القادمة بإذن الله.

كتبه

د . عبد الله قادري الأهدل

==============

#صونوا السفينة قبل أن تغرق (2)

سفينتكم إرهابية (2)

.html000463/HTML/1http://www.eslah.org/ubb/Forum

لقد آلت أمريكا على نفسها أن تقضي على الإرهاب والإرهابيين في كل مكان في العالم.

ومعنى الإرهاب لدى أمريكا: كل ما يخالف مخططاتها الاستبدادية الاستعمارية في العالم.

وسفينتنا التي بها نجاتنا نحن المسلمين، وهي دين الإسلام، هي الغاية الأولى من حملة أمريكا الإرهابية.

فالإسلام الحق الذي لا ترضى أمريكا له البقاء كما أرد الله له أن يبقى في الأرض، هو الإرهاب بعينه، والذين يتمسكون به ويدعون إليه ويريدون تطبيقه في حياتهم، هم عين الإرهابيين.

والمدن والقرى، والجبال والسهول، والنجود والوهاد، والوديان والشعاب، التي تؤوي الإسلام الذي يتخذه سكانها منهجا لحياتهم، هي مواطن إرهاب يجب تدميرها والقضاء على أهلها.

والشعب الذي يعتدي عليه المعتدون من قوى الظلم والطغيان، فيحتلونه ويطردون أهله، ويخربون بيوتهم، ويفسدون مرافقهم، ويدنسون مقدساتهم، وينتهكون أعراضهم، هو شعب إرهابي يجب أن يباد ويشرد في الأرض.

والدول التي تصر على تطبيق الإسلام المخالف لمنهج أمريكا، هي دول إرهابية.

الجماعات والأحزاب الإسلامية التي تصر على جعل الإسلام منهج نشاطها، هي جماعات وأحزاب إرهابية يجب استئصالها.

المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية التي لا ترضي عن مناهجها ومسؤوليها وأساتذتها، هي مؤسسات إرهابية يجب أن تزول هي ومؤسسوها.

والجمعيات الخيرية الإسلامية التي تجمع المال وتغيث به الجوعى، وتروي به العطشى، وتداوي به المرضى، وتؤوي به المشردين، وتكسو به العريانين، هي جماعات إرهابية لا بد من مضايقتها والحجر على نشاطها.

والحسابات المالية للجماعات أو الشخصيات الإسلامي ذات النشاط الإسلامي المؤثر في الناس، هي أموال إرهابيين يجب إغلاقها وتجميدها، وقد تقتضي المصلحة تعميمها واستعمالها في المصالح الدينية النصرانية أو اليهودية...

وأئمة المساجد وخطباؤها الذين ينشرون الوعي بحقائق الإسلام، وحقائق الكفر، ويردون على شبهات أعداء الإسلام المفتراة، ويكشفون عورات الأديان المحرفة، والسياسات الظالمة، هم –أيضا–إرهابيون، يجب عدم تمكينهم من اعتلاء المنابر وإمامة المصلين في محاريب بيوت الله.

وعلماء المسلمين الذين يقومون بواجب البلاغ المبين للأمة، ويبصرونهم بمصالحهم التي يجب عليهم حفظها والدفاع عنها بالمال والنفس، وينبهونهم على المفاسد التي يجب عليهم دفعها أو رفعها، هؤلاء العلماء هم إرهابيون لدى أمريكا يجب على دولهم أن يحجروا عليهم ويضيقوا الخناق عليهم، أو يسلموهم للاستخبارات الأمريكية (C.I.A) ليجاور زملاء له في المعتقلات والسجون الأمريكية، ويتعرض لإهانات الحاقدين على المسلمين عامة، وعلى علماء الإسلام خاصة، من قبل اليهود الصهاينة، والبروستانت الغلاة.

الجماعات والأحزاب–إسلامية كانت أو ما يسمونها بالوطنية–التي تعارض الاعتراف الكامل بالدولة اليهودية، هي جماعات وأحزاب إرهابية يجب أن تعقد للقضاء عليها مؤتمرات قمة دولية يشترك فيها زعماء العالم الإسلامي، ومنهم حكام العرب، على غرار مؤتمر شرم الشيخ الذي عقد برئاسة "كلنتن" الرئيس الأمريكي السابق ضد المقاومة الإسلامية الفلسطينية.

اجتماع كلمة المسلمين القطرية والإقليمية والدولية التي ترمي إلى الاستقلال بمصالحها، دون الخضوع لأمريكا الطاغية، هي تجمعات إرهابية، يجب إيقافها عند حدها وعدم إعطائها فرصة التقارب والتعاون غير المأذون به من فرعون العصر الذي يقول: (أنا ربكم الأعلى)

الدول التي تسعى لتقوية مؤسساتها العسكرية القادرة على دفع العدوان الأمريكي واليهودي على بلدانها، هي دول إرهابية تملك أسلحة الدمار الشامل، يجب تدمير كامل قوتها العسكرية، وهذا التدمير لا يتم إلا بخراب غالب مرافق الشعب الذي ستحشد أمريكا لحربه التحالفات الدولية–ومنها حكومات الشعوب الإسلامية– التي ألفت حشدها بشريا وماليا وعتادا.

الدول التي لا تمنح المرأةَ فيها الحريةَ الكاملة بمفهومها الغربي، وهي التي لا تقيدها الأحكام الإسلامية، من سفور وعلاقات اجتماعية، وخروج عن آداب الإسلام التي جاء بها شرع الله، كالاختلاط غير المشروع، والإجهاض والخروج على طاعة ولي أمرها...

الدول التي لا تخضع للسياسة الأمنية الأمريكية، التي يجب أن تتدخل في التحقيقات مع رعايا تلك الدول أو غيرهم من المقيمين فيها، وتهيمن على سيرها وإجراءاتها، هيمنة تفقد بها الدولة سيادتها واستقلالها، هذه الدول التي لا تخضع للسياسة الأمنية الأمريكية، هي دول إرهابية، يجب إسقاطها وإقامة دول السمع والطاعة للإدارة الأمريكية وأجهزتها الأمنية.

ومن باب النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، أرى من الواجب علي أن أصدع بما يغلب على ظني أن أمريكا عازمة على تنفيذه من السيطرة الكاملة على العالم الإسلامي، ويحجم عن التصريح به غالب العلماء، إيثارا للمجاملة وخشية من الإثارة، ولكن الفتن الخطيرة التي تعم الأمة كلها، يجب أن بيانها والتحذير منها قبل أن يستفحل خطرها.

(((فأمريكا تريد))) أن تجعل حكومات الشعوب الإسلامية كلها عمليا-وإن لم تعلن ذلك رسميا- ولايات غير رسمية تابعة لها.

(((وأقول: هذا ما تريده أمريكا، ولا يعني أن حكام الشعوب الإسلامية سيخضعون بالضرورة لهذه الإرادة الجائرة، بل سنجد بإذن الله من لا يزال يحافظ على كرامة نفسه وكرامة شعبه، مهما كثرت الضغوط الظالمة من الإدارة الأمريكية)))

فالرئيس الفيدرالي هو الرئيس الأمريكي، وزعماء دول الشعوب الإسلامية-مهما كانت تسمياتهم-هم حكام لتلك الولايات، كالحال في الولايات المتحدة الأمريكية الرسمية، مع فارق جوهري، وهو أن للولايات المتحدة الأمريكية الرسمية صلاحياتها التي يحميها الدستور والقوانين الأمريكية الفيدرالية وقوانين الولايات، أما الولايات التابعة –غير الرسمية-فلا صلاحيات لها غير الأوامر الأمريكية، وإن بدت في الشكل غير ذلك.

ورئيس الاستخبارات الأمريكية (C.I.A) هو الرئيس الفعلي لرؤساء الاستخبارات في الولايات التابعة غير الرسمية.

ولقد كانت حكومات الشعوب الإسلامية يخجلون، إذا نشرت صحيفة أو إذاعة، أو أي وسيلة إعلامية أن لهذه الوكالة السيئة السمعة صلة ببعض موظفيها من المباحث أو الاستخبارات أو السفراء، ولكن هذه الوكالة اليوم

ووزير الدفاع الأمريكي ستنصبه إدارته وزيرا عمليا للدفاع في الولايات غير الرسمية، يصدر الأوامر العسكرية التي لا يجوز لوزراء دفاع تلك الولايات عصيانها، وإذا عصوها فهم إرهابيون يجب أن ينالوا جزاءهم العسكري الرادع.

ووزير الداخلية الفيدرالي الأمريكي، هو الوزير العملي لوزراء داخلية تلك الولايات، يأمر بالمتابعة والإيقاف، والاعتقال، وحظر السفر، والتحقيق والتفتيش، لكل من تشتبه أمريكا في كونه إرهابيا، بحسب مفهومها للإرهاب: (من لم يكن معنا فهو ضدنا)

(((ولْيُقَسْ ما لَمْ يُقَلْ))) كما قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته الشهيرة المفيدة.

الخلاصة: إن سفينتنا –نحن المسلمين–التي ترى أمريكا وأعوانها،من الداخل ومن الخارج، أنه يجب إغراقها، هي السفينة التي تحمل الإسلام الحق الذي يدعو إلى العزة والقوة وموالاة المؤمنين بعضهم بعضا، والوقوف صفا واحدا ضد أعدائهم الذين يعتدون عليهم، وعدم الركون إلى الذين ظلموا.

لكنْ هناك إسلامٌ –بالمفهوم الغربي–سيُمنحُ أفراد المسلمين –إذا شاءوا– الحق في اعتقاده، وفي العمل به، وهو الإسلام الذي يقوم به الفرد بينه وبين ربه.

فله أن يؤمن بما شاء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، بشرط أن يكون إيمانه كامنا في قلبه، لا يحركه لدعوة غيره إلى الحرية التي يحققها ذلك الإيمان لصاحبه، وهي العبودية لله وحده، والكفر بجميع الآلهة الطاغوتية، بما فيها أمريكا التي تقول بلسان حالها اليوم: (أنا ربكم الأعلى)

وله أن يصلي الصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر. وله أن يصوم الصوم الذي لا يثمر التقوى. وله أن يحج الحج الذي لا يشعر المسلم في حجه بتحقيق المنافع التي يجنيها المسلمون من حجهم، ومن أهمها تعاونهم على البر والتقوى،

ومناصرة بعضهم بعضا على من اعتدى عليهم...

وله أن يحمل السبحة ليذكر ربه، الذكر الذي لا يؤدي إلى الصفقة الإلهية (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) [التوبة: 111]

الذكر الذي لا يثمر حماسَ فلسطين، ولا جبهةَ مورو الإسلامية في الفليبين، ولا المجاهدين الشيشانيين في الشيشان، ولا المقاومة الجهادية في كشمير.

أما إذا أثمر الذكر تلك الكتائب الجهادية التي تدفع الظلم عن أرضها ودينها وأهلها، فكل سبحة تعتبر في الدستور الأمريكي سبحة إرهابية يجب أن تقصفها الطائرات الحربية، والصواريخ العابرة للقارات حتى تتقطع خيوطها، وتتناثر حباتها...

وصدق الله العظيم القائل: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) [البقرة: 120]

والقائل: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [البقرة: 217]

.htm1-9-12/12/2001http://www.aljazeera.net/news/asia/

كتبه

د . عبد الله قادري الأهدل

===============

#صونوا السفينة قبل أن تغرق(3)

وسائل الحملة الظالمة(3)

أرجو أن يكون القارئ قد اطلع على الحلقة الثانية

وعرف معنى الإسلام والمسلمين اللَّذَيْنِ تنفي أمريكا أن يكونا هدفا لحملتها الصليبية الصهيونية الإرهابية، فالإسلام الذي ستهادنه أمريكا مضطرة: هو " الإسلام الذي يقوم به الفرد بينه وبين ربه...."

والمسلمون الذين ستوافق أمريكا على بقائهم على دينهم دون عدوان سافر عليهم، هم: "المسلمون الذين لا يبنون حياتهم وقوانينهم ونظمهم وتصرفاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصناعية والإعلامية والعسكرية، وعلاقاتهم الدولية، على أساس الطاعة المطلقة لله وتطبيق شريعته كاملة في الأرض..."

فليكن المسلمون على علم وبصيرة بالإسلام الذي تدعي أمريكا أنها لا تحاربه ولا تحارب أهله، بل قد تثني عليه وتمدحه وتثني على أهله وتمدحهم.

ويجب على المسلمين ألا تخدعهم وسائل الإعلام الأمريكية خصوصا والغربية عموما، وبيانات زعمائهم ومثقفيهم.

ويجب كذلك ألا يغتر المسلمون بغالب وسائل إعلام كثير من بلدانهم التي تسلك نفس مسلك وسائل الإعلام الغربية وتتبعها حذو القذة بالقذة.

فإن عاقبة الاغترار بذلك وخيمة، لما فيه من فساد الأفكار وتضليل العقول، وما يترتب عليهما من التفريط في ضرورات الحياة، وهي الدين والنفس والنسل والعقل والمال، التي سيعتدي عليها أعداء الإسلام، دون أن يشعر المُضَلَّلُون بضياعها، إلا بعد فوات الأوان.

إن اعتداء الظلمة على هذه الضرورات، مع علم المسلمين بخطر الاعتداء، وعجزهم عن الدفاع عنها، أهون بكثير من الاعتداء عليها دون الشعور بخطر الاعتداء، لأن الذي يشعر بالخطر، يمكنه أن يفكر في درئه، ويتخذ الأسباب التي تمكنه من ذلك الدرء، بخلاف من لا يشعر بالخطر، فإنه يدهمه عدوه ويسلب منه أعز ما يملكه، وهو عن ذلك غافل.

فحقيقة الإسلام الذي تعترف به أمريكا، هو الإسلام التركي الذي أرسى أسسه الطاغوت اليهودي "أتاتورك"

وهو الإسلام الذي تثني عليه أمريكا وتصفه بالإسلام المتحضر، الذي تنحاز دوله إلى الدول الغربية، وماعدا هذا الإسلام، فهو أصولي رجعي.

فقد قال الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية: "نكسون" في كتابه "الفرصة السانحة" (ص: 28):

" العالم الإسلامي متقلب وغير مستقر، ولكنه من الأهمية بمكان، إن قوى التقدم والرجعية والأصولية ، تتصارع فيه، لكي تحظى بتأييد الشعوب، التي يبلغ تعدادها 850 مليون نسمة.

هل سيتبع العالم الإسلامي نموذج تركيا، في انحيازها نحو الغرب والتحضر؟ أم سيتبع نموذج العراق؟ أم سيتبع نموذج إيران؟"

ثم بين أن أمريكا ودول الغرب سيكون لها شأن في تحديد خيار الشعوب المسلمة لأحد النماذج الثلاثة، فقال:

"إن الإجابة على هذه الأسئلة، ستكون لها ردود فعل خطيرة في العالم، وسوف تلعب السياستان الأمريكية والغربية مع المسلمين، دورا رئيسيا في تحديد الخيار الذي تختاره الشعوب المسلمة"

وهاهي أمريكا ودول الغرب تحدد لأفغانستان الإسلام الذي يجب أن تتبعه، وهي في طريقها لتحديده في بقية الشعوب الإسلامية.

ويجب التنبيه على أن هناك دولة أخرى صديقة للولايات المتحدة، تعتبر نموذجا آخر في تطبيق الإسلام، لم يذكرها نصا الرئيس "نكسون" وكانت أولى بالذكر من العراق، لأن العراق دولة علمانية، وعدم ذكرها يدل على عدم رضاه عنها، وقد دلت القرائن على عدم الرضا هذا، فوسائل الإعلام الأمريكية وكثير من المسؤولين تشن حملاتها المسعورة عليها.

ما الوسائل القهرية التي ستتخذها أمريكا لحملتها الإرهابية على الإسلام؟

إن أمريكا تظن أنها بما آتاها الله من قوة مادية، قادرة على أن تسيطر على الكون كله سيطرة كاملة، وأن كل من فقد رضاها عنه بسبب عقوقه لها، ومروقه عن طاعتها وعدم التزامه بمنهجها – سواء كان فردا أو جماعة أو حزبا أو دولة – يعتبر إرهابيا تجب مطاردته والقضاء عليه، حتى يسمع لأمريكا ويطيع.

ولدى أمريكا كثير من الوسائل التي ستتخذها –بل قد اتخذتها – ومنها ما يأتي:

الوسيلة الأولى: الإغراء بالمال:

إغراء الزعماء والدول والأحزاب والجماعات والمثقفين والإعلاميين والأدباء، وكل من يمكنهم استمالته بالمال، لينفذ لهم ما يحقق لهم أهدافهم، كل في تخصصه ومحيطه.

والإغراء بالمال لإبطال الحق ونصر الباطل سنة طاغوتية قديمة، يطمع فيها الطامعون الذين يخدمون زعماء الباطل ضد أهل الحق، وقد برزت هذه السنة السيئة في تصرفات فرعون عندما أراد أن يظهر لجماهيره أن ما جاء به موسى باطل وليس بحق، وأن هدف موسى هو السيطرة على الحكم وإخراج أهل البلد من بلدهم، والاستئثار بخيراتها.

قال تعالى: (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم(109)يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون(110)قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين(111)يأتوك بكل ساحر عليم(112)وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين(113)قال نعم وإنكم لمن المقربين(114) [الأعراف]

وفي حملة أمريكا الظالمة التي بدأت بالشعب الأفغاني المسلم المحطم، سقط كثير من زعماء القبائل وقادة الجيش، ورؤساء الأحزاب، في بيع ذممهم وغدروا بإخوان لهم من أهل بلدهم، وممن وقفوا في صفوفهم من الشعوب الإسلامية الأخرى من العرب وغيرهم.

بل إن بعض زعماء الدول المجاورة استجابوا لتنفيذ أوامر أمريكا، فتنازلوا عن سيادتهم على أرضهم ومكنوا الدولة المعتدية من استعمالها في حربهم ضد الدولة المسلمة المجاورة، من أجل نيل حفنة من الدولارات.

وقد استسلم ضعاف الإيمان اليوم لهذا الإغراء، ومكنوا أمريكا من تحقيق مآربها في حملتها الظالمة الإرهابية.

وقد عقدت دولة أوزبكستان معاهدة استراتيجية مع الولايات المتحد الأمريكية بسرعة هائلة، بعد أن مكنتها من استعمال أرضها لضرب الشعب الأفغاني المسلم.

الوسيلة الثانية: الإغراء بالزعامات والتمكين:

والإغراء بالزعامات والتمكين من الحكم والعلو الكاذب في الأرض –كذلك –سنة شيطانية قديمة، كان قدوة أهلها الأول الشيطان الذي أغوى آدم وزوجه حواء عليهما

السلام، بأكل الشجرة التي نهاهما ربهما عنها، كما قال تعالى عن ذلك: (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) [طه: 120]

والإغراء بالملك–ابتداء أو استمرارا–من أعظم شهوات النفس التي تسوق صاحبها، ما لم يحمه الله، إلى امتطاء صهوتها استجابة لإغواء الشيطان ومحاربة الحق وأهله.

وأمريكا اليوم تغري زعماء دول العالم بالتمكين لهم، إذاما استجابوا لتنفيذ مطالبها، وتهددهم بحرمانهم من ذلك، إذا لم يسمعوا لها ويطيعوا، وتغري عشاق الكراسي بإحلالهم محل المارقين عن طاعتها.

والمسلم البعيد عن الإيمان الصادق بربه الذي هو وحده يعطي ويمنع، معرض للوقوع في الفخ الأمريكي الذي يضعه في صف من يحاد الله ورسوله، غير مدرك للعواقب الوخيمة التي سينالها من المنتقم الجبار، الذي قال في محكم كتابه: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) [آل عمران: 26]

الوسيلة الثالثة: الضغط السياسي والدبلوماسيي:

ومن الضغط السياسي: السعي في إيجاد الفرقة و التنازع بين الشعوب والحكام، وبين فئات الشعب، من أحزاب وجماعات ومؤسسات، بحيث تقوم بتقوية بعض الأحزاب أو القبائل، أو بعض فرق الجيش المعارضة للزعيم أو لحزب آخر، لا ترضى عنه أمريكا، بحيث تمدهم بالمال والوسائل التي تمكنهم من إحداث اضطرابات تهز بها البلد، حتى تُسقِط من لا يستسلم لسيطرتها، ولا يعلن خضوعه لما تمليه عليه. ومن أهم الوسائل التي تمد بها تلك الأحزاب أو القبائل وفرق الجيش: المال ووسائل الإعلام والسلاح.

ومعلوم ضلوع أمريكا في هذه الوسيلة التي استعملتها في كثير من بلدان ما يسمى بالعالم الثالث، أو الدول النامية، من إندونيسيا شرقا إلى بعض البلدان العربية وأمريكا اللاتينية في زمن الحرب الباردة، وهي تستعملها في كثير من البلدان الإسلامية، اقتداء بفرعون الذي قال الله تعالى عنه: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين)

[القصص:4] ومربيتها الأولى "بريطانيا" التي اتخذت في استعمارها للشعوب قاعدة: "فَرِّقْ تَسُدْ"

الوسيلة الرابعة: اتخاذ الوسائل التي تحدث النزاع بين الدول المتجاورة، لأي سبب من الأسباب، مما يمكن أمريكا من التدخل وفرض ما تريد مما يحقق أهدافها، كما فعلت في حربي الخليج الأولى والثانية.

الوسيلة الخامسة: الضغط الاقتصادي

وله صور كثيرة:

منها: تجميد الأموال المودعة في البنوك الأمريكية، كما فعلت مع إيران، وغيرها.

ومنها: حظر صادرات الدول غير المرضي عنها إلى أمريكا وحلفائها الغربيين وغيرهم.

ومنها: حظر الصادرات والواردات الضرورية عن الدولة غير المرضي عنها، وقد تتخذ هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن غطاء لأعمالها، كالحالة في العراق التي لا يخفى أمرها والضرر الذي أنزلته بالشعب العراقي على أحد.

ومنها: منع المساعدات المالية التي يقدمها كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

وكل المقاطعات الاقتصادية المجحفة هي من هذا النوع.

التهديد بالاغتيالات وتنفيذها:

وهذه مهنة أصيلة حقيرة لا تتورع عنها أمريكا، وذراعها الرئيس لتنفيذ هذه المهنة الشائنة، وكالة الاستخبارات الشهيرة: " C.IA " وعملاؤها منتشرون في العالم كله، وقد نفذت كثيرا من هذه العمليات زمن الحرب الباردة في دول كثيرة في العالم، على مستويات متنوعة، وهي اليوم باسم محاربة الإرهاب والقضاء عليه، تعد العدة لهذه الاغتيالات، ورصدت لها ميزانية خاصة:

.htm1−17−12/12http://www.aljazeera.net/news/ameri.../

العدوان العسكري:

والعدوان السكري أصبح السمة البارزة لهذه الدولة المعتدية الظالمة، وله مظاهر عدة:

المظهر الأول: إمداد الدول المتحالفة معها بالسلاح ضد الشعوب المظلومة المعتدى عليها، كما هو حال اليهود في فلسطين، فاليهود يدمرون بيوت الفلسطينيين، ومزارعهم ومساجدهم ومدارسهم، وكل مرافقهم، بالسلاح الأمريكي، ويقتلون ويغتالون ويجرحون الشعب الفلسطيني، بالسلاح الأمريكي.

وقل مثل ذلك في الفيليبين، ضد المسلمين في الجنوب، وفي تركيا ضد الأكراد....

المظهر الثاني: الكيل بمكيالين في إمداد الدول بالسلاح، فهي تمد الدولة الحليفة لها بأحدث أنواع السلاح الهجومي، والمثال على ذلك الدولة اليهودية، بخلاف الدول العربية الصديقة، بل الحليفة في واقع الأمر، فأمريكا لا تمدها إلا بالأسلحة التي لا تمكنها من دفع العدوان اليهودي في أوقات الحرب، مع شروط قاسية ظالمة في استعمال ذلك السلاح.

المظهر الثالث: إلغاء صفقات الأسلحة المتفق عليها بين أمريكا والدول الأخرى، إذا عارضت تلك الدول أي مشروع أمريكي ضد مصالحها، كما حصل مع الباكستان، في الطائرات التي تمت الصفقة على شرائها من أمريكا.

المظهر الخامس: الهجوم المباشر على الدول المغضوب عليها، كم حصل مع اليابان في الحرب العالمية الثانية، ومع غيرها، وكما حصل لفيتنام، ولليبيا، والسودان، وكما حصل ولا زال يحصل مع العراق، وكما يحصل اليوم مع الشعب الأفغاني، والاستعداد للاعتداء على غيره من الدول بعد الانتهاء من حملتها عليه.

المظهر السادس: تحطيم سلاح الدول المغضوب عليها، كما فعل اليهود بالمفاعل النووي العراقي، بتأييد أمريكا.

والتخطيط جار الآن باتفاق بين أمريكا واليهود والهند للقضاء على السلاح النووي الباكستاني، ولعل ذلك قد بدأ بالهجوم على البرلمان الهندي، وما تلاه من التحرشات والتهديدات الهندية.

فأمريكا واليهود يدر بون فرقا من جيشيهما للقيام بهذه المهمة:

فخ هندي لسلاح باكستان النووي.

(((وحدة من الجيش الأمريكي وبعض جنود حدة 262 اليهودية معروفة بـSAYARETMATKEL تتدربان لهجوم محتمل على باكستان لسرقة ترسانة الأسلحة النووية

(((.shtml50http://www.islam-online.net/Arabic/...Article

هذا مع ما قدم رئيس الجمهورية الباكستانية من خدمة لأمريكا في بلاده، للاعتداء على الشعب الأفغاني المسلم، وما قام به من القمع ضد شعبه وقادة الأحزاب فيه، إرضاء للدولة الظالمة المعتدية، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم:

(من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس).

وما خفي أخطر مما ظهر!

تقسيم الشعوب

ومن الأمور الخطيرة التي تريد أمريكا القيام بها، إعادة ترتيب دول العالم وحكامه، ترتيبا يحقق لها ما تصبو إليه من السيطرة، هي وربيبتها الدولة اليهودية الطارئة في قلب الأمة الإسلامية.

ومن أبرز البلدان التي يخشى تقسيمها: العراق، الذي قد قسمته أمريكا عمليا، إلى أكراد في الشمال، وسنة في الوسط، وشيعة في الجنوب، هذا الشعب الذي لا يفتأ اليهود يكررون خوفهم منه، ولم يكن غزو النظام العراقي إلا بترتيب مسبق من أمريكا واليهود، من أجل القضاء على قوته التي كانت ترهب اليهود.

ثم إن دول الخليج معرضة لإحداث الفتن والقلاقل، ومرشحة لإراحة اليهود من الشعب الفلسطيني، وإسكانه في هذه الدول التي يقول اليهود والأمريكان معا، إنها قليلة السكان، ويجب أن تستوعب الفلسطينيين، وهي مقالة شبيهة بما كانوا يقولونه عن فلسطين: "أرش بلا شعب، لشعب بلا أرض!"

كذلك تقسيم السودان إلى شمال وجنوب وإكراه الحكومات في الشمال على القبول بذلك.

وأخيرا: إن أمريكا عازمة على تغييرات خطيرة تسمى"ترتيب العالم" وللشعوب العربية نصيبها الأوفر، وقد قال "نكسون" في كتابه: "الفرصة السانحة" صفحة: 22 "فلدينا فرصة تاريخية لكي نعيد ترتيب العالم"

وما الحملة الإرهابية الأمريكية إلا تنفيذ لهذا الترتيب واغتنام لهذه الفرصة....!

وللحديث صلة إن شاء الله.

كتبه

د . عبد الله قادري الأهدل

================

#كيف نصون السفينة - واجب العلماء ...

http://www.alwatan.com.sa/daily/2002-08-25/first_page/first_page17.htm

إن صيانة السفينة، واجب مشترك بين أفراد الأمة الإسلامية، وجماعاتها، وأحزابها، ومؤسساتها الرسمية والشعبية، كل بحسب قدرته وموقعه.

وأقصد بالعلماء هنا علماء الشريعة، وهذا لا ينفي وجود علماء متخصصين في جوانب أخرى تقع عليهم مسؤولية صيانة السفينة في حدود قدرتهم بحسب تخصصاتهم، وسيأتي الحديث عنهم، في مكانه من هذه السلسلة؟

لذلك سأبدأ بمسؤولية مشايخنا وعلمائنا الأفاضل في كل البلدان الإسلامية، فهم ورثة الأنبياء في نشر العلم وبيان الحق والبلاغ المبين، لمكانهم الذي بوأهم الله تعالى فيه، وهو فقه دينه من كتابه وسنة رسوله، وما مهده لهم سلفهم من طرق البحث والاستنباط والقواعد والأسس التي تمكنهم من السير على منهاجهم.

وسيكون بيان هذه المسؤولية في المحاور الآتية:

المحور الأول: أن يستحضر علماؤنا الأفاضل مسؤوليتهم التي كلفهم الله تعالى إياها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والتي سار عليها علماء المسلمين في القرون المفضلة، ودعوا مَن بعدهم إلى حتذائها، ليستقيم حال الأمة على نهج الإسلام العظيم.

ولا أرى حرجا في تذكير هؤلاء العلماء بشيء من ذلك، مع علمهم به أكثر مني، لأن الذكرى تنفع المؤمنين.

والإنسان –مهما كان فضله–في حاجة إلى التذكير، لأنه معرض للغفلة، وللتنشيط، لأنه معرض للكسل، وللنصيحة، لأنه معرض لتثبيط الشيطان ووساوسه.

إن من أهم وظائف العلماء التي ناطها الله تعالى بهم بيان الحق وإظهاره للناس، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، والرسل من قبله.

قال الله تعالى: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)) المائدة: (67)))

وقال تعالى: ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)) يوسف: (108)

وتوعد سبحانه وتعالى من كتم الحق عن الخلق أشد الوعيد، فقال: ((إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) البقرة: (159)

ولما كان علماء أهل الكتاب يكتمون الحق ليأخذوا به عرضا من الدنيا: مالا أو جاها أومنصبا، أبرز الله تعالى مع وعيده الشديد لهم ذلك الداعي إلى كتمان الحق، فقال تعالى: ((إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)) البقرة: (174)

وكل من كتم الحق من العلماء في أي عصر من العصور، وفي عهد أي نبي من الأنبياء، استحق ذلك الوعيد الذي ترتعد له فرائص العقلاء.

بل إن علماء المسلمين لأولى بهذا الوعيد الشديد ممن سبقهم من علماء الأمم الماضية، لأن الحق في هذا الدين محفوظ في مصدريه: القرآن الذي حفظه الله، فلم يتمكن أحد من تحريفه، بخلاف الكتب السابقة التي لم تعد صالحة للرجوع إليها، لأنها قد حرفت، وما بقي منها لم يحرف كتمه علماؤها.

ولو كانت كلها محفوظة–على سبيل الفرض– فقد هيمن عليها كتاب الله، فلا حق إلا ما جاء به وشهد له بأنه حق، كما قال تعالى: ((وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا

لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق...)) المائدة: 48

وهذا يُحَمِّل علماءنا الأفاضل مسؤولية عظيمة، لأنهم وحدهم يملكون مصدر الحق الإلهي، وهو كتاب الله المحفوظ الذي ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)) فصلت: (42)

((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) الحجر: (9)

وكما تولى الله تعالى حفظ كتابه بنفسه، فقد هيأ عباده الصالحين لحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فبينوا صحيحها من ضعيفها وموضوعها.

كما هيأهم لاستنباط المعاني والأحكام من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والرد على كل افتراء وتحريف لمعانيهما.

المحور الثاني: العلماء ركن ركين في ولاية الأمر:

لقد كان العلماء هم ولاة الأمر في العصور الإسلامية الأولى، فكان الخليفة هو رئيس الدولة، وإمام المصلين في محراب مسجدهم، وقائد جيوش جهادهم، وقاسم مالهم فيهم... ثم انفصل العلم الشرعي عن إمارة الحكم بالتدريج، وبقي العالم يفتي وينصح، والحاكم يستفتي ويستشير وينفذ–في الغالب–، ثم حدث الانفصال التام بين الأمراء والعلماء، فاستبد الحكام بالأمر فجمعوا بين الولاية الزمنية، وهي التصرف الكامل في شؤون الأمة، وبين التشريع الذي يصد عن تطبيق شرع الله من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

واضطر العلماء أن ينزووا مع طلابهم في صحون المساجد أو في مؤسساتهم التعليمية، واقتصر نشاطهم تعلما وتعليما على ما سمي بعلوم الدين وما يخدمها من علوم اللغة وغيرها، كما اقتصرت استفتاءات الناس وفتاوى العلماء على ما يتعلق بالشعائر التعبدية، من طهارة وصلاة وصيام وحج وزكاة وذكر... وانقطع غالبهم عن التعرض لشؤون الحياة الإدارية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والإعلامية، حيث حظر عليهم الحكام الدخول في هذا المعترك الواسع، حرصا على استئثارهم بالتمتع بمرافق الشعوب ومتع الحياة، بدون معارض.

وعندما يقوم في حقب نادرة رجال من شجعان العلماء، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقولون كلمة الحق، يكون جزاؤهم الاعتقال والسجن والتعذيب والتشريد والقتل....

هذا مع العلم أن كثيرا من علماء المسلمين يرون أن العلماء هم ولاة أمور المسلمين، وإن لم يكونوا هم الحكام، لأن الواجب على الحكام أن يأخذوا بما يبينه لهم العلماء من شريعة الله، ولا يجوز لهم مخالفتهم فيما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى قال بعض العلماء: إن "العلماء هم أمراء الأمراء"

وبعض العلماء يرون أن أولي الأمر هم العلماء والأمراء معا، وهذا أقرب إلى مقاصد الشريعة وتحقيق مصالحه، بل إن ولاة الأمر يشمل الأمراء والعلماء وأهل الحل والعقد من ذوي الاختصاص، وأعيان الأمة وزعماء قبائلها، لأن المصالح والمفاسد يعود نفعها أو ضرها عليهم جميعا وعلى أتباعهم.

وبعضهم يقصرون أولي الأمر على الأمراء، وهذا يخالف قاعدة الشورى التي أمر الله بها رسوله، ووصف بها عباده المؤمنين مع وصفهم بقامة الصلاة...

وهذا كله يدل على عظم مسؤولية علماء الأمة الإسلامية التي يجب عليهم أن يقوموا بحقها، ولا ويقعدوا عنها.

المحور الثالث: شمول البيان وعمومه:

وإن الواجب بيانه على علماء المسلمين، يشمل كل مصلحة يجب جلبها لهم، وحمايتها من الضياع بعد تحققها لهم، و كذلك بيان كل مفسدة يجب درؤها عنهم، أو رفعها بعد نزولها بهم.

فليست مهمة علماء الإسلام الاقتصار على بيان ما اشتهر عند الناس من شعائر الإسلام الظاهرة، من صلاة وصيام وحج و زكاة وتلاوة قرآن وذكر... وإن كان أعداء الإسلام يريدون قصرهم على ذلك، وإبعادهم عن التدخل في شؤون الحياة التي لا تستقيم إلا بتوجيه هذا الدين.

بل إن مهمتهم شاملة لكل ما يتعلق بحياة الناس من الأحكام التكليفية التي تتضمن الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، وهي الأحكام التي لا تخرج عنها تصرفات البشر.

فلا يخرج عن ذلك شعائر تعبدية، أو مبادئ أخلاقية، أو شؤون اجتماعية، أو جوانب سياسية، أو ترتيبات جهادية، أومناهج اقتصادية أو إعلامية، أو تعليمية...

وما أُلِف من قصر مهمة العلماء على إقراء القرآن وقراءته، وتعليم بعض أبواب الفقه والحديث والتفسير، وإمامة المساجد، وخطب الجمعات المأذون بها، من قبل الحكام المحاربين لشرع الله، وإجراء عقود الأنكحة وكتابة صكوك الطلاق...

إن ما ألف من قصر مهمة العلماء، على أمثال ما ذكر، والحجر عليهم من بيان الحق في شؤون الحياة الأخرى، كما يحجر على الصغار والسفهاء من التصرف في أموالهم، إنه ظلم للعلماء، وسلب لما منحهم الله تعالى وجعله واجبا عليهم، وليس حقا لهم فقط.

كما أنه ظلم للأمة الإسلامية وأفرادها الذين، يفقدون حقوقهم الشرعية، بسبب القوانين البشرية المخالفة لشرع الله، التي يضعها أعداء الإسلام، لتوافق أهواءهم، فيحمون بها مصالحهم التي تجلب المفاسد على شعوبهم.

المحور الرابع: الحكم على الشيء فرع عن تصوره:

ولست أقصد بالعلماء الذين تسند لهم هذه المهمة الشاملة، من يسمون بعلماء الدين المقلدين للآراء التي دونها العلماء السابقون تقليدا أعمى، دون أن يجتهدوا في الأحكام النازلة بالمسلمين، ودون أن يفقهوا الواقع الذي تعيش فيه الأمة، الواقع الذي يحمل في جعبته ما يحتاج الناس فيه إلى بيان من شرع الله، يضبط الحكم، ويرفع الحرج، ويقنع المتردد.

ثم لا يستقل علماء الشريعة بإصدار حكم يحتاجون في صحة تصور مسألته إلى متخصصين فيه، من أطباء، وإعلاميين، ومهندسين، ورجال تعليم، واقتصاديين، وعسكريين، وسياسيين.... بل لا بد من تصور المسألة تصورا واضحا من أهلها، وما يحيط بها من مصالح راجحة أو مرجوحة، ومفاسد راجحة-كذلك-أو مرجوحة، حتى يصدروا أحكامهم أو فتاواهم على بصيرة من أمرهم، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وهذا ما درج عليه العلماء في هذا العصر في مؤتمراتهم ومجمعاتهم، كالمجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي

في جدة، ومجمع البحوث الإسلامية في مصر...فإنهم لم يصدروا قراراتهم في المسائل التي لم يتصوروها تصورا صحيحا، إلا بعد أن يحضروا المتخصصين فيها فيصوروها لهم على حقيقتها، ثم يصدروا فيها قرارهم سلبا أو إيجابا.

المحور الخامس: الحلال بين والحرام بين.

ولا أريد أن يفهم القارئ من كلامي هذا الحجر على تصرفات الناس جميعها، بحيث لا يقولون قولا، ولا يعملون عملا، إلا بعد أن يفتي فيها عالم أو علماء، فالأصل في الأشياء الإباحة، والحلال بين والحرام بين، فما اشتهر وجوبه، وجب، وما اشتهرت حرمته حرم، وما اشتهر ندبه ندب، وما اشتهرت كراهيته كره، وما علمت إباحته، وهو الغالب من تصرفات العباد، أبيح ولا حرج.

و في حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله حد حدودا فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء غير نسيان من ربكم ولكن رحمة منه لكم فاقبلوها، ولا تبحثوا فيها) الحاكم في صحيحه(129/4)

ونحن نرى كثيرا من النظم التي يسنها ولاة الأمر من الحكام وموظفيهم، لا يخالف غالبها نصوص الإسلام وقواعده، ولا ينكرها العلماء على تنوع اتجاهاتهم، بل يؤيدونها وينفذونها.

ومنها نظام المرور ونظام رخص بناء العمارات وهدمها، ومنها نظام التأشيرات الذي أصبحت الحاجة داعية إليه، بسبب تفرق المسلمين وتعدد دولهم، ومنها نظام الإقامة، ومنها كثير من نظم الأمن في المطارات والموانئ والطرقات في داخل المدن وخارجها، ومنها كثير من نظم المؤسسات العسكرية، ومنها التراتيب الإدارية في شتى مؤسسات الدولة... وغير ذلك كثير، لا اعتراض عليه مالم يخالف نصا من القرآن والسنة، أو قاعدة من قواعد الإسلام، أو مقصدا من مقاصده.

وأبواب المباحات التي لولاة الأمر سن نظم يضبطون بها مصالح الأمة واسعة جدا، لا يشترط فيها الرجوع إلى العلماء، ولا صدور فتاوى منهم، وإن لزم ولي الأمر أخذ مشورة أهل الاختصاص في وضع قواعدها المبنية على الخبرة، لتحقق المصالح التي وضعت لتحقيقها.

وإنما يرجع الناس أفرادا، وأسرا، وجماعات، ودولا، إلى العلماء، فيما لم يظهر فيه حكم الله تعالى، وهو ما يحتاج إلى فقهاء في الدين قادرين على استنباط حكم الله من كتابه وسنة رسوله على قاعد الفقه المعتبرة.

كما قال الله تعالى: ((وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)) النساء: (83)

فعلى المسلمين جميعا أن يردوا ما لم يتبين لهم حكمه إلى أهله، وأن يدعوا ما اشتبه عليهم حكمه، حتى يتبينوه من فقهاء الأمة، فهم الذين يعلمون ما خفي عن غيرهم،كما جاء عن النعمان بن بشير، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول-وأهوى النعمان بإصبعيه إلى اليسرى-: (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات،لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه....) صحيح مسلم: (1219/3)

المحور السادس: لا غنى لبعض العلماء عن بعض.

252b0@.ef12^2U2.PfynaIOM0@14http://alsaha.fares.net/sahat?

وما دمنا بصدد صيانة سفينتنا، فالواجب علينا أن نصدع بكلمة الحق التي لا صيانة للسفينة بدونها:

من المعلوم أن علماء الأمة منتشرون في كل حدب وصوب من بلدان المسلمين وغيرها، ومن المعلوم أن بعض العلماء قد اشتهروا في شعوبهم وفي خارجها لأسباب قد لا تكون بسبب علمهم فقط، كالعلماء الذين مكنهم الله بالسلطان من ارتقاء منابر العلم، كالجوامع الكبيرة، وكراسي الفتوى، والمناصب الرسمية التي منحوا بسببها من الوسائل ما أشهرهم، وسهل للناس الاتصال بهم، ويسر لهم الاتصال بالناس.

ومن المعلوم كذلك أنه يوجد علماء موظفون وغير موظفين، لم ينالوا ما ناله السابقون من الإمكانات والوسائل الرسمية التي اشتهروا بسببها، وقد يكون العلماء

الذين لم يشتهروا مثل الذين اشتهروا في علمهم وفقههم لنوازل العصر، وقد يكونون أكثر منهم علما، وأغزر فقها لتلك النوازل، ففوق كل ذي علم عليم.

ولما كانت النوازل كثيرة، وبخاصة في هذا العصر الذي جد فيه مالم يحدث في غيره، فإن العالم لا يستغني عن إخوانه العلماء موظفين كانوا أو غير موظفين، ولا فرق بين مفت وقاض، في ذلك، كما نص عليه العلماء.

وأي عالم ظن أنه مستغن عن إخوانه العلماء وعن مذاكرتهم واستشارتهم في نوازل الأحكام، فقد غرته نفسه وخدعه الشيطان.

وفي قصة موسى مع الرجل الصالح للمعتبرين معتبر [القصة في صحيح البخاري: (40/1)]

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه فيما لم ينزل به وحي، في سلمه وحربه، استجابة لأمر ربه تعالى:((وشاورهم في الأمر))

وكان كبار أصحابه، ومنهم الخلفاء الأربعة، يستشيرون قومهم في سلمهم وحربهم، وفي الحلال والحرام، محققين بذلك وصف الله لهذه الأمة: ((وأمرهم شورى بينهم))

وكانوا ويسألون عن الدليل الذي يخفى عليهم، وكان عمر يطلب في الأمر أصحابه، فيستشيرهم وَفْدًا تلو وفد، ويراجعه بعضهم مراجعة شديدة حتى يغضبه، فلا يترك الشورى حتى يظهر له الدليل، أو تقنعه الحجة.

يراجع في استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه"فتح الباري" (340/13)

فمن هو العالم الذي يظن نفسه اليوم أغنى علما وأوفق رأيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حتى يستغني بعلمه عن علم من سواه؟!

أقول: إنه ينبغي للعلماء –موظفين وغير موظفين، مشهورين وغير مشهورين– أن يقترب بعضهم من بعض، وأن يجتمعوا لمدارسة الأمور المهمة ومذاكرتها والتشاور فيها، ليخرجوا بقرارات ترضي الله تعالى وتجعل الأمة تثق فيهم جميعا، بدلا من استئثار بعضهم بالأمر، استنادا على مراكز رسمية لا تؤهلهم وحدها للاستئثار، كما يعلمون، وتجعل جمهرة من الأمة تنفر منهم بسبب ذلك، وبخاصة إذا انتشر الخلاف واتضح لهم الحق مع العلماء الآخرين غير الموظفين.

إن هذا الخلاف الذي لا يتم معه لقاء بين الصنفين: صنف من يسمون بالعلماء الرسميين، وصنف من يطلق عليهم كثيرا: "علماء فقه الواقع" يثمر تنافرا وبعدا بين العلماء، وترددا وشكوكا وضعف ثقة عند الأمة، وبخاصة الشباب المتحمس منهم.

ولقد جاءني بعض الشباب الذين لم أكن أعرفهم، يسألون عن بعض القضايا المعاصرة، وكانوا حذرين في إظهار أسئلتهم على حقيقتها، فألححت عليهم أن يوضحوا مرادهم، حتى أتمكن من إجابتهم، فلما أجبتهم تهللت وجوههم، وقالوا: لقد كنا خائفين من أن تنهرنا وتغضب من أسئلتنا.

قلت: ولماذا؟ قالوا: لأن بعض العلماء إذا سألناهم مثل هذه الأسئلة يتهموننا بالتطرف والغلو ويتهموننا في عقولنا، ولم تكن إجاباتي لهم تختلف عن إجابات غالب علمائنا الأفاضل.

ولفت نظري عنوان في بعض المنتديات يتعلق بأحد علمائنا الأفاضل، فلما قرأت مضمونه رأيت نقد شديدا لذلك العالم، لأنه-كما زعموا-نهر أحد السائلين، وأنَّبه على الهواء، وتهافت الشباب في عيب ذلك العالم... فكتبت سطورا نصحتهم من الغيبة والكلام في أعراض العلماء، فإذا هم جميعا يستجيبون. إن هذا دليل واضح على أن هذا الشباب في حاجة إلى من يرفق به ويحاوره محاورة صبر وحكمة وإقناع.

إن هذا الشباب في حاجة إلى علماء يصبرون عليهم ويحاورونهم بالحكمة، ويقنعونهم بالدليل، ولا ينبغي أن يظهر لهم العالم سخطه من أسئلتهم وشكه فيهم، ويرمي لهم التهم جزافا، فهؤلاء أبناؤنا، يختلطون بأصناف من البشر، ويسمعون كثيرا من الأفكار الصحيحة وغير الصحيحة، فإذا فتحنا لهم قلوبنا، وأصغينا إلى ما يقولون مما يدور بخواطرهم، ثم أجبناهم الإجابات الصحيحة المقنعة، فإنا مع تفقيهنا لهم، نقيهم الشبهات والأفكار المضللة أو الغالية، ونقربهم إلينا فيأخذون منا العلم، بدلا من نفورهم منا.

المحور السابع: مبادرات العلماء في نصح ولاة أمر الأمة:

ومن الأمور المهمة التي يجب أن يقوم بها العلماء-مع بيان الحق الذي أوجبه الله عليهم-أن يبادروا بتقديم النصح لأولياء الأمور في بلدانهم ليقيموا شريعة الله والعدل بين الناس، ويرفعوا راية الجهاد في سبيل الله، دفعا عن حوزة الإسلام وتأمينا لأهلها

من عدوان أعدائها عليه، وأن يصبروا على ما قد يترتب على النصيحة من مشقة– أحيانا–فإن الله تعالى قد أوجب على عباده القيام بالنصح، وهو وظيفة جميع الأنبياء والمرسلين، ووظيفة أتباعهم من العلماء والفقهاء في الدين:

كما قال تعالى عن هود لقومه: ((أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين)) الأعراف: (68) وهكذا سائر الأنبياء، صرحوا بنصحهم لأممهم.

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الدين هو النصيحة، فقال: (الدين النصيحة) وعلى العلماء تقع مسؤوليتها العظمى، وتترتب عليها تحقيق مصالح الأمة، كما تترتب على فقدها من المفاسد ما ينزل بها الضنك والغمة.

ولا ينبغي أن يصاب العلماء باليأس من قبول الحكام نصيحتهم، بل ينبغي الأمل في قبولها، وأن يكرروا النصح بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدلوهم على الخير، ولا يدعوا بطانات السوء تستفرد بهم وتدلهم إلى الشر.

ثم لو فرض أن الحكام لم يقبلوا نصيحة العلماء، فقد أقاموا عليهم الحجة أمام الله وبرَّءوا أنفسهم من تبعة السكوت عن كلمة الحق.

وما أعظم كلمة حق يلقيها أهل العلم إلى سمع أهل الجور، ليجلبوا بها العدل للناس، ويرفعوا بها عنهم الظلم والباس!

فقد روى عن أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) رواه الإمام الترمذي، وقال: " وفي الباب عن أبي أمامة وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه" (471/4)

وذكر الحديثَ مطولا في المسند الإمامُ أحمد، وفيه: (ألا لا يمنعن رجلا مهابةُ الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) (19/3)

وهنا ترد على العالم المتقي جميع النصوص الواردة في القرآن والسنة، في بابي النصيحة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تذكر سيرة دعاة الإسلام وفقهائه الذين قاموا بواجبات البابين.

المحور الثامن: مبادرة العلماء بالصلح بين المختلفين:

وإن مما يجب على العلماء القيام به، الصلح بين المتخاصمين، وبخاصة حكام الشعوب الإسلامية، عندما يقع بينهم التنازع المؤدي إلى الفشل، وما أكثره في هذا الزمان!

فلا يليق بالعلماء أن يقعدوا عن القيام بالصلح بين الدول والشعوب الإسلامية، بل يجب أن يتداعوا إليه ويبادروا من عند أنفسهم، للقيام بهذا الواجب العظيم، وأن يكون صلحهم قائما على العدل والصدق مع ربهم، غير منحازين إلى هذه الطائفة أو تلك، ففي الإصلاح بين الناس بالعدل جمع لكلمة الأمة، وجلب لقوتها وعزتها، ووقاية من التمزق والتصدع اللذين هما من أهم أسباب ضعف المسلمين أمام أعدائهم.

ومن عجائب الأمور أن يقبع العلماء في منازلهم، أو في مكاتبهم، في وقت يعصف التنازع بالدول والشعوب الإسلامية، دون أن يحركوا ساكنا، حتى تحشد كل دولة علماءها ومن وافق رغبتها من علماء البلدان الأخرى، لعقد مؤتمرات وإقامة ندوات لإصدار قرارات من علماء كل دولة ضد الدولة الأخرى، فيتسابق العلماء إلى التنازع بينهم، كما تسابق إلى ذلك الحكام والزعماء!

والشعوب الإسلامية تتجرع مرارة تنازع علمائها وحكامها، وتزهق أرواحهم وتهدر أموالهم، وتخرب ديارهم وترمل نساؤهم، وييتم أطفالهم، وتستباح ضرورات حياتهم، وهم يرمقون مواقف علمائهم وحكامهم وينظرون إليها نظرة عجب وازدراء، وفي الحربين الخليجيتين المدمرتين عبرة ومثال، كما في الحرب الضروس التي جرت ولا زالت تجري بين الأفغان في الوهاد والجبال، ولازالت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها يعدون العدة لتدمير بقية بلدان المسلمين.

أين نحن يا علماء الأمة الإسلامية من آيات كتاب الله التي نتلوهن ليلا ونهارا؟

قال الله تعالى: ((لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما)) النساء: (114)

وقال: ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)) الحجرات: (9)

والواجب على العلماء، إذا قدموا النصيحة وقاموا بالصلح، ولم يستجب لهم أن يعلنوا للأمة الإسلامية الحق ويبينوا لها الظالم من المظلوم، ويدعوا أهل الحل والعقد إلى القيام بواجب رد المعتدي عن عدوانه، وإعطاء صاحب الحق حقه، تنفيذا لأمر الحق جل جلاله: ((فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله))

ولقد ذقنا وبال نسيان هذه القاعدة العظيمة التي اغتنم أعداء الإسلام فقدها في حياتنا، فتدخلوا في شؤوننا واتخذوا كل سبب من الأسباب التي توري نار النزاع بيننا، ليجلبوا علينا بخيلهم ورجلهم، ويعتدوا على ضرورات حياتنا، كما هو الواقع اليوم!

نعم قد يقال: إن العلماء لا يتيح لهم حكام بلدانهم المبادرة بالاجتماع بأمثالهم في البلدان الأخرى، للقيام بالنصح والصلح، لأن كل دولة تستغل علماءها لدعم موقفها في اجتماعات مرتبة لهم، وهذا صحيح، وهنا يجب على العلماء إذا اجتمعوا في بلدانهم أن يعلنوا كلمة الحق بالعدل، وألا يخافوا في الله لومة لائم، حتى لا يكونوا مطايا وجسورا للسياسات المتقلبة.

فسياسات الحكام الذين لا يلتزمون شرع الله في تقلب دائم، لا ولاء لها، ويتبع تقلبَ ولآتهم، تقلبُ مناهج حياتهم وتشريعاتهم وقوانينهم، وكافة تصرفاتهم: فالحق الذي يدعون له اليوم ويعلنونه ويقاتلون عليه، يصبح غدا عندهم باطلا، يحاربونه ويحاربون من يدعو إليه، وصديق السياسي اليوم هو عدوه غدا.

والفرض في العلماء ثبات ولائهم لله ولرسوله وللمؤمنين، فلا تتقلب مواقفهم بتقلب السياسات المضطربة التابعة لأهواء أصحابها.

ثم إن الله قد هيأ للعلماء اليوم وسائل كثيرة لاتصال بعضهم ببعض وتشاورهم، وتدارس أي أمر من أمور الأمة، وهم في منازلهم وعلى مكاتبهم، ولكن غالبهم أهملوا أو قصروا في استعمال هذه الوسائل التي ساقها الله إليهم، فحبسوا أنفسهم في زنزانات واسعة، هي بلدانهم ومنازلهم.

والعالم غير الإسلامي يتحرك من حولنا ويتواصل و يدبر لديننا المكايد، ويبرم له عظائم الأمور.

هذا مع ما هو معلوم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قد استعمل كل وسيلة أتيح له استعمالها لإبلاغ دعوته إلى كل من استطاع إيصالها إليه.

فقصد الناس ماشيا على قدميه في أماكن عبادتهم، وقصدهم في أسواقهم، وقصدهم في قراهم ومخيمات حجهم، ونادى الناس بأعلى صوته من على جبل أبي قبيس، ودعا عامة قريش وخاصتهم، فدعاهم وأنذرهم، كما أرسل رسائله ورسله إلى أعيان الناس وملوك الأمم...وركب كل أنواع المركوبات في عهده.

وها قد هيأ الله لعلماء الإسلام في هذا العصر من وسائل الاتصال ما هو سائلهم عنها، إن لم يستعملوها في القيام بواجبهم.

فيجب علهم–وهم ورثة نبيهم الكريم– أن يقتدوا به في استعمال كل وسيلة تتاح لهم، لإبلاغ الناس دين الله، ولا يليق بهم أن يهملوا تلك الوسائل النافعة المفيدة، وعلى حكام المسلمين تمكين العلماء من القيام بالبلاغ المبين الشامل لحياة الأمة، باللغة العربية وغيرها من لغات العالم.

.htm14http://www.saaid.net/Doat/ahdal/

المحور التاسع: السهر على ثوابت الأمة:

وإن من واجب العلماء، أن يسهروا على رعاية ثوابت الأمة، وهي ثوابت الإسلام التي لا يجوز أن تمس بتغيير ولا تبديل:

وذلك يشمل ما جاءت به شريعة الله في كتابه وسنة رسوله، وبخاصة أصول الإسلام وأصول الإيمان، وفرائض الشريعة وواجباتها، ومحرماتها ومحظوراتها، وثوابت نظام الأسرة، وثوابت الحدود الزاجرة عن الجرائم والاعتداء على حقوق الله وحقوق عباده، ومقاصد الشريعة العامة والخاصة.

فالسكوت على حرمان الأمة الإسلامية من تطبيق شريعة الله التي لا سعادة لهم بدونها، هو كتمان للحق الذي سبق وعيد الله الشديد عليه:((إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) البقرة: (159)

المحور العاشر: الأخذ بحسن ظن بعضهم في بعض، وعدم قبول ما يقوم به بعض صغار طلاب العلم من غيبة في علماء آخرين، ونسبة بعض النقائص إليهم، فالغيبة معصية، والرضا بها معصية، وتحقير العلماء معصية، والرضا به معصية، ويجب تأديب من يسلك هذا المسلك وزجره وتأنيبه.

كما يجب التثبت مما ينقله هؤلاء عن العلماء، بالاتصال المباشر بهم أو مكاتبتهم، وفتح حوار معهم مع الالتزام بأدب الخلاف، حتى يغلقوا بذلك أبواب تحريش الشيطان بينهم.

ويجب على العلماء البعد عن تكفير بعضهم أعيان بعض، بسبب ما تحصل من مخالفة بعضهم لبعض في بعض الجوانب العقدية، حتى يحاوروهم ويستمعوا لوجهة نظرهم وأوجه استدلالهم، فقد يكون الحق معهم، لا مع من يكفرهم، وقد يكون للمخالف تأويل يمنع تكفيره وإن كان مخطئا، فالتكفير لا يجوز إطلاقه على معين، إلا بوجود شروط وانتفاء موانع، وما كل كفر يأتيه المرء يكون كافرا به.

قال ابن تيميه رحمه الله: "وأما الحكم على المعين بأنه كافر، و مشهود له بالنار: فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه........

وهذا الكلام في تكفير جميع المعينين.. فليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة..). [مجموع الفتاوى (12/497–501، وراجع:523)]

المحور الحادي عشر: التصدي للشبهات التي يبثها الحاقدون على الإسلام، غلاة العلمانيين، وبقايا الشيوعيين الملحدين، ممن ينتسبون إلى آباء مسلمين، الذين تمكنهم بعض الفضائيات العربية التي تحارب الإسلام باسم "الحرية" و"الرأي والرأي الآخر" من بث سمومهم، والطعن في كتاب الله وسنة رسوله ورد أحكامها ومبادئهما الثابتة، كتلك الملحدة التي لا تزال تصدر فتاواها الشيطانية في تلك الفضائيات المشبوهة، بدون رادع يردعها.

فهي ترد حكم الله في التفريق بين الذكر والأنثى في الإرث المجمع عليه بين المسلمين من وقت نزول الوحي إلى يومنا هذا، وعندما أنكر عليها أحد المشاهدين تدخلها في هذا الأمر، وهي جاهلة بالشريعة، ردت عليه بأن والدها كان عالما، وأنها هي درست كتاب الحيوان للجاحظ!!!

أرأيت مؤهلات هذه المفتية، بل "المفتتنة"؟ أبوها كان عالما، وهي قرأت كتاب الحيوان؟! ولذلك يحق لها أن ترد أحكام الله باسم الاجتهاد!

لقد سمعت كلامها هذا وشاهدتها وهي تتشدق به على الملأ قبل أكثر من سنتين، في القناة التي لا ترد يد لامس: "ART"

وقريبا عَقَدت تلك الملحدة مؤتمرا لتنفث فيه سمومها ضد الإسلام:

(مؤتمر .... يطالب بمنع ختان الذكور)

http://www.islam-online.net/Arabic/news/2002-01/07/Article53.shtml.

وغيرها كثير من أتباع عبد الله بن أبي بن سلول...

إن من واجب العلماء أن يتصدوا لأمثال هذه الملحدة، أن يحتجوا على الفضائيات التي تستضيفهم للهجوم على الإسلام من أرض الإسلام...

إن ذلك من أوجب الواجبات على العلماء، وبخاصة أولئك الذين يتولون مسؤولية بعض المؤسسات الإسلامية المشهورة في العالم، كالأزهر وجامعته، ومركز البحوث الإسلامية في القاهرة، ورابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لها في مكة المكرمة، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، والمنظمة العربية للثقافة والعلوم "الأسيسكو" في المغرب، وكذلك الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، كافة المؤسسات الإسلامية، منها "جمعية الإصلاح الاجتماعي" في الكويت، ووزارات الشؤون الإسلامية والأوقاف في جميع حكومات الشعوب الإسلامية.

لا أدري كيف يطيب لهؤلاء المنام والإسلام يهاجم كل يوم من هذه الفضائيات، ويعكف على مشاهدة هذا الهجوم وسماعه والتأثر به أبناؤنا وبناتنا في منازلنا وفي مؤسساتنا العامة والخاصة؟؟

لا أدري أينام هؤلاء المسؤولون إذا شاهدوا أحدا يسبهم ويعيبهم في تلك الفضائيات، بدون أن يخططوا لمحاكمة من يسبهم ويعيبهم؟؟

هل كثر إمساسنا فقل إحساسنا يا علماءنا؟ وهل يمكن أن نصون سفينتنا والمنكر يستشري في ديارنا؟

ومع أسفي واعتذاري الشديدين لعلمائنا الأفاضل، لا أرى مانعا أن أذكرهم بصرخة العالم الغيور الذي لم يطق صبرا على السكوت عن المنكر، وهو العلامة ابن قيم

الجوزية رحمه الله الذي نعى على من ينتصرون لحظوظ أنفسهم ولا ينتصرون لدين الله، عندما قال:

"وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما..... وقد غر إبليس أكثر الخلق بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع، وعطلوا هذه العبوديات فلم يحدثوا قلوبهم بها، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقل الناس دينا، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالا عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي.....

ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه، رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينا.

وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق.

وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم، فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله، بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه.

وهؤلاء -مع سقوطهم في عين الله ومقت الله لهم- قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل..." انتهى كلامه من كتابه الجليل:[إعلام الموقعين عن رب العالمين عن رب العالمين (2/177-176)]

لماذا لاتخصص هذه المؤسسات مراقبين لمدة معينة يحصرون فيها الاعتداء على الدين، من الفضائيات والجهلة الذين تستضيفم، ثم يقيمون دعوى على الجميع في المحاكم للانتصار للدين الإسلامي، حتى لا يتمادوا في تضليل عقول أبناء المسلمين؟

1422/11/8هـ _ 2002/1/22م

في منتدى أمسية:
1738http://www.omsyah.com/vb/showthread.php?threadid=
&goto=newpost

================

#كيف نصون السفينة – واجب الحكام ...

أساس شرعية الحاكم المسلم أن يحكم بشرع الله.

لكل أمة أساس لحكمها، يتضمنه دستورها وقوانينها المنبثقة عنه، وعلى أساس ذلك الحكم تقوم حياتها.

والحكم –في الأصل– عقد بين الأمة والحاكم على ذلك الأساس، ويجب عليهما الوفاء بما تم عليه العقد، لقول الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)) فإذا خرج الحاكم على ذلك الأساس، فقد أهليته في تولي الحكم.

والأمر كذلك إذا تولى حكم الأمة بالتغلب، بدون شورى المؤمنين، كما يحصل في الانقلابات العسكرية ونحوها، فليس للوالي أن يحكم المسلمين بغير دينهم وشريعتهم.

فأساس شرعية حاكم الأمة في الإسلام، هو شرع الله الذي يعد مخالفه خائنا لله ولرسوله وللمؤمنين، خارجا على العدل الذي نزل هذا الشرع لإقامته في الأرض، ولهذا أمر الله ولاة أمر المسلمين بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، فقال تعالى:

((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا)) [النساء: 58]

وبالحكم بالعدل تتحقق مقاصد شرع الله التي تضمنها كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واستنبطها مَن فقَّههم الله في دينه من أهل العلم، وكل حكم خالف شرع الله، فهو ظلم وليس بعدل، وباطل وليس بحق.

وعلى الحكم بالعدل المنزل من عند الله، سار أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة و السلام، كما قال تعالى عن دود عليه السلام: ((وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب(21) إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط)) [ص: 22]

وقال تعالى آمرا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: ((وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون)) [المائدة: 49]

وكما أمر الله ولي الأمر بالحكم بشرع الله، أمر الرعية بتحكيمه، ونفى عمن لم يرض بذلك الإيمان، فقال تعالى: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) [النساء65]

ولما كانت مخالفة الحكم بشرع الله مؤدية إلى الظلم واختلال نظام الأمة، وضياع حقوقها، وإهدار ضرورات حياتها، وهي : الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وما يتبعها من حاجيات وتحسينيات، استحق المخالفون له الوصف بالكفر والظلم والفسق، كما قال تعالى: ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.)) [المائدة: 44، 45،47]

مظاهر الحكم بشرع الله:

وللحكم بشرع الله مظاهر لا تخفى على الأمة:

المظهر الأول: التزام الحاكم والمحكوم طاعة الله وطاعة رسوله.

المظهر الثاني: الاعتراف بأن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، هما المرجع لما اختلف فيه من الحق، سواء كان الاختلاف بين الرعية، أو بينها وبين الحاكم نفسه.

وقد تضمن هذين المظهرين قوله تعالى: ((يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)) [النساء:59]

ومن أبى أن يرجع في التنازع إلى الله ورسوله (القرآن والسنة) واعتقد جواز تحكيم غير شرع الله، فليس هو بالمؤمن، سواء كان حاكما أو محكوما، وإنما هو من المنافقين أتباع عبد الله بن أبي الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، ويتذرعون بشتى الأعذار لإقصاء شرع الله عن حياة الأمة.

وفي هؤلاء قديما، وفي أمثالهم حديثا، قال الله تعالى: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا(60) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا(61) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا(62) [النساء:]

المظهر الثالث: المساواة بين الرعية، مسلمهم وكافرهم: في إعطاء كل ذي حق حقه، وفي إقامة حكم الله على الجميع، دون تفريق بين كبير وصغير وشريف ووضيع وقريب وبعيد، والمساواة في ذلك من مقتضيات العدل، كما قال تعالى: ((يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)) [المائدة: 8]

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من عدم المساواة بين الناس في الأحكام، وبين أن ذلك سبب في هلاك الأمم، كما ثبت في حديث عائشة المتفق عليه، قالت: "إن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكلمه أسامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتشفع في حد من حدود الله؟!)

ثم قام فاختطب، فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) هذا لفظ مسلم، وهو فيه برقم: "1688" و هو في صحيح البخاري برقم: "3288"

ويدخل في ذلك كل حكم من أحكام الإسلام، سواء تعلق بالأموال، أو بالأنفس، أو بالأعراض، أو بغير ذلك.

وبالعدل والمساواة تطمئن نفوس الرعية وتستقر أحوالهم، ويأمنون على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ويقوى نشاطهم في عمارة وطنهم، بالتجارة والزراعة والصناعة، وتتوطد العلاقات بينهم وبين ولاة أمرهم، فيثق بعضهم في بعض، ولا يخافون من ظلم ظالم ولا غدر غادر، مهما عظمت منازلهم الاجتماعية، وعلت مراتبهم السياسية أو سفلت، لعلمهم بوجوب ذلك لبعضهم على بعض، وبأن سوط عدل الحاكم مرفوع لإنصاف المظلوم وردع الظالم.

وبذلك يحصل الوئام بين الرعاة والحكام، وتسلم الصدور من الضغائن والأحقاد، ويتم التعاون على جلب المصالح ودفع الفساد.

بخلاف الحاكم الجائر الذي يتخذ سلطته وسيلة للاعتداء على حقوق الرعايا، ويعين ذوي الحيف من بطانته، على سلب الناس حقوقهم، فإن الشعب الذي يبتلى بمثل هذا الحاكم، يعيش في ذل وهوان دائم، ينام مرعوبا بالكوابيس، ويصحو مشفقا على نفسه من هجمة الظلمة الأباليس.

يحجم الناس في ولايته عن الاقتناء والكسب، خشية على حقوقهم من النهب والسلب، فتضعف في البلاد الصناعة، ويزهد الناس في مزاولة التجارة ومهنة الزراعة.

وهنا تنطوي قلوب الناس على الغل و الأحقاد، ويعم البلاد الإجرام والمصائب الشداد، ويصبح الأمن مفقودا بين العباد، وجِران الخوف على طولها وعرضها في امتداد.

تقطع فيها السبل و الطرقات، وتسلب فيها الأموال وتنتهك الأعراض الشريفات، وتسفك الدماء وتزهق النفوس المحرمات، ويتمنى الأحياء أن يكونوا في القبور مع الأموات.

ولهذا تواترت نصوص القرآن والسنة، في النهي عن الظلم والتحذير منه، وبيان عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة.

وليس المقام هنا مقام سرد لتلك النصوص كلها، فجميع عقلاء بني آدم يعلمون أن العدل خير مطلوب، وأن الظلم معدود في أعظم الذنوب، وإن تعاطى بعضهم الظلم وترك العدل.

قال تعالى: ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)) [هود:102]

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) قال ثم قرأ: ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)) [الحديث في صحيح البخاري برقم: 4409]

وفي حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) [الحديث في صحيح مسلم برقم: 2577]

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (الظلم ظلمات يوم القيامة) [صحيح البخاري برقم: 2315وهو في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله برقم: 2578]

جعل الإسلام أساسا للولاء بين الحاكم والمحكوم

إن الولاء القوي المتين القابل للدوام، بين الحاكم ورعيته، إنما هو ولاء الإسلام، فهو العروة الوثقى التي لا تقبل الانفصام، والحصن القوي الذي يمتنع على الاقتحام، والبناء الراسي الذي يستعصي على المعتدين من ذوي الإجرام.

إن المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله، ويعبدونه حق عبادته، هم أهل الولاء الدائم، وقد قرن تعالى ولاءهم بولائه وولاء رسوله، إشارة إلى قوة هذا الولاء ومتانته، وأن لأهل هذا الرابط الغلبة على أعدائهم، كما قال تعالى:

((إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون(55) ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون)) [المائدة:56]

ومن صفاتهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما عبارة عن قيامهم بحق الله وحق عباده، ومن صفاتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عبارة عن حرصهم على حفظ نظام الأمة وصيانته من التفكك والانحلال، وهؤلاء هم الذين يستحقون رحمة الله في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:

((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)) [التوبة:71]

هذا الولاء هو الذي يدوم ولو تباعدت بين أهله الأنساب، وانقطع بينهم ما اتصل بين غيرهم من الأسباب، وفي تاريخ المسلمين المعتصمين بحبل الله ما يقطع حجة كل مرتاب، وقد بين ذلك في كتابه المبين:

((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون)) [آل عمران:103]

وكل ولاء غير الإسلام قابل للنقض بعد الإبرام، وللزوال بعد التمام.

وإن في قصة سحرة فرعون الذين دانوا له بالولاء، بما يمنحهم من الأجر والتقريب إليه، وتغير ولائهم له– مع قوة ملكه، وعظيم ترغيبه، وشدة ترهيبه–إلى ولائهم لعدوه موسى عليه السلام، الذي لا يملك شيئا غير إيمانه بربه وتوكله عليه، إن في تغيير ولائهم لفرعون وزهدهم في ماله وقربه، وعدم المبالاة بتهديده، إلى الولاء لله ولرسوله موسى عليه السلام، لعبرة للملوك والرؤساء الذين يجعلون أساس الولاء بينهم وبين أعوانهم غير الإسلام.

ويكفي أن نقرأ هذه الآيات الكريمة بدون شرح ولا تعليق، فهي واضحة بينة وضوح الشمس في كبد السماء، قال تعال:

((وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين(113) قال نعم وإنكم لمن المقربين(114) قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين(115) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (116) وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (117) فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون(118)فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (119) وألقي السحرة ساجدين(120) قالوا ءامنا برب العالمين (121) رب موسى وهارون(122) قال فرعون ءامنتم به قبل أن ءاذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون(123) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (124)قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (125) وما تنقم منا إلا أن ءامنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين(126) [الأعراف]

((فألقي السحرة سجدا قالوا ءامنا برب هارون وموسى (70) قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم في جذوع النخل، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى(71) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا (72) [طه]

والذي يقرأ التاريخ يجد فيه البراهين الساطعة والحجج القاطعة، على أن الولاء على غير الإسلام، من مال أو منصب أو جاه، لا يعصم الحكام من خيانة من يوالونهم على ذلك وخروجهم عليهم.

فتجد الابن يخرج على أبيه، والأخ يقتل أخاه، والقريب يستولي على ملك قريبه، وكبار رجاله يقلبون نظام حكمه ويسفكون دمه أو يهينونه في غياهب السجون، فيصبح مجرما بعد أن كان مطاعا محترما...

والسبب في ذلك أن الولاء على المال أو المنصب أو الجاه أو النسب، قابل للتغيير والتبديل، فقد يجد من يوالي الحاكم على المال، من يعطيه مالا أكثر، ويجد من يواليه على المنصب من يمنحه منصبا أعلى، ويجد من يواليه على النسب، من هو أقرب إليه نسبا أو أكثر مصلحة، وقد يواليه بسبب ما يملك من قوة، فإذا صار أقوى منه غدر به، فيغير ولاءه بتغير مصلحته في ذلك كله.

أما الولاء بين الحاكم ورعيته على الإسلام، فالغالب أنه لا يتغير، لأنه مرتبط بالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)) وهو ولاء باق دائم، يعبد المسلم به ربه: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين))

فإذا حصل تغيير في هذا الولاء، فلا بد أن يكون سببه ضعف الإيمان المانع من التغيير، من قبل الحاكم أو المحكوم أو من قبلهما معا.

لهذا يجب أن يتخذ الحكام كل وسيلة مشروعة لجعل الولاء بينهم وبين شعوبهم الإسلام، ليقوى بينهم الولاء، ويتم بينهم الوئام والإخاء، ويأمن بعضهم بعضا، ولا يفقدوا الثقة فيما بينهم، لأن فقد الثقة بين الحكام ورعاياهم، يجعل كلا منهم يتوجس خيفة من الآخر، ويتربص به الغدر و الدوائر.

ولا يغتر الحاكم بما قد يظهره بعض رعيته من الولاء، وما يطلقونه عليه من المدح والثناء، فكثيرٌ هم الذين يمدحون الحاكم شعرا ونثرا، ويثنون عليه بألسنتهم مساء وفجرا، وهم يلعنونه بقلوبهم إذا غابت رقابته سرا وجهرا.

ولقد أجاد ابن القيم رحمه الله في وصف من يظهرون للإنسان حبهم له، وهم في الحقيقة أعداء، ويظهرون له أنهم يريدون نفعه، وهم لا يريدون إلا منفعة أنفسهم وإن أضروه، فقال رحمه الله:

"ومما يبين ذلك أن غالب الخلق يطلبون إدراك حاجتهم بك، وإن كان ذلك ضررا عليك، فإن صاحب الحاجة لا يرى إلا قضاءها، فهم لا يبالون بمضرتك إذا أدركوا منك حاجتهم، بل لو كان فيها هلاك دنياك وآخرتك لم يبالوا بذلك.

وهذا إذا تدبره العاقل علم أنه عداوة في صورة صداقة، وأنه لا أعدى للعاقل اللبيب من هذه العداوة، فهم يريدون أن يصيروك كالكير، ينفخ بطنك ويعصر أضلاعك في نفعهم ومصالحهم.

بل لو أبيح لهم أكلك لجزروك كما يجزرون الشاة، وكم يذبحونك كل وقت بغير سكين لمصالحهم، وكم اتخذوك جسرا ومعبرا لهم إلى أوطارهم وأنت لا تشعر، وكم بعت آخرتك بدنياهم وأنت لا تعلم وربما علمت، وكم بعت حظك من الله بحظوظهم منك، ورحت صفر اليدين...." [طريق الهجرتين وباب السعادتين:(1/108-107)]

العمل بمبدأ الشورى:

سأستعير هنا نصا -مع شيء من التصرف- من كتابي "الشورى":

"إن الشورى في الإسلام قاعدة من قواعده التي إذا فقدت اختل نظام الأمة، وانفرط عقد ائتلافها واجتماع كلمتها، وحلت فيها الفوضى، وسار كل شيء في غير مكانه اللائق به، وحلت في مجتمعها الفوضى.

إن الشورى من صفات المؤمنين التي لا غنى لهم عنها في حياتهم، ولا غنى لهم عنها في الوصول إلى رضا ربهم، وهي من القواعد الرئيسة التي أبرز خطرها القرآن الكريم في عهده المكي، قبل أن تقوم للمسلمين دولة، كما قال تعالى:

((فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى، للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، وإذا ما غضبوا هم يغفرون.

والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)) [الشورى: 36-39]

وكانت الشورى من القواعد التي حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تطبيقها مع أصحابه، وقد ساق الإمام البخاري رحمه الله، عدة حوادث شاور فيها أصحابه، وذكر أن الأئمة بعده كانوا يستشيرون الأمناء من أهل العلم. [صحيح البخاري: (162/8-163] وفتح الباري [339/13]

وقد أضيف الأمر في قوله تعالى: ((وأمرهم)) إلى الضمير وهو معرفة، وإضافة المفرد إلى المعرفة يكسبه العموم، فكل أمر يحتاج الحاكم فيه إلى إبداء الرأي والمشورة داخل في ذلك. وإنما كانت للشورى هذه المنزلة في الإسلام، لما فيه من الخير العائد إلى المسلمين، حاكمهم ومحكومهم.

فهي توجد بينهم الألفة، وتكون سببا في الوصول إلى الصواب، إما بإبداء الآراء وتمحيصها والخروج منها بالرأي الصائب بصفة جماعية، وإما باستحضار بعض أهل الشورى الحجة التي يقنع به الآخرين.

هذا إضافة إلى ما يوجد لدى بعضهم من الخبرة الطويلة والممارسة في العمل المبني على التخصص الذي لا يستغني عنه المسلمون، وإذا فقدوا ذلك خسروا خسارة عظيمة.

قال الإمام القرطبي –المفسر الفقيه–في تفسير الآيات السابقة: "وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم قط إلا هُدُوا، وقد قال الحكيم:

[shr]

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن،،،،،،،،،،برأي لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة،،،،،،،،،،فإن الخوافي قوة للقوادم

[shr/]

[الجامع لأحكام القرآن:16(/37-36) والبيتان لبشار بن برد، وهما في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ(49/4)]

قلت: وكما أثنى الله على المؤمنين بصفة الشورى، فقد أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين)) [آل عمران: 159]

[كتاب الشورى ص 22،23 وفي الكتاب تفصيل لحكم الشورى، وما تجري فيه الشورى، ومن هم أهل الشورى...]

والمقصود هنا أنه لا يحق للحاكم أن يتصرف في شؤون الأمة، التي تؤثر في حياتها سلبا وإيجابا، متفردا في تصرفاته، دون الرجوع إلى أهل الحل والعقد فيها، لأن الأمة تتحمل المفاسد المترتبة على تصرفه بلا ذنب ترتكبه.

ويشمل ذلك ما يتعلق بمرافق الأمة العامة كلها، كالتعليم والإعلام، والشؤون السياسية، والاجتماعية، والصحية، والمال العام والاقتصاد، والسلم والحرب، والمعاهدات الدولية، فتلك كلها تمس حياة الشعوب، ويعود عليها نفعها أو ضرها، فيجب أن يستشار أهل الحل والعقد فيها...

فقد طبق أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة الشورى، بعد وفاته مباشرة في اختيار من يخلفه، وهو أساس الشؤون السياسية [يراجع صحيح البخاري (8/25-28)]

وطبقها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشؤون الصحية [صحيح البخاري (7/21)]

وطبقها في المال العام والاقتصاد [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (8/1...) وبدية المجتهد (1/418) وفتح الباري (6/24) وكتاب الخراج لأبي يوسف (27-24)] وكتاب الشورى للكاتب [ص 54-71]

ونحن نشاهد في هذا العصر استبداد غالب حكام المسلمين بأمرهم-مع تستر كثير منهم بمجالس برلمانات صورية- في أمورهم الخطيرة التي تعود على شعوبهم بكوارث لا طاقة لهم بحملها، في شؤونهم الداخلية والخارجية، سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وعسكرية...

ويكفي أن نعلم أن بعض هؤلاء الزعماء يعلنون الحروب مع جيرانهم، وهي حروب يهلكون فيها الحرث والنسل، ويقضون على الأخضر واليابس، دون استشارة الأمة في ذلك.

وإن ما نراه اليوم من جفاء بين غالب حكام المسلمين وشعوبهم، يعود كثير منه إلى إضاعة قاعدة الشورى الصحيحة، التي يمنح الله بتطبيقها بركة يجمع بها القلوب ويزكي النفوس، ويزيل الأحقاد بين الحاكمين والمحكومين، كما يغري بينهم بفقدها الفرقة والنزاع المؤديين إلى الفشل.

وللقضاء على هذا الاستبداد الظالم، رأى العلماء عزل الحاكم الذي لا يستشير أهل الحل والعقد، كما قال ابن عطية رحمه الله:

"والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه....." [الجامع لأحكام القرآن (249/4]

إقامة قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم قواعد هذا الدين، التي تبنى حياة الأمة على إقامتها.

وهو من أخص صفات عباد الله المؤمنين التي وعد الله من اتصف بها أن ينال رحمته، كما قال تعالى:

((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)) [التوبة:71]

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من لوازم الولاء بين المؤمنين عموما، وبينهم وبين ولي أمرهم خصوصا، كالصلاة والزكاة، وغير ذلك من طاعة الله تعالى، كما هو واضح من الآية السابقة.

وإذا كان الله تعالى قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب رحمته، فإنه تعالى جعل ترك ذلك من أسباب طرده ونقمته، كما قال تعالى:

((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون(78)كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) [المائدة: 79]

والأمة التي تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهددة كلها بعقاب الله تعالى لها في الدنيا والآخرة، وأعظم ما يعاقبها الله به في الدنيا اختلاف قلوبها، وإغراء العداوة والبغضاء بينها، وعدم استجابته دعاءها لكشف السوء عنها.

وإن ما أصاب الله به الأمة الإسلامية من الفتن والمصائب العظام في كل أنحاء الأرض اليوم، لهو نذير من نذره تعالى على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وقد قال تعالى منذرا عباده المؤمنين، من تركهم الظالم يعيث فسادا في الأرض، بأن فتنة الظلم لا تخص الظالم فقد، وإنما تعم المسلمين جميعا، كما قال تعالى:

((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)) [الأنفال:25]

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) [الترمذي: 4/ 468]

وفي حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل، فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده.

فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قرأ ((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم)) إلى قوله ((فاسقون)) ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا) [سنن أبي داود: 4/ 121]

وقد كلف الله جميع عباده المؤمنين القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، كل منهم حسب طاقته، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [صحيح مسلم: 69/1]

نعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على كل مسلم، في حدود موقعه وقدرته، ولكن وجوبهما على الحاكم أعظم، لما أعطاه الله من القدرة، وما آتاه من التمكين في الأرض.

فإذا ترك المعروف أو وقع المنكر في منزل الأسرة، وجب على القادرين في الأسرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا حصل ذلك في مصنع أو إدارة وجب على رب المصنع أو الإدارة القيام بواجبه.....

لكن المنكر عندما ينتشر في البلد كله، في الشارع والسوق والبر والبحر، وفي مرافق الدولة، كالإعلام والتعليم والاقتصاد، فيعتدى على الحقوق، وتنتهك الأعراض، و تزهق الأرواح، وتقطع الطرقات...

عندئذ لا يمكن أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ولي الأمر الذي بيده قوة المال وقوة السلاح، ووسائل الضبط، ووسائل الاتصال العامة، من إذاعة وتلفاز وصحافة، كما أنه قادر على تعميم ذلك عن طريق أئمة المساجد وخطبائها... ولهذا يتعين عليه الأمر والنهي، لأن قراراته تنفذ في أصعب الأمور، التي يحشر لتنفيذها كل الوسائل والأسباب.

وإن صدور قرار الحاكم بأمر أو نهي، ليجعل الرعية كلها تأخذه مأخذ الجد، إذا علموا إصراره على تنفيذ قراره، لأن كبار موظفيه من الوزراء والشرطة وأجهزة الأمن تتعقب كل مخالف لقراره، في المدن والأحياء والحواضر والبوادي.

ومن هنا يظهر لنا شيء من حكمة جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهم وظائف ولاة الأمور المقرونة بأهم حقوق الله بعد الشهادة، وهي الصلاة، وأهم حقوق عباده، وهي الزكاة، كما قال تعالى:

((الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)) [الأنبياء: 41]

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تجتمع كلمة الأمة على الحق، ويحصل الانسجام بين أفرادها وجماعاتها، وبينها وبين ولاة أمرها، لاتجاههم جميعا إلى الأعمال الصالحة، والسعي في جلب مصالح الأفراد والمجتمع، واتخاذ الأسباب المانعة من وقوع المفاسد المهلكة، ويألف الناس الحرص على فعل الخير وترك الشر، وبذلك تغرس الطهارة الحسية والمعنوية في نفوس الناس.

وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تختلف قلوب الأمة، وتتصدع صفوفها، ويحصل بينهم التنازع والخصام، ويعم الفساد في الأرض، لأن تاركي المعروف وفاعلي المنكر يتبعون أهواءهم، ولا يمكن اجتماع أهل الأهواء على شيء فيه صلاحهم وفلاحهم، لأن كل واحد له من الأهواء ما يخالف بها الآخرين، بل إن أهواء الإنسان تتعدد وتختلف، فما يهواه اليوم قد يبغضه غدا، وما يبغضه اليوم قد يهواه غدا.

ولقد كان الهوى هو معبود من كفر بالله وعصى رسله عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ((أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا)) [الفرقان: 43]

وقال تعالى ((فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)) القصص: 50]

هذا حال أهل الأهواء يتنازعون فيما بينهم، بحسب تنازع أهوائه.

يضاف إلى ذلك تنازع أهل الحق وأهل الباطل، وهم أهل الأهواء فأهل الحق يعملون بالمعروف ويأمرون به، ويتركون المنكر وينهون عنه، وأهل الباطل يعملون المنكر ويأمرون به ويتركون المعروف وينهون عنه.

وقصص الأنبياء مع أممهم، وقصص دعاة الخير والصلاح مع المفسدين في الأرض، شاهدة على ما يصيب الأمم من تنازع وتقاتل ودمار.

تصور أمة هذا حالها: تنازع بين أهل الأهواء وخصام، وتنازع بين هؤلاء وبين أهل الحق، كيف يكون حال هذه الأمة؟

إنه لا يوحد هذه الأمة ويجمع كلمتها إلا حاكم مسلم، ملتزم بشرع الله يرد رعيته كلهم إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإن الحاكم الذي يترك الناس هملا، كالبهائم يرتكبون المنكر، ويتركون المعروف، لهو حاكم سوء، يجلب على الأمة الفساد والخسران المبين:

((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))

فكيف إذا كان الحاكم نفسه، هو الذي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، كحال كثير من حكام المسلمين اليوم، الذين ينشرون المنكر تشريعا وقضاء وتنفيذا، وإعلاما وتعليما، وأخلاقا، مستخدمين في ذلك مرافق الشعوب وأموالها، وطاقات أبنائها، محاربين لتطبيق شرع الله، يتكبرون على الناصحين، الذين إذا أمروهم بتقوى الله أخذتهم العزة بالإثم، متشبهين بسلف أفسدوا في الأرض:

((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام (204) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد (205) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد (206) [البقرة]

((والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)) [النساء:27]

فليتق الله حكام المسلمين في قيادة أمتهم بشرع الله، ليرضوا الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ليحققوا الصلاح في الأرض، ويطردوا الفساد منها، ولتجتمع كلمتهم جميعا على إحقاق الحق وإبطال الباطل...

صدق الحكام ووضوحهم مع شعوبهم في كل الأمور التي تهمهم، وتعود عليهم – عاجلا أو آجلا – بمصالح أو مفاسد، فإن ذلك واجب على الحكام دينا وسياسة، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين–وأنتم أجدر بأمره– بالتقوى والصدق، فقال تعالى: ((ياأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) [التوبة:119]

إن صدقكم شعوبكم –أيها الحكام–يجعلهم يصدقونكم، ويجلب لكم جميعا المصالح التي تستقيم بها الحياة، في الدنيا والآخرة، يوم لا ينفع عند الله إلا الصدق، كما قال

تعالى: ((قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم)) [المائدة:119]

ومن الأمثال العربية: "إن الرائد لا يكذب أهله"

نعم أثنى الناس على هذا الاعتراف، لالأنهم يجهلون مضمونه، وإنما لخروجه عن المألوف الذي لم تعرف الشعوب العربية غيره من زعمائها، وهو عدم"المفاتحة والمصارحة"

وكم يستبشر الناس بسماع كلمة صد يتفوه بها حاكم من حكامهم في أمر يهمهم، لا لأنهم يجهلون الحقيقة التي اعترف بها، وإنما لكثرة التصريحات المضللة من كثير من الحكام، ولندرة التصريحات الصادقة.

إن الصدق مع شعوبكم، من أهم أسباب حصول الثقة الصادقة الظاهرة والباطنة، بينكم وبينهم، الثقة التي يبنى عليها الولاء الصادق، والتعاون النافع المثمر الدائم.

وليست الثقة المزيفة التي يخالف باطنها ظاهرها، فهذه ثقة سراب خادع، يبرم كل من الشركاء فيه أمر سوء وهلاك لشريكه، في أقرب فرصة تتاح لي منهم، ثقة هي اسم دون مسمى، ضارة غير نافعة في الدنيا والآخرة.

حفظ نظام الأمة وإرساء الأمن الشامل لحياتها على أساس الشريعة:

إن المقصد العام من التشريع، الذي لا يمكن تحقيقه، إلا بتصدي الحاكم المسلم له، هو حفظ نظام الأمة بصلاح من يقوم بحراسة هذا النظام وتدبيره، وهو الإنسان، بحيث يشمل صلاح عقله وعمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم.[أخذ المعنى من مقاصد الشريعة الإسلامية، للشيخ الطاهر بن عاشور ص: 273 الناشر دار النفائس- الأردن]

فمن أهم واجبات الحكام حفظ النظام القائم على شرع الله، وإرساء الأمن العام الشامل لحياة الأمة المعنوية والحسية... الذي تتحقق به حماية الضرورات التي لا تستقيم الحياة بدونها، وهي: "الدين... والنفس... والنسل... والعقل... والمال" وما يكملها.

والمقصود بالضروريات، كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "...فمعناها أنه لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت، لم تجر مصالح الدنيا على

استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين" [الموافقات:بتحقيق عبد الله دراز 8/2]

وبهذا يعلم أن عدم حفظ هذه الضرورات على أساس شرع الله، يكون فيه هلاك الأمة الإسلامية وذوبانها، وفقد عزتها وكرامتها، وجعلها نهبا لأعدائها.

[للكاتب رسالة خاصة لخص فيها القول في هذه الضرورات، في حدود ما أمكنه. وهي بعنوان: الإسلام وضرورت الحياة–الناشر دار المجتمع بجدة]

وإن جل ما أصاب هذه الأمة اليوم من ضعف وتأخر وهوان، وخضوع لأعداء الله، يعود إلى التفريط الشديد في هذه الضرورات، وعدم تطبيق شرع الله في حفظها وحمايتها، في غالب البلدان الإسلامية.

فهاهم أعداؤنا من اليهود والنصارى والوثنيين، يعتدون على ديننا، ونفوسنا، ونسلنا وعقلنا ومالنا، في كل الأقطار الإسلامية، فلا يجدون من يحمينا بشريعتنا من عدوانهم.

بل إن غلاة العلمانيين المنتسبين إلى الإسلام في بلدان المسلمين، يتعاونون مع أعداء الإسلام، ويستعينون بهم على الانقضاض على هذه الضرورات، ولهم في ذلك من التدابير، والخداع، والوسائل... ما ليس بخاف على من يتتبع تصرفاتهم اليوم.

ولهؤلاء سلف يقتدون بهم، يفسدون في الأرض ويزعمون أنهم مصلحون، ويتعاملون مع المسلمين بوجه، ومع أعداء المسلمين بوجه آخر: ((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون(11). ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون(12) وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (14) [البقرة]

يفضلون التحاكم إلى الطاغوت على التحاكم إلى القرآن، الذي يزعمون أنهم يؤمنون به، ويزعمون أنهم لا يريدون من عملهم المخالف لحكم الله إلا مصلحة الأمة....

((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (60) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون

عنك صدودا (61) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا(62) [النساء]

المسؤولية جماعية:

وحفظ نظام الأمة وأمنها الشامل، الذي هو من أهم مسؤولية ولاة الأمر، هو مسؤولية جماعية، لا يمكن أن يقوم بها الحاكم وحده، وإنما هو مسؤولية الأمة كلها:

فالأسرة مسؤولة عن تربية أبنائها من طفولتهم، في منزلها على سلوك سبل النظام، في نظافتهم، ونومهم، وطعامهم، وجدهم ولهوهم، ودراستهم، وحسن أدبهم مع الأبوين والأقارب وبخاصة الكبار، ومع الضيف والخدم.... وإعطاء صاحب الحق حقه، وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين، وعلى التزام الصدق والوفاء بالوعد، وأداء العمل بإتقان...

والمسؤولون في المدرسة–من روضة الأطفال إلى الدراسات العليا–من مديرين، ومدرسين، وموظفين، مسؤولون كذلك عن توجيه الطالب في تصرفات وسلوكه...

والعلماء وخطباء المساجد، مسؤولون –كل في موقعه، عن إرشاد الناس وحثهم على التزام النظام وترك الفوضى...

والإدارات الحكومية العامة، والأهلية الخاصة، مسؤولة عن تدريب موظفيها وعمالها على النظام...

والقضاة في محاكمهم، مسؤولون عن حفظ النظام والأمن، بحسم الخلافات والنزاعات، والتعدي على الحقوق والأعراض، بالحكم بشرع الله، وإعطاء كل ذي حق حقه، وبإقامة الحدود والقصاص والتعزير، على من يستحق ذلك، دون تهاون ولا مجاملة لقوي أو ضعيف، ووضيع أو شريف...

والوزراء والأمراء وكبار رجال الدولة، كل منهم مسؤول عن القيام بواجبه في حفظ النظام وتثبيت الأمن الشامل، في حدود وظيفته...

ورجال الشرطة والمرور، مسؤولون –كذلك– عن إرساء النظام والأمن في مواقعهم، مع مراعاة الحقوق والواجبات الشرعية والنظم التي لا تخرج عن ذلك.

وجميع المؤسسات الرسمية والشعبية التي تعين عليها القيام بأي عمل من مصالح الأمة، هي مسؤولة عن

ويجب أن يعلم هؤلاء جميعا، أن الأصل في حفظ النظام وتثبيت الأمن في الأمة، هو تدريب كل مسؤول من تحته على ذلك، بالتعليم والتربية والترغيب والإقناع، وبالقدوة الحسنة والمتابعة المستمر، فإن لم ينفع ذلك كله، فبالزجر والترهيب والعقوبات المناسبة...

وإن المسؤولين عن النظام والأمن، إذا لم يكونوا قدوة حسنة لمن تحت مسئوليتهم، لهم أشد إفسادا لنظام الأمة وأمنها من غيرهم.

كيف يطلب الأب من أبنائه، التزام النظام، وحياته كلها فوضى؟ وكيف تطلب الأم من ولدها الصدق وهي تكذب عليه صباح مساء؟

كيف يطلب الحاكم وأعوانه الكبار –كالوزراء– ممن تحت يدهم التزام الأمانة والنظام وهم يتخذون كل وسيلة من وسائل الخيانة والخروج على مضامين القوانين...؟

وإنما نبهنا على أن المسؤولية عن الأمن والنظام جماعية، وإن كانت مسؤوليتها الأولى تقع على الحاكم، لأمرين:

الأمر الأول: أن مصطلح الأمن في الإسلام أشمل مما تعارفت عليه غالب الدول في هذا العصر –وإن وصفوه بالعام– وهو ما تقوم به الشرطة بفئاتها، ورجال المرور، والمباحث العامة والخاصة، وكذلك الاستخبارات بأنواعها... ويدخل في ذلك النائب العام... ومحاكم أمن الدولة التي قد تأخذ أسماء مختلفة...

فهؤلاء تؤدي كل فئة منهم وظيفتها المرسومة لها من قبل الدولة، وغالب الدول في هذا العصر تهتم بأمن محدود –وإن سمي الأمن العام–. ولتوضيح ذلك أضرب مثالا واحدا، وهو :

أن شرب الخمر مباح في غالب الدول، إذ الخمر تباع وتشترى، وتقدم في الحفلات وتشرب فيها علنا... ولا يعاقب القانون –عقابا غير رادع–شاربها إلا إذا سكر وحصل منه ضرر على الناس في الأماكن العامة، كالشوارع...

أما إذا شربها حتى غاب عقله دون أن يحصل منه ضرر على غيره، فلا عقوبة عليه، بل له الحرية الكاملة في ذلك.

فالأمن المقصود هنا غير شامل، بل هو قاصر، بخلاف الأمن الذي تتصدى الشريعة، فإنه يشمل أمر الشخص نفسه، سواء حصل منه ضرر على غيره أم لا.

فحفظ عقل الإنسان ضرورة من ضرورات الحياة، ويجب حمايته، ولا يجوز التفريط فيه، لأن الإسلام لا يبيح للإنسان أن يتعاطى الأسباب التي تعود عليه بالضر.

والضرر الذي يلحق شارب الخمر، ينال دينه وخلقه وشؤونه الدنيوية، وهذا معلوم يعرفه كل من أمكنه معرفة أحوال السكارى.

إضافة إلى ذلك فأن ضرر شرب الخمر لا يقتصر على شاربه فقط، بل يشمله ويشمل المجتمع، ولو بصورة غير مباشرة.

فهو مع اعتدائه على نعمة العقل يعتدي على ضرورات أخرى، كإنفاق المال في المحرمات، وحجبه عمن يستحقه من أسرته أو غيرهم من المحتاجين.

كما يعتدي على أهم الضرورات وأعظمها وهي الدين، ومعلوم أن غالب الذين يداومون على شرب الخمر يفقدون التدين والتعبد، وتقل عندهم التقوى، ويضيع الورع.

ويعتدون على ضرورة اجتماعية أخرى وهي النسل والعِرض، فغالب من يشربون الخمر لا يتورعون عن ارتكاب فاحشة الزنا، وكثير منهم يتصفون بالدياثة فلا يغارون على نسائهم، وفي الزنا مع هتك الأعراض اختلاط الأنساب، وقطع النسل، لأن النساء الزواني يتعمدن تعاطي ما يمنع الحمل.

ثم إن الشريعة الإسلامية تعاقب على شرب قليل الخمر وكثيره، أسكر أو لم يسكر، حماية للعقل ووقاية له من أن يصل إلى السكر.

والشريعة الإسلامية تمنع منعا باتا صناعة الخمر وبيعها وشراءها، وتلعن كل من يتسبب في استعمالها: العاصر والمعتصر، والبائع والمشتري، والساقي والشارب...

ففرق بعيد في حماية العقل وحفظه وأمنه مما يغتاله ويذهبه، بين ما سنته الشريعة الإسلامية، وبين ما سنته الدول في قوانينها الوضعية.

بل إن عقوبة شارب الخمر في القوانين الوضعية، مع عدم جدواها، لم توضع لحفظ العقل، بل وضعت لحماية النظام العام.

ومن هذا المثال –وغيره من الأمثلة كثير– يعلم الفرق الكبير بين مفهوم الأمن في قوانين غالب الدول وبين مفهومه في الشريعة الإسلامية وعلى كلا المفهومين تترتب آثار لا تخفى.

الرحمة والسماحة والرفق:

1828 عن حرملة عن عبد الرحمن بن شماسة قال أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت ممن أنت فقلت رجل من أهل مصر فقالت كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه فقال ما نقمنا منه شيئا إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة فقالت أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به مسلم: [1458/3]

القضاء المستقل

العناية بذوي الحاجات

1829 حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثنا محمد بن رمح حدثنا الليث عن نافع عن بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثم ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته مسلم 1459/3

142 وحدثنا شيبان بن فروخ حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار المزني في مرضه الذي مات فيه فقال معقل ثم إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أن لي حياة ما حدثتك إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة

مسلم: 1460/3

باب تحريم هدايا العمال 1832 حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وابن أبي عمر واللفظ لأبي بكر قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن أبي حميد الساعدي قال ثم استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأسد يقال له بن اللتبية قال عمرو وابن أبي عمر على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا لي

أهدي لي قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت مرتي مسلم 1463/3

2589 أخبرنا علي بن شعيب قال أنبأنا ينعقد قال أنبأنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا أعطاه الله عز وجل من فضله فيسأله أعطاه أو منعه باب فضل من لا يسأل الناس شيئا النسائي 96/5

اتخاذ أسباب الاجتماع

هل يجوز الخروج على الحاكم الظالم؟

فإذا أصر على حكمهم بغير الإسلام، وجب عليهم أن يتخذوا الأسباب السلمية الممكنة لعزله، ولكن لا يتعاطون عزله بالقوة إلا عندما يتعذر عزله بالطرق السلمية، و تشترط القدرة التي يتم بها عزله بدون مفاسد راجحة.

فإذا كان عزله لا يحصل إلا بمفاسد وفوضى تعم الأمة كلها أو غالبها، وتفقدها الأمن الضروري لحياتها، فلا يجوز عندئذ الخروج عليه، بل يجب الصبر واتخاذ الأسباب الكفيلة بعزله عندما تحين الفرصة تنتفي معها تلك المفاسد.

وقد صور الرسول صلى الله عليه وسلم، حالة ولاة الأمر ورعاياهم في الحالتين: حالة العدل والمساواة والوئام، وحالة الظلم وتعاطي المظالم العظام، تصويرا دقيقا، في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:

(خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم) قالوا قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: (لا ما أقاموا الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي

شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة) [صحيح مسلم: رقم: "1855" (1482/3)]

فسبحان الله الذي نَزَّل شرعَه كلَّه رحمة وحِكَما، فحرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما.

والنصوص الواردة في القرآن والسنة في تحريم ظلم بعض العباد بعضا كثيرة لا يتسع لذكرها المقام، ولنذكر بإيجاز قليلا منها:

جلب المصالح، دفع المفاسد، حماية البيضة، إقامة الحدود والتعزير،

حكام المسلمين–ومنهم العرب– هم الذين يملكون التصرف في مرافق الشعوب: السياسية، والمالية، والاقتصادية، والإعلامية والتعليمية، وهم الذين يتولون وضع التشريعات والقوانين وتنفيذها، وإن أظهروا غير ذلك باصطناع برلمانات تمثل الشعوب.

ومع ذلك لا يحجم من أراد منهم عن تعليق الدساتير والقوانين، وإعلان حالة الطوارئ، للقضاء من ينكر بعض تصرفاتهم المستبدة، من شخصيات وجماعات وأحزاب.

وهم الذين يسيطرون على القضاء والمحاكم، وإن زعموا أن القضاء مستقل ونزيه، ومع ذلك لا يتأخرون عن إنشاء محاكم عسكرية عندما يريدون إصدار الأحكام الاستثنائية العاجلة للقضاء خصومهم، بتهم مزيفة، والغالب أن توجه إليهم تهم الإخلال بأمن الدولة وخيانة الشعب، والخروج على القانون، والسعي لقلب نظام الحكم، والإفساد في الأرض....

ويكون الحكم هو السجن والتعذيب والنفي من الأرض والقتل ... وتلك هي أساليب الطغاة المتجبرين من قديم الزمان، كما سطرتها سجلات التاريخ، واحتواها قَصَص القرآن، كما قال تعالى: ((وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) [الأنفال:30]

وقال تعالى عن فرعون وقومه في موقفهم من رسولي الله موسى وهارون عليهما السلام: ((فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى(62) قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى)) [طه: 63]

وهي طبيعة أعداء الحق والدين من الكافرين مع الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ((وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين)) [الأنبياء: 13]

كما يسيطرون –غالبا–على القضاء، وإن زعموا استقلاله، بل لا يتورعون عن إنشاء محاكم عسكرية لتتولى وهم الذين يضعون سياسة بلدانهم الداخلية والخارجية،

والحكام بجرة قلم يجلبون أعظم المصالح، إن أرادوا، و يجلبون بجرة قلم أخرى أعظم المفاسد إن قصدوا، فإن راقبوا الله في حركة أناملهم عندما يوقعون على أي قرار، نالت شعوبهم من المصالح ما يسعدهم ويسعدها، وإن أعرضوا عن مراقبته واتبعوا أهواءهم تعرضوا لسخطه، وأوقعوا شعوبهم فيما يشق عليها ويشقيها.

جريدة الرياض وتصريحات الأمير عبد الله

11#.html12/page2001-12-31http://www.alriyadh.com.sa/

الالتقاء والتفاهم للاتفاق على الثوابت

2–تطبيق الإسلام

3–التشاور مع أهل الحل والعقد

4–الحرية في دائرة الثوابت

6–سعة صدور الحكام مع شعوبهم، وعدم الإقصاء

7–اتخاذ أسباب القوة الاقتصادية والسياسية والصناعية والإعلامية والاجتماعية

8–التعاون القطري.

9–القوة العسكرية وتدريب الشعوب

11–عدم التفريط في السيادة والحرص على المعاملة بالمثل في المصالح

دعوى عدم التدخل والآثار المترتبة عليه.

=================

فئات الشعب(الإسلاميون)

العلمانيون:

مرت فترة ضعف عام على المسلمين، في دينهم واقتصادهم وسياستهم واقتصادهم وثقافتهم وإعلامهم وشأنهم العسكري، وكانوا في حاجة أن يتشبثوا بأي مبدأ يعرضه أهله لينقذوا به أنفسهم مما هم فيه. وجربت كل تلك المبادئ واتضح فشلها

وقد رجع كثير ممن اغتروا بتلك المبادئ عنها:

سواء كانت شيوعية أو قومية لم تقم على أساس الدين، أو علمانية مغرقة في محاربة الإسلام.

واليوم لم يبق عذر لأحد في البعد عن الإسلام، لأن الصحوة الإسلامية انتشرت في الأرض بسبب انتشار الثقافة الإسلامية التي بينت للناس أن الإسلام هو الحل الذي لم يجرب.

إذا كان بعض العلمانيين كانوا يشكون من وجود علماء غير منفتحين على العالم وغير متابعين للواقع المعاصر، فإن هذا العذر قد زال، لوجود علماء مسلمين ومفكرين ودعاة جمعوا بين الفقه في الدين، وبين معرفة الواقع المعاصر، وبادروا بالتحاور مع غيرهم من مسلمين معارضين لتطبيق الإسلام، كالعلمانيين، ومن غير المسلمين، وقد عقدت مؤتمرات بينهم وبين غيرهم في كثير من البلدان الإسلامية والأوربية وغيره، وحصل تفاهم وتقارب صدرت عنهما قرارات مفيدة للتعاون على تحقيق مصالح البلدان الإسلامية والعربية...

لذلك يجب أن يتفهم العلمانيون من أبناء المسلمين ما يدعو إليه الإسلاميون ويتحاوروا معهم، ليصلوا إلى التعاون المثمر ضد الهجمات الأجنبية على البلدان الإسلامية، لأن المصير واحد.

دعاة الإسلام لم يقفوا ضد ما تم من منجزات العصر المفيدة التي لا تتعارض مع الإسلام: سواء كانت تتعلق بالشؤون الإدارة، أو السياسية أو الاقتصاد أو أي علم من العلوم الإنسانية، من تعليم وعلم نفس وتربية، والكونية والطبية، بل إنهم يجتمعون في مؤتمراتهم وندواتهم بالمتخصصين في تلك العلوم ليصححوا تصورهم عما يبحثون فيه، ليصدروا قراراتهم وفتاواهم بناء على صحة ذلك التصور.

فلم يبق عذر للعلمانيين في النفور من علماء الإسلام والتحاور معهم وقبول الحق الذي جاء به الإسلام، لأن ذلك هو دينهم الذي يجب عليهم أن يعودوا إليه.

13–التربية الأسرية.

14–المدارس، المناهج، الكتب، الأساتذة.

15–الأدباء الكتاب الشعراء الفنانون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الإصلاح بين الناس

الآثار المترتبة–عداوات–كذب–خيانة–عدم ثقة–كلاب بوليس للعدو

اجتماع الكلمة:

لوشب حريق في مسجد يصلي فيه جميع طوائف المسلمين,احزابهم.... فما الواجب عليهم؟ هل يعذر أحد يتخلف عن إطفاء الحريق وهو قادر؟

لو تعرض قطاع طرق لقطار فيه ركاب من جميع الأديان والفئات، هل يعذر أي قادر على الدفاع عن أنفسهم على التخلف عن ذلك؟

،،،

الطرف الثاني: زعماء المسلمين من غير العرب

فأنتم "زعماء الدول العربية" طرف من الأطراف المسؤولة عن هذه الأرض، وهناك أطراف أخرى:

الأمر الثالث: العدل و المساواة بين رعيتكم، مسلمهم وكافرهم: في إعطاء كل ذي حق حقه، وفي إقامة حكم الله على الجميع، دون تفريق بين كبير وصغير وشريف ووضيع وقريب وبعيد، والمساواة في ذلك من مقتضيات العدل، كما قال تعالى: ((يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)) [المائدة: 8]

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من عدم المساواة بين الناس في الأحكام، وبين أن ذلك سبب في هلاك الأمم، كما ثبت في حديث عائشة المتفق عليه، قالت: "إن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكلمه أسامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتشفع في حد من حدود الله؟!)

ثم قام فاختطب، فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) هذا لفظ مسلم، وهو فيه برقم: "1688" و هو في صحيح البخاري برقم: "3288"

وبالعدل والمساواة تطمئن نفوس الرعية وتستقر أحوالهم، ويأمنون على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. ويقوى نشاطهم في عمارة وطنهم، بالتجارة والزراعة والصناعة، وتتوطد العلاقات بينهم وبين ولاة أمرهم، فيثق بعضهم في بعض، ولا يخافون من ظلم ظالم ولا غدر غادر، مهما عظمت منازلهم الاجتماعية، وعلت مراتبهم السياسية أو سفلت، لعلمهم بوجوب ذلك لبعضهم على بعض، وبأن سوط عدل الحاكم مرفوع لإنصاف المظلوم وردع الظالم.

بخلاف الحاكم الجائر الذي يتخذ سلطته وسيلة للاعتداء على حقوق الرعايا، ويعين ذوي الحيف من بطانته، على سلب الناس حقوقهم، فإن الشعب الذي يبتلى بمثل هذا الحاكم، يعيش في ذل وهوان دائم، ينام مرعوبا بالكوابيس، ويصحو مشفقا على نفسه من هجمة الظلمة الأباليس.

يحجم الناس في ولايته عن الاقتناء والكسب، خشية على حقوقهم من السلب والنهب، فتضعف في البلاد الصناعة، ويزهد الناس في مزاولة التجارة ومهنة الزراعة.

وهنا تنطوي قلوب الناس على الغل و الأحقاد، ويعم البلاد الإجرام والمصائب الشداد، ويصبح الأمن مفقودا بين العباد، وجِران الخوف على طولها وعرضها في امتداد.

تقطع فيها السبل و الطرقات، وتسلب فيها الأموال وتنتهك الأعراض الشريفات، وتسفك الدماء وتزهق النفوس المحرمات، ويتمنى الأحياء أن يكونوا في القبور مع الأموات.

ولهذا تواترت نصوص القرآن والسنة، في النهي عن الظلم والتحذير منه، وبيان عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)) [هود:102]

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) قال ثم قرأ: ((وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)) [الحديث في صحيح البخاري برقم: 4409]

وفي حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) [الحديث في صحيح مسلم برقم: 2577]

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (الظلم ظلمات يوم القيامة) [صحيح البخاري برقم: 2315وهو في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله برقم: 2578]

الأمر الرابع: اتخاذ كل الوسائل المؤدية إلى جمع كلمة شعوبكم على الحق، ودفع الذرائع الجالبة للنزاع والمحق، لما في اجتماع الكلمة من قوة واطمئنان، وما في النزاع من ضعف وفوضى وهوان.

ومعلوم أن اجتماع كلمة الأمة من أهم مقاصد شرع الله، بل هو نعمة من نعمه وآلاه [أصله: آلائه قُصر مراعاة للفواصل] أمر به في كتابه وعلى لسان رسوله ومصطفاه، كما قال تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون)) [آل عمران:103]

كما أن تنازع الأمة من أهم مقاصد الشيطان الرجيم، الذي ألزم نفسه إضلال الناس عن صراط الله المستقيم، كما قال الله تعالى عنه: ((قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم)) [الأعراف:16]

وقال تعالى: ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) [الأنعام:153]

ويقتدي بالشيطان أولياؤه من الطغاة الذين يتخذون من الوسائل والأسباب ما يؤدي بشعوبهم إلى شيع وأحزاب، ليستضعف من أراد من طوائفهم، ولا يخشى مواجهته باجتماعهم، وفي فرعون للطغاة أسوة: ((إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا

يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين)) [القصص:4]

الأمر الخامس: إقامة قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم قواعد هذا الدين، التي تبنى حياة الأمة على إقامتها، وهو من أخص صفات عباد الله المؤمنين التي وعد الله من اتصف بها أن ينال رحمته، كما قال تعالى:

((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)) [التوبة:71]

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من لوازم الولاء بين المؤمنين عموما، وبينهم وبين ولي أمرهم خصوصا، كالصلاة والزكاة، وغير ذلك من طاعة الله تعالى، كما هو واضح من الآية السابقة.

وإذا كان الله تعالى قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب رحمته، فإنه تعالى جعل ترك ذلك من أسباب طرده ونقمته، كما قال تعالى:

((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون(78)كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) [المائدة: 79]

والأمة التي تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهددة كلها بعقاب الله تعالى لها في الدنيا والآخرة، وأعظم ما يعاقبها الله به في الدنيا اختلاف قلوبها، وإغراء العداوة والبغضاء بينها، وعدم استجابته دعاءها لكشف السوء عنها.

وإن ما أصاب الله به الأمة الإسلامية من الفتن والمصائب العظام في كل أنحاء الأرض اليوم، لهو نذير من نذره تعالى على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وقد قال تعالى منذرا عباده المؤمنين، من تركهم الظالم يعيث فسادا في الأرض، بأن فتنة الظلم لا تخص الظالم فقد، وإنما تعم المسلمين جميعا، كما قال تعالى: ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)) [الأنفال:25]

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) [الترمذي: 4/ 468]

وفي حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل، فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قرأ ((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم)) إلى قوله ((فاسقون)) ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا) [سنن أبي داود: 4/ 121]

ومن الذي يقدر على الأخذ على يد الظالم، وأطره على الحق أطرا، وقصره عليه قصرا غيركم يا من بيدكم مرافق الشعوب وقوتها؟

نعم كلف الله جميع عباده المؤمنين القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، كل منهم حسب طاقته، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [صحيح مسلم: 69/1]

نعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على كل مسلم، في حدود موقعه وقدرته، ولكن وجوبهما عليكم أعظم، لما أعطاكم الله من القدرة، وما آتاكم من التمكين في الأرض.

فإذا ترك المعروف أو وقع المنكر في منزل الأسرة، وجب على القادرين في الأسرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا حصل ذلك في مصنع أو إدارة وجب على رب المصنع أو الإدارة القيام بواجبه.....

لكن المنكر عندما ينتشر في البلد كله، في الشارع والسوق والبر والبحر، وفي مرافق الدولة، كالإعلام والتعليم والاقتصاد، فيعتدى على الحقوق، وتنتهك الأعراض، و تزهق الأرواح، وتقطع الطرقات...

عندئذ لا يمكن أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أنتم يا ولاة الأمر لأن بيدكم قوة المال وقوة السلاح، ووسائل الضبط، ووسائل الاتصال العامة، من إذاعة وتلفاز وصحافة، كما أنكم قادرون على تعميم ذلك عن طريق أئمة المساجد وخطبائها... ولهذا يتعين عليكم الأمر والنهي، لأن قراراتكم تنفذ في أصعب الأمور، التي يحشر لتنفيذها كل الوسائل والأسباب.

وإن صدور قرار الحاكم بأمر أو نهي، ليجعل الرعية كلها تأخذه مأخذ الجد، إذا علموا إصراره على تنفيذ قراره، لأن كبار موظفيه من الوزراء والشرطة وأجهزة الأمن تتعقب كل مخالف لقراره، في المدن والأحياء والحواضر والبوادي.

ومن هنا يظهر لنا شيء من حكمة جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهم وظائفكم يا ولاة الأمور المقرونة بأهم حقوق الله بعد الشهادة، وهي الصلاة، وأهم حقوق عباده، وهي الزكاة، كما قال تعالى:

((الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)) [الأنبياء: 41]

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تجتمع كلمة الأمة على الحق، ويحصل الانسجام بين أفرادها وجماعاتها، وبينها وبين ولاة أمرها، لاتجاههم جميعا إلى الأعمال الصالحة، والسعي في جلب مصالح الأفراد والمجتمع، واتخاذ الأسباب المانعة من وقوع المفاسد المهلكة، ويألف الناس الحرص على فعل الخير وترك الشر، وبذلك تغرس الطهارة الحسية والمعنوية في نفوس الناس.

وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تختلف قلوب الأمة، وتتصدع صفوفها، ويحصل بينهم التنازع والخصام، ويعم الفساد في الأرض، لأن تاركي المعروف وفاعلي المنكر يتبعون أهواءهم، ولا يمكن اجتماع أهل الأهواء على شيء فيه صلاحهم وفلاحهم، لأن كل واحد له من الأهواء ما يخالف بها الآخرين، بل إن أهواء الإنسان تتعدد وتختلف، فما يهواه اليوم يبغضه غدا.

ولقد كان الهوى معبودَ مَن كفر بالله وعصى رسله عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ((أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا)) [الفرقان: 43]

وقال تعالى ((فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)) القصص: 50]

هذا حال أهل الأهواء يتنازعون فيما بينهم، بحسب تنازع أهوائه.

يضاف إلى ذلك تنازع أهل الحق وأهل الباطل، وهم أهل الأهواء فأهل الحق يعملون بالمعروف ويأمرون به، ويتركون المنكر وينهون عنه، وأهل الباطل يعملون المنكر ويأمرون به ويتركون المعروف وينهون عنه.

تصور أمة هذا حالها: تنازع بين أهل الأهواء وخصام، وتنازع بين هؤلاء وبين أهل الحق، كيف يكون حال هذه الأمة؟

إنه لا يوحد هذه الأمة ويجمع كلمتها إلا حاكم مسلم، ملتزم بشرع الله يرد رعيته كلهم إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإن الحاكم الذي يترك الناس هملا، كالبهائم يرتكبون المنكر، ويتركون المعروف، لهو حاكم سوء، يجلب على الأمة الفساد والخسران المبين:

((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))

فكيف إذا كان الحاكم نفسه، هو الذي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، كحال كثير من حكام المسلمين اليوم، الذين ينشرون المنكر تشريعا وقضاء وتنفيذا، وإعلاما وتعليما، وأخلاقا، مستخدمين في ذلك مرافق الشعوب وأموالها، وطاقات أبنائها، محاربين لتطبيق شرع الله، يتكبرون على الناصحين، الذين إذا أمروهم بتقوى الله أخذتهم العزة بالإثم، متشبهين بسلف أفسدوا في الأرض:

((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام (204) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد (205) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد (206) [البقرة]

((والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)) [النساء:27]

فاتقوا الله يا حكام المسلمين في قيادة أمتكم بشرع الله، لترضوا الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتحققوا الصلاح في الأرض، وتطردوا الفساد منها، ولتجتمع كلمتكم جميعا على إحقاق الحق وإبطال الباطل...

الأمر السادس: الحرص على جعل أساس الولاء بينكم وبين شعوبكم هو الإسلام:

إن الولاء القوي المتين القابل للدوام، بين الحاكم ورعيته، إنما هو ولاء الإسلام، فهو العروة الوثقى التي لا تقبل الانفصام، والحصن القوي الذي يمتنع على الاقتحام، والبناء الراسي الذي يستعصي على المعتدين من ذوي الإجرام.

إن المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله، ويعبدونه حق عبادته، هم أهل الولاء الدائم، وقد قرن تعالى ولاءهم بولائه وولاء رسوله، إشارة إلى قوة هذا الولاء ومتانته، وأن لأهل هذا الرابط الغلبة على أعدائهم، كما قال تعالى:

((إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون(55) ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون)) [المائدة:56]

ومن صفاتهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما عبارة عن قيامهم بحق الله وحق عباده، ومن صفاتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عبارة عن حرصهم على حفظ نظام الأمة وصيانته من التفكك والانحلال، وهؤلاء هم الذين يستحقون رحمة الله في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:

((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)) [التوبة:71]

هذا الولاء هو الذي يدوم ولو تباعدت بين أهله الأنساب، وانقطع بينهم ما اتصل بين غيرهم من الأسباب، وفي تاريخ المسلمين المعتصمين بحبل الله ما يقطع حجة كل مرتاب، وقد بين الله ذلك في محكم الكتاب، فقال وهو أصدق القائلين:

((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون)) [آل عمران:103]

وكل ولاء غير الإسلام قابل للنقض بعد الإبرام، وللزوال بعد التمام.

وإن في قصة سحرة فرعون الذين دانوا له بالولاء، بما يمنحهم من الأجر والتقريب إليه، وتغير ولائهم له– مع قوة ملكه، وعظيم ترغيبه، وشدة ترهيبه–إلى ولائهم لعدوه موسى عليه السلام، الذي لا يملك شيئا غير إيمانه بربه وتوكله عليه، إن في تغيير ولائهم لفرعون وزهدهم في ماله وقربه، وعدم المبالاة بتهديده، إلى الولاء لله ولرسوله موسى عليه السلام، لعبرة للملوك والرؤساء الذين يجعلون أساس الولاء بينهم وبين أعوانهم غير الإسلام.

ويكفي أن نقرأ هذه الآيات الكريمة بدون شرح ولا تعليق، فهي واضحة بينة وضوح الشمس في كبد السماء، قال تعال:

((وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين(113) قال نعم وإنكم لمن المقربين(114) قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين(115) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (116) وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (117) فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون(118)فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (119) وألقي السحرة ساجدين(120) قالوا ءامنا برب العالمين (121) رب موسى وهارون(122) قال فرعون ءامنتم به قبل أن ءاذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون(123) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (124)قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (125) وما تنقم منا إلا أن ءامنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين(126) [الأعراف]

والذي يقرأ التاريخ يجد فيه البراهين الساطعة والحجج القاطعة، على أن الولاء على غير الإسلام، من مال أو منصب أو جاه، لا يعصم الحكام من خيانة من يوالونهم على ذلك وخروجهم عليهم.

فتجد الابن يخرج على أبيه، والأخ يقتل أخاه، والقريب يستولي على ملك قريبه، وكبار رجاله يقلبون نظام حكمه ويسفكون دمه أو يهينونه في غياهب السجون، فيصبح مجرما بعد أن كان مطاعا محترما...

والسبب في ذلك أن الولاء على المال أو المنصب أو الجاه أو النسب، قابل للتغيير والتبديل، فقد يجد من يوالي الحاكم على المال، من يعطيه مالا أكثر، ويجد من يواليه على المنصب من يمنحه منصبا أعلى، ويجد من يواليه على النسب، من هو أقرب إليه نسبا أو أكثر مصلحة، فيغير ولاءه بتغير مصلحته في ذلك كله.

أما الولاء بين الحاكم ورعيته على الإسلام، فالغالب أنه لا يتغير، لأنه مرتبط بالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)) وهو ولاء باق دائم، يعبد المسلم به ربه: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين))

فإذا حصل تغيير في هذا الولاء، فلا بد أن يكون سببه ضعف الإيمان المانع من التغيير، من قبل الحاكم أو المحكوم أو من قبلهما معا.

لهذا يجب أن تتخذوا ايها الحكام كل وسيلة مشروعة لجعل الولاء بينكم وبين شعوبكم الإسلام، ليقوى بينكم الولاء، ويتم بينكم الوئام والإخاء، ويأمن بعضكم بعضا، ولا تفقدوا الثقة فيما بينكم، لأن فقد الثقة بين الحكام ورعاياهم، يجعل كلا منهم يتوجس خيفة من الآخر، ويتربص به الغدر و الدوائر.

ولا يغتر الحاكم بما قد يظهره بعض رعيته من الولاء، وما يطلقونه عليه من المدح والثناء، فكثيرٌ هم الذين يمدحون الحاكم شعرا ونثرا، ويثنون عليه بألسنتهم مساء وفجرا، وهم يكتمون بغضهم له، إذا غابت رقابته سرا وجهرا.

ولقد أجاد ابن القيم رحمه الله في وصف من يظهرون للإنسان حبهم له، وهم في الحقيقة أعداء، ويظهرون له أنهم يريدون نفعه، وهم لا يريدون إلا منفعة أنفسهم وإن أضروه، فقال رحمه الله:

"ومما يبين ذلك أن غالب الخلق يطلبون إدراك حاجتهم بك، وإن كان ذلك ضررا عليك، فإن صاحب الحاجة لا يرى إلا قضاءها، فهم لا يبالون بمضرتك إذا أدركوا منك حاجتهم، بل لو كان فيها هلاك دنياك وآخرتك لم يبالوا بذلك.

وهذا إذا تدبره العاقل علم أنه عداوة في صورة صداقة، وأنه لا أعدى للعاقل اللبيب من هذه العداوة، فهم يريدون أن يصيروك كالكير، ينفخ بطنك ويعصر أضلاعك في نفعهم ومصالحهم.

بل لو أبيح لهم أكلك لجزروك كما يجزرون الشاة، وكم يذبحونك كل وقت بغير سكين لمصالحهم، وكم اتخذوك جسرا ومعبرا لهم إلى أوطارهم وأنت لا تشعر، وكم بعت آخرتك بدنياهم وأنت لا تعلم وربما علمت، وكم بعت حظك من الله بحظوظهم منك، ورحت صفر اليدين...." [طريق الهجرتين وباب السعادتين:(1/108-107)]

الأمر السابع: رعاية مصالح شعوبكم:

إن الواجب الأول عليكم هو القيام برعاية شعوبكم، لأن ذلك هو أساس وظيفتكم، إذ أن توليكم حكم هذه الشعوب، يحملكم المسئولية عن جلب مصالحها، ودفع المفاسد عنها...ومعلوم أن مسئوليتكم هي أعظم المسئوليات، بصفة وظيفتكم التي هي أعلى الوظائف، والمغنم على قدر المغرم...

ومن هنا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بمسئولياتكم قبل كل المسئوليات، كما في حديث

الأمر الثامن: التمكين أجيال شعوبكم من فقه الإسلام فقها صحيحا، نابعا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مستندا إلى فقه علماء السنة المشهورين بالفقه في دين الله، الذين لا يخافون في بيان الحق لومة لائم.

وتمكين هذه الأجيال من معرفة تاريخ أمتهم وتاريخ أعدائهم، من اليهود والصليبيين والوثنيين، من زمن البعثة النبوية إلى يومنا هذا، حتى لا تضلل عقولهم ويحرف تاريخهم، وينسون جغرافية أوطانهم الإسلامية، التي يحاول أعداء الإسلام سلبها والاستيلاء عليها، مطالبين بالاعتراف الرسمي بها، لتصبح وطنا شرعيا لهم، وبخاصة الأرض المباركة "فلسطين"

أيها الزعماء العرب! إن تغيير مناهج مدارسنا وجامعاتنا، استجابة لأعدائنا اليهود، ومؤيديهم من الغربيين، وبخاصة الإدارة الأمريكية الصليبية الظالمة، هو خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، خيانة لأبنائكم الذين يراد محو ما في ذاكرتهم من الحقائق الدينية والتاريخية والاجتماعية......

إن اليهود –إذا تم اعترافكم باغتصابهم للأرض المباركة- لا يمكن أن يرفعوا علمهم بجانب عَلَم أي بلد من بلدانكم العربية، تحقيقا للسلام المزعوم[وهو في حقيقته استسلام] إلا بعد اجتثاث تلك الحقائق من مناهجنا التعليمية والإعلامية، وبعد توقيعكم على معاهدات تلتزمون فيها بالقضاء على أي صوت حر، يبين تلك الحقائق للأجيال الناشئة، من أساتذة الجامعات، ومعلمي المدارس، وخطباء المساجد وعلماء التاريخ...

إن محاولة تحريف الحقائق من أفراد أو جمعيات، أو أحزاب ليست على قمة السلطة، هي محاولة خائنة، ولكنها قابلة للرد عليها ولتصحيح اعوجاجها، لأن الأفراد والجمعيات والأحزاب الذين يحرفون الحقائق، يقف إزاءهم أفراد وجمعيات وأحزاب أخرى يردون على تحريفهم، بدون تكميم أفواه واعتقالات ومحاكمات ...

أما إذا صدر التحريف من دولة تملك السلطة، وتهيمن على مرافق الأمة، وبخاصة التعليمية والإعلامية، والأمنية والعسكرية والسياسية، فإن التحريف يصبح مفروضا على عقول الأمة بالإكراه .... ومعلوم هو الفرق بين آثار هنا والتحريف هناك!

البند الثاني: يشمل أهم مسؤولياتكم الخارجية:

كيف نصون السفينة – واجب الأمة كلها: ...

... ...

...

وفي هذه الحلقة نبين واجب الأمة الإسلامية كلها في صيانة سفينتها، فكلهم راكب في هذه السفينة، ينجون من الغرق إذا تعاونوا على صيانتها، ويغرقون جميعا إذا فرطوا فيها وتغاضوا عن إفساد من أراد إفسادها، لا فرق بين قائد وراكب في مقدمتها أو مؤخرتها، في أعلاها أو أسفلها....

ويجب أن نعلم جميعا أن لنا أعداء خارج هذه السفينة يتربصون بنا الدوائر، ويسعون جادين لتخريبها وإفسادها، وأسهل وسيلة لتحقيق هدفهم أن يجدوا منا –ركاب السفينة- من يخرق فيها خرقا أو خروقا يتسرب منها الماء إلى داخلها، فيكون سببا في إغراقها وإهلاك ركابها.

فكيف نتعاون على صيانة سفينتنا، ونمنع المفسدين من إغراقها؟

الجواب على هذا السؤال نوجزه في أمرين عامين:

الأمر الأول: معرفةُ من يخشى منه خرق السفينة وإفسادها من ركابها، لأن معرفة المفسدين أمر ضروري لاتقاء شرهم وفسادهم، وهذا يقتضي يقظة الركاب وحذرهم الدائمين من كيد المفسدين المندسين في صفوفهم، وأن يكون جميع الركاب أفرادا وأسرا وأمة من حكام ومحكومين، حراسا لهذه السفينة ومراقبين لتحركات من يريدها بسوء.

وإن أي غفلة عن هذه الحراسة، وأي تساهل في هذه المراقبة، قد يؤدي إلى إغراق السفينة وهلاك ركابها جميعا: ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)) الأنفال: (5)

ومن هنا نعلم عناية الإسلام ببيان أهل الصلاح وصفاتهم من المؤمنين، وفضح أهل الفساد وكشف صفاتهم من الكافرين والمنافقين، والمصرين على الفسوق وكبائر الذنوب من المسلمين، وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مليئان بهذه المعاني...

وقد ذكر الصلاح ومشتقاته في القرآن الكريم: 180 مرة، وذكر الفساد ومشتقاته 50 مرة...

وما على مريد الاطلاع على هذه العناية، إلا أن يفتح ما بين دفتي المصحف الكريم، وكذلك أي كتاب من كتب السنة المطهرة، وأوجزها وأقربها تناولا كتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله، ليرى تلك العناية الفائقة في بيان الصلاح والدعوة إليه، والثناء على المصلحين وذكر صفاتهم، وثمار أعمالهم التي أسعدت العالم كله في أرض الله.

فإذا اهتم المسلم بتتبع ما ورد في الكتاب والسنة من سير عباد الله الصالحين وما ترتب عليه من إصلاح في الأرض وحفظ للمصالح التي عادت على الأمم بالخير والسعادة، ومن تاريخ المفسدين، وما ترتب على من مفاسد وضياع لحقوق الله وحقوق عباده، إذا اهتم المسلم بذلك، رأى بأم عينيه تلك العناية الربانية ببيان أهل الصلاح وأهل الفساد.

وأن المراد من هذه العناية، حفظ مصالح الأمم في كل أقطار المعمورة، ودرء المفاسد عنها في كل فجاج الأرض، وأن المؤهلين لحفظ هذه المصالح، ودرء هذه المفاسد، هم الصالحون الذين يتلقون أوامر الله ونواهيه بالقبول، فلا يعصون له أمرا، ولا يرتكبون له نهيا، بل يدعون غيرهم إلى طاعة الله وترك معصيته، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ليثبت الصلاح ويقوى في الأرض وينتشر، ويضمحل الفساد فيها ويختفي أو يقل ويضعف.

وإن هذا الهدف العظيم لا بد له من منطلقات يجتمع عليها ركاب السفينة، من قادة الأمة وشعوبها، ومن أهم هذه المنطلقات ما يأتي:

المنطلق الأول: اجتماعهم على تحقيق الحق الذي أنزله الحق، وجاء به رسول الحق، فجمع به المتفرقين، وأزال به أسباب النزاع والشقاق، وأسعدت به أمة الحق أهل الأرض كلهم في مشارق الدنيا ومغاربها، وأزهقوا به الباطل وطردوه.

فارتفعت بذلك راية الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها في برهة من الزمن أدهشت الفلاسفة والمفكرين، فوصل دين الله إلى الصين والفليبين وجزر الملايو شرقا، وإلى المحيط الأطلسي وجنوب أوربا ووسطها غربا، وإلى البحر العربي جنوبا، وإلى موسكو وبعض مناطق سيبريا شمالا... ولا زال ذراري المسلمين وآثارهم شاهدة على تلك الانطلاقة العظيمة التي كان أساسها الاعتصام بحبل الله والاجتماع على صراطه المستقيم...

قال تعالى في هذا المنطلق: ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)) آل عمران (103)

والواجب على المسلمين إذا حصل نزاع بين طائفة وأخرى، سواء كانت بين أسرة، أو بين جماعة وأخرى، أوبين حاكم ومحكوم، أو بين دولة وأخرى، أن يقوموا بالصلح بين المتنازعين بالعدل، ليثبت الاعتصام بحبل الله والاجتماع على كلمته، وتزول أسباب التفرق والنزاع المؤدية إلى الفشل، وعلى علماء الإسلام ورجال الفكر ورؤوس أهل الحل والعقد، والأقوياء منهم، تقع المسؤولية العظمى في ذلك، ويجب أن يكون الصلح عادلا، لا يميل فيه المصلحون إلى طائفة دون أخرى...

فقد أمر الله بالصلح الأسري، كما قال تعالى: ((وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا)) النساء (35)))

وأمر بالصلح بين المقتتلين، فقال: ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)) الحجرات (9)

وبين صلى الله عليه وسلم أن إصلاح ذات البين، يفضل نوافل الطاعات المهمة، كما في حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟) قالوا: بلى قال: (إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة) أبو داود (280/4) والترمذي (663/4) وقال: "قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح"

وبين صلى الله عليه وسلم أن وأن فساد ذات البين تستأصل دين المتنازعين وثوابهم،كما في حديث الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(دب إليكم داء الأمم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم) مسند أحمد (164/1) و الترمذي (664/4) قال في مجمع الزوائد (30/8): " رواه البزار وإسناده جيد"

المنطلق الثاني: الحرية التي يستوي فيها الراعي والرعية والحاكم والمحكوم، فلا يحد حرية الفرد والأسرة والجماعة والدولة ويقفها، إلا تعدي صاحبها الحد المشروع وإلحاق الضرر بنفسه أو بغيره من عباد الله، فما دامت تصرفات المسلم محاطة بسياج شرع الله، غير معتدٍ بها صاحبُها على حقوق الله وحقوق عباده، فلا يجوز لأحد سلب حرية آخر...

لا فرق في ذلك بين التصرفات المالية، كسبا وإنفاقا، والآراء السياسية تأييدا أو نقدا، والنشاط الدعوي، والإعلامي والتعليمي، والتجاري والاقتصادي، وكذلك حرية التجمع الذي يقصد منه التشاور فيما يحقق جلب مصالح لعامة المسلمين أو لخاصتهم، مما

لا يتعارض مع المصالح العامة، ولا يترتب عليه نزاع يصدع صف المسلمين ويفرق كلمتهم، وكذلك حرية التنقل في داخل البلد أو خارجه.

فهذه حقوق يجب أن تتمتع بها الشعوب والحكومات على السواء، ويدخل في ذلك غير المسلمين في الحدود التي منحهم الله في كتابه وسنة رسوله، وهي كثيرة جدا، فصلها الفقهاء في كتبهم، ومنها الكتاب القيم، لابن القيم: "أحكام أهل الذمة"

المنطلق الثالث: تطبيق قاعدة الشورى التي لا تستقيم حياة المسلمين إلا بها، ولهذا كانت من أهم صفات المؤمنين البارزة في العهد المكي: ((وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون(36) والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون(37) والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون(38) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)) الشورى (39)

وأمر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في قضية معركة أحد، فقال تعالى: ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)) آل عمران (159)

وطبقها الرسول صلى الله عليه وسلم في شئون الحرب، في غزوات بدر وأحد، والأحزاب، وحنين، وفي المعاهدات، كما في قصة الحديبية، وعمل فيها بمشورة إحدى أزواجه...

وشاور أزواجه رضوان الله عنهن في بقائهن عنده، أو تسريحهن عندما نزلت الآية الكريمة: ((ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا(28)وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما)) الأحزاب (29) فاخترن الله ورسوله.

كما طبقها في شئونه الخاصة، كما قصة الإفك...وطبقها أصحابه رضي الله عنهم في شتى المجالات، وبخاصة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم... وقد ذكرت أمثلة متنوعة لذلك في كتاب "الشورى"

ويجب على ولاة الأمر الأخذ بقاعدة الشورى حقيقة، وليس مظهرا دون مخبر، وأن لا يخصوا بها من يوافقهم في كل آرائهم ممن يتخذونهم بطانة لهم، فالغالب في أمثال

هؤلاء أن يظهروا لهم الموافقة دون تمحيص وتأمل ونصح، حرصا منهم على نيل مصالحهم منهم من الحظوة والقرب والعطاء، ويحرصوا على حجب الناصحين عنهم خشية على مصالحهم، وإن حصل ضرر على من سواهم من الرعية، بل على ولاة الأمور أنفسهم... وفي ذلك ما فيه من العواقب الوخيمة التي قد يفوت تداركها...

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يستشيرون الموافق والمخالف، كما في قصة غزوة أحد، حتى يصلوا إلى الصواب من الرأي، ثم ينطلق الجميع لتحقيق ما توصلوا إليه، متحملين ما يترتب على ذلك من مسؤوليات، راضية به نفوسهم، لأنهم شاركوا في الرأي وفي اتخاذ القرار...هذا عندما لا يكون في المسألة نص صحيح قاطع لا يحتمل التأويل، أما إذا وجد هذا النص الصحيح القاطع الذي لا يحتمل التأويل في معناه، فإنه يجب العمل به طاعة لله ولرسوله بدون تردد ولا مشورة...

المنطلق الرابع: التعاون على البر والتقوى... وليس على الإثم والعدوان،

إن من آفات المسلمين التي أفسدت حياتهم وشتت شملهم وصدعت صفوفهم، عدم سلوكهم جميعا صراط الله المستقيم، بل اتبع كثير منهم سبل الشيطان والأهواء، فتعاونوا على الإثم والعدوان، بدلا من التعاون على البر والتقوى، ووقف كثير منهم ضد دعاة الخير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

والأدهى من ذلك، تنازع من ينتسبون إلى العلم، وينصبون أنفسهم دعاة إلى الله، من جماعات وأحزاب، بل تجد جماعة واحدة أو حزبا واحدا، محددة أهدافهم، مقررة وسائلهم، ينشق عنهم فرد أو أفراد، ليكونوا جماعة جديدة، تصارع الجماعة الأم.

وإذا بحثت عن الأسباب لتلك الانشقاقات، لا تجد غالبا إلا الأهواء والاستجابة لوساوس الشيطان، في أحد الطرفين أو فيهما، والحرص على الزعامات، وحقيقته نسيان أمر الله بالتعاون على لبر والتقوى... ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)) المائدة (2)

المنطلق الخامس: التناصح والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر وبهذه القاعدة العظيمة تحفظ الأمة الإسلامية ضرورات حياتها ومكملاتها، تحفظ دينها ونسلها ونفسها وعقلها ومالها، وما يكمل تلك الضرورات، بل تسعد بالأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر أمم الأرض كلها، لأن الله تعالى أخرجها برسالة الإسلام لقيادة الناس إلى رضاه، كما قال تعالى: ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)) آل عمران (110)

وإذا تخلت هذه الأمة عن التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان حظها الخسران في الدنيا والآخرة، واستحقت ما استحقته الأمم المتخلية عن هذا الباب العظيم، من لعنة الله وعقابها بالعداوة والبغضاء فيما بينها، وبذلك تفقد نصر الله وتنال بدلا منه الهزائم ويسلط الله عليها أعداء ها فيسومونها سوء العذاب.

قال تعالى: ((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)) (78) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) (79) [المائدة] فقد بينت الآية أن علة هذا اللعن لبني إسرائيل عدم تناهيهم عما فعلوا من منكر، وإذا تحققت هذه العلة في أي أمة استحقت لعنة الله.

وقال تعالى: ((ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)) (14) [المائدة]

ومعنى إغراء العداوة والبغضاء بينهم إلصاقها بهم بجعلهم فرقا متنازعة فيما بينها، بسبب تركهم بعض ما ذكرهم الله به من الحق الذي جاءتهم بهم رسلهم... فترك شيء مما أمرهم الله به علة لإلصاق العداوة والبغضاء بينهم، وإذا وجدت هذه العلة في المسلمين، استحقوا ما استحقه النصارى من إلصاق العداوة والبغضاء بينهم، وهذا ما نشاهده اليوم في هذه الأمة من كثرة الفرق المتنازعة التي يكفر بعضها بعضا، والدول المختلفة التي قد يصل اختلافها إلى التقاتل والتقاطع...

وبينت سورة العصر، أن الناس كلهم يستحقون الخسران، إلا من اجتمعت فيهم خصال أربع، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

قال تعالى: ((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) وكم من الخسران نزل بنا ولا زال ينزل بسبب ضعف إيماننا، وفقدنا للتواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي أراده الله منا؟

وقد يوجد من يقوم بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، لأن هذه الأمة لا يمكن أن يفقد فيها من يبقى داعيا إلى الحق الذي أنزله الله، ولكنه قد لا يجد من يقبله منه قبولا يرضاه الله تعالى، فيكون وجوده شبيها بعدمه، فيترتب على ذلك ما يترتب على فقد التواصي بالحق والتواصي بالصبر...

وإن من أوجب الواجبات على العلماء في كل بلد إسلامي، أن يجتهدوا في نصح ولاة الأمر وعدم السكوت عن المنكرات التي تنتشر في الأمة، لأن ولاة الأمر عندهم من القدرة على تثبيت المعروف ومناصرته، وطرد المنكر وملاحقته، مالا يملكه سواهم، وإذا لم يتمكن العلماء من الوصول إلى ولاة الأمر مباشرة، فعليهم أن يكاتبوهم، ويحاولوا إيصال نصحهم بوساطة من يستطيع الوصول إليهم.

ويكون نصح ولاة الأمر أوجب على العلماء الذين تتاح لهم الفرص للاتصال بأولئك الولاة، لتمكنهم مما لم يتمكن منه غيرهم من أقرانهم، وفي سكوتهم عن المنكرات وعدم إنكارها بالأساليب المناسبة، خيانة لله ولرسوله ولولاة الأمر، ولعامة المسلمين، وإقرار للمنكر، وبذلك يتحملون من الإثم ما لا يتحمله غيرهم.

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من كتمان العلم، ويخشى على من لم يقم به أن يقع فيما وقع فيه علماء أهل الكتاب الذين أنزل الله في كتابه الكريم هذا الوعيد الشديد: ((إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون(159)إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)) (60) [البقرة]

وقوله: ((((إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)) (174) [البقرة]

وتطابقت السنة مع الكتاب في وعيد من كتم العلم، كما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كتم علما تلجم بلجام من نار يوم القيامة [صحيح ابن حبان) (297/1)]

وحديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار" صحيح ابن حبان (298/1) والمسند المستخرج على صحيح مسلم (41/1)

ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعلماء الشريعة فقط، بل يجب على أعيان الناس، وقادة الفكر أن يقوموا بهذا الواجب، فيما لا يخفى عليهم من المعروف والمنكر، وعليهم مناصرة علماء الشريعة، في أمرهم ونهيهم، فعموم النصوص يوجب على الجميع القيام بهذه الفريضة: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [صحيح مسلم (69/1)]

ويجب على ولي الأمر أن يصغي لنصح الناصحين، ويقوم بتأييد المعروف ومناصرة أهله، وبإزالة المنكر وكبح جماح أهله، فالعبء الأكبر في هذا الباب – باب التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – يقع على كاهل الحكومات في الشعوب الإسلامية، لأنها هي القادرة على حمل الناس على القيام بهذا الأمر وإلزامهم بقبوله، كما قال تعالى: ((الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)) [الحج (41)]

وإن مما يؤسف له أن تنتشر المنكرات في الشعوب الإسلامية، بسبب تمكين كثير من حكوماتها لتلك المنكرات وتأييدها لها، ومحاربتهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من رجال العلم والدعوة، بدلا من قيامهم هم بهذا الواجب الذي هم أقدر على القيام به، لأنهم يستطيعون تغيير المنكر بأعلى مراتبه، وهي التغيير باليد، كما سبق قريبا في حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

والحاكم الذي لا يقبل النصيحة، ويصر على السكوت عن ترك المعروف، أو فعل المنكر، هو من المفسدين في الأرض، ومن المتكبرين الذين تأخذهم العزة بالإثم، وإن أظهروا بألسنتهم ما يخدعون به شعوبهم من القول الحسن الذي يعجب سامعيه ويطربهم، كما قال الله في أمثاله: ((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام (204) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد(205) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد)) (206) [البقرة]

ومعلوم أن في صلاح ولاة الأمر صلاح رعاياهم – الغالب – وفي فسادهم فساد رعاياهم، لأنهم يدعمون صلاحهم أو فسادهم بما مكنهم الله تعالى منه من إمكانات الدولة، فيكون التعليم والإعلام والاقتصاد والمال والقوانين، والجيش والشرطة والاستخبارات، والحكومة بجميع مرافقها، محققة لما يدعمه الحاكم من صلاح أو فساد، ويكون ولي الأمر قدوة لشعبه في الصلاح والفساد، وقد شبه بعض العلماء القلب الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم:(إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله) بولي الأمر مع رعيته، وله حظ وافر من قول الشاعر:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا=فشيمة أهل البيت كلهم الرقص!

المنطلق السادس :

العدل

المساواة

احترام الكفاءات

مراقبة أحوال الرعية وقضاء حاجاتهم

بناء اقتصادي متين

وإن من أشد الغفلات عند غالب المسلمين، عدم اهتمامهم بالأمور العامة، التي تعود مصالحها إلى الأمة كلها، والْحَوْلُ بينهم وبين ما يشتهون

=================

#الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة

جمال سلطان(*)

(1)

قَدَرُ الفكر الإسلامي، بل الفكر الإنساني عامة أن يواجه في العقدين الأخيرين سلسلة متلاحقة من المصطلحات الجديدة في السياسة والاقتصاد والفكر والدين وغير ذلك؛ بصورة ترهق العقل الإنساني إذا حاول التأمل والتفكيك لهذه المصطلحات وتدوير النظر فيها وتعميقه. وكان مصطلح العولمة واحداً من أحدث هذه المصطلحات التي ابتلينا بها، والتي نحاول منذ سنوات التأمل فيه وتفكيكه والبحث في مراميه وخلفياته، ونحاول فهمه في ضوء ما ابتلينا به سابقاً من مصطلحات أو ظواهر إنسانية مختلفة،

ورغم محاولاتنا ومحاولات غيرنا فإن مصطلح العولمة ما زال يحمل قدراً كبيراً من المراوغة وعدم الوضوح، ويتجلى ذلك في العديد من التأويلات والتفسيرات التي طرحت له من قِبَل مفكرين عرب ومسلمين وغربيين، وبصورة تجعل محاولة الانشغال بضبط المصطلح علمياً أمراً غير ذي جدوى، وحسبنا الإطار العام الذي تدور فيه دلالات المصطلح، ألا وهو النزوع نحو الهيمنة الاقتصادية والثقافية والإعلامية والقيمية للقوى القادرة والمستكبرة في عالم اليوم على غيرها من الأمم والشعوب، وبصورة تؤدي إلى «تنميط» الحالة الإنسانية وهندسة البناء الاجتماعي وفق معادلات تم وضعها سلفاً وبصورة حاسمة ومدمرة للشخصية الإنسانية.

ولعل الوجه الأبرز والأكثر حضوراً للعولمة هذه الأيام هو الوجه الاقتصادي، ومعظم المؤتمرات ـ أو المؤامرات ـ التي تعقد في الشرق أو الغرب تحت مظلة أو لافتة «العولمة» هي ذات وجه اقتصادي واضح وصريح، كما حدث في سياتل الأمريكية، وأخيراً في «جنوا» الإيطالية التي شهدت أول قتيل «أوروبي» في انتفاضة الضمير الإنساني ضد مخاطر العولمة.

وبروز هذا الوجه الاقتصادي للعولمة على غيره إنما يعبر في الحقيقة عن الوجهة العامة للمؤسسات الدولية المتحكمة في مسار التاريخ الإنساني الآن؛ إذ إن «القيم المادية» هي الهدف وهي البوصلة وهي الطريق الوحيد أو الأبرز والأساس الذي تتجه إليه هذه المؤسسات، ويأتي الشأن الثقافي والفكري والإعلامي وحتى السياسي فيما بعد نوعاً من الدعم أو «الخدمة» لهذه الوجهة؛ ومن ثم فلنا أن نتصور الحديث عن العولمة بوصفها وجهاً للهيمنة الاقتصادية لرأس المال المحتكر للطاقة البشرية، وبحثه عن «تطويع» العقل والوجدان الإنساني بحيث يتعايش مع هذه الهيمنة ولا يتنافر معها، وفي سبيله إلى هذا «التطويع» لن يعدم استغلال إمكانياته الهائلة في «إغواء» أو حتى «إذلال» المؤسسات الإعلامية أو الثقافية أو «الدينية» ـ مع الأسف الشديد ـ لكي تدعم توجهاته وأهدافه، وهي الأهداف التي تتلخص في صناعة شخصية إنسانية شهوانية، فاقدة لأية قيم إنسانية راسخة، دينية أو أخلاقية، ذات هوس استهلاكي وفراغ عقلي ووجداني، وفاقدة لأية مناعة نفسية أو وجدانية أو عقلية

ضد عمليات «التنميط» للشخصية الإنسانية؛ بحيث يمكن إعادة هيكلة اتجاهاتها وعواطفها كل حين كما لو كانت زياً في الملابس «موضة» وقصة الشعر.

(2)

والحقيقة أن محاولات الدخول إلى العقل الإسلامي بقيم العولمة من بوابة الثقافة والفكر، والتي لم تعد تحتاج جهوداً أجنبية؛ حيث هناك من بني جلدتنا ولساننا من يتولون الدعوة الصريحة والفجة لها، أقول: هذا المدخل يعود أساساً إلى غياب الوعي والإدراك الكامل لمفهوم التبعية في العالم الثالث؛ حيث روجت القوى الثورية واليسارية والقومية التي قادت حركة الفكر في نصف القرن الأخير في العالم العربي والإسلامي، روجت للمفهوم السياسي والاقتصادي للاستقلال؛ بينما تجاهلت . أو جهلت . الأخطر والأفدح، وهو الاستقلال الفكري والثقافي؛ فكنت تجد بعض المدافعين عن الاستقلال الوطني . مثلاً . يمثلون . هم أنفسهم . بوابات التغريب والتبعية الثقافية في العالم العربي والإسلامي، بل من مفارقات الأمور التاريخية المذهلة ما سجله التاريخ المصري الحديث عن «صفية زغلول» المسماة بأم المصريين، زوجة الزعيم المشهور سعد زغلول، حيث قادت مظاهرة نسائية كبيرة في عشرينيات القرن الماضي ضد الاحتلال البريطاني وداعية إلى الاستقلال، وفي التظاهرة أعلنت . هي ورفيقاتها . خلع الحجاب وكأن ذلك جزء من النضال التحرري؛ رغم أنها في الحقيقة بهذا العمل الرمزي إنما تعلن التبعية الثقافية والقيمية للمستعمر الذي تطالب بالتحرر السياسي منه.

إن من المفارقات الغريبة لدى بعض الكتاب والباحثين المشتغلين بالشؤون العامة – الفكرية والسياسية والحضارية – أنك تجدهم يتكلمون بانفعال وصرامة في أمر «التبعية» السياسية والاقتصادية للغرب أو الشرق، وينعون على مجتمعاتهم أو بعض القوى فيها عدم اكتراثها بالوقوف في وجه «التبعية» وفضح آثارها ومخاطرها، ومسها بمصالح المجتمع وكرامته ومستقبله كله، ثم إذا أنت تكلمت مع هؤلاء عن «التبعية الفكرية» ومخاطرها وآثارها . بعيدة المدى . في مصالح الأمة وشخصية إنسانها . وجدتهم يتعجبون من كلامك ويستنكرون عليك منطقك ويتهمونك بالغلو والتطرف،

وساموك أبشع ألوان الاستهزاء والسخرية، ثم أرهقوا أذنيك وأعصابك بالحديث عن العالم الذي أصبح قرية واحدة، والتلاقح الفكري، والانفتاح الثقافي... إلى آخره.

ولا شك أن هذه المفارقات تكشف عن غياب الوعي الراشد بجوهر مفهوم «التبعية» وأبعاده المختلفة، واستحالة الانتقاء في الموقف تجاهه، بحيث تقبل التبعية في جانب وترفضها في آخر. إن التبعية رذيلة إنسانية وحضارية بكل أبعادها، وهي مؤشر للانهيار الحضاري، وعقم المجتمع، وانعدام الإحساس بالتميز والكرامة معاً، وتلاشي قوى الأمة وقدراتها الإبداعية، ثم إن المنطق اليسير يؤكد أن «التبعية» – في المجال الفكري والثقافي . أخطر بكثير من التبعية في السياسة أو الاقتصاد؛ إذ إن العلاقات السياسية أو الاقتصادية هي مما يتميز باللحظية والتحول، وكثيراً ما تتصل بمصالح مشتركة؛ مما يجعل لها وجه اشتباه . لدى العامة . في الإحساس بخطر «التبعية» فيها، وبما يؤمل معه القدرة على رفض هذه التبعية أو التخلي عنها في لحظة أخرى. أما في مجال الثقافة والفكر، فالأمر لا يتعلق بلحظة وإنما يتعلق بصياغة الشخصية الإنسانية ذاتها، ومعتقداتها، وقيمها، ومفهوماتها، ونظرتها إلى مختلف شؤون الحياة؛ فإذا حدث اختراق لهذا الكيان فهو تأسيس لشخصية جديدة بمواصفات جديدة يستحيل تغييرها بين لحظة وأخرى، وتكون معالجة الشرخ الاجتماعي – الذي تحدثه – شديدة الصعوبة، كما أن «التبعية الفكرية» هي . في الحقيقة . التي تمهد الواقع الاجتماعي للتبعية السياسية والاقتصادية، بل إنها هي التي تفقد الإنسان الإحساس بوجود تبعية من أساسها؛ إذ إن الإحساس بوجود التبعية يعود إلى تصور مسبق بأنك كيان متميز غير متمازج أو متماهٍ مع كيان آخر، وأن من حقك على هذا «الآخر» أن يحترم استقلال رأيك وقرارك ومصالحك الاقتصادية وغيرها.

(3)

في العالم العربي الآن . على سبيل المثال . توجهات جديدة مثيرة في النشاط الإعلامي، في مرحلة ما بعد المحلية، أعني في مرحلة البث الفضائي، وهو جزء . شئنا أم أبينا . من آليات العولمة الجديدة، في المجال التقني على الأقل. هناك الآن في العالم العربي ظاهرة وجود نشاط ملحوظ لعدد جديد من البرامج الإعلامية التي ترسخ قيماً جديدة وخطيرة للغاية في البناء النفسي والعقلي للإنسان المسلم، ولعل

الجدل الديني والصحفي الذي احتدم مؤخراً عن برامج «المسابقات» في قنوات تلفزيونية عديدة، يشير إلى أي مدى تجري المحاولات لاختراق المجتمع حتى المؤسسات الدينية لكي توظف في النهاية من أجل دعم توجهات «العولمة» على الصعيد المحلي؛ فهناك الآن برامج تلعب على «دغدغة» مشاعر الناس، والبسطاء بوجه خاص، وترسخ في روح المجتمع فكرة البحث عن «الثراء» السريع والخاطف هدفاً وطموحاً نهائياً، بدون بذل جهد حقيقي، وهي نوع من اللعب بالأوراق أو الأرقام، وبعض هذه البرامج يكون فيها «المقامرة» واضحة، سواء من خلال المقامرة بما يكتسبه المتسابق في مراحل سابقة من البرنامج المعروض، أو فيما يدفعه المتسابقون من أموال للاتصالات بأسعار خاصة، كأن يكون سعر الدقيقة المعتادة جنيهاً فيدفع في دقيقة الاتصال بالبرنامج خمسة جنيهات؛ فالأربعة الأخرى إسهام في مقامرة حقيقية، وعقب ما أصدره بعض العلماء من فتاوى صريحة بأن هذا قمار محرم شرعاً، فوجئنا بمؤسسات «دينية» رسمية تجتمع على عجل وبشكل استثنائي لكي تخرج على الناس، وعلى معالي الوزير، بفتوى تقول إن برامج المسابقات التي يبثها التلفزيون الرسمي حلال ولا شيء فيها.

توظيف المؤسسة الدينية في خدمة توجهات السلطة السياسية هو أمر شائع إلى حد ما في العالم الثالث، وخاصة في النظم القمعية والاستبدادية، ولكن المثير للدهشة الآن أن توظيف المؤسسات الدينية لم يعد يتعلق بالسلطة السياسية ومصالحها مباشرة، بل هو توظيف لخدمة توجهات عالمية تصب في النهاية في خدمة احتكارات دولية كما تصب في خدمة قيم مدمِّرة ومخرِّبة للبناء النفسي والعقلي والاجتماعي في المجتمع؛ لأنها ترسخ معنى أن الحياة «مقامرة» وضربة حظ، وأن العمل الجاد والصبور والبناء ليس هو سبيل الثراء، وحينما تترسخ هذه المعاني في مجتمع يعاني ضعف الفعالية الإنتاجية أصلاً، ويعاني اختلالات هيكلية في اقتصادياته، فإن الأمر يكون أكثر تدميراً. والمثير للدهشة أن يتم هذا التدمير بمباركة مؤسسات دينية، وبصمت مذهل من نخب ثقافية تزعم الاستنارة والتحرر ومقاومة التبعية.

الحادثة السابقة هي ـ بلا شك ـ وجه من وجوه العولمة في بُعدها الإعلامي، وإن كانت تكشف عن «توظيف» كل شيء لخدمة مخططات العولمة، بما في ذلك المؤسسات الدينية.

(4)

والعولمة ـ على الصعيد الثقافي والقيمي ـ تستغل بعض المؤسسات الاجتماعية النسائية أيضاً لتمرير مشروعاتها ونسقها القيمي؛ بحيث تجري عملية تضليل للأولويات الاجتماعية؛ فتجد بعض الجمعيات النسائية في العالم العربي تخدم مخططات تخريبية في أوطانها لحساب قوى أخرى أجنبية دون أن تدري؛ بسبب الغفلة والبحث عن «الأصداء الإعلامية» العالمية لنشاطاتها المتحررة في بلاد العالم الثالث. وعلى سبيل المثال توقفت أمام خبر «معتاد» في صحيفة خليجية، والخبر يتعلق بنشاط بعض المنظمات النسائية في بلد عربي خليجي، وكان عنوانه يتحدث عن جهود لوضع صيغة قانونية صارمة من أجل تأخير سن الزواج للفتاة المسلمة في هذه الدولة؛ بحيث لا تقل عن ثمانية عشر عاماً، وكذلك تأخير سن الزواج للشباب. والذي يقتلك غيظاً وكمداً أن هذه الدولة تعرف ـ حسب الإحصائيات ـ واحدة من أعلى نسب العنوسة بين الفتيات!! ومع ذلك تأتي منظمة نسائية لكي تتجاهل هذه الحقيقة المرة والمخيفة والمتعلقة بصميم بنية المجتمع وسلامته النفسية والأخلاقية والدينية لكي تحارب من أجل إصدار قانون لا يمثل أية أولوية اجتماعية أو نفسية في هذا البلد على الإطلاق؛ وإنما هو تقليد أعمى لتصورات وأولويات بلاد أخرى وشعوب أخرى لها نسيج اجتماعي مغاير تماماً لطبيعة مجتمعاتنا، ولها منظومة قانونية وأخلاقية مختلفة عن منظومتنا التشريعية والأخلاقية، ولو كان هناك إخلاص وعقل وتجرد للمصالح الحقيقية لأوطاننا وشعوبنا، لكان عكس الدعوة السابقة هو المطلب الملحّ مع وضع البرامج التربوية والنفسية المعينة عليه والموجهة له؛ أي أننا في حاجة إلى تبسيط الزواج وسبله بالنسبة للفتيات والشباب على السواء، وإلى خفض سن الزواج بالنسبة للاثنين بحيث تجد الفتاة والشاب فور بلوغهما ما يروي فطرتهما التي يشعل شياطين الإنس من حولهما جذوة نيرانها في كل موطئ قدم يطؤونه أو مكان يتلفتون إليه، في الشارع والمذياع والتلفاز والسينما والمسرح

والإعلان والموسيقى والأغنيات التي تتبارى الآن في مستوى الخلاعة والتماجن، والبرامج الإباحية المتسترة في ثوب التثقيف الجنسي والاجتماعي، والروايات والقصص التي ينشرها مرضى وشواذ ومهووسون جنسياً. سيل عجيب ومتوالٍ يحاصر الفضيلة والعفة، ويعكر صفو الخاطر ويلوث الفطرة، ويدمر قيمة الحياء وبهاءها، بل وجدنا من يكتب أو ينشر أو يذيع برامج لمعالجة ظاهرة الحياء عند الفتاة أو الشاب، معتبراً ذلك مرضاً نفسياً لا بد من مقاومته، وإنما الصحة والعافية في التبجح والصفاقة وقلة الحياء. في مثل هذه الدوامات تكون الدعوة إلى حرمان الفتاة من حقها الفطري والإنساني في الحياة الزوجية الهانئة جريمة في حقها واعتداءً على حقها الإنساني، ولكن الذي لا يُذكر في الخبر وفي الواقعة أن معظم هذه «التوابل» السابقة التي أشرنا إليها أصبحت «صناعة» ولا بد لها من سوق، وحينما تتشكل مؤسسة الزواج بشكل فطري وطبيعي؛ فأين تكون أسواق بضاعة الجنس بمختلف صورها وأشكالها في الموسيقى والأفلام والبرامج والمجلات والقصص والأغاني والإعلانات وغيرها؟! فضلاً عن الأهداف غير المباشرة والمتمثلة في تدمير إمكانات المقاومة في نسيج المجتمع لأية قيم وافدة، وتحويل «الشهوة» والإشباع المادي إلى أن يكون هو الهدف وهو الغاية وهو الحياة؛ ومن ثم: توسعة سوق التجارة العالمية الجديد.

(5)

من المهم . في هذا السياق . أن نوضح بعض المداخل المهمة التي يتخذها مروجو «العولمة» سبيلاً إلى «تهيئة» العقل والوجدان الإنساني لقبولها، ولعل من أبرز هذه المداخل مقولة: «العالم أصبح قرية واحدة»، وهي أصبحت محور الرسالة الإعلامية الجديدة التي تقابل الإنسان العربي والمسلم الآن في الصحيفة والبرنامج الإذاعي والتلفزيوني وغير ذلك، وأصبحت هذه العبارة اللطيفة الظريفة إحدى بوابات التخريب القيمي في مجتمعات المسلمين، والعالم الثالث بوجه عام، بل هي . في تقديري . أحدث أنواع المخدرات الثقافية التي تستخدم لشل طاقات النقد والتمحيص تجاه الوافدات الفكرية والقيمية التي تتسلل إلى ديار المسلمين عبر أكثر من منفذ ووسيلة، فإذا أراد بعض «المستوردين» أو الوكلاء المحليين للتيارات القيمية والأدبية الأجنبية

أن يسوِّقوا بضاعتهم المستوردة في مجتمعاتنا، على ما فيها من إباحية أو شذوذ فكري أو فساد عقَدي . فتجدهم لا يكلفون أنفسهم عناء بذل الجهد الفكري والمعرفي المخلص لنقد هذا الجديد، وطرح المسوِّغ الموضوعي لتمريره بين الناس، على ما فيه من خطر بالغ، وإنما يكفيهم أن يصكوا وجهك بالعبارة السحرية: «يا أخي! إن العالم أصبح قرية واحدة»! بمعنى: إنك لا تستطيع أن تعزل نفسك عن مجريات العالم وتياراته، وعلى الرغم من معقولية منطلق هذه العبارة، فإن ترجمة الموقف المترتب عليها هو الذي يحمل الخبث والتضليل؛ فالعالم تتقاطع المؤثرات العالمية فيه، وتمرر الكثير من هذه التيارات عبر أجهزة الاتصال الحديثة التي تطوي المسافات بل وتلغيها، إلا أن هذا الاختراق التقني لا يمكن بحال أن ينفي خصوصيات الشعوب، ولا أن يدمر بنيان القيم، ولا أن يزلزل ثبات المعتقد والدين، ولا أن يبدل المقومات الأساسية للمجتمع، أي مجتمع؛ ولذلك تجد أن الدول الأوروبية ذاتها . التي سوَّقت لنا هذه العبارة الرشيقة . تتخذ أحياناً من القوانين والإجراءات ما يقطع بفساد قصة: «العالم الذي أصبح قرية واحدة»، كرفض السلطات الفرنسية السماح للعرب المهاجرين باستخدام أجهزة البث الفضائي «الدش» في بعض المناطق، ومصادرة السلطات السويسرية لبعض كتب روجيه جارودي، ومصادرة السلطات البريطانية لكتاب عن «مارجريت تاتشر» أو فيلم عن المسيح رأت أنه مغرض ومسيء، ومصادرة السلطات الفرنسية لكتب سيد قطب وأحمد ديدات، ثم تراجعها عن بعض ذلك، وموقفها من الحجاب، ومن استعمال كلمات غير فرنسية لمحلات ونحوها، كما أن التجوال في العالم المعاصر يؤكد لنا بالبرهان الحي . أنه على الرغم من الجبروت الإعلامي عابر القارات، فإن طبائع الشعوب وخصوصياتها، الثقافية والدينية والخلقية تبقى متمايزة، بمعنى أن الصمود ممكن، والحفاظ على الهوية يرتبط بإرادة الشعب الذي يرفض الذوبان فيما يصنعه الآخرون، وأن العالم يبقى . على الرغم من كل شيء . ثقافات وهويات، وليس هوية واحدة، وليس قرية واحدة، ولكن الإلحاح ما زال مستمراً على تمرير هذه المقولة في أوساط النخب الثقافية والإعلامية في بلادنا، بل تسللت إلى أحاديث رجل الشارع.

(6)

كيف يمكن أن نتفاعل مع «العولمة» في المجال الإعلامي؟

من دون مبالغة يمكننا القول أن أهم المكتسبات التي حققتها العولمة لشعوب العالم وأعظمها هي تلك التي تكونت على الصعيد الإعلامي؛ حيث إن ظهور شبكة الإنترنت الرهيبة مثَّل انقلاباً كبيراً في معنى التواصل الإنساني، ومعنى الحوار، ومعنى الرسالة الإعلامية العالمية، كما أن ظهور البث الفضائي الإذاعي والتلفزيوني أتاح فرصاً مدهشة للتواصل الإعلامي الفعال مع كل إنسان في العالم، وبشكل لم يتصوره الناس من قبل. وكذلك تخفيف حساسيات الدولة القومية من وجود النشاطات الإعلامية والإنسانية الأجنبية على أراضيها جعل هناك مساحة واسعة من الحركة والتفاعل الإنساني بين الصوت الإسلامي والإنسان المعاصر في غير ما مكان من عالم اليوم. والذي لا شك فيه أن هذه الآليات هي نتاج تغوُّل فكرة العولمة، والبحث عن وسائل لاختراق الحدود أو تجاوزها وبسرعة توصيل الرسالة الفكرية والإعلامية المراد توصيلها إلى كل إنسان على وجه الأرض وبسرعة فائقة. وقد نجحت بلا شك المؤسسات الإعلامية الدولية في الاستفادة من هذه الآليات بما يخدم مصالحها، وقد وصل جزء كبير من الفساد عن هذا الطريق إلى الإنسان المعاصر في العالم الإسلامي والعربي بشكل خاص، ولكن بالمقابل فإن هذه الآليات قد أتاحت قدراً مدهشاً للحركة أمام النشاط الإسلامي الإعلامي والثقافي، ويكفي أن نشير إلى أن غالبية المواقع العربية على شبكة الإنترنت هي لمؤسسات إسلامية صغيرة أو كبيرة أو حتى شخصية، واستخدامات البريد الإلكتروني وساحات الحوار ونحو ذلك خير شاهد على هذه الحقيقة.

هناك أيضا المئات بل الآلاف من الإصدارات والمجلات والصحف الإسلامية التي تبث الآن عبر الإنترنت وتصل إلى أنحاء العالم كافة مخترقة حواجز رهيبة كان من العسير عليها في السابق اختراقها مهما أوتيت من قوة وقدرة مالية أو غيرها؛ بل إن شبكة الإنترنت أعطت الجهاد الشيشاني . على سبيل المثال . إمكانية الصمود أمام آلة الإعلام الروسي الجبارة، وأصبح موقع المجاهدين على الشبكة أحد أهم مصادر وكالات الأنباء الدولية عن الأوضاع في الشيشان، وكذلك مصدراً مهماً للصحف والمجلات، ولو كان هذا الأمر قبل عشرين أو ثلاثين عاماً لما شعر أحد بالمعاناة

الشيشانية ولتم دفنها كما دفن الجهاد الكشميري زمناً طويلاً قبل أن يبدأ في التواصل مع العالم الخارجي.

إن شبكة الإنترنت ساعدت على إحياء معاني كبيرة وجليلة في الحالة الإسلامية، وفي مقدمتها معنى «الجسد الواحد» للأمة إذا اشتكى منه جزء تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ورغم كل المكتسبات التي حققتها الصحوة الإسلامية من خلال الاستفادة من شبكة الإنترنت، فإن هناك مجالات رحبة وواسعة يمكنها استغلالها بشكل أفضل؛ ومن ذلك إنشاء صحف يومية مختلفة وقنوات إذاعية وتلفزيونية عبر الشبكة. ومما يبشر بالخير أن نجد الكثير من الشباب الإسلامي متميزاً للغاية في خبرة التعامل مع التطور التقني والمعلوماتي الجديد بصورة تبهج النفس، ويبقى حضور الأفق الجيد الذي يرسم خريطة الحالة الإسلامية؛ ومن ثم يرصد احتياجاتها، ثم يحدد الطرق والوسائل التي يسد بها هذه الاحتياجات من خلال هذا المنفذ الجديد والمثير.

أيضاً على صعيد البث الفضائي، أعتقد أن هذه نافذة مهمة للغاية، وما زال الإسلاميون عاجزين عن الاستفادة منها. صحيح أن هذه الخدمات تحتاج إلى إمكانيات مادية أعلى بكثير من تلك التي يحتاجها العمل من خلال الإنترنت، إلا أن الإسلاميين لا يهتمون بتدريب الكفاءات الفنية التي يمكن لها تحريك عمل مثل هذا مستقبلاً، كما لا يوجد . في حدود علمي . جهود حقيقية لدراسة الإمكانيات الفعلية لتحقيق هذا الطموح، وفي تقديري أنه إذا نجحت الدعوة الإسلامية في اختراق هذه الآلية الجديدة للتواصل مع القواعد العريضة من الناس فإنها ستربح كثيراً من الوقت والجهد وتقفز بالدعوة قفزات كبيرة. وقد لمست ذلك بنفسي من خلال تجربة محدودة في العمل من خلال إحدى القنوات الفضائية الإسلامية، ولمست كيف يمكنك أن تصل إلى الملايين من أقصر طريق وبأفضل تأثير، وأذكر أن أستاذًا جامعياً إسلامياً في مصر، ظل على مدى أربعين عاماً يكتب في الشأن الإسلامي وفي الدعوة والتنمية وغيرها، فلم يعرفه ويعرف دعوته إلا نفر قليل، ثم ظهر في برنامج تلفزيوني لعدة حلقات وكان موفقاً فيه فأصبح يتابعه الملايين وتحول إلى نجم جديد وكبير، وأفردت له صحيفة الأهرام المصرية . أكبر صحيفة مصرية وربما عربية . صفحة

كاملة كل أسبوع يكتب فيها ما يشاء. وكذلك فإن الحضور المتتالي لبعض الرموز الدعوية ممن أثاروا جدلاً واضطراباً بفتاواهم، يعود بشكل مباشر إلى نجاحهم في استثمار البث الفضائي والحضور الجيد من خلاله، في حين لم ينجح . وربما لم يتحمس . آخرون فخسروا الكثير من تأثيرهم الدعوي، كما خسر جمهور الناس إمكانية الاستماع والتواصل مع الرأي الفقهي الآخر.

(7)

الذي لا شك فيه أن «العولمة» هي نوع جديد من أنواع الاستعمار فيه كل ما في الاستعمار القديم من صفات، وله ما لسَلفه من الأهداف والغايات، غير أنه طور نفسه مستغلاً آليات حديثة مدهشة، واستفاد من دروس الماضي حين أخفى مخالب الاستعمار القاسية تحت ألفاظ ناعمة: كالتعاون، والشراكة، والتعاون المتبادل، وحشد . إلى جوار القوة العسكرية . هيمنة المال والاقتصاد والتقنية الحديثة ووسائل الثقافة والإعلام، وأسباب التسلية والترفيه. وهذه الهجمة الكاسحة . على مناطق الضعف والفراغ. سوف تُحدث أثرها دون شك، لكن ذلك سوف يكون لمدى محدود، يطول أو يقصر وفقاً للظروف، وبالأساس وفقاً لقدرات الشعوب على المقاومة والمحافظة على استقلاليتها، وقدرتها على حفظ هويتها وصلابتها في الصمود أمام تيارات الإغراق الإعلامي والثقافي والاستهلاكي التي تهجم عليها من كل جانب. ونحن على يقين من أن العولمة. بقدر ما يظهر عليها من علامات القوة والسطوة. فإنها تحمل معها بذور ضعفها وانهيارها، ومن شأن هذه البذور أن تزداد نمواً كلما اتسعت الدائرة وتعددت مناطقها ومساربها؛ وأهم نقاط الضعف أنها نظام مادي صِرف يقوم على الجشع والسيطرة والاستغلال، وشهوة الكسب، ويثير أكثر الميول وضاعةً في النفس الإنسانية: ميول التقليد الأعمى، وتخدير العقل حقيقة أو مجازاً، وعشق المظاهر، والتبذير، واعتماد الانتهازية في السلوك والكسب، والعمل وفق منطق «الحظ والمصادفة»، والاستسلام للشهوات، وبتعبير آخر: إطلاق الوحش البدائي الذي يسكن أعماق الإنسان، وتحطيم تلك الكوابح الأخلاقية التي جاء بها الأنبياء، أو حتى تلك البقايا الأخلاقية التي تحدث بها فلاسفة وحكماء، ومن شأن هذه الميول أن تزداد ضراوة كلما اشتدت التناقضات التي تفد مع المادية كالطبقية والظلم الاجتماعي،

وتفاوُت الدخول، وغَلَبَة الاستهلاك على الإنتاج، وفي غيبة التدين وانحسار القيم والأخلاق تصل هذه التناقضات ذروتها في موجات العنف، والإرهاب، والتصدعات الاجتماعية العنيفة، والحروب الأهلية، وتقع الصورة التي حذر منها القرآن الكريم أمثال هذه المجتمعات: {قَدً مّكّرّ پّذٌينّ مٌن قّبًلٌهٌمً فّأّتّى پلَّـهٍ بٍنًيّانّهٍم مٌَنّ پًقّوّاعٌدٌ فّخّرَّ عّلّيًهٌمٍ پسَّقًفٍ مٌن فّوًقٌهٌمً $ًأّتّاهٍمٍ پًعّذّابٍ مٌنً حّيًثٍ لا يّشًعٍرٍونّ} [النحل: 26]، ويبقى أن يبذل المخلصون من أبناء هذه الأمة جهدهم الدؤوب والصبور من أجل التبصير بالمخاطر، وحماية الناشئة، والتميز والإبداع في بث القيم الراشدة وبالأسلوب المناسب عبر الآليات الجديدة؛ فكل هذه الجهود من شأنها أن تثمر . بإذن الله . في جعل أمتنا عصية على «التنميط» والتبعية؛ ومن ثم بعيدة عن دوامات العولمة، على الأقل في جانبها العقدي والقيمي.

(*) رئيس تحرير مجلة: (المنار الجديد).

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

===============

#الخليج ليس نفطاً

إبراهيم غرايبة

لعل هذه العبارة عالقة في ذهني من كتاب قرأته قبل عشرين سنة للدكتور (محمد الرميحي)، أو من محاضرة للدكتور (غازي القصيبي) في أوائل الثمانينيات، ولكنها عادت تعاودني بإلحاح بعد كتاب الدكتور (فهد بن عبد الرحمن آل ثان)"استراتيجية التنمية في دول الخليج"، هذا بالإضافة بالطبع إلى ما يلاحظه المعايش للأحداث من تحولات اجتماعية واقتصادية تدعو إلى المراجعة والحوار في المسار الذي آلت إليه الدول والمجتمعات في الخليج والوطن العربي بعد تحولات النفط وتقلباته. ففي الأردن على سبيل المثال كانت تحويلات المواطنين المالية من الخارج عام 1973 لا تتجاوز سبعة ملايين دولار، وهي اليوم تزيد على الألفي مليون معظمها بالطبع من دول الخليج.

وعندما يقدم أحد أبناء الأسر الحاكمة في الخليج طروحات وأفكاراً جريئة وعلى مستوى متقدم من الصراحة والنقد الذاتي، والانتماء إلى الهموم الخليجية والعربية، والانحياز إلى الناس العاديين ومطالبهم واحتياجاتهم الحقيقية؛ فإن ذلك يشجع مثلي على طرح مسألة كان يظن أنها محرجة ومزعجة.

يذكر د. فهد آل ثاني أن النظام الإقليمي لدول مجلس التعاون الخليجي يعاني من إخفاقات متعددة في المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والثقافية، والتكنولوجية، ومن مؤشرات هذا الإخفاق: اختلال البنية الإنتاجية نتيجة ضعف أداء النمو الاقتصادي، وانخفاض الإنتاجية الزراعية والصناعية، واختلال التوازن بين قطاعات الإنتاج السلعي وبين قطاعات التوزيع والخدمات لصالح الأخيرة، واختلال الأمن الغذائي والمائي، واعتماد دول الخليج أساساً على النفط، والأسواق الخارجية لسد الحاجات الاستهلاكية والاستثمارية، والخلل بين الوضع الراهن للعمالة الوطنية والطاقات التي تتطلبها احتياجات العمل مما يجعلها تعتمد على العمالة الأجنبية، وما يترتب على ذلك من اختلال سكاني ومخاوف أمنية، وتعرض المنتجات الوطنية لمنافسة وهيمنة الشركات الأجنبية.

لقد تحولت دول الخليج بسرعة من دول فقيرة يعتمد اقتصادها على الصيد والرعي والنقل البحري المحدود إلى دول غنية، ولكن هذا الوفر المالي ما زال مستمداً من تصدير البترول الخام الذي يشكل 80% من الإيرادات الخليجية، وتعاني الدول الخليجية من تبعية كبيرة في التقنية، وهي دول مستوردة للسلع المنتجة، والتقنية، وتعتمد على الاقتصاد الريعي، ولم تتحول إلى دول ذات إنتاج اقتصادي سلعي وخدمي. وبسبب التشابه في الموارد، وعدم التنسيق بين الدول؛ فإنها تتنافس فيما بينها، مما يجعلها هدفاً سهلاً لابتزاز القوى الاقتصادية العالمية؛ فالبترول الخام فرضت عليه ضرائب تجعل حصة دول الخليج من ريعه تتدنى إلى خمس التكلفة التي يسوق بها في بعض الدول الصناعية، وفرضت أيضاً ضريبة على الصناعات التحويلية لم تفرض على السلع المستوردة من أمريكا اللاتينية، وجمدت الأجور تقريباً منذ عشرين سنة بسبب الاضطرابات التي شهدتها سوق النفط، والانكماش الاقتصادي، والعمالة الخليجية ما زالت مساهمتها في التنمية هامشية ومحدودة.

واستطاعت دول الخليج أيضاً أن تحقق رفاهاً لمواطنيها، وتوفر الخدمات والاحتياجات الأساسية كالتعليم، والصحة، والطرق، والمرافق العامة بعدما كانت معدومة أو متخلفة، ونشأت دول حديثة ومدن هائلة.

هذا التحول وما رافقه من تحولات سياسية واجتماعية وثقافية وتداعيات أمنية وإقليمية كون خريطة معقدة تربك مشروعات وبرامج التنمية.

ومن ملامح هذه الخريطة: حداثة النشأة، ونمو مدن خليجية هائلة بعيدة عن المواصفات الإنشائية للأقاليم الصحراوية، وبروز ظاهرة دولة المدينة، وارتفاع معدل التحضر، والبروز الواضح والصريح لمدينة القبيلة، وتشابه الخليجيين في تنظيم ثروتهم على أساس تأميم البترول وتسييسه والتنافس في تصديره واستخدامه ورقة أمنية، ويشترك الخليجيون في طابع استهلاكي لا يوجد له مثيل في العالم، وأصبح ذلك جزءًا من الشخصية وليس مؤشراً لارتفاع الدخل، والتعليم، والحراك القبلي، والبيئة. وقد أدت تفاعلات هذه المحاور إلى نتائج متشابكة؛ منها: الغزو السكاني، والتذبذب في الدخل الفردي، واستنزاف الخزان المائي الجوفي، والتلوث، وتدمير الثروات البحرية، وخضوع الصناعة الهايدروكربونية لتقلبات السوق، والتنافس غير الصحي بدل التنسيق التاريخي الذي كان سائداً، وغياب الاستراتيجية المشتركة، والخلافات الحدودية.

ولتعميق مفهوم التنمية يقترح د. آل ثاني وضع المعاني الاستراتيجية لتركيب البنيان الخليجي من خلال: الدولة، والمدينة، والقبيلة، والشعب، والسلطة، والثروة.

والتنمية الزراعية في الخليج يجب النظر إليها على أساس الملاءمة للصحراء، فتكون موجهة للأعلاف والنخيل، وتربية الحيوانات والدواجن، ولكن الموارد البحرية مهمة جداً، ويمكن التوسع في إنتاج الأسماك، وتطوير قطاع السياحة، وتقطير المياه.

يقدر عدد السكان في الخليج بحوالي 27 مليون نسمة، يشكل الأجانب أكثر من نصفهم (حوالي 15 مليوناً) وقد وصلت نسبة المغتربين في بعض الدول الخليجية إلى80% وتتراوح نسبة العمالة بين 70% و90%، ومعظم العمالة من دول جنوب شرق وجنوب آسيا، ولم يستفد المخططون للقطاعات التعليمية والفنية من الإمكانات

المتاحة لتنظيم التعليم كماً ونوعاً، لكي يجعلوا المواطن الخليجي مشاركاً في جميع القطاعات التنموية المحلية.

وما دام التعليم متوفراً للأنثى مساواة بالذكر ؛ فلا بد من خلق قطاعات منتجة لاستيعاب العاملات وعدم محاصرتهن في قطاعات وظيفية محددة، والمحافظة على معدل المواليد المرتفع، والتعامل مع مرحلة ما بعد الأسرة الممتدة.

ويبلغ معدل التلوث في مياه الخليج أكثر خمسين مرة من المعدل الطبيعي في البحار، ولو استطاعت دول الخليج تنظيم حرفة الصيد فستكون أحد المراكز الرئيسة في العالم لتصدير الأسماك.

وظل تصدير النفط الخام يمثل 80% من الإيرادات، ولم يحافظ على هذا المورد الاستراتيجي من الهدر والهيمنة، فلا يحصل أصحاب النفط على أكثر من 15% من قيمته الحقيقية.

وتحظى الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية بحوالي 60% من الاستثمارات (38 مليار دولار) ولكنها في المرتبة الثالثة من حيث عدد المصانع، وفي الثانية من حيث عدد العمالة، لأنها تستخدم تقنية عالية، وهذا يرسخ التبعية الصناعية والتقنية.

وبلغت الواردات الخليجية عام 2000 حوالي 95 مليار دولار تحتل السوق الأوروبية المرتبة الأولى منها(31%)، ثم أمريكا (17%)، ثم اليابان ودول جنوب شرق آسيا (11% لكل منهما)، وتأتي دول الخليج في المرتبة قبل الأخيرة في التبادل التجاري فيما بينها، والدول العربية في المرتبة الأخيرة، وبلغت الصادرات الخليجية حوالي 96 مليار دولار موزعة على جنوب شرق آسيا (24%)، واليابان (21%)، والسوق الأوروبية (12%)، وأمريكا (9%)، والدول الخليجية (6.3%)، والدول العربية (2%).

المصدر : http://www.islamtoday.net

=============

#الفكر الإسلامي في زمن العولمة (1)

محمد سليمان أبو رمان

يعد سؤال الهوية من الأسئلة المحورية في الفكر العربي المعاصر، وقد شغل هذا السؤال كثيرًا من مداولات وسجالات المفكرين العرب، وأدخلهم إلى ميادين الصراع الفكري، وقسّمهم إلى فئات متنازعة حول الأصول الفكرية والمعرفية التي ينبغي أن تحكم مسيرة النهضة والتنمية، والخروج من كهف التخلف ومن ظلمات التيه.

وأخذ الصراع الفكري أشكالاً متعددة، ومر بمراحل مختلفة في العالم العربي في فترة العصور الحديثة، لكنه وصل اليوم مع العولمة إلى مرحلة متقدمة جدًا تمتاز بوجود أمريكي مهيمن على العالم، وحداثة غربية تنتقل وتسود بشكل كبير - مع تطور ثورة الانفوميديا -.

و يجد الفكر الإسلامي اليوم نفسه أمام تحديات كبيرة في عدة مستويات: مستوى نقد الحداثة الغربية، ومستوى مواجهة ظواهر التشدد والانغلاق والجمود الفكري في الداخل، ومستوى صوغ استراتيجية فكرية تدفع بالإنسان والمؤسسات في العالم العربي إلى المضي بفعالية و قوة في مشروع النهضة والتنمية وتجاوز مرحلة الانكشاف الحضاري السافر الذي وصلنا إليه أمام الآخر، والخروج من الفجوة الكبيرة بين حالتنا الحضارية ورصيدنا الحضاري الكبير..

المدرسة الإصلاحية:

بدأت أولى الجدالات حول مسألة الأصالة والمعاصرة، ودور الفكر الإسلامي في مواجهة التحديات الكبرى مع الحملة الفرنسية على مصر، وعودة الطلاب العرب الدارسين في الغرب، وجاءت أبرز المساهمات الرائدة في هذا المجال مع رحلة رفاعة الطهطاوي والذي سجّل ملاحظاته ورؤيته و استنتاجاته حول الحضارة الغربية في كتابه"تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

ثمّ كانت أبرز المحاولات الفكرية في مواجهة التحدي الحضاري الغربي - و ما وصل إليه من فلسفة وعلوم ومعرفة وما صاحب ذلك من تقدم وتطور تكنولوجي - من قبل ما عرف بالمدرسة الإصلاحية (جمال الدين الأفغاني، عبد الرحمن الكواكبي، محمد عبده، رشيد رضا، علال الفاسي، ابن عاشور، ابن باديس)، وقد تمركزت مجهودات هذه المدرسة في:

- الإطلاع على المعرفة والثقافة الغربية، وهضم أصولها، ودراستها دراسة نقدية.

- رصد الجوانب الإيجابية في المعرفة والثقافة الغربية، والعمل على الإفادة منها في المشروع النهضوي الإسلامي.
- رصد جوانب الخلل في المفاهيم الحاكمة في هذه الحضارة، وتنبيه المسلمين إليها، وإلى خطورة الوقوع فيها، خاصة الفلسفة المادية في النظر إلى الوجود والحياة.
- إعادة تفسير الإسلام ومصادره المعرفية وفق أسس جديدة تتناسق مع الأصول الفكرية والمقاصد الشرعية للإسلام، وتكون قادرة على الدخول إلى العصر بروح إسلامية متقدمة ومتجددة.
- تجديد الفعالية الحضارية و النهضوية الإسلامية، والعمل على استنهاض الشعوب للمساهمة والمشاركة في عملية التنمية والتحديث في العالم الإسلامي.

وكان للمفكر الجزائري مالك بن نبي مقاربة متميزة في فهم شروط النهضة و أسس التنمية المطلوبة، وكذلك في فقه الصراع الفكري في العالم العربي، خاصة في كتابه"الصراع الفكري في البلاد المستعمرة"، ولعل أبرز ما قدّمه ابن نبي –بالإضافة إلى نظريته في شروط النهضة – هو مفهوم"القابلية للاستعمار"؛ والذي يقوم على فرضية أن الاستعمار هو محصلة ونتيجة منطقية للحالة الثقافية والفكرية وليس سببًا لها، والمشكلة هي في جمودنا وكسلنا وغياب الفعالية الحضارية، وليس الاستعمار والغرب.

الفكر الإحيائي:

وتلا المدرسة الإصلاحية والمحاولات المبكرة في هضم الثقافة الغربية، وتجديد الخطاب الإسلامي، مرحلة جديدة ظهر فيها الانقسام الفكري على أشده، وجاء أغلب النتاج الفكري والمعرفي لهذا الصراع الفكري قبيل الاستعمار، وفي المرحلة المبكرة من الاستقلال السياسي وظهور الأنظمة العلمانية في العالم العربي، وبدأ مع هذه المرحلة حالة الاستنزاف الشديد للفكر العربي في هذا الصراع والجدال الحاد حول هوية الدولة والمجتمع، وأثّر ذلك على مناهج الثقافة والتعليم والفن والأدب.

واجه الفكر الإسلامي هذا التحدي والصراع الجديد من خلال مجهودات ركزت على نقد الأسس الفكرية والمعرفية للحداثة الغربية وتصوراتها العامة في كافة مجالات الحياة، وبرزت في هذا السياق مساهمات أبي الأعلى المودودي في أغلب كتبه،

وأيضًا الشهيد سيد قطب، وأخيه الأستاذ محمد قطب خاصة كتبه:"مذاهب فكرية معاصرة"،"الإنسان بين المادية والإسلام"،"جاهلية القرن العشرين"، وكُتب يوسف القرضاوي ومنها " الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا"، وكُتب الشيخ محمد الغزالي.

وقد أكّد الفكر الإسلامي في هذا النتاج المعرفي والفكري على عدة قضايا:

- التمييز في الحضارة والفلسفة الغربية بين البعد الفلسفي والبعد التقني والعلمي المحض، والدعوة إلى تجاوز الفلسفة الإلحادية والإفادة من التطورات العلمية التطبيقية.

- نقد الأسس المادية للحداثة الغربية، ولمناهجها العلمية والإنسانية، ومفاهيمها الحاكمة، ورصد آثارها المدمرة على الأمن الاجتماعي المبني على سيادة القيم والحفاظ على رأس المال الاجتماعي، الذي يستند على الدين الناظم لكل القيم الروحية والأخلاقية التي تحمي الإنسان من الفساد والانحطاط.

- عرض الفلسفة الإسلامية المقابلة للفلسفة الغربية، وبيان حالة التفوق الكبير للإسلام في تجاوز الخبرة الغربية أثناء التجربة المسيحية، وحالة الصدام بين العلم والدين والاستبداد الديني لرجال الكنيسة، وفساد التصورات المعرفية الكونية والاجتماعية للكنيسة.

وأغلب ما يميز المدرسة الإصلاحية / النهضوية السابقة عن المدرسة الإحيائية في مواجهة النظم العلمانية؛ أنّ المدرسة الإصلاحية لم تشهد صعود التيار العلماني بشكله الفض والرافض للقبول بالمنطلقات الإسلامية في السياسة والمجتمع و المعرفة والثقافة، وكذلك لم يشهد الفكر الإصلاحي الصراعات السياسية الحادة على هوية الدولة بين الحركات الإسلامية والنظم السياسية القائمة، الأمر الذي تطوّر إلى معارك دموية وحالة أمنية متعسرة واضطراب سياسي شديد، مما جعل الفكر الإحيائي أكثر تشددًا في مسألة الانفتاح، و أقل حرصًا على التجديد والتفاعل مع الحضارة الغربية، ودفع بالبعد الأيدلوجي . السياسي إلى الأمام، على حساب البعد المعرفي في محاولة الإجابة عن سؤال النهضة في الفكر و معضلة التخلف في الواقع العربي الحديث والمعاصر.

العولمة و الانكشاف الحضاري

مع انتهاء الحرب الباردة و أفول نجم الاتحاد السوفيتي و تضعضع مكانة ومصداقية المذهب الشيوعي؛ تأثر الفكر العربي بشكل كبير، وضعف بالتبعية الفكر الاشتراكي العربي، وأخذ عدد كبير من فلول المفكرين اليساريين يبحثون عن أيدلوجيا جديدة يتدثرون غطاءها بعد انكشاف عورتهم الفكرية و الفلسفية التي كانوا يجادلون عنها سنين طويلة، و لبس عدد كبير منهم ثوب الديمقراطية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان عندما وجدوه بضاعة رائجة في سوق المعونات والرشوة الأمريكية للمثقف العربي والمسلم، كما يرصد ذلك بموضوعية عزمي بشارة في كتابه"المجتمع المدني".

كما صدرت قراءات مستقبلية حول المرحلة القادمة من الصراع الفكري العالمي، كان أبرزها كتاب فوكوياما "نهاية التاريخ" والذي يزعم فيه أن التاريخ البشري قد وصل إلى نهاية كدحه الطويل؛ بحثًا عن الفلسفة الفكرية التي تحقق سعادة الإنسان و تكون القول الفصل في الجدال الإنساني الطويل في الفكر والفلسفة، وطبقًا لفوكوياما فإن الليبرالية والديمقراطية الغربية هي ذروة الفكر الإنساني ومحور خَلاصه وسعادته.

أما القراءة الثانية؛ فقد كانت للمفكر السياسي المعروف صموئيل هانتنجتون في كتابه "صدام الحضارات"، والذي يرى فيه أن المرحلة القادمة من الصراع العالمي ستكون مرحلة صراع ثقافي، وبالتحديد بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وجوهر كل منهما المتركز حول الدين.

لقيت القراءتان السابقتان اهتمامًا كبيرًا في العالم، وكان لهما صدى واسع في العالم العربي، و أثارتا جدالاً كبيرًا، بيد أن المهم في الموضوع أن الفكر الإسلامي وجد نفسه أمام تحد واضح وكبير مرة أخرى، وهو مواجهة الحداثة الغربية، وقد جاءت هذه المرحلة بقوة وغزارة شديدة ترتدي ثوبًا جديدًا يطلق عليه "العولمة".

مفهوم"العولمة"– إذًا – ليس مفهومًا محايدًا؛ بل هو مفهوم محمّل ومثقل بالمضامين المعرفية والحضارية للحداثة الغربية، وخطورة العولمة أنها وسيلة قوية جدًا ومتطورة لنقل الحداثة والمشروع الغربي إلى أنحاء العالم، كما أنها تحمل قِناعًا تجميليًا فائقًا يقدمها في إطار من الإغراء الشديد للدخول والولوج إليها، وتصل محاولة تجنب

التفاعل مع العولمة إلى درجة الاستحالة الحقيقية، إلاّ إذا اختارت أمة أو مجموعة أن تدخل كهفًا من الكهوف، وتعزل نفسها عن العالم وصولاً إلى الخلاص الروحي!.

ومما يزيد من صعوبة وخطورة تحدي العولمة أمام الفكر الإسلامي المواجهة العسكرية والسياسية بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة، والتي تفجّرت بشكل كبير مع أحداث 11 أيلول وما تلاها من تحديات، وظهور التيار الجهادي، مما يجعل من مهام الفكر الإسلامي – بالإضافة إلى التحاور مع العولمة– مواجهة حالة الإحباط والتشدد الذي تنتاب كثيرًا من أبناء الأمة الإسلامية في غضبهم الشديد، وحنقهم على الحالة السياسية الحرجة التي آلت إليها الأمور من تسلط وهيمنة خارجية أمريكية وتدفعهم إلى الغلو في رفض الآخر، والميل إلى الانغلاق الفكري حرصًا على التأكيد على الهوية والذات أمام روح التبعية والهزيمة التي تنتاب فئات كبيرة من المفكرين والساسة.

ومن دواعي استنفار الفكر الإسلامي – في هذه المرحلة – انكشاف الحالة الحضارية للعرب والمسلمين عن درجة عالية من الفشل في المشاريع التنموية، وعن فساد كبير في الممارسة السياسية العربية، وحالة متقدمة من خطورة الأوضاع الاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي، وما يرتبط بذلك من فقر شديد و بطالة ونسب مرتفعة من الحرمان، و الأمية وغياب الإنتاج العلمي، وضعف تدفق المعلومات، وإهدار كبير للثروات، ناهيك عن الأوضاع السياسية البائسة المرتبطة بالديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات العامة.

ويمكن الإشارة إلى جزء من هذه الحقائق المخيفة التي تكشف الحالة الحضارية في تقرير التنمية الإنسانية – بعيدًا عن تحفظات كبيرة حوله –، وفكرة مبادرة الشراكة الأمريكية . الأوسطية، وكل هذا وذاك من الأرقام والوقائع والإحصائيات يؤكد الفجوة الكبيرة بين الرصيد الحضاري الكبير و بين الحالة الحضارية الحالية.

إن الملاحظات السابقة تضع أمام الفكر الإسلامي العديد من المسؤوليات والمهام في هذه المرحلة، أبرزها:

– مجهود التعامل مع العولمة وما تستبطنه من قيم و معرفة، وبناء الخطاب الحضاري الإسلامي بما يستبطنه أيضًا من أسس ومفاهيم وقيم تميزه عن الخطاب

الغربـي، والتـي تسـتند علـى الاعـتراف بـالوحي كأحـد أبـرز وأهـم مصـادر التنظيـر الإسلامي.

– مواجهة التفلت الفكري في الداخل سواء اتجاهات الغلو العلماني والانجراف الفكري أم جماعات الغلو الفكري والتشدد الديني، وبناء الرؤية الحضارية الإسلامية في الفقه العـام للتـدين، ودور الـدين فـي الممارسـة السياسـية، و العلاقـة بـين الشـعب والسلطة..إلخ.

– بنـاء الرؤيـة الاجتهاديـة الإسـلامية فـي التعامـل الـواقعي مـع المشـاكل والقضـايا الداخليـة التـي تعـاني منهـا الشـعوب العربيـة، ومنهـا: الفقـر والبطالـة والفسـاد السياسـي والتخلـف العلمـي والأميـة وفشـل المشـاريع التنمويـة وإهـدار الثـروات والمعضـلات الاقتصادية..إلخ.

المصدر: http://www.islamtoday.net

==============

#الفكر الإسلامي في زمن العولمة (2)

محمد سليمان أبو رمان

يأتي في إطار مهام الفكر الإسلامي اليوم تحدٍ رئيس، وهو مواجهة العولمة التي تستند إلى الحداثة الغربية وتقوم عليها، وتوظف ما وصلت إليه التقنيات البشرية خاصة ثورة الانفوميديا في هذا المجال بشكل فاعل وكبير.

ومواجهة الحداثة أو فرضية تفوق الحضارة والعلوم والقيم الغربية تتطلب قراءة معرفية عميقة للحداثة الغربية ورصد مساحات الخلل وكشف الفجوات الكبيرة في بنيتها المفاهيمية الحاكمة، وتقديم الأسس الفلسفية والفكرية للخطاب الحضاري الإسلامي في مواجهة ذلك، وبيان أدوات ومناهج التعامل مع العولمة ومعطياتها وفيضانها الكبير على العالم الذي وصل إلى درجة كما يصفها هوفمان "إن أزمة القيم الغربية تحظى حاليا بالقلق داخل بقية العالم؛ لأنّ الثقافة في وقتنا الحالي ليست ثقافة مكان بعينه، بل هي ثقافة وقت بعين".

في هذا السياق من مهام الفكر الإسلامي يأتي كتاب مراد هوفمان المفكر الألماني المسلم، الذي كتب قبل هذا الكتاب عدة كتب تبين أسباب دخوله الإسلام وتحاول

تقديم الأصول الفكرية للرؤية الإسلامية التي تتجاوز التناقضات والفراغات المعرفية الكبيرة في الفلسفة والثقافة الغربية الحديثة.

وليس كتاب هوفمان ببدع من الكتب التي تقدم نقدًا للفكر الغربي المستند على معطيات الحداثة، أو تتحدث عن الآفات المترتبة على النزعة المادية والمرتبطة أيضًا بالفلسفة الفردية الليبرالية الحديثة، فهناك على سبيل المثال كتاب الفوضى لأحد أبرز المنظرين الأمريكان بريجنسكي، لكن الجديد في كتاب هوفمان أنه ينقد الخبرة المعرفية والفلسفية الغربية الحديثة في شتى العلوم والمجالات الحيوية من خلال فكره الإسلامي الذي يصدر عن فهم يصل إلى قاع النظرية المعرفية الإسلامية التي تقوم على الاعتراف بمصادر المعرفة وحدود كل منها: الوحي و العقل والحس، أو الموائمة بين العقل المؤيد والعقل المسدد – على حد تعبير الإمام محمد عبده – رحمه الله –.

يحمل كتاب هوفمان عنوان"خواء الذات: العقول المستعمرة"(دار الشروق الدولية، القاهرة، 2002)، ويأخذ جزءًا من العنوان من عبارة للدكتورة نادية مصطفى – أستاذة العلوم السياسية في جامعة القاهرة – إذ تقول:"عملية الاختراق المسماة بالعولمة، لا تتعلق باختراق حدود جغرافية، ولكن بالسيطرة على العقول"، فاستعمار العقول الذي تشير إليه مصطفى من أكبر التهديدات والحروب التي تشن على المسلمين اليوم وهي حروب من نوع جديد – كما يصفها محمد حسنين هيكل في كتابه"حرب من نوع جديد"–، وبما أنها تستهدف العقل والوعي و تدفع إلى الهزيمة الفكرية والنفسية؛ فهي إذًا أخطر من الحروب العسكرية والهيمنة السياسية. وهذه الملاحظة يشير لها الخبير الأمريكي جوزيف ناي في كتابه مفارقة القوة عندما يتحدّث عن القوة الناعمة والمرتبطة بالنموذج الثقافي الاستهلاكي الأمريكي الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تعميمه على العالم.

ما يريد هوفمان إذًا قوله في هذا الكتاب هو: أن الحداثة الغربية – التي تستند عليها العولمة كمضمون فكري وثقافي ومعرفي يجري تسويقه وكأنه العلم بعينه، و أنه آخر ما وصل له العقل البشري من إبداع، وأنه الإنتاج المعرفي والثقافي الذي يحقق الخير

والسعادة للإنسانية –، أنها – أي الحداثة – مليئة بالثغرات والتناقضات، وقد وصلت إلى أزمة حقيقية اليوم أنتجت ما يسمى بمدرسة"ما بعد الحداثة".

وبالتالي على العقل المسلم أن يتحرر من التبعية الخطيرة للفكر الغربي، وأن يشق طريقه في المعرفة والعلم والتفكير انطلاقًا من الرؤية الإسلامية الناصعة التي تنظر إلى الكون والوجود والحياة بشكل شمولي متكامل ولا تختزل أي جزء لحساب الآخر، كما هو الحال في الفكر الغربي والذي يختزل الحياة في بعدها الفيزيقي المادي المحسوس، الأمر الذي يصيب الإنسان باضطراب شديد في مسيرته الحديثة، كما يوضح ذلك كتاب هوفمان وكما يشرح الأمر بشكل مفصل للغاية محمد مزريان في كتابه القيم"البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية".

وإذا كان كتاب هوفمان يتآلف بشكل رئيس من ثلاثة أجزاء، فإن الجزء المهم و المساهمة الفكرية الرئيسة في الكتاب هو ما يرتبط بنقد الحداثة الغربية، ويدل على هذه الملاحظة أيضًا تقسيم صفحات الكتاب؛ إذ يشمل الجزء المتعلق بنقد الحداثة تقريبا 60 صفحة من صفحات الكتاب البالغة 111 صفحة، بينما يقع الجزء الأول المرتبط بالشيوعية في 15 صفحة تقريبًا، أما الجزء الثالث حول الرؤية الإسلامية فيقع في 25 صفحة.

زيف الحداثة:

يتتبع هوفمان المادية العلمية التي صبغت البحث العلمي في شتى حقول المعرفة الإنسانية في مدرسة الحداثة؛ ليصل إلى نتيجة أن العلم لم يصل إلى إرواء غليل الإنسان في القضايا الكبرى التي تشكل دومًا مصدر اهتمامه و محور تفكيره: الوجود و العدم، الله والكون، غائية الحياة... بل صار العلم اليوم أكثر استعدادًا لتقبل فكرة صياغة أسئلة لا يستطيع الإنسان الإجابة عنها؛ لأنها تقع خارج قدرة المعارف الإنسانية.

وساهمت أزمة الحداثة الغربية في ظهور مدرسة ما بعد الحداثة التي تعبر عن ذروة التخبط في العلم الحديث، و تعيد نبش المطلقات الفلسفية والمعرفية التي انطلقت منها الخبرة العلمية المعاصرة، التي بنيت على فرضية التناقض مع الدين، وفرضية

أن العقل البشري قادر على الوصول إلى المعرفة المطلقة بمفرده دون أية وصاية خارجية.

بدا واضحا اليوم أنّ هناك تطورًا دائمًا في العلوم، وأن النظريات العلمية تنقد بعضها، وأن ما يثبته العلم اليوم ينفيه غدًا، كما أن هناك فرضيات أساسية شكلت نموذجًا سائدًا في حقول علمية شتى ثبت اليوم عدم صحتها، الأمر الذي يصل ببول فييرانبد إلى القول – في كتابه ترجمتي –:"لقد وصلت إلى الاقتناع أن الأمر كله ليس إلاّ فوضى مجنونة"، وأصبح علماء الأنسنة أقرب إلى الشعراء منهم إلى العلماء إذ يقولون:"لماذا نتباحث اليوم فيما سوف يتغير غدًا على أي الأحوال؟!".

هذا القلق و الاضطراب في عدم القدرة على الوصول إلى الحقيقة من خلال مناهج البحث الحداثية أنتج محاولات عديدة للخروج من هذا النفق، وبات عدد كبير من العلماء يشعر بالحاجة إلى الحكمة الشرقية و فلسفة الروح لإنقاذ العلم من متاهته المعاصرة، الأمر الذي حدث فعلاً مع فريتوف كابرا – أحد أفراد مدرسة ما بعد الحداثة – الذي قام في كتابه بالدمج بين الفيزياء والتصوف الشرقي، وكما في التصوف يتوقع كابرا أن ترفع فيزياء العصر الحديث – ما بعد الحداثة – كل المتناقضات، وتصل إلى نقطة يندمج فيها الملاحِظ والملاحَظ في وحدة واحدة: وحدة صوفية تتجاوز الفيزياء الحديثة.

الله أو الدمار:

يمكن استعارة عنوان كتاب المفكر الإسلامي سعد جمعة"الله أو الدمار"في قراءة نقاش هوفمان لأخطار وآفات الحداثة على الخبرة الغربية الحديثة والمعاصرة في شتى مجالات الحياة..

1- العلم والأخلاق: حاول العديد من المفكرين والعلماء وضع أساس جديد للأخلاق بدلاً؛ إلاّ أنهم فشلوا في ذلك فشلاً ذريعًا، وأدى العلم إلى مشكلة أخلاقية حقيقية في الغرب؛ إذ لم يتظاهر العلم فقط بوجود برنامج دون مبرمج، لكنه تصرف و كأن العلم وحده هو المعول عليه. وأصبح الغرب وفقا لفاسلاف هافيل أول حضارة ملحدة في التاريخ أي تنكر دور الدين ابتداءً.

2- العلم والحضارة: الميراث من العلم، والعلم الزائف في القرن التاسع عشر والقرن العشرين بدأ يثمر مجتمعًا لا إداريًا، نفعيًا، استهلاكيًا، موغلاً في الفردية، وليبراليًا، بما يعني حضارة تنشد المتعة حتى النخاع.

3- اللذة كأسلوب للحياة: كان جينو – المفكر الفرنسي المسلم – ذا إدراك عظيم عندما حدد أن المفهوم الجوهري للحركة الإنسانية الذي صيغ خلال فترة النهضة الأوروبية، يلخص مقدمًا البرنامج الذي ستأتي به الحضارة المعاصرة، كل شيء سوف يختزل إلى المستوى البشري، وإلى المقاييس البشرية، لذلك كان من الممكن التنبؤ أن الحضارة المعاصرة سوف تصل في النهاية إلى الغوص مرحلة تلو الأخرى، إلى مستوى أدنى الرغبات البشرية.

4- دين ما بعد الحداثة: أقام الغرب بنيانه الاجتماعي المعاصر بعيدًا عن الدين، وعلى الرغم من حضور الدين في المناسبات العامة، فهو لا يعدو أن يكون فلكلورًا أو تقليدًا عاريًا عن القوة.

لكن المشكلة هي أن الدين الذي خرج من الباب الأمامي في المجتمعات الغربية عاد من الباب الخلفي من خلال الإقبال الشديد للشباب ولفئات من المجتمع على أديان جديدة وغريبة؛ كجماعات العهد الجديد التي تتعبد داخل الأهرامات، والانبعاثيون الذين يعيدون عبادة إخناتون للشمس، وبالتساوي في مكان الصدارة إلى الآن أديان عبادة القمر، العلموية والتنجيم، والملائكة، والشيطان.

هذه الموجة الجديدة من التدين تستمد قوتها من الحنين إلى التوحد العضوي، والبحث عن المعنى، الغائبين بشدة في الحياة المعاصرة.

5- ثورة القيم: اعتبر الغربيون أن الخروج على الدين و على قيم العصور الوسطى التقليدية ثورة في القيم، واستبدلوها بالقيم الرأسمالية العملية. لكن طبقًا لتحليل عالم الاجتماع دانييل بيل في كتابه"التناقضات الثقافية للرأسمالية"؛ فإن المشكلة في العالم الغربي تكمن في أن نجاحه الاقتصادي يدفع إلى تدمير القيم الجوهرية التي قام عليها.

وداخل المسار الجديد للعلم والقيم العملية النفعية أصبح الناس غير معتادين على حقائق الحياة كالحوادث والمصائب الشخصية والمرض والكهولة والموت، إلى حد

أنهم أصبحوا غير قادرين على التواؤم مع هذه الحوادث من غير مساعدة مستشاري الأحزان.

6- السلام الخيالي: لم يقدم عونًا لإحلال مدرسة ما بعد الحداثة محل الحداثة مثلما فعلت لا عقلانية الحروب المتواصلة داخل ما يفترض أنه العالم المستنير، وقد تنبأ بذلك تولستوي في رواية الحرب والسلام أن الحياة مستحيلة في اللحظة التي يظن فيها الإنسان أنه يستطيع أن يقودها ويمارسها وفقا لتوجيهات العقل الخالص.

ولم يعد المجتمع الغربي ينعم بالسلام حتى على المستوى الداخلي، فقد وصل مستوى العنف في المدارس الأمريكية الثانوية حدًا مرعبًا، وهذا لا يمثل سوى قمة جبل الجليد الغاطس؛ إذ يتغذى العنف كل يوم من كمية العنف غير المعقولة التي تشاهد يوميًا في التلفاز، وقد وصلت إلى ألعاب الكمبيوتر بشكل كبير.

7- حافز الربح: أعادت الفلسفة الرأسمالية السائدة في الغرب إنتاج جملة المفاهيم الحاكمة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في الغرب، و تعدلت كثيرًا من المفاهيم لتلائم هذه الفلسفة، فالخير هو النافع والفعال في الحصول على أقصى درجات السعادة عن طريق إنتاج أقصى كمية من البضائع لأكبر عدد من الناس.

في الواقع، النفعية هي التي قادت إلى الغلو الذي أنجب الماركسية، وأدت كذلك إلى تفاوت كبير في دخول الأفراد والدول.

ويصل ريتشارد فولك إلى القول: لم يعد الغرب حيزًا جغرافيًا، بل ظاهرة كونية تدار العولمة بمؤسسات لا تحصى، بالغة الضخامة، ومتعددة الجنسيات، ووصل الأمر إلى الحد الذي تدار به السياسة برأس المال، الأمر الذي يهدد الديمقراطية الاجتماعية بصورتها المعروفة في ألمانيا والدول الاسكندنافية.

8- الإعلام والتسلية (المعلومات تسلية): الإنسان الغربي يعاني اليوم من الكم الهائل من المخترعات والأجهزة التي تحرمه من الهدوء والاسترخاء والتأمل أو التفكير بعمق، أو الصلاة بخشوع. في الواقع يجب على الدوام إثارة غرائز الإنسان المعاصر، حتى عطلاته ينبغي تحويلها إلى مغامرات يشرف عليها محترفون بالتسلية.

وعلى الرغم من وجود برامج تلفازيه ذات مستوى رفيع، وأيضًا مجلات إلاّ أن العملة الرديئة تطرد الجيدة من السوق، والمنتجات الإعلامية الهابطة تستحوذ على النصيب الأوفر من المشاهدين، وكل هذا يعمل بشكل كبير على إفقار روحي للمجتمع وتنمية النرجسية والبعد عن العلاقات الاجتماعية.

في نفس الوقت تجاوزت وسائل الإعلام المعاصر كل الحواجز الموضوعة لحماية الدول ذات الأيدلوجية المغلقة من تأثيرات الأنباء والثقافات الأخرى، وهنا ينبغي على الدول الإسلامية أيضًا تغيير استراتيجيتها لحماية تراثها الإسلامي من خلال تحصين الناس بالعلم النافع لمواجهة الأفكار الضارة، وليس من خلال عزلهم المادي عن التعرض لها.

9- التعليم كأيدلوجيا: تلعب العلمانية دورًا حاسمًا في المعالم العامة للتعليم الغربي، من خلال إبعاد الدين عن المناهج الدراسية وعن صياغة أخلاق الطلاب، ويدرّس الإلحاد بشكل سافر في المدارس من خلال نظريات الحداثة أسسها اللادينية.

10- الثورة الجنسية: ضمن كثير من الثورات التي مرت بالإنسان الغربي في العقدين الماضيين؛ فإن أكثرها ثراءً وأطولها بقاءً هي على الأرجح الثورة الجنسية، وبدا الجنس للوهلة الأولى كأنه البديل الأقوى للدين مكتملاً بأنبيائه الذين يبشرون بالحرية الجنسية.

الآن فإن العادة السرية، والجنس ما قبل الزواج، تبادل الزوجات، الجنس في الشرج، والجنس المثلي، ومشاهدة العري، والدعارة؛ أصبحت كلها مقبولة، وتتكرر كموضوعات رئيسة من خلال تبادل الحديث، كما تجتذب الإعلام، الجنس مع الأطفال هو الوحيد الذي مازال محرمًا. ووصل الأمر إلى السماح لمحترفات البغاء بتكوين نقابات ببعض الدول على أنهن"عاملات جنس"، وفي ألمانيا منذ عام 2001؛ فإن الأزواج الشواذ يحصلون على التسجيل المدني.

11- انحطاط الأسرة: الضحية المباشرة للثورة الجنسية، والتي هي الأكثر استحقاقًا للأسى هي الأسرة، انهيار الأسرة الناتج عن الثورة الجنسية هو عنوان الشؤم على قرب انهيار الحضارة الغربية.

ويعرض التلفاز كل ليلة كم هي عالية درجة الجمال في الرجال الآخرين والنساء الأخريات، ويحض الزوجات داخل بيوتهم على الدخول في منافسة مع جميلات التلفاز، وهي منافسة صعبة جدًا، ولا يمكنهم ببساطة الفوز بها، فعندما يصبح الجنس بضاعة تعرض في السوق، فسوف تتحلل الأسرة، وذلك ما يحدث بمعدلات مخيفة، وأرقام الطلاق تتصاعد في كل مكان، والأسوأ من ذلك المزيد والمزيد من الشباب يقررون عدم الزواج مطلقًا منذ البداية.

12- العدوان على الحياة والإدمان البنيوي: ومن آفات الحداثة إباحة الإجهاض وقتل الجنين غير المرغوب فيه، ومن أثارها الإدمان والكحول و المخدرات، والإدمان ليس مرتبطًا بالمخدرات والخمر، وإنما يصل إلى الإدمان على التكنولوجيا والاستهلاك وشراء الحديث، بما يذكرنا بكتاب هربرت ماركوز المتميز"الإنسان ذو البعد الواحد".

يقول هوفمان:"يطغى ضجيج الإدمان على صوت الضمير الذي قد يذكر الإنسان المعاصر بمصيره الحق، وهو معرفة الله، والدخول تحت عباءة الخضوع له. تعطي أنواع الإدمان معنى زائفًا للحياة، وتبدو على هيئة حلول، بينما هي في الحقيقة تمثل المشكلة الجوهرية.. إنها تحرم الإنسان من الصمت الوجودي والتركيز الذي يحتاج إليه من أجل إقامة الروابط السامية".

الفكر الإسلامي و العولمة:

في حوار سابق مع زكي ميلاد حول أحداث أيلول وأثارها على الفكر الإسلامي، قال: إن على الفكر الإسلامي اليوم أن يعيد بناء رؤيته الشمولية للكون وللمفاهيم الكبرى، ويصوغ من جديد استراتيجية الخروج من النفق الحضاري الذي وصلنا إليه.

و يرى الفضل شلق في مقالة له – في مجلة الاجتهاد – أن الهوية الحضارية ليست دورانًا حول الذات، وإنما عملية دؤوبة نحو تحقيق الذات من خلال النمو والتنمية، وعندها ستصبح الهوية الحضارية منجزاً وليس عائقًا.

وبالتالي؛ فإن الفكر الإسلامي في عصر العولمة مسؤول مسؤولية مباشرة عن طرح الرؤية الاجتهادية الإسلامية في التنمية والنهضة والتقدم، وإدارة الصراع الفكري ليكون جدلاً محركًا ومفعلاً لطاقات الأمة وليس كابحًا لها.

والسؤال الذي يجب على الفكر الإسلامي أن يجيب عنه: كيف نسير في مساق التنمية، وننهض انطلاقًا من روح الإسلام ومقاصده العامة؟، كيف نفقه المشروع الحضاري الإسلامي؛ ليكون طرحًا تنويريًا منفتحًا متقدمًا يمتلك أدوات الموائمة والتوفيق بين مصادر التنظير الإسلامي الوحي و العقل والحس؟

المصدرhttp://www.islamtoday.net :

=============

#الانترنت تسبب أزمات نفسية للشباب

يعرف علماء النفس أعراضا تصيب بعض الرجال والنساء في عقد الأربعينات، ويطلقون عليها أزمة منتصف العمر. وتنشأ هذه الأزمة عادة من إحساس الفرد بأنه قطع شوطا غير قليل من عمره ولم ينجز بعد شيئا مما كان يتمناه لنفسه. أو إحساسه بأنه يودع مرحلة الشباب ويدخل طور الشيخوخة، وبالتالي فعليه أن يسرع بالاستمتاع بحياته قبل أن يسرقه الزمان ويضيع العمر.

ومن تصبه أزمة منتصف العمر يبدأ في التساؤل عن جدوى وظيفته، وما الذي حققه منها؟! ثم يقارن باستمرار بين ما حققه زملاؤه وأصدقائه من نجاح مادي أو مهني وبين ما لديه.

وتكون نتيجة المقارنة دائما محبطة بالنسبة له، الأمر الذي يدخله في دائرة من الضيق والملل.

هذا في الجانب المهني والمادي، أما من الجانب العاطفي فكثيرا ما يشعر من يمر بهذه الأزمة بأنه لم يجد الحب الحقيقي الذي يملأ عليه مشاعره، وأنه يضحي بسعادته على مذبح التزامه تجاه أسرته، ومن ثم يقرر أحيانا الدخول في تجربة عاطفية جديدة بغض النظر عن العواقب.

وأزمة منتصف العمر تحظى باهتمام خاص في المجتمعات الغربية بسبب قسوة العمل وشدة المنافسة مما يجعل الفرد في بداية حياته يسخّر كل ما لديه من قدرات لتحقيق النجاح.

فأن تحقق بعد سنوات من العمل الشاق بدأ يفكر فيما ضاع من عمره وكيف يمسك بتلابيب الباقي.

والجديد الذي اكتشفه باحثان شابان في علم النفس أن أزمة منتصف العمر زحفت إلى الشباب في المجتمعات الغربية.

وحسبما يقول الباحثان الكسندرا روبينز وآبي ويلنر: "كان الناس يفكرون في أنهم لابد أن ينجزوا شيئا ما عندما يصلون لسن الخامسة والأربعين. أما الآن فإنهم يفكرون بنفس الطريقة في سن الخامسة والعشرين."

أما أسباب هذا التطور الجديد فيشرحها الباحثان في الدراسة التي نشرت تحت عنوان: "أزمة ربع العمر: تحديات فريدة تواجهها في العشرينات من عمرك." ويقع على رأس أسباب أزمة ربع العمر ثورة الإنترنت.

وأدت الثورة في تكنولوجيا المعلومات إلى إتاحة الفرصة لشباب كثيرين في العشرينات لتحقيق دخول عالية والحصول على وظائف ممتازة بشكل لم يكن متاحا للأجيال السابقة. وبالتالي تزايدت التوقعات بتحقيق نجاح كبير قبل أن تنقضي فترة العشرينات من العمر.

وإذا نظر شاب إلى زميله الذي يعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات ويتقاضى راتبا ضخما بينما هو يؤدي عملا تقليديا بأجر تقليدي، فمن الطبيعي أن يشعر بأنه لم ينجح، وأن زملاءه تفوقوا عليه.

وإذا سيطر هذا الشعور على ذهن الفرد فإنه يدفعه لأزمة شبيهة بأزمة منتصف العمر رغم أنه في العشرينات لا الأربعينات.

سبب آخر يقدمه عالم النفس البريطاني ديك بايلز لأزمة ربع العمر وهو الثقافة السائدة بين كثير من الشباب، وتتلخص في " اعمل بأقصى ما تستطيع، واستمتع بأقصى ما تستطيع." والنتيجة هي حياة مهنية ناجحة وحياة شخصية فاشلة.

وبعد بضع سنوات من الحياة بهذه الطريقة يشعر الشاب بالفراغ العاطفي وبأن عمله يهدر عمره بلا سعادة حقيقية, ويدخل في أزمة ربع العمر.

والنصيحة التي يقدمها لك علماء النفس لتجنب أزمة ربع العمر هي ألا تحاول أن تحمل نفسك ضغوطا فوق طاقتك، وألا يدفعك الطموح الشديد إلى اعتصار نفسك اعتصارا؛ لأنك بهذا تحرق قدراتك وطاقاتك بسرعة.

فعليك أن تتذكر أن الحياة ليست نجاحا ماديا فقط، بل إن هناك جوانب أخرى كثيرة يمكن أن تحقق لك السعادة والاستقرار النفسي، مثل مشاركة الحياة مع من تحب، ومثل التمتع بجو أسري جميل.

ويبدو أن عالم اليوم . القائم على ثورة المعلومات والاتصالات وحرية المنافسة. أضاف الكثير لتقدم الإنسان. لكنه أضاف قدرا لا يستهان به لتعاسته، وأصبح شباب اليوم يعانون من أزمات الشيوخ.

بتصرف من: http://www.islamweb.net

===============

#لماذا يأكلون الطعام الرديء المغشوش؟

أ.د. عبد الحليم عويس

توجد في الساحة الأوروبية تيارات ثلاثة تؤرخ للعلم وتطوره، فأما أولاها: فهي التي تتكلم عن العلم بكثير من الحياد، فلا تربطه بأفكار مسبقة ولا تزعم أنه يكفي الإنسان وحده، بل تعترف . ضمنا وليس صراحة . بأن الإنسان يحتاج مع العلم إلى الدين والأخلاق.

وهناك مدرسة ثانية قوية . وإن لم تكن كبيرة الحجم . تؤمن بأن "العلم يدعو إلى الإيمان" وبأن "الإيمان يتجلى في عصر العلم" وبأن "الإنسان ذلك المجهول" لا يعلم مفاتيحه إلا الذي خلقه، ولن تتحقق سعادته إلا بخضوعه للمنهج الرباني الذي أنزله الله الذي يعلم من خلق وهو . وحده . اللطيف الخبير!!

وهناك منهج ثالث متهافت، لكنه مدعم من أبواق الإعلام الصهيونية والإلحادية في العالم، ويحاول أصحاب هذا الاتجاه الوقيعة بين العلم والدين، ويزعمون أن الإنسان يستطيع أن يقوم وحده، وأنه ليس في حاجة إلى قوة أخرى تساعده، وهؤلاء يحاولون أن يخفوا وجوههم الحقيقية في بعض ما يكتبون، فيستعملون مصطلحات غائمة، لا يدرك ما وراءها إلا الذي يعرف أهدافهم وأساليبهم!! ومن المصطلحات التي يتسترون خلفها رفضهم مبدأ (العلِية) الكونية تحت راية أن نظرية المعرفة (الأبستمولوجيا) ترفض اطراد الطبيعة [وكأنه لا قوانين] وبالتالي ترفض العلِية أو الثباب في القوانين، وتؤمن بمبدأ (الصدفة).. إلى غير ذلك من المقولات التي ينقصها العلم الحق

والمنهج الصحيح والنظر الموضوعي لحقائق الكون والحياة، بل إلى داخل البناء الإنساني في نفسه قال – تعالى –: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون (21)} [الذاريات]، وأيضا: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} [فصلت: 53]!!•

والحق أن (العلم الحق) غير الموظف لأغراض أيدلوجية، بعد إسقاطه للماركسية قد أسقط هذه (الفلسفة) العبثية التي تحاول أن تظلم العلم، وتقوده إلى الصدام مع الحقائق الكبرى، التي يقوم الكون عليها: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون (115)} [المؤمنون]، ولقد أصبحت الحضارة الأوربية نفسها تئن من هذا الاتجاه، ويرفضه علماؤها الكبار وفلاسفة تاريخها.. وقد ظهر هذا الاتجاه جليا في النصف الثاني من القرن العشرين كله، لدرجة أن الكاتب الهندي الكبير (تقي الدين الأمين) رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة عليكرة ـ رحمه الله ـ رصد ظاهرة انهيار الفلسفة المادية العبثية للعلم في كتاب كامل سماه: "عصر الإلحاد: خلفيته التاريخية ونهايته" كما أن الكاتب الهندي الكبير (وحيد الدين خان) (دحض هذا الاتجاه في كتابيه المعروفين: "الإسلام يتحدى" و"الدين في مواجهة العلم"... وفي عالمنا العربي دحض هذا الاتجاه أيضا مفكرون كثيرون على رأسهم العلامة نديم الجسر ـ مفتى طرابلس لبنان ـ رحمه الله ـ في كتابه: قصة الإيمان بين الفلسفة والدين والعلم..!!

فما بال بعض المراهقين الفكريين لا يزالون يجلسون على المائدة الماركسية عندنا، مع أن فساد أطعمتها قد وضح لكل ذي عقل وقلب؟!

إن نظريات إلحادية كثيرة تلفعت برداء العلم الغربي "كالتطورية الدرونية" و"الجنسية الفرويدية" والوضعية [الكونتية ـ نسبة إلى أوجست كونت]، و"المادية الماركسية" قد أسقطها العلم نفسه...

نعم أسقطها العلم الغربي والشرقي على السواء.. فما بال بعضنا يبقى متحلفا في التبعية، ولا يعجبه

إلا الطعام الرديء المغشوش•• والعلم بريء من ذلك كله.

المصدر : http://aldaawah.com

=============

#الفقر خيط من عنكبوت العولمة

أكرم خير الله

بدأت أمواج العولمة واقتصاد السوق تترامى على شواطئنا وبدأت تظهر آثارهما السلبية على مجمل عالمنا العربي في كثير من النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية وبتسارع مطّرد، يصعب كبح نتائجه السلبية، والتي نجمت عن تردي السياسات الاقتصادية المتبعة.

لم ينتبه المسؤولون إلى حجم الآثار التي بدأت تظهر جلية ولاسيما الفقر الذي أصاب شريحة واسعة في مجتمعاتنا العربية، وكثيراً من الدول الغربية وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، وما يهمنا هنا هو دراسة واقع الفقر في سورية، مسبباته، آثاره، ووسائل القضاء ما أمكن على نتائج هذه الظاهرة المؤلمة. لاشك أن هناك مجموعة مؤثرات دولية اقتصادية وسياسية ألقت بظلالها على سياساتنا الاقتصادية، والاقتصاد له مفرداته الرقمية ومعدلاته التي يمكن تطبيقها على كل دولة بشكل يتناسب مع مقاسها، والحلول الناجعة كالدواء الشافي إن وصفه طبيب أتقن مهنته.

لم تكن الوصفات التي طبقت خلال السنوات العشر الماضية ذات أثر إيجابي، حتى أشير لها بأنها وصفات امتصاص للسيولة من الأفراد بوسائل طوعية أو إلزامية كالضرائب دون إيجاد أقنية لإعادة ضخ هذه الأرصدة في مشاريع استثمارية تعمل على معالجة البطالة وتحرك الركود الاقتصادي الناتج عن انخفاض الرواتب وزيادة تكاليف الاستهلاك الشخصي والضرائب، بل على العكس فقد دأبت الوزارات والمؤسسات على وضع ضرائب إضافية على المواطن دون تمييز، فزادت قيمة الاستهلاك الكهربائي والماء، وأضافت ضرائب النظافة وبوتائر عالية، إضافة إلى زيادة أسعار النفط بأنواعه، ورغم إعطاء الموظفين ما يوازيها إلا أنها رفعت مجمل المنتجات الصناعية والتجارية ما بدد هذه الزيادة، كما أن زيادات الرواتب المتوالية لم تتناسب مع الزيادات التي أنهكت المواطن وكانت النتائج أعباء متوالية على صدور شريحة واسعة من العاملين في الدولة والفقراء أصحاب الدخل المقطوع الذين تراجعت أحوالهم من سيء إلى أسوأ.

ومن المؤلم أنه إذا تعرض أحد هؤلاء إلى حادث أو مرض أو حتى ولادة أو زواج فإنه لا يجد ملجأ له سوى التوسل للأقرباء والأصدقاء ليسدد فاتورة مشفى أو يساعد بالقليل في زواج أحد أولاده، فإن أفلح فقد بدأت دوامة الديون لتجعله غارقاً في البحث عن وسائل وفائها، وتلك كافية لتعطيل قدراته على الإنتاج والعطاء... والمفاجآت الإضافية التي تتعرض لها هذه الشريحة تعددت ومنها أخيراً اللباس المدرسي الذي كلّف كل طالب ألف ليرة سورية كحد أدنى، لقماش سيء لن يطول استخدامه، فماذا يفعل من لديه خمسة أولاد، وراتبه لا يكاد يكفيه لسد احتياجاته الأساسية.

إن الآثار الخطرة التي يورثها الفقر تندرج تحت ظواهر سلبية تبدأ باتباع بعضهم وسائل كسب غير مشروعة، وتنمو من خلالها وسائل السرقة والنصب والاحتيال، كما تدفع بعضهم إلى تشغيل أولادهم في أعمال أقرب إلى التسول في الطرقات ما يؤدي إلى انخراطهم عفوياً مع مجموعات تستغل براءتهم، فيسلكون مسالك رفاق السوء...!!

وسوء الأحوال المعيشية في المجتمعات من أخطر الآثار التي تؤدي إلى تفشي الجريمة والرذيلة والتفكك الأسري.

إن الحضارة فرضت علينا الكثير من الكماليات والتي أصبحت من ضرورات الحياة كالسيارات وأجهزة التلفزة وتوابعها وأجهزة الهاتف السلكي والهاتف النقّال وجميعها ما يترتب عليها فواتير متنوعة (وسائل امتصاص إضافية) وبعملية حسابية بسيطة خلال عشر السنوات الماضية ارتفعت متطلبات العيش إلى 12مثلاً، بينما زاد دخل الموظف خمسة أمثال ومازالت الترفيعات والمنح والراتب العائلي المضاف دون المستوى.

إن الاختناقات المالية التي تنوء تحتها شريحة واسعة من المجتمع مرتبطة بالسياسة الاقتصادية وعلى اقتصاديينا استنباط المعادلة التي توفر الحياة الكريمة في مسار الإصلاحات البنيوية، وفي إطار اقتصاد ومالية الدولة.. لإعادة العطالة الإبداعية العمالية والإنتاجية ما أمكننا لهذه الشريحة.

ورغم كل النظريات التي تربط زيادة الراتب بالتضخم، إلا أنها ضرورة ملحة؛ لأنها تصيب العاملين في الدولة بمختلف تسمياتهم ورفع مستوى المعيشة لهم مع الرقابة الصارمة التي تخفف كثيراً من الرشوة وهي الداء القاتل لكل مجتمع تستشري به.

ولتوفير العيش الكريم بالتوازي مع زيادة الرواتب، يجب رفع وتيرة الإنفاق على المشاريع الاستثمارية وتحريك الأموال المجمدة في المصارف بقروض لذوي الدخل المحدود وتخفيف الأعباء الضريبية ونسب الفوائد في البنوك، وتشجيع القطاع العام الرابح ومنح العاملين على استنهاضه حوافز تشجيعية ومعالجة المؤسسات الخاسرة أو جعلها قطاعاً مشتركاً، كل ذلك سيرفع القدرة الشرائية وسيوفر للمواطن حياة كريمة تبعده عن التسول وتشغيل أطفاله وتغنيه عن التوسل للجمعيات الخيرية، أو الانتظار الطويل أمام الحشد الذي يزداد كل يوم أمام صندوق العافية لإجراء عملية جراحية أو صرف وصفة طبية لا يقدر على دفع فاتورتها.

إننا بحاجة إلى خبراء واختصاصيين ينكبّون على إعادة دراسة الوسائل القادرة على إحداث معادلة تتلاءم مع مقاسنا، إضافة لقراءة متأنية للمسح السكاني، ودراسة مستويات النمو فيه بالتناظر مع دخل الفرد وما يدفعه من ضرائب، فعدد سكان سورية ارتفع منذ عام 1947 من 3،5مليون إلى 18،5 مليون نسمة تقريباً أي بزيادة 15مليون نسمة، بحاجة إلى برامج وخطط لاستيعاب هذه الزيادة.

خلال ستة وخمسين عاماً الزيادة مرعبة إن لم تواكبها دراسات اقتصادية وجغرافية وزراعية وتعليمية وصحية لزيادة النمو الاقتصادي وتحقيق العدالة الاجتماعية في الدخل والضمان الصحي والتقاعدي وتخفيض نسب البطالة وتوفير الحد الأدنى لكرامة المواطن.

علينا أن نهيئ أنفسنا بكل الوسائل المتاحة للمستقبل ونستبق النمو السكاني بخطط ودراسات بعيدة المدى لكل الاحتياجات المطلوبة ونتعامل مع هذه الظاهرة بجدية ومتابعة حتى نحصّن شواطئنا من الفقر وأمواج العولمة واقتصاد السوق.

المصدر : http://www.tarbya.net

===============

#العولمة في الإعلام

د مالك بن إبراهيم الأحمد

الحمد لله رب العالمين القائل: (فاصدع بما تُؤمر وأعرض عن المشركين) [الحجر:94] والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين القائل: [إن من البيان لسحرا] وبعد:

فإن أمر الإعلام في عصرنا الحاضر ودوره المؤثر والفعّال على الأمم والمجتمعات وعلى الدول والمؤسسات، والكبار والصغار، والنساء والرجال أمر لا يخفى على ذي بال لكن الطور الذي دخله الإعلام في سنيه الأخيرة ليس مجرد طور عادي، وليس مجرد وسيلة جديدة أو أسلوب متطور فحسب؛ بل الأمر هو التوجه العالمي للإعلام؛ بمعنى أن الإعلام لم يعد محصورًا في مكان أو حدود سياسية أو بقعة جغرافية.. بل أصبح يتخطى الحدود وربما يجاوز كل وسائل الرقابة.

كذلك فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد.. بل تعداه إلى تكوين مجموعات أو شركات إعلامية أخطبوطية لها أذرع في كل مكان، ولها وجود في كل صنف من الإعلام.. تشارك في القرار السياسي وتؤثر في النشاط الاقتصادي.. توجّه المجتمعات وتقود الأمم في الفكر والثقافة، في الفن والرياضة، في الدين والأخلاق.

مفهوم العولمة:

العولمة مصطلح حادث مترجم عن الكلمة الإنجليزية Global ومعناها: عالمي أو دولي، وغالبًا ما تذكر مرتبطة بمصطلح القرية Village Global بمعنى القرية الكونية أو العالمية. ويدور مفهوم العولمة حول الوجود العالمي أو الانتشار الكوني، وغالبًا ما استخدم في السياسة والاقتصاد بمعنى النفوذ السياسي العالمي والمؤسسات الاقتصادية الدولية (الأخطبوطية) المتواجدة في أنحاء كثيرة من العالم ولها تأثير قوي ونافذ سواء في الشأن الاقتصادي أو السياسي المحلي (أي في البلدان المتواجدة فيها). ثم تطور في جانب جديد وهو العولمة الإعلامية، عن طريق إنشاء مؤسسات إعلامية دولية ضخمة لها قاعدة أساسية في بلد وتنطلق منه إلى كثير من البلدان، ولها أثر فاعل في الإعلام المحلي لتلك البلدان.

أهداف العولمة الإعلامية:

من المعلوم أن الربحية غرض رئيس للرأسمالية الغربية، وأي نشاط اقتصادي يكون وسيلة لزيادة الدخل والربحية فإنه مُحبّب ومرغوب.. هذا هو منطلق العولمة الإعلامية.. ربح وربح وربح.

لكن لا ننسى أن القائمين على هذه المؤسسات والعاملين فيها لهم خلفيات وعقائد ومبادئ ينقلونها إلى العالم من خلال أنشطة مؤسساتهم الإعلامية مثلما تنقل السفينة البضائع، فلا يُستغرب أن نرى مضامين هذه العولمة الإعلامية مترافقة تمامًا مع ما درج عليه أصحابها، فالعنف يستشري في دمائهم، والجنس قضية بيولوجية، أما العقيدة فهي مجموعة من الخزعبلات والخرافات والشعوذات تتوافق أحيانًا مع تربيتهم الدينية (النصرانية) وتصادمها أخرى.

من المستهدف؟

ليس هناك مجتمع محدد مستهدف بالعولمة ولا قطاع معين أو دولة محددة، لكن أينما وجدت التسهيلات الفنية والإمكانات المالية فتجدهم هناك، لذلك نجد توجهًا قويًا للمجموعات الإعلامية الدولية تجاه المراهقين والأطفال، نظرًا للوقت الطويل الذي يقضونه أمام شاشات التلفاز، الإنترنت، الكمبيوتر.

والمجتمعات العربية والإسلامية مستهدفة بهذه العولمة ضمن هذا الميدان، فحيثما شُرعت الأبواب لهم فإنهم داخلون، لا يعتّدون غالبًا بالبيئات وثقافتها وتقاليدها فضلًا عن دينها ومبادئها.

من يقود العولمة الإعلامية؟

المتابع لوسائل الإعلام بكافة أنواعها – والتلفاز والسينما والإنترنت على وجه الخصوص – لا يخفى عليه الحضور الأمريكي الطاغي؛ لدرجة أن أصواتًا عدة ارتفعت في أوروبا (فرنسا على وجه الخصوص) لمقاومة المد الإعلامي الأمريكي الغازي.وفي الوقت نفسه بدأ السعي الحثيث لدى بعض المؤسسات الإعلامية الأوروبية نحو العولمة، بدءًا بالإنتشار الواسع داخل أوروبا نفسها ثم الإنطلاق نحو الأسواق الخارجية خصوصًا ذات الثقافة واللغة المتشابهة.

تطور العولمة الإعلامية:

بدأ التحول الضخم في اتجاه العولمة في مجال الإعلام بدءًا من الثمانينيات، وكانت البداية أفرعًا لمؤسسات وموزعين لمنتجات إعلامية، ثم تطورت الأمور مع التوسع الاقتصادي، والنمو السكاني، والانفتاح السياسي والاقتصادي بين الدول.استطاعت مجموعة من المؤسسات الإعلامية أن تفهم حاجات المجتمعات المختلفة للمواد الإعلامية مما ساعدها على تطوير أدوات إيصال لهذه المواد مستفيدة من التطور التقني الواسع في ميدان الاتصالات.

بدأت المؤسسات الإعلامية الأمريكية القوية في موطنها في تكوين شركات متعددة الجنسيات وشراء أنشطة ومؤسسات إعلامية في البلدان الخارجية المختلفة.واكب ذلك تحالفات استراتيجية مع الجهات المحلية القوية مستفيدة بدرجة كبيرة من النفوذ الأمريكي السياسي في العالم وتهاوي أدوات المنع أو الرقابة ووسائلهما في البلدان المختلفة.

وتطورت الأمور تجاه العولمة بسرعة بالتواكب مع العولمة الاقتصادية؛ حيث يمكن إدراج الإعلام جزءًا من الأنشطة الاقتصادية.

وصل عدد المؤسسات الإعلامية الدولية إلى (80) مؤسسة نصفها تقريبًا أمريكي.ويتوقع الاستمرار نحو هذا الاتجاه وزيادة التكتلات والمجموعات الإعلامية الدولية وذلك في المدى القريب والمتوسط.

مستقبل العولمة الإعلامية:

تعتبر أمريكا أكبر دولة في العالم اقتصاديًا وسياسيًا، وفي جانب الاتصالات هي الأولى وكذلك في جانب الكمبيوتر. أما الإعلام فلا يوجد لها منافس حقيقي في الساحة. هذه الحقيقة تعطي تصورًا واضحًا للمستقبل الإعلامي العالمي؛ فقيادة أمريكا له ظاهرة.

وتداخل الإعلام مع التقنية في الكمبيوتر والاتصالات تجعل القدرة الأمريكية في استمرار الهيمنة الإعلامية مؤكدة؛ خصوصًا إذا انتبهنا إلى الأسلوب المستخدم في الإعلام (المرئي على وجه الخصوص) والذي يعتمد على الإيحاء والخيال الواسع والصورة والحركة لإيصال الرسالة الإعلامية بعيدًا عن الكلام الكثير والحشو المطوّل.ومما هو مشاهد أن التوسع الإعلامي (الأمريكي على وجه الخصوص)

أفقي وعمودي؛ وقد استفاد من التحالفات المحلية (في المناطق القوية) والسيطرة والاحتكار (في البلدان الضعيفة).

كذلك فإن النظرة للعولمة من جهة الشركات الإعلامية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص يزداد مع الأيام، والقناعة به بدأت تسري حتى في المؤسسات المتوسطة والصغيرة فضلاً عن الكبيرة. هذا الأمر (العولمة الإعلامية) سيتجذر مع مرور الأيام، وسيصبح جزءًا مفهومًا من الواقع العالمي، وبالطبع سيتأثر هذا الأمر بمدى المقاومة السياسية للبلدان المستهدفة وبمدى قدرتها على المقاومة أصلاً أو حتى برغبتها في ذلك أو عدم الرغبة.كذلك سوف تتعرض البلدان المتخلفة لضغوط سياسية واقتصادية للقبول بها الواقع الإعلامي الجديد من باب: حرية الناس، وحقوق الإنسان، الإعلام الحر، تبادل الثقافات، وحوار الحضارات.

ولا ننسى أيضًا أن الشركات الإعلامية تتحرك بمساعدة حكومية من بلدانها الأم وهي تنظر إلى الناس (في كل مكان) أنهم مستهلكون لسلع هم ينتجونها، ولا ينظرون إليهم بصفتهم مواطنين في بلدانهم لهم ثقافاتهم الخاصة وعقائدهم المتميزة.

وأخيرًا ...

فإن واقع الإعلام العالمي يدعو للذعر مع الأخبار التي ما فتئت تذكّرنا بل تذهلنا بالتطورات المتسارعة: حيث ذكرت إحدى الشركات الأمريكية أنها في صدد إطلاق قمر صناعي جديد ذي إمكانيات تقنية مذهلة وبتكلفة أقل من الحالية.. تقول الشركة: إنها في غضون سنة 2002م سوف تطلق قمرًا قادرًا على بث ألف وخمسمائة قناة تلفازية في وقت واحد يعادل أداؤه مجموعة من الأقمار الصناعية الحالية.. هذا في جانب البث الفضائي، أما الإنترنت فالشبكة القادمة – والتي بدأ تطبيقها في بعض الجامعات الأمريكية – ستصل سرعتها إلى آلاف سرعة الشبكة الحالية. وهذا يعني بثًا حيًا عالي النقاوة للصورة المتحركة أو الصوت (تلفاز رقمي).. بمعنى آخر: أن الإنسان سيمكنه مشاهدة مئات القنوات التلفزيونية بنقاوة معقولة وهو قابع في مكتبه أمام الكمبيوتر.

المجموعات الإعلامية الدولية الكبرى:

هناك ست مجموعات رئيسة كبرى تعمل في الأنشطة الإعلامية على مستوى العالم ولها حضور دولي كبير متفاوت من مؤسسة لأخرى، أربعة منها أمريكية، وواحدة أوروبية، وواحدة أسترالية أمريكية، وهذا عرض لأبرز أنشطة هذه المجموعات:

1- تايم وورنر Time Warner:

أكبر مؤسسة إعلامية في العالم؛ إذ تفوق مبيعاتها 25 بليون دولار، ثلثها من أمريكا والباقي من العالم. ويتوقع ارتفاع دخلها من خارج أمريكا إلى 50%، وتملك العديد من الأنشطة الإعلامية المتنوعة ومنها:- 24 مجلة (منها تايم).

- ثاني أكبر دار للنشر في أمريكا.

-شبكة تلفزيون ضخمة واستديوهات برامج وأفلام، ودور عرض للسينما (أكثر من 1000 شاشة)، وأكبر شبكة كيبل تلفزيوني مدفوع في العالم.

- شركات أفلام في أوروبا، والعديد من محلات البيع بالتجزئة.

- مكتبة ضخمة من الأفلام (6000 فلم) والبرامج التلفزيونية (25000 برنامج).

-بعض القنوات الدولية التلفزيونية مثل HBO, TNT. CNN مساهمات رئيسة في قنوات وشبكات تلفزيونية أو مرئية.وللعلم، فإن عدد مشاهدي المحطة الإخبارية CNN يفوق 90 مليونًا من 20 دولة، ولدى HBO 1.2 مليون مشترك حول العالم.

2- مجموعة برتلزمان Bertelsmann:

أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا وثالث أكبر مجموعة في العالم. دخلها السنوي يجاوز 15 بليون دولار، وتتميز بأن لها تحالفات وتعاونًا مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية في أوروبا واليابان، ولها العديد من الأنشطة الإعلامية ومنها: - قنوات تلفزيون في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا: إضافة إلى استوديوهات سينمائية متعددة.

- مجموعة من الإذاعات الأوروبية.

- 45 شركة نشر للكتب بلغات أوروبا المختلفة.

- أكثر من 100 مجلة في أوروبا وأمريكا.

3- مجموعة فياكم Viacom :

مجموعة إعلامية قوية في أمريكا: وريع دخلها السنوي (13 بليون دولار) من خارج أمريكا، ولها نشاط محموم للتوسع الدولي: حيث أنفقت بليون دولار في السنوات الأخيرة للتوسع في أوروبا، ولها تحالفات مع العديد من المجموعات الإعلامية ونشاطها متنوع ومنه:

- 13 محطة تلفزيون في أمريكا إضافة إلى شبكات بث فضائي دولي (شوتايم – نكلدون..).
- شركات إنتاج تلفزيوني وسينمائي وفيديوي وموسيقي.
- شركات نشر كتب.

4- ديزني Desney:

أكبر متحدٍ لمجموعة تايم ورنر في العولمة الإعلامية. لها دخل يفوق 24 بليون دولار، ولها حضور قوي في مجال الأطفال بل تعتبر أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم، ولها حضور من أقصى الشرق (الصين) إلى أوروبا والشرق الأوسط حتى أمريكا اللاتينية، ولها أنشطة متنوعة منها:

- استوديوهات أفلام وفيديو وبرامج تلفزيونية، وشبكة ABC التلفزيونية الضخمة في أمريكا، ومحطات تلفزيون وراديو متعددة.
- قنوات تلفزيونية دولية متعددة بالأقمار الصناعية والكيبل مثل ديزني , Disney Espn الرياضية.
- محلات تجارية باسم ديزني، ومراكز ألعاب وترفيه حول العالم.
- دور نشر للكتب.
- 7 صحف يومية، و3 شركات لإصدار المجلات.وللمجموعة تحالفات ومشاركات مع مؤسسات إعلامية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية وكذلك مع شركات بث واتصالات متعددة الجنسيات.

5- نيوزكوربريشن News Corporation:

خامس أكبر مجموعة إعلامية من حيث الدخل (10 بليون دولار) لكنها أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم. أسس المجموعة روبرت مردوخ ويملك حاليًا ثلثها، ولها وجود في جميع أنحاء العالم من خلال أنشطتها الإعلامية والتي منها:

- 132 صحيفة و25 مجلة في أستراليا وبريطانيا وأمريكا (تعتبر واحدة من أكبر ثلاث مجموعات صحفية حول العالم).
- شركة فوكس للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وشبكة فوكس للبث التلفزيوني: إضافة إلى 22 محطة تلفزيون.
- شبكة ستار للبث الفضائي حول العالم وشبكة سكاي (بريطانيا خصوصًا).
- دور نشر للكتب.

وللمجموعة تحالفات مع مجموعات إعلامية حول الإعلام، وقاعدتها 6 دول رئيسة تنطلق منها أنشطتها المتنوعة وبالأخص: أستراليا - بريطانيا - أمريكا.تعتبر هذه المجموعة من أعقد المجموعات الإعلامية وأوسعها، ولها نفوذ قوي في الصين والهند (فضلًا عن أوروبا وأمريكا)، وأسلوبها الناجح هو الشراكة مع جهات نافذة محلية مع عدم مصادمة التوجهات السياسية المحلية لهذه البلدان.

ومن أهم خصائص هذه المجموعة: أنها تبث بلغت البلدان المختلفة؛ فمجموعة FOX نفسها مثلما تبث بالأسبانية في أمريكا اللاتينية وأسبانيا إضافة إلى الإنجليزية بوصفها لغة دولية، وتتميز هذه المجموعة أيضًا بقدرتها على اختراق الدول النامية وتوطيد أقدامها فيها، كما أن لها مصادرها الخاصة بالأخبار والبرامج ممثلة في شركات تابعة أو شريكة إضافة إلى قنوات البث الخاصة بها.

6- مجموعة TCT:

وهي مجموعة إعلامية متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل وكذلك عبر الأقمار الصناعية من خلال نظام الاشتراكات، ولها وجود قوي دولي في هذا الميدان؛ حيث تمتلك قمرين صناعيين للبث حول العالم (قيمتهما 600 مليون دولار) والدخل السنوي للمجموعة يفوق 7 بليون دولار.مجموعات إعلامية أخرى:

هناك مجموعة إعلامية دولية أخرى على صنفين:

الأول: يمثل النشاط الإعلامي جزءًا من نشاط أوسع للشركة الأم.

والصنف الثاني: مجموعات إعلامية أصغر (من حيث الدخل؛ وإلا فإنها إمبراطورية إعلامية لا يقل دخلها عن بليون دولار سنويًا)، مثل يونيفيرسال، بولي جرام (جزء من فيلبس) وسوني اليابانية (يتجاوز دخلها 9 بليون دولار) وجنرال الكتريك ومجموعة

هولنجر الكندية، ويلاحظ الغياب للمؤسسات الإعلامية الدولية في منطقة آسيا والشرق الأوسط.

العولمة الإعلامية والتقنية:

ترتبط العولمة بالتقدم والتوسع الإقتصادي ارتباطًا وثيقًا؛ ولذلك كانت عملية الرقمية Digital في نقل الصوت والصورة والكلمة حاسمة في تسهيل وصول هذه المواد للمستهدف، كما أنها خفضت التكلفة، مما ساعد على توسيع دائرة الانتشار عالميًا، كذلك ساعدت شبكات الاتصال الفائقة Fibers في تسهيل نقل كميات كبيرة من المعلومات وبدرجة نقاء عالية وبوقت قصير حول العالم، وأصبح هناك تحالف ظاهر بين شركات الاتصالات التقنية والبرامج مع المؤسسات الإعلامية نظرًا للمصالح المشتركة بين هذه الأطراف؛ فالأولى ترصف الطريق والثانية تسير عليه.

وفي الختام أحذّر وأحذّر من خطوة الإعلام على عالمنا العربي والإسلامي الضعيف في كل المناحي (ومنها الإعلام)، وهو أصلاً هزيل في تقنياته وموارده بعيدًا عن جذور الأمة وعقيدتها. كذلك أحمِّل قادة الفكر والتوجيه المسؤولية في هذا الميدان، وأدعوهم للمسارعة في تحمّل المسؤولية خصوصًا أننا دائمًا متخلفون عن الركب عالة على الغير في كثير من أمورنا، والعبء الكبير لا يستطيعه فرد أو أفراد بل لا بد من مساهمة الجميع: مؤسسات، ورجال أعمال، مربين ومفكرين، كل بحسبه وكل بقدرته. والأمر يسيرٌ لو كان الإعلام خاليًا من الرسالة والهدف، بل المضمون الثقافي المُصدَّر إلينا لا يحتاج إلى كثير بصيرة لمعرفة خطورته على مجتمعاتنا وأجيالنا القادمة.

المصدر : http://www.kujhra.com

=============

#الإسلام الديمقراطي

محمد رزق ساطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه وبعد:

تتعرض ديار المسلمين وعقائدهم في هذه الأيام لهجمة تتارية يهودية صليبية حاقدة تريد أن تأتي على الأخضر واليابس، فلم تكتف بسفك الدماء وانتهاك الحرمات، بل

تبتغي أغلى ما يملكونه وما يعيشون به؛ ألا وهي معتقداتهم وأخلاقهم، وبدأ الغزو الفكري بإدخال مفاهيم غريبة على عقيدة المسلمين وديارهم، وأحدث هذه الغرائب ما قاله هبل في تصريحاته: أنه يريد الإسلام الديمقراطي، والغريب أنه وضع الاسم ثم وضع المعنى، فماذا يعني بالإسلام الديمقراطي؟!!

إنه يعني أن يكون المسلم مفرغًا من دينه فلا يعلم ولا يعمل ولا يدعو، بمعنى أن تختلط عنده الأحكام، ويستوي عنده الناس مسلمهم وكافرهم، وبمفهوم أوسع أن تضيع هوية المسلم فلا يكون مميزًا عن غيره في شيء، فلا شخصية متميزة بما أضفاه عليها الإسلام من العزة والكرامة والإباء ومحبة المؤمنين وبغض الكافرين والحذر منهم، ولا عقيدة صحيحة يتميز بها، لتصبح عقيدته عبارة عن مجموعة من المفاهيم القاصرة العاجزة الهشة، فيستوي عنده من يقول لا إله إلا الله، ومن يقول إن الله ثالث ثلاثة، يستوي عنده الحق مع الباطل، يستوي عنده العدل مع الظلم، ليكون عند ذلك صورة بغير روح، صنمًا أسك لا يصلح إلا لعبة في أيدي الصغار، وتلك نكبة أخرى.

لقد عاش الإسلام في المدينة مع اليهود ولكنه كان مميزًا بعقيدته التي لا تسمح بالتزايد، لدرجة أن اليهود طمعوا في المسلمين وظنوا أنهم سيجاملونهم فجاءوا لنبينا – صلى الله عليه وسلم –، وكانت قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة أدى مئة وسق من تمرًا فلما بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه إلينا فقالوا بيننا وبينكم رسول الله، فنزلت "سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين" {المائدة:42}، ويقول – تعالى –: "وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين" {المائدة:43}، فقد أخرج البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال: "كيف تفعلون بمن زنى منكم؟" قالوا لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم؛

في التوراة الرجم "فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" فجاءوا بالتوراة فوضع مدارسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فقال ما هذه فلما رأوا ذلك قال: هي آية الرجم فأمر بهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرجما قريبا من حيث توضع الجنائز عند المسجد، قال عبد الله فرأيت صاحبها يحني عليها يقيها الحجارة"، ثم يذكّر القرآن النصارى فيقول: "وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" {المائدة:47}، لكن هل هؤلاء الغزاة الحاقدون لهم دين يرجعون إليه أو يعظمونه؟! هل لهم خلق يقدرونه أو يوقرونه ويتصفوا به؟!

يبرهن الغزاة الحاقدون بشتى الطرق أنهم مستمرون في صراعهم ضد الإسلام والمسلمين فهم يدعون الرقي والحضارة والثقافة وهم أهل الأساطير والخرافات، ومن يلق نظرة في التاريخ يعرف أيهم أرقي فكريا المسلمون أم النصارى، فهم يدعون الناس إلى مناصبة العداء للمسلمين فيتهموننا بالظلم والوحشية لينسى الناس الفظائع التي ارتكبتها الحملات الصليبية، وقد أباحوا لأنفسهم صنوف الأكاذيب ليستفزوا شعوبهم ضد المسلمين ولا بأس عندهم بالخيانة والغدر إذا كانت الخيانة والغدر تستنهض الهمم لمعاداة الإسلام والمسلمين.

لقد تخلت أمريكا عن كل تعهداتها السابقة من ادعاءات عن حقوق الإنسان، إلا إن كانوا يعرفون الإنسان أنه غير المسلم، فقد انتشرت عندهم المعتقلات وطرق التعذيب والاعترافات الوهمية، ولما انتهت تحقيقاتهم وعلموا أن المسلمين برآء من كل ما زعموه أخفوا نتائجها بزعم المحافظة على أمن أمريكا، لقد فشلوا فشلا ذريعًا في ديارهم، فجاءوا إلى ديارنا فيقولون نريد الإسلام الديمقراطي، ومعناه الاستسلام الذليل المهان، يريدون إسلامًا مهيض الجناح، منتهك القوى، إنهم كما قال القرآن عنهم "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل" {النساء:44}، يريدون إسلامًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، لكي يعطي كل ما يملك لإخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت عن طيب خاطر، فيقول للغزاة المجرمين سفاكي الدماء والأعراض أنتم منقذو هذا العالم من الطغاة والمتجبرين.

الإسلام الديمقراطي: أن لا تقوم لعقيدة الجهاد قائمة وأن يبقى المسلمون في ديارهم منزوعي الكرامة والعزة، لأنهم يعلمون أن قوة المسلمين في دينهم.

روى أحمد أبو داود عن ابن عمر قال سمعت رسول الله يقول: "إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم".

إن هؤلاء الغزاة المجرمين إذا أرادوا أن يستبيحوا حرمة بلد من بلاد المسلمين لم يعجزوا عن اختلاق الأسباب المبررة لما أرادوا أن يفعلوا، والعذر الأقبح من كل ذنب قولهم أسلحة الدمار الشامل، وهذا العذر سيف موضوع الآن على أعناق جميع الحكام ليخضعوا ويستكينوا إلى أن يأتي عليهم الدور ألا لعنة الله على الظالمين، فمعلوم أن من دخل الحضانة أو الروضة لن يقف عندها بل هي مقدمة بين يدي التعليم الأساسي، وهذه مقدمة للمرحلة التالية، فعينه على الجامعة ولكن في حينها ثم الدراسات العليا ثم الدكتوراه، ثم على رئاسة القسم أو العمادة أو قل رئاسة الجامعة أو الوزارة وهكذا احتلال الشعوب، فليست العراق نهاية المطاف بل هي البداية، ومع تلك البداية الخبيثة بدأ هبل في شرح إسلامنا بموسوعة الإسلام الديمقراطي.

الإسلام الديمقراطي: أن ينشغل المسلم بنفسه ولا يسأل عن أخيه، ولا يفكر في دعوة غيره إلى الإسلام، فهم يريدون إسلامًا باهتًا لا يتميز بشيء، أقول لو أن أبا جهل عرض عليه وعلى من معه من كفار قريش هذا الإسلام الديمقراطي لما ترددوا لحظة في قبوله لأنه غير مكلف فلا يغير سلوكا ولا يترتب عليه شيء لا عمل ولا تعبد، فهو دين بلا دين.

إن إسلامنا تميزه عقيدة صافية خالصة صحيحة تربط العبد بربه سبحانه، كما تربطه بالناس، فالعلاقة بالله تعالى تقوم على تقديسه وتنزيهه عن كل عيب ونقص، فلا تنسب لله تعالى الولد ولا الصاحبة لأن في ذلك سبًّا له سبحانه وشتما، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فقد أخرج البخاري وأحمد والنسائي وابن حبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني وشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد".

بل يعتبر من نسب لله – تعالى – الصاحبة والولد كافرًا خاسرًا في الدنيا والآخرة إلا أن يتوب ويسلم لله رب العالمين، فعند ذلك يؤتى أجره مرتين، فقد أخرج البخاري وأحمد والنسائي والبيهقي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين.... ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – فآمن به".

إن هذه العقيدة تشعر المسلم بانفراده بتعظيم الله بعبادته ومعرفته، وفي الوقت نفسه تربطه بالناس على أساس المحبة والبغض بناء على هذه العقيدة، وحتى الذين نبغضهم لا نظلمهم ولا نعتدي عليهم ولا ننتهك حرمتهم بل نعاملهم بالعدل، وأما من نحبهم فنعاملهم بالرحمة، كما ندعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ونجادلهم بالتي هي أحسن.

أسأل الله – تعالى – أن ينجينا من شر هبل وأعوانه، وأن يكفينا شر تحريف الإسلام إلى ما يزعمونه الإسلام الديمقراطي، وشر تخطيط الغزاة المجرمين، وأن يرد كيدهم في نحورهم، وأن يكفيناهم بما شاء وكيف شاء إنه على كل شيء قدير إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون {الأنفال:36

المصدر : http://www.altawhed.com

================

#عالمنا ليس للبيع أو الدمار

شاركونا في النضال ضد آثار الإصلاح الاقتصادي

نحن نطالب بفرض ضرائب على كبار المستثمرين لصالح الفقراء ومحدودي الدخل من أجل:

1- إعادة الدعم الحكومي على السلع الأساسية-

2- تمويل برنامج لتشغيل العاطلين-

3-رفع مستوى الخدمات والضمانات الاجتماعية

"لقد جئنا نقول لهؤلاء أننا لن نسمح بدفع حياتنا مقابل أرباحهم" هذا ما أعلنته عاملة فرنسية بسيطة أثناء "مشاركتها في المظاهرات الحاشدة لحركة مناهضة العولمة في

مدينة جنوة الإيطالية في يوليو 2001، ضد اجتماع زعماء الدول الصناعية الثماني الكبرى. لن ندفع حياتنا مقابل أرباحكم، هكذا بكل بساطة ووضوح. لكن ما هي القصة؟ ومن أين خرج كل هذا الغضب؟ وكيف تحول إلى تيار هادر، يتسع يوما بعد يوم، ليوحد الإنسانية ضد صناع الفقر والدمار؟

ما هى العولمة الرأسمالية

ظهور العولمة:

في مطلع التسعينات بدا في أعين الكثيرين وكأن الرأسمالية قد حققت انتصارا حاسما، وأنها أصبحت الآن تتحكم بشكل نهائي في مقدرات جميع البشر!! فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية سيطرت هذه الأفكار على الجماهير في كل مكان. وعلى خلفيتها انتعشت عالميا السياسة التي تبنتها حكومات البلدان الغربية منذ أوائل الثمانينات، والتي أطلقوا عليها اسم "الليبرالية الجديدة" (أي الخصخصة، وتحرير السوق، الخ). خلال التسعينات أصبحت هذه السياسة هي الطريق الذي ترسمه الحكومات الغربية للعالم. وتحولت إلى روشتة للإصلاح تقدم إلى جميع بلدان العالم بواسطة المؤسسات الاقتصادية الدولية تلك التي لا تخدم إلا مصالح الحكومات الرأسمالية الكبرى وشركاتها العملاقة.

وانطلقت على قدم وساق حكومات العالم الثالث في اتباع روشتة "الإصلاح"، على طريق الخصخصة والاندماج في السوق العالمي. هذا في الوقت الذي كانت تعاني فيه الشعوب الفقيرة في العالم الثالث من عبء الديون الضخمة التي حصلت عليها حكوماتها (ذهبت هذه الديون في الواقع إلى جيوب الحكام ولم يستفد منها الفقراء بشيء). وكانت النتيجة من اتباع روشتة "الإصلاح" هذه هي ضرب مصالح الفقراء في كل مكان، وتقليص أجورهم وسحب الضمانات والخدمات الاجتماعية التي يتمتعون بها.

أتاحت تلك السياسة التي نطلق عليها اليوم "العولمة الرأسمالية" للشركات متعددة الجنسية العملاقة الفرصة للسيطرة على حياة البشر في كل مكان بهدف تحقيق أقصى أرباح ممكنة. وتقوم هذه الشركات عبر العولمة وبواسطة سياسات السوق الحر بفرض هيمنتها على العالم، وإعادة تنظيمه حماية لمصالحها. هذا وبينما يدعي

أنصار العولمة أنها الأسلوب الأمثل لتشجيع الجهد الفردي والاختيار الحر للمستهلكين والديموقراطية في أبهى مظاهرها!! وأنها تقدم خدمة هائلة للفقراء بتوفير رغد العيش للجميع!! بينما يدعون ذلك ينتشر الفقر والجوع والدمار والاستبداد في كل أرجاء المعمورة بفضل هذه العولمة، ومن أجل الحفاظ على أرباح كبار المستثمرين في العالم!!

عولمة الفقر:

يقول أحد أنصار العولمة: "بما أن جني الأرباح هو جوهر الديمقراطية، فإن أي حكومة تنتهج سياسات معادية للسوق، هي حكومة معادية للديمقراطية"!! وهكذا فإن الديموقراطية التي تبشر بها العولمة هي حق الرأسماليين في جني الأرباح!! ولأجل تحقيق هذا الهدف تحاول الشركات العملاقة وحكومات البلدان الرأسمالية الكبرى فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية على جميع أرجاء العالم. حتى يمكن طمس جميع الاختلافات بين الشعوب وجعلهم يعيشون في عالم رأسمالي واحد، بهدف توفير أفضل فرص للربح للرأسماليين. أما رغد العيش الذي يبشرون به فها نحن نذوق مرارته يوما بعد يوم: انتشار واسع للفقر وسط الأمم والشعوب الفقيرة أصلا؛ اتساع هائل للفجوة بين الفقراء والأغنياء؛ انهيار للبيئة على مستوى العالم، وانتشار للكوارث الناتجة عن التلوث؛ زيادة هائلة في معدلات التشريد والبطالة وتقليص الأجور والضمانات الاجتماعية؛ دمار وتخريب متواصل بسبب الحروب الاستعمارية والاضطهاد العرقي والديني.

ومن الخطأ أن نتصور أن انتشار الفقر قاصر فقط على بلدان العالم الثالث، فالبلدان الرأسمالية الكبرى تعاني اليوم من أزمة كساد مرعبة لم تشهد مثلها من قبل. أدى ذلك إلى انتشار الفقر أيضا في تلك البلدان، وإلى مزيد من التهميش للفقراء بها. أما بلدان العالم الثالث ومع اتباعها لروشتة "الإصلاح الاقتصادي" وانتهاجها لسياسات السوق الحر أصبحت تعاني من أزمات اقتصادية عارمة وانهيارات سياسية، كالتي شاهدنا آثارها في المكسيك وإندونيسيا والأرجنتين. وبفضل سياسات العولمة ازداد العالم فقراً نتيجة للنهب الواسع للشركات الرأسمالية العملاقة.

وفقاً لتقرير التنمية الصادر عن البنك الدولي عام 20001/2000 (وهو أحد أهم المؤسسات الرأسمالية الدولية) أصبح خُمس سكان العالم يعيشون على أقل من دولار في اليوم الواحد؛ وخُمس الأطفال في الدول الفقيرة يموتون قبل سن الخامسة؛ ومتوسط الدخل في أغنى 20 بلد في العالم يساوى 37 مرة متوسط الدخل في أفقر 20 بلد. أن هذا الانتشار الواسع للفقر لا يحدث بسبب قلة الإنتاج أو بسبب الزيادة السكانية، كما يحاولون خداعنا. الحقيقة أن الإنتاج العالمي . وبسبب التقدم التكنولوجي المذهل في الصناعة . أصبح قادرا على تغطية أضعاف احتياجات جميع البشر في العالم. فمثلا أصبح إجمالي الإنتاج العالمي في مطلع التسعينات خمسة أضعاف إجمالي الإنتاج العالمي في مطلع الخمسينات (وهو أعلى بكثير من معدل الزيادة السكانية)، هذا بينما تضاعفت خلال نفس الفترة معدلات الفقر في جميع أنحاء العالم!!! الحقيقة أن النهب الرأسمالي وسوء توزيع الموارد هو السبب وراء انتشار الفقر، وليس الزيادة السكانية. الإحصائيات تذكر مثلا أن أغنى 225 شخص في العالم يملكون مجتمعين ثروة تزيد عن مليون مليون دولار، وهو ما يوازي مجموع الدخل السنوي لحوالي 2,5 مليار إنسان يشكلون 42% من سكان العالم الأكثر فقرا!!!

عولمة الدمار والاضطهاد

ومن أجل أن تحافظ الشركات العملاقة على أرباحها تعمل حكومات البلدان الرأسمالية الكبرى على نشر العولمة بالقوة إذا اقتضى الأمر. ذلك بتوسيع أسواق ونفوذ تلك الشركات، وحماية مصالحها في كافة أرجاء العالم، وإجبار البلدان الأكثر فقرا على الاندماج في السوق العالمي. وهكذا شاهدنا سلسلة من الحروب الاستعمارية والتدخلات العسكرية المشبوهة، التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها. هذا هو سر ما حدث في حرب الخليج الثانية وحصار التجويع المتواصل على الشعب العراقي، وهذا أيضا هو سبب التدخلات العسكرية التي جرت في العديد من البلدان: في الصومال وكوسوفو ورواندا، وأخيرا فهذا هو جوهر الحرب الاستعمارية التي شنتها مؤخرا الولايات المتحدة وبريطانيا على أفغانستان. وبينما يموت عشرات الملايين من الأطفال في العالم من الجوع، تنفق الحكومة الأمريكية

تريليونات الدولارات على تطوير قدراتها العسكرية بما يسمح لها من سحق الشعوب الفقيرة إذا أرادت.

أيضا وبسبب سياسة فرض العولمة الرأسمالية بالقوة، اشتعلت مع الوقت .كواحدة من الآثار الجانبية لهذه السياسة . العديد من الصراعات العرقية والدينية في العالم. وهكذا شهدنا مذابح وإبادة جماعية لمئات الآلاف والملايين من البشر في جمهوريات يوغوسلافيا السابقة وفي بلدان وسط أفريقيا (رواندا وبروندي) وفي إندونيسيا وغيرها. كما تطالعنا كل يوم مشاهد المأساة الحية لمعاناة الشعب الفلسطيني البطل وصموده الباسل في مواجهة الاضطهاد الصهيوني، هذا الاضطهاد القذر الذي يجسد ضعة سياسات العولمة ومشاريعها الاستعمارية. وأخيرا تأتي موجات الاضطهاد العنصري للعرب والمسلمين في جميع البلدان الغربية ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 كخير مثال على عنصرية العولمة الرأسمالية ورجعيتها.

هذه هي إنجازات عولمة الرأسمالية!! وهذه هي ديموقراطيتها!! وهذا هو رغد العيش الذي يبشر به أنصارها!! وبالطبع فأن مصر وشعبها ليسا بعيدين عن هذه العولمة وآثارها. فمصر عضو في منظمة التجارة العالمية (أحد أهم أدوات تطبيق العولمة الرأسمالية، وهي التي تقوم بتنظيم العلاقات التجارية بين مختلف بلدان العالم، بما يترتب عليه من استغلال البلدان الفقيرة من قبل البلدان الغنية) والحكومة المصرية واحدة من أكثر الحكومات التزاما بتطبيق روشتة صندوق النقد الدولي لـ "الإصلاح الاقتصادي". ولعلنا نتساءل عما جرى لحياة الجماهير المصرية الفقيرة بعد عشر سنوات من توقيع الحكومة المصرية لاتفاقية "المساندة" مع صندوق النقد الدولي.

العولمة الرأسمالية في مصر

العولمة هي البطالة

تعتبر الخصخصة وما أدت إليه من تشريد لمئات الآلاف من العمال أهم آثار العولمة الرأسمالية على مصر. فجميع الاتفاقات التي وقعتها الحكومة المصرية (الجات، الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، إلخ) تنص على ضرورة خصخصة جميع الشركات. كما تنص على ضرورة إزالة جميع الحواجز الجمركية، مع تقديم أكبر قدر ممكن من الإعفاءات الضريبية للمستثمرين. باختصار أدت سياسات العولمة إلى

إفقار متزايد لجماهير العمال المصريين من أجل تحقيق أعلى فرص للربح للمستثمرين. وبسبب الخصخصة وسياسة المعاش المبكر، وبعد أن رفعت الحكومة المصرية يدها عن مسئولية توفير فرص عمل للمواطنين، وصلت نسبة البطالة إلى 17% من السكان حسب تقارير البنك الدولي (وهي نسبة أقل بكثير من النسبة الحقيقية). ومن المؤكد أن معدلات البطالة في مصر ستتضاعف مع إقرار وتطبيق قانون العمل الموحد، الذي يهدد بوضوح الحق في العمل.

أن صدور هذا القانون (وهو أحد شروط دخول الرأسمالية المصرية إلى السوق العالمي) يؤدي إلى إطلاق يد أصحاب الأعمال في طرد العمال. كما أنه "يحرر" علاقات العمل، أي "يحرر" صاحب العمل من أي التزامات، و"يحرر" العامل من كل حماية قانونية، ويترك الأمر كله (الأجور بالتحديد) للمفاوضة "وكل واحد وشطارته". وفي نفس الوقت يمنع العمال من الدفاع عن أنفسهم بتقييده لحق الإضراب عن العمل!! هذا بالطبع يحدث من أجل عيون أصحاب الأعمال والمؤسسات الرأسمالية الدولية، وتحت رعاية اتفاقيات الاندماج في السوق العالمي!!

العولمة هي طرد الفلاحين من الأرض

أن واحد من أهم آثار العولمة الرأسمالية على جماهير الفقراء من المصريين هو الإطاحة بالحقوق المكتسبة لفقراء الفلاحين مستأجري الأراضي الزراعية، هذه الحقوق التي استحقوها منذ مطلع الخمسينات وأطاحت بها روشتة صندوق النقد الدولي. فإصدار القانون رقم 96 لسنة 1992، والذي بدأ تطبيقه في أكتوبر عام 1997 الخاص بمستأجري الأراضي الزراعية، جاء بناءا على توصيات صندوق النقد. ومن أجل توفير الفرصة للاستثمارات الرأسمالية الكبيرة في تجميع الأراضي الزراعية في مصر، وتحقيق مزيد من النهب للفلاحين المصريين.

ترتب على هذا القانون طرد أكثر من نصف مليون فلاح مصري من حيازاتهم الزراعية، وبالتالي حرمانهم من مصدر رزقهم الوحيد ومن دخل ثابت يسد حاجاتهم بالكاد. وتحول معظم هؤلاء الفلاحين إلى عمالة زراعية تعمل بأجر يومي لا يوفر الحد الأدنى من شروط الحياة الإنسانية. وهكذا وصلت نسبة المصريين الذين

يعيشون تحت خط الفقر (حسب تقديرات الأمم المتحدة) إلى 48% من السكان (أغلبهم من سكان الريف)، بينما كانت النسبة عام 1990 39% من السكان.

العولمة هي الإطاحة بالخدمات الاجتماعية

مدرسة بدون مدرسين، وفصول مكدسة بتلاميذ يجلسون على الأرض؛ ومستشفى بدون أسرة للمرضى، أو أجهزة طبية، أو علاج؛ وملايين من المواطنين بدون سكن، في مدينة تمتلئ بغابات من الفيلات والشقق الخالية!! هذا ما تسميه الحكومة: تخفيض الميزانية العامة.

أن تدهور أحوال المدارس الحكومية وانتشار ظاهرة الدروس الخصوصية وارتفاع نسبة التسرب من التعليم بالإضافة إلى اتساع ظاهرة العنف وسط المدارس، جميع هذه الظواهر هي واحدة من آثار العولمة الرأسمالية على مصر. ويكفي فقط أن نعرف أن الحكومة المصرية كانت تنفق على التعليم في عام 1980 5,7% من إجمالي الناتج القومي، وأنها قامت بتخفيض هذا الرقم ليصل في عام 1997 إلى 4,8% من إجمالي الناتج القومي، هذا رغم تزايد أعداد التلاميذ. وبالطبع فإن هذا التخفيض في الإنفاق على التعليم هو أحد أهم بنود روشتة صندوق النقد. وقد أدى انتشار ظاهرة التسرب من التعليم إلى الاتساع الهائل في أعداد عمالة الأطفال في مصر. لقد وصل عدد الأطفال العاملين ما بين سن 6 و14 سنة إلى حوالي 1,5 مليون طفل أي ما يقرب من 12,5% من إجمالي القوى العاملة، هذا بينما يحفى ملايين الشباب بحثا عن فرصة عمل!!

وما تعانيه الخدمات التعليمية في مصر بسبب العولمة الرأسمالية، تعاني منه بنفس الدرجة وقد يزيد الخدمات الصحية. فبفضل روشتة صندوق النقد لا تنفق الحكومة المصرية على الصحة سوى 1,8% من إجمالي الناتج القومي سنويا، بينما تشترط منظمة الصحة العالمية ألا يقل هذا الرقم عن 5%. وطبقا للتقديرات الحكومية لم يتمتع إلا 11% من المصريين بالخدمات الصحية الحكومية خلال الفترة من عام 1990 إلى عام 1996. وبسبب تدهور الإنفاق الحكومي على الصحة عادت إلى الظهور بعض الأمراض التي كانت على وشك الاختفاء مثل الدرن الرئوي، بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الإصابة بالأنيميا بين الأطفال والنساء، بل أن بعض الأمراض التي

اختفت من العالم وكان يجب أن تختفي من مصر منذ سنوات لازالت تنهش فقراء المصريين وعلى رأسها البلهاريسيا. يضاف إلى ذلك أن أحد أهم نتائج التوسع في سياسة الخصخصة في مجال الصحة هو انهيار العلاج المجاني والمستشفيات العامة ووحدات الرعاية الصحية الأولية، بينما يحدث توسع هائل في بناء المستشفيات الفندقية والعلاج السياحي الذي لا يتمتع به إلا الأغنياء.

ومما يزيد الطين بلة الارتفاع المذهل لأسعار الأدوية الذي ستشهده مصر بعد تطبيق قانون "حماية الملكية الفكرية وبراءات الاختراع". هذا القانون الكارثة الذي ناقشه مجلس الشعب المصري مؤخرا، والذي تصدره مصر تحت ضغوط العولمة واتفاقات الشراكة الدولية، سيؤدي مباشرة إلى رفع أسعار جميع الأدوية الرئيسية التي يحتاجها الشعب المصري بدرجة كبيرة جدا. فالقانون يمنع الشركات من إنتاج السلع المحمية ببراءات اختراع، مما سيؤدي إلى رفع أسعار جميع هذه السلع، والتي تأتي الأدوية على رأسها. هذا كله لصالح الشركات متعددة الجنسية صاحبة تلك "البراءات"، التي لا يهمها سوى أرباحها بصرف النظر عن صحة الفقراء. وواحدة من أشهر الأمثلة على وقاحة تلك الشركات هي الشكوى التي قدمتها العام الماضي ضد حكومة جنوب أفريقيا، بسبب انتهاكها لحقوق الملكية الفكرية المزعومة هذه، بعد أن سمحت . الحكومة . بإنتاج دواء للإيدز بحوالي 500 دولار كانت الشركات العملاقة تنتجه بحوالي 30000 دولار!! لكن استطاعت التعبئة الجماهيرية الواسعة في جنوب أفريقيا ضد المسألة، من إعلان صوت الفقراء أمام الرأي العام العالمي وإسقاط الشكوى.

العولمة هي الاستبداد والقمع

بالطبع ليس في مقدور الحكومة المصرية وهي تمرر السياسات المتوحشة للعولمة الرأسمالية، إلا أن تفرض المزيد من الاستبداد على جماهير المصريين. فالإطاحة بالحقوق المكتسبة لجماهير العمال والفلاحين والانتشار الواسع للفقر والتشريد والبطالة يستتبعه مباشرة ممارسات قمعية شديدة، هي واحدة من أهم آثار العولمة. أن ما يدعونه من أن تحرير السوق سيؤدي إلى الحرية السياسية هو خدعة. لقد شهدت مصر خلال العشرين عاما الماضية أسوأ ألوان الاضطهاد السياسي، وبمعدلات لم تشهدها من قبل. أكثر من عشرة آلاف معتقل يقبعون في السجون لما يزيد عن

عشرة أعوام فقط بالاشتباه ودون أن توجه لهم أية اتهامات!! اغتيال مئات المعارضين السياسيين في الشوارع، ومحاكم عسكرية غير دستورية للمدنيين تصدر أحكام إعدام على العشرات بالجملة!! حالة طوارئ مزمنة، واتساع للتعذيب داخل السجون بمعدلات فائقة!! دبابات تقتحم المصانع لفض الإضرابات، وفرق من الأمن المركزي تقتحم القرى والأحياء الفقيرة وتحطم البيوت، وعشرات من القتلى يسقطون في مواجهات مع الشرطة!! هذا غير العصف الواسع بالحقوق المدنية والسياسية، والقيود الهائلة التي تفرضها الدولة على كافة الحريات. أن كل هذا الاستبداد هو في الواقع الوجه الأسود للعولمة الرأسمالية في مصر.

العولمة هي الخضوع للسلام الصهيوني الأمريكي

إذا كان الاستبداد السياسي هو الوجه الأسود الذي تظهر به العولمة الرأسمالية في مصر، فإن الخضوع للسلام الصهيوني الأمريكي هو وجهها المهين والمنحط. فمع توقيع اتفاقيات كامب دايفيد عام 1979 أصبحت السياسة المصرية تجاه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني خاضعة بالكامل لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة والشركات الرأسمالية العملاقة. وهكذا بينما يندفع الشعب الفلسطيني في بسالة لمواجهة الصهيونية، وبينما يندفع مئات الآلاف من المصريين في أوسع حركة للتضامن مع الانتفاضة، تقف الحكومة المصرية بلا حراك ودون أن تجرؤ حتى على طرد السفير الإسرائيلي. بل تفعل ما هو أمر، بمحاولة سحب البساط من تحت الانتفاضة والعمل على جر الأوضاع مرة أخرى إلى مفاوضات السلام الزائف المهين. أنها العولمة الرأسمالية ومصالح الشركات متعددة الجنسية وشركائها في مصر، هي التي تفرض على المصريين أن يدخلوا في تحالف سوق شرق أوسطي مع الاستعمار الصهيوني، وتحت مظلة السلام الأمريكي المهين!!

هذه هي إنجازات العولمة الرأسمالية في مصر، فهل من طريق للمقاومة؟ نعم هناك طريق. أن جماهير الفقراء والمضطهدين تحتشد الآن في كل أرجاء العالم في حركة تتسع يوما بعد يوم لمناهضة العولمة الرأسمالية. والطريق الوحيد أمام الجماهير الفقيرة في مصر لمقاومة كل ما تتعرض له هو الانخراط في هذه الحركة العالمية، والتضامن مع كل الفقراء في العالم تحت شعار: البشر قبل الأرباح.

الحركة العالمية لمناهضة العولمة

عالمنا ليس للبيع

لقد شاهدنا جميعا على شاشات التليفزيون عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الفقراء يناضلون ضد العولمة الرأسمالية، بدءا من سياتيل مرورا بديفوس ونيس وجنوة. شهدنا عشرات الآلاف وهم يحاصرون قاعة المؤتمرات لمنع عقد مؤتمر منظمة التجارة العالمية في سياتيل في نوفمبر 1999، كما شاهدنا مئات الآلاف وهم يواجهون قوات البوليس في مدينة جنوة الإيطالية في يوليو 2001. فوجئنا جميعا ليس فقط بحيوية المظاهرات وبنجاح احتجاجات سياتيل، لكن أيضا بالأعداد الغفيرة التى احتشدت. كانوا أربعين آلف في سياتيل في نوفمبر 1999، ثم تظاهروا بالآلاف في براج في سبتمبر 2000، وفى نيس في ديسمبر 2000. أما قمة الأحداث فكانت جنوة حيث شاهدنا 200 آلف متظاهر محتشدين ضد اجتماع زعماء الدول الصناعية الكبرى. وأخيرا اجتمع نحو 120 آلف متظاهر على مدى ثلاثة أيام في بروكسل من 13–15 ديسمبر 2001 ضد انعقاد القمة الأوربية.

كيف بدأت هذه الحركة؟

إذا كانت سياتيل شكلت نقطة انطلاق للحركة على المستوى الإعلامى، فان هذا لا يعنى أن الحركة بدأت بسياتيل. في مقدورنا اعتبار إعلان تمرد الزباتيستا في المكسيك في أول يناير 1994 – نفس تاريخ تطبيق اتفاقية التبادل الحر في المنطقة – هو البداية. كما يمكن اعتبار الحملات التى نظمت من اجل إلغاء ديون العالم الثالث، أو بداية تشكيل حركة "آتاك": (الجمعية من اجل فرض ضريبة على التعاملات المالية لمصلحة المواطنين) في فرنسا في 1998 هو البداية. وعموما يمكن اعتبار جميع هذه الأحداث هى البداية الحقيقية للحركة.

من يشكل هذه الحركة؟

تتشكل بشكل رئيسى من المتضررين من سياسات العولمة، كاتحادات الفلاحين الموجودة في البرازيل وفرنسا، أو النقابات العمالية في كوريا وفى جنوب أفريقيا والنقابات الأكثر راديكالية في فرنسا وإيطاليا. وهناك أيضا بالطبع حركات شبابية عديدة في إنجلترا أو جامعات الولايات المتحدة تساهم في تشكيل الحركة. بالإضافة

إلى حركات العاطلين عن العمل الذين شاركوا في تنظيم "المسيرة الأوربية ضد البطالة وكل أنواع التهميش"، التى نظمت مظاهرة في امستردام في يونيو 1997 وقد شاركت الحركات النسائية أيضا في الحركة بتنظيمها ل"المسيرة العالمية ضد العنف والفقر"هذا غير المنظمات غير الحكومية وجماعات البيئة التي ساهمت في تشكيل حملات واسعة داخل الحركة بدأت جميع هذه القوي السياسية والنقابية المختلفة والمتنوعة (التي لم تتحرك في أي وقت مضي في إطار جبهة واحدة)في بناء شبكه عالميه موحدة،وأصبحت تشارك بشكل جماعي في تنظيم الأحداث الاحتجاجية الواسعة هذا ما حدث مثلا في جنوة، حيث حشد "منتدى جنوه الاجتماعي"اكثر من 90 جمعية ونقابة في إطار واحد من اجل تنظيم المظاهرة والمؤتمر البديل في يوبيو 2001ولازال هذا الإطار قائما حتى الآن مشكلا آداه لتنظيم أحداث احتجاجية أخرى.

ما هى مطالب الحركة:

تريد الحكومات الرأسمالية الكبرى والشركات العمالقة تحويل كل شىء في العالم إلى سلعة قابلة للشراء والبيع!! بما في ذلك الخدمات الاجتماعية مثل الصحة والتعليم، وحتى الماء الذى نشربه والهواء الذى نتنفسه. وتحت شعار "عالمنا ليس للبيع" نظمت حركة مناهضة العولمة الرأسمالية العديد من الاحتجاجات ضد تلك المحاولات. وأيضا تناضل الحركة ضد محاولة فرض آلية السوق على كل جوانب الحياة. كما تنادى بان لجميع البشر الحق في أن يعيشوا حياة إنسانية محترمة، وألا يتناول طعاما ملوثا إشعاعيا، وألا يموتوا بسبب عدم قدرتهم على توفير المبالغ اللازمة للعلاج. تنادى أيضا بإسقاط الديون عن بلدان العالم الثالث، وتناضل ضد تلك المنظمات التى أصبحت تحكم العالم.. لا لصندوق النقد الدولى، ولا للبنك الدولى، ولا لمنظمة التجارة العالمية. وتقوم الحركة أيضا بتنظيم حمالات مشتركة من اجل أهداف محددة، مثل رفض توسيع نطاق عمل منظمة التجارة، أو رفض فتح جولة جديدة من المفاوضات.

الحركة بعد 11 سبتمبر

استغلت الحكومة الأمريكية وحلفائها الأوربيون فرصة أحداث 11 سبتمبر لكى تضرب حركة مناهضة العولمة، بادعاء أنها "تهدد الأمن العام" !! لكن هذا لم يفلح

في إجبار الحركة على السكوت، ولم تفلح أيضا الحملات الإعلامية الواسعة جدا في "تضليل" "شعب سياتيل". لقد تهاوت سريعا الدعاية الاستعمارية المخادعة بتشكيل جبهة موحدة ضد الإرهاب. اكتشف الجميع أن الأمر قد انتهى إلى تحميل المهاجرين العرب والمسلمين مسئولية الأحداث، وسارعت البرلمانات الأمريكية والأوربية إلى إصدار قوانين للطوارئ!

وكان رد حركة مناهضة العولمة الرأسمالية هو النضال ضد ما يحدث. فقامت بتنظيم مظاهرة في إيطاليا ضمت اكثر من 250 ألف شخصا ضد الحرب الاستعمارية، كما نظمت في إنجلترا واليونان مظاهرات أخرى مناهضة للعدوان على الشعب الأفغانى. آتت بعد ذلك مظاهرات بروكسل لتكون خير دليل على تجذر الحركة واتساعها.

أن حركة مناهضة العولمة الرأسمالية لا زالت وستظل مستمرة في النضال من أجل مستقبل افضل للإنسانية. مستقبل يكون فيه العمل والإنتاج موجه لتلبية احتياجات جميع البشر، وليس لتحقيق الأرباح للرأسماليين. ونحن ندعوك لمشاركتنا هنا في مصر في النضال ضد العولمة الرأسمالية، حتى تتوحد أصوات جميع الفقراء في العالم وترتفع ضد الاستغلال والقهر معلنة:

البشر قبل الأرباح

عالمنا ليس للبيع أو الدمار

المصدر: http://www.ageg.net

=============

#العولمة وصراع الحضارات

أ. د. جعفر شيخ إدريس(*)

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 40].

فالصراع سنة ماضية، والصراع بين الحضارات إنما هو في جوهره صراع بين معتقدات لا بين طبقات ولا عرقيات. فأصحاب الطبقة الواحدة، والمنتمون إلى قومية

واحدة بل قبيلة واحدة قد يقتل بعضهم بعضاً إذا اختلفت معتقداتهم. على هذا تدل الآية الكريمة التي تشير إلى اعتداء أناس من قبيلة هي أشرف قبائل العرب على أناس آخرين من هذه القبيلة نفسها؛ لأنهم خالفوهم في معتقدهم. وهذا هو الذي توصل إليه دارسو الحضارات من الغربيين؛ فإنهم يكادون أن يكونوا مجمعين على أن الحضارة وإن تكونت من عناصر كثيرة إلا أن أهم عنصر فيها هو العنصر الثقافي، وأن أهم عنصر في الثقافة هو الدين. ويلاحظون أن كبرى الحضارات كانت إلى حد كبير مرتكزة على أديان. فما الحضارة؟ وما الثقافة؟ وما العولمة؟ وما علاقة الصراع بين الحضارات بها؟

الحضارة والثقافة والعولمة:

كلمات الحضارة والمدنية والثقافة والعولمة وإن كانت عربية إلا أنها جعلت في استعمالنا الحديث رموزاً تدل على المعاني والمفهومات نفسها التي تدل عليها الكلمات الغربية التي جعلناها ترجمة لها. فلننظر في تلك المعاني والمفهومات كما هي عند أهلها. وأنسب ما نبدأ به هو الأمريكي هنتنجتون أول من أشاع تعبير صراع الحضارات في مقال مشهور نشر في صيف عام 1993م في مجلة Foreign Affairs بهذا العنوان، ثم نشر موسعاً في كتاب بالعنوان نفسه. ينقل هنتنجتون عن عدد كبير من العلماء الغربيين تعريفهم لما أطلقنا عليه كلمة المدنية أو الحضارةcivilization ، والفرق بينها وبين ما نسميه ثقافة culture؛ فما الحضارة أو المدنية وما الثقافة؟ يمكن أن نلخص مجمل أقوال من نقل عنهم هنتنجتون في مفهوم الحضارة والثقافة فيما يلي:

يضع المفكرون الألمان حداً فاصلاً بين الحضارة والثقافة، فالحضارة عندهم تشمل التقنية وسائر العوامل المادية، أما الثقافة فتشمل قيم المجتمع ومثله العليا وخاصياته الفكرية والفنية والخلقية الكبرى. لكن سائر المفكرين الغربيين خالفوا الألمان في هذا؛ فهم يرون أن الحضارة والثقافة كليهما تشيران إلى منهاج حياة أمة من الناس، وأن الحضارة إنما هي الثقافة مكبرة، وأن كليهما يشمل القيم والمعايير والمؤسسات وطرائق التفكير السائدة في أمة من الناس، وأن الدين هو أهم العناصر المكونة للحضارة، وأن الحضارة ليست متطابقة مع العرق؛ فأصحاب العرق الواحد قد ينتمون

إلى حضارات مختلفة، كما أن الحضارة الواحدة ـ كالحضارة الإسلامية ـ قد تضم مجتمعات مختلفة الأعراق والألوان والأشكال. والحضارة هي أوسع وحدة ثقافية؛ فأهل قرية إيطالية مثلاً قد يتميزون ثقافياً عن قرية إيطالية أخرى لكنهم يشتركون في ثقافة إيطالية تميزهم عن أهل القرى الألمانية. والألمان والإيطاليون ينتمون إلى ثقافة أوروبية تميزهم عن الجماعات الصينية والهندية. هذا الذي يجمع الأوروبيين هو حضارتهم التي تميزهم عن الحضارات الصينية والهندية. فالحضارة هي أعلى تجمُّع ثقافي للناس، وأوسع مستوى للهوية الثقافية لهم. وليس فوق الانتماء الحضاري للناس إلا انتماؤهم إلى الجنس البشري(1).

أما العولمة فيمكن أن نقول إنها في أساسها تصيير المحلي عالمياً؛ فهي وصف لعمل مستمر تدل عليه كلمة Globalization لكنها في الوقت نفسه وصف لبعض نتائج هذا التعولم. النتيجة النهائية المثالية للتعولم أن تكون للعالم كله لغة أو لغات مشتركة، وأن تكون التجارة فيه مفتوحة ومتيسرة بين كل بلدان العالم، وأن يسود فيه نظام اقتصادي واحد، ونظام سياسي واحد، وأن تسود فيه عقيدة واحدة، وأن تكون للناس فيه قيم مشتركة في مسائل كحقوق الإنسان والعلاقة بين الجنسين، وأن يكون هنالك أدب عالمي يتذوقه الناس كلهم، وأن يسود فيه تبعاً لذلك نظام تعليمي واحد، وهكذا. وأن تكون كل هذه الأمور التي تعولمت مناسبة للناس من حيث كونهم بشراً، ومساعدة لهم على تحقيق طموحاتهم المادية والروحية، أي تكون للعالم حضارة عالمية واحدة. هذا هو الهدف النهائي المثالي، لكن العولمة قد تكون ناقصة، وقد تكون تامة من غير أن تكون مناسبة للبشر بل مفروضة عليهم لظروف طارئة.

المهتمون بقضية العولمة متفقون تقريباً على أنه وإن كانت الكلمة جديدة إلا أن ما تصفه ليس بجديد، بل يرى بعضهم أن السير نحو هذه العالمية بدأ منذ مئات السنين.

فإذا كانت هذه هي العولمة فما وسائلها التي تجعلها ممكنة وتحركها؟ يذكر بعض المؤرخين أنه كان للعولمة في الماضي سببان رئيسان هما الهجرة والغزو.

ولكن لنا أن نسأل: لماذا يهاجر الناس، ولماذا تغزو بعض البلاد بعضاً؟ إنهم يفعلون ذلك؛ لأنهم يرونه ـ بحسب قيمهم ـ في مصلحتهم المادية أو الروحية. هذا إذن هو

الدافع الأول المحرك للهجرة أو الغزو أو أي نوع آخر من أنواع الاتصال بين أمة وأمة. لكن الناس إنما يقررون الهجرة إلى مكان معين أو غزو أمة معينة بحسب ما يصلهم من معلومات عنها، وبحسب إمكانية الوصول إليها. هذان إذن عاملان آخران هما المعلومات ووسائل الانتقال؛ وهذان يعتمدان كثيراً على مستوى التقنية الذي تصل إليه الأمة المهاجرة أو الغازية أو الساعية لأي نوع آخر من أنواع العلاقات أو التأثير.

دوافع أمة لغزو أمة أخرى أو هجرة بعضهم إليها هي في غالبها دوافع اقتصادية، لكن بعضها قد يكون ثقافياً. والأمران متشابكان؛ فحتى الغازي لأسباب اقتصادية ينقل معه ثقافته وقد يفرضها على المهزومين إذا كان غازياً ذا إمكانات كبيرة، وقد يتأثر بثقافة من غزاهم، بل وقد يتبناها ويترك ثقافته، وقد يكون التأثر والتأثير متبادلاً. والمهاجر أو الغازي لأسباب ثقافية قد يستفيد فوائد اقتصادية، وقد يحدث لثقافته التي هاجر من أجلها ما يحدث للمهاجر.

كان غزو المسلمين للعالم مثالاً للغزو بدافع حضاري؛ فقد كانوا يعدون أنفسهم أصحاب رسالة موجهة للعالم كله كلفوا هم بتبليغها إليه بالوسائل السلمية ما أمكن، وإلا باللجوء إلى الحرب. لكن حتى المسلمين الذين كانوا يهاجرون طلباً للرزق كانت مهمتهم الرسالية ماثلة أمامهم، فأثروا في البلاد التي هاجروا إليها تأثيراً كبيراً، فنقلوا إليها ـ كما نقل الغزاة قبلهم ـ دينهم ولغتهم ولم يتأثروا بهم إلا في أمور لا تتعارض مع دينهم، بل قد يكون بعضها من مقتضيات الدعوة إليه، كتعلم لغتهم.

أما المسلمون الذين يهاجرون إلى البلاد الغربية في أيامنا هذه فإنهم يفعلون ذلك لأسباب في غالبيتها العظمى اقتصادية، وتجربتهم تدل على أن الغالبية العظمى منهم تفقد هويتها الثقافية ـ لغة ومظهراً وديناً ـ وتذوب في المجتمعات الغربية. لكن أكثر ما يحتفظون به ويؤثرون به في تلك المجتمعات هو طعامهم. غير أن قلة من هؤلاء الذين هاجروا لأسباب اقتصادية كانت ـ مع القلة التي تسافر لأسباب دعوية أو دراسية ـ سبباً في قبول بعض الغربيين للإسلام، وفي انتشار بعض المظاهر الإسلامية كالمساجد والمدارس والمكتبات والحجاب.

أما الغربيون الذين ذهبوا إلى العالم الإسلامي غزاة أو لأسباب اقتصادية فإن قلة قليلة منهم هي التي تأثرت بالثقافة الإسلامية أو اعتنقت الإسلام. ولذلك كان دخول بضعة آلاف من الجنود الأمريكان في الإسلام في المدة القصيرة التي قضوها في السعودية إبان حرب الخليج أمراً ملفتاً للنظر شاذاً عن القاعدة. لكن دخول غير الغربيين المهاجرين إلى العالم الإسلامي كان ولا يزال أمراً معتاداً.

أما غزو الغرب للعالم فقد كان في أساسه لأسباب اقتصادية، لكن الدافع الرسالي كان أيضاً حاضراً فيه حضوراً بيناً. فالغربيون كانوا يرون أن لهم رسالة هي أن يحضِّروا العالم ويجعلوه نصرانياً. وهم يرون أن حضارتهم تفوق الحضارات الأخرى لما تمتاز به من عقلانية لا توجد في غيرها، وأن هذه الميزة هي التي تؤهلها لأن تكون الحضارة العالمية. يرى أحد الأساتذة الأرجنتينيين أن أحسن من يعبر عن هذا الاعتقاد هو هيجل وينقل عنه قوله: «إن الروح الألمانية هي روح العالم الجديد». ويقول: إن هيجل يرى أن الروح الأوروبية التي هي روح ألمانيا هي الحقيقة المطلقة التي تحقق نفسها بنفسها من غير أن تكون مدينة لأحد سواها. ويقول . أعني الكاتب .: إن هذه القضية . يعني قضية هيجل . لم تفرض نفسها على أوروبا والولايات المتحدة فحسب؛ بل على كل المجال الفكري لأطراف العالم(1). ويقول أستاذ بجامعة ديوك الأمريكية: «إنه لأمر عجيب وإنها لحركة في غاية التعصب العنصري أن تعتقد أوروبا أن عليها منذ عام 1500م أن تحضِّر عالماً ظلت فيه منذ قرون حضارات (مثل الحضارة الصينية والهندية والإسلامية...) قبل أن تجعل من نفسها مركزاً جديداً للعالم باسم النصرانية وأوروبا زمرة من الجماعات الهمجية الصاعدة»(1)، وأحسن من عبر عن الجمع بين الدافعين الاقتصادي والحضاري هو المؤرخ الأسباني الذي سوغ ذهابه وزملاءه لغزو الجزر الهندية بقوله: «خدمة لله ولصاحب الجلالة، ولنقل النور إلى أولئك الجالسين في الظلام، ولنصير أغنياء كما أن كل إنسان يريد أن يصير»(2).

استطاعت أوروبا أن تفرض نفسها وكثيراً من جوانب حضارتها على تلك الحضارات بالغزو والاحتلال والاستعمار، ثم بوسائل الإعلام والضغوط الاقتصادية، والتهديدات العسكرية. يقول مؤرخهم المعاصر بشيء من الزهو:

«إن التغيير الذي حدث في تاريخ العالم بعد عام 1500م لم يكن له سابقة. لم يحدث من قبل ذلك أبداً أن انتشرت حضارة واحدة في أرجاء الأرض كلها؛ فمنذ أقدم مسارح ما قبل التاريخ المشاهدة كان الميل دائماً نحو التنوع. أما الآن فإن التيار الثقافي بدأ يتحول. إن جوهر ما كان يحدث كان بادياً حتى منذ أواخر القرن الثامن عشر. فالأمم الأوروبية . بما فيها روسيا . كانت في ذلك الوقت قد ادعت لنفسها أكثر من نصف سطح الأرض، وكانت . بدرجات متفاوتة . قد سيطرت بالفعل على ما يقرب من ثلثه. ففي غرب الكرة الأرضية كانوا قد ازدرعوا جماعات مستوطنة تكفي بأعدادها الكبيرة لإنشاء مراكز حضارية جديدة؛ فقد خرجت أمة جديدة من المقاطعات البريطانية السابقة في أمريكا الشمالية، وفي الجنوب استطاع الأسبان أن يحطموا حضارتين ناضجتين ليغرسوا حضارتهم»(3).

ثم يذكر أنه كان هنالك في ذلك التاريخ ما يقرب من عشرين ألف هولندي في جنوب أفريقيا، وأن أستراليا كانت قد بدأت تستقبل مستوطنيها الجدد. وأن الزائر الأوروبي لشرق أفريقيا وإيران والهند وأندونيسيا كان سيجد فيها أوروبيين جاؤوا ليتاجروا ثم ليرجعوا إلى بلادهم في المدى القريب أو البعيد ليستمتعوا بالأرباح التي حققوها.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان الاستعمار الغربي قد شمل أفريقيا كلها، وأحكم سيطرته على شبه القارة الهندية وبقية آسيا. وفي أوائل القرن العشرين أخضع الشرق الأوسط كله . عدا تركيا . لسيطرته المباشرة، ومع نهاية عام 1920م كانت الإمبراطورية العثمانية قد قسمت بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. في غضون هذا التوسع قضى الغرب قضاءً كاملاً على حضارتي (Meso american) و (Andean)، وأخضعت الحضارات الهندية والإسلامية وأخضعت أفريقيا. وتوغل في الصين وجعلت تابعة للنفوذ الغربي لمدة أربعمئة عام تمثلت العلاقة بين الحضارات في خضوع المجتمعات غير الغربية للحضارة الغربية(4).

ذلك ما كان حتى عام 1920م؛ فماذا حدث بعده؟ استمر الغرب في تفوقه التقني واستمر في تأثيره الكبير على كل مجتمعات العالم لا سيما بعد الطفرة التي حدثت في تقنية الاتصالات والانتقال والتي زادت في إمكانية العولمة.

تتمثل هذه الهيمنة الغربية الآن . كما لخصها كاتب أمريكي . في أن الأمم الغربية:

- تملك وتدير النظام المصرفي العالمي.
- وتسيطر على كل أنواع العملة الصعبة.
- وأنها هي الزبون العالمي الأول.
- وأنها هي التي توفر للعالم معظم بضائعه الجاهزة.
- وأنها تسيطر على أسواق الرأسمال العالمية.
- وأنها تمارس قدراً كبيراً من القيادة الأدبية في كثير من المجتمعات.
- وأن لها قدرة على التدخل العسكري العظيم.
- وأنها تسيطر على المضايق البحرية.
- وأنها تقوم بمعظم البحوث والتطوير للتقنية المتقدمة.
- وأنها المتحكمة في التعليم التقني الفائق.
- والمهيمنة على المدخل إلى الفضاء.
- وعلى صناعة الطيران.
- وعلى وسائل الاتصال العالمية.
- وعلى التقنية العالية لصناعة الأسلحة(1).

العولمة لم تكن .كما كان يرجى لها إذن . أن تسود في العالم ثقافة إنسانية تناسب كل الناس وتساعد على تعاونهم وتطورهم والاستفادة من خيرات بعضهم بعضاً. بل كادت العولمة وكاد التحديث أن يكون تغريباً بسبب هذا التفوق الغربي وعدم تسامح حضارته مع الحضارات الأخرى.

إلى متى سيستمر هذا التفوق وهذه الهيمنة الغربية؟

يرى كثير من المفكرين الغربيين أنها لن تستمر طويلاً . على الأقل بهذا القدر الكبير. لماذا؟ هذا موضوع كبير لا يسعنا هنا إلا أن نشير إليه مجرد إشارات، فنقول:

1 - لأن سبب تلك القوة لم يكن لمجرد أسباب داخلية في الحضارة الغربية، وإنما كان أيضاً لظروف خارجية مواتية. أما الآن فإن ظروفاً خارجية أخرى لا قِبَلَ للغرب بتغييرها جعلته يضعف ضعفاً نسبياً للازدياد النسبي في القوة الاقتصادية والتقنية لبلاد غير غربية.

2 – يزداد تقديرنا لأهمية هذا الضعف النسبي للقوة المادية للدول الغربية إذا ما تذكرنا ما يقوله كثير من مفكريها بأن السبب الأساس لسيطرتها لم يكن قيماً ولا فكراً ولا ديناً وإنما كان هذه القوة. يقرر هنتنجتون هذه الحقيقة في صراحة عجيبة إذ يقول: لم يغلب الغرب العالم بتفوق في أفكاره أو قيمه أو دينه (الذي لم تعتنقه إلا قلة من أبناء الحضارات الأخرى) وإنما غلب بتفوقه في العنف المنظم. إن الغربيين كثيراً ما ينسون هذه الحقيقة، لكن غير الغربيين لا ينسونها أبداً(2).

بيد أننا يمكن أن نستدرك على هنتنجتون ومن يرى رأيه بأن الغرب وإن لم يكن في نفس الأمر متفوقاً في تلك المجالات إلا أن أهله كانوا يعتقدون فيه هذا التفوق، وأن هذا الاعتقاد الباطل كان دافعهم، مع الدوافع الاقتصادية للخروج لغزو العالم كما ذكرنا سابقاً.

3 – أما الآن فإن هذا الضعف النسبي في القوة المادية للغرب يصحبه وربما سبقه فتور في الدافع الرسالي؛ فحماس الغربيين لدينهم المسيحي في بداية قرنهم الواحد والعشرين لم يعد كما كان في القرن الثامن عشر، ولم يطرأ هذا الفتور في الحماس الديني بسبب التأثر بالحضارات الأخرى في المكان الأول، وإنما كان في أساسه:

– بسبب دراساتهم العلمية لأصول دينهم التاريخية، تلك الدراسات التي شككت في الثبوت التاريخي لكثير من نصوصه، والتي أثبتت أن في هذه النصوص تناقضاً ومخالفة لبعض الحقائق العلمية نشأ عنه انقسامهم إلى أصوليين . أكثرهم من العوام . يؤمنون بحرفية ما في كتابهم المقدس، وليبراليين يعتقدون أنه ما كل ما فيه من عند الله، وأنه تأثر بالظروف الثقافية للزمن الذي كتب فيه.

– ثم كان التطور في مجال العلوم الطبيعية سبباً آخر؛ لأن منهج هذه العلوم يقوم على عقلانية لا وجود لها في دينهم.

– ثم زاد من ضعف الإقبال على الدين أو الاهتمام به النظام السياسي العلماني الذي يفصله عن الدولة، بل وعن الحياة العامة كلها.

4 – كان كثير من المفكرين الغربيين يأملون في أن يحل العلم الطبيعي محل الدين، وينجح في حل مشاكل البشرية التي عجز الدين عن حلها. لكن تجربة الحربين العالميتين العظميين، واعتمادهما على التقنية الحربية التي وفرها العلم الطبيعي

أضعفت من هذا الأمل. ثم كانت كارثة هيروشيما فاقتنع كثير من المفكرين والعوام الغربيين بأن العلم الطبيعي إنما هو سلاح يعتمد حسن استعماله أو سوؤه على قيم لا تؤخذ منه هو، فلا بد أن يكون لها مصدر آخر.

5 - والشيوعية . التي هي نتاج غربي . والتي تعلق بأوهامها الآلاف المؤلفة من الناس في الشرق والغرب، باءت هي الأخرى بإخفاق ذريع.

6 - لم يبق للغرب الآن مبدأ يتعلق به ويدافع عنه ويعتز به إلا الديمقراطية الليبرالية وما يصاحبها من نظام رأسمالي. لكن حتى هذين يجدان كثيراً من النقد والمراجعة لعدم وفائهما ببعض القيم الإنسانية، ولا سيما إنصاف الفقراء، ولما نتج عنهما من تعميق للروح الفردية وما يصحبها من مشكلات اجتماعية.

7 - الروح السائدة في الغرب الآن ليست روحاً متفائلة، بل إن التشاؤم قد يصل بهم إلى الحد الذي عبر عنه كاتب فرنسي أزعج ذلك الشعب وأثار تشاؤمه حين كتب يقول كما نقل عنه مؤلف إنجليزي: «إن أوروبا بدأت تدخل في عصر ظلام جديد يتميز بالأوبئة والمتسولين وانهيار المدن، وبعث الخرافة، وعودة التهديد القادم من الشرق . من آسيا ومن الإسلام»(1).

ولعلنا نستطيع أن نقول إنه حتى لو لم يطرأ هذا الفتور في حماس الغربيين لدينهم ولرسالتهم، فإنه ما كان لحضارتهم أن تصير حضارة عالمية إذا ما فقدت القوة المادية؛ لأنها لا تملك في نفسها مقومات العالمية. لكن هذا موضوع آخر لا يسعنا الدخول في تفاصيله الآن، غير أن كثيراً من هذا القصور سيتضح إذا ما أظهرنا بعض مقومات عالمية الإسلام؛ إذ بضدها تتميز الأشياء. إلى هذا نتجه الآن وبه نختم مقالنا هذا.

ما الذي يؤهل الحضارة الإسلامية لأن تكون حضارة عالمية؟

أرى أننا ينبغي أن نميز أولاً بين الإسلام والحضارة الإسلامية؛ لأنه إذا كانت الحضارة هي في جوهرها المعتقدات والقيم والتصورات المتمثلة فعلاً . أو قل إلى حد كبير . في واقع أمة من الأمم، فما كل ما جاء به الدين المنزل من عند الله متمثلاً في الأمة التي تعلن إيمانها به. فالدين دينان: دين منزل من عند الله لا يتغير ولا يتبدل {إنَّا نَحًنٍ نَزَّلًنَا الذٌَكًرّ وإنَّا لّهٍ لّحّافٌظٍونّ} [الحجر: 9] ودين متمثل في واقع

الناس يقترب من الدين المنزل أو يبتعد عنه، ولا يطابقه إلا في الرسول الذي جاء به، والذي صدق عليه قول زوجه أم المؤمنين: «كان خلقه القرآن»(1)، أما غيره فمنهم من يقرب منه قرباً شديداً، ومنهم من يبتعد عنه بعداً كبيراً وإن كان منتسباً إليه. فالحضارة الإسلامية المتمثلة في واقع المسلمين تتأهل للعالمية بقدر قربها من الدين المنزل الذي تنتسب به. فما مقومات العالمية في هذا الدين؟ إنها مقومات كثيرة وعظيمة، لكننا نكتفي في هذا المقال بالإشارة إلى بعضها:

1 – أنه بينما كان الرسل من أمثال موسى وعيسى ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ يرسلون إلى أقوامهم خاصة فإن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة، أرسل رحمة للعالمين، وجعله الله خاتماً للنبيين. فحتى لو كان اليهود والنصارى المنتسبون إلى هذين الرسولين مستمسكين بدينهم الحق، لما جاز لهم أن يجعلوا منهما دينين عالميين بعد نزول الدين الخاتم؛ لأن الله ـ تعالى ـ إنما أرسل هذين الرسولين إلى قومهما خاصة وإلى فترة محدودة. فالمسلم المستمسك بدينه العارف بهذه الحقيقة يستبشر بالتطور الذي حدث في وسائل الاتصال والانتقال الذي جعل من العالم قرية واحدة كما يقولون. يستبشر به؛ لأنه يرى فيه تصديقاً لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلا أحد غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان يمكن أن يعلم أن العالم سيتقارب هذا التقارب فلا يحتاج إلا إلى رسول واحد.

2 – أن إمكانية تقريب المسافات أمر حاضر في حس المؤمن الذي يقرأ قوله ـ تعالى ـ: {سِبًحّانّ الذٌي أّسًرّى بٌعّبًدٌهٌ لّيًلاْ مٌَنّ المّسًجٌدٌ الحّرّامٌ إلّى المّسًجٌدٌ الأّقًصّا الذٌي بّارّكًنّا حّوًلّهٍ} [الإسراء: 1]، وحين يذكر كيف أن المكذبين به صلى الله عليه وسلم ضاقت أعطانهم عن أن يروا إمكان ذلك، وحسبوا أن الممكن محصور في المألوف. ويقرأ المؤمن في كتاب ربه أن رجلاً عنده علم من الكتاب استطاع أن ينقل عرشاً بأكمله في أقل من طرفة عين من اليمن إلى الشام، ثم يقرأ في كتاب ربه ما هو أعجب من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى السماء السابعة ورجع في ليلة واحدة؛ وهي مسافة لو قطعها مخلوق بسرعة الضوء لاستغرقت منه البلايين من السنين الضوئية. ويصدق المسلم قول رسوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»(2).

3 – أن هذا الدين هو فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ فهو يخاطبهم بوصفهم بشراً وضع الله في قلوبهم أساسه؛ فهو ليس بالأمر الغريب عليهم. وما أكثر الذين شعروا بهذا حين أسلموا وفاضت أعينهم مما عرفوا من الحق.

4 – ومما يزيد المسلم اقتناعاً بعالمية دينه أنه أثبت في الواقع أنه ليس بالدين الذي تحده ظروف جغرافية أو مناخية، أو زمانية أو ثقافية؛ فقد اعتنق هذا الدين أناس بينهم كل أنواع تلك الاختلافات، فلم يجدوا في شيء منها ما يحول بينهم وبين الإيمان به أو وجدانهم شيئاً غريباً عليهم. فالمسلمون في كل بقاع الأرض الآن أقرب إلى دينهم من النصارى أو اليهود لدينهم. فما زال المسلمون رغم كل تلك الظروف المختلفة يصلون الصلوات الخمس، ويصومون شهر رمضان، ويحجون إلى بيت الله الحرام، ويقرؤون الكتاب المنزل على رسولهم من غير تحريف ولا تبديل.

5 – وإذا كان تطور العلوم الطبيعية يقف الآن حجر عثرة في طريق بعض الأديان الباطلة، فإنه يقف شاهداً على صدق هذا الدين؛ لأنه لا يجد فيه ما يخالف شيئاً من حقائقه، بل يجد فيه تقريراً لبعض تلك الحقائق قبل أن يتمكن الإنسان من اكتشافها بوسائله البشرية. ولا يجد فيه مخالفة لمنهجه العقلاني التجريبي؛ إذ يجده ديناً لا يأتي بمحالات العقول، ولا ينكر ما يشهد به الحس. فإذا ما شعر الناس بأهمية الدين . كما يشعر بذلك كثير منهم الآن . وإذا ما صدهم عما عرفوه من أديان تناقضها المنطقي، أو مخالفتها للواقع المحسوس فسيجد ديناً فيه كل ما يريد من هدى واستقامة وراحة نفسية، وهو خال من تلك النقائص. فسيكون العلم الطبيعي بإذن الله . تعالى . سبباً من أسباب دخول الناس في هذا الدين على المستوى العالمي.

6 – والغرب وإن كان في مجموعه مهيمناً تلك الهيمنة التي ذكرناها سابقاً إلا أنه ليس شيئاً واحداً منسجماً متعاوناً، وإنما هو شعوب ودول وجماعات تختلف مصالحها ويثور التنافس والتحاسد بينها، ويرتاب بعضها من قوة بعضها ويخشى من سيطرتها.

إذا كانت تلك هي بعض المقومات التي تؤهل الإسلام ليكون دين القرية العالمية، ومركز حضارتها، فإن في واقع الأمة المنتمية إليه الآن ما يعرقل سيرها بدينها نحو تلك العالمية:

1 – أول تلك العوائق هو كون الحضارة الغربية قد نجحت في جعل بعض المنتسبين إليه عملاء لها في داخل الأوطان الإسلامية، ومكنت لهم فيها؛ فهم الذين قسموا الأمة وجعلوها متنازعة، وشغلوها بصراعات داخلية سياسية واجتماعية، فحالوا بذلك بينها وبين أن تسعى متكاتفة إلى الأخذ بأسباب التقدم المادي من علم طبيعي وتقنية وإنتاج؛ لأن وحدة الأمة . وإن كانت كافرة . شرط في هذا كما تشهد بذلك تجارب اليابان والأمم الغربية.

2 – وثانيها أن هذا النزاع كان وما يزال السبب في فقدان القدر اللازم من الحرية التي هي أيضاً شرط لذلك التقدم. لكن الغربيين الذين كانوا سبباً في فقدانها يعزون هذا الفقدان الآن إلى طبيعة العرب أو طبيعة الإسلام! وقديماً قال العربي: «رمتني بدائها وانسلَّت».

3 – وثالثها أن كثرة كاثرة من المنتمين إلى الإسلام قد حادوا عن جوهره التوحيدي، ففقدوا بذلك الشرط الذي علق الله . تعالى . نصره لهم عليه في مثل قوله . تعالى .: {وعّدّ اللَّهِ الذٌينّ آمّنٍوا مٌنكٍمً وعّمٌلٍوا الصَّالٌحّاتٌ لّيّسًتّخًلٌفّنَّهٍمً فٌي الأّرًضٌ كّمّا اسًتّخًلّفّ الذٌينّ مٌن قّبًلٌهٌمً ولّيٍمّكٌَنّنَّ لّهٍمً دٌينّهٍمٍ الذٌي ارًتّضّى لّهٍمً ولّيٍبّدٌَلّنَّهٍم مٌَنً بّعًدٌ خّوًفٌهٌمً أّمًنْا يّعًبٍدٍونّنٌي لا يٍشًرٌكٍونّ بٌي شّيًئْا ومّن كّفّرّ بّعًدّ ذّلٌكّ فّأٍوًلّئٌكّ هٍمٍ الفّاسٌقٍونّ} [النور: 55].

4 – ورابعها أن الغرب يبالغ في خوفه من الإسلام، ويزيد في هذا التخويف أناس يبالغون في خطر البعث الإسلامي الجديد متخذين من هذا التخويف وسيلة لتحقيق مآرب لهم لا تمت إلى مصلحة الغرب في شيء؛ وأكثر من يعينهم على هذا ويعطيهم أدلة يفرحون بها أناس لا عقل لهم ينتمون إلى حركة البعث هذه يكثرون من التهديد والوعيد للغرب من غير أن تكون لهم مقدرة على تحقيق أدنى شيء منه. وبسبب هذا الخوف المَرَضي من الإسلام يبالغ الغرب في ضغطه على الدول الإسلامية والتدخل في شؤونها ليقضي على كل بادرة نهضة إسلامية تطل برأسها فيها، {واللَّهٍ غّالٌبِ عّلّى أّمًرٌهٌ ولّكٌنَّ أّكًثّرّ النَّاسٌ لا يّعًلّمٍونّ} [يوسف: 21] .

5 – مع كل هذا الخطر الغربي فإن بعض الدعاة عندنا يتصرفون وكأنه لا وجود للغرب نفسه؛ فلا يتتبعون أخباره ولا يهتمون بمعرفة سياساته ومخططاته، ولا يفكرون

في الرد على أفكاره، وكأنهم لم يسمعوا بمثل ما قال عالم الجزيرة الشيخ السعدي . رحمه الله تعالى .: «إن معرفة أحوال الكفار من أعظم أبواب الجهاد». وصار هؤلاء الدعاة . بسبب هذه الغفلة . مشغولين بمحاربة أناس هم معهم في صف البعث الإسلامي. إن نقد الخطأ . ولا سيما ما كان في مسائل العقيدة . أمر واجب وعمل عظيم؛ لكن نقد أخطاء المسلمين شيء، وجعلها الشغل الشاغل عن الخطر الداهم شيء آخر.

(ü) رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة.

(1) Samuel P. Hintington, The Clash of Civilizations, Simon & Schuster, 1997, pp. 41 -43.

(1) Enrique Dussel ز Beyond Eurocentrism: The World-System and the Limits of Modernity س in Fredrick Jameson and Masao Miyoshi, Editors, The Culture of Globalization, Duke University Press, London and Durham, 1998, pp. 3−4.

(1) Op cit. pp. 32−33 Walter D. Mingnola ,, ز Globalization, Civilization Processes and the Relocation of Languages Cultures س.

(2) J. M. Roberts, The Penguin History of the World, Penguin Books, 1995, p.608.

(3) Ibid. p. 605) Huntington, op.cit. p. 4. (51.

(1) Jeffery R. Barnet, Exclusion as National Security Policy, Parameters, 24 (Spring 1994), 54, as quoted by Huntington, op. cit. 81−

(2) Ibid. p. 51.

(1) Ruling Brittania, pp 316 -7.

(1) أخرجه مسلم، رقم 746، وأحمد في المسند، رقم 23460، واللفظ له. (2) أخرجه مسلم، رقم، 2889

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

===============

#الطفل ومخاطر العولمة

مزن مرشد

يتعرض الطفل العربي لتيارات وقيم ثقافية متباينة، وأساليب متنوعة في التفكير عبر القنوات الفضائية العربية وغير العربية وعبر الحاسبات الآلية،وتتباين قيمه الاجتماعية والبنيوية لمعيشته مع قيم العولمة الحديثة المنقولة إليه عبر الكثير من الوسائل والتي بات من الصعب السيطرة عليها. في الوقت الذي تنحسر فيه أدوار كل من الأسرة والمدرسة في التنشئة الثقافية.

وإذا كان هذا يعرض الأطفال لأنماط ثقافية متباينة وأحياناً متعارضة مما يعرض مستقبل الثقافة العربية لمخاطر ذات صلة بجوهرها الروحي واللغوي، نتيجة لما يعيشه الأطفال العرب من مواقف صراع تزداد تأججاً بين وسائل مبهرة تستخدم في بث ثقافات مغايرة متنوعة المضامين والغايات وبين أساليب تقليدية غير قادرة على الصمود أو حتى جذب الطفل إليها. يحدث هذا في غياب خطة عمل ممكنة التنفيذ،بحيث نستطيع معها الاستفادة مما تقدمه وسائل الإعلام والاتصال من ايجابيات لأطفالنا مع ثقتنا بأن هذه الخطط البديلة مهيأة لجعل الطفل العربي قادراً على لاختيار الواعي لما يريده من هذا الكم من المعلومات بالتحديد،مستفيداً مما يتلقاه، محافظاً على هويته الحضارية ومقوماتها، ولعل من التساؤلات الحاملة لإشكاليات بحاجة إلى عمل علمي مخطط : كيف يتعلم الطفل لغة أجنبية تزداد الحاجة إليها في التواصل مع المعرفة والتقنية المعولمة، دون أن يخل هذا بتعلمه اللغة العربية التي هي أحد أهم مقومات ذاتيته الحضارية ؟

كيف يمكن أن نتيح للطفل التعامل مع الحواسب الآلية ووسائل الإعلام، خاصة التلفزة، دون أن ينعزل عن سياق التفاعلات اليومية مع أعضاء الأسرة بكل ما تحفل به تلك التفاعلات من مواقف للتعلم والتنشئة على القيم الأصيلة لحضارته، خاصة عمقها وجوهرها الروحي ؟

ومن هنا نلتمس الحاجة إلى وجود برامج مدروسة تهيئ لنا فتح المجال واسعاً أمام أطفالنا للانفتاح على هذا القادم وبعنف والاستفادة من إيجابياته ولغته وتقنياته وفي نفس الوقت حفاظه على كل ما هو أصيل في هويته العربية والمطلوب برامج موجهة ليس للطفل داخل الوطن العربي فحسب بل لكل طفل عربي حول العالم في أي مجتمع كان.

-تغيرات بنيوية:

طرأت على أدوار الدولة تغيرات أثرت سلبا في دعمها للخدمات المختلفة وفرص التشغيل وفى الوقت نفسه لا يزال المجتمع المدني العربي يعانى من مشكلات ومعوقات إدارية وقانونية ورقابية ومالية. ولهذا كان ولا يزال الرهان على الأسرة العربية لتنمية خصائص الطفل والارتقاء بفرصه. غير أن الواقع المتغير للأسرة يؤشر إلى ضعف إمكاناتها وقدراتها على القيام بما هو معقود عليها من أدوار ومهام. فهي تتجه إلى الحجم الأصغر وتعاني في شرائحها المتوسطة والمنخفضة من مشكلات متعددة، في الدخل والسكن والقدرة على الوفاء بمتطلبات العلاج والتعليم نتيجة لخصخصة قسم لا يستهان به من هذه الخدمات فضلاً، عن بزوغ اتجاهات لتغير قيمها من الجماعية إلى الفردية، ومن الروحية إلى المادية، مما يجعل مسألة الأسرة العربية أحد المسائل التي بحاجة إلى عمل دؤوب وجاد لاستعادة أدوارها في التعلم الذاتي والتنشئة الحضارية، خاصة وأن مؤسسات أخرى دخلت معها في تنافسية غير مخططة لجذب الطفل والتأثير فيه، خاصة وسائل الإعلام التي يأتي في مقدمتها التليفزيون بإبهاره وجذبه للطفل منذ بروز قدراته الإدراكية المبكرة.

إضافة إلى هذا التأثير الخطير لعولمة الثقافة يبقى المفرز الأكثر أهمية من مفرزات العولمة وهو الفقر وتأثيره القوي على سير حياة وتطور الأطفال روحيا وفكريا وثقافيا فبالرغم عدم وجود بحوث ومسوح دقيقة حول تأثيرات الفقر على فرص إعداد الطفل العربي، إلا أنه يمكن في ضوء قراءة متأنية للبيانات المتاحة التوصل إلى بعض الاستنتاجات الحافلة بالدلالة من منظور مستقبل الطفل العربي ويهم في هذا السياق الإشارة إلى أن اقل تقديرات لأعداد الفقراء العرب وصلت إلى وجود فرد من كل خمسة أفراد يعاني من الفقر بمعيار الدخل.أما إذا اعتمدنا على مفاهيم فقر القدرات

والحرمان البشري capability poverty فأن النسبة ترتفع إلى ما هو أكثر من خمس السكان.

فحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، تصل نسبة السكان الذين لا يتوقع أن يعيشوا بعد سن الأربعين إلى 13% وتصل الأمية بين الذكور إلى 48.4 % وبين الإناث إلى 58.1% ولا تقل البطالة في معظم البلدان العربية عن 10% وتصل في بعضها إلى 30% وتصل نسبة الإعالة إلى قرابة 79%. وتتراوح نسبة الإناث العائلات لأسرهن إلى ما بين 16% – 20 %. لقد انعكست هذه الأحوال على أوضاع الطفل العربي وعلى فرص النهوض به وانعكست اكثر على الأحوال الصحية له فقد أنتجت الظروف الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية للأسرة العربية خاصة في البلدان المصنفة ضمن المستوى المتوسط والمنخفض في تقارير التنمية البشرية، مجموعة من المؤشرات الصحية اللافتة للانتباه : أن نسبة الرضع الذي يعانون من الهزال الحاد والمعتدل تتراوح خلال الفترة من 1995–2001 بين 1%–10% في كل من الأردن وتونس والبحرين والجزائر وسوريا وفلسطين وقطر ولبنان وليبيا ومصر والمغرب. وبين 10–17% في بقية الأقطار العربية. وان أمراض سوء التغذية والتقزم الحاد والمتوسط خلال الفترة المذكورة تراوح بين 8%– اقل من 20% في كل من الأردن الإمارات تونس البحرين الجزائر فلسطين قطر لبنان ليبيا مصر وما بين20% لأقل من 30% في كل من جيبوتي السعودية سوريا الصومال العراق عمان الكويت المغرب. وما بين 30%–52 % في كل من جزر القمر واليمن وموريتانيا ولا تزال معدلات وفيات الأمهات لكل 100.000 ولادة حية في عام 2000م75 ولادة في فلسطين و130 في لبنان 150 في الجزائر و390 في المغرب و370 في العراق و850 في اليمن و170 في مصر و520 في جيبوتي و1500 في السودان. ورغم ما طرأ من تحسن على معدلات وفيات الأطفال الأصغر من 5سنوات، فإنها لا تزال مرتفعة في عدد من الأقطار العربية مقارنة بغيرها من الأقطار العربية داخل الإقليم العربي وبأقاليم العالم الأخرى : فهناك دول عربية كان معدل وفياتها اقل من 30 في الألف وفقا لبيانات 2001 ليبيا وهناك مجموعة أخرى يتراوح المعدل فيها بين 30– اقل 60 في الألف كما في الأردن، الجزائر، فلسطين،

لبنان، مصر، المغرب. أما بقية الأقطار العربية فقد كان المعدل بها اكثر من مائة حالة كما في جيبوتي والسودان والصومال والعراق وجزر القمر وموريتانيا واليمن.

كما تؤكد المسوح والدراسات العربية انخفاض معدلات الاستيعاب في مراحل التعليم خاصة الأساسي في الأقطار العربية المصنفة ضمن الدول المنخفضة التنمية، فهي تصل في ضوء تقارير التنمية البشرية الدولية إلى 21% في جيبوتي، 34% في السودان، 41% في موريتانيا وحوالي 50% في اليمن. كما ربطت تقارير التنمية البشرية والمسوح الوطنية، بين التسرب والفقر – مصر والمغرب. وانتشار هذه الظاهرة بين أطفال الريف أكثر من الحضر، وبين الإناث أكثر من الذكور في الشرائح الدنيا في الريف والحضر.

ولا نستطيع أمام هذه الأرقام إلا أن نتساءل :

هل نقف مكتوفي الأيدي لنرى عالمنا الذي نحلم به ينهار أمام أنظارنا أم ننتظر لنصل إلى مرحلة وجب علينا فيها تعلم لغة الغرب لتتاح لنا فرص العمل داخل بلداننا لا خارجها أو لينتهي ما نسميه تراثنا وحضارتنا وهويتنا الثقافية التي لا نزال نعتز بها؟

المصدر: http://www.annahjaddimocrati.org

=============

#منظمة التجارة العالمية والعولمة الاقتصادية

د. محمد بن سعود العصيمي(*)

تمثل التجارة الدولية العصب المركزي لاقتصاديات دول العالم. ومع هذه الأهمية، فقد مرت النظرية الاقتصادية التي تعنى بدراسة التجارة الدولية بمراحل تطورت من خلالها، بدءاً بالنظريات التي كانت ترى الاكتفاء الذاتي لكل بلد أمراً ممكناً. بل مرغوباً فيه من الناحية الاقتصادية؛ وعليه فلا داعي للتجارة الدولية؛ وهو ما يستدعي فرض قيود عليها. ووصولاً إلى النظريات الحديثة التي ترى التوسع في التجارة البينية بين دول العالم، وأنها تزيد من رفاه العالم والدول المشاركة فيها على حد سواء؛ فلا بد من تحريرها من القيود.

وتاريخياً، وبناءً على الواقع السياسي والحربي لدول العالم، كانت التجارة الدولية تمر بموجات من المد والجزر في مجال الحمائية (ويقصد بها وضع موانع غالباً ما تكون مصطنعة أمام انسياب السلع من خارج البلد مثل الجمارك والقيود الكمية والنوعية على الواردات). فقد كانت الحروب، ولا تزال، تشكل العائق الأول أمام انسيابية التجارة الدولية بسبب فقدان الثقة بين البلدان المتحاربة. وكان يصاحب قيام الحروب وقف تصدير واستيراد الذهب والفضة على وجه الخصوص بسبب كونهما نقوداً مقبولة في أنحاء كثيرة من العالم لقرون طويلة (أو غطاء إلزامياً للنقود الورقية إلى عهد قريب). هذا هو السبب الأول الذي جعل أصحاب النظرية التجارية ينادون بالاكتفاء الذاتي وعدم القيام بعمليات تجارة عالمية؛ حيث إن فقدان المعدنين الثمينين في أوقات السلم يجعل البلد عرضة للضعف الشديد حال الحرب. ولذلك تزيد الموجات الحمائية (بفرض القيود المالية والكمية والنوعية) على التجارة بين البلدان أثناء وبعد الحروب. ولما تغير الوضع في النقود وأصبحت لا تصرف بالمعدن الثمين، خفَّت تلك الآثار من جهة، وزادت من جهة أخرى؛ فأصبحت الدول المتحاربة تتعامل بعملات قوية مصدرة في بلد غير مشمول بالحرب، لكن النقد الخاص بالدول المتحاربة قد يتلاشى للصفر. وآثار الحروب لا تتوقف على النقود، بل كثير من الأدوات الاقتصادية التي تعتمد على الثقة تتأثر تأثراً كبيراً بالحرب(1).

ولذلك كانت الحربان العالميتان ذواتي أثر كبير على التجارة العالمية بناءً على ما سبق. وقد استدعى ذلك من قادة العالم (القادر على ذلك) المبادرة لتصحيح مثل تلك الاختلالات في سوق التجارة العالمية حتى لا تتضرر البلدان وخاصة المتقدمة بعد الحروب. وقد قامت جهود كثيرة من دول العالم المتقدم لتصحيح الخلل الناشئ من الحروب على التجارة الدولية بعد الحرب العالمية الأولى، ولكنها لم تلق الدعم الكافي من بقية دول العالم، وفتَّ في عضدها الكساد العظيم الذي ضرب أطنابه على الولايات المتحدة وأوروبا من عام 1929م حتى 1933م، وقيام الحرب العالمية الثانية فيما بعد. وكانت الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية مناسبة للولايات المتحدة الأمريكية (البلد المنتصر في الحرب) لفرض سياستها على العالم، وتشكيل ما تريد تشكيله من المؤسسات والمنظمات العالمية التي تحل بها كثيراً من المشكلات التي

نشأت من الحروب؛ بحيث تستفيد الاستفادة القصوى من تلك المنظمات. ومن هنا قامت منظمات دولية من أهمها: (منظمة الأمم المتحدة) والهيئات والوكالات التابعة لها، و (صندوق النقد الدولي)، و (البنك الدولي للإنشاء والتعمير). وكان الغرض منها ترتيب الشأن السياسي والاقتصادي والتمويلي في العالم. وفي تلك الحقبة نفسها، تم اقتراح إنشاء منظمة تعنى بالتجارة الدولية تسمى: (منظمة التجارة العالمية). وبالفعل تم ذلك، وبدأت اللجان المشكلة العمل بها منطلقة مما عرف فيما بعد بـ (ميثاق هافانا) الذي كان يراد منه تنشيط العلاقات التجارية العالمية. ولكن هذه المنظمة لم تقم على سوقها، لاعتراض الكونجرس الأمريكي عليها نظراً لسحبها كثيراً من صلاحياته(1).

غير أن حاجة الدول لمنتدى دولي للتداول حول الشؤون التجارية المختلفة كان ملحاً على الرغم من رغبة الولايات المتحدة الأمريكية، فكان أن قامت جهود منفردة بين مسؤولي القطاعات التجارية والاقتصادية التي لها علاقة بانسيابية حركة التجارة الخاصة بها، ثم تبلورت تلك اللقاءات والاجتماعات عن أطر تلقى قبولاً عاماً بين الدول، مستمدة من (ميثاق هافانا)، شكلت فيما بعد الإطار النظري الذي بنيت عليه اتفاقية سميت: (الاتفاقية العامة للرسوم الجمركية والتجارة)، واختصاراً من الحروف الإنجليزية الأولى لاسمها، تدعى (جات) [GATT]. وكان الهاجس الأول فيها تحرير التجارة العالمية من القيود التي وضعت بعد الحرب؛ وذلك بخفض الجمارك، والحد من القيود الكمية والنوعية المفروضة على السلع من قبل الدول الأطراف في الاتفاقيات. وتولد عن تلك الاجتماعات اتفاقات بين دولتين أو أكثر، وتغطي في الغالب سلعاً صناعية من المهم لأطراف الاتفاقية وضع ضوابط للتجارة فيها. ولحاجة كثير من دول العالم لمثل هذا النوع من الترتيبات التجارية، زادت تلك الاتفاقات وتعددت أطرافها، وتوسعت بعض الاتفاقيات في أعضائها والسلع الصناعية التي تشملها، وأصبحت تلك الاتفاقيات مجالاً لإنضاج كثير من الأفكار الاقتصادية في مجال التجارة العالمية. ومع كل ذلك، لم تكن (الجات) منظمة بالمعنى الفني الدقيق، وإن كان لها أعضاء مشاركون مشاركة فاعلة في كثير من مجريات اتفاقياتها، ولكنها قدمت للعالم وللفكر الاقتصادي كثيراً من الأفكار الناضجة في مجالها؛ ومن ثم

اكتسب كثير من ممارساتها عرفاً دولياً مهماً، وإن كان غير ملزم للأطراف فيها؛ وتبلورت تلك في خفض كثير من الرسوم الجمركية على جملة السلع محل المفاوضات(2). وكانت بعض الدول التي لا ترغب في الانضمام لهذا الملتقى الاقتصادي غير الرسمي تدخل طرفاً أو «عضواً» مراقباً فيه. وقد تبلور العمل التجاري العالمي المدار عن طريق اتفاقية (الجات) عن مبادئ مهمة ألخصها فيما يأتي(3):

1- مبدأ عدم التمييز (أو: قاعدة المعاملة الوطنية): والمقصود أن تتم معاملة كل دولة لسلع الدول الأخرى معاملة السلع الوطنية سواء فيما يتعلق بالضرائب المحلية أو الأنظمة المعمول بها. وفي هذا الإطار تعطى الدولة المشاركة في الاتفاقية وضع «الدولة الأَوْلى بالرعاية»؛ ويقصد به: حصول الدولة على كل المزايا الممنوحة من بلد آخر للبلدان الأخرى تلقائياً حتى لو لم يكن البلد طرفاً في اتفاقية محددة، ويستثنى من ذلك البلدان الداخلة في ترتيبات تجارية إقليمية.

2- مبدأ حظر القيود الكمية: والمقصود أن يتم امتناع كل الدول المشاركة في اتفاقية الجات عن استخدام القيد الكمي (أي: تحديد الواردات بكمية معينة) في أساليب التعامل التجاري مع البلدان العالمية. ومعنى ذلك أن الدول ليس لها إلا استخدام الرسوم الجمركية كآلية وحيدة لحماية الصناعة المحلية.

3- مبدأ تخفيض الرسوم الجمركية: والمقصود أن تتعاون الدول الأعضاء في الاتفاقية بخفض رسومها الجمركية أمام الواردات الأجنبية تحفيزاً للتجارة العالمية، وتقليصاً للعوائق السعرية عليها، أو على الأقل ربط تلك الرسوم بحيث لا تزيد.

4- التعهد بتجنب سياسة الإغراق: والمقصود أن تحاول الدول الأعضاء عدم دعم السلع الموجهة للتصدير دعماً مالياً مباشراً؛ بحيث إن الاتفاقية تريد ترسيخ قيم التنافس الحر بين الشركات والمنشآت التجارية بدون التدخل الحكومي.

ومن أهم أسباب التطورات التي حدثت في مسيرة (الجات) تلك الجولات من المفاوضات بين الدول الأعضاء التي كانت تعقد كل عشر سنين تقريباً، وتسمى في البلد الذي تعقد فيه غالباً. وكانت هذه الجولات مجالاً لإنضاج التجارب في الاتفاقيات المختلفة، ولسماع الأطراف المختلفين ما عند الآخرين حول الاتفاقيات،

وللنظر في إدخال سلع أخرى لتشمل في الاتفاقيات القائمة. وقد تم عقد ثماني جولات، كانت الأولى في جنيف عام 1948م. ولكن أهم تلك الجولات هي الجولات الثلاثة الأخيرة: جولة كندي (1964 ـ 1967م)، وجولة طوكيو (1973ـ 1979م)، وجولة أوروجواي (1986 ـ 1993م)(1)، وكانت جولة أوروجواي أهم تلك الجولات على الإطلاق.

إرهاصات قيام منظمة التجارة العالمية(2):

لقد تغير موقف الولايات المتحدة المعارض لإنشاء منظمة تعنى بالتجارة العالمية على نحو غير معهود. ولا شك أن لذلك أسباباً تشترك فيها مصالح الولايات المتحدة مع أوروبا، وبقية البلدان الصناعية.

وأهم تلك المتغيرات في نظري:

– استعار المنافسة بين الولايات ودول أوروبا على المصالح، خاصة بعدما تبين لدول أوروبا أن الولايات المتحدة قد شكلت في السنوات الخمسين الماضية أكبر تحد لدول أوروبا في جميع المجالات، خاصة التجارية والثقافية. ومن هنا ندرك أن تشكيل (الاتحاد الأوروبي) بين دول كانت متناحرة إلى عهد قريب لها لغات متعددة وثقافات متغايرة ومصالح متعارضة لم يأت اعتباطاً ولا ترفاً اقتصادياً أو سياسياً؛ بل هو حل غالي الثمن لمعضلات باهظة التكاليف(3). ومن المهم في هذا السياق ربط الاندماجات الكبيرة التي حصلت بين الشركات العالمية، والغربية على وجه الخصوص، في كثير من المجالات، مثل الصيرفة، والخدمات المالية، والاتصالات، والتأمين، والصناعات الأساسية وغيرها. ومن المهم الإشارة إلى أن مثل تلك الممارسات كانت إلى عهد قريب تعد مخالفة للقوانين الخاصة بمكافحة الاحتكار في بلدان مثل الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن الصورة القانونية تغيرت مع تغير ساحة الصراع الاقتصادي.

– كثرة الدول التي كانت مستعمرات لدول أوروبا مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية؛ مما يجعل تقديم الدول الأوروبية لمزايا تجارية لهذه المستعمرات غير مخالف للنمط التجاري المعروف والمألوف عالمياً. ولما كانت تلك المستعمرات السابقة قد أصبحت بعد التحرير (!) مجالاً خصباً لنشاط الشركات متعددة الجنسيات، فقد كانت الشركات

حاملة الجنسية الأوروبية فيها مقدمة على غيرها من الجنسيات، خاصة الأمريكية في المزايا التجارية. وهذا يعني خسارة كبيرة لأسواق كبيرة بإمكان الولايات المتحدة دخولها. والعكس صحيح، فهناك دول ترغب أوروبا أن تمارس فيها دوراً أكبر، وهي تاريخياً مجال لصولات وجولات الشركات الأمريكية. ومشكلة الموز التي ثارت بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي أوضح مثال على كسب الولايات المتحدة السجال في المستعمرات(1)، ومشكلة تسليح بعض دول الخليج مثال آخر على كسب أوروبا الجولة في بعض الأسواق التقليدية للولايات المتحدة الأمريكية.

– عيوب اتفاقية (الجات) السابقة في النطاق وآليات الإلزام والتنفيذ. فمثلاً، توجد ثغرات قانونية في اتفاقية (الجات) في مجالي الزراعة والمنسوجات، جعلت تلك الثغرات الباب مشرعاً أمام الدول للتنصل من التزاماتها القانونية، مؤدية لعرقلة انسيابية التجارة. وكمثال على هذا، لم تستطع الولايات المتحدة إقناع اليابان ولا الصين في ظل اتفاقية الجات بفتح أسواقهما كاملة أمام السلع الأمريكية. ويضاف لذلك عدم شمول اتفاقية (الجات) تجارة الخدمات التي أثبتت أهمية قصوى في التجارة العالمية(2)، وقد اشتكت كثير من المنظمات الصناعية والتجارية من اختلاف المعايير الوطنية لحماية حقوق الملكية الفكرية. كذلك فإن كثرة النزاعات التجارية بين الدول في المجالات التجارية، وعدم وجود الآلية الكافية والقوية والمتفق عليها حسب نظم القانون الدولي كانت تعوق حل تلك المشكلات. ثم إن كثيراً من الممارسين للتجارة الدولية قد تبين لهم بوضوح أثر التغييرات والتعديلات التي تجريها دول العالم المختلفة على التنظيمات الخاصة بها والتي لها صلة بالتجارة على انسيابيتها عالمياً. يضاف إلى ذلك ازدياد أهمية الشفافية في التجارة الدولية وخاصة مع المعطيات الجديدة في النقود والأدوات المالية الائتمانية، وزيادة أهمية القدرة على التنبؤ في كل تلك المتغيرات الاقتصادية.

– خروج رؤوس أموال الشركات الكبرى من الدول الصناعية واستيطانها في دول نامية؛ مما شكل عبئاً كبيراً على إيرادات تلك الدول من الضرائب المفروضة على تلك الشركات. أضف إلى ذلك أن الدول المتقدمة أصبحت تنوء بأعباء ثقيلة من جراء حماية أسواقها المحلية، وخصوصاً دعم المنتجات الزراعية ومشكلات التنافس

بينها حول تصريف فوائض الحاصلات الزراعية(3)، وقد واكب ذلك شكاوى من بعض تلك الشركات بخصوص بعض الأوضاع غير المواتية من التصرفات والممارسات التجارية للدول النامية وغيرها؛ مما يضيع مزيداً من الفرص لتلك الشركات. وبطبيعة وضع البلدان الغربية وتركيبتها؛ من حيث الانتخاب السياسي والعلاقة بين الساسة ورجال المال وحاجة كل منهما للآخر، كان لا بد من تدخل الحكومات الغربية لتعديل الأوضاع الدولية لصالح شركاتها.

– التخوف من نجاحات ظهرت بوادرها في الأفق من دول نامية، وآخذة في النمو، مثل تجربة (النمور السبعة) وغيرها. يضاف إلى ذلك انهيار المعسكر الاشتراكي الذي لم تكن بلدانه من أنصار تحرير التجارة. وكان انتهاء الحرب الباردة وإدخال إصلاحات اقتصادية مبنية على قوى السوق (الأقرب للاقتصاد الرأسمالي) فرصة مواتية لطبع تلك الاقتصادات الجديدة بالطابع الرأسمالي. ثم الاستفادة من تلك الفرص التجارية الضخمة في تلك البلدان، يضاف إلى ذلك تغير السياسات التجارية في البلدان النامية وذلك بترك سياسة الاستعاضة عن الواردات واتباع سياسة تشجيع النمو الموجه نحو التصدير، وما صاحب ذلك من تخصيص كثير من نشاطات القطاع العام في تلك الدول.

– ثبوت نجاح المؤسسات والهيئات الدولية للدول الغربية لكونها أداة رخيصة الثمن مقابل المصالح التي تجنى منها؛ لذلك ربطت منظمة التجارة العالمية بالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي ربطاً إدارياً عضوياً. فالمنظمات الدولية أثبتت أنها أداة قوية جداً لتثبيت أوضاع مناسبة للدول الصناعية، ولتمرير حلول ومقترحات تصبُّ في مصلحة الدول الغربية، ولحل كثير من المشكلات الاقتصادية التي تمهد لتوسع كبير في مبيعات الدول الصناعية. وكل تلك المزايا بكلفة قليلة (مثل المساهمة النقدية من الدول الصناعية في رؤوس أموال تلك المؤسسات)، مع مزية قبول الدول الأخرى للقرارات بسبب كونها من منظمات دولية. ومما يدل على استفادة الدول الكبرى الصراع الذي يدور بينها على تنصيب مسؤولي تلك المنظمات.

ما سبق وغيره من الأسباب جعل من قيام منظمة تعنى بالتجارة العالمية أمراً ملحّاً جداً. وقد أدى ذلك إلى تغير قناعات دول كانت ترفض الفكرة من أساسها، مثل الولايات المتحدة الأمريكية(1).

منظمة التجارة العالمية(2):

التعريف: هي: «عبارة عن إطار قانوني ومؤسسي لنظام التجارة متعدد الأطراف. ويؤمن ذلك الإطار الإلزامات التعاقدية الأساسية التي تحدد للحكومات كيف يمكن صياغة وتنفيذ الأنظمة والضوابط التجارية المحلية. كما أن المنظمة منتدى يسعى إلى تنمية العلاقات التجارية بين الدول من خلال المناقشات والمفاوضات الجماعية والأحكام القضائية للمنازعات التجارية»(3).

تاريخ التأسيس: بعد ختام جولة أوروجواي في 15 ديسمبر 1993م، والتي وقع بيانها الختامي في اجتماع مراكش أبريل 1994م، تأسست منظمة التجارة العالمية رسمياً في أول يناير 1995م.

المحاور: ستكون منظمة التجارة العالمية مكاناً عالمياً لتحديد القواعد والأعراف العالمية للسلوك التجاري العالمي، ولتكون منتدى عالمياً لإجراء المفاوضات التجارية العالمية، ولتقوم بمهام محكمة دولية للمنازعات ذات الصبغة التجارية.

الأهداف: تهدف المنظمة إلى:

1- إيجاد بيئة آمنة وأجواء مستقرة للتجارة الدولية.

2 - استمرار تحرير التجارة من القيود (والمقصود: النفاذ إلى الأسواق). وفي سبيل ذلك تسلك سياستين مهمتين: الأولى الحد من سياسات الدعم للمنتجات المحلية، والثانية الحد من سياسات الدعم الموجهة للصادرات (وتسمى الإغراق). ومن الواضح أن هدف المنظمة من ذلك تكافؤ الفرص بين المصدِّرين في كل الدول الأعضاء، وأن لا تكون المنافسة بين الحكومات بل بين المنشآت الخاصة والشركات لما سبق بيانه من الأسباب. ويستحق البلد العضو وضع «الدولة الأَوْلى بالرعاية» حين ينضم للمنظمة. والمقصود حصول الدولة العضو على المزايا الخاصة بالتجارة المتاحة من عضو من المنظمة لأحد الأعضاء الآخرين دون قيد أو شرط وتلقائياً. ويستثنى من هذا تجمعات التكامل الاقتصادي التي تتم بين دول بينها تجمع جمركي خاص،

ويستثنى كذلك بعض الترتيبات التفضيلية التي تقام بين الدول النامية تشجيعاً لها على الانضمام(4)، ثم يحصل العضو كذلك على أحقية معاملة سلعه المصدرة معاملة السلع الوطنية في البلد الأجنبي. ولا شك بأهمية هاتين المزيتين للعمل التجاري عموماً، مع أنهما في نفس الوقت التزام من كل عضو لكل الأعضاء بنفس ما حصل عليه من مزية.

الصكوك القانونية: هناك صكوك واتفاقات قانونية ملزمة للدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية، وهي:

1 – الاتفاق العام للتعريفات الجمركية والتجارة (جات) [](1GATT]، والاتفاقات المرتبطة به (وهي تزيد عن 12 اتفاقية، و 4 مذكرات)، وتطبق هذه الاتفاقات على السلع.

2 – الاتفاق العام للتجارة في الخدمات (الجاتس) [GATS] الذي يطبق على تجارة الخدمات.

3 – اتفاق الجوانب المتصلة بالتجارة في حقوق الملكية الفكرية (تريبس) [TRIPS].

أما الاتفاقات الملزمة للأعضاء الموقعين عليها فقط فهي: الاتفاق الخاص بالتجارة في الطائرات المدنية، والاتفاق الخاص بشأن المشتريات الحكومية، والاتفاق الخاص بشأن منتجات الألبان، والاتفاق الخاص بشأن لحوم البقر(2).

النطاق: لا شك أن من أهم عيوب اتفاقية (الجات) عدم شمولها قطاعات تجارية واقتصادية مهمة، ولا شك أن التوسع في التجارة العالمية حتَّم دخول كثير من المجالات لمنظمة التجارة العالمية. ومن هنا شمل نطاق منظمة التجارة العالمية التجارة في السلع الصناعية ومشتقاتها، والتجارة في السلع الزراعية، وتجارة الملابس والمنسوجات، والتجارة في الخدمات. ولإكمال الإطار القانوني للتجارة السلعية، فقد أدرجت الموضوعات التالية إما كمواد أو كاتفاقيات مستقلة، وهي: الوقاية من الإغراق، القيود على الدعم والإجراءات التعويضية، الحماية الطارئة من الواردات على الصناعة المحلية، الضوابط الفنية والمواصفات، تراخيص الاستيراد، وقواعد تسعير السلع على الحدود، وقواعد الفحص قبل الشحن، وإجراءات شهادات المنشأ(3).

وقد نص الاتفاق العام بشأن تجارة الخدمات (جات) على مجالات كثيرة مثل التعليم، والأعمال المصرفية، والتأمين، والمعلومات، والاتصالات السلكية واللاسلكية، ووسائل الترفيه. وحددت منظمة التجارة العالمية ما يزيد على 150 قطاعاً فرعياً للخدمات(4)، وقد نص على قاعدة «التغطية الشاملة» بخصوص الخدمات، والمقصود شمول جميع الخدمات المتاجر بها دولياً في الاتفاق، بغضِّ النظر عن طريقة توصيل الخدمة. وقد عرفت الاتفاقية أربع طرق للتوصيل:

1 – الخدمات المعروضة من دولة عضو إلى أخرى (مثل مكالمات الهاتف الدولية).

2 – الخدمات المعروضة من أراضي عضو للمستهلكين (مثل السياحة).

3 – الخدمات المقدمة عبر وحدة تجارية (مثل البنوك).

4 – الخدمات المقدمة من أشخاص (مثل الاستشارات)(5).

والوسيلة الرئيسة المتبعة لحماية المنتجات المحلية هي الأنظمة الوطنية، حيث لا يمكن وضع الرسوم الجمركية على الخدمات؛ ولذلك تتبين أهمية الإفصاح والشفافية للمنظمة وللمجتمع الدولي؛ وعليه، فتحرير التجارة في الخدمات يتم عبر تقديم الدول تعهدات من خلال المفاوضات لتعديل أنظمتها المحلية تدريجياً وحيثما أمكن نهائياً؛ لتكون متوافقة مع مبادئ منظمة التجارة العالمية. وليست معاملة الخدمات المقدمة من الأجانب معاملة مماثلة للخدمات المقدمة من المواطنين ملزمة في الخدمات مثلها في السلع، بل يكتفى بتقديم تعهدات لتعديل الأنظمة المحلية(6).

كذلك تشمل المنظمة التجارة في الحقوق الفكرية والأدبية: فقد نص اتفاق الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية (تريبس) التي تنصب على إبداع العقل البشري، على أن يشمل الاتفاق حفظ:

1 –حقوق التأليف (الكتب والأعمال الفنية الأخرى).

2 –حقوق براءات الاختراع (حقوق المخترعين).

3 – حقوق النماذج الصناعية (أشكال الرسوم الزخرفية). ويعتبر هذا الاتفاق مكملاً للاتفاقات التي وضعتها المنظمة العالمية للملكية الفكرية (وايبو) [](1WIPO)، ويحدد الاتفاق الحد الأدنى لمعايير الحماية ومددها التي يتعين توفيرها لحقوق الملكية الفكرية على اختلاف أنواعها. وتطالب الاتفاقية بمعاملة المنتج الأجنبي

معاملة مماثلة للمنتج الوطني، ومراقبة تطبيق التشريعات على المستوى الوطني(2). وتتعهد الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية بتنفيذ إجراءات حماية الملكية الفكرية من خلال تشريعاتها المحلية، وتطبيق الإجراءات الرادعة لانتهاك هذه الحقوق، بما في ذلك الإجراءات المدنية والإجراءات الجنائية، وطبقاً للاتفاق، فإن الحد الأدنى لمدة حقوق الملكية الفكرية هو 50 سنة في حالة حقوق الطبع، و 20 سنة في حالة براءات الاختراع، و 7 سنوات في حالة العلامات التجارية(3)، «وإثر إبرام اتفاق تعاون مع منظمة التجارة العالمية سنة 1996م، بسطت (الويبو) الدور المنوط بها، وأثبتت مدى أهمية حقوق الملكية الفكرية في إدارة التجارة في عهد العولمة»(4).

كذلك تطرقت المنظمة لترتيب إجراءات الاستثمار المتعلقة بالتجارة حيث إن كثيراً من ممارسات الدول بخصوصها مشابه للدعم الذي تقدمه الدول لصادراتها؛ ومن ثم فإنه يجب إلغاء معظم هذه الإجراءات حيث إنها تؤدي إلى تغيير مسار التجارة الدولية وتشجيع الإنتاج غير الكفء، وتصبح بهذا إجراءات مخالفة لقواعد المنظمة؛ لذلك سعت المنظمة لتخفيف القيود المفروضة على الاستثمارات الأجنبية. ويحدد الاتفاق إجراءات الاستثمار ذات الأثر في التجارة (ترمز) [TRIMS] ومعنى هذه الإجراءات بأنها الشروط التي تضعها السلطات المحلية على الاستثمارات الأجنبية التي ترغب في العمل في نطاق إقليمها، والتي تنطوي على تقييد وتشويه للتجارة الدولية. وبمقتضى الاتفاق (المادة 15) يتعين على كل دولة عضو في منظمة التجارة العالمية إلغاء الإجراءات المحظورة خلال سنتين من قيام المنظمة إذا كانت من الدول المتقدمة. أما إذا كانت من الدول النامية فثمة معاملة تفضيلية تتمثل في إطالة الفترة المذكورة إلى 5 سنوات للدول النامية، و 7 سنوات للدول الأقل نمواً. ويتم إلغاء مثل هذه القيود بعد ذلك عن المشروعات الجديدة والمشروعات القائمة في الوقت نفسه. والشروط المحظور فرضها هي:

1 - شرط المكون المحلي أو شرط استخدام المستثمر الأجنبي لنسبة محددة من المكون المحلي في المنتج النهائي.

2 - شرط إحداث توازن بين صادرات المستثمر الأجنبي ووارداته.

3 – شرط بيع نسبة معينة من الإنتاج في السوق المحلية.

4 – شرط الربط بين النقد الأجنبي الذي يتاح للاستيراد والنقد الأجنبي العائد من التصدير (5).

هذه المجالات هي المجالات الموجودة الآن، ولا بد من تقرير أن نظام المنظمة يتيح لها إدخال كثير من المجالات التجارية الأخرى التي لم تكن مجالاً لمثل تلك الترتيبات العالمية من قبل.

قواعد الجات 1993م التي تطبق عند الحدود:

1 – تحديد القيم الخاضعة للرسوم الجمركية (تحدد الرسوم حسب سعر البيع، وللسلطات الجمركية إن شكت أن ترفض القيمة المعلنة، وتعطي الفرصة للتسويغ. فإن لم تسوغ، فللسلطات الجمركية التقدير حسب المعايير القانونية الخمسة المقررة).

2 – تطبيق المعايير الإلزامية (وهي معايير الصحة والسلامة للمواطنين، ولا يجوز وضعها بطريقة تسبب وضع حواجز أمام التجارة؛ ولذلك يدعى لتطبيق المعايير الدولية، فإن لم توجد فتوضع على أساس المعلومات العلمية).

3 – تطبيق أنظمة الصحة، والصحة النباتية (كسابقتها).

4 –إجراءات الترخيص بالاستيراد (وهي تعنى بإرشادات إصدار التراخيص)(1).

قواعد دعم المنتجات الوطنية:

الدعم الحكومي للمنتجات الوطنية على نوعين:

أولاً: دعم محظور، وهو نوعان:

أ – دعم التصدير، ويسمى: (الإغراق)(2).

ب – الدعم الذي يستهدف تشجيع استعمال السلع المحلية بدلاً من المستوردة.

ثانياً: الدعم المسموح، وهو على نوعين أيضاً:

أ – دعم يسوِّغ التقاضي.

ب – ودعم لا يسوِّغ التقاضي: فيجوز في حال وجود دعم يسوِّغ التقاضي لجوء البلدان المستوردة المضرورة إلى تدابير تصحيحية مثل الرسوم التعويضية إذا ألحقت المستوردات المدعومة ضرراً بالصناعة المحلية. ولا يجوز ذلك في الذي لا يسوِّغ التقاضي(3).

التدابير التي يمكن للدول المستوردة أن تتخذها بناء على طلب الصناعة المحلية:

1 - الإجراءات الوقائية: وذلك بزيادة التعرفة أو فرض قيد كمي لمدة لا تزيد عن 8 سنوات بشرط أن الزيادة المفاجئة في الواردات قد تم التحقق من أنها تضر ضرراً جسيماً بأكثر من شركتين محليتين تنتجان الجزء الأكبر من الإنتاج المحلي لمنتوج شبيه.

2 - يحق فرض رسم تعويضي على المنتوجات المستوردة حين يمارس المورِّدون ممارسات تجارية غير مشروعة، وهي:

أ - الإغراق؛ وذلك حين يكون سعر التصدير أقل من سعر البيع في السوق المحلية للمصدر.

ب - بيع الشركات منتوجاتها بأقل بسبب تلقي دعم حكومي، بشرط ثبوت ضرر كبير لمنتجين محليين ينتجون 25% من إجمالي الناتج المحلي(4).

الهيكل الإداري للمنظمة(5):

يتكون الهيكل الإداري للمنظمة من المجلس الوزاري الذي يمثل فيه كل الدول الأعضاء، سواء كان العضو دولة منفردة أم اتحاداً جمركياً. ويلتقي المجلس الوزاري كل سنتين على الأقل، وتتخذ فيه القرارات الكبرى الخاصة بالمنظمة، من مثل الموافقة على دخول عضو جديد(6). وتكون القرارات بالإجماع أو التصويت بالأغلبية حسب نوع القرار. ويتفرع من المجلس الوزاري مجلس عمومي، وهو للعمل اليومي للمنظمة. وهو مثل سابقه ممثل فيه كل الأعضاء، ويرفع قراراته وما يتم النظر فيه للمجلس الوزاري. ويقوم المجلس العمومي بعملين مهمين: متابعة حسم النزاعات التجارية، ومراجعة السياسات التجارية للدول الأعضاء. ويفوض في ذلك ثلاثة مجالس: مجلس التجارة في السلع، ومجلس التجارة في الخدمات، والمجلس الخاص بحقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة. وهناك لجنتان مشكَّلتان من المجلس الوزاري: الأولى: «لجنة التجارة والتنمية» وتعنى بحل مشكلات الدول النامية، والثانية: «لجنة ميزان المدفوعات» وهي للتشاور في شأن الدول التي تضع إجراءات تقييدية على وارداتها لمواجهة صعوبة ميزان المدفوعات، وترفع هاتان اللجنتان توصياتهما للمجلس العمومي.

أهم الفروق بين اتفاقية الجات ومنظمة التجارة العالمية(7):

مع أن الفروق الآن قد باتت واضحة بين اتفاقية الجات ومنظمة التجارة العالمية، إلا أن بيان أهم الفروق قد يفيد في هذه العجالة. فـ (جات 1947م) ليست منظمة بالمعنى الكامل للمنظمات الدولية؛ ومن ثم فليس لها سكرتارية دائمة، ولا مبنى مستقل. وأما منظمة التجارة العالمية فهي منظمة عالمية بالمعني القانوني الشامل لها، مقرها جنيف، ويعمل فيها ما يزيد على 450 موظفاً، بميزانية تقارب مائة مليون دولار. ومع كل ما سبق، ترتبط المنظمة ارتباطاً وثيقاً جداً وعضوياً مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. ثم إن التزامات الدول في اتفاقية الجات مشروطة ومرتبطة بالاتفاقيات الثنائية الموقعة وذات أجل قصير، وأما التزامات منظمة التجارة العالمية فدائمة ونهائية وملزمة للأعضاء(1)، وكانت اتفاقية الجات تغطي بعض السلع الصناعية وشيئاً من السلع الزراعية فقط، وأما منظمة التجارة العالمية فتغطي كل التزامات الجات السابقة وما تمت الإشارة إليه في النطاق أعلاه. ثم إن اتفاقية الجات تخلو من نظام متكامل وفعال لفض المنازعات، بعكس منظمة التجارة العالمية التي كان من أساس بنائها الإداري وجود مثل ذلك النظام، بل اعتني به ليكون فعالاً وسريعاً يتواكب مع إيقاع التجارة العالمية في العصر الراهن. ثم إن اتفاقية الجات ليست لها علاقة بالمنشآت الفردية ولا الأفراد من باب أوْلى. أما منظمة التجارة العالمية فيمكن للأفراد والمنشآت الفردية والشركات فضلاً عن الحكومات الاستفادة منها ومن أجهزتها المختلفة، وخاصة حين حدوث ممارسات تخالف منطلقات المنظمة، وفي حال النزاع القانوني حولها.

كيف تنضم الدول الجديدة للمنظمة:

من المهم التذكير أن معظم أعضاء المنظمة الحاليين هم الدول الأعضاء في اتفاقية الجات الموقعين على جولة أوروجواي، كما نصت على ذلك المادة الحادية عشرة/أ من نظام المنظمة(2)، أما الدول الأخرى فلا بد أن تتقدم للمنظمة للحصول على العضوية. ولأي دولة أو إقليم جمركي حق العضوية، حسب المفاوضات التي يتفق عليها مع المنظمة. وفي حال رغبة دولة جديدة الدخول «تقدم الدولة الراغبة في العضوية مذكرة تغطي جميع السياسات التجارية والاقتصادية التي لها صلة بمنظمة

التجارة العالمية. وتصبح المذكرة الأساس للفحص الشامل من قبل فريق العمل. ويعرض موضوع انضمام العضو الجديد على أعضاء المنظمة؛ بحيث يطلب من الأعضاء الذين لهم مصلحة في انضمام العضو الدخول في مفاوضات الانضمام. وعليه، تدخل حكومة البلد الجديد في مفاوضات ثنائية مع حكومات الدول الأعضاء الذين لهم مصلحة لتأسيس الالتزامات والتنازلات الخاصة بالسلع والخاصة بالخدمات. وهذه العملية الثنائية تحدد، من بين أشياء أخرى، المنافع التي سيحصل عليها أعضاء منظمة التجارة العالمية من السماح للدولة الراغبة في الانضمام من الدخول في منظمة التجارة الدولية. وبعد اكتمال فحص النظام التجاري ومفاوضات الوصول إلى الأسواق، يحدد فريق العمل الشروط الأساسية للانضمام. ترفع مداولات فريق العمل المضمنة في تقرير، ومسودة بروتوكول الانضمام، مع الجدول المتفق عليها من المفاوضات الثنائية إلى المجلس العمومي أو المؤتمر الوزاري لتبنيها»(3)، ولا بد أن يوافق ثلثا الأعضاء على الأقل على قبول انضمام الدولة الجديدة.

دور منظمة التجارة العالمية في صنع السياسة الاقتصادية العالمية:

نصت المادة الثالثة/ فقرة 5 على ما يأتي: «بغية تحقيق قدر أكبر من التناسق في وضع السياسة الاقتصادية العالمية؛ تتعاون المنظمة على النحو المناسب مع صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، والوكالات التابعة له»(1). ويشكل هذا القرار أساساً مهماً للوصول إلى «انسجام أكبر في صنع السياسة الاقتصادية العالمية»... «كما أدرك القرار مساهمة تحرير التجارة في نمو وتنمية الاقتصادات الوطنية. فمن الملاحظ أن ذلك التحرير يمثل أهمية خاصة لنجاح برامج التكيف الاقتصادي التي ينفذها عدد من أعضاء منظمة التجارة العالمية، وإن كانت تنطوي عادة على تكلفة تحول اجتماعي باهظة»(2)، ومن المهم ربط ذلك بما ترسله الدول الأعضاء في صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي من معلومات مهمة ودورية عن جميع بيانات وإحصاءات الشؤون الاقتصادية.

مراقبة السياسات التجارية الوطنية:

«يحتل نشاط متابعة السياسات التجارية الوطنية أهمية أساسية في عمل منظمة التجارة العالمية. ويرتكز هذا العمل على آلية مراجعة السياسة التجارية». و «تتمثل

أهداف آلية مراقبة السياسة التجارية من خلال المتابعة العادية بزيادة وضوح (شفافية) وتفهُّم السياسات والممارسات التجارية، وتحسين نوعية المناقشات بين الأجهزة الحكومية والعامة على المشاكل، وإيجاد التقييم المتعدد الأطراف لآثار السياسات على النظام التجاري العالمي. وتتم المراجعة على أساس معتاد ودوري. ويجري فحص أكبر أربع دول تجارية في العالم . الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة واليابان وكندا . مرة كل سنتين تقريباً. أما الدول الست عشرة التالية على أساس حصتها في التجارة العالمية، فيتم فحصها كل أربع سنوات، وبقية الدول كل ست سنوات مع إمكانية تمديد الفترة التحضيرية للدول الأقل نمواً. ويتولى المراجعة جهاز مراجعة السياسة التجارية . المؤسس على مستوى مماثل لمستوى المجلس العمومي . على أساس وثيقتين: وثيقة السياسة المقدمة من الحكومة محل المراجعة، ووثيقة مفصلة معدة بشكل مستقل من سكرتارية منظمة التجارة الدولية». «وإلى جانب جهاز مراجعة السياسة التجارية، تحتوي معظم اتفاقات منظمة التجارة العالمية على إلزام للحكومات الأعضاء بإبلاغ سكرتارية منظمة التجارة العالمية بالإجراءات الجديدة أو المعدلة. على سبيل المثال: يجب إبلاغ الجهاز المختص في منظمة التجارة العالمية عن تفاصيل أي تشريع جديد لمكافحة الإغراق والتعويض، والمواصفات الجديدة التي تؤثر على التجارة، وتعديلات التشريع الذي يؤثر على تجارة الخدمات، والقوانين والتشريعات الخاصة باتفاقية مظاهر التجارة ذات العلاقة بحقوق الملكية الفكرية. كما يتم تأسيس مجموعات خاصة لفحص الترتيبات الجديدة لمناطق التجارة الحرة والسياسات التجارية للدول المنضمة»(3).

فض المنازعات التجارية والاستئناف والتنفيذ:

ينص التفاهم على القواعد والإجراءات التي تحكم فض المنازعات التجارية على أن «نظام فض المنازعات التجارية لمنظمة التجارة العالمية يشكل عنصراً أساسياً لتأمين الثقة والقابلية للتنبؤ للنظام التجاري متعدد الأطراف. ويلتزم أعضاء منظمة التجارة العالمية بعدم اتخاذ أي إجراء من طرف واحد ضد التصور بالإخلال في قواعد التجارة، بل اللجوء إلى نظام فض المنازعات متعدد الأطراف وبقبول قواعده ونتائجه. ويجتمع المجلس العمومي للمنظمة بصفته جهاز فض المنازعات للبت في الخلافات

التي تنشأ من أي اتفاقية في الوثيقة الختامية لجولة أوروجواي ... وتهدف آلية فض المنازعات لـ «التحقق من الحل الإيجابي للخلاف». وأنه حل مُرْضٍ منسجم مع شروط منظمة التجارة العالمية، من خلال المشاورات بين البلدين المتنازعين. وفي حال إخفاق المشاورات، ترفع للأمين العام لبذل المساعي الحميدة للتوفيق بين وجهات النظر. وإذا لم تنجح المشاورات في الوصول إلى حل بعد 60 يوماً، يستطيع المدعي أن يطلب من جهاز فض المنازعات تأسيس هيئة لفحص الحالة، وتحديد اختصاصها وأعضائها، على أن تعطي الهيئة تقريرها النهائي بعد 6 أشهر، يمكن تخفيضها إلى 3 أشهر(4)، ويمكن الاستئناف ضد حكم صادر، ولكنه مقيد بالقضايا المتعلقة بالقانون المستخدم في تقرير هيئة الفحص والتفسيرات القانونية المقدمة منها. وجهاز الاستئناف معد من قبل جهاز فض المنازعات، من سبعة أشخاص، يخدمون 4 سنوات، لهم سمعة مميزة في القانون والتجارة الدولية وغير مرتبطين بأية حكومة. ويتبنى جهاز حسم المنازعات تقرير جهاز الاستئناف بعد ثلاثين يوماً من إصداره، ويقبل من أطراف النزاع بدون شرط، إلا مع الإجماع ضده. ويجب على الطرف المعني إظهار عزمه على تنفيذ التوصيات المتوصل إليها من جهاز فض المنازعات، ويمكن إعطاؤه فترة معقولة من الزمن . تحدد من جهاز فض المنازعات . للقيام بذلك. وفي حال إخفاق العضو في تنفيذ ما تقرر، يتفاوض على حل تعويضي للمدعي، كتخفيضات جمركية في بعض الجوانب المهمة للمدعي. وفي حال الإخفاق، يطلب المدعي من جهاز فض المنازعات سحب الامتيازات والالتزامات من الطرف الآخر، في نفس القطاع الذي تخوصم فيه، إلا إن كان غير عملي أو غير فعال، فيمكن سحب الامتيازات من قطاعات أخرى. وعلى أية حال، فإن جهاز فض المنازعات سيتابع تنفيذ التوصيات والقرارات المتبناة، وستبقى أية حالة معلقة على جدول أعماله حتى تحل المشكلة(1). ولا شك أن آليات فض المنازعات قد تم التوسع فيه مقارنة بالآليات الخاصة بـ (جات 1947م)(2).

ملحوظات:

1 - هناك نظر في المنطلقات التي قامت عليها المنظمة. فمثلاً تدعي المنظمة أنها تقوم على تحرير التجارة، ولكن ليس من المتوقع تحرير تجارات الدول الغربية ولا فتح

أسـواقها كمـا تطلـب مـن الـدول الأخـرى، ولا تمكـين العمـال مـن كـل دول العـالم لدخولها(3). ثم يقال إنها منظمة ترغب في منافسة عادلة بين المنتجين وليس بين الحكومـات. ولـيس مـن العدالـة ترك قوى السوق (والآليات الرأسمالية) تصطرع بين خصـمين: قـوي جـداً وضـعيف جـداً(4). ثـم يقـال إنهـا تريـد ترسـيخ مبـادئ قانونيـة وأعراف دولية في المجالات التجارية. ولكن السؤال: مَنْ وضـع تلك القوانين، ومَنْ أقر تلك الأعراف؟ إنها الدول الكبرى، ولا يراد للدول النامية إلا الإذعان لها وفتح أسواقها للمنتجات الغربية. ثم يقال إنها منتدى للحوار بين الدول. وكيف تتحاور دول ضعيفة مع أخرى متمكنة وقوية؟ بل كيف السبيل إلى ذلك بين الشركات، فضلاً عن الحكومات؟ فميزانية بعض الشركات الكبرى الأمريكية مثلاً تفوق ميزانية دول نامية مجتمعـة! ومـن الأمثلـة الواضـحة عدم جديـة الـدول الصـناعية فـي الوصـول لعقد اتفاقيات تكامل لأسواق العمل(5). ثـم مـن يضـمن حياد المنظمـة فـي التحكيم بين الـدول المتنازعـة، وفـي مجـال فهـم وتفسـير الاتفاقـات الموقعـة، وفـي مجـال الرقابـة الدوريـة علـى التجارة المحلية وقوانينها المستجدة، ومـن يضـمن حيـاد الخبـراء الـذين يقومون بتلك الأعمال، وجلهم بل كلهم من الغربيين!(6) وهذا لا يعنـي عدم حيادية الأسس التي قامت عليها المنظمة، ولكن القوي سيستفيد من حيادية الأسس أكثر من الضعيف.

2 – الأهمية القصوى لمنظمة التجارة العالمية في صياغة منظومة التجارة العالمية، وخاصـة مـع التنسيق مـع البنـك الـدولي وصـندوق النقد الـدولي. وفـي المقابـل، نجد اهتماماً بارداً من الدول الإسلامية، سواء المنضمة لها أو التي على وشك الانضمام. ولذلك، تستفرد المنظمة والدول الفاعلة فيها بحياكة مصالحها داخل المنظمة، ومع الدول الراغبة في العضوية بشكل قوي بل ومقزز أحياناً. والموضوع له أبعاد كثيرة، فهو ليس موضوعاً اقتصادياً بحتاً، بل فيه الجانب العقدي والاجتماعي والاستراتيجي والسياسي والفكري والأمني والحضاري. والخلاصة هو أمر أمة لا بد من القيام نحوه بمـا يسـتحقه. ويسـتوي فـي الأهميـة النظـر للـدول الإسـلامية والعربيـة الأعضـاء أو المتوقـع دخـولهم، وإن كـان للأخيـرين أهم قلـيلاً فـي المـدى القصـير نظـراً لظـروف المفاوضات المسبقة للانضمام. وقد مر قيام منظمات دولية كثيرة في غيبة من ذوي

الرأي والحجا والدين، بل كانت فيه الدول العربية والإسلامية مستعمرات في الغالب، ولكن ذلك الوضع قد تغير كثيراً الآن. فلا بد من التنسيق على أعلى المستويات بين الدول الإسلامية والنامية حيال الموضوع وعلى جميع الأصعدة، سواء داخل المنظمة أم خارجها. ولا بد من سياسات إعلامية مناسبة، تصب في خانة توضيح عمل المنظمة لكل الأطراف المتأثرين بها، وهم كل ساكني الدول، وعلى وجه الخصوص مسؤولي المجالات التجارية والاقتصادية في الدول، وقطاع رجال الأعمال. ولا بد كذلك من رصِّ الصف تجاه المنظمة والشركات التي توجهها، وتجميع أوراق الضغط على الدول القوية كاملة، سواء في المجال التجاري أم غير التجاري. ولا بد من أن تنسق الدول النامية والإسلامية منها على وجه الخصوص كثيراً من خططها ورؤاها المستقبلية عبر منظمة التجارة العالمية، وأن تجعل منها إطاراً للفوز بمكاسب في التجارة العالمية، ومن أهم تلك المكاسب المتوقعة إدخال السلع والمواد الأولية التي لم تكن مجالاً لعمل المنظمة التي انطلقت من مصالح الغرب الصناعي. ولعل في هذه النقطة مجالاً للتعاون بين الدول الإسلامية لم يكن أصلاً موجوداً في الأجندة السياسية، خاصة مع كون منظمة التجارة العالمية قابلة للتوسع في المجالات التي تشملها.

3 – من أهم مساوئ قيام المنظمة بكامل عملها المنصوص عليه أن يتم الدمج الكامل للاقتصاد الإسرائيلي في اقتصاديات باقي الدول العربية والإسلامية. ولا شك أن بعض الدول العربية لم تكن عضواً كاملاً في الجات بسبب المقاطعة العربية الإسرائيلية. ومع سير تلك المقاطعة نحو التلاشي، والتقارب العربي الإسرائيلي، لم يبق إلا وضع النقاط على حروف العلاقات التجارية. ولا شك أن الدول العربية مجتمعة، والدول الإسلامية، قد تعاني من تفوق الإسرائيليين في بعض الجوانب التجارية. ولكن العبرة ليست في الجانب التجاري، ولكنه في الجانب الاستراتيجي العقدي والفكري في صراع المسلمين مع يهود.

4 – تثور بعض الأسئلة التي تتفاوت درجة إلحاح الجواب عليها من بلد إلى آخر: فإلى أي مدى تتحمل الدول النامية التغيرات الكبيرة التي ستنقص كثيراً من الصلاحيات (السياسية والتنظيمية والمالية والتجارية) غير المحدودة التي تتمتع بها؟

وهل في مقدور تلك الدول تحمل النفقات الناتجة عن تخفيف الجمارك التي تشكل مصدراً لدخل كثير منها(1)؟ وهل بديل الرسوم الجمركية وهي الضرائب (أو زيادتها) بديل عملي وبدون تكلفة اجتماعية [ومن ثم سياسية] عالية؟ وهل تمت دراسة أثر العوامل السلبية الناتجة من تفعيل منظمة التجارة العالمية لكل أدواتها واتفاقياتها على اللحمة السياسية والاجتماعية والمالية والاقتصادية للدول النامية؟ خاصة أن الاتفاقية نصت على سموها على النظم المحلية(2). وهل تحررت فائدة الانضمام بالنسبة للدول التي يغلب على اقتصادياتها الجانب الاستهلاكي؟ وما موقف الدول المنضمة لمنظمات تعنى بمنتوجاتها، مثل أوبك، أو غيرها من المنظمات التي قد ينظر لها على أنها تكتلات تجارية (كارتل) تمنع انسيابية التجارة العالمية؟

5 – حرص الدول الغربية على مصالحها التجارية. وحتى مع النزاعات الكبيرة التي بينها، يجد المراقب بعداً استراتيجياً في التعاون بينها لمصالحها، والتنسيق في المواقف بينها. ولولا النزاعات التي تند عن التنسيق لم يعرف المتابع كثيراً من خفايا دهاليز السياسات التنسيقية! وقد انعكس ذلك جلياً في الضغوط الموجهة للدول التي تريد الانضمام، كالصين وتايوان والسعودية وماليزيا وغيرها. وقد كان لكثير من الضغوط بعد غير تجاري، كما صرح بذلك بعض مسؤولي تلك الدول، كالبعد الثقافي والديني والسيادي لتلك الدول. وقد تبين من لقاء المنظمة السابق في سياتل (واللقاءات الدولية الأخرى للمنظمات العالمية) وجود الخلافات العميقة بين الدول الغربية، ومقدار التعامل الحضاري بينها في تفويت المفاسد الكبرى للحصول على المصالح المرجوة، ومقدار المرونة مع الشارع السياسي لصالح الشارع التجاري (ولو كان تمثيلاً). والدول الإسلامية والنامية أولى بذلك بدون شك. وقد تبين كذلك بوضوح مقدار ما تكنه تلك الدول الغربية للدول النامية من احتقار وتسفيه حيث لم تأبه لها ولم تترك مجالاً لمندوبيها للكلام، بل إن بعضهم لا يدعى لحضور بعض الجلسات كما صرح بعضهم بذلك لوسائل الإعلام. وقد تبين من حجم المعارضة الشعبية الغربية للمنظمة مدى نضج الفرد الغربي مقارناً ببقية العالم، فحيث مست بعض مصالحه مسا يسيراً فقد قام وسعى ضد من مسها، ولم نر المثل لا من حكومات الدول النامية والإسلامية ولا من شعوبها. بل قد شملت المعارضة

المنظمات التي لها سنوات طويلة من العمل العالمي، كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير. وأرى أنه لا بد من استغلال تلك التجمعات الشعبية المعارضة لصالح العمل العربي والإسلامي في فضح الممارسات الشائنة للمنظمات العالمية.

6 - لا ينكر أن للمنظمة والانضمام إليها فوائد. ومما ذكر منها على سبيل الإجمال: خفض تكاليف المعيشة بسبب خفض الضرائب الجمركية، وزيادة نفاذ صادرات الدول النامية إلى الأسواق المتقدمة، والتعامل الحاسم والبناء مع الخلافات التجارية العالمية، مع إمكانية ذلك لكل من الأفراد والمؤسسات التجارية فضلاً عن الحكومات، وتقليل الأعباء المالية على التجار بسبب توحيد الإجراءات التجارية، وحيادية آليات المنظمة يجعلها صالحة لجميع الدول بدون استثناء، والاعتماد على قوى السوق وترك السياسات التعويضية المكلفة لكل من الدول والأفراد، وتقليص المفاجآت في النظم التجارية في دول العالم حيث لا بد من إخبار المنظمة عن ذلك مسبقاً، ثم إن أحكام بعض الاتفاقات خاضعة للمراجعة والتعديل بعد التفاوض عليها، ثم إنه قد ثبت أن جعل بعض الصلاحيات في يد منظمات عالمية يقلل الفساد الإداري في الدول التي يوجد فيها التسلط الفردي والمحسوبية. وفي المقابل، ذكرت بعض السلبيات في عمل المنظمة، منها: ارتفاع الأسعار بعد تطبيق نظم حقوق الملكية الفكرية التي تزيد من الاحتكار وتحميه، وخفض الموارد المالية للدول التي تعتمد على الرسوم الجمركية، والحد من نقل التقنية للدول النامية، وتوقع إفلاس عدد كبير من الأعمال في الدول النامية بعد دخول الشركات الكبرى ومنافسة الصناعات المحلية وما يترتب على ذلك من البطالة، ومن ثم التغييرات السياسية والاجتماعية، خاصة أن آليات المنظمة هي آليات السوق وهي لا ترحم الضعفاء ولا عديمي الخبرة. أضف إلى ذلك قضية التحاكم إلى محكمة دولية لا تحكم بشرع الله سبحانه وتعالى.

7 - قرر أحد الكتاب القانونيين المختصين بالمنظمات العالمية أن أهم جانب يمكن للدول النامية الإفادة منه تأخر تطبيق كثير من مبادئ وآليات التنظيمات الدولية. فليس من المستغرب أن يعرف أن بعضاً من استثناءات صندوق النقد الدولي سارية

المفعول بالرغم من مرور أكثر من نصف قرن على إقرارها(1). يضاف إلى ذلك فضفاضية بعض المصطلحات والحقوق المنصوص عليها في الاتفاقيات. مثال ذلك: التفريق في الدعم المسموح بين نوعين: الأول يسوغ التقاضي، وهو ما أحدث آثاراً سلبية على الصناعة المحلية للدولة المستوردة. ولا شك أن مثل تلك الآثار مما يطول النقاش حوله. وخاصة أن المنظمة مع ما يقال عن قوتها وتسلطها قد عانت من إخفاق ذريع في دورة سياتل. وقد يكون لحوادث التفجيرات في الولايات المتحدة الأمريكية أثر كبير في إعاقة سير عولمة المنظمة. والغاية هي الإفادة من تلك الثغرات والفرص في إعادة ترتيب الصف العربي والإسلامي نحو المنظمة.

8 – ختاماً: هل ما سبق يعني عدم الانضمام للمنظمة؟ لا، بل أرى أن الانضمام بأقل التكاليف وبأسرع وقت، وبأكثر قدر من الضغط المعاكس على الدول المفاوضة حين الانضمام، وبأكبر قدر من التنسيق بين الدول الأعضاء الحاليين الذين لهم مصلحة في دخول الدولة الجديدة، وبلعب كافة الأوراق الأخرى التي قد لا يكون لها دخل كبير بالعمليات التجارية أو بمتطلبات الانضمام، كل ذلك أوْلى من الانتظار. والذي يظهر . والله أعلم . أن الانضمام للمنظمات الدولية من المصالح المرسلة، التي يجب الموازنة فيها بين المصالح والمفاسد إجمالاً، ثم لكل دولة على حدة. لكن ما سبق تقريره هو الرأي الذي أراه، بالشروط المذكورة (خاصة ما ذكرت في رقم 2 أعلاه). ولا شك أن بعض المفاسد التي ذكرت في الانضمام كبيرة جداً، ولكن النظر إلى واقع المسلمين وما هم عليه من فرقة يكرس القول إن الانضمام والاتحاد بين الدول العربية والإسلامية من الداخل سيكون فرصة لتوحيد الكلمة. والله . سبحانه وتعالى . أعلم.

(*) أستاذ الاقتصاد الإسلامي المشارك، كلية الشريعة . الرياض، مدير إدارة الرقابة الشرعية . شركة الراجحي المصرفية للاستثمار.

(1) منظمة التجارة العالمية واقتصاديات الدول النامية، عبد الناصر نزال العبادي، 1999م، الطبعة الأولى، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ص 15، [وسيشار له لاحقاً بـ: منظمة التجارة العالمية]، ومنظمة التجارة العالمية، التجارة في المستقبل،

ترجمة د. سليمان التركي، نشر مجلس الأعمال الأمريكي . السعودي، بدون تاريخ، 9. [وسيشار له لاحقاً بـ: التجارة في المستقبل].

(1) منظمة التجارة العالمية، ص 89 . 93.

(2) فبعد أن كانت هذه الرسوم الجمركية تعادل في المتوسط 47% في الدول الأعضاء في اتفاقية الجات عام 1947م، انخفضت إلى ما بين 6% و 8% في بداية السبعينيات. أما بعد جولة طوكيو فقد أصبحت هذه التعريفة تعادل 6% في المجموعة الأوروبية، و 4.5% في اليابان، و 4.9% في الولايات المتحدة الأمريكية. منظمة التجارة العالمية، ص 49 . 50.

(3) منظمة التجارة العالمية، ص 30 . 38، التجارة في المستقبل، ص 6 . 7.

(1) انظر الكلام حول الجولات الثلاث الأخيرة مفصلاً في منظمة التجارة العالمية، ص 38 . 89.

(2) منظمة التجارة العالمية، ص 55 – 60، مركز التجارة الدولية الأونكتاد/ منظمة التجارة العالمية والأمانة العامة للكومنولث، دليل الأعمال إلى اتفاقيات منظمة التجارة العالمية، ترجمة مكتب طلال أبو غزالة الدولية، جنيف، 1995م، ص 2 . 3. (وسيشار له لاحقاً بـ: دليل الأعمال).

(3) هناك اتحادات تجارية دولية كثيرة الآن. ومن أهمها الاتحاد الأوروبي (15 عضواً)، آسيان (6 أعضاء)، السوق المشتركة لشرق إفريقيا وجنوبها (23 عضواً)، حلف دول الإنديان (5 أعضاء)، النافتا (3 أعضاء). دليل الأعمال، ص 79.

(1) تتلخص مشكلة الموز بأن الاتحاد الأوروبي يضمن لبعض الدول اللاتينية استيراد جزء من إنتاجها من الموز وبيعه فيها؛ مما يعني منافسة غير عادلة اقتصادياً مع الموز القادم من بقية الدول والشركات التي قد تواجه بالحجز الجمركي، وخاصة التي لها صلة بالشركات الأمريكية. ولما اشتكت الشركات الأمريكية التي تصدر للاتحاد الأوروبي من هذا التصرف حيث يعطي امتيازاً لمنافسيهم ليس بمقدورهم دفعه، قامت الولايات المتحدة برفع شكوى على المنظمة من أن هذا التصرف يعارض الأسس الجديدة المتفق عليها في المنظمة، فرفض الاتحاد الأوروبي الانصياع، فردت الولايات المتحدة بزيادة الجمارك على الواردات من

الاتحاد الأوروبي، ثم حسم الجدل قانونياً لصالح الولايات المتحدة في المنظمة. انظر قائمة بإحدى وعشرين قضية مرفوعة لمنظمة التجارة العالمية، في: منظمة التجارة العالمية، ص 98 . 101.

(2) بلغت تجارة الخدمات عام 1993م قريباً من ألف مليار دولار للصادرات ومثلها تقريباً للواردات لنفس السنة. دليل الأعمال، ص 289 . 290. وهي بهذا تصل إلى 20% من إجمالي التجارة العالمية. منظمة التجارة العالمية، ص 75.

(3) منظمة التجارة العالمية، ص 117.

(1) من الجدير بالذكر أن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الجدي في موضوع المباحثات الخاصة بالتجارة العالمية بدأ في عام 1975 بعد إقرار الكونجرس الأمريكي إعطاء صلاحيات واسعة للرئيس الأمريكي. منظمة التجارة العالمية، ص 44 . 45.

(2) ركز الباحث في المعلومات المباشرة عن منظمة التجارة العالمية على الكتاب الصادر منها بعنوان: التجارة في المستقبل، ما عدا ما عزي إلى غيره من المراجع.

(3) التجارة في المستقبل، ص 1.

(4) تتيح منظمة التجارة العالمية ترتيبات إقليمية بين الدول لزيادة تحرير التجارة، استثناء من مبدأ الدولة الأولى بالرعاية، بشرط عدم زيادة الحواجز على التجارة مع بقية العالم. ويمكن أن تكون هذه التجارة الإقليمية بصفة اتحاد جمركي، أو منطقة التجارة الحرة حيث يحتفظ العضو بسياسته التجارية الخارجية مع تجارة الدول غير الأعضاء في التجمع. وفي كلتا الحالتين يجب إزالة جزء كبير من الرسوم والعوائق الجمركية بين الدول الداخلة في التجمع. التجارة في المستقبل، ص 21.

(1) سميت الاتفاقات السابقة المشمولة باتفاقية الجات القديمة: (جات 1947م)، وأما الجديدة فهي: (جات 1993م)، وتشمل الثانية الأولى حين الإطلاق الآن. ويشتهر اسم (منظمة التجارة العالمية) أكثر من اشتهار (الجات) الآن

(2) دليل الأعمال، ص 4 . 5، التجارة في المستقبل، ص 54 . 56.

(3) التجارة في المستقبل، 45 . 52.

(4) ولذلك قامت كثير من دول العالم بتحرير سوق الاتصالات استعداداً للمنافسة القادمة التي تحتمها الحقائق التقنية الحديثة، ومتطلبات المنافسة العالمية حسب قواعد منظمة التجارة العالمية.

(5) التجارة في المستقبل، ص 34. (6) دليل الأعمال، ص 13.

(1) على الرغم من تأسيس منظمة عالمية للملكية الفكرية (WIPO) منذ أكثر من ربع قرن (1967م) . أصبحت تضم في عضويتها 132 دولة، إلا أن الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي قد أصرت على إدراج هذا الموضوع في مفاوضات جولة أوروجواي، وعلى الوصول إلى اتفاق بشأنها في إطار منظمة التجارة العالمية. منظمة التجارة العالمية، ص 80.

(2) دليل الأعمال، ص 14 . 15، والجدير بالذكر أن اتفاقية الخدمات تتيح للدول الأعضاء استثناءات عامة من تطبيق قواعده لحماية الأخلاق العامة أو النظام العام وحماية الأمن القومي، على ألا تنطوي الإجراءات المتخذة على التمييز بين الدول أو حماية مقنعة. منظمة التجارة العالمية، ص 74.

(3) منظمة التجارة العالمية، ص 80. (4) منظمة الملكية الفكرية، من موقع (الويبو) على شبكة الإنترنت.

(5) منظمة التجارة العالمية، ص 78 . 79، باختصار.

(1) دليل الأعمال، ص 8.

(2) ويجوز هذا للدول النامية التي يقل دخل الفرد فيها عن 1000 دولار سنوياً، وكذلك أقل البلدان نمواً (!). دليل الأعمال، ص 9 (ولا أدري كيف تدعم مثل تلك الدول صادراتها؟!).

(3) دليل الأعمال، ص 9. (4) دليل الأعمال، ص10 . 11.

(5) التجارة في المستقبل، 16 . 17، دليل الأعمال، وانظره موسعاً جداً في (قواعد الجات: الاتفاق العام للتعريفات الجمركية والتجارية)، مصطفى سلامة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص 47 . 67، (وسيشار له لاحقاً بـ: قواعد الجات).

(6) وقد كان اللقاء الأخير في قطر، حيث تم قبول الصين وتايوان عضوين جديدين.

(7) التجارة في المستقبل، ص 14 . 15، قواعد الجات، ص 8 . 9.

(1) شرط الانضمام للاتفاقات المرتبطة بمنظمة التجارة العالمية شرط جديد، «وكان في السابق اختيارياً، وكانت النتيجة أن انضمت قلة قليلة جداً من البلدان النامية إلى الاتفاقات المرتبطة بالجات مثل اتفاق التقييم الجمركي، وترخيص الاستيراد، والحواجز الفنية أمام التجارة. وأما قاعدة الالتزام المتكامل فقد جعلت جميع أعضاء منظمة التجارة العالمية، بما في ذلك البلدان النامية وبلدان مرحلة التحول، أطرافاً في الاتفاقات المرتبطة باتفاق جات وفي غيره من الاتفاقات المتعددة الأطراف». ولأجل الصعوبات العملية، تتيح معاملة خاصة وتفاضلية وفترات انتقالية للبلدان النامية، وأقل البلدان نمواً، وبلدان مرحلة التحول، مع توفير المساعدة الفنية. دليل الأعمال، ص 15.

(2) قواعد الجات، ص 160. والجدير بالذكر أن الدول العربية الذين منحوا عضوية تلقائية هم: مصر، وتونس، والمغرب، والكويت، وقطر، والبحرين، والإمارات. وقد قبلت المنظمة عمان، والأردن بعد مفاوضات، ولا تزال السعودية والجزائر في طور المفاوضات. أما باقي الدول العربية فلم تتقدم للحصول على عضوية المنظمة.

(3) التجارة في المستقبل، ص 19 – 20، بتصرف يسير.

(1) قواعد الجات، ص 152. (2) التجارة في المستقبل، ص 22. (3) التجارة في المستقبل، ص 22 . 23.

(4) التجارة في المستقبل، ص 23 . 24، بتصرف. وللنظر في الإجراءات المفصلة لعمل الهيئة، انظر الكتاب نفسه، ص 25 . 26.

(1) التجارة في المستقبل، ص 26 . 27، بتصرف، وباختصار. (2) قواعد الجات، ص 44.

(3) فقد تبين . مثلاً . من ضغط الدول أوبك على الدول الصناعية أن المشكلة ليست في سعر النفط المحدد في السوق والمتأثر بجهود منظمة أوبك، ولا في الجمارك المفروضة على النفط من قبل الدول الصناعية، بل المشكلة في ضريبة القيمة

المضافة التي تفرضها الدول الغربية على مبيعات النفط داخلياً. ولا شك في عدم قدرة الدول الصناعية على إلغائها بسبب ضخامتها وأهميتها للموارد المالية لتلك الدول. وأما الجهود التي تبذل من الدول الصناعية لإغلاق أسواقها أمام العمال الأجانب فهي لا تحتاج إلى تعليق.

(4) يرى مصطفى سلامة أن أهم أثر للمنظمة هو عولمة الاقتصاد الرأسمالي وآلياته، قواعد الجات، ص 80.

(5) منظمة التجارة العالمية، 77، وكذلك 187.

(6) انظر ما كتبه مصطفى (أستاذ القانون الدولي) عن الدور المؤثر للدول الفاعلة الأعضاء، وإقحام الاعتبارات السياسية من أجل التحايل على التزاماتها التجارية. قواعد الجات، ص 78. وقد صرح بحيف المنظمة في ترتيباتها التجارية، ص 22 . 23، وقال إن التنظيم التجاري الدولي الجديد نتاج لتوافق بين الدول المتقدمة، ص 83.

(1) ذكر بعض الباحثين أن نسبة الجمارك في إيرادات غالبية الدول الإسلامية تصل 15%، بينما لا تشكل إلا 1% للدول الصناعية فقط!

(2) قواعد الجات، ص 37.

(1) قواعد الجات، ص 84. ويقول أيضاً: «فلقد أسفرت وأثبتت ممارسات المنظمات الدولية الاقتصادية المختلفة أن الإعفاءات أو الاستثناءات قابلة للاستمرار والامتداد مراعاة ونزولاً على واقع الدول المختلفة؛ بحيث أصبح هناك ما يسمى بالتحلل المشروع من الالتزامات الدولية.... إن هناك خطورة تتمثل في إمكانية أن يصبح تنفيذ الالتزامات المتولدة عن اتفاقات 1994م اختيارياً». قواعد الجات، ص 75 . 77.

المصدر :http://www.albayan-magazine.com

==============

#العولمة:

جدل العدوان والمقاومة الثقافيين

لمشاهدة الصورة بحجم اكبر إضغط علي الصورة

* عبدالإله بلقزيز

ليس صحيحاً أن العولمة الثقافية هي الانتقال من حقبة . ومن ظاهرة . الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، على نحو ما يدعي مسوقو فكرة العولمة الثقافية، بل إنها . بالتعريف . فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات. إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف . المسلح بالتقانة . فيُهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة. وإذا كان يحلو لكثيرين أن يتحذلقوا بإفراط في الرد على هذا الفهم للعولمة الثقافية، فيرجمونه بتهمة الانغلاق الثقافي أمام تيارات العصر، والدعوة إلى الانكفاء والتشرنق على الذات (والهوية، والأصالة، ومشتقاتهما...)، وإذا كان يحلو لهم أن يعيدوا على أسماعنا مواويل الانفتاح الثقافي غير المشروط على ((الآخر)) للانتهال من موارده ومكتسباته وكشوفه المعرفية... الخ، فإنه يطيب لنا أن نلفت انتباههم إلى وجوب وعي الفارق بين التثاقف والعنف الثقافي من جانب واحد.

يعني الأول الإصغاء المتبادل من سائر الثقافات بعضها إلى بعضها الآخر، كما يعني الاعتراف المتبادل بينها، ومنه الاعتراف بحق الاختلاف وهو من أقدس حقوق الانسان، فيما لا ينطوي الثاني سوى على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية في رؤية ثقافته. يرادف الأول معنى الحوار والتفاهم، بينما يتلازم معنى الثاني مع الإكراه والعدوان. أما الأهم في الأمر، فهو أن التثاقف يجري بين الثقافات على قاعدة الندية، وهو ما يمتنع دون اعتبار أية ثقافة لشخصيتها وحرمتها الرمزية، فيما لا يعبر فعل الاختراق والتجاوب معه سوى عن دونية يأباها أي انفتاح وأي حوار! هذا درس بدائي من دروس الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة حري بدعاة الانفتاح أن يقرأوه قبل أن يفتتحوا طقوس التبشير.

أي اختراق ثقافي هذا الذي نعنيه، أو ماذا يمكنها أن تكون تلك العولمة الثقافية إن لم تكن صناعة لثقافة عالمية جديدة؟

ليست العولمة تلك . في مفهومنا . سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات، بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقانة في ميدان الاتصال. وهي التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون،

وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية عديدة، وبخاصة في أفريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية. ولعل هذا يؤكد ما افترضناه ـ في مستهل هذه الورقة ـ من أن العولمة لا تؤرخ لنهاية عصر الدولة القومية، بل تعلن عن ميلاد حقبة جديدة من تمددها المستمر. وليس ما يدعى بالعولمة الثقافية، اليوم، إلا مظهراً من مظاهر ذلك التمدد خارج الحدود، الذي هو آلية طبيعية في نظام اشتغال الدولة القومية الحديثة.

على أن هذه السيطرة الثقافية الغربية العامة تنطوي ـ في داخلها ـ على علاقة أخرى من السيطرة تجعل ثقافات غربية عديدة في موقع تبعي لثقافة أقوى تتمدد أحكامها على امتداد سائر العالم. أما هذه السيطرة التي نعني، فهي التي يمكننا التعبير عنها بعبارة الأمركة (Americanisation)، والعولمة ـ في ما نزعم ـ هي الاسم الحركي لها. ليست الأمركة أسطورة جديدة من أساطيرنا السياسية، ولا هي شماعة نعلق عليها إخفاقاتنا وعجزنا، بل هي حقيقة مادية تعيشها أوروبا نفسها، وتحتج عليها، وتنظم مقاومتها ضدها، وتعتبرها خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها الاقتصادي والسياسي وهويتها الثقافية. وقد تكون مقاومة فرنسا لها ـ بمناسبة مفاوضات (الغات) ـ ودفاعها عما بات يعرف باسم الاستثناء الثقافي، أسطع دليل على وجودها وعلى مخاطرها، وهي ـ للتذكير ـ مقاومة حقيقية وشرسة وليست مسرحية سياسية للضحك على ذقون أهل العالم الثالث.

ما الذي في وسع مجتمعات وثقافات أخرى ـ خارج أوروبا ـ أن تفعله في مواجهة هذه العولمة/ الأمركة بإمكانياتها الشحيحة؟

ليست هناك معجزات في الأفق، ولكن، من المفيد القول إن فعل العدوان الثقافي ـ أي عدوان ثقافي ـ لا يحتل المشهد وحده، بل هو غالباً ما يستنهض نقيضه، بسبب ما ينطوي عليه عنفه الرمزي من استفزاز لشخصية المعتدى عليه، ومن تشبث بثقافته وهويته. ماذا يمكننا أن نسمي ـ مثلاً ـ حالة الانكفاء الثقافي للمغلوب إلى منظوماته المرجعية التقليدية؟ إنها تراجع معرفي ما في ذلك شك، غير أنها ـ في منظور علم اجتماع الثقافة ـ شكل من الممانعة الثقافية ضد الاستسلام، ومحاولة للبحث عن نقطة توازن في مواجهة عصف التيار الثقافي الجارف. إنها محاولة للاحتماء من

عملية اقتلاع كاسحة. وهي وإن كانت دفاعاً سلبياً عن الثقافة والأنا الجمعي، إلا أنها تظل . في النهاية . مظهراً من ماهر المقاومة الثقافية المشروعة، وإن كان من الواجب القول إن معركتها مع العولمة خاسرة في آخر المطاف إن لم تتحول إلى مقاومة إيجابية تتسلح بالأدوات عينها التي تحققت بها الجراحة الثقافية للعولمة.

ليست من مشمولات هذه الورقة أن نتحدث في بند ((ما العمل؟))، ومع ذلك، نهتبل الفرصة للقول إن مقاومة العولمة الثقافية ليست دعوة رجعية لقطع آصرة التفاعل الثقافي مع العالم الخارجي، بل هي طريقة للقول إن الثقافة العالمية الحقيقية هي ثقافات سائر المجتمعات من دون استثناء، فالكونية هي التميز في مجال الرموز. وكل نزعة توحيدية في هذا الباب مدماك جديد لبناء صرح التوتاليتارية.

... وكم يطيب لي . هنا . أن أستعير عنواناً جميلاً لأحد كتب الباحث اللبناني سهيل القش، مختتماً به الورقة، مجيباً به عن ((ما العمل؟))، إنه ((في البدء كانت الممانعة)).

============

#العولمة الثقافية

بقلم: إبراهيم السوداني*

تعتبر العولمة القضية التي كثر الحديث عنها فجأة ليس فقط على المستوى الأكاديمي، وإنما أيضا على مستوى أجهزة الإعلام والرأي العام والتيارات الفكرية والسياسية المختلفة. ولا يمكن الجزم إذا قلنا أن هناك الآن سيلا أشبه بالطوفان في الأدبيات التي تتحدث عن هذا الموضوع. ولم يعد الأمر يقتصر على مساهمات الاقتصاديين وعلماء السياسة أو المهتمين بالشؤون العالمية، بل تعدى الأمر ليشمل مساهمات الاجتماعيين والفلاسفة وإعلاميين والفنانين وعلماء البيئة والطبيعة...الخ.

وباعتبار قضية العولمة لها من الجوانب والزوايا الكثيرة ما يثير اهتمام كل هؤلاء. ووسط هذا الكم الهائل من الكتابات عن العولمة (الموجودة حاليا بالسوق). ويكاد المرء يحتار في كيفية الإلمام بهذا الموضوع أو فهم حقيقته، خاصة وأن كل كاتب عادة ما يركز تحليله عل جانب معين من العولمة، مثل الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الإعلامي أو الثقافي ... ولهذا أصبح من الضروري أن نتخصص في

الجانب الثقافي لتناول هذه القضية، فما هو إذن مفهوم العولمة؟ وما هي تجلياتها الثقافية؟

مصطلح العولمة

مصطلح العولمة مصطلح جديد ظهر في العالم الغربي في بداية التسعينيات. وقد سبقه حدثان ضخمان أثرا في حركة العلاقات الدولية واتجاهاتها وعى موازين القوى في العالم: الأول هو سقوط المعسكر الشرقي،الذي اتخذ من سقوط جدار برلين شعارا له عام 1989م، كذلك الذي أنهى فترة من الحرب الباردة بين المعسكرين (وارسوا/الأطلسي). تلك الحرب بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وصاحبها حالات من الاستقطاب والمد والجزر في علاقات هذين المعسكرين؛ بحيث وصلت في الجزر إلى التهديد بحرب عالمية ثالثة، (مباشرة أثناء أزمة الصواريخ الكوبية)، وفي المد وصلت إلى الإنفاق على تقسيم مناطق نفوذ في بقاع العالم، وبين ذلك حصلت حروب بالوكالة كما حصل في فيتنام وأفغانستان. وقد أتاحت حالة الحرب الباردة والصراع والتنافس العالمي على مناطق النفوذ وجود هامش من الحرية لما سمي ب(دول عدم الانحياز) مكن ذلك كثيرا من الدول من الاستقلال عن الدولتين الكبيرتين أو إحداهما.

ثم جاء الحدث الآخر الكبير وهو حرب الخليج الثانية في عام1991م؛ وهي حرب شبه عالمية لكن من طرف واحد ودون تكافؤ في القوى. وانتهت هذه الحرب كما – هو معلوم– بانتصار أمريكي غربي أضيف إلى النصر التاريخي على المعسكر الشرقي. هذان الانتصاران أتاحا لأمريكا نوعا من السيادة العالمية.. مستغلة تقدمها التقني والاقتصادي وقوتها العسكرية في تكريس هذه السيادة.فبدأ في هذا الظرف التاريخي ظهور مصطلحات جديدة مثل (العالم الجديد) ومثل (العولمة) وهذا المصطلح الأخير اخذ حظه من الانتشار باعتبار أنه يمثل حركة الهيمنة والسيادة الغربية بأسلوبها الحضاري الجديد، وظهرت أعمال وكتابات كثيرة لدى الغربيين تؤدلج هذه الفكرة مثل فكرة (نهاية التاريخ)، وكذلك فكرة(صراع الحضارات)وإن كانت سابقة لفكرة نهاية التاريخ إلا أنها قد اشتهرت أخيرا.

بعض تعار يف المفكرين للعولمة

يقترح سمير أمين التعريف التالي لصيرورة العولمة بحيث يقول إن العولمة هي: "الاختراق المتبادل في الاقتصاديات الرأسمالية المتطورة بدرجة أولى، ثم توسيع المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب على اعتباره يمثل سوقا مهما".

ويعرض عمرو حمزاوي العولمة على أنها: "تكثيف للتبادل التجاري والثقافي والمعلوماتي بين أقاليم العالم المختلفة، وتصاعدا لمعدلات التأثير المتبادل بين السياقات المحلية". أما فتح الله ولعلو فيقدم تعريفا تقنيا واقتصاديا معتبرا أن العولمة كنظرية تعني: "توسيع الكتلة المالية والكتلة التواصلية، مما يؤدي على إزالة الحواجز بين السواق المالية ... تتجاوز البنيات الدولية والوطنية، وظهور أشكال تنظيمية جديدة في ميدان الإنتاج وأساليب التسويق". ويقدم محمد الأطرش تعريفا مركزا للظاهرة يقول فيه بأن:"العولمة هي اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والثقاة ضمن إطار رأسمالية السواق الحرة". من جهة أخرى يرى د.عزمي بشارة أنها: "طغيان قوانين التبادل العالمي المفروضة من قبل المراكز الصناعية الكبرى على قوانين وحاجات الاقتصاد المحلي".

2. هل هي نهاية عهد السيادة الثقافية؟

تنتمي السيادة الثقافية إلى كيان الدولة الوطنية وسيادته. وظلت الثقافة الوطنية تستمد سيادتها من ذاتها في سائر الظروف من: تربية الأجيال وتكوين الأطر معبرا عنها في الممارسة من خلال مؤسستي الأسرة والمدرسة.

* الأسرة: هي أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني بوساطة شبكة القيم التي يبنيها الدين والأخلاق العامة. ويتلقى الطفل في هذه المؤسسة التكوينية لغته ومبادئ عقيدته، والقوالب الأخلاقية الضرورية لسلوكه. وكذلك يتلقى بعض مبادئ الأنا الجمعي.

* المدرسة: وهي مؤسسة الإنتاج الاجتماعي الثانية التي تستأنف عمل الأولى، وتنتقل أهدافها إلى مدى أبعد من حيث البرمجة و التوجيه .

عدم قيام هذه المؤسستين في الوقت الحاضر بالأدوار المنوطة بها و التي تتمثل في إنتاج وعادة إنتاج منظومات القيم الاجتماعية و رصيد الوعي المدني، اللذين يؤسسان البنى التحتية للثقافة الوطنية و للسيادة الثقافية .

إن انهيار السيادة الثقافية ناتج عن تعرض النسيج الثقافي الوطني لتمزيق تضافرت لصنعه الضغوطات الثقافية و القيمة من الخارج، و الإخفاقات الذاتية المتعاقبة التي منيت بها من الداخل- سواء في مؤسسات إنتاج الرموز والقيم، بسبب تكلس بناها و عجزها عن التكيف الايجابي مع التحولات الثقافية الكونية وفي سبيل واقعية هذا الأمر، فقد انهار هذا النظام الثقافي الوطني التقليدي دون أن يكون في وسع المجتمع العربي أن ينتج بديلا منه من داخل البنى الذاتية القائمة.

ثقافة العولمة وأدواتها

العولمة الثقافية تجري وتتوسع، في مناخ من التراجع الحاد للثقافة المكتوبة على صعيد الإنتاج والتداول بالصورة . أوهي الثقافة ما بعد المكتوب، الثقافة التي يؤرخ ميلادها لاحتضار ثقافة الكتاب .

النظام الثقافي الجديد) تقنيات الإنتاج والتوزيع)الصورة هي المادة الثقافية الأساس في ذلك.وتلعب دور الكلمة وهي خطاب مكتمل يستكفي بذاتها .والصورة تستغني عن الحاجة إلى غيرها. وأصبح النظام الثقافي المسيطر هو النظام السمعي البصري في حقبة العولمة الثقافية. وهذا النظام الثقافي الجديد ليس مجرد وسيلة، بل هو طريقة معينة لإدراك العالم والتعبير عنه.

2. في مضمون النظام الثقافي للعولمة

أصبح المصدر الجديد لإنتاج وصناعة القيم والرموز وتشكيل الوعي والوجدان والذوق، تبدو الثقافة على مستوى من الوعي والهزل والفقر والسطحية يثار معه التساؤل المشروع عن مستقبلها الإنساني، بحيث تشبه سائر مواد الاستهلاك.

ومن جانب آخر تبدو الثقافة خارج حدود تعريفها وماهيتها الطبيعيين، ثقافة هجينة لا ترتكز على مبادئ ولا تحمل أي نفع للإنسان، وهي ثقافة لا تقوم صلة بينها وبين النظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه الإنسان.

3. العولمة الثقافية في ركاب التجارة الحرة

الثقافة بوصفها منتوجا اجتماعيا، دخلت الآن ميدان العملية الجديدة التجارة الحرة- وباتت قابلة للتداول على أوسع نطاق في العالم. حيث أصبحت الثقافة سلعة، والدول القوية هي التي تسوقها، باعتبارها تملك قدرة ثقافية أكبر مما يفرض القول أن "التبادل" الثقافي العالمي غير متكافئ. ونجد الدول الغنية تروج الاديولوجيات الفكرية الخاصة بها، والسعي إلى فرضها في الواقع من خلال الضغوطات السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية، ذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، والديمقراطية، وحقوق الأقليات، وحرية الرأي.وتستخدم في ذلك آليات ووسائل منها:

- إصدار الصكوك والاتفاقيات الدولية المصاغة بوجهة نظر غربية والضغط من اجل التوقيع عليها مثل (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مكافحة التمييز ضد المرأة ...الخ) وهذه الاتفاقيات وان كان فيها بعض الحق إلا أن فيها الباطل أيضا، ويكفي أنها مصاغة بوجهة نظر غربية إمبريالية.

4. جدل العدوان والمقاومة الثقافيين

العولمة الثقافية لا تعني الانتقال من الثقافة الوطنية والقومية إلى الثقافة العالمية أو الكونية وإنما هي فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح وبالتكنولوجيا.

إضافة على وجوب وعي الفارق بين التثاقف وبين العنف الثقافي؛ يعني الأول: الإصغاء المتبادل من سائر الثقافات إلى بعضها كما يعني الاعتراف بحق الاختلاف، فيما لا ينطوي الثاني: سوى على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير، كما على الاستعلاء والمركزية الذاتية.

ليست العولمة إذن سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصال. أمام هذه السيطرة فهي التي يمكننا التعبير عنها بعبارة الأمركة، والعولمة هي الاسم المرادف لها.

5. موقف المجتمع الاسلامي من الثقافات غير الاسلامية

تأثر المجتمع الاسلامي بالثقافة الغربية قياسا بغيرها من الثقافات الوطنية والإقليمية الكبرى واعتبار المسلم أن الثقافة الغربية هي ثقافة الآخر. والمجتمع الاسلامي ينقسم إلى قسمين هما: مجتمع أهلي ومجتمع النخبة.

أ. استهلاك المجتمع الاسلامي الأهلي للثقافة الغربية خصوصا ثقافة الصورة بدل المكتوب من تلك الثقافة.

ب. استقبال الوعي الاسلامي الأهلي المادة الثقافية الغربية المعروضة عليه، في شكل أصوات وصور، وهو مجرد ملتقط أو يكاد بدون خلفية نقدية تسمح له بإخضاع تلك المادة إلى المسائلة وهذا ناتج عن عجز الآلة الثقافية الوطنية عن إشباع حالة الجمهور.

* مجتمع النخبة ينقسم إلى قسمين: هناك تيار انبهاري بالمجتمع الغربي متماه معه وتيار رفض ويستنفر ضده:

– يؤسس التيار الانبهاري شرعية خطابه عل فرضية تقول بكونية المعرفة، ومقولات العقل، ومنظومة المفاهيم التي تنهض عليها فكرة الحداثة.

– يقوم فكر التيار الرافض على موضوعة إيديولوجية بالغة الادعاء والنرجسية ويشدد هذا التيار على الخصوصية ووصفها التعبيري العادل عن كل ثقافة كما يمارس الممانعة الثقافية ضد الزحف الظاهر للثقافة الغربية.

الواقع أن ما قلناه هو غيض من فيض، وقليل من كثير. لكننا مع هذا نأمل من متن الموضوع أن يكون قد ساهم في تسليط الضوء على العولمة وإزاحة النقاب عن حقيقتها التي تريد الولايات المتحدة الأمريكية فرضها على شعوب العالم أجمع.

بعض مراجع المادة

1. العولمة والممانعة: عبد الإله بلقزيز–سلسلة الزمان (2001).
2. مجلة البيان عدد167 أكتوبر 2001.
3. فخ العولمة: سلسلة عالم المعرفة عدد 295 غشت 2003.

---

* كلية الآداب أكادي

===========

#العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشرى

محمد عبد الله الشباني

عقد خلال الفترة من الثالث حتى الرابع عشر من شهر يونيو لعام 1996م في استنبول مؤتمر الإيواء البشري تحت مظلة الأمم المتحدة، وهذا المؤتمر حلقة من حلقات المؤتمرات التي دأبت الأمم المتحدة على عقدها وفق دعايتها بتحسين أوضاع العالم الاقتصادية والتجارية والعمرانية والسياسية والاجتماعية، – لكن حقيقة الأمر بخلاف ذلك، بل إن هذه المؤتمرات أداة تستخدمها الرأسمالية اليهودية للسيطرة على العالم اقتصادياً وفكريّاً من خلال تأطير السلوك الاجتماعي والسياسي ليوافق الفكر العلماني الذي تقوم عليه الرأسمالية اليهودية المعاصرة.

إن الإطار الفكري الذي تقوم عليه فكرة المؤتمر وما طرح في وثيقته من أفكار وأساليب مطلوب من الدول المشتركة في هذا المؤتمر تبنيها لحل مشكلة تؤرق السياسيين في مختلف أقطار العالم وهي (مشكلة الإيواء وتوفير الأماكن الكافية لاستيعاب ملايين البشر (، هذا الإطار ما هو إلا غطاء للتسلل لاحتواء موارد الدول الفقيرة واستغلالها لصالح المؤسسات المالية والمالكين لها من دهاقنة اليهود والمتهودين فكراً وسلوكاً، ونشر الأنماط السلوكية التي أفرزتها الفلسفة الجدلية المادية، التي من مقتضياتها الانفلات السلوكي: سواء ما كان له ارتباط بالمنهجية الاقتصادية، وما يرتبط بذلك من حرية مطلقة في استلاب الآخرين، وتحقيق المنفعة الفردية على حساب المنفعة الجماعية مع استبعاد الجوانب الأخلاقية في السلوك الاقتصادي، أو ما كان له ارتباط بأنماط السلوكيات الاجتماعية لسيطرة الرأسمالية اليهودية ممثلة في الولايات المتحدة بوصفها قوة وحيدة بتمكين هذه القوة الجديدة من الاستحواذ على العالم؛ ليكون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا.

أهداف المؤتمر:

إن أهداف المؤتمر الذي حددتها مسودته (جدول أعماله) تلبس الحق بالباطل؛ حيث تعلن مفاهيم عامة وتمنيات تُدغدغ بها رغبات الحكومات الفقيرة التي ترزح تحت وطأة الفقر والحاجة والتخلف، ولكنها في الواقع سراب يُنْفَذُ من خلاله إلى الهدف الحقيقي المغلف بهذا السراب.

فمن الأهداف المشار إليها في وثيقة المؤتمر التي هي مدخل للأهداف الحقيقية الأمور التالية:

1- المساواة والعدالة لجميع الأفراد، للحصول على الإيواء وتوفير البنية التحتية المكملة للمسكن الملائم.

2- استئصال الفقر، من خلال توفير المأوى للفئات ذات الدخل المنخفض مع حق اختيار العمل والحصول عليه.

أما الأهداف الحقيقية للمؤتمر فيمكن فهمها من خلال ما رسم من إجراءات تنفيذية لتحقيق الأهداف الفضفاضة، وما امتزج ضمنها من مفاهيم أدرجت لتخدم الغرض الحقيقي للمؤتمر، ويمكن تحديدها على النحو التالي:

1- العمل على تغيير مفهوم الأسرة القائم عل الأسس الدينية والقيم الاجتماعية الفطرية، وتوسيع هذا المفهوم ليشمل أنماطاً من الأشكال التي تم تبنيها في المجتمع الغربي بوجه عام، وفي الولايات المتحدة بوجه خاص؛ من خلال تغيير معالم ومكونات الأسرة كما عرفتها الإنسانية، حيث أشار البند (18) من الوثيقة إلى شمول الإيواء لمختلف أشكال الأسر، والمقصود من ذلك: منح الشاذين جنسيّاً الذين يكونون فيما بينهم أُسَراً، وتلك الأشكال من العلاقات بين الرجال والنساء الذين لا يرتبطون بعلاقات شرعية، مساكن للإيواء.

2- توسيع النظام الربوي، وتمكين المؤسسات المالية الربوية من السيطرة على المقدرات المالية لدول العالم الثالث، من خلال عمل شبكة من البنوك ومؤسسات الإقراض، وربط تمويل توفير المباني والبنية التحتة لمشاريع الإيواء بالإقراض الخارجي، البند (30).

الالتزامات المطلوب تنفيذها لتحقيق الأهداف:

من أهم الالتزامات المطلوب تبنيها من قبل المشاركين في هذا المؤتمر والموقعين على وثيقته الأمور التالية:

1- تغيير قوانين الملكية الخاصة بالأراضي: سواء الزراعية أو السكنية، وقوانين الإسكان والإيجارات، وفتح باب سوق شراء وبيع العقارات، وإزالة جميع العوائق الخاصة بتوفير المناخ الملائم لحرية السوق العقاري (البند 56 من الوثيقة).

2- تغيير وتعديل الأنظمة لتسهيل حركة الأموال وربط تمويل الإسكان بالنظام المالي العام للدولة وتعديل السياسة النقدية والمالية لتوفير روح المنافسة، لتتحرك

الأموال من أجل توفير القروض للفقراء، مع توفير الإمكانية لأنظمة الإقراض لتحقيق استعادة القروض من خلال توفير القوانين والأنظمة لذلك، وإقرار برامج رهن المساكن لمؤسسات الإقراض المتعددة (البند: 61).

3- ربط اقتصاديات الدول المتخلفة باقتصاديات الدول الرأسمالية ضمن المفهوم الذي تبشر به الوثيقة، وهو الاقتصاد الدولي، كما أشارت إليه البنود (140، 147، 150)، من الوثيقة، حيث تم التأكيد على ربط السلطات المحلية بالسوق المالي الدولي ومؤسسات الإقراض الخاصة بالشؤون البلدية، مع العمل على توفير البنية التي تسمح للاقتصاد الدولي في النمو، والمساهمة في بناء البنية التحتنة لمشاريع الإيواء وتكوين المراكز الحضرية.

إن تبني الأهداف وقبول الالتزامات التي حددتها الوثيقة التي تم التوقيع عليها في مؤتمر استنبول يعني التمكين لما يعرف في مجال الدراسات الاقتصادية (بعولمة الاقتصاد) تحت قيادة صندوق النقد الدولي والمؤسسات التابعة له.

وظاهرة (العولمة) التي أخذت في الازدياد في الفترة الأخيرة لها خطورتها على النمو الاقتصادي والحضاري والثقافي للمجتمعات المتخلفة، وبخاصة المجتمعات الإسلامية؛ حيث يتوفر في بلاد المسلمين مصادر الثروات الطبيعية؛ مما يدفع إلى الاستحواذ عليها من قبل الرأسمالية اليهودية العلمانية.

إن أهم مظاهر عولمة الاقتصاد هي: زيادة نمو الشركات المتعددة الجنسية، ومؤسسات الإنتاج الدولية الطابع والعالمية النشاط، وقد أدى هذا الأمر إلى التشابك بين مؤسسات الإنتاج على الصعيد القطري والإقليمي، واتجاه الشركات القطرية إلى توسيع رقعة أنشطتها لتخرج به خارج الحدود الوطنية أو القومية وصولا إلى المستوى الكوني، والشكل الذي تأخذه العولمة هو قيام المؤسسات الضخمة بمد نشاطها خارج حدودها الوطنية وإنشاء فروع شبه مستقلة ولكنها تابعة لها في بلدان الدول المتخلفة، أو تحويل الكيانات القائمة للشركات القومية؛ لتُكوّن فروعاً لها وتوابع لنشاطها.

لتتضح أبعاد ظاهرة العولمة الاقتصادية أو ما يمكن تسميته بظاهرة الرأسمالية متعددة الجنسية التي تجمع لديها عناصر القوة الاقتصادية، وما يمكن أن توظفه من قوة سياسية أو تمارسه من ضغوط على الدول المتخلفة غير القادرة على التعامل بندية

مع هذه الكيانات العملاقة، فالإحصاءات توضح مدى خطورة هذا التمركز الرأسمالي... فإذا عرفنا أن إيرادات أكبر خمسمئة شركة في العالم بلغ في عام 1994م نحو عشرة تريليون ومئتين وأربع وخمسين بليون دولار، وإذا تم مقارنة ذلك بمجموع الناتج المحلي الاجمالي لدول العالم في سنة 1993م (الذي كان أكثر قليلاً من ثلاثة وعشرين تريليون دولار)، أدركنا مدى خطورة تركز الأموال لدى الرأسمالية العالمية.

إن السؤال الذي يبرز هنا هو: لماذا تتجه الرأسمالية اليهودية في نقل وتركيز بعض عمليات الإنتاج في الدول المتخلفة؟.. وإن الهدف الحقيقي هو البحث عن أعلى معدلات للربح، وهو هدف سهل يمكن تحقيقه بعد أن قامت الرأسمالية اليهودية بالدفع إلى تبني السياسات الليبرالية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وفشل الفكر الاشتراكي في تحقيق النمو الاقتصادي للدول التي تبنته.

ومن هنا: نجد أن القوى الرأسمالية من خلال مؤسسات الأمم المتحدة المالية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وتوابعهما) وبعد أن تزعمت الولايات المتحدة العالم؛ أخذت بالدعوة إلى تبني أساليبها الاقتصادية، حيث أصبح تبني هذه السياسة بدون نظر لمحاذيرها هو التوجه لدى دول العالم المتخلف وبخاصة دول العالم الإسلامي، فقد أخذ البنك الدولي بتوجيه من الولايات المتحدة بإجبار دول العالم الإسلامي إلى إعادة هيكلة اقتصادياتها على ضوء هذه السياسة الليبرالية، فاتجهت لخارج دولها لجذب رأس المال الأجنبي، وتبني مفهوم القطاع الخاص من خلال استخدام آليات السوق وما يتطلبه ذلك من تحجيم واضح في الملكية العامة، وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، وهذا ما تتبناه وثيقة استنبول لحل مشكلة الإيواء.

إن عولمة الاقتصاد الذي تُطالب به الأمم المتحدة برئاسة الولايات المتحدة حيث يحل مشروع أممية رأس المال بدلاً من أممية البروليتاريا، فما يحصل الآن من أساليب إجرائية متعددة الأشكال لحل مشاكل اجتماعية واقتصادية هو تمكين لمراكز النظام الرأسمالي من إعادة احتواء دول العالم المتخلفة وإعادة امتصاص قواها، طبقاً لمنطق تراكم رأس المال في تلك المراكز.

إن آليات السوق الذي تقوم عليه الفكرة الأساس للرأسمالية: أن من لا يستطيع كسب قوته يجب أن يموت، فهناك في الغرب فلاسفة ممن يقول: إن المليار من فقراء العالم الثالث، بل وفقراء الدول الصناعية كانوا زائدين عن الحاجة، وبالتالي: فلا مبرر لوجودهم ولا حاجة إليهم، ضمن مفهوم فلسفة البقاء للأصلح!، ولذا: تجد الدعوة المستمرة لتغيير مفهوم الأسرة، والدعوة إلى الإجهاض وقتل العجزة.. وغير ذلك من الدعوات غير الأخلاقية وغير الإنسانية، وما هي إلا نتيجة العبثية الرأسمالية العلمانية.

إن المخرج من هذا الفخ الذي نصبته الرأسمالية اليهودية هو قدره العالم الإسلامي في اتخاذ قراره السياسي المستقل، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا طرح الفكر العلماني ونبذه من مناهجه وتوجهاته، وتبنى الفكر العقائدي الإسلامي وما يحتويه من سلوكيات وقيم ونظم وتشريعات لتحقيق سعادة الانسان الدنيوية والأخروية ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) [الأعراف: 96].(*)

الهوامش :

* تأجلت الحلقة الثالثة من دراسة الكاتب الكريم د/ محمد الشباني عن (الربا والأدوات النقدية المعاصرة) وذلك لتواكب المجلة المؤتمر مدار البحث، وموعدنا مع الحلقة المؤجلة في العدد القادم إن شاء الله

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

=============

#العولمة

إيمان الزهيري

حصلت العولمة كغيرها من الظواهر الجديدة على أنصار ومعارضين واستناداً إلى مروجيها فإن العولمة تعني تصغير العالم و حرية التبادل التجاري والسلعي وحرية انتقال الأشخاص أما معناها اللغوي هو إضفاء صبغة واحدة على العالم وعلى كل من يعيش فيه مع توحيد الأنشطة الثقافية والاجتماعية والفكرية لكافة الأديان والأمم والجنسيات والثقافات

وتعود بداية مصطلح العولمة إلى بداية التسعينات أي بعد انهيار المعسكر الاشتراكي ولاسيما عندما طالبت أميركا العالم بتوقيع اتفاقية التجارة العالمية وذلك لسيطرة بعض الشركات العابرة للقارات على السوق العالمية مما يؤكد أن العولمة هي اميركية المنشأ

لقد ساهمت العولمة في الدمار الاقتصادي الحالي في ظل الهيمنة المطلقة للشركات الكبرى على البلدان الفقيرة ولم يقتصر توحش العولمة على الدول الفقيرة بل بدأ يأخذ طريقه باتجاه الدول المتقدمة والغنية ، وهذا يعود للأهداف السياسية للعولمة حيث تعمل على تفكيك السيادة السياسية لهذه الدول وذلك ليتقرر مستقبلها خارج حدود وطنها وتصبح فكرة الاستقلال غير مهمة بالنسبة لها و تصبح السيطرة على هذه الدول ليست بيد شعوبها أو حكوماتها وإنما للذي يتحكم بمصير العالم ،هذا هو هدف الشركات الكبرى التي تقود العولمة الاقتصادية فاعتماد السوق كمرجعية وحيدة وإخضاع جميع المجتمعات لنمط اقتصادي واحد موحد عالمياً ولقيم وأنماط تفكير واحدة يفكك قيم الدولة بالمعنى الإنساني ويجعل تعظيم قيمة الربح تتفوق على أية قيم أخرى

ولم يعد هناك شك أن القضية الأساسية التي تطرحها العولمة هي اللامساواة سواء بين الدول الغنية والفقيرة أو داخل هذه الدول سواء كانت هذه الدول غنية أو فقيرة وكما تطرح أيضاً إمكانية تجسيد نظام هيمنة أكثر شمولاً وقسوة من حيث اعتماد العولمة على المبادلات الحرة دون أي عائق ورفضها لأي اعتبار أخلاقي أو سياسي يمنع حرية الأسواق والتجارة مما يؤدي إلى تعميم الفقر والبؤس من خلال التهميش الجماعي للكتل البشرية في العالم وانسداد الآفاق وتفجر أشكال متجددة من الحروب الداخلية وتعميم الفساد والنهب غير المشروع لرأس المال الاقتصادي ضمن المجتمعات الفقيرة

وهذا ما يدفعنا للتساؤل هل أن العولمة مرادفة للأمركة أو بمعنى أخر هل العولمة هي عبارة عن تحقيق الشروط الأساسية لاستقرار أميركا أو لتعميم النموذج الأميركي في الحياة

يرى الباحثون أن العولمة تجسد نظام هيمنة أكثر شمولاً وقسوة من كل ما عرفته البشرية في السابق ، عن طريق تشجيع نظام الهيمنة الأميركية بشكل أوسع فهي تحمل معها مخاطر التركيز الهائل للثروة المادية والعلمية والثقافية في أيدي فئة قليلة من سكان العالم الذين تتوافر لديهم القدرات والآليات والتكنولوجيا اللازمة للهيمنة ولا يتوقف الأمر عند الهيمنة الأميركية على الثقافة والسياسة و الاقتصاد بل تجاوز ذلك لتصل إلى حد السيطرة على الأمم المتحدة التي أسست لحقوق الإنسان ومجلس الأمن الذي ينقاد للمصالح الأميركية ويزداد تهميشا للشعوب

وربط أحد التقارير الدولية بين ازدهار تجارة المخدرات والعولمة الاقتصادية التي يشهدها العالم وذكر التقرير أن فتح الحدود ورفع القيود على تنقل الأموال أدى إلى تزايد تجارة المخدرات وأشار التقرير إلى أن أموال المخدرات عادة ما تستخدم في تمويل الصراعات وتأجيجها في كل أنحاء العالم

وذكر تقرير آخر للمفوضية العليا لشؤون حقوق الإنسان أن العولمة تؤدي إلى تصاعد مظاهر العنصرية لأن الدول الفقيرة لا تستفيد من نتائج العولمة وهذا الوضع سيزيد اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء وسيؤدي إلى تزايد النقمة

وكانت ماري روبنسون مفوضة الأمم المتحدة السابقة لشؤون حقوق الإنسان قد دعت مؤتمر مكافحة العنصرية وكراهية الأجانب الذي عقد في جنوب أفريقيا إلى بحث تأثيرات العولمة إيمانا منها أن هناك علاقة بين العنصرية والعولمة

والجدير بالذكر أن التحكم بالقرار العالمي في ظل العولمة يرتبط بالتكنولوجيا والتقنية سواء تعلق الأمر بالاقتصاد والمال والسياسة أو المعلومات والإعلام والاتصالات فتطور تكنولوجيا المعلومات يعزز عملية العولمة وهناك من يظن أن شبكة الإنترنت أيضاً هي عبارة عن أداة لهيمنة الثقافة الاميركية

ولكن لو حاولنا أن نجد للعولمة جوانب إيجابية والعمل على توظيف هذه الجوانب بما يخدم مصالحنا في حياتنا العامة لوجدنا أن الانخراط في المعترك الثقافي للعولمة والاندفاع مع المتغيرات المتسارعة لفهم ما يجري في العالم ولاستيعاب التحولات والتغييرات الكبرى التي تعيشها الإنسانية في هذا الوقت الذي يسعى فيه العالم كله

للتطور والتقدم أفضل بكثير من الوقوف عاجزين أمام التغيرات الكبيرة التي تحدث في العالم

إن معركة العولمة والاحتجاجات عليها والمظاهرات المنددة بها تعود إلى افتقار العولمة للعدالة واعتبارها حتمية ولطابعها الذي يجلب للإنسانية الاستغلال والتدمير والاستغلال عوضاً عن تحقيق الأمن والعدالة والمساواة.

المصدر: http://www.sana.org

==============

#العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة

فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم(*)

أصبحت «المرأة» و «الأسرة» محورين أساسيين من محاور عمل التجمعات والفعاليات الاجتماعية في العالم، ولدى كثير من المنظمات والجمعيات (الحكومية وغير الحكومية) التي ترفع لواء ورداء الحرية والمساواة وحقوق الإنسان.

كما أصبح الشغل الشاغل لتلك التجمعات والمنظمات: السعي لعولمة الحضارة الغربية ممثلة في الحياة الاجتماعية لتلك الدول؛ وذلك من خلال تقنين الإباحية والرذيلة، ومن خلال محاولة تعميم الشذوذ باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية، وتقويض بناء الأسرة؛ لأنها . في زعمهم . أكبر عائق من عوائق التقدم والرفاهية؛ فهي أقدم مؤسسة اجتماعية يدَّعون أن الرجل يتسلط من خلالها على المرأة، ويمارس عليها أشكال القهر، ومن أجل التحرير المزعوم للمرأة فإنهم يرون ضرورة التخلص من شيء اسمه «الأسرة»، ولو أدى ذلك إلى التمرد على كل التعاليم الدينية، والمبادئ الفطرية، التي أرست دعائم الشعوب والأمم على مر التاريخ البشري.

تلك هي رؤيتهم التي دأبوا على بثها بكل وسيلة ممكنة، وذلك هو برنامجهم الذي لم يسأموا من السعي لتحقيقه في الواقع، وفرضه بالقوة(1) مستعينين بأمور منها:

أولاً: وسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها (المقروءة والمسموعة والمرئية)، وهذا الأمر معلوم للجميع ومشاهد على أرض الواقع.

ثانيـاً: الاسـتعانة بمؤسسـات الهيمنـة الدوليـة، وفـي مقـدمتها هيئـة الأمـم المتحـدة، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي. وهذا ما سيدور حوله الكلام إن شاء الله؛ حيث إنه يقع في دائرة الاهتمام والمتابعة الشخصية.

ففي السنوات الأخيرة . وخاصة في التسعينيات الميلادية، كما سيتبين ذلك بعد قليل . كثفت الحركـات النسـوية جهودهـا، وكـذلك نشـطاء حقوق الإنسـان . مـن أجـل نقل تصوراتها وأفكارها من حيز الكلام التنظيري إلى حيز التنفيذ العملي، ومن الأطر الثقافية، والأخلاقية، والاجتماعية . الخاصة ببعض الشعوب والحضارات الغربية . إلى النطـاق العـالمي العـام مستغلين طغيـان موجـة العولمـة؛ وذلـك بإقامـة مـؤتمرات مـن خـلال هيئـة الأمم المتحدة بعضـها خـاص بـالمرأة، وبعضـها الآخـر تصـبح المرأة فيـه جزءاً مهماً من قضاياها.

أولاً: أجهزة الأمم المتحدة المعنية بالمرأة:

هناك أجهزة وهيئات تابعة للأمم المتحدة معنية بالمرأة تشارك في الإعداد والتجهيز لهذه المؤتمرات، منها:

أ – لجنة مركز المرأة التابعة للأمم المتحدة.

ب – صندوق الأمم المتحدة للسكان(1).

ج – صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة.

د – برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

هـ – المعهد الدولي للبحث والتدريب من أجل النهوض بالمرأة.

و – جامعة الأمم المتحدة.

ز – معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية.

ح – اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة.

ط – منظمة الأمم المتحدة للطفولة.

ي – مركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل).

ك – مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

ل – منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

وهذه المنظمة الأخيرة التي تعرف باسم: «منظمة اليونسكو»، لها دور فاعل ومميز في هذه المؤتمرات من حيث الإعداد والمشاركة فيها؛ فقد قرر المدير العام لهذه المنظمة إنشاء لجنة استشارية معنية بالمرأة، وعهد إلى هذه اللجنة بإعداد ما يمكن لهذه المنظمة الإسهام به في مؤتمر المرأة الرابع في بكين 1995م، وتهدف هذه المساهمة إلى ما يلي:

– تعزيز نشاط اليونسكو وتفكيرها بشأن موضوعات المؤتمر الثلاثة: المساواة، والتنمية، والسلام، وإبرازها بصورة أوضح.

– تعزيز أهمية نوعية التعليم المقدم إلى البنات والنساء على جميع المستويات، وفي جميع المجالات.

– إشاعة صور إيجابية عن المرأة تبرز مواهبها، وخبراتها، وقدراتها، وإسهامها الفعلي بصفتها عاملاً من عوامل التغيير الاجتماعي.

– تعزيز إمكانيات المرأة في اتخاذ القرار في جميع مجالات اختصاص اليونسكو كالتربية، والاتصال، والعلوم، والثقافة، ومكافحة جميع أشكال التمييز والعنف تجاه المرأة.

– الإسهام في القضاء على القوالب الجامدة التي لا تزال تحدد أدوار وسلوك الرجال والنساء، وتبقي . من ثم . على أشكال التفاوت والتمييز التي تستند إلى الجنس(2).

ثانياً: تاريخ موجز لهذه المؤتمرات:

بدأ اهتمام هيئة الأمم المتحدة بالمرأة منذ عام 1946م، حين أُنشئت لجنة مركز المرأة (وهي هيئة رسمية دولية تتألف من خمس وأربعين من الدول الأعضاء تجتمع سنوياً بهدف عمل مسودات وتوصيات وتقارير خاصة بمكانة المرأة وتقويم تلك الأعمال).

وقد أكد دستور هيئة الأمم المتحدة وميثاقها(3) . الذي أبرم بتاريخ 1945/6/26م . مبدأ عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس، فجعل للرجال والنساء حقوقاً متساوية، كما ورد في نصوص موادها: الأولى والثامنة.

ونشير . هنا . إلى تركيز الأمم المتحدة في اتفاقياتها ومؤتمراتها على قضية المساواة بين المرأة والرجل . بالمفهوم الغربي(1) . بوصفها قيمة عليا من القيم التي قامت عليها الحضارة الغربية، والتي أصبحت من القضايا المسلَّمة التي لا تقبل النقاش

حولها، واستخدمت قضية المساواة هذه في تمرير كثير من القضايا التي تنادي بها الأمم المتحدة لعولمة النموذج الغربي للمرأة في جميع مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والإعلامية.. إلخ.

وقد أكدت المادة الثامنة هذا المفهوم؛ حيث جاء فيها: (لا تفرض الأمم المتحدة قيوداً تحد بها جواز اختيار الرجال والنساء للاشتراك بأي صفة وعلى وجه المساواة في فروعها الرئيسية والثانوية)(2).

وفي عام 1948م صدر (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) شاملاً كافة حقوق الإنسان المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد رجلاً كان أو امرأة.

ففي المادة الثانية ـ مثلاً ـ من هذا الإعلان: (لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسياً وغير سياسي، أو الأصل الوطني، أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر)(3).

كما أكدت الأمم المتحدة(4) ضمن بنود دستورها (ل) و (م)، على حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وحقها في الزواج والاتفاق على الرضا بالزواج والتوصية بذلك، بالإضافة إلى حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة.

وفي عام 1951م اعتمد المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية: (اتفاقية المساواة في الأجور بين العمال والعاملات)(5).

وفي عام 1952م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة (الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة)، وذلك بناء على توصية اللجنة الخاصة بمركز المرأة.

وبالنظر إلى (العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) المتفق عليه، والذي أصدرته الأمم المتحدة في عام (1966م)، نجد أن المادة الثالثة من هذا العهد(6) تنص على ما يلي: (تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد بضمان

مساواة الذكور والإناث في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المنصوص عليها في هذا العهد)(7).

وكذلك صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية) في عام 1966م، ونص في مادته الثالثة على ما يلي: (تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد بكفالة تساوي الرجال والنساء في حق التمتع بجميع الحقوق المدنية والسياسية المنصوص عليها في هذا العهد)(1).

وفي عام 1967م صدر (الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة)، وقد أقرته هيئة الأمم المتحدة مع توصية ببذل أقصى الجهد لتنفيذ المبادئ الواردة فيه للحكومات والمنظمات غير الحكومية والأفراد، والذي ينص على حق المرأة الدستوري في التصويت، والمساواة مع الرجل أمام القانون، وعلى حقوقها في الزواج والتعليم وميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل سواء بسواء(2).

وفي عام 1968م عقد في طهران مؤتمر دولي لحقوق الإنسان تحت إشراف الأمم المتحدة، وسمي: (إعلان طهران 1968م)، ونص في بنده الخامس عشر على أنه: (يتحتم القضاء على التمييز الذي لا تزال المرأة ضحية له في عديد من أنحاء العالم؛ إذ إن إبقاء المرأة في وضع دون وضع الرجل يناقض ميثاق الأمم المتحدة، كما يناقض أحكام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتنفيذ الكامل لإعلان القضاء على التمييز ضد المرأة ضروري لتقدم الإنسانية). أما البند السادس عشر من هذا الإعلان فكان من ضمنه (أن حماية الأسرة والطفل تظل شاغلاً للمجتمع الدولي)(3).

ثم بعد ذلك بدأت الأمم المتحدة في عقد مؤتمراتها الخاصة بالمرأة:

- فعقدت أول مؤتمر عالمي خاص بالمرأة وهو: (مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم)، وذلك في عام 1975م في المكسيك؛ حيث حضرته 133 دولة، واعتمد فيه أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي في المجالات السياسية والاجتماعية والتدريب والعمل على حماية الأسرة.

كما اعتمدت خطة العمل العالمية لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، للأعوام (1976 - 1985م).

- وفي عام 1979م عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤتمراً تحت شعار: (القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة)، وخرج المؤتمرون باتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

وجاءت هذه الاتفاقية لأول مرة بصيغة ملزمة قانونياً للدول التي توافق عليها، إما بتصديقها أو بالانضمام إليها. وقد بلغ عدد الدول التي انضمت إلى هذه الاتفاقية مائة وثلاثاً وثلاثين دولة، إلى ما قبل مؤتمر بكين عام 1995م. وكان من أبرز مواد هذه الاتفاقية:

- الاعتراف بتساوي الرجل والمرأة في الميادين السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، أو في أي ميدان آخر، بغض النظر عن حالتها الزوجية.

- اتخاذ جميع التدابير المناسبة - بما في ذلك التشريعي منها - لتغيير أو إبطال القائم من القوانين، والأنظمة، والأعراف، والممارسات التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

- تعديل الأنماط الاجتماعية والثقافية للقضاء على العادات القائمة على فكرة تفوق أحد الجنسين، أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة.

- القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور الرجل والمرأة على جميع مستويات التعليم، وفي جميع أشكاله، عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم.

- تمنح الدول الأطراف المرأة في الشؤون المدنية أهلية قانونية مماثلة لأهلية الرجل، ونفس فرص ممارسة تلك الأهلية.

- أن يكون للمرأة نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسؤولية عدد أطفالها، والفترة بين إنجاب طفل وآخر.

- نفس الحقوق والمسؤوليات فيما يتعلق بالولاية، والقوامة، والوصاية على الأطفال وتبنيهم(1).

- وفي عام 1980م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم) في (كوبنهاجن) بالدانمارك وهو المؤتمر الثاني الخاص بالمرأة؛ وذلك لاستعراض وتقويم التقدم المحرز في تنفيذ توصيات المؤتمر

العالمي الأول للسنة الدولية للمرأة الذي عقد عام 1975م في المكسيك، ولتعديل البرامج المتعلقة بالنصف الثاني من العقد الأممي للمرأة.

- وفي عام 1985م عقد (المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم) في (نيروبي) . المؤتمر الثالث الخاص بالمرأة ـ والذي عرف باسم: (استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة) وذلك من عام 1986م حتى عام 2000م. وقد شارك فيه سبع وخمسون ومائة دولة. وقد بين المؤتمر أهداف وغايات العقد الأممي، وشدد على صحتها بالنسبة إلى المستقبل، وبين الحاجة إلى اتخاذ تدابير ملموسة للتغلب على العقبات التي تعترض سبيل إنجازها أثناء الفترة 1986-2000م.

- وفي عام 1995م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة) في (بكين). وقد دعت فيه إلى مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق أهداف استراتيجيات نيروبي التطلعية للنهوض بالمرأة بنهاية القرن الحالي.

ويعتبر هذا المؤتمر متميزاً عن المؤتمرات الأخرى التي تبنتها الأمم المتحدة؛ حيث دعت فيه بصراحة وبوضوح إلى العديد من الأمور التي فيها مخالفة للشريعة الإسلامية، بل فيها مخالفة للفطرة التي فطر الله ـ تعالى ـ الناس عليها. مثل:

الدعوة إلى الحرية والمساواة - بمفهومهما المخالف للإسلام ـ والقضاء التام على أي فوارق بين الرجل والمرأة، دون النظر فيما قررته الشرائع السماوية، واقتضته الفطرة، وحتمته طبيعة المرأة وتكوينها.

وكذلك الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً؛ ومن ذلك: السماح بحرية الجنس، والتنفير من الزواج المبكر، والعمل على نشر وسائل منع الحمل، والحد من خصوبة الرجال، وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره، وكذلك التركيز على تقديم الثقافة الجنسية للجنسين بسن مبكرة، وتسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف.

كما أن في هذا المؤتمر إعلاناً للإباحية، وسلباً لقوامة الإسلام على العباد، وسلباً لولاية الآباء على الأبناء، وقوامة الرجال على النساء.

بالإضافة إلى هذه المؤتمرات الخاصة بالمرأة فهناك مؤتمرات أقامتها الأمم المتحدة خاصة بالسكان، إلا أنها ناقشت في وثائقها قضايا متعلقة بالمرأة وبالعقد الأممي الخاص بالمرأة، وهي:

– المؤتمر العالمي الأول للسكان في (رومانيا) عام 1974م. وقد اعتمدت في هذا المؤتمر خطة عمل عالمية، جاء فيها:

* الدعوة إلى تحسين دور المرأة ودمجها الكامل في المجتمع.

* الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل.

* الدعوة إلى تحديد النسل، وتخفيض المرأة لمستوى خصوبتها.

– (المؤتمر الدولي المعني بالسكان) في (المكسيك) عام 1984م . وقد جاء في هذا المؤتمر:

* الدعوة إلى إعطاء المرأة حقوقها المساوية لحقوق الرجل في جميع مجالات الحياة.

* الدعوة إلى رفع سن الزواج، وتشجيع التأخر في الإنجاب.

* إشراك الأب في الأعباء المنزلية، وإشراك المرأة في المسؤولية على الأسرة.

* الإقرار بالأشكال المختلفة والمتعددة للأسرة.

* الدعوة إلى التثقيف الجنسي للمراهقين والمراهقات.

* الإقرار بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة.

* تقديم الدعم للزناة والزانيات، بتقديم الدعم المالي، وتوفير السكن المناسب لهم.

** وفي عام 1994م أقيم (المؤتمر الدولي للسكان والتنمية) في (القاهرة). وقد نوقشت في هذا المؤتمر قضايا شبيهة تماماً بالقضايا التي سبق ذكرها في المؤتمر الرابع للمرأة ببكين؛ فقد أكد قضية المساواة بين الجنسين وأفرد لها فصلاً مستقلاً (1). وأما التنمية فإن عنوان المؤتمر أشار إلى ذلك، فضلاً عن قضايا تنمية المرأة التي نوقشت في ثنايا المؤتمر.

ومؤتمر السكان والتنمية هذا يعد من المؤتمرات التي أثارت وثيقته ضجة واسعة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي؛ بسبب مخالفتها للشرائع السماوية وللفطرة السليمة.

كما أقيمت مؤتمرات أخرى للأمم المتحدة نوقشت فيها بعض قضايا المرأة؛ فمن هذه المؤتمرات:

– (المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع) المنعقد في (جومتيان – تايلاند) عام 1990م الذي تم فيه الإعلان العالمي لتوفير التعليم للجميع.

– (مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل) المنعقد في (نيويورك) عام 1990م الذي أكد فيه ما ورد في اتفاقية حقوق الطفل التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1989م. ومن ذلك: حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين، والدعوة إلى سلب ولاية الآباء على الأبناء؛ وذلك من خلال الدعوة إلى تمكين الطفل من الحصول على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية.

– (المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية) المنعقد في (ريودي جانيرو . البرازيل) عام 1992م الذي أشير فيه إلى حقوق النساء في التحكم في قدرتهن على الإنجاب، والدعوة إلى إنشاء مرافق صحية وقائية وعلاجية للرعاية الصحية التناسلية تكون مأمونة وفعالة، وكذلك الدعوة إلى تحديد النسل.

وكذلك المطالبة بتحسين مركزهن الاجتماعي والاقتصادي، ومن ذلك وضع استراتيجيات للقضاء على العقبات الدستورية، والقانونية، والإدارية، والثقافية، والسلوكية، والاجتماعية، والاقتصادية التي تحول دون مساواة المرأة بالرجل.

– (المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان) في (النمسا)، عام 1993م. وقد حث هذا المؤتمر على تمتع المرأة تمتعاً كاملاً . وعلى قدم المساواة . بجميع حقوق الإنسان السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها من الحقوق . بالمفهوم الغربي لهذه الحقوق .، وأن يكون هذا الأمر أولوية من أولويات الحكومات.

وكذلك أكد على قضايا تخص المرأة مثل قضية المساواة التامة مع الرجل، وأهمية إدماج المرأة في عملية التنمية بوصفها فاعلة ومستفيدة من هذه العملية.

وكذلك حث هذا المؤتمر على استئصال جميع أشكال التمييز ضد المرأة . الخفية منها والعلنية على السواء . وطالب هذا المؤتمر بالتصديق العالمي من قبل جميع الدول على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بحلول عام 2000م.

– (إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضاء على العنف ضد النساء)، وذلك في عام 1993م.

- (مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية) الذي أقيم في (كوبنهاجن) عام 1995م الذي تم فيه الإقرار بأشكال الأسرة المختلفة، والدعوة إلى المساواة بين المرأة والرجل، ومن ذلك إسقاط قوامة الرجل على المرأة داخل الأسرة، ودعوة الرجل لتحمل الأعباء المنزلية، ودعوة المرأة للخروج للمساهمة في سوق العمل.

وكذلك إزالة القيود المفروضة على المرأة في وراثة الممتلكات.

- (مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية) (الموئل الثاني) الذي انعقد في (تركيا) عام 1996م ودعا إلى كفالة مشاركة النساء . مشاركة تامة وعلى قدم المساواة مع الرجال . في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. وكذلك الالتزام بهدف المساواة بين الجنسين في تنمية المستوطنات البشرية، وكذلك الالتزام بإدماج الاعتبارات المتعلقة بنوع الجنس (جندر) في التشريعات، والبرامج والمشاريع المتصلة بالمستوطنات البشرية، عن طريق التحليل الذي يراعي نوع الجنس.

كما تم الاعتراف بالأشكال المختلفة للأسرة. وأيضاً دعا هذا المؤتمر إلى إجراء إصلاحات تشريعية وإدارية؛ من أجل الحصول الكامل . وعلى قدم المساواة – على الموارد الاقتصادية، بما في ذلك الميراث، والائتمان.

- (مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام 2000م المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين) الذي انعقد في (نيويورك).

وقد تضمنت وثيقة هذا المؤتمر التحضيرية ما يلي:

* الدعوة إلى الحرية الجنسية والإباحية للمراهقين والمراهقات والتبكير بها مع تأخير سن الزواج. وأوجدوا مسمىً جديداً للداعرات وهو: (عاملات الجنس)، وتشجيع جميع أنواع العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة الشرعية (رجلاً وامرأة)، وتهميش دور الزواج في بناء الأسرة.

* إباحة الإجهاض.

* تكريس المفهوم الغربي للأسرة، وأنها تتكون من شخصين يمكن أن يكونا من نوع واحد (رجل + رجل، أو امرأة + امرأة).

* تشجيع المرأة على رفض الأعمال المنزلية، بحجة أنها أعمال ليست ذات أجر.

* المطالبة بإنشاء محاكم أسرية من أجل محاكمة الزوج بتهمة اغتصاب زوجته.

* إباحة الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق)، بل الدعوة إلى مراجعة ونقض القوانين التي تعتبر الشذوذ الجنسي جريمة.

* فرض مفهوم المساواة الشكلي المطلق، والتماثل التام بين الرجل والمرأة في كل شيء بما في ذلك الواجبات: كالعمل، وحضانة الأطفال، والأعمال المنزلية، وفي الحقوق: كالميراث.

* المطالبة بإلغاء التحفظات التي أبدتها بعض الدول الإسلامية على وثيقة مؤتمر بكين 1995م.

ويعتبر أهم هدف في هذا المؤتمر هو: الوصول إلى صيغة نهائية ملزمة للدول بخصوص القضايا المطروحة على أجندة هذا المؤتمر، والتي صدرت بحقها توصيات ومقررات في المؤتمرات الدولية السابقة، تحت إشراف الأمم المتحدة.

ولأهمية هذا المؤتمر وتعويل التيار النسوي العالمي عليه؛ فقد أقيمت عدة مؤتمرات إقليمية لمتابعة توصيات مؤتمر بكين، والتمهيد لهذا المؤتمر المسمى: «المؤتمر التنسيقي الدولي للنظر في نتائج وتطبيق قرارات المؤتمرات الأممية للمرأة». ومن هذه المؤتمرات الإقليمية:

- اجتماع في نيويورك في عام 2000م، تحت شعار (بكين +5 (ـ إشارة إلى السنوات الخمس التي مضت على مؤتمر بكين . وقد جرى في هذا الاجتماع محاولة لإدخال تعديلات على وثيقة مؤتمر بكين.

- (مؤتمر المرأة الخليجية) في البحرين، في شهر مارس تحت شعار (الفرص، والمعوقات، والأدوار المطلوبة) الذي نظمته جمعية فتاة البحرين، وشارك فيه عدد من الشخصيات النسائية والرجالية من كل دول الخليج.

- (مؤتمر تونس) في 1999م لدول المغرب العربي.

- (المؤتمر النسائي الأفريقي السادس) في 1999م في أديس أبابا، نظمه المركز الأفريقي التابع للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية.

- مؤتمر – شبيه لما سبق – في عمان بالأردن، وفي بيروت، وذلك في أواخر عام 1999م، نظمته اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغرب آسيا.

ثالثاً: أهم السلبيات التي دعت إليها هذه المؤتمرات وهي كما يلي:

1 – ما يتعلق بالجانب الأخلاقي والاجتماعي، ومن ذلك(1):

أ – الدعوة إلى حرية العلاقة الجنسية المحرمة، واعتبار ذلك من حقوق المرأة الأساسية.

ب – توفير خدمات الصحة الجنسية والإنجابية للمرأة.

ج – نشر وسائل منع الحمل ذات النوعية الجيدة، ومنع حالات الحمل غير المرغوب فيه، والدعوة إلى منع حالات الحمل المبكر.

د – الدعوة إلى تحديد النسل.

هـ – الاعتراف بحقوق الزناة والزانيات.

و – الاعتراف بالشذوذ الجنسي.

ز – السماح بأنواع الاقتران الأخرى غير الزواج.

ح – التنفير من الزواج المبكر، وسن قوانين تمنع حدوث ذلك.

ط – إنهاء تبعية المرأة والبنت من الناحية الاجتماعية.

ي – سلب قوامة الرجال على النساء.

ك – سلب ولاية الآباء على الأبناء.

2 – ما يتعلق بالجانب التعليمي(2):

أ – تشجيع التعليم المختلط.

ب – الدعوة إلى المساواة في مناهج التعليم.

ج – الدعوة إلى التثقيف والتربية الجنسية.

3 – ما يتعلق بالجانب الصحي(3)، وأهم السلبيات في هذا الجانب:

أ – الأمراض الجنسية، ومن ذلك:

– الدعوة إلى أن يكون السلوك الجنسي المأمون، والوقاية من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي جزءاً لا يتجزأ من خدمات الصحة الجنسية والإنجابية، مع ضمان السرية والخصوصية للمراهقين والمراهقات فيما يتعلق بهذا الجانب.

– تيسير انتشار وتوزيع الواقيات الذكرية (الرفالات) بين الذكور على نطاق واسع وبأسعار زهيدة.

– القضاء على التمييز ضد الأشخاص المصابين بالإيدز.

- ضمان عدم تعرض المصابات بالإيدز للنبذ والتمييز بما في ذلك أثناء السفر.
- تقديم ما يلزم من الرعاية والتعاطف للرجال والنساء المصابين بالإيدز.
- الاعتراف بهذه العلاقات الجنسية المحرمة، والتي تسبب هذه الأمراض الجنسية.

ب - الإجهاض، ومن ذلك:

- الدعوة إلى أن يكون الإجهاض غير مخالف للقانون، وأن يكون مأموناً طبياً.
- الدعوة إلى إلغاء القوانين التي تنص على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضاً غير قانوني.
- الدعوة إلى أن يكون الإجهاض حقاً من حقوق المرأة، وتيسير حصولها على هذا الحق، عندما تريد إنهاء حملها.
- الدعوة إلى إنشاء مستشفيات خاصة للإجهاض.
- الدعوة إلى قتل الأجنة داخل الأرحام، بحجة أنه غير مرغوب فيه.

ج - ختان المرأة، ومن ذلك:

- حث الحكومات على حظر بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للإناث.
- أن يكون التنفير الفعال من الممارسات الضارة - مثل بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للأنثى جزءاً لا يتجزأ من برامج الرعاية الصحية الأولية.
- أن إزالة أجزاء من الأعضاء التناسلية للإناث يشكل انتهاكاً للحقوق الأساسية للمرأة، ويعتبر من العنف والتمييز الواقع عليها.
- تضخيم الآثار السلبية الطبية، من جراء عملية ختان المرأة.
- سن وإنفاذ قوانين لمواجهة مرتكبي ممارسات العنف ضد المرأة - ومنها ختان الإناث.

4 - ما يتعلق بالجانب الاقتصادي، ومن ذلك(1):

أ - التقليل من عمل المرأة داخل المنزل، واعتبار ذلك عملاً ليس له مقابل، ومن ثم فهو من أسباب فقر المرأة.

ب - الدعوة إلى خروج المرأة للعمل المختلط.

ج - الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل فيما يتعلق بالعمل (نوعية العمل ووقته).

د – دعوة الحكومات للقيام بإصلاحات تشريعية وإدارية لتمكين المرأة من الحصول الكامل على الموارد الاقتصادية، كحقها في الميراث بالتساوي مع الرجل.

هـ – تيسير حصول المرأة على الائتمانات (القروض الربوية).

5 – ما يتعلق بالجانب السياسي، ومن ذلك(2):

أ – دعوة الحكومات والمنظمات لاتخاذ إجراءات من أجل مشاركة المرأة في الأنشطة السياسية.

ب – ضمان حق التصويت للمرأة، وحقها في الانتخاب.

ج – تشجيع الأحزاب السياسية على تعيين مرشحات من النساء من أجل انتخابهن على قدم المساواة مع الرجل.

د – الدعوة لإصدار تعليمات حكومية خاصة لتحقيق تمثيل منصف للمرأة في مختلف فروع الحكومة.

هـ – الدعوة لتمثيل المرأة تمثيلاً منصفاً على جميع المستويات العليا في الوفود، كوفود الهيئات والمؤتمرات واللجان الدولية التي تعالج المسائل السياسية والقانونية ونزع السلاح، وغيرها من المسائل المماثلة.

و – حق المرأة في أن تكون رئيسة دولة، أو رئيسة وزراء، أو وزيرة.

رابعاً: أهم جوانب الخطورة في هذه المؤتمرات، وهي:

أ – أن القاسم المشترك بينها هو المرأة، ومساواتها التامة بالرجل في كافة مجالات الحياة المختلفة، وكذلك الجنس، والحرية المطلقة.

ب – أنها تستظل بمظلة الأمم المتحدة، وتستثمر شعارات العولمة وأدبياتها.

ج – أنها توظف سلطان الدول الكبرى سياسياً واقتصادياً وحضارياً لفرض تنفيذ توصياتها.

د – أن الهدف النهائي لها هو: عولمة الحياة الاجتماعية بالمفهوم الغربي الإباحي.

خامساً: بعض إيجابيات هذه المؤتمرات:

الأمور السابقة هي أبرز سلبيات مؤتمرات الأمم المتحدة – في نظري – حول المرأة. إلا أنه إحقاقاً للحق وحكماً بالعدل، وامتثالاً لقول الله . تعالى .: {ولا يّجًرٌمّنَّكٍمً شّنّآنٍ

قَوَّمُ عَلَى أَلاَّ تَعَدَّلِوا اعَدِّلِوا هِوَ أَقَّرَبِ لُلتَّقَوّى} [المائدة: 8]، فإن هذه المؤتمرات قد دعت إلى أمور تخص المرأة، وتعتبر أموراً إيجابية، ومن ذلك:

أ – الدعوة إلى تعليم المرأة، وإزالة الأمية عنها.

ب – الدعوة إلى مكافحة الأمراض السارية عند النساء، خاصة في البيئات الفقيرة.

ج – الدعوة إلى الرضاعة الطبيعية، بالنسبة للأم.

د – محاربة الاتجار بالمرأة والطفل، واستغلالهما جنسياً، من خلال شبكات وعصابات دولية متخصصة في هذا المجال، واعتبار ذلك جريمة دولية محرمة.

هـ – تشجيع وسائط الإعلام على الامتناع عن تصوير المرأة على أنها مخلوقة أدنى منزلة من الرجل، وكذلك عدم استغلالها مادة وسلعة في سوق الجنس.

و – الدعوة إلى المساواة في الأجور بين الجنسين لنفس العمل، وبنفس الجودة.

ز – الدعوة إلى إعطاء إجازة أمومة للمرأة العاملة.

ح – مكافحة التحرش الجنسي ضد المرأة من قِبَل الرجل في مواقع العمل وغيرها.

ط – مسؤولية الوالدين عن تربية الطفل وتنشئته تنشئة سوية.

ي – منع استغلال المرأة جنسياً من خلال النزاع المسلح، أو من خلال استغلال ظروف اللاجئات وفقرهن.

ك – التحذير من وأد البنات، والانتقاء الجنسي قبل الولادة.

سادساً: المواقف والظواهر السلبية والإيجابية حول هذه المؤتمرات في العالم العربي والإسلامي:

1 – الظواهر والمواقف السلبية، ومنها:

أ – مشاركة بعض الجمعيات النسائية العربية والإسلامية في الإعداد لهذه المؤتمرات والمشاركة في اللجان التحضيرية، بل إن بعض الجلسات التحضيرية لمؤتمر بكين – مثلاً – عقدت في الأردن، وبمشاركة بعض الجمعيات النسائية فيها.

ب – تزايد نشاط التيار النسوي الوافد بما يحمله من فكر تغريبي، ومثاله: الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية بالمغرب، وما قامت به الهيئات المساندة لمشروع الخطة من تنظيم مسيرات تأييد من 8 مارس/ آذار . 17 أكتوبر/ تشرين الأول 2000م.

ج – تزايد التمويل الأجنبي المشبوه لمنظمات نسوية، أو معنية بشؤون المرأة والأسرة في العالم العربي.

د – بداية الاتجاه لإعادة النظر في قوانين الأسرة – أو ما يسمى بالأحوال الشخصية – في العالم الإسلامي، كما حصل في مصر.

هـ – طرح مناقشات وبرامج تجاه المرأة في المجتمعات المحافظة، كما هو الأمر في بعض دول الخليج.

2 – بعض المواقف والظواهر الإيجابية، ومنها:

أ – قيام عدد من الهيئات الإسلامية باستنكار بعض ما ورد من وثائق لهذه المؤتمرات وخاصة الأخيرة منها، ومنها: موقف هيئة كبار العلماء في السعودية، وموقف الأزهر في مصر حول وثيقتي مؤتمري السكان في القاهرة، والمرأة في بكين.

ب – ازدياد ظاهرة الوعي الإسلامي بهذه المؤتمرات المشبوهة، ورصد المؤامرة وكشفها.

ج – وجود بعض الفعاليات الإسلامية ضد التيار التغريبي، مثل:

د – مؤتمر الاتحاد النسائي العالمي من 25 . 27 فبراير 2000م، وهذا الاتحاد هو مؤسسة دولية غير حكومية، ذات صبغة استشارية لدى المؤتمر الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة، تأسس عام 1996م للدفاع عن الممارسات الظالمة ضد المرأة، والتي تخالف الدين وكرامة الإنسان، ومقره الخرطوم، وهذا الاتحاد ونشاطاته عليه بعض الملاحظات، إلا أننا نقدر الهدف الذي من أجله نشأ وأقام مؤتمره.

هـ – اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل (ممثلة رابطة العالم الإسلامي)، والتقرير الذي أعدته، والمعنون بـ (التقرير البديل)، والمقدم إلى لجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة بوصفها اللجنة التحضيرية للدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة، والتي عنوانها: «المرأة عام 2000م» تحت شعار: (مساواة النوع الاجتماعي والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين).

هـ – ما قامت به الندوة العالمية للشباب الإسلامي من خلال المؤتمر الصحفي الذي عقده أمينها العام د. مانع الجهني في 20 صفر 1421هـ، لكشف أبعاد ما في وثيقة (مؤتمر بكين + 5) من مخططات إفسادية.

وغيرها من الظواهر والمواقف الإيجابية.

سابعاً: كيفية مواجهة هذه المؤتمرات المعولمة للحياة الاجتماعية (أو الموقف من هذه المؤتمرات):

إن الوعي بأهداف هذه المؤتمرات، وما تدعو إليه، ومن يقف وراءها يجعلنا نتمكن من اختيار الطريقة المناسبة لكيفية مواجهتها، واتخاذ الموقف المناسب تجاهها. وهذه الطريقة ذات اتجاهين: موقف نظري معرفي، وموقف عملي.

فالموقف النظري المعرفي يقوم على ما يلي:

1 – كشف سوءاتها وعوارها للجمهور الإسلامي، وبيان مراميها، ومخالفتها لمقاصد الشريعة، وأنها أحد أذرعة العولمة المعاصرة؛ وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة (المقروءة، والمسموعة، والمرئية)، والندوات، والمحاضرات؛ وذلك من قبل العلماء، والدعاة، وطلاب العلم، والمثقفين الإسلاميين، والإعلاميين، والقيادات النسائية، وتحميلهم المسؤولية في بث الوعي العام؛ للوصول إلى تحصين داخلي قوي.

2 – أن تقوم الوزارات والهيئات والمؤسسات الإسلامية (الرسمية وغير الرسمية)، كوزارات الخارجية، والشؤون الإسلامية، والشؤون الاجتماعية، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وهيئة كبار العلماء، وعلماء الأزهر، ودور الإفتاء، وكل من يقوم على أمور المسلمين بأداء دورهم اللازم، وتكوين حضور قوي في الداخل والخارج، ومن ذلك إصدار بيانات تستنكر هذه المؤتمرات وأهدافها الخبيثة، ونشر هذه البيانات وتغطيتها تغطية إعلامية حتى يتبين الأمر للجمهور الإسلامي.

3 – كشف زيغ التيار النسوي التغريبي في العالم الإسلامي والعربي، وأنه جزء من تيار الزندقة المعاصر، والمدعوم من هيئات مشبوهة خارجية.

4 – قيام الجهات الخيرية الإسلامية والأقسام النسائية فيها على وجه الخصوص، والجمعيات الخيرية النسائية، بتحمل مسؤولياتها، والتنسيق فيما بينها، وإصدار وثيقة للأسرة المسلمة تؤصِّل فيها الرؤية الشرعية حول المرأة وحقوقها الأساسية في الإسلام، وكذلك الأسرة ومفهومها الشرعي.

وكذلك القيام بالمناشط الدعوية التثقيفية لمختلف شرائح المجتمع.

5 - عمل رصد إعلامي جاد لكل فعاليات المؤتمرات الدولية والإقليمية، ومتابعة الخطوات الفعلية لتنفيذ توصيات المؤتمرات السابقة التي ناقشت قضايا المرأة، وإصدار ملاحق صحفية؛ لبيان الموقف الشرعي من هذه المؤتمرات وتوصياتها.

6 - إقامة أسابيع ثقافية في المدارس والجامعات؛ لبيان مخالفة مثل هذه المؤتمرات لمقاصد الشريعة الإسلامية.

7 - ممارسة ضغوط شعبية قوية على وسائل الإعلام المختلفة التي تقوم بالترويج والتغطية السيئة لهذه المؤتمرات لتكف عن ذلك.

8 - اعتماد إدخال الأسرة في مناهج التعليم في المرحلة المتوسطة والثانوية للبنين والبنات، ويشتمل هذا المنهج . بوصفه صيغة مقترحة . على: قيمة الأسرة، ومكانة المرأة في الإسلام، والمفهوم الشرعي للعلاقة بين الرجل والمرأة، والحقوق الزوجية، والوسائل الفعالة في تربية الأولاد، وبيان الأفكار المتصادمة مع الفطرة، ويشتمل هذا المنهج . أيضاً . على عرض تاريخي للجهود الدولية في إفساد الأسرة والمرأة المسلمة، وعولمة الحياة الاجتماعية . عموماً . عن طريق هذه المؤتمرات العالمية، وبيان أهدافها الخبيثة الحالية والمستقبلية.

9 - تكوين هيئات عليا للنظر في كل ما يتعلق بالأسرة من النواحي النفسية، والثقافية، والصحية، وتفعيل دور وزارات الشؤون الاجتماعية للقيام بدور فاعل للاستجابة لمتطلبات الأسرة المسلمة.

10 - تفعيل دور الأئمة والخطباء، وإعطاؤهم دورات تثقيفية حول هذه المؤتمرات، والإيعاز إليهم بتكثيف التوعية بخطورة مثل هذه المؤتمرات وتوصياتها على الأجيال القادمة . مع تجنب العنف والإثارة ..

أما الموقف العملي فيقوم على ما يلي:

1 - المشاركة الفعالة في هذه المؤتمرات، وطرح البديل الإسلامي في المسألة الاجتماعية، وكشف عوار الحياة الغربية الاجتماعية - كلما أمكن -.

وحجة القول بهذا الرأي: أن الضعيف إذا قاطع مثل هذه المؤتمرات لا تؤثر مقاطعته، وبذلك تسود وجهة نظر القوي. بينما إذا قاطع القوي فإن مقاطعته ستؤثر.

وكنموذج لهذا الكلام فإن مقاطعة الولايات المتحدة الأمريكية لمنظمة اليونسكو قد أضعفتها كثيراً.

والمسلمون . اليوم . ضعفاء أمام أصحاب وجهات النظر الأخرى؛ فمقاطعتهم لا تؤثر، بخلاف لو حضروا وطرحوا ما عندهم بقوة، وأبدوا ما لديهم من تحفظات؛ فإن هذا يقطع الطريق على تفرد وجهة النظر الغربية في هذه المؤتمرات؛ حيث يعلم البشر أنه يوجد وجهة نظر أخرى في المسألة الاجتماعية؛ خاصة إذا علمنا أن قرارات هذه المؤتمرات ملزمة إلى حد كبير.

ومما يؤكد هذا الاتجاه – أي المشاركة – ما حصل في مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة/1994م ومؤتمر المرأة الرابع في بكين/1995م؛ حيث كان لمشاركة الوفود والهيئات الإسلامية دور واضح في رفض وتعديل بعض توصيات هذين المؤتمرين.

2 – تأسيس مراكز متخصصة لمتابعة النشاط النسوي التغريبي العالمي والإقليمي، ومعرفة ما يتعلق به من مؤتمرات، من حيث: مواعيد إقامتها، وأوراق العمل التي ستقدم فيها، والاجتماعات التحضيرية لها، وغير ذلك؛ حتى يتمكن المهتمون بهذا الجانب من مقاومة أفكار هذه المؤتمرات بكل جدية وسرعة، وتقديم الأبحاث، والرؤية، والرأي لأصحاب الشأن العلمي، والاجتماعي، والشرعي لإعانتهم على تشكيل الموقف الصحيح عند الحاجة، وكذلك كشف الوجه الآخر البشع للحياة الاجتماعية الغربية، وتقديم الإحصاءات، ورصد الظواهر في تلك المجتمعات؛ حتى يتبين لهم أنه الحق.

3 – الاستفادة من بعض الجمعيات النسائية الغربية – المناهضة والمعارضة لبعض أفكار هذه المؤتمرات – وذلك من خلال الاستفادة من نفوذها في بلدانها، وكذلك ما يتوفر لديها من معلومات وحقائق عن مجتمعاتها وعن بعض الاجتماعات السرية التي تدور من خلف الكواليس؛ وخاصة أن كثيراً من هذه الجمعيات لها مواقع على شبكة المعلومات العنكبوتية؛ فيمكن من خلال «الإنترنت» التواصل معهم، والحصول على المعلومات منهم.

____

(*) باحث يحضر شهادة الدكتوراة في موضوع بعنوان: (قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية.. دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(1) انظر: مجلة المجتمع، العدد 1402، بتاريخ 1421/2/26هـ.

(1) بدأ هذا الصندوق عملياته في عام 1966م؛ وذلك للأغراض الآتية .كما ورد هذا في موقع الصندوق على الشبكة العنكبوتية .:

أ – المساعدة على إيجاد برامج الصحة الإنجابية، بما في ذلك تنظيم الأسرة، والصحة الجنسية . أي الدعوة إلى الحرية الجنسية المأمونة طبياً!! ..

ب – حل المشاكل المقترنة بسرعة النمو السكاني.

ج – مساعدة البلدان النامية . بناء على طلبها!! . في حل مشاكلها السكانية.

د – العمل على تحسين الصحة الإنجابية.

هـ – المناداة بالمساواة بين الجنسين، وبتمكين المرأة، والسعي إلى تثبيت تعداد سكان العالم. انظر: http:// www.unfpa.org. ويشرف هذا الصندوق على الإعداد للمؤتمرات العالمية السكانية.

(2) المصدر: مطبوعة للأمم المتحدة بعنوان: «القرارات والتدابير التي اتخذتها منظمات الأمم المتحدة، والتي تهم اليونسكو في دورة المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، في دورته الرابعة والأربعين بعد المائة»، ص 32، 33.

(3) انظر: هذا الدستور في موقع الأمم المتحدة، وعنوانه: http://www.un.org/arabic/aboutun/charter/ charter.

(1) القائم على مفهوم التماثلية التامة (لا التكاملية) بين المرأة والرجل، دون اعتبار لأي فروق بينهما، سواء كانت فروقاً جسدية، أو نفسية، أو عقلية، (وهي ما تسمى علمياً بالفروقات البيولوجية، والفسيولوجية، والسيكولوجية)، هذه الفروق التي اعترف بها علماء الغرب أنفسهم من خلال دراساتهم وأبحاثهم، فضلاً عن المفهوم الإسلامي للمساواة بين المرأة والرجل القائم على مفهوم التكامل بينهما، واختصاص كل منهما بخصائص تختلف عن الآخر؛ بحيث يكمل كل منهما الآخر، ويقوم بما أوجبه الله

عليه في عمارة هذا الكون، دون أي تمييز بينهما، وليس هذا مجال التفصيل في هذه القضية.

(2) مجموعة الصكوك الدولية للأمم المتحدة نيويورك 1983م، نقلاً عن كتاب المرأة في الإسلام، سامية منيسي، ص 165.

(3) اعتمد هذا الإعلان ونشر بقرار الجمعية العام 217 (أ) (د .3) المؤرخ في 10 كانون الأول . ديسمبر 1948م. انظر: حقوق الإنسان في الإسلام، محمد الزحيلي، ص 393، وحقوق الإنسان، محمود بسيوني، ص 17.

(4) المرأة في الإسلام، سامية منيسي، ص 165. (5) انظر: حقوق الإنسان، محمود بسيوني وآخرون، ج 1، ص 90.

(6) اعتمد هذا العهد الدولي وعرض للتوقيع والتصديق بقرار الجمعية العامة 2200 (أ) (د . 21) المؤرخ في 16 كانون الأول / ديسمبر 1966م، وتاريخ بدء النفاذ: 3 كانون الثاني/ يناير 1976م، طبقاً للمادة 27.

(7) حقوق الإنسان، محمود بسيوني، ج 1، ص 23.

(1) حقوق الإنسان، محمود بسيوني، ج 1 ، ص 32.

(2) حقوق الإنسان، محمود بسيوني، ج 1 ، ص 93. (3) المرجع السابق، ج 1، ص 49.

(1) حقوق الإنسان، محمود بسيوني، ج 1 ، ص 97 . 107.

(1) هو الفصل الرابع، وعنوانه: (المساواة بين الجنسين والإنصاف وتمكين المرأة).

(1) انظر: وثيقة المؤتمر العالمي .كوبنهاجن، 1980م، الصفحات: 6، 26، 28، 35، 39، 44، 51. ووثيقة المؤتمر العالمي للمرأة . نيروبي، 1985م، الصفحات: 28، 31، 46، 55، 57، 58، 61، 79، 80، 106. ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة . بكين، 1995م، الصفحات: 6، 11، 18، 41، 46، 47، 48، 51، 55، 56، 57، 58، 61، 63، 101، 103، 105، 106، 142، 144، 148.

ووثيقة المؤتمر الدولي المعني بالسكان . مكسيكو، 1984م، الصفحات: 3، 4، 12، 13، 21، 23، 27، 29، 30، 31، 32، 42. ووثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية . القاهرة، 1994م، الصفحات: 11، 14، 21، 24، 25، 27، 29، 30،

31، 32، 33، 36، 37، 41، 43، 44، 45، 47، 49، 50، 52، 53، 55، 56، 65، 66، 67، 87، 88، 92، 93، 95، 102، 104، 110، 108، 112، 115. ووثيقة المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية . ريودي جانيرو، 1992م، الفصل (24) ص 400، 401.

(2) انظر: وثيقة المؤتمر العالمي للمرأة . كوبنهاجن، 1980م، الصفحات: 28، 39. ووثيقة المؤتمر العالمي للمرأة . نيروبي، 1985م، الصفحات: 35، 57، 61، 248. ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة . بكين، 1995م، الصفحات: 35، 41، 46، 55، 56، 142، 147، 148. ووثيقة المؤتمر الدولي المعني بالسكان . مكسيكو، 1984م، ص 31. ووثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية . القاهرة، 1994م، الصفحات: 30، 37، 44، 45، 52، 53، 54، 55، 56، 84، 85، 89.

(3) انظر: وثيقة المؤتمر العالمي للمرأة . كوبنهاجن، 1980م، ص 37. ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة . بكين، 1995م، الصفحات: 21، 46، 48، 52، 55، 56، 58، 59، 60، 61، 62، 64، 68، 125، 141، 142، 146، 150. ووثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية . القاهرة، 1994م، الصفحات: 29، 32، 44، 45، 49، 50، 52، 53، 54، 55، 59، 66، 67، 93.

(1) انظر: وثيقة المؤتمر العالمي للمرأة . كوبنهاجن، 1980م، الصفحات: 22، 30، 31، 33، 46، 51. ووثيقة المؤتمر العالمي للمرأة . نيروبي، 1985م، الصفحات: 26، 27، 31، 32، 45، 50، 51، 52، 53، 65، 75، 106، 143، 146، 167. ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة . بكين، 1995م، الصفحات: 7، 8، 16، 18، 22، 25، 26، 31، 32، 33، 34، 87، 88، 90، 91، 95، 96، 98، 99، 100، 102، 113، 144، 196، 204، 207. ووثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية . القاهرة، 1994م، الصفحات: 26، 28، 31. ووثيقة المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية . ريودي جانيرو، 1992م، الفصل (24) الصفحات: 400، 401، 403. ووثيقة مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية . كوبنهاجن، 1995م، الصفحات: 21، 52، 57، 73، 76، 78.

(2) انظـر: وثيقـة المؤتمر العـالمي للمرأة .كوبنهـاجن، 1980م، الصـفحات: 23، 148. ووثيقة المؤتمر العالمي للمرأة .نيروبي، 1985م، الصفحات: 19، 25، 26، 34، 36، 37، 85، 94، 115، 124، 127. ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعنـي بـالمرأة .بكـين، 1995م، الصـفحات: 6، 14، 15، 18، 23، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 125، 195.

ووثيقة المؤتمر الدولي المعني بالسكان .مكسيكو، 1984م، ص 20. ووثيقة المؤتمر العـالمي للبيئـة والتنميـة .ريودي جـانيرو، 1992م، ص 403. ووثيقة مؤتمر القمـة العالمي للتنمية الاجتماعية .كوبنهاجن، 1995م، الصفحات: 20، 37، 87.

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

============

#العولمة .. ملاحظات نفسية

د.حسان المالح

استشاري الطب النفسي

تتميـز العولمـة بجملـة من التغيرات الاقتصـادية والتقنيـة والاجتماعيـة والثقافيـة ومـن المتوقع أن هذه التغيرات سوف يكون لها آثار نفسية على صعيد الفرد والمجتمع .

واذا أخذنا التغيرات التقنية في وسائل الاتصال والمعلومات مثلاً فإننا نجد عدداً من الصفات والسلوكيات التي تميزها :

1- الاتصــال بــالآخر : تتـيح تقنيـات الاتصــال الحديثــة مثـل الإنترنـت والبريـد الإلكترونـي والهـاتف الجـوال الاتصـال بـالآخر وبسـرعة فائقـة والتعامـل معـه ومـن الممكن تسمية ذلك " ازدياد أهمية التواصل " بين البشر ولكن فـي الوقت نفسه أن هذا الاتصال يبقى" فضائياً " وليس مباشراً . كما يلاحظ أن هذا الشكل من الاتصال يطغى على اتصال الفرد المباشر والحميم بالآخر مما يمكن لـه أن يجعله هامشياً و ثانوياً . ومـع ازديـاد أهميـة قيمـة الاتصـال كقيمـة إنسـانية ومـا يتبعهـا من تطـور فـي مهـارات اللغـة و التفـاهم و الحـوار بـين الفـرد و الآخـرين تبقـى نوعيـة هـذا الاتصـال خاصـة وغيـر مباشرة ممـا يمكـن أن يسـاهم فـي عزلـة الفـرد عمليـاً و انطوائـه .. مـالم

يحدث توازن و توجيه لهذا النمط من الاتصال في تطوير الاتصال المباشر جنباً إلى جنب مع الاتصال الفضائي .

2- الفردية و الذاتية : تتميز تقنيات الاتصال الحديثة بأنها تنمي الفردية والذاتية .. وهي تمنح المستخدم لها قدرات على التحكم بضغط الأزرار و بسرعة والتنقل من موضوع إلى آخر إلى موقع إلى أشخاص .. وفقاً لمزاج الفرد وتفكيره وإرادته. كما أن إسم الفرد و عنوانه ورمزه الخاص به يظهر على الشاشة ويتداوله الآخرون .. وفي ذلك اعتداد بالذات وارضاء للفردية والنرجسية والأنا .. وتعزيز و تضخيم لها . وفي نفس الوقت تتيح نفس التقنيات إمكانية التنصت على ما يكتبه الفرد أو يخزنه في جهازه الشخصي (الكومبيوتر) .. وايضاً إمكانية التدخل في بريده الشخصي و إغراقه بمعلومات قد لا يحتاج إليها .. إضافة إلى إمكانية حدوث تخريب لجهازه الإليكتروني و الأذى الذي يمكن أن يلحق به. كما أن سرقة بطاقات الائتمان و استخدامها غير الشرعي يمكن أن يؤدي إلى خسائر مادية كبيرة . وهكذا يشعر الفرد ظاهرياً أنه مستقل وحر و يتصرف كما يريد مضخماً وهم الفردية و النرجسية ولكنه في نفس الوقت معرض للتدخل و الاجتياح .. ومن المتوقع أن يؤكد ذلك قيماً و صفات سلبية مثل القلق و الحذر و الشك وعدم الأمان .

3- التنافس والمغامرة والربح : تفتح العولمة بجوانبها الاقتصادية والتقنية الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام التنافس وإمكانيات الربح والمغامرة الاقتصادية و الاجتماعية و العملية .. ولكن في الجهة الأخرى نجد أن الربح و المصادفة الناجحة والحظ لا يستمتع بها إلا قلة .. ويبقى القانون الاقتصادي هو " التحكم بالأرباح الكبرى من نصيب الشركات الكبرى " ويبقى وهم الفرصة السانحة يستهوي الفرد ولكن من المتوقع أن يصيبه بالإحباط وخيبة الأمل والكوارث أيضاً بعد التجربة و المعاناة .

4- الصدمة الثقافية : تمثل تقنية الاتصالات ثورة هامة في مجال الثقافة والمعلومات والقيود المفروضة عليها تبقى محدودة ويمكن لهذا الانفتاح المعرفي والثقافي أن يكون له آثار إيجابية إلا أنه يمثل صدمة ثقافية وتربوية للكثيرين .. مما يعني اهتزاز القيم والأفكار والثوابت التي يحملها الإنسان ويسبب ذلك قلقاً وتناقضاً لا يسهل فهمه

والتعايش معه من قبل الفرد وربما يجعله سلبياً يتقبل كل شيء ويتصالح مع مختلف الأفكار وأساليب العيش .. وربما يجعله أكثر تعصباً ونكوصاً وتطرفاً وعودة إلى الماضي وبين ذلك خيارات واحتمالات أخرى متنوعة ومنها الشعور بالنقص والضعف ونقد الذات والشعور بالعجز والاكتئاب والفقدان .

ويعبر كثيرون عن قلقهم من كمية المعلومات المتاحة ونوعيتها .. ويشعر الفرد بأنه فقد السيطرة ليس على أبنائه وأسرته فحسب بل حتى على أصدقائه ومعارفه .. وكل على هواه دون رقيب .. ومن الناحية الاجتماعية يمكن أن تنتج ثورة المعلومات والاتصالات هامشاً أكبر للحرية والمعرفة ولا شك في ذلك .. وهذا ما يستدعي تعديلات في بنية الهيئات الاجتماعية والثقافية والسياسية المختلفة.

ويبقى أن هناك صدمة ثقافية تحتاج إلى التعامل معها بكل قلقها وتناقضاتها من قبل الفرد والمجتمع وهذا يعني " ازدياد التوتر والاضطراب والتغير والتحول" .

5- استيراد وتصدير الأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية : تستدعي العولمة فكرة " القرية الكونية الواحدة " بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. وأيضاً المرضية.

ومن الملاحظ أن تبادل الأمراض المختلفة أصبح أكثر شيوعاً بين مختلف الشعوب .. ويحدث ذلك بسبب العدوى والتقليد والتأثر وغيره من خلال تبادل المنتوجات المتنوعة ابتداءاً من البشر والآلات والأطعمة إلى الكتب والمجلات والأفلام ..

ومن المتوقع أن المجتمعات الأكثر تطوراً يمكنها أن تتعامل بشكل أفضل مع مثل هذه المشكلات بحكم إمكانياتها وتطورها .. وتبقى المجتمعات النامية أكثر عرضة وتأثراً بالمشكلات العديدة التي تفرضها هذه الأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية .. مما يعزز الشعور بالضعف والعجز وعدم الأمان لدى الفرد والمجتمع.

كلمة أخيرة

لا يمكننا اتهام التطور العلمي والتقني بمخاطر العولمة ومساوئها .. والعلم وسيلة بيد الإنسان والمجتمع يمكن أن يستخدم في سعادة البشر .. كما يمكن أن يستخدم في غير صالحهم .. ولا بد من القول بأن العولمة تحمل في داخلها تناقضاتها وصراعاتها .. ولا بد من التعامل مع الواقع والظروف المعاصرة دون الهرب إلى

الأمـام أو إلـى الخلـف .. ويبـدو أن هنـاك تحـديات كبيـرة وكـذلك هنـاك مسـؤوليات متنوعة يجب أن يحملها الفرد والمجتمع .. وهكذا الحياة.

المصدر: http://www.hayatnafs.com

==============

#هذه غابة العولمة.. وتلك وحوشها!

يجتذب مصطلح (العولمة) يوماً بعد آخر المزيد من النقاش، والكثير من الجدل؛ لما لهذا المصطلح من تأثير مباشر متراكم آخذ في القوة على حياة البشرية منذ أن أخذت وسائل الإعلام ومؤسسات صنع العقول في طرحه وتسويقه إلى المثقفين والعامة... هذا المصطلح الذي يأتي امتداداً لرؤية عالم الاتصال الكندي الشهير (مارشال ماكلوهان) بتحول العالم إلى قرية كونية أو عالم واحد يثير اليوم غباراً كريهاً من الممارسات والفواجع والكوارث.

لنتفق أولاً على أن (العولمة) ليست مخلوقاً جديداً أو فكرة ترفل في ثياب جديدة مع تسليمنا بأن وجود مصطلح العولمة يقصد به وجود نمط عالمي واحد، وباختصار: امتداد طبيعي لنمو (المركز) الغربي وانبساطة في الأرض (مبشراً) بنموذجه المادي المغرق في حب السيطرة، أو كما يقول أحد المفكرين الغربيين: (إنها روما الجديدة... كما كانت روما في السابق تصر على أن كل الطرق تؤدي إليها؛ فإن العولمة حتماً لا تعرف سوى طرق تؤدي إلى أمريكا، وكما كانت روما جنة السادة وجحيم العبيد فإن أمريكا تعيد الفكرة نفسها حيث لا يوجد قرية كونية إنما مدينة مقسمة: واحدة للأثرياء، وأجزاء شاسعة للفقراء الذين يشعرون بالسعادة؛ لأنهم يجاورون السادة ويشاركونهم اسم المدينة).

ولنتفق ثانياً أن من حق الأمة المسيطرة أن تسعى لفرض ثقافتها وسلوكها ومعتقدها ومصالحها؛ عملاً بمبدأ التدافع في الأرض.

ولنتفق ثالثاً على عدم طرح العولمة على أنها شر محض ونقبل ما فيها من مصالح مثل انتقال المعلومات المجردة، ونقل أيسر للتقنية ورأس المال اللازم لتنمية البلدان الفقيرة والأقل نمواً.

(هل هناك داعٍ لذكر أن المسلمين يشكلون رقماً لا بأس به في هذه القائمة؟) ولنطرح أيضاً موقفاً محايداً من كل العوامل السلبية التي يراد لنا أن نبتلعها ونتلذذ بطعمها المر ثم لنسأل أسئلة مدوية بحجم القضية المطروحة؟

لماذا يبشر النموذج الأمريكي بالعولمة في الوقت الذي تزداد السياسة الأمريكية والغربية انغلاقاً وعنصرية ورفضاً (للعالمي) إذا مس أرضها ومصالحها ونمط معيشتها أدنى مس..؟

لماذا تتفق مراكز العولمة وأركان صنع قرارها على اتخاذ الإسلام عدواً وحيداً أمام النموذج الذي تدعوه ب (المتحضر) والذي يعكس تفاهة تلك الثقافة وغوغائيتها؟

لماذا يراد لنا نحن المسلمين أن نقبل بعضوية (نادي العولمة) دون أن نسأل عن شروط العضوية، ورسوم الاشتراك، وطقوس النزع التي تنتظرنا، ودرجة حرارة النار التي سوف يطبخ عليها (العشاء الأخير) الذي سيزيل من أجسادنا آخر ذرات المقاومة ليجهز في النهاية على أنفاسنا؟

إن هذه الأمة بشهادة خبراء العولمة أنفسهم كانت حتى هذه اللحظة ولا تزال أصعب الأمم على القولبة وأشدها مراساً في مواجهة النموذج الاستعماري المتغطرس.

والعولمة لا تعني انتقال البضائع والخدمات والنقد والتقنية والمعلومة والشركة والسلوك والثقافة منفردة الواحدة تلو الأخرى.. كلا إنها تعني أن يقدم هذه الطّعم ضمن سياق فكري لا نحتاج إلى ذكاء شديد أو حتى بلاهة أشد لنعرف حقيقة أنه الثقافة الغربية: النصرانية/ المادية في نموذجها الأشد فجاجة وغطرسة وتعالياً! وإذا كان من حق فرنسا أن تقاتل وتحارب وترفع صوتها وتتصدى بالقوانين والممارسة لهذا النموذج... فلا أظن أن اللاعقين لجراح (داحس والغبراء) المعاصرة إلا أن يفتحوا عيونهم قليلاً وعقولهم كثيراً لهذه الهجمة المتواصلة منذ انحسار الإسلام كقوة عالمية ودولية مؤثرة!

إن الأسئلة تزداد توغلاً في صدورنا ونحن نرى اليوم ثمار العولمة تنبت في أراضينا شجراً من علقم..

المسلمون في جنوب شرق آسيا كانوا قبل أشهر ضحية للعولمة مضافاً إليها مخزون كراهية متفجر.. فالخبراء الأوروبيون يرون أن تحطم الأسواق الآسيوية، كانت عملية مدبرة بين البنك الدولي والبنوك الغربية الكبرى وامتدادها الياباني حيث أغرقت هذه

الأسواق بالقروض الربوية القصيرة الأمد والتي كانت تقدم بشكل مثير وبأرباح هائلة تدفع لأصحاب الثروات البنكية، ثم اتضح بعد الأزمة أن البنك الدولي تَقَدّم لمساعدة هذه الدول شريطة تسديد أرباح البنوك الغربية الفلكية وإغلاق البنوك الوطنية الربوية هي أيضاً لينفرد النموذج الوحيد نفسه للعولمة بالساحة؛ وتنتهي مقولة النموذج الآسيوي أو النمور الصاعدة التي تُروّض بأمثال اليهودي البشع (سورش).

هذه العولمة يقودها كما يطمئننا الخبراء المروِّجون للعولمة الأفراد لا الحكومات، وإذا كان سورش بإجماع الخبراء هو (نجم العولمة القادم) فلنقرأ شيئاً من سيرته.

قام سورش بدعم المافيا اليهودية الحاكمة في روسيا؛ وهذه المافيا تشمل إمبراطوريات المال والإعلام، ويستثمر ما يزيد على 30 بليون دولاراً متحالفاً مع عصابات المافيا والإجرام التي يحركها اليهود هناك.

قام بالمضاربة في بورصات جنوب شرق آسيا لأشهر قبل الأزمة؛ ويتفاخر بأنه حطم أسعار البورصات إلى النصف، وكانت ماليزيا وأندونيسيا أكثر الدول تضرراً حيث ما زالتا تعانيان الأمرّيْن.

يدعم حالياً صناعة الألماس (الإسرائيلية) ب 20 بليون دولاراً حتى لا ينهار سعر الألماس المصنّع الذي يشكل مصدراً هاماً للدخل للدولة الصهيونية.

ساد الهلع سوق المال المصرية بعد إعلانه استثمار بلايين الدولارات في السوق المصري الذي أكد خبراء المال أن دخوله إليه سيحطمه وبسرعة!

إذن هذه هي بعض (لقيمات) العولمة الاقتصادية التي هبت لمساعدة كوريا وتايلاند بينما تركت أندونيسيا وماليزيا تلعق جراحها رغم أن كوريا ليست في أمريكا الشمالية وتايلاند لا تمت إلى القارة الأوروبية بصلة!!

أما العولمة العسكرية فنحن في هذا الجزء من العالم نشهدها ونلمسها حين تصر واشنطن على الخيار العسكري المدمر في الخليج بينما كل دول العالم ترى أن خيارات المفاوضات العالمية بعد ذلك لإرضاء (غطرسة العولمة) التي لا تنظر للعالم سوى بمنظار السادة والعبيد.

أما العولمة الثقافية فهي برأي الخبراء والمفكرين تروّج لثقافة (الهمبرجر) (والكوكاكولا) والغناء على الطريقة نفسها، وهي طلائع العولمة التي لا تبشر إلا بمزيد من الشقاء والتعاسة للبشرية.

فكم من (سورش) على الطريق يعمل لوأد كل اتجاه صاعد في عالمنا الإسلامي؟!

وهل يا ترى ننتبه لما يراد لنا أم على قلوب أقفالها؟!

وأخيراً: فالعولمة تحدٍّ كبير يحتاج من الأمة أن تستدعي مثقفيها وعلماءها ومفكريها إلى رصدها والتصدي لها من منظور إسلامي، وهي قضية شائكة تتطلب التفهم الإيجابي لبعض مكوناتها كالاستفادة من التقنية أو الجوانب الاقتصادية التي لا تتعارض مع مصالح الأمة المسلمة..

وهذه الدعوة تحتاج إلى عقول ورجال وإمكانات بحجم التحدي الهائل وبحجم الإحجام والإهمال الذي نشعر به من مثقفي المسلمين الأصلاء، والذين نخجل من نتاجهم في هذا الجانب مقارنة باهتمام ومتابعة ومقاومة الاتجاهات الفكرية الأخرى داخل وخارج عالمنا الإسلامي.

بقيت حقيقةٌ هي منطلق هذه المحاولات والدعوات، كما أنها هي الضوء في نهاية نفق التحدي المليء بالوطاويط.

أبداً لن تَهزِمَ ثقافةُ (ميكي ماوس) الإيمانَ الحقيقي الفعال.. إيمانَ الغلام حين يُستدعى للموت فيطلب الشهادة شريطة أن يُنادى بسمع الكون وبصوت عالٍ... باسم الله رب الغلام.

((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [يوسف: 21].

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

==============

#العولمة وغياب المشروع الحضاري العربي

مهنّد ابراهيم أبو لطيفه

قليلة هي المصطلحات التي تثير ضجة كبيرة على الصعيد الدولي، وتخضع لمثل هذا الرصد والتفسير والتحليل، التهليل والرفض والعديد من الفرضيات، مثل الذي خضع له مصطلح العولمة في السنوات الماضية. وهذا مرده أن مصطلح "العولمة"

فرض نفسه بقوة ليطال عمق العالم بغرض احداث تغييرات نوعية في كافة مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية تقودها ثورة لتكنولوجيا المعلومات ذات طابع كوني، غاية في التطور والتعقيد ولأول مرة في التاريخ الإنساني، وفي ظل غياب توازن دولي على مستوى القوى الكبرى، ما يصطلح تسميته بعصر القطب الواحد.

تطور مصطلح العولمة :

تتحدث دراسة – صدرت حديثاً في ألمانيا، عن المركز الاتحادي للبحوث السياسية، الذي يعتبر من أهم المراكز البحثية المتخصصة في الاقتصاد السياسي والعلوم الاجتماعية، شارك في إعدادها نخبة من المتخصصين في هذا المجال – تتحدث عن تطور مصطلح العولمة الذي ظهر –كما جاء فيها – للمرة الأولى في السبعينات بعد بث صورة الكوكب الأزرق(الأرض) التي التقطت بواسطة الأقمار الصناعية، ليتطور المصطلح مشيراً إلى الاسواق العالمية الجديدة للبضائع ورأس المال مصحوباً بثورة الاتصالات والمعلومات التي حوّلت العالم إلى قرية إعلامية صغيرة.

يضاف إلى ذلك تطور اقتصاديات الدول لتتجاوز الحدود وتتداخل فيما بينها، ويمكن تصور حجم هذا التطور إذا علمنا –كما جاء في الدراسة– أنّ أربعين ألف مؤسسة اقتصادية شملها هذا التغيير لتساهم عبر استثماراتها وتعاونها إلى تقليص المسافة بين الدول الصناعية وغيرها في ظل غياب لأجزاء كبيرة من القارة الافريقية عن المشاركة بحكم ظروفها في هذه " العملية التطورية المستمرة للإنتاج واتساع الأسواق في العديد من دول العالم، لتتداخل اقتصادياتها ويكتسب السوق العالمي ديناميكية جديدة تفتح أفاقاً واسعة لكافة القطاعات ".

لم تكن العولمة عملية منظمة مائة بالمئة، ولكنها في معظمها نتاج " قرار سياسي للعديد من الدول " مما يفسر هذا الاندفاع الذي يصعب ايقافه وتفسيره واستيعابه. الإرادة السياسية دفعت بالعديد من الدول لتطوير (أو تطويع) سياستها الاقتصادية الخارجية على حساب الاقتصاد الوطني تحت تسميات عديدة مثل : الانفتاح، الخصخصة، الإصلاح الاقتصادي ... مما أدى إلى إفلاس العديد من شركات ومؤسسات القطاعين العام والخاص التي لم تستطع الصمود في وجه هذا المد الهائل

المنافس ذي التقنيات والمواصفات. يشير مصطلح العولمة كذلك إلى جملة من التغييرات المراد أن تشهدها جميع جوانب الحياة تحت شعارات الانعتاق والحرية في ظل النظام الجديد من العلاقات الدولية تقرب المسافات بين الشعوب بعيداً عن التطرف الديني والقومي والاقليمي، وازدياد الاعتراف الدولي بحقوق الأفراد، ونهاية للصراع بين الشرق والغرب، الاهتمام بالبيئة على المستوى العالمي، كما يروج دعاة العولمة.

نحن والعولمة : مواقف بعض المفكرين العرب

اهتم المشهد الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي بشكل كبير بكل جوانب العولمة، وحظي هذا المشروع الكوني باهتمام منقطع النظير في جميع هذه الاوساط نتيجة الإحساس المبرر بمخاطره في ظل غياب واضح للمشروع الحضاري العربي ومقومات دخول الألفية الثالثة بشكل يضمن حجم وفاعلية التعاطي مع هذه التغييرات الجامحة.

عُقدت المئات من الندوات وحلقات النقاش والمحاضرات، وصدر العشرات من الكتب التي تناولت هذا الموضوع، ونقدم فيما يلي رصداً لأبرز المواقف التي اهتمت بالعولمة، بابعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية.

يفيد الباحث الاجتماعي الدكتور سيد ياسين ، أنّ جوهر العولمة هو :

أ) انتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة بين الناس.

ب) تذيب الحدود بين الدول مما يضرب فكرة السيادة الوطنية أو القومية.

ج) زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات، مما يؤدي إلى تفكك الدولة القومة وعجزها عن السيطرة على مقاليد الأمور.

أما الدكتور اسماعيل صبري عبدالله فيؤكد على أنّ العولمة ستقود إلى عجز الدولة القومية عن السيطرة على مقاليد الأمور، ولا شك في تراجع الدولة في البلدان الصناعية المتقدمة وضعفها أمام الشركات متعددة الجنسيات والاتجاه الغالب لتخفيض الانفاق العام ولا سيما في مجال الضمان الاجتماعي، وتصغير حجم الدولة وتسريح الألاف من موظفيها، وأصبح رؤساء الدول والحكومات في زياراتهم الرسمية

يحملون عقوداً تجارية خدمة للشركات الكوكبية (ربما مقابل مصلحة شخصية لرجل السياسة أو حزبه) وأصبح أكبر الساسة كمندوبي المبيعات Salesman .

فيما يرى الدكتور جلال أمين أنّ الشركات متعددة الجنسيات، في عصر العولمة، قد حلّت محل الدولة. كما حلت الدولة محل الاقطاعية تدريجياً منذ خمسة قرون، تحل اليوم الشركة متعددة الجنسية تدريجياً محل الدولة، والسبب في الحالين واحد : التقدم التكنولوجي وزيادة الإنتاجية والحاجة إلى أسواق أوسع، لم تعد حدود الدولة القومية هي حدود التسويق الجديدة، بل أصبح العالم كله مجال التسويق، سواء كان تسويقاً لسلع تامة الصنع، أو تسويقاً لمعلومات وأفكار، فقفزت الشركة المنتجة فوق أسوار الدولة، وأخذت هذه تفقد قيمتها الفعلية، بل أصبحت أكثر فأكثر أسواراً شكلية، سواء تمثلت في حواجز جمركية، أو حدود السلطة السياسية، أو حدود بث المعلومات والأفكار، أو حدود الولاء والخضوع... إنني ما كنت لأذرف الكثير من الدموع حزناً على انحسار سلطة الدولة لولا أنّ الذي يحل محل الدولة هو الشركات العملاقة متعددة الجنسيات.

فاي مؤشر هناك يدلني على انّ الحرية التي أتمتع بها في ظل سطوة هذه الشركات أكبر وأوسع مما كنت أتمتع به في ظل سطوة الدولة؟ هل أنا بحاجة إلى أن أذكركم بما تفعله وسائل الإعلام الحديثة بحرية الرأي والتفكير، أو بما تفعله سطوة هذه الشركات بحرية المرأة ومكانتها؟ أو بمدى تحملها للاختلاف الحقيقي في الرأي؟

يتفق الدكتور محد عابد الجابري مع الطرح القائل أن العولمة " تتضمّن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي (المالي والتجاري) وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها".

أما الأستاذ صادق جلال العظم فيعترض على كل محاولات تسطيح مصطلح العولمة، ووصفها بامباراطورية الفوضى، أو بالمملكة، أو كونها عالم بلا دولة، بل هي رفع الدولة إلى تركيب أعلى، مما يعني التعديل في دورها ووظائفها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، ويقول :

" العولمة هي رسملة العالم على مستوى العمق، بعبارة أخرى، إن ظاهرة العولمة التي نعيشها الآن، هي طليعة نقل دائرة الإنتاج الرأسمالي –إلى هذا الحد أو ذاك– إلى

الأطراف، بعد حصرها طوال هذه لمدة كلياً في مجتمعات المركز ودوله. بمعنى إعادة صياغة مجتمعات الاطراف وتشكيلها على الصورة الملائمة لعمليات التراكم المستحدثة في المركز ذاته. إنّ صعود مرحلة عالمية دائرة الإنتاج ونشرها هي ما نسميه اليوم بالعولمة. وهي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".

إنها نقلة نوعية في حياة الرأسمالية التاريخية من التبادل والتجارة إلى الإنتاج. وهي لا تساوي الفوضى، أو هي الفوضى لا أكثر، ورغم كل التناقضات، فإن عملية العولمة تدار بكليته من مواقع المركز بكفاءة عالية، إنّ فينومينولوجيا العولمة كما أرصدها حالياً، تعمل في الغالب لا على تغيير العالم ولا على فهمه، ولا على تفسيره، بل تعمل على تكريسه وتسويغه وتبريره وعقلنته على حساب الطرف الأضعف في المعادلة.

وفي ندوة لدار المدى في دمشق حدد مجيد الراضي (مدير تحرير المجلة) أنّ جذور العولمة : فكرية، ثقافية، دينية كامنة، " وهي ليست قبولا بالآخر كحامل لثقافة مختلفة بالاستناد لمعطيات معينة، وإنما محاولة سافرة من الأقوى لابتلاع الآخر – الأضعف والمختلف ثقافياً – من جذوره... إنّ انتصار الرأسمالية لا يعني نهاية التاريخ".

في حين يعترض الدكتور ماهر الشريف على فكرة أن العالم توحد فعلاً أو يشهد صيرورة توحيد، اقتصادياً وتجارياً وتكنولوجيا، كي يصبح في الإمكان الربط بين هذا التوحيد وتوحده على المستوى الثقافي ويعتبر أنّ السياسات الرأسمالية قد عمّقت الانقسام في العالم لا مثيل له.

تركز المستشارة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في القاهرة الدكتورة نجوى الفوّال ، على البعد الثقافي لظاهرة العولمة، وترصد التغييرات الايجابية المصاحبة لها في النقاط التالية :

1.

تجاوز الفرد للدائرة الضيقة للإعلام الوطني في ظل الثورة التكنولوجية.

.2

اتساع مساحة الحرية أمام المتلقى، وتزايد قرة القنوات الفضائية غير الحكومية على مناقشة جميع القضايا بطرح الرأي والرأي الآخر، بحيث صارت تلك القنوات ساحات للممارسة الديمقراطية التي تفتقدها على مستوى الواقع أغلب دول الجنوب.

.3

تنشيط الصناعات المختصة للاتصال المرئي، وفتح مجالات للعمل أمام العمالة المتخصصة وان كان التطور المتلاحق في تكنولوجيا الفضائيات قد ترك أثراً حول عملية إحلال العمالة المدربة والاستغناء عن سواها، بحيث أصبحت سوق العمل هنا أكثر تخصصاً.

.4

فتح ظهور شبكة الإنترنت وانتشارها عالمياً مجالات لا حدود لها للمعرفة واكتساب المعلومات لتسهيل الاتصال بين الأفراد ومن ثم بين الثقافات، ومع نهاية القرن العشرين تنامى باطراد الاتجاه نحو المزج بين هذه الشبكة وبين وسائل الاتصال الجماهيري، إلى حد يتنبأ فيه البعض بأن يُصبح الكمبيوتر الشخصي هو وسيلة الاتصال المجمعة لباقي الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، وذلك في المستقبل القريب.

كذلك تورد المستشارة بالمركز القومي، الجوانب السلبية في الظاهرة، مثل نقل أساليب وقيم حياة جديدة ومختلفة، ومخاطر التشوه الثقافي، والمنافسة الحادة بين التقاليد والمستورد، في ظل الهوة الكبيرة في امتلاك تقنيات الاتصال واستخدامها بين الشمال والجنوب.

ومذكِّراً بالفترات التي كان العرب هم القوة المحركة وراء عملية "كوكبة" للعالم، على المستويين التجاري والثقافي على الأقل، يطرح الدكتور سعيد –في مقال له بالأهرام_ سؤالا هاماً :

" هل الانكماش على الذات، والاكتفاء برفض "الكوكبة" أو "العولمة" قد حمى العرب ومكنهم من الحصول على الأمان؟ ناهيك عن "التقدم" . ويجيب بالنفي على السؤال معتبراً " أننا لم نحصل على كل هذا لأننا أخذنا في تجنب العالم والتكنولوجيا،

ورفضنا العقل وأخذنا نتعقب عقولنا العظيمة فنعمل فيها الذبح والسجن والنفي، وارتبط رفض كل موجة من موجات "العولمة" بموقف بدا دفاعياً وانتهى بالانكماش الحضاري والمادي لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، وبالخضوع في نهاية المطاف للاستعمار... العولمة ستكون بكل تأكيد تهديداً داهماً لأمن العرب وتقدمهم، إذا ما حررنا العقل من المخاوف واستجبنا للتحدي". وتكون هذه الاستجابة للتحدي–حسب رأيه– بالعمل العربي المشترك على جميع المستويات وفي جميع المجالات، والانفتاح على الآخر بكل ثقة وديناميكية وتحرر من الانكماش، وإنجاز مهمات التحديث في جميع المجالات، واحترام الحريات الاساسية للإنسان، وإنجاز التحولات الديمقراطية، وصياغة سياسة علمية وتكنولوجية فعالة، والإصلاح السياسي والدستوري... أي مشروع حضاري عربي شامل ومتكامل.

عرضنا بعض المواقف العربية تجاه بعض موضوعات العولمة والتي لا يمكن بالطبع الإلمام بمختلف جوانبها، على امل أن نكون فد قدمنا للقارئ العربي ما يضيف إلى معرفته جديداً، ويضعه بصورة التحولات التي تترك أثرها كل يوم على واقعه المعيشي والحياتي بشكل عام.

مصادر :

1.

الاهرام الدولي 29/اكتوبر 1999 .

2.

كتاب العرب والعولمة، أسامة أمين الخولي، بيروت، مركز دراشات الوحدة العربية.

3.

مجلة وجهات نظر، العدد العاشر، نوفمبر 1999 .

4.

مجلة الهدف، العدد 1291، 1999 .

5.

نشرة صادرة عن المركز الاتحادي للبحوث السياسية– ألمانيا، 1999 .

المصدر: http://www.ibn-rushd.org

=============

#العولمة الفكرية الإسلامية

أ . د. عابد السفياني (*)

إن «الإسلام» هو الرسالة الخاتمة التي أُرسل بها رسولنا محمد عليه وعلى إخوانه المرسلين أفضل الصلاة والسلام، وهي رسالة عالمية لها مبادئها الشاملة لجميع أحوال البشرية العقدية والتشريعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة والعامة، ويدخل في ذلك من آمن بها من أهل الإسلام ومن دخل تحت أحكامها ونظامها التشريعي من غير المسلمين.

ومن المناسب أن نقول إن انحسار العولمة الإسلامية هو سبب لفتح الطريق للعولمة الكفرية. والعولمة الفكرية الغربية هي اتخاذ الأمم الكافرة الوسائل لنشر مبادئها ونظمها وأفكارها عالمياً، وهو ما يُسمى الآن بـ «العولمة الفكرية» ـ بالنسبة للغرب ـ التي تتمثل في نشر أفكاره ونظامه.

ونذكر مثالاً يوضح الفرق بين العولمة التشريعية في الإسلام، وبين العولمة التشريعية بالنسبة للكفار.

حرّم الإسلام نكاحَ المحارم، وحرّمَ السفاح والزنى واللواط على المسلمين وعلى غير المسلمين من الكفار اليهود والنصارى، والمجوس وغيرهم، وقام المسلمون بدعوة الناس جميعاً لاجتناب الرذائل، وألزموا مَنْ دخل في الإسلام بتركها، ومَنْ بقي على كفره وكان مع المسلمين في بلادهم أيضاً؛ لأنها محرمة على الجميع، ونُشِرَ هذا التشريع عالمياً واستفاد المسلمون والكفار من الآثار الإيجابية المترتبة عليه، فانحسرت الرذائل وآثارها السلبية(1)، وهذه عولمة تشريعية إسلامية.

أمّا الكفار فيحاولون أن يعولموا الإباحية ويُصدروا التشريعات التي تبيح الفواحش والشذوذ وينشروها من خلال الأنظمة الوضعية والمؤتمرات الخاصة بالمرأة والسكان، وإطلاق الحريات.

ولهذا فإنني أرى أن توصف جهود المسلمين في نشر الإسلام عالمياً بقولنا: «العولمة الفكرية الإسلامية» ويشمل ذلك التعريف بالإسلام، ومن ثمرته دخول الناس أفواجاً

في الدين، وهؤلاء بمقتضى الإسلام يكون معهم العلم به والعمل، ويُطلب منهم أن يشاركوا في نشره وهذا يوسع دائرته العالمية.

وأمّا الكفار الذين يدخلون تحت حكم الإسلام ونظامه فهؤلاء يدخلون تحت «العولمة الفكرية والتشريعية» إن صح التعبير، وإن لم يدخلوا تحت اسم الإسلام. فالعولمة التشريعية أو الفكرية الإسلامية تعني نشر الإسلام عقيدةً، كما تعني نشر النظام الإسلامي، ويشمل ذلك مصطلح الدعوة الإسلامية.

وأمّا جهود الأمم الكافرة في نشر أنظمتها وأفكارها وتشريعاتها الرأسمالية أو الإباحية فيجب أن يُسمى ذلك بـ «العولمة الكفرية»، ويشمله قولنا: الدعوة الكفرية، أو الدعوة إلى الكفر، أو الدعوة لنشر أنظمة الكفار ومناهجهم ومذاهبهم.

ذكر الأدلة النقلية والعقلية على وجوب إخضاع البشرية لعالمية الإسلام:

1 – قال الله . تعالى .: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ }[البقرة: 213].

عن ابن عباس . رضي الله عنهما . قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق»، قال ابن كثير . رحمه الله .: «وهذا القول صحيح عن ابن عباس سنداً ومعنى؛ لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام»(1).

ففي هذه الفترة كان العالم يعيش تحت شريعة واحدة وهذا هو الأصل في البشرية، وهذه الشريعة الإسلامية هي الحق والهدى والخير والعفاف، ويقوم على ذلك حفظ الدين والأنفس، والعقول، والأعراض، والأموال.

2 – أن الشرائع الإسلامية في جميع العصور جاءت بالنظام الذي يحفظ تلك الضروريات التي يسميها العلماء الضروريات الخمس التي سبق ذكرها آنفاً، والتي تكوّن الأمة الواحدة ذات المبادئ الواحدة والنظام العالمي الواحد، وقد طرأ الاختلاف في البشرية بعد أن لم يكن، فلما وقع الاختلاف، وطرأ الشرك، وظهرت الخرافة والظلم والبغي، وخالف بعض الناس الشرائع الإسلامية أرسل الله نوحاً . عليه السلام . ليرد الناس إلى ما كانوا عليه.

يؤكد ذلك أنه مَا مِنْ نبي ورسول إلا ويأتي بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، والأمر بإقامة أركان الإسلام والإيمان وتطبيق الشرائع الحافظة للأنفس والأعراض والعقول والأموال.

قال الله ـ تعالى ـ:)وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) [الإسراء: 23]، وقوله ـ سبحانه ـ: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } [يس: 60، 61].

وقوله ـ سبحانه ـ: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } [البقرة: 83].

وجاء الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم يجدد هذه الدعوة لتكون للعالمين نذيراً، ولتكون للعالمين ذكراً: {إِنَّ هُوَ إِلاَّ ذُكّرِ لّلًعّالّمٌينّ} [التكوير: 27] .

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25].

ويؤكد القرآن مفهوم الأمة الواحدة العالمية: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: 92].

ومن أكبر مقاصد هذه الوحدة العالمية ما يلي:

أ – تذكير البشرية بنشأتها الأولى.

ب – تأكيد وحدة الفطرة الإنسانية.

ج – تأكيد حاجة البشرية للعبادة المبنية على التوحيد الخالص.

د – تقديم الحلول العملية التطبيقية للمحافظة على مصالح البشرية الدنيوية والأخروية؛ ففي الدنيا المحافظة على تلك الضروريات، وفي الآخرة النجاة من النار ودخول الجنة، والفوز برضوان الله.

3 – عناية الإسلام العظيمة بتأكيد حفظ ضرورات البشرية، واستمرار نشأتها الخيّرة الأولى. وإن من المقاصد العظيمة للإسلام كف البشرية عن الشرور التي ترتبت على الاختلاف الذي وقع بسبب الشرك والظلم والبغي والفواحش؛ ولهذا قال الله ـ سبحانه ـ: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة: 213].

فأما الفريق من الناس الذين ظلموا وبغوا وتركوا مقتضى العلم الصحيح والعمل بالهدى والحق، فهؤلاء خلافهم وشرورهم طارئة على البشرية، وترتب على هذا الخلاف نشوء جميع الضلالات والانحرافات العقدية والعملية الموجودة في هذا العالم؛ فكانت رسالات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ تُعنى بمحاربة تلك الشرور التي ترتبت على تلك المخالفات مع عنايتها بتجديد التوحيد والأمر بإقامة أركان الإسلام.

ولهذا ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ أن كل مقصد من مقاصد الإسلام بُني من جهتين: من جهة إيجاده والقيام به، ومن جهة حمايته، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أمر بالتوحيد ونهى عن الشرك، أمر بالصدق ونهى عن الكذب، أمر بالزواج ونهى عن الزنا، أمر بالصدق والعفاف ونهى عن قطع الأرحام والفواحش، أمر بالعدل في المعاملات ونهى عن الجور والربا والعقود الفاسدة، أمر بالوفاء ونهى عن الغدر والخيانة، وغير ذلك من المبادئ العالمية؛ أي التي هي ذكر للعالمين ويحتاجها جميع الناس، ولا تصلح الأرض إلا بإقامة التشريع الإسلامي، ثم المحافظة عليه.

وواضح من هذه الأمثلة: أن الطارئ على البشر هو الفساد والشرك والفواحش والربا والغدر والخيانة والطغيان السياسي والاقتصادي والإباحي، وهذا كله طارئ على نشأة البشرية، ومخالف لفطرتها؛ ولهذا شدد الإسلام على أتباعه، وأمرهم بمحاربة هذا الفساد، وأن يشهدوا عن طريق نشر العلم والدعوة، وعن طريق العمل والواقع بتجريم هذه الانحرافات، ورد البشرية عنها.

ولما ضعُف جهد المسلمين العلمي والعملي والدعوي وانحسرت قوتهم ازداد الكفار في غيهم ومخالفاتهم وانحرافاتهم، وعظُم الطغيان الرأسمالي، والربا، ونشر الفساد والإباحية والانحرافات الأخلاقية، وما زالوا يحاولون عولمتها. وهذا كله من مسائل الجاهلية التي جاء الإسلام لمحاربتها. والواجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها نشر العلم والاعتقاد والعمل الذي يقف في وجه هذه الانحرافات والشرور والفساد، ورفض هذه العولمة المنحرفة سواء من الناحية الفكرية أو التشريعية، وتقديم

البديل الذي هو: العولمة الإسلامية العقدية لمن يقبل الإسلام ديناً، والفكرية والتشريعية لمن يخضع له نظاماً، أو يستفيد من مبادئه وتشريعاته.

ونختم هذا المقال بصورتين لهما أكبر الدلالة فيما نحن فيه:

الصورة الأولى: صورة للعولمة الفكرية أو التشريعية أو العقدية الكفرية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما وردت في الحديث الصحيح: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»(1). أي قليل من أهل الكتاب على دين صحيح لم يُبدل.

وهذه هي الصورة لحياة الجاهلية قبل بعثته عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا نقول: إن العولمة الكفرية التي يقوم بها الغرب اليوم هي عولمة مقيتة ممقوتة؛ لأنها مبنية على مسائل الجاهلية: من رأسمالية، وربا، وإباحية، وطغيان سياسي. أما الرأسمالية فإنها تضطهد الفقراء شعوباً ودولاً وأفراداً، وأما الربا فهو السبب الكبير في المشاكل الاقتصادية التي أرهقت الشعوب، وأما الإباحية فقد حوّلت المرأة إلى سلعة تُستعمل في الجنس والدعاية والفن الرخيص.

ولا يزال الغرب يبذل ما يستطيع لعولمة هذه الانحرافات، ويحارب الشريعة الإسلامية؛ لأنها تجرّم الطغيان الرأسمالي والإباحية وتنهى عن الظلم والفحشاء.

وأما الطغيان السياسي فقد نشر الظلم، وأهدر الحقوق وأصبح القوي هو الذي يتحكّم كما يشاء.

ولهذا فإن مَنْ أسمى نفسه: «النظام العالمي الجديد» يعتبر العالم قريةً واحدة يريد أن يعولم فيها أفكاره وتشريعاته الرأسمالية والإباحية والسياسية، وكل ذلك على حساب كرامة الإنسان ومقدرات الشعوب.

الصورة الثانية: المبادئ الإسلامية العالمية ويتحدث عنها رجلان، أحدهما زعيم من زعماء الجاهلية الأولى، والثاني رجل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أما الأول: فهو أبو سفيان بن حرب القرشي قبل أن يُسلم؛ وذلك حين سأله زعيم من زعماء الروم عن الإسلام ومبادئه العالمية؛ فقد جاء في الحديث الطويل الذي رواه عبد الله بن عباس في قصة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر: قال قيصر لأبي سفيان: «فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً،

وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف، والوفاء بالعهد وأداء الأمانة»(2).

ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام هو أول مراحل نشر العالمية الإسلامية.

وأما الثاني: فهو الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب . رضي الله عنه . الذي تحدث عن الإسلام في بلاد الغربة عند الملك النجاشي، وقبل أن نذكر قيام جعفر . رضي الله عنه . وأصحابه بإعلان المبادئ العالمية للإسلام عند النجاشي نحب أن نشير إلى أن أبا سفيان بن حرب في كفره لو استطاع هو وقيصر أن يعولموا مبادئهم الضالة لفعلوا، وقد حاولت قريش أن تعمم انحرافاتها وموقفها من الدعوة الإسلامية، وأن تطارد المسلمين في خارج أراضيها وحدودها، وحاولت أن تقنع النجاشي بأن ما هي عليه من الشرك والفساد في الأعراف السياسية، والاقتصادية والظلم الاجتماعي إنما هو العدل، وهو الذي يجب البقاء عليه وهو الصالح للحياة البشرية، وأنّ تعاونهم على إبقائه والدفاع عنه هو السبيل لمقاومة مبادئ الإسلام، وهنا يظهر الصراع بين الكثرة التي تريد أن تنشر المبادئ الكفرية وتُعوْلمها، وبين القلة التي ترفض عولمة الكفر والتشريعات المنحرفة، وترفض الظلم في جميع مجالاته سواء الظلم في الاعتقاد، أو الظلم السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الأخلاقي، وهي مع رفضها لهذه الشرور والانحرافات تقاوم الغربة والاضطهاد، وتعلن عولمة المبادئ الإسلامية ولو كره المشركون.

وإليك صورةً من المواقف العملية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقفون مُتجردين من كل قوة إلا قوة الإيمان؛ لتكون نبراساً وقدوة لنا على الطريق ونحن نواجه عولمة الانحراف في شتى مجالاته في هذا العصر، ونترك القارئ في ختام هذا الحديث يتملى هذه الصورة النيرة للمواقف المشرفة كما ذكرها ابن إسحاق في السيرة النبوية. قالت أم سلمة بنت أبي أمية: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ النجاشي، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله . تعالى . لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلَيْن منهم جَلْدَيْن، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما

يأتيه منها الأدَم(1)، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يُكلمهم. قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوَى(2) إلى بَلَد الملك منا غِلْمانٌ سُفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مُبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً(3)، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك! إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سُفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم؛ فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي. قالت: فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عَيْناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسْلمْهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله! إذاً لا أسلمهم إليهما، ولا يُكاد قومٌ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَنْ سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك مَنعتُهم منهما، وأحسنتُ جِوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول: والله ما عَلِمْنا، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوا، وقد دعا النجاشي أساقفته(4)، فنشروا مَصاحفَهم حولَه سألهم فقال لهم: ما هذا الدينُ الذي قد فارقتم فيه قومَكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من

هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلّمه جعفرُ بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ؛ فكنّا على ذلك؛ حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصِدْقه وأمانَتَه وعفافَه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبدَه، ونخلَع ما كنا نعبدُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصِدْق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرحم، وحُسْن الجِوار، والكَفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفَواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقَذْف المُحْصنات؛ وأمَرَنا أن نعبد الله وحده لا نُشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت: فعدد عليه أمور الإسلام . فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنّا نستحلُّ من الخبائث، فلما قَهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم! فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ! قالت: فقرأ عليه صدراً من: { كهيعص } [مريم: 1]. قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت(1) لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم؛ ثم قال [لهم] النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة(2) واحدة. انطلقا، فلا والله! لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون»(3).

وهكذا يجب أن يبيّن المسلمون للعالم عالمية الإسلام، ويدعوا إلى مبادئه؛ كما أظهر جعفر . رضي الله عنه . مبادئ الإسلام وعدَّد منها التوحيد، وإنكار الشريك والخرافة والتقليد، كما عدَّد منها الصدق، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء والفواحش وقول الزور، واستنكر . رضي الله عنه . أمر الجاهلية، وقد فهم النجاشي ملك الحبشة أن هذه المبادئ، وهذا الحق هو الذي جاء به عيسى . عليه السلام . وأنه يخرج من مشكاة واحدة، ورد زعماء الجاهلية الذين خرجوا من مكة يطاردون الدعوة الإسلامية.

ومثلهم أولئك الذين يطاردون الفضيلة ومبادئ الدعوة الإسلامية اليوم، ويخططون لعولمة الرأسمالية والإباحية ويتعجبون من المبادئ الإسلامية والفضيلة، ويكرهون أن ينتشر الحق في البشرية.

إن خطط الجاهلية الأولى قد أخفقت في محاربة الحق والفضيلة والعفاف والخير، وكذلك خطط العولمة الكفرية المعاصرة؛ والإسلام اليوم قد خطا خطوات واسعة نحو العالمية من حيث العلم والفكر، وكما انحسرت الجاهلية الأولى أمام مبادئ الإسلام يوم قام أمثال جعفر . رضي الله عنه . باستنكار أمر الجاهلية وإعلان مبادئ الإسلام فكذلك اليوم ستنحسر العولمة . بإذن الله . إذا قام المسلمون بمثل ما قام به دعاة الإسلام في جيل القدوة، وسيتقدم الإسلام نحو العالمية لا من الناحية الفكرية فقط، بل من الناحية العملية العقدية والتشريعية، وسيدخل الناس تحت سلطانه إمّا بمقتضى عقد الإسلام، وإما بالخضوع لنظامه، والله . سبحانه . ناصر دينه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

ـــــــــــــــــــــ

(*) عميد كلية الشريعة في جامعة أم القرى سابقاً، وأستاذ العقيدة في الكلية نفسها حالياً.

(1) حرمت الشرائع الإسلامية لدى الأنبياء . عليهم السلام . الفواحش والربا، انظر كتاب: حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب، دراسة في ضوء الشريعة الإسلامية، للكاتب.

(1) تفسير ابن كثير، 1/ 251.

(1) أخرجه مسلم، رقم 2865. (2) رواه البخاري، باب دعاء النبي إلى الإسلام، 56/4.

(1) الأدم: الجلود، وهو اسم جمع. (2) ضوى: لجأ ولصق.

(3) أعلى بهم عيناً: أبصر بهم.

(4) الأساقفة: علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم، واحدهم: أسقف، وقد يقال بتشديد الفاء.

(1) كذا في أكثر الأصول، واخضلت لحيته: ابتلت. وفي نسخة: «حتى أخضل لحيته»: أي بلها.

(2) المشكاة: قال في لسان العرب: «وفي حديث النجاشي: إنما يخرج من مشكاة واحدة. المشكاة: الكوة غير النافذة؛ وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل»، أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد.

(3) المغازي، لابن إسحاق، ص 358.

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

=============

#العولمة اللغوية

هيثم بن جواد الحداد(*)

لا أظن أن القارئ لهذا العنوان سيجد جاذبية تشده إلى قراءة موضوع عن العولمة اللغوية، في الوقت الذي تقع عيناه على موضوعات متعلقة بالعولمة تبدو لأول وهلة أنها هي أهم مجالاتها، وأشدها خطورة؛ فموضوع مثل العولمة السياسية، أو العولمة الاقتصادية يستحوذ على اهتمام القارئ الذي يرى ويسمع صباح مساء كيف تصوغ السياسة مستقبل الشعوب، وكيف تتحكم السياسة في الاستقرار الدولي الذي يتأثر به الفرد قبل المجتمع؟

وهذا أمر طبيعي في ظل الظروف الراهنة، ولا سيما في ظل السُّعار السياسي الذي أنشب أنيابه في أكثر طبقات المجتمع نتيجة لسرعة المتغيرات الدولية، ولضخامة نتائجها وتأثيراتها، كل ذلك في مقابل التجهيل . سواء كان مقصوداً أو غير مقصود . الذي يمارس ضد المجتمعات والأفراد فيما يتعلق بالجذور الحقيقية لكثير من أسباب الصراعات الحضارية، أو الإقليمية بين الأمم.

لقد غفل الكثير أو تغافل، أن العقائد . بمدلولها الواسع . هي الرحى الذي تدور حوله تحركات الأفراد والمجتمعات، وهذه العقائد تتأثر وتؤثر . في نفس الوقت . بعدة عوامل مرتبطة بالطبيعة البشرية مثل اللغة.

فاللغة باختصار: وسيلة اتصال البشر بعضهم ببعض(1) وهي ذات علاقة ثنائية الاتجاه بما يعتقده الإنسان؛ ولهذا فلا يسع أي دارس لظاهرة عالمية بصرف النظر

عن منحاها أن يهمل دراسة تأثير اللغة في هذه الظاهرة؛ فما بالك إذا كانت هذه الظاهرة متعددة الجوانب، مترامية التأثير والتأثر كظاهرة العولمة؟!

لقد كتب الكثير عن العولمة، وكأي موضوع يستجد في ساحة الفكر العالمي تبدأ الدراسات المتعلقة به، صغيرة بصغره، لكنها تنمو وتتسع دائرتها، حتى تنتقل إلى مرحلة تفتيت الموضوع قيد البحث، إلى موضوعات فرعية أكثر دقة؛ فالعولمة كانت محوراً واحداً تتناوله الدراسات المختلفة، ثم مع تطور تلك الدراسات، وازدياد خبرة الفكر اتسعت دائرة مجالاتها التي وضعت قيد البحث، فظهرت دراسات عن العولمة الاقتصادية، ثم عن العولمة السياسية، وكذلك العولمة الثقافية، وكذلك تناولت بعض الدراسات أنماطاً أخرى من العولمة مثل العولمة الإعلامية، والعولمة الاجتماعية، إلا أنني لم أقف على دراسة سواء كانت مستقلة أو غير مستقلة تتناول عولمة اللغة(1)، على الرغم مما سبق ذكره عنها.

مدخل في أهمية اللغة:

أهمية اللغة موضوع طويل بحاجة إلى دراسات مستقلة، والأبحاث فيه ليست بالقليلة؛ ولهذا سأقتصر في هذا المدخل على جوانب أهمية اللغة التي لها اتصال مباشر بالعولمة اللغوية باختصار شديد.

اللغة وعاء الثقافة:

اللغة وعاء الثقافة، والثقافة أساس الحضارة، والحضارة ترجمة للهوية؛ ومن هنا كانت اللغة من أهم الأركان التي تعتمد عليها الحضارات، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة، وكلما كانت اللغة أكثر اتصالاً بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية الأمة وحملها.

وبهذا ندرك السر في نهي الشريعة الإسلامية عن استعمال لغة الغير (الرطانة) دونما حاجة(2)، في الوقت نفسه الذي نجد فيه بعض الفقهاء أوجب تعلم اللغة العربية(3).

والشعور بهذا الخطر الذي تمثله اللغة الوافدة لم يكن وليد ظروف معينة حملت الفقهاء على هذا الرأي، لكنه حقيقة مرتبطة بطبيعة النفس البشرية التي تميل إلى

المشابه والمماثل، والتي تقترب من الكائن الآخر إذا أمكن التواصل معه، وتبادل مكنونات النفس معه.

ولهذا فلا نعجب مثلاً حينما نرى أن بعض المفكرين اللغويين في بعض البلاد التي تعتبر نفسها أمة عريقة، يرون أن الغزو اللغوي الإنجليزي لا يقل خطورة عن الغزو العسكري.

إن الاعتزاز باللغة ليس وليداً لاعتزاز بذات اللغة بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة، ونحن نقرأ في العصر الحديث مثلاً أن من أكبر العوائق التي وقفت في وجه اتفاقات السلام في مقدونيا الاعتراف باللغة الألبانية لغة ثانية في البلاد؛ فلماذا كل هذا الاختلاف والصراع حول مجرد لغة؟

ثم ما صراع الأمازيغ في المغرب العربي، وخصوصاً في الجزائر، الذي يسقط فيه الضحايا، إلا من أنواع الصراع من أجل إثبات الهوية، لا مجرد اللغة؛ فاللغة الأمازيغية لغة محدودة الانتشار، ضحلة الأدب والفنون، قليلة الفائدة، ولو أن أهلها نظروا بعين إنصاف لكانت لغة القرآن، ولغة قومهم المسلمين، ولغة دولهم، خيراً لهم من هذه اللغة التي تحاصرهم في أضيق الخنادق الحضارية.

اللغة من مقومات الوحدة:

بها تنهض الأمم، ويعلو شأنها، وتتحقق وحدتها، وفي غيابها تتفكك الشعوب وتضمحل الروابط وتتداعي، وينحسر الانتماء.

إن الدول التي يتحدث أهلها بلغة واحدة تكون أكثر تماسكاً وانسجاماً من الدول التي تتحدث بعدة لغات، بل إن وحدة اللغة من أهم عوامل الاستقرار السياسي والاقتصادي، وهذا واضح في الدول الأفريقية إذا ما قورنت بدول أوروبا وأمريكا.

لقد اعتبر جمال الدين الأفغاني إخفاق الدولة العثمانية في عدم استخدام اللغة العربية لغة رسمية لجميع البلاد الإسلامية الواقعة تحت حكمها من أهم العوامل التي ساعدت على قيام النعرات القومية بين العرب والترك، والتي كان لها أكبر الأثر في سقوط الدولة العثمانية على المدى الطويل(4) .

ومن أجل هذا فليس من المستغرب أن يؤكد بعض الباحثين أن البلاد المجزأة لغوياً بشكل كبير بلاد فقيرة دائماً(1).

ويذهب بعض الباحثين إلى «أن التعدد اللغوي بين دول المجموعة الأوروبية يعد عقبة أساسية تحول دون انصهارها في كيان موحد»(2).

وتأسيساً على ما سبق ندرك خطورة دخول لغة أجنبية على قوم ما، هذه الخطورة متمثلة بمجرد مزاحمتها للغة القوم، بصرف النظر عن كونها أقوى أو أضعف؛ فما بالك إذا كانت اللغة الوافدة تملك من المقومات . ولو خارجية . أكثر مما تملك اللغة المحلية! كأن تكون اللغة الوافدة لغة الغالب، أو اللغة التي تمنح متحدثها ميزات اجتماعية، أو مالية، أو نحو ذلك.

وبكل حال؛ فإن ذلك يقود في الغالب إلى احتواء الثقافة المحلية بصورة تدريجية مما يجنبها مواجهة أي مقاومة، ومن ثم ستكون لها آثار مدمرة على المدى البعيد.

إذا علم هذا أدرك الإنسان تلك الحكمة الإلهية المتناهية حينما جعل كتاب هذه الأمة المقدس الذي يمثل دستور حياتها، كتاباً محفوظ الألفاظ والحروف، وأن تطالب الأمة بتعلمه وتلاوته كما هو بلسانه الذي أنزله الله به، وما أعظمه من حكيم الذي لم يقصر ارتباط هذه الأمة بهذا الكتاب على التشريع، بل شرع معه التعبد بتلاوة نفس اللفظ بحروفه، وزاد على ذلك بأن جعل هذا الكتاب كلامه، صدر منه جل وعلا بصوت وحرف، مما يشعر المسلم معه بارتباط عاطفي روحي بمجرد لفظ هذا الكتاب، زيادة على ارتباطه التشريعي به.

وبهذه المناسبة، وإن كنا نستبق بعض فقرات هذا البحث؛ فإننا نقول: إن الأمة المسلمة تملك من مقومات الوحدة اللغوية، ومن ثَمَّ الوحدة الحضارية ما لا تملكه أمة من الأمم؛ فوحدتها اللغوية ليست نابعة من مصلحة أرضية مؤقتة، لكنها تنبع من عقيدة سماوية طاهرة.

ما هو المقصود بالعولمة اللغوية؟

ماذا نقصد بالعولمة اللغوية، أو هل هناك عولمة لغوية؟ إذا نظرنا إلى مدلول العولمة الذي يعني جعل ما هو محلي عالمياً، أو الانتقال من المحلية الإقليمية إلى العالمية؛ فهل هناك لغة انتقلت من المحلية إلى العالمية، فتجاوزت نطاقاً جغرافياً محصورة ببلد أو بلدان، لتصبح لغة عالمية يتحدث بها العالم كله على اختلاف لغاته

الأصلية؟ لا شك أن الجواب الواضح هو الإيجاب، ولا شك كذلك أن تلك اللغة الوحيدة التي يصدق عليها ذلك الوصف هي اللغة الإنجليزية.

وفي العقد الأخير يمكن القول إن سيطرة اللغة الإنجليزية وانتشارها العالمي الذي تضاعف مع الهيمنة الاقتصادية والإعلامية الأمريكية، ثم بسبب تزايد استخدام شبكة الإنترنت أدى إلى اتساع نطاق استخدام كلمات وعبارات إنجليزية تعبر عن الثقافة الأميركية والقيم الاستهلاكية التي قد لا تتناسب مع قيم بعض الأمم التي تعتبر نفسها عريقة، مثل الألمان، والصينيين، والفرنسيين، دون العرب وللأسف.

مظاهر عولمة اللغة الإنجليزية:

أول مظاهر عولمة ظاهرة من الظواهر أن تنتقل هذه الظاهرة من المحلية إلى العالمية، وهذا تماماً ما يحدث للغة الإنجليزية، أو لنقل ما يقوم به البشر نحو اللغة الإنجليزية.

لا أخفي على القارئ الكريم أني وقفت حائراً أثناء كتابة هذه المبحث؛ فقد وقفت على بعض الإحصائيات التي تفيد اتساع نطاق استخدام اللغة الإنجليزية، سواء كانت لغة أولى، أو لغة ثانية، ثم إذا بي أجد إحصاءات أخرى تدل في أقل الأحوال على انحسار ضئيل في اتساع هذه اللغة، ويبدو أن من أهم أسباب هذا التناقض باختصار شديد أن كثيراً من الدول النامية لا تملك إحصاءات دقيقة عن انتشار هذه اللغة أو لغات أخرى في بلادهم، بالإضافة إلى تباين المعايير في الحد الذي يعتبر الشخص به متحدثاً بلغة ما؛ فما هو حجم المفردات التي يتوجب على الإنسان حفظها؟ وما هي كمية التراكيب التي عليه أن يتقنها حتى يقال إنه يتحدث أو يتقن لغة أجنبية؟ وكيف ينظر إلى من يحسن القراءة دون الكتابة، أو العكس؟ ومن الغريب أن أحد أسباب تناقص نسبة المتحدثين باللغة الإنجليزية في العالم هو التناقص الحاد في أعداد المواليد الذي تشهده البلاد المتحدثة بالإنجليزية، وهو ما يؤدي إلى نقص عدد سكانها، في مقابل ازدياد عدد سكان البلاد الأخرى، ولا سيما دول العالم الثالث(1).

بالإضافة إلى ما ذكر فإن عدد المتحدثين بلغة ما لا يمثل حقيقة انتشار هذه اللغة أو عولمتها؛ فإن أكثر الإحصائيات، إن لم يكن كلها، تشير إلا أن أكثر لغة في

العالم تحدثاً هي اللغة الصينية، والكل يعلم أن سبب ذلك ليس انتشار أو عولمة اللغة الصينية بقدر ما يعود لعدد سكان الصين الهائل، وهذا مما يزهد الباحث نوعاً ما في هذه الإحصاءات، إذا ما زاحمها في إثبات ذلك الافتراض شواهد وحقائق أخرى أقوى في الدلالة.

وبكل حال يكاد يجمع من كتب في حاضر اللغات أن اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية بصرف النظر عن عدد المتحدثين بها وتوزيعهم الجغرافي؛ حتى إن كثيراً من الكتابات نظرت إلى اللغة الإنجليزية باعتبارها اللغة المعيارية العالمية(2) .

وهنا نكتفي ببعض هذه الشواهد والظواهر التي تدلنا على مدى امتداد هذه الظاهرة الأفقي:

1 - شعور كثير من الأمم بهذا الخطر الداهم الذي يمثله هذا التغلغل والانتشار للغة الإنجليزية، لا سيما تلك الدول التي تعتز بحضارتها، وتنظر بريبة لانتشار الثقافة الأمريكية، ولم تستسلم بسهولة للهيمنة الأمريكية على معظم جوانب الحياة، في معظم البلدان، فهذه فرنسا مثلاً وهي صديق لدود لأمريكا، يدعو رئيسها جاك شيراك إلى إقامة «تحالف» بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني للتصدي بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية، وذلك لدى افتتاحه منتدى حول موضوع «تحديات العولمة».

وقال الرئيس الفرنسي لدى افتتاحه منتدى في جامعة السوربون جمع بين الناطقين بالفرنسية والإسبانية والبرتغالية إنه «في مواجهة قوة نظام مهيمن يحق للآخرين حشد القوى لإرساء المساواة في الفرص وسماع أصواتهم».

ودعا شيراك الناطقين بالإيطالية من الاتحاد اللاتيني إلى الانضمام إلى منظمة الفرنكفونية ومجموعة الدول الناطقة بالبرتغالية والمنظمتين الناطقتين بالإسبانية للدول الأمريكية . الأيبيرية والقمة الأيبيرية . الأمريكية.

وأضاف أنه «من خلال منظماتنا الخمس تصبح هناك 79 دولة وحكومة من كل القارات تمثل 2.1 مليار رجل وامرأة يريدون الإبقاء على لغاتهم».

ودعا شيراك إلى القيام بتحرك في الأمم المتحدة بالاتفاق بين المنظمات الخمس لإقامة «مشاريع مشتركة».

ودافع شيراك عن مبدأ «تعددية اللغات في المجتمع الدولي» ودعا شركاءه إلى «الاستثمار بقوة في شبكات المعلوماتية» مقترحاً إنشاء موقع للثقافات اللاتينية على الإنترنت.

وأعرب أخيراً عن أمله في أن تعترف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) رسمياً بـ «حق التعددية الثقافية» من خلال إصدار «إعلان عالمي يكون بمثابة ميثاق تأسيسي»(1).

وهكذا نجد أمة أخرى مثل الصين ينتابها القلق من هذا الانتشار الواسع . أو العولمة . للغة الإنجليزية في بلادهم من خلال الأفلام الأمريكية التي يحرص الشباب على متابعتها ثم التأثر بها، مما دفع الحكومة الصينية إلى إصدار أول قانون للغة من أجل الوقوف أمام الخطر الذي يتهدد اللغة الصينية، ويلزم القانون الذي بدأ العمل به اعتباراً من مطلع شهر يناير 2001م وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة بضرورة الالتزام بالأسس المتعارف عليها في اللغة الصينية المعتمدة على الكتابة المبسطة في الصين الأم بعيداً عن الكتابة المعقدة المتبعة في المستعمرة البريطانية السابقة هونغ كونغ(2) .

أما الألمان وهم من أكثر الناس اعتزازاً بلغتهم، فقد كان لهم نصيب من هذا القلق المتزايد؛ حيث اتسع في ألمانيا نطاق المناداة بسن قوانين لحماية اللغة الألمانية من تأثير اللغات الأخرى وعلى رأسها اللغة الإنجليزية التي يعتقد اللغويون الألمان أن مصطلحاتها بدأت تشكل خطورة على سلامة لغتهم. ويرغبون أن تحذو ألمانيا حذو فرنسا في هذا المجال.

فالألمان الذين هدموا قبل عقد مضى جدار برلين الشهير، في ثورة سلمية أعادت الوحدة إلى شطري بلدهم يحاولون الآن بناء جدار حديدي من نوع آخر للحفاظ على هويتهم الثقافية واللغوية من طغيان الغزو الثقافي واللغوي القادم من الولايات المتحدة وبريطانيا متخفياً برداء اللغة الإنجليزية، والمصطلحات التي تقض مضجع اللغويين الألمان.

ويطالب هؤلاء بأن تحذو بلادهم حذو فرنسا بسن تشريعات تمنع استخدام المصطلحات الأجنبية في الإعلانات والرسائل الإعلامية.

ويعترف وزير الثقافة الألماني بوجود المشكلة لكنه يرفض فكرة سن قوانين قد تؤدي إلى استحداث شرطة للغة؛ لأن هذا سيكون فيه نوع من القسوة غير المسوغة.

ويتفق مع رأي الوزير عدد من اللغويين الألمان غير أنهم يؤكدون ضرورة اتخاذ إجراء ما لحماية اللغة التي يعتبرونها أغلى ما تملكه أي أمة للحفاظ على وجودها(3).

2 – ومن مظاهر .وربما أسباب .عولمة اللغة الإنجليزية، أنها أصبحت لغة الإنترنت بلا منازع؛ فقد أظهرت دراسة أجرتها إحدى المؤسسات الألمانية أن 77% من صفحات الإنترنت باللغة الإنجليزية بينما لا تتمتع باقي لغات العالم مجتمعة إلا بـ 23% من صفحات الإنترنت، وقد جاءت هذه الدراسة بعد فحص أكثر من مليار صفحة إلكترونية على الشبكة.

وجاءت اللغة اليابانية في المركز الثاني، تليها اللغه الألمانية.

الجدير بالذكر أن نسبة الأمريكيين المستخدمين للشبكة تتضاءل باستمرار، إلا أنهم يمثلون حالياً قرابة نصف مرتادي الإنترنت حول العالم بعد أن كان نصيبهم ثلاثة أرباع مستخدميه قبل خمسة أعوام،(1) والظاهر أن ذلك يعود لازدياد عدد مستخدمي الإنترنت في العالم أكثر من كون السبب تناقص العدد الفعلي لمستخدمي الإنترنت في أمريكا.

3 – من مظاهر العولمة اللغوية الإنجليزية أن اللغة الإنجليزية أصبحت اللغة الثانية في أغلب بلاد العالم . لا سيما العربية بدرجة أولى، ثم البلاد الإسلامية بدرجة ثانية، ـ يتلوها بذلك اللغة الفرنسية(2)، وبعيداً كذلك عن الإحصاءات الدقيقة التي تقف خلف هذه الحقيقة؛ فإن نظرة سريعة لمناهج التعليم في العالم العربي ثم الإسلامي تجد مصداق ذلك؛ حيث ينقسم العالم الإسلامي إلى معسكرين: أحدهما وهو الأغلب يدرس الإنجليزية لغة ثانية لأبنائه، كما هو الحال في دول الخليج ومصر، والسودان، والباكستان، وبعض دول جنوب شرق آسيا، وأما الثاني فيدرس اللغة الفرنسية كدول المغرب العربي، وبلاد الشام.

ويميل المرء نوعاً ما إلى صدق جانب من الإحصاء الوارد في كتاب مستقبل اللغة الإنجليزية الذي قام به المجلس البريطاني عام 1995م والذي يقول إن خمس سكان

العالم يتكلمون الإنجليزية بدرجة ما، وأن الحاجة من الباقين لتعلمها في ازدياد مستمر، وبحلول عام 2000م سيكون هناك بليون شخص يتعلمون الإنجليزية، وستصبح اللغة الإنجليزية هي اللغة الرئيسة لكثير من القطاعات التقنية وغيرها(3) .

4 – ومن مظاهر العولمة اللغوية عموماً . بصرف النظر عن عولمة اللغة الإنجليزية . انحسار نطاق بعض اللغات، أو حتى اندراسها بالكلية؛ فقد أفادت دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة أن نصف اللغات المحلية في العالم في طريقها إلى الزوال مما يهدد الثقافات والبيئة في آن واحد.

واعتبرت الدراسة التي أعدها فريق من خبراء برنامج الأمم المتحدة للبيئة أن «أسرار الطبيعة التي تتضمنها الأغاني والقصص والفن والصناعات الحرفية لدى الشعوب الأصلية قد تختفي إلى الأبد بسبب ظاهرة العولمة المتصاعدة في جميع المجالات».

وقال الخبراء إن 234 لغة أصلية معاصرة اختفت كلياً، محذرين من أن 90% من اللغات المحلية في العالم سوف تختفي في القرن الحادي والعشرين.

وحذر المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة كلاوس توبيفر من أن تحرير الأسواق في العالم . الذي هو مفتاح التنمية الاقتصادية في الدول الغنية والفقيرة . قد يتم على حساب آلاف الثقافات والتقاليد المحلية.

وأشار برنامج الأمم المتحدة للبيئة أن حوالي 32% من اللغات المحلية في العالم توجد في آسيا و30% في أفريقيا، و 19% في منطقة المحيط الهادي، و15% في القارة الأميركية، و3% في أوروبا.

وتأتي غينيا الجديدة على رأس الدول التي تنتشر فيها اللغات المحلية؛ إذ توجد فيها (847) لغة، وتليها إندونيسيا بنحو (655) لغة، ثم نيجيريا (376)، والهند (309)، وأستراليا (261)، ثم المكسيك (230)، والكاميرون (201)، والبرازيل (185)، والكونغو الديمقراطية (158) والفلبين (153)(1).

وقد نشرت هذه الدراسة في مؤتمر عقده برنامج حول البيئة في نيروبي في الخامس من فبراير/ شباط 2001م، وأعلنت الأمم المتحدة أن حوالي سبعين وزيراً للبيئة من القارات الخمس شاركوا في هذا المؤتمر الذي تبنى في يوم انعقاده الرابع خطة للدفاع عن الثقافات واللغات المحلية التي تمثل إحدى الأولويات لحماية البيئة.

4 – ويحلو لي أن أذكر ملاحظة غريبة طريفة تدل على قوة هذا النوع من العولمة ونفوذه، وسريانه حتى إنه فرض نفسه دون أن يشعر به المتظاهرون أنفسهم ضد العولمة في دافوس، ونيس، وساو بالو، فضلاً عن عموم الناس، ألا وهي التي ذكرها (أليكسي باير) في مقال له في صحيفة «The Globalist» حيث قال: «إن اللغة الإنجليزية كانت لغة اللوحات التي استخدمها المتظاهرون المعارضون للعولمة في التعبير عن معارضتهم للعولمة، وما ذلك إلا دليل على عولمة هذه اللغة دون أن يشعر بذلك أحد»(2).

كيف نقاوم هذه العولمة اللغوية؟

قبل البدء في طرح بعض الحلول العملية لمقاومة هذا الاجتياح العولمي اللغوي الإنجليزي ولا سيما لبلادنا الإسلامية، أود أن أثير نخوة الحمية فيه لا لقومية مذمومة، ولكن للغة القرآن الكريم، ووعاء الإسلام، حينما أقول له: ألا تعجب أخي القارئ حينما تعلم أن العرب خصوصاً والمسلمين عموماً هم أوهى من يتمسك بلغته؟! ولا يتوقف العجب عند ذلك، إذا ما علم . وهو معلوم . ولا شك أن أقواماً من أهل العربية الذين يدينون بهذا الدين يزوِّقون كل يوم مسوغات جديدة لنشر اللغة الإنجليزية في بلادهم العربية والإسلامية.

وإن العجب لا ينقضي حينما نرى الغربيين على وجه الخصوص الذين كانوا وما زالوا يطالبوننا بفتح الأبواب للغاتهم سواء إنجليزية أو فرنسية، والتخلي عن لغتنا هم أشد الناس تمسكاً بلغاتهم.

لعلك أخي القارئ سافرت أو قابلت من سافر إلى بعض بلاد الغرب، مثل فرنسا أو ألمانيا؛ فهل تجد للغة الإنجليزية ذلك الحضور الذي تجده لها في بلادنا العربية والإسلامية؟ هل تجد أسماء المحلات كتبت بالإنجليزية؟ هل تجد لوحات الإرشادات أو التوجيهات الصوتية في المطارات أو في غيرها . بخلاف الأوراق الرسمية للاتحاد الأوروبي . كتبت بالإنجليزية؟

ثم ألم تسمع أن الألمان يشعرون بالانزعاج المقرف لمن يحدثهم بغير لغتهم، وأنهم يرفضون الإجابة عنه حتى وإن كانوا يحسنون الحديث بها، وأن الفرنسيين يشمئزون ممن يتحدث بالإنجليزية مع أن أم الإنجليزية لا تبعد عنهم سوى رمية حجر؟!

ألا تصيبك أخي القارئ الدهشة حينما ترى الفرنسيين . وهم أقرب الدول إلى الإنجليز . وقد حافظوا على لغتهم، بل وساهموا في نشرها وامتدادها خارج حدودهم الجغرافية؟!

لو كانت فرنسا دولة عربية أو إسلامية فهل تظن أن الحال سيكون كذلك؟!

إذن لماذا العربية هي المستباحة الحمى؟ أم كما قال العقاد عنها: «لقد تعرضت وحدها من بين لغات العالم لكل ما ينصبُّ عليها من معاول الهدم ويحيط بها من دسائس الراصدين لها؛ لأنها قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية».

إن هذه المقدمة، هي مقدمة الجيش الذي سنخوض به هذه المعركة الشرسة التي تواجهها لغتنا العربية في ظل هذه العولمة الشرسة البشعة.

إن اعتزاز الإنسان بقيمه ومبادئه هو أول الطريق إلى انتصاره ولو طال الأمد، فلا يمكن لنا مقاومة هذا الزحف اللغوي العولمي بجيوشه الجرارة بجنود ملأ نفوسها الخور، وهد قواها نظرية «إعجاب المغلوب بالغالب».

وعليه فلا بد من حملة ضارية يحملها العلماء وقادة الفكر أولاً لإعادة ثقة هذه الأمة بلغتها، واستنهاض هممهم للذود عنها من خلال الخطوات الآتية، وهي:

1 – نشر اللغة العربية في أكبر رقعة جغرافية ممكنة، وهذا الأمر تؤيده وتسهل القيام به مسوغات شرعية، ومسوغات واقعية، ولا شك أن نتائجه ملموسة وسريعة.

وللقيام بهذه المهمة لا بد من سلوك قنوات عدة أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

أ . نشر اللغة بين الأقليات غير العربية التي تعيش في بلاد عربية، مثل بلاد المغرب العربي، ولو يدرك المسؤولون في تلك البلاد فوائد هذا الأمر حتى من ناحية سياسية لاستقرار البلاد لسارعوا إليه.

ب . نشر اللغة العربية في البلاد الإسلامية الناطقة بغير العربية، وهي كثيرة وتمثل ثقلاً سكانياً مثل إندونيسيا، والباكستان، وبنغلاديش، وقد بدأت بذكر هذه البلاد؛ لأن مسلمي تلك البلاد لهم عاطفة جياشة تجاه الإسلام، وتجاه تعلم اللغة العربية، ولا تهمل هذه الخطوة أيضاً مع البلاد التي تبدي تعاطفاً أقل مثل تركيا.

ج . ويتلو هذه البلاد في الأولوية البلاد الغربية، سواء قلنا نشر اللغة العربية بين الجاليات المسلمة التي تعيش فيها، أو حتى بين الغربيين أنفسهم، ويوجد في بلاد

الغرب متحمسون كثيرون للتعرف على الثقافة العربية، والدين الإسلامي، وهذا قد يكون مفتاحاً لتفهم مزايا هذه اللغة، أو مفتاحاً لتعلم الإسلام.

2 – نشر اللغة العربية الفصيحة بين المتحدثين بالعامية في جميع الأقطار العربية؛ وتخيل يا أخي القارئ لو أن العالم العربي كله من الخليج إلى المحيط، يتحدثون العربية الفصحى أو ما يقاربها، ألا ترى أن ذلك يكون أقوى على إزالة الحواجز القبلية والعرقية واللغوية بين المسلمين في العالم الإسلامي، ومن ثم يمهد الأرض للعمل من أجل الوحدة الإسلامية؟

وحتى يكون هذا الهدف واقعياً، فلنقل: لنقتربْ من الفصحى بقدر الإمكان، ويمكن تحقيق نتائج إيجابية بنسبة مقبولة وبسرعة إذا تمت معالجة بعض الظواهر المرضية التي تشكل مناخاً ملائماً لفُشُوِّ العامية في البلاد العربية، مثل:

أ . استخدام العامية لغة للإعلام المرئي والمقروء؛ وللأسف أن بعض الدول العربية لم تمانع في أقل الأحوال من استخدام العامية في بعض الصحف والمجلات المحلية، ناهيك عن استخدام العامية في بعض خطابات مسؤوليها.

ب . انتشار ما أسميه بالفكر الفلكلوري أو التراثي؛ حيث تعمد بعض الجهات بحسن نية أو بسوئها إلى تبني العامية وجعلها مظهراً من مظاهر الاعتزاز بالتاريخ، وتعبيراً عن الانتماء الإقليمي أو الوطني، حيث تعمد إلى النبش عن تاريخ العامية، وأهميتها، وأثرها في تنمية الوعي الوطني، ودورها في المحافظة على قيم وثقافة ذلك البلد، بالإضافة إلى نشر الكتابات العامية، وتبني الشعر العامي، أو النبطي كما يسمى في بلاد الجزيرة العربية، وعليه؛ فحتى يمكن نشر العربية الفصيحة فإنه يتوجب علينا أن نبين للناس مدى خطورة هذا الفكر، ومحاولة محاصرته في دوائر ضيقة.

ويحسن بي هنا أن أذكر بعض ما يمكن اتخاذه من أجل محاصرة العامية، وتجاوز ما تقوم به ضد انتشار العربية الفصحى:

أ . بيان خطر العامية على وحدة العالم العربي، ويمكن أن يدلل على ذلك بأن العامية أصبحت في بعض البلاد، إذا ما قورنت بعامية أخرى، كلغة غير عربية؛ فلو أنك جمعت رجلاً من أقحاح قلب الجزيرة العربية، كالقصيم، ورجلاً من أقحاح بلاد

الشام، كلبنان، وثالثاً من الجزائر لاحتاجوا إلى مترجم يساعدهم في التخاطب فيما بينهم. ويمكن للقارئ أن يقوم بتجربة يسيرة تبين له صدق هذا الافتراض؛ فلو أخذ بعض العبارات المتداولة في بلاد الجزائر ودفعها لشخص من لبنان، أو إلى آخر من السعودية، لما استطاعا فهم أكثرها، وهكذا العكس.

جاء في كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور شوقي ضيف في افتتاح مؤتمر دورة المجمع السابعة والستين بالقاهرة: «لو تمادت الإذاعات العربية في البث بالعاميات لانفكت الصلات التي تربط بين شعوب الأمة، وانعزل كل شعب عربي وعاش وحده، بينما شعوب الغرب في أوروبا المتعددة اللغات تجمع شملها في تكتلات اقتصادية وسياسية واحدة كالاتحاد الأوروبي»(1).

ب . بيان خطر العامية على التمسك بالإسلام وفهمه؛ فالذي يستخدم العامية بدل العربية الفصيحة يكون أبعد من الألفاظ والتراكيب اللغوية الفصيحة، ومن ثَمَّ يكون أبعد عن فهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وشيئاً فشيئاً تبنى الحواجز بين كتاب الله وسنة نبيه اللذين هما مصدر هذا الدين، وبين أهل الإسلام.

3 – الحد من توسع اللغة الإنجليزية ولا سيما في المجالات التي يمكن الاستغناء عنها ولو بشيء من المشقة. والذي يؤسف له أن بعض البلاد العربية نشرت التعليم الأجنبي في مراحل التعليم المختلفة بدءاً من التعليم الابتدائي، وهذا والله لو أدركوا خطره لما فعلوه، بل لحاربوه بكل الوسائل.

يا قومنا! هذه دول العالم التي تحترم نفسها، وتعتز بهويتها لا تدرس هذه اللغة إلا في أقسام اللغات في المراحل الدراسية العليا الجامعية، وما فرنسا، وألمانيا، واليابان، وروسيا، والصين منا ببعيد؛ فهل نحن أحرص على التقدم الحضاري أو العلمي أو التقني منهم؟ وهل أدى نهجهم هذا الذي نهجوه في الحد من استعمال اللغة الإنجليزية إلى التخلف الذي يتذرع به من يدعون الثقافة ويمسكون زمام الأمور في بلادنا العربية والإسلامية؟

وبكل حال، لِمَ لا نجعل تعليم اللغة الإنجليزية مرهوناً بالحاجة لاستعمالها؟ فما الفائدة بالله عليكم حينما يتعلم الطالب منذ نعومة أظفاره لغة أخرى لتزاحم لغته الأم، مع العلم أن حاجته لها في حياته العملية قد تكون محدودة جداً، أو معدومة؟

وليعلم أن كثيراً من الذين تعلموا اللغة الإنجليزية على سبيل المثال كانوا أحرص على السفر للبلاد الغربية بحجة وبدون حجة؛ وما ذلك إلا لأن معرفتهم بهذه اللغة شيدت جسوراً من التواصل المعنوي العاطفي معها.

ولا يزعمن زاعم أنه لا يمكن الاستغناء عن اللغة الإنجليزية لعموم الناس؛ فالرد على هذا الزعم يكون أولاً بالنظر إلى أحوال الدول التي ذكرناها، ثم ليعلم أن الحاجة إلى اللغة الأجنبية تزداد إذا أراد الناس ذلك، وتقل إذا أراد الناس ذلك، ولعل هذا يذكرني بما قاله بعض فقهائنا من أن الناس يجدُّ لهم من القضايا بقدر ما أحدثوا من الفجور، ولنضرب لذلك مثالاً استخدام جهاز الحاسب الآلي؛ حيث أصبح من الحاجيات الأساسية لدى بعض الناس ولا سيما مع شبكة الإنترنت؛ لكن مطالبة الناس للبرامج العربية شجع منتجي البرامج على تكثيف إنتاج البرامج العربية، وبذلك قلَّت حاجة عموم الناس لتعلم مصطلحات إنجليزية أكثر، وهكذا في دائرة تتسارع؛ حتى إن بعض الناس يحسنون استخدام تطبيقات الحاسب الآلي دون إلمام باللغة الإنجليزية.

وملاحظة أخرى يحسن التنبيه لها وهو التفريق بين تعليم اللغة الانجليزية لمن يخشى عليه من الذوبان الثقافي العقدي إما لصغر سن، أو ضعف دين، ومن لا يخشى عليه ذلك، وبنظرة لواقع النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته حينما حث بعض أصحابه وليس (عموم المسلمين) على تعلم لغة يهود.

4 – مقاومة الاعتقاد السائد لدى قطاعات كثيرة من عامة الناس أن تعلم اللغة الإنجليزية مفتاح للمستقبل المشرق والوظيفة المرموقة.

5 – تكثيف الترجمة العلمية الصحيحة والراقية، وقد أثبتت التجارب العملية سواء التي قامت بها دولة مثل سوريا، أو بعض الجامعات العربية أن الترجمة إلى العربية لها آثار إيجابية واسعة النطاق؛ حيث يزداد التحصيل العلمي لمن يتعلم بلغته الأم، ناهيك عما تؤدي إليه هذه الترجمة من تحفيز الجهود لأعمال عربية مماثلة لتلك التي تترجم، بالإضافة إلى أن الترجمة إذا تمت من قبل أناس يجمعون بين إتقان الترجمة، وإتقان العلم الذي تتناوله المادة المترجمة؛ فإن ذلك سيحملهم على نقد المادة المترجمة، أو الاستدراك عليها، أو التعليق عليها، وهذا يؤكد مقدرتهم على «هضم» ما قيل، بل على الزيادة عليه.

6 – على أهل التعليم، لا سيما مدرسي المراحل الابتدائية والمتوسطة، ومديري الجامعات، والمشايخ في حِلَق المساجد، والموجهين في القنوات الإعلامية، إتقان اللغة العربية، وجعل هذا الإتقان عدوى . إن صح التعبير . تنتقل للأجيال التي تقع بين أيديهم، فيساهمون في إحداث ثورة لغوية تصحيحية.

7 – تكثيف الأنشطة والمسابقات اللغوية؛ ففي القديم كانت مدارسنا تقيم مسابقات للخطابة والإلقاء، وكذا مطارحات شعرية، ومسابقات للقصة القصيرة، وغيرها من صنوف الأدب واللغة، ولكنها اضمحلت في السنوات الأخيرة، وليس هذا والله بفأل حسن.

وختاماً نقول: إن اللغة العربية تملك من المؤهلات ما يحميها ليس من الاضمحلال فقط، بل ما يجعلها منافسة للغة الإنجليزية، إذا ما وجدت ألسناً تفخر بالتحدث بها، والدفاع عنها، ونشرها، وتحويل العولمة الإنجليزية إلى عوربة للعالم الإسلامي في أقل الأحوال؛ فمن يستجيب؟

(*) المشرف الثقافي في المركز الرئيس للمنتدى الإسلامي بلندن.

(1) كما يقال فإن تعريف المعروف من أصعب المهام؛ ولذلك فلا نريد أن ندخل في تعريف اللغة، ولا سيما مع انتشار أنماط جديدة من وسائل الاتصال، حيث ولَّدت بعداً جديداً لمدلول اللغة، كما في لغات الكمبيوتر مثلاً.

(1) في أثناء إعداد هذا المقال وقعت على كتاب للدكتور أحمد بن محمد الضبيب، بعنوان: (اللغة العربية في عصر العولمة)، نشر مكتبة العبيكان، حيث ناقش تأثير العولمة على اللغة العربية، وكيفية مقاومة ذلك، فجزاه الله خيراً على هذا الجهد، وقد أفدت منه.

(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، 203/1 . 208.

(3) الرسالة، للشافعي، ص 49، وإن كان شيخ الإسلام يتحفظ على هذا الرأي.

(4) انظر: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، دراسة وتحقيق، د. محمد عمارة، ص 219 . 242، طبعة القاهرة، سنة 1968م.

(1) اللغة والاقتصاد، ترجمة الدكتور أحمد عوض، الكويت، عالم المعرفة، شعبان 1421هـ، ص 48، نقلاً عن اللغة العربية في عصر العولمة، الدكتور أحمد بن محمد الضبيب.

(2) العرب وعصر المعلومات، نبيل علي، الكويت شوال 1414هـ، نقلاً عن اللغة العربية في عصر العولمة، الدكتور أحمد بن محمد الضبيب.

(1) انظر: بحثاً جيداً أعدته (باربار والراف) في مجلة The Atlantic في عدد نوفمبر 2000م بعنوان: What Global language؟ ما هي لغة العالم؟ وانظر: Cambridge Encyclopedia of the English language (1995م) على شبكة الإنترنت، وانظر: بعض الإحصاءات في موقع http://www.krysstal.com/ english.html.

(2) انظر: The Economist ،21December 1996م، ص 39 نقلاً عن كتاب مستقبل اللغة الإنجليزية.

(1) أخبار قناة الجزيرة على الشبكة يوم الثلاثاء، 1421/12/25هـ الموافق 2001/3/20م، وجاء في الخبر: أن الاحتفال بيوم الفرنكفونية الدولي في القارات الخمس (55 دولة) بدأ اليوم الثلاثاء، وهو نفس يوم انطلاق حركة الفرنكوفونية العالمية قبل 31 عاماً.

وجاءت الدعوة تلبية لنداء المنظمة الدولية للفرنكوفونية التي يترأسها الأمين العام السابق للأمم المتحدة بطرس غالي، وتضم 55 دولة من الناطقة كلياً أو جزئياً بالفرنسية وتمثل نحو 500 مليون نسمة عبر العالم.

وتم إنشاء الوكالة الحكومية للفرنكوفونية في 1970/3/20م في نيامي عاصمة النيجر، بمبادرة من ثلاثة رؤساء دول أفارقة هم الرئيس السنغالي ليوبولد سيدار سينغور، والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، ورئيس النيجر ديوري.

وكانت هذه الوكالة تدعى لدى انطلاقها: (وكالة التعاون الثقافي والتقني) وضمت 21 دولة عملت على إرساء قواعد لمجموعة فرنكوفونية «قادرة على إسماع صوتها في إطار الحوار العالمي».

وتعتبر الوكالة الفرنكوفونية المحرك الأساسي للمنظمة الدولية للفرنكوفونية. وهي تعد برامج مساعدة وتدريب في القطاعات اللغوية والثقافية والقضائية وفي مجال الإنترنت.

(2) الأربعاء 1421/10/22هـ الموافق 2001/1/17م.

(3) وكالة رويتر للأنباء نقلاً عن قناة الجزيرة، الإثنين 1421/12/10هـ . الموافق 2001/3/5م.

(1) الأهرام المصرية، حيث نقلت هذه الدراسة عن مؤسسة جوجل في ألمانيا، من موقعها على شبكة الإنترنت بتاريخ 9 ربيع الثاني 1422هـ الموافق 30 يونيو 2001م.

(2) انظر: مثلاً الإحصاء الوارد في موقع http://www.krysstal.com/english.html.

(3) The Future of English? إصدار المعهد البريطاني، نشر The English Company.

(1) قناة الجزيرة، السبت 1421/11/17هـ، الموافق، 2001/2/10م نقلاً عن أي إف بي.

(2) المقال مؤرخ بتاريخ 2001/2/5م.

(1) نقلاً عن قناة الجزيرة، الإثنين، 1421/12/24هـ الموافق 2001/3/19م

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

=============

#فخ العولمة

عبدالرحمن عبدالعزيز السديس

ملخص الخطبة

دعوة العولمة , معناها وخطورتها – بعض مظاهر العولمة – محاذير الإنترنت – المؤتمرات والمؤامرات (السكان , المرأة ..) – المنظمات الدولية ودورها الخبيث – أثر الاقتصاد وخطورة الاقتراض من الدول الكافرة – كيف نواجه العولمة

الخطبة الأولى

عباد الله: إن فخا عظيما ينصب لأمة الإسلام اليوم يراد لها أن تقع فيه فتضمحل في غيرها وتفقد خصوصيتها وتخسر خيريتها وشهادتها على الناس إنه فخ العولمة الذي تنصب شراكه هذه الأيام شعاره المصير الواحد للبشرية هدفه إزالة الحواجز الدينية والأخلاقية وتذويب الفروق بين المجتمعات الإنسانية المختلفة وإشاعة القيم المشتركة التي يراد لها أن تجمع البشر بزعمهم وسيادة المال وحرية التجارة عبر الدول والنفاذ إلى المجتمعات بعيدا عن هيمنة حكوماتها فتضعف بذلك السلطات المحلية ويحل محلها سلطات أخرى تنتظم مجموعة الدول التي وقعت في الشراك عبر شركات كبرى تجوب الأرض طولا وعرضا لا تعوقها حدود ولا تضايقها قيود ولا تراعي خصوصيات لبلد لسان حالها من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ومن مظاهرها التي تم شيء منها وبعضها في الطريق شبكات المعلومات العالمية الإنترنت والتي يصعب السيطرة عليها إلا بإلغاء نظام الإتصال أصلا وهذا لا تفكر أي دولة بالإقدام عليه أما الرؤى والأخلاق والثقافات والمواقف التي تطرح عبر هذه الشبكات فهي بمنأى عن سيطرة الدول وتحكمها وفيها من الإختلاط والتوصل إلى الشعوب ما ينذر بخطر عظيم على ما فيه من خير لا يتطلبه إلا علماء الناس وحكماؤهم وما أكثر الناس بعالمين ومن مظاهرها المواطئة لها شبكات الإتصال والإعلام عبر الأقمار الصناعية من خلال أطباق الإستقبال التي تعلو كثيراً من بيوت المسلمين وتنشر فيهم ثقافات وقناعات وتغرس في أبنائهم وبناتهم قيما ومبادئ وأخلاقا ما كان يعرفها أحد من آبائهم المحافظين حتى أصبح ما يشبه إنفصاما نكدا بين ثقافة الوالدين وقناعاتهم وقيمهم وأخلاقهم وبين كل ذلك في الأولاد واستسلم كثير من الأولياء وأعلن عجزه عن تربية أولاده وما ذاك إلا لأن هناك من يزاحمه بل من يبعده ويحتل موقعه في تربية فلذات كبده وهي هذه القنوات التي تصب عليهم بالليل والنهار أخلاقاً وقيماً ومبادئ وأفكاراً مستمدة من قيم وأفكار ومبادئ القائمين عليها وأكثرهم من اليهود ومن شايعهم من الصليبيين ومنها هذه المؤتمرات التي تعقد بين الفينة والأخرى بهدف فرض رؤى العولمة بفرض رؤى غريبة عن المجتمعات الإسلامية حتى تفقد هويتها وتضمحل في غيرها ومنها مؤتمر السكان بالقاهرة والذي تدخل في أمور شرعية هي من المسلمات عند المسلمين وقاطعته هذه البلاد والحمد

لله واستنكره في حينه علماؤنا في هذه البلاد وفي مصر ولله الحمد وفي كثير من بلاد المسلمين ثم مؤتمر السكان بلاهاي ومؤتمر المرأة ببكين ومؤتمر الإسكان بإسطنبول وكلها نوع من العولمة لقيم غريبة غربية محددة لسحب المجتمع الدولي والمجتمع الإسلامي بخاصة إلى الوحل الأخلاقي والإجتماعي الذي انحدر إليه الغرب فالأسرة في المجتمعات الإسلامية تعد ركيزة إجتماعية متماسكة قوية وهي في الغرب تعد من مخلفات الماضي ولذا يحرصون على هدم هذه الركيزة عند المسلمين عبر هذه المؤتمرات عبر إخراج المرأة من تميزها النوعي والإنساني والكثافة السكانية وهي قوة بشرية يتمتع بها العالم الإسلامي تمثل هاجساً مخيفاً للغرب يسعى لتقليصه عبر هذه المؤتمرات وتوصياتها أما الوسائل التي عن طريقها تفرض رؤى العولمة فهي المؤتمرات والمنظمات الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية والمجلس الإقتصادي والإجتماعي ومنظمة الأغذية والزراعة ومنظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسكو وغيرها إن المال والإعلام هما السلاحان النافذان في عصر العولمة فمن ملكهما كانت له السيطرة والنفوذ وقد قال أحد حكماء الغرب قبل خمسمائة عام : إذا حاربت بسيف المال فستكون الغالب دائما وقد أخبرنا الله تعالى عن هذا عن اليهود ونظرتهم إلى المال فقال جل وعلا عن قولهم في طالوت: أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وقال جل وعلا عن المنافقين: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا إن من ملك المال والإعلام هو من سيفرض مفاهيمه وقيمه ومبادئه على الآخرين في عصر العولمة وهو الذي سيحدد المعايير ويدفع الهيئات والمؤسسات نحو ما يريد وسيعمل لتحقيق مصالحه خاصة إنه الغرب وعلى رأسه أمريكا فهو الذي سيبقى مسيطرا في عصر العولمة إلى درجة العمل على إفناء الآخرين وإلغائهم ومن عدى الغرب سيصبح مجرد حشو يمكن توظيفه لصالح المستفيد الأول من العولمة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر لله على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى غفرانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه أما بعد فيا عباد الله يجب ألا يعزب عن أذهاننا أن تدخل إنجلترا واحتلالها لمصر في القرن الماضي واحتلال فرنسا لتونس في القرن الماضي أيضا هو عن طريق القروض التي أوجدت بتراكمها والعجز عن سدادها أوجدت الذريعة للتدخل السافر للمستعمر وبسبب الديون التي بدأت بتشجيع من الغرب عن طريق البنك الدولي وصندوق النقد الدولي الذين يعملان على إغراق الدول المستهدفة بالديون بسببها أصبح إقتصاد معظم هذه الدول متخبطاً وما كوارث الدول الإسلامية في جنوب شرق آسيا عنا ببعيد والدول العربية وهي إحدى الدول المستهدفة بالعولمة بلغت ديونها الآن مائتان وخمسون مليار دولار وهي تتزايد ربا بمقدار خمسين ألف دولار في الدقيقة الواحدة فيا لهول الأمر وعظم الفاجعة ولعلنا إن شاء الله في خطب لاحقة نكمل الحديث عن خطر العولمة ونبين جوانب الضعف فيها التي لو أحسن المسلمون إستغلالها لقلبوا السحر على الساحر ونبين واجبنا تجاهها ونقول ما قال ولي العهد في تصريحه لا لعولمة الفساد والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

اللهم صل وسلم على عبدك ونبيك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المصدر: http://www.islamdoor.com/k/281.htm

=============

العولمة: مرحلة متطورة في الامبريالية*

اسماء اغبارية

27 / 4 / 2003

فيما يلي موجز للمحاضرة التي القيت في حزيران (يونيو) 2001، وكان هدفها تحديد طبيعة المرحلة التاريخية، العولمة، بانها استمرار لعهد الامبريالية. الحرب على العراق اليوم هي اشارة اضافية مهمة الى صحة هذا التحليل؛ النقاش تم بالتحديد مع الحركة ضد العولمة التي تطورت فيما بعد للحركة ضد الحرب، غير ان عدم قراءتها الصحيحة للنظام السياسي العالمي، أعجزها عن طرح البديل له، والنتيجة انها وقعت واوقعت العالم معها، رهينة صانعي القرار السياسي الذين قرروا جر الشعوب من حرب لاخرى.

طبيعة المرحلة

العولمة هي مرحلة متطورة في الرأسمالية، وليست "نهاية التاريخ" والتناقضات الطبقية، كما ادعى انصارها. بهدف الاشارة الى الخيط الذي يربط بين الامبريالية التي ميزت اوروبا عشية الحرب العالمية الاولى، وبين العولمة اليوم، سنعتمد على كتاب لينين "الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية" (دار التقدم، موسكو).

وضع لينين كتابه على خلفية التحضيرات للحرب العالمية الاولى التي بدأت في المانيا. ووجه نقاشه لقائد الاممية الثانية، المفكر كارل كاوتسكي، زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني، الذي دعم الحرب مدعيا انها حرب بين الامم تتطلب من الشعب التجند دفاعا عن الوطن، ورفض التحديد بان الرأسمالية استنفذت نفسها. لينين من جهته ادعى ان سبب الحرب كامن في ان رأس المال المالي والصناعي في المانيا كبر جدا، ولكنه لم يجد لنفسه مكانا في العالم يتوسع اليه بعد ان تم تقسيم العالم بين الدول الاستعمارية العظمى، وتحديدا بريطانيا وفرنسا. وفسر لينين الحرب بانها محاولة لاعادة تقسيم العالم بالقوة، ناجمة عن تغيير في موازين القوى بين الدول العظمى.

وعاد لينين لتحليل ماركس بهدف تحديد المرحلة التي تمر بها الرأسمالية. حسب تحليل ماركس الرأسمالية تميل للتطور من منافسة حرة الى التمركز او الاحتكارات العالمية التي هي النقيض التام للمنافسة، وهي اقرب شكلا للنظام الاقتصادي الاشتراكي. لينين الذي يثبت باحصائيات من فترته صحة الاتجاه، يشير الى ان المصانع الكبرى التي صمدت في الازمات الدورية، توصلت لضرورة احتكار السوق

بهدف تنظيمه والتحكم بالعرض والطلب ومنع انهيار الاسعار الناجم عن المنافسة الحرة.

الاحتكارات الصناعية في تلك الفترة اضطرت ان تبحث عن رأس المال الكبير والمواد الخام في كل مكان في العالم، بعد ان عجزت الدولة عن اشباع طمعها. الى جانب ذلك نما رأس المال المالي (المصرفي) الفائض الذي بحث لنفسه عن اماكن للاستثمار حتى في الدول المستقلة التي احتاجت للديون.

العولمة – المرحلة الفوضوية في الرأسمالية

اذا كانت الاحتكارات في فترة لينين لا تزال تعيش الى جانب المنافسة الحرة، فانها في عهد العولمة اصبحت الامر المسيطر. يتجلى هذا في ميل واضح باتجاه الاقتصاد المبرمج من خلال تركيز الشركات المتعددة الجنسيات. ولكن لا تزال هناك فوضى لان رأس المال لم ينجح في تركيز الفروع الانتاجية في جهاز اقتصادي موحد.

ثلاث طرق بارزة يحكم من خلالها الاستعمار العالمي الجديد: اولا، من خلال الشركات المتعددة الجنسيات التي تسيطر من خلال مؤسسات المال العالمية ومنظمة التجارة العالمية التي تحدد السياسات الاقتصادية لدول العالم. ثانيا، الرأسمال المضارب في البورصات. وثالثا، رأس المال المالي الذي يبني علاقة تبعية اقتصادية، وبالتالي سياسية، مع الدول من خلال الديون والفائدة البنكية التي ترهق كاهلها.

الرفاه انحراف عن الرأسمالية

عدم انهيار الرأسمالية يثير السؤال حول صحة موقف وتحليل لينين بالنسبة لطبيعة الامبريالية كما عرّفها، بانها المرحلة الاعلى في الرأسمالية والتي تقربها من نهايتها، وتخلق الانطباع بان الرأسمالية دائما تصحح نفسها.

الاجابة تكمن في عدة نقاط: الاولى، ان لينين لم يستطع تنبؤ القوة الاحتياطية للرأسمالية: الاقتصاد الامريكي المزدهر الذي انقذ اوروبا من الدمار. الثانية، دولة الرفاه التي تأسست للجم الرأسمالية. والنقطة الثالثة تتعلق بالوضع الجديد ذي القطبين الذي نشأ بعد الحرب العالمية الاولى: الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اللتين

خلقتا موازين قوى جديدة ولجمت الرأسمالية ومنعتها على مدى 30 عاما من الانجرار باتجاه نهايتها.

المفارقة ان انحراف النظام الرأسمالي عن مساره الطبيعي، المنافسة الحرة، حافظ عليه ولكنه في النهاية بدأ ايضا يثقل عليه. القطاع العام لم يعد بامكانه تمويل خدمات الرفاه التي قدمها للمواطنين، وذلك لعدم وجود قطاع خاص قوي يمكنه دفع الضرائب، واضطرت الدولة ان تمول النفقات من خلال خلق عجز في ميزانيتها.

ثورة تاتشر في بريطانيا وريغان في الولايات المتحدة جاءت لتصحح هذا "الانحراف"، من خلال خصخصة القطاع العام. وانفتح المجال بذلك للسوق ان تنظم نفسها بنفسها حسب مبدأ "اليد الخفية": القوي سيصمد والضعيف سيسقط. هكذا وجدت الرأسمالية نفسها تنجر من جديد لعهد الرأسمالية التقليدية حتى لو سميت باسم جديد "العولمة"، وهذه المرة بشكل اكثر وحشية.

في وثيقة حزب دعم "القضية الفلسطينية والبديل الاشتراكي – رؤية جديدة في عصر العولمة"، كتبنا ان العولمة لم تأت بالديمقراطية والتقدم كما وعدت، بل بمزيد من الحروب والدمار. الازمات والحروب التي نشهدها منذ تفرد امريكا بقيادة العالم، لا تزال تضرب الهوامش وليس المراكز: 1997 انهيار الاقتصاد في تايلاندا، افلاس الارجنتين، الهند وباكستان، الانتفاضة. واذا كانت المراكز لم تنتقل لحروب فيما بينها فذلك لان الدول العظمى تلجم نفسها بشكل واع لمنع الحرب العالمية الثالثة التي قد تطيح بالنظام الرأسمالي برمته، خاصة انه لم يعد هناك قوة احتياط تنقذه.

مجرد الازمات يشير الى ان العولمة لم تنجح في وضع حد للتناقضات الطبقية بل زادتها حدة. السبب ان القوانين الاساسية في الاقتصاد الرأسمالي لم تتغير، والتناقض الجوهري بقي ايضا في الطريقة الجديدة: التناقض بين الشكل الاجتماعي للانتاج والتملك الخاص لوسائل الانتاج. وبكلمات اخرى، مبدأ الربح بقي هو المبدأ الذي يحرك الانتاج وليس مصلحة المجتمع.

في ختام هذا الفصل نقول ان العولمة هي مرحلة متطورة من الامبريالية، وليست نقيضها. لسنا في وضع ثوري يشير الى انهيار كل اجهزة النظام القائم، ولكن الانهيار هو الاتجاه العام. الفوضى العارمة التي تسود العالم الثالث هي نتيجة

الامبريالية الجديدة التي تدفعها اطماعها للربح لاخراج 80% من البشرية خارج قوانين اللعبة.

كيفية مواجهة العولمة

خلافا للينين الذي كان عليه مناقشة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، فاننا نواجه اليوم وضعا فقدت فيه الطبقة العاملة اي تمثيل حزبي سياسي، وفقدت حتى الوعي الطبقي الاممي. الاحزاب التي ناقشها لينين وصلت للسلطة في المانيا وبريطانيا مثلا، من خلال تبني برنامج البرجوازية ونظام دولة الرفاه، وتنازلت بذلك عن الدور التاريخي لحزب الطبقة العاملة، وهو الوصول للسلطة. الى هذا الفراغ السياسي دخلت منظمات غير حكومية تعرّف نفسها بانها غير سياسية، واستأثرت لنفسها بحق تمثيل الشعوب المضطهدة.

هذا القطاع الذي يسمى القطاع الثالث، او المجتمع المدني، يشمل بالاضافة للمنظمات الاهلية ايضا مثقفين ليبراليين. يؤمن هذا القطاع بالتعاون بين الطبقات، ويحرض ضد التغييرات الجذرية، وذلك من خلال تمويه التناقضات الطبقية والادعاء بانتهائها. بدل ذلك ينادي باصلاحات مدنية، والابتعاد عن العمل السياسي، وتأكيد اهمية الفرد على حساب العمل الجماعي المنظم.

هذا القطاع اعتبر العولمة في البداية ثورة تكنولوجية متقدمة على غرار الثورة الصناعية، ذلك انها الغت الحدود وسمحت بالمنافسة الحرة. الخصخصة فتحت مجالا للجميع لاستخدام الحق بتحقيق الذات من خلال تشجيع المبادرات الفردية الحرة. النجاح او الفشل اصبحا حسب هذه النظرية مسألة ذاتية تتعلق بقدرات الفرد او الامة على ادارة مبادراتهما. انهيار الاتحاد السوفييتي بالنسبة لهذا القطاع كان الاثبات على فشل الاشتراكية والاستبداد، وان بامكان الجميع الاستفادة من خيرات الديمقراطية وعهد الانسانية.

النقاش حول طبيعة العولمة هام، فمنه تشتق المهمات. وكما ان كاوتسكي دعم الحرب وخان مصالح الطبقة العاملة، بسبب تحليله ان النظام الرأسمالي لم يستنفد نفسه بعد، كذلك فان القطاع الليبرالي الانتهازي في ايامنا، اختار تجاهل حقيقة ان الحدود فتحت فعلا ولكن ليس من اجل الانسانية بل من اجل التحرك الحر لرأس

المال وللقوى العاملة الرخيصة، لمضاعفة ارباح الشركات الرأسمالية الضخمة، فكانت النتيجة سكوت هؤلاء الليبراليين عن الاملاءات الاقتصادية التي فرضتها مؤسسات المال العالمية على بقية الامم، ودعمهم للحروب الرجعية التي قادتها قوميات مختلفة ضد روسيا ويوغوسلافيا بدعم كامل من امريكا، ودعمهم ايضا لاتفاقات السلام الفلسطينية والشمال ايرلندية والجنوب افريقية، علما انها خدمت البرجوازية المحلية والقوى الاستعمارية وتناقضت مع مصالح الشعوب.

وضع ثوري؟

لقد مثل لينين امام وضع ثوري، احتدت فيه التناقضات داخل النظام الرأسمالي لدرجة الحرب وانهيار كافة مؤسساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية. في هذا الوضع رأى ان الامبريالية، عصر الاحتكارات، هي المرحلة الوسط بين الرأسمالية وبين مرحلة اعلى في تطور النظام الاقتصادي نحو سوق مبرمجة وموحدة، بكلمات اخرى: اشتراكية. ودور الطبقة العاملة هو اعطاء الدفعة لعملية ولادة النظام الجديد، هذا ودفع قطار التاريخ الى الامام من خلال الثورة. عندما مثلت روسيا امام وضع ثوري، كان حزبه الوحيد الجاهز لقيادة الثورة، بسبب قدرته على رؤية الامور وتحليلها.

وفي ايامنا، رغم الحروب، الفقر، الجوع والفاشية، الا ان القطاع المدني يصر في مؤتمراته في بورتو اليغري أ (2001) وب (2002) على الاصلاحات و"لبرلة السوق"، اي العودة للسوق الحرة، اي لنقطة البداية. ولا يجب ان نستغرب هذا الاصرار على الاصلاح، لان الطبقة التي يمثلها القطاع المدني هي الطبقة الوسطى التي ترعرعت على دولة الرفاه، علما ان دول الرفاه الغربية تغذت من خيرات الشعوب المستعمرة. بمعنى آخر، ان هذه الشريحة مستعدة بهدف ضمان مستوى معيشتها ان يتم مواصلة استغلال الشعوب الفقيرة ولو كان الثمن الحرب.

خلافا للوضع الذي يكتب عنه لينين، لسنا في وضع ثوري بعد، فالازمات لا تزال تضرب الهوامش. ولكن دورنا هو متابعة ما يحدث وتحديد مصلحة الطبقة العاملة ودورها فيه. في وثيقتنا المذكورة آنفا، حددنا ان البرجوازية الفلسطينية أنهت دورها بانتقالها للمعسكر الرأسمالي الامريكي المضاد، وان على الطبقة العاملة ان تتكفل

بتنظيم نفسها لقيادة قضيتها الوطنية والطبقية والحفاظ على مصالحها بنفسها. على المستوى العملي، يقوم حزب دعم بمساهمته في توعية وتنظيم الطبقة العاملة العربية في البلاد، اولا على المستوى النقابي ومن ثم السياسي لتكون جديرة بتحمل المسؤولية والمساهمة في المجهود الدولي للطبقة العاملة العالمية باتجاه تأسيس النظام الاشتراكي.

المصدر: http://www.rezgar.com

* هذه المقالة مأخوذة من نشرة إلكترونية يسارية , علمانية , ديمقراطية من موقع الحوار المدني .وإيرادها هنا من قبيل الإفادة من أصحاب التوجه الاشتراكي في الرد على الرأسمالية الغربية وأما الحل الذي وضعوه فهو أسوء حالا من أخيه وقد أثبت فشله على أرض الواقع وما سقوط الاتحاد السوفيتي إلا خير مثال على ذلك.

===============

#العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق

عمار طالبي

لا تقتصر العولمة على تعميم القيم الاقتصادية وأنظمتها, بل إنها أخذت فعلا تعمم القيم الثقافية التي تكون لب حياة المجتمع, وبخاصة القيم الأخلاقية والدينية منها, إذ أن القيم الأخلاقية والدينية وما تؤدي إليه من سلوك فردي واجتماعي هي الأرضية التي تقوم عليها أنماط السلوك الاجتماعي, وهو ما يمثل الحياة الثقافية في مجملها, باعتبار أن الثقافة طريقة لرؤية العالم والتعبير عنه.

والثقافة التي تملك وسائل الاتصال القوية ووسائل صناعة الثقافة والرقابة عليها هي التي أخذت تهيمن اليوم عن طريق القنوات الفضائية والإنترنت, مما يؤدي إلى غلبة نماذج معينة من القيم الأخلاقية وأنماط معينة من السلوك والذوق, وخاصة لدى الأطفال الذين لم تتكون لديهم ملكة النقد, والحصانة الذاتية, فيقعون فريسة سهلة لما يعرض عليهم من صور مؤثرة, وأغان ورقص وأزياء, وتناول الأطعمة والأشربة, وغيرها من أنماط الاستهلاك عن طريق الإعلانات المكررة والصور الجميلة المؤثرة, مما يؤثر تأثيرا واضحا على المعتقدات والقيم, وبما يعرض بقوة وبمهارة من قيم مجتمع أجنبي, وتصرفات غير مقبولة في مجتمعاتنا نحن المسلمين, بما في ذلك

التمرد على الأسرة وتفكيك علاقاتها المتماسكة, ونشر ما يتعارض مع مرجعياتنا وقيمنا من سلوك جنسي فاضح واستهلاك للمحرمات وما إلى ذلك.

إن الكلمة المؤثرة قديما فقدت كثيرا من تأثيرها, وحلت محلها الصورة التي لا يقف حاجز اللغة أمام تأثيرها, فالذي لا يفهم اللغات الأجنبية يكتفي بالصورة المعبرة.

ربما أدى هذا الاكتساح للقيم, وهدم العلاقات الأسرية, والهجوم على المرجعيات والقيم الثقافية إلى رد فعل, يتمثل في تفجير أزمة الهوية فيرجع الناس إلى التقاليد القديمة والعصبيات القبلية أو القومية الضيقة, التي تؤدي إلى سلوكيات ربما كانت أسوأ مثل التطهير العرقي, أو يحتمون بثقافتهم الأصلية بطريقة تؤدي إلى جمودها, وعدم تفتحها على الثقافات الأخرى, وقد نشاهد جماعة من المهاجرين الأتراك مثلا في ألمانيا يقتصرون على مشاهدة الأفلام التركية وهم مقيمون في ألمانيا, ينقلون هويتهم معهم ولا تتقطع الصلة بينهم وبين مجتمعهم الأصلي, وكذلك بفعل المهاجرون المسلمون في فرنسا, والأكراد في ألمانيا, وقد يؤدي ذلك أيضا إلى ظهور الأقليات العرقية وسلوكها العنيف مما يهدد السيادة الوطنية لبلد ما من البلدان, ويمزق وحدتها الثقافية السائدة, وعقيدتها الدينية.

وهذا التهديد الثقافي والديني قد يؤدي أيضا إلى فرار الناس إلى الدين, يلوذون به, ويحتمون بعقائدهم لدرجة التعصب والعنف والقتال, لأنهم يشعرون أنهم مهددون في أعز شئ عندهم. ولشدة خوفهم من الاستئصال والانسلاخ قسرا عن معتقداتهم, لأن الصراع يسهل أن ينشأ عندما يشعر الإنسان أنه مهدد في جانب من ذاتيته.

وقد تمت دراسات ميدانية في مجال تأثير الأقمار الصناعية على القيم الثقافية ومنها الأخلاقية والدينية على عدد من البلدان منها بالنسبة للعالم الإسلامي : السعودية واليمن والأردن ومصر وتونس, ومنها بلدان أخرى خارج العالم الإسلامي.

من هذه الدراسات دراسة ناصر الحميدي الذي لاحظ أن التأثير على الجوانب الأخلاقية يأتي في الدرجة الأولى, مثل: الترويج للإباحية, والاختلاط وما إلى ذلك مما يخالف القيم الإسلامية, والترويج للسلع الأجنبية وخاصة بين النساء والأطفال, وهذا من الجانب الاقتصادي.

ومما أشارت إليه الدراسة التأثير على الجوانب العقدية والثقافية, والتأثير على الجوانب التعليمية والسلوكية من التشتت بين ما يتعلمه المرء في المؤسسة التربوية, وما يشاهده من برامج مناقضة لذلك, وإغراء النساء بتقليد الأزياء الغربية وأدوات الزينة, وكذلك التأثير على الروابط الأسرية.

وقام اتحاد الإذاعات العربية بدراسة في هذا المجال ومن نتائج ذلك أن المشاهدة الأسرية غير ممكنة في أحوال كثيرة, وغير مقبولة لوجود محاذير أخلاقية, وكذلك ارتفاع نسبة الإعراض عن مشاهدة البرامج الوطنية بحثا عن المتعة والترفيه, وترى العينة أنه بالرغم من وجود تباعد بين المشاهد والمضمون الإعلامي الأجنبي الذي لا يتلاءم مع تعاليم الإسلام ولا مع الواقع الاجتماعي العربي إلا أنه لا يخلو من تأثير.

ومن الدراسات الميدانية التي تمت لمعرفة تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية على الشباب الكوري الجنوبي قام بها(Morgan و Kang) ومن نتائج هذه الدراسة أن هذه المواد أدت إلى تأثير بالغ على القيم التقليدية الكورية, فأصبحت الفتيات الكويات أكثر تحررا من القيم الأسرية والأخلاقية, ويعتقدون أنه لا حرج من الممارسة الجنسية خارج الزواج, وأن ذلك من قبيل الحرية الجنسية, وأصبحن يرتدين الملابس الأمريكية, ويحتقرن العقيدة الكونفوشيوسية.

أما الفتيان فقد كان الأمر على العكس, إذ أصبحوا أكثر محافظة على التقاليد الكورية وأكثر كراهية للولايات المتحدة, وبين الباحثان أن هذا التعارض قد يؤدي إلى رد فعل معاكس مناهض للثقافة الأجنبية.

كما أن شبابا آخرين في دراسة أخرى أصبحوا يدمنون المخدرات هربا من واقعهم بالمقارنة مع الواقع الأمريكي الذي يشاهدونه. ومن نتائج دراسة أخرى تمت على أطفال في أستراليا أن هؤلاء الأطفال أصبحوا أكثر عدوانية وميلا إلى العنف في معاملاتهم, ويرون العالم رؤية تجعله مليئا بالعنف والجريمة من كثرة مشاهدتهم لمواد التلفزة الأمريكية. وهذه النتائج تبين أن هذا التأثير يؤدي إلى فقدان الانتماء. وإلى أزمة أخلاقية وإلى غربة ثقافية, كما يؤدي إلى وجود فئة من النخبة تعيش منقطعة الجذور وتزعم أنها قيادة فكرية, كما تبقى أخرى ذات ثقافة شعبية غريبة عن عصرها وعاجزة عن تجديد ثقافتها وتوسيع أفقها أخلاقيا ودينيا, الأمر الذي يفجر صراعا

اجتماعيا, يعوق المجتمع عن التخلص من التخلف, فعقول بعض المثقفين لا تعترف إلا بالنمط الغربي في الحياة والفكر, وعقول آخرين لا تعترف إلا بالتقاليد التي ربما فاتها الزمن, ولم تعد صالحة لعصرنا هذا, وينتج عن ذلك, أزمة نفسية أخلاقية وعدم استقرارنفسي, ويولد ذلك كله صراعا مريرا داخل المجتمع الواحد.

ولا شك في أن الثقافة القوية في وسائلها ومضامينها تغير المواقف وتشكل رأيا عاما جديدا, وتقوم أحيانا على تزوير الحقائق, وينتج عن ذلك تغييرات عميقة في البنى الاجتماعية وقيمها والتمرد عليها, وتبني ثقافة الاستهلاك للأشياء والأفكار والقيم.

ويؤخذ على العولمة وعلى هذا الذي يدعونه بالنظام العالمي الجديد أنه يخلو من أي منهج أخلاقي, ولذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء, لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة, بالإضالة إلى ذلك, فإن الحداثة الغربية أخفقت في مجال القيم الأخلاقية التي بنيت على المنفعة, أو على مجرد الرغبة أو مجرد العقل, وأبعدت القيم الأخلاقية عن العلم وعن الدين, وبذلك أصبحت العولمة في انفلات عن قيم تحكمها وعن ضوابط إنسانية تحدد سلوكها, ولذلك فإننا نرى فلاسفة الغرب, ممن يسمون بفلاسفة ما بعد الحداثة, يهاجمون العقل الذي تصورته الحداثة أنه هو الحل السحري لمشاكل الإنسان, وأن العلم هو مفتاح السعادة, وإن انقطع عن القيم, وانفلت منها, ويعتبر هذا الانفلات من القيم الأخلاقية والدينية عندهم تحررا, فطالبوا بحرية الجنسية المثلية وغيرها من الموبقات.

ومما جاء في التقرير العالمي الخاص بالصحة النفسية World Mental Report إن الدراسة المعمقة لمشاكل الصحة النفسية التي أشار إليها مؤلفوا هذا التقرير تبين أن المشاكل الاجتماعية والاضطرابات النفسية هي مشاكل كونية, ونسبة كبيرة منها لا تنجو من تأثير سياق العولمة المعقد, لأن وسائل الاتصال الراهنة بقوتها تهدم المرجعيات الثقافية العريقة التي عاشت عليها المجتمعات البشرية وتقوض كثيرا من أسسها, لأن منطق العولمة منطق الربح والمال, والنجاح في الأسواق كلها, أسواق الاقتصاد, وأسواق الثقافة أيضا.

إن العلماء اليوم يجب أن يطرحوا مسائل ذات صبغة أخلاقية وخاصة في مجال البيولوجيا والهندسة الوراثية, حيث نشهد تطورا سريعا سواء في مجال العلم النظري أو البحث الأساسي في مجال البحث التطبيقي, فمنذ أربعين عاما تقريبا كان أغلب الباحثين من العلماء يعتبرون القيم مسألة لا تعنيهم, وأصبح العلماء اليوم لا يستطيعون أن يتجنبوا البحث فيما يتعلق بنتائج أعمالهم العملية, فيجب إذن الاعتراف بضرورة أن تحد سلطة التكنولوجيا بسلطة الأخلاق, كما صرح بذلك المدير العام السابق لليونسكو Frdrik Mayor, وكما قال الكاتب الفرنسي Rabelai : (العلم بلا ضمير ليس إلا خراب النفس) (Science sans conscience n 'est que ruine de I 'ame) إن الباحثين الأمريكان يتساءلون عن نوع الإنسان الذي يريدون إنتاجه, وأدت البحوث المتقدمة في البيولوجيا إلى محاولات التحكم الفيزيقي في العقل البشري, وإلى محاولة التغيير الأساسي بشروط بداية وجود الإنسان ونهايته.

وإذا كانت بداية الاستنساخ كانت في الفئران في هواي Hawai وفي الخرفان بنيوزلندا واليابان, وفي المعز في الولايات المتحدة وكندا, فإن مجلة محترمة جدية علميا وهي المجلة البريطانية The Lancet كتبت في سنة 1998م أنه بات من الضروري صنع كائنات بشرية عن طريق الاستنساخ, ودعت الأوساط الطبية إلى قبول ذلك, وقام Paulin Jose أحد الكبار المهتمين بدراسة المخ البشري يقول:(ليست المشكلة الفلسفية الرئيسية اليوم هي: ما هو الإنسان؟ ولكن ما هو نوع الإنسان الذي يجب علينا إنتاجه؟.) فأين كرامة الإنسان؟ وأين الشعور بالأخطار التي يمكن أن تحدث للجنس البشري, والمفاجئات التي يمكن أن تؤدي إلى إنتاج أناس لا عهد للإنسانية بهم في التاريخ, مما ينحرف بالطبيعة البشرية إلى كائنات أخطر ما تكون, وأكثر ما تكون خروجا عن سمات هذا الكائن الذي نعرفه, وهو الإنسان ذو الطابع الأخلاقي الفطري, وذو الكرامة التي منحه الله سبحانه وتعالى إياها في وجوده وفطرته الأخلاقية باعتباره غاية في ذاته لا أنه شئ, من الأشياء, أو وسيلة إلى غيره يمكن أن يتلاعب بها اللاعبون في مجال البيولوجيا أو العلم المنفلت من أي معيار أخلاقي أو قانوني أو ديني.

لا شك أن ابن خلدون قد تفطن لأهمية القيم الخلقية في حياة الإنسان ولذلك قال: (إذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة).

ويتوقع من العولمة إذا تمكنت في سلطانها أن تمسخ الإنسانية, وأن تقولبها في نمط ثقافي يفقد ما في الحضارات الإنسانية وقيمها من غنى وتنوع, ونحن نشاهد كيف يشجع الغرب الذين يتحدون المسلمين في عقائدهم مثلما فعلوا مع نسرين البنجلاديشية التي تدعو إلى تغيير القرآن وتصف الدين بأنه ظلامي, وكذلك سلمان رشدي, الذي هاجم القرآن ومقدسات الإسلام علنا, فمن حق المسلمين أن تحترم عقائدهم كما تحترم عقائد غيرهم. إن النظم الأخلاقية والديانات تقع تحت تأثير العولمة اليوم فتقود إلى ضعف البنى الاجتماعية والأسرية فيصيبها الاضطراب والتفكك. إن جماعة من المفكرين في ماليزيا عارضوا القيم الغربية, ونظروا إلى القيم الآسيوية على أنها بديل بهذه القيم الغربية, ومن هؤلاء إبراهيم أنور ومظفر شندرا, كما يمكن للأفارقة أن ينادوا بقيم أخرى لهم معارضة للعولمة الغربية, وقد حاول ذلك بولان هونتوندجي Paulin Houtondji في مقال له يدعو فيه إلى مقاومة العولمة الثانية, ومن قبله فرانس فانون 1925–1960م الذي دعا إلى تصفية الثقافة الزنجية وغيرها من آثار الاستعمار, وهو يعتبر من النخبة الإفريقية الآسيوية. إن الظلم الاقتصادي في العالم وراء كثير من التوترات التي تعاني منها الإنسانية, وإذا كان عدد سكان البلدان النامية حوالي (4.5 مليار) فإن الثلث منها على الأقل لا يحصل على المياه الصالحة للشرب, والخمس (1/5) من الأطفال لا يتمتع بالسعرات الحرارية الكافية ولا بالبروتينات الضرورية, بل إن مليارين من البشر أي ثلث (1/3) الإنسانية يعاني من فقر الدم, ويمكن القول بأن ما تستهلكه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من الروائح والعطور, يكفي لسد حاجات التغذية الأساسية والصحة للسكان الفقراء في العالم, وذلك– حسب تقدير الخبراء – لا يتجاوز (13 مليار دولار) وهو المبلغ الذي تستهلكه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من العطور.

إن ارتفاع مستوى الحياة في هذه البلدان قاد إلى هجران كثير من القيم التي تجعل المجتمع متماسكا, فأدى ذلك إلى الحصر Stress والشعور بالوحدة وما إلى ذلك من الأمراض النفسية والجسمية.

إن العالم – كما يقول الأستاذ طه عبد الرحمن – مقبل على تحول أخلاقي جذري بتأثير التحولات المتلاحقة التي يشهدها في الحياة الفردية والاجتماعية, لأن هذه التغييرات تفرز ضرورة معايير أخلاقية جديدة, ويأمل أن يتجه قادة العالم إلى إيجاد نظام أخلاقي عالمي جديد, كما وضعوا نظاما تجاريا عالميا, حتى لا تنحرف العولمة إلى الظلم والعدوان على الأمم الضعيفة اقتصاديا وحضاريا. وبما أن الإسلام يتجه نحو العالمية منذ نزوله, ويحث على التعايش والسلم, وعايش فعلا في تاريخه مختلف الديانات وتسامح معها تسامحا واضحا عند المؤرخين وغيرهم, فإنه مؤهل بتعاليمه الأخلاقية أن يشارك في وضع أخلاق جديدة لهذه العولمة المنفلتة لحد الآن, وهو يعترف بالقيم المشتركة بين الحضارات, ولا شك أن الدعوة إلى الفهم المتبادل للقيم الحضارية الشرقية والغربية من سمات الإسلام الرئيسية, فقد دعا إلى الحوار مع ديانات أخرى, منذ نزول القرآن, ونادى بالحوار بين الأديان وأزاح الغبار عما طرأ على بعض الديانات من الخرافات والتحريفات, ودعا إلى الأصل المشترك بينها جميعا.

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) { آل عمران: 64 }, فعلى المسلم اليوم أن يحدد رسالته نحو العولمة ويبني موقفه على الفهم الصحيح للإسلام, وأن ميزانه ميزان أخلاقي (التقوى) حين يتحاور ويتعاون مع البشرية في العالم إذ ألغى ميزان العصبية واللون, والطبقة والثروة, وجعل عمارة الكون والإحسان إلى العالمين من مبادئه ومقاصده, وكذلك المشاركة في توفير الخير للناس, وحفظ الحقوق, ومنع الظلم وإن كان مع عدو أو مخالف في الدين, (..ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ..) { المائدة : 8 }

وعد القرآن اختلاف اللغات والألوان – واختلاف اللغات هو أيضا اختلاف الثقافات – فهذا المعنى الأخلاقي القرآني إذا راعيناه فإن العولمة لا تصبح غابة يأكل القوي

فيها الضعيف, ولا تمحو الثقافة التي أتيحت لها عوامل القوة ثقافة الآخرين وقيمهم, مما يدعو إلى نشوب الحروب والمقاومة. وإذا كان يتبع العولمة بقصد أو بغير قصد إشاعة الفساد والانحلال, وبيع الشهوة وحمى الاستهلاك, فإن من شأن المسلم أن يقاوم هذه العوامل من الفتنة ويعمل جهده أن تسود القيم التي تحفظ على الإنسان كرامته, ولا شك أن العولمة يمكن أن تكون لها جوانب إيجابية مثل تداول التقنية والمعرفة المتاحة, فيمكن لشباب الشعوب النامية أن يستفيد من ذلك كله لرفع شأن شعوبهم ومستواهم الثقافي والحضاري, ومنع إطلاق الوحش الذي يكمن في الإنسان ليحطم الكوابح الأخلاقية إذا غاب الدين, واختفت القيم, وسادت موجات العنف, والحروب, والفساد الاجتماعي.

إن بعض القيم كالحرية والأخوة والعدل هي قيم متعالية إنسانية, لا يمكن أن يتنكر لها الإنسان إذا سلمت فطرته من الفساد. إن 80% تقريبا من سكان الأرض يتبعون الدين, بالرغم من الشك الذي يسود بعض البلدان, والدين يدعو إلى الرحمة. بل إن الإسلام جاء رحمة للعالمين, كما وردت أيضا عدة مرات كلمة الرحمة في الكتاب المقدس, ولكن الناس لا يراعون هذا المعنى, فترى النزاع بين الهندوس والمسلمين في الهند, بين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا, وبين المسلمين والنصارى في البلقان والسودان, ونيجيريا وإندونيسيا, إن ذلك يرجع إلى عداوات تاريخية قائمة على سوء الفهم, وعدم التسامح والانفتاح على الآخر, بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية والعرقية الأجنبية التي تغذي بعض هذه الصراعات, فالروس مثلا يساندون الصرب, والألمان يؤيدون الكروات, في حين أن البلاد الإسلامية تساعد المسلمين بما في ذلك تركيا. ويشير جيمس ميتلمان أستاذ العلاقات الدولية في الجامعة الأمريكية بواشنطن إلى أن العولمة تنطوي على إمكانات الضرر بالأديان, وإفادتها في الوقت نفسه, فالعولمة في جانبها الإعلامي والثقافي وترويجها للأنماط الاستهلاكية والتحلل من القيم تتحدى المنظومات الدينية والأخلاقية وتضعف إقبال الجيل الجديد عليها, ولكن يمكن القول بأن الدين يستفيد من وسائل الاتصال المعاصرة الفعالة بتوظيفها في نشر الرسالة الدينية والدعوة إليها, ولذلك فإنه بالرغم من هذه العوامل المشار إليها التي تتحدى القيم الدينية والأخلاقية, فإن الأديان

والدعوة الأخلاقية التي تقاوم الثقافة الاستهلاكية يمكن القول بأنها سائرة في طريق اكتساب أنصار في العالم حتى سكان الولايات المتحدة.

وينبغي أن يشار هنا إلى الوجود الإسلامي في القارة الأوروبية الذي يصل إلى حوالي (15 مليونا) منها خمسة ملايين في فرنسا وحدها, وما يعانيه المهاجرون المسلمون من إشكالية الهوية, ذلك أن موجات العنصرية تتزايد ضد هذه الجاليات المسلمة, كما أن احتماءهم بهويتهم واكتشاف جديد لهويتهم لأنها أصبحت مهددة, أدى هذا إلى شعور حاد بالقلق وخاصة لدى الآباء خوفا على هوية أبنائهم من الذوبان, ويتصور بعض الباحثين أن الإسلام يمثل عاملا مقاوما لتحدي العولمة.

فضلا عن الجماعات الغربية المتعددة المقاومة لهذه العولمة, ومن خلال التحليل الواقعي للتاريخ, وهذه الظروف التي يمر بها العالم ينبغي أن يتفطن المسلمون – إن في العالم الإسلامي وإن في هامشه وهو الوجود الإسلامي في الغرب – إلى رسالتهم في أن يضفوا على العولمة السمة الإنسانية الإسلامية, والعمل على أن تكون في إطار أخلاقي عالمي مشترك, ومنعها من التفرعن والنزعة الامبراطورية الرومانية وما إلى ذلك من وجود الاستبداد والفساد. ولا شك أن الشباب في العالم الإسلامي له قدرات وإمكانات وطاقة لا تقدر بثمن, وهي كفيلة إذا قامت بواجبها أن تشارك في توجيه صيرورة هذه العولمة العارمة, إذ ليست الحضارة الغربية هي نهاية الحضارات وخاتمة التاريخ كما يزعم بعض الكاتبين المنبهرين بانتصار الليبرالية الجديدة, وخمود الاتحاد السوفيتي وانحلاله.

ونحن نرى اليوم أن القوة تكمن في المعرفة, وأول آية نزلت في القرآن نبهت إلى القراءة والعلم والقلم الذي يؤوله بعض الباحثين اليوم بأنه الكمبيوتر, ولماذا لا ؟ إنه امتداد للقلم, والعالم الإسلامي اليوم هو ميدان الصراع بين موجات العولمة فيها الرابح والخاسر, ولكن يبدو أول وهلة أنه مرشح لأن يكون هو الخاسر, وهو الذي يدفع الثمن, فلا يوجد في بلد إسلامي مثل بنغلادش من أجهزة الكمبيوتر ما يوجد في بعض الجامعات الأمريكية.

اقتراح: إن قوة الحضارة الحقيقية إنما تكمن فيما يبدو في قوة قيمها الأخلاقية التي تسندها, وتطيل من عمرها, ولذلك فإن العولمة باعتبارها ظاهرة حضارية كونية

تتطلب أخلاقيات عالمية تضامنية تحد من الانفراد بالسيطرة لثقافة واحدة. وتفاديا للصراع بين الثقافات, وذلك بإيجاد ميثاق أخلاقي جديد مشترك ينظم جوانب العولمة المختلفة الاقتصادية والثقافية.

هذا من الجانب العالمي, وأما من الجانب المحلي فإن البلاد النامية مدعوة لإحياء ثقافتها لتصبح ثقافة فعالة, تتفاعل مع الثقافات الأخرى أخذا وعطاءا مما يمكنها من أن تجد مكانا لائقا بين الثقافات الأخرى, بتطوير إنتاجها الثقافي وبوضع استراتيجية ثقافية إعلامية محكمة وإن في صورة إنتاج مشترك بين دول إقليم معين, كالإنتاج المشترك لدول الخليج مثلا الذي يوجد في الكويت, ويكون قائما على أسس عقلانية, وتخطيط واضح تسنده دراسة كافية, وتمويل ضروري, لأن الثقافة اليوم أصبحت صناعة قائمة بذاتها, ولأنه لا يمكن الدخول في العولمة دخولا فوضويا, الأمر الذي لا يعدو أن يكون مجرد اندماج وذوبان في أمواجه العاتية. ويدعم ذلك كله استراتيجية تربوية, هدفها تجديد ملامح المستقبل الذي يراد تحقيقه في الواقع, وأهم ما في الرصيد الثقافي عند المسلم هو قيمه الدينية التي تجعل منه إنسانا يدرك تاريخه, وذلك يتم في إطار فلسفة أخلاقية نشترك فيها مع غيرنا, وينبغي النظر إلى التربية الإسلامية في بعدها الحضاري, لا في بعدها الظرفي ولا في منظورها الجزئي, ويتم ذلك بإحداث تغيير شامل في الأهداف والوسائل الفعالة, والتقنية المعاصرة التي تكون الذهن النافذ والعمل المتقن, مما يمكن من تجاوز التخلف الذي ما يزال يجثم على المجتمعات الإسلامية. كما أن دعم التعلم مدى الحياة وتعميمه بوسائل الإعلام من أهم عوامل الوعي العام في المجتمعِ.

المصدر http://www.ikhwan-muslimoon-syria.org

==============

#"العولمة" نوع من الغزو الجديد

د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

مانشيتات

1- "العولمة" نظام يقصد به الخضوع لمجموعة النظم والأفكار والعادات والتقاليد السائدة في الغرب في مجالات الحياة.

2- إقامة المؤتمرات في بلاد مختلفة، وإتاحة فرص التعليم أمام الأجانب وتسويق العادات والتقاليد، واستخدام التقنية الحديثة في مجال الاتصالات هي بعض وسائل "العولمة".

3- إن من بين العاملين في المجال الفني أناساً يحرصون على دينهم ويخافون ربهم ويحاولون بعث القيم الأصيلة في أعمالهم.

4- الحرص على الجوانب الثقافية والفكرية تعميق للمشاعر الوطنية وتثبيت له في النفوس والقلوب.

5- الوازع الديني والمحافظة على القيم، والعناية بالشباب ورعايتهم أمر لا مفر منه في الوقاية من خطر الغزو الثقافي الجديد.

دلالة العولمة:

العولمة تعبير مستحدث أخذ يجري على الألسنة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وتبلور نظام عالمي جديد، أحاديّ القطبية، تقوده أمريكا، ومن ورائها دول عديدة تسعى في نفس المضمار، ولا يحدث بينها - غالبا - خلاف في قرار، فشاع استعمال "لفظ العولمة" للدلالة على اكتساح الرؤية الغربية في السياسة الدولية لوجه الأرض، فلا يخرج عن هذه السياسة الدولية التي تضع أسسها الولايات المتحدة، وتبرزها وتخرجها الأمم المتحدة إلا قليل من الدول، التي يؤدبها الحصار الاقتصادي (ليبيا) أو العداء السياسي والانقطاع الدبلوماسي (إيران) أو العدوان المسلح (السودان وأفغانستان).

ولم يقف تعبير (العولمة) عند المجال السياسي وحده، بل تعداه إلى مجالات أخرى عديدة حتى صار يعني:

خضوع الشعوب لمجموعة النظم والأفكار والعادات والتقاليد السائدة في (الغرب) في المجالات الاجتماعية والسلوكية والاقتصادية بجميع مظاهرها وعللها، ما صلح منها وما فسد على السواء إلى جانب المجال السياسي بالطبع، وهذا ما أعلنه الرئيس كلينتون في خطابه في الأمم المتحدة في دورة انعقادها الثامنة والأربعين، حين بيّن سياسة بلاده الخارجية التي تقوم على الأسس الأربعة الآتية:

1- تقوية وتوحيد المجتمعات الديمقراطية الصناعية.

2- التبشير بالديمقراطية والعمل على نشرها في العالم.

3- التبشير باقتصاديات السوق (الخصخصة) والعمل على تطبيقها في العالم.

4- حصر وتطويق الدول غير الديمقراطية. (قضايا دولية العدد 198 ص16).

وسائل تسويق العولمة:

أولا: إقامة المؤتمرات:

وبالطبع فإن نشر هذه المبادئ في العالم يستتبعها نشر القيم الغربية ومعالم السلوك وغيرها مما يصطدم في كثير من الأحيان مع قيم الشرق الإسلامي ومبادئه والعادات والتقاليد السائدة بين الشعوب الإسلامية، ولعل العمل على نشر هذه القيم الغربية كان وراء إقامة مجموعة كبيرة من المؤتمرات في عديد من البلاد أذكر منها مؤتمر الإسكان الذي أقيم في القاهرة، وواجه معارضة شديدة، ومؤتمر المرأة الذي عقد في بكين وواجه – أيضاً – معارضة شديدة للتوجيهات والقيم التي يرغب الغرب في تسويقها ونشرها بين الشعوب، لا لشيء إلا لأنها سائدة عنده.

ثانيا: التعليم:

ولم تقف محاولة الغرب فرض مجموعة النظم السائدة عنده على العالم عند عقد عدة مؤتمرات في بلدان مختلفة، بل اتخذ عدة وسائل أخرى تؤدي إلى نفس الغرض، فعمل على إتاحة فرص تعليم بعض القيادات الشابة التي تعود إلى بلادها حاملة مبادئ الغرب وقيمه، رافضة نظم بلادها، وطرائق تفكيرها وأسلوب تعاملها (وقد تعلم في أمريكا – وحدها – في الفترات الأخيرة مليوني طالب آسيوي، بينما لا يوجد طلبة روس في أمريكا سوى 10 آلاف كما يقول ميخائيل كرامر في مقال له بمجلة تايم الأمريكية بتاريخ 1993/4/12م، ويذكر في مقاله أن حوالي نصف أعضاء البرلمان الألماني درسوا في أمريكا الأمر الذي ساعد على تماسك الديمقراطية في بلادهم على حد قوله.

وقد دعا السيناتور الأمريكي بيل برادلي إلى إحضار الروس إلى أمريكا بأعداد ضخمة لأنهم سيتعلمون الرأسمالية بطريقتهم الخاصة، وهذا سيأخذ وقتاً ولكن لا يوجد شيء مختصر في تبادل الأفكار على مستوى كبير) (قضايا دولية العدد 173 ص24).

ثالثا: العادات والتقاليد:

ثم بدأت تنتشر في العالم الطريقة الأمريكية في المطعم والمشرب بحيث أحاطت بالكرة الأرضية مجموعة من المطاعم الأمريكية المنتشرة في كل الأرض، تقدم الوجبات السريعة الجاهزة على الطريقة الأمريكية، وغزت طريقة ونوعية الملابس الأمريكية الشباب، وصار (الكاوبوي) راعي البقر بزيّه المعروف الذي ما يزال ينشر في الإعلانات على أنه الرجل العصري الذي لا تهزه الأعاصير، صار هذا النموذج الموضوع في كل حين أمام الشباب هو القدوة وهو الأمل الذي يحلم به كثير من الشباب في كثير من البلاد.

وليس معنى هذا أن هذا الغزو في طرائق الطعام والشراب والملبس قاصر على الناحية الشكلية الخارجية، فهذا هو المظهر البادي للعيان، والحقيقة أن هذا الفتى الآخذ بالمظاهر الغربية لم يأخذ بها إلا بعد أن تفتت جزء من هويته، وهبط جزء من ذاتيته، وسقطت من حسابه قيم كان يدين بها ويتمثل آدابها فتخلى عنها وتمسك بغيرها.

وهنا مكمن الخطر ومستوقد الشر الذي قد لا ينطفئ إلا بعد أن يجتاح العقول ويمسك بزمام العاطفة، وحينئذ يكون الغرب قد استكمل هيمنته من غير حرب وبلا أي سلاح وبدون أي خسائر، بل يكون قد صنع لنفسه مدداً جديداً، يأخذ منه – عند الحاجة – ما يريد.

رابعا: التقنية الحديثة في وسائل الاتصال:

وقد تسأل: وما الجديد في ذلك كله بعد أن شاع خبره وعمّ ذكره؟

والجديد هو في التقنية الحديثة التي تطرأ كل يوم على وسائل الاتصالات والمواصلات، وتطور بها أجهزة الإعلام أداءها على نحو غاية في السهولة والإتقان، بحيث تصل إلى من يعيش فوق الجبال، أو يركب ظهر البحار، أو يسكن سحيق الأودية، أو يطير سابحاً في الفضاء، فلم تترك هذه الأجهزة ذات التقنية الحديثة ركناً إلا دخلته، تاركة لصاحبه أن يختار من بينها ما يشاء من فضائيات، تخاطبه بلغات مختلفة، وتعرض عليه من الأفلام والمسلسلات الجيد والرديء، وما يخاطب العقول،

وما يدغدغ الغرائز، وما على الإنسان إلا أن يضغط بلمسة رقيقة من إصبعه على زر لتعرض عليه الفضائيات المتعددة – وهو نائم في فراشه – ما يشاء.

وكان آخر ما توصلت إليه التقنية الحديثة في مجال الاتصالات هو "الستلايت المترجم" أي الذي يقوم بدورين في آن واحد التقريب والتوضيح ثم تخرج منه الكلمات الملقاة على ألسنة الممثلين أو قارئي الأخبار، أو غيرها مترجمة إلى اللغة التي يريدها المشاهد.

ولا شك أن للغتنا العربية نصيبها الوافر من الترجمة، لأن السوق العربية واسعة كبيرة، والشركات المنتجة لا تستغني عنها، وإلا ضاع عليها جزء كبير من مبيعاتها، وقد تلحق بها بعض الخسارة إن فقدت هذا السوق.

والربح المادي لهذه الشركات يأتي على حساب القيم الأخلاقية والفضائل الكريمة للشعوب الإسلامية، ورغم انتشار (الستلايت) إلا أنه كان يحد من أثره الاحتياج إلى الترجمة المصاحبة لكل ما يبثه من أفلام ومسلسلات أجنبية، وهذا أمر ترهق به ميزانية أجهزة الإعلام نظراً للأموال التي تدفعها للقائمين على الترجمة والمشرفين عليها. وكان كثير من غير القارئين ينصرفون عمّا يبثه الستلايت، نظراً لأنه غير مترجم، وغير مفهوم، ومن لم ينصرف كانت المشاهدة بالنسبة له قاصرة على صورة يراها أو منظر يمّر عليه ضمن مسلسل أو فيلم، ثم يمضي لحال سبيله يرى ما يراه، فلم تسمع أذنه ألفاظاً تخدش الحياء مع وجودها والنطق بها، لأن حاجز اللغة منع عنه هذا الأذى، وكانت أجهزة الترجمة – وما تزال – تحاول أن تغير بعض الألفاظ التي تصك الأسماع بقبيح القول، فتجعل بدلها ألفاظاً مقبولة.. أما مع اختراع الستلايت المترجم فقد سقطت كل الحواجز بين المشاهد وبين ما يشاهده، تصل إليه الصورة، وتصل إليه الكلمة، قبيحة أو غير قبيحة، صريحة أو مغلفة، والذين يحسنون اللغات الأجنبية وعندهم من الوقت ما يشاهدون بعض المعروض بهذه اللغات يخبروننا أن بهذا المعروض الذي يعالج مشاكل الشباب أو الأسرة أو المشاكل الاجتماعية وبعض المشكلات الاقتصادية كثيراً من الكلمات التي تصطدم بجدار الحياء فتخرقه وتنفذ منه، لتستقر في ذهن المشاهد مرتبطة بأحداثها ومقدماتها ونتائجها، فلا تغيب عن وعيه إلا بعد وقت طويل وجهد كبير.. ويا له من بلاء!!!

ويا له من ابتكار قد يجر علينا كثيراً من المصائب والمتاعب ما لم نقاومه ونصد الناس عنه. والمقاومة المادية بجميع صورها قد لا تجدي في حالات كثيرة، ولذا فلم يبق أمامنا إلا أن نقاوم هذا البلاء مقاومة معنوية.

المقاومة:

وفي مقدمة هذه المقاومة المعنوية إيجاد الوازع الديني في ضمير كل فرد بحيث يصده هذا الوازع عن السعي نحو الشر، أو عن البحث عنه، وعن متابعته والتأثر به، والانغماس في هوّته، لأن أمثال هذه الشرور التي تبث من خلال الأجهزة العصرية، لا تزيد عن سراب خادع يحسبه الظمآن ماء، وما هو بماء، ولكنه هراء يثير نفوس الشباب بما يعرضه أمامهم، ويفسد أخلاقهم، وقد يدفع بهم – وهم يجرون خلف السراب – إلى الجريمة وهم يظنونها غنيمة، وما هي إلا غرامة وندامة وحسرة وخسارة يوم القيامة، يوم يؤتى بأنعم أهل الأرض فيغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا.

ومن عناصر هذه المقاومة: تعميق الجانب الثقافي والفكري والاهتمام بإحياء القيم الأصيلة في نفوس الأفراد، بحيث يدركون أن هذه القيم متعلقة بأشخاصهم وذواتهم، فإن هم نفضوها عنهم خلعوها من سلوكهم فقد لا تحيا من بعدهم، ولا يبقى لها أثر في حياة قومهم، ولذا فإن الحرص على هذه الجوانب الثقافية والفكرية تعميق للمشاعر الوطنية وإحياء لها في النفوس، فإذا ما تعرضت هذه القيم للضياع ضاعت معها فكرة الأوطان، وضربت الوطنية في الصميم، لأن الوطن ليس أرضاً فقط، بل إنه مجموعة من الناس تتفاعل وتتعاون حول مبادئ معينة فوق قطعة من الأرض تعارفت المجتمعات على حدودها، وكما أن الحدود الجغرافية يهب الناس للدفاع عنها حين يعتدي عليها المعتدون، فكذلك ينبغي أن يدافع الناس عن ثقافتهم وأفكارهم ومبادئهم وقيمهم حين يعتدي عليها – كذلك – المعتدون.

ونضيف إلى هذين الأمرين المهمين أمراً آخر وهو قيام المؤسسات الفنية بواجبها نحو حماية الشباب من هذا الغزو الداعر الممقوت بعرض القيم الصحيحة، التي نشأنا عليها وتربى عليها الآباء والأجداد، وهي بحمد الله قيم وفيرة من الممكن أن تعمل فيها الأجهزة الفنية سنوات ثم سنوات من غير أن تنضب أو تجف.

ولسنا نشك في أن من بين العاملين في هذه المجالات من مخرجين ومنتجين وممثلين نماذج تحرص على دينها وعلى وطنها، وتحاول أن تقدم الفن الراقي الذي لا يعرف الإسفاف، ولا يقيم أعمدته في الخمارات أو دور العاهرات، وإنما يقدمون الواقع المستمد من البيئة وحدها غير متأثر بما عند الغرب أو بما عند الشرق. فيكونون بهذا قد شاركوا في صد هذا الغزو الجديد. ومن يدري فلعل عملهم هذا يكون بديلاً نافعاً عمَّا يأتي من الخارج. فهل هم فاعلون؟

وقبل هؤلاء وأولئك فإن دور الأسرة في رعاية أبنائها ومعرفة ماذا يرون ويشاهدون أمر لا مفر منه، ولا يغني عنه شيء آخر، بل إن جميع المؤسسات التربوية يكون دورها مكملاً لدور الأسرة، فإذا ضيعت الأسرة واجبها نحو أبنائها فقد ضاعت جهود المؤسسات التربوية، ولم تعد لها قيمة تذكر أو عمل يرجى.

إن الخطر كبير ولكن الأمل في مقاومته عظيم، فهل ننجح في إقامة جدار أمام هذا الموج الهادر؟

المصدر : http://www.dr-mohalhal.com

============

#موقف الإسلام من العولمة

في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان والسلام والأمن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد:

فإن الدراسات المتعلقة بالمستقبل، أصبحت تشغل الجامعات ومراكز البحث في العالم أكثر من أي وقت مضى. ولم يعد القائمون على التخطيط للتنمية والاستثمار يقفون عند دراسة التاريخ في الماضي والتفكر في الحاضر، ولكنهم إضافة إلى هذا يستشرفون المستقبل باحثين عن بدائل احتمالاته وإعداد العدة للتعامل معها. ونتيجة لهذا، فإنهم يحسنون استثمار الزمن أولاً، كما يحسنون استثمار الطاقات البشرية والمادية، على السواء.

ومن أهم ما يطل على الساحة العالمية، ويشغل بال علماء الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة في الوقت الحاضر ما يشار إليه ب "العولمة". وهي توجه جديد

يبدو أنه سينضمّ إلى جملة المؤثرات المعاصرة على مستقبل العالم بعامة والعالم الإسلامي بخاصة.

لذلك، لا بد أن يكون الحديث عن "موقف الإسلام من العولمة في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان والسلام والأمن". ويقتضي المنهاج العلمي أن أبدأ بتحديد مفهوم "العولمة"، وهو مفهوم لم يتفق عليه بعد بين العلماء والباحثين. ومن ثم فإنني سوف أجتهد في تحديد هذا المفهوم، مشيراً إلى أن اجتهادات المثقفين تختلف بالنسبة للعولمة المعاصرة.

فنجد فريقاً يراها – بما امتطت من تقانة متقدمة وإعلام غلاّب – تهدد هويتنا، ومن ثم ينبغي أن توصد الأبواب والنوافذ دونها، وأن نرفضها كلا وتفصيلاً.

ويرى فريق آخر أنها بشير تقدم ورقي. وكيف لا وهي آتية من مجتمعات متقدمة، وتمتطي أحدث ما وصل إليه العصر من أساليب الاتصال وتقانته، ومن ثم ينبغي أن نفتح لها الأبواب والنوافذ، وأن نغتنم الفرصة بالأخذ بمعطياتها لإفادة الأمة الإسلامية من ثمراتها.

وهناك فريق ثالث يرى أن نأخذ منها المفيد ونتقي شر ما تأتي به من مثالب. وأمام هذه الرؤى المختلفة والمتعارضة – أحياناً – نرى أهمية فتح حوار عن العولمة، لعلنا نصل فيها إلى كلمة سواء.

أولاً: مفهوم العولمة:

سوف نعرض هنا مفهومين للعولمة:

الأول: أشير إليه بمفهوم "العولمة كما ينبغي أن تكون" وهو تصور للعولمة التي يتكافأ فيها الشمال مع الجنوب.

الثاني: أسميه "المفهوم المعاصر للعولمة" وسوف أحاول استقراءه من واقع التطبيق الفعلي المعاصر للعولمة.

أ- مفهوم العولمة كما ينبغي أن يكون:

يمكن فهم "العولمة" – على وجه العموم – من الناحية الاصطلاحية بأنها حركة تهدف إلى تعميم تطبيق أمر ما على العالم كله.

فمثلاً عبارة "عولمة تنقية البيئة" تعني جعل البيئة في جميع أنحاء العالم، بيئة نظيفة ومناسبة، لأن تحيا الكائنات الحية فيها حياة صحية. وتعني عبارة "عولمة الاقتصاد" جعل الاقتصاد في جميع أنحاء العالم يتبع النظام نفسه، ويطبق الأساليب ذاتها، ويستخدم آليات بعينها، لصالح جميع الشعوب دون تمايز بينها. وتعني عبارة "عولمة السلام" أن تتعاون جميع الدول لحفظ السلام في العالم، كما تتعاون على قتال المعتدين. وهذا المفهوم يستتبع استفساراً مهما عن إجراءات الأخذ بهذه العولمة. فهل تتبنى مختلف دول العالم هذه "العولمة" اختيارًا، بمعنى أنها تستشار في صياغة أسسها، وتخطيط أساليبها، وتحديد آلياتها، وأنها تتمتع بالحرية المطلقة في قبولها أو رفضها في النهاية؟ إذا كانت إجابة الأسئلة السابقة "نعم" فإن العولمة حين تسود جميع دول العالم، فإنّ هذا يكون بناء على اختيار حر وإرادة مستقلة منها. وتكون العولمة بذلك ظاهرة صحية.

ويمكن تطوير مفهومها ليكون: حركة قامت على اختيار جميع دول العالم اختياراً حراً، لتعميم تطبيق أمر ما عليها جميعاً، دون تمايز بينها.

وحيث إن العلم الحديث والتقانة المتقدمة هما مطية العولمة، ومع مراعاة التعددية الثقافية والخصوصية الدينية والحضارية للشعوب، وسعياً إلى تحقيق الأمن والرفاه والسلام للجميع، يمكن أن ننتهي إلى تحديد مفهوم "العولمة كما ينبغي أن تكون" على النحو التالي:

توظيف التقدم العلمي التقاني المعاصر، لتحقيق الأمن والسلام العالميين، والسعي لتحقيق الرفاه لجميع دول العالم، وبناء علاقات هذه الدول على أساس التعامل مع التعددية الثقافية، والخصوصية الدينية والحضارية.

ب- مفهوم العولمة المعاصرة:

باستقراء التاريخ يتبين أن العولمة المعاصرة ليست جديدة، ولا هي وليدة وقتنا الحاضر. فهي ظاهرة نشأت مع ظهور الإمبراطوريات في القرون الماضية. ففي السابق حاولت الإمبراطوريات -مثل الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية- أن تصبغ الشعوب التي تبسط نفوذها عليها بثقافتها، وتسعى لترسيخ هذه الثقافة في مختلف جوانب حياة هذه الشعوب. وقد عملت هذه الإمبراطوريات لتوجيه قيم هذه

الشعوب وتقاليدها وحضارتها، وفق أنماط الحياة التي تريدها. فكانت هذه الخطوة نحو العولمة.

وقد لبست هذه العولمة عدة أثواب أخرى، منها الثوب العسكري ومنها الاستعمار، ومنها استنزاف الموارد، فقد قام الشمال باحتلال بلاد الجنوب متعللاً بشتى الأسباب، وعن طريق هذا الاحتلال تحكم في مقدرات البلاد واستنزاف مواردها، وغرس ثقافته فيها، وكانت هذه خطوة أخرى نحو العولمة. واليوم، وقد تفوق الشمال على الجنوب بما حاز من علم وتقانة، وبما امتلك من وسائل الدمار الشامل، أصبح الشمال مصدر الإنتاج في مختلف المجالات، وأصبح الجنوب مستهلكاً لهذا الإنتاج. ولكي يقنن الشمال هذه العلاقة، أطلق نداءه بالعولمة وأخذ بأسباب تحقيقها في مختلف الميادين. وينظر البعض إلى العولمة المعاصرة، بأنها:

آليات اقتصادية وأسواق عالمية، وجدت إطارها المقنن في اتفاقية التجارة العالمية، التي تضع الاقتصاد أمام الإنسان، وتهدر سيادة الدولة ومصلحة الفرد لحساب السيطرة الاقتصادية، ومن ثم فلابد من أن تتصادم مع التراث الثقافي لمختلف الشعوب، نظرا إلى أنها تنزع إلى صياغة ثقافة كونية تهدد الخصوصية الثقافية للمجتمعات.

وينظر آخرون إلى العولمة المعاصرة بأنها:

هيمنة المفهوم الغربي، الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، على العالم. ومن ثم فإنها تفرض على الآخرين – ليس فقط ما يتعلق بتخطيط التنمية، وإنشاء البنى التحتية والخدمات الأساسية – ولكن تتعدى هذا إلى البنى الثقافية والحضارية.

ومن هنا يمكن أن يحدد مفهوم العولمة المعاصرة بأنه:

سعي الشمال عن طريق تفوقه العلمي والتقني للسيطرة على الجنوب تربوياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بدعوى مساعدته على التنمية الشاملة وتحقيق العدالة في الاستثمار والرفاه للجميع.

وعلى الرغم من أن هذا التعريف يوضح النظرة الاستغلالية للشمال، إلا أن هناك أساليب كثيرة – لا يتسع المجال لذكرها – يمكن أن يستفيد بها الجنوب من العولمة. فعلى سبيل المثال يمكنه الاستفادة من معطيات التقدم العلمي التقاني الذي تستخدمه

العولمة، في توسيع خطواته نحو التقدم. كما يمكنه أن يستنهض قدراته الذاتية، وأن تتضامن مجتمعاته في مواجهة تحدياتها، وفي توجيه القرارات الدولية الوجهة السليمة.

ثانياً: النظام السياسي بين الشورى والديمقراطية:

إن هدف العولمة المعاصرة، هو التمكين للنظام الديمقراطي على النمط الغربي، من حيث الأخذ بالتعددية، وإعطاء فرص لحرية التعبير، وإبداء الرأي من خلال قنواته. والنظام الديمقراطي كما يطبقه دعاة العولمة عليه مآخذ كثيرة، منها أنه في غالب الأحوال لا يمكن من الحكم إلا لفئة معينة، ويتحكم في الانتخابات فيه: رأس المال، والقبلية والنزعات العرقية والعنصرية والنفوذ، وتؤثر في مصداقيته الأمية والدعم الإعلامي.

ولإضفاء الشرعية على إقحام الديمقراطية الغربية في حياة الشعوب الأخرى، ادعى الغرب أن عدم تطبيقها فيه جور على حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات. ولا شك أن "حقوق الإنسان" يمكن أن تقرب بين دول العالم، إذا طبقت بموضوعية وتجرد. ولكن حقوق الإنسان – كما يطبقها دعاة العولمة – لم تراع الخصوصية الدينية والثقافية والأعراف الصحيحة للمجتمعات، بل أصبحت وسيلة للتحيز المقيت. فعلى سبيل المثال، حقوق الإنسان – كما تطبق في العولمة – لا تساوي بين حقوق الإنسان الفلسطيني أو البوسني أو الألباني، وحقوق الإنسان اليهودي أو الصربي، كما تسمح في ظل العولمة بالتحيز ضد يهود الشرق في إسرائيل، ولكنها لا تسمح بمقاومة المنحرفين عن نظام المجتمع في الكثير من بلدان العالم.

وبالنسبة لنا نحن المسلمين، فإن لدينا الأفضل والأنسب لحياة البشر جميعاً، وهو نظام الإسلام الذي يقوم الحكم فيه على الشورى والعدل وتطبيق شرع الله. والشورى وسيلة للوصول إلى الرأي الأصوب لأنه رأي الجماعة. والجماعة هنا لا يقصد بها الأغلبية المطلقة، كما هو الحال في النظام الديمقراطي الذي يعتمد على الأغلبية العددية وحدها، ولكن المقصود بالجماعة هنا الجماعة المؤهلة للاستشارة. ومن أهم ما ينبغي أن يتوافر في هؤلاء أن يكونوا ممن يتقون الله في القول والعمل ولا يخشون أحداً إلا إياه، ويعملون على تحقيق منهاجه في الأرض، وأن يكونوا ممن لديهم العلم والخبرة الكافية، فيما يستشارون فيه.

وبناءًا عليه فإن المستشار في الإسلام يصدق الحاكم القول. أما عن مدى صواب ما يشير به، فعلمه وخبرته يؤهلانه – بعد توفيق الله – للوصول إلى الصواب. ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب، ولكنه يتحرى الصدق والصواب في كل حال. وجماعة الشورى يذكر بعضهم بعضا، ويتناصحون ويتحاورون ويرجعون إلى الكتاب الكريم والسنة المطهرة فيما استشكل عليهم من أمور. قال الله سبحانه وتعالى عن المسلمين: (وأمرهم شورى بينهم) (الشورى 38)، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وشاورهم في الأمر) (آل عمران، 159).

وفي التاريخ الإسلامي صور من استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين للشورى في اتخاذ القرارات، كما في حفر الخندق في غزوة الخندق، وفي خروج المسلمين في غزوة بدر لمقابلة الكفار، وفي معاملة أسرى بدر.

ويعتمد العدل في الإسلام على المنهاج الشرعي وعلى تطبيق الحدود. أما المنهاج فهو شريعة الله... وقد قامت الشريعة على العدل مع النفس،وداخل الأسرة وفي ساحة القضاء، وعلى مستوى الرعية، وحتى مع المخالفين في العقيدة، ومع من نحبهم ومن نكرههم. قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون((المائدة ، 8) وقال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)> (النحل،90). وقال تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)> (النساء، 58).

وتطبيق الحدود من الدعائم المهمة لتحقيق العدل في الإسلام، ومن أهم أسس استقرار الحياة في المجتمع المسلم. قال تعالى: (" ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) (البقرة، 179). وقال تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) (المائدة، 45).

وبيّن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قواعد للعدل والمساواة ستظل نبراساً يستضيء به طلاب العدل ومريدوه على مر الأزمان. وذلك حين جاءه من يشفع في حد من

حدود الله، فأقسم بالله أن لو سرقت ابنته فاطمة لقطع يدها. وقال عليه الصلاة والسلام: «كلكم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى» (متفق عليه)

وقد ضرب الحكام المسلمون أمثلة للعدل مع النفس ومع أبناء الرعية المسلمين وغير المسلمين. فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكم لنصراني من مصر بضرب ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قصاصا منه. وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقاضي نصرانياً أخذ درعه – وهو أمير المؤمنين – فيحكم القاضي للنصراني بالدرع، لأن أمير المؤمنين ليس عنده بينة.

وولي الأمر الذي يحكم بشرع الله المؤسس على الشورى والعدل، له واجب الطاعة على المسلمين. قال تعالى: (يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (النساء، 59).

ويبين أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه قواعد العلاقة بين الحاكم المسلم والمحكومين في كلمات بالغة الدلالة بقوله: « إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوموني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم». وقال عن ذلك الإمام مالك: «لا يكون أحد إمامًا إلا على هذا الشرط».

وهكذا كانت مبادرة الرعية إلى إبداء النصح واجبة عليهم بمقتضى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومبادرة ولي الأمر إلى طلب المشورة من أهلها واجبة عليه، للاستدلال على حكم الله ورسوله من النصوص الشرعية المتعددة، وللاجتهاد فيما سكتت عنه النصوص.

ومع أن التطبيق الديمقراطي –الذي تبشر به العولمة – يستند كما نعلم إلى دساتير وقوانين وضعية، فإن من أهم سمات الشورى في الإسلام أنها تنبع من عقيدة الإسلام وشريعته. وهذا يعني أن الشورى لا يمكن أن يتغلب فيها حزب على حزب أو جماعة على جماعة لمجرد الكثرة العددية، ولكن يكون التقويم المبدئي للرأي من حيث التزامه بالعقيدة وانطلاقة من الشريعة، ثم يأتي بعد هذا الأغلبية العددية.

أما في الديمقراطية، فإن مرجعية الحرية والعدالة فيها تتأثر بعوامل سياسية وحزبية واقتصادية وإعلامية.

والشورى في الإسلام تتيح للجميع الحوار الحر ومناقشة الحجج والمبررات التي توضح أن قرارا ما أكثر التزاماً بمبادئ الحق والعدل، كما تبين مدى توافقه مع مقاصد الشريعة وأصولها ومبادئها. أما في الديمقراطية فإن الفرد ليس ملزماً بإبداء الرأي، وقد يتعمد الغياب عن التصويت أو حجب صوته لأن هذا يحقق مصلحة انتمائه السياسي أو مصلحة فردية.

ومحور الفكر السياسي الذي تبشر به العولمة هو تحكيم الأغلبية العددية، أي عدد الأفراد الذين ينحازون إلى رأي معين. أما الشورى الإسلامية فإنها تجعل الأولوية للعقل والفكر وليس للعدد وحده. فالأغلبية العددية يمكن الحصول عليها لأسباب كثيرة عارية من الشفافية كما سبق أن بيناه، ونشاهد أمثلة لهذه كثيرة في داخل العالم الإسلامي وفي خارجه.

ومع هذا كله وعلى الرغم من مزايا نظام الإسلام، فإن العولمة المعاصرة لا ترضى به بديلاً عن الديمقراطية، لأنهم يهدفون إلى صبغ العالم كله بصبغة معينة هم مخترعوها، وهم الذين يدعمونها لتحقيق أهدافهم.

ثالثاً: السلام بين الإسلام والعولمة :

إن الدعوة إلى السلام في العالم هي دعوة الإسلام، قبل أن يوجد نظام العولمة، وقبل أن تلتزم دول العالم بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة سنة 1948م بعدم الاعتداء وبحل المنازعات بينها بالطرق السلمية، فقد أمر الله المسلمين أن يتجهوا إلى السلم إذا رأوا من أعدائهم ميلا إليه، ودعا إلى الاستجابة لدعوة السلام إذا صدقت نية الطرف الآخر في التوصل إليه، يقول تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) (الأنفال، 61) وينبه الله المؤمنين إلى الحذر من خديعة العدو: (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) (الأنفال، 62) فالإسلام بذاته دعوة للسلام، السلام داخل المجتمع الواحد، والسلام بين المجتمعات المتعددة والمختلفة الأعراق واللغات والثقافات والعقائد.

ولم يرد لفظ الحرب في القرآن الكريم مقرونا بالدعوة إليها أو تمجيدها، بل جاء ذكر الحرب بأوزارها حين تفرض على المسلمين: (حتى تضع الحرب أوزارها) (سورة محمد،4) وقال تعالى في وصف الخارجين على المجتمع والذين يروعون الناس بغير حق ويجترئون على أحكام الشرع بأنهم (يحاربون الله ورسوله) (المائدة، 33) وهكذا لم يجعل الإسلام الحرب – وهي ظاهرة اجتماعية قديمة في التاريخ – وسيلة لتحقيق الخير أو حتى النفع الحقيقي للإنسان، واستبدل الإسلام بالحرب مفهوماً أسمى وأرقى هو مفهوم الجهاد، وهو مفهوم يتسع لبذل الجهد في مقاومة كل شر وعدوان، بدءاً من شرور النفس وانتهاءً بدفع العدوان وطلب تحقيق العدل والإحسان على الأرض وعلى الناس والجهاد ليس حرباً يشنها المسلمون على غيرهم بدافع السيطرة ومد السلطان وإذلال الآخرين واكتساب المغانم، إن الجهاد في الإسلام له مفهوم ينفي العدوان وينكر التوسع والسيطرة للاستعلاء على الناس بالقوة، وهو لا يبيح للمسلم أن يعرض نفسه للهلاك أو يقصد إهلاك غيره إلا وفق قيود الشرع، التي تحدد أسباباً يكون فيها الجهاد ويكون فيها القتال مشروعاً، فالإسلام لا يعرف الحرب التي يكون الباعث عليها مجرد العدوان وطلب المغنم، والتي يحتكم فيها إلى القوة وحدها، وإنما يعرف القتال دفاعاً عن النفس وعن الدين وعن جماعة المسلمين إذا حيل بينهم وبين عبادة الله وحده والدعوة إليه.

إن مفهوم الجهاد في الإسلام يستلزم أن تكون الحرب مشروعة، ومشروعية الحرب لا تتأتى بحسب أحكام الشرع الإسلامي إلا في حالات محددة، ووفق ما يجيزه الشرع من إجراءات لإعلان الحرب، وتحديد مداها وأثرها وتقييده لشرورها.

إن الحرب قد تكون للدفاع عن النفس، يقول الله تعالى: (" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة، 109) ولنقض المعاهدات ونكث العهود، والكيد للإسلام والمسلمين. يقول سبحانه وتعالى: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (التوبة، 12) وإن فتنة المسلمين عن دينهم والسعي بالفساد بينهم وتهديد سلامة المجتمع والدولة الإسلامية مما يجيز القتال درءا للفتنة، يقول الله تعالى: (وقاتلوهم

حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (البقرة، 193).

ولم تخرج غزوات المسلمين والحروب التي خاضوها في العهد النبوي وعصر الخلفاء الراشدين عن هذه الحالات داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها: مع اليهود في داخل شبه الجزيرة أو الروم والفرس خارجها.

هذا هو مفهوم الجهاد في الإسلام، وهو مفهوم يختلف عن مفهوم الحرب بمعناها الواقعي قديماً وحديثاً، فمفهوم الجهاد يجعل السلام هو الحالة الدائمة والثابتة في علاقة المسلمين بغيرهم، ولا يكون القتال إلا الاستثناء الذي يجب أن يتوفر سببه وحكمته.

ويوجب الله حتى في حالة الجهاد والحرب المشروعة، أن تكون الحرب معلنة، وليست غدراً بالآمنين والمسالمين، وأن يقلل من شرورها، لقد نهى عن قتال من لا يقاتلون من الشيوخ والعجزة والنساء والأطفال والرهبان المنقطعين للعبادة، وحرم الله صور القسوة والوحشية التي لا مبرر لها، مثل التخريب الشامل للعمران، وحرم أن تنتهك حرمة الآدمي حياً أو ميتاً، كالاعتداء على الجرحى أو الأسرى أو التمثيل بجثث الأعداء، كل ذلك شرع الله مراعاته من قبل المجاهدين، فكان بذلك ما نسميه "آداب القتال" أو قانون الحرب.

إن الجهاد في الإسلام وما يتبعه من قتال، لا يصح أن ينال المدنيين المسالمين، ولا يجوز أن يكون فيه دمار شامل للإنسان أو الأشياء النافعة للإنسان، وهكذا كان الحال في الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، مما لم تتوصل إلى بعضه المواثيق الدولية كمعاهدة جنيف، التي تحمي المدنيين من ويلات القتال، وتحدد حقوق الأسرى والمقاتلين والتي صدرت في عام 1949م.

رابعاً: حقوق الإنسان والعولمة:

لقد أثبتت الحروب الطاحنة التي نشبت في العصر الحديث – وخاصة في القرن الميلادي العشرين – أن إهمال حقوق الإنسان وإهدارها قد أفضى إلى أعمال همجية ووحشية انتهكت حياة ملايين الناس وحريتهم، وكان ذلك من الأسباب التي دعت إلى إصدار ميثاق عالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م، وهو ما أشارت إليه ديباجة

الميثاق، ومن أهم ما أفرزته "العولمة" في السنوات الأخيرة زيادة الاهتمام بقضية حقوق الإنسان، وخروج هذه القضية من الدائرة الوطنية والداخلية في دول العالم إلى الآفاق الدولية واعتبارها مسألة تهم المجتمع الدولي، ويستطيع أن يتخذ فيها عن طريق منظمة الأمم المتحدة أو الوكالات المتخصصة فيها إجراءات معينة لمراقبة الدول التي ينتشر فيها إهمال أو إهدار لحقوق الإنسان.

إن مفردات حقوق الإنسان التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو التي وردت في اتفاقيتي الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية الصادرتين سنة 1966م عن منظمة الأمم المتحدة، هي حقوق قديمة في الإسلام اكتسبت مصطلحاً جديداً في المواثيق الدولية المعاصرة.

إن الحقوق الاقتصادية التي أتاحتها الاتفاقيتان الصادرتان سنة 1966م (وقد عمل بهما اعتباراً من سنة 1977م) تقع غالب مفرداتهما ضمن الحقوق التي منحها الله للفرد في المجتمع المسلم، الذي يتكون وفق الولاية المتبادلة بين أفراده من الرجال والنساء: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (التوبة، 71) ومن بين معاني الولاية النصرة والتعاون وتبادل الرأي والنصيحة، وهناك مبدأ عام في الإسلام يجعل التكافل الاجتماعي سمة ظاهرة فيه فيكون القادر مادياً أو علمياً مسؤولاً عن مساعدة غير القادر لسبب لا دخل له فيه.

في شأن المال تأتي فريضة الزكاة التي تجب على أغنياء المجتمع (وفق ضوابط مفصلة ودقيقة مبسوطة في كتب الفقه) لفقراء المجتمع.

لقد أمر الله تعالى بالزكاة وهي جزء يسير (2.5%) من بعض أنواع المال، يؤخذ من الأغنياء في المجتمع ويرد على الفقراء والمساكين فيه، كما يجري إنفاقه في الأوجه التي تسدّ حاجة من حاجات المجتمع المسلم، يقول الله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) .

فهؤلاء ثمانية أصناف يمثلون في مجموعهم حالات الضعف والحاجة حين تدهم الفرد أو طائفة من الناس في المجتمع.

ويحفظ الشرع الإسلامي حدًا كافياً للمعيشة لكل صاحب رأس مال أو دخل يكفي حاجاته طبقاً لنفقته ولظروفه، قبل أن يفرض عليه كفالة غيره، فما يؤخذ من زكاة إنما يؤخذ من الفائض الذي مضت عليه سنة كاملة دون أن يدخل في نفقات صاحبه، وذلك على النصاب الذي عينه الشرع حتى يجب أخذ الزكاة من المكلف بها. لقد حول الإسلام بتشريع الزكاة على هذا النحو اتجاه المال من أغنياء المجتمع، إلى سداد حاجات الفئات المحتاجة بجميع أنواعها، وقد كان ذلك تحولاً كبيراً عما كان سائداً في المجتمعات قبل الإسلام من اتجاه المال من الفقراء إلى السادة في المجتمع، قال تعالى: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) (الحشر، 7).

فالإسلام يمنع أن يزداد الأغنياء غنىً –وقد يكونون قلة في المجتمع–، ويزداد الفقراء –وقد يكونون كثرة في المجتمع– فقراً وبؤساً.

وضمان حق العمل مكفول للفرد المسلم القادر عليه، لأن الإسلام ينهى عن البطالة، ويرفع من شأن العمل والكسب منه حلالاً طيباً، والفرد المسلم يعمل تحت رقابة المجتمع كله، قال تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (التوبة،105) ويعاون المجتمع الفرد على إيجاد العمل المناسب إذا تعسر ذلك على الفرد أو ضاقت سبله. وقد نصح الرسول صلى الله عليه وسلم شخصاً بالاحتطاب، ونصح شخصاً آخر بالاتجار وأسلفه مالاً لكي يبدأ كسب رزقه، وأعد بيده الشريفة آلة العمل لشخص شكا إليه قلة الكسب. وفي أحاديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه من العناية والرعاية بالعمل والعامل ما يعد الأساس الشرعي لكافة ما يعطى للعمل والعامل من ميزات بحكم القوانين المعاصرة.

إن العمل لاكتساب الرزق والنفقة على الأهل يكفر الذنوب، كما جاء في الحديث الشريف: «من بات كالاً من عمل يده بات مغفور الذنب» والوصية بالعامل من الهدي النبوي: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

وما ورد في الاتفاقيتين اللتين أصدرتهما الأمم المتحدة سنة 1966م بشأن الحقوق الاجتماعية والمدنية والسياسية هو القليل مما دعا إليه الإسلام.

إن أول ما نزل من القرآن الكريم يفتح أمام المسلم آفاق العلم والتفكير والوصول إلى الحق يقول تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق، 1) وللعلم شأن كبير ومكانة

عالية في الإسلام ومن قرأ القرآن الكريم والحديث الشريف عرف منزلة العلم في الإسلام، وعلو شأنه وحضه عليه، ومن ذلك: قول الله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (آل عمران، 18).

وقوله سبحانه: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب) (الرعد، 19) وقوله تعالى: (وقل ربِ زدني علما) (طه، 114) وقوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر، 28) وقوله تعالى: (" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) (الزمر، 9) وقوله عزّ وجلّ: (" يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) (المجادلة، 11).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» متفق عليه.

وقال عليه الصلاة والسلام: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" ثم قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في

جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير" رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وقال صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العمل فمن أخذه أخذ بحظ وافر» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان.

والمسلم مطالب ببذل النصح لغيره من أفراد المجتمع "الدين النصيحة" وعلى المسلم أن يشارك في الحياة العامة بقدر ما يسمح به علمه وقدرته، فأمور المسلمين في المجتمع شورى بينهم، يقول الله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) (الشورى، 38) وهكذا تتكامل قدرات الأفراد في المجتمع المسلم وتتجمع طاقاتهم، فيكفل الفرد للمجتمع طاقته وجهده بالعلم أو العمل، ويكفل المجتمع للفرد – حين يصيبه العجز أو الضعف – الحق في حياة كريمة، وبذلك يتحقق السلام الاجتماعي.

خامساً: الإرهاب بين الإسلام والعولمة:

وفي السنوات الأخيرة ظهرت قضية الإرهاب، واستأثرت باهتمام المجتمعات والحكومات، وتنبه العالم عن طريق منظماته السياسية والأمنية إلى مخاطر هذه الظاهرة التي شملت كثيرًا من بلاد العالم، ولم يسلم من شرورها سوى مجتمعات قليلة، ومع ذلك وبسبب ظروف سياسية وجهود إعلامية موجهة، حاولت بعض الجهات أن تصل ما بين ظاهرة الإرهاب وما بين صحوة إسلامية بدأت في العقود الأخيرة من هذا القرن الميلادي، ومن المحزن أن بلاداً إسلامية – أوقعتها ظروفها السياسية تحت سيطرة الأجنبي أو سادتها الفتن والقلاقل بسبب العجز الاقتصادي أو التخلف الثقافي أو الفتن الخارجية – تعاني وجود هذه الظاهرة مما ساعد أعداء الأمة الإسلامية على الادعاء بأن الإرهاب له أصل ديني وأنه نتاج الإحياء الإسلامي، مع أن الظاهرة ليست من الإسلام ولا صلة لها بالدين الصحيح، وليست خاصة

بالمسلمين بل ربما كانت في بلادهم – مع خطئها وإدانتها إسلامياً – أقل من وجودها وظهورها في المجتمعات غير الإسلامية، كما دلت على ذلك إحصاءات دولية.

في الإسلام ووفق أصوله ومبادئه الكلية يعتبر الأمن من أجل النعم على الإنسان: أمن الفرد على نفسه ودينه وعرضه وماله، وانتفاء الخوف من العدوان على ضروريات حياته وحاجياتها. وفي القرآن الكريم بيان أهمية الأمن وأنه نعمة من الله تقرن بنعمة الطعام الذي يحفظ حياة الإنسان، وأن النعمتين معاً تستوجبان عبادته وحده لا شريك له. يقول الله تبارك وتعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (قريش، 3) ويحرم الله العدوان على النفس الإنسانية، ويجعل القتل العمد من أشد الجرائم إثماً وبغياً، ويبين أن قتل فرد واحد بمثابة قتل للجنس البشري كله، يقول تعالى: (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) (المائدة، 32). ويحفظ الشرع الإسلامي حرمة الجسد الإنساني، فلا يجوز العدوان عليه ولا إتلافه ولا استخدامه في غير ما شرع له، وهو العبادة والسعي في الأرض بعمل الخير. ويحفظ الشرع الإسلامي نفس الإنسان وجسده ويكفل حماية عقله ودينه وعرضه وماله بما فيه من عقوبات زاجرة عن العدوان على هذه الضروريات في حياة الإنسان – جسداً وديناً وعقلاً ونفساً – في شريعة القصاص وفي الحدود التي تواجه جرائم الاعتداء على الدين والنفس والعرض والمال والشرف والاعتبار.

فالإرهاب إذًا عدو الأمن –أمن الفرد وأمن المجتمع– وعدوان على نعمة من نعم الله الجليلة على الإنسان، وهو إذا ظهر في مجتمع عطل طاقاته وأسلمه إلى التخلف، لأن الخائف لا يأمن إذا عمل أن يضيع عمله هباءًا فالأمن لازم لتقدم المجتمعالمسلم في دينه ودنياه.

لقد كانت الفتنة الكبرى في التاريخ الإسلامي بسبب الإرهاب، وأول المجتمعات التي عانت من الإرهاب هو المجتمع المسلم بالذات، قتل ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب غيلة وغدراً على يد مجوسي حاقد على الإسلام والمسلمين، وقتل الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه على يد فئة خرجت على الشرع الإسلامي وانتهكت

محارمه بقتل إمام المسلمين وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة الذين بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، واقتتل المسلمون مع الخوارج الذين ناصبوا الخليفة علي بن أبي طالب العداء على الرغم من محاولته نصحهم وهدايتهم إلى الحق، وقتل هؤلاء الخوارج الإمام علياً وأوغلوا في دماء المسلمين، فكانت الفتنة الكبرى التي بدأت في القرن الأول الهجري ومازالت آثارها في العالم الإسلامي حتى اليوم، صنعها الخوارج وغذاها أعداء الإسلام والمسلمين خلال مسيرة التاريخ الإسلامي، حتى تفرقت الأمة الواحدة إلى شيع وأحزاب كلهم على ضلال إلا الفرقة الناجية التي تسير على ما كان عليه الرسول وأصحابه خيار السلف في هذه الأمة.

إن الإرهاب – وهو مرفوض في الإسلام رفضاً حاسماً – ينتسب من يمارسونه أحياناً إلى الإسلام، بل يتظاهرون بالغيرة على الدين وعلى حقوق المسلمين، وقد يتجاوزون الحد في اتهام المسلمين أفرادًا وجماعات بالمروق من الدين ويستحلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وهكذا فعل أجدادهم من الخوارج حين اتهموا عليا رضي الله عنه بالخروج من الدين واستحلوا قتل إمام المسلمين بعد أن بايعه الناس، وبذلك وجهوا إرهابهم إلى المسلمين كافة وإلى أئمتهم خاصة. ولقد قاتلهم إمام المسلمين ليحفظ أمن المجتمع وحياة المسلمين حتى قضى على فلولهم، وهذا واجب كل إمام مسلم، لا سيما في هذا العصر الذي ينسب فيه غير المسلمين كل إرهاب وإخلال بأمن المجتمعات إلى فعل المسلمين أو توجيهات الإسلام، مع أن الشرع الإسلامي وتوجيهاته هي أقوم السبل في مواجهة جرائم الإرهاب.

لقد حفظ الإسلام أمن المجتمع المسلم إزاء المجتمعات الأخرى، فلم يشرع القتال إلا دفاعاً عن الدين والنفس وحفظ المجتمع من الفتنة، وأمر بطاعة أولي الأمر (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء، 59). ولا يجوز في الإسلام أن تخرج طائفة من الناس على أمن المجتمع وتهدد استقراره أو تنزع يدها من بيعة توجب الطاعة، بل لقد أمر الرسول صلوات الله عليه وسلامه بالطاعة حتى ولو ظهر في المجتمع ما يعد منكراً، ما دام يجري التصدي له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العلماء والأمراء، أو بإنكار عامة الناس، وما دام المجتمع المسلم يتمتع بحقه في عبادة الله وحده، وتظهر فيه شعائر الإسلام، ويوجد فيه الحاكم

المسلم الذي يحفظ الدين ويحمي أرض الإسلام ومصالح المسلمين، فلا خروج عن الطاعة من الفرد أو طائفة من الناس تروع الآمنين وتنشر الخوف والفزع بين المؤمنين. لقد ذكر الله الخارجين عن الطاعة، وجعلهم محاربين لله ورسوله، وحدد عقوبتهم بخسرانهم في دينهم ودنياهم. يقول تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (المائدة، 33).

وهكذا وضع الإسلام الإرهاب في عداد أعظم الجرائم: محاربة الله ورسوله والسعي في الأرض فساداً، وأوجب على ولي الأمر أن يتصدى له حفاظاً على الدين وعلى حياة المسلمين، ولا حق لفرد أو جماعة أن تدعي على الأفراد أو على المجتمع ولاية لا حق لها فيها ، وأن تكفر غيرها أو تقيم حدًا من حدود الله مع وجود الولاية الشرعية للحاكم المسلم، فالإسلام يقيم مجتمعاً آمناً مستقرًا بعيدًا عن كل ما يهدد الناس ويروعهم، ويصلح المجتمع إذا ظهر ما يعد منكرًا من فرد أو طائفة من الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبإقامة حدود الله على يد الحاكم المسلم، وطبقاً لحكم الشرع، ولا مجال في الإسلام للخروج على المجتمع أو التسلط على الناس والإخلال بالأمن بحجة الغيرة على الدين أو الرغبة في الإصلاح، وهو ما يدعيه الإرهاب في هذا العصر، وأصحابه هم شر خلف لشر سلف في تاريخ الأمة الإسلامية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

المصدرhttp://magazine.al-islam.com

=============

#العولمة وثقافة الإثم!

الشيخ محمَّد العبدة

إذا كانت العولمة تعني أنَّ العالم تحوَّل إلى قرية كونية – كما يقولون – بسبب تقدم تقنية الاتصالات، وفي عصر المعلومات والإنترنت.. وإذا كانت تعني أنَّ لا أحد يستطيع الانعزال عن المجتمعات الأخرى والحضارات الأخرى، ليؤثر ويتأثر ويأخذ ويعطي، فهذا مقبول وهو شيء طبيعي، ولكن إذا كانت العولمة تعني أن تهيمن

ثقافة على ثقافة وحضارة على حضارة، وأنَّ قيم الغرب وعاداته وتقاليده يجب أن تدخل كل بيت وكل غرفة، فهذا لا نقبل به، بل نرفضه بشدة ونحاربه ونقاطعه، ولا نرضى أن يتحوَّل الإنسان إلى قطيع يأكل ويشرب ثم يذبح على مقصلة (البزنس) وتجار الفساد الذين يحاربون الدين والأخلاق ويستنفرون معاهدهم ومؤسساتهم الإعلامية للسخرية من الدين وإبطال فاعليته، وإبعاده عن التوجيه والتربية، يريدون تحويل البشرية إلى عبادة أصنام المال والشهوات، ويتحولون إلى كهنة لهذه الأصنام، يريدون تحويل الفضيلة إلى رذيلة والرذيلة إلى فضيلة، والجهل إلى معرفة والمعرفة إلى جهل.

إنَّ الغرائز في الإنسان موجودة وليست بحاجة إلى من ينفخ في جذوتها، بل بحاجة إلى من يروضها ويحفظها في حدود الفطرة التي فطر الله الناس عليها. فأي حاجة إلى القنوات الفضائية التي تثير الغرائز وتطلق عنان المناظر التي تخدش الأخلاق والطبع السليم؟!

العولمة الثقافية تريد كسر الحواجز؛ لأنَّها مرتبطة بالعولمة الاقتصادية، اقتصاد الربا وتجارة الحروب والمخدرات واحتكار المال، إنَّه اقتصاد السحت الذي يسحت جهود الناس ومصادر عيشهم من أجل أقلية مترفة، لقد فقد الإنسان الاستمتاع بالأشياء التي يشتريها وصار بحاجة إلى تبديل ما يشتريه باستمرار، وصار يكرس المشتريات وإن لم يستعمل الكثير منها.

إنَّ الوحش الاقتصادي الغربي يريد ابتلاع منتجات كل الشعوب الأخرى، وخاصة الإسلامية، ويريد تحويل البلدان الإسلامية إلى شركات عامة و(سوبر ماركت) لمنتجاتهم. إنَّ العلاقة بين الفساد الأخلاقي واقتصاد السحت علاقة واضحة، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: { لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} (المادة/63).

المصدر http://www.lahaonline.co

============

#خطر العولمة الثقافية

حامد عبد الله العلي

الحمد لله الذي لا إله إلا هو، لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد وعلى آله وصحابته وبعد :

فإن الدعوة إلى العولمة الثقافية لا تخرج في حقيقتها عن محاولة لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية لصالح حضارة الغالب .. وعالم المسلمين بعد أول المستهدفين .. ذلك أن الثقافة الإسلامية التي تشكل هوية الأمة وقسمات شخصيتها الحضارية هي في ثوابتها من لأن الدين ليس أمرًا مفصولاً عن الثقافة.

أعمدة الهيمنة الأربعة :

ولقد أصبح من الواضح في تحميل السياسة العالمية بصورة عامة منذ تفرد الولايات المتحدة بكونها القوة الكبرى المهيمنة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي أن العولمة ما هي إلا أحد الأعمدة الأربعة التي أوثقت بها دول القلب (الولايات المتحدة وأوروبا)، التي تشكل موقع صناعة القرار العالمي، ما حوتها من العالم في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وأوروبا الشرقية والتي غدت لا تعني سوى كونها سوقًا مريحة أو ساحة مصالح لدول القلب أو ثقلها بهذه العمدة لتجبرها على البقاء تحت هيمنة دول القلب، تجري في فلكها لتضمن تحقق السيطرة الكفيلة ببقاء تفوق الغرب على الشرق والشمال على الجنوب، وتدفق المصالح الاستراتيجية من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال.

وأما الأعمدة الثلاثة الأخرى فهي :

الشريعة الدولية: حيث تحتكر دول القلب هذه الشرعية المتمثلة في (الأمم المتحدة) وتستعملها لإسباغ الشرعية أو نزعها عن أي دولة تحاول التخلص من الوثاق ذي الأعمدة الأربعة التي أوثقت به دول القلب العالم، ولم يعد بهم دول القلب أن تتعسف وتتناقض وتكيل بمكيالين في استعمال أداة (الشريعة الدولية) فتصدر قرارًا من مجلس الأمن لعقاب من تريد .. لأنه أعلن رفضه لقانون الهيمنة الذي فرضته دول القلب على العالم، بينما تكتفي بموقف المتفرج في حالات أشد خطورة وانتهاكًا لحقوق الإنسان وقيم الأمم المتحدة لسبب واضح وهو أن دول القلب لم تشعر بالحاجة على

تحريك الشرعية، هنا لضمان مصالح أو تأديب خارج على قانونها. قانون الهيمنة والسيطرة.

السلاح ، وبوسيلة هذا العمود تتحكم دول القلب بالحروب والتوترات العالمية وتأجج أو تخمد مناطق الصراع العالمية على وفق مصالحها.

والخامات: مثل النفط والقمح، وبوسيلة هذا العمد تتحكم دول القلب بالتنمية والتطور والتكنولوجيا أيضًا في الدولة الواقعة في أحزمة مصالح دول القلب، وذلك وفق مصالحها وبما يضمن بقاء تفوقها وتدفق المصالح الاستراتيجية إليها.

والعولمة تعتمد على محورين أساسيين :

المحور الأول : التجارة العالمية .

المحور الثاني : الإعلام الذي يحمل الثقافة والفكر .

والعولمة التجارية يقصد بها ضمان تدفق رؤوس الأموال الغربية إلى أسواق العالم، وضمان تدفق المصالح المادية نحو دول القلب كما تقدم والعولمة الإعلامية يقصد بها إخضاع العالم لقيم العالم الغربي.

الموقف من العولمة الفكرية والثقافية:

يمكن تلخيص المواقف تجاه العولمة في أربعة:

الأولى : الموقف القابل للعولمة الذائب فيها والمؤيد لها تأييدًا مطلقًا .

الثاني: الموقف الرافض لها جملة وتفصيلاً.

الثالث : الموقف الملفق الذي يحاول التلفيق بين ما تحمله العولمة والإسلام.

الرابع : الموقف المتفاعل معها على أساس الانتقائية المشوبة بالحذر.

أما الموقف القابل بإطلاق فهو موقف تابع، وقد جلب ولا يزال يجلب سلبيات الحضارة الغربية لأنه موقف قائم على الخلط بين مقومات الحضارة الإنسانية التي هي بناء فكري ينبثق منه منهج التعامل مع الخالق والحياة والإنسان والكون، وبين الآلات والتكنولوجيا التي هي منجزات علمية مشتركة بين الناس .. فالأول هي الحضارة وهي لا تستورد ولا تشتري ولا يمكن نقلها من أمة إلى أمة ولا بإحداث انقلاب جذري استئصالي.

وأما الموقف الرافض فهو موقف خاسر غير واقعي وسيؤدي إلى الانكفاء والانعزال فالموت الحضاري.

وأما الموقف الملفق وهو الموقف الذي يتزعمه بعض من يسمون أنفسهم الليبراليين في عالمنا العربي. والذين يعتبرون أنفسهم معتدلين لأن المتطرفين منهم هم أصحاب الموقف المؤيد تأييدًا مطلقًا للعولمة .. ويدندن حول هذا الموقف من يسمون أنفسهم (اليسار الإسلامي) أيضًا .. وهاتان اللفتتان تضيعان وقت الأمة بممارستهما عمليًا (قص والزق) وبتر لبعض قيم الأمة وعزلها من سياقها المتكامل لإخضاعها للفلسفات المعارضة، وما هذا الصنيع إلا تكريس لإلغاء الذات أو لتشويهها لصالح الأجنبي.

وأما الموقف الرابع القائم على التفاعل الحضاري الناقد والانتقالي الحذر، الذي يقوم على الفحص والتدقيق وتقليب الشعارات والتنقيب عن المسميات، فيكشف ما تحت بريق العولمة من الظلمات كالإباحية والمادية النفعية، والميكافيلية الشريرة والاستغلال الرأسمالي للإنسان باسم التحرير، وفلسفة اللذة والمتعة وعبادة الدنيا، ثم يأخذ ما في العولمة من الصواب والخير بعد التمييز والتفتيش والنقد الموضوعي المنبثق من الثقة بالذات والاعتزاز بالهوية، ويرفض ما في العولمة من الشر والضلال.

الموقف الصواب من العولمة :

وهذا الموقف لا شك أنه هو الحق الذي يجب اتباعه، وأصله في الشريعة الإسلامية قول النبي صلى الله عليه وسلم : (.. حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وورد في بعض ألفاظه: (ولكن لا تصدقوهم.. ولا تكذبوهم) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .. ووجه الاستدلال به أنه إذن بالتفاعل الحضاري والتواصل الثقافي مع ما عند أهل الكتاب، غير أنه صلى الله عليه وسلم يرفض ما يعارض القرآن وقبول ما يوافقه والحذر مما لا يعلم صدقه من كذبه.

وحتى نبرهن على صحة هذا الموقف من العولمة، نقف عند أهم أخطارها الثقافية والفكرية على اعتناء لتأخذ حذرها وتدرك كيفية التعامل مع وجهة العالم الجديد، مما

يمكنها عن إبلاغ رسالتها وإلحاق الرحمة بالعالمين قيامًا بدورها في الشهود الحضاري.

أهم أخطار العولمة :

تعرف العولمة مطلقًا بأنها ظاهرة لانتماء العالمي بمعناه العام، وهي تعبير مختصر عن مفاهيم عدة فهي تشمل الخروج من الأطر المحدودة . الإقليمية والعنصرية والطائفية . وغيرها إلى الانتماء العالمي الأعم .. ففي جانبها الاقتصادي تشمل الانفتاح لتجذي وإلغاء القيود التجارية، وتوفير فرص لتتبادل التجاري الواسع محكومًا بقواعد السوق فقط بدون وجود إجراءات حمالية حكومية .. وفي جانبها الفكري والثقافي هي الانفتاح الفكري على الآخر وعدم الانغلاق على الذات، ورفض التعصب الفكري الذي يدعو لإلغاء الآخر: لا لشيء سوى أنه مغاير للفكر .. وفي جانبها السياسي هي شيوع تطبيق القانون على الجميع ومراعاة الحقوق السياسية للإنسان.. فهي باختصار الشعور بالانتماء الكبير العالمي بدلاً من الاقتصاد على الانتماء المحلي الإقليمي (الديني، العنصري، الطائفي).

لكن هذا العرض اللطيف الذي حاول تجميل وجه العولمة ليس سوى محاولة لإخفاء حقيقتها التي ينطوي عليها أهدافها.

أهداف العولمة :

1 . محاولة سيطرة قيم وعادات وثقافات العالم الغربي على بقية دول العالم، خاصة الداعي منها وإذابة خصائصها.

2 . تهميش تميز دين الإسلام، وإزالة الحدود الفاصلة بينه وبين غيره من الأديان الباطلة تمهيدًا لشن هجوم على مبادئه وتعليمه وصد الناس عن الإيمان به.

3 . فرض مفهوم نهاية التاريخ بانتصار قيم العالم الرأسمالي الغربي انتصارًا نهائيًا، والتسليم بلزوم تعليم القيادة البشرية إلى ثقافة الغرب إلى الأبد.

4 . إبقاء حال الهيمنة الغربية . بأعمدتها المذكورة آنفًا . أطول فترة ممكنة تحت شعار مصطلح العولمة.

هوية بلا هوية :

وباختصار العولمة هي في الحقيقة (هوية بلا هوية) وهدفها باختصار تفريغ ثقافة (الغير) من محتواها واستدراجها إلى الثقافة الغربية بحيلة وشعار مزيف يطلق عليه اسم (العولمة) لأنه لو قيل للعالم (الأمركة) لنفر كثير من الناس من هذه الدعوى، فاستبدل باسم (العولمة) فكأنهم يقولون تعالوا لنصير جميعًا عالمًا واحدًا، وننصهر في ثقافة واحدة ونحتكم إلى قوانين عالمية واحدة وتسيرنا ثقافة وعادات واحدة أو متقاربة حتى نتعايش ونتفاهم ولا تقع بيننا الحروب .. الخ، حتى إذا وقع المدعوون في هذا الفخ اكتشفوا أنهم في قفص الأمركة والعالم الغربي، ثم وجدوا اللافتة التي تحمل اسم (العولمة) تساقطت حروفها واختفت كهيئة الحبر السري، وظهر من تحتها اسم جديد وشعار جديد هو (التغريب) واكتشف المخدوعون أن حضارتهما سلبت من حيث لا يشعرون وثقافاتهم ذابت من حيث لا يعلمون وهويتهم طمست بالتدريج من حيث لا يدرون.

إذن العولمة في النهاية هي نتيجة انهيار نظام عالمي كان يقوم على (القطبية الثنائية) بانهيار أحد قطبيه . وهو الاتحاد السوفياتي . وسيطرة قطب واحد وأخذ يهيمن بانتهاء الحرب الباردة على العالم سياسيًا وعسكريًا .

هذا القطب الواحد . كما أشرنا في مطلع هذه المقالة . يستخدم آلات كثيرة خداعة للسيطرة الفكرية والثقافية على العالم تحت شعار كبير اسمه (العولمة) .. وقد بدأت تظهر آثار سياسية هيمنة وسيطرة القطب الواحد (دول القلب) بملامح حملة تغريب الإنسان في أفكاره ومنهاج تعليمه وفي طراز حياته وفي طعامه وشرابه حتى في صورته الظاهرية وشكله الخارجي التي أصبحت ظاهرة منتشرة في شباب اليوم الذي يحمل جراثيم التغريب، باتت هذه القبعات الجديدة تذكرنا بالقبعة التي فرضها أتاتورك على الشعب التركي عندما أعلن أول خطوات الانهزام أمام التغريب عند بدء عصر الانحطاط أول هذا القرن.

المخاوف من العولمة على العالم الإسلامي :

أولاً: تهديد العولمة لأصل العقيدة الإسلامية :

لعل من أخطر ما تحمله العولمة هو تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية، وذلك لأن العولمة تشتمل على الدعوة إلى وحدة الأديان، وهي دعوة تنفض عقيدة الإسلام من

أساسها وتهدمها من أصلها، لأن دين الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء، ثم أصابها التحريف والتعبير ودخل على أتباعها الانحراف العقائدي.

والعولمة تحمل في طياتها اعتبار الأديان كلها سواء، وإن ألحق في هذه الدائرة نسبي يحسب اعتقاد كل أمة .. ولا يصح في العولمة الفكرية والثقافية اعتبار دين الإسلام هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولهذا تشجع العولمة ما يسمى (حوار الأديان) لا على أساس دعوة الأديان الأخرى إلى الإسلام بل على أساس إزالة التمييز بين الإسلام وغيره بالحوار الذي يتوقعون أنه سيحمل المسلمين على التنازل عن اعتزازهم بدينهم واعتقادهم ببطلان غيره، وبذلك يزول التعصب وتتقارب الأديان .. وتتجلي خطورة هذه الدعوة في كونها تنفض عقد الإسلام من أصله، فعقد الإسلام لا يستقيم إلا مع اعتقاد بطلان كل الأديان الأخرى، والإيمان لا يعد صحيحًا إلا على أساس قوله تعالى: (قل يا أيها الكافرين لا أعبد ما تعبدون) [الكافرون: 1 . 2]، أي باعتقاد كفر كل من يعبد غير الله تعالى أو بزعم أنه يعبد الله تعالى بغير دين الإسلام وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [آل عمران : 85]، وقوله: (إن الدين عند الله الإسلام) [آل عمران : 19].

كما يعبر عن هذه الحقيقة علماء الإسلام بأن من نواقض الإسلام من لم يكفر المشركين والكفار أو شك في كفرهم أو صحح دينهم .. والكفار هم أتباع كل دين غير دين الإسلام بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم. وقولهم : إن من نواقض الإسلام أيضًا من اعتقد جواز الخروج عن شريعة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثانيًا : تهديد العولمة للمفاهيم الأساسية في العقيدة الإسلامية :

كما أن العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافيًا وفكريًا.

فالكون . في نظر العولمة الثقافية والفكرية . لم يخلق تسخيرًا للإنسان ، ليكون ميدان امتحان للناس ولابتلائهم أيهم أحسن عملاً؛ والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله

تعالى، والحياة ليست صراعًا ابتدأ منذ خلق الإنسان بين الحق الذي يمثله الرسل والأنبياء وأتباعهم الذين يدعون إلى سبيل الله تعالى بالوحي، وبين الباطل الذي يدعو إليه الشيطان .. والشيطان ليس هو الذي يقود ـ في الحقيقة ـ معركة الباطل ويجند لها جنوده من الرجال والنساء. كما قال سبحانه وتعالى: (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) [الإسراء: 64]. وقال سبحانه وتعالى: (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًا) [مريم: 83]، وقال الله تعالى: (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغون فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفًا) [النساء: 76]، وقال سبحانه : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك) [الحشر: 16]. هذه المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية، ليست في نظر العولمة الفكرية والثقافية سوى خرافة.

كما أن الموقف من أمم الأرض ـ في نظر العولمة الفكرية والثقافية ـ ليس على أساس المفهوم القرآني القائم على التقسيم العقائدي إلى :

أ ـ (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم. أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما، وأنه تجب موالاة المسلم لأخيه المسلم ونصرته، وأن يكونوا أمة واحدة تجمعهما العقيدة ولا تفرقهما أي وشيجة أخرى.

ب ـ وإلى كفار تجري عليهم الأحكام الشرعية بحسب علاقتهم بالمسلمين.

هذه المفاهيم القرآنية الإسلامية الأساسية كلها تنقضها العولمة الفكرية والثقافية من أصلها، وتهدمها من أساسها ـ فالكون ـ في نظر العولمة ـ ما هو إلا ميدان تنافس على المصالح الدنيوية، والإنسان حيوان دائب البحث عن ملذاته وشهواته ومنافعه، وليست الحياة سوى فرصة قصيرة لا ينبغي أ، تضيع في غير اللذة والشهرة والجنس والمال والثروة والجمال، وليس وراءها شيء آخر، وما هي إلا سباق بين الناس في هذا الميدان لا ينقصه سوى تعظيم هذه اللعبة لئلا تفسد على الجميع، ولا يصح التفريق بين الناس على أساس عقائدهم فهم أمة واحدة في الإنسانية تجري عليهم أحكام واحدة لا يجوز بحال أن تتفاوت هذه الأحكام بسبب الدين أو العقيدة.

إن خطورة العولمة الفكرية والثقافية تكمن في أنها تعمل على إعادة تشكيل المفاهيم الأساسية التي تشكل أصول عقيدة المسلم . بل تنقضها وتستعيض عنها بمفاهيم غريبة كافرة ملحدة لا تؤمن بوجوب عبادة الله واتباع الوحي والاستعداد للآخرة.

ثالثًا : تهديد العولمة لمبادئ الشريعة الإسلامية :

كما أن العولمة تحمل في طياتها نقضًا لأحكام الشريعة الإسلامية بفرضها مبادئ تخالف الشريعة ومن الأمثلة :

تسويق العولمة توهم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة.

ومن الأمثلة الواضحة على هذا قضية فرض مفهوم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، فهذا المفهوم منصوص عليه في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، ومقتضاه إزالة جميع الفوارق على الأحكام والحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة، وهو الأمر الذي يتناقض مع الشريعة الإسلامية التي تقوم على أساس الفرق الفطري والخلقي بين الرجل والمرأة، ذلك الفرق الذي يقتضي اختلافًا في بعض الأحكام والحقوق والواجبات بحسب اختلاف الاستعدادات الفطرية.

والمؤهلات التكوينية بينهما، ولهذا تجد الشريعة الإسلامية تقرر أن مبدأ عدم المساواة المطلقة بين الرجال والنساء أمر قطعي الثبوت والدلالة ولا خلاف فيه، ولا مجال فيه للاجتهاد .. وفي المساواة المطلقة لا يقتضي نفي مطلق المساواة كما لا يخفى.

الشريعة الإسلامية تقوم على أساس الفروق بين الجنسين:

على هذا قام الفقه الإسلامي ودلت على ذلك نصوص الكتابة والسنة وإجماع العلماء وبدءًا من باب الطهارة إلى باب الشهادات، آخر أبواب الفقه الإسلامي، تجد المرأة والرجل يجتمعان في أحكام ويختلفان في أحكام أخرى .. ومن صدور الاختلافات ما جاء في أحكام الحيض والنفاس، وأحكام لباس المر ' وفي الصلاة وعدم وجوب الجمعة والجماعة عليها وكون صلاتها في بيتها أفضل، وأنها ممنوعة من الآذان بإجماع العلماء، ومن إمامة الرجال في الصلاة وخطبة الجمعة لهم بإجماع العلماء وأنها تصفق لتنبيه الإمام إذا سهى ولا تسبح كالرجال، وأن صفوف النساء في الصلاة وراء صفوف الرجال ولا يجوز لقدمهن ولاختلاطهن بصفوف الرجال بإجماع الفقهاء، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها، أخرجها مسلم، بعكس الرجال.

ومن الأمثلة أيضًا على الاختلاف إحرامها للحج والعمرة في بعض الأحكام، وفي عدم وجوب الجهاد عليها وفي اختلاف أحكام الميراث والنفقة وجعل الطلاق بين الرجل في الأصل، وتقديمها في الحضانة في الجملة وفي تحريم الخلوة بها وفي تحريم التبرج وعدم قبول شهادتها في الحدود والدماء.

وهذا كله على سبيل المثال وإلا فثمة أحكام كثيرة غير هذه قد أجمع العلماء على أن المرأة لا تتساوى فيها والرجل، كما دل على ذلك صريح قوله سبحانه وتعالى: (وليس الذكر كالأنثى) [آل عمران: 36].

وأما العولمة فإنها كما ترفض التمييز بين الناس على أساس الإيمان والكفر ترفض أيضًا التمييز بين الرجل والمرأة مناقضة لأحكام الشريعة الإسلامية التي بنيت على أساس التقسيم الوظيفي بين الرجل والمرأة في المجتمع وأن دور كل منهما مكمل لدور الآخر في النظام الاجتماعي الإسلامي بناء على أساس أن التكوين الخلقي للمرأة يختلف عن الرجل وأن مؤهلاتها واستعداداتها الفطرية تقتضي توليها دورًا في المجتمع يختلف عن دور الرجل، وهو الدور الأسري.

إن الحقائق العلمية لتؤكد الفرق البيولوجي الأساسي بين الجنسين ولا بأس أن أستشهد هنا بما أورده مؤلفا كتاب جنس الدماغ (Brainsex) . الدكتور في علم الوراثة (أن غويره، ديفيد جبيل)، وهو في الحقيقة مؤلف اشترك فيه أكثر من 350 اختصاصي على رأسهم رائدة علم الفروق الدكتورة (كوراين هت) لنهما نقلا نتيجة إجابات كل هؤلاء الأخصائيين في الكتاب.

يقول مؤلفا الكتاب في المقدمة : (ثمت صياغة المادة الأساسية لهذا الكتاب من أبحاث قام بها علماء كثيرون من جميع أنحاء العالم) .. ثم قالا في وصف وفرق للحقيقة التي توصلا إليها بعد أبحاث مضنية : (الرجال مختلفون عن النساء) وهم لا يتساوون إلا في عضويتهم المشتركة في الجنس البشري .. والادعاء بأنهم متماثلون في القدرات والمهارات والسلوك تعني بأننا نقوم ببناء مجتمع يرتكز على كذبة بيولوجية وعلمية، فالجنسان مختلفان لأن أدمغتهم تختلف عن بعضهما، فالدماغ وهو العضو الذي يضطلع بالمهام الإرادية والعاطفية في الحياة، قد تم تركيبه بصورة

مختلفة عند كل منهما، والذي ينتج عنه في النهاية اختلاف في المفاهيم والأولويات والسلوك.

وإنما أصّلت في هذا المثال لأن حمى مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة أضحت موجة آخذة في الصعود في الخليج، منساقة مع تنامي الدعوة إلى العولمة الثقافية والفكرية، ولأنها قضية بالغة الخطورة لأن الغرب يسعى من خلالها إلى إعادة تشكيل النظام الاجتماعي في المجتمعات الخليجية وفقًا للمفاهيم الغربية.

إنه مثال واضح لما تفرضه العولمة من مبادئ وتشريعات تناقض الشريعة الإسلامية ومبادئها.

رابعًا : تهديد العولمة للأخلاق الإسلامية :

كما أن العولمة تهدد النظام الأخلاقي الإسلامي، فمن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي ويحاول الغرب استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم، ومن أحدث محاولات العولمة محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه Gender بدل كلمة (sex) يقول الدكتور محمد الركن في مجلة المستقبل الإسلامية: (ومن المسائل الجديدة المستحدثة التي تحاول بعض المنظمات والحكومات الغربية فرضها وإلزام شعوب العالم الأخرى بوجهة نظرهم فيها مسألة تعريف الجنس والأسرة، ومما حداني للحديث حول هذا الموضوع ما شاهدته في المستندات الرسمية، فقد تمت ترجمة الجنس الغربي إلى مصطلح Gender، باللغة الإنجليزية، وهي تنم عن عدم إلمام بما يسعى غليه الغربيون في فرض ثقافتهم على الآخرين، فلفظة الجندر لا تتطابق تمامًا مع لفظة (sex) بل إن لها أبعادًا خطيرًا قلمًا تشبه إليها.

والموسوعة البريطانية تعرف الجندر بأنه : (لقبل المرء لذاته، وتعريفه لنفسه كشيء متميز عن جنسه البيولوجي الحقيقي) .. فهناك من الأشخاص من يرون أن لا صلة بين الجنس والجندر، إذ أن ملامح الإنسان البيولوجي الخارجية الجنسية مختلفة عن الإحساس الشخصي الداخلي لذاته أو للجندر .. بعبارة أخرى أكثر تبسيطًا فأنا الجندر بعبارتهم تنصرف إلى غير الذر والأنثى كجنسين فقط. ونحن لا نعرف ولا نقر في ديننا وثقافتنا إلا بهما، فالجندر تشمل الشاذين جنسيًا من سحاقيات ولواطيين ومنحولي الجنس، إذ أنها ترتبط بتعريف المرء لذاته وهويته وليس بجنسه البيولوجي

.. ومن هنا تأتي خطورة المسألة ولهذا نرى في المؤتمرات الدولية تسابقًا محمومًا من المنظومات الغربية وبعض الحكومات الغربية، وخصوصًا الأوروبية لفرض لفظة Gender بدل لفظ (sex) التي تنصرف إلى الذكر والأنثى فقط، وذلك عند الحديث عن حقوق الإنسان أو محاولة التمييز ضد الإنسان أو تجريم أفعال ترتكب ضد الإنسان).

خاتمة :

وبعد هذا العرض لمخاطر العولمة لا يبقى مجال لشك أن الموقف الواجب تجاه العولمة الثقافية والفكرية هو التفاعل الحضاري والتعامل الثقافي والانتقائي بحذر : حفاظًا على عقيدة الأمة وهويتها وأخلاقها من عبث العولمة الفكرية والثقافية .. ولا يتم ذلك إلا بإحياء مشروع نهضوي ثقافي شامل بعيد للأمة ثقتها بثقافتها واعتزازها بتاريخها وفخرها بهويتها، على أساس الالتفاف حول الإسلام النقي الخالص من شوائب الموروث المتخلف، بفهم صحيح يضع الثوابت والمتغيرات في مواضعها الصحيحة ويوجه الاجتهاد الشرعي العصري توجيهًا سليمًا جامعًا بين الأصالة والأسس السلفية، والاستفادة من المعاصرة النافعة، وسطًا بين الغلو والإجحاف .. وذلك أن الموقف الرافض المنكفئ العاجز عن التعامل مع حقبة العولمة، يحمل من المخاطر على الأمة المسلمة وطمس هويتها وتوهين قيمها وعزلها عن الواقع العالمي الشيء الكثير، لذلك لابد من التفكير بامتلاك الوسائل النادرة على حماية الأمة، الإفادة من وسائل العولمة وطروحاتها لتقديم البديل الإسلامي على المستوى العالمي. كما لابد من تفعيل كل جهود الوحدة التي تقرب الأمة حكومات وشعوبًا عن بعضها البعض، وتقرب الحكام من الشعوب والشعوب من الحكام، وتصلح بين السياسة والثقافة والحكام والعلماء وتجمع بين الكتاب والميزان والحديد تتعود هذه الأمة إلى مجدها من جديد .. حيث تتمكن من حشد قواها التي تمكنها من استئناف دورها.

موقع مفكرة الإسلام

.htm6/culture/culture_9http://www.islammemo.com/kashaf_

=============

#وحدة العمل الإسلامي في مواجهة أعاصير العولمة

كما يريدها ويروِّج لها دُعاتها في واقعنا المعاصر – لا تعدو أن تكون تعبيراً معاصراً عن نزعة تسلطية قديمة , صاحبت كل قوة غاشمة على مدار التاريخ . بل لا نبعد النجعة إن قلنا إن هذه العولمة – وما تعنيه من الهيمنة واستلاب الآخرين – نوع من أنواع الاستخراب (الاستعمار) , لها كل ما للاستعمار القديم من صفات , إلا أنها – كما يقولون – تضفي طلاءً من الذهب على الأغلال , وتتوارى خلف أقنعة زائفة من العبارات الجذابة والشعارات البراقة , كالعدالة والديمقراطية والحرية والسلام العالمي والتعايش السلمي وحقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب .. الخ . فهي نفس الشراب القديم وإن كان في آنية جديدة ! .

ولعل من أبرز مظاهر هذه العولمة انهيار السدود بين الحضارات والثقافات , وفرض الهيمنة الغربية في مختلف المجالات , سياسة واقتصاداً وإعلاماً وفكراً ؛ توطئة للاستيلاء على ثروات الشعوب وشلّ قدراتها الوطنية , ومسخ هويتها وخصوصياتها الحضارية , وتحويل أسواقها المحلية إلى أسواق استهلاكية تفتح الأبواب على مصاريعها أمام الشركات الأجنبية لترويج منتجاتها وتراكم أرباحها .

وقد رأينا من ذلك بدايات أسيفة , لا تخطئها العين , تمثلت في شيوع التقاليد والأزياء والمطاعم الغربية ومزاحمتها لمثيلاتها الوطنية مع ما يجلبه هذا الوافد الغربي من مفاهيم بلاده وقيمها , ولعل هذا يوضح الصلة بين شيوع هذه المظاهر وبين مظاهر التخنُّث وضعف التدين وانفراط عقد الأسرة وانتشار المخدِّرات والجريمة المنظمة ! , فضلاً عن تراجع – أو انهيار – كثير من المؤسسات الوطنية وهروب رؤوس الأموال إلى الخارج .

إن عُمد الحضارة الغربية – كما لا يخفى عليكم – تمثلت في الطباعة والتنصير والبارود , فهي ظل ذو ثلاث شُعب : أولاهن إعلامية والثانية تنصيرية والأخيرة عسكرية , وما الأولى والثانية إلا كاسحات ألغام أمام الشعبة الأخيرة , تهيئ لها الأجواء وتعبِّد لها الطريق !

ولقد وعى القوم دروس التاريخ فقدموا القوة الناعمة على القوة الضاربة ؛ لأنها أقل استفزازاً للآخرين , وأقل ظهوراً أمامهم , وأقدر على شلّ قدراتهم على المقاومة , وأقتل لروح الاستبسال والمواجهة في صدورهم .

وإذا كان الأسلوب التقليدي – لدى القوم – قد تمثل في حمْل الآخرين على فعل ما تريد ولو باستخدام القوة المسلحة – فإن الأسلوب الأمثل اليوم يتمثل في حمل الآخرين على إرادة هذا الذي تريد , وإقبالهم عليه عن طواعية واختيار , وهذا يتوقف بطبيعة الحال على حسن تسويقه وجاذبية عرضه من ناحية , كما يتوقف على حجم الإغراء الذي تحمله الجوائز التي تقدم ثمناً لمَن يتعاونون مع القوم ويلقون لعولمتهم السَّلَم من ناحية أخرى ! .

بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

ومما يجدر التنبيه إليه – في هذا المقام – ضرورة الفصل بين العالمية التي جاءت بها شريعة الإسلام وما تحمله من رسالة حب ورحمة إلى العالم أجمع , وبين العولمة وما تعنيه من الهيمنة واستلاب الآخرين لحساب الرأسمالية العاتية , بل لحساب حفنة من النخب الرأسمالية التي تتضرع في دماء الآخرين وأموالهم .

إن العالمية التي تحيل العالم إلى قرية كونية واحدة , يتمتع الإنسان فيها بحق الاختيار ويسود فيها البر والقسط ويتفيأ الإنسان فيها ظلال العدل والرحمة , وتصان فيها حرمات المخالفين وحقوقهم – هذه العالمية يجب ألا تلتبس في ذهننا بالعولمة , التي يدعو لها حملة المشروع الغربي والتي تحيل العالم إلى غابة عالمية واحدة , يأكل القوي فيها الضعيف , ولا يرقبون في أحد فيها إلاًّ ولا ذمة ! .

إن الاتجاه إلى العالمية برسالة حضارية عادلة لا حرج فيه ولا تثريب على دعاته , ولكن الحرج – كل الحرج – إنما يكمن في روح الهيمنة والجشع والأنانية والابتزاز الذي تحمله هذه العولمة الجامحة , كما يدعو إليها أباطرة الرأسمالية وقراصنتها من غير حريجة من دين أو خلق , فليس الحرج في التوجه إلى العالمية في ذاته , والتعامل مع الكيان البشري كأمة واحدة , وإنما يكمن الحرج في المشروع الذي يحمله القائمون على هذا التوجه عندما لا يرون في الآخرين إلا أحجاراً على رقعة الشطرنج

, يعبثون بمقدراتهم ومصائرهم كما يشاءون , الأمر الذي لا تقام به دنيا , ولا يصلح به دين , ولا يزداد به العالم إلا شقاءً فوق شقاء !

إننا – نحن المسلمين – نحمل مشروعاً حضارياً رائداً , لُحمته الربانية وسُداه البر والقسط , نبذله إلى العالمين ما داموا لا يقاتلوننا في الدين , ولا يصادرون علينا حقنا في أن نبسط دعوتنا إلى الآخرين .

فليس على دعاة الدين الحق والرسالة الخاتمة من حرج إذن أن يطوفوا بدعوتهم في المشارق والمغارب , يوطِّئون للحق مهاداً , وينشرون له أعلاماً في إطار قاعدة (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[البقرة:256] , وتحت خيمة الربانية التي ترعى حقوق الموافقين والمخالفين , حتى يتفيأ العالم ظلال هذه الرحمة العامة , يفئ إليها من هجير الظلم ورمضاء الأثرة والجشع والأنانية , ويجد له موقعاً في سفينة الإسلام , التي تمخر به عباب هذه الفتن المتلاطمة ؛ حتى ترسو على شاطئ النجاة في الآخرة .

إن هذه العولمة – في إطارها اللاديني (العلماني) الجامع – لَتحمل في طياتها بذور فشلها وعوامل انهيارها ؛ فإنه لا دوام لظلم , ولا بقاء لعسف ولا جور , لقد حدثنا القرآن الكريم عن دول قامت , ثم زالت , وعن حضارات صالت , ثم انهارت .

قال – تعالى – : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ](14)) الفجر[.

وقال – تعالى – : (وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً (37) وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً (38) وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً(39))]الفرقان[.

وقال – تعالى – : (وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ

الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(40))]العنكبوت [.

وإن مواريث القوم الفكرية والفلسفية لتنذرهم بذلك , وتشهد عليهم به , فقد قال أحد حكمائهم (حين وقف على أطلال روما) : "إن أول رجل تسبَّب في خراب الإمبراطورية هو الذي بدأ يقدم لها الأسلاب والغنائم" ؛ لأنه هو الذي أثار لدى أهلها غول النهب والسيطرة وحرك شياطين الأثرة والأنانية الكامنة وراء جلودهم , وقديماً قال نابليون : "إن الإمبراطوريات تموت دائماً بمرض التخمة" , أي أن جوفها يعجز عن هضم ما تلتهمه من الأقاليم والشعوب ! .

موقف المسلم من العولمة :

يبقى الحديث بعد هذا عن موقف المسلم من هذه العولمة : هل هو الرفض والمقاطعة أم الاصطفاء والتخيُّر ؟ .

لا يخفى أنه لا سبيل إلى الأول لجملة من الاعتبارات والضرورات العملية منها :

1- عالمية هذه الظاهرة , وتدفقها إلى العالم عبر قنوات مفتوحة لا سبيل إلى إغلاقها , وقطع السبيل إليها , سواء أكان ذلك في وسائل الأعلام أم في حركة السياحة والاتصال المباشر بين الشعوب .

طبيعة العلاقات الدولية التي تقوم على التبادل والتداخل والتعامل المشترك , ولا يتسنى لأحد - في محيط المجتمع الدولي - أن يحبس نفسه داخل أسوار العزلة .

حاجة البلاد الإسلامية والعربية إلى كثير من الخبرات وآليات التقنية المبثوثة في هذه المجتمعات ؛ نظراً لحداثة البناء الاجتماعي والاقتصادي في كثير من هذه البلاد .

ضعف مؤسسات الوحدة والتنسيق بين البلاد الإسلامية والعربية .

وإذا كان لا يتسنى لنا أن نقطع السبيل بالكلية على هذا السيل الجارف من مظاهر العولمة وآلياتها فلم يبقَ أمامنا إلا التخير والاصطفاء , بأن العلم ما الذي نأخذه منها , وما الذي نجتنبه , فما كان فيها من أمر صالح أخذناه ولا حرج , وما كان منها من فاسد تحاشيناه واجتهدنا في التصدي له .

إن من إيجابيات هذه العولمة - على سبيل المثال - سهولة الاتصال بين الدول والأفراد على المحيط الدولي , وتوافر التقنيات المتطورة التي تذلل هذا التواصل ,

وتهيئ أسبابه , فلماذا لا يستفيد المسلمون من ذلك كله ؟ , بإنشاء جامعات مفتوحة يستفيض من خلالها البلاغ بعلوم الدين وتعم من خلالها المعرفة بعلوم الدنيا , فتقضي على الأمية والجهالة وتدرج الأمة من خلالها على معارج الغلبة والتمكين .

وإن من إيجابياتها كذلك ما تتيحه من ثروة كبرى في عالم المعلومات تتدفق عبر العالم في سلاسة ويسر , لا تحدها حدود ولا تحجزها حواجز إقليمية أو سياسية أو عسكرية , ومن هذه المعلومات ما هو نافع وبنَّاء في مختلف المجالات , فلماذا لا تُستثمر هذه المعرفة المبذولة بالمجان في تطوير قدراتنا حاضراً ومستقبلاً , وفي توجيه ناشئتنا إلى الإفادة من هذا كله ؛ ليكونوا أقدر على العطاء والمواجهة .

هذا وإن الآكد من هذا كله أن نبعث في هذه الأمة روح المواجهة لهذه الأعاصير , وأن نستثير مذخور طاقاتها الإيمانية والجهادية , وأن نرشد توجيه هذه الطاقات على طريق المحافظة على الهوية , واستئناف ما توقف من مسيرتها الحضارية .

كثيرة هذه المقومات التي تملكها الأمة وتتمكن بها – بعد توفيق الله (جل وعلا) وتأييده – من الثبات في مواجهة أعاصير هذه الفتن , بل ومن قهر هذه الأعاصير وتجاوزها إلى مرفأ الأمن والسلامة .

ولا يتسع المقام لاستقراء كل هذه المقومات , ولكننا نخص بالذكر آكدها وأثمنها وأغلاها في هذا المقام , وهو ما تموج به هذه الأيام من صحوة إسلامية مباركة , توشك أن تعم بلاد العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه .

ذلك أن ترشيد هذه الصحوة وإزالة التناقضات الداخلية التي تغشى صفوفها في بعض المواقع وحشد فصائلها جميعاً في خندق التصدي لهذه الأعاصير – لَيمثل خط الدفاع الأول في هذه المواجهة المحتومة الشرسة .

وإن خصومنا ليدركون هذه الحقيقة بجلاء , ومن هنا كان مكر الليل والنهار لإجهاض هذه الصحوة وإفشال أعمالها , لا من خلال سحقها وتجفيف منابعها بالكلية , فقد يئسوا من ذلك , ولكن من خلال المراهنة على تشرذم فصائلها , وتفشِّي الفتن بين صفوفها وإغراء العداوة والبغضاء بينها وبين القيادة السياسية في بلادها , فترتد سهامها إلى الداخل , وتُجهض طاقاتها في مناوشات داخلية , لا يفيد منها في نهاية المطاف إلا هؤلاء الخصوم .

إلى متى يُدفع بشبابنا إلى المحرقة ؟! :

إلى متى يُدفع بشبابنا إلى المحرقة ؟! , سؤال طرحه أحد أئمة أهل العلم في هذا الزمان , وهو مثل زفرة من زفرات الألم المكتوم , التي تجيش بها صدور كثير من المشفقين على هذه الأمة , ممن يحزنهم استضعافها في المحيط الدولي , وهوانها – على أعدائها – في الخارج , وتشرذم صفوفها واحتراقها في أتون الفتن والتهارج في الداخل .

ولعل مثل هذا التساؤل هو الذي دفع بكثير من هؤلاء ممن يرصدون هذه الظاهرة – إلى التأكيد على ضرورة إحياء فقه المراجعات , والتأمل الدقيق في مفردات المشروع الفكري الذي حمله التيار الإسلامي طوال الحقبة الماضية , بدءًا من المسائل العلمية , وانتهاءًا بوسائل العمل وآليات التغيير في مختلف المحاور .

ولعل على رأس هذه الإشكاليات التي تمس الحاجة إلى استنفار العقول والأقلام لتدبرها واقتراح ما يلزم لها من الحلول والمعالجات :

إشكالية التعامل مع القيادات السياسية , وإشكالية التعامل مع الآخرين , سواء أكانوا داخل الصف الإسلامي من ذوي الاجتهادات المخالفة , أم كانوا خارجه من أصحاب المشروعات القومية أو الوطنية .

أولاً : إشكالية التعامل مع القيادات السياسية :

لقد ورثت الأمة منذ عصور الاستخراب (الاستعمار) محنة ثقيلة , تمثلت في تعطيل الشريعة وتكريس الفصل بين الدين والدولة في كثير من المواقع , ورحل الاستخراب عن البلاد , ولكن بقيت هذه التركة بصمة له , وأثراً من آثاره البغيضة في معظم المواقع , التي دنستها أقدامه , ووطئت فوقها سنابك خيوله .

ثم كان انبعاث الصحوة الإسلامية وتفجر ينابيعها الثرية في مختلف أرجاء الأمة , رافعة لواء الدعوة إلى تحكيم الشريعة , مؤكدة ضرورة التخلص من الاستخراب التشريعي , والعودة إلى التحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى ما أنزل الله .

ورأت بعض القيادات السياسية في هذه الدعوة تحرُّشاً بها وتأليباً على عداوتها وعدواناً على سيادتها وزلزلة لقواعد مشروعيتها , وفي المقابل لم يخلُ أداء الإسلاميين – في بعض المواقع – من بعض المواقف المستفزة أقوالاً وأفعالاً ,

فاشتعل فتيل المواجهة بين الفريقين , وواتت الفرصة فريقاً من الشانئين , ممن يخاصمون الإسلام معتقداً وتشريعاً , فاستثمروا هذا الصراع وعمقوا جذوره ووسعوا دوائره , وتقاسموا على إبادة هذه الصحوة إلى آخر جندي تملكه القيادة السياسية ! , ووقع كثير من القيادات السياسية في شراك الابتزاز الذي نصبه لها هؤلاء , فزادت الفتن سعيراً واشتد الصراع وتطاول ليله , وتمخض عنه من الويلات والفجائع ما تمخض , وكلما دعا فريق من الحكماء (في هذا الجانب أو ذاك) إلى مصالحة تُحقن بها الدماء , ويرتفع بها هذا البلاء – سلقه الشانئون بألسنة حِدَاد , أشحَّة على الخير ؛ حتى لا يهدأ أُوار , ولا يقر للأمة قرار ! .

ولعل من اللافت للنظر بين واقع العمل الإسلامي في المجتمعات الغربية ومثيله في بلاد المشرق هذه المفارقة المذهلة بين الهدوء والاسترخاء اللذين يسودان علاقة العمل الإسلامي بالقيادات السياسية في الغرب , والتحفز والاستفزاز اللذين يسودان هذه العلاقة في بلاد المسلمين , وقد كان المتوقع هو العكس .

ولا يخفى أن من التسطيح الفاحش للأمور أن تفسَّر ظاهرة شديدة التعقيد , تختلط فيها أبعاد كثيرة ببعد واحد من هذه الأبعاد , ولكن الذي أود التركيز عليه , وأود لفت الانتباه إليه في هذه الأبعاد – هو هذا الانضباط المتبادل بالأنظمة السارية من كلا الفريقين في المجتمعات الغربية , وهذا الانتهاك المتبادل في مجتمعات المسلمين , وهي ظاهرة جديرة بالتسجيل والتأمل , وربما امتهد من ذلك سبيل لحسن التعامل مع هذه الإشكالية وحل مغاليقها .

لقد التقى الفريقان في الغرب على أن هناك دولة قائمة – ظالمة كانت أو عادلة – وأن لهذه الدولة نظماً سارية لا سبيل إلى تغييرها إلا من خلال آليات التغيير المعتمدة في هذه المجتمعات , وأنه لا بد من الوقوف عند هذه الحدود التي تمثل إشارات ضوئية , تضبط السير وتحدد العلاقة بين الفريقين :

فالعمل الإسلامي يرى أنه يعيش في إطار دولة يجب عليه أن يتقيد بنظمها , وإن مثَّلت نوعاً من أنواع الجور على حقوقه في بعض الجوانب , أو تناقضت مع بعض قواعد المشروعية التي يعتقدها , ويَدين بها في جوانب أخرى , وهو يبذل هذا الانضباط عن طواعية واختيار , والدولة ترى في نظمها حدوداً ملزِمة , لا يجوز أن

تنتهكها ؛ لتبطش بمواطنيها بغير حق , فتكفل الحماية والمنعة وتبذل الحقوق والرعاية لكل مَن يقيمون على أرضها ماداموا وقَّافين عند هذه الحدود التي فصَّلتها الأنظمة والشرائع السارية .

وهكذا أصبح الانضباط المتبادل سُنة التعامل بين الفريقين في هذه المجتمعات , ولكن الأمر على النقيض من ذلك في بلاد المسلمين , حيث مسلسل الانتهاكات الصارخة التي تتجاوز المعقول واللامعقول , وتدخل بالعلاقة – بين الطرفين – في سراديب ملتوية كثيرة التعاريج .

ولهذا فإن من آكد محاور الترشيد – التي نسجلها في هذا المقام – أن يدرك التيار الإسلامي بفصائله المختلفة أنه يعمل في إطار دول قائمة , وتحت مظلة أنظمة سارية , وأن عليه أن يرتب برامجه في ضوء هذه الحقيقة , وأن يستنفد المتاح قبل أن يتطلع إلى غيره , وأن يدرك أن تشوُّفه لغير المتاح قد يُفقده المتاح وغير المتاح ! .

لقد درج كثير من العاملين للإسلام – خلال الحقبة الماضية – على أن ينطلقوا في أعمالهم الدعوية والتربوية والاحتسابية من خلال الشرعية التي يعتقدونها , والمرجعية التي يَدينون بها , سواء التقت مع المرجعية السائدة في مجتمعاتهم أم تعارضت , وقد ترتب على ذلك ما ترتب عليه من صراعات ومواجهات أسيفة دامية .

ولا يخفى أن هذا الالتزام الذي ندعو إلى التقيد به – من جانب حَمَلَة الشريعة – لا يعني بالضرورة توقُّف مسلسل المواجهات والانتهاكات من الطرف الآخر على الفور , ولكنه بالقطع سوف يُضعف حدتها , ويكسر سَوْرتها , وينقل ما تبقَّى منها إلى إطار جديد , تتمايز فيه المواقف بجلاء , وتنقطع معه شبهات المتأولين والمرتابين ! .

وإن هذه النظرة لتمثل منعطفاً كبيراً في مسيرة العمل الإسلامي , تزداد بها نضجاً وتوفيقاً , وتضيق به شُقة الصراعات بين الفريقين , في الوقت الذي لا تمثل فيه تراجعاً عن التزام واجب , أو تفريطاً في مُحكَم لا يتسنى التفريط في مثله ؛ إذ القدرة هي الشرط العام في جميع التكاليف .

والنظر في مآلات الأقوال والأفعال مقصود معتبر شرعاً , وقاعدة تحقيق خير الخيرين ودفع شر الشرين مما ينتظم به عقد هذا التوجه , ويتسق بها مضمونه كله ,

وسوف ينعكس هذا التوجه على مواقف كثيرة واجتهادات عديدة , ويرسم مساراً جديداً للعملية الدعوية برمتها , وتمس الحاجة معه إلى مزيد من الدراسات التفصيلية , التي تنقله من حيز التنظير والتجريد إلى حيز التطبيق والتنفيذ , ولا يخفى أن لكل محلة خصوصياتها في هذا المجال , وأن هذا الأمر مما تختلف فيه الفتوى باختلاف الزمان والمكان والأحوال والعوائد .

إن سياسة إطفاء الحرائق ونزع فتيل الاشتعال في علاقات العاملين للإسلام والقيادات السياسية من حولهم وتطويق المواجهات على أرض الإسلام – ينبغي أن تكون هماً يقضُّ مضاجع الغيورين , ويؤرق ليلهم , فلا أقر لعيون الخصوم من تفاقم هذه الصراعات , وتنامي هذه المواجهات , التي تحترق بها الأمة , وتبدد بها طاقاتها داخلياً , دون أن يسكب الخصوم في هذا الإفناء والمحو قطرة دم واحدة ! .

ثانياً : إشكالية العلاقة مع الآخرين : 1- العلاقة مع الآخرين داخل الإطار الإسلامي :

يثور جدل على الصعيد الفقهي حول مشروعية الصلح مع الصهاينة الغاصبين ومشروعية التنسيق والتقارب مع الرافضة والباطنيين إعمالاً لمقتضيات الضرورة واستجابة لدواعي المصلحة وتتفاوت الآراء بين مجيز ومنكر ومتحفظ , وتشهد الساحة من أئمة أهل العلم مَن لا يرى بذلك حرجاً في إطار الضوابط المعتبرة شرعاً للضرورة أو المصلحة , ويتعامل الناس مع هذه المواقف دونما توجس أو ارتياب , ويقبلون أو يرفضون في غير ما تحفّز أو توثّب , ويبقى لكل طرف حرمتُه المصونة وعِرضه الذي لا يُنتهك .

ولكن الأمر لا يبدو بهذه السلاسة عندما تُعرض قضية التعاون بين الفصائل الإسلامية , التي تدور – في الجملة – في فلك أهل السنة , وتواجه قدَراً واحداً من الجراحات والتطلعات , وتنالها جميعاً مطارق الاستضعاف والمحنة بدرجات متقاربة , وتجد أشد الناس تصلباً في رفض هذا التقارب مَن يرون في اللادينية وتحكيم القوانين الوضعية صورة من صور الكفر الأكبر , وأن الخلل في واقعنا المعاصر قد بلغ مبلغاً لا تُجدي معه محاولات الترقيع , وإنما النقض وإعادة البناء من الأساس , وقد كان أوْلى بهؤلاء – والحال كذلك – أن يكونوا أكثر تسامحاً مع إخوانهم ممن يقفون

معهم على أرض الإسلام , ويحملون معهم هَمّ الدعوة إلى تحكيم الشريعة , ويتعرضون – معهم – لنفس الويلات , التي يتعرض لها حملة هذه الدعوة في كل موقع ؛ لأنه إذا صح توصيف تحكيم القوانين الوضعية بأنه من جنس أعمال الكفر والشرك – فلا فتنة أعظم من الكفر , ولا عمل أوجب من التكاتف لإزالته.

ولكن الأمر كان على النقيض من ذلك , فقد كان هؤلاء أكثر الناس تصلباً في الازورار عن إخوانهم , والتجافي عنهم , والغلظة عليهم , متأولين في ذلك بعض النصوص والآثار , التي طُبقت في غير مناطها , وإن كانت حقاً في ذاتها .

ولا مخرج من هذا كله إلا بإحياء فقه الاختلاف , كما فصَّلته مواريثنا السلفية , وترتيب أولويات المواجهة , كما تمليه الضرورات العملية والعملية , بما يدرك معه المتدينون كافة أنه لا إنكار في موارد الاجتهاد , وأن الأصل هو الالتقاء على الثوابت والمحكمات , والتغافر في الظنيات والمتشابهات , وأن الله قد قسم الأعمال كما قسم الأرزاق , وأن من الناس مَن يُفتح عليه في باب من أبواب العلم أو العمل , ومنهم من يُفتح عليه في باب آخر , ومن خلال هذه الجهود مجتمعة يتجدد العمل بفروض الكفايات على مستوى مجموع الأمة , وأنه يجب التفريق بين مناط الاستضعاف ومناط الاستخلاف , وأن ما يحسُن تشديد النكير عليه ومزايلة أصحابه في وقت قد يحسن السكوت عليه ومداراة أصحابه في وقت آخر وفقاً لمقتضيات الزمان والمكان والظروف والأحوال , وأنه قد يتسنى ترك الفاضل وإعمال المفضول في وقت من الأوقات رعاية لمصلحة الاجتماع والائتلاف , وكل ذلك مبثوث في مواريثنا السلفية , ولسنا بصدد تفصيل القول في ذلك فقد أفردت لتفصيله دراسات مستقلة , وحسبنا في هذا المقام هذه الإشارات المجملة , التي أرجو أن يستفيض البلاغ بها , وأن يتأمل طلبة العلم في مداركها , ونحن نتحدث عن فتنة العولمة , واجتياح أعاصيرها بلاد الإسلام ! .

إن تعدد الاجتهادات سُنة من سنن الاجتماع , وحقيقة ملازمة للتجمعات البشرية كافة في مختلف الأزمنة والأمكنة , ولا يذم هذا الاختلاف إلا في صورتين :

الأولى : أن يكون في الأصول والقطعيات كالخلاف على أصل الملة أو الخلاف في الأصول الكلية القطعية في الشريعة , فالأول يخرج به أصحابه من الملة , والثاني يخرجون به عن دائرة أهل السنة والجماعة , ويصبحون فرقة من الفرق الضالة .
الثانية : التعصب المذموم الذي يفضي إلى التفرق , ويخترق به سياج الأخوة الإيمانية , ويصبح به الناس شيعاً متلاعنة متدابرة , ويحُول دون التنسيق والتعاون في مواضع الإجماع , أو في أوقات المحن والكوارث العامة .
ولا يخفى أن المقبول من تعدد الاجتهادات هو ما كان منه داخل الإطار الإسلامي , بل داخل الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع , وأن التعصب المقيت في الفروع وموارد الاجتهاد ليس من منهج أهل السنة في شيء , وأن فقه الاجتماع في هذه المرحلة يقتضي إعلان النفير العام وحشد كل طاقات الأمة في خندق المواجهة ؛ لأن المنازعة هنا – ونحن نتحدث عن العولمة وتهديدها لديار الإسلام – ليست من جنس المنازعات التي تكون داخل الإطار الإسلامي , ولكنها منازعة على أصل هذا الإطار , هل نقبل بالإطار الإسلامي أم نستبدل التغريب واللادينية (العلمانية) به ؟! .
وإذا أثيرت المسألة على هذا النحو فإن الأولوية تكون لصالح الانتصار لأصل الدين وتوفير كل الجهود والطاقات للتصدي لخصومه , ولهذا نظير في الأنظمة الوضعية , عندما تمر البلاد بحالة حرب وتجتاحها كوارث عامة تهدد وجودها كله بالفناء والاستئصال – فإن القوى السياسية الموجودة في الدولة كافة (حكومة ومعارضة) تقف صفاً واحداً وخندقاً واحداً ؛ لدفع هذه الكارثة العامة , ويكون الاعتبار القومي مقدماً على الاعتبار الحزبي , ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة فريق معين منها , فتتلاشى التصدعات الحزبية , وتتوارى العصبيات المذهبية , ولا يكون للمجتمع كله من همّ إلا دفع هذا الصائل , والتصدي لهذه الكارثة !! .
وبناءًا على ذلك فلا حرج في تفاوت الاجتهادات والرؤى الفقهية أو السياسية , إذا لم يَحُل هذا التفاوت دون إقامة التنسيق والتعاون بينها جميعاً , بحيث تجمع أصحابها جبهة واحدة للعمل المشترك , ويلتزمون جميعاً بإقامة جماعة المسلمين بمفهومها العام والشامل , إذ لا ضرر في مثل هذا التفاوت , فلا تثريب إذن على أصحابه .

أما إذا أدى هذا التفاوت إلى التمحور حول الذات والازورار عن الآخرين والاستطالة عليهم بغير حق , وبات يُعنى فيه بالفرع على حساب الأصل , وينشغل أصحابه بالجزئيات عن الكليات , ويستغرقون في خلافاتهم الداخلية الفروعية التي تهدر فيها الطاقات , وتتناكر بها القلوب والأرواح – فهو من جنس التفرق المذموم , الذي جاءت النصوص بذمه , وشنت الغارة على أصحابه ؛ لأنه يكون – في هذه الحالة – ذريعة إلى تشرذم الأمة , وتقطُّع أمرها بينها زُبَراً , وما يعنيه ذلك من الفشل وذهاب الريح ! .

2- العلاقة مع الآخرين خارج الإطار الإسلامي :

إذ تجاوزنا الحديث عن خارطة الصلات والعلائق داخل الإطار الإسلامي إلى الحديث عن العلاقة مع الآخرين من ذوي الاتجاهات القومية أو الوطنية خارج الإطار الإسلامي , فهل يشرع التنسيق والتحالف مع بعض هؤلاء لدفع غائلة عامة , والتصدي لعدو مشترك , يجتاح البلاد والعباد , انطلاقاً من عمومات النصوص , التي تحض على التعاون على البر والتقوى , وتأسيساً على صحيفة المدينة , التي اتفق فيها مع جميع الطوائف على الدفاع عن المدينة في إطار مرجعية الشريعة ؟ .

لا شك أننا أمام تساؤل دقيق حري بأن نتدبره في ظل الظروف الراهنة للعمل الإسلامي المعاصر .

ولا يخفى أنه قد جاء من النصوص ما ينهى عن الأحلاف , وجاء منها ما يجيزه , من هذه النصوص :

– ما رواه مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : "لا حلف في الإسلام , وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة".

– وما رواه أحمد في مسنده من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : "يا أيها الناس إن ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة" .

– ويقابل هذا ما رواه البخاري عن عاصم الأحول أنه قال : "قلت لأنس بن مالك : أبلغَك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : لا حلف في الإسلام؟ فقال : قد

حالف النبي – صلى الله عليه وسلم – بين قريش والأنصار في داره" , وقد عقد البخاري باباً في الصحيح فقال : (باب : الإخاء والحلف) .

وقد جمع أهل العلم بين هذه النصوص بأن الحلف المنهي عنه هو الحلف على ما منع منه الشرع , كالذي كانوا يعتبرونه في الجاهلية من نصر الحليف ولو كان ظالماً , ومن أخذ الثار من القبيلة بسبب قتل واحد منها , ومن التوارث ونحوه , وأما ما كان من هذه الأحلاف على نصر المظلوم , والقيام في أمر الدين , والتعاون على البر والتقوى , وإقامة الحق والعدل فهذا باقٍ لم يُنسخ .

وبهذا التفصيل نستطيع أن نفرق فيما قد تقتضيه الظروف المعاصرة من التحالفات المرحلية مع بعض الاتجاهات اللادينية , تحقيقاً لبعض المصالح العامة , أو دفعاً لبعض المفاسد فنقول :

ما كان من هذه التحالفات على تحقيق أمر مشروع التقت مصلحة الجميع في تحقيقه – كإسقاط بعض القوانين الاستثنائية الظالمة , أو دفع صائل أو إخراج عدو داهم بلاد المسلمين فجأة فاستباح بيضتهم أو بصدد أن يفعل ذلك , ولم يتضمن التزاماً على أهل الدين , يغل أيديهم عن تبليغ دعوتهم أو إقامة دينهم – فالأصل في هذا التحالف هو الإباحة , ويبقى النظر بعد ذلك في دراسة جدواه , ومدى ما يمكن أن يحققه من مصلحة أو يدفعه من مفسدة , وفي ضوء نتيجة هذه الموازنة تكون الفتوى لصالح هذا التحالف أو ضده , شأنه شأن سائر مسائل السياسة الشرعية .

2– أما ما كان منه على أمر غير مشروع , أو تضمن التزاماً , يغل أيدي الدعاة عن الصدع بالحق وإقامة الدين – فهذا هو التحالف الممنوع , الذي تظاهرت النصوص الجزئية والقواعد الكلية على ردّه , إلا إذا حملت عليه ضرورة ملجئة .

التحالف مع بعض القوى السياسية الأخرى لإقامة بديل ديموقراطي :

ولعل هذه النتيجة تقودنا إلى سؤال آخر: هل يجوز للاتجاه الإسلامي أن يدخل في تحالف مع سائر الاتجاهات السياسية القائمة لإزاحة ظلم قائم , وإقامة بديل سياسي , يكون الحكم فيه ديموقراطياً , أي يُترك الأمر في تحديده إلى الأمة ؟ .

لا شك أن الإجابة على هذا السؤال تختلف باختلاف واقع المجتمعات , وواقع الديموقراطيات , وواقع الحركات الإسلامية .

فإن كانت المجتمعات لا تزال على ولائها للإسلام , واستمساكها بتحكيم شريعته , وكانت الديموقراطية المقترحة لا تزيف إرادة الأمة , ولا تصادر اختيارات الشعوب – فيصبح القول بالمنع من القبول بالتحالف في مثل هذه الحالة لوناً من التفريط , وإضاعة لفرصة سنحت قد تقيم الإسلام بأدنى خسارة وتضحيات ممكنة .

أما إذا كانت المجتمعات قد انسلخت من دينها , أو كادت وباضت فيها اللادينية (العلمانية) وأفرخت , أو كانت الديموقراطية المقترحة من جنس الديموقراطيات الصورية التي تزيف فيها إرادة الأمة ويُحكم فيها على اختيارات الشعوب بالإعدام – فهنا يصبح القبول بمثل هذا التحالف نوعاً من المجازفة ؛ لأنه يكرس الضلالة القادمة , ويخلع عليها قناعاً من الشرعية , وخير للحركة الإسلامية أن تأرز إلى مساجدها , وأن تعكف على استصلاح أحوال أمتها , وأن تعتزل المعترك السياسي إلى حين ! .

وهناك بُعد آخر جدير بالتدبر , وهو المقارنة بين الواقع القائم والبديل المقترح , فلو كان الواقع القائم قد أوفى على الغاية في القهر والتسلط ومصادرة الحريات والتضرع في الدماء والأموال والأعراض , أو كان البديل المنشود – في أسوأ أحواله – لن يبلغ هذه الدرجة من الاستطالة والسوء فإنه – وإن لم يكن إسلامياً – فسيكون مجتمعاً حراً يطلق حرية القول من عُقُلها , ويتيح لجميع القوى السياسية الحق في أن تدافع عن اختياراتها الفكرية والسياسية , فيستطيع حملة الشريعة في ظل هذا المناخ أن ينطلقوا في الدعوة إلى الله بعد أن كانت الدعوة مصادرة , ويستطيعون أن يعيشوا بالإسلام بعد أن كان العيش بالإسلام جريمة يعاقب عليها ويُفتن الناس بسببها , أفيستطيع منصف أن يتردد في رفض هذا البديل بدعوى أنه لا يريد إلا محض الإسلام ؟! .

نعم , إن حَمَلَة الشريعة لا يريدون إلا محض الإسلام , ولكن أليس الميسور لا يسقط بالمعسور ؟ , ألا يمثل هذا المُناخ الجديد خطوة على طريق استعادة الهوية والتمكين للإسلام ؟ .

إن المقابلة ليست بين الإسلام وبين هذا البديل الديموقراطي – ولو كانت المقابلة على هذا النحو لحسمت القضية على الفور – ولكن المقابلة بين الواقع القائم بجبروته وطغيانه وبين البديل المقترح بحرياته وضماناته , هكذا تكون المقابلة ,

وعندما تكون المقابلة والمفاضلة بين واقعين : أحدهما تُستباح فيه الحرمات وتُجرَّم فيه الدعوة إلى الله ويُسام فيه المؤمنون والمؤمنات سوء العذاب , والآخر تصان فيه الحقوق والحريات – فإن نتيجة المفاضلة تكون لصالح هذا الأخير ولا شك .

وما أشبه هذه الحالة بحالة الهجرة إلى الحبشة ؛ لقد كان مبررها أن بالحبشة ملكاً لا يُظلم عنده أحد , مع اجتماع الواقع في مكة والواقع في الحبشة في صفة الكفر , فما كانت الحبشة يومئذ دار إسلام , بل إن الحبشة – حتى بعد إسلام مليكها – ما أصبحت دار إسلام , فما استطاع النجاشي أن يحكم بالقرآن , ولا أن يقيم في الناس شريعة الله , فقد كان في وضع لا يمكِّنه من ذلك , فعذره الله بإيمانه , وأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه أن يصلُّوا عليه صلاة الغائب عند موته , ولكن الفارق أن مكة – يومئذ – كانت تسوم المؤمنين سوء العذاب , أما الحبشة فقد كانت دار أمن , لا يُظلم فيها أحد , فهاجر إليها المستضعفون أفواجاً بعد أفواج .

والأصل في ذلك كله ما تمهد في قواعد الأصول من أن مبنى الشريعة تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها , واحتمال المفسدة المرجوحة تحصيلاً للمصلحة الراجحة , وأن الميسور لا يسقط بالمعسور , وأنه ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه .

فإن قيل : ألا يتضمن هذا المسلك نوعاً من الإعانة على المعصية والفسوق عن أمر الله ؟!.

قلنا : لا ؛ لأننا ندفع بذلك منكراً أكبر هو أسخط لله – عز وجل – من هذه المعصية , وقد تجوز الإعانة على المعصية – لا من جهة كونها معصية – بل لما تتضمنه من دفع معصية أكبر , كما ندفع الأموال إلى الكفرة نفتدي بها أَسْرانا من بين أيديهم , وقد أشار إلى هذا المعنى أئمة أهل العلم من قبل .

يقول العز بن عبد السلام – رحمه الله – في كتابه "قواعد الأحكام" : "إذا تفاوتت رُتب الفسوق في حق الأئمة قدمنا أقلهم فسوقاً , مثل إن كان فسق أحد الأئمة بقتل النفوس وفسق الآخر بانتهاك حرمة الأبضاع , وفسق الآخر بالتضرع للأموال , قدمنا المتضرع للأموال على المتضرع للدماء والأبضاع , فإن تعذر تقديمه قدمنا المتضرع للأبضاع على مَن يتعرض للدماء , وكذلك يترتب التقديم على الكبير من

الذنوب والأكبر , والصغير منها والأصغر على اختلاف رتبها" (قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام 86/1) .

وقال – في معرض الحديث عن تقديم أقل الأئمة فسوقاً عند تفاوت رتبهم في ذلك – : "فإن قيل أيجوز القتال مع أحدهما لإقامة ولايته وإدامة تصرفه مع إعانته على معصيته؟! , قلنا : نعم ؛ دفعاً لما بين مفسدتي الفسوقين من التفاوت , ودرءًا للأفسد فالأفسد , وفي هذا وقفة وإشكال ؛ من جهة أنَّا نعين الظالم على إفساد الأموال دفعاً لمفسدة الأبضاع , وهي معصية , وكذلك نعين الآخر على إفساد الأبضاع دفعاً لمفسدة الدماء وهي معصية .

ولكن قد تجوز الإعانة على المعصية – لا لكونها معصية – بل لكونها وسيلة لتحصيل المصلحة الراجحة , وكذلك إذا حصل بالإعانة مصلحة تربى على تفويت المفسدة , كما تبذل الأموال في فداء الأسرى الأحرار من المسلمين من أيدي الكفرة الفجرة" (قواعد الأحكام للعز ابن عبد السلام) .

ويقول – في موضع آخر – : "وقد تجوز المعاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان – لا من جهة كونه معصية – بل من جهة كونه وسيلة إلى مصلحة , وله أمثلة : منها ما يُبذل في افتكاك الأُسارى , فإنه حرام على آخذيه , مباح لباذليه , ومنها أن يريد الظالم قتل إنسان مصادرة على ماله , فإنه يجب عليه بذل ماله فكاكاً لنفسه , ومنها أن يُكرِه امرأة على الزنا , ولا يتركها إلا بافتداء بمالها , أو بمال غيرها , فيلزمها ذلك عند إمكانه , وليس هذا – على التحقيق – معاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان , وإنما هو إعانة على درء المفاسد , فكانت المعاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان فيها تبعاً , لا مقصوداً" (المرجع السابق , 1/ 129) .

وهذا الذي قاله – رحمه الله – سديد في النقل والعقل معاً , وقد يمر بالحركة الإسلامية من الأحوال ما تكون معها مندفعة إلى الأخذ بهذه الاجتهادات , سواء أعرفت وجه مشروعيتها أم لم تعرف ؛ لأنها تجد أن هذا هو الطريق المتعين سلوكه , والذي لا يعني القول بغيره سوى الانتحار أو الجنون !! .

أرأيت لو اجتاحت البلاد جائحة عامة – كاجتياح البعث العراقي أرض الكويت , أو اجتياح اليهود لبلد من بلاد المسلمين – وكان لا يمكن دفْعه إلا بتكاتُف جميع التيارات الموجودة اللادينية والإسلامية لدفع غائلته , ثم اتفقوا أن تُترك الأمور – بعد الجلاء – لما تقرره الأغلبية , ولم يكن من ذلك من بديل إلا تشرذم هذه التيارات , وتمكين البعثيين أو اليهود من رقاب البلاد والعباد , وهم الذين لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة(إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)]الممتحنة:2]

هل كان يسع الناس في هذه الحالة أن يتركوا اليهود أو البعثيين يغتالون البلاد والعباد ؛ لأنهم لم يتفقوا على الأيديولوجية التي تسود البلاد بعد الجلاء , أم يسعهم هذا الحل المرحلي الذي إن أحسن الاتجاه الإسلامي التعامل معه – استطاع أن يمكِّن للدين من خلاله , وإن لم ينجح في ذلك فإن البديل القادم – مهما بلغ من السوء – فلن يبلغ عُشر مِعشار ما يفعله البعثيون أو اليهود! .

وبناءً على ما سبق فإن تحالف الحركة الإسلامية مع غيرها على إقامة بديل ديموقراطي فيه تفصيل :

إن غلب على ظنها القدرة على إقامة الدين أو تقليل المفاسد ورفع بعض المظالم القائمة وتهيئة أجواء مناسبة للدعوة فالأمر محتمل .

أما إذا غلب على ظنها عدم القدرة على ذلك : إما لأن الديموقراطية المقترحة مجرد مسرحية صورية تضفي طلاءً من الذهب على الأغلال والحكم فيها للشياطين , أو أن الأمة تفشَّت في أوساطها اللادينية والمفاهيم الغربية , وأنها قد بلغت من التشويش مبلغاً لا يسهل معه توقُّع انحيازها إلى الإسلام عندما يخلَّى بينها وبينه , وأن البديل القادم في هذه الحالة سيكون مماثلاً أو أسوأ من الباطل القائم –فالحزم في هذه الحالة هو الكف عن هذا التحالف , والصبر على أمر الله ؛ كما قال – تعالى – (وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ(122))]هود[.

ولكن هذه الموازنات حَمَّالة أوجه , ولا يخفى أنها من دقائق الفقه وحقائقه وأغواره , فهي مزلَّة أقدام ومدحضة أفهام , فكم من مغلِق لهذا الباب بالكلية , وما درى أنه

يعطل على الأمة كثيراً من المصالح الشرعية ! , وكم من فاتح لهذا الباب على مصراعيه , وما درى أنه يُدخل في دين الله ما ليس منه !! , ويهبط بالرسالة العظمى إلى حضيض المزايدات والمساومات , والمعصوم مَن عصمه الله – عز وجل –

ولهذا فإن النصيحة في هذا المقام ذات شقين :

شق يوجه إلى القائمين على الأمر في التيار الإسلامي – ممن يضطلعون بحكم مواقعهم بهذه الاجتهادات وتنتهي إليهم مسئولية البت فيها – وهو أن هذا الباب من الدقائق والمعضلات , وأنه قد زلت فيه أقدام كثيرة , وأن عليهم ألا يستبدوا فيه بقرار قبل استفراغ الوسع في الشورى وطلب النصيحة من كل قادر على إسدائها من أهل العلم وأهل الخبرة .

يجب أن يدركوا أنهم يعالجون أمراً قد يحدد مستقبل العمل الإسلامي ومستقبل الأمة كلها من ورائه , ورُب قرار راشد يُتخذ في هذا المجال يقفز بالعمل الإسلامي سنوات إلى الأمام , وعلى النقيض من ذلك رُب قرار أهوج يجهض مسيرته , ويرمي بها إلى الوراء بضعة عقود ! .

كما يجب عليهم أن يصبروا على ما يتعرضون له بعد ذلك من النقد اللاذع من قبل بعض إخوانهم , ممن لم يدركوا أبعاد هذه الموازنات , وغاب عنهم العلم بتفاصيلها , وباتوا يحاكمونها عن بُعد , ولو أُتيح لهم من الحيثيات والرؤى – ما أتيح لهؤلاء – لكان لهم موقف آخر , يجب أن يصبروا على هؤلاء , وأن يدركوا أن الدافع لهم إلى ذلك هو الغَيرة على الإسلام , والحسبة على ما قد يظنونه تعدياً لحدود الله , وأنه قد يُغتفر بحسن القصد ونبل الباعث كثير من الجفوة والمواقف الحادة .

وشق آخر نتوجه به إلى عامة المنتسبين إلى العمل الإسلامي المعاصر – ممن يعسر عليهم في كثير من الأحيان – فهم بعض المواقف التي يتخذها بعض القادة , انطلاقاً من قاعدة "الموازنة بين المصالح والمفاسد" , فيثيرون حولها كثيراً من الضجيج والجلبة , ويسعِّرون بها الفتن , ويشككون بها في القيادة , وربما انتهى بهم الأمر إلى مفارقة العمل الإسلامي بالكلية .

إن رصيداً من الثقة يجب أن ينشأ , وينمو بين عامة المشتغلين بالعمل الإسلامي وبين قياداته , يمكِّنهم من استيعاب هذه المواقف في إطار من الإدراك والموضوعية

, بحيث يدركون معه أن كثيراً من هذه المواقف يعتمد على ملابسات وحيثيات تحتاج إلى بسط وتفصيل , وقد لا تستطيع القيادة – بطبيعة الحال – أن تبسط كل ذلك على الملأ ؛ ولهذا فإن الأصل فيمن عُرف بالفضل والربانية أن تُحمل أعماله ومواقفه الموهمة على أحسن محاملها , وأن تُلتمس لها المخارج ما امتهد سبيل إلى ذلك , حتى يأتي من ذلك أمر لا يحتمل التأويل , عندئذ يتسنى لهم أن يقفوا لله وقفة , يصححون بها المسار , ويحافظون بها على ربانية المسيرة , ويمحضون بها النصح للقائمين على الأمر , على أن يتم ذلك كله بما لا يؤدي إلى مفسدة أعظم .

فإذا التزمت القيادة تحري الحق , واستنارت بمشورة الأمناء من أهل العلم في هذه المسائل من جانب , وإذا غلبت القاعدة حسن الظن في المواقف الموهمة من جانب آخر – أمكن للمسيرة أن تغذ السير بمعزل عن عواصف الفتن , وأن يتلاحم هؤلاء وأولئك في ولاء منقطع النظير .

موقع مجلة المنار الجديد

.htm5/10http://almanar.net/issues/

===============

#عولمة الثراء وفقر العولمة

احمد سعد

في مطلع التسعينات حاول منظرو الرأسمالية تسويق مقولة ديماغوغية مفادها ان الرأسمالية التي دخلت مرحلة العولمة، هي الخيار الوحيد للبشرية وتطورها الحضاري وحاملة مشعل الامن والاستقرار والازدهار الاقتصادي- الاجتماعي كونياً في ظل انتهاء مرحلة الصراع الايديولوجي عالمياً، خاصة وان الفكر الماركسي الطبقي والصراع الطبقي وبناء الاشتراكية قد انهوا رسالتهم التاريخية بالفشل الذريع ولا مكان لهم بعد!!

وقد بنى منظرو الفكر البرجوازي الامبريالي امثال فوكومايا وبيرجنسكي وغيرهما ارائهم النظرية بابعادها السياسية في خدمة النظام الرأسمالي العالمي بناء على عاملين اساسيين كانا بمثابة الخلفية الرئيسية لبلورة الطابع والمفهوم العصريين للعولمة بمكوناتها ومدلولاتها الاقتصادية- الاجتماعية والسياسية والثقافية.

العامل الاول: دخول العالم في بلدانه الصناعية الرأسمالية المتطورة الموجة الثالثة من الثورة العلمية التقنية منذ مطلع التسعينات- الثورة الالكترونية، ثورة المعلومات والاتصالات. فالرأسمالية بفضل هذا التطور العلمي التقني ولا سيما في مجالي الاعلام والمعلومات، قد انتقلت الى مرحلة نوعية جديدة في تعاملها مع العالم بوصفه بنية موحدة، وهي اليوم بنية الاسواق المالية المتشابكة ورؤوس الاموال المعولمة والاستثمارات الكبيرة المدولة و اوسترادات الاعلام.

العامل الثاني، بانهيار وتفكك الاتحاد السوفييتي والانظمة الاشتراكية في اوروبا الشرقية في مطلع التسعينات اجتاز النظام الرأسمالي العالمي مرحلة تمركز الانتاج والاستقطاب من اجل التوسيع في اطار الثنائية القطبية، وانتقل الى مرحلة سيادة العولمة وتعمقها لتصبح السمة المركزية للمنظومة الرأسمالية العالمية التي تقودها وتحدد مسارها الولايات المتحدة الامريكية.

وانطلاقاً من هذين العاملين يلجأ منظرو وساسة واقتصاديو الرأسمالية الامبريالية الحديثة الى تسويق المنظور الشامل للعولمة الذي يعني تذويب الحدود بين الدول وسهولة حركةالناس والمعلومات والسلع ورؤوس الاموال والاستثمارات المباشرة والتكنولوجيا والخبرات والمعلومات بين الدول لتحسين الاداء الاقتصادي العالمي من حيث التكامل الاقتصادي!! فلوكان هذا المفهوم هو حقيقة ما يتجسد على ارض واقع التطور في عالمنا وعلى ساحة العلاقات الدولية كلنا بصمنا بالعشرة، ولكن الواقع غير ذلك، فالعولمة بطابعها وجوهرها ومدلولها غير قائمة على قواعد ومباديء العدل والمساواة في التقسيم العالمي للعمل. ففي ظل الثورة العلمية التقنية الحديثة والدور الكبير للثورة المعلوماتية والاعلامية- الكمبيوتر الانترنت.. تستطيع البشرية اكثر من اي وقت مضى التحكم بالزمان والمكان، واكثر من اي وقت مضى الظروف مواتية موضوعية لوحدة الكون،ولكن جوهر وسياسة الرأسمالية واهدافها الطبقية والقائمة على الاستغلال والتمييز وبهدف تغذية مصالحها الانانية بجرف الارباح تجعل من العولمة عملية تجري في اطار التناقض الصارخ في المصالح بين محاور الامبريالية التي تشمل البلدان الرأسمالية الصناعية مالكة الثورة العلمية التقنية الحديثة وإنجازاتها المستثمرة وبين اطراف الرأسمالية من البلدان النامية الفقيرة المحرومة من انجازات

الثورة العلمية التقنية ومن امكانيات استثمارها في تطوير اقتصادها الوطني واخراجها من هاوية الفقر والتخلف.

فمن المفارقات البارزة على ساحة العولمة انها جاءت تتويجاً لادخال التكنولوجيا الالكترونية ميدان الانتاج وتحقيق الوفرة المادية، ولكن الجانب الاخر لهذا "النجاح" هو افقار العالم الثالث وتوريطه في المجازر والمجاعات والمديونية التي تستنزف حيوية بلدانه ونهب خيراته من قبل الاحتكارات متعددة الجنسية وعابرة القارات. ففي ظل العولمة اتسعت الهوة في مستوى التطور بين البلدان الغنية (بلدان الشمال) والبلدان الفقيرة (بلدان الجنوب) قد تعمقت بشكل لم يسبق له مثيل، حتى وصل الوضع الى درجة وكأن قارات باسرها، خاصة القارة الافريقية، لم تعد قادرة على اللحاق بل ولا حتى على البقاء. فالتفاوت الصارخ في مستوى التطور يعكس نفسه في التهميش المتزايد لعدد كبير من بلدان العالم في نظام التجارة العالمية، التي صارت تتمركز اكثر فأكثر حول الاقطاب الرأسمالية الثلاثة- الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي واليابان- كما يعكس نفسه في اشكال السيطرة التكنولوجية بعد ان تحكم واحتكر عدداً قليلاً من البلدان الرأسمالية المتطورة بالتكنولوجيا البصرية وصار يحرم القسم الاكبر من الشعوب والامم من الاستفادة من نتائج البحث العلمي وتوظيفها في تطوير الانتاج ووسائله.

ان افتقار الدول النامية لعناصر القوة، لوسائل النهضة الاقتصادية من تكنولوجيا وخبرات جعلها تقع فريسة عولمة الفقر وفقر العولمة. والاخطر هنا ان البلدان النامية ليست لديها وسائل التأثير الناجع على مجرى العولمة.

والمعطيات التالية التي جمعناها من مصادر الامم المتحدة ومن مؤتمرات دولية تعكس الطابع الوحشي للعولمة ومأسيها.

فمن الناحية الاجتماعية- الاقتصادية اتسعت الهوة بين الاغنياءوالفقراء بصورة مفزعة. ففي سبعينات القرن العشرين كانت هذه الهوة بين اغنى 20% من سكان المعمورة (من الدول الغنية) وافقر 20% منهم تقدر ب (30) ضعفاً ولكنها صارت 74 ضعفاً في العام 2001.

وزادت الفجوة في مجال الدخل الفردي ففي الدول الصناعية السبع الكبار بلغ دخل الفرد حوالي (20) ضعف الفرد في الدول الاكثر فقراً عام 1965 و 40 ضعفاً في عام 1995.

حسب معطيات الامم المتحدة يبلغ عدد سكان البلدان النامية في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية (4,6) مليار نسمة، من بينهم (826) مليون نسمة لا يجدون الطعام الكافي و (850) مليون انسان امي ومليار انسان لا يجدون مياه الشرب النقية و (2,4) مليار نسمة محرومون من الضمانات والصرف الصحي و (325) مليون طفل محروم من التعليم واكثر من (1,2) مليار لا يجد الفرد منهم دولاراً للصرف على حياته اليومية. في القارة الافريقية لوحدها اكثر من (16) مليون انسان يعاني من الجوع. مقابل هذه الصورة المأساوية فان الوحوش الكاسرة من الشركات متعددة الجنسية تفترس البلدان النامية وخيرات العالم، فحسب معطيات العام (2002) فان 40% من المبادلات التجارية عالمياً تقوم بها الشركات متعددة الجنسية وهي تمتلك 44% من قيمة الانتاج العالمي فيما تبلغ حصة افريقيا والشرق الاوسط وامريكا اللاتينية 4,6% من مجمل الانتاج العالمي!! وحسب معطيات البنك الدولي فان حجم الواردات والصادرات للبدان النامية في انخفاض مستمر، حيث انخفض من 6,7% عام 1991- 1993 الى 1,9 كما هو متوقع في العام 2004.

ومثال اخر: يستحوذ حوالي (360) ملياردیراً عالمياً على ثروة بما يملكه (3) مليارات نسمة، اي حوالي ما يملكه نصف سكان العالم واكثر هؤلاء الاثرياء يعيشون في الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية.

لقد ركزنا على احد جوانب ومظاهر ومدلولات العولمة على عولمة الثراء مقابل عولمة الفقر، فقر العولمة عملياً، وذلك للكشف عن الخلفية الطبقية- الاجتماعية والاقتصادية لاشكال الصراع الطبقي المختلفة على النطاق المحلي والكوني وتبلور العديد من الظواهر الجديدة على حلبة الصراع هذه في عالم لا يعرف الاستقرار وتمزقه الانقسامات والصراعات في ظل العولمة. ففي جوف هذه الخلفية يجب التفتيش عن المصادر الاساسية والعوامل الاساسية لانتعاش الحركات الاصولية وما يرافقها من تصاعد عمليات الارهاب عالمياً. ففي جوف هذه الخلفية تكمن عوامل

ومصادر عولمة الارهاب والجريمة التي تنتهجها الامبريالية الامريكية وادارة بوش–تشيني– رامسفيلد للهيمنة عالمياً ولخدمه مصالح احتكاراتها عابرة القارات. في جوف هذه الخلفية تكمن دوافع الصراع وتناقضات المصالح بين محاور الامبريالية. في جوف هذه الخلفية تكمن ظاهرة مناهضي العولمة كظاهرة كونية امية جديدة للصراع الطبقي.

المعطيات التي ذكرت تؤكد حقيقة ساطعة ان الرأسمالية في عهد العولمة وطابعها الممارس لم تجلب للانسانية لا الامن ولا الاستقرار ولا العدالة والمساواة، بل الاستغلال والتمييز التي تدعو اوسع الاوساط عالمياً لمواجهتها وتغيير طابعها باتجاه اقامة نظام دولي متوازن على قواعد العدل والمساواة وبرمجة عالمية لمساعدة الدول النامية النهوض من مقبرة التخلف والفقر والمجاعة.

=============

#عولمة الثقافة ..

الاختراق بعد إسقاط عناصر المقاومة الحضارية

لم تعد الثقافة اليوم كما كانت في الماضي خاضعة لوسائل تقليدية في النشر والانتشار وإنما اضحت متأثرة الى حد بعيد بالتكنولوجيا عامة والتكنولوجيا الاتصالية خاصة، هذه التكنولوجيا التي استطاعت القيام بالاختراق الثقافي، اي ان السيطرة اصبحت للتكنولوجيا، التكنولوجيا تحمل الثقافة، الثقافة محمولة عبر التكنولوجيا اذ بامكان التكنولوجيا بث الثقافة التي تريد.

ومن هنا جاء مصطلح «العولمة الثقافية» اي قدرة الثقافات الأقوى تكنولوجياً على السيطرة على الثقافات الأضعف تكنولوجياً اذ ان التكنولوجيا بدأت تلعب دوراً تأثيرياً بارزاً ليس على نطاق محلي فحسب وانما على نطاق عالمي. والعولمة الثقافية بصورة اوضح هي محاولة مجتمع تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الاخرى من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة.

وتهدف «العولمة الثقافية» الى زرع القيم والافكار النفسية والفكرية والثقافية للقوى المسيطرة في وعي الآخرين وعلى الأخص ابناء المجتمعات الغربية وفتح هذه

المجتمعات «اختراقها ثقافياً» واسقاط عناصر الممانعة والمقاومة والتحصين لديها وبالمعنى الثقافي الحضاري اعادة صياغة قيم وعادات جديدة تؤسس لهوية ثقافية وحضارية اخرى لهذه المجتمعات مهددة لهويتها الحضارية بشكل جدي باتجاه فرض نمط ثقافي .

وهيمنة ثقافية معينة تنتجها مصالح الاقوياء وسيلتها الاساسية اداة اعلامية جبارة اصبحت قادرة على اعادة صياغة الاخلاق والقيم حتى العادات، واذا كان عالم النفس الاميركي الشهير «بوروس سكنر» قد اشار قبل عقود في كتابه الشهير «تكنولوجيا السلوك الانساني» في معرض نظريته التربوية الى امكانية ضبط سلوك الانسان الفرد «التعلم» بنفس الطريقة التي يمكن بها ضبط سلوك حيوانات السيرك مركزاً على دور الاسلوب المشوق والجذاب في ذلك الضبط الامر الذي اعتبر في حينه صدمة للكرامة .

والآن فإن العولمة الثقافية وعبر وسائل الاعلام وشبكات المعلومات كالانترنت وسواها اصبحت تمارس نوعاً من التحكم والضبط لسلوك الافراد والمجتمعات وبطريقة قسرية رغم بعض اشكالها الجذابة ولهذا لم يعد مستغرباً ان تمتلك بعض المحطات التلفزيونية الفضائية موارد تفوق ميزانيات بعض الدول النامية، او ان تصل ميزانية فيلم سينمائي الى مئات الملايين من الدولارات.

ان مراكز المعلومات وتكنولوجيا الاتصال هي التي تمتلك اليوم مفاتيح الثقافة، ولذلك نجحت الدول الغربية في نشر ثقافتها عبر المحيطات والقارات والترويج لأفكارها وقيمها الثقافية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية على حساب اكتساح الثقافات الوطنية.

ويعتبر اكتساح الثقافات الوطنية نقطة رئيسية من ثلاث نقاط لتبيان آثار العولمة الثقافية حددها المفكر الدكتور برهان غليون في ندوة عقدت في القاهرة بعنوان «مستقبل الثقافة العربية» اذ قال بأن العولمة الثقافية تقوم بتعميم أزمة الهوية حيث يتضاءل مع تزايد الثقافات الاقوى في فضاء مفتوح وزن الثقافات الوطنية ونفوذها.

وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى تحذير المؤرخ الثقافي جورج ستينر من ان هذه الحضارة سوف تفرز تماثلاً كاسحاً يهدد الثقافات المحلية، ويعود مصدر معظم هذا

التماثل الى صناعات الاعلان والترفيه والسينما فالأفلام والبرامج التلفزيونية الاميركية تباع على نطاق واسع في كل انحاء العالم، وتبلغ الآن جملة هذه المبيعات اكثر من 5 مليارات دولار سنوياً.

ولقد وصفت احدى الصحف الهندية وسائل الاعلام هذه بأنها «النمل الأبيض تقوض قيمنا وعاداتنا» والعولمة الثقافية لا تهدد البلدان النامية والصغيرة وانما تهدد . أيضاً . دولاً كبرى وهذه الدول تشعر بالخوف والقلق من انتشار الثقافة الاميركية في المجتمع الفرنسي لقد تساءل الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران قائلاً «هل تحقق قوانين المال والتكنولوجيا ما أخفقت الأنظمة الشمولية من تحقيقه؟».

ومعروف ان فرنسا قد تنازعت مع الولايات المتحدة الاميركية في موضوع «الجات» حول «الاستثناء الثقافي» لدرجة ان احد الاوروبيين تحفظ على النجاح الذي احرزه فيلم «الحديقة الجوراسية» للمخرج ستيفن سيبلرج لدرجة وصفه هذه الظاهرة بأنها «امبريالية ثقافية اميركية».

ان نسبة 60% من واردات صناديق التذاكر في دور السينما الفرنسية مصدرها أفلام اميركية معروضة، ولولا ان السلطات الفرنسية فرضت قانوناً تلزم بموجبه قنوات التلفزيون الفرنسي ان تعرض ما نسبته 60% من البرامج ذات المنشأ الاوروبي فإن من المؤكد ان البرامج الأميركية كانت ستسيطر على الشاشة الصغيرة سيطرة كاملة .

وفي هذا السياق تجاوز الامر فرنسا الى البرلمان الاوروبي في حربه لمصطلح «العولمة» بمفهومها الاميركي اذ فرض البرلمان قيوداً شديدة على الافلام الاميركية التي تعرضها التلفزيونات الاوروبية وابدى البرلمان الاوروبي استغرابه من موقف بعض الدول الاوروبية التي ابدت ترددها في وضع قيود جبرية على الأفلام الأميركية خشية ان تشن الولايات المتحدة حرباً تجارية ضدها.

ويتزعم الحملة ضد أمركة الثقافة في اوروبا في البرلمان الاوروبي النائبة الايطالية «لوتشيانا كاستيلنا» التي تستند في شرعية حملتها الى احصاءات تقول: «ان من بين كل عشرة أفلام تعرض في قاعات السينما الاوروبية هناك ثمانية افلام اميركية بينما يعرض التلفزيون الاوروبي ستة أفلام اميركية من بين كل عشرة افلام» الامر

الذي حقق للولايات المتحدة فائضاً تجارياً مع اوروبا بلغ (4) مليارات دولار في قطاع الترفيه.

اذا كان الاعلام الفرنسي يجد مسوغات كثيرة للخوف على الهوية الفرنسية من الهيمنة الانجلوسكسونية فإن العالم العربي لديه من المسوغات ما يفوق ذلك بكثير في ظروف التهديد الحضاري الشامل الذي يعيشه، وهنا لابد من التأكيد على ان رفض العالم العربي للغزو الغربي لا يعني الدعوة للانغلاق والتقوقع في اطر ضيقة ومحدودة في مواجهة ثقافة العصر.

وهنا يمكن ان يحصل تفاعل ثقافي بين الثقافات الانسانية في العالم، ويعتبر ضرورة موضوعية للاستجابة لتطورات المرحلة الراهنة عالمياً وذلك لاستمرار تقدم المجتمعات العربية ولتسليح الشعوب العربية بقيم ورؤى وافكار تمكنها من الابداع والمشاركة في صناعة ثقافة عالمية بشرط الا يطمس هذا التفاعل الخصوصية الثقافية والهوية الثقافية المتميزة للعالم العربي التي هي في الحقيقة محصلة لتطور تاريخي.

مما سبق نصل الى نتيجة مؤداها ان العالم العربي امام معادلة صعبة شائكة يتطلب حلها المحافظة على العناصر الايجابية في الثقافة العربية بما يدعم خصوصيتها وتعبيرها عن خبراتها التاريخية والانفتاح في الوقت نفسه على الثقافة العالمية بمكوناتها المختلفة ليس فقط في الغرب بل وفي الشرق أيضاً اذ هناك بالاضافة الى اوروبا توجد اليابان والصين وغيرهما.

ولكل منهما ثقافتها الوطنية المتميزة الحافلة بالكثير من القيم والمبادئ والافكار وفي الختام يمكن القول بأن عصرنا الحالي سيفرز العديد من الظواهر والمفاهيم والمصطلحات بالاستناد الى ردود الافعال او مواكبة الموجة الفكرية السائدة دون القيام بما هو ضروري للتقدم والتمعن في الآن نفسه للتفاعل الواعي والتلاؤم المحصن مع ما يستجد على الساحة العالمية.

ان الوضع الحالي تكنولوجياً وايديولوجياً يتطلب من شعوب العالم العربي كغيره من شعوب العالم السعي لامتلاك ناحية التقدم العلمي ومواكبة تطورات ومتغيرات العالم بشكل عملي منظم وعدم تضييع الوقت والجهد والورق في سجالات ونقاشات حامية

الوطيس حتى لا يمر وقت كبير ليأتي مفكرون ليجدوا عقم السجالات الماضية ولا جدواها والندم لعدم اتخاذ خطوات عملية حاسمة في هذه اللحظة التاريخية.

===============

#عولمة المراة ..

قراءة في الايديوليجية النسوية الجديدة

لمشاهدة الصورة بحجم اكبر إضغط علي الصورة

عولمة المرأة أي جعلها كائنا عالمياً يمكن وصفه بأنه كائن فوق الحكومات أو كائن عابر للقارات.. ولجعلها كائناً عالمياً كان لا بد من عقد المؤتمرات الدولية وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات العالمية التي تلزم الحكومات بحقوق هذا الكائن، وتمثل توصيات المؤتمرات الدولية والمعاهدات والاتفاقيات العالمية المرجعية العالمية الجديدة التي يمكن وصفها بأنها 'أيديولوجية نسوية' لها قوة الأيديولوجيات السياسية التي عرفها القرن الماضي ثم انهارت وخبت وماتت.

وكما كان يحدث بالنسبة للأيديولوجيات السياسية والفكرية فإن الأيديولوجية النسوية الجديدة يراد لها أن يكون معتنقوها في كل العالم وفي كل الدول والشعوب وفي كل الأعمال؛ فإنها الوسيلة الجديدة لغزو العالم وشعوبه، وهي الدين الجديد الذي يُراد للعالم أن يتوحد خلفه ويدين به : بيد أن الخطر في هذه الأيديولوجية والدين الجديد يكمن في أن الذي يُبشر بها ويدعو إليها هو النظام العالمي الجديد الذي حقق ما اعتبره انتصاراً نهائياً وعالمياً للفكر الغربي العلماني، ويريد أن يفرض هذا الدين والأيديولوجية بالقوة على العالم كله بحيث تكون هناك قوة عالمية واحدة ومرجعية كونية واحدة وإنسان عالمي واحد، وتنهار كل الحدود والقيود والحصون أمام هذه القوة العالمية الجديدة والمنفردة بحيث تصبح إرادتها ورغباتها ومصالحها مُسلَّماً بها ومُرحَّباً بقدومها بلا أي عوائق من الدين أو اللغة أو اللون أو الجنس أو القومية أو الثقافة. أي أن المرجعية الكونية الجديدة هي بديل لكل ما عرفته الأمم والأجناس البشرية من ثقافات وتاريخ وصراعات وأفكار؛ بحيث يغدو كل هذا ذكرى بلا قيمة ولا معنى، وتصبح القيمة والمعنى في المرجعية الكونية البديلة والجديدة التي يتحوَّل البشر جميعاً فيها عبيداً للإله الذي قررها، وهو النظام العالمي الجديد.

كما أن خطر هذه الأيديولوجية البديلة يتمثل أيضاً في اقتحام مناطق كان يُنظر إليها باعتبارها خاصة أو شخصية وينظم أوضاعها بشكل أساسٍ الدينُ والتقاليد والأعراف المحلية والثقافات الخاصة، أي أن الاقتحام والهدم لهذه الأيديولوجية ينال مناطق متصلة بالهوية والثقافة والوجود وهي محور الكيان الإنساني والوجود البشري. ويقف وراء هذه الأيديولوجية فكر شيطاني يريد أن يجعل من الأخلاق فوضى ومن الفاحشة شيوعاً وذيوعاً.

وتستمد النسوية الجديدة جذورها الفكرية من الماركسية الحديثة 'حيث تعتبر أن خطأ الماركسية القديمة هو اللجوء إلى الأساليب الاقتصادية لبناء مجتمع لا طبقي؛ بينما اللجوء إلى الأساليب الاجتماعية هو السبيل الوحيد لمجتمع خالٍ من الطبقات والميول الطبقية، وتمثل 'الأسرة' والأمومة في نظر 'الماركسية الحديثة' التي تستمد النسوية أفكارها منها تمثل السبب وراء نظام طبقي جنسي يقهر المرأة لا يرجع إلا لدورها في الحمل والأمومة.

وإذا كانت السنن الكونية الطبيعية عندهم هي التي اقتضت هذا الاختلاف البيولوجي فلا بد من الثورة على هذه السنن الطبيعية والتخلص منها بحيث تصبح الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة فروقاً اجتماعية متصلة بالأدوار التي يؤديها كلٌّ من الرجل والمرأة وليست متصلة بالخواص البيولوجية لكل منهما؛ ومن ثَمَّ فإذا قام الرجل بوظيفة المرأة وقامت المرأة بوظيفة الرجل فإنه لن يكون هناك ذكر وأنثى وإنما سيكون هناك نوع 'جندر' وهذا النوع هو الذي سيحدد طبيعة دوره في الحياة بحيث يجوز للأنثى أن تمارس دور الذكر والعكس، وبحيث لا تكون هناك أسرة بالمعنى التقليدي ولا أبناء ولا رجل ولا امرأة، وإنما أسر جديدة شاذة وأبناءٌ نتاج للتلقيح الصناعي؛ فأي فكر شيطاني ذلك الذي تتبناه 'النسوية الجديدة'؟! وأي قوة تجعل من الأمم المتحدة وأمريكا والغرب تتبنى هذا الفكر الشيطاني لفرضه على العالم؟!! إنها تعبير عن إرادة لا نقول علمانية وإنما إلحادية لتحويل الوجود البشري وجوداً بلا قيمة ولا معنى تنتفي معه العناية من استخلاف الله للإنسان في الأرض. وفي الواقع فإن هذا الفكر الإجرامي ليس خطراً على المجتمعات الإسلامية فحسب ولكنه خطر على

الحضارة الإنسانية ذاتها؛ لكن المجتمعات الإسلامية تأتي في القلب من معتقد هذا المخطط الإجرامي البديل والجديد.

'عولمة المرأة'.

هو الجانب الاجتماعي والثقافي في 'العولمة' الذي تسعى الأمم المتحدة وأمريكا وأوروبا إلى فرضه على بقية العالم خاصة العالم الثالث. والتوصيات والوثائق التي توقع عليها الدول والحكومات الأعضاء في الأمم المتحدة تعتبر ملزمة لها، كما أن الأمم المتحدة تقوم بكل هيئاتها ومؤسساتها بتنفيذ ما جاء في توصيات هذه المؤتمرات الدولية ووثائقها بما في ذلك المراقبة والمتابعة لمدى التزام الدول والحكومات بها. كما أن المنظمات غير الحكومية الممثلة في الأمم المتحدة تمثل قوة ضغط في دولها لمراقبة التزام هذه الدول بقرارات الأمم المتحدة وتوصياتها ومتابعة ذلك، وهي في هذا تشبه 'جواسيس للأمم المتحدة' في دولها.

ولا تكتفي الأمم المتحدة بذلك وإنما تعقد مؤتمرات مع الأطراف الحكومية والمنظمات غير الحكومية كل سنة أو سنتين للتأكد من الالتزام الحكومي بالمرجعية الكونية البديلة والخضوع للنظام العالمي الجديد؛ فهناك مؤتمر سنوي يطلق عليه مؤتمر السكان + 1 أو + 2 أو + 3 وهكذا حتى يأتي موعد المؤتمر الدولي القادم للسكان عام 2004م. وأيضاً بالنسبة لمؤتمر بكين[1] قد عُقد بكين + 4 في الهند وسوف يعقد مؤتمر للمرأة أيضاً عام 2005م أي بعد عشر سنوات من مؤتمر المرأة الذي عُقد في بكين، أي أن هناك آلية دولية لها طابع الفرض والإلزام والمتابعة تتدخل في الشؤون الداخلية للدول لتطلب منها الالتزام بما وقعت عليه؛ وهذه الآلية يمكن أن تمارس الإرهاب بفرض العقوبات الدولية على الدول التي ترى الأمم المتحدة أنها غير ملتزمة؛ كما أن هذه الآلية تمارس الإغراء بمنح معونات أو قروض أو ما شابه إذا التزمت بمقررات الشرعية الجديدة.

ومن ثَمَّ فإن ما يجري في مصر أو المغرب أو الأردن بشأن تغيير قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات هو جزء من الالتزام بالأجندة الدولية التي وافقت هذه الدول عليها في المؤتمرات الدولية وليس تعبيراً عن حاجة داخلية لشعوب هذه الدول. فحق المرأة في فسخ عقد الزواج، وحقها في السفر هي وأولادها بلا قيود، وحقها في

المواطنة الذي يستخدم ستاراً لمساواتها مع الرجل في الإرث والطلاق وعدم الخضوع لسلطة أي رفض القوامة وإقامة علاقات ود وصداقة خارج نطاق البيت والعائلة، كل هذه القضايا كانت مطروحة باعتبارها جزءاً من أجندة دولية للتسليم بالدخول في طاعة النظام العالمي الجديد والإقرار بالالتزام بالدين النسوي البديل.

وفي الواقع فإن كل ما سيحدث في هذا الإطار سيكون مثل تأسيس 'المجلس القومي للمرأة' في مصر الذي يضم الوجوه النسوية المصرية التي تدعو للأيديولوجية الجديدة بلا خجل أو حياء.

وهذه الوجوه النسوية هي انعكاس للفكر الغربي النسوي؛ حيث تشعر تجاه المرأة الغربية بالنقص، وتشعر أن الالتحاق الفكري بها سوف يعوض هذا النقص لهن كما يبلغ النقص بهذه الوجوه حد كراهية الدين الإسلامي ونظمه الاجتماعية وقوانينه في الاجتماع والأسرة ؛ وهم في ذلك أشبه 'باللامنتمي' ومن ثَمَّ فهذه الوجوه تعبر عن حالة نفسية مرضية؛ ورفعها إلى مستوى التخطيط والحديث عن قضايا المرأة ليس سوى خضوع للقوى الدولية الخارجية التي تحب أن يعبر عن أوضاع المرأة في العالم الإسلامي النسوةُ اللاتي يرددن الأفكار الغربية ويبشرن بالأيديولوجية النسوية الجديدة.

هذه هي المفردات الجديدة والمقررات التي يسعى النظام العالمي الجديد لفرضها أيديولوجية كونية على العالم. وبالطبع فإنه يستهدف من وراء ذلك ضرب مواطن القوة في الحضارات المختلفة معه.

وبالنسبة للحضارة الإسلامية فلا يزال الدين الإسلامي يمثل مرجعية للناس ونظاماً لحياتهم خاصة في مسائل الأسرة والأحوال الشخصية وفي مسائل الفكر والثقافة والاعتقاد وهو ما يزعج الأمم المتحدة والغرب ؛ إذ إن المسلمين يمثلون ملياراً وربع مليار نسمة، والعالم الإسلامي بإمكاناته وثرواته وأهله يهدد النظام العالمي الجديد بفقدان سيطرته عليه ما بقي الإسلام حاكماً للجوانب الاجتماعية والثقافية وللهوية، ولذا لا بد من تسديد الضرب إلى الصميم للقضاء على الهوية الإسلامية وعلى النظم الاجتماعية التي أثبتت أنها القلعة التي حمت العالم الإسلامي من السقوط والانهيار، ولذا فإن الصراع مع الغرب انتقل من السياسي والاقتصادي إلى الديني والثقافي

والاجتماعي المتصل بالهوية والوجود؛ وهو ما يتطلب وعياً جديداً وأدوات جديدة ؛ كما يتطلب يقظة ومقاومة.

إن الإنسان: الرجل، والمرأة، والأطفال، والأسرة هم المقصودون بالهجمة العالمية الجديدة وهم المقصودون بالمرجعية الكونية البديلة للنظام العالمي الجديد؛ وعلى عالمنا الإسلامي أن ينتفض ويستيقظ ؛ فإن وجودنا مرتبط بمدى ارتباطنا بكلمة: 'مسلمين' اسماً وفعلاً ؛ وإلاَّ فالاستبدال كما قال تعالى : [[وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]]

============

#عولمة الجمال في زمن الوجوه الناعمة

لمشاهدة الصورة بحجم اكبر إضغط علي الصورة

* ظاعن شاهين

يبدو أن هوس الرشاقة الذي بدأ يجتاح العالم لم يستثن أحداً، فأخذت رياحه تقتلع الأخضر واليابس، المتمدن من الشعوب والأخرى التي تقف آخر الطابور، جميعها اشترك في هم واحد هو البحث عن الرشاقة والجمال.

وأمام هذا الانفتاح الفضائي الذي قرّب البعيد وجمع الشامي على المغربي، وفتح الحدود أصبح الجميع يدورون في فلك واحد، فها هم اليابانيون الذين يقدّسون العمل ولا يعيرون اهتماماً للأمور الأخرى أضحوا في ظل الاهتمام العالمي بمعايير الجمال والرشاقة يرصدون أوقاتاً طويلة للاهتمام برشاقتهم لأن رياح العولمة هبّت على كل ما هو تقليدي!

وفي نيجيريا أحدث فوز أغباني داريغو بمسابقة جمال الكون ثورة في مفاهيم الجمال الافريقية، فلأول مرة تقبل المجتمعات الافريقية فكرة المرأة ذات القوام الرشيق، فمع أن أغباني تنتمي إلى قبيلة كلاباري التي تعتبر السمنة وكبر الأرداف علامة من علامات الجمال وتدل على الموقع الاجتماعي إلا أن فوزها أحدث تغييراً جذرياً في الطريقة التي يرى فيها هؤلاء علامات الجمال.

وكان نجاح أول متسابقة افريقية في المسابقات دافعاً لاستغلال فكرة المرأة النحيفة، حيث أصبح بإمكان النيجيريين استخدام العبارة التي كانت تعتبر عيباً في لغاتهم

المحلية، ومن هنا انتشرت كلمة ليبا التي تعني المرأة النحيفة، وقامت صناعة السينما باستخدامها وتسخيرها في فيلم حقق نجاحاً في معظم الدول الافريقية حمل عنوان «ليبا شاندي» والذي يعني فتاة نحيفة مثل ورقة العشرين نيرة عملة نيجيريا.

لقد كانت المرأة النحيفة ولوقت قريب عاراً يتحاشاه الجميع فهي تعني انها مريضة أو تعاني من مرض الايدز، اما الآن فتبدلت المعايير وتغيرت نظرة المجتمعات الافريقية للمرأة النحيفة، فلو كانت الفتاة نحيفة لا داعي للخجل والتواري خلف الأبواب المغلقة..

ورغم ذلك هناك قيود في بعض المجتمعات لا فكاك منها كما هو الحال في النيجر، ففي هذه الدولة التي تعد من أفقر الدول الافريقية ويعيش معظم سكانها تحت خط الفقر، فإن حلم الفتاة ليس تخفيف وزنها، بل زيادته لكي تكون محط أنظار المجتمع الذي يقدس السمنة، ولهذا الأمر تعقد للسمنة كما للأزياء عروض ومهرجانات.

وفي اليابان، وفي ظل عولمة الرشاقة، تسيطر العقاقير الصينية على عقول اليابانيين بشكل كبير حيث تحظى بشعبية منقطعة النظير لأنها أكثر طبيعية كما يعتقدون.

ويبدو ان هؤلاء المهووسين بالرشاقة يطبقون شعار المرحلة الذي يشير إلى نحافة أكثر وأكثر كما يقول جين كوماكي الطبيب في المعهد القومي الياباني للصحة العقلية، والذي يضيف بأن المسألة تتعلق بالشكل الجمالي أكثر من كونها مشكلة صحية، خاصة وأن عارضات الأزياء وفتيات أغلفة المجلات صرن بأجسامهن النحيلة الموضة السائدة في اليابان.

ورغم أنهم في عيون الآخرين يتمتعون برشاقة إلا أن اليابانيين زاد وزنهم على المعتاد نتيجة شيوع الطعام الغربي، حيث كشف مسح أخير ان 40 في المئة من الرجال اليابانيين و49 في المئة من اليابانيات يشعرون بزيادة في الوزن.

وإذا ما تركنا الرشاقة والأجسام النحيفة المرسومة رسماً نجد أن هناك معايير أخرى بدت تظهر في زمن العولمة وهي الاهتمام بالجمال حتى باتت معاهد الجمال تفوق المطاعم في بعض البلدان، فالمرأة الجميلة ولو كان مستواها المهني متواضعاً تسرق الوظيفة من أختها ذات الجمال العادي، فالدراسات تشير إلى سيطرة المرأة الجميلة

وحصـولها علـى نصـيب الأسـد، رغـم قلـة إنتاجيتهـا مقارنـة بـالأخرى ذات الجمـال المتواضع، ومثل ذلك الأمر ينعكس أيضاً على الزواج والتواصل مع الآخر.

من هنـا وبعيداً عن المرأة النحيفة أو أختها المكتنزة المتعافيـة، وفي ظل هذا العالم المفتوح الذي يسيطر عليه الذوق البصري والذي يعتمد على توظيف وتكريس مفاهيم معينة من بينها الوجه الجميل للأنثى نجد أننا نعيش في عالم المقارنات وبشكل مثير وفاضـح، فأنـت وبشـكل لا إرادي تقـارن بـين مـن تعرفـه وتتعاطـاه يوميـاً، وبـين تلـك الوجوه المنحوتة بالجمال المثير التي تطل عليك دون استئذان من خلال الفضائيات والمجلات والأسواق وبأمر من رجال الاعلان وسوقه المشحونة بالاثارة.

لقد تنامت السوق التجميلية وتضاعفت بشكل خيالي، وأصبحت عمليات التجميل لا تقتصـر علـى النسـاء فقط، بل تعدتها فاقتحمت عالم الرجال أيضـاً، فإذا كـان الرجل يبحث وبشكل لاهث عن المرأة صاحبة الجمال المتألق، فمن حق المرأة أيضـاً ان تحدد مواصفات شريك حياتها الذي ستقترن بـه، وأن تراه وسيماً رشيقاً يعتنـي بنفسـه وصحته وأناقته.

واذا كانت الأرقام الغربية تشهد زيادة متنامية بين الرجال الذين اقتحموا صـالونات وعيادات التجميل التي كانت الى وقت قريب حكراً على النساء، فإن الأرقام هنا على تواضعها تشكل أيضاً اهتماماً بهذا الجانب.

ويبـدو ان رجـال ونسـاء هـذا الـزمن سيصـبحون تركيبـاً بعـد ان شـد الرجـال وجـوههم وجفونهم ووردوا خدودهم، وبعد ان زرعوا شعورهم او استبدلوها بشعور جديدة، وبعد ان اعتمـدت النسـاء علـى التقنيـة السـحرية التـي تسـمى السـيليكون، فنفـرت الصـدور، وفغرت الشفاه.

انها عولمة الجمال التي هبت رياحها فاقتلعت الوجوه القديمة واستبدلتها بأخرى جديدة ناعمة الملمس.. وإذا كان هناك من نصيحة فهي للرجال والنساء الذين طرقوا أبواب الزواج.. احذروا قبل ان يجد كل واحد منكم قطع الغيار المزيفة في صاحبه!

=============

#العولمة الإعلامية تمثل قيمة اقتصادية متنامية

*د. حسن بشير

عولمة الرسالة الإعلامية أهم تطور إعلامي في العقدين الأخيرين لكن خارج البلدان العربية

كثيراً ما نسمع اليوم عن ظاهرة «العولمة» ونتائجها وآثارها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولا يمكننا أن نغض النظر عما يجري تحت مظلة هذه الظاهرة العالمية حتى وان كنا ممن يخالفون اوممن لا يؤمنون بالعولمة كظاهرة أخذت تضع بصماتها حتى على ما يمارسه الافراد يومياً ناهيك عن المجتمعات التي انجرّت وراء هذه الظاهرة العالمية.

أما عن الاعلام، فما هي العلاقة بين العولمة والاعلام؟ هل ان الاعلام العالمي تأثر بالعولمة؟ أم ان العولمة هوانعكاس لظاهرة الاعلام العالمي الذي حمل الرسالة السياسية والاقتصادية والثقافية عبر وسائله التقنية؟

الحقيقة هي ان كلا الظاهرتين متلازمتان لا يمكن أن ينفكّ احدهما عن الاخر على الاقل في عالمنا المعاصر الذي طوى شوطا من الزمن توسعت فيه دائرة العولمة من ناحية وكثرت وتشعّبت وسائل الاعلام فيه من ناحية اخرى.

العولمة أثّرت وبحد كبير على الانشطة الاعلامية في عالمنا المعاصر ولا تخلو اليوم أية ظاهرة من ظواهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الاّ ولعبت فيها وسائل الاعلام دوراً يكاد أن يكون الاهم حتى بالنسبة لما تحتويه هذه الظواهر من معنا في المجتمعات المختلفة.

والدكتور ابو العينين يحمل شهادة الدكتوراه في الاعلام من جامعة الازهر عام 1986 وهو الان عميد كلية الالسن والاعلام في جامعة مصر العربية ورئيس قسم الصحافة ومستشار التدريب الاعلامي بمعهد الاهرام الاقليمي للصحافة. وقد انتج بجانب الابحاث المختلفة والكثيرة في المجال الاعلامي، كتبا منها:

«مقدمة في وسائل واساليب الاتصال (1987)»، «الوظيفة الاخبارية لوسائل الاعلام (1991)»، «الاتصال وبحوث التأثير (1995)»، «الصحافة العالمية: مسح لوسائل الاعلام في العالم (1993)، «قوانين الصحافة في الانظمة الاعلامية المعاصر (1996)».

في مقدمة كتابه أكّد البروفيسور ابو العينين ان الكثير من الباحثين يعتقد بأن عولمة الانشطة الاعلامية «تمثل أهم تطور أعلامي في العقدين الاخيرين من القرن الماضي. وأن هذا التطور سوف يحدد مسار هذه الانشطة طوال سنوات القرن الحالي، فضلاً عما يمثله ذلك من أهمية وتأثير في انظمة الاعلام الوطنية في دول العالم». ولكن هناك ايضا ملاحظات مهمة في هذا المجال لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار وهي:

اولاً: ان عولمة النشاط الاعلامي لم تتحقق بعد بالصيغة التي ربما تكون قد استقرت لدى الكثيرين. ثانياً: ان ما تحقق عينياً هوعولمة الرسالة الاعلامية بفضل سقوط الحواجز وهي ظاهرة «تقنية» اكثر من كونها ظاهرة سياسية أو ثقافية على الرغم من تأثيراتها السياسية والثقافية.

ثالثاً: ان درجات استجابة الانظمة الاعلامية الوطنية للتغييرات التي تفرضها عولمة صناعة الاعلام متفاوتة الى حدود بعيدة، الامر الذي ينفي بشدة حقيقة أن تكون العولمة سمة أساسية لانشطة وسائل الاعلام عبر مناطق العالم المختلفة في الوقت الراهن.

رابعاً: ان عولمة النشاط الاعلامي، حيث توجد الان، ليست ظاهرة حديثة تنتمي للعقدين الاخيرين من القرن الماضي، ولكنها تعبير عن تطور تاريخي تمتدّ جذوره الى القرن التاسع عشر، وان كانت خطاها قد تسارعت في الربع الاخير من القرن العشرين.

وقد كشفت الممارسات المختلفة في سنوات الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين عن دورين اساسيين قامت بهما وسائل الاعلام في المنظومة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية العالمية، وهوالدور الاقتصادي حيث تلعب فيه وسائل الاعلام دوراً مهماً. فقد أصبحت العولمة الاعلامية تمثل قيمة اقتصادية هائلة ومتنامية وبخاصة في ظل اقتصاد المعلومات الذي أصبح ألسمة الاساسية للاقتصاد العالمي، حيث بلغت استثمارات صناعة المعلومات تريليوني دولار عام 1995، وفي نهاية القرن (عام 2000) بلغت 3 تريليونات دولار سنوياً بعد ان كانت هذه الاستثمارات لا تتجاوز 350 مليار دولار عام 1980، وثانياً الدور الايديولوجي الذي يوفر بيئة

معلوماتية وايديولوجية لدعم الاسس السياسية والاقتصادية والمعنوية لتسويق السلع والخدمات وتطوير نظام اجتماعي قائم على تحقيق الربح عبر الثقافات الوطنية المختلفة. والكتاب يحتوي على اربعة فصول اساسية. في الفصل الاول حاول المؤلف أن يستوعب مفهوم العولمة في بحوث الاعلام. فهذا المفهوم باعتقاد توسوفي كتابه المعروف «الامبراطورية الاكترونية: الاعلام العالمي والمقاومه المحلية» (1998) يمثل أحد المفاهيم الحديثة في الدراسات الاجتماعية بوجه عام بالرغم من كونه مفهوماً اقدم بكثير في مجالي الدراسات الاعلامية والتجارة الدولية والدراسات الاجتماعية.

وبصورة عامة فان دراسات العولمة في العلوم الاجتماعية تتسم بالتركيز على ظاهرتين اساسيتين، تحتل وسائل الاعلام . وخاصة التلفزيون . فيهما مكانة متميزة:

اولاً: الوسائل التي يسّرت بها الشركات متعددة الجنسيات عولمة رأس المال والانتاج.

ثانياً: الثقافة العالمية الناتجة عن ظهور نمط من الشركات متعددة الجنسيات يمتلك ويهيمن على وسائل الاعلام الجماهيرية مما سبب ظهور نمط من الثقافات والايديولوجيات ذات التوجه الاستهلاكي.

وتخضع أدبيات البحث في ظاهرة العولمة ايضاً للعديد من التصنيفات تؤكد بعضها على انها أحادية السبب mono-causual والاخرى متعددة الأسباب multi-causual ويرى المؤلف ان هناك تصنيفاً آخر اكثر ملائمة لتقديم شروح أفضل لظاهرة شديدة التعقيد مثل العولمة وهو تصنيف رباعي يرتكز على تمايز الاتجاهات التالية:

اولاً: مدخل النظم العالمية The World System Approach وهويبنى على التمييز بين دول المركز وشبه المحيط والمحيط من حيث طبيعة دور هذه الدول في تقسيم العمل الدولي الخاضع لسيطرة النظام الرأسمالي العالمي.

ثانيا: النموذج الثقافي العالمي Global Culture Model ونشأ هذا النموذج من البحوث التي تناولت عولمة الثقافة. ويهتم هذا المدخل بالمشكلات التي تسببها ثقافة متجانسة مرتكزة على وسائل الاعلام، وبخاصة التلفزيون، للهويات الوطنية.

ثالثا: نماذج المجتمع الدولي: Global Society Models ويعتقد اصحاب هذه النماذج بأن المجتمع العالمي . تاريخيا . قد اصبح حقيقة في العصر الحديث فقط، وأن العلم والتقنية والصناعة والقيم العالمية المتنامية أوجدت عالما مختلفاً عن اي عصر من عصور الانسان السابقة. رابعاً: مدخل الاقتصاد السياسي: Political Economy ويرتكز هذا المدخل على افتراض ان ديناميكيات الصناعات المنتجة للثقافة يمكن فهمها في ضوء الحتمية الاقتصادية. وينتمي هذا التوجه الى الغلاة من الماركسيين اللذين يعتقدون بأن ظاهرة العولمة هي نتاج هيمنة القوى الرأسمالية على التطور الاجتماعي والثقافي السائد عالمياً. وفي هذا المجال تمثل وسائل الاعلام ركناً اساسياً في تفسير هذا المدخل لظاهرة العولمة.

وفي الفصل الثاني حاول المؤلف أن يعكس رؤية تاريخية لمراحل عولمة النشاط الاعلامي كمحاولة لفهم الواقع الذي تنطوي عليه هذه الظاهرة ودلالاتها الاقتصادية والسياسية وتأثيراتها المستقبلية.

وينطلق نقاش المؤلف من افتراض اساسي في هذا المجال وهوأن هناك «ثمة علاقة وثيقة ربطت بين عولمة النشاط الاعلامي وتصدير الرأسمالية التجارية عبر تطورهما التاريخي، وأن تلك العلاقة هي التي تحكم التطورات الراهنة والمستقبلية في صناعة الاعلام من دون أن ينفي ذلك تدخل عوامل اخرى». ويدعم هذا الافتراض العوامل التالية:

1) التزامن بين ظهور النشاط الاعلامي خارج الاسواق الوطنية الرأسمالية وتصدير الرأسمالية الصناعية والتمدد التجاري في الاسواق الخارجية.

2) الاختلاف الموجود في عولمة الانشطة الاعلامية التي تطرح على الصعيد العالمي وتنعكس في الانظمة الاعلامية الوطنية الغربية.

3) خضوع اكبر نسبة من الانشطة الاعلامية الدولية لعدد من الشركات العالمية العملاقة ونموالشركات الاعلامية العالمية تبعاً لنموتلك الشركات.

4) وحدة العمل والمنشأ للشركات العالمية العملاقة مما يشير على انسجامها في الاصعدة المختلفة.

5) تماثل التوزيع الجغرافي للمستوى الذي تحقق من عولمة الانشطة الاعلامية مع توزيع الاستثمارات التجارية والصناعية للشركات العالمية متعددة الجنسيات مما يدل على انهما حقيقة واحدة.

6) الاختلاف في تأثير النشاط الاعلامي عبر الوسائل الاعلامية المختلفة. فصناعة التلفزيون مثلاً هي الاكثر تأثراً بسياسات العولمة.

ويستخلص الدكتور ابوالعينين من هذا الافتراض نتيجة مهمة وهي «ان الطابع التاريخي لظاهرة العولمة ينفي عنها صفة الاستمرار باعتبارها مرحلة تاريخية مرتبطة بالقوى الداعمة لها مما يفسح المجال امام العوامل الوطنية سياسية كانت ام اقتصادية ام ثقافية، للتعامل مع هذه الظاهرة» وهذا يعني من جهة اخرى ان عولمة النشاط الإعلامي ستزول اوستتغير اذا تغييرت معالم التجارة العالمية وان تكامل الاقتصاد الوطني سيلعب دوره في تعديل الانشطة الاعلامية لصالح الشعوب خلافاً لما تريده الشركات العالمية المتعددة الجنسيات.

وفي الفصل الثالث يستخلص المؤلف حقيقة مهمة في تجارب الثمانينيات والتسعينيات حول الاعتبارات الجيوبوليتيكية المؤثرة على عولمة النشاط الاعلامي، ويرى بأن قوى السوق قد أصبحت الوسيلة العالمية الاساس لتنظيم الانشطة الاتصالية، وأن المبادئ والقيم غير المرتبطة بقوى السوق يتناقض دورها في تنظيم صناعة الاتصال. وبالرغم من أهمية هذه الحقيقة في تنظيم العلاقة بين السوق العالمية وعولمة الاعلام فان الاعتبارات الجيوبوليتيكية تؤثر تأثيراً جاداً في تنظيم هذه العلاقة. فهذه العلاقة لا تعمل بدرجة واحدة عبر مناطق العالم المختلفة متأثرة بالاعتبارات الجيوبوليتيكية وآثارها في المراحل المختلفة. ولأهمية هذه الحقيقة فان الاستراتيجية الجديدة للشركات العالمية هي أن تصل الى قطاعات معينة من السكان داخل الاسواق الوطنية، أن الوصول الى هذه القطاعات تبدو وكأنها المسؤولية الحقيقية لوسائل الاعلام العالمية.

ففي الاقطار العربية على سبيل المثال، يعتقد المؤلف بأن العوامل السياسية هي المحدد الرئيسي لمدى استجابة الاعلام العربي للتحديات التي تفرضها عولمة الانشطة الاعلامية. فلا يخلواي قطر من هذه الاقطار من هيمنة الدولة على واقع

الاعلام ومستقبله مما تحدّ كثيراً من خطى الاعلام العربي للتفاعل مع الانشطة الاعلامية العالمية.

وبحث المؤلف في الفصل الرابع والأخير تأثير العولمة على اتجاهات البحث الإعلامي وصنّف بحوث الاعلام المرتبطة بقضايا العولمة الى تيارين اساسيين:

1) تيار يحاول رصد التغييرات التي جاءت بها الانشطة الهادفة الى عولمة صناعة الاعلام وتأثيراتها.

2) تيار يحاول رصد تأثيرات تقنية الاتصال الحديثة على صناعة الاعلام.

فعلى الرغم من اهتمام بحوث الاعلام برصد الخطوات التي قطعتها صناعة الاعلام في سبيل تحقيق سوق عالمية للانشطة الاعلامية المختلفة، ولكنه يمكن رصد العديد من الدراسات خلال سنوات التسعينيات التي تمثل تياراً مناهضاً لظاهرة عولمة الانشطة الاعلامية وتقسيم هذه الدراسات الى اتجاهين:

الاتجاه الاول: وهو اتجاه يبدي الكثير من التحفظات على عولمة الانشطة الاعلامية التي يتم من خلالها تجاهل المصالح الوطنية، وانهاك اقتصادات الطبقات الوسطى في المجتمع، واضعاف قدرات المجتمعات المحلية على الابداع والابتكار في ظل المنتجات الثقافية الجاهزة التي تقدمها وسائل الاعلام الى الجمهور. ولكن المؤلف يؤكد على ان تأثير هذا الاتجاه ضعيف في مواجهة قوى العولمة وما تحققه يوماً بعد يوم على أرض الواقع.

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي يقبل بوجود عولمة الانشطة الاعلامية مدفوعة بدوافع الربح المادي.

وهذا الاتجاه هو أقوى الاتجاهات المناهضة لعولمة الانشطة الاعلامية سواء في مجال البحوث أم في مجال التحركات الاجتماعية الفعلية.

* باحث عراقي

=============

#المرأة وغاية عولمة طموحاتها اللافطرية

المرأة التي هي أم وأخت وزوجة من يستطيع أن ينكر دورها الإيجابي والضروري والمشرق في الحياة؟ فإذا كانت المرأة بهذه الأهمية فلماذا يبادر الرجل دائماً لوضعها

في موقع أدنى منه دون وجه حق أو عدل فيحاول أن يسلعها لصالح نزواته وغطرسته في مجتمع عالمي ذكوري ما زال يدان لحكم الرجل المصنف بأنه الأقوى من المرأة؟

مثل الأسئلة الآنفة في ظل ظروف نشر مبدأ العولمة تطرح اليوم بقوة وإلحاح ولكن الإجابة عنها ما تزال تدور في حلقة اللاإجابة الشافية، ولعل في نظرة إلى الجذور الفكرية التي كانت سائدة في العلاقة بين المخلوقين البشريين (الرجل والمرأة) توّصل إلى أنه رغم الاعتراف بأن أحدهما لم يستطع الاستغناء عن الآخر بحكم تمثيلهما تعطي استمرار الحياة البشرية والإنسانية إلا من الغريب أن تصل نزعة العداء لحقوق المرأة الموضوعية في نفس الرجل في بعض مراحل التاريخ إلى وأدها جسدياً ولكن في ظل الظروف المعاصرة فإن هذا الوأد قد تحلو إلى وأد روحي لها الذي يكاد أن يكون مذهباً... اجتماعياً في أنحاء البلدان دون استثناء حيث مفتاح إغواء المرأة عبر التمتع بجسدها من قبل الرجل أمر ميسور في العديد من الأماكن اللاهية والملهية حتى لتكاد أن تصبح المواخير التي تجيزها العديد من الحكومات مقرات للاستثمار السهل وهذا التواصل في التخريب الروحي للمرأة أولاً باعتبارها (ضحية) منعكس تماماً على تخريب روحية المجتمعات أيضاً بيد أن أكثر ما يخشاه طالب الزواج (الفحل) إذا جاز التعبير بهذا أن تكون الفتاة التي يطلبها شريكة حياة له قد تنازلت عن شيء من عفتها الجسدية مع علمه جيداً أن أصناف من الرجال من طالبي الزواج يقومون بتسليع ممارسة الغواية مع المرأة قبل الزواج متناسين أنهم مسؤولين معنوياً أمام المجتمع السوي بأنهم أفراد سيئين يطلبون المرأة العفيفة وهم طرف جناية الإغواء أو الاستغلال مع غيرها.

أن تغيير طبيعة النظرة نحو المرأة يفضل أن تتجه من التفكير نحو آدميتها وبناء سويتها وحفظ عفتها ولكن عموم التلفزات الغربية تخاطب الغرائز الجنسية السلبية بطرق علنية – بالصوت والصورة – فقد أظهرت دراسة بريطانية حديثة أجرتها لجنة معايير البث واللجنة التلفزيونية المستقلة ومحطة إعلام B.B.C أبانت فيها: (أن معدل المشاهد الجنسية زاد بأكثر من الضعف، وتحديداً من (6%) إلى (14%) منذ

سنة 1999م) وطبيعي فإن لمشاهد العري والجنس تأثير سلبي على نشر الفساد والإفساد ليس داخل المجتمع بل حتى بين جدران بيت العائلة.

إذ تشر الأخبار المتناقلة أن علاقات شائنة يقترفها الذكور في العائلة الواحدة ضد الإناث فيها وهذا ما يشكل عادة صدمة كبيرة للعوائل إينما كانت ومع أن هذه الحالة أصبحت تتنافى في بعض البلدان التي لا يتحكم فيها (الدين) فإن من الحالة الإيجابية التي يتطلع لها الناس في كل مجتمع هو أن تعيش العوائل ضمن أسس طموحاتها الفطرية حيث الزوج لزوجته والعكس صحيح أيضاً.

وإذ يبقى الرجل أكثر انجذاباً نحو المرأة بحكم فطرته وخلقه كـ(ذكر) إلا أن توظيف مشاعره ينبغي أن توظف لصالح علاقة سوية تنتهي بتأسيس أسرة معها ففي فرنسا الآن توجد (1.5) مليون امرأة يتعرضن لسوء المعاملة جسمياً وجنسياً ونفسياً على أيدي أزواجهن أو شركائهن، وهذا يعني أن وراء هذا العنف (1.5) مليون رجل).

وطبيعي ففي ظل ظروف سياسة العولمة المعاصرة التي أخذت تجرف كل شيء بما في ذلك تشتيت طموحات المرأة الفطرية قد دفعت لإنشاء مراكز للمساعدة القانونية للمرأة لملاقاة الإساءات المتعمدة التي تقترف ظلماً بحق المرأة ولما كان موضوع السوية مطلوباً لكل رجل وامرأة فمن جانب موضوعي ينبغي تسهيل أمر الطلاق بين الزوجين إذا ما وجد شيوع خلل أخلاقي عند أحدهما أو كليهما، وذلك من أجل أن تستمر عجلة الحياة على إيقاع سويتها لا ضياع معنويات أفرادها.

إن نهج العولمة الغربية الذي أخذ يجتاح الكون الأرضي يحتاج إلى وعي محيط يدرس بما يمكن أن يكون العالم عليه من حياة غير قويمة لو فتحت المرأة أو منح الرجل حرية زائفة، وعلى اعتبار أن المرأة هي المخلوق الأضعف في معادلة الحياة قياساً لما للرجل من امتيازات غير محقة له في مجتمعه الذكوري بامتلاك قوة ووسائل الاستبداد الاجتماعي والسياسي فإن على الجميع ممن تهمهم أن تكون الحياة جميلة حقاً أن ينتبهوا لكل ما يحاول منه تجريد المرأة من طموحاتها الفطرية في بناء أسرة سعيدة حقاً، فمن نقطة سوية المرأة تشيد الحضارة الإنسانية.

* النبأ

=============

#ابو يعرب المرزوقي

الوجه العرضي من العولمة

ليست العولمة مشكلاً كونياً بل هي مرض أوروبي عربي لم يَرْقَ إلى إدراك الإشكالية الميتافيزيقية التي تتعلق بضروب الكونية. لكن العلل التي جعلتهم يتصورون هذه العولمة ظاهرة مطلقة فلا يثيرون إشكالية شرط تجاوزها ولا يبحثون في الأساس الميتافيزيقي لهذا الضياع الإنساني، تعود إلى كون النخب في هذه البلاد لم تتكيف في الإبان مع هذه العولمة ولم تبحث في جوهر المشكل. إنه أمر خاص بنخب فاشلة وليس بحثاً في طبيعة الإشكالية في ذاتها. والنخب العربية قد غاب عنها مميزات العولمة الأساسية التالية:

أ_ فالنسبة بين إطلاق العولمة الإمكاني وحصولها الفعلي كالنسبة بين العلم الحقيقي والعلم الخيالي. فبحكم العولمة الوهمية أصبح البشر يعيشون في ما يمكن أن يسمى بحقيقة الإمكان التوهمي.

ب_ ذلك أن العولمة الحاصلة فعلاً لا تشمل كل الأمم بالصورة نفسها أولاً (أكثر من أربعة أخماس البشرية لا يرون منها إلا السلوب) وهي لا تشمل فئات الأمة نفسها بالصورة نفسها ثانياً (جل فئات المجتمع المتقدم متخلفة) بل هي لا تشمل الشخص الواحد بالصورة نفسها أخيراً، إذ إن وسائل العولمة تناسب إدراكه العقلي للكلي الذي كان دائماً موجوداً دون حاجة إلى هذه الوسائل وتنافي إدراكه الحسي للجزئي الذي يبقى دائماً محدوداً بمقاس الإنسان. فلا يمكن أن يتسع حس الشخص الواحد فيشمل ما تُمَكّن منه وسائل الاتصال عن بعد مثلاً إلا بالتناوب فيكون في كل مرة منحصراً في ما كان فيه منحصراً دائماً ولا يكون التوسع إلا وهمياً لكونه مقصوراً على ما يمكنه منه من أصبح يختار بدلاً منه ما تراه الكاميرا لتنقله إليه مع ما يصاحب ذلك من تزييف وتلاعب بالحقائق لا حد لهما.

ج_ وإذن فلا بد من التمييز بين العولمة الفاعلة والعولمة المنفعلة. ذلك أن العولمة تكون بهذا المعنى أمراً لم يخل منه التاريخ الإنساني قط: فكل لحظات التاريخ الإنساني كانت كونية أي أنها تشمل عولمة عصرها الفاعلة إيجاباً وفعلاً، وتعود إلى من بيدهم الأدوات التي تمكنهم من فرض خاصهم على الآخرين ليكون عاماً وهي

تشمل عولمة عصرها المنفعلة سلباً وانفعالاً، وتعود إلى كل من يستسلم لهذا الفرض تسليم اندماج أو تسليم هروب إلى الخصوصية، إذ الصراع الوحيد الممكن في التاريخ الكوني كان ولا يزال الصراع بين ضروب العولمة أو إن شئتم بين الصور النموذجية للإنسان في الحضارات المختلفة: أي النماذج التي تسعى الحضارات إلى تحقيقها في التاريخ وتلك هي طبيعة الحضارة. والمعركة اليوم هي بين النموذج الاستخلافي الذي نمثل بذرته التي لم تكتمل بعد والتقاء النموذجين الأدنى منه والأسمى المزعومين، أعني التقاء الشرق الأقصى والغربي الأقصى.

د_ لكن نُخبنا أصبحت تدعي أن العولمة أمر من طبيعة واحدة وأن هذه العولمة هي التي تنتج عن الحتمية الاقتصادية وإنها أمر لا انفكاك عنه. ولأن هذه النخب لم تحدد طبيعة العولمة تحديداً دقيقاً، فقد ظنت أنها ليست ظاهرة ملازمة للتاريخ الإنساني بل ظاهرة جديدة لا علاقة لها بطبيعة صراع النماذج الحضارية فانقسمت بحكم هذا الموقف اللامحلل والناتج عن الانهزام الروحي إلى خيار وحيد بين: الاندماج في عولمة تدعي أنها ممثلة للمستقبل الإنساني وهي في الحقيقة عولمة تسد كل آفاق الإنسان (عولمة المافيات المحلية في خدمة المافيا العالمية: فالعالم تحكمه أوليغاركيات مافياوية تستعبد بقية البشر) والانكماش في الخصوصية حصراً للمثال في بعض اللحظات الوهمية من الماضي ظناً أنها قد أتمت تحقيق العالمية الإسلامية لكأن هذه العالمية يمكن أن تحقق في تعين واحد. وبذلك بات ممتنعاً التفكير في العولمة البديل أعني الثورة على هذه المافيات، باسم نموذج حضاري يلغي منبع الأسباب التي يؤول إليها وجود هذه المافيات.

هـ_ وبيّن أن أصحاب الاندماج وأصحاب الخصوصية من طبيعة واحدة: فكلاهما يجعل الواقع الحاصل مثالاً أعلى يستنفذ الممكن فيكبل العلاقة الحية بين المثال والفعل: الأولون جعلوا الاندماج في العولمة بصورتها الحالية مثالاً أعلى والآخرون جعلوا الإدبار عنها إلى العولمة بصورتها الماضية مثالاً أعلى. وكلاهما ينسى أن العولمة فعل تاريخي متواصل لا يتوقف، وأن شكله الحالي لم يتحدد بعد وأنه سيكون حصيلة المعركة الجارية بين العالميات المختلفة أو النماذج الحضارية المختلفة التي يؤمن أصحابها بأن لهم رسالة تحدد مثال الإنسان الأعلى، وأن أكبر علامات

الانهزام الروحي هي التسليم بوحدانية النموذج. لا شيء تم وانتهى كما يتصور المنهزمون روحياً.

المصدر: آفاق النهضة العربية ومستقبل الانسان في مهّب العولمة

==============

#الإسلام والعولمة.. صراع أم حوار؟!

* د. أحمد درويش

تمهيد لقد عرفت البشرية في تاريخها الطويل كثيراً من الثقافات المتعاقبة والمتحاورة والمتصارعة، وكان جزء من سر تقدم البشرية يكمن في هذه الصلة المعقدة التي كانت تتبادل فيها الثقافات والحضارات مواقع الصدارة دون أن تصل واحدة منها لفرض هيمنتها المطلقة على كل ما عداها، كانت الوسائل المتبعة في طرح ثقافة أمة على أمة أخرى تتمثل غالباً في اللجوء إلى ((إغراء العرض))، وعندما كان يتم اللجوء إلى ((سطوة الفرض)) كان يقترن ذلك بالتعسف الواضح وبمطالبة المضطهدين بإعادة هويتهم إليهم، وبتعاطف الآخرين معهم.

لكن النقلة النوعية التي حدثت مع ثقافة العولمة في العلاقة مع ثقافة الآخر تكمن في أنها لجأت إلى ما يمكن أن يسمى ((إغراء الفرض))، بمعنى أنها لم تعد تعرض بل تفرض، ولكن هذا الفرض لا يأتي من خلال استخدام العصا أو السيف، وإنما من خلال استغلال الإغراءات التي منحتها التقنيات الحديثة في الاتصال، وقد أدى ذلك إلى تغيير جذري في نظرية حوار الثقافات، تمثل هذا التغيير على نحو خاص في محورين:

1 . اللجوء إلى ثقافة الصورة بدلاً من ثقافة الكلمة.

2 . التوجه المباشر للقاعدة العريضة دون التوقف للجدل مع الصفوة.

ونبادر فنقول: إن هذين المحورين في ذاتهما يمكن أن يشكلا عاملاً إيجابياً مهماً على طريق ((عولمة المعرفة)) إذا ما أحسن استغلالهما من كل الأطراف الغازية والمغزوة، ولكنهما يشكلان عامل تهديد خطير لمقومات التماسك الثقافي والقومي للأطراف الأقل قوة وتقدماً إذا لم يتم التعامل معهما بوعي وتخطيط مدروس.

ويعتبر البعد الثقافي للعولمة من أكثر الأبعاد تأثيراً على هوية الفرد والجماعة معاً، وبالتالي على صمود أو ذوبان مجموعة من الكيانات القومية المستهدفة، في مقدمتها الكيان العربي الاسلامي. ومع أن الثقافة كانت دائماً عنصراً مهماً في حملات الترويج الإيديولوجي أو الغزو الاستعماري يراد من خلالها طرح أفكار الغالب على المغلوب، أو تحطيم روح المقاومة من خلال إضعاف عناصر الروح القومية لدى الشعوب المستهدفة، فإن موقع الثقافة في نظرية العولمة قد ازداد أهمية إلى حد بعيد، وشهد نقلة نوعية، فلم يعد الاستهداف الثقافي وسيلة إلى غاية، وإنما أصبح غاية في ذاته لقد ارتقت الثقافة من كونها وسيلة لتحقيق الغايات، لتكون هي الغاية ذاتها وكان من الطبيعي أن تسعى القوى الرأسمالية التقليدية، وقد أدركت الاحتمالات الاقتصادية الهائلة للموارد الثقافية إلى تحويل الثقافة إلى واحدة من أهم الصناعات الاستراتيجية التي تحكم موازين القوى عالمياً إن لم تكن أهمها على الإطلاق.

ومن هنا ظهرت كثير من ردود الأفعال لدى أصحاب الثقافات المتماسكة يعلنون فيها أنهم يرحبون بالاشتراك في عولمة ثقافية لكن بشرط أن يساهموا بنصيب في صنعها، وألا تكون ((غربنة)) تكتسي ثقافتها العالمية بثقافة الغرب وحدها، وهي الثقافة التي أعلن هنتنجتون أنها لا تقبل الدخول للآخرين في نسيجها بسهولة، وهناك دراسات لكتاب صينيين ويابانيين وأفارقة تمثل لوناً من الصدى الإيجابي لفكرة التوازن في ثقافة العولمة.

وفي إطار هذه النظرة التي تفضل الحوار مع ثقافة العولمة، يرى هذا الاتجاه أننا يمكن أن ننطلق من فكرة حاجة الثقافة العالمية الجديدة إلى الأساس الأخلاقي الذي عرفته النظم السياسية والاقتصادية السابقة في نظام القبيلة أو الدولة ولم تتفق عليه بعد في النظام العالمي، وأن هذا النظام الأخلاقي يمكن أن يستمد مضمونه من الثقافات المتعددة التي ينتمي إليها الشركاء متجاوزاً مواطن الخلاف مركزاً على مواضع الالتقاء وأن هذا الأساس المشترك يمكن أن يبنى على تلافي ما ساد بعد الثورة الصناعية من ((عبادة المال)) و ((عبادة الذات)) وإحساس البشرية بفقدان السعادة والاستقرار في ظلهما رغم التقدم المادي، وأنه يمكن للأديان في مرحلة أولى أن تتكاثف في صياغة مبادئ مواجهة تيار ((اللادينية)) متبنية في ذلك حسن

الحوار ووقف الصراع فيما بينها، ولسوف يجد المنطق الاسلامي في ذلك فرصة تتحرك من خلالها مبادؤه السمحة في حركة عولمة للثقافة تتلافى الآن ألوان الصراع الديني بين دين ودين وطائفة وطائفة، ويتبع ذلك بالنسبة لمنظري الخطة على الساحة الاسلامية تصحيحاً داخلياً على ثلاثة محاور، يتصل أولها ((برسم الخط الفارق بين الاسلام كما يفهمه ويمارسه ويعرفه مئات الملايين من المسلمين وبين تيار الغلو في الدين أو ما يسميه الغربيون ((الأصولية))، ويتصل الثاني ((بتصحيح فهم عالمية الاسلام باعتباره دعوة إنسانية موجهة للكافة وليس نظاماً يسعى أتباعه إلى فرضه عنوة وقسراً على سائر الناس، أما المحور الثالث فيتصل بممارسة الاجتهاد والإقبال على التجديد في الفقه وفي أصوله على نحو يسمح باستيعاب صور التطور العمراني ويواكب حركة العلم والتقنية، ويسهم فيها كما أسهم المسلمون الأوائل في تطور العلوم والمعارف الانسانية مع التأكيد على إعادة قيم الحرية والديمقراطية إلى مكانهما الصحيح من التصور الاسلامي ومن الحياة اليومية والسياسية والاجتماعية للمسلمين، ومع إعادة النظر في علاقة المسلمين بغيرهم القائمة على أساس سنة التعددية التي أرادها الله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) وعلى أساس الود والتعاون على الخير والتراحم.

إن نظرة معتدلة كتلك يمكن أن تحمل معها مفاتيح الدخول بقوة وثقة إلى دائرة ((عولمة الثقافة)) يكون لنا فيها مكان متميز عندما نملك روح الحوار ا لمعتدلة وقيمه الحضارية وأساليبه المتطورة.

============

#الإسلام والعولمة.. صراع أم حوار؟!

أسئلة عقلية حول هيمنة العولمة!

* محمد عمارة

أعتقد أن العقل العربي والمسلم يحتاج إلى وقفة يصنع لنفسه فيها جدول أعماله أي يعي التجديد ويجدد موقفه من المشكلات المطلوب منه أن يجنى من ورائها ثماراً. أي لا يتحول إلى مجرد صدى أو رد فعل لجدول الأعمال الذي يحدده الفكر الغربي

والإعلام الغربي لأننا يجب أن نتسائل بالنسبة لقضية العولمة: هل نحن بالفعل بصدد قضية جديدة؟

ففجأة وجدنا مصطلحاً أُلقى به في الساحة فبدأنا نتحدث عنه.

فأنا بودي أن نقف وقفة مستقلة مع النفس نبدأ بعدها الحديث من خلال منطقنا نحن.. من خلال أولوياتنا نحن ونحدد جدول أعمالنا على أساس الأولويات التي تواجهنا.

وأنا في الموضوع أميز . وأعتقد أن هذه ليست نقطة خلافية وكلكم تتفقون حولها . بين العالمية والعولمة لأن العالمية تمثل الأفق الاسلامي لأن الاسلام دعوة للعالمين منذ المرحلة المكية وبالتالي فإن العالمية ليست غريبة عن الرؤية الاسلامية بل الرؤية الاسلامية نزاعة إلى الرؤية العالمية انطلاقاً من أن الاسلام هو الرسالة الخاتمة والعالمية.

والعالمية تعني أن هناك حضارات متعددة ومتميزة أي أنها ليست متماثلة وأيضاً ليست منغلقة منعزلة ومعادية وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه. أي أن هناك مشترك بين كل هذه الحضارات وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى. وبين هذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه هذا هو البعد العالمي أو هذه هي العالمية في الكوكب الذي نعيش فيه.

والمفروض أن تكون المؤسسات الدولية لهذا النظام العالمي . إذا جاز استخدام هذا المصطلح . ممثلة للخصوصيات المختلفة والقاسم المشترك بين الحضارات العالمية.

أما إذا جاءت حضارة من الحضارات واجتاحت العالم بقوتها وفرضت نمطها في الثقافة والمثل والقيم وطريقة العيش على العالم فهذه الحضارة لا يمكن أن تكون عالمية وإنما هذا ما يسمى خطأ بالعولمة لأن العولمة من المفروض أن تعني شيئاً عالمياً ولكن هذا الذي يفرض الآن باسم العولمة ليس عالمياً وإنما هو الرؤية الغربية.. النظام الغربي.. الهيمنة الغربية كل هذا يفرض على الحضارات الأخرى.

ومن هنا يكذبون إذا تحدثوا عن التنوير.. يكذبون إذا تحدثوا عن الشرعية الدولية.. فكل هذا لا علاقة له لا بالدولية ولا بالعالمية ولا بالقسم المشترك بين الحضارات الانسانية.

إذاً لا بد من التمييز بين العالمية التي نحن معها ونحن دعاتها وبين هذا الذي يبشرون به باسم العولمة لأنني قد تابعت بعض الأبحاث التي قدمت في الندوات فوجدت أناساً عقلاء ووجدت أناساً ليسوا أناساً أصلاً. فللأسف الشديد أجد أحد الأشخاص الذين ولدوا بمنزل الوحي بالمملكة العربية السعودية يتحدث عن العولمة على أنها قدر لا مفر منه. هذا رجل ينكر القضاء والقدر الإلهي ويتحدث عن أمريكا على أنها قدر فهل مثل هؤلاء الأناس هم الذين يرسمون لهذه الأمة طريقها ومسارها. إنهم يتحدثون عن العولمة على أنها قطار لأبد أن نركبه وإلا ضاع منا الطريق وضعنا في هذا العالم وهذا إنكار للقضاء والقدر.

ويكذبون عندما يقولون أن وسائل الاتصال جعلت العالم قرية واحدة. صحيح أننا أمام ثورة كبيرة في عالم الاتصال لكن هذه القرية الواحدة بيوتها ليست سواء.. سكانها ليسوا سواء. أي أن هذه القرية بها الظالم والمظلوم بها القاتل والمقتول.. بها مَن يتأجج بأسلحة الدمار الشامل ومَن ينزع سلاحه وتنزع أظافره. انظروا لما حدث اليوم: لقد ضرب الطيران الأمريكي أحد الرادارات العراقية قرب البصرة لماذا؟

لأن هذا الرادار رصد طائرات بريطانية فوق أرض العراق!. أي أنه مجرد أن تفتح عينك على مَن يقتحم عليك أرضك وسيادتك تستحق أن تضرب. إذاً أين هي القرية الواحدة؟!.

وإسرائيل لديها الأسلحة النووية وتقوم بهذا الاقتراء الذي تمارسه في ظل هذه القرية الواحدة.

وعلى ذلك فنحن نريد أن نسأل أولئك الذين يطالبوننا بركوب قطار العولمة على أساس أن العالم قد غدا قرية واحدة: هل المطلوب مننا ن نركب القطار كعبيد؟!.

فحديثهم هذا عن القرية الواحدة لا يعني أن الناس سيصبحون سواسية فالاغتصاب للأرض والعرض والحرمات والمقدسات في بلادنا على قدم وساق والأمة الاسلامية تحرم وحدها من حق تقرير المصير في فلسطين.. في كشمير.. في الفلبين.. في البوسنة والهرسك وبلاد البلقان.. في كل أنحاء أمتنا. حقك في التنمية.. حقك في أن تحكم بالقانون الذي تريده كل ذلك محرم على هذه الأمة.

فالكلام عن القرية الواحدة لا يعني أن أهل هذه القرية الواحدة أصبحوا سواسية وبالتالي نحن مدعوون أن نكون مواطنين كاملي المواطنة في هذه القرية الواحدة. وأريد أن أقول أن ظاهرة أن يفرض الغرب هيمنته على الآخرين ليست ظاهرة جديدة. فعندما كانت الأمبراطورية البريطانية لا تغرب عنها الشمس ألم تكن هذه عولمة؟ كان القرار يصدر في بريطانيا وينفذ في مصر وفي الهند وفي بلاد لا تغرب عنها الشمس.

وعندما كان الرومان يحكمون العالم وكانوا هم الأشراف والسادة وغيرهم البرابرة ألم تكن هذه عولمة؟!.

نعم، إننا أمام صعود في وسائل الاتصال الحديثة ولكن الجديد في العولمة وأخطر ما فيها أن هذه الهيمنة الغربية تقنن باسم الشرعية الدولية وباسم النظام العالمي.

فقيم الغرب وثقافته يعملون على فرضها بالإعلام بالفكر بالجواسيس بالاختراق على كل الدول والحضارات الأخرى. والغرب الآن يقنن هذا الاختراق ويقنن هذه الهيمنة بوثائق وبرامج باسم النظام العالمي الجديد.

ومؤتمر مثل مؤتمر السكان عندما يعقد كي تكون هناك وثيقة تحت مظلة الأمم المتحدة لتقنن القيم الغربية في التحلل والانحلال إلى أخر فهذا جديد. فالغرب كانت له قيم يسبلها بسبل غير مقننة ولكن أن تتحول إلى قانون عالمي.. إلى وثيقة عالمية تحت مظلة الأمم المتحدة فهذا هو الجديد.. وكما رأيتم في وثيقة السكان فإن المراهقين والمراهقات يكون لهم كحق من حقوق الانسان أن يتمتعوا بالثقافة الجنسية عالية المستوى وأن الآباء والأمهات يكون عليهم أن يقدموا لأبنائهم هذه الثقافة. أن يكون حمل المراهقات حق من حقوق الانسان وإجهاضهن حق من حقوق الانسان بينما الزواج المبكر جريمة. انظروا إلى ماذا يدعون: أن يكون الزنا المبكر حق من حقوق الانسان أما الزواج المبكر فيكون جريمة ضد حقوق الانسان!.

بل وحتى العمل المبكر يكون جريمة ضد حقوق الانسان ولو كان بعد البلوغ وحتى سن الخمسة عشر سنة.. ونحن جميعاً كنا فلاحين وكنا نعمل في هذه السن ولكن ها هي منظمة العمل الدولية تقرر أن ذلك جريمة.

أقول: إننا الآن أمام تصعيد لهذه الهيمنة القيمية الغربية لأنها تتحول إلى قوانين تفرض على الناس.

كذلك في موضوع المرأة فإنك تجد في مؤتمر السكان أو في مؤتمر بكين لا أقول موضوع مساواة الرجل بالمرأة فهذا مطلب إسلامي ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)) إنما حثّ المرأة على إلغاء حتى الفروق الطبيعية والفطرية بينها وبين الرجل لدرجة ن الأناجيل الآن تترجم ترجمات جديدة تسمى فيها الذات الإلهية بالذكورة والأنوثة لكي تكون هناك مساواة لأن أمثال نوال السعداوي يعترضون على ذلك متسائلين: لماذا يكون الله ذكراً.

هذه هي القيم التي توضع الآن في مواثيق دولية لإلغاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها وفرض الرؤى الغربية الديانات والأيديولوجيات التي تتمرد حتى على الديانات الغربية مثل النصرانية. إننا نشهد الآن في الفكر الغربي تحولات في اتجاه تهويد النصرانية الغربية أي بدلاً من أن تعترف اليهودية بالنصرانية يحدث الآن في الفاتيكان أن يصير الإله هو يهوه في أحد المؤتمرات قال البابا يوحنا بولس الثالث أنه قد عقد المؤتمر ليجتمع مائتان قس من الكاثوليك والبروتستانت لتغيير الأناجيل التي كانوا يتحدثون عنها على أنها شيء مقدس. بما لا يعادي اليهود والكنيسة التي ظلت قروناً عديدة تبيع صكوك الغفران الآن تطلب من اليهود التوبة والغفران.

هذه هي تحولات العولمة أي أن هناك الآن تحولات تتم في الغرب ثم يعملون على فرضها على العالم أجمع.

نحن نقرأ عن الغرب أن هناك رجال دين من الشواذ.. أن الكنائس تزوج الشواذ.. بل أن في إنجلترا البلد المحافظ أحد وزراء وزارة العمال الحالية شاذ والرجل الذي يعيش معه يحضر جلسات وزارة العموم في الغرفة المجاورة على أساس أن له امتياز الزوجة ومثل هذه القيم تفرض الآن على العالم باسم العولمة. ومع كل هذا يطالبوننا بسرعة ركوب القطار وأن نرضي بهذا القدر الذي يفرض علينا.

وأريد أن أتسائل معكم: لماذا الغرب يريد أن يفرض علينا العولمة؟.

القضية ليست سحراً ولكن هناك في بنية الفكر الغربي والحضارة الغربية هذه النزعة للهيمنة. فنحن قد أعتدنا ما يسمى بالمركزية الغربية أي أن الغرب لا يعترف بالآخر

ويريد أن يفرض ذاته عليه وأنتم تابعتم وقرأتم كل الذي قيل وكتب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي من أن الاسلام الآن هو العدو لأنه مستعصياً على العولمة وإنه للآن لم يتبنّ النموذج الغربي ولذلك فإن على حلف الأطلنطي أن تتوجه آلته الحربية إلى العالم الاسلامي. كل ذلك الكلام يقال على مستوى عال وليس تبعاً لنظرية المؤامرة مثلما يتهمنا بعض المتغربين. وإنما هذا الكلام معلن على أعلى المستويات الغربية وهي مستويات مسؤولة فليس هذا الكلام كلام المثقفين غربيين إنما هو كلام على مستوى صناع القرار.

سأحكي لكم حكاية ذات صلة بما نقول لقد قرأت مقالاً الأسبوع الماضي للسيد ياسين يثنن فيه علي بحث لجميل طر. وجميل مطر هذا من الباحثين الجادين وأنا أحترمه كثيراً ولقد وصف مطر الحضارة الغربية بأنها حضارة داروينية نسبة إلا دارون أي أن الحضارة الغربية في رأيه تقوم على الصراع ضد الحضارات الأخرى مثل الصراع بين الأحياء عند دارون وهذا يتفرع منه صراع الحضارات ونهاية التاريخ إلى أخر هذه المقولات..

وعلى الرغم من أنني سعدت بإعجاب السيد ياسين بآراء ميل مطر ومع ذلك فقد ضحكت لأنني عندما كنت أكتب كتاباً عن المودودي في السبعينات وجدت أن المودودي عندما تحدث عن النظريات التي تقوم عليها الحضارة الغربية فإنه حددها في: فلسفة هيجل في التاريخ .نظرية دارون في الأحياء . الصراع الطبقي عند ماركس. وتكلم المودودي في ذلك كلاماً نفيساً وعبقرياً لماذا؟. لأن نظرية هيجل في فلسفة التاريخ تذهب إلى أن العصر الجديد ينسخ العصر القديم.. ليس هناك ثوابت (عملية نسخ)... عند دارون القوي ينسخ الضعيف ويزيله.. عند ماركس الطبقة الوليدة تنسخ الطبقات السابقة.. إذاً المحور في الحضارة الغربية هو الموقف الصراعي: طرف يصرع الآخر وينهيه ويزيله وينفرد بالميدان وعندما كتبت كتابي عن المودودي وعرضت أفكاره هذه في باب عن نقد الحضارة العربية وكنت قد نشرت جزءاً من هذه الدراسة قبل طبع الكتاب في مجلة العربي في أوائل الثمنينات فإذا بالدكتور فؤاد زكريا ينفذني في العربي ويقول: هذا الذي كنا نتصور أنه مستتير هاهو يهاجم الداروينية ويقول عنها هذا الكلام.

لقد تكلمنا عن أن الداروينية قدمت مبرراً للاستعمار لأن الاستعمار بدلاً من أن يشعر بتأنيب الضمير يعتقد من خلال هذه النظريات أنه يقوم برسالة حضارية عندما يزيل مواريث الأمم والبنى التحتية لها ومجتمعها المدني القائم بها والحرف والصناعات الخاصة بها ويعتبر نفسه أنه يمدنها. حتى ماركس تكلم عن أن غزو فرنسا للجزائر من التمدن وإزالة الرجعية والتخلف وتحدث بنفس هذا المنطق عن الهند مع أن الماركسيين عندنا كانوا دائماً يخفون هذه النصوص لأنها تفحض الرجل لأنه كان يتحدث عن أن الاستعمار يقوم بدور تحديثي ودور تمديني للمجتمعات المستعمرة.

فأنا عندما تحدثت عن النزعة الداروينية انطلاقاً من كلام المودودي عن الحضارة الغربية سخر مني فؤاد زكريا وهذا ما جعلني أضحك من إعجاب السيد ياسين بما قاله جميل مطر وقلت في نفسي لو كان السيد ياسين قرأ لي أنا هذا الكلام أو لأحد غيري من الاسلاميين لما كان كتب هذا الإعجاب الذي كتبه عن كلام جميل مطر. لأنه عندنا تحدث طائفية ثقافية حيث يختلف الموقف مما يقوله أحد الاسلاميين عما إذا قاله غيره من الباحثين والكتاب.

هذه هي قضيتنا مع الحضارة الغربية ففي الاقتصاد يحدث اجتياح لاقتصاد الشعوب وأنا لست متخصصاً في الاقتصاد ولكني أريد أن يجيب الاقتصاديون عندنا عن تفسير ما حدث بالنسبة للنمور الآسيوية. لقد تابعت بعض التفسيرات التي كتبت في هذا مثل أبحاث الدكتور حازم الببلاوي وغيره ومع ذلك سأقدم لكم تفسيراً أعلم أنني لو كتبته لهوجمت من العلمانيين هجوماً شديداً.

فالتجارب التي حدثت في أندونيسيا وماليزيا برغم عظمتها كان هناك دور كبير للشركات المتعددة الجنسية بالنسبة لها وبالتالي لم تكن مفاتيح الأمور بأيدي الحكومات والشعوب فالتنمية التي تجدث نتيجة التدخل الأجنبي من الممكن عند اللزوم القضاء عليها. والنقطة الأخرى أن هذه التجارب التنموية ربطت نفسها بالمركز الغربي فلم يكن هناك سوق إسلامية مثلاً وبالتالي فأنت لست حراً حقيقة: فرأس المال أجنبي والشركات أجنبية. والاستثمارات أجنبية والخبرات أجنبية والتكنولوجيا غربية والأسواق غربية.. وهكذا فأنت مربوط بالمركز الغربي.

الأمر الآخر هو حكاية سوق المال وقد قال مهاتير محمد: إن الملياردير سورس بما فعله من لعب في البورصة هو الذي بدأ الضرب في هذه التجارب. ففكرة تحول المال إلى سلعة يضارب عليها وجعلها بديلاً للإنتاج والعمل هي نفسها الفكرة التي وراء تحريم الاسلام للربا فنحن هنا في الأزهر نتعارك حول الفائدة وهل هي حلال أم حرام وليست هذه هي القضية الأصلية.. فالقضية الأصلية هي فلسفة الاسلام في المال. إن المال ليس سلعة يتاجر فيها لأن هذا هو الذي يصنع التضخم ويصنع عالماً اقتصادياً آخراً لا علاقة له بالاقتصاد الحقيقي.. ليس له أدنى علاقة بالإنتاج أو الزراعة أو الصناعة أو بكل هذه الأمور. وهذا يبين أهمية الرؤية الاسلامية في فلسفة الأموال والتي أرى وجوب دراسة عيوب ما حدث في التجارب الآسيوية في ضوئها.

وعندما حققت أعمال محمد عبده بهرني أنه عندما تكلم عن الربا قد لمس هذا البعد وقال كيف أن تجارة المال تركز المال في جانب والفقر في جانب ولم يكن قد أثير عندنا بعد موضوع التضخم الذي هو المتاجرة في المال. فالبنك يأخذ منك بفائدة خمسة في المائة مثلاً وينقل لغيرك بفائدة عشرة في المائة ومَن أخذ بعشرة ينقل بخمسة عشر وهكذا فالمال سعره يزيد دون زيادة حقيقية في الإنتاج. أي أنه بعيداً عن وظيفة المال تتم عملية التضخم وبصنع سوق المال من الممكن أن تضرب تجارب تنموية بعيداً عن عملية الصناعة. فلم تتم عملية اللعب في الصناعة التي أقامتها أندونيسيا وماليزيا وإنما اللعب تتم ي البورصة لأنك صنعت اقتصاداً في المال مواز للاقتصاد الإنتاجي وجعلت هذا في يد السماسرة اليهود وعملاء المصارف العالمية. إذاً فلكي تتم العولمة فلا بد من الاختراق والهيمنة ومسك مفاتيح البلاد وعندما كان ينشأ لدينا مشروع مترو الأنفاق كنا نقول أن المترو في القاهرة ولكن الذي يمغنط التذكرة في فرنسا فالذي يمسك لك المفتاح (التذكرة الممغنطة) هو فرنسا لقد كنا نقول أخذوا الصندوق يا محمد ولكن مفتاحه معي لكن الآن المفتاح معهم وهذه هي فكرة العولمة فحتى في التجارب التنموية الجيدة والمبشرة تكون مخترقاً تماماً ويكون مفاتيحها مع الغرب وطبعاً هذا يتبعه تآكل السيادة في الدولة الوطنية والقومية وأريد أن أقرأ عليكم التعليق الذي كتبته في الشعب عما نشره أحد الأشخاص في

جريدة الأهالي حيث زعم أنهم يقفون مع الضغط الأمركي على الحكومة المصرية في مسألة الأقليات لأننا في عصر العولمة والدولة منقوصة السيادة فتساءلت: ولماذا تكون مصر فقط منقوصة السيادة؟!

فإذا كانت العولمة حقيقية فلا بد أن تكون أمريكا أيضاً منقوصة السيادة وكما يضعون أسطولاً في الخليج يكون لنا أساطيل هناك. فلماذا تكون سيادتنا نحن فقط منقوصة وتسمى ذلك عولمة؟!. الأصح أن نسميها هيمنة. فالعولمة كما قلنا إن كان المقصود منها العالمية فلا بد أن تكون حقوقنا جميعاً متساوية ولكن المقصود الحقيقي من العولمة أن تكون سيادتنا نحن فقط هي السيادة المنقوصة.

إن هذا لم يعد يتم فقط باسم النظام العالمي ولكن أمريكا الآن أصبحت تشرع للعالم صراحة فالكونجرس الأمريكي يصدر قراراته بعدم الاتجار مع ليبيا أو بعدم الاتجار مع إيران ويضع العقوبات على مخالفة ذلك حتى حاولوا أن يفرضوا على أوروبا نفسها عقوبات ولكنهم تراجعوا بعد ذلك وآخر ما فعلوه بشأن هذه العقوبات هو قانون الأقليات الأخير.

هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن حقوق الانسان في العالم هم الذين أبادوا الهنود الحمر ولا تزال التفرقة العنصرية في أمريكا تمثل أعلى معدلاتها في العالم ولا تزال الحروب الدينية في أوروبا إلى الآن من البلقان إلى أيرلندا إلى آخره.. ونفس هذه الأمور موجودة في يوغسلافيا أي أن أوروبا لا تزال تعيش حروباً دينية ويعودون مرة أخرى التدخل في الشؤون الداخلية للدول من ثغرة الأقليات والأقليات المقصودة هنا ليست فقط الأقليات غير المسلمة فأنا اليوم سمعت خبراً في لندن عن المغني الذي قتل في الجزائر وما الذي قالته الصحف الفرنسية عن ذلك فعندما تحدث مندوبهم في لندن عن ذلك قال: قال ن القتل كان يناضل من أجل الأمازيغية.. يناضل ضد اللغة العربية.. يناضل من أجل اللغة الفرنسية كلغة للانفتاح.. يناضل من أجل العلمانية.. هذا البرنامج الذي عقدت لأجله مؤتمرات في باريس أقامتها منظمة الأمازيغية التي يعمل فيها محمد أركون الذي جاء يعلمنا الاسلام وما هي حداثة الاسلام التي من الممكن أن تكون. وهو يعمل لدى الفرنسيين في موضوع الأمازيغية.

وما أريد أن أقوله أن الإختراق الذي يحدث من خلال موضوع الأقليات ليس فقط متعلقاً بالأقليات غير المسلمة لأنهم يعلبون الآن بورقة الأكراد.. وبورقة الأمازيغ.. مثلما يلعبون بورقة الموانة وورقة الأقباط.

وأريد أن أقول أن قضية الأقباط لا بد أن نهتم بها ليس لأن عندنا ما نعتذر عنه أو أن لدى الاسلام ما يعتذر عنه وإنما لأنها أصبحت باباً للاختراق وأنتم ترون المراكز التي تعمل في هذا الموضوع عندنا والممولة علناً من الخارج وأقول إننا أحرص الناس على معايير الإنصاف بالنسبة للأقليات. فالمسلمون مليار وثلث مليار في العالم وربع المسلمين أقليات. إذاً فإن من مصلحتنا كمسلمين . فضلاً عن معايير العدل . أن تكون هناك ضوابط منصفة للأقليات، إن لدينا على سبيل المثال في الهند مائة وخمسين مليون من المسلمين أقلية. إذاً المسلمون أولى الناس بأن تكون هناك معايير داخلية وإقليمية وعالمية تتعامل على أساسها الأقليات ومن ناحية أخرى فإن الوحدة الوطنية لا بد أن تبنى على الحقائق وليس على الأوهام فعندما يأتي شخص ويقول أن الدين الاسلامي طارئ على مصر وإنه لذلك يجب أن يكون هناك امتياز للدين الأقدم. فلنا أن نقول عند ذلك: إن النصرانية ي مصر أيضاً وافدة.. بل أن النصرانية في العالم كله وافدة حتى في الفاتيكان نفسها لا يستثنى من ذلك سوى فلسطين. بل أن اليهودية وافدة على فلسطين لأنه لا علاقة لها بفلسطين..، لا توراة ولا أنبياء اليهودية عرفوا فلسطين. إذاً لا بد من إنهاء هذا الوهم الذي يتحدث عن دين قديم ودين وافد.

النقطة الثانية: أن المساواة كامل المساواة في حقوق المواطنة حق من حقوق الله وليس حق من حقوق الانسان لأن الله سبحانه وتعالى بحكم خلقه للبشر بصرف النظر عن الدين . لا بد أن تكون لهم كامل المساواة في حقوق المواطنة هذا معيار.

المعيار الثاني هو: هو أنه للأقلية في كل بلاد الدنيا أن تقيم دينها والحلال والحرام في دينها ولكنها لا يجوز أن تصادر حق الأغلبية في هوية الدولة. وخمسة مليون مسلم في فرنسا من حقهم أن يقيموا دينهم والحلال والحرام فيه ولكن ليس من حقهم أن يصادروا هوية علمانية الدولة الفرنسية ونفس الأمر إذا تحدثنا عن الأقلية في الهند. وهذه قضايا لا بد من التوسع فيها بدلاً من استغلالها في إطار العولمة.

الكلمة الأخيرة هي عن الوهم الذي يتحدث عنه دعاة العولمة وأعني بذلك ما يقولونه عن الاعتماد المتبادل أي أننا عندما نلحق بالعولمة يكون بيننا وبينهم اعتماد متبادل. فهل من الممكن أن يكون هناك اعتماد متبادل بين رجل عاجز وأسد مفترس؟!. ويحضرني في ذلك نكتة كانت تروى عن حاجب محكمة سُئل مرة عن مرتبه، فقال: مرتبي أنا والقاضي مائة وثلاثة جنيهات هو ثلاثة والقاضي مائة فهل هذا هو الاعتماد المتبادل؟!.

فالاعتماد المتبادل لو كان حقيقياً فإنه يفترض أساساً أن تكون قوياً.. تكون لك هوية مستقلة ولكن عندما أكون ضعيفاً وتابعاً وملحقاً فهل أقول: أنا وأمريكا!.. إذاً فما الذي يحدث الآن في العراق من الأمريكان؟!..

أين العراق؟! وأين أمريكا؟!.

أين الصلف الإسرائيلي وأبو عمار؟!.

إذاً هذا الصلف المتبادل وهم من الأوهام.

فنحن مع العالمية ولكن هذا الذي يسمى بالعولمة هو تسابق وتطور في أدوات الهيمنة والجديد في ذلك هو تقنين هذه الهيمنة. أما كون الغرب يعمل على فرض هيمنته علينا فهذا مرتبط بموقف الحضارة الغربية القديم منذ الاحتكاك بينها وبين الحضارة الاسلامية وشكراً.

==============

#من كابل إلى لندن بحثا عن الأمان أم الدعوة؟

محمد أبو زيد

الباحث المصري جهاد عودة يحلل في كتابه الجديد عولمة الحركة الإسلامية الراديكالية في مصر والمغرب من خلال نشأتها وظواهرها

كيف تحولت الحركات الاسلامية الراديكالية من نطاقها المحلي الى النطاق العالمي لتصبح جزءا منظومة العولمة السياسية والاستراتيجية؟

يبدو هذا هو السؤال الرئيسي في كتاب «عولمة الحركة الاسلامية الراديكالية» للدكتور جهاد عودة والصادر حديثا عن دار الهدي بالقاهرة، خاصة مع انتقال

المفهوم العولمي من كونه احد ملفات النظام الدولي الى التسييد الكامل له باعتباره السمة الأساسية لذلك النظام.

يربط الدكتورعودة هذه الظاهرة بهجرة قيادات الجماعات من أوطانها الاصلية، ففي مصر بدأت قيادات الجماعات الاسلامية في النزوح من مصر بعد صدور حكم باعدام خمسة من قيادات تنظيم الجهاد الذين قاموا باغتيال الرئيس السادات عام 1981، وكانت افغانستان هي المحطة الأولى مرورا بالسعودية، وقد بلغ عدد هؤلاء النازحين حوالي 800 شخص، وبعد انتهاء الحرب في أفغانستان نزح هؤلاء الى بعض البلدان العربية كاليمن والسودان بينما حصل عدد كبير منهم على حق اللجوء السياسي أو على اقامة دائمة في الدول الأوروبية والافريقية والاميركية، ففي أوروبا يعيش نحو 150عضوا بالجماعة الاسلامية حصل 40 منهم على اقامة دائمة بينما يتوزع الباقون في دول مثل الدنمارك ورومانيا واليونان وبريطانيا والمانيا واسبانيا.

ويرجع عودة أسباب الهجرة الى معاناة الجماعة الاسلامية والجهاد من آثار الضربة الأمنية وهجرة عدد من قيادات تنظيم الفنية العسكرية وجماعة الجهاد الذين تم كشفهم في عامي 77، 1979 الى الدول النفطية والبحث عن التمويل، وتصاعد أعمال القتل في أفغانستان واعتبارها حربا ضد الشيوعية.

ويشير الكتاب الى انه عقب حادثة الأقصر وتداعياتها انشقت الجماعة الاسلامية الى أربعة أقسام، مجموعة أفغانستان وهي التي نفذت العملية ومجموعة لندن، ويقودها ياسر السري مدير المرصد الاعلامي الاسلامي وأبو حمزة المصري، ومجموعة هولندا ويديرها اسامة رشدي أحد قيادات الجماعة الاسلامية منذ تأسيسها وهو الذي أصدر بيان وقف استهداف السائحين الأجانب في مصر ومجموعة النمسا وهي التي انشقت عن قيادة أفغانستان.

وأهم قيادات الجماعة بالخارج كما يذكر جهاد عودة هم عمر عبد الرحمن (في اميركا) وطلعت فؤاد قاسم (أعلن اختفاؤه في كرواتيا) وياسر السري (في لندن) ومحمد الاسلامبولي (غير محدد المكان) ورفاعي طه (في افغانستان) أسامة رشدي (في تركيا) ومصطفى حمزة (في الصومال).

ويقول الكتاب انه منذ عام 1996 فرضت الدول الأوروبية قيودا على دخول عناصر تنتمي الى الجماعة الاسلامية الى أراضيها، بل والقبض عليهم في بعض الأحيان، وهو ما يشير الى استراتيجية دول الخراج تجاه الجماعات في الآونة الأخيرة، بالاضافة الى تجفيف منابع التمويل المادي خاصة مع اتفاق مصر مع دول النفط على تنظيم جمع التبرعات.

وفي رصده لعولمة الحركة الاسلامية الراديكالية يقسمها الدكتور عودة الى طريقين، المصري والمغربي، وفي نقده للفريق المصري يتناول أولا عوامل ومسارات الخروج من مصر، ثم يعرض لنمط الانتشار العالمي للمصريين المنضوين تحت جناح الحركة الاسلامية الراديكالية ثم يوضح طبيعة المنعطف الاستراتيجي الذي اتبعته هذه الحركة كنتيجة مولدة من عملية العولمة.

وقد أججت حرب الخليج الثانية . كما يؤكد عودة . التوجه الخارجي للراديكاليين المصريين لأنها كانت ملحمة كبرى أحدثت هزة عنيفة لكل التيارات السياسية في العالم العربي وان كان ما نجم عنها لا يتعدى رد الفعل، ويمكن رصده . في هذا السياق . التنظيم الدولي للاخوان المسلمين قبل هذا، بالاضافة الى تيار ديني واسع الانتشار يتعدى في تمدده حدود الدولة القومية وهو الطرق الصوفية والذي تخرجه سكونيته من المعادلة السياسية الجهادية.

ويؤكد عودة ان الجماعات الاسلامية الراديكالية العربية قد استفادت من مجمولة الاتصالات والمعلومات فتمكنت من صناعة اعلام مضاد لاعلام الدولة من خلال شبكة الإنترنت واستخدمت التقنيات الحديثة في حشد وتعبئة الكوادر التنظيمية وامتلاك قدرات متطورة نسبيا علي تنفيذ عمليات العنف المسلحة ضد رموز السلطة، ورجال الأمن وكبار الكتاب واستعادت من بنية الحداثة القانونية في الدول الغربية كما أن محنة الأفغان العرب جعلت الراديكاليين الاسلاميين يبذلون أقصى جهد ممكن في سبيل توفير حياة آمنة بعد أن أدركوا استحالة عودتهم الى بلادهم، وكان هذا ثمرة تكوين نواة شبكة عالمية ظهرت فيما سمي بالجبهة الاسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين.

ويبين المؤلف انه خلال الفترة السابقة قد تشكلت ملامح الموقف الاميركي الراهن في قضية الارهاب والتي أكتملت بعد حادث 11سبتمبر (ايلول) والذي جعل اميركا تدخل في غمار مواجهة ما اسمته بالارهاب بكل قوتها بعد تردد واستحياء في التعامل مع هذه الظاهرة وهو ما أعطى حافزا لاسرائيل ان توغي صدر اميركا ضد بعض المنظمات الاسلامية التي تناهضها وضد بعض الدول كايران مثلا.

أما الطريق المغربي، فيرى ان عملياته ذات الانتماءات الآيديولوجية يغلب عليها الطابع الحداثي (فندق . مطعم) بجانب وجود تيار اسلامي قوي داخل المغرب كان من بعض الأماكن العشوائية مركزا يدعو منه الى العودة للأصول الدينية وقيامه في بعض الاحيان بمهاجمة أماكن اللهو والشواطئ.

ويرى المؤلف ان العاهل المغربي قد عهد الى التمسك بالشرعية الدينية كرافد اساسي لتدعيم الشرعية السياسية ولضمان كل من الزعامة الدينية والسياسية وحرص على البعد عن كل ما يمكن ان يقوض أو يهدد دعائم هذه الشرعية الراسخة والتي تشهد نوعا من الاجماع من قبل مختلف الاحزاب السياسية ولذلك قد يرى البعض في ظهور تنظيمات الحركة الاسلامية تهديد الشرعية النظام السياسي خاصة انها قد لجأت الى منازعة الشرعية الدينية وعارضت الاتجاه التحديثي الذي انتهجه النظام، ولعل ابرز هذه الجماعات هي العدل والاحسان والتي يتزعمها روجيا عبد السلام ياسين. يربط الكتاب بين ظهور الحركات الاسلامية في المغرب بالظاهرة العامة التي انتشرت في العالم الاسلامي منذ أوائل السبعينيات، هذا الي جانب فشل ما سمي بالليبرالية الواقعية التي وقع عليها الاختيار كاستراتيجية للتنمية من قبل الطبقة الحاكمة بالاضافة الى الفراغ الذي عرفته الحياة السياسية في المغرب أوائل السبعينيات نتيجة حملات القمع الموجهة صد المعارضة.

ويشير الكتاب في فصله الأخير الى أن مصادر تمويل الحركات الاسلامية يكتنفه بعض الغموض حيث لا يمكن حصر جميع هذه التبرعات لعدم وجود حسابات معلنة وعدم معرفة مصير أموال التبرعات وتشعب الحركات الاسلامية وعدم القدرة على تحديد المنخرطين في هذه الحركة ومساهمات بعض الدول بصورة سرية، واستخدام الحركات وسائل متعددة في نقل الأموال.

=============-

#الدكتور محمد عمارة في حوار معه:

المسلمون امام حرب العولمة ..عسكرية وقيمية

لمشاهدة الصورة بحجم اكبر إضغط علي الصورة

في الحوار التالي مع المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة الأكثر إطلاعا على كتابات الغرب وفهما لمشروعه ومخططاته الحالية طرحنا السؤال"هل ما نعيشه حاليا حرب دينية أم مجرد مأزق تاريخي نستطيع التغلب عليه؟..الدكتور عمارة كان أكثر صراحة حيث أكد أن ما يحدث حاليا لا يخرج عن كونه حربا دينية ينبغي أن يعترف المسلمون بها ويتعاملون مع الآخر على أساسها، وعلى المسلمين إزاء هذه الحرب إما "الخنوع" والقبول بما يفرضه الآخرين عليهم أو المواجهة والحفاظ على دينهم وثقافتهم.

تطبيق عملي

* هل تعتقد أن ما يحدث في العالم اليوم هو من تداعيات انفجارات نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر 2001؟

-لا بل اعتقد أن تداعيات وثمرات ونتائج ما وقع في الحادي عشر من سبتمبر 2001 تمثل التطبيق العملي لمرحلة العولمة التي تعني بالمنظور الغربي عملية اجتياح الغرب وخاصة الأمريكي للآخر وهو هنا العالم كله سواء في الجانب الاقتصادي عن طريق فتح كل الحدود أمام الشركات متعددة الجنسيات أو في الجانب السياسي بتكريس حق التدخل في الشؤون الداخلية للدول الوطنية والقومية وتهميش المنظمات الدولية وإحلال الهيمنة الأمريكية محلها، أو في الجانب القانوني والتشريعي بجعل الكونجرس الأمريكي يشرع للعالم سواء في الأقليات أو التجارة أو العقوبات..بل وحتى في تغيير نظم الحكم فمثلا عندما يسن الكونجرس الأمريكي قانون لتغيير النظام في العراق ويعتمد ميزانية لذلك فإن هذا يعتبر لونا من ألوان التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

أو في عولمة القيم وإحلال منظومة القيم الغربية من خلال صياغتها في وثائق خاصة بالمرأة والطفل والسكان ثم تعميمها وفرضها على العالم..أو العولمة العسكرية

التي جعلت حلف الأطلنطي يخرج من النطاق الأوروبي والغربي لأن ميثاقه الصادر عام 1949 كان يجعله قاصرا على الدفاع عن أراض الدول المشتركة فيه،لكن عندما عقد مؤتمر حلف الأطلنطي في العيد الخمسيني له في أبريل 1999 طورت صيغة حلف الأطلنطي وبدلا من الدفاع عن أراض الدول المشتركة فيه أصبحت للدفاع عن مصالح الدول المشتركة فيه، وبالتالي بدأ الحديث عن القوات متعددة الجنسية والانتشار السريع للتدخل في مناطق الأصولية والتطرف وأسلحة الدمار الشامل.

إذن خلال الفترة الأخيرة أصبحت هناك عولمة عسكرية وعولمة سياسية واقتصادية وقيميه..كل هذا تمت صياغته والحديث عنه منذ سقوط الاتحاد السوفيتي وانفراد أمريكا بالهيمنة ووحدة قبضة الحضارة الغربية وزوال التناقض الذي كان قائما بين شقيها الليبرالي والشمولي.

الذي حدث بعد 11سبتمبر هو دخول هذا المخطط في التطبيق، الحرب في أفغانستان والتي ستكون لها نماذج أخرى في عدد من البلاد الإسلامية والضغوط التي تتم الآن على باكستان والتدخل في تغيير مناهج التعليم الديني والحديث عن ضرب الصومال واليمن والعراق،كل هذه الممارسات بعد أحداث سبتمبر هي نوع من العولمة العسكرية والعولمة السياسية وتطبيق التدخل في الشؤون الداخلية الذي هو انتقاص لسيادة الدول.

وهذه العولمة كما أنها اجتياح غربي وأمريكي خاصة للعالم الآخر فهي أيضا تطبيق لنظرية صراع الحضارات لأن هذه النظرية كما عرضها هانتنغتون لم تكن اختراعا منه ولا تبشيرا بصدام الحضارات لكنها كانت كشفا عن واقع صدام الحضارات الذي يمارسه الغرب ضد الحضارات الأخرى، وهو في هذا التخطيط تحدث عن ضرورة البدء بالحضارة الإسلامية والصينية مع تحييد الحضارات الأخرى ثم بعد الفراغ من الحضارتين الإسلامية والصينية تعود الحضارة الغربية إلى احتواء الحضارات الأخرى.

ولكن لأن الصين حققت مشروع نهضوي كبير وأصبحت قوة، لذلك صارت نقاط الضعف موجودة أساسا في الحضارة الإسلامية..كما أنها تعتبر مخيفة بالنسبة للمشروع الغربي أكثر من الصين التي رغم امتلاكها عوامل القوة إلا أنها تبقى

حضارة محلية مثل اليابانية والهندية،في حين تمتلك الحضارة الإسلامية مشروع يقظة ولديها إمكانات عطاء شديدة خارج الحدود وبالتالي فهي منافسة للحضارة الغربية.

غزوة الأحزاب

وفي اعتقادي فأن اللحظة الراهنة تعيد إلى الأذهان صورة غزوة الأحزاب في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين كانت القبائل العربية تعيش على الصراعات فيما بينها وهي قبائل مشركة واليهود أهل توحيد وكل هؤلاء بينهم تناقضات شديدة إنما في مواجهة الإسلام اتحد الجميع..والذي حدث الآن أن الصليبية الغربية مع اليهودية الصهيونية مع الأرثوذكسية الروسية مع الكونفوشيسية الصينية والبوذية اليابانية مع الهندوسية الهندية..كل هذه القوى لها مصالح في تحجيم الظاهرة الإسلامية والمد الإسلامي ولها مشكلات مع المسلمين في تركستان الشرقية وروسيا والقوقاز والشيشان والهند وكشمير وأماكن أخرى..ولذلك أتفق العالم على اختلاف تناقضاته ومصالحه في مواجهة المد الإسلامي واليقظة الإسلامية.

وهذا المشهد يعيد إلى الذاكرة محاولة نهضة محمد على، لأنه في مواجهة مشروع محمد علي الذي كان بمثابة تجديد الدولة العثمانية وتجديد الشرق الإسلامي اجتمعت روسيا القيصرية مع فرنسا وإنجلترا وألمانيا وكل هذه الدول التي كانت تتصارع دينيا وقومية ضد هذا المشروع النهضوي.

وبكل تأكيد فأنني أنظر للمرحلة الحالية باعتبارها مرحلة عنفوان الهيمنة الغربية في مواجهة الظاهرة الإسلامية..هذا الموقف الغربي هو موقف لا يعترف بالآخر لأن الغرب على المستوى الديني يريد تنصير المسلمين،وعلى مستوى المشروع الغربي والنظم الغربية والسياسات الغربية يريد احتواء العالم الإسلامي وتحقيق تبعية العالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا وقيميا في المنظومة والمشروع الغربي..وبالتالي فإن فكرة الآخر غير موجودة والنزعة المركزية في الحضارة الغربية لا تعترف بالآخر بل تعتبر الحضارة الغربية هي الحضارة الإنسانية والعالمية الوحيدة..إذن فكرة العولمة هي فكرة الأمركة وفكرة تغريب العالم واجتياح العالم،وهذا كله من منطلق عدم الاعتراف بالنموذج الإسلامي.

صحوة إسلامية

* عفوا،لكن مقارنة ما يحدث اليوم بواقع المسلمين وقت غزوة الأحزاب ومشروع محمد علي هل تجوز! –المسلمون اليوم من الوهن الشديد بحيث لا تجوز مقارنة أوضاعهم بأي من العصور السابقة؟

اعتقد أن شدة الضربات الغربية في العالم الإسلامي تدل على أن العالم الإسلامي يستيقظ، العالم الإسلامي في حالة استضعاف مادي..لكن من الناحية القيمية والروحية ستجد عودة إلى الإسلام من قبل المسلمين..نحن في حالة صحوة إسلامية حقيقية.

* هذا التفسير عكس المشاع من أن الثمانينات كان عقد الصحوة الإسلامية التي يرى البعض أنها تشهد تراجعا منذ نهاية العقد التاسع من القرن العشرين؟

–لا هذا ليس صحيحا، أنا أدعو إلى تأمل المحطات التي نبهت الغرب أخيرا إلى ما يسمى بالخطر الإسلامي من وجهة النظر الغربية..مجلة شؤون دولية التي تصدر في كمبريدج نشرت ملفا في يناير 1991 فيه دراستين،الأولى عن الإسلام والمسيحية والثانية عن الإسلام والماركسية وعللت لماذا أتخذ الغرب الإسلام عدوا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وقالت لأن الإسلام هو الثقافة الوحيدة من بين ثقافات الجنوب القادرة على تحدي الثقافة الغربية!

* لماذا؟

–ذكرت دراسة مجلة شؤون دولية أن العلم الحديث والتصنيع جعل الإيمان الديني يتراجع في كل المجتمعات،لكن الغرب أكتشف أن الإسلام استثناء وحيد ومدهش جدا من هذه القاعدة..فالإسلام مستعص على العلمنة وهو الآن أقوى في قلوب أبنائه عن مائة سنة سابقة،وثبت أنه يمتلك مواهب للتجديد والتحديث الداخلي وبالتالي ليس مضطرا أن يقف ذليلا أمام النموذج الغربي وأن يستعيره!

إذن أكتشف الغرب أن الإسلام لم يتآكل بسبب المجتمعات الصناعية والعلم الحديث،وإنما بالعكس أصبح يستيقظ والناس تتعاطف نحوه وتتعلق به أكثر مما كان يحدث في القرون الماضية؟

* أنت تؤكد إذن أن الضعف الذي يكاد يعصف بالعالم الإسلامي ليس إلا ضعفا ظاهريا؟

-ضعف في الجوانب المادية، أنت عندما تشاهد منظومة الأسرة ومنظومة القيم في العالم الإسلامي وقارنتها بمثيلها في العالم الغربي تجد أن لدينا غنى شديد، والتدين نفسه الفروقات فيه كبيرة بيننا والغرب، لدينا الناس مؤمنة بكل جوارحها وروحها وهم الغالبية في المجتمعات الإسلامية بينما الذين يؤمنون بوجود أله لا تتعدى نسبتهم 14% في المجتمعات الغربية، والذين يذهبون إلى الكنائس (بموسيقى الجاز والرقص) لا تتجاوز نسبتهم 10% ..كما أنك عند المقارنة مع الغرب ستجد أن أعلى نسبة للعنف ضد النساء في الغرب،وأعلى نسبة للاغتصاب في الغرب،وأعلى نسبة للقلق والانتحار لديهم أيضا..المواطن الغربي العادي عندما يعلم بالإسلام يعتنقه لأنه أصلا لم يكن له دين، العلمانية قتلت فيه الدين.

عندما ترى هذا الواقع في الغرب وما لدينا في العالم الإسلامي تجد أن الأمة الإسلامية بالفعل أمة تستيقظ،رغم أن هناك عشرات المشكلات والعقبات والرواسب والموروثات وخصوصا في النظم والحكومات والتبعية للغرب، فكل هذه مشكلات موجودة أمام الصحوة التي ما زالت قوية لكنها في حالة ثبات.

بالإضافة إلى ما سبق ستجد أن محطة الثورة الإيرانية كانت من ضمن المحطات المؤثرة فيما يتعلق باكتشاف الغرب لهذه الحقيقة،وأذكر مما قرأته من الكتابات الغربية عقب الثورة الإيرانية أنهم قالوا "لقد فوجئنا بأن الإسلام لا يزال حيا وأنه القادر على تحريك الجماهير وعلى بناء دولة" ذلك أنه قبل الثورة كان الغرب يعتقد أنه بعد حوالي القرنين من الاستعمار فقد المسلمون القدرة على بناء دولة!

وأذكر أيضا من القراءات عندما كتبت دراسة عن المؤتمر الذي عقد في أميركا عام 1978 لتنصير المسلمين وجدت أن من دواعي عقد المؤتمر واختراع أساليب جديدة للتنصير المظاهرات التي قامت في مصر تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، وكان ذلك في منتصف السبعينات وقبل قيام الثورة الإيرانية، وأيضا من العوامل التي دفعتهم للإسراع في تنصير المسلمين اتجاه باكستان لتطبيق الشريعة الإسلامية.

فكرة الإسلام كدين ودولة فاجئت الغرب لأنهم كانوا قد تصوروا أن الإسلام دجن وأن المسلمين قبلوا بفصل الدين عن الدولة وأن الإسلام صار لونا من النصرانية..كان

يعتقدون أن المسلمين قد تركوا الدنيا وانكفئوا على العبادة فقط،لكنه فجأة أكتشف حيوية الإسلام كدين ودولة.

وعندما كتب هنري كيسنجر "انتهزوا الفرصة" في أواخر الثمانينات قبيل سقوط الاتحاد السوفيتي وعرف ما يسمونه بالأصولية فقال هي التي تريد بعث الحضارة الإسلامية..تطبيق الشريعة الإسلامية..أن الإسلام دين ودولة..وهم ثوار وليسوا محافظين لأنهم ينظرون إلى المستقبل ويستلهمون الماضي ولكنهم لا يريدون العودة بالعربة إلى الماضي.

إذن مشكلة المشروع الغربي مع الإسلام في كون الإسلام دين ودولة وأنه استعصى على العلمنة وبالتالي فإن عقيدة المسلم تريد تحرير عقيدته، الأرض والثروة وأن يجعل الدنيا للمسلمين أيضا.

حرب دينية

* إذن في ضوء ما عرضته..هل ما يحدث بيننا والعالم الغربي حاليا حرب دينية أم مجرد مأزق تاريخي من الممكن تفاديه أو التعامل معه؟

نعم،هذا ينقلنا إلى زاوية جديدة ذلك أن البعض يشكك في عداء الغرب وعداء أمريكا للإسلام،ويقول أنه ليس عداء للإسلام وليست حربا على الإسلام وإنما هي حرب مصالح..وهذا صحيح لأن الغرب براجماتي ونفعي ودينه هو المال والمصالح، لكن دائما وأبدا عبر التاريخ وفي كل المجتمعات والحضارات سنجد أن المصالح لا تنفصل عن الأفكار..وعلى سبيل المثال عندما كانت الدولة الرومانية تحتل مصر حاربت المسيحية واضطهدت المسيحيين المصريين طوال ستة قرون لأن المسيحية كانت تمثل ذاتية مصر وعامل من عوامل تحررها وكان قهر هذه المسيحية هو تحقيق لمصالح الدولة الرومانية في مصر..أيضا الحروب الصليبية وقد كانت تريد احتلال الشرق إلا أنها تمثلت بالدين واستخدمت غطائه.وفي العصر الحديث كان الهجوم على الدولة العثمانية وعلى فكرة الخلافة سبيل لتقسيم العالم الإسلامي واحتوائه، بل إن الحرب على حركات التحرر الوطني في العالم العربي أخذت شكل الهجوم على القومية العربية..إذن كانت المصلحة دائما ما ترتبط بالفكر..الغرب

عندما حارب الشيوعية كان في ذلك يدافع عن النظام الرأسمالي لكن حربه كانت ضد أيديولوجية.

ووفقا لتلك الأحداث التاريخية ستجد أن الذين ينكرون وجود حروب دينية هم بلا شك مخطئون..صحيح نحن ضد الحروب الدينية لكنها موجودة وتمارس ضد المسلمين،مثلما نحن ضد الحروب بصفة عامة إلا أن ذلك لا يلغي وجودها بل ويفرض علينا القتال كما يقول الله في القرآن "كتب عليكم القتال كما كتب على الذين من قبلكم" فالمسلمين لا يريدون أن يقاتلوا إلا إذا اعتدي عليهم أو على دينهم..هناك فارق دون شك بين ما نريد وما هو واقع وموجود..نحن لا نريد صدام حضارات، لكنه موجود.

إذن هناك استخدام للدين في الصراعات وتحقيق المصالح، فمثلا وفي إطار الحضارة المسيحية..أمريكا الشمالية تعتبر أمريكا الجنوبية هي الفناء الخلفي لها،والأرجنتين دولة كاثوليكية لكن أميركا البروتاستنتية تبشر بمذهبها هناك واستطاعت تحويل أكثر من 30% من أهل الأرجنتين إلى المذهب البروتستانتي.

أمريكا تريد التبشير أيضا في روسيا والكنيسة الروسية جعلت البرلمان الروسي (مجلس الدوما) يصدر قانون ديني يمنع التبشير بالمذاهب الغربية..إذن حتى في داخل الحضارة الغربية يستخدم الدين في تحقيق المصالح لأنه ليست هناك مصالح عارية،ولا تتحقق الأموال والثروات بدون أفكار ولذلك فقد أرتبط الغزو الثقافي الأوروبي بالغزو الاستعماري..الغرب والاستعمار في حاجة إلى إقناع المستعمرين بتأييد هذه التبعية وهذا النهب.

ومن خلال تجارب التاريخ نتعلم أيضا أن احتلال الأرض لا يمكن أن يتم إلا باحتلال العقول وجزء من احتلال العقول هو الدين والفكر الديني..والغرب في صراعه ضد الإسلام ينظر إلى الدين الإسلامي باعتباره الجامع الموحد للأمة والطاقة المحركة لها وأنه يجب أولا أن يعمل على تفكيك هذا الجامع حتى يحقق هدفه في شرذمة المسلمين وهزيمتهم واستسلامهم.

والحديث على أن الصراع هو صراع مصالح وليس صراع أفكار وأديان هو حديث وهمي..الغرب لا يريد الصراع ضد الإسلام لأنه يريد إدخال المسلمين جنة النصارى،

إنما هو يريد مصالح في العالم الإسلامي ويعادي الإسلام لأنه سياج للمصالح الذاتية والقومية والحضارية والنهضوية للأمة.

جنة الغرب

* الغرب وجد إذن أن مشروعه في العولمة الاقتصادية لن يتحقق إلا بعولمة الآخرين ثقافيا أيضا؟

نعم العولمة الثقافية والدين جزء أساسي من هوية الأمة..الدين واللغة والتاريخ ثالوث يعادي دائما الهيمنة الاستعماري،وهذا ما فطنت إليه فرنسا خلال احتلالها الشمال الأفريقي حيث غيرت وبدلت في عناصر الهوية هذه من لغة ودين والشريعة..الحرب على الإسلام إذن ليس هدفها إنقاذ المسلمين من الكفر وإدخالهم الإيمان والجنة، ليس في المسألة حبا في خلاص المسلمين وإنما هي حب في ثروتهم وفي الهيمنة عليهم ومحاولة ضرب السياج الفكري والعقدي الذي يحمي المصالح الإسلامية والطاقة التي تحرك الأمة في معارك التحرر الوطني.

لذلك ينبغي التمييز بين موقف الغرب من الإسلام في نقطتين، الأولى تتعلق بموقف الإنسان الغربي من الصراع،والثانية هي المشروع الغربي الذي يعادي الآخرين.. الإنسان الغربي ضحية للإعلام الغربي..ولذلك مشكلتنا ليست معه وليست مع العلوم الغربية لأنها علم عام يجب أن نسعى إليه ونتتلمذ عليه..مشكلتنا مع المشروع الغربي ومنه المشروع الديني الذي يتلخص في بناء الكنائس والتنصير والتي تطمح لاجتثاث الإسلام كله من أساسه، الإسلام كحضارة وعقيدة وشريعة وقيم لأنها تريد إحلال المسيحية مكانه وهذا الطموح في التغريب وفي العولمة ذو سقف عال.

أما الحكومات الغربية فهي لا تريد الحرب على العقيدة ولا على الشعائر أو العبادات الإسلامية، إنما تريد تحويل الإسلام إلى صيغة مشابهة للنصرانية لا علاقة لها بالدنيا، فهي تتركنا لنصلي كما نريد ونصوم كما نحب ونتدروش إذا شئنا، لكن على أن تبقى دنيانا تابعة لهم ليأخذونها، فالمراد أن تبقى لنا الآخرة شريطة أن يأخذوا الدنيا ومن فيها وما بها.ولذلك فإنه في الأيام الأخيرة ستجد أن هاتنغتون وفوكوياما وضعوا القضية في وضعها الحقيقي وقالوا أنه لابد أن يقبل المسلمون الحداثة

والعلمنة التي هي فصل الدين عن الدولة، هذا هو الهدف بالنسبة للمشروع السياسي الغربي والحكومات الغربية.

وإذا كانت النصرانية الغربية والكنائس تعادي العقيدة الإسلامية فإن الحكومات الغربية والأميركية،قد لا يهمها هذا كثيرا إنما الذي يهمها هو وأد الإسلام كشريعة وجهاد مقاوم للغرب والمصالح الغربية،فهذا هو العدو الذي يجب أن تشن عليه الحرب وتجيش ضده الجيوش.

كما أنني أريد أن أضرب مثلا بالحرب التي يشنها الغرب ضد واحد من الأنظمة العربية المعتدلة لأنه تعدى الحدود المسموح بها وصارت له مداخلات خارج حدود العقيدة ..فعندما كان دوره محصورا في ضرورة إطالة اللحى وتقصير الثوب لم تكن هناك مشكلة مع الغرب، لكن عندما بدأ يتحدث عن الجهاد وتحرير الأرض فقد تحدثت بذلك عن الدنيا ولهذا صار الغرب يعاديها ويتهمها بتفريخ الإرهاب وذلك ما لم يكن يحدث عندما كانت تغيب الدنيا بل كانت موضع ترحيب.

لابد أن ندرك ما يحاك لنا،فالحرب ليست على مطلق التعليم الديني إنما على الموقف من شارون واليهود وما حواه القرآن والسنة، وكذلك قصص الغزوات ضد اليهود والجهاد لتحرير الأمة..إنما الإسلام العبادي والشعائري ليس هو ما تريد رأسه أمريكا، بل تريد رأس الإسلام المجاهد والمقاوم..الإسلام الطاقة المحررة للأمة الذي يبحث عن التميز الحضاري والعزة الحضارية والاستقلال.يجب أن نفض الاشتباك الوهمي بين الذين ينكرون صراعات فكرية وحضارية وبين الذين يقولون بوجودها قبل أن نحدد مواطن الخلاف.

المعركة التي تدور الآن هي معركة المشروع الغربي والنظام الأميركي ضد كون الإسلام رافض للعلمنة،وهذا ما ذكره حرفيا فوكوياما في مقالة الأخير المنشور بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، حيث قال أن الفاشية الإسلامية،كما سماها، رافضة للحداثة ولمبدأ العلمنة لأنه يعتبر أن الديموقراطية الغربية هي ثمرة للمسيحية لأنه يعتبر الديموقراطية للشعب وليس للشريعة في ظل مبدأ فصل الدين عن الدولة..الغرب إذن واضح في تحديد مقاصده، لكن للأسف الشديد نحن لا نقرأ وإن قرأنا لا نفهم.

ما أريد التأكيد عليه أن النزعة الصراعية جزء من مكونات الحضارة الغربية،فالنظريات الأساسية التي صنعت الحضارة الغربية قائمة على الصراع، سواء عند داروين (صراع الأحياء والأقوى هو الأصلح)،أو في الحياة الاجتماعية حيث صراع الطبقات ولابد أن تزيح طبقة الأخرى حتى ترث المجتمع، حتى في التاريخ عند هيجل سنجد أن الحداثة تنسخ ما قبلها وكل عصر ينسخ ما قبله..الحضارة الغربية إذن حضارة صراعية وعندما اجتاحت العالم واستعمرته كانت تعتبر أنها تقوم برسالة حضارية، عندما يتم تغريب العالم وإزالة الموروث الثقافي للمسلمين وغير المسلمين يعتبرون أن ذلك أمر طبيعي لأنه تمدن ولأنه يأتي في إطار نظرية البقاء للأقوى لأنه الأصلح..ولذلك عندما يفرضون علينا منظومة القيم المنحلة التي تتبعهم يعتبرون أن ذلك تمدنا ويتعجبون لعدم قبولنا هذه المنظومة.

1000كتاب

* كيف إذن نتعامل مع الآخر وما هو الخطاب الأمثل الذي يجب أن نتحدث به؟

–نحن مطالبون بتبليغ الدعوة وإقامة الحجة وإزالة الشبهة،كما أننا في حاجة إلى تقديم الإسلام بشكل منظم وموضوعي،لذلك اقترح عمل مشروع ألف كتاب إسلامي ويتم اختيار هذه الكتب من فكر الإحياء والاستنارة على مدى القرنين الماضيين بحيث نكون مكتبة تستطيع أن تجيب على علامات الاستفهام والأسئلة التي تملأ الفراغات الموجودة سواء كانت في العقيدة أو السيرة والسنة.

* هل لديك خطة لتنفيذ هذا المشروع؟

–ليت المعنيين بصورة الإسلام في الغرب يقللوا من الندوات التي لا تضيف شيئا ويتبنوا مثل هذا المشروع،وأتصور لو أن هناك مؤسسة تبنت مثل هذا المشروع وطبعت هذه الكتب وقدمتها للدعاة والمثقفين وطلاب العلم في بلادنا، ثم ترجمت إلى اللغات المختلفة فإنها سوف تلعب دورا رئيسيا في تقديم الصورة الحقيقية للإسلام في الغرب الذي رغم ما حدث فإن دخوله إلى الإسلام يتزايد هذه الأيام بعدما بدأ يقرأ عنه نتيجة تزايد الهجوم عليه حديثا.

ردود فعل

* هل تعتقد أننا في هذه الحرب التي أطلقت عليها الصبغة الدينية سنظل خاسرين على طول المدى؟

-بالعكس اعتقد أن الصلف الأمريكي والهيمنة الأمريكية ستضر بها،الأمريكيون ليسوا أمة وليسوا شعب له تاريخ..ما يفعلونه اليوم لا يخرج إلا من عقلية رعاة البقر، وهم يتصرفون الآن في العالم كله بمنطق رعاة البقر..وفي الحقيقة أنه لا يكفي أن تكون هناك قوة فرعونية ووفرة قارونية لكي تكون هناك حضارة وقبول في العالم كله..الأمريكيون في الحقيقة مجرد رعاة بقر يمتلكون قوة فرعون ووفرة قارون، وهذه ليست مؤهلات لحكم العالم..ونحن لو رتبنا البيت العربي من الداخل نستطيع أن نكسب العديد من القوى التي تحالفت بشكل مؤقت مع المصالح الأمريكية لأن التناقضات بينهم أعمق من هذه المصالح..في رأيي فإنه يجب تهدئه الصراع بين المسلمين وهذه القوى في سبيل مواجهة الخطر الأكبر الذي يأتي من الهيمنة الأمريكية،وأتمنى من المنظمات العربية والإسلامية أن تعي مثل هذا وأن تسعى إلى تحقيقه

وردود الفعل للتصرف الأمريكي سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه ستكون حادة والقواعد الثلاثة عشر التي يقال أنهم أقاموها في منطقة وسط آسيا لن تحمي القوات الأميركية..ما أخشاه أن يولد ما تفعله أمريكا حاليا تطرفا أكثر..فالتدخل في التعليم الديني ضرب في العظام واختراق وتجاوز للخطوط الحمراء،وهذا سوف يولد رد فعل عنيف ضد الولايات المتحدة الأمريكية،وهذا ما لا نتمنى حدوثه سواء الفعل أو رد الفعل.

==============

#الإسلام والعولمة.. صراع أم حوار؟!

الإسلام دين العالمية لا العولمة

* جمال البنا

ما أن ظهر الاسلام حتى ظهرت طبيعته ((العالمية)) في صورة مصغرة أو ((جنينية))! كما يقولون فمن الأيام الأولى كان حول الرسول سلمان الفارسي وصهيب الرومي (بالإضافة إلى جارية رومية عذبت واستشهدت في سبيل الاسلام)

وبلال الحبشي لقد آخى الاسلام بينهم وصهرت روحه القوية فوارق الدم والجنس فيهم كما كان حوله الرجال والنساء والأطفال أحراراً وعبيداً.

صحيح أن دعوة الاسلام بدت أولاً محلية، ولكن هذا كان في ترتيب البدء بالدعوة لأن هذا هو ما يقتضيه طبيعة الأشياء فقد بدأت أولاً (أنذر عشيرتك الأقربين) ثم (أم ((القرى حولها)) ثم جاء الأنصار، وأرسل الرسول إلى الأنصار معلمين، ثم بدأت الهجرة إلى المدينة إرسالاً كللت بهجرة الرسول).

وعندما استقر الرسول بالمدينة كان من أعماله الأولى المؤاخاة التي قام بها بين المهاجرين والأنصار فقرن كل واحد من المهاجرين بواحد من الأنصار اعتبره أخاه، ووصل كرم الأنصار، وثقتهم في هذه المؤاخاة إلى الدرجة التي كان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يطلقها.

وكانت الثانية هي ((صحيفة الموادعة المشهورة)) التي جمعت الفئات اليهودية داخل إطار ((أمة المدينة)) ورتبت عليهم واجبات كما منحتهم حقوق مثل واجبات وحقوق الأنصار.

وتعد صحيفة الموادعة من أولى المعاهدات إن لم تكن أولى المعاهدات التي تترفع فوق حواجز الدين وفوارق الجنس وتمنح الجميع حقوقاً وواجبات متساوية..

ومع الزمن كانت الطبيعة العالمية للاسلام تتضح وكانت نصوص القرآن صادعة بذلك، وحدت الآيات التي يتصدرها (أيها الناس) محل الآيات التي توجه إلى المؤمنين.. والتي تصرح ببعثة الرسول ((إلى الناس جميعاً)) وتصف ((عالمية الاسلام)).

(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الأعراف: 158.

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: 107.

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ: 28.

وسلك الاسلام طريقة (حضارية) سلمية في الدعوة لعالميته، تلك هي الخطابات التي أرسلها الرسول إلى ملوك الدول المعروفة وقتئذ الروم والفرس ومصر وكانت هذه الكتب تدعو هؤلاء الحكام للإيمان بالاسلام أو تحملهم مسؤولية إبقاء جماهيرهم في ظلمات الكفر إن رفضوا..

وكما هو معروف فقد رفض الجميع باستثناء المقوقس الذي لم يرفض ولم يقبل وأهدى إلى الرسول هدايا.

وأتم الخلفاء الراشدون ما بدأه الرسول عندما أرسل رسله فجوبه بالرفض، ذلك أنه كان يَسعَ المسلمون وليس لديهم قوة أن يقنعوا بتبليغ الملوك ولكن عندما توفرت لهم القوة كان لا بد من تبليغ الشعوب والجماهير، والمجتمع الكافر بصفة عامة برسالة الاسلام..

ذلك أن التبليغ برسالة الاسلام جزء لا يتجزأ من عالمية الاسلام باعتباره الرسالة الخاتمة.

ولننظر سوياً إلى هذه الآيات الكريمة:

(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على النس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة: 143.

(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) النساء: 41.

(ويوم نبعث في كل أمة بشهيد عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل: 89.

(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الحج: 78.

إن هذه الآيات عظيمة الدلالة فيما نحن بصدده لأنها تؤكد عالمية الاسلام بما تفرضه من واجب إشهاد الأمم على الاسلام، وهي:

1 . تؤكد عالمية الاسلام.

2 . تثبت هذا التأكيد بإيجاب تبليغ رسالة الاسلام وإن يكون المسلمون شهوداً على هذا.

3 . ينتهي الوجوب عند هذا . وليس فرض الاسلام لأن رسالة المسلم، ورسالة الاسلام . تقف عند التبليغ أما إيجاب الإيمان أو فرضه فهذا ما يخالف أصول حرية العقيدة في الاسلام، وما تثبته قاعدة قبول الجزية . في حالة الحرب، وانتصار المسلمين..

ولقائل أن يقول ألم يكن هناك طريقة أخرى لتبليغ رسالة الاسلام سوى الجيش؟ فضلاً عن أن الجيش يتضمن أكثر من التبليغ . فنقول بعد أن كتب الرسول إلى الملوك، وبعد أن رفض الملوك لم يكن هناك طريق لإشعار المجتمع بن هناك ديناً اسمه الاسلام يعرض على الشعوب إلى هذه الطريقة. لم يكن هناك إذاعات خارجية أو تليفزيونية أو صحافة أو إنترنت أو أي وسيلة للاتصال بالناس.. والطريقة الوحيدة الفعالة والمؤثرة والتي تدفع الملوك والحكام للتحرك هي الجيش.

على أن هناك نقطة دقيقة يجب إيضاحها ذلك أن الاسلام كما هو عقيدة دينية، فإنه أيضاً عدالة دنيوية، وقيم حضارية، وقد استبعد الاسلام نهائياً فرض العقيدة الدينية بالقوة ليس لأنها تخالف طبائع الأشياء فحسب ولا لأنه لا قيمة لدين يكره عليه صاحبه ولكن أيضاً لأنه يخالف النصوص القرآنية الصريحة في أن الله تعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة وأن الهداية مردها إلى الله (إنك لا تهدي مَن أحببت، ولكن الله يهدي مَن يشاء).

ولكن من ناحية أخرى فإن نظم الجبروت والطغيان والطبيعة التي قام عليها العالم القديم وبنى عليها الفرس والرومان نظمهم. هذه النظم التي سحقت الجماهير وقضت عليهم بالاستعباد وحرمتهم كما يقولون، الحقوق الأساسية للانسان وكانت الحرب تعني تدمير هذه النظم الطاغية وتحقيق العدل الاسلامي للجماهير، مع منحها حرية الاحتفاظ بدينها وفي نفس الوقت يكفل لهم الجيش الاسلامي الحماية مقابل تقديم جزاء لهذا، وهي ((الجزية)) التي اشتقت من مادة الجزاء.

هنا نجد أفضل صورة للعالمية، صورة تعرف الناس بدين يستبعد عبادة الأحبار . والرهبان والملوك والطغاة، ويعرض عبادة الرحمن الرحيم الخالق الكريم رمز القيم والمثل الغائبة والإيمان برسول أرسله الله رحمة للعالمين.. ولكن هذا العرض لا يعني، . كما أشرنا . الإجبار، أنه مجرد عرض، دور المسلمين فيه أن يكونوا شهداء عليه.

وفي الوقت نفسه فإن تطبيق القيم الاسلامية والنظم الاسلامية التي تقوم أساساً على العدالة وتستبعد كل صور الظلم والطغيان تحرر المجتمع وتفتح أبواب الحرية وآفاق المبادرات للأفراد جميعاً..

يتضح مما سبق أن للاسلام ((عالمية)) وضعها تطبيقاً لتوجيه القرآن (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: 13.

وهذه العالمية لا تقف أمامها حدود أو سدود وهي تنظر إلى الناس جميعا دون تفرقة بين أبيض وأسود. ذكر وأنثى، والاسلام يجد من واجبه أن يعرف ناس هذه العالمية بالاسلام كعقيدة دينية وعدالة دنيوية وقيم حضارية فالمسلمون هم حملة رسالة عليهم أن يبلغوها، وفي العهود الماضية لم يكن ذلك متيسراً بغير العمل العسكري الذي يشعر الجماهير به، فضلاً عما يتمخض عنه من حرب، أو إيمان، أو موادعة تكون كلها لها آثار بعيدة المدى إن لم يكن في إسلام هذه الأقوام فعلى الأقل تعرفهم على قيم الاسلام، وبالتالي ثورتهم على قيم الطغيان والجبروت.

ولكن العصر الحديث وضع في أيدي الدعاة وسائل للدعوة والتبليغ أبعد مدى وأكثر أثراً من أي وسيلة أخرى، وأتصور أن هذه هي وسيلة المسلمين للدعوة وأنها هي البديل عن الجهاد الذي لم يكن له بديل من قبل.

فعالمية الاسلامية عالمية حضارية تقوم على أسس وقيم الاسلام الحضارية سواء كان في مجال العقيدة أو في مجال النظم.

ومرة أخرى قد يقول قائل: ليس في هذا جديد فالمسيحية، يمكن أن تدعى مثل هذا الدور وهذا صحيح إلى حد ما لأن المسيحية والاسلام أخواعلات، كما يقولون: أي من أب واحد وأمهات شتى ولا يستشعر الاسلام حساسية، ذا قامت المسيحية بتعميم قيم الحب والخير بين الناس جميعاً والفرق الوحيد أن الاسلام أكثر أحكاماً من المسيحية سواء في عقيدة الألوهية الخالية من التعقيد الكهنوتي، أو في النظم التي تقوم على العدل..

خلاصة القول أن الاسلام بطبيعته عالمي وإن عالميته تقوم على التعريف به، وما فيه من قيم وأن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ الأمم الأخرى بأديانهم لأن الاسلام وإن كانت عقيدة من ناحية فهو نظام في ناحية أخرى وقاعدته العامة هي الآية: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

وهذه الآية هي التي تجعل الاسلام عالمياً، وتجعله في الوقت نفسه يرفض العولمة المزعومة لأنها تجعل من قادة المجتمع الأوربي الأمريكي أرباباً من دون الله وتملي على شعوب جماهير العالم الثالث التسليم لها.

ذلك أن العولمة التي يدعون إليها ليل نهار ليس إلا الصورة الأخيرة من الهيمنة الأوربية على العالم.

وقد سبقتها عولمة ((الإمبراطورية الرومانية)) وما يطلقون عليه ((السلام الروماني)) وكان سلاماً يقوم على السيف الروماني العريض الذي قهرت به الجيوش الرومانية العالم القديم وفرضت نفسها عليه وتحكمت فيه تحكم فاتح يرى أن كل ما في المدينة المفتوحة من أرض، ومال، وعقار وناس هم ملك له بحق الفتح...

وانطوت تلك الصفحة لتظهر صفحة أخرى من العولمة الأوربية: عولمة تقوم على تقسيم العالم بين الدول الأوربية طبقاً لاتفاقات في مؤتمرات دولية وكان شعار هذه العولمة وأداتها ((الأسطول البريطاني التي وصلت بوارجه إلى أقصى مواني العالم وقصفت قلاعه.

واليوم تأتي جولة جديدة في المعركة نفسها تأتي العولمة التي لا يكون سلاحها السيف الروماني العريض ولا الأسطول البريطاني العتيد، ولكن التكنولوجيا السحرية وما أوجدته من مَرَدة، مثل الكمبيوتر، والأقمار الصناعية، والتليفزيون، وغيره مما زلزل المقومات والقيم والتقاليد والخصوصيات، ولم يجعل هناك ما يمكن أن يقف في وجه هذه المردة، فالسماوات نفسها مفتوحة أمامهم، وفي الأرض غزوها غرف النوم فيها في كل مكان من؟ أجهزة التليفزيون ويتطلع الأفريقي في غابته على إحدى الأزياء الباريسية وآخر المسلسلات الأمريكية.

والهدف الوحيد الذي تعمل له كل قوى العولمة هو أن يصبح العالم سوقاً واحداً مفتوحاً، دون جمارك أو حمايات، بحيث يمكن للمنتجات الأوروبية الأمريكية ((المتلتلة)) أن تجد لها مشترين، وأن يتم هذا على أنقاض الصناعات والمنتجات القومية التي لا تتمتع بمزايا المنتجات الأوربية الأمريكية. أما قضية الثمن فليست مشكلة. إذ يمكن التحكم في عملات الدول كما يشاء تجار العملة.. كما يمكن اللجوء في المرحلة الأولى إلى أسلوب الإغريق أولاً، أي النزول بثمن السلعة إلى ما دون

التكلفة لفترة معينة تبور فيها كل السلع القومية، وتفلس مصانعها لتعود هذه الدول فترفع في الأسعار كما تشاء، بعد أن انفردت بالسوق..

وتقوم الإعلانات في الجرائد، وفي التليفزيون بحرب أعصاب حقيقية تحطم فيها مقاومة المستهلك بحيث تفصل السلعة بالمعلن عنها عن سلعته، بل يجد نفسه منساقاً لشراء السلعة المعلن عنها حتى ولو لم تكن رغبة الصحيفة.؟

وبهذه الطريقة ينقسم العالم إلى نخبة فوقية هم سكان الدول الأوربية/ الأمريكية. ومستهلكين هم الدول الأخرى...

ولما كانت شعوب دول العالم الثالث لا تستطيع الشراء إلا عندما يتوفر لها عمل وتحصل منه على نقود، فإن العالم الأوربي/ الأمريكي يدخر لها أدنى الأعمال وأقلها كسباً وأكثرها ناء، وبذلك يرفع عن نفسه القيام بهذه الصناعات والحرف أو بخس الأجور فيها . لأنه لا يريد بخس الأجور في بلاده وبهذا يكسب مرة أخرى ولا يؤثر فيه أن إنقاص الأجور في العالم الثالث سيؤثر على قوته الاستهلاكية، لأن عددهم بمئات الملايين، ولأن إغراء السلع الجديدة، وتأثير الدعاية والإعلان تجعل عمال الدول النامية تخيف على غذائها وكسائها وثقافتها في سبيل الحصول على التليفزيون الذي يشبع المتعة ويعرض ما يقوم بدوره في الإشباع العاطفي حتى بدور الممارسة العاطفية.

وإذا كانت العولمة الرومانية تعتمد على السيف، وعولمة الاستعمار تعتمد على الأسطول، فإن لدى العولمة الحديثة ترسانة كاملة من الأسلحة، فبعد ظهور الآثار السيئة لاقتصاديات الشركات متعددة الجنسية أو عابرة القارات تلتمس الدولة مساعدة صندوق النقد الدولي الذي يتقدم ((بوصفة)) معروفة تتضمن تخفيض العملات، وتقليص الإعانات والخدمات الاجتماعية وخصخصة الشركات وترك آليات السوق حرة في العمل، ويقدم الصندوق لقاء إجابة هذه الشروط معونات نقدية بفوائد متفاوتة، وما أن تتقبل الدولة ذلك حتى تجد نفسها وقد أصبحت أسيرة الصندوق لا تملك لنفسها شيئاً، فقد أطلقت عنان الرأسمالية التي لا تعرف إلا الربح والمنافسة القاتلة، وأسوأ شيء أنها تعجز عن سداد الديون وتتراكم الفوائد ويصبح هم الدولة تسديد الفوائد التي فاقت أضعافاً مضاعفة الدين الأصلي..

لقد أصبح واضحاً أن الهدف الرئيسي للعولمة المزعومة هو القضاء على سلطة وقوة الحكومة خاصة في المجال الاقتصادي، بحيث تصبح الدولة تحت رحمة صندوق النقد الدولي، واقتصاديات الشركات الكبرى التي تزيد مالية إحداها عن عشرين أو ثلاثين دولة من دول العالم الثالث، بحيث لا تستطيع أن تقدم شيئاً لشعوبها، أو تصد غائلة الرأسمالية الدولية أو تعينها في محنتها لأن هذا كله يخالف مبادئ الاقتصاد الحر كما يزعمون.

ومن ترسانة العولمة الحديثة ((العقوبات الدولية التي تفرضها أمريكا باسم دول العالم على مَن تشاء طبقاً لمعاييرها الخاصة، فتترك إسرائيل تصنع مئات الرؤوس النووية وتضرب العراق، والسودان لمظنة أن لها نشاطاً ودراسات نووية، وقد سلطت العقوبات الدولية على ليبيا، فلم تستطع مصر، وهي أقرب الدول إليها أن تفعل شيئاً لها.

وكان وجود الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية يعوق انطلاقة وحش العولمة، فلما تهاوى الاتحاد السوفيتي انفردت الولايات المتحدة وانفسح أمامها المجال لأسوأ صور الاحتكار والعربدة.

وأعتقد أن من الضروري لمجموعة الدول الاسلامية أن تتكتل لمقاومة هذا الوباء، ولن تعجز من أن تجد حلفاء لها من الدول التي حاقت بها نقمة العولمة لوضع حد لهذا الابتزاز والتحكم والهيمنة.

===============

#مستقبل الأحوال العربية فى منظور غربي/سيد يوسف

يبدو أن سرعة التغير باتت أكثر مما اعتاده الناس فى السنوات الماضية يشهد على ذلك نمو بعض الدول الآسيوية وتأخر الدول العربية وصعود نجم الهند إيران والصين، وبعض الانقسامات فى حلف الأطلسي، ونمو اتجاه العولمة والإرهاب، والنجاحات التى يحققها تيار الإسلام السياسى، وانحسار الاتجاه العلمانى فى الدول العربية ...إضافة إلى مفردات أخر.

ولعل تلك المتغيرات قد حدت بالمجلس القومي الاستخباراتي NIC التابع لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA...إلى تبنى مشروع ""خريطة العالم لعام

2020" والتى قدمت ترجمته الباحثة شيرين حامد فهمي والذى نشر فى موقع إسلام أون لاين نذكر منه ما يتصل بأحوال أمتنا العربية نتبعه بتحليل موجز لبعض مفرداته حسبما يقتضيه المقام.

كانت أهم مفاتيح التغيير الواردة بالمشروع :

(1)

عولمة الاقتصاد وسيولة التكنولوجيا كما يلى:

* يتوقع ريادة الصين والهند للقارة الآسيوية كلاعبين عالميين جديدين بما سيؤدى ذلك إلى أحداث دراميـة... مع توكيد أن كيفية استخدام هاتين الدولتين لقوتهما المتصاعدة سيظل قيد الدراسة والتأمل.

* ويتوقع وجود أزمات شيخوخة فى أوروبا واليابان بسبب متغيرات متعددة منها وجود مشكلة ضخمة تتمثل في زيادة عدد كبار السن من ناحية، ونقص عدد الشباب أو القوى العاملة من ناحية أخرى؛ وهو ما سيؤدي بدوره إلى تأثيرات سلبية على الاقتصاد الأوربي بأكمله، وفيما يخص اليابان فإنها تواجه مشكلة إضافية خلاصتها أن اليابان ستكون مسئولة في السنوات المقبلة عن الخيار بين مهادنة الصين ومشاركتها فيما سيصب في مصلحتيهما وموازنة الصين والوقوف حيالها في توازنٍ وتحدٍّ. ويُضاف إلى الأزمة اليابانية – في المنطقة– الوحدة الكورية المرتقبة في السنوات القادمة التي من المفترض أن تؤدي إلى أزمة هي الأخرى بالنسبة لكثير من الدول الآسيوية

* ويتوقع انتهاء التقسيمات الثنائية من أمثال: شرق وغرب، شمال وجنوب، نام وغير نامٍ، صناعي وغير صناعي، متحالف وغير متحالف...ومن ثم ستفقد التقسيمات الجغرافية التقليدية أهميتها تدريجيا على مستوى العلاقات الدولية، على أن يحل محلها هيكل عالمي من نوع جديد، يقوم على قاعدة المدينة/العالم أو عالم المدن المتضخمة؛ حيث ستكون التكنولوجيا والتجارة هما الرابط الأساسي بين تلك المدن؛ وهو ما سيُزعزع من رابطة الو لاءات، ويجعلها أكثر تخلخلا.

* ويتوقع أن تمثل العولمة اتجاها متضخما (mega-trend)، يملي قوته في كل مكان على وجه الأرض؛ ومن ثم، فإنه من المنتظر أن يصير لمثل هذا الاتجاه

تأثير جبار على جميع الاتجاهات الرئيسية الأخرى التي ستكون –في عام 2020– قد تشكلت وتأطرت وفق النموذج العولمي...مع الوضع فى الاعتبار أن هناك إصرار من الحكومات والمجتمعات المدنية على تغيير أطر العولمة، وإعادة تشكيلها، ومن ثم عدم إبقائها على حالها.

* توقع زيادة كبيرة بدرجة ملحوظة فى الاقتصاد العالمي حيث يفترض أن يكون الاقتصاد العالمي قد ازداد بنسبة 80% عن عام 2000، وأن يكون معدل دخل الفرد قد ازداد تقريبا بنسبة 50%" ، كما يتوقع اقتطاف معظم دول العالم من ثمرات هذا الرخاء ، على أن تكون الثمرة الكبرى من حظ القارة الآسيوية التي سوف تتحكم في أكثر وأسرع الأسواق انتشارا، والتي سوف تتحكم في أكبر عدد من المصانع والشركات عبر القومية؛ هذا إذا ظلت القارة على تطورها الاقتصادي السريع...مع احتمالية كبيرة فى سوء عدالة فى التوزيع.

* يتوقع أن تكون الدول الأكثر استخداما لأحدث أنواع التكنولوجيا هي نفسها الدول الأكثر استفادة من خيرات العولمة... وهذا لا ينطبق على الدول فقط، بل على القوى الاجتماعية أيضا.

* كما يتوقع أن تصير الصين والهند من قادة الدول التكنولوجية في العالم؛ وأن تصير الدولتان من أكبر الدول المتخصصة في التكنولوجيا رفيعة المستوى ، التي من المفترض أن تمثل الثورة التكنولوجية القادمة، وهي تكنولوجيا "النانو" أو المنمنمات.

* ويتوقع أن تصير الشركات عابرة القارات ذات نكهة آسيوية، بعد أن ظلت عقودا طويلة ذات نكهة أمريكية، كما يتوقع أن العولمة ستأخذ سمتا غير غربي في غضون الأعوام القادمة ، وستكون الشركات الآسيوية العالمية هي المحرك الأساسي لنشر التكنولوجيا في مختلف ربوع العالم، كما ستكون المحرك الأساسي للدفع بعجلة النماء الاقتصادي في الدول غير الصناعية.

* يتوقع مزيدا من الطلب على الطاقة حيث ينتظر أن ينمو إجمالي الطاقة المستهلكة إلى 50% في ظل العقدين القادمين، مقارنة بـ34% فيما بين 1980 و2000. فدول مثل الصين والهند – بأعداد سكانها المتنامية– لا بد أن يزيد

احتياجها للطاقة؛ الأمر الذي سيعني انشغالا متزايدا من هاتين الدولتين بمصادر الطاقة؛ وهو ما سيؤثر بقدر كبير على تشكيل سياساتهما الخارجية...أما بالنسبة لأوربا فسيكون تكالبها أكثر على الغاز الطبيعي؛ وهو ما سيُلزمها بالدخول في علاقات إقليمية مع كل من روسيا وشمال إفريقيا لما يتمتعان به من وفرة هذا النوع من الطاقة.

* احتمال تصاعد دور روسى مرتقب... نمو كبير ملفت للنظر فى اقتصاد البرازيل وإندونيسيا.

(2)

سياسات الهوية:

* يتوقع ظهور أشكال جديدة من سياسات الهوية - التي ترتكز أساسا على القناعات والمعتقدات الدينية- سوف تمثل ضغطا على الحكومات ، ففي ظل عالم يتجه سريعا نحو العولمة والكوكبة، وفي ظل عالم تموجه الهجرات السريعة أيضا... يأتي الدين ليلعب دوره في منح أتباعه مجتمعا مهيأ تهيئة كاملة، ليكون عزوة لهم، موفرا لهم "شبكة أمان اجتماعي" في أوقات الحاجة؛ وأكثر ما يلعب الدين هذا الدور في وسط مجتمعات المهاجرين.

* ويؤكد المشروع على مركزية وأهمية الإسلام السياسي من بين جميع الهويات؛ حيث يتوقع لمثل هذه الهوية أن تصير ذات تأثير عالمي جم بحلول عام 2020. فتضافر عوامل عدة في الدول العربية والإسلامية - مثل الفقر وتأثير التعليم الديني وأسلمه النقابات وانتشار المنظمات غير الحكومية ذات البعد الديني- يؤكد على حتمية وصول الإسلام السياسي إلى أعلى درجات الأهمية في سلم الهويات؛ وهو ما يؤهله ليصير أكبر وأهم حركة اجتماعية وسياسية يشهدها العالم.

* وفي الغرب، سيبقى الإسلام السياسي خيارا متاحا أمام المهاجرين المسلمين الذين - على الرغم من كونهم منجذبين للرخاء الغربي ولفرص العمل هناك- يشعرون بالغربة والوحشة وسط الثقافة الغربية التي تناقض ثقافتهم الإسلامية... وأكثر ما يخوف الغرب من الإسلام السياسي هو قدرته على حشد الجماعات الإثنية والقومية

المحبطة، وتفعيلها بعد ذلك لخدمة أهدافه، والمشروع لا يستبعد أبدا قيام الإسلاميين السياسيين بخلق سلطة لهم عابرة لجميع الحدود القومية.

(3)

الدمقرطة تزدهر بالشرق الأوسط:

* إذا كانت الحكومات العربية قد استطاعت كبح جماح الإسلاميين السياسيين في تسعينيات القرن العشرين فإنها لن تستطيع فعل ذلك عام 2020. فهي إن ظلت سلطوية، فستعاني من ضغوط الدمقرطة؛ وهي إن صارت ديمقراطيات مبتدئة وضعيفة، فستعاني من نقص القدرات اللازمة على التطور والتعايش في ظل التحديات.

* ومن المتوقع أن يقل وازع الدمقرطة بحلول عام 2020، فمن المفترض أن تأخذ الدمقرطة طريقها في الانحسار، خاصة في الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتي السابق وفي جنوب شرق آسيا ، إلا أنه من المتوقع على الوجه المناقض، أن تبدأ الدمقرطة في الازدهار بالدول الرئيسية في الشرق الأوسط التي حرمت عنوة، طيلة العقود الماضية، من خوض التجربة الديمقراطية.

(4)

الهجرات

يتوقع تدفق عدد كبير من الجماعات الإثنية في داخل الدولة الواحدة؛ وهو ما يعرض الأخيرة لتحديات جسيمة في كيفية استيعاب تلك الجماعات المتدفقة... بلغة أخرى، إن تزايد عدد الهجرات من شأنه تعريض عدد أكبر من الدول القومية إلى معضلات إثنية، تتمثل في الإشكالية التالية: كيف يمكن امتصاص الجماعات الإثنية في داخل التراب الوطني القومي، واحترام هوياتهم وخصوصياتهم في نفس الوقت؟

* ويتوقع للمؤسسات – التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية– مثل هيئة الأمم المتحدة UN وصندوق النقد الدولي IMF أن تتحول إلى "موضة" قديمة، ما لم تُطبِع وتهيئ نفسها على التأقلم مع التحولات الكبيرة التي سيشهدها النظام العالمي، وأولها بزوغ قوى جديدة.

(5)

انعدام الأمن

من خلال بروز 3 عوامل يتوقع انعدام الأمن العالمي:

* اكتساح العمالة الصينية والهندية للسوق العالمية.

* الصراعات الداخلية أو الحروب الأهلية التي ستصير أكثر تهيجا.

* في بقاء الورقة النووية معلقة في الأفق حيث وما أسهل الحصول علي السلاح النووى في عام 2020!.

(6)

مخاوف غربية وتوقعات

* يظهر المشروع بوضوح مخاوفه من تجاوز "الإرهابيين" لحدودهم المألوفة، واستخدامهم للأساليب غير المألوفة التي قدمتها لهم تكنولوجيا المعلومات على طبق من فضة ، كما يتخوف من نشوء جماعات راديكالية أخرى – على غرار "القاعدة"– واحتضانها للحركات المنشقة المختلفة المنتشرة بوضوح في العالم الإسلامي؛ ويتخوف من تمدد "الأيديولوجية الإسلامية" –كما يسميها– في مناطق بعينها، مثل جنوب شرق آسيا، وآسيا الوسطى، وغربي أوربا.

* كما يتوقع تجاوز تنظيم "القاعدة" من قبل جماعات إسلامية أصولية أخرى حيث يتوقع قيام حركات إسلامية كبرى – تتقارب فكريا وعمليا مع "القاعدة"– بالالتحام مع الحركات المحلية المنشقة؛ وهو ما يرى فيه الغرب خطرا جسيما على الأمن العالمي، وما يزيد الأمر خطورة هو استغلال تلك الحركات لـ"تكنولوجيا المعلومات" بصورة مكثفة ومرعبة في نفس الوقت؛ فعبر هذه التكنولوجيا سيتمكن الإرهابيون من نشر تهديداتهم في كل مكان؛ إذ إنهم لم ولن يعودوا بحاجة إلى مراكز ينطلقون منها لينفذوا عملياتهم؛ فما وفرته لهم هذه التكنولوجيا من اتصالات ومعلومات أغنتهم عن تلك الحاجة؛ ومن ثم، تحولوا إلى مجموعات إلكترونية من الجماعات والخلايا والأفراد. ولذا، فإن كل ما يتعلق بتدريب الإرهابيين، وبتعليمهم المهارات know how المطلوبة، وبدعمهم ماديا، سيصبح متاحا "أون لاين".

* ويتوقع أن أغلب الهجمات الإرهابية القادمة سوف تكون تقليدية، ولكن مع تطويرها للآليات المُستخدمة ضد الجهود الرامية لمناهضة للإرهاب، وكما لن ينال الأسلحة

والتكنولوجيات "الإرهابية" تغيير واضح – فتظل على تقليديتها– فإن المفاهيم العملياتية "الإرهابية" لن ينالها بالمثل أي تغييرات ، ونقصد هنا بالمفاهيم العملياتية: تصميم العمليات الإرهابية، وتنسيقها وتخطيطها، ودعمها.

* ويبدى الغرب مخاوف كبيرة من شغف عدد كبير من الإرهابيين للحصول على الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية والنووية، مما يمكن أن ينبئ بحرب ضروس تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل. حيث إن الإرهاب البيولوجي سيكون أكثر تكيفا وتأقلما مع الجماعات الإرهابية الأصغر، والأكثر حصولا على المعلومات، وآخر ما يتخوف منه الغرب هو تمكن الإرهابيين من تدمير شبكات المعلومات الحساسة من خلال هجماتهم الإنترنتية.

* يتوقع بحلول عام 2020 ألا توجد دولة تستطيع محاربة القوات الأمريكية لكن من المرجح أنه ستوجد دول كثيرة موجعة للولايات المتحدة، تستطيع أن تكلفها الكثير إذا ما قامت بأي فعل عسكري مرفوض". فامتلاك إيران وكوريا الشمالية للأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية، وامتلاك دول أخرى لها على عام 2020، سيزيد من تكلفة أي ضربة أمريكية سواء كانت ضد هذه الدول أو ضد حلفائها.

(7)

السيناريوهات المقترحة

وسط هذا العالم الهائج المتقلب، يمكننا تخيل أشكال عالمية عديدة –على امتداد الخمسة عشر عاما القادمة– يتمحور معظمها حول تحدي نظام الدولة القومية من ناحية، وإرساء عولمة أكثر استفحالا وتشعبا من ناحية ثانية....يضع المشروع أربعة سيناريوهات تخيلية، لا تعكس المستقبل الحقيقي بقدر ما تعكس الصور الممكنة للعالم الذي سنعيش فيه عبر العقدين القادمين؛ وهي تتضمن الآتي:

* عالم دافوس Davos World: يقدم تصورا عن عالم تقوده الصين والهند؛ تحققان فيه نماء اقتصاديا لا مثيل له من الضخامة والقوة؛ وهو ما يعيد تشكيل حركة العولمة، فيجعلها أكثر اتجاها لما هو غير غربي.

* سلام أمريكا Pax Americana: يقدم تصورا عن مدى قدرة الولايات المتحدة على إثبات هيمنتها بالرغم من كل التحديات العالمية، وقدرتها على تشكيل نظام عالمي جديد.

* خلافة جديدة A New Caliphate: يرشح ذلك العالم الذي سينقاد من قبل حركة إسلامية عالمية، تغذيها الهوية الدينية "الراديكالية" التي ستشكل تحديا للمعايير والقيم الغربية التي يقوم عليها النظام العالمي.

* حلقة من الخوف Cycle of Fear: يتخيل ذلك العالم الذي ستسوده المخاوف من انتشار أسلحة الدمار الشامل؛ فتصير الاحتياطات الأمنية مكتسحة لجميع بقاع الأرض لمنع حدوث أي هجمات مدمرة.

ملاحظة ذكرها المشروع: يؤكد المشروع أن الولايات المتحدة قادرة على محاربة جميع تلك التحديات، وعلى استبقاء دورها الريادي؛ وهو إن دل على شيء فإنما يدل على الثقة العمياء التي يضعها المجلس القومي للاستخبارات في القيادة الأمريكية.

ملاحظات وخاتمة

يغلب على المشروع التحليل فى المنظور الاقتصادي والسيطرة أو بلغة اختزالية التشبع بمفهوم العولمة فى منظوره الأمريكى، ويبدو لى أن الغرب خلق قصة الإرهاب- دون تقديم تعريف له- حتى إنه صدقها حين روج لها، ولم يغب الخوف من الخسارة فى التحليل والتوقعات الغربية، وفى فكرة إحياء تكتل عربى أو وحدة عربية أو بلغة القوم خلافة ما يثير الخوف لدى الغرب.

فى ظل ضعف العرب، ونمو الآسيويين، وضعف أمريكا،أغفل المشروع تطلعات الكيان الصهيونى والذى يبدو لى انه سيتطلع إلى القوة الجديدة الناشئة ليبلغ قوته بحبل من الناس.

كما أغفل التقرير الإشارة إلى مستقبل الصراع فى المنطقة العربية بين العرب – المسلمين- وبين العصابات الصهيونية وهو الأمر الذى ما يزال له تأثيرات على الطاقة ومجريات الأمور سواء فى الغرب أو الاتحاد الأوروبي.

بلاغ كوم

=============

#هل تحل التكنولوجيا محل المعلمين؟!

د.خالد محمد العصيمي

إن المدقق في المتغيرات العالمية المعاصرة التي تحدث في حياتنا اليوم يتبين له أنها أكثر من مجرد أزمات طارئة تنتهي بدخول العالم القرن الحادي والعشرين أو بإحداث تعديلات طفيفة على سلوكياتنا ومهاراتنا اليومية، بل إنها تشير إلى انبثاق عصر جديد فكرًا ومفهومًا وتطبيقًا.

فالعلم يتطور خلال لحظات، والقيمة المضافة الناتجة عن تطبيقاته زادت من عمليات ابتكاره واحتكاره وتقادمه، وكل يوم تظهر علوم وتخصصات جديدة وغير معروفة من قبل، والتوجه المستقبلي لها يتمركز في التخصصات «البينية» وفي إيجاد مداخل بحثية تحتوي هذه الفروع، أما المعلوماتية فتتميز بالسيطرة والتفاعل والتواصل الزمني والمكاني، مما زاد من توظيفها في العملية التعليمية والتعلّمية، وأدى إلى ظهور أنماط ومؤسسات تعليمية جديدة وغير معروفة من قبل، والتوجه المستقبلي لها يتمركز في النظم الذكية التي تتميز بالذوق والشمّ والإحساس، وفي تنمية ما يعرف بـ«الذكاء الجمعي».

أما متغيرات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية فربطت العالمي بالمحلي، وجعلت العالم قرية كونية صغيرة تتبادل التأثيرات والأحداث والتطورات في كافة المجالات، والتي على الإنسان العالمي أن يتعلّم العيش في هذه القرية العالمية بما تستلزم من قيم واتجاهات وسلوكيات تؤهله لمعرفة الآخرين والتعامل معهم واحترام خصوصياتهم الثقافية، وأن يتعلّم ليعمل في ظل تزايد التكتلات الاقتصادية والاندماجات والمواصفات العالمية واتفاقيات منظمة التجارة العالمية (WTO)، وفي ظل تزايد ارتباط اقتصاديات الدول، وتزايد انتقال السلع والخدمات والعمالة ورؤوس الأموال والاستثمارات فيما بينها، واشتداد المنافسة في الأسواق المحلية والعالمية بحيث يصبح البقاء للأصلح والأجود والأقل تكلفة في نفس الوقت، كما عليه أن يتعلّم كيف يشارك في بناء المجتمع المدني على أسس الديمقراطية والمواطنة والحوار الإيجابي والتعددية الثقافية، وبناء السلام والتعاون الدوليين، في ظل تزايد الاعتماد المتبادل.

ويعتبر النظام التعليمي شديد التأثير والتأثر بالمتغيرات العالمية المحيطة، وحيث إن المعلم حجر الزاوية في العملية التعليمية، وأحد أبرز عناصر النظام التعليمي، فإن الأدوار التي يقوم بها والوسائل والطرق التي يستخدمها سوف تتأثر تبعًا لذلك، مما يستوجب تحديد هذه المتغيرات، ومدى تأثيرها في تكوين المعلم، ومن ثم اقتراح البرامج اللازمة لتمكين المعلم من التفاعل الجاد مع هذه المتغيرات، ولذا تتلخص مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي: ما تأثير المتغيرات العالمية المعاصرة في تكوين المعلم؟

وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:-

- ما أبرز التغيرات العالمية المعاصرة؟
- ما الآثار المترتبة على المتغيرات العالمية المعاصرة في تكوين المعلم؟
- ما المقترحات اللازمة لتمكين المعلم من التفاعل الجاد مع المتغيرات العالمية المعاصرة؟

ولذا استخدمت الدراسة المنهج التحليلي الاستنباطي، الذي يهدف إلى رصد وتحليل المتغيرات العالمية وتحديد ما ينتج عنها من تأثيرات على النظام التعليمي، وذلك من خلال استعراض العديد من الدراسات المحلية والعربية والأجنبية التي تمثل جهودًا بحثية قيمة في مجال التربية، حيث دراسات (عبدالحليم، 1998م)، و(برونر، 2001م)، و(الغامدي، 1422هـ)، ودراسات (اللقاء الحادي عشر لقادة العمل التربوي «المعلم في عصر متجدد»، 1424هـ)، وتوصيات (ندوة التربية والعولمة، 1425هـ)، و(الحوات، 2004م) التي تؤكد نتائجها وجود آثار عديدة للمتغيرات العالمية على التعليم، تشمل النظم التعليمية بأهدافها ووظائفها وعناصرها «المدرسة والمعلم والمتعلم والمنهج»، وأهمية تطوير كليات المعلمين وبرامج إعداد المعلم لتتناسب مع هذه المتغيرات وفق ثوابت سياسة التعليم، وملاءمة برامجها لاحتياجات المجتمع، وتحسين نوعيتها وجودتها، وتوظيف التقنية الحديثة في زيادة فعاليتها وإثراء مفرداتها لضمان خبرات مطولة ومنظمة ومنهجية لمعلم المستقبل.

أولًا: المتغيرات العالمية المعاصرة

تحدث عملية تغيير شاملة في العالم المعاصر فكرًا ومفهومًا وتطبيقًا، وذلك من خلال سلسلة مترابطة ومتعددة الأبعاد والمحاور تشمل تحولات وتطبيقات سواء في الكم أو الحجم أو المحتوى، ويؤثر كل متغير منها في الآخر، ويتضمن كل تغير منها جدلًا علميًا كبيرًا فيما بين الفرص والمخاطر.

وتقصد الدراسة بالمتغيرات العالمية المعاصرة المفاهيم والأفكار والتطبيقات الجديدة التي طرأت واستجدت على الأبعاد الرئيسة التي تشكل العالم المعاصر، وهي الأبعاد: المعرفية، والمعلوماتية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، التي يتم تفصيلها على النحو الآتي:-

- التغير المعرفي: يكمن هذا التغير في السرعة المتزايدة التي يتم عندها إنتاج المعرفة وتراكمها، وتوظيف المعرفة والأنشطة المعرفية في الإنتاج، وزيادة معدل القيمة المضافة الناتجة عنها(1)، إضافة إلى التغير التكنولوجي بمعدلاته المتسارعة، والمتضمن توليد وانتشار التقنيات والمواد الجديدة، والإبداع التقني غير المحدود فيما يعرف بعملية «تخليق المعرفة»(2)، كما يشير إلى تزايد واتساع فروع المعرفة، وتنامي التداخل فيما بينها فيما يعرف »بعبور التخصصات والدراسات البينية«(3).

- التغير المعلوماتي: ويشير هذا التغير إلى كثافة وسرعة تبادل المعلومات والمعرفة، وتدني تكاليفها، وتنامي علم التحكم الإلكتروني وبرمجياته وارتباطه بتقنية الاتصال الحديثة وإمكاناتها غير المحدودة «شبكة الإنترنت»(4)، الأمر الذي عزز من عملية الاتصال وجعلها أكثر تفاعلية، كما جعل الاقتراب من العالمية خاصية كبيرة وممكنة لكل شيء(5)، كما أن تطبيقاتها أحدثت تغييرًا عميقًا في مفاهيم الإنسان وأساليب حياته وأعماله وطموحاته وفي كل جوانب الحياة اليومية(6).

- التغير الاقتصادي: ويشير هذا التغير إلى تكثيف الانتقال الدولي للموارد، وارتباطها بعدد متزايد من المعاملات عابرة الحدود، وتحرير الأسواق ودمجها في سوق واحد، وتزايد تدفقات رأس المال والاستثمارات الأجنبية المباشرة والشركات العالمية كقوة محركة للاقتصاد العالمي، ومؤثرة على الخصائص الاقتصادية المحلية ومنطق تسييرها، وذلك من خلال القبول بالتحولات البنيوية المطلوبة على مستوى السياسات الاقتصادية والتجارية والمالية والأنشطة التحويلية والتقنية والمعلوماتية، بحيث يصبح

الهيكل الإنتاجي والمالي للدول مترابطًا ومتكاملًا زمانيًا ومكانيًا فيما يعرف بالاقتصاد الرقمي والتجارة الإلكترونية التي تصبح فيها جميع السلع والخدمات قابلة للإنتاج والبيع والتنافس في كل مكان من العالم(7)، إضافة إلى بدء عمل منظمة التجارة العالمية، وتقليص الحواجز التجارية بين الدول لتتحول العلاقات بينها إلى أرضية تجارية ذات اتفاقيات ملزمة وشاملة للعديد من إجراءات الحماية والوقاية والدعم والتعويض والإغراق والمعاملة الوطنية، والتي تعبر عنها منظمة التجارة العالمية، إضافة إلى توفيرها آلية قانونية لحل المنازعات التجارية بين الدول(8).

ـ التغير السياسي: ويشير إلى إعادة تحديد نطاق السلطة صعودًا إلى مستويات أعلى من الدولة وربطه بمؤسسات عالمية الأهداف، وتجاوز مفهوم الاستقلال والسيادة إلى مفهوم المشاركة والتفاعلية في الشؤون العالمية والسلام الدولي، وظهور مفهوم المواطنة العالمية أو المتعددة الأبعاد للوطن والعالم بكافة ثقافاته، إضافة إلى إعادة تحديد نطاق السلطة هبوطًا إلى الهياكل والتنظيمات المحلية فيما يعرف بفرضية «التقارب» التي نتج عنها تسارع وتفعيل النزعة العلمانية والعقلانية والكفاءة في إدارة الدولة الليبرالية، وتوسيع المشاركة الشعبية في الحكم(9)، كما أصبحت مفاهيم الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والمواطنة موضوعات رئيسة في سياسات العالم، بل هي في الوقت الحاضر المد التاريخي الذي تنطلق منه كل رياح التغيير، وتكتسب من قوة الدفع الذاتي زخمًا هائلًا يجعل مقاومتها أمرًا بالغ الخطورة، وهذا هو شعار منظمات العالم ومؤسساته وأفراده، سواء كان ذلك على المستوى الداخلي للدول أو محاولة فرضها كمعيار للتعامل فيما بينها (10).

ـ التغير الثقافي: ويشير إلى نشوء شبكات اتصال عالمية تربط فعلًا جميع البلدان والمجتمعات من خلال تزايد التدفقات الرمزية والصور والمعلوماتية عبر الحدود القومية وبسرعة إلى درجة أصبحنا نعيش في قرية كونية(11)، وليصبح النظام السمعي–البصري المصدر الأقوى لإنتاج وصناعة القيم والرموز الثقافية، ومن ثم الاندماج العالمي الأعمق، بإخضاع المجتمعات لتاريخية ومكانية واحدة ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا(12)، مما يفرز عبر المجتمعات والحدود حالات توتر وصور شد وجذب بين القوى المؤدية للتجانس الثقافي وبين عمليات التنوع أو اللاتجانس

الثقافي(13)، وبشكل عام، هناك أربعة أطروحات مختلفة للعولمة الثقافية، وهي على النحو الآتي(14):-

ـ ذوبان الهويات الثقافية في ثقافة كونية واحدة، متحررة من الانتماءات اللغوية والقومية والثقافية.

ـ بقاء الخصوصية الثقافية وتعددها، وتعني وجود ثقافات تتفاعل لمزيد من التشبث بالهوية.

ـ انتشار «الأمركة» على نطاق العالم، لأنها الدولة التي تميل نحو إيجاد تجانس العالم معها.

ـ بروز ثقافة التقنية الحيوية «الجينات»، التي ستغير نمط حياتنا ووجودنا البشري تغييرًا جذريًا.

مما سبق، نجد أن المتغيرات العالمية المعاصرة شاملة لجميع جوانب حياة الإنسان المعرفية والتقنية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وأن كل متغير منها يتضمن جدلًا علميًا وفكريًا وتطبيقيًا، بل ويؤثر كل متغير منها في الآخر، وهي متغيرات تشكل البيئة المحيطة بالنظام التربوي، وتؤثر في كافة عناصره وعملياته وفقًا لمنهج النظم، وحيث إن المعلم يعد الركن الأساسي في هذا النظام وتأثره أمر واقع لا مفر منه، فإن هذا يستدعي التعرف على الآثار التي تحدثها هذه المتغيرات في تكوين المعلم وإعداده، وتحديدًا التأثير في وظائف الكليات التربوية وكليات إعداد المعلمين والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والبرامج التعليمية والبحثية والتدريبية التي تقدمها.

ثانيًا: المتغيرات العالمية المعاصرة وأثرها في تكوين المعلم

تفرض المتغيرات العالمية المعاصرة السابقة العديد من الآثار والتحديات «الفرص والمخاطر» على أهداف ووظائف وبرامج مؤسسات إعداد المعلم «كليات المعلمين والكليات التربوية»، وعلى أدوار ووظائف المعلم والكفايات والمهارات الأساسية المطلوب توافرها فيه، ولذا سيتم تحديد هذه الآثار ليمكن التعامل معها بشكل عام، وتمكين المعلم من التفاعل الجاد والخلاق مع معطيات العصر، بشكل خاص، وذلك على النحو الآتي:-

1- الآثار المعرفية:

تتمثل أبرز الآثار المعرفية على مؤسسات إعداد المعلم، في الآتي (15):-

- تغير أهداف العلم وتوجهه للتطبيقات، فيما يعرف «بتكامل المعرفة» ولمزيد من العلم والتعليم.

- تغير أساليب وأدوات الحصول على المعرفة وتنظيم تراكمها واسترجاعها بالحاسب الآلي.

- ازدياد الروابط البحثية وبرامج التبادل العلمي، مما أدى إلى زيادة الإنتاجية والكفاءة البحثية.

- تزايد البحوث بين التخصصات فيما يعرف «بالدراسات البينية» لتبادل الخبرة والمعرفة والأداء.

- تزايد الاستثمار الدولي في البحوث التطبيقية والتطوير (R&D)، وفي استخدام الأنشطة المعرفية.

- تزايد وضع المعايير العلمية في عالم ابتكاري، لتجنب التكرار ووضع المبتكر في مقدمة الموجة.

- حماية الملكية الفكرية في الاتفاقيات الدولية، وإعطاء دور واسع للعلم والخبرة والمهارة.

- تقادم المعارف وانخفاض قيمة ما يتم اكتسابه في الجامعات والمؤسسات التعليمية بشكل عام.

- الجامعة لم تعد المصدر الوحيد للمعرفة، لقيام مؤسسات خاصة تهتم بتوليد المعرفة وتطويرها، وحدوث انقسام بين مؤسسات التعليم في الميزانية والإمكانات والمكانة والتأثير والتخصص.

- إفساد طبيعة الأبحاث الجارية في الجامعة، لما تثيره من قضايا أخلاقية ودينية وتربوية.

- تنامي «السرية» داخل مختبرات الجامعة، مما يحدّ من عملية تطور العلم وحيويته وتبادله.

كما أن تسارع تدفق المعرفة أدى إلى الوفرة وفقدان الاتجاه في البيئة التعليمية معًا، لأن المرء مضطر اليوم ليعترف بأن المواضيع والنظريات ليست نتاجًا آليًا لظروفها

الموضوعية، وأن الرابطة بين أحداث منفصلة مكانيًا ومتقاربة زمانيًا غالبًا ما يصعب تفسيرها منهجيًا(16)، إضافة إلى تعقد طرق تحديد المشكلات وإجراءات التنفيذ والحلول، والتي تثير الحيرة وتكشف الخلل في المنهج العلمي التقليدي، وتستلزم معايير جديدة لتأكيد النوعية والصدق والحقيقة والتقبل المعرفي والتقييم(17).

وتطرح هذه الآثار العديد من التساؤلات: عن إيفاء مؤسسات إعداد المعلم باحتياجات التربية في ظل ندرة العمل العلمي الرصين وتغير التكوين المهني المطلوب. وعن كيفية التعامل مع تعاظم عملية تجزيء المعرفة والتخصص فيها. وما التعديلات اللازمة لإعداد المعلم للتعبير عن رؤية متكاملة نسبيًا للمعرفة؟ وهل سيكفي إدخال مضمون متداخل أم إيجاد نهج جديد برمته؟(18).

وفي ضوء المتغيرات المعرفية، فإن تكوين المعلم يجب أن يركز على إعداد «معلم المعرفة» وهو المعلم الذي يمتلك قاعدة علمية معرفية صلبة وذات اتساع وعمق معرفي، وهو المتحرر إلى درجة كبيرة من الفصل القاطع بين التخصصات ومن تجزئة المعرفة، ومدرك للكيفية التي تترابط بها أجزاء المعرفة بعضها مع بعض، ولديه القدرة على تجديد معارفه، ورغبته المستمرة في الاحتفاظ الدائم بالحديث والجديد في هذه المعارف، وهو القادر على تطويع المناهج لتعليم طلابه من خلال تداخل العلوم والتخصصات المختلفة، ويكون مصدرًا للمعرفة الحديثة للتلاميذ، وأن يكون قادرًا على إرشادهم إلى مصادر المعرفة في المحيط المباشر للمدرسة وفي المجتمع الكبير، وملتزمًا بتطبيق المعارف التي يقدمها وكيفية الاستفادة منها والسيطرة عليها في حياة التلاميذ، ولديه القدرة على تدريب التلاميذ على مهارة الحصول على المعرفة من مصادرها بشكل مستقل(19)، و«المعلم الباحث»، وهو المعلم الذي يؤمن بأن المعرفة متغيرة ونسبية، وهو الملمّ بطرق التحليل والتفكير المنطقي وفق منطق النظم وعلى التفكير التحليلي والتركيبي والإبداعي والتفكير الحر الملتزم بالمجتمع، وأن يكون قادرًا على ممارسة هذا التفكير بأنواعه خلال تدريسه الصفي، وعلى تكوين المهارات المعرفية والبحثية للتلاميذ اللازمة للقرن الحادي والعشرين، مثل: سرعة الاطلاع وتحليل المشكلة والتجريد والتحليل النقدي البناء

واستخدام المعلومات المتوفرة لتكوين اتجاه علمي نحو ظاهرة أو مشكلة ما، وإعادة تفسيرها ووضع نسق علمي يوضح تفاعلها مع الأنساق الأخرى(20).

2-الآثار المعلوماتية:

تتضح الآثار المعلوماتية على مؤسسات التعليم العالي، في الآتي(21):-

- زيادة عدد وقوة الروابط فيما بين مؤسسات التعليم والأكاديميين، مما ساعد على ظهور مجتمع أكاديمي عالمي مترابط العلاقات العلمية والبحثية، وبما يعزز المعرفة والبحوث المشتركة.

- إعادة التنظيم المكاني والزماني للأنشطة التعليمية، فالتعلم وقتما يشاء الطالب وبالسرعة المرغوبة، والحضور جسديًا في قاعة الدراسة ليس شرطًا، ولا توجد حاجة لمبان وتجهيزات تعليمية.

- توفر الدعم والفعالية والاختصاص لإدارة العملية التعليمية: تبادل المعرفة والتجريب والدعم المشترك، والتنسيق والتعاون والإرشاد الشخصي لمقررات التعلم، والتقويم... إلخ.

- تمثل نقلة في التعليم من صناعة كثيفة العمل إلى صناعة كثيفة رأس المال، ونقلة في التغيير العام لنظم التعليم نحو العقلانية وتقسيم العمل وتنويع الموارد، وليصبح التعليم أقل كلفة.

- أنها تشجع المؤسسات التعليمية على دخول أسواق خارجية، وإنشاء فروع لها، وتوزيع مقرراتها... إلخ، ليصبح التعلم والتدريب سوقًا عالمية ينتشر بالتغلب على عامل اللغة والترجمة، وتجعل التنافس على تقديم خدمة التعليم والتدريب للفرد في أي مكان بالعالم.

- أنها أضعفت أهمية ومصادر التعليم التقليدية، وظهور أنماط تعليمية تتوافق مع العصر كالتعليم عن بعد والافتراضي والمستمر، مما يزيد من مدى انتشار التعليم واتساع النطاق الذي يغطيه.

كما أدى الاستخدام المتزايد للتكنولوجيا المعلوماتية وربطها بشبكات الاتصال المتفاعلة إلى تغير جذري في الممارسات التعليمية التعلّمية نفسها، ليس فقط في السرعة والمرونة والمدى الذي توفره، وإنما في الدرجة المتزايدة للسيطرة على عملية

التعليم التي تقدمها للمعلمين والطلاب، فمن السيطرة المتناظرة إلى الرقمية، ومن المذاعة إلى المتفاعلة، ومن السيطرة الخارجية على العملية إلى السيطرة الذاتية التلقائية، وصولًا إلى درجة أكبر من الكثافة باستخدام الوسائط المتشعبة والمترابطة، حيث الاستخدام الشمولي للكمبيوتر في التعليم، والجمع بين أشكال مختلفة للبث والاستقبال الإلكتروني، ومنتديات الخط المباشر، والمستخدمين المتعددين، وشبكة الإنترنت، وإنشاء مواقف افتراضية وعمليات لواقع افتراضي، وتطبيقاتها المتمثلة في صفحة «الويب»، والنص المتشعب، والكتاب أو المنهج الرقمي، والمكتبة الإلكترونية، والتعليم الإلكتروني، والجامعة الافتراضية، وغيرها، والتي تتضمن تنظيم المادة المقدمة وأسلوب بنائها المعماري، وتوسيع المحتوى التعليمي، والعمل والتجريب والدراسة عن بعد(22)، كما لا يقتصر استخدام المعلوماتية على المساعدة المباشرة في عملية التعليم فقط، بل تشمل التأثير على الأدوار التي يقوم بها المعلم، حيث ستكون العلاقة بين المعلم والطالب أفقية، والتعليم عملية تفاعل جماعي المعلم عضو فيها ومسهل، والطالب نشط ومتفاعل، والجماعة مكان للاستشارة، ولم يعد دور المعلم الأساسي «توصيل المعرفة» بل موجّه للتعلّم والتفكير، من خلال تدريب الطالب على تعلم كيفية الحصول على المعلومات وتقويمها وتحويلها إلى معرفة مع الجماعة، وتركيز المعلم على تقويم العمليات التعلّمية والقدرة على البحث والتكيف والتعاون(23).

كما يتميز استخدام المعلوماتية في العملية التعليمية بتوظيف المعرفة فعليًا لا مجرد نشرها،حيث الاستخدام الراقي والأمثل والتعاوني للمهارات والخيال والذكاء والاستدلال، أيًا كان تنوعها الكيفي والمكاني بما يعرف بعمليات «الذكاء الجمعي»، إضافة إلى زيادة وتطوير هذه القدرات والمهارات وتجسيدها جزئيًا وجعلها في متناول الجميع، وذلك فيما يتمثل في النظم الخبيرة ونظم المعرفة وفنيات المحاكاة، التي تجعل من الممكن أن نرى ونشارك في فضاءات معقدة حية وعوالم من المعاني، إضافة إلى المشاركة والتشجيع المتبادل للخصائص والفروق الفردية، والمشاركة في الموارد والمهارات، كما أنها تجعل الرسائل مرتبطة بالسياق ونابعة من التفاعل العام

والاتصال والإحساس المتبادل، مثلما كان الاتصال شفهيًا، ومن ثم يقل التفسير والتأويل والاختلاف(24).

وبشكل عام، فإن استخدام المعلوماتية لا يقدم حلولًا سحرية لكل مشكلات التعليم، كما لا تضمن جودة التعلّم وحسن نوعيته، فقد تكون عاملًا مساعدًا على النجاح وقد تكون العكس، كما أن هناك عددًا من التحفظات على تزايد استخدام المعلوماتية في التعليم، وهي الآتي(25):-

- الخوف أن تحل التكنولوجيا محل المعلمين، بينما هي جزء أساسي من عملهم.
- الخوف أن تفرض العزلة على أطراف العملية التعليمية بدلًا من ربطهم بالمدرسة وبما يجري فيها
- القلق من أن المؤسسة التعليمية والكلمة المنطوقة لم تعد الأداة الوحيدة لتلقي وتوصيل المعرفة.
- الخوف على الحرية الأكاديمية، حيث خطر الاتهام بالقذف أو الاعتداء على الحقوق الفكرية.
- الخوف أن مشاعيّة المعرفة عبر الإنترنت ورؤية النماذج الجاهزة والاشتراك في حلقات النقاش، قد تؤدي إلى وقوع أضرار بالغة بترتيب المفاهيم ونظم القيم لدى الأفراد غير الناضجين.
- الخوف أنها غير فعالة في التربية الروحية والأخلاقية، ولا توفر ما توفره الطرق القديمة التي تدمج بين التربية والمعرفة وبين المنهج المكتوب والمستتر، وتؤمن نوعًا من التواصل بين الأجيال.

والتحدي في إعادة دور المعلم والمتعلم يتمثل في مراعاة التحولات المعلوماتية عندما نضع برامج تعليمية أو تدريبية أو مداخل تدريسية، ولذا تتساءل العديد من الدراسات، عن كيفية تعامل النظام التعليمي مع هذا السيل المتدفق من المعلومات؟، وهل ستحقق الشبكات الحاجات التعليمية؟، وما نتائج حرية وصول الطلاب والمعلمين إلى شبكات المعلومات؟، وكيف ستتغير مهمة المعلمين باستخدام تكنولوجيا أكثر كفاءة وفاعلية؟، وما تجارب التعليم الجديدة عندما تغدو تفاعلية بحق؟، وهل ستكون مجرد وسيلة لمساندة التعليم أم ستؤدي إلى ظهور أساليب وممارسات جديدة في بيئات

التعليم؟، وعن كيفية تعلّم الاختيار والتمييز بين المعلومات وكيفية «تعليم التعلّم»؟(26).

وفي ضوء المتغيرات المعلوماتية، فإن تكوين المعلم يجب أن يركز على إعداد «المعلم الرقمي»، وهو المعلم المتمكن من مهارات استخدام الحاسب الآلي والإنترنت ومهارات الاتصال والتواصل عبرها شفهيًا وكتابيًا بلغة راقية ومفردات ثرية، والذي يستطيع التدريس باستخدام تكنولوجيا التعليم، ولديه القدرة على تحويل المحتوى التعليمي إلى نشاطات تعليمية، وعلى التدريس بطريقة المشروع، ويعتمد على ورش العمل والمختبرات والدوائر المغلقة والحقائب التعليمية والأفلام والأشرطة المرئية كوسائل تعليمية، والقادر على تدريب وتهيئة التلاميذ على التعامل مع عالم المعلومات والبيانات والاتصالات السريعة عن طريق الحاسب الآلي والإنترنت وسائر وسائل وتقنيات تحليل المعلومات ومعالجتها، وربط المعلومات السابقة بالجديدة وتوظيفها جميعًا في الحياة العملية (27).

3- الآثار الاقتصادية:

وتتمثل في دفع الدول لانتهاج سياسات تخضع الأهداف التعليمية للإنتاجية في العمل والتنافسية، وتأثر التعليم من تطبيق سياسات التصحيح والتكييف الهيكلي، مما يعني إعادة هيكلة المؤسسات التعليمية وعملياتها وبرامجها الأساسية، لتدور حول مهارات سوق العمل ومتطلبات منظمة التجارة العالمية، مع جعل التعليم عملية تعلّم مستمرة على مدى الحياة، واضطرار المؤسسات التعليمية للبحث عن مصادر تمويل إضافية نتيجة نقص الموارد وتضاؤل التمويل الحكومي، واللجوء إلى الخصخصة وإجراءات استرداد التكلفة، مما يتسبب في التفاوت الكمي والنوعي بين المدارس والطلاب(28)، وسيتم مناقشة الآثار الاقتصادية على المؤسسات التعليمية وفقًا للآتي:-

أ- إعادة الهيكلة: ومن أبرز آثار تطبيق هذه السياسة على المؤسسات التعليمية، ما يلي(29):

- إعادة هيكلة العمليات التعليمية من حيث: القبول والتنظيم والمناهج والتدريس والتقويم.

- ظهور كيانات تعليمية صغيرة للقيام بمهام تعليمية متفوقه في مجال الكفاءة والفعالية.

- أن يصبح التعليم أقل تمركزًا، ويسمح بقدر أكبر من التخصص وتقسيم العمل.

- التأكيد على القياس والتقويم في كل جوانب التعليم، مما يسمح بقدر أكبر من تلاقي سياساته، ويفرض التنافس من حيث الأداء التعليمي والنواتج بل ومقارنة النتائج الدولية فيه.

ب- الاندماج: يحقق اندماج المؤسسات والشركات عددًا من المزايا التي تتمثل في تحقيق فائض في عدة نواح، ويمكن أن تستفيد منها المؤسسات التعليمية، وذلك في الجوانب الآتية(30):-

- وفورات داخلية وقياسية، بالتوفير المالي والتكنولوجي والبشري والإداري في المؤسسة التعليمية.

- وفورات خارجية، بالدخول لأسواق جديدة، والحصول على المكانة والتأثير والسمعة المتوافرة لدى الشركاء مجتمعين، وإنتاج وتقديم خدمات لا يمكن تقديمها عن طريق أي منهما منفردًا.

- الالتزام بمواصفات الجودة الارتقائية في كافة الخدمات، واستقطاب أفضل الكفاءات المنتجة.

- توحيد المناهج والبرامج التدريبية ومتطلبات التخصص المهني، ومن ثم تصديرها عبر الحدود.

ج- المواءمة مع احتياجات المجتمع وسوق العمل: تؤثر الشركات العالمية على النظام التعليمي من حيث: الاستثمار في تنمية الموارد البشرية والخدمات والمواصفات التعليمية اللازمة لها، إضافة إلى نشرها المهارات من خلال البرامج التعليمية والتدريبية الخاصة بها، إضافة إلى تدويل التعليم من خلال تطبيق معايير السوق العالمي والمنافسة على مخرجات التعليم، لأن المستوى التعليمي للعاملين ومهاراتهم أصبح أحد شروط الحصول على شهادات الجودة، إضافة إلى أن هناك عددًا من الآثار التي تفرضها المواءمة على المؤسسات التعليمية، ويأتي من أبرزها الآتي(31):-

- أصبح التمييز بين عالم التربية وعالم الإنتاج أقل وضوحًا وأصعب تحققًا.

- الحاجة لتأسيس إجراءات الاعتراف بالمهارات والخبرة المهنية التي يتم اكتسابها في الحياة.

- تسريع استجابة التعليم لمطالب سوق العمل، وتوفير المرونة للعمالة للانتقال بين القطاعات.

- زيادة الدقة والتزامن بين العرض والطلب والإتاحة الفورية لهما، مما يوفر حظوظًا أفضل لخريجيه.

ومن أبرز آثار سوق العمل التي يفرضها على مؤسسات التعليم، الآتي(32):-

- صعوبة تقديم التعليم في جوٍ من الشك والمعالجة قصيرة الأمد لمتغيرات سوق العمل وتوجهاته.

- تزايد الفجوة الأساسية بين متطلبات سوق العمل والنتائج التي تؤدي إليها أنظمة التعليم العالي.

- قلة صلاحية البرامج وزيادة تكاليف الدبلومات التي تتعرض محتوياتها للتطوير والتغير المستمر.

- صعوبة التحكم في الكم والنوعية، ليس فقط على مستوى المهارة المهنية المطلوبة، وإنما على مستوى الخصائص الشخصية والنفسية القادرة على التكيّف النشط مع السوق.

د- الخصخصة: أي مشاركة القطاع الخاص في إنشاء المؤسسات التعليمية بدافع الربح، وتعني النظر إلى التعليم نظرة اقتصادية بحتة من حيث تكلفته ونفقاته، وتحميل الأفراد جزء من هذه التكلفة، الأمر الذي يؤدي إلى عدد من الآثار في التعليم العالي خصوصًا، وهي على النحو الآتي(33):

- إدخال إجراءات أكثر دقة في اختيار طلابه، وترشيد المجانية على أسس سليمة.

- أصبح التعليم للتميّز، ولتصبح ثقافة الإنجاز ومعايير الجودة والأداء التوجه والمعيار فيه.

- إدخال عنصر الإبداع والابتكار والمبادرة والمبادأة والمنافسة إلى العمل المؤسسي التعليمي.

- تسجيل واحتكار واستغلال كل ما يقوله أو يفعله أو ينتجه الأساتذة داخل الجامعة.
- توسيع قاعدة الملكية لمؤسسات التعليم، وزيادة نطاق المسؤولية في الرقابة والمتابعة التعليمية.
- تعزيز عوامل التنوع والاستقلالية في مؤسسات التعليم، وزيادة كفاءته الداخلية والخارجية.

ومن جهة أخرى، هناك من يرى أن التعليم الخاص لا يكترث لاعتبارات عدالة التوزيع ويعمق التفاوت الاجتماعي والاقتصادي، وذلك لارتفاع تكاليفه مقارنة بالتعليم الحكومي، ولأنه يمنح الطلاب منافع فردية أكثر وعائدًا اجتماعيًا أقل، ويعزل المتعلمين عن ثقافتهم، ويضحي بالقدرة الإبداعية لحساب التخصص الدقيق الذي يعد بمكاسب مالية، كما أن الخصخصة تفسح المجال لأجهزة الإعلام المختلفة لتنمي النماذج والمناهج التربوية الملائمة للمؤسسات الاقتصادية، وتشجيع استثمار جامعات أجنبية ذات إمكانيات وسمعة أكاديمية واسعة، وما يترتب عليه من أضرار بالتعليم المحلي، كما تزيد من هجرة الكفاءات التدريسية من التعليم الحكومي للقطاع الخاص، بينما تدفع الجامعات رسومًا مخفضة لإحلال الأساتذة المساعدين، ويدفع الطلاب ليتلقوا الدروس الخصوصية(34).

هـ . سياسات التصحيح والتكييف الهيكلي:يميل أسلوب تطبيق هذه المعايير إلى تحجيم الرؤى والأهداف التربوية والإنسانية والاجتماعية للتعليم، ولتعتمد الأولوية في ميزانية الدول على الجدوى الاقتصادية والعائد المباشر، كما تطرح تساؤلات: لماذا يتعين على الدولة تقديم مساعدات للتعليم العالي؟ مما يؤثر عكسيًا على فرص التعليم العالي للفئات الفقيرة، ولسكان الأرياف والإناث، إضافة لحدوث نوع من الانقسام الاجتماعي، كما أن لهذه السياسات تأثيرات ضارة على التعليم، حيث: تدني الاستثمار وخفض الإنفاق، وتدني نسب القيد وتكافؤ الفرص، وتدني مستوى الخدمات تدريجيًا والإضرار بمواد التعليم وظروفه، وتدني كفاءته في الأداء والنواتج والربحية، لأنه عندما تحل المصاعب المالية، يتم التخلص من بعض جوانب التعليم المرغوب فيها مقابل الجوانب الاختيارية مثل: مبادلة الجودة والنوعية بالتوسع الكمي، وتكافؤ الفرص التعليمية بتعليم النخبة، والتعليم العالي بالتعليم الإبتدائي والإعدادي،

وزيادة الموارد المالية بطلب العون الخارجي، وخفض المرتبات والأجور بضغط نصيب المستلزمات والوسائل التعليمية، والبحث وخدمة المجتمع بالتعليم والتدريس النظري فقط(35).

وفي ضوء المتغيرات الاقتصادية، فإن تكوين المعلم يجب أن يركز على إعداد «المعلم الخصوصي»، وهو المعلم الذي يملك ذخيرة واسعة من المهارات المعرفية والمهنية اللازمة للتعرف على مختلف الصعوبات التي يواجهها التلاميذ في التعلّم، والذي يقوم بدور الوسيط بين حاجات المتعلمين وحاجات المجتمع وحاجات النظام التعليمي، ويعمل في ظل المؤسسات التعليمية الخاصة والمستقلة، ووفق عقد عمل للقيام بعمل محدد ومتخصص وضمن فريق عمل يساعده ويتكامل معه حيث يكون العمل لبعض الوقت، كما يكون لدى المعلم المهارات اللازمة لخلق علاقات قوية مع أولياء الأمور وأصحاب العلاقة بالمدرسة، والذي يشرف على أدائه ويضع مناهجه ويقيم أساليبه أفراد المجتمع بمختلف شرائحه سواء من الأفراد أنفسهم «آباء وأمهات»، أو من المسؤولين في قطاعات العمل والإنتاج والخدمات وكل من له مصلحة في نمو التعليم وفي العائد من هذا التعليم(36)، إضافة إلى «المعلم التنافسي» وهو المعلم المتجدد في معارفه ومهاراته وخبراته باستمرار، والمتطور في وسائله التعليمية وفق أحدث التقنيات المعلوماتية، والذي يكون لديه المرونة والانفتاح على كل جديد، وعلى تعلّم مهارات جديدة غير المهارات السابقة، وعلى التعلّم مدى الحياة، وهو المعلم الحاصل على رخصة لمزاولة مهنة التدريس يتم تجديدها سنويًا بناءً على اجتيازه اختبارات تحصيلية ومهارية واختبار للقدرات، وهو المتحلي بأخلاقيات المهنة وبتقدير المسؤولية الاجتماعية المترتبة على عمله، ويمتلك مهارات قيادة العمل وتحمل المسؤولية والعمل تحت قيادة مهنية، ومهارات العمل ضمن فريق، والعمل المشترك بصفة عامة، ويمتلك مهارات التعامل مع كافة أفراد المجتمع والقدرة على بناء علاقات إنسانية معهم سليمة وإيجابية، ومتقن لمهارات العرض والإقناع، وبارع في تخطيط الجهد والوقت والمال(37).

وبشكل عام، فإن المعلم الخصوصي والتنافسي يجب أن يكونا قادرين على تحقيق الأهداف والنتائج بدقة ووفق معايير عصرية جديدة تركز على تنمية عقل وشخصية

التلميذ ومهاراته وقيمه واتجاهاته ضمن عملية ذاتية ومستمرة مدى الحياة، ويكون دور المعلم فيها الإرشاد المعرفي وتسهيل وصول التلميذ إلى مصادر المعرفة، والتشجيع على تنميتها وتطبيقها في الواقع العملي والميداني.

وتفرض هذه المتغيرات الاقتصادية إقرار معايير وإجراءات محددة ودقيقة تنظم عملية القبول في كليات إعداد المعلمين، بحيث تكون عملية القبول انتقائية تنافسية، وتختار الطلاب المتميزين والمتفوقين في ذكائهم وسماتهم الشخصية، مع تنويع وسائل الكشف عن السمات الشخصية للمتقدمين وقدراتهم ومهاراتهم، والتأكد من أنها شاملة وموضوعية، مع تحميل الطالب جزءًا من تكاليف الدراسة لكي تضمن قبول الطلاب الراغبين فعليًا في مهنة التدريس، وقيام الكليات بحملات إعلامية تشمل كتيبات وملصقات وإعلانات تلفزيونية وتنظيم زيارات ميدانية للمدارس الثانوية، بهدف تأكيد بعض الثوابت المتعلقة باختيار معلم المستقبل، والتعريف بمهنة المعلم والدور السامي والنبيل الذي يؤديه، والعوائد المادية والمعنوية المجزية لهذه المهنة، ويمكن أن تصنف معايير القبول تحت الفئات الرئيسة التالية(38):-

- معايير خاصة بالثانوية العامة: حيث يلزم ألا يقل معدل الطالب في الثانوية عن 90%، ويمكن وضع معايير أخرى متعلقة بنوعية المواد التي درسها الطالب في الثانوية وعددها ومعدله فيها، والاستناد إلى المعلومات الصحيحة والموثقة التي يحتويها السجل الشامل عن إنجازات الطالب وقدراته ومهاراته الخاصة وسلوكياته ومشاركاته الصفية واللاصفية ومواظبته.

- معايير خاصة بالسمات الشخصية والنفسية: حيث يلزم أن تنفذ المقابلات الشخصية في ضوء إجراءات ومعايير محددة وواضحة وتجمع بين الحس والخبرة التربوية والقياس الرقمي لتوفر السمات التالية في المتقدم: القدرات التواصلية والقيادية والكاريزمية والمظهر العام وسلامة الحواس والجسم، إضافة قياس القدرات العقلية والنفسية والميول والاتجاهات نحو مهنة التعليم والثقة بالنفس والجرأة، والمرونة في التعامل مع المستجدات والتأقلم معها والتسامح والتعاون.

- معايير تتعلق بالاختبارات التحصيلية: بحيث تقيس المهارات المعرفية والبحثية والفكرية والتطبيقية والإبداعية الأساسية التي يلزم توافرها في الطلاب وتقيس المهارات اللازمة في التخصصات الدقيقة التي تحقق المتطلبات الخاصة بالقسم.

- تبني إجراءات تسمح بالقبول المشروط والمؤقت والنهائي، بحيث يمكن إجراء اختبارات تحصيلية أخرى بعد مرور سنتين للطالب في الكلية لمعرفة مدى توافقه مع التخصص الدقيق والمحتوى المعرفي، ومن قدراته العقلية والنفسية العامة، والتي على ضوئها يتخذ القرار عن إمكانية بقاء الطالب في التخصص الذي اختاره وقبوله النهائي أو تحويله إلى تخصص آخر.

- توفير تخصصات آخرى بديلة لمن يثبت عدم ملاءمتهم لمهنة التدريس والذين لم يحصلوا على القبول النهائي، بحيث يمكن إعدادهم لمهن تعليمية مساعدة كمحضر مختبر ومجهز معمل ومراقب وإداري مساعد...الخ، أو إعطائهم كشفًا بدرجات المقررات التي درسوها.

4- الآثار السياسية:

تتضح الآثار السياسية في التطبيق والممارسة لمفاهيم الديموقراطية والحرية والوطنية، لأنها قد لا تتوافق مع الواقع والإرث الاجتماعي والثقافي لدول العالم الثالث التي تعاني من هيمنة قيم التعصب والقبلية والطائفية، ومن انحدار الوعي الديموقراطي وقيمه(39)، ومن هنا تبرز الوظيفة السياسية لمؤسسات التعليم، وذلك من خلال تعريف الأفراد بحقوقهم وواجباتهم، وتحقيق الحوار الوطني والمشاركة المفتوحة مع أفراد وجماعات ومؤسسات المجتمع المحيطة، وإيجاد جذور لها في سلوكيات الأفراد وفي حياتهم العملية، وأيضًا التوازن مع السلطة والممارسة الديمقراطية في المجتمع(40).

والديموقرطية في التعليم تعني إيجاد فرص متساوية للجميع بدخول مؤسساته، وتوفير بنى غير تقليدية ومرنه لقبول الوافدين الجدد وتعديل محتوى التعليم بشكل متوافق مع اهتماماتهم وأهدافهم الشخصية، ومواكبة المضامين المعرفية والمهارات والاتجاهات العالمية المطلوبة، والبعد عن الاتجاهات الهادفة لاستغلال ذكاء الأفراد لصالح قطاعات تتطلب أشخاصًا مدربين بطرق محددة ومزودين بأفكار صارمة ورتيبة،

ومصممة لجعلهم قوة عمل سهلة القيادة(41)، ومن جهة أخرى، فإن الحرية الأكاديمية توفر لمؤسسات التعليم عددًا من المزايا التي من أبرزها الآتي(42):

– أنها تزيل المعوقات التي تحد من النشاط العلمي والبحثي والمهني الحر للأستاذ والطالب.

– أنها تعطي الجامعات مزيدًا من العمل والكفاية والاستقلال الداخلي والإنجاز.

– أنها تعيد للجامعة توازنها في القيام بوظائفها الأساسية في المعرفة وممارسة دورها الديمقراطي.

– أنها تقلل مصادر الاستلاب والاغتراب الأكاديمي للطلاب، وتوفر لهم نقابات تدافع عنهم.

أما المواطنة، فإنها تمر بمرحلة مراجعة لكسر حاجزها القومي، بدعوتها لأن تضيق نحو مواطنات أصغر ذات جامع لغوي أو عرقي، أو أن تتوسع نحو مواطنة عابرة للقوميات، إضافة إلى تداخل حدود الانتماءات الفكرية والثقافية مع أبعاد المواطنة، وما يترتب عليه من انشقاق في مجال الفكر والمفاهيم، ومن الخلل في الرؤية والاختيار والاختطاف أمام بريق الشعارات، وبروز الممارسات التي تشكل خرقًا لمسلمات الوطن ومصالحه العليا، والتي تؤدي في النهاية إلى الصراع والانقسام في المجتمع، وإشعال نار الفتن وتغذية التطرف والإرهاب ليقضي على كل قيمة شريفة، وخاصة لدى فئة الشباب وما يتسمون به من حب كل جديد ورغبة في التغيير وتأكيد الذات(43)، إضافة إلى أن الانتماء المزدوج لجامعات العالم الثالث بين المحلي والعالمي هو المصدر الرئيس للصعوبات التي تواجهها، حيث نجد الآتي(44):

– أن الجامعات قد تقدّم النقد المعزز ببراهين علمية صادرة عنها، وهذا يجلب لها نقمة المسؤولين.

– أن الجامعات تشكل الخريجين المتجهين للخارج علميًا ومرجعيًا، مما ينافي تنمية الشعور الوطني.

– هجرة الكفاءات الجامعية عبر الحدود، التي تجد نفسها وجامعاتها بحالة ارتباك وإحباط تجاههم.

– عدم فعالية المؤسسات التعليمية على تأكيد التلاحم الوطني أمام تعاظم وسائل الاختراق.

– تجاوز البيئة المباشرة للمؤسسة التعليمية الحدود القومية وازدياد الحراك والتأثر لأعضائها.

– تزايد الصراع وتكشفه بشكل كبير وفج في الجامعات، وتشطرها حتى داخل الجامعة، لأنها غير قادرة على حماية نفسها أمام سيطرة الأقليات المتعصبة عليها، ولزيادة نفوذ المهنيين فيها.

وفي ضوء المتغيرات السياسية، فإن تكوين المعلم يجب أن يركز على إعداد «المعلم الديموقراطي»، وهو المعلم الذي يتمثّل الحرية الأكاديمية كسلوك وممارسة واعية وناضجة في الحياة وفي العملية التعليمية وفق الضوابط والالتزام بالصالح العام، ولديه طموحات في رسم مستقبل متجه نحو الديمقراطية، ويحيا منظومة قيمية وأخلاقية تحكم أداءاته كافة بعيدًا عن التسيب والتهاون، بحيث يبدع في التدريس والبحث وعدم الانغلاق إلى نمطية محددة، ويمارس دوره بفعالية وكفاءة في التدريس والتقييم والنمو المهني وخدمة المجتمع، ويسير مع تلاميذه وبهم لأقصى ما تسمح به مقدرتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم، ويقومّ تلاميذه بعدالة ونزاهة وشفافية، ويكون قادرًا على تنمية القدرة النقدية التي تستلزم تفكيرًا حرًا وفعلًا مستقلًا، ويشكل حافزًا لتلاميذه على البحث والنقد والمشاركة والمناظرة للآخرين واحترام آرائهم، ويعمل على إشراك جميع التلاميذ في عملية التعليم، وعلى إعادة الحيوية للصف وإصلاح الخطأ الناجم عن التركيبة الهرمية له، والتخلص من النماذج السلبية في النظر للسلطة(45)، إضافة إلى «معلم المواطنة»، وهو المعلم الذي يجعل من الوطنية موضوع التقاء لكل التوجهات والأفكار والآراء التي تعكس نوعًا من التعددية الثقافية والفكرية في المجتمع، وتنمية السلوك الاجتماعي والأخلاقي المسؤول وإيجاد جذور لها في سلوكيات التلاميذ، وهو الذي يتعامل مع تلاميذه بموضوعية بغض النظر عن أية أبعاد عشائرية أو اجتماعية أو طائفية، ويشبع حاجاتهم الوجدانية والنفسية والروحية بما يتفق وتكوين شخصية ملتزمة ومتوازنة في ذاتها، بعيدة عن اللامبالاة ومنتمية للمستويات الاجتماعية «الأسرة والأمة وجماعة العمل...الخ» المختلفة في المجتمع

وتعزيز علاقتهم بها، وترسيخ مفاهيم التعاون مع الآخرين والقيام بالعمل الخيري التطوعي والخدمي، وليكون تلاميذه أكثر فعالية في الحياة العامة، وأن يكونوا مواطنين معتمدين على أنفسهم وعلى مقدراتهم، ومعتزين بوطنهم وبولاة أمره وبنظامه ومؤسساته الاجتماعية، ولديهم القدرة على التضحية بالنفس والمال في سبيل الدفاع عنه(46).

5- الآثار الثقافية:

تعد العولمة مصدرًا جديدًا للتجانس الثقافي، وذلك بفضل حيازتها على المعرفة المنظمة، والوسائل الفاعلة لنشرها وتطبيقها في كافة مجالات الحياة، إلا أن عملية التجانس هذه ومسارها ليسا أمرين حتميين، إذ تسهم فيها عوامل عديدة منها القيم والمعتقدات السائدة، ولذا نجد استمرار الاختلافات الضمنية في القيم ومن ثم تعدد الممارسات والأساليب أي التعدد الثقافي(47)، ولذا تدور ثقافة العولمة حول السعي المشترك بين التماثل والتمايز ومحاولة كل منهما النيل من الآخر، والمستقبل يحمل مشهدين هما: تعزيز نسق أحادي، أو الحفاظ على التنوع الثقافي، ومن ثم تعتمد آثار العولمة الثقافية على تحري ما إذا كانت ستؤدي إلى التجانس أم إلى التعدد الثقافي(48).

وبالرغم من أن الدور الثقافي لجامعاتنا ضعيف إلى حد يمكن تجاهله، إضافة إلى توزعها بين قطبي جدلية العالمية والحداثة في مجال الثقافة، مما يجعل حركة التطور في التعليم الجامعي بشكل عام تتسم بضبابية تلف فلسفة التعليم الجامعي ومحتواه، وتجعل مسيرتها أقرب إلى العشوائية(49)، إضافة إلى توجه الأجيال القادمة إلى الفضائيات والمعلوماتية بمزيد من النشوة مع التقاليد الجديدة، والتي خلقت الانطباع أنه لا يوجد شيء محدد، وأن كل شيء يتوقف على وجهة نظر المشاهد(50)، ويدعم هذا مبالغة المؤسسات التعليمية في الاهتمام باللغات الأجنبية والتدريس بها في بعض العلوم والأقسام، وانتشار الجامعات الأجنبية، واتساع هذا النمط مع ما تفرضه اتفاقيات منظمة التجارة العالمية من إلغاء لأية قيود على فتح المؤسسات التعليمية الأجنبية لفروع لها في الدول الأخرى، والإيحاء بأفضلية الأجنبي على ما هو وطني أو قومي(51)، ولذا فإن للتعليم في هذه المجالات دورًا مهمًا، لأن الانفتاح

الزائد لانسيابات الثقافة العالمية يهدد مجتمع الدولة بالاحتجاج والثورات بينما الانغلاق سيخرج الدولة عن المسرح العالمي، ولأن مهمات التعليم والثقافة تتداخل لتكون دافعة أو معوقة لحركة التقدم(52)، وهناك عدد من آثار العولمة الثقافية على مؤسسات التعليم، ومن أبرزها الآتي(53):

– زيادة التدفق الحر للمعارف والمعلومات مما يعزز وظيفة تنمية العلم والتفكير العلمي.

– تطوير وامتلاك المهارات التقنية والإدارية والتسييرية والتفوق فيها، من خلال التعليم العالي.

– تفعيل بعض المبادئ التربوية العالمية مثل «التعلّم الذاتي» و«التعليم للجميع» و«التعليم المستمر».

– تزايد المقارنة بين الجامعات وتطويقها بعدد من المرجعيات الأكاديمية العالمية والمتنوعة.

– إحداث تغييرات في شكل الدراسات ومحتوى البرامج، لتشبع احتياجات الفئات المحرومة.

– تبني عدد من القيم العالمية المشتركة التي تساعد على نشر ثقافة السلام، وكشف العيوب الموجودة في البنية السلوكية والقيميّة المحلية بعيدًا عن قيم الهيمنة أو الوصاية المعرفية والثقافية.

– خلق عدد من التناقضات بين: أنماط المعيشة العالمية والمحلية، وبين الحداثة والتقاليد، وبين التعليم الغربي وإحياء المؤسسات التعليمية التراثية، والتوتر بين المادي والروحي.

ولذا يبرز التساؤل عن كيفية المضي قدمًا في مواجهة ثقافة أكثر تنوعًا واعتمادًا على الصور الرمزية وأقل ألفاظًا وأكثر تركيزًا ثقافة الأجيال الناشئة «جيل الشبكات»؟ وعن كيفية حماية الهوية الثقافية في وجه ما تتعرض له من تدفقات العولمة وتداخل المحلي بالاقليمي بالعالمي وسرعة تحولات أنماط الحياة والأنشطة، والتي تكون غالبًا غير متفقة مع الواقع وإمكانياته، بل والتي تتجاهلها تمامًا(55).

وفي ضوء المتغيرات الثقافية، فإن تكوين المعلم يجب أن يركز على إعداد «المعلم العصري»، وهو المعلم الذي لديه سعة ثقافية في الفنون العقلية والعلوم واللغات، ويقود التجديد وصناعة المجتمع وفقًا لمقتضيات العصر، وقادر على التعامل مع تجديد الثقافة المحلية والتفاعل مع الثقافة العالمية، بدلًا من التلقين أو الانبهار، كما يستطيع التدريس بأساليب منطلقة من منهجية المستقبل، ويمتلك أكثر من لغة ويدعم مفهوم نسبية المعارف ويعمل على التوفيق بين الآراء وبناء وجهة نظر متطورة ومتغيرة، وهو المعلم الذي يشجع الحكمة القائلة «فكر عالميًا ونفذ محليًا»، ويهتم بالتفاعل مع الخصوصيات الأخرى، ويراعي التعددية الثقافية في تدريسه وتقويمه، وأن يكون لدى المعلم الوعي الكامل بالعوامل السياسية والثقافية والاجتماعية التي تؤثر على عمله، والذي يكون له دور في نشر ثقافة السلام، والالتزام بمبادئ العدل والتسامح والحوار والاحترام بين أفراد المجتمع والجماعات والشعوب المختلفة بتنوعها العرقي والديني والثقافي(56).

عنوان الدراسة: المتغيرات العالمية المعاصرة وأثرها في تكوين المعلم

إعداد: د.خالد بن محمد العصيمي

أستاذ مساعد بكلية المعلمين بالباحة

قسم التربية وعلم النفس

مقدمة إلى اللقاء السنوي الثالث عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن)

المراجع

1- ديفيد وفوراى: بول أ ودومينيك، مقدمة في اقتصاد مجتمع المعرفة، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 171، مارس 2002م، ص15.

2- السلمي: علي، الإدارة بالمعرفة، المجلة الدولية للعلوم الإدارية، المجلد 2، العدد 2، يونيو 1997م، ص172.

3- ميتلشتراس: يورجين، تحديات جديدة أمام التعليم والبحث في ظل الاقتصاد الكوكبي، مستقبليات، العدد 119، سبتمبر 2001م، ص494.

4- غليـون وأمـين: برهـان وسـمير، ثقافـة العولمـة وعولمـة الثقافـة،ط2، دار الفكـر، دمشق، 2000م، ص21.

5- بيتي وسويت: باسكال ولوك، العولمة تبحث عن مستقبل، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 160، 1999م، ص43.

6- برونـر: خوسية جواكين، العولمة والتعليم والثورة التكنولوجية، مجلة مستقبليات، العدد 118، يونية 2001م، ص165.

7- ولعلـو: فـتح الله، تحـديات عولمـة الاقتصـاد والتكنولوجيـا، منتـدى الفكـر العربـي، عمـان، 1996م، ص (42-40)، والخالـدي: ذكـاء مخلـص، العولمـة «المفـاهيم والمتطلبـات»، المجلـة الاقتصـادية السـعودية، العـدد 3، خريـف 1420هـ/1999م، ص(67،36).

8- العيسـوي: إبـراهيم، التنميـة فـي عـالم متغيـر، دار الشـروق، القـاهرة، 2000م، ص46، وعلـي: أحمد محمد، العولمة واقتصـاد العالم الإسـلامي، للمؤتمر الإسـلامي الرابـع «الأمـة الإسـلامية والعولمـة»، مكـة المكرمـة، محـرم 1423هـ/أبريل 2002م، ص(22-20).

9- هيجوت: ريتشارد، العولمة والأقلمة «اتجاهان جديدان في السياسات العالمية»، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبوظبي، 1998م، ص(54-51)، والخضـيري: محسـن أحمـد، العولمـة الاجتياحيـة، مجموعـة النيـل العربيـة، القـاهرة، 2001م، ص195.

10- الطويل: هاني عبدالرحمن، الإدارة التعليمية «مفاهيم وآفاق»، دار وائل للنشر، عمـان، 1999م، ص423، وعبيـد: نـايف علـي، العولمـة مشـاهد وتسـاؤلات، مركـز الإمارات للدراسات والبحوث، أبوظبي، 2001م، ص42.

11- غليون وأمين، مرجع سابق، ص16، والخضيري، مرجع سابق، ص195.

12- غليـون وأمـين، مرجـع سـابق، ص (20-16)، وخريسـان: باسـم علـي، العولمـة والتحدي الثقافي، دار الفكر العربي، بيروت، 2001م، ص21.

13- النقيب: خلدون حسن، الآفاق المستقبلية للفكر الاجتماعي العربي، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 30، 2002م، ص18.

14- عبيد، مرجع سابق، ص33، أبو حلاوة: كريم، الآثار الثقافية للعولمة وحظوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 29، يناير 2001م، ص176.

15- السلمي، مرجع سابق، ص172، عبدالحليم: محمد محمد، المتطلبات التربوية من التعليم الجامعي في ضوء بعض المتغيرات المحلية والعالمية، التربية والتنمية، العدد 13، مارس 1998م، ص101، والتوم وآدم: عبدالله عثمان وعبدالرؤوف محمد، العولمة «دراسة تحليلية نقدية»، دار الوراق، لندن، 1999م، ص88، وبرونر، مرجع سابق، ص165، وبوقحوص: خالد أحمد، اتجاهات تطوير التعليم العالي في ظل العولمة، مجلة التعاون، العدد 51، يونيو 2000م، ص60، والخضيري، مرجع سابق، ص218، وميتلشتراس، مرجع سابق، ص494، وديفيد وفوراى، مرجع سابق، ص15.

16- ليفي: بيير، التكنولوجيات الجديدة والذكاء الجمعي، مجلة مستقبليات، العدد 102، المجلد 27، يونيه 1997م، ص279، وعزيز: نادي كمال، الإنترنت وعولمة التعليم وتطويره، مجلة التربية، العددان 133-134، الدوحة، قطر، يونيو – سبتمبر 2000م، ص(360-349)، وبرونر، مرجع سابق، ص165.

17- جالوبين وآخرون: جيلبرتو وسيلفو فونتوويكز ومارتن أوكونور وجيري رافيتس، العلم من أجل القرن الحادي والعشرين من العقد الاجتماعي إلى الطفرة العلمية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 168، يونيه 2001م، ص65.

18- برونر، مرجع سابق، ص165، وميتلشتراس، مرجع سابق، ص492.

19- الحوات: علي الهادي، التربية العربية رؤية لمجتمع القرن الحادي والعشرين، منشورات اللجنة الوطنية الليبية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004م ص130-132، الصايغ وآخرون: محمد بن حسن وعبدالعزيز العمر وطلال الحجيلان، اختيار المعلم وإعداده في المملكة العربية السعودية «رؤية مستقبلية»، مجلة المعرفة، العدد 95، صفر 1424هـ، ص29-33.

20- الحوات، مرجع سابق، ص130-132.

21- عبدالحليم، مرجع سابق، ص29، وبوقحوص، مرجع سابق، ص61، وراسيل، مرجع سابق، ص141، ونوفل: محمد نبيل، الجامعة والمجتمع في القرن الحادي والعشرين، المجلة العربية للتربية، المجلد 22، العدد 1، يونية 2002م، ص(152،170)، ونصار وتقي: سامي وعلي، جودة مؤسسات التعليم العالي في عصر العولمة، دراسة مقدمة لمؤتمر «الجودة الكفاءة والإتقان والتميز»، الكويت، 10-2002/3/13م، ص12.

22- ليفي، مرجع سابق، ص271، (282،279)، وراسيل: جين إم، الاتصال العلمي في بداية القرن الحادي والعشرين، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 168، يونيه 2001م، ص143، وديفيد وفوراي، مرجع سابق، ص(22-18).

23- الزهراني: سعد عبدالله بردي، مواءمة التعليم العالي السعودي لاحتياجات التنمية الوطنية من القوى العاملة وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض، 1423هـ، ص74.

24- ليفي، مرجع سابق، ص(279-271).

25- كارتون وطويل: مايكل وصبحي، العولمة الاقتصادية والسياسات التعليمية، مجلة مستقبليات، العدد 27، 1997م، ص24، وبرونر، مرجع سابق، ص166، وبكار: عبدالكريم، العولمة «طبيعتها، وسائلها، تحدياتها، والتعامل معها»، ط2، دار الإعلام للنشر والتوزيع، عمان، 2001م، ص77، ونوفل، مرجع سابق، ص(153-159).

26- برونر، مرجع سابق، ص167، وراسيل، مرجع سابق، ص144.

27- الحوات، مرجع سابق، ص126-129، والصايغ وآخرون، مرجع سابق، ص29-33.

28- برونر، مرجع سابق، ص(168-167)، ونوفل، مرجع سابق، ص160.

29- ماكجين: نويل ف، أثر العولمة على نظم التعليم الوطنية، مجلة مستقبليات، العدد 27، 1997م، ص50، كارتون وطويل، مرجع سابق، ص(24-23)، وبرونر، مرجع سابق، ص172، ونصار وتقي، مرجع سابق، ص(14-1).

30- الخضيري، مرجع سابق، ص199، ماكجين، مرجع سابق، ص55.

31- حداد: وادي د، عولمة الاقتصاد وتكوين المهارات وأثرها على التعليم، مجلة مستقبليات، العدد 27، 1997م، ص(43-41)، وناس وعبدالكريم: محمد ونهى، الجامعة والعولمة، دراسة مقدمة لمؤتمر جامعة القاهرة لتطوير التعليم الجامعي «رؤية لجامعة المستقبل»، 22-24 مايو 1999م، ص6، الخضيري، مرجع سابق، ص199.

32- ندوى: مامادو، العولمة وعلاقتها بالتنمية الذاتية والتعليم في إفريقيا، مجلة مستقبليات، العدد 27، 1997م، ص93، وزيتون: محيا، مستقبل التعليم العربي في ظل استراتيجية إعادة الهيكلة الرأسمالية، المجلة العربية للتربية، المجلد 17، العدد 1، يونيه 1997م، ص112، وبرونر، مرجع سابق، ص174.

33- زيتون، مرجع سابق، ص104، وتيلاك: جاندهيالا ب.ج، تأثير التصحيح الهيكلي على التعليم، مجلة مستقبليات، العدد 27، 1997م، ص(105-102)، وناس وعبدالكريم، مرجع سابق، ص13، ونوفل، مرجع سابق، ص159.

34- زيتون، مرجع سابق، ص105، وندوي، مرجع سابق، ص92.

35- ندوي، مرجع سابق، ص(93-92)، وتيلاك، مرجع سابق، ص (105-102)، وزيتون، مرجع سابق، ص107.

36- الحوات، مرجع سابق، ص126-130.

37- الحوات، مرجع سابق، ص118-128، والخبتي: علي بن صالح، نظرة تطويرية للتنمية الذاتية للمعلمين نموذج «التعليم مدى الحياة للمعلمين»، مجلة المعرفة، العدد 95، صفر 1424هـ، ص48-50.

38- الصايغ وآخرون، مرجع سابق، ص29-33.

39- وطفة: علي سعد، الأداء الديمقراطي للجامعات العربية، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 68، شتاء 2000م، ص73.

40- الطويل، مرجع سابق، ص(430-429)، ووطفة، مرجع سابق، ص88.

41- الأحمد: عدنان، دور البحث العلمي في تجويد وتجديد التعليم العالي، دراسة مقدمة لمؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي في ضوء متغيرات العصر، جامعة

الإمارات العربية المتحدة، كلية التربية، العين، 13-15 ديسمبر 1998م، ص(22-26).

42- وطفة، مرجع سابق، ص(88-75).

43- الزنيدي: عبدالرحمن زيد، مبدأ المواطنة في المجتمع السعودي، اللقاء 13 لقادة العمل التربوي بالباحة من 26-28 محرم 1426هـ، ص8، والعامر: عثمان صالح، الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي «دراسة استكشافية»، اللقاء 13 لقادة العمل التربوي بالباحة من 26 -28 محرم 1426هـ، ص25.

44- ديلور وآخرون: جاك وأعضاء اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، التعلّم ذلك الكنز المكنون، اليونسكو، مركز الكتب الأردني، عمان، 1995م، ص(62-58)، وعمار: حامد، مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000م، ص84، وبرونر، مرجع سابق، ص173.

45- الطويل، مرجع سابق، ص(430-429)، ووطفة، مرجع سابق، ص88.

46- جود: جوديث، تعليم المواطنة، مجلة المعرفة، العدد 39، جمادى الآخر، 1419هـ، ص72-74، والزنيدي، مرجع سابق، ص8، والشريدة: خالد عبدالعزيز، صناعة المواطنة في عالم متغير «رؤية في السياسة الاجتماعية»، اللقاء 13 لقادة العمل التربوي بالباحة 26-28 محرم 1426هـ، ص(19-17).

47- التوم وآدم، مرجع سابق، ص130، وعمار، مرجع سابق، ص110، وبايكر وهارت: وين ورونالد إنجل، تحدي العصرنة للقيم التقليدية، مجلة الثقافة العالمية، العدد 110، يناير 2002م، ص73.

48- عبيد، مرجع سابق، ص34، وأبو حلاوة، مرجع سابق، ص177، وعليمات: حمود، الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 24، ربيع 2001م، ص(110-108).

49- نجيب: عصام، الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب «الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية» 4-6 مايو 1998م، جامعة فيلادلفيا، عمان، 1999م، ص237.

50- برونر، مرجع سابق، ص173، وأبو حلاوة، مرجع سابق، ص188، وعمار، مرجع سابق، ص115.

51- عمار، مرجع سابق، ص119.

52- عليمات، مرجع سابق، ص(110-108).

53- عمار، مرجع سابق، ص112، وغليون وأمين، مرجع سابق، ص38، وبوقحوص، مرجع سابق، ص61، وخريسان، مرجع سابق، ص153، وعليمات، مرجع سابق، ص(110-108)، ونصار وتقي، مرجع سابق، ص10، ونوفل، مرجع سابق، ص156، والزهراني، مرجع سابق، ص80.

54- كارتون وطويل، مرجع سابق، ص24، وحجازي: مصطفى، العولمة والتنشئة المستقبلية، العلوم الإنسانية، عدد 2، 1999م، ص18، وخريسان، مرجع سابق، ص123، وعليمات، مرجع سابق، ص110، وبرونر، مرجع سابق، ص171.

55- ندوي، مرجع سابق، ص94، وكوميليان، مرجع سابق، ص37.

56- الزهراني، مرجع سابق، ص59، ونوفل، مرجع سابق، ص175، والحوات، مرجع سابق، ص49.

==============

#رحلة بابا الفاتيكان من عشق المسرح إلى عولمة الكنيسة

تمكن يوحنا بولص الثاني الذي جاء للفاتيكان من خشبة المسرح من أن يظل طيلة أكثر من ربع قرن في واجهة الأحداث الدولية من خلال فتحه للكنيسة الكاثوليكة على العالم وبانخراطه المستمر في كبرى النقاشات المتعلقة بماضي وحاضر ومستقبل الإنسانية. لكن حضور بابا الفاتيكان يبقى أكثر قوة في حياة أتباع الكنيسة الكاثوليكية -باعتباره يستمد سلطته مباشرة من المسيح في نظرهم- لما يمثله من رمزية خلاصية وغفرانية ولكونه حول كنيستهم إلى فاعل ذي نفوذ قوي في الساحة الدولية. فإلى جانب الرسالة الروحية الخالصة التي كان يضطلع بها، دخل الرجل التاريخ بمساهمته الكبيرة في انهيار المعسكر الشيوعي وذلك من خلال مساندة الكنيسة ماديا ومعنويا لحركة" التضامن" العمالية البولندية التي عصفت بالنظام الشيوعي في البلاد لتسرع بالتالي بسقوط المعسكر بكامله. ولهذا لا يتردد البابا

البولندي الأصل الذي رأى النور عام 1920 في اتهام الكتلة الشيوعية بتدبير محاولة اغتياله على يد شخص يدعى محمد علي آغا في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي.

البابا يحول العالم لفاعل مهم في الساحة الدولية (الفرنسية)

حوار وتكفير

لكن التوجه الكوني لبابا واسمه الحقيقي كارول فويتيلا وهو البابا الأول غير الإيطالي منذ البابا أدريانوس السادس (1522– 1523)، اكتسب قوة أكثر من خلال تشجيعه الحوار بين الديانات عبر سلسلة من اللقاءات وفي التقريب بين الكنائس المسيحية. وسيحتفظ التاريخ ليوحنا بولص الثاني بكونه أول بابا في التاريخ تطأ قدماه مسجدا في بلد مسلم إذ تم ذلك أثناء زيارة البابا لسوريا في مايو/أيار 2001. وكان البابا قد زار عام 1986 المغرب وخرج عشرات الآلاف لاستقباله واستمعوا لخطاب ألقاه في أكبر ملعب لكرة القدم بالمملكة. وفي علاقاته مع اليهودية اعترف الفاتيكان بإسرائيل بشكل رسمي عام 1986 وزار في نفس العام كنيسا في روما مع كل ما يحمله ذلك الاعتراف وتلك الزيارة من أبعاد عقدية. وفي مراجعة كبيرة لماضي الكنيسة في شبه اعتراف بالخطيئة، فتح الفاتيكان عدة ملفات سوداء في تاريخ الكنيسة تشمل محاكم التفتيش والحروب الصليبية وتجارة العبيد وما يسمى محرقة اليهود. وإذا كانت العلاقات مع اليهود واليهودية تتجه نحو نوع من "التطبيع" بفعل الضغوط القوية للوبيات اليهودية التي توجهت بالشروع في فتح ملفات الفاتيكان في عهد البابا بيوس الثاني عشر المتعلقة بمواقف الكنيسة مما تعرض له اليهود على يد ألمانيا النازية، فإن التوجه التكفيري لا يبدو أنه سيشمل الماضي الصليبي للكنيسة ومعاناة المسلمين مع محاكم التفتيش في إسبانيا في القرن الخامس عشر. في مقابل ذلك فإن البابا أبدى مواقف مناصرة للقضايا العربية وخاصة للقضية الفلسطينية حيث فتح لأول مرة أبواب حاضرة الفاتيكان عام 1981 للزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات وهاجم بشدة الجدار العازل الذي يبنيه الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وكان من أشد المعارضين لشن الحرب على العراق عام 2003.

خطأ! مرجع الارتباط التشعبي غير صالح.

خطأ! مرجع الارتباط التشعبي غير صالح.

البابا يقود منذ 1978 أكبر تجمع مسيحي في العالم (الفرنسية)

من المسرح للفاتيكان عندما تولى يوحنا بولص الثاني مقاليد الكنيسة الكاثوليكية عام 1978 كان أصغر بابا في القرن العشرين حيث كان عمره آنذاك 58 عاما وجاء ذلك بعد ارتقاء سريع لسلم الكهنوت الكاثوليكي بعد أن أصبح كبير أساقفة كراكوف، رابع أكبر مدن بولندا. لم تكن المراحل الأولى من حياة كارول فويتيلا تحمل إرهاصات توليه قيادة الفاتيكان في يوم من الأيام إذ كان يحلم في أن يصبح ممثلا وكان في شبابه يهوى كرة القدم والتزلج وكان من عشاق المسرح. لكن الانعطافة الحاسمة في حياة فويتيلا كانت أثناء الاحتلال النازي إبان الحرب العالمية الثانية حيث درس علم اللاهوت سرا لبعض الوقت ثم نصب قسا عام 1946 وارتقى سلم الكهانة حتى أصبح كبير أساقفة عام 1964 ثم كاردينالا عام 1967. وخلال توليه للبابوية جاب يوحنا بولص الثاني العالم 27 مرة زار خلالها أكثر من 100 دولة وحول الفاتيكان لآلة لإنتاج القديسين حيث تم في عهده أكبر عدد من عمليات التقديس و"التطويب". لكن مهمة يوحنا، الذي يصارع المرض منذ سنوات، لم تكن رحلة استجمام في عالم سريع التطور والتحول في جميع الميادين ومتشابك العلائق والمصالح حيث أن عددا من آرائه في بعض أوجه الحياة المعاصرة كالطلاق ومنع الحمل والإجهاض أثارت جدلا حادا في العالم شمل حتى بعض الأوساط الكاثوليكية.

==============

#عندما جاءت العولمة :

ثورة الاتصالات بين : الثقافة الموحدة والسيادة الثقافية ..

سامي خشبة

وعندما جاءت العولمة , جاءت محمولة علي أعناق وأكتاف ثورة الاتصالات ; أي طوفان الموجات الالكترونية الضوئية السرعة ; المرئية / المسموعة / المقروءة , التي تتحول بها كل ما تتخذه المعاني من أشكال أو قوالب أو رموز , أي تتحول بها رسائل المعلومات والأخبار والأفكار والتوجيهات والأوامر والايحاءات ودلالات الأعمال الفنية الدرامية والتشكيلية والموسيقية .. تتحول إلي صور وكلمات وأصوات

, بالألوان والأصداء الطبيعية والاصطناعية . فالعولمة . بأي مفهوم لها , إيجابي أو سلبي ; اقتصادي أو (و) سياسي أو (و) ثقافي أو (و) استراتيجي . ما كانت لتأتي بالصورة التي نواجهها منذ أواخر القرن العشرين , وتزداد وضوحا وحدة منذ البداية الفلكية للقرن الحادي والعشرين لولا ثورة الإتصالات ...

غير أن ثورة الاتصالات التي حملت أمواجها وأدواتها حقائق العولمة أو تحولها في كل لحظة إلي حقيقة فعلية تعيشها البشرية كلها تقريبا . تستسلم لها أو تقاومها أو تتفاعل معها . لم تكن مجرد ثورة في التقنيات الفنية ; وإنما كانت ثورة متعددة الوجوه , الثقافية , السياسية , الاقتصادية والاستراتيجية , بهذا الترتيب كما سنري بعد قليل , تمكنت من توظيف التقنيات (أو : التكنولوجيات) الجديدة لنشر أفكار وتوجهات وايحاءات ودلالات بعينها , وتحقيق السيادة علي عقول البشرية كلها . عن طريق المواد الثقافية المتعددة الأنواع : من المعلومات إلي الأخبار إلي التحليلات في شكل ندوات وأحاديث .. إلخ .. حتي الأفكار والمذاهب والتصورات الأعمال الفنية وانماط السلوك ...

بهذا الشكل , وفيما يجمع علماء الثقافة المعاصرة , الذين لا ينشغل أكثرهم إلا بدراسة العلاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال الحديثة , تضاعف . دون حدود تقريبا . تأثير الثقافة علي اختيارات الجماعات الانسانية , إلي الدرجة التي يلغي معها مبدأ الاختيار ذاته , أو مبدأ الحرية الجماعية القومية والفردية الشخصية , علي حد ما يطرحه فيلسوف ما بعد الحداثة الأشهر , الفرنسي فرانسوا ليوتار في كتابه : تفسير ألما بعد حداثي:

ThePostmodernExplained

(نشر جامعة مينيسوتا . 1995 . ترجمة جماعية حررها جوليان بيفانيس ومورجان توماس . وكتب التعقيب عليها فالد جود زيش)...

كانت الثقافة (أو : المعرفة عند ليوتار وزملائه) ابداعا جماعيا وفرديا تحكمه وتستثمره أفكار ومباديء كبيرة (يسميها : سرديات كبري . في محاولته لتسميتها بكلمة محايدة) وكانت هذه الأفكار والمباديء تجمع بين الأسس الاجتماعية والسياسية والقواعد الأخلاقية والتوجهات المنهجية المختلفة عبر العصور والثقافات ..

واستمر هذا الوضع بشكل أو بآخر حتي عصر الرأسمالية المتطورة التي حققت الثورة التكنولوجية ; وكان مجال الاتصالات من أهم المجالات التي تجلت فيها هذه الثورة ; وكانت المعرفة (أو : الثقافة / أو : الثقافات) أكبر أهدافها , وضحاياها ...

فالثقافة (أو المعرفة) لم تعد إبداعا . جماعيا ولا فرديا . وإنما أصبحت إنتاجا له قيمة وظيفية نفعية (استخدامية واستغلالية بتعبير الاقتصاديين)... كما أصبحت سلسلة لا نهاية لها من الرموز الرقمية التي تزداد باستمرار , ويتم تجميعها , واعادة تجميعها علي الدوام . مثل مكونات

Components

أي جهاز أو آلة أخري , حسب المنفعة . أي الاستخدام أو الاستغلال المطلوبين من تجميعها . أو تفكيكها في كل مرة : هكذا تفصل الثقافة / المعرفة . ليس فقط عن طبيعتها التاريخية : بوصفها ابداعا جماعيا وفرديا / جماعيا ; وإنما تفصل أيضا عن مبادئها وأفكارها الحاكمة : الاجتماعية / السياسية (أي : القومية) والمنهجية (أي : العلمية) لكي تؤدي المنفعة التي تطلبها القوي المتحكمة في كل من إنتاج المعرفة (الثقافة الجديدة) وفي توزيعها وبثها للتحكم في وعي البشر , وفي اختياراتهم ... فيلغي . في الحقيقة . مبدأ الاختيار ذاته , أو مبدأ الحرية : حرية الأمم , والأفراد .. علي السواء , مع مجيء العولمة محمولة علي أمواج طوفان ثورة الاتصالات .

هذه الحقيقة استخلصها علماء ثقافة معاصرون من مدارس وتيارات وجنسيات عديدة ; حاول بعضهم أن يقدمها باعتبارها التطور الطبيعي والايجابي للثقافة الانسانية في عصرنا , وللحياة الانسانية بالتالي ; ولكن أكثرهم . في الغرب خصوصا . اتخذوا منها موقفا نقديا , باعتبارها ظاهرة خطيرة تهدد الليبرالية أو الديموقراطية . الاجتماعية والسياسية والفكرية الثقافية . في بلدان الرأسمالية (الليبرالية) المتطورة ذاتها , مثلما هدد الاحتكار الصناعي والمالي أسس الليبرالية الاقتصادية في الماضي ; ويهدد بالتالي بتحويل هذه الليبراليات التي أقامتها حركة الحداثة منذ الثورات السياسية القومية والاجتماعية : الانجليزية والأمريكية والفرنسية علي التوالي في القرون من السابع عشر إلي الثامن والتاسع عشرتحويلها إلي نظم شمولية , فاشية النزعة يسمونها الآن الفاشية اللينة .

ولكن القليلين من علماء الثقافة الغربيين المعاصرين . النقديين . هؤلاء . من اهتم بخطورة تهديد عولمة الوعي . الانساني . وعولمة الثقافات الانسانية (القومية) بالتالي والغاء خصوصياتها . ومع ذلك فما يزال عدد من هؤلاء العلماء البارزين (في تخصصات اللغويات مثل نوام تشومسكي الأمريكي ; والاجتماع الثقافي مثل زيجمونت بومان البريطاني والانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية مثل نيجل رابورت وزميلته جوانا أو فرينج البريطانيان أيضا).. مايزالون يدافعون عن , ويبرهنون علي مفهوم وحقيقة وجود ثقافات . بالجمع ; مقابل سعي علماء العولمة إلي تثبيت مفهوم : الثقافة بالمفرد : ولكننا من واقع متابعة ومعايشة تيار العولمة الثقافية , الذي تحول بوضوح في الخطاب الرسمي الأمريكي والبريطاني بشكل خاص إلي قرار سياسي وخطة للاختراق الثقافي بهدف فرض نظام للقيم . ولدلالات هذه القيم ولتطبيقاتها . السياسية والأخلاقية والفكرية التي يتم تصنيعها في مراكز بحوث خاصة تتعامل نتائج بحوثها مع مؤسسات وأجهزة اتصالاتنا المختلفة : مؤسسات وأجهزة التعليم والتثقيف والاعلام والدعوة الدينية , الأهلية والقومية علي السواء ... أو هكذا يدبرون .. من واقع متابعة ومعايشة تيار العولمة الثقافية هذا ; نلمس كما يلمس غالبية المشغولين بمصائر التنوع الثقافي الخلاق للبشرية ; نلمس مدي هيمنة هذا التيار وقوة سلطته علي كل وسائل الاتصال الكبري في عالمنا الآن , ومدي تهديده بالتالي لذلك التنوع الخلاق نفسه .

إن ثورة الاتصالات . التي أخضعت الثقافة (المعرفة) وتطبيقاتها العملية لمعاييرها ومصالحها الكوكبية / التقنية / لا تشمل فحسب مجرد وسائل الاتصال التقليدية (الراديو والتليفزيون والتليفون .. حتي الحواسب الآلية والانترنت وشبكات المعلومات الاقليمية والدولية الأخري)... وانما شملت التعليم والتثقيف والترفيه والدعوة الدينية : من المدارس والجامعات ومراكز البحوث والجمعيات .. إلي المكتبات ودور العبادة وقاعات العرض ومنتجات فنون وأساليب العرض الجماعي أو العامة (والفردي أو الخاصة) الترفيهية والتبشرية والتعليمية والتوجهية .. إلخ ..

أي أن ثورة الاتصالات بأدواتها وبالتقنية التي تجرد المعرفة (الثقافات) من أصولها أو جذورها أو سياقاتها الاجتماعية الخاصة . شملت كل أدوات وأجهزة ومؤسسات

توزيع المعرفة ... التوزيع فحسب , لأن الانتاج الحقيقي . وتقليداته المحلية المتقنة أو سيئة الصنع . يتم هناك . في مصانع إنتاج المعرفة المرتبطة بقوي العولمة الرئيسية ..

لهذا . وغيره . نحتاج في عالمنا العربي بشكل خاص . إلي برنامج حد أدني من التنسيق . يخطط . نظريا وتطبيقيا . لانتاج معرفتنا (ثقافتنا السائدة وثقافاتنا الفرعية) الخاصة . برنامج نعتقد أنه لابد أن تشارك فيه مؤسسات وأجهزة الدول والمجتمعات , الرسمية أو القومية والأهلية . في ميادين التعليم والبحث العلمي والتثقيف والاعلام والدعوة الدينية .. برنامج نعتقد أنه أصبح من الواضح ضرورة تحديده للثوابت الثقافية , وفتحه الأبواب كلها أمام التجدد والتجديد ; لا يتجمد عند ثوابت ومتغيرات الماضي الاشكالية ويجعلنا قادرين علي التعامل مع مستجدات الثقافات الأخري . بما فيها الثقافة المعولمة .

وفي هذا السياق , لابد أن نتذكر عبارة السيادة الاعلامية التي كان تحقيقها هدفا لمؤسسات الاعلام (والصحافة بينها) المصرية منذ أوائل الثمانينات باعتبارها دليلا علي وعي مبكر بخطورة ترك فضاء الاتصالات . أو الفضاء الثقافي بمعايير عصرنا . لسلطة غير سلطة الأمة وسيادتها الاجتماعية ; وذلك بشرط فهم السيادة علي أنها سيادة مضمونية وتقنية معا ; تكفل تحرير الوعي العربي مع إدراكه لثوابته أيضا ..

============

#التقدم العلمي في ظل العولمة والنموذج الاسلامي لتفاعل الحضارات

* أ.د. أحمد فؤاد باشا

مقدمة:

يتحدثون الآن عن ((العولمة)) باعتبارها السمة المميزة لحضارة العصر المادية في سعيها إلى الهيمنة

وفرض سيطرة النموذج الغربي سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعلمياً. ولكن هذا يخالف ناموس التفاعل الحضاري الذي يحكم العلاقة بين الثقافات العالمية الكبرى على أساس الاحتفاظ بالتمايز والخصوصيات. ولقد كانت ((عالمية)) الاسلام وحضارته

من أهم خصائص النموذج الاسلامي الذي حقق انتشاراً ودواماً متلازمين على الأرض لم تحققهما حضارة أخرى عبر عصور التاريخ الانساني.

وإن ما يحدث في الحاضر والمستقبل من تفاعل وتبادل بين ثقافات الأمم المختلفة ينبغي أن يكون امتداداً لعمل نفس القانون الذي اتبعته حضارات العصور القديمة والمتوسطة والحديثة، برغم الفارق الكبير بين وسائل الاتصال وآلياته ومعدلاته في كل من تلك العصور.

. التقدم العلمي في ظل العولمة:

إن صياغة تعريف جامع مانع .كما يقول المناطقة .لمصطلح ((العولمة)) ليس بالأمر اليسير، نظراً لتعدد مفاهيمه التي تتأثر كثيراً بتعدد الاتجاهات إزاءه رفضاً أو قبولاً بدرجات متفاوتة.

والأفضل .فيما نرى . أن يتم تعريف ((العولمة)) بتحديد أهم خصائصها وصفاتها ومظاهرها التي تدل عليها. ويمكن .من جانبنا . أن نجسد هذه الخصائص والصفات بصورة إجمالية في أمرين مهمين جداً:

. الأمر الأول نستشفه من تحاشي أنصار ((العولمة)) وبعض فلاسفتها إدخال الدين ضمن مجالات نشاطها، فهم يحصرونها بصورة رئيسية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة، وفي بعض الأحيان يدرجون مجال العلم والتقنية. وهم بهذا الاختزال، يجعلون منها ((علمانية)) جديدة تستبعد الأديان من دائرة التأثير.

ـ الأمر الثاني هو ذلك التحيز الذي يصل إلى درجة التعصب للنموذج الغربي، وتعميمه، وفرض سيطرته وهيمنته، مع السعي إلى اختراق خصوصيات الغير وطمس القسمات التي تتشكل منها شخصيات الأمم والشعوب الأخرى، وخاصة المستضعفة منها، وهو . أي النموذج الغربي المدعم بالتفوق المادي والثقافي . يسخر من أجل هذا كل إنجازاته العلمية والتقنية، وقدراته الاقتصادية، وإمكاناته الإعلامية، بل وقوته العسكرية إذا اقتضى الأمر، ليفرض تصوراته الخاصة عن السلام والأمن والحرية وحقوق الانسان، وغير ذلك من المفاهيم التي لها عند كل أمة، بل عند كل توجه فكري وسياسي، تصور خاص.

وهذان الأمران اللذان يجسدان أهم خصائص العولمة الغربية ومظاهرها التي تدل عليها قد صاحبها خلال السنوات الأخيرة ظهور اتجاهات نقدية جعلت كثيراً من الشعوب، بل الحكومات في الغرب نفسه، تخشى هذا الخطر القادم، وترفض الاستجابة لدعواته، والانخراط تحت لوائه.

من ناحية أخرى، يتفق دعاة العولمة الغربية على اعتبار الاسلام في مقدمة الأخطار التي تواجههم أو تقوض أركان دعوتهم في جانبها الأيديولوجي، وقد ظهرت عقب انهيار الشيوعية كتابات وبحوث ومقالات تحذر من الاسلام على أنه الخطر الجديد. وفي المقابل هناك بعض المعتدلين الذين ينصفون الاسلام بمبادئه وقوته الروحية، ولا يجدون غضاضة في التعامل معه ومع أتباعه من خلال الحوار، ولا مانع لديهم من أن تكون الغلبة لمن يصلح للبشرية حتى ولو كان هو الاسلام.. فهم يرون البون واسعاً بين ((عالمية)) النموذج الاسلامي، و ((عولمة)) النموذج الغربي، حتى وإن حاول الغرب أن يضفى على تصوراته طابعاً إنسانياً، ويرفض أي نوع من الاختلاف حولها.

ولم يسلم العلم من السقوط في أسر أيديولوجيا العولمة الغربية (الأمريكية والأوربية واليابانية)، فتحول البحث العلمي إلى سلطة سياسية مرتبطة بنفس الأيديولوجيا، وأصبح ((العلم السري)) تعبيراً عادياً يبرر استثناء بعض مجالات البحث العلمي التي يتوقع أن تضر بالمركز التنافسي الاقتصادي والأمن القومي، من قانون حرية المعلومات الأمر الذي يؤدي إلى تخلف العلم نفسه في بعض الميادين.

كذلك أصبح العلم سلعة وموضوعاً للإنتاج في صناعة جديدة هي ((صناعة المعرفة)) التي حلت تدريجياً محل المادة في الإنتاج. الأمر الذي جعل مكانة المواد الأولية الطبيعية أكثر تدهوراً، لأن الحاجة إليها تقل تدريجياً، وهذا ينعكس سلباً على حركة التقدم العلمي في الدولة التي تلهث وراء تقنيات جديدة تحتكر العولمة إنتاجها. ومن الأمثلة الصارخة على الخلل الذي أحدثته العولمة في توجيه مسيرة العلم والتقنية مشكلة التلوث البيئي التي تزداد تفاقماً يوماً بعد يوم، وأصبحت خطراً قائماً يهدد حياة الانسان في كل مكان على الأرض، وينذر بأوخم العواقب.

. قانون التفاعل الحضاري:

يمكن القول بأن المعادلة التي تبلورت من خلال الدراسات الموضوعية الجادة في تاريخ المعرفة والحضارة الانسانية قد أصبحت في حكم الحقيقة التاريخية الثابتة التي تعبر عن العلاقة بين ثقافات الأمم على أساس التفاعل المتبادل من جهة، مع الاحتفاظ بالهوية والقسمات المميزة من جهة أخرى.

أما التفاعل المتبادل فيعني أن الثقافة الانسانية ذات موارد متعددة بين شرقية وغربية، يغذي بعضها بعضاً، دون أن تقام بينها حواجز منيعة، لا تسمح باتصال أو تبادل، ومن ثم نجد أن حضارات العصور القديمة والوسطى قد أخذت وأعطت مثلما تأخذ الأمم اليوم وتعطي، لتبقى شجرة العلوم والمعارف خضراء يانعة، وارفة الظل وغزيرة الثمار.

ويمكن الاستشهاد على صحة هذا الطرف من معادلة التفاعل الحضاري بأمثلة عديدة لا يسمح المقام بحصرها، ولكن أحد هذه الأمثلة نستخلصه من مجال تاريخ العلوم، حيث نجد أن تقديس ((فيثاغورث)) وأتباعه للأعداد يشبه تلك المعتقدات التي وجدت في بابل، ونجد أيضاً أن مضمون نظريته المعروفة باسمه، نظرية ((فيثاغورث)) كان معروفاً في مصر والهند وبابل، ويربط بعض المؤرخين بين صحة هذه المقولة، وبين ما يروى عن ((فيثاغورث)) من أنه سافر إلى بابل ودرس بها، وأنه عاش في مصر وشاهد إنجازات المصريين وعني باستخلاص المبادئ النظرية التي قامت عليها تلك الإنجازات، مستعيناً في ذلك بأفكاره العقلية، فقد توصل المصريون القدماء للعلاقة بين الأعداد 3، 4، 5 في مثلث قائم الزاوية، ثم صاغ منها فيثاغورث نظريته التي تقضي بأن المربع المنشأ على الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين.

واستطاع علماء الحضارة الاسلامية بعد ذلك، وعلى أساس ما توصل إليه القدماء، أن يستنبطوا تعميم نظرية فيثاغورث لأي مثلث، وكان لكل هذه الإنجازات مجتمعة كبر الأثر في تطوير علم الهندسة المستوية، ثم انبثاق باقي الفروع الهندسية في العصر الحديث.

وعن تفاعل الحضارات كثيراً ما يحدثنا التاريخ السياسي أيضاً، فقد قامت علاقات تجارية بين الهند واليونان والعرب منذ عهد الإسكندر المقدوني وحتى الفتح

الاسلامي، وتشهد ألواح حضارة بلاد ما بين النهرين وكتابتهم المسمارية على تفوقهم في عدد من فروع العلم والمعرفة نتيجة اتصالهم بالمصريين القدماء، وتعتبر الحضارة الفارسية حصيلة لحضارات الأمم والشعوب التي أخضعتها حتى امتدت إلى بلاد السند في الشرق وبلاد ما بين ا لنهرين والساحل الفينيقي ومصر وآسيا الصغرى وشمالي اليونان في الغرب. ولطالما فاخر ملوك الفرس بأن أمبراطوريتهم ضمت عشرين أمة، حتى أن البلاط تكاثر فيه علماء وأطباء ومنجمون من بابل ومصر والهند واليونان، كما أن الكتابة المسمارية استخدمت في البدء مع بعض التعديل للتدوين، وبعد ذلك اعتمدت اللغة الآرامية لغة رسمية.

وينبغي ألا يغيب عن الأذهان ما يقتضيه اتصال الشعوب واندماجها من تبادل وتلاقح بين الثقافات، وأن ما نشهده في عصرنا الحاضر من تفاعل وتبادل بين ثقافات الأمم المختلفة ينبغي أن يكون امتداداً لعمل نفس القانون الذي اتبعته حضارات العصور القديمة والمتوسطة والحديثة، برغم الفارق الكبير بين وسائل الاتصال وآلياته ومعدلاته في كل من تلك العصور.

وأما الطرف الآخر لمعادلة التفاعل بين الثقافات والحضارات، فهو احتفاظ كل ثقافة وكل حضارة بخصوصياتها المميزة، والإبقاء على طابعها ومقوماتها التي تنفرد بها، ومقاومة كل أمة للذوبان في أية أمة أخرى إلى الحد الذي تنطمس فيه معالم هويتها وقسمات شخصيتها.

ولقد تحقق التفاعل الحضاري بصورة واضحة في مختلف مراحل التاريخ الإنساني، لكن صبغته ((العالمية)) كانت أوضح ما يمكن في النموذج الاسلامي لعصور الازدهار في ديار الاسلام إبان القرون الوسطى.

. النموذج الاسلامي للعالمية:

لم يكن البعد الديني بصورة عامة غائباً أو بعيداً عن مجال التأثير في طبيعة التفاعل بين الحضارات فقد نمت الحضارات القديمة كلها في ظل ديانات وضعية أو سماوية محرفة، تقوم في أغلب الأحيان على التحيز التعصبي وتمجيد عنصر على سائر العناصر، وتستند في مجملها إلى مجموعة من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تتعلق بالحياة وما بعد الحياة، والتي يتوصل إليها فيلسوف من الفلاسفة، وقد تكون

متفقة مع العقل والمنطق أو قريبة في تصوراتها مما جاء في الرسالات السماوية، وقد لا تكون، ولكنها على أية حال فعلت فعلها في دفع الشعوب التي آمنت بها إلى الأخذ بسبب في طريق الحضارة والمدنية.

وفي داخل هذا الإطار العام كان كم العطاء الحضاري ودوامه متوقفين على مدى اقتراب تلك الديانات الوضعية من المثل الأعلى الذي حدده الله . سبحانه وتعالى . للإنسان، وعلى مدى تعبيرها عن القانون الإلهي الذي أراده الله تعالى ناموساً طبيعياً لحركة الكون والحياة.

وقد كان كلّ من جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده بعيد النظر حين رأى أن الأصول الدينية الحقة تنشئ لـلأم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل، وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة العلوم والمعارف، وتنتهي بها إلى أقصى غاية في المدنية. ولم يتوفر هذا الذي رأياه إلا في رسالة الاسلام المكتملة التي جمعت في إعجاز رباني بين متطلبات الدين ومتطلبات الحياة، وحثت على الانفتاح والتعارف والإخاء الانساني طريقاً للتكامل بين البشر، ودعت إلى الاستفادة من علوم الآخرين في مضمار الرقي المادي والعلوم العقلية والتجريبية. قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) سورة الحجرات: 13.

وقال عليه الصلاة والسلام . فيما رواه الترمذي والعسكري . : ((الحكمة ضالة كل حكيم فإذا وجدها فهو أحق بها)).

ومما يؤكد مبدأ الانفتاح والتواصل بين الأمم في دعوة الاسلام العالمية من أجل الخير لكل البشر أنه كفل المحافظة على الحقوق والعهود والمواثيق للذين لم يأتمروا عليه. قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) سورة الممتحنة: 8.

وفي ضوء هذه المبادئ السامية التي سنها الاسلام للتعامل مع غير المسلمين انتشرت رسالة الاسلام في جميع أنحاء الأرض، وازدهرت الحضارة الاسلامية في جوانبها المادية نتيجة التقائها بثقافات الإغريق والرومان والفرس والهنود وغيرهم. حيث تعرف المسلمون على علومكثير من الشعوب من غير ملتهم، وتكونت لديهم

خبرات واسعة في شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والعمرانية والعلمية والفنية، وترجموا إلى اللغة العربية كل ما عرفوه من تراث الأقدمين، وصهروا هذه الخبرات والمعارف التي أخذوها واستفادوا منها في بوتقة الاسلام، فجاءت الحضارة الاسلامية فيما بعد مطبوعة بطابعه وممهورة بخاتمه، عدا الإسهامات الجديدة التي أبدعوها إبداعاً بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً.

. العقلانية في النموذج الاسلامي:

بالرغم من أن تراث الإغريق كان بحق المنبع الأساسي الذي أخذ منه المسلمون في أولى مراحل النهضة العلمية الاسلامية، وبالرغم مما تميز به هذا التراث من إنكار للوحي وتجسيد لهيمنة العقل وسلطان العقلانية في المجتمع المقسم إلى سادة وعبيد، إلا أن الحضارة الاسلامية ظلت محافظة على قوام الدين الاسلامي ومقوماته، حيث نهض الاسلام المرتكز على ((الوحي)) بدور ((المكون الرئيسي)) حتى لمعالمها وقسماتها غير الدينية، ومن ثم قاومت ((العقلانية المؤمنة)) في الحضارة الاسلامية أي تأثير يؤدي إلى شطرها أو تلويثها، وضربت صفحاً عن الصيحة الشائعة لدى الإغريق بأن ((النظر للسادة والتجربة للعبيد)) وبقي القرآن الكريم حصن الأمان لكل المسلمين، يستحث جميع ملكات الانسان على تحصيل العلم النافع، ويدعو إلى اقتران هذا العلم بالعمل الطيب والسلوك الأمثل ويرسي مبدأ تكريم الانسان وتحقيق المساواة الانسانية. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) سورة الصف: 2، 3.

قال عز من قائل: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات: 13.

. عالمية الاسلام ليست العولمة:

وهكذا تؤكد لنا حقائق التاريخ أن حضارة الاسلام قدمت لنا ((نموذجاً إرشادياً)) Paradigm لناموس التفاعل الحضاري الذي يلعب دوراً أساسياً في تقدم الشعوب، بالإضافة إلى مجموعة المثل والمبادئ العقيدية والعوامل الذاتية الخاصة بقدرات ودوافع كل أمة على إحداث التغيير، وهي أبعد ما تكون عن تلك الصفات القائمة على التعصب للجنس أو الدين أو البيئة الجغرافية، فالفكر والإبداع لم يكونا أبداً قاصرين على شعب دون شعب، أو مكان دون مكان، أو زمان دون زمان، بحيث

نقول عن جنس معين من البشر: إنه أذكى بني الانسان، أو نصف الأقدمين بأنهم أقل ذكاءً وعبقرية من المعاصرين، أو نميز منطقة معينة من الأرض بأنها الأصلح دون سواها لاحتضان الفكر الإبداعي وتشيدي البناء الحضاري.

ومهما روجت الأقوام المنسوبة إلى الجنس الآري لمقولة تفوقها على غيرها من الأجناس، أو بالغ الأوروبيون في سرد مزايا إقليمهم و ((عبقرية)) موقعهم الجغرافي بالقياس إلى القارات الأخرى، فإنهم لو عاشوا منعزلين عن باقي شعوب العالم لظلوا على حالتهم البدائية المتوحشة حتى يومنا هذا. وإن هناك من بين الغربيين أنفسهم مَن راح يسخر جاهراً من الاعتقاد السائد بينهم بأن الصفات التي تميزهم منط ول فارع وشعر أشقر وعيون زرقاء وبعد عن الفكاهة هي سر التقدم الذي صاحب حضارتهم، ولم يجد المنصفون من علماء الغرب المعنيين بالدراسات الاسلامية أدنى حرج في الاعتراف بحقيقة العطاء المتبادل بين الحضارات بما في ذلك حضارة الغرب الحديثة والمعاصرة، فيقول أحدهم وهو ((كولر يونج)) في ندوة عن ((أثر الثقافة الاسلامية في الغرب المسيحي)): وبعد فهذا عرض تاريخي قصد به التذكير بالدين الثقافي العظيم الذي ندين به للاسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين داخل هذه الألف سنة . نسافر إلى العواصم الاسلامية وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الانسانية، وفي جملة ذلك تراثنا الكلاسيكي الذي قام الاسلام على رعايته خير قيام حتى استطاعت أوروبا مرة أخرى أن تتفهمه وترعاه. كل هذا يجب أن يمازج الروح التي نتجه بها نحو الاسلام نحمل إليه هدايانا الثقافية والروحية، فلنذهب إليه إذن في شعور بالمساواة نؤدي الدَّين القديم. ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا بربحه، ولكننا سنكون مسيحيين حقاً إذا نحن تناسينا شروط التبادل، وأعطينا في حب واعتراف بالجميل.

. مقومات النهضة العلمية الاسلامية:

إن الفاحص المدقق لواقع الأمة الاسلامية الآن لا يجد صعوبة في تقييم هذا الواقع من مختلف الجوانب: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية وغيرها، مقارنة بالأحوال المناظرة في دول العالم المتقدم. الأمر الذي يتضح معه أن فجوة التخلف العلمي والتقني التي تفصل بين دول العالم الأول ودول العالم الثالث فجوة هائلة

تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم. ويعتقد الكثيرون أن سدّ هذه الفجوة يكاد يكون مستحيلاً.. ويروج البعض لما يقول به الغرب من أن حالة التخلف التي نعيشها نتيجة طبيعية لارتباطنا بالاسلام.. وأن ما نقاسيه اليوم عقوبة نستحقها لانسلاخنا عنه (أي عن الغرب) خاصة وأنه يزعم أن حضارته وتصوراته وثقافته هي المعيار الذي يجب أن يقاس عليه الحال عند الأمم الأخرى، فكل ما وافق الفكر الغربي اعتبروه حضارة وتقدماً، وكل ما خالف النظام الغربي وصف بالتخلف والبعد عن الحضارة.

وتبلورت هذه الصورة مؤخراً فيما يسمى ((بالعولمة)) أو ((الكوكبة)) التي تعني ضرورة تعميم النموذج الغربي ليشمل الكرة الأرضية سياسياً وثقافياً وعلمياً واقتصادياً، وتذوب فيه كل الثقافات والهويات غير الغربية.. ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل يمتد إلى التهوين من شأن الحضارات الأخرى والحط من قدرها، ويتم التركيز بصورة رئيسية على دين الاسلام وحضارته. حيث يعتبرونه الخطر الأول الماثل أمامهم.. ويرون في النموذج الاسلامي مصدر قوة تضعف سيطرتهم وهيمنتهم، وتهدد بقاء حضارتهم.

ولهذا إن العولمة الغربية تسعى إلى تدمير النموذج الاسلامي بكل السبل وتستخدم لذلك أساليب عديدة منها:

1 . في مجال التربية والتعليم، وإليه يعزى السبب الأول لتخلف الأمة نتيجة الازدواجية التي تؤثر في إعداد العقلية الاسلامية.. والتي جعلت التعليم مجرد وسيلة للحصول على شهادة متوسطة أو عليا لا تعبر في أغلب الأحوال عن المستوى الذي يناظرها في الدول المتقدمة. وفقد نظام التعليم في جميع مراحله القدرة على إعداد وبناء متخصصين على مستوى جيد، خاصة في المجالات العلمية: النظرية والتطبيقية والتقنية.

2 . في مجال الثقافة العلمية: نجح النموذج الغربي في تكوين ذيول أو عمالة ثقافية في الدول النامية تروج لفلسفة العلم الغربية التي تدعو جميعها إلى تهميش دور الدين وإبعاده عن دائرة التأثير.. وتطوع هؤلاء السلفيون للنموذج الغربي والثقافة الغربية، تطوعوا من خلال المنافذ المتاحة لهم في أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية

لنشر ثقافة التغريب والدعوة إلى مقاطعة الماضي الذي لم يجدوا فيه شيئاً على الإطلاق يفيد حاضرنا أو مستقبلنا..

3 . في مجال البحث العلمي لم يتناسب العائد كمّاً وكيفاً مع الإمكانات والقدرات والأموال التي تنفق دون ترشيد، بالرغم من آلاف الخريجين الذين تخرجهم أكثر من 250 جامعة و 350 معهداً متخصصاً ونحو ألف مركز وأكاديمية للبحوث العلمية والتقنية، موزعة في مختلف دول العالم الاسلامي.

وإذ ما قبلنا هذا التشخيص لحالة العلم والتقنية في العالم الاسلامي فإنه يمكن تحديد صور التحدي التي تواجه الأمة بصورة إجمالية فيما يأتي:

1 . على المستوى الفكري لا بد من تفنيد المزاعم المعادية للاسلام ديناً وتاريخاً وحضارة، والموجة لاتساع الفجوة العلمية والتقنية واستحالة اجتياز حالة التخلف العلمي والتقني التي تعيشها الأمة الاسلامية استناداً إلى الفهم الواعي لطبيعة التقدم العلمي والتقني الذي يسير في شكل موجات أو أجيال، إذا فاتنا الإسهام في جيل منه، فلا يعني هذا أننا لا نستطيع اللحاق بالأجيال التالية.. وهناك مجالات يمكن أن تحقق الأمة فيها تفوقاً على غيرها إذا ما أحسنت الإفادة من الثروات والإمكانات المتوفرة لديها.. مثال ذلك: أبحاث الطاقة الشمسية، والطاقة المائية، وتقنيات زراعة الأنسجة النباتية وصناعة الدواء من الأعشاب الطبية، والمعلوماتية، بالإضافة إلى إحراز التفوق في بعض العلوم التي تتنازعها اختصاصات متعددة مثل علوم الفضاء والعلوم البيئية وغيرها.

2 . لا شك أن إصلاح التعليم لإعداد الباحث الجيد يعتبر من التحديات التي تحتاج إلى مواجهة تأخذ في الاعتبار طبيعة المجتمع الاسلامي وقيمه، إلى جانب الاسترشاد بالنماذج الناجحة في الدول التي مرت بنفس ظروفنا ومتابعة برامج الإصلاح لمختلف عناصر العملية التعليمية المتمثلة في المعلم والمتعلم والمنهج والمكان (المدرسة، المعمل، المدرج...) والمجتمع، وهي ما نسميها ((الميمات الخمسة)) وتحتاج في نظرنا إلى درايات نظرية وميدانية خاصة يعرف أصولها علماء التربية.

3 . كذلك يشهد واقع البحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث على كثرتها . بأن الوقت والجهد يضيعان سدى . ناهيك عن الأموال . بسبب غياب التنسيق العلمي بين الباحثين أنفسهم، فضلاً عن غيابه بين مختلف المؤسسات العاملة في ميدان البحث العلمي والمتصلة به ويأتي هذا العامل في مقدمة التحديات التي تحول دون نهضة علمية إسلامية متكاملة، ويمكن التغلب على هذه العقبة بإنشاء ((اتحاد علمي إسلامي)) يضع السياسات العلمية والتقنية الدقيقة والمستقرة من واقع الإمكانات المتاحة للأمة الاسلامية، ويعمل على تحقيق التكامل بين البرامج العلمية الإقليمية، ويقضي على العزلة القائمة حالياً بين العلم الاسلامي والعلم العالمين ويسهل متابعة كل ما يستحدث في مجال إنتاج المعرفة.

وهذا كله يتطلب بطبيعة الحال رعاية مالية سخية من القادرين، أفراداً ودولاً ومؤسسات، خاصة وأن العلم في عصرنا أصبح صناعة ثقيلة ومكلفة.

وقبل هذا كله لا بد أن تتوافر الإرادة القوية لدى أبناء الأمة الاسلامية لتغيير واقعهم المرير، برفع شعار ((الأسلمة في مواجهة العولمة)) وصدق الله العظيم حيث يقول: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} سورة الرعد: 11، ويقول: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} سورة الأنعام: 153.

=============

#طبيعة الإسلام العالمية

* جمال البنا

ما أن ظهر الاسلام حتى ظهرت طبيعته ((العالمية)) في صورة مصغرة أو ((جنينية))! كما يقولون فمن الأيام الأولى كان حول الرسول سلمان الفارسي وصهيب الرومي (بالإضافة إلى جارية رومية عذبت واستشهدت في سبيل الاسلام) وبلال الحبشي لقد آخى الاسلام بينهم وصهرت روحه القوية فوارق الدم والجنس فيهم كما كان حوله الرجال والنساء والأطفال أحراراً وعبيداً.

صحيح أن دعوة الاسلام بدت أولاً محلية، ولكن هذا كان في ترتيب البدء بالدعوة لأن هذا هو ما يقتضيه طبيعة الأشياء فقد بدأت أولاً {أنذر عشيرتك الأقربين} ثم {أم

((القرى حولها)) ثم جاء الأنصار، وأرسل الرسول إلى الأنصار معلمين، ثم بدأت الهجرة إلى المدينة إرسالاً كللت بهجرة الرسول).

وعندما استقر الرسول بالمدينة كان من أعماله الأولى المؤاخاة التي قام بها بين المهاجرين والأنصار فقرن كل واحد من المهاجرين بواحد من الأنصار اعتبره أخاه، ووصل كرم الأنصار، وثقتهم في هذه المؤاخاة إلى الدرجة التي كان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يطلقها.

وكانت الثانية هي ((صحيفة الموادعة المشهورة)) التي جمعت الفئات اليهودية داخل إطار ((أمة المدينة)) ورتبت عليهم واجبات كما منحتهم حقوق مثل واجبات وحقوق الأنصار.

وتعد صحيفة الموادعة من أولى المعاهدات إن لم تكن أولى المعاهدات التي تترفع فوق حواجز الدين وفوارق الجنس وتمنح الجميع حقوقاً وواجبات متساوية..

ومع الزمن كانت الطبيعة العالمية للاسلام تتضح وكانت نصوص القرآن صادعة بذلك، وحدت الآيات التي يتصدرها (أيها الناس) محل الآيات التي توجه إلى المؤمنين.. والتي تصرح ببعثة الرسول ((إلى الناس جميعاً)) وتصف ((عالمية الاسلام)).

(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الأعراف: 158.

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: 107.

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ: 28.

وسلك الاسلام طريقة (حضارية) سلمية في الدعوة لعالميته، تلك هي الخطابات التي أرسلها الرسول إلى ملوك الدول المعروفة وقتئذ الروم والفرس ومصر وكانت هذه الكتب تدعو هؤلاء الحكام للإيمان بالاسلام أو تحملهم مسؤولية إبقاء جماهيرهم في ظلمات الكفر إن رفضوا..

وكما هو معروف فقد رفض الجميع باستثناء المقوقس الذي لم يرفض ولم يقبل وأهدى إلى الرسول هدايا.

وأتم الخلفاء الراشدون ما بدأه الرسول عندما أرسل رسله فجوبه بالرفض، ذلك أنه كان يَسعَ المسلمون وليس لديهم قوة أن يقنعوا بتبليغ الملوك ولكن عندما توفرت لهم القوة

كـان لا بـد مـن تبليـغ الشـعوب والجمـاهير، والمجتمـع الكـافر بصـفة عامـة برسـالة الاسلام..

ذلك أن التبليغ برسـالة الاسـلام جزء لا يتجزأ من عالميـة الاسـلام باعتبـاره الرسـالة الخاتمة.

ولننظر سوياً إلى هذه الآيات الكريمة:

(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على النس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة: 143.

(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) النساء: 41.

(ويوم نبعث في كل أمة بشهيد عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل: 89.

(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الحج: 78.

إن هذه الآيات عظيمة الدلالة فيما نحن بصدده لأنها تؤكد عالمية الاسلام بما تفرضه من واجب إشهاد الأمم على الاسلام، وهي:

1 . تؤكد عالمية الاسلام.

2 . تثبت هذا التأكيد بإيجاب تبليغ رسالة الاسلام وإن يكون المسلمون شهوداً على هذا.

3 . ينتهي الوجوب عند هذا . وليس فرض الاسلام لأن رسالة المسلم، ورسالة الاسلام . تقف عند التبليغ أما إيجاب الإيمان أو فرضه فهذا ما يخالف أصول حرية العقيدة في الاسلام، وما تثبته قاعدة قبول الجزية . في حالة الحرب، وانتصار المسلمين..

ولقائل أن يقول ألم يكن هناك طريقة أخرى لتبليغ رسالة الاسلام سوى الجيش؟ فضلاً عن أن الجيش يتضمن أكثر من التبليغ . فنقول بعد أن كتب الرسول إلى الملوك، وبعد أن رفض الملوك لم يكن هناك طريق لإشعار المجتمع بن هناك ديناً اسمه الاسلام يعرض على الشعوب إلى هذه الطريقة. لم يكن هناك إذاعات خارجية أو

تليفزيونية أو صحافة أو إنترنت أو أي وسيلة للاتصال بالناس.. والطريقة الوحيدة الفعالة والمؤثرة والتي تدفع الملوك والحكام للتحرك هي الجيش.

على أن هناك نقطة دقيقة يجب إيضاحها ذلك أن الاسلام كما هو عقيدة دينية، فإنه أيضاً عدالة دنيوية، وقيم حضارية، وقد استبعد الاسلام نهائياً فرض العقيدة الدينية بالقوة ليس لأنها تخالف طبائع الأشياء فحسب ولا لأنه لا قيمة لدين يكره عليه صاحبه ولكن أيضاً لأنه يخالف النصوص القرآنية الصريحة في أن الله تعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة وأن الهداية مردها إلى الله (إنك لا تهدي مَن أحببت، ولكن الله يهدي مَن يشاء).

ولكن من ناحية أخرى فإن نظم الجبروت والطغيان والطبيعة التي قام عليها العالم القديم وبنى عليها الفرس والرومان نظمهم. هذه النظم التي سحقت الجماهير وقضت عليهم بالاستعباد وحرمتهم كما يقولون، الحقوق الأساسية للانسان وكانت الحرب تعني تدمير هذه النظم الطاغية وتحقيق العدل الاسلامي للجماهير، مع منحها حرية الاحتفاظ بدينها وفي نفس الوقت يكفل لهم الجيش الاسلامي الحماية مقابل تقديم جزاء لهذا، وهي ((الجزية)) التي اشتقت من مادة الجزاء.

هنا نجد أفضل صورة للعالمية، صورة تعرف الناس بدين يستبعد عبادة الأحبار . والرهبان والملوك والطغاة، ويعرض عبادة الرحمن الرحيم الخالق الكريم رمز القيم والمثل الغائبة والإيمان برسول أرسله الله رحمة للعالمين.. ولكن هذا العرض لا يعني، . كما أشرنا . الإجبار، أنه مجرد عرض، دور المسلمين فيه أن يكونوا شهداء عليه.

وفي الوقت نفسه فإن تطبيق القيم الاسلامية والنظم الاسلامية التي تقوم أساساً على العدالة وتستبعد كل صور الظلم والطغيان تحرر المجتمع وتفتح أبواب الحرية وآفاق المبادرات للأفراد جميعاً..

يتضح مما سبق أن للاسلام ((عالمية)) وضعها تطبيقاً لتوجيه القرآن (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: 13.

وهذه العالمية لا تقف أمامها حدود أو سدود وهي تنظر إلى الناس جميعا دون تفرقة بين أبيض وأسود. ذكر وأنثى، والاسلام يجد من واجبه أن يعرف ناس هذه العالمية بالاسلام كعقيدة دينية وعدالة دنيوية وقيم حضارية فالمسلمون هم حملة رسالة عليهم أن يبلغوها، وفي العهود الماضية لم يكن ذلك متيسراً بغير العمل العسكري الذي يشعر الجماهير به، فضلاً عما يتمخض عنه من حرب، أو إيمان، أو موادعة تكون كلها لها آثار بعيدة المدى إن لم يكن في إسلام هذه الأقوام فعلى الأقل تعرفهم على قيم الاسلام، وبالتالي ثورتهم على قيم الطغيان والجبروت.

ولكن العصر الحديث وضع في أيدي الدعاة وسائل للدعوة والتبليغ أبعد مدى وأكثر أثراً من أي وسيلة أخرى، وأتصور أن هذه هي وسيلة المسلمين للدعوة وأنها هي البديل عن الجهاد الذي لم يكن له بديل من قبل.

فعالمية الاسلامية عالمية حضارية تقوم على أسس وقيم الاسلام الحضارية سواء كان في مجال العقيدة أو في مجال النظم.

ومرة أخرى قد يقول قائل: ليس في هذا جديد فالمسيحية، يمكن أن تدعى مثل هذا الدور وهذا صحيح إلى حد ما لأن المسيحية والاسلام أخواعلات، كما يقولون: أي من أب واحد وأمهات شتى ولا يستشعر الاسلام حساسية، ذا قامت المسيحية بتعميم قيم الحب والخير بين الناس جميعاً والفرق الوحيد أن الاسلام أكثر أحكاماً من المسيحية سواء في عقيدة الألوهية الخالية من التعقيد الكهنوتي، أو في النظم التي تقوم على العدل..

خلاصة القول أن الاسلام بطبيعته عالمي وإن عالميته تقوم على التعريف به، وما فيه من قيم وأن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ الأمم الأخرى بأديانهم لأن الاسلام وإن كانت عقيدة من ناحية فهو نظام في ناحية أخرى وقاعدته العامة هي الآية: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

وهذه الآية هي التي تجعل الاسلام عالمياً، وتجعله في الوقت نفسه يرفض العولمة المزعومة لأنها تجعل من قادة المجتمع الأوربي الأمريكي أرباباً من دون الله وتملي على شعوب جماهير العالم الثالث التسليم لها.

ذلك أن العولمة التي يدعون إليها ليل نهار ليس إلا الصورة الأخيرة من الهيمنة الأوربية على العالم.

وقد سبقتها عولمة ((الإمبراطورية الرومانية)) وما يطلقون عليه ((السلام الروماني)) وكان سلاماً يقوم على السيف الروماني العريض الذي قهرت به الجيوش الرومانية العالم القديم وفرضت نفسها عليه وتحكمت فيه تحكم فاتح يرى أن كل ما في المدينة المفتوحة من أرض، ومال، وعقار وناس هم ملك له بحق الفتح...

وانطوت تلك الصفحة لتظهر صفحة أخرى من العولمة الأوربية: عولمة تقوم على تقسيم العالم بين الدول الأوربية طبقاً لاتفاقات في مؤتمرات دولية وكان شعار هذه العولمة وأداتها ((الأسطول البريطاني التي وصلت بوارجه إلى أقصى مواني العالم وقصفت قلاعه.

واليوم تأتي جولة جديدة في المعركة نفسها تأتي العولمة التي لا يكون سلاحها السيف الروماني العريض ولا الأسطول البريطاني العتيد، ولكن التكنولوجيا السحرية وما أوجدته من مَرَدة، مثل الكمبيوتر، والأقمار الصناعية، والتليفزيون، وغيره مما زلزل المقومات والقيم والتقاليد والخصوصيات، ولم يجعل هناك ما يمكن أن يقف في وجه هذه المردة، فالسماوات نفسها مفتوحة أمامهم، وفي الأرض غزوها غرف النوم فيها في كل مكان من؟ أجهزة التليفزيون ويتطلع الأفريقي في غابته على إحدى الأزياء الباريسية وآخر المسلسلات الأمريكية.

والهدف الوحيد الذي تعمل له كل قوى العولمة هو أن يصبح العالم سوقاً واحداً مفتوحاً، دون جمارك أو حمايات، بحيث يمكن للمنتجات الأوروبية الأمريكية ((المتلتلة)) أن تجد لها مشترين، وأن يتم هذا على أنقاض الصناعات والمنتجات القومية التي لا تتمتع بمزايا المنتجات الأوربية الأمريكية. أما قضية الثمن فليست مشكلة. إذ يمكن التحكم في عملات الدول كما يشاء تجار العملة.. كما يمكن اللجوء في المرحلة الأولى إلى أسلوب الإغريق أولاً، أي النزول بثمن السلعة إلى ما دون التكلفة لفترة معينة تبور فيها كل السلع القومية، وتفلس مصانعها لتعود هذه الدول فترفع في الأسعار كما تشاء، بعد أن انفردت بالسوق..

وتقوم الإعلانات في الجرائد، وفي التليفزيون بحرب أعصاب حقيقية تحطم فيها مقاومة المستهلك بحيث تفصل السلعة بالمعلن عنها عن سلعته، بل يجد نفسه منساقاً لشراء السلعة المعلن عنها حتى ولو لم تكن رغبة الصحيفة.؟

وبهذه الطريقة ينقسم العالم إلى نخبة فوقية هم سكان الدول الأوربية/ الأمريكية. ومستهلكين هم الدول الأخرى...

ولما كانت شعوب دول العالم الثالث لا تستطيع الشراء إلا عندما يتوفر لها عمل وتحصل منه على نقود، فإن العالم الأوربي/ الأمريكي يدخر لها أدنى الأعمال وأقلها كسباً وأكثرها ناء، وبذلك يرفع عن نفسه القيام بهذه الصناعات والحرف أو بخس الأجور فيها . لأنه لا يريد بخس الأجور في بلاده وبهذا يكسب مرة أخرى ولا يؤثر فيه أن إنقاص الأجور في العالم الثالث سيؤثر على قوته الاستهلاكية، لأن عددهم بمئات الملايين، ولأن إغراء السلع الجديدة، وتأثير الدعاية والإعلان تجعل عمال الدول النامية تخيف على غذائها وكسائها وثقافتها في سبيل الحصول على التليفزيون الذي يشبع المتعة ويعرض ما يقوم بدوره في الإشباع العاطفي حتى بدور الممارسة العاطفية.

وإذا كانت العولمة الرومانية تعتمد على السيف، وعولمة الاستعمار تعتمد على الأسطول، فإن لدى العولمة الحديثة ترسانة كاملة من الأسلحة، فبعد ظهور الآثار السيئة لاقتصاديات الشركات متعددة الجنسية أو عابرة القارات تلتمس الدولة مساعدة صندوق النقد الدولي الذي يتقدم ((بوصفة)) معروفة تتضمن تخفيض العملات، وتقليص الإعانات والخدمات الاجتماعية وخصخصة الشركات وترك آليات السوق حرة في العمل، ويقدم الصندوق لقاء إجابة هذه الشروط معونات نقدية بفوائد متفاوتة، وما أن تتقبل الدولة ذلك حتى تجد نفسها وقد أصبحت أسيرة الصندوق لا تملك لنفسها شيئاً، فقد أطلقت عنان الرأسمالية التي لا تعرف إلا الربح والمنافسة القاتلة، وأسوأ شيء أنها تعجز عن سداد الديون وتتراكم الفوائد ويصبح هم الدولة تسديد الفوائد التي فاقت أضعافاً مضاعفة الدين الأصلي..

لقد أصبح واضحاً أن الهدف الرئيسي للعولمة المزعومة هو القضاء على سلطة وقوة الحكومة خاصة في المجال الاقتصادي، بحيث تصبح الدولة تحت رحمة صندوق

النقد الدولي، واقتصاديات الشركات الكبرى التي تزيد مالية إحداها عن عشرين أو ثلاثين دولة من دول العالم الثالث، بحيث لا تستطيع أن تقدم شيئاً لشعوبها، أو تصد غائلة الرأسمالية الدولية أو تعينها في محنتها لأن هذا كله يخالف مبادئ الاقتصاد الحر كما يزعمون.

ومن ترسانة العولمة الحديثة ((العقوبات الدولية التي تفرضها أمريكا باسم دول العالم على مَن تشاء طبقاً لمعاييرها الخاصة، فتترك إسرائيل تصنع مئات الرؤوس النووية وتضرب العراق، والسودان لمظنة أن لها نشاطاً ودراسات نووية، وقد سلطت العقوبات الدولية على ليبيا، فلم تستطع مصر، وهي أقرب الدول إليها أن تفعل شيئاً لها.

وكان وجود الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية يعوق انطلاقة وحش العولمة، فلما تهاوى الاتحاد السوفيتي انفردت الولايات المتحدة وانفسح أمامها المجال لأسوأ صور الاحتكار والعربدة.

وأعتقد أن من الضروري لمجموعة الدول الاسلامية أن تتكتل لمقاومة هذا الوباء، ولن تعجز من أن تجد حلفاء لها من الدول التي حاقت بها نقمة العولمة لوضع حد لهذا الابتزاز والتحكم والهيمنة.

============

#العولمة: جدل العدوان والمقاومة الثقافيين

* عبدالإله بلقزيز

ليس صحيحاً أن العولمة الثقافية هي الانتقال من حقبة . ومن ظاهرة . الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، على نحو ما يدعي مسوقو فكرة العولمة الثقافية، بل إنها . بالتعريف . فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات. إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف . المسلح بالتقانة . فيُهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة. وإذا كان يحلو لكثيرين أن يتحذلقوا بإفراط في الرد على هذا الفهم للعولمة الثقافية، فيرجمونه بتهمة الانغلاق الثقافي أمام تيارات العصر، والدعوة إلى الانكفاء والتشرنق على الذات (والهوية، والأصالة، ومشتقاتهما...)، وإذا كان يحلو لهم أن يعيدوا على

أسماعنا مواويل الانفتاح الثقافي غير المشروط على ((الآخر)) للانتهال من موارده ومكتسباته وكشوفه المعرفية... الخ، فإنه يطيب لنا أن نلفت انتباههم إلى وجوب وعي الفارق بين التثاقف والعنف الثقافي من جانب واحد.

يعني الأول الإصغاء المتبادل من سائر الثقافات بعضها إلى بعضها الآخر، كما يعني الاعتراف المتبادل بينها، ومنه الاعتراف بحق الاختلاف وهو من أقدس حقوق الانسان، فيما لا ينطوي الثاني سوى على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية في رؤية ثقافته. يرادف الأول معنى الحوار والتفاهم، بينما يتلازم معنى الثاني مع الإكراه والعدوان. أما الأهم في الأمر، فهو أن التثاقف يجري بين الثقافات على قاعدة الندية، وهو ما يمتنع دون اعتبار أية ثقافة لشخصيتها وحرمتها الرمزية، فيما لا يعبر فعل الاختراق والتجاوب معه سوى عن دونية يأباها أي انفتاح وأي حوار! هذا درس بدائي من دروس الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة حري بدعاة الانفتاح أن يقرأوه قبل أن يفتتحوا طقوس التبشير.

أي اختراق ثقافي هذا الذي نعنيه، أو ماذا يمكنها أن تكون تلك العولمة الثقافية إن لم تكن صناعة لثقافة عالمية جديدة؟

ليست العولمة تلك . في مفهومنا . سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات، بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقانة في ميدان الاتصال. وهي التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون، وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية عديدة، وبخاصة في أفريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية. ولعل هذا يؤكد ما افترضناه . في مستهل هذه الورقة . من أن العولمة لا تؤرخ لنهاية عصر الدولة القومية، بل تعلن عن ميلاد حقبة جديدة من تمددها المستمر. وليس ما يدعى بالعولمة الثقافية، اليوم، إلا مظهراً من مظاهر ذلك التمدد خارج الحدود، الذي هو آلية طبيعية في نظام اشتغال الدولة القومية الحديثة.

على أن هذه السيطرة الثقافية الغربية العامة تنطوي . في داخلها . على علاقة أخرى من السيطرة تجعل ثقافات غربية عديدة في موقع تبعي لثقافة أقوى تتمدد أحكامها على امتداد سائر العالم. أما هذه السيطرة التي نعني، فهي التي يمكننا التعبير عنها

بعبارة الأمركة (Americanisation)، والعولمة ـ في ما نزعم ـ هي الاسم الحركي لها. ليست الأمركة أسطورة جديدة من أساطيرنا السياسية، ولا هي شماعة نعلق عليها إخفاقاتنا وعجزنا، بل هي حقيقة مادية تعيشها أوروبا نفسها، وتحتج عليها، وتنظم مقاومتها ضدها، وتعتبرها خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها الاقتصادي والسياسي وهويتها الثقافية. وقد تكون مقاومة فرنسا لها ـ بمناسبة مفاوضات (الغات) ـ ودفاعها عما بات يعرف باسم الاستثناء الثقافي، أسطع دليل على وجودها وعلى مخاطرها، وهي ـ للتذكير ـ مقاومة حقيقية وشرسة وليست مسرحية سياسية للضحك على ذقون أهل العالم الثالث.

ما الذي في وسع مجتمعات وثقافات أخرى ـ خارج أوروبا ـ أن تفعله في مواجهة هذه العولمة/ الأمركة بإمكانياتها الشحيحة؟

ليست هناك معجزات في الأفق، ولكن، من المفيد القول إن فعل العدوان الثقافي ـ أي عدوان ثقافي ـ لا يحتل المشهد وحده، بل هو غالباً ما يستنهض نقيضه، بسبب ما ينطوي عليه عنفه الرمزي من استفزاز لشخصية المعتدى عليه، ومن تشبث بثقافته وهويته. ماذا يمكننا أن نسمي ـ مثلاً ـ حالة الانكفاء الثقافي للمغلوب إلى منظوماته المرجعية التقليدية؟ إنها تراجع معرفي ما في ذلك شك، غير أنها ـ في منظور علم اجتماع الثقافة ـ شكل من الممانعة الثقافية ضد الاستسلام، ومحاولة للبحث عن نقطة توازن في مواجهة عصف التيار الثقافي الجارف. إنها محاولة للاحتماء من عملية اقتلاع كاسحة. وهي وإن كانت دفاعاً سلبياً عن الثقافة والأنا الجمعي، إلا أنها تظل ـ في النهاية ـ مظهراً من ماهر المقاومة الثقافية المشروعة، وإن كان من الواجب القول إن معركتها مع العولمة خاسرة في آخر المطاف إن لم تتحول إلى مقاومة إيجابية تتسلح بالأدوات عينها التي تحققت بها الجراحة الثقافية للعولمة.

ليست من مشمولات هذه الورقة أن نتحدث في بند ((ما العمل؟))، ومع ذلك، نهتبل الفرصة للقول إن مقاومة العولمة الثقافية ليست دعوة رجعية لقطع آصرة التفاعل الثقافي مع العالم الخارجي، بل هي طريقة للقول إن الثقافة العالمية الحقيقية هي ثقافات سائر المجتمعات من دون استثناء، فالكونية هي التميز في مجال الرموز. وكل نزعة توحيدية في هذا الباب مدماك جديد لبناء صرح التوتاليتارية.

... وكم يطيب لي . هنا . أن أستعير عنواناً جميلاً لأحد كتب الباحث اللبناني سهيل القش، مختتماً به الورقة، مجيباً به عن ((ما العمل؟))، إنه ((في البدء كانت الممانعة)).

===============

#أسئلة عقلية حول هيمنة العولمة!

* محمد عمارة

أعتقد أن العقل العربي والمسلم يحتاج إلى وقفة يصنع لنفسه فيها جدول أعماله أي يعي التجديد ويجدد موقفه من المشكلات المطلوب منه أن يجنى من ورائها ثماراً. أي لا يتحول إلى مجرد صدى أو رد فعل لجدول الأعمال الذي يحدده الفكر الغربي والإعلام الغربي لأننا يجب أن نتسائل بالنسبة لقضية العولمة: هل نحن بالفعل بصدد قضية جديدة؟

ففجأة وجدنا مصطلحاً أُلقى به في الساحة فبدأنا نتحدث عنه.

فأنا بودي أن نقف وقفة مستقلة مع النفس نبدأ بعدها الحديث من خلال منطقنا نحن.. من خلال أولوياتنا نحن ونحدد جدول أعمالنا على أساس الأولويات التي تواجهنا.

وأنا في الموضوع أميز . وأعتقد أن هذه ليست نقطة خلافية وكلكم تتفقون حولها . بين العالمية والعولمة لأن العالمية تمثل الأفق الاسلامي لأن الاسلام دعوة للعالمين منذ المرحلة المكية وبالتالي فإن العالمية ليست غريبة عن الرؤية الاسلامية بل الرؤية الاسلامية نزاعة إلى الرؤية العالمية انطلاقاً من أن الاسلام هو الرسالة الخاتمة والعالمية.

والعالمية تعني أن هناك حضارات متعددة ومتميزة أي أنها ليست متماثلة وأيضاً ليست منغلقة منعزلة ومعادية وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه. أي أن هناك مشترك بين كل هذه الحضارات وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى. وبين هذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه هذا هو البعد العالمي أو هذه هي العالمية في الكوكب الذي نعيش فيه.

والمفروض أن تكون المؤسسات الدولية لهذا النظام العالمي . إذا جاز استخدام هذا المصطلح . ممثلة للخصوصيات المختلفة والقاسم المشترك بين الحضارات العالمية.

أما إذا جاءت حضارة من الحضارات واجتاحت العالم بقوتها وفرضت نمطها في الثقافة والمثل والقيم وطريقة العيش على العالم فهذه الحضارة لا يمكن أن تكون عالمية وإنما هذا ما يسمى خطأ بالعولمة لأن العولمة من المفروض أن تعني شيئاً عالمياً ولكن هذا الذي يفرض الآن باسم العولمة ليس عالمياً وإنما هو الرؤية الغربية.. النظام الغربي.. الهيمنة الغربية كل هذا يفرض على الحضارات الأخرى.

ومن هنا يكذبون إذا تحدثوا عن التنوير.. يكذبون إذا تحدثوا عن الشرعية الدولية.. فكل هذا لا علاقة له لا بالدولية ولا بالعالمية ولا بالقسم المشترك بين الحضارات الانسانية.

إذاً لا بد من التمييز بين العالمية التي نحن معها ونحن دعاتها وبين هذا الذي يبشرون به باسم العولمة لأنني قد تابعت بعض الأبحاث التي قدمت في الندوات فوجدت أناساً عقلاء ووجدت أناساً ليسوا أناساً أصلاً. فللأسف الشديد أجد أحد الأشخاص الذين ولدوا بمنزل الوحي بالمملكة العربية السعودية يتحدث عن العولمة على أنها قدر لا مفر منه. هذا رجل ينكر القضاء والقدر الإلهي ويتحدث عن أمريكا على أنها قدر فهل مثل هؤلاء الأناس هم الذين يرسمون لهذه الأمة طريقها ومسارها. إنهم يتحدثون عن العولمة على أنها قطار لأبد أن نركبه وإلا ضاع منا الطريق وضعنا في هذا العالم وهذا إنكار للقضاء والقدر.

ويكذبون عندما يقولون أن وسائل الاتصال جعلت العالم قرية واحدة. صحيح أننا أمام ثورة كبيرة في عالم الاتصال لكن هذه القرية الواحدة بيوتها ليست سواء.. سكانها ليسوا سواء. أي أن هذه القرية بها الظالم والمظلوم بها القاتل والمقتول.. بها مَن يتأجج بأسلحة الدمار الشامل ومَن ينزع سلاحه وتنزع أظافره. انظروا لما حدث اليوم: لقد ضرب الطيران الأمريكي أحد الرادارات العراقية قرب البصرة لماذا؟

لأن هذا الرادار رصد طائرات بريطانية فوق أرض العراق!. أي أنه مجرد أن تفتح عينك على مَن يقتحم عليك أرضك وسيادتك تستحق أن تضرب. إذاً أين هي القرية الواحدة؟!.

وإسرائيل لديها الأسلحة النووية وتقوم بهذا الاقتراء الذي تمارسه في ظل هذه القرية الواحدة.

وعلى ذلك فنحن نريد أن نسأل أولئك الذين يطالبوننا بركوب قطار العولمة على أساس أن العالم قد غدا قرية واحدة: هل المطلوب مننا ن نركب القطار كعبيد؟!.

فحديثهم هذا عن القرية الواحدة لا يعني أن الناس سيصبحون سواسية فالاغتصاب للأرض والعرض والحرمات والمقدسات في بلادنا على قدم وساق والأمة الاسلامية تحرم وحدها من حق تقرير المصير في فلسطين.. في كشمير.. في الفلبين.. في البوسنة والهرسك وبلاد البلقان.. في كل أنحاء أمتنا. حقك في التنمية.. حقك في أن تحكم بالقانون الذي تريده كل ذلك محرم على هذه الأمة.

فالكلام عن القرية الواحدة لا يعني أن أهل هذه القرية الواحدة أصبحوا سواسية وبالتالي نحن مدعوون أن نكون مواطنين كاملي المواطنة في هذه القرية الواحدة. وأريد أن أقول أن ظاهرة أن يفرض الغرب هيمنته على الآخرين ليست ظاهرة جديدة. فعندما كانت الأمبراطورية البريطانية لا تغرب عنها الشمس ألم تكن هذه عولمة؟ كان القرار يصدر في بريطانيا وينفذ في مصر وفي الهند وفي بلاد لا تغرب عنها الشمس.

وعندما كان الرومان يحكمون العالم وكانوا هم الأشراف والسادة وغيرهم البرابرة ألم تكن هذه عولمة؟!.

نعم، إننا أمام صعود في وسائل الاتصال الحديثة ولكن الجديد في العولمة وأخطر ما فيها أن هذه الهيمنة الغربية تقنن باسم الشرعية الدولية وباسم النظام العالمي.

فقيم الغرب وثقافته يعملون على فرضها بالإعلام بالفكر بالجواسيس بالاختراق على كل الدول والحضارات الأخرى. والغرب الآن يقنن هذا الاختراق ويقنن هذه الهيمنة بوثائق وبرامج باسم النظام العالمي الجديد.

ومؤتمر مثل مؤتمر السكان عندما يعقد كي تكون هناك وثيقة تحت مظلة الأمم المتحدة لتقنن القيم الغربية في التحلل والانحلال إلى أخر فهذا جديد. فالغرب كانت له قيم يسبلها بسبل غير مقننة ولكن أن تتحول إلى قانون عالمي.. إلى وثيقة عالمية تحت مظلة الأمم المتحدة فهذا هو الجديد.. وكما رأيتم في وثيقة السكان فإن

المراهقين والمراهقات يكون لهم كحق من حقوق الانسان أن يتمتعوا بالثقافة الجنسية عالية المستوى وأن الآباء والأمهات يكون عليهم أن يقدموا لأبنائهم هذه الثقافة. أن يكون حمل المراهقات حق من حقوق الانسان وإجهاضهن حق من حقوق الانسان بينما الزواج المبكر جريمة. انظروا إلى ماذا يدعون: أن يكون الزنا المبكر حق من حقوق الانسان أما الزواج المبكر فيكون جريمة ضد حقوق الانسان!.

بل وحتى العمل المبكر يكون جريمة ضد حقوق الانسان ولو كان بعد البلوغ وحتى سن الخمسة عشر سنة.. ونحن جميعاً كنا فلاحين وكنا نعمل في هذه السن ولكن ها هي منظمة العمل الدولية تقرر أن ذلك جريمة.

أقول: إننا الآن أمام تصعيد لهذه الهيمنة القيمية الغربية لأنها تتحول إلى قوانين تفرض على الناس.

كذلك في موضوع المرأة فإنك تجد في مؤتمر السكان أو في مؤتمر بكين لا أقول موضوع مساواة الرجل بالمرأة فهذا مطلب إسلامي ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)) إنما حثّ المرأة على إلغاء حتى الفروق الطبيعية والفطرية بينها وبين الرجل لدرجة ن الأناجيل الآن تترجم ترجمات جديدة تسمى فيها الذات الإلهية بالذكورة والأنوثة لكي تكون هناك مساواة لأن أمثال نوال السعداوي يعترضون على ذلك متسائلين: لماذا يكون الله ذكراً.

هذه هي القيم التي توضع الآن في مواثيق دولية لإلغاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها وفرض الرؤى الغربية الديانات والأيديولوجيات التي تتمرد حتى على الديانات الغربية مثل النصرانية. إننا نشهد الآن في الفكر الغربي تحولات في اتجاه تهويد النصرانية الغربية أي بدلاً من أن تعترف اليهودية بالنصرانية يحدث الآن في الفاتيكان أن يصير الإله هو يهوه في أحد المؤتمرات قال البابا يوحنا بولس الثالث أنه قد عقد المؤتمر ليجتمع مائتان قس من الكاثوليك والبروتستانت لتغيير الأناجيل التي كانوا يتحدثون عنها على أنها شيء مقدس. بما لا يعادي اليهود والكنيسة التي ظلت قروناً عديدة تبيع صكوك الغفران الآن تطلب من اليهود التوبة والغفران.

هذه هي تحولات العولمة أي أن هناك الآن تحولات تتم في الغرب ثم يعملون على فرضها على العالم أجمع.

نحن نقرأ عن الغرب أن هناك رجال دين من الشواذ.. أن الكنائس تزوج الشواذ.. بل أن في إنجلترا البلد المحافظ أحد وزراء وزارة العمال الحالية شاذ والرجل الذي يعيش معه يحضر جلسات وزارة العموم في الغرفة المجاورة على أساس أن له امتياز الزوجة ومثل هذه القيم تفرض الآن على العالم باسم العولمة. ومع كل هذا يطالبوننا بسرعة ركوب القطار وأن نرضي بهذا القدر الذي يفرض علينا.

وأريد أن أتسائل معكم: لماذا الغرب يريد أن يفرض علينا العولمة؟.

القضية ليست سحراً ولكن هناك في بنية الفكر الغربي والحضارة الغربية هذه النزعة للهيمنة. فنحن قد أعتدنا ما يسمى بالمركزية الغربية أي أن الغرب لا يعترف بالآخر ويريد أن يفرض ذاته عليه وأنتم تابعتم وقرأتم كل الذي قيل وكتب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي من أن الاسلام الآن هو العدو لأنه مستعصياً على العولمة وإنه للآن لم يتبنّ النموذج الغربي ولذلك فإن على حلف الأطلنطي أن تتوجه آلته الحربية إلى العالم الاسلامي. كل ذلك الكلام يقال على مستوى عال وليس تبعاً لنظرية المؤامرة مثلما يتهمنا بعض المتغربين. وإنما هذا الكلام معلن على أعلى المستويات الغربية وهي مستويات مسؤولة فليس هذا الكلام كلام المثقفين غربيين إنما هو كلام على مستوى صناع القرار.

سأحكي لكم حكاية ذات صلة بما نقول لقد قرأت مقالاً الأسبوع الماضي للسيد ياسين يثنن فيه علي بحث لجميل طر. وجميل مطر هذا من الباحثين الجادين وأنا أحترمه كثيراً ولقد وصف مطر الحضارة الغربية بأنها حضارة داروينية نسبة إلا دارون أي أن الحضارة الغربية في رأيه تقوم على الصراع ضد الحضارات الأخرى مثل الصراع بين الأحياء عند دارون وهذا يتفرع منه صراع الحضارات ونهاية التاريخ إلى أخر هذه المقولات..

وعلى الرغم من أنني سعدت بإعجاب السيد ياسين بآراء ميل مطر ومع ذلك فقد ضحكت لأنني عندما كنت أكتب كتاباً عن المودودي في السبعينات وجدت أن المودودي عندما تحدث عن النظريات التي تقوم عليها الحضارة الغربية فإنه حددها في: فلسفة هيجل في التاريخ . نظرية دارون في الأحياء . الصراع الطبقي عند ماركس. وتكلم المودودي في ذلك كلاماً نفيساً وعبقرياً لماذا؟. لأن نظرية هيجل في

فلسفة التاريخ تذهب إلى أن العصر الجديد ينسخ العصر القديم.. ليس هناك ثوابت (عملية نسخ)... عند دارون القوي ينسخ الضعيف ويزيله.. عند ماركس الطبقة الوليدة تنسخ الطبقات السابقة.. إذاً المحور في الحضارة الغربية هو الموقف الصراعي: طرف يصرع الآخر وينهيه ويزيله وينفرد بالميدان وعندما كتبت كتابي عن المودودي وعرضت أفكاره هذه في باب عن نقد الحضارة العربية وكنت قد نشرت جزءاً من هذه الدراسة قبل طبع الكتاب في مجلة العربي في أوائل الثمنينات فإذا بالدكتور فؤاد زكريا ينفذني في العربي ويقول: هذا الذي كنا نتصور أنه مستنير هاهو يهاجم الداروينية ويقول عنها هذا الكلام.

لقد تكلمنا عن أن الداروينية قدمت مبرراً للاستعمار لأن الاستعمار بدلاً من أن يشعر بتأنيب الضمير يعتقد من خلال هذه النظريات أنه يقوم برسالة حضارية عندما يزيل مواريث الأمم والبنى التحتية لها ومجتمعها المدني القائم بها والحرف والصناعات الخاصة بها ويعتبر نفسه أنه يمدنها. حتى ماركس تكلم عن أن غزو فرنسا للجزائر من التمدن وإزالة الرجعية والتخلف وتحدث بنفس هذا المنطق عن الهند مع أن الماركسيين عندنا كانوا دائماً يخفون هذه النصوص لأنها تفحض الرجل لأنه كان يتحدث عن أن الاستعمار يقوم بدور تحديثي ودور تمديني للمجتمعات المستعمرة.

فأنا عندما تحدثت عن النزعة الداروينية انطلاقاً من كلام المودودي عن الحضارة الغربية سخر مني فؤاد زكريا وهذا ما جعلني أضحك من إعجاب السيد ياسين بما قاله جميل مطر وقلت في نفسي لو كان السيد ياسين قرأ لي أنا هذا الكلام أو لأحد غيري من الاسلاميين لما كان كتب هذا الإعجاب الذي كتبه عن كلام جميل مطر. لأنه عندنا تحدث طائفية ثقافية حيث يختلف الموقف مما يقوله أحد الاسلاميين عما إذا قاله غيره من الباحثين والكتاب.

هذه هي قضيتنا مع الحضارة الغربية ففي الاقتصاد يحدث اجتياح لاقتصاد الشعوب وأنا لست متخصصاً في الاقتصاد ولكني أريد أن يجيب الاقتصاديون عندنا عن تفسير ما حدث بالنسبة للنمور الآسيوية. لقد تابعت بعض التفسيرات التي كتبت في

هذا مثل أبحاث الدكتور حازم الببلاوي وغيره ومع ذلك سأقدم لكم تفسيراً أعلم أنني لو كتبته لهوجمت من العلمانيين هجوماً شديداً.

فالتجارب التي حدثت في أندونيسيا وماليزيا برغم عظمتها كان هناك دور كبير للشركات المتعددة الجنسية بالنسبة لها وبالتالي لم تكن مفاتيح الأمور بأيدي الحكومات والشعوب فالتنمية التي تجدث نتيجة التدخل الأجنبي من الممكن عند اللزوم القضاء عليها. والنقطة الأخرى أن هذه التجارب التنموية ربطت نفسها بالمركز الغربي فلم يكن هناك سوق إسلامية مثلاً وبالتالي فأنت لست حراً حقيقة: فرأس المال أجنبي والشركات أجنبية. والاستثمارات أجنبية والخبرات أجنبية والتكنولوجيا غربية والأسواق غربية.. وهكذا فأنت مربوط بالمركز الغربي.

الأمر الآخر هو حكاية سوق المال وقد قال مهاتير محمد: إن الملياردير سورس بما فعله من لعب في البورصة هو الذي بدأ الضرب في هذه التجارب. ففكرة تحول المال إلى سلعة يضارب عليها وجعلها بديلاً للإنتاج والعمل هي نفسها الفكرة التي وراء تحريم الاسلام للربا فنحن هنا في الأزهر نتعارك حول الفائدة وهل هي حلال أم حرام وليست هذه هي القضية الأصلية.. فالقضية الأصلية هي فلسفة الاسلام في المال. إن المال ليس سلعة يتاجر فيها لأن هذا هو الذي يصنع التضخم ويصنع عالماً اقتصادياً آخراً لا علاقة له بالاقتصاد الحقيقي.. ليس له أدنى علاقة بالإنتاج أو الزراعة أو الصناعة أو بكل هذه الأمور. وهذا يبين أهمية الرؤية الاسلامية في فلسفة الأموال والتي أرى وجوب دراسة عيوب ما حدث في التجارب الآسيوية في ضوئها.

وعندما حققت أعمال محمد عبده بهرني أنه عندما تكلم عن الربا قد لمس هذا البعد وقال كيف أن تجارة المال تركز المال في جانب والفقر في جانب ولم يكن قد أثير عندنا بعد موضوع التضخم الذي هو المتاجرة في المال. فالبنك يأخذ منك بفائدة خمسة في المائة مثلاً وينقل لغيرك بفائدة عشرة في المائة ومَن أخذ بعشرة ينقل بخمسة عشر وهكذا فالمال سعره يزيد دون زيادة حقيقية في الإنتاج. أي أنه بعيداً عن وظيفة المال تتم عملية التضخم وبصنع سوق المال من الممكن أن تضرب تجارب تنموية بعيداً عن عملية الصناعة. فلم تتم عملية اللعب في الصناعة التي

أقامتها أندونيسيا وماليزيا وإنما اللعب تتم ي البورصة لأنك صنعت اقتصاداً في المال مواز للاقتصاد الإنتاجي وجعلت هذا في يد السماسرة اليهود وعملاء المصارف العالمية. إذاً فلكي تتم العولمة فلا بد من الاختراق والهيمنة ومسك مفاتيح البلاد وعندما كان ينشأ لدينا مشروع مترو الأنفاق كنا نقول أن المترو في القاهرة ولكن الذي يمغنط التذكرة في فرنسا فالذي يمسك لك المفتاح (التذكرة الممغنطة) هو فرنسا لقد كنا نقول أخذوا الصندوق يا محمد ولكن مفتاحه معي لكن الآن المفتاح معهم وهذه هي فكرة العولمة فحتى في التجارب التنموية الجيدة والمبشرة تكون مخترقاً تماماً ويكون مفاتيحها مع الغرب وطبعاً هذا يتبعه تآكل السيادة في الدولة الوطنية والقومية وأريد أن أقرأ عليكم التعليق الذي كتبته في الشعب عما نشره أحد الأشخاص في جريدة الأهالي حيث زعم أنهم يقفون مع الضغط الأمركي على الحكومة المصرية في مسألة الأقليات لأننا في عصر العولمة والدولة منقوصة السيادة فتساءلت: ولماذا تكون مصر فقط منقوصة السيادة؟!

فإذا كانت العولمة حقيقية فلا بد أن تكون أمريكا أيضاً منقوصة السيادة وكما يضعون أسطولاً في الخليج يكون لنا أساطيل هناك. فلماذا تكون سيادتنا نحن فقط منقوصة وتسمى ذلك عولمة؟!. الأصح أن نسميها هيمنة. فالعولمة كما قلنا إن كان المقصود منها العالمية فلا بد أن تكون حقوقنا جميعاً متساوية ولكن المقصود الحقيقي من العولمة أن تكون سيادتنا نحن فقط هي السيادة المنقوصة.

إن هذا لم يعد يتم فقط باسم النظام العالمي ولكن أمريكا الآن أصبحت تشرع للعالم صراحة فالكونجرس الأمريكي يصدر قراراته بعدم الاتجار مع ليبيا أو بعدم الاتجار مع إيران ويضع العقوبات على مخالفة ذلك حتى حاولوا أن يفرضوا على أوروبا نفسها عقوبات ولكنهم تراجعوا بعد ذلك وآخر ما فعلوه بشأن هذه العقوبات هو قانون الأقليات الأخير.

هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن حقوق الانسان في العالم هم الذين أبادوا الهنود الحمر ولا تزال التفرقة العنصرية في أمريكا تمثل أعلى معدلاتها في العالم ولا تزال الحروب الدينية في أوروبا إلى الآن من البلقان إلى أيرلندا إلى آخره.. ونفس هذه الأمور موجودة في يوغسلافيا أي أن أوروبا لا تزال تعيش حروباً دينية ويعودون مرة أخرى

التدخل في الشؤون الداخلية للدول من ثغرة الأقليات والأقليات المقصودة هنا ليست فقط الأقليات غير المسلمة فأنا اليوم سمعت خبراً في لندن عن المغني الذي قتل في الجزائر وما الذي قالته الصحف الفرنسية عن ذلك فعندما تحدث مندوبهم في لندن عن ذلك قال: قال ن القتل كان يناضل من أجل الأمازيغية.. يناضل ضد اللغة العربية.. يناضل من أجل اللغة الفرنسية كلغة للانفتاح.. يناضل من أجل العلمانية.. هذا البرنامج الذي عقدت لأجله مؤتمرات في باريس أقامتها منظمة الأمازيغية التي يعمل فيها محمد أركون الذي جاء يعلمنا الاسلام وما هي حداثة الاسلام التي من الممكن أن تكون. وهو يعمل لدى الفرنسيين في موضوع الأمازيغية.

وما أريد أن أقوله أن الإختراق الذي يحدث من خلال موضوع الأقليات ليس فقط متعلقاً بالأقليات غير المسلمة لأنهم يعلبون الآن بورقة الأكراد.. وبورقة الأمازيغ.. مثلما يلعبون بورقة الموانة وورقة الأقباط.

وأريد أن أقول أن قضية الأقباط لا بد أن نهتم بها ليس لأن عندنا ما نعتذر عنه أو أن لدى الاسلام ما يعتذر عنه وإنما لأنها أصبحت باباً للاختراق وأنتم ترون المراكز التي تعمل في هذا الموضوع عندنا والممولة علناً من الخارج وأقول إننا أحرص الناس على معايير الإنصاف بالنسبة للأقليات. فالمسلمون مليار وثلث مليار في العالم وربع المسلمين أقليات. إذاً فإن من مصلحتنا كمسلمين . فضلاً عن معايير العدل . أن تكون هناك ضوابط منصفة للأقليات، إن لدينا على سبيل المثال في الهند مائة وخمسين مليون من المسلمين أقلية. إذاً المسلمون أولى الناس بأن تكون هناك معايير داخلية وإقليمية وعالمية تتعامل على أساسها الأقليات ومن ناحية أخرى فإن الوحدة الوطنية لا بد أن تبنى على الحقائق وليس على الأوهام فعندما يأتي شخص ويقول أن الدين الاسلامي طارئ على مصر وإنه لذلك يجب أن يكون هناك امتياز للدين الأقدم. فلنا أن نقول عند ذلك: إن النصرانية ي مصر أيضاً وافدة.. بل أن النصرانية في العالم كله وافدة حتى في الفاتيكان نفسها لا يستثنى من ذلك سوى فلسطين. بل أن اليهودية وافدة على فلسطين لأنه لا علاقة لها بفلسطين..، لا توراة ولا أنبياء اليهودية عرفوا فلسطين. إذاً لا بد من إنهاء هذا الوهم الذي يتحدث عن دين قديم ودين وافد.

النقطة الثانية: أن المساواة كامل المساواة في حقوق المواطنة حق من حقوق الله وليس حق من حقوق الانسان لأن الله سبحانه وتعالى بحكم خلقه للبشر بصرف النظر عن الدين . لا بد أن تكون لهم كامل المساواة في حقوق المواطنة هذا معيار.

المعيار الثاني هو: هو أنه للأقلية في كل بلاد الدنيا أن تقيم دينها والحلال والحرام في دينها ولكنها لا يجوز أن تصادر حق الأغلبية في هوية الدولة. وخمسة مليون مسلم في فرنسا من حقهم أن يقيموا دينهم والحلال والحرام فيه ولكن ليس من حقهم أن يصادروا هوية علمانية الدولة الفرنسية ونفس الأمر إذا تحدثنا عن الأقلية في الهند. وهذه قضايا لا بد من التوسع فيها بدلاً من استغلالها في إطار العولمة.

الكلمة الأخيرة هي عن الوهم الذي يتحدث عنه دعاة العولمة وأعني بذلك ما يقولونه عن الاعتماد المتبادل أي أننا عندما نلحق بالعولمة يكون بيننا وبينهم اعتماد متبادل.

فهل من الممكن أن يكون هناك اعتماد متبادل بين رجل عاجز وأسد مفترس؟!.

ويحضرني في ذلك نكتة كانت تروى عن حاجب محكمة سُئل مرة عن مرتبه، فقال: مرتبي أنا والقاضي مائة وثلاثة جنيهات هو ثلاثة والقاضي مائة فهل هذا هو الاعتماد المتبادل؟!.

فالاعتماد المتبادل لو كان حقيقياً فإنه يفترض أساساً أن تكون قوياً.. تكون لك هوية مستقلة ولكن عندما أكون ضعيفاً وتابعاً وملحقاً فهل أقول: أنا وأمريكا!.. إذاً فما الذي يحدث الآن في العراق من الأمريكان؟!..

أين العراق؟! وأين أمريكا؟!.

أين الصلف الإسرائيلي وأبو عمار؟!.

إذاً هذا الصلف المتبادل وهم من الأوهام.

فنحن مع العالمية ولكن هذا الذي يسمى بالعولمة هو تسابق وتطور في أدوات الهيمنة والجديد في ذلك هو تقنين هذه الهيمنة. أما كون الغرب يعمل على فرض هيمنته علينا فهذا مرتبط بموقف الحضارة الغربية القديم منذ الاحتكاك بينها وبين الحضارة الاسلامية وشكراً.

===============

#العولمة التبادلية خيار الاتفاق بين الأمم

* د. حسن حنفي

وتعني العولمة (التبادلية) ذات الاتجاهين، العولمة المزدوجة، تأخذ وتعطي، تؤثر وتتأثر. فكما أخذت الثقافة العربية الإسلامية من الحضارات المجاورة خاصة اللغة أعطت معاني وتصورات اكمل ومن منظور أوسع، الفرد والجماعة، العقل والقلب، النظر والعمل، المعرفة والأخلاق، الدنيا والآخرة. واستمر ذلك من نشأة الحضارة الإسلامية إلي نهايتها عندما بدأ الغرب اللاتيني في العصر الوسيط المتأخر يترجم منها. فإذا كانت الترجمة الأولي من الآخر إلي الأنا بفضل النصاري العرب فإن الترجمة الثانية من الأنا إلي الآخر بفضل اليهود العرب والنصاري الآتين خاصة من الأندلس، في غرناطة وأشبيلية وقرطبة وطليطلة. وكما أسس المأمون ديوان الحكمة أولاً أسس أسقف طليطلة الأسقف ريموندو ديواناً للترجمة. فقد ظلت اللغة العربية لغة الحياة اليومية فيها علي مدي قرنين من الزمان بعد سقوطها.

كما تمت الترجمة أيضاً عبر صقلية وجنوب إيطاليا غرباً وبيزنطة شرقاً. وقد ظلت اللغة العربية لغة العلم والتأليف كما كان الحال في بلاط فردريك الثاني. وكانت البعثات تُرسل من الشمال إلي الجنوب، ومن الغرب إلي الشرق. وكانت الأسئلة الفلسفية التي تؤرق الأباطرة لا يجدون الإجابات عنها إلا عند المسلمين مثل (المسائل الصقلية لابن سبعين).

وكما تمت الترجمة الأولي من اليونانية إلي العربية لصالح المتلقي بالحذف والإضافة لتوسيع المنظور اليوناني المغلق إلي منظور إسلامي مفتوح بضم إمكانيات أوسع كذلك تمت الترجمة الثانية من العربية إلي اللاتينية مع الحذف، حذف كل العبارات الدينية وأسماء الجلالة التي عدها المترجم أقرب إلي الدين منها إلي العلم. فبدأ العلم ينغلق علي نفسه من جراء الفصل بين الدين والعلم، بناء علي التجربة الغربية مع الكنيسة. فبدأت تظهر أزمة العلم بعد انتصاره وبعد التمييز بين حكم الواقع وحكم القيمة، مع أن الواقع قيمة، والقيمة واقع.

وظهر لأول مرة في الفلسفة المدرسية اللاهوت العقلاني عند الجدليين في فرنسا في القرن الحادي عشر في صراعهم ضد اللاهوتيين. الفريق الأول يعتمد علي الجدل العقلي البرهاني عند انسليم لإيجاد البراهين العقلية علي وجود الله وخلود النفس.

وانقلب النموذج من (أؤمن كي أعقل) عند أغسطين إلي (أعقل كي أؤمن) بعد أن كان التناقض أساس الإيمان منذ ترتليان والذي رد إليه كيركجارد اعتباره في القرن التاسع عشر. وازدهر عند ابيلار في القرن الثاني عشر التيار العقلاني حتي أنه تم تحكيم العقل في النص في كتابه الشهير (نعم ولا) لإثبات تناقض أقوال آباء الكنيسة. وكان المسلم نموذج الفيلسوف في كتابه الآخر (حوار بين يهودي ومسيحي وفيلسوف). واستمر الحال كذلك عند توما الاكويني في الاعتماد علي العقل الطبيعي لإثبات حقائق الدين، وجود الله وخلق العالم وخلود النفس. وبلغ العقل الذروة مرة أخري عند الرشديين اللاتين، سيجر البرابنتي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، يؤكدون وحدة الوحي والعقل والطبيعة، هذا النموذج الاسلامي الذي كان وراء قيام العلوم الرياضية والطبيعية في العالم الاسلامي. واستمر العلم الاسلامي نموذجاً للعلم المدرسي عند دنزسكوت ووليم أوكام قبيل العصور الحديثة بعد أن ترجمت الأعمال الرياضية والطبيعية (الكندي)، والكيمياء (جابر بن حيان)، والهندسة والضوء (الحسن بن الهيثم)، والجبر (الخوارزمي)، والفلك (البيروني). ونقلت تكنولوجيا الري (عجلات الري) والحرب (المنجنيق) والاتصالات (البوصلة). كما نترجم نحن الآن العلم الغربي وتقنياته.

واستمر النموذج الاسلامي قبيل العصور الحديثة، في الإصلاح الديني في القرن الخامس عشر عند مارتن لوثر الذي تعلم العربية لمعرفة كيف استطاع الإسلام أن يحل معضلات الكاثوليكية. فجاءت البروتستانتية علي النموذج الاسلامي ومبادئه: الكتاب وحده، حرية التفسير، رفض التوسط بين الإنسان الله، أولوية الإيمان القلبي علي الشعائر الخارجية، الدين للوطن. ثم استمر في عصر النهضة في القرن السادس في معركة القدماء والمحدثين وانتصار المحدثين علي القدماء باسم التطور والتغير والزمن والتاريخ، والتحول من التمركز حول الله إلي التمركز حول الإنسان، ومن النفس إلي البدن فتم اكتشاف الدورة الدموية، ومن التمركز حول الأرض إلي التمركز حول الشمس في علم الفلك الجديد، وفي التحول من النص إلي الواقع، ومن الكتاب المغلق، الكتاب المقدس، إلي كتاب الطبيعة المفتوح. العقل مصدر العلم

الرياضي، والطبيعة مصدر العلم الطبيعي، والعقد الاجتماعي مصدر السلطة في المجتمع، والمجتمع المدني البديل عن الكنيسة.

واستمر النموذج الاسلامي في القرن السابع عشر في المنهج العقلي عند ديكارت (أنا أفكر فأنا إذن موجود). فالعقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس. ولا فرق بين شك ديكارت المنهجي وشك الغزالي النفسي (من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمي والضلال). والنظر أول الواجبات عند المعتزلة، ومناط التكليف عند الفقهاء، وأساس النقل عند الحكماء بل والفقهاء كما قال ابن تيمية (درأ تعارض العقل والنقل)، (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، وما لا دليل عليه يجب نفيه (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين). واستمر العقل عند اسبينوزا مطبقاً إياه في الموضوعات التي استثناها ديكارت من المنهج مطبق فيها (الأخلاق المؤقتة). وانتهي إلي إثبات التحريف في الكتاب المقدس، وأن النبوة ليست حكراً علي اليهود وحدهم، وانتهاء عصر المعجزات، ونقض العهد الأحادي المطلق المجاني بين الله وبني إسرائيل لصالح عهد تعاقدي روحي مشروط بتقوي الله وطاعته كما هو الحال في الإسلام. ورفض الحكم الثيووقراطي لصالح (مواطن حر في دولة حر) وهو الشوري قبل أن تظهر الديمقراطية في الغرب كنظام سياسي، فالإمامة عقد وبيعة واختيار.

واستمر النموذج الاسلامي في المنطق الجديد عند بيكون (الآلة الجديدة) مؤسساً منهج التجريب الحديث الذي أسسه المسلمون عند جابر بن حيان، والكندي والرازي وابن سينا وابن رشد في الطب والصيدلة. وهو منهج الأصوليين في التعليل قبل وضع جون استيوارت مل مبادئ الاستقراء. وهو ما سماه الشاطبي (الاستقراء المعنوي) لأن الأجزاء لا تكوّن الكل، والنوازل لا تنشئ القاعدة. وقد بدأت أزمة الاستقراء في الغرب بفصل الاستنباط عن الاستقراء، وإبعاد العقل عن الحس وكما لاحظ لاشيلييه في (أسس الاستقراء) وكما نقد كلود برنار في (المدخل إلي الطب التجريبي) وهوسرل في الجزء الأول من (بحوث منطقية) في نقد المنطق التجريبي.

ولم تبتعد مُثل التنوير في القرن الثامن عشر عن الأصول الخمسة عند المعتزلة ولا عن نموذج الحكمة عند الفلاسفة أو المصالح العامة عند الأصوليين. فالعقل والحرية

والمساواة والعدالة الاجتماعية والطبيعة والتقدم هي نفسها المثل التي قامت عليها الحضارة الإسلامية. اكتشفها الوعي الأوروبي في صراعه ضد المعجزات والإقطاع والقهر والظلم الاجتماعي والعودة إلي الماضي علي الرغم من نقد فلاسفة التنوير القضاء والقدر والاستبداد الشرقي والنظم الثيوقراطية وهو ما ينقده الإسلام أيضاً. بل إن الجدل الهيجلي لا يبعد عن جدل الوحي، من اليهودية، الشريعة، إلي المسيحية، المحبة، إلي الجمع بين الاثنين في الإسلام، (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. ولئن صبرتم لهو خير للصابرين). والدولة عند هيجل، الروح في التاريخ، والمطلق في المجتمع أشبه بالحاكمية عند الحركات الأصولية. وإعطاء الأولوية للفنون السمعية علي البصرية أقرب إلي النظرية الإسلامية. والوحدة المطلقة عند شلنخ أقرب إلي قراءة جديدة لابن عربي. ولم تبدأ الأزمة في الغرب إلا في القرن العشرين عندما بدأ يخبو النموذج الاسلامي ويخف الباعث الأول للعصور الحديثة ومقاربتها علي النهاية.

فإذا كان الوحي قد أعطي الحقائق حدساً فإن العقل وجد البراهين علي صدقه في الحضارة الإسلامية. ووجدت الطبيعة والتجربة والواقع البراهين علي صدقه في الحضارة الغربية، نظراً لوحدة الوحي والعقل والطبيعة. فالحضارة الغربية تقوم في دوافعها علي بواعث إسلامية، تطابق العقل والطبيعة، نظراً لأن تدوين الوحي لم يصمد أمام النقد التاريخي، وأقوال الكنيسة لم تصمد أمام النقد الفلسفي.

ومن ثم فإن تيار (أسلمة العلوم) الذي يقوم علي استيراد العلم من الغرب ثم قراءته قراءة إسلامية عن طريق وضع نظارة النص عليه لا يعرف أن هذا العلم في بواعثه، معرفة قوانين الطبيعة، وقوانين المجتمع وقوانين التاريخ علم إسلامي في بداياته وليس في نهاياته، في مقدماته وليس في نتائجه. فالبحث عن الحقيقة أقرب إلي الحقيقة من أخذها جاهزة ثم الحكم عليها بمقاييس خارجية. ما يحدث حالياً هو نقل العلم الغربي بلا تمحيص ثم انتقاء نص قرآني أو حديث نبوي وإلصاقه عليه. فإذا كانت النتيجة إيجاباً كان القرآن أسبق من العلم الغربي في اكتشاف الحقائق العلمية وإن كان سلباً كان القرآن علي حق والعلم الغربي علي باطل لأن الوحي لا يخطئ، في حين أن علم البشر يخطئ. والرهان كله علي المؤوِل والمنتِقي الذي يستطيع أن

ينتقي ويؤول العلم الغربي والنص الديني فيحدث الاتفاق أو الاختلاف بينهما. فإذا كان النص الديني يحتوي علي العلم الغربي فلماذا لم يعلن عن ذلك من قبل؟ وإن كان العلم الغربي خاطئاً فلماذا لم يعط النص الديني العلم الصحيح من قبل؟ وبهذه الطريقة يكون للعلم الغربي الريادة والاكتشاف، ويكون النص الديني مجرد تابع له. وماذا يحدث إذا ما تغير العلم الغربي وأتي بالنظرية المضادة بعد أن كان النص الديني قد اتفق معه، فهل يتغير فهم النص وتأويله حتي يتفق مع النظرية المضادة الجديدة؟ وبهذه الطريقة يضيع ثبات النص ويصبح متحولاً بالتحول العلمي. وتصبح كل الحقائق متغيرة ولا ثبات لأي منها وهو ما يضاد العقائد الثابتة للدين. ويصل الأمر إلي منتهاه عندما يُعلن أن الله سخر الغرب لنا، نأخذ علمه ولدينا الدين فنفوز بالحسنيين، الدنيا والآخرة، في حين أن الغرب يفوز بالدنيا من دون الآخرة. فنسجل نقطة زائدة عليه. ولما كانت الدنيا بمفردها خاسرة يخسر الغرب. ولما كانت الآخرة من دون الدنيا خاسرة نكسب نحن باسم الكسل والتبعية.

وربما يعود الغرب الآن إلي اكتشاف مصادر أخري للمعرفة غير نفسه، في الشرق القديم وفي الثقافات النقيضة، راداكرشنان، بوذا، أو الإسلام الصوفي أو في الإيقاع الافريقي لعله يستطيع أن يجد باعثاً جديداً علي الإبداع. فالحضارة الغربية ليست إبداعاً علي غير منوال ومن دون أصول سابقة. فحضارات ما بين النهر، وكنعان، ومصر القديمة، والهند كلها كانت مصادر (للمعجزة) اليونانية. وفي التاريخ لا شيء يحدث من لا شيء.

===============

#مفهوم العولمة وماذا تعني؟

* أ.د. يوسف القرضاوي

(العولمة) مصطلح من المصطلحات التي شاعت بيننا في هذه السنين الأخيرة، مثل الحداثة، وما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار، وما بعد الإمبريالية وغيرها، وهو تعبير جديد على لغتنا، فهو مترجم قطعا، كما سنرى.

والمعروف أن (العولمة) مصدر على وزن (فوعلة) مشتق من كلمة (العالَم)، كما يقال (قولبة) اشتقاقا من كلمة (قَالَب).

فالتعبير صحيح من الناحية اللغوية، ولكن يبقى علينا أن نعرف معناه والمقصود منه، حتى يمكننا الحكم عليه؛ فالحكم على الشيء فرع من تصوره، كما قال قديمًا علماء المنطق.

العولمة تعني في نظر البعض: إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب بعضها وبعض، وبين الأوطان بعضها وبعض، وبين الثقافات بعضها وبعض. وبذلك يقترب الجميع من (ثقافة كونية) و(سوق كونية) و(أسرة كونية).

ويعرفها بعضهم بأنها تحويل العالم إلى (قرية كونية). ولذا نرى بعض الباحثين يستخدم هنا (الكوننة) اشتقاقا من كلمة (الكون) بمعنى العالم أيضا. كما أن بعضهم استعمل كلمة (الكوكبة) إشارة إلى كوكب (الأرض) التي نعيش عليها. ولكن الكلمة التي ذاعت وانتشرت هي (العولمة).

ويتعامل الفرنسيون مع كلمة العولمة بلفظة: (Mondialisation)، في حين أن الأمريكيين والإنجليز يتعاملون مع كلمة (Globalization) الإنجليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل.

وبهذا المعنى يمكن أن نحدس، أو على الأقل نفترض، أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع: العالم كله.

من هنا نستطيع أن نحدس، منذ البداية، أن الأمر يتعلق بالدعوة إلى توسيع النموذج الأمريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله.

وبعبارة أخرى: بما أن الدعوة إلى العولمة قد ظهرت فعلا في الولايات المتحدة الأمريكية بهذا المعنى، في أوساط المال والاقتصاد، فإن لنا أن نستنتج أن الأمر يتعلق ليس فقط بآلية من آليات التطور الرأسمالي الحديث، بل أيضا بالدعوة إلى تبني نموذج معين. وبالتالي فالعولمة هي، إلى جانب كونها نظاما اقتصاديا، هي أيضا أيديولوجيا تعكس هذا النظام وتخدمه وتكرسه. وهناك من الكُتاب من يقرن بينها وبين "الأمركة"، أي نشر وتعميم الطابع الأمريكي.[1]

بين العولمة والعالمية:

وربما كان معنى العولمة في ظاهره يقترب من معنى (العالمية) الذي جاء به الإسلام، وأكده القرآن في سوره المكية، مثل قوله تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء:107)، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} (الفرقان:1)، {إن هو إلا ذكر للعالمين. ولتعلمن نبأه بعد حين} (ص: 88،87).

ولكن هناك في الواقع فرق كبير بين مضمون (العالمية) الذي جاء به الإسلام، ومضمون (العولمة) التي يدعو إليها اليوم الغرب عامة، وأمريكا خاصة.

خطابنا الإسلامي في عصر العولمة

فالعالمية في الإسلام تقوم على أساس تكريم بني آدم جميعا {ولقد كرمنا بني آدم} (الإسراء: 70)، فقد استخلفهم الله في الأرض، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه. وكذلك على أساس المساواة بين الناس في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية، وأنهم جميعًا شركاء في العبودية لله تعالى، وفي البنوّة لآدم، كما قال الرسول الكريم أمام الجموع الحاشدة في حجة الوداع: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر، إلاّ بالتقوى..."[2]

وهو بهذا يؤكد ما قرره القرآن في خطابه للناس كل الناس: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (الحجرات: 13).

ولكن القرآن في هذه الآية التي تقرر المساواة العامة بين البشر، لا يلغي خصوصيات الشعوب فهو يعترف بأن الله تعالى جعلهم (شعوبا وقبائل) ليتعارفوا.

أما (العولمة) فالذي يظهر لنا من دعوتها حتى اليوم: أنها فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصًا عالم الشرق، والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي.

الولايات المتحدة بتفوقها العلمي والتكنولوجي وبقدرتها العسكرية الهائلة، وبإمكاناتها الاقتصادية الجبارة وبنظرتها الاستعلائية.. ترى نفسها أنها سيدة العالم.

إنها لا تعني معاملة الأخ لأخيه كما يريد الإسلام، بل ولا معاملة الند للند كما يريد الأحرار والشرفاء في كل العالم، بل تعني معاملة السادة للعبيد والعمالقة للأقزام والمستكبرين للمستضعفين.

العولمة في أجلى صورها اليوم تعني (تغريب العالم) أو بعبارة أخرى (أمركة العالم). إنها اسم مهذب للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة ليمارس عهدا جديدا من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف (العولمة).

إنها تعني فرض الهيمنة الأمريكية على العالم، وأي دولة تتمرد أو تنشز، لا بد أن تؤدب بالحصار أو التهديد العسكري أو الضرب المباشر، كما حدث مع العراق والسودان وإيران وليبيا.

وكذلك تعني فرض السياسات الاقتصادية التي تريدها أمريكا عن طريق المنظمات العالمية التي تتحكم فيها إلى حد كبير، مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيرها.

كما تعني فرض ثقافتها الخاصة التي تقوم على فلسفة المادية والنفعية وتبرير الحرية إلى حد الإباحية، وتستخدم أجهزة الأمم المتحدة لتمرير ذلك في المؤتمرات العالمية، وتسوق الشعوب إلى الموافقة على ذلك بسياط التخويف والتهديد، أو ببوارق الوعود والإغراء.

وتجلى ذلك في (مؤتمر السكان) الذي عقد بالقاهرة في صيف 1994، والذي أريد فيه أن تمرر وثيقة تبيح الإجهاض بإطلاق، وتجيز الأسرة الوحيدة الجنس (زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء) وإطلاق العنان للأولاد في السلوك الجنسي، والاعتراف بالإنجاب خارج إطار الزواج الشرعي، إلى غير ذلك من الأمور التي تخالف الأديان السماوية كلها، كما تخالف ما تعارفت عليه مجتمعاتنا، وغدا جزءا من كينونتها الروحية والحضارية.

ومن هنا وجدنا الأزهر الشريف في مصر، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، وجمهورية إيران الإسلامية، والجماعات الإسلامية المختلفة، تقف جنبًا إلى جنب مع الفاتيكان ورجال الكنيسة، لمقاومة هذا التوجه المدمر؛ إذ شعر الجميع أنهم أمام

خطر يهدد قيم الإيمان بالله تعالى ورسالاته، والأخلاق التي بعث الله بها رسله عليهم السلام.

كما تجلت هذه العولمة في (مؤتمر المرأة) في بكين سنة 1995 وكان امتدادًا لمؤتمر القاهرة وتأكيدًا لمنطلقاته، وتكميلاً لتوجهاته.

وهذه قضية في غاية الأهمية (الاعتراف بالخصوصيات) حتى لا يطغى بعض الناس على بعض، ويحاولوا محو هويتهم بغير رضاهم.

بل نجد الإسلام يعترف باختلاف الأمم، وحق كل أمة في البقاء حتى في عالم الحيوان، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها" رواه أبو داود[3]، وهو يشير إلى ما قرره القرآن في قوله تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم} (الأنعام: 38).

وإذا خلق الله أمة مثل أمة الكلاب، فلا بد أن يكون ذلك لحكمة، إذ لا يخلق سبحانه شيئاً إلا لحكمة {ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك} (آل عمران: 191) فلا يجوز إذن حذف هذه الأمة المخلوقة من خارطة الوجود، فإن هذا تطاول واستدراك على خلق الله تبارك وتعالى.

إذا كان هذا في شأن الأمم الحيوانية، فما بالك بشأن الأمم الإنسانية؟ إلا أن ترتضي أمة باختيارها الانصهار في أمة أخرى: في دينها ورسالتها ولغتها، كما فعلت مصر وبلاد شمال أفريقيا وغيرها، حين اختارت الإسلام دينا، والعربية لغة، بل أصبحت عضوا مهما في جسم هذه الأمة، بل لها دور القيادة في كثير من الأحيان.

العولمة استعمار جديد

إن (العولمة) كما تطرح اليوم، إنما تصب في النهاية لصالح الأقوياء ضد الضعفاء، ولكسب الأغنياء ضد الفقراء، ولمصلحة الشمال الغني ضد الجنوب الفقير.

وهذا طبيعي؛ لأن التكافؤ مفقود في حلبة المصارعة أو الملاكمة، بين الأوزان الثقيلة والأوزان الخفيفة، بل بين المصارع المدرب الممارس، وبين خصمه الضعيف الذي سيسقط لا محالة في بداية اللقاء من أول ضربة.

وماذا يمكن أن نتصور من نتائج سباق يفتح ميدانه لمن يريد المشاركة فيه؟ كيف يكون مصير من يركب الجمل أو الحمار إذا سابق من يركب السيارة؟

إن فتح الأبواب على مصاريعها – بدعوى العولمة – في مجالات التجارة والاقتصاد، والتصدير والاستيراد، أو في مجالات الثقافة والإعلام، سيكون لحساب القوى الكبرى، والدول التي تملك ناصية العلم والإعلام الجبار والتكنولوجيا العالية والمتطورة، ولا سيما الدولة الأكبر قدرة، والأشد قوة، والأعظم نفوذا وثروة، وهي أمريكا.

أما بلاد (العالم الثالث) كما يسمونها، وخصوصا (البلاد الإسلامية) منها، وهي ما أطلق عليه المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله (محور طنجة – جاكرتا) فليس لها من هذا السباق العالمي، إلا بقايا ما يفضل من الأقوياء، إن بقي لديهم ما يجودون به من فتات على الآخرين.

إنه الاستعمار القديم بوجه جديد واسم جديد. إن الاستعمار يغير لونه كالحرباء، ويغير جلده كالثعبان، ويغير وجهه كالممثل، ويغير اسمه كالمحتال، ولكنه هو هو، وإن غير شكله وبدل اسمه: استكبار في الأرض بغير الحق، وعلو كعلو فرعون في الأرض، والذي جعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم.

ولكن الاستعمار الجديد الذي يريد العلو والفساد في الأرض كافة، لا يستضعف طائفة، بل يستضعف شعوب الأرض، لمصلحة أقلية ضئيلة منهم[4].

1- انظر: قضايا في الفكر المعاصر للجابري. نشر مركز دراسات الوحدة العربية ص137،136.

2- رواه أحمد في مسنده 411/5 عن أبي نضرة عمن سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط أيام التشريق. وذكره الهيثمي في المجمع (266/3) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ونقل الشيخ الألباني عن ابن تيمية في (الاقتضاء 69)، أنه قال: إسناده صحيح.

3- انظر تعليقنا على هذا الحديث في كتابنا (السنة مصدرا للمعرفة والحضارة) ص147،146 طبعة دار الشروق بالقاهرة.

4- انظر: كتابنا (المسلمون والعولمة) ص 9-17 طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية.

=============

#مناهضة العولمة الإمبريالية: الفرص والإمكانيات

* وائل خليل

ما هي العولمة الرأسمالية؟

جاءت بداية التسعينيات من القرن العشرين المنصرم لتنذر ببداية عصر الهيمنة الأمريكية. فأمريكا خرجت منتصرة من حربها الأولى ضد العراق ورئيسها آنذاك – جورج بوش الأب– يبشر بقيام النظام العالمي الجديد. والاتحاد السوفييتي ودول ما كان يسمى بالمنظومة الاشتراكية (والتي لم تكن سوى أنظمة لرأسمالية الدولة) انهارت مثل قطع الدومينو وتحولت إلى اقتصاد السوق. وانتشرت نظرية نهاية التاريخ لصاحبها فرانسيس فوكوياما لتزعم نهاية الصراع الفكري والسياسي بين العالم بمناطقه الحضارية والغرب الليبرالي بانتصار الأخير وحتمية هيمنة سياسات الاقتصاد الحر والسوق المفتوحة.

وفي سنوات التسعينيات الأولى نما وتعاظم مفهوم العولمة ليعني شكلاً محددًا لتسيير الاقتصاديات القومية على أساس آليات العرض والطلب وانسحاب الدولة رويدًا من أي دور للرفاهة داخل المجتمع وفقًا لسياسات ما يسمى بالليبرالية الجديدة.

وقد تزامن هذا مع صعود المؤسسات المالية الدولية (البنك والصندوق الدوليان، ومنظمة التجارة العالمية، ومؤسسات التعاون الإقليمي كالاتحاد الأوروبي) لتفرض شروطها على الدول الفقيرة والنامية، وهي الشروط التي تتلخص في أنه على تلك الدول أن تفتح أسواقها للاستثمارات الأجنبية وللمنتجات الأجنبية، وأن تتوقف تمامًا عن تقديم أي خدمات أو دعم للطبقات الفقيرة أو القيام بأعباء تنموية وتأمينية للمواطنين. كما يجب على الدول أن تتخلى عن سياسات التوظيف وضمانات حماية العمال في مجال شروط العمل وفي الحماية من الفصل، فكل الأمور يجب أن تترك لآليات السوق، فهي الوحيدة –في زعم دعاة الليبرالية الجديدة– القادرة على الاستمرار والديمومة. أي أن الليبرالية قد عادت بعد محاولات إصلاحها من خلال إدماج سياسات الرفاهة وحماية حقوق الفئات الفقيرة والمستضعفة، والعمال والنساء، والتي أنقذتها من التهاوي كنظام اجتماعي اقتصادي في لحظة ما إلى الرؤية النفعية التي كانت تتجلى في الكتابات الكلاسيكية لليبرالية مثل كتابات آدم سميث وحديثه عن

"اليد الخفية" التي ستقوم بتوفيق المصالح إذا ما أطلقنا الفردية دون ضوابط لينتعش الاقتصاد الرأسمالي في حرية كاملة، أو كتابات بنثام النفعية التي تقوم على مبدأ اللذة والألم وتنادي بترك الأفراد دون فرض ضوابط على حركتهم أو حركة رأس المال وأنهم وحدهم كفيلون بالوصول لنقطة المنفعة القصوى للمجموع، وهي الرؤى التي تتسم بداروينية بالغة وتستنبط فكرة البقاء للأصلح.

وبالتالي كان انهيار الخدمات الاجتماعية -كالصحة والتعليم- وارتفاع تكلفتها، وكذلك انتشار البطالة وازدياد الفقر.. ثمنًا مقبولاً بل وضرورياً لدخول الدول النامية- الفقيرة إلى حظيرة الدول المتقدمة صناعيا، والسماح لها بالحصول على المساعدات اللازمة لاستمرارها على قيد الحياة، والتي تربطها بتبعية للهياكل الرأسمالية الدولية ولا تمكنها من تراكم القوة ولا الثروة اللازمة لحصولها على موقع تفاوضي أفضل في العلاقات الاقتصادية الدولية وتؤثر على خياراتها السياسية والإستراتيجية، وفي النهاية لا تمنحها حقوقا متكافئة في التجارة الدولية التي عادة ما تضع فيها دول الشمال العراقيل أمام تصدير السلع والخدمات من الجنوب للشمال، في حين تزيل كل الحدود أمام تجارة الشمال للجنوب وهو الوضع الذي تفرضه اتفاقيات الجات التي تزعم المساواة بين الدول في حين تتجاهل الخلل في التوازن الاقتصادي والقدرة المتفاوتة تفاوتاً شاسعاً بين الأطراف الدولية في فرض سياسات داخلية ومعايير قاسية للجودة تضمن مصالحها الاقتصادية.

ولم يقتصر تأثير السياسات الليبرالية على الدول النامية والفقيرة، بل امتد ليشمل الفقراء ومحدودي الدخل، بل والطبقة المتوسطة في الدول الصناعية المتقدمة، حيث عانى هؤلاء من تقليص التمويل المخصص للخدمات الاجتماعية -كالصحة والتعليم- وتخلت العديد من الحكومات عن سياسات دولة الرفاهة (التي تضمن حدًا أدنى للأجور وإعانات معقولة للبطالة وكذلك خدمات التعليم والصحة).

لا نهاية للفعل الإنساني

إلا أن جهود الليبرالية الجديدة لم تكن لتمر دون مقاومة أو معارضة، فقد شهدت التسعينيات العديد من حركات المقاومة لسياسات تحرير السوق، ففي المكسيك شهد عام 1994 انتفاضة فلاحي الزباتيستا ضد سياسات الحكومة المكسيكية التي كانت

قد وقعت لتوها اتفاق النافتا (المنطقة التجارية الحرة لأمريكا الشمالية – الولايات المتحدة وكندا والمكسيك)، والتي تحولت لحركة منظمة وناجحة لمقاومة العولمة ونموذجًا لا سلطويًا لحركة فاعلة ومستمرة ذات تأثير عالمي فريد.

كما شهد عام 1995 انفجارًا عنيفًا لمظاهرات الطلبة في فرنسا احتجاجًا على ارتفاع تكاليف التعليم. وفي إندونيسيا انهار حكم سوهارتو تحت وطأة الاحتجاجات الشعبية ضد الفساد والفقر.

وبدورها عانت سياسات صندوق النقد الدولي من مشاكلها الذاتية، فالأزمات الاقتصادية العنيفة التي أصابت اقتصاديات دول جنوب شرق آسيا في النصف الثاني من التسعينيات جاءت لتبدد وهم أن سياسات الصندوق هي دواء فعال لا بديل له على مرارته لحل مشاكل الدول النامية وشفائها من كافة الأمراض. فدول جنوب شرق آسيا (مثل تايوان وكوريا الجنوبية والفلبين) والتي كان يطلق عليها اسم "النمور الآسيوية" كانت النموذج الناجح الذي يقدمه دعاة الليبرالية الجديدة كدليل على صحة سياساتهم، وبالتالي جاءت أزمتها (انهيار العملة وتكدس المنتجات وزيادة البطالة) لتبث هشاشة المنظومة الاقتصادية بكاملها.

سياتل وميلاد حركة مناهضة العولمة

ورغم تلك الأزمة، وأزمة مثيلة سبقتها في المكسيك عام 95، استمرت الدعاية لسياسات الصندوق على أنها السبيل الوحيد وشر لا بد منه، وأن أي معارضة لتلك السياسات هي من قبيل الجنون والرعونة.

وعلى خلفية هذا المشهد المتأزم بين ضغوط النظام العالمي الجديد ومعاناة فئات واسعة منه كان اندلاع حركة مناهضة العولمة الرأسمالية التي لا تمثل الغالبية العظمى من سكان هذا الكوكب سوى الفقر والمهانة، والمرض والبطالة؛ فالأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقرًا بشكل غير مسبوق في التاريخ.

وفي سياتل بالولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر 1999 كان الميلاد الرسمي للحركة، فهناك اجتمع الآلاف من البشر من اتجاهات سياسية متعددة؛ اشتراكيين وفوضويين وشيوعيين وعمال نقابيين وجمعيات مسيحية، ونشطاء من مختلف الحركات والأهداف، ومدافعين عن البيئة وعن حقوق المرأة، ومن حركة الحقوق

المدنية السود ومن مناهضي العنصرية.. للاحتجاج على اجتماع منظمة التجارة العالمية المنعقد هناك آنذاك.

وما بدا للوهلة الأولى كاحتجاج رمزي تحول إلى مظاهرات حاشدة استمرت لعدة أيام وأدت لإلغاء اجتماع منظمة التجارة، وصار هناك صوت مدو لمطالب كانت تقال بالأمس همسا، وبرز شعار "نحو عالم أفضل ممكن" (another world is possible). وقد فاجأ حجم المشاركة الجميع بمن فيهم المنظمين أنفسهم، ومنذ ذلك الحين وجد العديد من الرافضين لسياسات الإفقار والهيمنة بؤرة لنشاطهم وصوتا لغضبهم.

وأصبحت اجتماعات ومؤتمرات المنظمات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة ومنتدى دافوس، بل والمؤتمرات والقمم السياسية كالاتحاد الأوروبي والدول الصناعية السبع (الثمانية فيما بعد).. بؤرة لنشاط الحركة الناشئة وكابوسا لقيادات العولمة وقادة الدول الكبرى.

واكتسبت الحركة الثقة وازدادت قوة بعد سياتل، وسجلت العديد من المدن أسماءها كانتصارات للحركة الجديدة، ملبورن ونيس وبراغ ودافوس وجونتبرج، كانت كلها مواقع أكدت أن سياتل لم تكن حدثا عارضا بل حركة طويلة النفس.

وفي جنوا في يوليو 2001 سقط كارلو جولياني أول شهيد لحركة مناهضة العولمة برصاص الشرطة الإيطالية وبعد العنف الشديد الذي واجهت به الدولة الإيطالية المظاهرات والاحتجاجات ضد قمة الدول الصناعية الثمانية (8G)، وفي اليوم التالي خرجت مظاهرة ضمت ما يزيد عن 300 ألف لتؤكد أن مناضلي حركة مناهضة العولمة لن يهزموا بسهولة.

مناهضة العولمة والحرب والاستعمار بعد 11 سبتمبر

بعد 11 سبتمبر ساور العديدين الشك في قدرة حركة مناهضة العولمة على الاستمرار في وجه تفجر روح التعصب والرغبة في الانتقام الذي أطلقها جورج بوش وآلة الدعاية الأمريكية المهيمنة، وظن البعض أن روح "نحن" و"هم" ستنزع من الحركة طابعها التضامني وبالتالي ستقضي عليها، إلا أن الحركة بعد تردد وتراجع قصيرين استعادت المبادرة ولعبت دورًا أساسيًا في بناء حركة معارضة الحرب

الأمريكية في أفغانستان، واليوم تطورت لتصبح حركة ضد العولمة وضد الإمبريالية (الهيمنة الاستعمارية) في العراق.

وكذلك تطورت الحركة لتصبح بؤرة للتضامن مع الانتفاضة الفلسطينية ومع نضال الفلسطينيين المشروع ضد الاحتلال الصهيوني. ففي نوفمبر 2001 شهدت لندن مظاهرة حاشدة قوامها 50 ألفًا ضد العدوان الأمريكي على شعب أفغانستان، وفي إبريل 2002 وفي أعقاب الاجتياح الإسرائيلي سارت مظاهرة من 100 ألف مؤيدة للحق الفلسطيني، في لندن وبعدها في واشنطن فيما وصف بأنه أكبر تحرك لدعم الحق الفلسطيني تشهده العاصمة الأمريكية.

كما شهدت فلورنس في نوفمبر 2002 مظاهرة شارك فيها ما يقرب من مليون متظاهر وتم تنظيمها على هامش المنتدى الاجتماعي الأوروبي، وهو مؤتمر واسع ومفتوح لحركة مناهضة العولمة شارك فيه 60 ألفا من كافة أنحاء العالم، وفي يناير 2003 شهدت مدينة بورتو أليجيري البرازيلية المنتدى الاجتماعي الموازي لقمة المنتدى الاقتصادي الدولي بدافوس (سويسرا)، وفي حين كان في سويسرا 3 آلاف من الساسة ورجال الأعمال وممثلي الشركات عابرة القارات بلغ عدد المشاركين في بورتو أليجيري من مناهضي العولمة في نفس الفترة بالتوازي، ما يزيد على مائة ألف ناشط من كل أنحاء العالم. وبعد تصاعد الهستيريا الأمريكية ضد العراق شهدت العاصمة البريطانية أكبر مظاهرة ضد الحرب منذ 50 عاما.

ففي 28 سبتمبر 2002 ثم في 15 فبراير 2003 ثم أخيراً السبت 12 أبريل 2003 انطلقت مظاهرات تاريخية حاشدة وجماهيرية واسعة ضد الحرب الأمريكية على شعب العراق وتأييدا لنضال الشعب الفلسطيني، شارك فيها في كل مرة نصف مليون شخص، وقد نظم المظاهرات تحالف مناهضة الحرب (Stop the War Coalition) –وهو جبهة انبثقت من داخل حركة مناهضة العولمة– بالاشتراك مع اتحاد المنظمات الإسلامية في بريطانيا، أي أن هناك أيضًا شبكات جديدة تتشكل، وتحالفات تنشأ بين مختلف القوى المناهضة للعولمة، الباحثة عن عولمة بديلة إنسانية عادلة.

حركة مناهضة العولمة ودروس مستفادة

إن حركة مناهضة العولمة ليست كلا واحد، ومن أهم خصائصها ذلك التنوع الذي يميز الأفراد والمنظمات المشاركة فيها، فهي تضم منظمات اشتراكية وأخرى فوضوية، شيوعيين ومستقلين، منظمات غير حكومية تعنى بشعوب العالم الثالث وأخرى تعنى بحقوق الأقليات، والمدافعين عن البيئة ومعارضي الزراعة الجينية، ومسيحيين ومسلمين وأتباع شتى الأديان والطوائف.

والنجاح الذي حققته الحركة جاء لأن كل المشاركين رأوا أن الأولوية هي في النضال ضد عدوهم المشترك، أي العولمة الرأسمالية التي تقودها الشركات ولم تمنعهم الخلافات الفكرية من التنظيم المشترك لأعمال عظيمة، ولو تخيلنا أن الحركة اقتصرت على المنسجمين فكريا أو المنتمين لتيار واحد لكان لدينا في فلورنسا مثلا 2000 مظاهرة لا تزيد أيها عن عدة آلاف، وبدلا من النضال ضد العدو المشترك لبدد أعضاء الحركة وقتهم وطاقتهم في تفنيد حجج بعضهم البعض وفي التقاط الاختلافات بين هذا التيار وذاك.

لقد اختارت الحركة ومناضلوها التركيز ليس فيما يميزهم عن بعضهم البعض ولكن على ما هو مشترك: عالم أفضل ممكن.

ولا يعني هذا طمس الخلافات والتمايز بل يعني فقط ألا نضع شرط الاتفاق في كل القضايا، الآنية والمستقبلية، كضرورة للتحرك المشترك. وهذه خبرة علينا أن ندركها في واقعنا العربي والمحلي، وعلينا أن نتجاوز منطق المناظرة والحوار (رغم أهميته) لنصل للعمل الجبهوي المشترك، بدلا من أن نقضي الساعات لمناقشة خلافاتنا، فإن علينا أن نرى ما يمكن تحقيقه معًا.

فهناك العديد من القضايا الملحة في واقعنا الوطني المباشر والتي يجب أن نضعها على قمة أولوياتنا والنظر فيما يمكن أن نحققه معا بشأنها. فقضايا مثل التضامن مع الشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة، والنضال ضد العدوان الأمريكي على الشعب العراقي، والديمقراطية وحقوق الإنسان (بعيداً عن استهانة أمريكا الليبرالية بها بل وخيانتها لتاريخها ذاته)، وقضايا مناهضة العولمة وسياسات الإفقار، هذه كلها قضايا تفرض على كل القوى والتيارات أن توحد عملها بشأنها.

وحملة مناهضة العدوان الأمريكي والتي بادرت بها على سبيل المثال في مصر المجموعة المصرية لمناهضة العولمة (أجيج) هي مثال حي ومباشر للعمل المشترك المطروح على الجميع المشاركة فيه، وقد تأسست لجنة شقيقة في اليمن وننتظر اتساع الفكرة واتساع قاعدة التعاون الفعال.

إن الواقع العالمي والمحلي يحمل في طياته العديد من الفرص والإمكانات علينا أن نستثمرها من أجل هدف لا يختلف بشأنه أحد: عالم أفضل ممكن.

** كاتب مصري مهتم بشؤون العولمة

==============

عولمة الإعلام.. والدور الإسلامي المنتظر

(الشبكة الإسلامية)

قناة الناس جذبت جمهورا غفيرا

من دون مبالغة يمكننا القول أن أهم المكتسبات التي حققتها العولمة لشعوب العالم وأعظمها هي تلك التي تكونت على الصعيد الإعلامي ؛ حيث إن ظهور شبكة الإنترنت الرهيبة مثَّل انقلاباً كبيراً في معنى التواصل الإنساني، ومعنى الحوار، ومعنى الرسالة الإعلامية العالمية، كما أن ظهور البث الفضائي الإذاعي والتلفزيوني أتاح فرصاً مدهشة للتواصل الإعلامي الفعال مع كل إنسان في العالم، وبشكل لم يتصوره الناس من قبل. وكذلك تخفيف حساسيات الدولة القومية من وجود النشاطات الإعلامية والإنسانية الأجنبية على أراضيها جعل هناك مساحة واسعة من الحركة والتفاعل الإنساني بين الصوت الإسلامي والإنسان المعاصر في غير ما مكان من عالم اليوم.

والذي لا شك فيه أن هذه الآليات هي نتاج تغوُّل فكرة العولمة ومحاولة أصحابها السيطرة على البسيطة، والبحث عن وسائل لاختراق الحدود أو تجاوزها وبسرعة لتوصيل الرسالة الفكرية والإعلامية المراد توصيلها إلى كل إنسان على وجه الأرض وبسرعة فائقة.

وقد نجحت بلا شك المؤسسات الإعلامية الدولية في الاستفادة من هذه الآليات بما يخدم مصالحها، وقد وصل جزء كبير من الفساد عن هذا الطريق إلى الإنسان

المعاصر في العالم الإسلامي والعربي بشكل خاص، ولكن بالمقابل فإن هذه الآليات قد أتاحت قدراً مدهشاً للحركة أمام النشاط الإسلامي الإعلامي والثقافي، ويكفي أن نشير إلى أن نسبة كبيرة من المواقع العربية على شبكة الإنترنت هي لمؤسسات إسلامية صغيرة أو كبيرة أو حتى شخصية، واستخدامات البريد الإلكتروني وساحات الحوار ونحو ذلك خير شاهد على هذه الحقيقة.

هناك أيضا المئات بل الآلاف من الإصدارات والمجلات والصحف الإسلامية التي تبث الآن عبر الإنترنت وتصل إلى أنحاء العالم كافة مخترقة حواجز رهيبة كان من العسير عليها في السابق اختراقها مهما أوتيت من قوة وقدرة مالية أو غيرها؛ بل إن شبكة الإنترنت أعطت الجهاد الشيشاني . على سبيل المثال . إمكانية الصمود أمام آلة الإعلام الروسي الجبارة، وأصبح موقع المجاهدين على الشبكة . في حينه . أحد أهم مصادر وكالات الأنباء الدولية عن الأوضاع في الشيشان، وكذلك مصدراً مهماً للصحف والمجلات، ولو كان هذا الأمر قبل عشرين أو ثلاثين عاماً لما شعر أحد بالمعاناة الشيشانية ولتم دفنها كما دفن الجهاد الكشميري زمناً طويلاً قبل أن يبدأ في التواصل مع العالم الخارجي.

إن شبكة الإنترنت ساعدت على إحياء معاني كبيرة وجليلة في الحالة الإسلامية، وفي مقدمتها معنى « الجسد الواحد » للأمة إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ورغم كل المكتسبات التي حققتها الصحوة الإسلامية من خلال الاستفادة من شبكة الإنترنت، فإن هناك مجالات رحبة وواسعة يمكنها استغلالها بشكل أفضل؛ ومن ذلك إنشاء صحف يومية مختلفة وقنوات إذاعية وتلفزيونية عبر الشبكة بصورة أكبر مما هو موجود فإن الموجود الآن إذا قورن مثلا بالقنوات التنصيرية فلن يعد شيئا.

ومما يبشر بالخير أن نجد الكثير من الشباب الإسلامي متميزاً للغاية في خبرة التعامل مع التطور التقني والمعلوماتي الجديد بصورة تبهج النفس، ويبقى حضور الأفق الجيد الذي يرسم خريطة الحالة الإسلامية ؛ ومن ثم يرصد احتياجاتها، ثم يحدد الطرق والوسائل التي يسد بها هذه الاحتياجات من خلال هذا المنفذ الجديد والمثير.

أيضـاً علـى صـعيد البـث الفضـائي، أعتقـد أن هـذه نافـذة مهمـة للغايـة، ومـا زال الإسلاميون عاجزين عن الاستفادة منها الاستفادة المرجوة. صحيح أن هذه الخدمات تحتـاج إلـى إمكانيـات ماديـة أعلـى بكثيـر مـن تلـك التـي يحتاجهـا العمـل مـن خـلال الإنترنـت، إلا أن الإسـلاميين لا يهتمـون بتـدريب الكفـاءات الفنيـة التـي يمكـن لهـا تحريك عمل مثل هذا مستقبلاً، وهذه نقطة غاية في الأهمية وسيكون لها أثرها في المستقبل القريـب، كمـا لا يوجـد فـي حـدود علمـي جهـود حقيقيـة لدراسـة الإمكانيـات الفعلية لتحقيق هذا الطموح، وفي تقديري أنه إذا نجحت الدعوة الإسلامية في اختراق هذه الآليـة الجديـدة للتواصـل مـع القواعـد العريضـة مـن النـاس فإنهـا ستربح كثيراً مـن الوقت والجهد وتقفز بالدعوة قفزات كبيرة. وقد لمست ذلك بنفسـي مـن خـلال تجربـة محـدودة فـي العمـل مـن خـلال إحـدى القنـوات الفضـائية الإسـلامية، ولمسـت كيـف يمكنك أن تصل إلـى الملايين من أقصـر طريق وبأفضـل تـأثير (ولا يمكن أن ينسـى هنـا دور بعض القنوات كالمجد والفجـر والنـاس وأمثالهـا)، وأذكـر أن أسـتاذًا جامعيـاً إسـلامياً فـي مصـر، ظـل علـى مـدى أربعين عامـاً يكتـب فـي الشـأن الإسـلامي وفـي الدعوة والتنمية وغيرها، فلم يعرفه ويعرف دعوتـه إلا نفر قليل، ثم ظهر في برنـامج تلفزيوني لعدة حلقات وكان موفقاً فيه فأصبح يتابعه الملايين وتحول إلـى نجم جديد وكبيـر، وأفـردت لـه صـحيفة الأهـرام المصـرية أكبـر صـحيفة مصـرية وربمـا عربيـة صفحة كاملة كل أسبوع يكتب فيها ما يشاء.

وكـذلك فـإن الحضـور المتتـالي لـبعض الرمـوز الدعويـة ممـن أثـاروا جـدلاً واضـطراباً بفتاواهم، يعود بشكل مباشر إلى نجاحهم في استثمار البث الفضائي والحضور الجيد من خلالـه، فـي حين لـم ينـجح وربمـا لـم يتحمس آخرون فخسروا الكثير من تـأثيرهم الـدعوي، كمـا خسـر جمهـور النـاس إمكانيـة الاسـتماع والتواصـل مـع الـرأي الفقهـي الآخر.

هذه نفثـات ومجرد إشـارات للدلالـة علـى أهميـة هـذه الآليـات الإعلاميـة ولفت نظـر العاملين في الحقل الدعوي الإسلامي إلى الالتفات إليها والاهتمام بها لما لها من أثر رهيـب ودور بـارز علـى الصـعيد الحـالي وخـلال سـنوات ربمـا تمتـد وتطـول.. والله

المسئول أن ينصر الدين وأهله، وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من مقال للأستاذ جمال سلطان . (البيان:170) بتصرف يسير.

=============

مفكرون بمنتدى الدوحة يحثون على المعرفة لمواجهة العولمة

(الشبكة الإسلامية) الجزيرة نت

المنتدى دعا إلى تكامل الإصلاحات الاقتصادية والسياسية

تسارعت خطى المتغيرات الدولية بصورة مذهلة خلال الـ15 عاما الماضية بصورة لم تدع مجالا لالتقاط الأنفاس ولا حتى لإدراك حجم وآثار تلك المتغيرات وبالذات فيما يتعلق بمنطقتنا العربية.

فبعد مرحلة من التوازن العسكري والسياسي بين القطبين الرأسمالي والاشتراكي اللذين ظلا يتقاسمان نفوذهما في العالم لعقود من الزمن تغيرت ملامح الخريطة فجأة بانهيار الاتحاد السوفياتي السابق وسقوط المنظومة الاشتراكية وانفراط عقدها ككل ليدخل العالم مرحلة النظام العالمي الجديد ونظام القطب الواحد.

وباستفراد الولايات المتحدة منذ بداية التسعينيات بقيادة العالم دون منازع شهد العالم متغيرات متسارعة في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية وما نتج عنها من الضغوط على العالم الثالث لتغيير جلدها وأنماط حياتها بما يتلاءم مع القيادة الجديدة للعالم.

وبرز مفهوم العولمة حينها كأبرز التحديات التي أصابت الكثير من دول المعمورة، لينقسم العالم إزاء هذا المفهوم إلى معسكرين: متفائل يبشر بخيراته وجني ثماره، وآخر متشائم يرى فيه تهديدا صارخا لثقافتنا وقيمنا الأصيلة.

بعدها استمرت النداءات بضرورة إجراء حوارات بين طرفي المعادلة الشمال الغني والجنوب الفقير وعقدت العشرات من المنتديات والملتقيات والمؤتمرات لدراسة تلك المستجدات، ومن أبرزها العولمة وتحرير الاقتصاد والدعوة للخصخصة وصولا إلى المناداة بالإصلاحات السياسية التي تشهدها المنطقة هذه الأيام.

إفرازات العولمة

يرى كثير من الأكاديميين والمختصين بأن العولمة بما أفرزته من فجوة هائلة بين الدول باتت تحتاج أكثر من أي وقت مضى لدراسة موضوعية ونقدية لتشخيص مكامن الخلل والأخطار المنبثقة عنها ومعالجة آثارها مستقبلا.

ويعتقد الدكتور هشام العجمي مدير التطوير المؤسسي بمعهد الإدارة الدولي بلوزان-سويسرا والمشارك في منتدى الدوحة الثاني للتنمية، أن سبب الفجوة التي أحدثتها العولمة نابع من نقص التعليم والتدريب في دول العالم الثالث مقارنة بالدول المتقدمة مما جعلها تضعف أمامها، ورأى أن الحل يكمن في إيجاد بيئة منافسة تستغل أجواء العولمة لصالحها مستشهدا بما حققته دول كالهند التي باتت مصدرا مهما في عالم تقينات المعلومات وتنافس بقوة في هذا المجال.

ويتفق معه في هذا الرأي الخبير بمجال التخطيط الدكتور محمد عبد الحميد أبو علي في أن من يستطيع أن يهيئ لنفسه بيئة مناسبة للمنافسة في المجال الاقتصادي فإنه سيستفيد حتما من العولمة, ويرى أنه لو استمرت الهوة الرقمية بين الدول المتقدمة والنامية بحكم أن الفقراء لا يستطيعون اقتناءها فإن الهوة ستظل لصالح الشمال, مؤكدا أنه ينبغي للدول النامية وضع إستراتيجيات تركز على المعرفة لتضع لنفسها قيمة تنافسية في ميادين التكنولوجيا والمعلومات والطاقة.

الاقتصاد الحر

ومن المتغيرات التي شهدتها المنطقة العربية الدعوات المتسارعة لتحرير الاقتصاد والتحول إلى الاقتصاد الغربي وهي الإصلاحات التي تبناها كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدوليين وما أسفر عنها من تداعيات على شعوب المنطقة.

ويعتقد أبو علي أنه يجب النظر للإصلاحات على أنها "منظومة متكاملة" حيث لا يمكن إجراء إصلاح اقتصادي دون التطرق إلى الجوانب الأخرى، فتعويم العملة مثلا في أي بلد يحتاج إلى سياسات نقدية واقتصادية واضحة، مطالبا بأن تكون مثل هذه الإصلاحات نابعة من الذات وأن تسبقها دراسات وإحصاءات تكشف مواضع الخلل وفق أسلوب علمي حديث.

مقاسات أميركية

بالمقابل يرى الخبير الاقتصادي الدكتور محمد زكريا مطر أن العولمة تسببت في أضرار فادحة أصابت دول العالم الثالث أهمها عدم التسامح والاستغلال والتبادل غير المتكافئ ووجود المعايير المزدوجة، وكذا الانسياب المسيس لرؤوس المال بالإضافة إلى تدمير وهدم النماذج الأصلية في مجتمعاتنا.

وفيما يخص الإصلاحات السياسية يرى مطر أنها "محاولة لتفصيل العالم على المقاسات الأميركية"، مؤكدا أن المنطقة العربية بحاجة لتغيير شامل وبحاجة إلى قيادات جديدة تتماشى مع روح العصر.

وأكد أنه لا يمكن إحداث أي تنمية في المنطقة إلا إذا كان هناك جو من الحرية والديمقراطية مشددا على ضرورة أن تكون مثل هذه الإصلاحات متدرجة وتتفق مع مصلحة الشعوب وليس وفقا لتوجهات الولايات المتحدة.

ويبدو أن مثل هذا الحراك السياسي والاقتصادي سيستمر حتى تتضح ما ستسفر عنه مثل هذا المنتديات والمؤتمرات والتجارب لعل المستقبل القريب يحدد معالمه وآثاره.

================

سوريون يشكلون أول حركة عربية مناهضة للعولمة

السبت :2003/01/18

(الشبكة الإسلامية) دمشق . عبد الرحمن الحاج

شكل ناشطون سوريون أول حركة في العالم العربي تناهض العولمة، وجاء الإعلان الأول عن الحركة الجديدة، التي تنضم إلى مثيلاتها من حركات المجتمع المدني في سورية التي أخذت تظهر إلى الوجود منذ عامين ونيف؛ عبر إصدار عدد تجريبي من نشرة تحمل اسم "البديل"، يصف مصدروها أنفسهم بأنهم "مناهضو العولمة في سورية".

وتُعد هذه الحركة الأولى من نوعها في العالم العربي، وإن كانت تأتي متأخرة عن حركة الجماهير الأوروبية والأمريكية اللاتينية والآسيوية المناهضة للعولمة.

وكانت سورية واحدة من أوائل الدول العربية التي شهدت في العامين الماضيين نشاط حركة معلنة ومنظمة لمقاطعة البضائع الأمريكية في العالم العربي، فضلاً عن الحركات المؤيدة للانتفاضة الفلسطينية والمناهضة للصهيونية ولضرب العراق.

وتقول النشرة الصادرة بالعربية بتاريخ 31 كانون الأول 2002، إنه "منذ أن انطلقت الليبرالية الجديدة في الهجوم على الصعيد العالمي تحت اسم العولمة، يزداد يوماً بعد يوم عدد الفقراء والمهمّشين في العالم في الشمال كما في الجنوب، كما إن الهزات الاقتصادية التي تسببها ترمي بملايين العمال إلى البطالة وتدفع بلدانا بأكملها إلى إعلان إفلاسها. لذلك فإنه إذا كان عدد المستفيدين من العولمة يبلغ عشرات الآلاف فإن عدد المتضررين منها يبلغ مئات الملايين".

ويقول معدو النشرة إنهم يريدون "أن تكون جزءاً من الحركة العالمية المناهضة للعولمة، من خلال نشر الوعي والثقافة المناهضة للعولمة من جهة؛ والتعريف بهذه الحركة من جهة ثانية. كما تهدف إلى تسليط الضوء على انعكاسات العولمة على ساحتنا العربية والسورية والعمل من أجل مواجهتها"، وفق تعبيرهم.

وتحت عناوين شبيهة بالشعارات التي رُفعت في سياتل ودافوس وجنوه وبراغ وفلورنسا وغيرها؛ تتوالى عناوين "نشرة البديل" المناهضة للعولمة، مثل: "لن ندفع حياتنا ثمناً لأرباحكم"، و"لن يحكمنا البنك الدولي"، و"عالم آخر أفضل ممكن".

ويقول هؤلاء المعارضون للعولمة والليبرالية الجديدة: "نحن على ثقة بأنّ هجوم الليبرالية الجديدة المنطلقة تحت اسم العولمة يمكن التغلب عليه من خلال التضامن بين الشعوب، من أجل خلق عالم موحد أفضل للإنسانية، بديلاً للعالم الذي يرزح تحت قبضة حفنة من الرأسماليين"، حسب ما يأملون.

هذا وقد وجّه "ناشطو مناهضة العولمة في سورية" مؤخراً أول بيان لهم للشعب السوري قالوا فيه: إن العولمة التي يكافحونها: "هي الخطاب الليبرالي الجديد الذي بث خدعة نهاية التاريخ وختامه وأوهام السلام والرفاه الذي سيعم العالم بعد سيطرة الليبرالية عليه. في الوقت الذي لم تتوقف فيه الحروب لحظة واحدة منذ أن أطلق هذا الخطاب، وتزداد النزاعات تأججاً, وتخلق نزاعات جديدة بدءاً بحرب الخليج الثانية التي دشّنت عصر العولمة, مروراً بحرب البلقان وأفغانستان وفلسطين وانتهاء بالإعدادات الجارية من قبل زعيمة الإمبريالية العالمية للحرب على العراق".

وفي تبنٍ لمنظور جديد لمكافحة العولمة، يأخذ بعين الاعتبار الخصوصية العربية والإسلامية؛ ووصف البيان العولمة التي يدعو إلى مكافحتها بأنها "الخطاب

العنصري الشوفيني لمنظري العولمة حول صدام الحضارات والتحريض ضد العرب والمسلمين ومعاداة الأجانب وإزكاء النزعات الدينية والعرقية والتحريض على حرب صليبية جديدة".

وأوضح البيان أن الليبرالية العولمية "من حرب الخليج الثانية التي دمرت مقدّرات العراق وجوّعت شعبه وقتلت أطفاله، إلى الوجود العسكري للولايات المتحدة على أرض الخليج، وتحميل هذه الدول فاتورة الحرب التي شنتها على العرب، مروراً بدعم الكيان الصهيوني العنصري في فلسطين والمجازر المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني ومحاولة إجهاض كفاح نصف قرن على طريق العودة واستعادة حقوقه المغتصبة، وانتهاء بحملة مكافحة "الإرهاب" في أفغانستان والتي صورت العرب والمسلمين باعتبارهم رمزاً للشر والإرهاب. وأخيرا وليس آخراً التهديدات والاستعدادات المحمومة لغزو العراق".

يُذكر أن ناشطي مناهضة العولمة في سورية أعلنوا عن أنفسهم لأول مرة في آخر يوم من عام 2002م، من خلال إصدار العدد التجريبي "صفر" لنشرة ناطقة باسمهم تحت اسم "البديل".

===============

#النظام العالمي الجديد والعولمة والتكتلات الاقليمية وأثرها

السبت :2003/01/18

(الشبكة الإسلامية) – الدوحة

قرار رقم 134 14/8 بشأن النظام العالمي الجديد والعولمة والتكتلات الاقليمية وأثرها.

ان مجلس مجمع الفقه الاسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الاسلامي المنعقد في دورته الرابعة عشرة بالدوحة دولة قطر من 8 إلى 13 ذو القعدة 1423هـ الموافق 11 – 16 يناير/2003م.

بعد اطلاعه على البحوث الواردة الى المجمع بخصوص موضوع النظام العالمي الجديد والعولمة والتكتلات الاقليمية واثرها وبعد استماعه الى المناقشات التي دارت حوله.

انتهى إلى يلي:

اولا: المقصود بالعولمة والنظام العالمي الجديد:

العولمة تعني في شكلها ومظاهرها سهولة الانتقال في السلع والافكار ورفع الحواجز بين الشعوب والامم، بحيث اصبح العالم اشبه ما يكون بقرية كونية صغيرة وذلك نتيجة التقدم التكنولوجي المعاصر، وما تم ابتكاره من صيغ للتعامل الدولي منها: التكتلات الاقليمية الدولية، ومنظمة التجارة العالمية، والشركات العابرة للقارات، وقد رافق ذلك استغلال القوى الكبرى ومؤثرات الحضارة الغربية المعاصرة لهذه الامكانات المتاحة لمصالحها، مما مكنها من السيطرة والهيمنة على كثير من مجالات الحياة الانسانية، بل اخذت هذه القوى تعمل على قيادة عمليات التقدم التكنولوجي لايجاد المزيد من الآليات والصيغ التي تمكنها من زيادة قدراتها من ناحية، وزيادة سيطرتها وهيمنتها على آفاق الحياة الانسانية من ناحية اخرى.

وقد ارتبط بذلك ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يقوم على المنظمات الدولية والمؤتمرات العالمية التي اخذت تتصدى لمختلف القضايا التربوية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية والبيئية بنظر يحرص على مصالح القوى الكبرى ويدفع لتعميم مفاهيم الحضارة المادية الغربية المعاصرة.

والعولمة بهذه الصورة تمثل تحديا صارخا للامة الاسلامية بما تحمله من رسالة إلهية، وما اقامته من حضارة انسانية راشدة، حققت خير الانسان وسعادته في كل آفاق الحياة، مما يحمل علماء الامة وساساتها ومفكريها وقادتها، في ميادين الحياة السياسية والثقافية والتربوية والاقتصادية والاعلامية وغيرها، مسؤوليات كبيرة لتحقيق نهضة اسلامية شاملة تدفع الامة الى آفاق الازدهار والتقدم.

ويتجلى ذلك في مجالين:

الاول: تحصين اجيال الامة ومختلف ابنائها في وجه التحديات التي تفرضها ممارسات العولمة المعاصرة الواقعة تحت التأثير الغربي، مما يتطلب جهودا كبيرة لبناء الشخصية الاسلامية المعاصرة القادرة على مواجهة التحديات عن وعي وبصيرة وعلى اساس من الفهم العميق للاسلام بوسطية واعتدال وتوازن، بحيث تجمع بين العلم والايمان، وبين الاصالة والمعاصرة، وبين التمسك بالثوابت والانفتاح على

انجازات العصر، وهذا يوجب العناية البالغة بمناهج التربية والتعليم خاصة تقوية المواد الدينية، ورفض اي تدخل فيها من القوى الخارجية.

الثاني: الامساك بزمام المبادرة في التعامل مع ادوات العولمة وآلياتها وفق خطط شمولية واعية تخاطب المجتمعات الانسانية المعاصرة، بالطريقة التي تفهم واللغة التي تدرك بعيدا عن الارتجال والسطحية، او التنظير المحدود القاصر، بما يشمل مجالات الفكر والثقافة والاعلام، ويهدف الى تحقيق الممارسات الابداعية والانجازات العلمية والاقتصادية التنموية التي تؤمن الحياة الكريمة لكل انسان في المجتمع.

توصيات

ويوصي المجمع في اطار الخطط الشمولية المشار اليها، ومن منطلق ان الاسلام دين عالمي جاء لخير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة وهو خاتمة الاديان الذي لا يقبل من احد دين سواه بما يأتي:

1- التعريف بعالمية الاسلام وما يقدمه من حلول لمشكلات البشرية وفق منهج علمي موضوعي يستخدم كل الوسائل المتاحة لتحقيق ذلك.

2- تقوية منظمة المؤتمر الاسلامي والمؤسسات التابعة لها وسائر المؤسسات الاسلامية الدولية، وتفعيل دورها بهدف تعميق التكتل الدولي الاسلامي، خاصة في المجال الاقتصادي.

3- ضرورة العمل الجاد على اقامة الاسواق الاسلامية المشتركة وتشجيع المشروعات والاستثمارات الاقتصادية المشتركة بين الدول العربية والاسلامية.

4- العمل على اعادة صياغة العلاقة بين العالم الاسلامي والنظام الدولي الجديد بما يؤكد استقلالية الدول الاسلامية واحترام سيادتها وخصوصياتها، بهدف المحافظة على الهوية الاسلامية لشعوبها.

5- العمل على الرقي بالقدرات العلمية والتكنولوجية في البلاد الاسلامية، والسعي الجاد لتوطين التكنولوجيا المعاصرة فيها.

6- العمل على تقوية العلاقات بين الشعوب الاسلامية، وتحقيق وحدة الصف الاسلامي في مواجهة سائر التحديات.

7- التأكيد على عنصري الاصالة والمعاصرة في الخطاب الاسلامي، وتطوير ادواته بما يحقق توعية راشدة لابناء المسلمين، ويقدم المواقف الاسلامية الى المجتمع الانساني على اساس رسالة هذا الدين في تحقيق خير الانسانية وتقدمها، بعيدا عن الغلو والتطرف من ناحية، والتفريط والتحلل من ناحية اخرى.

8- العمل على ترسيخ مفاهيم الاجتهاد في مؤسسات التعليم الشرعي في الجامعات والكليات والمعاهد، وفي مجالس الافتاء والمجامع الفقهية، لتكون الامة قادرة على مواجهة القضايا الحادثة والمشكلات المستجدة، بنظر فقهي عميق وشامل يقدم الحلول القادرة والمعالجات الناجعة.

9- الاستفادة مما تتيحه وسائل الاتصال المعاصرة وآلياتها في تقديم المعرفة الاسلامية الراشدة، وابراز الصورة المشرقة لهذا الدين، خاصة من خلال الفضائيات وشبكة الانترنت.

10- ضرورة التنسيق بين الدول الاسلامية والمنظمات التطوعية فيها عند المشاركة في المنظمات الدولية والمؤتمرات العالمية، لابراز المواقف الاسلامية المتميزة، لصيانة مسيرة البشرية مما تتعرض له من اخطار وشرور.

و الله أعلم

=============

العولمة والتكتلات الاقتصادية

الخميس :2003/01/16

(الشبكة الإسلامية)

العلماء ينادون بمصالحة شاملة وسوق إسلامية مشتركة

دعا العلماء المشاركون في آخر جلسات مجمع الفقه الاسلامي والتي ناقشت النظام العالمي الجديد العولمة والتكتلات الاقليمية واثارها الى مصالحة عربية واسلامية شاملة بين الحكام أنفسهم وبين الجماعات الاسلامية لتوحيد صفوف الأمة في مواجهة الاخطار المحيطة بها.

وشددوا على ضرورة توثيق العمل الاسلامي المشترك عبر تفعيل المؤسسات السياسية والاقتصادية واقامة سوق اسلامية مشتركة فيما دعوا في الوقت نفسه

المجلس الى تبني اصدار بيان اقتصادي اسلامي يكون نبراسا للحكام ورجال المال والاستثمار في تعاملاتهم مع المؤسسات المالية العالمية.

من جانبه أكد الدكتور يوسف القرضاوي ان العولمة هي اسم للاستعمار في اشكال جديدة مشيرا إلى انها نوع من السيطرة الاميركية على العالم واصفا العصر الحالي بأنه عصر الأمركة سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

وتناول د. القرضاوي جزئيات العولمة الاميركية مستهلا حديثه بالأمركة السياسية التي توجب على دول العالم بأسره ان تسير خلف الركب الاميركي منتقدا ما واكب الحملة الاميركية المزعومة على الارهاب وما صاحبها من تقسيم دول العالم وفق المنظور الاميركي الى دول مؤيدة لسياسة اميركا واخرى ضدها.

وقال ان هذا الامر يصب في النهاية لخدمة دولة اسرائيل الصهيونية مشيرا الى ان الارهاب الاسرائيلي يجد مباركة اميركية ودفاعا عن النفس.

في السياق نفسه تحدث د. القرضاوي عن العولمة الاقتصادية مشيرا الى وجود تظاهرات معادية في انحاء العالم لمقاومة ظاهرة العولمة على اعتبار انها ضد الضعيف، فيما اشار الى العولمة الثقافية لترويج الاباحية والشذوذ واباحة الاجهاض بصفة دائمة، وثقافة السلام والتطبيع مع العدو.

واعتبر الغزو الثقافي اكثر خطورة من الغزو الاقتصادي داعيا الى تطوير الصناعات الغذائية الاسلامية لمواجهة هذا الغزو، فيما لفت د. القرضاوي الى الغزو الديني للعالم الاسلامي مشيرا الى محاولات تنصير المسلمين عبر مبشرين متخصصين، مشيرًا الى دور اللوبي المسيحي الاميركي في خدمة الصهيونية واسرائيل.

وبين ان اميركا تشن هجمات على العالم الاسلامي بأسره في الوقت الحالي، مذكرًا بما قاله الرئيس بوش نفسه بأنها حرب صليبية.

ودعا الى مصالحة اسلامية عامة لجمع شمل الأمة الاسلامية في الوقت الحالي بين الحكام المسلمين انفسهم وبين الحكام والجماعات الاسلامية في الوقت نفسه، مؤكدا على ضرورة تنحية المشاكل البينية في هذه المرحلة الخطرة في حياة الامة.

العولمة .. والعالمية

وفرق الدكتور شوقى احمد دنيا استاذ الاقتصاد وعميد كلية التجارة جامعة الازهر المنصورة في بحث بعنوان العولمة ومنهج الوقاية من مخاطرها على الامة الاسلامية بين العولمه والعالمية وقال ان العالمية تؤمن بالمحلية وما لها من خصوصيات في النواحي المختلفة خاصة الناحية الثقافية مما يعني حضور البعد الدولي مع البعد الوطني والقومي اما العولمة فهي تعني زوال المحلي وزوال الخصوصيات واعتبار الخارجي محلي فليس هناك محلي وخارجي وانما امر واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة فالعالم دولة واحدة ودعا الى التمييز الجوهري بين كون العولمة واقعا والقبول المطلق لهذا الواقع واقر البحث بأن الناس تواجه حالة غير عادية من النماذج والتداخل والاختراق على كل الاصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وان هناك الحاحا واصرارا من الاطراف القوية وهي الاطراف الغربية على سيادة وهيمنة ما لديها من قيم وانظمة وثقافات وعلى الاستحواذ على نصيب الاسد مما قد يكون وراء ذلك من مغانم وعوائد.

مشيرا الى ان مفتاح الموقف الاسلامي من العولمة هي الآية الكريمة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله خبير بما تعلمون) [الحجرات:13] وان الاسلام يقبل بل ويرحب ويدعو الى الجوانب الحيادية في العولمة فيدعو لمزيد من الاكتشافات التكنولوجية والارتقاء العلمي وتقوية الروابط والعلاقات الاقتصادية طالما كانت في مصلحة الجميع ثم استعرض واقع العالم الاسلامي المتخلف رغم الامكانيات البشرية والاقتصادية والموقع والثروات محذرا من مخاطر ومضار العولمة على العالم الاسلامي.

واكد المستشار محمد بدر يوسف المنياوي عضو مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف في بحثه الاسلام والتفاعلات المعاصرة الدولية على حق الحضارة الاسلامية وربانيتها واستنادها الى الدين الحق الذي وعد الله باظهاره على الدين كله وانها تقوم على الكتاب الكريم والذي وعد الله بحفظه وانه لا وجه ولا محل للمقارنة بينها وبين اي حضارة ولاخوف عليها من اي تيار مناوىء وتناول في المبحث الاول طبيعة الهدي الاسلامي التي تشمل كافة شؤون الحياة الدنيا والاخرة وان الاسلام عقيدة

وشريعة ودين ودولة واستعرض في المبحث الثاني النظام العالمي الجديد الذي يعبر عن طموح نظام سياسي كبير نحو الهيمنة المادية على سائر النظم الدولية.

مشيرا الى محاربة العولمة للقيم والمبادىء المستقرة ونشر ما تئن منه المدنيات الغربية من فساد ومخاطر وخلص البحث الى الحرص على تقوية الولاء للامة العربية والاسلامية والاعتزاز بذاتها و استثارة روح الوحدة بين شعوبها والاهتمام بقضايا الاصالة والارتباط بالجذور وبالدين وبالقيم الحميدة وتقوية منظمة المؤتمر الاسلامي وتشجيع الاستثمار بين الدول العربية والاسلامية واقامة المشروعات المشتركة بين الدول الاسلامية وترشيد انماط الاستهلاك والاهتمام بتوطين التكنولوجيا المتقدمة وتقرير استخدام الامكانيات الفضائية المتاحة.

سوق عربية .. ومصالحة عربية

اما الشيخ كمال الدين جعيط مفتي الجمهورية التونسية اقترح توصية لحث ودعوة كل الدول العربية والاسلامية للاسراع باحداث هيكل مختص تسند اليه مهمة التفكير والانجاز لسوق عربية واسلامية مشتركة.

وتناول الشيخ خليل محيي الدين الميس مفتي زحلة والبقاع الغربي مفهوم العولمة ونظامها مشيرا الى انه يقوم على ثلاثة توازنات معددا مظاهر العولمة المالية والتكنولوجية والاقتصادية والثقافية ثم تحدث عن اثار العولمة على العالم الاسلامي والمدارس الفكرية التي تشكلت جراء تشخيصها لواقع العالم الاسلامي في تعامله مع العولمة واوصى البحث بوجوب السعى لتوحيد صفوف الامة الاسلامية وتوظيف الاعلام الاسلامي في نشر الثقافة الاسلامية والوعي الديني وتفعيل دور المؤسسات الاسلامية الكبرى وانشاء عولمة اسلامية على غرار العولمة الاميركية واجراء مصالحة عربية شاملة وارساء السلام القومي وتأمين امن الوطن العربي من داخل النظام العربي والحفاظ على الثروة العربية والتخلى عن الافكار الوافدة والتيارات الالحادية واعتماد مبدأ المقاومة.

فيما تناول الشيخ محمد علي التسخيري الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية في بحثه نظرة الاسلام الى ان الوضع الطبيعي للبشرية انما يتم اذا قام نظام عالمي شامل له قانون واحد وله امام واحد داعيا الى العمل على ابقاء

الامـة نموذجـا اعلـى للمجتمعـات البشـرية مؤكـدا ان دولـة الاسـلام دولـة عقائديـة تستوعب حياة الانسان الفرد والمجتمع ثم تحدث عن الاتجاهات العالمية لدى النظم وعرف العولمة والاثار السلبية الناتجة عنها عارضا موقف الامة والخطوات العملية التي يجب ان تتخذها تجاه العولمة بوضع استراتيجية عملية وواضحة وشاملة.

وتحدث الدكتور محمد فتح الله الزيادي امين مكتب الدعوة والمراكز الاسلامية رئيس قسـم الدراسـات العليـا بكليـة الـدعوة طـرابلس ليبيـا عـن اثـار العولمـة علـى العـالم الاسـلامي عقديا واخلاقيـا وثقافيـا واعلاميـا واقتصـاديا وخلـص البحـث الـى ضـرورة استخدام الجانب العلمي في التعامل مع العولمة مؤكدا على خلق مؤسسات علمية فاعلة في مختلف المجالات والارتقاء بالخطاب الاسلامي ليكون مؤثرا في الاخرين والالتزام بسياسة الحوار معهم

=============

العولمة والخصوصية الثقافية

الأحد :2002/11/24

(الشبكة الإسلامية) إدريس الكنبوري *

فرضـت ظـاهرة العولمـة نفسـها بقـوة فـي السـنوات القليلـة الأخيـرة، وأصـبحت الكلمـة مؤشرًا علـى التغيرات التـي يمكـن أن تطرأ علـى صـورة العالم والعلاقات بين الشـعوب والحضـارات والثقافات، فهـل تتجـه تلـك الصـورة نحـو احتـرام التعدديـة أم نحـو فـرض المزيد من التضييق على الخصوصيات الثقافية لصالح ثقافة واحدة مهيمنة.

ورغـم أن العولمـة أو الكوكبـة، حسـب اخـتلاف الترجمـة العربيـة للكلمتـين الإنجليزيـة والفرنسـية (Globalisation ; Mondialisation) لا زالـت حتـى الآن مجـرد مصطلح لا يدل على واقع حقيقي ماثل، ولم تتشكل بعد في معطيات وحقائق على المسـتوى الـدولي، فـإن المقـدمات الأولـى لهـا أصـبحت تشـغل حيـزا واسـعا مـن الاهتمامات في صفوف الباحثين والمثقفين والمفكرين نظرًا لما تحمله هذه المقدمات من بذور تعطي صورة أولية للشكل النهائي للعولمة في أفق الأعوام المقبلة. ويبدو الإعـلام الـدولي والفضـائيات إحـدى هـذه المقـدمات المبشـرة بـذلك الشـكل، فقـد صـار واضـحا أن الإعـلام يتوسـع يومًـا بعـد يـوم ويتوحـد فـي الصـورة والخطـاب والرسـالة

الإعلامية، مما حوّل العالم إلى مساحة واحدة ممتدة تخفي الرسالة الإعلامية الموحدة تضاريسها المختلفة، أو إلى "قرية كونية"، حيث تتماثل المشاعر وردود الفعل بين أفراد دول المعمورة.

العولمة والثقافة

إن مسألة وضع تعريف دقيق للعولمة مسألة لا تخلو من صعوبة، ومرجع هذه الصعوبة إلى أن العولمة – كما سبقت الإشارة – ما زالت بعيدة عن التشكل في صورتها النهائية لتكون واقعا يستند عليها. كما ترجع هذه الصعوبة أيضا إلى أن ظاهرة العولمة متعددة المستويات، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية، وكل مستوى من هذه المستويات يقتضي تعريفا للعولمة مناسبا له. كما ترجع هذه الصعوبة في درجة ثالثة إلى الموقع الذي يتخذه الباحث في موقفه من ظاهرة العولمة، فبعضهم يغلب جانب التشاؤم على جانب التفاؤل، وآخرون يغلبون الجانب الثاني على الأول، وبعضهم الآخر يتخذ موقفا وسطا يقيس الإيجابيات والسلبيات.

ولعل أوسع التعاريف انتشارا للعولمة هو ما جاء في كتاب " العولمة " للباحث الأمريكي " رونالد روبيرتسون "، حيث عرف العولمة بأنها "اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم، وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش" (1). ويضع السيد ياسين ثلاثة عمليات تكشف حقيقة العولمة: العملية الأولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس، والثانية تتعلق بتذويب الحدود بين الدول، أما العملية الثالثة فهي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات(2).

أما الثقافة، فبصرف النظر عن عشرات التعاريف التي وضعت لها والتي تنطلق من مرجعيات فكرية وإيديولوجية تحاول تغليب مفهومها للثقافة، فيمكن تعريفها بإيجاز بأنها مجموعة العقائد والأفكار والطقوس والعادات والتقاليد التي تميز شعبا عن شعب آخر، وترجع إلى جذور دينية أو إثنية أو علمانية، الأمر الذي يعطي لجماعة بشرية أو مجتمع معين خصوصية معينة ثابتة ومستقلة عن خصوصيات الشعوب والجماعات الأخرى، وهذه الخصوصية الثقافية تزداد أهميتها إذا نظرنا إليها بوصفها

" نتاجا تاريخيا يحمل عبر الزمن تصورات وآراء ومعتقدات، وأيضا طرائق في التفكير وأساليب في الاستدلال قد لا تخلو هي الأخرى من خصوصية" (3).
ويقدم المرحوم مالك بن نبي تعريفا أكثر دقة للثقافة، إذ يقول: "إن الثقافة هي الجو المشتمل على أشياء ظاهرة، مثل الأوزان والألحان والحركات، وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد، بمعنى أنها الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر". ويرى ابن نبي: "أن الثقافة لا يمكن أن تقوم من دون المبدأ الأخلاقي الذي يحدد العلاقة بين الأشخاص مع بعضهم، وبينهم وبين عالم الأشياء والمفاهيم" (4). فالثقافة إذن ليست مجرد الأفكار والسلوكيات والعقائد والعادات، بل هي إشعاع أخلاقي ونفسي يلقي بظلاله على الكون والحياة والمجتمع.

ثقافة بلا مبدأ أخلاقي

لا يخفى أن العولمة على مستوى الثقافة والإعلام والقيم الحضارية أصبحت الآن تتقدم زاحفة بوتيرة سريعة. فالعولمة الثقافية تبشر اليوم بتقارب الثقافات والخصوصيات والهويات واحتكاكها، تذوب معها الفوارق بين الثقافات، وتضمحل الحدود والأسوار، لكن مآل هذا التقارب والاحتكاك الثقافي ما زال حتى الآن غامضا وغير معروف، وإن كانت مقدماته حاضرة في حياتنا اليومية عبر وسائل الإعلام الناقلة للقيم الوافدة والثقافات الأخرى، وأبرزها الثقافة الغربية المادية والعلمانية التي تمجد قيم الاستهلاك والربح والأنانية والكسب السريع.
وقد أوحى هذا التقارب بين الثقافات للغرب بالمخاطر التي يمكن أن تسفر عنها العولمة الثقافية، وبالتخوف من الإسلام والثقافة الإسلامية، فظهرت مقولة "صدام الحضارات" للباحث الأمريكي صامويل هانتنغتون، التي يتحدث فيها عن المخاطر الكامنة في الثقافات الأخرى – ومنها الإسلامية – على الثقافة والحضارة الأنجلوسكسونية الغربية المسيحية، وهذا يعني أمرا واحدا ينبغي علينا نحن المسلمين أن نفقهه، وهو أن الغرب الذي سبق إلى التبشير بالعولمة وكأنه الرابح الوحيد منها، هو نفسه المتخوف على ثقافته وحضارته. إن العولمة الثقافية ستفتح الباب أمام المنافسة الحضارية والثقافية بين الثقافات، من أجل الهيمنة والغلبة على الثقافات

الأخرى، وفرض السيطرة على العالم وزرع القيم الحضارية الواحدة التي ستصبح إذًا المفتاح الوحيد الذي يخول للشعوب فرصة الدخول إلى نادي العولمة. وقد شرعت الولايات المتحدة الأمريكية فعلا في تصدير قيمها الثقافية إلى باقي دول المعمورة، واستشعرت أوربا نفسها – بوحدتها النقدية والثقافية القوية – مخاطر هذا التغلغل الأمريكي في نسيجها الثقافي، الأمر الذي أدى إلى ردود فعل قوية من قبل المسؤولين الأوربيين وخاصة الفرنسيين منهم، وطالبوا بـ " الاستثناء الثقافي " في مفاوضات منظمة التجارة العالمية (5).

تنحو العولمة نحو القضاء على السيادة الثقافية للأمم والشعوب وإزالة الخصوصيات التي تقف حجر عثرة أمام شيوع قيمها الجديدة التي تبشر بها، لتحل محلها ثقافة جديدة معولمة تهدف إلى تسليع القيم وتوظيف الإعلام لخدمة أهدافها. ولعل من بين السمات الحقيقية لثقافة العولمة هي بالتأكيد النسبية والتغير المستمر، لأن ثقافة العولمة ثقافة تركض وراء كل جديد في الأسواق العالمية، وهذه الأسواق هي التي تحدد القيم وليس العكس، وهذا يشير إلى أن هذه الثقافة مجردة عن المبدأ الأخلاقي الذي يشكل أساس أي ثقافة بانية ومؤسسة، لا ثقافة الهدم والخراب الإنساني، فلا مكان للقيم الروحية في هذه الثقافة السطحية المادية، بل قيم مادية متغيرة باستمرار يحكمها مبدأ الجديد في كل شيء، وتتعارض مع الأخلاق والأديان التي تؤكد على الثوابت الراسخة.

والعولمة أيضا دعوة إلى تبني نموذج ثقافي معين، وسيادة النمط الثقافي الواحد (6)، وهذا يعني أن كل من لا يساير هذا النمط معرض للتهميش والانقراض، وفقا لنظرية "الاصطفاء " الداروينية والبقاء للأصلح من الأنواع. وتقوم وسائل الإعلام من خلال الصورة برسم معالم هذا النمط الثقافي الواحد وتسويقه عبر مناطق العالم.

تهديد التعددية الثقافية

لقد أشار عدد من الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين إلى مخاطر العولمة على الخصوصيات الثقافية للشعوب، وتهديدها للتعدد الثقافي وحتى اللغوي. وفي عام2000 خرج برنامج للأمم المتحدة للتنمية في تقريره السنوي حول التنمية البشرية عن صمته ليعبر عن هواجسه من زحف العولمة على الثقافات. وأشار التقرير إلى

أن طوفان الثقافات الأجنبية يمكن أن يؤدي إلى تخريب التعددية الثقافية في العالم ويدفع الشعوب إلى التخوف من فقدان هويتها الثقافية. وأوصى التقرير بضرورة حضور جميع الثقافات في العالم والتعبير عن نفسها، مستشهدا بمقولة شهيرة للمهاتما غاندي يقول فيها: " إنني أقبل أن تغمرني جميع الثقافات الموجودة، لكنني لا أقبل أن تدهسني واحدة منها". ولقد أشار التقرير – استنادا إلى تقرير لمنظمة اليونسكو – إلى أن الثقافة أصبحت تحظى بأهمية اقتصادية كبرى في السنوات الأخيرة، حيث تضاعفت قيمة المبادلات العالمية من الإنتاج الثقافي بين 1980– 1991 ثلاث مرات من 67 إلى 200 مليار دولار، وتمثل الولايات المتحدة الأمريكية النسبة الأكبر في هذا المجال (7).

هذه المؤشرات والمعطيات التي تضمنها تقرير صادر عن منظمة عالمية تؤكد فعلا مقدار الخطر الذي تحمله العولمة في أحشائها بالنسبة للثقافات غير الغربية أو غير الأمريكية، خطر القضاء على التعددية الثقافية والحضارية التي لا يمكن من دونها أن يتحقق الانتماء الإنساني والإثراء الحضاري للأمم والشعوب. فالتعدد والتنوع فطرة إنسانية جعلها الخالق سبحانه وتعالى لحكمة بالغة، وهي التعارف والتقارب والتعايش والبحث عن الأفضل مما لدى الآخرين والتكامل والتكافل. ومن دون ذلك ينحدر المجتمع الإنساني في هوة سحيقة من الأنانية وعبادة الذات مما يمهد للفناء والتلاشي.

موقفنا نحن المسلمين

لكن المبالغة في تقدير مخاطر العولمة بالنسبة لنا نحن المسلمين قد تكون دافعا نحو الاستسلام لتيارها والتعامل معها على أنها قدر لا مفر منه، وهو ما يتنافى مع عقيدتنا التي تمتلك من لوازم القوة والصلابة والصمود ما أوهى صخورا عاتية كثيرة في الماضي والحاضر وردت على أعقابها.

إن الإسلام جاء هداية للبشرية جمعاء، ولإخراجها من ظلمات الكفر والضلال والفتن والصراعات المقيتة إلى نور الهداية والاحترام المتبادل والتعايش السلمي بين الشعوب. وقد جاء دينا شاملا لكافة مجالات الحياة، رسالة جامعة للبشرية كلها، دونما إلغاء لخصوصياتها الذاتية، بل بإغنائها وتهذيبها من متعلقات الشرك

والانحراف، وتقويمها ورسم أهداف سامية لها، إن موقف المسلم من العولمة ينبغي أن يكون موقفا متشبعا بهذه النظرة الإيمانية القوية ومسلحا بالتفاؤل وعاملا على خوض غمار العولمة بالوسائل التي يتيحها الدين الإسلامي الخاتم، وهي التحصين والتربية القوية والعلم والمعرفة، إذ من دون ذلك لم يكن المسلمون ليصمدوا في الماضي أمام الغزاة والمحتلين والمستعمرين، قبل أن يكون هناك ما يسمى بالعولمة.

فالعولمة ليست كائنا خرافيا تستحيل مواجهته، ولا آلة صماء لا يمكن تطويعها أو التعامل معها. إنها ظاهرة عالمية جديدة تطرح تحديات جديدة، وقد كان المسلمون باستمرار يجابهون الكثير من التحديات منذ أن ظهر الإسلام وأضاء نوره الكون، وكانت هذه التحديات بالنسبة لهم جديدة بمقاييس عصرهم وإمكاناتهم المتاحة، لكنها لم تكن مخيفة أو تعجيزية بالنظر إلى الشحنة الإيمانية القوية التي كانوا يخوضون بها لجج المعارك الحضارية الكبرى.

وربما كان جزء كبير من تخوف المسلمين اليوم من ظاهرة العولمة عائدا إلى أمرين أساسيين: الأمر الأول عدم العودة إلى تاريخنا الإسلامي العظيم وسجله الضخم وقراءته قراءة فاحصة وتدبر دروسه ومواعظه. والأمر الثاني انهيار المعنويات النفسية والشعورية والإيمانية للمسلمين، حتى كاد العالم الإسلامي اليوم تتحقق فيه مقولة القابلية للاستعمار التي وضعها مالك بن نبي – رحمه الله – لوصف النفسية الإسلامية في فترات معينة من القرن العشرين أمام الاحتلال الأجنبي لأقطار المسلمين.

وهناك أمر ثالث يثار عند المبالغة في التخوف من ظاهرة العولمة. فهذه المبالغة قد تعود أيضا إلى الاعتقاد الواهم لدى فئات من المسلمين بأنهم لا يملكون ما يقدمونه للعالم، بينما يملك العالم ما يقدمه للمسلمين، وهذه مقولة خاطئة تعود إلى العاملين السابقين. إن المسلمين يملكون شيئا كثيرا يمكنهم تقديمه إلى العالم لو عرفوا كيف يسخرون الوسائل الحديثة لذلك، وإذا أدركنا أن هذا واجب على المسلمين انطلاقا من مبدأ الشهادة على الناس وهداية البشرية، عرفنا أن العولمة ليست غولا مرعبا، بل هي على العكس قناة جديدة تفتح أمام الرسالة الإسلامية، وليس غريبا أن يكون الغرب هو نفسه أول من يعرف هذه الرسالة الإسلامية ويتوجس خيفة منها، ويضع

نظرية حول صدام الحضارات انطلاقًا من هذا التوجس. إن العولمة لا تشكل خطرا بذاتها على المسلمين، ولكن سوء التعامل وعدم اختراقها هو ما يشكل أسوأ الخطر علينا.

يقول الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: " إن الدعوة إلى العولمة لا ينبغي أن يقصد بها طمس هوية الشعوب، وإلغاء خصوصياتها الحضارية، ولا الغض من عناصر هويتها الدينية والثقافية، أو قطع الصلة بينها وبين تاريخها وتراثها الحضاري. وأكثر ما ينطبق ذلك على العالم الإسلامي الذي يؤمن بدينه عقيدة وشريعة ويعتز به، ويمكن أن يسهم بالإضافة والتجديد إلى حضارة الإنسان المعاصر في نطاق عالمية الإسلام، وأنه رسالة عالمية خالدة، خاتمة للرسالات الإلهية، تدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي بعث رحمة للعالمين ". ويواصل الدكتور التركي قائلا: " إن المسلمين يملكون رصيدا ضخما في مجال الثقافة والقيم والعلاقات الإنسانية، والتعاون بين الأمم والشعوب، فينبغي أن يكون للإسلام نصيبه في بناء أي نظام عالمي جديد، وأن يكون له مكانة في الدعوة إلى التعايش السلمي بين البشر " (8). ويقول الدكتور محمد فاروق النبهان : " نحن نجد ملامح العولمة في القيم الإسلامية التي تدعو إلى التكافل بين الناس، والتعاون على الخير وإلغاء كل مظاهر التمييز العنصري، ومقاومة كل دعوة إلى إقليمية ضيقة أو قومية متفوقة، أو عصبية جاهلية" (9).

وإذا كانت العولمة ظاهرة جديدة نشأت في الغرب، فإن الإسلام جاء بالعالمية الإنسانية منذ عدة قرون، وهي البديل الأخلاقي للعولمة الغربية، والإسلام لم يكن عالميا فقط لأنه موجه إلى العالمين، بل كذلك لأن الحضارة الإسلامية حضارة شاملة ومكسب للبشرية جمعاء، ولم يكن العرب سوى نواة هذه الرسالة، أما محيطها فهو كل الإنسانية. وقد ساهمت الشعوب الأخرى جميعها في بناء هذا الصرح الشامخ، فهي حضارة غنية في ذاتها تداخلت فيها إسهامات كل الشعوب.

خطوات في مواجهة العولمة

إن الموقف الإسلامي الصحيح في مواجهة العولمة هو التشبث بالإسلام عقيدة وشريعة وتحكيمه في النظر إلى الظواهر العالمية المستجدة، وتفسيرها لردها إلى

حجمها الحقيقي في إطار المنظومة الإسلامية الصحيحة التي تتسم بالشمولية والواقعية والعالمية والخيرية. غير أن تصريف هذا الموقف يتطلب التعبئة الشاملة للمجتمع للتصدي لمخاطر العولمة المحتملة والأكيدة، ونجمل عناصر هذه التعبئة في الخطوات العملية التالية :

1- تحصين الذات بالتربية الإسلامية الصحيحة والسليمة للفرد والأسرة، والطفل بالخصوص لأنه رجل المستقبل والحامل لبذور القوة والهزيمة بحسب التنشئة التي يتلقاها في وسطه.

2- بناء استراتيجية ثقافية إسلامية قوية وراشدة وفعالة تقدم الإسلام للبشرية على أنه البديل والخلاص الوحيد من محن العولمة المادية، وتوضيح حقيقة الأنموذج الحضاري الإسلامي.

3- وضع قاعدة لإعلام إسلامي يعنى بتقديم الصورة الحقيقية للإسلام باعتباره هداية للبشرية، وكشف عورات الحضارة الغربية المادية وبيان نواقصها ومخاطرها على الجنس البشري.

4- إنشاء سوق اقتصادية بين دول العالم الإسلامي لتبادل المنافع والسلع بما يحقق التعامل بين الاقتصاديات الإسلامية والتكافل بين شعوب العالم الإسلامي، دون الانغلاق عن بقية العالم.

5- تشجيع العلم والمعرفة والبحث عن الخبرات وتوظيفها التوظيف الناجح لتحقيق الاكتفاء الذاتي لشعوب العالم الإسلامي من الغذاء والدواء.

6- ترشيد الاستهلاك والتوعية بذلك والإلحاح على القيم الإسلامية الواضحة في هذا المجال.

---

*- باحث وكاتب صحافي من المغرب.

الهوامش:

1-نقلا عن د. عبد الخالق عبد الله:العولمة جذورها وكيفية التعامل معها.عالم الفكر،المجلد 28 العدد الثاني.1999 ص 52.

2- السيد يسين: في مفهوم العولمة.المستقبل العربي.عدد 129 أكتوبر 1998ص 7.
3- محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي.المركز الثقافي العربي.البيضاء، الطبعة الثانية 1987 ص 13.
4- مالك بن نبي: تأملات - مشكلات الحضارة: دار الفكر المعاصر.بيروت- دار الفكر، دمشق-الطبعة الخامسة 1412هـ. 1991م ص 147.
5- إدريس الكنبوري: العولمة والهيمنة الثقافية الأمريكية. الفرقان. عدد 43 - 1420هـ. 200م-ص 101.
7- هانس مارتين وهارالد شومان: فخ العولمة - ترجمة عباس علي -عالم المعرفة - الكويت-أكتوبر 1998- ص 42.
8و9- العالم الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي) الاثنين 28 ربيع الأول 1420 - يول

==============

مناهضو الحرب والعولمة قالوا :

هذه الحروب ليست ضد الإرهاب، بل للهيمنة على العالم ، وعلى النفط والأموال ، إن الإرهاب ما هو إلا حجة

السبت :2002/11/09

(الشبكة الإسلامية) بي بي سي - وكالات

تجمع الآلاف من المتظاهرين في مدينة فلورنسا الإيطالية تحضيرا لسلسلة من النشاطات المناهضة للعولمة ، وسط مخاوف من تكرار أعمال العنف التي صاحبت قمة جنوة العام الماضي .

ويتوقع وصول 20 ألف شخص من المتظاهرين ، معظمهم من الأوربيين ، للمشاركة في 18 مؤتمرا ، و140 محاضرة ، و250 ورشة عمل وعروض على مدى الأيام الأربعة القادمة . ويتوقع أن تجذب مظاهرة ضد الحرب التي ستقام يوم غد السبت ما بين 100 إلى 150 ألف شخص.

ويهدف تجمع فلورنسا الذي أطلق عليه اسم "المنتدى الاشتراكي الأوربي" تقليد المنتدى الاشتراكي العالمي الذي يقام سنويا في مدينة بورتو آليجرا في البرازيل.

ويرى التجمع أن هذه الحروب ليست ضد الإرهاب بل للهيمنة على العالم ، وعلى النفط والأموال ، إن الإرهاب ما هو إلا حجة.

ويقف نحو ستة آلاف شرطي على أهبة استعداد في شوارع فلورنسا، وفرضت السلطات قيودا مشددة على الحدود من أجل منع المحتجين المتطرفين من التسرب للبلاد، ومنع العشرات من الأشخاص من دخول البلاد.

وتخشى السلطات الإيطالية من أن تتكرر الصدامات التي وقعت خلال قمة الدول الثماني في جنوة العام الماضي عندما قتل متظاهر واحد وجرح الآلاف.

وحصنت المتاجر في وسط فلورنسا واجهاتها وبالأخص مطاعم ماكدونالدز الأمريكية تحسبا لأعمال تخريب.

هموم

وقد أعطي السماح لاجتماع فلورنسا بالرغم من مخاوف الحكومة الإيطالية على الكنوز الفنية في المدينة. وكمقدمة لاجتماع فلورنسا تجمع الآلاف من المتظاهرين حول القاعدة العسكرية الأمريكية المسماة كامب داربي في ضواحي مدينة بيزا يوم الأربعاء الماضي.

وحلقت المروحيات في سماء فلورنسا ووقف الجنود بين المحتجين ومعسكر كامب داربي، حيث رفع المتظاهرون لافتات تقول "ارموا بوش ولا ترموا قنابل"، ويا أيها اليانكيين ارجعوا لوطنكم."

وقال بيرو برنوجي من اتحاد نقابات 'كوباس" الإيطالي، وأحد منظمي الاجتماع، للتجمع: "إن هذه الحروب ليست ضد الإرهاب، بل للهيمنة على العالم، وعلى النفط والأموال، إن الإرهاب ما هو إلا حجة."

=============

(مؤتمر) تراثنا في ظل العولمة: الواقع والمستقبل

الأربعاء:2002/09/18

(الشبكة الإسلامية) دمشق . عبد الرحمن الحاج

لم تكن قضية التراث شأنا إسلاميا دينيا وحسب، لقد كانت . وما تزال . المحور الرئيسي الذي تدور حوله تفسيرات السياسة والاجتماع والاقتصاد والمعرفة، بل إن موقعها في عمق الحياة والفكر العربيين (الإسلاميين) يجعل أي حديث في النهضة أو في تفسيرها غير ممكن دون العبور ببوابة التراث.

هذا هو السبب الذي جعل "جمعية بيروت للتراث" تنظم مؤخرا مؤتمرها الدولي الخامس تحت عنوان: "تراثنا في ظل العولمة" في قصر الأونيسكو، الذي شارك فيه عدد من المفكرين والباحثين العرب، حيث ناقش مفهوم "العولمة وإشكالية السيطرة الثقافية" ، ورأى البعض أن العولمة هي إحدى إشكالات الهيمنة الغربية الجديدة وتعبير مركزية دفينة في الوعي الأوروبي تقوم على عنصرية عرقية. ذلك "أنه في مرحلة التحرر أفرز الغرب أشكالاً جديدة للهيمنة عن طريق خلق مفاهيم وزرعها خارج حدوده مثل العولمة، العالم ذي القطب الواحد، نهاية التاريخ، صراع الحضارات، الإدارة العليا، ثورة الاتصالات، العالم قرية واحدة ، الكونية.. وكلها مفاهيم بريئة تكشف سيطرة المركز على الأطراف في تاريخ العالم الحديث، وتجعل المثقفين في العالم الثالث يلهثون وراءها بالشرح والتفسير والتعليق والتهميش، دون أن يعلموا أن التهميش ليس الكتابة على النص بل الإخراج من التاريخ، ودعوة إلى التقليد في الأطراف وترك الإبداع للمركز وحده، وبمجرد نهاية الاستقطاب برز مفهوم العولمة لإحكام السيطرة على العالم باسمه ولصالح المركز ضد مصالح الأطراف، واجتهد المفكرون العرب في ترجمة Globalizalion عولمة أو كونية.. ويستحسنها البعض لأن الهامش سيجد له مكاناً في المركز ولو في حوار بالرغم من إخفاق حوار الشمال والجنوب.. والحوار العربي الأوروبي، وحوار الشرق والغرب، وأصبح كل من يدافع عن الخصوصية والأصالة والهوية الثقافية والاستقلال الحضاري رجعياً، ظلامياً، أصولياً، إرهابياً، متخلفاً، ماضوياً، سلفياً، بتروليا، مع أن الدفاع عن العولمة يأتي من أموال النفط التي تساهم في اقتصاد السوق وشراء أسهم الشركات الأجنبية"!

في حين رأى بعض الباحثين "أن العولمة نقلة نوعية جديدة في حياة الرأسمالية التاريخية، أو هي طور جديد دخله نمط الإنتاج الرأسمالي العالمي، حيث بدأت حقبة التحول الرأسمالي للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها.. وهذه

عملية تاريخية طويلة الأمد قد تشتد وتتراجع وتتقدم وتتعثر وتقاوم، لكنها في حراك دائم في الوقت الحاضر، وفي قاعها النقل التدريجي لعمليات الإنتاج الصناعي والخدمي وغيرها من دول المركز، حيث كانت مركزة، إلى دول الأطراف الأكثر ملاءمة وطواعية وتقبلاً لهذا النقل.. وتقف الصين على رأس هذا النوع من الدول" وهو تفسير تتضح عليه بصمات الماركسية التقليدية بقوة، وبالتالي هي رؤية تحمل وجهة نظر مسبقة غير قادرة، بالنتيجة، مهما امتلك من أدوات أن تقدم رؤية واقعية، سوى التعدي عليها، وبروز الرأي الواحد على حساب التراث والمعتقد، بحجة التفصيل والدراسة الموضوعية التي يجب أن يكون كل شيء فيها تحت البحث والتشكيك والتفكيك..الخ.

لقد أكد أحد الباحثين على أن العولمة ليست إلا مجرد مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة والثقافة الوطنية.. "فهي تعني مزيداً من تبعية الأطراف للمركز"، وتقذف عليها مفاهيم جديدة أشبه بالسوط على ظهر من لا يدخل بيت الطاعة في نظام العالم الجديد: حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، حقوق المرأة، وقوى الدعم الغربي لمراكز حقوق الإنسان، بالمفهوم الغربي الفردي دون مراعاة لحقوق المواطنة وحقوق الشعب... وانتشرت البحوث عن الأقليات العرقية والطائفية من اجل إبراز الخصوصيات والهويات والتعدديات الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة، وحدة الوطن، ووحدة التاريخ، ووحدة المصير، وانتشرت مشاريع دراسات المرأة وجمعياتها، وأدخل مفهوم النوع في كل شيء في ثقافات لم تعرف بعد مفهوم المواطنة التي لا تفرق بين ذكر وأنثى.... وقام النضال الوطني بخلق عدو وهمي للمرأة هو الرجل بينما المرأة والرجل كلاهما ضحايا عدو مشترك: التقليد والتخلف والفقر والقهر والاستعباد.. وكل ذلك بداية لهدف فتح الدولة الوطنية لحدودها الاقتصادية والسياسية، والسير في نهج الخصخصة والتحول من القطاع العام الذي تبنته بعد تحررها الوطني إلى القطاع الخاص الذي يساهم فيه رأس المال الأجنبي ويزاحم رأس المال الوطني وما يتبعه من تحول إلى اقتصاد عالمي، تعم فيه قيم الاستهلاك، والمتعة بالحياة، ولا تنظر الأمم إلى مشاريع قومية وخطط استراتيجية بعيدة المدى، فذلك من اختصاص المركز، وما على الأطراف إلا ركوب القطار،

لينتشر الفساد، ووسائل الكسب السريع وتهريب الأموال، ويزدهر الجنس متعة رخيصة لمن يمتلك المال... وبالتالي وبطريقة لا شعورية، و تحت أثر تقليد المركز والانبهار بثقافته، يتم استعمال طرق تفكيره ومذاهبه كإطار مرجعي للحكم دون مراجعة أو نقد، وتتبنى ثقافة الأطراف كل ما يصدر في المركز من أحكام خاصة : ثنائيات الحس والعقل، وتعارض الدين والعلم، والفصل بين الدين والدولة، والانقطاع عن القديم .

وعلى ضوء تداعيات ذلك ينشق الصف الوطني إلى فريقين: العلمانية والسلفية، وكل منهما يستبعد الآخر، وتصبح المعركة على حساب الوطن (الضحية) حينما تضيع الخصوصية لصالح الصراعات المحلية والدولية، ويصمت الحوار الوطني.. ومن هنا فالمعركة بين الخصوصية والعولمة ليست معركة بريئة حسنة النية، أكاديمية علمية، بل تمس حياة الأوطان ومصير الشعوب..

كيف يكون دفاع الثقافة العربية ضد مخاطر العولمة؟

إنه لا يتأتى حسب الباحث إلا عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الغير، لأن هذا تصحيح خطأ بخطأ، ومجموع الخطأين ليس صواباً! إنما يتأتى ذلك أولا بإعادة الموروث القديم المكون الرئيسي للثقافة الوطنية، بتحديد لغته، وتغيير مستويات تحليله.

ويتطلب الدفاع عن الهوية الثقافية ثانياً، كسر حدة الانبهار بالغرب، ومقاومة جذبه، وذلك برده إلى حدوده الطبيعية، والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، فكل ثقافة مهما ادعت أنها عالمية تحت تأثير أجهزة الإعلام فإنها نشأت في بيئة محددة، وفي عصر تاريخي معين، ثم انتشرت خارج حدودها بفعل الهيمنة ووسائل الاتصال، فلماذا يطبق المركز مناهج علم اجتماع المعرفة والإنثروبولوجيا الثقافية على ثقافات الأطراف ويستثني نفسه منها؟ ألا يمكن أن يصبح الدارس مدروساً، والملاحِظ ملاحَظاً، والذات موضوعاً؟ ومن هنا تأتي أهمية إنشاء علم "الاستغراب" من أجل تحويل الغرب من كونه مصدراً للعلم كي يصبح موضوعاً للعلم فيتم القضاء على أسطورة الثقافة العالمية المنتشرة خارج حدودها نظرياً، قيم التنوير داخلها، ونقيضها خارجها، وبهذا تتحرر الأنا من عقدة الخوف، وتنشئ لها مشروعها المعرفي المستقل

ويكون لها طموحها العلمي، حيث تعيد الأنا التوازن لحوار الحضارات وتنتهي الأشكال الجديدة للهيمنة. إن الإنسانية أوسع رحاباً من أن تحصر في تاريخ الغرب الحديث..

ويمكن التخفيف من غلواء العولمة ثالثاً عن طريق قدرة الأنا على الإبداع بالتفاعل مع ماضيها وحاضرها، بين ثقافتها وثقافات العصر ولكن ليس قبل عودة ثقتها بذاتها.. وليس مثل الانبهار بالآخر كنقطة جذب لها وإطار مرجعي لثقافتها، التفاعل مع الواقع الخصب، وإحضار الماضي والمستقبل في الحاضر هو السبيل للمزج العضوي بين الخصوصية والعولمة وصهرهما في أتون الواقع الجديد ومتطلبات العصر..

هذا وقد أنهى المؤتمر الحضاري الدولي الخامس "تراثنا الواقع والمستقبل في ظل العولمة" أعماله في قصر الأونيسكو في بيروت بعدد من التوصيات أكد فيها على الجوانب السلبية للعولمة، ودعا للتوظيف الإيجابي منها في حياتنا المعاصرة والتشديد على الدفاع عن الخصوصيات الثقافية باعتبارها هوية وطنية تحمي حاضر الأمة ومستقبلها والدعوة إلى تقوية مؤسسات التعاون الإقليمي العربي المشتركة وتقوية الاهتمام بالشؤون التراثية وتعزيز التوعية بروائع الحضارة العربية والإسلامية. وتمّ في ختام المؤتمر الذي دامت أعماله ثلاثة أيام توزيع ميداليات على المشاركين

===============

الإبداع الثقافي في مواجهة العولمة

الاثنين :2002/07/15

(الشبكة الإسلامية) دمشق . عبد الرحمن الحاج

معوقات وسائل الاتصال العربية في النهوض بالإبداع متعددة...أهمها حرية المبدع المنقوصة من خلال الرقابة الرسمية والاجتماعية، وعدم اهتمام السياسات الثقافية والإعلامية العربية اهتماما جديّا بالعملية الإبداعية، وعدم قدرة هذه الوسائل على الوصول إلى كل فرد لأسباب متعددة أهمها القدرة الاقتصادية وقصور المناهج التربوية" .. هذا ما قاله الباحث السوري حسين العودات في الندوة التي نظمتها اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

عن "الإبداع الثقافي والإعلامي في مواجهة العولمة" في بيروت مؤخراً ، و التي شارك فيها باحثون ومفكرون كبار من مختلف أنحاء العالم العربي .

وكانت أوراق الندوة قد ناقشت في جلساتها موضوعات متعددة، فقدمت الدكتورة زهير كمال (فلسطين) ورقة حول "تعزيز دور المرأة في المجتمع والحياة الثقافية" أكدت فيها على الدور الفاعل الذي لعبته المرأة الفلسطينية في فلسطين منذ مطلع القرن، وقيامها بتعليم "المرأة" وتدريبها وتقديم الرعاية الصحية لها ولطفلها، وممارسة دورها النضالي في رفض الاحتلال الاستيطاني وتعزيز الصمود.

كما قدمت زهيدة درويش (لبنان) ورقة بعنوان "دور المرأة في الثقافة والمجتمع في ظل العولمة". توصلت فيها إلى أن على المرأة أن تسهم في إنتاج ثقافة تواكب العصر، وهذا لا يتم إلا بخروجها إلى الحياة والمجتمع وتوسيع أفقها.

مجيد دهمان (الجزائر) قدم ورقةً في محور "السياسات الثقافية والاتصالية للنهوض بالإبداع"، حث فيها الدول العربية على جعل الإبداع مطلباً حضارياً يتم التعبير عنه بواسطة سياسة رشيدة. ولا تستوفي تلك السياسة شروطها إلا عندما تجعل من السياسة الثقافية والاتصالية ركائز لها.

وقدم عبد الرحمن العامري (تونس) ورقةً حول "حماية الملكية الفكرية في عصر وسائل الاتصال الحديثة"، تناول فيها المفاهيم الأساسية لمفهوم حق المؤلف، الحقوق المادية والحقوق الأدبية والمصنفات المحمية. وقد خلص العامري إلى ضرورة أن تبذل الجهود لوضع حد للحالة غير القانونية في استهلاك مصنفات فكرية، واحترام حق المؤلفين والعمل على أن تسدد العائدات الناتجة عن استغلال مصنفاتهم، كل ذلك يمنح المؤلفين والمنتجين التشجيع الذين هم بحاجة إليه لإنتاج مصنفات جديدة وقيمة.

الدكتور ناصر شمام (تونس) تناول في ورقته "مفهوم الإبداع"؛ وسائطه ووسائل الاتصال وعولمة المعلومات، وتأثير الوسائل الحديثة على طرق إنتاج المبدع، والإبداع والاتصال في ارتباطهما بمنظومة حقوق الإنسان، والإبداع في مواجهة تحديات العولمة. وخلص شمام إلى "أن مجتمع المعلومات في ارتباطه بالإبداع هو فرصة تاريخية تتاح للمجتمعات الأقل نمواً لاختزال مراحل هامة في تحقيق توازنات

داخلية وظهور مهن جديدة وبلوغ درجات أعلى من الرفاه والتموضع داخل البناء الاجتماعي".

تحدثت الباحثة موزةغباش (الإمارات) في محور "تشجيع الإبداع في المناهج التربوية وتعزيز مشاركة الشباب". غباش اعتبرت أن "الهدف العام للتنمية البشرية هو الارتفاع بنوعية الحياة، غير أن تعبير "نوعية الحياة الإنسانية" ليس له تعريف واضح؛ فهو يتحدد بمجموعة من العوامل المترابطة التي تشمل مجالات متعددة، منها الثقافة السائدة والحالة الصحية والأداء الاقتصادي والأحوال السياسية والاجتماعية وبناء القدرات البشرية والتطورات المؤسسية وغيرها. وقالت غباش: إن "الإبداع في المناهج التربوية موضوع له أبعاده المتعددة، فلا يمكن تناوله فيما يتعلق بالطالب أو التلميذ بمعزل عن الأستاذ أو المدرس مثلاً، أو بمعزل عن الوسيلة التعليمية بل والمحيط المدرسي عموما".

الدكتور أبو بكر باقادر (السعودية) اعتبر في ورقته "أن ديموقراطية التعليم وانتشاره يعد من أهم منجزات العصر الحديث... ولكن في خضم هذا الاندفاع وجب أن يميز بين التمدرس والتعليم، إذ يغلب على ما نتحدث عنه التمدرس، ونقصد به انتشار فرص الالتحاق بالمدارس النظامية.." وأكد باقادر: "أهمية وجود فلسفة تربوية متكاملة تسعى إلى تكوين ذوات قادرة على اكتساب المهارات الذهنية وتحظى بحس مشاعري إنساني، وتمتلك الحيوية والنشاط مما يمكنها من القدرة على الأداء والعمل بحيوية وجد".

اختتمت الندوة أعمالها، وأصدر المجتمعون سلسلة مقترحات وتوصيات دعوا فيها "هيئات ووسائل الثقافة والتربية والإعلام للانفتاح على الثقافة العالمية، والعمل على إيصالها إلى المتلقّي العربي والتفاعل معها.. ودراسة ظاهرة العولمة الثقافية في إطار معايير واضحة وخطط مناسبة من شأنها مواجهة الضار والتعامل مع المفيد".

وأكدت التوصيات على ضرورة "العمل على تغيير صورة المرأة في المناهج والكتب المدرسية انطلاقاً من الاعتراف بدورها في بناء المجتمع وحقها في المشاركة في اتخاذ القرار ورسم السياسات وإلغاء كل تمييز ضدها".

وطالبت التوصيات بأن "تعمد كل دولة عربية إلى إقرار سياسة شاملة من شأنها تشجيع الإبداع" و"إصدار تشريعات تسمح بتفرّغ المبدعين جزئياً أو كلياً ، مع حماية حقوقهم وترويج أعمالهم".

ودعت إلى"إعادة دراسة التراث الثقافي العربي دراسة نقدية بهدف تخليصه من شوائبه ، وإحياء التراث الفكري والفني، وتأهيله ليكون مصدر ثراء ومرجعية مفيدة للإبداع".

كما شدّدت التوصيات على أهمية "إعادة النظر بسياسات المهرجانات الثقافية وتخليصها من طابعها الاحتفالي لتكون ألصق بالمهمة الثقافية ولتشكل عاملاً مساعدًا لتشجيع الإبداع وتحويل معارض الكتب إلى مناسبة لنشاط ثقافي متطور ومتنوع وغني"

وأكدت على ضرورة إعادة النظر بمعايير الرقابة على الثقافة والإبداع والاعتراف "بحق الاتصال وحرية التعبير والحوار".

كما لفتت التوصيات إلى أهمية "اعتناء وسائل الإعلام والتربية باللغة العربية الفصحى، والعمل على تجنب استخدام العامية"، و"إعادة النظر بمناهج التربية ومهمات المدرسة العربية لتمكينها من رعاية وتنشيط الإبداع".

ودعت إلى "تشجيع ترجمة الأعمال الإبداعية العالمية إلى اللغة العربية.

كما دعت إلى "استخدام الانترنت للقيام بترقية النشر المتعدد الوسائط، ووضع خطة طويلة الأمد لتنفيذ مشروعات ترقيم مصادر التراث ووضعها على شبكة الإنترنت في مواقع موثوقة".

==============

مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل العولمة

السبت :2002/07/13

(الشبكة الإسلامية) القاهرة– أحمد غانم

• الإعلامي المسلم ليس مجرد ناقل للأخبار لكنه في الأصل داعية وصاحب رسالة.
• نحتاج لسلطة تنفيذية تضع استراتيجية إعلامية إسلامية لمواجهة الإعلام الغربي.
• الدعاة بحاجة إلى تدريب على تقنيات الإعلام ووسائله المتطورة.

....

لا شك أن العبء الملقى على الفئة المثقفة في الأمة العربية ، وخاصة القائمين على أمر الإعلام الإسلامي ، كبير حيث إنه يتمثل في تحسين الصورة الذهنية السلبية عن الإسلام والمسلمين لدى غير المسلمين ، لا سيما في ظل المتغيرات الدولية والمحلية التي تفرض نفسها على الساحة والتي تزيد في مسئوليتهم الدقيقة ومهامهم الصعبة.

وهذا الأمر يتطلب منا الدقة المتناهية والإخلاص الكامل والتفاني في خدمة الإعلام الإسلامي؛ لأنه هو الطريق الأمثل لإعلام الجميع بحقائق هذا الدين الحنيف وأسسه التي قام عليها والتي جعلته صالحا لكل زمان ومكان من خلال الكلمة الطيبة التي تصنع إعلاما ناجحا في حياة الناس وتشغل جانب لا يستهان به في مساحة الزمن اليومي للأفراد.

هذا كله ما أكدت عليه دراسة جديدة للدكتور رشدي شحاته الأستاذ بجامعة حلوان جاءت تحت عنوان (مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد) ، وطالب فيها بضرورة التنسيق بين مختلف الأجهزة التي تتحمل مسئولية الدعوة بخطط علمية متوازنة ومدروسة تحقق الانسجام والاتزان والتوافق لتحقيق الهدف المشترك والقضاء على الازدواجية والتضارب بين برامج مختلف أجهزة الدعوة الإسلامية.

وإذا أمكن للعالم الإسلامي أن ينهض بإعلامه الديني ويصل به إلى العالمية – وهو المطلوب – يكون قد حقق المقصود منه وأصبح له غاية وهدف يسعى إليهما بوسائل التقنية الحديثة التي جعلت العالم ، بقراراته، وكأنه قرية صغيرة يمكن السيطرة عليها إعلاميا في دقائق محدودة.

مقومات الإعلام الإسلامي

وأوضحت الدراسة أن الأمة الإسلامية ظلت واقفة موقف المتفرج على المتغيرات التي شملها النظام العالمي الجديد كأنه لا يعنيها في شئ ، واكتفت بإصدار التوصيات وعقد الاجتماعات والمؤتمرات، بينما تتعرض مصالحها للخطر بسبب تناقص الإقبال على المواد الأولية التي تنتجها، والسلع الصناعية والزراعية التي تكون مواردها المالية واليد العاملة التي تستعين بعمالتها في الخارج، والضيق الذي أصبح يفرض

على تجارتها وصناعتها ونموها الاقتصادي وانكماش قدرتها على مواجهة الإعلام الخارجي الضخم الذي يتسلل من كل جانب ويعبث ببعض تقاليدها وشئونها القومية ومقدراتها الوطنية.

وتساءلت الدراسة كيف نمهد الطريق لتقديم عطاء الإسلام للبشرية في عصرها الجديد بالصورة التي تتناسب وجوهر وقيمة هذا العطاء ؟ مشيرة إلى أنه لا يحق لدولة أن تدعى أنها مستقلة إذا كانت وسائلها الإعلامية تحت سيطرة أجنبية ؛ إذ ظهر بوضوح أنه لا يمكن أن يقوم استقلال حقيقي وشامل دون وجود وسائل اتصال وطنية مستقلة تكون قادرة على حماية هذا الاستقلال وتعزيزه، فالخريطة الإعلامية الراهنة للعالم توضح أن التفاوت في السلطة والثراء بين شمال العالم وجنوبه كان له انعكاساته السلبية المباشرة على البنية الإعلامية والتدفق الإعلامي ؛ مما أدى إلى خلق أشكال متباينة من عدم المساواة والاختلال والتفاوت الإعلامي ، كما ازداد اتساع الفجوة بين من يملكون المعلومات ووسائل نشرها وتوزيعها وبين من يفتقرون إليها ، وكذلك تأكد الاختلال بين من يبثون المعلومات وبين من يتلقونها.

ومن ثم فلكي نصل إلى إعلام إسلامي قوي يحقق الهدف الأسمى ، وهو تحسين صورة الإسلام والمسلمين السلبية لدى الغرب غير المسلم ، ويقضي على عللنا كلها لابد من اتباع عدة خطوات يمكن نظمها في المطالب الآتية:

أولا: اختيار الكفاءات للعمل في مجال الإعلام الإسلامي

فالرسالة الإعلامية الإسلامية لكي تأخذ طريقها إلى الرأي العام العالمي يجب على القائمين عليها فهم آليات هذه الرسالة من خلال فهم خصائص النظام الإعلامي الجديد والجوانب التي تكتنفه حتى يمكن التعامل معه بذكاء وحذق وفق تخطيط علمي يأخذ في الاعتبار كافة المتغيرات التي تفرض نفسها على الساحة الدولية.

ويزيد من أهمية ذلك أن هذه الرسالة الإعلامية – الإسلامية– تختلف عن غيرها ، فهي رسالة منطقية تقوم على الحكمة وتستند إلى البرهان في مخاطبة الجماهير المسلمة وغير المسلمة وتجعل العقل رائدها إلى ما جاء به رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، فالعمل في مجال الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي يحتاج

إلى رجال لديهم الدقة المتناهية ومعرفة الدين وعلومه لكي يمكن نشرها من خلال كلمات متناسقة وموضوعات وبرامج هادفة لها مفعولها المقنع والمؤثر.

ولا يخفى هنا أن بساطة تعاليم الإسلام ووضوحها تعد من أبرز العوامل الفعالة في نشر الرسالة في مختلف المجالات وبين ومختلف الأوساط قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم}؛ ولذلك يتطلب الإعلام الإسلامي اختيار الكفاءات الإعلامية للعمل به، على أن تتوافر لديهم الدراية بمتطلبات الدين الإسلامي والقضايا الفكرية التي يثيرها أعداؤه والجاهلون من أبنائه.

ويجب أن يتوفر في الإعلامي المسلم الإلمام بالثقافة الإسلامية والإحاطة التامة بمصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها ، وهي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، والمختلف فيها مثل : "الاستصحاب، الاستحسان،المصالح المرسلة، وقول الصحابي .. الخ".

بالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون متعدد المواهب ولديه سرعة توصيل المعلومات بطريقة سهلة بعيدة عن الغموض؛ حتى تجعل المتلقي لا يتسرب إليه الملل ليتمكن من تحقيق الهدف من الإعلام الإسلامي وهو نشر تعاليم الدين وتحقيق مصالح المسلمين جميعا في كافة أنحاء العالم.

إن قنوات الاتصال الدولية تستطيع أن تقدم الإسلام بصورته الصحيحة لهؤلاء الذين أساءوا فهم هذه العقيدة وناصبوها العداء دون فهم.

وإذا كان البعض يرى أننا غير مؤهلين حالياً لتقديم رسالتنا إلى من يتفوقون علينا علميا وتكنولوجيا واقتصاديا وعسكريا فإن هذا رأي يجانبه الصواب؛ فحين خرج الدعاة من بادية العرب لا يملكون من متاع الدنيا إلا قوة الإيمان حقق الله على أيديهم ما لم يتحقق على أيدي غيرهم ممن توافرت لهم أسباب القوة والمنعة والثراء.

ولذلك فإن رجال الإعلام الديني . بما يقدمونه من مواد . هم في حقيقة أمرهم دعاة ومبلغون وليسوا مجرد نقلة للأخبار أو باحثين عنها، فهم مع مشاركتهم سائر الإعلاميين في طبيعة العمل إلا إنهم يتميزون عن الكثير منهم بما يحقق قول الله سبحانه وتعالى: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين}؛ ومن ثم فإن الإعلامي المسلم ليس هو فقط قناة توصيل جيدة بين كل

من رجال الفكر والعمل وبين الجماهير المتلقية ، بل إن له . بحكم تمييز رسالته الإعلامية. دورًا أكثر إيجابية في بلورة الفكر إلى الناحية الإسلامية ونشره بما يحقق الغرض المرجو منه.

ثانيا: التدريب المستمر للكفاءات

فإذا أردنا أن نصل إلى إعلام إسلامي قوي يظهر خصائص هذه الشريعة الإسلامية ومبادئها وأركانها فيجب . بالإضافة إلى اختيار الكفاءات للعمل بالإعلام الإسلامي أن يتم تدريبهم –باستمرار– عن طريق عقد الدورات التدريبية وإلقاء المحاضرات من المختصين وفى الأماكن المختصة كل في مجاله، حين يكون الإعلامي الداعية على صلة بكل ما هو جديد على الساحة الدولية فيكون مستعداً للتوجيه وتبصير الناس به بدلا من اختلافهم وتخبطهم.

بل من الأفضل أن يترك الإعلامي عمله بعض الأوقات ليتلقى مزيداً من العلم ثم يعود إلى عمله مرة أخرى، ويجب على الإعلام الإسلامي أن يمتنع عن معالجة الموضوعات الماثلة أمامه إذا كان المكلفون بذلك يفتقرون إلى المعطيات الدافعة لمعالجته ؛ لأن الإقدام على مثل تلك الممارسات يعد تهوراً وسلوكا لا يقبله الإسلام البتة.. قال تعالى: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا}.

فقيام الإعلام الإسلامي بدوره التنويري والدفاعي يتطلب إعداد كوادر إعلامية قادرة على مخاطبة الرأي العام العالمي؛ لأن تأهيل هذه العناصر يعد البداية الصحيحة لنجاح هذه الاستراتيجية الإعلامية، كما يتطلب تقوية مضمون الرسالة الإعلامية الحالية وجود أجهزة الاتصال في العالم الإسلامي كي تعمل على تحصين الجماهير المسلمة ضد سلبيات البث المباشر التي تحمله القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية ودرء الأخطار الناجمة عن هذه القنوات التي قد كثيرا ما تخلط السم بالعسل وتقدمه للمتلقي المسلم مستخدمة في ذلك كل أساليب التشويق والإثارة.

ولكي تتحمل هذه الكفاءات المسئولية التي ستلقى على عاتقها يجب القيام بتدريبها وإلمامها بكافة دقائق الأمور وإجراء اختبارات لها وافتراض مشكلات للعمل على حلها وذلك بطريقة مستمرة ومتصلة تكون في شكل لقاءات دورية ، وللغة دور بارز في

هذا المجال والاختيار الدقيق والتدريب الجيد الفعال ؛ لأن العالم من حولنا تتعدد لغاته ونحن في حاجة إلى هذا التعدد كي تعمل الأقلام بلغاتها المختلفة من أجل هدف واضح ومشترك ألا وهو (الدعوة الإسلامية).

وهذه الاعتبارات جميعاً تفترض أن ينتقل الإعلام الديني من حدود المسجد في اتجاه المدرسة والصحيفة والمصنع والنادي الرياضي والجامعات والبنوك وغيرها ، وهذا يؤكد أننا لسنا بحاجة إلى مزيد من الكلمات لكننا بحاجة إلى سلطة تنفيذية لوضع رؤية شاملة لاستراتيجية إعلامية إسلامية تتصدى لهجمة الغرب بكافة مستوياتها والعمل على توحيد صفوف المسلمين .

وتقترح الدراسة ثلاثة طرق لتدريب القيادات الإعلامية الإسلامية:

1. إنشاء إدارة للتدريب يتلقى فيها القائمون على العمل الإعلامي الإسلامي محاضرات شتى في الدراسات الإنسانية والإسلامية يلقيها كبار المفكرين والدعاة.
2. عمل مسابقات دورية في جملة من الكتب النافعة يتقدم إليها العاملون بحقل الإعلام الإسلامي ويمنحون عليها مكافآت مادية وأدبية، وقصر البعثات إلى الخارج على من يتفوق في هذه المسابقات.
3. تدريب الإعلامي الإسلامي على كيفية مخاطبة جميع المسلمين في مختلف المستويات والأماكن ، ففيهم الأمي ونصف المتعلم والمثقف ثقافة عالية ، كما يجب عليه تطويع الأنماط المختلفة من الثقافات للمضمون الديني حتى يكون هناك عائد من العملية الإعلامية ، وكل هذا لا يتحقق إلا بوضع خطة للتنسيق الشامل بين مختلف وسائل الإعلام وبين كافة الأنشطة العلمية والفكرية والتربوية في كل بلد إسلامي بحيث يتم استيعاب كل ما هو متصل بالعقل والقلب والسلوك في إطار إسلامي يخدم قضايا المجتمع ويساعد الإعلام الديني في تأدية رسالته نحوها والتأكيد على أن الإسلام ليس رؤية اعتقاديه فحسب وإنما هو طريقة في التفكير وأسلوب في العيش وخطة في التعامل بل وله أيضا دور هام وفعال بالنسبة للتيارات الوافدة علينا في كل بلد إسلامي فيما يسمى بالغزو الفكر.

ثالثا: استخدام تكنولوجيا الاتصالات في خدمة الدعوة

إذا عقدنا مقارنة من خلال الأرقام بين ما نمتلكه كمسلمين من تكنولوجيا في مجال الإعلام وبين ما يمتلكه الغرب سنجد الآتي:

على صعيد الإعلام المرئي تتحدث إحدى الدراسات عن حاجة القنوات العربية لبث أكثر من 300 ألف ساعة سنويًا، في حين أن الإنتاج التليفزيوني والسينمائي بمختلف أشكاله من الرياضة إلى البرامج الدينية مرورًا بالأعمال الدرامية لا يغطي أكثر من 25% فقط ، وهذه التغطية شبه منفصلة عن البحث العلمي بل وتساهم في تكريس التوجه الاستهلاكي للإنسان العربي والمسلم .

وتؤكد بعض بحوث اليونسكو أن التلفزات العربية تستورد من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا بحدود 60 % من مجموع البرامج، ويبقى 90% من هذه البرامج التي تعرض عبر الفضائيات العربية لتجسيد موضوعات تتعلق بالعنف والإدمان على المخدرات والشذوذ الجنسي وطمس التاريخ وعولمة القيم الخاطئة ، وتقدر نسبة البرامج المخصصة للشباب والأطفال تحديدا بـ52,3% في المتوسط ، ولا يتعدى مؤشر مجموع البرامج الثقافية من 10 إلى 15 %.

وعلى صعيد الإعلام المسموع فالدول الصناعية الكبرى تتحكم في 90% من الموجات الإذاعية في العالم ، كما توجد أربع وكالات فحسب تبث 80% من أخبار العالم هي الأسوشيتدبرس(17 مليون) كلمة يومياً واليونانيتدبرس ((11مليون كلمة وهما أمريكيتان ، وأيضا رويتر البريطانية (مليونا ونصف) وفرنس برس((3,351000كلمة .. وتخصص جميع هذه الوكالات العملاقة ما معدله 20% فقط للعالم النامي كله. بينما وكالة أنباء الشرق الأوسط التي تعد من أقدم الوكالات العربية فهي لا تبث أكر من 158 ألف كلمة فقط ، لكنه رقم غير زهيد أمام وكالة الأنباء الإسلامية العالمية (أنبا) التي لا يتعدى بثها 20 صفحة يومياً تترجم للإنجليزية والفرنسية .

وفي عهد النظام العالمي الجديد يتصدر إذاعة صوت أمريكا بأكثر من ألف ساعة أسبوعيا بـ42 لغة في العالم ، بينما تبث إذاعة الفاتيكان على 6 موجات بـ 30 لغة منذ عام 1931 ولها تعاون مع 40 إذاعة تنصيرية تبث في مجموعها أكثر من 1000 ساعة في الأسبوع .

وفي الإعلام المقروء يمتلك اليهود والحركة الصهيونية العالمية أكثر من 954 صحيفة ومجلة تصدر في 77 دولة ، منها 344 في الولايات المتحدة و348 في أوربا و118 في أمريكا اللاتينية و 42 في أفريقيا و53 في كندا و5 في تركيا و3 في الهند ، بينما تبث صوت إسرائيل عبر محطات 15 موجة و 16 لغة بمعدل 300 ساعة أسبوعياً.

وبانتشار الإنترنت تزداد الحاجة إلى التعاون الفضائي بين دول العالم الإسلامي الذي أصبح أكثر ضرورة من ذي قبل لمواجهة مستجدات ثورة الاتصال التي يشهدها العالم ، حيث تتعرض أمتنا الإسلامية لاختبار شاق في ظل التطور التكنولوجي السريع والمتلاحق ، فلا خيار لأمتنا الإسلامية غير التقدم ومواكبة العصر حتى لا نكون أسرى مفاهيم تقليدية لم تعد صالحة لزماننا ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين .

إن أمتنا الإسلامية اليوم في أمس الحاجة . وخاصة في ظل البث المباشر وما تحمله الأقمار الصناعية من برامج وافدة قد لا يتفق محتوى بعضها مع عاداتنا . إلى وسيلة نعبر من خلالها عن ثقافة أمتنا ونبل شخصيتنا الحضارية وتلقي الضوء على إنجازاتنا والتصدي لما يشوه صورة ديننا الحنيف عن جهل أو عن قصد.

رابعا: كشف زيف الإعلام الغربي

لقد لعب الإعلام الغربي دوره في إقامة الصراع بين العروبة والإسلام ، وكان هدفه هو إذابة الشخصية الإسلامية وإلغاء خصائصها الذاتية من خلال حملاته الإعلامية المنظمة ليشوه الإسلام كدين والمسلمين كأتباع . خاصة عند الحديث عن حقوق الإنسان وأوضاع المرأة وتعدد الزوجات وغير ذلك . مما يضخم مسؤولية الإعلام الإسلامي في مواجهة هذه الأكاذيب المضللة خاصة، وأن العالم الآن يشهد تطورًا متلاحقا وسريعا في وسائل الاتصال كان آخرها إطلاق القمر الصناعي المصري (نايل سات) ليكون إلى جانب الأقمار الأخرى التي تمتلكها الأمة الإسلامية لتقضي على حواجز المكان والزمان ، ولتقدَم آراؤنا إلى العالم ، وأصبح من واجب الإعلام الديني تسليط الأضواء على مختلف التيارات في العالم، وتقديم التراث الإسلامي في مواجهتها ، وتبصير المسلمين في دولهم بأهمية جمع وتوحيد الصف والاعتصام

بحبل الله، وإبراز الأخطار التي تهددهم عن طريق اتباع الإعلام الغربي لسياسة (فرق تسد) .. كما أن الإعلام الإسلامي مطالب بحث الدول الغربية على استحداث قوانين للرقابة على المؤلفات التي تسيء إلى الرسل والأنبياء وتنال منهم بالجرح والطعن بما يثير مشاعر المسلمين ويجعل الساخطين يعبرون عن شجبهم لمثل هذه المهانات بطريقة قد لا تتفق مع العقل الغربي فتسوء العلاقات وينشب الخلاف بين الغرب المسيحي والشرق المسلم.

==============

مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

الأحد :2002/04/21

(الشبكة الإسلامية) مراسلة القاهرة

هذا الكتاب للمفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة لا يهدف إلى المقارنة بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية فقط لينتصر للفكرة الإسلامية على الفكر المادي الغربي، بل ولإظهار الأصالة والتجديدية في الثقافة الإسلامية في مقابل النزعة المادية الإلحادية في الثقافة الغربية، وأن العيب والضعف ليس في ثقافتنا (نحن)، وإنما في (الإنسان) الذي لابد أن يعي أن أول خطوات السمو والارتقاء واستعادة (الأستاذية) أن نحدد نقاط القوة والفرص المتاحة أمامنا في هذا العالم المليء بالتحديات. ويستعرض أبعاد العولمة التي لا تستهدف فقط الاحتلال والغزو وامتصاص الموارد، وإنما (تأييد) هذا الغزو باحتلال العقول وإذابة الآخر، وخاصة الآخر الإسلامي في حضارة تعلى شأن المادة وتنزع منحي لا دينيا.

ويؤكد الكتاب أنه بالرغم من شراسة التحديات وعظم المخاطر، فبالإمكان مواجهتها والتعامل معها بتغيير أنفسنا أولا ، والاعتماد على مواردنا الضخمة وطاقاتنا المعطلة، ثم بالحوار مع الإنسان الغربي الذي ليست لنا معه مشكلة، والذي يمثل إمكانية صداقة ومعاونة بالنسبة لقضايانا، فإذا عرضنا عليه بضاعتنا بمنطق العقل والعدل والمصلحة في قضية العولمة قد يكتشف أنه هو نفسه – معنا – ضحية لمخاطر التوحش الرأسمالي الذي تهددنا عولمته.

تحرير مضامين المصطلحات

يشير الدكتور عمارة إلى وجود خلط في دوائرنا الفكرية والإعلامية بين مصطلح العولمة ومصطلح العالمية، وهو خلط يزيف المضامين ويخلط الأوراق التي لا يجوز فيها الاختلاط، الأمر الذي يستوجب البدء في تحرير وتحديد مضمون كل منهما.

مفهوم العالمية: ويعرفه بأنه نزعة إنسانية وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات والتلاقح بين الثقافات والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب، ويرعى العالم منتدى حضارات بينها مساحات كبيرة من المشترك الإنساني العام، ولكل منها هوية ثقافية تتميز بها، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لابد من مراعاتها في إطار توازن المصالح، وليس توازن القوى بين الأمم والحضارات.

فالناس في سعيهم شتى (إن سعيكم لشتى) [الليل:4]، ذلك هو المفهوم الإسلامي للعالمية: نزوع عالمي يرى التعدد والتنوع والاختلاف القاعدة والقانون، ويؤمن أن التفاعل هو الوسط العدل بين العولمة وبين التبعية، فتصبح الصورة الحضارية للعالم هي صورة منتدى الحضارات.

ويتميز المفهوم الإسلامي للعالمية عن نظيره الغربي ليس فقط في وقتنا الراهن، وإنما منذ فجر الحضارة الأوروبية الغربية، فالنزعة المركزية لصيقة بالنموذج الحضاري الغربي منذ العصر الروماني الذي رأى أصحابه أن الإنسان هو الروماني الحر وحده، وما عداه برابرة، وأن ما يتدين به الروماني هو الدين الوحيد، وما عداه واجب الاستئصال، ثم واصلت هذه النزعة المركزية الغربية صراعها مع الآخر طوال عصر استعمار الغرب للأمم والبلاد والحضارات غير الغربية، وتم هذا الصراع والاستئصال على مختلف الصعد والميادين والجبهات بتحويل العالم إلى هامش للأمن الأوروبي الغربي، وتسخير الشعوب المستعمرة وإمكاناتها وقودا في هذه الحروب الاستعمارية، كما كان الرومان والفرس يصنعون قديما مع الغساسنة والمناذرة في النظام العالمي القديم.

مفهوم العولمة: ويتساءل الدكتور عمارة: إذا كان هذا هو مفهوم العالمية في الرؤية الإسلامية، وفي الرؤية الغربية، فما هو الجديد المفاهيمي الذي يطرحه مصطلح العولمة الذي طرأ على الساحة الفكرية منذ سنوات؟

ويجيب بالقول: إن الجديد في العولمة الغربية عن العالمية الغربية هو جديد في الدرجة، وليس في النوع، فنحن أمام تصاعد في درجة النزعة المركزية الغربية، وتصاعد في حدة التطبيق الغربي لها، وأسباب هذا الجديد هو التطورات الموضوعية الجديدة التي طرأت على العالم، ومن ثم على علاقة النظام الغربي بالعالم غير الغربي.

فالعولمة الغربية هي طور جديد على طريق النزعة المركزية الغربية والعالمية بمفهومها الغربي، إنها طور الاجتياح الذي يطمع في صب العالم داخل القالب الغربي على مختلف الصعد والميادين الاقتصادية والسياسية والقيمية والثقافية والعسكرية والتشريعية...إلخ إلخ.

إنها مرحلة الطوفان الغربي الذي هو – في الدعاوي الغربية – نهاية التاريخ، ومن لم يركب في سفينة النموذج الحضاري الغربي طوعا، فخطوط الصراع والإكراه معه وضده تحددها خطوط الثقافات والحضارات.

ويذكر أن العالمية – حتى بمفهومها الغربي – ونظرا لملابسات التناقضات التي صاحبتها لم تكن تحرمنا من هامش الاختيار أن هذه العولمة التي مثلت وتمثل طور وحدة القبضة الغربية، وثورة التقنيات التي جعلت العالم أشبه ما يكون بالقرية الكونية، مما يؤدي إلى تصاعد مخاطر الاختلالات في موازين القوى على حساب الأمم والحضارات المستضعفة.

ويؤكد الدكتور عمارة أن العولمة – زعامة أمريكية الآن – تسعي لصب العالم في قالب الحضارة المهيمنة، فيما يشبه الاجتياح الطوفاني الذي لا يترك ميدانا من الميادين إلا ويريد أن يطاله ويحتويه، وخاصة إذا وجد فيه فراغا يغري بالاحتواء.

ففي الاقتصاد: يذكر الدكتور عمارة أن هناك عولمة الخلل الفاحش الذي تمثله الليبرالية الرأسمالية المتوحشة بين الشمال والجنوب، والذي بلغ في الظلم الاجتماعي أفقا غير مسبوقة، فأبناء حضارة الشمال والذين يمثلون 20% من سكان المعمورة يملكون ويستهلكون 86% من الإنتاج العالمي، حتى أن 225 فردا منهم يملكون ما يوازي ملكية 2.5 مليار ا من أبناء الجنوب أي قرابة نصف البشرية، بل إن ثلاثة

أفراد في أمريكا تبلغ ثروتهم مثل ثروة 48 دولة من أعضاء الأمم المتحدة أي نحو ثلث أعضاء المنظمة العالمية.

وإذا كانت ديون العالم الثالث أي 80% من البشرية قد بلغت سنة 1997 حوالي 950 مليار دولار تقتطع فوائدها – مجرد الفوائد – أربعة أضعاف ما تنفقه دول العالم الثالث، على الصحة والتعليم مجتمعين، فإن صورة هذه المأساة لا تفهم إلا إذا علمنا أن الشركات متعددة الجنسيات التي تعولم هذا الاقتصاد تقترض الدولارات من "وول ستريت"هي المال والأعمال في نيويورك بفائدة قدرها 6%، ثم تقترض هذه الدولارات لبلاد الجنوب بفائدة تتراوح ما بين 20% و50% الأمر الذي جعل استدانة الجنوب من الشمال تبلغ حد تمويل الجنوب للشمال لا العكس، وتنمية الجنوب للشمال بدلا من العكس، فقرض قصير الأجل لمصر بلغت قيمته 4 ملايين دولار أصبحت قيمته الإجمالية مع الفوائد عند اكتمال سداده 25 مليونا، فضلا عن قصر المعونات على المشروعات غير الإنتاجية، وبالذات تلك التي تخدم تطبيع العلاقات مع إسرائيل، ناهيك عن أن هذه الديون ترهن إرادة الأمة لدى صانع القرار الأمريكي، وتحول الاستقلال الوطني إلى مجرد علم ونشيد، تلك هي المعضلة الاقتصادية التي يريدون عولمتها.

العولمة السياسية

ويؤكد الدكتور عمارة أن العولمة في بعدها السياسي، إنما تسعى إلى تهميش دور المنظمات الدولية لحساب تعظيم الهيمنة العالمية لمؤسسات الدولة الأمريكية، فمجلس الأمن القومي الأمريكي يكاد أن يحل محل مجلس الأمن الدولي، وقضايا شئون العالم الإسلامي قد عهد بها إلى لوبي صهيوني أمريكي، والسيادة الوطنية تتآكل لحساب التدخل الأمريكي، وفي انتقاض هذه السيادة الوطنية للدول تستغل أوراق الأقليات في العالم الإسلامي، وتحول شرائح من غلاة العلمانيين في بلادنا للتبشير بهذه الاتجاهات حتى ليكتب كاتب نصراني في صحيفة يسارية مجاهرا بتأييده للتدخل الأمريكي الدولي في شئون مصر الداخلية بدعوى أن ممارسة ضغوط خارجية على الدولة كي تحافظ على حقوق مواطنيها واحترام المواثيق الدولية هو أمر مشروع تمام ا، بل ويدافع عن التفريط في السيادة الوطنية وليس في سيادة قوى

الهيمنة التي احترفت العنصرية واضطهاد الأمم والشعوب، وهذا نموذج واحد لما يحدث عندما تتحول السياسة الأمريكية إلى السياسة العالمية، ويصبح لعولمة السياسة وانتقاص السيادة والتدخل في شئوننا الداخلية دعاة وكتاب ودراسات وأدبيات.

العولمة التشريعية

ويذكر الدكتور عمارة أن هذه العولمة السياسية يدعمها ويقنن لها عولمة تشريعية يمارسها الكونجرس الأمريكي الذي لم تعد تشريعاته وقفا عند حدوده الوطنية، كما هو شأن كل برلمانات العالم، وإنما أصبح هذا الكونجرس يشرع للعالم بأسره، فيصدر القوانين التي تصنف الدول دولة مارقة ودولة طيبة، ودول محاصرة، وأخرى غير محاصرة، ودول يجوز فيها الاستثمار، وأخرى تفرض عليها المقاطعة، ودول تضطهد الأقليات الدينية فتستحق العقاب الأمريكي والعالمي ودول بريئة من هذا الاتهام، ودول يستحق إنسانها التمتع بحقوق الإنسان، ومنها حق تقرير المصير حتى ولو كان تعدادها أقل من مليون – في تيمور الشرقية – وأخرى لا يستحق إنسانها شيئا من ذلك حتى ولو بلغ تعدادها عشرات الملايين، كما هو الحال في كشمير والفلبين وبورما والبوسنة وكوسوفا وفلسطين.

بل وتصل هذه العولمة التشريعية إلى حد إصدار القوانين الأمريكية واعتماد الميزانيات العلنية لتغيير نظم الحكم التي لا ترضى عنها العولمة الأمريكية مثل إصدار الكونجرس الأمريكي لقانون تحرير العراق أي قلب نظام الحكم في بلد عضو بالأمم المتحدة.

العولمة العسكرية

وغير هذه العولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية هناك العولمة العسكرية التي تفرض كل ألوان وأبعاد العولمة على من تحدثه نفسه بالتمرد أو العصيان، فمن لم تردعه التحذيرات والعقوبات تردعه الصواريخ والمقاتلات.

وإذا كان شاذا – بكل المقاييس – أن تأتي الطائرات الأمريكية والبريطانية عبر القارات، ومن وراء المحيطات لتضرب شعب العراق ومنشآته بحجة الدفاع عن النفس، نفس الذين وطنهم وراء القارات والمحيطات، فإن هذا الشذوذ يتم تقنينه

وعولمته عندما تجتمع دول حلف شمال الأطلنطي في عيد تأسيسه الخمسين بأمريكا، في أبريل سنة 1999، فهذا الحلف الذي تكون في أبريل سنة 1949 في ظل النظام العالمي ثنائي القطبية، قد نص ميثاقه على أن مهامه خاصة بالدفاع عن أرض الدول المشتركة فيه لكن العولمة العسكرية قد غيرت مهام هذا الحلف وطورتها فجعلتها الدفاع عن مصالح، ليس فقط أرض الدول المشتركة فيه.

وهكذا امتدت الذراع العسكرية للعولمة الغربية تحت القيادة الأمريكية إلى حيث يريدون، وأصبحت مبررات من مثل الأصولية الإسلامية، والتطرف، واضطهاد الأقليات المسيحية، وأسلحة الدمار الشامل، وبرامج التسلح النووي، والتي جعلتها العولمة من خصائص الدول العربية والإسلامية دون غيرها من الدول، أصبحت هذه المبررات أبوابا مشروعة للتدخل العسكري والعولمي في شئون الدول المتمردة على بيت الطاعة الأمريكي.

عولمة القيم الغربية

ويقول الدكتور عمارة: إنه إذا كانت العولمة العسكرية هي أداة التأييد للعولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية، فإن عولمة القيم والثقافة هي سبيل التأييد لذوبان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي، فاحتلال العقل كان دائما وأبدا السبيل لتأييد احتلال الأرض ونهب الثروة دونما حاجة إلى نفقات القواعد العسكرية وتكاليف الجيوش.

ويضرب د. عمارة الأمثلة بالقول: إن الأسرة قيمة من القيم الإسلامية – بل الإنسانية – وصلاحها يبني صلاح الأمة والاجتماع، ولكن وثيقة مؤتمر السكان تسعي لعولمة التحلل والتفكك الأسري الذي نخر ونخر في عظام المجتمعات الغربية التي عزفت عن الزواج واستبدلته بالرفقة، وتسعي هذه الوثيقة لعولمة منظومة القيم الغربية المدمرة للأسرة، وتدعو صراحة وبإلحاح الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التمويل والمؤسسات البحثية إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية.

وإذا كان الإسلام قد سن سنة المساواة بين الإناث والذكور في الخلق والتكريم والتكليف والحساب والجزاء مع الحرص على توزيع للعمل يحافظ على فطرة التمايز

بين الذكورة والأنوثة، فجعل هذه المساواة هي مساواة الشقين المتكاملين، وليس الندين المتماثلين فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعي إلى انقلاب في علاقات المرأة بالرجل فبدلا من تبني مصطلح المساواة تتحدث عن تمكين المرأة.

وإذا كانت العفة قيمة من القيم الإسلامية – بل والإنسانية – وإذا كان الإحصان بالزواج الشرعي هو السبيل لتحويل الغرائز الجنسية والأشواق العاطفية إلى حياة بناءة وراقية في المجتمع السوي، فإن وثيقة مؤتمر السكان تتحدث عن المتعة الجنسية المأمونة، والمسئولة وليس عن المتعة الجنسية الشرعية والمشروعية والحلال مع اعتبار هذا النشاط الجنسي البشري حقا طبيعيا وإنسانيا عاما من حقوق الجسد كالغذاء وغير مقصور على المتزوجين زواجا شرعيا.

عولمة الثقافة الحداثية

وإذا كان الإسلام يعتمد للتطور والتقدم – في الفكر والثقافة – منهاج التجديد الذي يصحب الثوابت الإسلامية (يجدد في المتغيرات وفقه الواقع وفقه الأحكام والنظم والمؤسسات على النحو الذي يجعل ثقافة الأمة إسلامية دائما وأبدا عبر الزمان والمكان، ويجعلها كذلك متطورة ومواكبة لكل المستجدات، حتى لقد جعل الإسلام من هذا المنهاج التجديدي سنة من سنن الفكر لا تبديل لها ولا تحويل، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): "يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها" [رواه أبو داود].

إذا كان هذا هو منهاج الإسلام في الفكر والثقافة، فإن العولمة الأمريكية تعولم وتعمم وتعرض ثقافة الحداثة الغربية التي أقامت وتقيم قطيعة معرفية مع الموروث، والموروث الديني على وجه الخصوص، فمنذ عصر التنوير الغربي – الوضعي والعلماني والمادي – أقامت ثقافة الحداثة قطيعة مع الله والغيب والدين عندما تمحور حول الإنسان بدلا من الله، وعندما جعلت الإنسان طبيعيا بدلا من أن يكون ربانيا نفخ الله فيه من روحه واتخذه خليفة له للنهوض برسالة العمران.

ويذكر الدكتور عمارة أن علماء المسلمين قد كشفوا هذه النزعة اللادينية – الدهرية في ثقافة الحداثة الغربية منذ فجر يقظتنا الحديثة، والاحتكاك مع هذه الحداثة الوافدة على بلادنا في ركاب الاستعمار مثل: عبد الرحمن الجبرتي الذي كتب بعمق

وعبقرية معلقا على دعاوى بونابرت فقال:" وإن إسلامهم نصب، فلقد خالفوا النصارى والمسلمين، ولم يتمسكوا من الأديان بدين، وهم دهرية معطلون، وللمعاد والحشر منكرون وللنبوة والرسالة جاحدون".

ولقد صاغ الطهطاوي ثقافة القطيعة مع الله والغيب والدين والبراعة في العلوم الدنيوية شعر ا قال فيه:

أيوجد مثل باريس ديار .... شموس العلم فيها لا تغيب

وليل الكفر ليس له صباح ....أما هذا وحقكم عجيب

أما جمال الدين الأفغاني فقد أفاض في الحديث عن دهرية هذه الثقافة الحداثية التنويرية الأوروبية التي أحيا فلاسفة تنويرها، وخاصة فولتير وروسو دهرية أبيقولا الأمر الذي جعل الثورة الفرنسية وبالا على الثقافة الفرنسية المتواصلة مع النصرانية، ولقد كشف عبد الله النديم الطابع الإلحادي لهذه الثقافة الحداثية، وتحدث عن هذا الفريق من كتاب "المقتطف"، واصفا إياهم بأنهم أعداء الله وأنبيائه.

ويقول الدكتور عمارة: إذا كان الاستعمار الغربي في مرحلة الغزو المسلح قد حاول فرض هذه الثقافة الحداثية علينا بحد السيف وبحق الفتح، فإن هذا الفرض لثقافة الحداثة والقطيعة مع الإسلام هو ما تسعي إليه العولمة الغربية هذه الأيام ليس بواسطة الفتح المسلح، كما كان الحال إبان الاستعمار التقليدي، وإنما بواسطة شرائح الغلو العلماني في بلادنا.

العولمة اللغوية

ومع عولمة القيم الغربية وثقافة الحداثة تتم أيضا عولمة اللغات الغربية لتزيح اللغات الوطنية والقومية عن عروشها، وإذا كانت الفرنسة والجلنزة والروسنة قد بدأت مع الاستعمار الغربي الحديث ولازالت بصماتها السوداء باقية في ثقافتنا وإعلامنا ولغة خطابنا وشركاتنا ولافتات متاجرنا، فضلا عن مدارسنا وجامعاتنا، فإن العولمة الاقتصادية التي تحولنا إلى عمالة في الشركات الغربية عابرة القارات والجنسيات، وإلى مستوردين وموزعين ومستهلكين لمنتجات تلك الشركات ستفرض علينا بحكم العمل والاستهلاك إحلال لغات تلك الشركات، وأسماء سلعها محل لغتنا الوطنية

والقومية حتى تصبح بلادنا سوبر ماركت لا علاقة لما فيه بلغاتنا بما في ذلك العربية لسان الإسلام ولغة القرآن الكريم.

العولمة الدينية

ويلفت الدكتور عمارة الانتباه إلى أن هذه ليست جميع أبعاد العولمة، حيث يتبقى هناك – وهذا هو الأخطر – العولمة الدينية التي تعمل على تنصير المسلمين طموحا إلى إلغاء أمتنا الإسلامية وحضارتنا، وطي صفحة الإسلام من سجل الوجود.

وإذا كان الوعد الإلهي قد جعل ويجعل هذا الهدف المجنون مستحيلا " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" [الحجر:9]، فإنه يجب أن نفرق بين حفظ الدين وبين إقامة الدين، فالله تعالى قد وعد بحفظ القرآن ديوان الدين الإسلامي لكن إقامة هذا الدين هي تكليفنا نحن ومهمتنا نحن، وهذا هو الذي يتعرض لامتحان عسير للعولمة على جبهة التنصير، وإذا كانت الأرثوذكسية السلافية الغربية تمارس هذه المهمة غير المقدسة عن طريق الإبادة والتطهير العرقي – الديني، والمقابر الجماعية التي تدفن فيها المسلمين من البلقان إلى القوقاز، فإن الكنيسة الكاثوليكية الغربية قد أعلنت الحرب لتنصير المسلمين، بدلا من تنصير بيتها الأوروبي الذي انحدر إلى الإلحاد واللأدرية، فرفعت شعار أفريقيا نصرانية سنة 2000، فلما خيب الله آمالها لم ترعوي، وإنما زحزحت التاريخ إلى سنة 2025م.

أما البروتستنتية الغربية فإن بروتوكولات قساوسة التنصير فيها قد تبلورت في مؤتمر كلورادو بأمريكا في مايو سنة 1978 تلك التي تقول: "إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تتناقض مصادره الأصلية مع أسس النصرانية والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز للتركيز على الإسلام لفهمه ولاختراقه في صدق ودهاء".

هكذا تتم العولمة والاجتياح على كل الجبهات، ومختلف الميادين من الاقتصاد والسياسة إلى القيم والثقافة، وحتى الدين مرور ا بالعسكرية والتشريعات واللغات.

والآن .. ما العمل؟

وفي الجزء الخاتم من الكتاب يتحدث الدكتور عمارة بروح مؤمنة مستبشرة قائلا : إن أعظم المخاطر وشراسة التحديات لا تعني أن الصورة قاتمة، ولا أننا أمام طريق مسدود، وإنما تكون نقطة البداية في مواجهة مخاطر العولمة، والتعامل معها هو أن تعي قوى اليقظة والأصالة الوطنية والقومية الإسلامية في عالم الإسلام حقائق الموقف دونما تهوين ولا تهويل، وأن تحدد نقاط قوتها والفرص المتاحة أمامها في مواجهة هذه التحديات، أي أن تعي حقائق وقوى وتضاريس الموقف الداخلي والخارجي على السواء.

ويؤكد الدكتور عمارة أن مشكلتنا ليس مع الغرب، وإنما مع المشروع الغربي والأمريكي بالدرجة الأولى، وقفازه الصهيوني على أرض فلسطين، وبذلك يمكننا الاستعانة على المشروع الغربي، وبالذات جوانبه المعادية، بما في الغرب من إمكانات وطاقات يمكن الاستفادة منها والاستعانة بها أو على الأقل تحييدها.

ويضيف أن عالم الإسلام ومعه حضارات الجنوب تملك من الإمكانات ما يغري المخلصين والواعين بترتيبها وتعظيمها، والعالم الإسلامي وحده يمتلك وطنا مساحته 37 مليونا من الكيلو مترات المربعة تعيش فيه أمة يبلغ تعدادها نحو ربع البشرية 1.384.800.000 نسمة غير الإمكانات الروحية
الحضارية والثقافية التي يملكها العالم الإسلامي.

أما الخطوة الأولى على هذا الطريق الشاق، والذي هو الطوق الوحيد لنجاة هذه الأمة فهي الوعي بحقائق الواقع، وما في هذا الواقع من فرص ومن مخاطر، واستخدام هذا الوعي في تجديد الفكر الإسلامي، وفي الإبداع بمختلف ميادين هذا الفكر ليكون لأشواقنا النهضوية (دليل العمل) الذي ينير لطلائع الأمة الطريق.

وإذا كانت العولمة تعني صب العالم في قالب الحضارة الغربية المهيمنة اقتصاد ا وسياسة وقيم ا وثقافة، فإن العالمية الإسلامية والإنسانية تريد العالم منتدى حضارات تتفاعل فيما هو مشترك إنساني عام، وتتمايز في الهويات الحضارية والخصوصيات الثقافية لتتدافع الأمم، وتتسابق وتتعارف بدلا من الصراع والهيمنة والقهر والاستغلال وصدق الله العظيم: " ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون " [يوسف:87].

==============

اللغة العربية أمام تحديات العولمة

الثلاثاء:2002/04/16

(الشبكة الإسلامية) – بيروت

نظم معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية مؤخراً مؤتمراً كبيراً حضره أكثر من مئتي شخصية فكرية ولغوية من 12 بلداً عربياً وإسلامياً عن اللغة العربية في مواجهة تحديات العولمة.

" لقد أصاب اللغة العربية الركود عدة قرون " هذه العبارة التي قالها رئيس المعهد الدكتور عبد الناصر الجبري في كلمته الافتتاحية تشير إلى الدافع وراء إعادة الاهتمام بالتجديد اللغوي والعناية بالعربية ، فالقرن العشرين يمثل " تحديات كثيرة أمام الأمة ، فهناك تهديدات لهويتها وثقافتها ولغتها ، تتطلب منا الوعي في ظلّ تعميم عصر التكنولوجيا والاتصالات والمعلومات والعولمة الثقافية واللغوية والسياسية والاقتصادية " على حد تعبير الجبري .

الوزير اللبناني للتعليم عبد الرحيم مراد أكدّ في كلمته أننا " نشكو من أزمة لغوية على جميع الصعد ، تنظيراً وتعليماً ، نحواً ومعجماً ، استخداماً وتوثيقاً ، إبداعاً ونقداً ثم جاءت تكنولوجيا المعلومات لتضيف إلى ذلك بعداً فنياً ، متعلقاً بمعالجة اللغة العربية آلياً بواسطة الكمبيوتر الأمر الذي كشف عن قصور العدة المعرفية لدى كثير من اللغويين في وقت أصبحت فيه معالجة اللغة آلياً بواسطة الكمبيوتر هي محور تكنولوجيا المعلوماتية " .

ودعا الوزير مراد إلى إقامة مجتمع لغوي عربي موحد تكون له سلطة التشريع اللغوي وبنك للمعلومات لدعم البحث اللغوي الحديث بالإضافة إلى وسيلة برمجة آلية لمعالجة النصوص العربية وبحوث أساسية وتطبيقية لكتابة قواعد النحو لتسهيل معالجة الأمر آلياً.

ممثل مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني ، مفتي طرابلس والشمال الشيخ طه الصابونجي رأى أننا أمام هجمة عالمية إلغائية ترفع ذراعاً باسم العولمة وأخرى باسم الصراع الحضاري .

أما رئيس قسم الترجمة في وزارة الثقافة السورية الدكتور حسين حموي فأكد أن اللغة العربية لغة حية ومتواترة ومنفتحة على الحضارات القديمة والجديدة استطاعت منذ آلاف السنين أن تشكل خطابها الحضاري وتحاور به الثقافات الإنسانية الأخرى عن طريق العقلانية والموضوعية والوعي والحقيقة والحرية والقيم والكرامة وتنشيط الفكر والثقافة والعلم والإبداع، لافتاً بالمقابل إلى أن الفكر العربي الأصيل لا يخاف من تطور العقل والنقد والعلوم والقيم والالتزام أنما يعمل بالالتزام على إنتاج ثقافي متطور.

كلمة الضيوف ألقاها أمين عام المجمع اللغوي في بغداد الدكتور أحمد مطلوب الذي أشار إلى أن الحفاظ على سلامة اللغة العربية وتمتينها لتستوعب المستجدات و اجب كل عربي ومسلم ، ولا يكفي الاعتزاز بها فحسب وإنما لابد من عمل مثمر متواصل ويتم ذلك بوسائل منها نشر الوعي اللغوي بوسائل الإعلام المختلفة وإعادة النظر في مناهج تدريسها وتعريب التعليم في جميع مراحله ومشاركة المجامع العربية واتحادها مشاركة فعالة في العناية باللغة العربية وتوحيد المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية وإصدار تشريع يصون اللغة العربية وعقد المؤتمرات القومية والقطرية للوقوف على مسيرة تدريس اللغة العربية.

جلسات المؤتمر بحثت في اليوم الأول للمؤتمر قضايا " الذات العربية بين المكونات والمقومات " و" اللغة العربية بين الديمومة وتحديات العولمة " .

وفي اليوم الثاني بحثت في " سبل تجدد اللغة العربية ، صراع اللغات وحوار الحضارات " وقدمت في المؤتمر بحوث تناولت " تجدد اللغة " وتحديات العولمة وأزمة تعريب المصطلح ودور وسائل التقنية في تطوير تعليم اللغة العربية وآثارها في تحدي العولمة ، وتيسير العربية والترجمة والتقنيات العلمية ، وقضية اللهجات العامية ودور الدعاية والإعلام في التخطيط ونشر الوعي اللغوي بالعربية الفصيحة.

هذا وأعلن البيان الختامي لمؤتمر " اللغة العربية أمام تحديات العولمة " عن إنشاء مجلس تأسيسي من رجالات اللغة في البلاد العربية ومن يرغب من الدول الإسلامية للاهتمام وخدمة هذه اللغة ، ينعقد في لبنان دورياً وعندما تدعو الحاجة ، وأوصى

بتعزيز مهام المجامع اللغوية العربية والدعوة إلى توحيد جهودها وتنسيق أعمالها في سبيل النهوض بالعربية ومواكبتها للعصر.

وأمل المشاركون من أجهزة الإعلام العربية في لبنان وخارجه بالعناية بسلامة اللغة العربية في النطق والتعبير ، ودعوا إلى وضع برامج علمية لإدخال المعلوماتية في مجال اللغة العربية ، والإفادة من الشبكة العلمية والثورة الحاسوبية والإلكترونية في تحسين وضع العربية والنهوض بها في مجالات البحث العلمي والتدريس والتخطيط.

ووجهوا الدعوة للناشرين لحمل رسالة النشر العلمية والثقافية وتجنب أحادية الكسب التجاري على حساب النص العلمي الدقيق ، وطالبوا بتشجيع إحياء التراث وتعزيز روح الاعتزاز به بعد دراسته والإطلاع عليه.

وأكدت التوصيات على ضرورة إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية واعتماد التعليم الذي يقوم على تنمية المهارات اللغوية وتيسير طرق تعليمها مع قواعدها، والعمل على تصحيح الأخطاء الشائعة عند متكلمي العربية وكاتبيها لضمان سلامة النطق والتعبير، والاهتمام بأبناء الجاليات العربية في الخارج بإنشاء المدارس العربية حفاظاً على هويتهم العربية والإسلامية.

ووجه المؤتمرون تحية إجلال للانتفاضة الفلسطينية المظفرة ودعوا القادة العرب من ملوك وأمراء ورؤساء إلى اتخاذ أقصى ما يمكن من إجراءات سياسية واقتصادية وعسكرية لدعم الفلسطينيين لتحرير الأرض وإعادة المقدسات ودحر الصهاينة وما يرتكبون من جرائم حرب ضد الشعب الفلسطيني الشقيق.

وحيا المشاركون الدولة اللبنانية على احتضانها للمقاومة الإسلامية والوطنية

=============

تحت ضغط العولمة سويسرا تنضم إلى الأمم المتحدة

الاثنين :2002/04/08

(الشبكة الإسلامية) رسالة لندن

يبدو أن العولمة بدأت تدق أبواب الدول التي كانت تظن أن حيادها وعدم انضمامها للأمم المتحدة سيعفيها من آثار العولمة ومتطلباتها، فإذا بالعولمة تجذبها من رقبتها إلى آتونها الصاخب في الأمم المتحدة .. فالاستفتاء الشعبي الذي أجري في سويسرا

يوم الأحد الماضي ليس بالحدث العابر في تاريخ هذا البلد. فالموافقة الصعبة التي أبداها السويسريون لانضمام بلادهم إلى الأمم المتحدة تكشف عن تراجعهم عن قناعات تقليدية راسخة، تحت وطأة الكثير من المتغيرات التي أفاقوا عليها في السنوات الأخيرة.

فالسويسريون الذين حسبوا لعهد طويل أنّ بإمكانهم العيش في قلب العالم وبمعزل عنه في الوقت ذاته؛ انتابتهم الهواجس في الآونة الأخيرة وهم يرون بلادهم وقد تحولت إلى جزيرة صغيرة في محيط القارة الموحدة.

وإذا كان الفخر بالاستقرار الاقتصادي للبلاد هو أحد البواعث المفهومة على التمسك بسياسة الحياد الصارمة والاستغناء عن الدخول في أطر وتحالفات دولية أو إقليمية؛ فإنّ الصورة الزاهية للاقتصاد السويسري لم تعد في حقيقة الأمر كما كانت عليه حتى سنوات قليلة خلت.

فالشعور بانعكاسات العولمة على الكيانات الاقتصادية الصغيرة بدا طاغياً، ولعلّ هذا تحديداً ما جعل سويسرا من بين الدول التي تنشط فيها الحركات المناهضة للعولمة الاقتصادية. ولكن الثمن الباهظ كان قد دفعه الاقتصاد السويسري في العام المنصرم، بإفلاس شركة الطيران السويسري العريقة "سويس إير"، بعد أن بقيت بمنأى عن تحالفات الحيتان في سوق النقل الجوي واكتفت بالشراكة مع خطوط طيران متواضعة الحجم.

وكان ملاحظاً بالتالي أنّ انهيار الشركة التي تجمع بين الفخامة والانضباط والرونق الخاص؛ قد أثار حساسية السويسريين أكثر من أي شيء آخر، فالأمر يتعلق هنا بشركة رائدة لخصت قصة النجاح الاقتصادي لهذا البلد الواقع بين أحضان الألب.

وبعد أن ارتبطت العلامة التجارية لـ"سويس إير" بالإيحاءات الرمزية لبلد تقليدي وثري وفاخر ومنضبط في الوقت ذاته؛ أصبح مشهد طائراتها المصطفة في مطارات البلاد باعثاً على الأسى والحسرة، ومثيراً لرومانسية الماضي وأشجانه.

وليس ببعيد عن هذا التدهور؛ عرفت الصورة التقليدية الحسنة للاتحاد السويسري الكثير من التداعيات التي خدشتها في السنوات الأخيرة. إذ أنّ حملات التعويض عن قضايا " الحسابات المنسية" و"الذهب النازي" والمنسوبة للمصارف السويسرية إبان

الحقبة الهتلرية في ألمانيا؛ أثارت الشكوك في الخارج بشأن موارد الثراء التي ينعم بها هذا الشعب هادئ الطباع.

أما صورة سويسرا المحايدة والإنسانية التي برزت بقوة من خلال أدائها السياسي خلال الحرب العالمية الثانية، التي أحرقت الأخضر واليابس من حولها؛ فقد بهتت كثيراً بعد أن خرجت قبل سنتين لجنة المؤرخين المختصة بالتحقق من هذه الممارسات، والمعروفة بلجنة بيرغيه، بتقاريرها التي تدين بعض السياسات التي اتبعتها السلطات السويسرية آنذاك.

وذهبت اللجنة المذكورة إلى أنّ سويسرا لم تفتح حدودها لاستقبال كلِّ اليهود الذين فرّوا من النازية، رغم استقبالها لأعداد غفيرة من اللاجئين اليهود بالفعل في تلك الحقبة.

والمؤكد أنّ هذه الملاحظات التي أثارت جدلاً عارماً، تعني الكثير بالنسبة لبلد يفخر بإيوائه الفارين من الاضطهاد.

في ظل هذه التطورات الهامة كانت تحولات لا تقل أهمية تجري في الظل؛ فقد اكتشف السويسريون العالم كما لم يعرفوه من قبل؛ من خلال الفرص التي أتاحتها ثورة الاتصالات وتقنيات الإعلام المستحدثة. ولا ريب في أنّ هذا يعني الكثير بالنسبة للمواطن السويسري التقليدي الذي يفضل الاستماع إلى إذاعته المحلية التي تنطق باللهجة الدارجة في الكانتون الذي يقطن فيه، ويمنح الأولوية لقراءة الصحف المناطقية التي لا تبدي اكتراثاً كبيراً بما يجري خلف الجبل الذي يسكن على سفحه.

وقد احتك السويسريون بثقافات جديدة عن كثب، ليس فقط من خلال ازدهار الحركة الثقافية والتعليمية في بلادهم، أو عبر انتعاش السياحة السويسرية إلى أنحاء العالم؛ ولكن من خلال وجود مليون أجنبي في هذا البلد أيضاً.

وقد كانت للخبرات الجديدة مع "الآخرين" مضاعفاتها الماثلة في انتعاش اليمين السياسي المعادي للأجانب واللاجئين، وفي تصاعد الجدل في بعض الكانتونات السويسرية الناطقة بالألمانية بشأن كيفية التصرف مع أبناء الأجانب في المدارس ، الذين يُنظر إليهم في العادة على أنهم يعرقلون تعلم أبناء السويسريين للغتهم الأم، بل وربما على أنهم محدودو الذكاء.

ولكن في المحصلة ظهر بجلاء تام كيف تركت التطورات التي عرفها السويسريون آثارها على اختيارهم في استفتاء الأحد الماضي، فالانضمام إلى الأمم المتحدة لم يعد قضية تحتمل مزيداً من التلكؤ والانتظار، حتى وإن جاءت الموافقة على مضض.

أما الأهم؛ فهو أنّ السويسريين قد يضطرون في السنوات المقبلة إلى مراجعة موقفهم الرافض لعضوية الاتحاد الأوروبي أيضاً، وهو خيار أشد وطأة على نفوسهم على كل حال.

=============

عولمة المرأة

الثلاثاء:2002/03/19

(الشبكة الإسلامية) كمال حبيب

عولمة المرأة أي جعلها كائناً عالمياً يمكن وصفه بأنه كائن فوق الحكومات أو كائن عابر للقارات.. ولجعلها كائناً عالمياً كان لا بد من عقد المؤتمرات الدولية وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات العالمية التي تلزم الحكومات بحقوق هذا الكائن، وتمثل توصيات المؤتمرات الدولية والمعاهدات والاتفاقيات العالمية المرجعية العالمية الجديدة التي يمكن وصفها بأنها "أيديولوجية نسوية" لها قوة الأيديولوجيات السياسية التي عرفها القرن الماضي ثم انهارت وخبت وماتت.

وكما كان يحدث بالنسبة للأيديولوجيات السياسية والفكرية فإن الأيديولوجية النسوية الجديدة يراد لها أن يكون معتنقوها في كل العالم وفي كل الدول والشعوب وفي كل الأعمال؛ فإنها الوسيلة الجديدة لغزو العالم وشعوبه، وهي الدين الجديد الذي يُراد للعالم أن يتوحد خلفه ويدين به : بيد أن الخطر في هذه الأيديولوجية والدين الجديد يكمن في أن الذي يُبشر بها ويدعو إليها هو النظام العالمي الجديد الذي حقق ما اعتبره انتصاراً نهائياً وعالمياً للفكر الغربي العلماني، ويريد أن يفرض هذا الدين والأيديولوجية بالقوة على العالم كله بحيث تكون هناك قوة عالمية واحدة ومرجعية كونية واحدة وإنسان عالمي واحد، وتنهار كل الحدود والقيود والحصون أمام هذه القوة العالمية

الجديدة والمنفردة بحيث تصبح إرادتها ورغباتها ومصالحها مُسلَّماً بها ومُرحَّباً بقدومها بلا أي عوائق من الدين أو اللغة أو اللون أو الجنس أو القومية أو الثقافة. أي أن المرجعية الكونية الجديدة هي بديل لكل ما عرفته الأمم والأجناس البشرية من ثقافات وتاريخ وصراعات وأفكار؛ بحيث يغدو كل هذا ذكرى بلا قيمة ولا معنى، وتصبح القيمة والمعنى في المرجعية الكونية البديلة والجديدة التي يتحوَّل البشر جميعاً فيها عبيداً للإله الذي قررها، وهو النظام العالمي الجديد.

كما أن خطر هذه الأيديولوجية البديلة يتمثل أيضاً في اقتحام مناطق كان يُنظر إليها باعتبارها خاصة أو شخصية وينظم أوضاعها بشكل أساسٍ الدينُ والتقاليد والأعراف المحلية والثقافات الخاصة، أي أن الاقتحام والهدم لهذه الأيديولوجية ينال مناطق متصلة بالهوية والثقافة والوجود وهي محور الكيان الإنساني والوجود البشري. ويقف وراء هذه الأيديولوجية فكر شيطاني يريد أن يجعل من الأخلاق فوضى ومن الفاحشة شيوعاً وذيوعاً.

وتستمد النسوية الجديدة جذورها الفكرية من الماركسية الحديثة "حيث تعتبر أن خطأ الماركسية القديمة هو اللجوء إلى الأساليب الاقتصادية لبناء مجتمع لا طبقي؛ بينما اللجوء إلى الأساليب الاجتماعية هو السبيل الوحيد لمجتمع خالٍ من الطبقات والميول الطبقية، وتمثل "الأسرة" والأمومة في نظر "الماركسية الحديثة" التي تستمد النسوية أفكارها منها تمثل السبب وراء نظام طبقي جنسي يقهر المرأة لا يرجع إلا لدورها في الحمل والأمومة.

وإذا كانت السنن الكونية الطبيعية عندهم هي التي اقتضت هذا الاختلاف البيولوجي فلا بد من الثورة على هذه السنن الطبيعية والتخلص منها بحيث تصبح الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة فروقاً اجتماعية متصلة بالأدوار التي يؤديها كلٌّ من الرجل والمرأة وليست متصلة بالخواص البيولوجية لكل منهما؛ ومن ثَمَّ فإذا قام الرجل بوظيفة المرأة وقامت المرأة بوظيفة الرجل فإنه لن يكون هناك ذكر وأنثى وإنما سيكون هناك نوع "جندر" وهذا النوع هو الذي سيحدد طبيعة دوره في الحياة بحيث يجوز للأنثى أن تمارس دور الذكر والعكس، وبحيث لا تكون هناك أسرة بالمعنى التقليدي ولا أبناء ولا رجل ولا امرأة، وإنما أسر جديدة شاذة وأبناءٌ نتاج للتلقيح

الصناعي؛ فأي فكر شيطاني ذلك الذي تتبناه "النسوية الجديدة"؟! وأي قوة تجعل من الأمم المتحدة وأمريكا والغرب تتبنى هذا الفكر الشيطاني لفرضه على العالم؟!! إنها تعبير عن إرادة لا نقول علمانية وإنما إلحادية لتحويل الوجود البشري وجوداً بلا قيمة ولا معنى تنتفي معه العناية من استخلاف الله للإنسان في الأرض. وفي الواقع فإن هذا الفكر الإجرامي ليس خطراً على المجتمعات الإسلامية فحسب ولكنه خطر على الحضارة الإنسانية ذاتها؛ لكن المجتمعات الإسلامية تأتي في القلب من معتقد هذا المخطط الإجرامي البديل والجديد.

أدوات المرجعية الجديدة:

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تم إرساؤه عام 1948 م ، يمثل البذرة الأولى لهذه المرجعية الجديدة التي طرحت موضوع الأسرة والمرأة قضية عالمية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكن ضجيج القضايا السياسية والاقتصادية على دول العالم الثالث في هذا الوقت غطى على الجانب الاجتماعي والثقافي المتصل بالأسرة والمرأة والأحوال الشخصية؛ فمنذ عام 1950م حاولت الأمم المتحدة عقد الدورة الأولى لمؤتمراتها الدولية حول المرأة والأسرة بعنوان: "تنظيم الأسرة" لكن الحكومة المصرية في العهد الملكي قاومته بقوة، وأخفق المؤتمر الذي كان يترأسه ماركسيٌّ صهيوني، ثم عاودت الأمم المتحدة مرة ثانية تطلعها في بناء المرجعية النسوية الجديدة، فعقدت مؤتمراً في المكسيك عام 1957م ودعت فيه إلى حرية الإجهاض للمرأة والحرية الجنسية للمراهقين والأطفال وتنظيم الأسرة لضبط عدد السكان في العالم الثالث، وأخفق هذا المؤتمر أيضاً، ثم عقد مؤتمر في "نيروبي" عام 1985م بعنوان: "استراتيجيات التطلع إلى الأمام من أجل تقدم المرأة" ثم كان مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية الذي عقد في سبتمبر 1994م، وأخيراً كان مؤتمر المرأة في بكين الذي عُقد عام 1995م تحت عنوان: "المساواة والتنمية والسلم" وهو المؤتمر الذي ختمت به الأمم المتحدة القرن الماضي، وانتهت إلى الشكل النهائي للمرجعية الجديدة والبديلة التي يراد فرضها على العالم والتي تهدف بكلمة واحدة إلى "عولمة المرأة".

وعولمة المرأة هو الجانب الاجتماعي والثقافي في "العولمة" الذي تسعى الأمم المتحدة وأمريكا وأوروبا إلى فرضه على بقية العالم خاصة العالم الثالث. والتوصيات

والوثائق التي توقع عليها الدول والحكومات الأعضاء في الأمم المتحدة تعتبر ملزمة لها، كما أن الأمم المتحدة تقوم بكل هيئاتها ومؤسساتها بتنفيذ ما جاء في توصيات هذه المؤتمرات الدولية ووثائقها بما في ذلك المراقبة والمتابعة لمدى التزام الدول والحكومات بها. كما أن المنظمات غير الحكومية الممثلة في الأمم المتحدة تمثل قوة ضغط في دولها لمراقبة التزام هذه الدول بقرارات الأمم المتحدة وتوصياتها ومتابعة ذلك، وهي في هذا تشبه "جواسيس للأمم المتحدة" في دولها.

ولا تكتفي الأمم المتحدة بذلك وإنما تعقد مؤتمرات مع الأطراف الحكومية والمنظمات غير الحكومية كل سنة أو سنتين للتأكد من الالتزام الحكومي بالمرجعية الكونية البديلة والخضوع للنظام العالمي الجديد؛ فهناك مؤتمر سنوي يطلق عليه مؤتمر السكان + 1 أو + 2 أو + 3 وهكذا حتى يأتي موعد المؤتمر الدولي القادم للسكان عام 2004م. وأيضاً بالنسبة لمؤتمر بكين(1) قد عُقد بكين + 4 في الهند وسوف يعقد مؤتمر للمرأة أيضاً عام 2005م أي بعد عشر سنوات من مؤتمر المرأة الذي عُقد في بكين، أي أن هناك آلية دولية لها طابع الفرض والإلزام والمتابعة تتدخل في الشؤون الداخلية للدول لتطلب منها الالتزام بما وقعت عليه؛ وهذه الآلية يمكن أن تمارس الإرهاب بفرض العقوبات الدولية على الدول التي ترى الأمم المتحدة أنها غير ملتزمة؛ كما أن هذه الآلية تمارس الإغراء بمنح معونات أو قروض أو ما شابه إذا التزمت بمقررات الشرعية الجديدة.

ومن ثَمَّ فإن ما يجري في مصر أو المغرب أو الأردن بشأن تغيير قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات هو جزء من الالتزام بالأجندة الدولية التي وافقت هذه الدول عليها في المؤتمرات الدولية وليس تعبيراً عن حاجة داخلية لشعوب هذه الدول. فحق المرأة في فسخ عقد الزواج، وحقها في السفر هي وأولادها بلا قيود، وحقها في المواطنة الذي يستخدم ستاراً لمساواتها مع الرجل في الإرث والطلاق وعدم الخضوع لسلطة أي رفض القوامة وإقامة علاقات ود وصداقة خارج نطاق البيت والعائلة، كل هذه القضايا كانت مطروحة باعتبارها جزءاً من أجندة دولية للتسليم بالدخول في طاعة النظام العالمي الجديد والإقرار بالالتزام بالدين النسوي البديل.

وفي الواقع فإن كل ما سيحدث في هذا الإطار سيكون مثل تأسيس "المجلس القومي للمرأة" في مصر الذي يضم الوجوه النسوية المصرية التي تدعو للأيديولوجية الجديدة بلا خجل أو حياء.

وهذه الوجوه النسوية هي انعكاس للفكر الغربي النسوي؛ حيث تشعر تجاه المرأة الغربية بالنقص، وتشعر أن الالتحاق الفكري بها سوف يعوض هذا النقص لهن كما يبلغ النقص بهذه الوجوه حد كراهية الدين الإسلامي ونظمه الاجتماعية وقوانينه في الاجتماع والأسرة ؛ وهم في ذلك أشبه "باللامنتمي" ومن ثَمَّ فهذه الوجوه تعبر عن حالة نفسية مرضية؛ ورفعها إلى مستوى التخطيط والحديث عن قضايا المرأة ليس سوى خضوع للقوى الدولية الخارجية التي تحب أن يعبر عن أوضاع المرأة في العالم الإسلامي النسوةُ اللاتي يرددن الأفكار الغربية ويبشرن بالأيديولوجية النسوية الجديدة.

وثيقة بكين .. مفردات المرجعية الجديدة :

وبالعودة إلى وثيقة بكين التي تمثل منتهى الفكر النسوي الجديد نجد مخططاً واضحاً لتدمير الأسرة والمرأة، وتدمير الحضارة البشرية ذاتها، ويبدو لنا أن الحضارة الغربية تريد أن تدمر الحضارات الأخرى وعلى رأسها الحضارة الإسلامية بعد أن شارفت هي على الهلاك والتدمير والفوضى بسبب خضوعها للأفكار النسوية والشذوذ الجنسي والأخلاقي .

ومن المؤكد أن الجانب الثقافي والاجتماعي الذي يراد فرضه على الحضارات الأخرى والإسلامية على رأسها هو جزءٌ مما أطلق عليه "صموئيل هنتنجتون": "صراع الحضارات" هذه الوثيقة وهي في حقيقتها تمثل مخططاً تحاول فرض مصطلح "النوع Gender " بدلاً من كلمة Sex والتي تشير إلى الذكر والأنثى أما النوع فمعناه رفض حقيقة أن الوضع البيولوجي هو المصير لكل فرد، ورفض حقيقة أن اختلاف الذكر والأنثى هو من صنع الله عز وجل وإنما الاختلاف ناتج عن التنشئة الاجتماعية والأسرية والبيئة التي يتحكم فيها الرجل. وتتضمن هذه النزعة فرض فكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، ومن ثَمَّ الاعتراف رسمياً بالشواذ والمخنثين والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان ومنها حقهم في الزواج وتكوين أسر والحصول على أطفال بالتبني أو تأجير البطون.

وتطالب الوثيقة بحق المرأة والفتاة في التمتع بحرية جنسية آمنة مع من تشاء وفي أي سن تشاء وليس بالضرورة في إطار الزواج الشرعي ؛ فالمهم هو تقديم المشورة والنصيحة لتكون هذه العلاقات (الآثمة) مأمونة العواقب سواء من ناحية الإنجاب أو من ناحية الإصابة بمرض الإيدز.

وتطالب "وثيقة بكين" الحكومات بإعطاء الأولوية لتعزيز تمتع المرأة والرجل بالكامل وعلى قدم المساواة بجميع حقوق الإنسان والحريات بدون أي نوع من التميز وحماية ذلك، ويدخل ضمن هذه الحقوق والحرياتِ: الحرياتُ الجنسية بتنويعاتها المختلفة والتحكم في الحمل والإجهاض وكل ما يخالف الشرائع السماوية، وتطالب الوثيقة الحكومات بالاهتمام بتلبية الحاجات التثقيفية والخدمية للمراهقين ليتمكنوا من معالجة الجانب الجنسي في حياتهم معالجة إيجابية ومسؤولة، وتطالب بحق المراهقات الحوامل في مواصلة التعليم دون إدانة لهذا الحمل السِّفَاح.

ولا تتحدث "وثيقة بكين" عن الزواج من حيث إنه رباط شرعي يجمع الرجل والمرأة في إطار اجتماعي هو الأسرة؛ وإنما ترى أن الزواج المبكتر يعوق المرأة، ومن ثَمَّ فهي تطالب برفع سن الزواج وتحريم الزواج المبكر. ولا ترد كلمة "الوالدين" إلا مصحوبة بعبارة "أو كل من تقع عليه مسؤولية الأطفال مسؤولية قانونية" في إشارة إلى مختلف أنواع الأسر المثلية، ولا تستخدم الوثيقة عبارة الزوج وإنما الشريك أو الزميل.

وتخاطب وثيقة بكين المرأة الفرد وليست المرأة التي هي نواة الأسرة، ولذا فالمرأة العاملة هي المرأة المعتبرة؛ أمَّا المرأة العاملة داخل البيت ربة الأسرة فيُنظر إليها باعتبارها متخلفة وخارج السياق الدولي الجديد؛ لأنها لا تمارس عملاً بمقابل، ولأنها ربطت نفسها بالزوج والأولاد والأسرة، ولذا فعبارة: "الأمومة" وردت حوالي ست مرات؛ بينما كلمة: "جندر" جاءت ستين مرة وجاءت كلمة "جنس" في مواضع كثيرة. إن وثيقة بكين التي أصبحت "مقررات بكين" ووقعت عليها 180 دولة هي أساس المرجعية الكونية البديلة والتي أشارت بوضوح إلى أن الدين يقف عائقاً أمام تحقيق هذه المقررات، ولذا ناشدت المقرراتُ المؤسساتِ الدينيةَ لكي تساعد على تحويل

مقررات مؤتمر بكين إلى واقع أي أن تصبح المؤسسات الدينية أحد أدوات المرجعية الكونية الجديدة التي يتبناها النظام العالمي ويسعى لفرضها على العالم.

وهنا لا بد من تأمُّل دور بعض المؤسسات الدينية الإسلامية في الموافقة على تمرير المطالب التي تفرضها الأجندة الدولية مثل حق الزوجة في السفر بدون إذن الزوج وكذا الأولاد القُصَّر بما في ذلك البنات. والمثير أن تستخدم الوثيقة كلمة (المساواة) للتعبير عن إزالة الاختلافات بين الرجل والمرأة، وتستخدم (التنمية) للتعبير عن الحرية الجنسية والانفلات الأخلاقي، وتستخدم كلمة (السلم) لمطالبة الحكومات بخفض نفقاتها العسكرية وتحويل الإنفاق إلى خطط التخريب والتدمير للأيديولوجية النسوية الجديدة؛ حيث تلزم مقررات بكين الحكومات المحلية بتنفيذ الأهداف الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد فيما يتصل بإقرار الأيديولوجية النسوية الجديدة، وذلك بمساعدة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

هذه هي المفردات الجديدة والمقررات التي يسعى النظام العالمي الجديد لفرضها أيديولوجية كونية على العالم. وبالطبع فإنه يستهدف من وراء ذلك ضرب مواطن القوة في الحضارات المختلفة معه.

وبالنسبة للحضارة الإسلامية فلا يزال الدين الإسلامي يمثل مرجعية للناس ونظاماً لحياتهم خاصة في مسائل الأسرة والأحوال الشخصية وفي مسائل الفكر والثقافة والاعتقاد وهو ما يزعج الأمم المتحدة والغرب ؛ إذ إن المسلمين يمثلون ملياراً وربع مليار نسمة، والعالم الإسلامي بإمكاناته وثرواته وأهله يهدد النظام العالمي الجديد بفقدان سيطرته عليه ما بقي الإسلام حاكماً للجوانب الاجتماعية والثقافية وللهوية، ولذا لا بد من تسديد الضرب إلى الصميم للقضاء على الهوية الإسلامية وعلى النظم الاجتماعية التي أثبتت أنها القلعة التي حمت العالم الإسلامي من السقوط والانهيار، ولذا فإن الصراع مع الغرب انتقل من السياسي والاقتصادي إلى الديني والثقافي والاجتماعي المتصل بالهوية والوجود؛ وهو ما يتطلب وعياً جديداً وأدوات جديدة ؛ كما يتطلب يقظة ومقاومة.

إن الإنسان: الرجل، والمرأة، والأطفال، والأسرة هم المقصودون بالهجمة العالمية الجديدة وهم المقصودون بالمرجعية الكونية البديلة للنظام العالمي الجديد؛ وعلى

عالمنا الإسلامي أن ينتفض ويستيقظ ؛ فإن وجودنا مرتبط بمدى ارتباطنا بكلمة: "مسلمين" اسماً وفعلاً ؛ وإلاَّ فالاستبدال كما قال تعالى : ((وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)) [محمد: 83]

==============

ثقافة العولمة

الجمعة :2002/02/08

(الشبكة الإسلامية) أحمد العلي

لم يكن انشغال الإنسان بشؤون الحياة الراهنة كما كان عليه الحال في الماضي القريب أو البعيد، وذلك نتيجة ظهور مجموعة من المعطيات تأتي في أولها ظاهرة العولمة التي أخذت حيزاً أكبر من مساحة البث الإعلامي الموجه عبر وسائله المختلفة ، والضجيج الهادف إلى الانتشار والهيمنة . شبه الشاملة . بشكل جديد ومغاير تماما لكل الإحداثيات السابقة واللاحقة على خبرات ومقدرات وطاقات الأمم والشعوب ، وبخاصة الضعيفة، وعرض وتسويق الأهداف المغرضة وفق أساليب متعددة الغايات وبرؤية مبيتة يشتم فيها الخبث بعينه عبر أبعاد متنامية ومفاصل متحركة ترمي إلى تحقيق أقصى درجات المكاسب المعنوية والأرباح المادية المنظورة بدقة والمبطنة بحذق بغية جني ثمار المعمورة بما فيها ومن عليها وما يدور في فضاءاتها العادية لمشيئة الرأس المدبر المدمر من خلال مفاتيح الترويج والتحكم عن بعد، المثيرة للغرائز والمشتتة للأفكار والمغرية للذوائق البشرية المشلولة الأطراف في بعض المواضع المحكومة بقدر الواقع الصدئ على اختلاف مستوياتها وتعدد اتجاهاتها وتنوع تياراتها وتلون مشاربها .

وأمام مجريات الأحداث نجد لدى الجانب المستهدف ردود فعل إيقاعاتها معطلة وأصواتها مبحوحة وإمكاناتها هشة على جميع الأصعدة ، وبخاصة في مجالات الفكر والثقافة والأدب، الأمر الذي بات يشكل حالة متعاظمة من القلق على المستقبل وخطورة كبيرة على حياة المجتمعات الإنسانية التي بدأت ملامحها تفقد الكثير من مصداقيتهاالأخلاقية وقيمها النبيلة، بعد أن أصبحت المساحة مفتوحة الأبواب على شتى أنواع الاحتمالات ومغلفة بأشكال وألوان وتراكيب فظيعة المحتوى

وواسعة الطيف، مصدرها العولمة الملطخة بالمفاجآت المدهشة والمذهلة، وبعصر تحكمه الفوضى نتيجة الإرهاصات الضاغطة والملمعة فوق العادة والمتعارف عليها التي تتقاذفها على مدار الساعة، بل في اللحظة، تقنيات البث والاتصال والتصنت والتردد عبر الفضائيات التي طالبت بمقبلاتها الطازجة كل مناحي الحياة، بقصد التعرية والتزييف ودس السموم في شرايينها عن سابق معرفة وبإصرار لتخريب جوهر الإنسان المتمثل بالعقل والروح، بل التعدي على الأعراف وتلويث الطينة الآدمية من رأسها إلى أخمص قدميها من غزو مرتكزاتها المتأثلة بالجذور والممتدة إلى التاريخ والتراث والحضارة التي لا يمكن تجاوزها بسهولة أو طمسها أبدا عن التهم الجاهزة والمضللة أو اختلاق النزاعات بالغطرسة كما نراها ونسمعها في الوقت الراهن المعاش .

فخصوصيات المجتمعات والأمم والشعوب المتشكلة عبر العصور وتوالي الدهور وتعاقب الأجيال من قيم ومبادئ وحريات وآراء من شأنها بناء الحضارة الإنسانية وتعزيز الاستقرار والأمن والسلام بين البشرية، لا يمكن تجاهلها بأي شكل من الأشكال أو تغليب الارتجال والانفعال الطائش على العقل كما هي حال الواقع في وجود الأورام والبثور و الاحتقانات في أنحاء عدة من الجسد المسجي في جميع الاتجاهات في الكرة الأرضية المتموضع على شبكة العنكبوت ، حيث تتناوبه الفتن والحروب والمجاعات التي تسوّر التخوم وتقضم الأخضر واليابس وتهرس أحلام الإنسان وتأكل طموحاته وآماله وتفقد عالم اليوم توازنه بعدما تخلى عن الكثير من مقومات الحياة وسلوكياتها الإيجابية وراح يتلطى على أبواب القرن الحادي والعشرين بعكاز العولمة الذي قد يلقي به في أتونها إذا لم يعد إلى لغة العقل والمنطق التي لا تجانب حقيقة الكون منذ فجر التكوين .

....

مجلة: " العالم ".

=============

منتدى العولمة يبدأ أعماله في نيويورك

الجمعة :2002/02/01

(الشبكة الإسلامية) بي بي سي – وكالات
يبدأ المنتدى الاقتصادي العالمي أعماله في قلب مدينة نيويورك المزدحمة، بعد أن جرت العادة على عقده في منتجع دافوس السويسري الهادئ .
وكان مؤسس المنتدى كلاوس شواب قد قرر عقد هذه الدورة من المنتدى في نيوروك تضامنا معها عقب أحداث 11 سبتمبر التي دمرت مركز التجارة العالمي وقتلت نحو أربعة آلاف شخص .
إلا أن ارتفاع تكاليف الوساطة المالية سنويا مع وجود آلاف من المحتجين فيما يعتبرونه مقهى لتجاذب أطراف الحديث للصفوة العالمية جعل الحكومة المحلية في المدينة تنظر لاستضافة المنتدى على أنها عبء عليها. فمن المتوقع أن يتجمع آلاف المحتجين في نيويورك أثناء انعقاد المنتدى.
وستبقى فرق شرطة مكافحة الشغب قريبة من مقر المنتدى وتعهد قائد شرطة نيويورك بإلقاء القبض على المتظاهرين إذا ارتكبوا حتى أبسط المخالفات .
ويسعى المنظمون لاستغلال الموقع الجديد للمنتدى لإضفاء مناخ جديد على أعماله . ورفع شعار "القيادة في أوقات عصيبة" ليعكس الشعور العام بفقدان الأمان عقب الهجمات والمنعطف الحاد نحو الانحدار في الاقتصاد العالمي .
ولكن ضمن هذا الإطار ينبغي على المشاركين مواجهة فكرتين أساسيتين: فمن ناحية ألقت الحرب ضد ما يسمى الإرهاب الضوء على الوجه الهش للأسلوب الذي يعمل به العالم اقتصاديا، وأيضا كما يقول بعض المشاركين، على الحاجة لتضييق الفجوة بين الفقراء والأغنياء .
ولكن حالة الاقتصاد العالمي المحفوفة بالمخاطر تساهم في تركيز عقول وأفكار المشاركين على كيفية إخراج دولهم أو مؤسساتهم من البئر العميقة التي وجدوا أنفسهم فيها.
ويخشى بعض المشاركين – من ذوي النفوذ – ان يفضل القادة الساسة من الدول الغنية غض البصر عن العلاقة بين الاضطرابات و التفاوت الاقتصادي بين البلدان.

وفي لقاء مع صحيفة الهيرالد تربيون حذر رئيس البنك الدولي جيمس ولفينسون من ضرورة توسيع نطاق المساعدات الممنوحة للدول الفقيرة على نحو كبير.
فقبل ثلاثة أشهر تقاسم ولفنسون منصة الخطابة مع الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان ووزير الخزانة البريطاني جوردونبراون ، للدعوة إلى مضاعفة المساعدات من حجمها المتواضع حاليا إلى مئة مليار دولار سنويا. إلا ان كلا من الكونجرس الأمريكي والبيت الأبيض يعارضان هذه الفكرة .
وقال ولفينسن إن إنفاق المزيد من الأموال لمحاربة الفقر ليست مجرد التزام اخلاقي ، بل انه يصب في صالح القادة السياسيين والماليين في العالم الذين يجتمعون في نيويورك لانه أيضا ضمان ضد وقوع مزيد من الإرهاب في المستقبل .
وأضاف قوله " لا يمكنك كسب الحرب ضد الإرهاب دون ان تكسب السلام ".
ومن المقرر ان يلقي أمين عام الأمم المتحدة كوفي عنان كلمة يوم الاثنين أمام المنتدى يقول المسؤولون بالمنظمة الدولية انهاستركز حول إبلاغ زعماء العالم بانهم يتجاهلون مشكلة الفقر العالمي ومخاطرها.
وقد ازدادت أزمة الدول الفقيرة حدة بعد ان قرر اوليسيجون اوباسانجو رئيس نيجيريا عدم المشاركة في المنتدى في آخر لحظة بسبب الانفجار الضخم الذي وقع في لاجوس وأودى بحياة اكثر من 600 شخص.
كما ان وزير خارجية إيران كمال خرازي لن يحضر المنتدى . ويقول المسؤولون إن ما دفعه لاتخاذ هذا القرار هو وصف الرئيس الأمريكي بوش إيران بأنها جزء من محور الشر في العالم في خطابه الأخير .
ويقول منتقدو المنتدى إن تلك الرسائل والأقوال تتكرر كل عام في نفس المناسبة.

==============

العولمة وصراع الحضارات

الاثنين :2002/01/14

(الشبكة الإسلامية) أ. د. جعفر شيخ إدريس – رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

{أُذِنَ للّذِينَ يُقَاتَلُونَ بأنهم ظُلِمُوا وإنَّ الله على نَصرِهِم لقَدِيرٌ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع

وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} [الحج: 40،39].

الصراع سنة ماضية، والصراع بين الحضارات إنما هو في جوهره صراع بين معتقدات لا بين طبقات ولا عرقيات. فأصحاب الطبقة الواحدة، والمنتمون إلى قومية واحدة بل قبيلة واحدة قد يقتل بعضهم بعضاً إذا اختلفت معتقداتهم.

على هذا تدل الآية الكريمة التي تشير إلى اعتداء أناس من قبيلة ، هي أشرف قبائل العرب ، على أناس آخرين من هذه القبيلة نفسها؛ لأنهم خالفوهم في معتقدهم. وهذا هو الذي توصل إليه دارسو الحضارات من الغربيين؛ فإنهم يكادون أن يكونوا مجمعين على أن الحضارة وإن تكونت من عناصر كثيرة إلا أن أهم عنصر فيها هو العنصر الثقافي، وأن أهم عنصر في الثقافة هو الدين. ويلاحظون أن كبرى الحضارات كانت إلى حد كبير مرتكزة على أديان.

فما الحضارة؟ وما الثقافة؟ وما العولمة؟ وما علاقة الصراع بين الحضارات بها؟

الحضارة والثقافة والعولمة

كلمات الحضارة والمدنية والثقافة والعولمة . وإن كانت عربية . إلا أنها جعلت في استعمالنا الحديث رموزاً تدل على المعاني والمفهومات نفسها التي تدل عليها الكلمات الغربية التي جعلناها ترجمة لها. فلننظر في تلك المعاني والمفهومات كما هي عند أهلها.

وأنسب ما نبدأ به هو الأمريكي هنتنجتون أول من أشاع تعبير صراع الحضارات في مقال مشهور نشر في صيف عام 1993م في مجلة Foreign Affairs بهذا العنوان، ثم نشر موسعاً في كتاب بالعنوان نفسه.

ينقل هنتنجتون عن عدد كبير من العلماء الغربيين تعريفهم لما أطلقنا عليه كلمة المدنية أو الحضارة civilization ، والفرق بينها وبين ما نسميه ثقافة culture؛ فما الحضارة أو المدنية وما الثقافة؟

يمكن أن نلخص مجمل أقوال من نقل عنهم هنتنجتون في مفهوم الحضارة والثقافة فيما يلي:

يضع المفكرون الألمان حداً فاصلاً بين الحضارة والثقافة، فالحضارة عندهم تشمل التقنية وسائر العوامل المادية، أما الثقافة فتشمل قيم المجتمع ومثله العليا وخاصياته الفكرية والفنية والخلقية الكبرى.

لكن سائر المفكرين الغربيين خالفوا الألمان في هذا؛ فهم يرون أن الحضارة والثقافة كليهما تشيران إلى منهاج حياة أمة من الناس، وأن الحضارة إنما هي الثقافة مكبرة، وأن كليهما يشمل القيم والمعايير والمؤسسات وطرائق التفكير السائدة في أمة من الناس، وأن الدين هو أهم العناصر المكونة للحضارة، وأن الحضارة ليست متطابقة مع العرق؛ فأصحاب العرق الواحد قد ينتمون إلى حضارات مختلفة، كما أن الحضارة الواحدة .كالحضارة الإسلامية . قد تضم مجتمعات مختلفة الأعراق والألوان والأشكال.

والحضارة هي أوسع وحدة ثقافية؛ فأهل قرية إيطالية مثلاً قد يتميزون ثقافياً عن قرية إيطالية أخرى لكنهم يشتركون في ثقافة إيطالية تميزهم عن أهل القرى الألمانية. والألمان والإيطاليون ينتمون إلى ثقافة أوروبية تميزهم عن الجماعات الصينية والهندية. هذا الذي يجمع الأوروبيين هو حضارتهم التي تميزهم عن الحضارات الصينية والهندية. فالحضارة هي أعلى تجمُّع ثقافي للناس، وأوسع مستوى للهوية الثقافية لهم. وليس فوق الانتماء الحضاري للناس إلا انتماؤهم إلى الجنس البشري.

أما العولمة فيمكن أن نقول إنها في أساسها تصيير المحلي عالمياً؛ فهي وصف لعمل مستمر تدل عليه كلمة Globalization لكنها في الوقت نفسه وصف لبعض نتائج هذا التعولم.

النتيجة النهائية المثالية للتعولم أن تكون للعالم كله لغة أو لغات مشتركة، وأن تكون التجارة فيه مفتوحة ومتيسرة بين كل بلدان العالم، وأن يسود فيه نظام اقتصادي واحد، ونظام سياسي واحد، وأن تسود فيه عقيدة واحدة، وأن تكون للناس فيه قيم مشتركة في مسائل كحقوق الإنسان والعلاقة بين الجنسين، وأن يكون هنالك أدب عالمي يتذوقه الناس كلهم، وأن يسود فيه تبعاً لذلك نظام تعليمي واحد، وهكذا. وأن تكون كل هذه الأمور التي تعولمت مناسبة للناس من حيث كونهم بشراً، ومساعدة لهم على تحقيق طموحاتهم المادية والروحية، أي تكون للعالم حضارة عالمية واحدة.

هذا هو الهدف النهائي المثالي، لكن العولمة قد تكون ناقصة، وقد تكون تامة من غير أن تكون مناسبة للبشر بل مفروضة عليهم لظروف طارئة.

المهتمون بقضية العولمة متفقون تقريباً على أنه وإن كانت الكلمة جديدة إلا أن ما تصفه ليس بجديد، بل يرى بعضهم أن السير نحو هذه العالمية بدأ منذ مئات السنين.

فإذا كانت هذه هي العولمة فما وسائلها التي تجعلها ممكنة وتحركها؟

يذكر بعض المؤرخين أنه كان للعولمة في الماضي سببان رئيسان هما الهجرة والغزو.

ولكن لنا أن نسأل: لماذا يهاجر الناس، ولماذا تغزو بعض البلاد بعضاً؟ إنهم يفعلون ذلك؛ لأنهم يرونه . بحسب قيمهم . في مصلحتهم المادية أو الروحية. هذا إذن هو الدافع الأول المحرك للهجرة أو الغزو أو أي نوع آخر من أنواع الاتصال بين أمة وأمة. لكن الناس إنما يقررون الهجرة إلى مكان معين أو غزو أمة معينة بحسب ما يصلهم من معلومات عنها، وبحسب إمكانية الوصول إليها. هذان إذن عاملان آخران هما المعلومات ووسائل الانتقال؛ وهذان يعتمدان كثيراً على مستوى التقنية الذي تصل إليه الأمة المهاجرة أو الغازية أو الساعية لأي نوع آخر من أنواع العلاقات أو التأثير.

دوافع أمة لغزو أمة أخرى أو هجرة بعضهم إليها هي في غالبها دوافع اقتصادية، لكن بعضها قد يكون ثقافياً. والأمران متشابكان؛ فحتى الغازي لأسباب اقتصادية ينقل معه ثقافته وقد يفرضها على المهزومين إذا كان غازياً ذا إمكانات كبيرة، وقد يتأثر بثقافة من غزاهم، بل وقد يتبناها ويترك ثقافته، وقد يكون التأثر والتأثير متبادلاً. والمهاجر أو الغازي لأسباب ثقافية قد يستفيد فوائد اقتصادية، وقد يحدث لثقافته التي هاجر من أجلها ما يحدث للمهاجر.

كان غزو المسلمين للعالم مثالاً للغزو بدافع حضاري؛ فقد كانوا يعدون أنفسهم أصحاب رسالة موجهة للعالم كله كلفوا هم بتبليغها إليه بالوسائل السلمية ما أمكن، وإلا باللجوء إلى الحرب. لكن حتى المسلمين الذين كانوا يهاجرون طلباً للرزق كانت مهمتهم الرسالية ماثلة أمامهم، فأثروا في البلاد التي هاجروا إليها تأثيراً كبيراً، فنقلوا

إليها ـ كما نقل الغزاة قبلهم ـ دينهم ولغتهم ولم يتأثروا بهم إلا في أمور لا تتعارض مع دينهم، بل قد يكون بعضها من مقتضيات الدعوة إليه، كتعلم لغتهم.

أما المسلمون الذين يهاجرون إلى البلاد الغربية في أيامنا هذه فإنهم يفعلون ذلك لأسباب في غالبيتها العظمى اقتصادية، وتجربتهم تدل على أن الغالبية العظمى منهم تفقد هويتها الثقافية ـ لغة ومظهراً وديناً ـ وتذوب في المجتمعات الغربية. لكن أكثر ما يحتفظون به ويؤثرون به في تلك المجتمعات هو طعامهم. غير أن قلة من هؤلاء الذين هاجروا لأسباب اقتصادية كانت ـ مع القلة التي تسافر لأسباب دعوية أو دراسية ـ سبباً في قبول بعض الغربيين للإسلام، وفي انتشار بعض المظاهر الإسلامية كالمساجد والمدارس والمكتبات والحجاب.

أما الغربيون الذين ذهبوا إلى العالم الإسلامي غزاة أو لأسباب اقتصادية فإن قلة قليلة منهم هي التي تأثرت بالثقافة الإسلامية أو اعتنقت الإسلام. ولذلك كان دخول بضعة آلاف من الجنود الأمريكان في الإسلام في المدة القصيرة التي قضوها في السعودية إبان حرب الخليج أمراً ملفتاً للنظر شاذاً عن القاعدة. لكن دخول غير الغربيين المهاجرين إلى العالم الإسلامي كان ولا يزال أمراً معتاداً.

أما غزو الغرب للعالم فقد كان في أساسه لأسباب اقتصادية، لكن الدافع الرسالي كان أيضاً حاضراً فيه حضوراً بيناً. فالغربيون كانوا يرون أن لهم رسالة هي أن يحضِّروا العالم ويجعلوه نصرانياً. وهم يرون أن حضارتهم تفوق الحضارات الأخرى لما تمتاز به من عقلانية لا توجد في غيرها، وأن هذه الميزة هي التي تؤهلها لأن تكون الحضارة العالمية. يرى أحد الأساتذة الأرجنتينيين أن أحسن من يعبر عن هذا الاعتقاد هو هيجل وينقل عنه قوله: «إن الروح الألمانية هي روح العالم الجديد». ويقول: إن هيجل يرى أن الروح الأوروبية التي هي روح ألمانيا هي الحقيقة المطلقة التي تحقق نفسها بنفسها من غير أن تكون مدينة لأحد سواها. ويقول ـ أعني الكاتب ـ: إن هذه القضية ـ يعني قضية هيجل ـ لم تفرض نفسها على أوروبا والولايات المتحدة فحسب؛ بل على كل المجال الفكري لأطراف العالم(1). ويقول أستاذ بجامعة ديوك الأمريكية: «إنه لأمر عجيب وإنها لحركة في غاية التعصب العنصري أن تعتقد أوروبا أن عليها منذ عام 1500م أن تحضِّر عالماً ظلت فيه منذ قرون

حضارات (مثل الحضارة الصينية والهندية والإسلامية...) قبل أن تجعل من نفسها مركزاً جديداً للعالم باسم النصرانية وأوروبا زمرة من الجماعات الهمجية الصاعدة»، وأحسن من عبر عن الجمع بين الدافعين الاقتصادي والحضاري هو المؤرخ الأسباني الذي سوغ ذهابه وزملاءه لغزو الجزر الهندية بقوله: «خدمة لله ولصاحب الجلالة، ولنقل النور إلى أولئك الجالسين في الظلام، ولنصير أغنياء كما أن كل إنسان يريد أن يصير».

استطاعت أوروبا أن تفرض نفسها وكثيراً من جوانب حضارتها على تلك الحضارات بالغزو والاحتلال والاستعمار، ثم بوسائل الإعلام والضغوط الاقتصادية، والتهديدات العسكرية.

يقول مؤرخهم المعاصر بشيء من الزهو:

«إن التغيير الذي حدث في تاريخ العالم بعد عام 1500م لم يكن له سابقة. لم يحدث من قبل ذلك أبداً أن انتشرت حضارة واحدة في أرجاء الأرض كلها؛ فمنذ أقدم مسارح ما قبل التاريخ المشاهدة كان الميل دائماً نحو التنوع. أما الآن فإن التيار الثقافي بدأ يتحول. إن جوهر ما كان يحدث كان بادياً حتى منذ أواخر القرن الثامن عشر. فالأمم الأوروبية . بما فيها روسيا . كانت في ذلك الوقت قد ادعت لنفسها أكثر من نصف سطح الأرض، وكانت . بدرجات متفاوتة . قد سيطرت بالفعل على ما يقرب من ثلثه. ففي غرب الكرة الأرضية كانوا قد ازدرعوا جماعات مستوطنة تكفي بأعدادها الكبيرة لإنشاء مراكز حضارية جديدة؛ فقد خرجت أمة جديدة من المقاطعات البريطانية السابقة في أمريكا الشمالية، وفي الجنوب استطاع الأسبان أن يحطموا حضارتين ناضجتين ليغرسوا حضارتهم».

ثم يذكر أنه كان هنالك في ذلك التاريخ ما يقرب من عشرين ألف هولندي في جنوب أفريقيا، وأن أستراليا كانت قد بدأت تستقبل مستوطنيها الجدد. وأن الزائر الأوروبي لشرق أفريقيا وإيران والهند وأندونيسيا كان سيجد فيها أوروبيين جاؤوا ليتاجروا ثم ليرجعوا إلى بلادهم في المدى القريب أو البعيد ليستمتعوا بالأرباح التي حققوها.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان الاستعمار الغربي قد شمل أفريقيا كلها، وأحكم سيطرته على شبه القارة الهندية وبقية آسيا. وفي أوائل القرن العشرين

أخضع الشرق الأوسط كله . عدا تركيا . لسيطرته المباشرة، ومع نهاية عام 1920م كانت الإمبراطورية العثمانية قد قسمت بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. في غضون هذا التوسع قضى الغرب قضاءً كاملاً على حضارتي (Meso american) و (Andean)، وأخضعت الحضارات الهندية والإسلامية وأخضعت أفريقيا. وتوغل في الصين وجعلت تابعة للنفوذ الغربي لمدة أربعمئة عام تمثلت العلاقة بين الحضارات في خضوع المجتمعات غير الغربية للحضارة الغربية.

ذلك ما كان حتى عام 1920م؛ فماذا حدث بعده؟ استمر الغرب في تفوقه التقني واستمر في تأثيره الكبير على كل مجتمعات العالم لا سيما بعد الطفرة التي حدثت في تقنية الاتصالات والانتقال والتي زادت في إمكانية العولمة.

تتمثل هذه الهيمنة الغربية الآن . كما لخصها كاتب أمريكي . في أن الأمم الغربية:

- تملك وتدير النظام المصرفي العالمي.
- وتسيطر على كل أنواع العملة الصعبة.
- وأنها هي الزبون العالمي الأول.
- وأنها هي التي توفر للعالم معظم بضائعه الجاهزة.
- وأنها تسيطر على أسواق الرأسمال العالمية.
- وأنها تمارس قدراً كبيراً من القيادة الأدبية في كثير من المجتمعات.
- وأن لها قدرة على التدخل العسكري العظيم.
- وأنها تسيطر على المضايق البحرية.
- وأنها تقوم بمعظم البحوث والتطوير للتقنية المتقدمة.
- وأنها المتحكمة في التعليم التقني الفائق.
- والمهيمنة على المدخل إلى الفضاء.
- وعلى صناعة الطيران.
- وعلى وسائل الاتصال العالمية.
- وعلى التقنية العالية لصناعة الأسلحة(1).

العولمة لم تكن . كما كان يرجى لها إذن . أن تسود في العالم ثقافة إنسانية تناسب كل الناس وتساعد على تعاونهم وتطورهم والاستفادة من خيرات بعضهم بعضاً. بل

كادت العولمة وكاد التحديث أن يكون تغريباً بسبب هذا التفوق الغربي وعدم تسامح حضارته مع الحضارات الأخرى.

إلى متى سيستمر هذا التفوق وهذه الهيمنة الغربية؟

يرى كثير من المفكرين الغربيين أنها لن تستمر طويلاً . على الأقل بهذا القدر الكبير. لماذا؟ هذا موضوع كبير لا يسعنا هنا إلا أن نشير إليه مجرد إشارات، فنقول:

1 - لأن سبب تلك القوة لم يكن لمجرد أسباب داخلية في الحضارة الغربية، وإنما كان أيضاً لظروف خارجية مواتية. أما الآن فإن ظروفاً خارجية أخرى لا قِبَلَ للغرب بتغييرها جعلته يضعف ضعفاً نسبياً للازدياد النسبي في القوة الاقتصادية والتقنية لبلاد غير غربية.

2 - يزداد تقديرنا لأهمية هذا الضعف النسبي للقوة المادية للدول الغربية إذا ما تذكرنا ما يقوله كثير من مفكريها بأن السبب الأساس لسيطرتها لم يكن قيماً ولا فكراً ولا ديناً وإنما كان هذه القوة. يقرر هنتنجتون هذه الحقيقة في صراحة عجيبة إذ يقول: لم يغلب الغرب العالم بتفوق في أفكاره أو قيمه أو دينه (الذي لم تعتنقه إلا قلة من أبناء الحضارات الأخرى) وإنما غلب بتفوقه في العنف المنظم. إن الغربيين كثيراً ما ينسون هذه الحقيقة، لكن غير الغربيين لا ينسونها أبدا.

بيد أننا يمكن أن نستدرك على هنتنجتون ومن يرى رأيه بأن الغرب وإن لم يكن في نفس الأمر متفوقاً في تلك المجالات إلا أن أهله كانوا يعتقدون فيه هذا التفوق، وأن هذا الاعتقاد الباطل كان دافعهم، مع الدوافع الاقتصادية للخروج لغزو العالم كما ذكرنا سابقاً.

3 - أما الآن فإن هذا الضعف النسبي في القوة المادية للغرب يصحبه وربما سبقه فتور في الدافع الرسالي؛ فحماس الغربيين لدينهم المسيحي في بداية قرنهم الواحد والعشرين لم يعد كما كان في القرن الثامن عشر، ولم يطرأ هذا الفتور في الحماس الديني بسبب التأثر بالحضارات الأخرى في المكان الأول، وإنما كان في أساسه:

- بسبب دراساتهم العلمية لأصول دينهم التاريخية، تلك الدراسات التي شككت في الثبوت التاريخي لكثير من نصوصه، والتي أثبتت أن في هذه النصوص تناقضاً

ومخالفة لبعض الحقائق العلمية نشأ عنه انقسامهم إلى أصوليين . أكثرهم من العوام . يؤمنون بحرفية ما في كتابهم المقدس، وليبراليين يعتقدون أنه ما كل ما فيه من عند الله، وأنه تأثر بالظروف الثقافية للزمن الذي كتب فيه.

– ثم كان التطور في مجال العلوم الطبيعية سبباً آخر ؛ لأن منهج هذه العلوم يقوم على عقلانية لا وجود لها في دينهم.

– ثم زاد من ضعف الإقبال على الدين أو الاهتمام به النظام السياسي العلماني الذي يفصله عن الدولة، بل وعن الحياة العامة كلها.

4 – كان كثير من المفكرين الغربيين يأملون في أن يحل العلم الطبيعي محل الدين، وينجح في حل مشاكل البشرية التي عجز الدين عن حلها. لكن تجربة الحربين العالميتين العظميين، واعتمادهما على التقنية الحربية التي وفرها العلم الطبيعي أضعفت من هذا الأمل. ثم كانت كارثة هيروشيما فاقتنع كثير من المفكرين والعوام الغربيين بأن العلم الطبيعي إنما هو سلاح يعتمد حسن استعماله أو سوؤه على قيم لا تؤخذ منه هو، فلا بد أن يكون لها مصدر آخر.

5 – والشيوعية . التي هي نتاج غربي . والتي تعلق بأوهامها الآلاف المؤلفة من الناس في الشرق والغرب، باءت هي الأخرى بإخفاق ذريع.

6 – لم يبق للغرب الآن مبدأ يتعلق به ويدافع عنه ويعتز به إلا الديمقراطية الليبرالية وما يصاحبها من نظام رأسمالي. لكن حتى هذين يجدان كثيراً من النقد والمراجعة لعدم وفائهما ببعض القيم الإنسانية، ولا سيما إنصاف الفقراء، ولما نتج عنهما من تعميق للروح الفردية وما يصحبها من مشكلات اجتماعية.

7 – الروح السائدة في الغرب الآن ليست روحاً متفائلة، بل إن التشاؤم قد يصل بهم إلى الحد الذي عبر عنه كاتب فرنسي أزعج ذلك الشعب وأثار تشاؤمه حين كتب يقول كما نقل عنه مؤلف إنجليزي: «إن أوروبا بدأت تدخل في عصر ظلام جديد يتميز بالأوبئة والمتسولين وانهيار المدن، وبعث الخرافة، وعودة التهديد القادم من الشرق . من آسيا ومن الإسلام»(1).

ولعلنا نستطيع أن نقول إنه حتى لو لم يطرأ هذا الفتور في حماس الغربيين لدينهم ولرسالتهم، فإنه ما كان لحضارتهم أن تصير حضارة عالمية إذا ما فقدت القوة

المادية؛ لأنها لا تملك في نفسها مقومات العالمية. لكن هذا موضوع آخر لا يسعنا الدخول في تفاصيله الآن، غير أن كثيراً من هذا القصور سيتضح إذا ما أظهرنا بعض مقومات عالمية الإسلام؛ إذ بضدها تتميز الأشياء. إلى هذا نتجه الآن وبه نختم مقالنا هذا.

ما الذي يؤهل الحضارة الإسلامية لأن تكون حضارة عالمية؟

أرى أننا ينبغي أن نميز أولاً بين الإسلام والحضارة الإسلامية؛ لأنه إذا كانت الحضارة هي في جوهرها المعتقدات والقيم والتصورات المتمثلة فعلاً . أو قل إلى حد كبير . في واقع أمة من الأمم، فما كل ما جاء به الدين المنزل من عند الله متمثلاً في الأمة التي تعلن إيمانها به. فالدين دينان: دين منزل من عند الله لا يتغير ولا يتبدل {إِنَّا نَّحَنٍ نَزَّلّنَا الذٌكًرّ وإنَّا لّهٍ لّحّافٌظٍونّ} [الحجر: 9] ودين متمثل في واقع الناس يقترب من الدين المنزل أو يبتعد عنه، ولا يطابقه إلا في الرسول الذي جاء به، والذي صدق عليه قول زوجه أم المؤمنين: «كان خلقه القرآن»(1)، أما غيره فمنهم من يقرب منه قرباً شديداً، ومنهم من يبتعد عنه بعداً كبيراً وإن كان منتسباً إليه. فالحضارة الإسلامية المتمثلة في واقع المسلمين تتأهل للعالمية بقدر قربها من الدين المنزل الذي تنتسب به. فما مقومات العالمية في هذا الدين؟ إنها مقومات كثيرة وعظيمة، لكننا نكتفي في هذا المقال بالإشارة إلى بعضها:

1 - أنه بينما كان الرسل من أمثال موسى وعيسى . عليهم صلوات الله وسلامه . يرسلون إلى أقوامهم خاصة فإن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة، أرسل رحمة للعالمين، وجعله الله خاتماً للنبيين. فحتى لو كان اليهود والنصارى المنتسبون إلى هذين الرسولين مستمسكين بدينهم الحق، لما جاز لهم أن يجعلوا منهما دينين عالميين بعد نزول الدين الخاتم؛ لأن الله . تعالى . إنما أرسل هذين الرسولين إلى قومهما خاصة وإلى فترة محدودة. فالمسلم المستمسك بدينه العارف بهذه الحقيقة يستبشر بالتطور الذي حدث في وسائل الاتصال والانتقال الذي جعل من العالم قرية واحدة كما يقولون. يستبشر به؛ لأنه يرى فيه تصديقاً لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلا أحد غير الله . سبحانه وتعالى . كان يمكن أن يعلم أن العالم سيتقارب هذا التقارب فلا يحتاج إلا إلى رسول واحد.

2 – أن إمكانية تقريب المسافات أمر حاضر في حس المؤمن الذي يقرأ قوله . تعالى ـ: {سِبۡحَانَ الذۨي أَسۡرَى بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلاً مِّنَ الۡمَسۡجِدِ الۡحَرَامِ إِلَى الۡمَسۡجِدِ الۡأَقۡصَا الذۨي بَارَكۡنَا حَوۡلَهُۥ} [الإسراء: 1]، وحين يذكر كيف أن المكذبين به صلى الله عليه وسلم ضاقت أعطانهم عن أن يروا إمكان ذلك، وحسبوا أن الممكن محصور في المألوف. ويقرأ المؤمن في كتاب ربه أن رجلاً عنده علم من الكتاب استطاع أن ينقل عرشاً بأكمله في أقل من طرفة عين من اليمن إلى الشام، ثم يقرأ في كتاب ربه ما هو أعجب من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى السماء السابعة ورجع في ليلة واحدة؛ وهي مسافة لو قطعها مخلوق بسرعة الضوء لاستغرقت منه البلايين من السنين الضوئية. ويصدق المسلم قول رسوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها».

3 – أن هذا الدين هو فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ فهو يخاطبهم بوصفهم بشراً وضع الله في قلوبهم أساسه؛ فهو ليس بالأمر الغريب عليهم. وما أكثر الذين شعروا بهذا حين أسلموا وفاضت أعينهم مما عرفوا من الحق.

4 – ومما يزيد المسلم اقتناعاً بعالمية دينه أنه أثبت في الواقع أنه ليس بالدين الذي تحده ظروف جغرافية أو مناخية، أو زمانية أو ثقافية؛ فقد اعتنق هذا الدين أناس بينهم كل أنواع تلك الاختلافات، فلم يجدوا في شيء منها ما يحول بينهم وبين الإيمان به أو وجدانهم شيئاً غريباً عليهم. فالمسلمون في كل بقاع الأرض الآن أقرب إلى دينهم من النصارى أو اليهود لدينهم. فما زال المسلمون رغم كل تلك الظروف المختلفة يصلون الصلوات الخمس، ويصومون شهر رمضان، ويحجون إلى بيت الله الحرام، ويقرؤون الكتاب المنزل على رسولهم من غير تحريف ولا تبديل.

5 – وإذا كان تطور العلوم الطبيعية يقف الآن حجر عثرة في طريق بعض الأديان الباطلة، فإنه يقف شاهداً على صدق هذا الدين؛ لأنه لا يجد فيه ما يخالف شيئاً من حقائقه، بل يجد فيه تقريراً لبعض تلك الحقائق قبل أن يتمكن الإنسان من اكتشافها بوسائله البشرية. ولا يجد فيه مخالفة لمنهجه العقلاني التجريبي؛ إذ يجده ديناً لا يأتي بمحالات العقول، ولا ينكر ما يشهد به الحس. فإذا ما شعر الناس بأهمية الدين . كما يشعر بذلك كثير منهم الآن . وإذا ما صدهم عما عرفوه من أديان تناقضها المنطقي،

أو مخالفتها للواقع المحسوس فسيجد ديناً فيه كل ما يريد من هدى واستقامة وراحة نفسية، وهو خال من تلك النقائص. فسيكون العلم الطبيعي بإذن الله ـ تعالى ـ سبباً من أسباب دخول الناس في هذا الدين على المستوى العالمي.

6 – والغرب وإن كان في مجموعه مهيمناً تلك الهيمنة التي ذكرناها سابقاً إلا أنه ليس شيئاً واحداً منسجماً متعاوناً، وإنما هو شعوب ودول وجماعات تختلف مصالحها ويثور التنافس والتحاسد بينها، ويرتاب بعضها من قوة بعضها ويخشى من سيطرتها.

إذا كانت تلك هي بعض المقومات التي تؤهل الإسلام ليكون دين القرية العالمية، ومركز حضارتها، فإن في واقع الأمة المنتمية إليه الآن ما يعرقل سيرها بدينها نحو تلك العالمية:

1 – أول تلك العوائق هو كون الحضارة الغربية قد نجحت في جعل بعض المنتسبين إليه عملاء لها في داخل الأوطان الإسلامية، ومكنت لهم فيها؛ فهم الذين قسموا الأمة وجعلوها متنازعة، وشغلوها بصراعات داخلية سياسية واجتماعية، فحالوا بذلك بينها وبين أن تسعى متكاتفة إلى الأخذ بأسباب التقدم المادي من علم طبيعي وتقنية وإنتاج؛ لأن وحدة الأمة ـ وإن كانت كافرة ـ شرط في هذا كما تشهد بذلك تجارب اليابان والأمم الغربية.

2 – وثانيها أن هذا النزاع كان وما يزال السبب في فقدان القدر اللازم من الحرية التي هي أيضاً شرط لذلك التقدم. لكن الغربيين الذين كانوا سبباً في فقدانها يعزون هذا الفقدان الآن إلى طبيعة العرب أو طبيعة الإسلام! وقديماً قال العربي: «رمتني بدائها وانسلَّت».

3 – وثالثها أن كثرة كاثرة من المنتمين إلى الإسلام قد حادوا عن جوهره التوحيدي، ففقدوا بذلك الشرط الذي علق الله ـ تعالى ـ نصره لهم عليه في مثل قوله ـ تعالى ـ: {وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ومَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [النور: 55].

4 – ورابعها أن الغرب يبالغ في خوفه من الإسلام، ويزيد في هذا التخويف أناس يبالغون في خطر البعث الإسلامي الجديد متخذين من هذا التخويف وسيلة لتحقيق مآرب لهم لا تمت إلى مصلحة الغرب في شيء؛ وأكثر من يعينهم على هذا ويعطيهم أدلة يفرحون بها أناس لا عقل لهم ينتمون إلى حركة البعث هذه يكثرون من التهديد والوعيد للغرب من غير أن تكون لهم مقدرة على تحقيق أدنى شيء منه. وبسبب هذا الخوف المَرَضي من الإسلام يبالغ الغرب في ضغطه على الدول الإسلامية والتدخل في شؤونها ليقضي على كل بادرة نهضة إسلامية تطل برأسها فيها، {واللَّهٍ غّالٌبِ عّلّى أّمًرٌهٌ ولّكٌنَّ أّكًثّرّ النَّاسٌ لا يّعًلّمٍونّ} [يوسف: 21] .

5 – مع كل هذا الخطر الغربي فإن بعض الدعاة عندنا يتصرفون وكأنه لا وجود للغرب نفسه؛ فلا يتتبعون أخباره ولا يهتمون بمعرفة سياساته ومخططاته، ولا يفكرون في الرد على أفكاره، وكأنهم لم يسمعوا بمثل ما قال عالم الجزيرة الشيخ السعدي . رحمه الله تعالى .: «إن معرفة أحوال الكفار من أعظم أبواب الجهاد». وصار هؤلاء الدعاة . بسبب هذه الغفلة . مشغولين بمحاربة أناس هم معهم في صف البعث الإسلامي. إن نقد الخطأ . ولا سيما ما كان في مسائل العقيدة . أمر واجب وعمل عظيم؛ لكن نقد أخطاء المسلمين شيء، وجعلها الشغل الشاغل عن الخطر الداهم شيء آخر.

================–

المهمات الجديدة في منظومة العولمة

الأربعاء:2002/01/09

(الشبكة الإسلامية) عبد الرحمن الحاج إبراهيم

الفكر الإسلامي على مفترق طرق : المهمات الجديدة في منظومة العولمة

أدت ثورة المعلومات والاتصالات إلى إنشاء مفهوم جديد للعالم ، وعلاقات السيطرة فيه ، والتقدم والتأخر، ليس من خلال تحول مفهوم القوة والسلطة من إرسال الجيوش والتلاعب بالحكومات فحسب ، بل بالسيطرة على القطاعات والشبكات الاقتصادية والثقافية والإعلامية العولمية، واستخدامها لتوزيع رأس المال الاقتصادي والثقافي

والاجتماعي والرمزي، وبالتالي لإنتاج المواقع الطبيعية الجديدة ، ومركز هذه السيطرة الرئيسي هو قطاع الثورة التقنية المعلوماتية، وما يرتبط به من نخب معولمة .

المهم في الأمر والخطير فيه أن الهيمنة الجديدة لا تحتاج إلى جهد خاص لتعميم طريقة حياة وسلوك وتفكير يعمل تمثلها على إعادة التوزيع المتفاوت جداً للثروة العالمية المادية والمعنوية و – من ورائه – على تحقيق السيطرة العالمية، كما كان عليه الحال في الحقبة السابقة (الرأسمالية) . إنها تراهن الآن – بالعكس – على بناء نمط متميز لحياة النخب (السياسية والاجتماعية والثقافية) وتفكيرها، يسمح بفصلها عن الكتلة الرئيسية ودمجها مباشرة في دائرة ثقافة الاستهلاك الخاص بها، إنها تقوم على خلق رأسمال ثقافي ورمزي مستقل، وثقافة نوعية للنخبة العالمية الجديدة تربط بين أفرادها، لذلك أصبحت الجبهة الرئيسية في حرب السيطرة العالمية هي جبهة المواجهة الثقافية ، الهادفة إلى التخفيض من قيمة الثقافات المنافسة، وتسويد صفحتها، لدفع نخبها إلى « التنصل منها، والانضمام إلى ثقافة النخبة المعولمة كونياً» على حد تعبير المفكر العربي برهان غليون.

إن ذلك لا يعني إلاّ تخفيض الثقافات الوطنية إلى مستوى الثقافات الشعبية ، أي التواصلية ، وإبعادها عن حقول السلطة الناجعة (السياسية والاقتصادية والعلمية) ، ومن وراء ذلك نزع السلطة السياسية والاقتصادية والرمزية عن المجتمعات وإعدادها للدخول في فلك ما نسميه الإمبراطورية العالمية .

الواقع أن شيئاً من هذا التوحيد الثقافي أخذ مجراه بسرعة مذهلة في المجتمعات الشرقية والغربية من اليابان فالهند والصين وأوروبا... وبقي العالم الإسلامي متأثراً بشكل أخف ، وما يزال القول بالأمركة (التي هي إحدى ثمرات العولمة) في العالم الإسلامي قولاً يحتاج تحققه إلى زمن طويل ، وإذا كان العالم الإسلامي ما يزال يشكل الرقعة الجغرافية الأكثر استعصاء على الأمركة ثقافياً ، فإنه ليس بعيداً جداً عن تأثيراتها.

وفي كل الأحوال هذا الوضع يضع مسؤولية جديدة على مفكري العالم الإسلامي (الإسلاميين بالدرجة الأولى) تتمثل في إيجاد فلسفة/ طريقة تفكير تمكن الثقافة الإسلامية من الصمود والفعالية .

إن المسألة لا تتعلق بموقفنا تجاه العولمة ، معه أو ضده ؛ لأن العولمة في الواقع جزء من واقع موضوعي يجتاح العالم . إن المسألة هي قدرتنا على التعامل مع العولمة والانخراط فيها.

فإذا كانت العولمة هي – من جهة – تمثل الثورة التقنية ، ومن جهة ثانية نتائج السيطرة على هذه الثورة والتحكم بها فإنه ليس بإمكاننا أن نطرح سؤال إمكانية رفض العولمة أو القبول بها، لأنه . على حد تعبير برهان غليون . من المستحيل لمجتمعات منخرطة جدياً في السيرورة التقنية والعلمية أن تطرح على نفسها مثل هذا السؤال : إن المجتمعات التي تطرح مثله هي تلك التي تعيش على هامش منظومة الفعالية التقنية والعلمية ، ولا تشعر بالمنافسة ولا بالمباراة الدولية في حقل الاقتصاد والإنتاج المادي منه والمعنوي ، فما دمنا نعيش في إطار نظام الرأسمالية فإن اكتساب هذه التقنيات التي تسمح بالاندماج العالمي ، أعني تقنية المعلوماتية والاتصالات ، يشكل هدفاًلكل قوة اقتصادية متفاعلة مع المنظومة العالمية.

إن القوى التي تسيطر على وسائل هذه التقنيات هي – وحدها –المؤهلة للحفاظ على مواقعهاوضمان تطورهاوتقدمها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في الحقبة القادمة ، فمن دون السيطرة على تلك التقنيات لن يكون لها حظ في الحفاظ على نفسها في المنافسة الدولية.

وطرحنا للسؤال يعكس تماماً طبيعة الموقع الذي نحتله في نظام العولمة الجديد ، أي بوضوح موقف الهامشية الكاملة.

إن المهمة الجديدة للفكر الإسلامي هي تأسيس « فكر » وصياغة المنظومة الفكرية الإسلامية بما يؤهلها للخوض في العولمة، والانخراط فيها لمواجهة ثقافة الأمركة .

ولا يبدو أن فكراً مؤهلاً لهذا التحدي بقدر ما يبدو الفكر الإسلامي ، الذي يقف على أرضية اعتقادية قادرة على التعامل مع العلم بالرغم من غيبيتها، وهو أمر لم يتوفر في منظومات عقدية أخرى.

إن قرارنا بعدم الانخراط في العولمة لا يعني أنه بإمكاننا تجنب آثارها، بل على العكس تماماً، سوف نكون في موقف التأثر وعدم القدرة مطلقاً على التأثير ، أي سيكون الفكر الإسلامي في موقع الدفاع والتحصن ، وليس فاعلاً في نظام الحياة ،

تماماً كما أن النظام الرأسمالي وحركته كانت مؤثرة على شعوب العالم بمطلقها بالرغم من عدم انخراط الكثيرين فيها.

لكن هذا الانخراط في العولمة يجب أن يترافق مع «تسويات» في العالم الإسلامي نفسه _ وهي المهمة الثانية – وأقصد بها الأوضاع المزمنة في العالم الإسلامي فيما يتعلق بقضايا الديمقراطية والحريات العامة والتنمية وحقوق الإنسان، وهي مسائل تتعلق بمجموعها بشرعية الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي ، وهي مسائل عالقة قديماً ، وكانت شاغلاً للفكر الإسلامي والتي شقته إلى حركي وتجديدي ، والوضع الآن أكثر عتواً ؛ فمصالح الولايات المتحدة أصبحت مرتبطة أكثر فأكثر بهذه الأنظمة في مواجهة الشعوب الإسلامية !

وفرضت مقولة « الحرب ضد الإرهاب » التي تقودها الولايات المتحدة على الأنظمة هذه إعادة النظر في « صورة الإسلام » الذي يتربى عليه أبناء البلاد في العالم الإسلامي لتعقيمها لتحول دون توليد ما تسميه أميركا« الإرهاب » .

لا شك أن قضية تعديل المناهج كانت ضرورية من قبل لأنها كانت غالباً مسيّسة، أي أنها صيغت لتكون منسجمة مع الأنظمة القائمة، وفي كثير من البلدان كانت مفرغة من مضمونها، بحيث تتساوى في كتب التعليم الرسمي للتربية الإسلامية أقوال البشر مع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التي تكون بمحاذاتها ، والآن المطلوب تسييسها مرّة جديدة لتتوافق مع سياسة الولايات المتحدة !!

المرحلة القادمة شديدة التعقيد ، والفكر الإسلامي يقف أمام مهمات جديدة أكثر صعوبة من قبل ، فهل يستطيع إنجازها في ظل التغيرات الدولية الجديدة ؟

=============

متظاهرو العولمة يشيدون بموقف قطر

الأحد :2001/11/11

(الشبكة الإسلامية) الدوحة – ق0ن0أ

أثنى أحد ناشطى المنظمات غير الحكومية على الاجراءات التى اتخذتها السلطات الامنية فى قطر فى التعامل مع المظاهرة السلمية التى قامت بها المنظمات امس

امام شيراتون الدوحة للتعبير عن رأيها بصورة سلمية تجاه برنامج عمل منظمة التجارة العالمية .

وقال والدن بيلو رئيس منظمة عولمة الجنوب غير الحكومية ومقرها تايلاند ان الحكومة القطرية تعاملت « بصورة مسؤولة جدا » مع مظاهرة امس .. معربا عن سروره بذلك.

واضاف فى تصريح خاص لوكالة الانباء القطرية ان رد فعل السلطات الامنية فى دولة قطر كان مختلفا جدا عن رد فعل سلطات الامن الامريكية فى سياتل او الايطالية فى جنوة حيث استخدم العنف الشديد ضد المتظاهرين هناك .. فقد كان تصدي السلطات الامنية فى دولة قطر للمظاهرة مناسبا ، وكان الرد هادئا ، ولم يتم استخدام العنف.

ووصف مظاهرة امس التى قام بها حوالى مائة شخص يمثلون مختلف المنظمات غير الحكومية بأنها سلمية.. وقال :لم يكن يساورنا شك فى اننا لن نتعرض لاى رد فعل عنيف من السلطات الامنية القطرية .

وقال بيلو ان دولة قطر رحبت بأية مظاهرات سلمية خلال المؤتمر.. مشيرا الى ان المظاهرة جرت بصورة تلقائية وبدون تخطيط سابق .

واوضح انه لاتوجد اية خطط اخرى للتظاهر لكنه اكد ان مثل هذه المظاهرات تأتى للتعبير عن الرأى فى مسألة معينة وان هذا هو ما يجمع بين هذه المنظمات.. وقال انه لا يوجد تنسيق معين تجاه ذلك بالنسبة لمؤتمر الدوحة كما كان فى المؤتمرات السابقة فقد كان هناك تنسيق لمظاهرات مثلما حدث فى سياتل .

وانتقد بيلو فى تصريحه اتهامات وجهها بعض المسؤولين فى منظمة التجارة العالمية بأن هذه المنظمات تنزع الى العنف وقال ان هذه المنظمات سلمية هدفها ايصال صوت العالم النامى الى المسؤولين فى المنظمة.

كما انتقد الطريقة التى يتم بها اتخاذ القرار فى منظمة التجارة العالمية قائلا ان اربعاً وعشرين او خمساً وعشرين دولة عادة ما تأخذ قراراتها فى مجموعة تسمى « جرين روم » وهذه معظمها من الدول الصناعية وتقوم بفرض سياستها وقراراتها على الدول الباقية الاخرى فى المنظمة.

واضاف بيلو ان المنظمة تفتقر الى الشفافية وان قرارها يخلو من الديمقراطية فهى منظمة « غير ديمقراطية » .
وضرب بيلو على ذلك مثالا بالقول ان مجموعة « جرين روم » اجتمعت فى سنغافورة فى منتصف اكتوبر الماضى بصورة منفردة للاعداد لمؤتمر الدوحة ولم تستطع الدول النامية المشاركة ولم يتمكنوا من التعرف على الجهات المنظمة لهذا الاجتماع.
وفى تصريحات مماثلة لوكالة الانباء القطرية قال جوشوا مات من اتحاد العمال التقدمى فى الفلبين « اننى مسرور لسعة صدر الحكومة القطرية فى التعامل مع المظاهرة امس » وان المظاهرة قد انتهت دون اية مشاكل .
وقال ان هذه المظاهرة لو كانت فى الفلبين لما كان ردة فعل السلطات الامنية نفس الشىء.

================

العولمة والعولمة المضادة

الاثنين :2001/09/24

(الشبكة الإسلامية) – دمشق

العولمة والعولمة المضادة

كتاب قيم لم يكتشف بعد

المؤلف د. عبد السلام المسدي – الناشر : مجلة سطور – كتاب سطور – القاهرة – مصر 1999 .

العولمة .. تلك اللفظة التي أصبحت تلوكها الألسنة صباح مساء في كل مكان من هذا العالم المترامي الأطراف .. الصغير إعلاميًا ، فما قصة ذلك ؟

العولمة هي نمط سياسي اقتصادي ثقافي لنموذج غربي متطور خرج تجربته عن حدوده لعولمة الآخر بهدف تحقيق أهداف وغايات فرضها التطور المعاصر . والعولمة ظاهرة قادمة من الغرب من مجتمعات متقدمة حضاريًا متجهة إلى مجتمعات نامية ومتخلفة والتعامل معها بنجاح يتطلب بناء الذات والارتقاء بها في المجالات المختلفة حتى يكون التعامل مع تلك الظاهرة إيجابيًا .

وتتمثل العولمة في مجموعة من التوجهات ذات البعد المستقبلي وتدور حول قضايا مثل الديمقراطية والليبرالية الغربية واقتصاد السوق الحر .. إلخ .

ويرى منظورها ومؤيدوها أنها إيجابية في العموم ، بيد أن آخرين يرون فيها مخاطر أساسية عديدة حيث تثير المسألة عددًا من الأسئلة الصعبة التي تنتظر الإجابة مثل:

هل ستؤدي العولمة إلى تحطيم الحدود بين الأقطار وإذابة الهوية القومية ؟

وهل سيسود الغرب المتقدم بنمطه الاقتصادي الرأسمالي ويعولم الاقتصاد والثقافة والوضع السياسي في العالم لحسابه لعدم قدرة الدول النامية على مواكبة تطور العالم الأول والتعامل معه نديًا على كل المستويات ؟

وهل في إمكان العرب – كجزء من العالم النامي – تطوير أوضاعهم في المستقبل المنظور للتعايش السلمي والإيجابي مع ظاهرة العولمة ؟

هل العولمة جريمة في المصطلحات والمفاهيم التي تظهر في قاموس السياسة والاقتصاد والثقافة بين الحين والآخر أم هي واقع حتمي معاش وقادم ؟

ولكن كتاب الدكتور عبد السلام المسدي "العولمة والعولمة المضادة" ليست السياسة مقصده والاقتصاد ، وإنما الغرض المنشود هو المسألة الثقافية بكل أعماقها وأبعادها وسطوتها الشاملة . فخطاب العولمة قد شاع وعمّ ويكاد يستفحل أما خطاب العولمة المضادة فإنه لم ير النور بعد وإن حملت به كل النفوس التي أخلصت إلى الإنسانية مهجتها على حد تعبير المؤلف .

ويرى المؤلف أنه بين العولمة والعولمة المضادة سيحاول أن يخترق الحجب ويمشي على الأشواك كي يميط الأقنعة عن الثقافة العربية في مواجهتها للنظام العالمي الجديد .

وينتهي المؤلف في حديثه حول الرابطة الثقافية إلى ضرورة مراجعة ثنائية الشرق والغرب تلك التي خللت أدبيات الخطاب العربي جغرافياً فسياسيًا فثقافيًا .

ثم يتجه المؤلف إلى وضع ثقافتنا في مقابلة المعادلة الحضارية مستمدًا من الثنائية التي شدد على ضرورة مراجعتها منطلقًا إلى هذا الوضع المقابل الذي تفرضه المعادلة الحضارية أو الوضع الحضاري الراهن الذي فتحت فيه آفاق الشخصية العربية للدرجة التي تأكدت فيها في السنوات الأخيرة رغبة للقارئ العربي – ولا سيما

في المشرق – في متابعة ما يكتب في المغرب العربي في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية . وتحت عنوان "العرب ومصالحة التاريخ" يرى المؤلف أنه لم يتشكل للعرب مشروع ثقافي جامع وأن الواقع التاريخي قد انتهى بالفكر العربي إلى أن يعالج قضاياه الثقافية من ذات الموقع الذي ينظر فيه إلى حاله الحضارية وهو مركون إلى الزاوية الثقافية .

ويحدد المسدي الطرق التي يجد المثقف العربي نفسه وقد وجب عليه الخيار منها وهو يبحث عن الذات الجماعية ووضعها من النظام الكوني الجديد لأنها نشاط إنساني لا يتوقف ، ذلك النشاط الذي يأخذ في التشكل بصورة لا نستطيع إنكارها ، لذا يقف المسدي عند وضعية الثقافة في هذا النظام ، طارحًا الوضع القائم في الدول الكبرى والنامية على حد سواء ، وعارضًا للاهتزازات العالمية التي أدت إلى هذا الوضع القلق ، حيث نجد الثقافة نفسها في قلب الإعصار الكوني الجديد ؛ لأنها العنصر المتفجر في دواليب العولمة الاقتصادية ؛ ولأن المسدي قد توقف عند الكثير مما من شأنه أن يكشف النقاب عما هو غائب عنا أو مغيّب عن أزماننا فلا مجال أمام العرب اليوم للانخراط بكفاءة واقتدار في المنظومة الإنسانية بكل أبعادها إلا بجهة ثقافية عتيدة ، ولا فكر بدون مؤسسات علمية متينة ولا علم بدون حرية معرفة ولا تواصل ولا تأثير بغير معرفة قومية تضرب جذورها في التاريخ الشارف بشموخ حاجة العصر وضرورات المستقبل .

واستخدم المؤلف ، أو بتعبير المؤلف نفسه ، سيتوسل بمنهج يستحدث تطبيقه في هذا السياق لهذا الغرض هو المنهج السيميائي متخذًا من الظاهرة السياسية الاقتصادية منظومة من القرائن والعلامات والأمارات يفك شفرتها بواسطة المجهر الثقافي .. فالكتاب بحث في سيمياء الثقافة بين الفكر العربي والنظام العالمي .

ومنذ مطالعة العنوان قد يبدو للقارئ الذي تعامل مع المسدي الناقد في أعمال نقدية – فالمسدي له أعمال نقدية كثيرة من أهمها : الأسلوبية والأسلوب ، النقد والحداثة ، قاموس اللسانيات (عربي فرنسي – فرنسي عربي) مع مقدمة في علم المصطلح ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، قضية البنيوية ، فتنة الكلمات ، وغيرها من المؤلفات القيمة – أن المؤلف يقارب الحياة من منظور سيميائي وهو واحد من المفاهيم التي

قد يجد المتلقي نفسه إزاءها ، ولكن المؤلف الذي مارس أعمالاً من شأنها أن تجعله لا يترك الأمور متماهية دون تحديد يعمد إلى توجيه رسالة إلى قارئه تأتي في موضوعها كاشفة عن كثير من مقاصر المؤلف .

ويعمد المؤلف إلى وضع مفهوم للرابطة الثقافية حيث يراها ثورة في العلاقات الإنسانية لأنها تصدر عن مراجعة جذرية لفلسفتها وإعادة ترتيب لمدارج سلم القيم الذي تقوم عليه ، ويكفي أنها تلغي من الجذور صورة التفاضل الذي ساد التفكير البشري ردحًا من الزمن .

وأخيرًا فإن كتاب المسدي "العولمة والعولمة المضادة" كتاب قيِّم ولكنه لم يكتشف بعد ، فلقد صدر الكتاب ولم يكتب عنه أحد .

============

تحضيرات مكثفة لمناهضة العولمة في بيروت

الأربعاء:2001/08/29

(الشبكة الإسلامية) مراسل دمشق

بيروت . دعا المدير التنفيذي لشبكة المنظمات غير الحكومية العربية للتنمية (وهي شبكة تضم 450 منظمة من 12 بلداً عربياً) والمسؤول السابق للعلاقات الخارجية لجمعية النجدة الشعبية اللبنانية زياد عبد الصمد ، في نهاية شهر حزيران عدد من الهيئات اللبنانية لإجراء تحضيرات للمنتدى الدولي العربي الأول لمناهضة العولمة . وشملت الدعوة مختلف الفئات والجمعيات الأهلية اللبنانية غير السياسية ، وخرجت الاجتماعات التحضيرية بإعلان مبادئ تتضمن اعتبار أن العولمة :

1- تمركز الاقتصاد العالمي في قبضة عدد من الشركات العالمية وتهميش كل شعوب العالم .

2- تخدم الاتفاقيات المعقودة في كل المجالات تحرير الأسواق ، وذلك لمصلحة الشركات العملاقة على حساب الاقتصاد الوطني للبلدان النامية .

3- ترفض الدول الغنية مناقشة الإشكاليات التي تعاني منها المنظمة على الرغم من الضغوطات التي تتعرض لها .

4- تجاهل القوى الأساسية في المنظمة مطالب البلدان النامية .

5- يعاني العالم العربي من تحدي العولمة .
6- يستعد لبنان للدخول في منظمة التجارة العالمية من دون اعتماد آلية تشاور وطنية .

وانطلاقاً مما سبق ، رفع اللقاء مطالبه على المستوى العالمي والتي شملت توقيف التوسُّع الذي يستهدف قطاعات تؤذي البلدان النامية ، كالاستثمار والمنافسة والمشتريات الحكومية والتقنيات البيولوجية وتسريع تحرير الرسوم الجمركية ، كما تضمنت مطالب اللقاء حماية الحقوق والخدمات الأساسية ، والنظر في اتفاقيات حماية حقوق الملكية الفكرية التي ستؤدي إلى حرمان البلدان النامية من نقل التكنولوجيا .

في حين أن مطالب اللقاء على الصعيد العربي اقتصرت على السعي لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي الذي يأخذ بالاعتبار خصوصية كل بلد .

أمّا لبنانياً ، فدعا اللقاء للقيام بمراجعة نقدية للسياسات الاقتصادية وأولوياتها ، وذلك في ما يتعلق بالخصخصة ، ودعم بعض السلع والسياسات الضريبية ، وحماية المنتجات والشركات الوطنية وسياسات الرعاية الاجتماعية والصحية .

الأنشطة والتحضيرات المقترحة :

بما أن ميزانية تلك الأنشطة والتحضيرات المقترحة لم توزع علناً ، فقد تم تداولها بواسطة بعض الجهات التي رفعت إليها الميزانية ، سعياً وراء الحصول على التمويل .

وكان اللقاء الاستراتيجي لمنظمة التجارة العالمية ، والذي عقدته المنظمات غير الحكومية في جنيف في آذار 2001م قد أقر ضرورة عقد منتدى دولي للمنظمات غير الحكومية بمؤازاة المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في الدوحة .

وارتأت الشبكة العربية للمنظمات الأهلية - بعد عقد اجتماعها في القاهرة في نيسان الماضي ، وبعد التشاور مع المنظمات العالمية - أن بيروت هي الأنسب . وبعد تلخيص إعلان المبادئ وإعطاء لمحة عن اللقاء الوطني حول منظمة التجارة العالمية ، يذكر المشروع المقترح تشكيل خمس لجان هي اللجنة الإعلامية ، واللجنة

المسؤولة عن العلاقة مع الحكومة اللبنانية ، واللجنة الإدارية ، واللجنة الخارجية ، ولجنة المعلومات .

أمّا الأنشطة المقترحة للمنتدى الدولي المزمع عقده في بيروت بين 6 و8 تشرين المقبل فتشمل :

1- خطة مطلبية فعلية تتضمن لقاءات مع المجموعات المختلفة من نقابات وشباب إلخ.. وورش عمل متخصصة ومظاهرات عامة كبيرة ، ومواد إعلامية تثقيفية .

2- استراتيجية إعلامية فعالة تستهدف الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب ، بالإضافة إلى نشر معلومات ووقائع حول منظمة التجارة العالمية .

3- حملات ضغط تستهدف الرسميين ورئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والنواب والمجموعات السياسية (أحزاباً ومنظمات) والمجلس الاقتصادي والاجتماعي .

4- التنسيق والتعاون والتشبيك محلياً وإقليمياً وعالمياً ، بهدف إطلاق حملة استراتيجية ضد التفاوت الناجم عن نظام التجارة العالمية .

وأخيراً تأتي ميزانية المشروع انطلاقاً من الحاجة إلى تغطية كلفة الأنشطة .

وشارك في الاجتماع التحضيري الدولي الأول للمنتدى ثلاث دول عربية (فلسطين والأردن والمغرب) ، وهو تمثيل يعتبر محدوداً ، وعدد من المنظمات الدولية .

ومن اللافت اشتراك ممثلة المعهد الوطني للديمقراطية National Democracy Insitute في المنطقة « هبة الشاذلي » ، ومن المعلوم أن هذا المعهد يمول مباشرة من قبل الكونغرس الأمريكي ! فيبدو أن منظمي المنتدى ، يطمعون بتمويل بعض الورش والندوات من قبل هذا المعهد ، وهو ما يفرض - بشكل فاضخ - مساومات سياسية !

هذا ويعتبر التمثيل اليساري قليلاً نسبةً إلى عدد من المشاركين الباقين الذين يمثلون هيئات خيرية وطوائف دينية وعرقية .

==============

 # الحفاظ على الهوية العربية يستلزم التصدي للعولمة

الأربعاء:2001/07/18

(الشبكة الإسلامية) ميدل إيست

القاهرة – أكدت دراسة إعلامية متخصصة أنه على الرغم من الآثار الإيجابية للعولمة في المجالين الإعلامي والثقافي في المنطقة العربية إلا أن لها الكثير من الآثار السلبية التي ينبغي على المجتمعات العربية التصدي لها من اجل المحافظة على هويتها.

وذكرت الدراسة التي أعدتها الدكتورة ماجدة صالح الأستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة أن الآثار الإيجابية للعولمة في المجالين الإعلامي والثقافي شملت إحداث تغييرات نوعية في أنماط ومستويات الخدمة الإخبارية التي تقدمها وسائل الاتصال وظهور ما يعرف بدبلوماسية الاقمار الصناعية والإعلام الالكتروني.

ورأت الدراسة التي جاءت تحت عنوان : الآثار الإعلامية والثقافية للعولمة على دول المنطقة العربية وإمكانية مواجهتها" إن العولمة مرادف "للأمركة" وهو مايعني سعى القطب الاوحد، اي الولايات المتحدة، إلى فرض سيطرتها على العالم في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية خاصة بعد سقوط نموذج الاتحاد السوفييتي وانفراط عقد المعسكر الاشتراكي.

ولاحظت الدراسة انه من المثير للانتباه رواج الثقافة الاميركية في المنطقة العربية بالرغم من تدنى مستواها سواء بمقارنتها بالانشطة الثقافية داخل الولايات المتحدة او بما تصدره الدول الاوروبية للمنطقة العربية.

وارجعت رواج الثقافة الاميركية في الدول العربية لعدة اسباب من اهمها ادراك الولايات المتحدة مبكرا ان الثقافة المتدنية اكثر رواجا من الثقافة الراقية التي تنحصر بين الدوائر الفكرية والمثقفين ، فضلا عن ان طبيعة المجتمع الامريكي الذي يضم انتماءات عرقية متباينة وقادرة على استيعاب جميع الهجرات الوافدة اليها وبالتالي فهو مجتمع منفتح استطاع ان يضع ثقافة واسعة الانتشار.

وذكرت الدراسة الاعلامية ان من اسباب رواج الثقافة الامريكية في المنطقة العربية توافر الامكانيات المادية والعلمية التي دعمت المنتجات الثقافية الاميركية من سينما وتلفزيون وموسيقى، اضافة الى تفوق الولايات المتحدة خلال النصف الثاني من القرن الماضي في مجال التعليم العالي والبحث العلمي على اوروبا.

واوضحت الدراسة انه يوجد ما يقارب 120 الف جامعة ومعهد تفتح ابوابها امام جميع الدارسين من انحاء العالم وتقوم بتخريج الآلاف ليعودوا الى بلادهم حاملين معهم الثقافة الامريكية ويقوموا بنشرها بين مجتمعاتهم ، واصفة الثقافة الامريكية بـ "النمطية والسطحية" باعتبارها تساعد على انتشار ثقافة الاستهلاك وتقتل الابداع وتجعل المتلقي سلبيا.

ثقافات لا تقبل الخضوع لأميركا:

وذكرت الدراسة ان الدول الغربية واليابان وكندا واستراليا استشعرت "خطر الغزو الثقافي الاميركي " وتصدت له واخذت تشجع انتاجها المحلى وتنتقى الافضل فيما ظلت الدول النامية – وتحديدا المنطقة العربية – عاجزة عن اتخاذ القرار الحاسم للحد من هذه الظاهرة.

واستشهدت باحصائيات منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونيسكو) عن دول المنطقة العربية والتي بينت ان شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث اجمالي البث كما في مصر وسوريا، اونصف اجمالي البث كما في تونس والجزائر ، اما في لبنان فان مواد البث المستوردة تصل نسبتها الى58.2 بالمائة.

ولاحظت الدراسة ان وسائل الاعلام العربية لا تكتفي بهذا التدفق الاعلامي والثقافي الاجنبي بل تقدم اغلب البرامج الاجنبية بلا ترجمة الى اللغة العربية، وان اخطر ما في الامر ان ثلثي برامج الاطفال تبث بلغة اجنبية، مشيرة الى تراجع وسائل الترفيه الشعبية التقليدية كالحكايات والفرق الجوالة والغناء الشعبي.

ورأت ان التيار الاسلامي الذي يعد من اكثر التيارات تشددا بشأن الهوية والثقافة اتجه نحو الاستفادة من ايجابيات العولمة دون سلبياتها باستخدام التقنيات الحديثة وشبكات الانترنت في الدعاية لنفسه وترويج خطابه السياسي والتنسيق فيما بين اجنحته.

ولاحظت الدراسة ايضا ارتفاع العديد من الاصوات في الدول العربية كافة تنادى بالتمسك بالهوية القومية في مواجهة مشروع "الشرق اوسطية" الذي يهدف الى استبدال هوية المنطقة بهوية اخرى تضم اسرائيل ، مشيرة الى ان الدول العربية كانت

من اوائل الدول التي طرحت على منظمة اليونيسكو فكرة الخصوصية والذاتية الثقافية.

واوضحت ان الخلافات السياسية بين الدول العربية عاقت خروج مشروع حضاري حول الخصوصية الثقافية العربية كان من الممكن ان ينجح في اجتذاب جميع النخب الثقافية.

واكدت الدراسة ان آليات مواجهة الغزو الثقافي الاميركى تتطلب انماء الذاتية الثقافية العربية اضافة الى بناء قاعدة تكنولوجية علمية عربية.

ودعت الى تبنى مفهوم صحيح للديمقراطية، مشيرة الى ان المشكلة التي تواجه الثقافة العربية لا تكمن فقط في مسالة حرية وسائل الاعلام او انفلاتها بقدر ماتكمن في مسألة حرية المواطن وتأهيله في مجال المشاركة الديمقراطية في مجتمع

==============

#شباب أوروبا ضد العولمة.. والأمركة

الاثنين :2001/06/18

(الشبكة الإسلامية) وكالات

لم يسبق للمملكة السويدية منذ عشرات العقود أن شهدت تظاهرات عارمة وصاخبة كتلك التظاهرات التي كانت مدينة غوتنبورغ مسرحا لها على هامش انعقاد القمة الأوروبيّة والتي شارك في جزء منها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن.

و قبل انعقاد هذه القمّة بيومين فقط ألقت مصالح الأمن السويدية القبض على خمسة دانماركيين معارضين للعولمة والاتحاد الأوروبي والقيّم الغربيّة كانوا يخططون لإفشال القمّة باستخدام الذخيرة الحيّة، وقد كمن هؤلاء الدانماركيون على مقربة من مكان انعقاد القمّة الأوروبية .

وتشاء الظروف أن يكون الشباب السويدي والأوروبي هو المتورّط في أكبر عملية تخريب ونهب وعنف في مدينة غوتنبورغ السويدية حيث لجأ الشباب الأوروبي الى التهجّم على الشرطة السويدية وتحطيم واجهات المطاعم الأمريكيّة ماكدونالدز ، بالإضافة إلى التهجّم على كبريات المحلات في المدينة .

ونظرا لهذه الوضعية الأمنيّة الخطيرة فإنّ الزعماء الأوروبيين اضطروا إلى إلغاء حفل عشاء بتاريخ 2001/6/15 ، وقد أستخدم المتظاهرون في مدينة غوتنبورغ الحجارة ضدّ رجال الأمن والمحلات و حطموا سيارات الشرطة السويدية الأمر الذي جعل الشرطة السويدية تطلق النار لتفريق المتظاهرين الذين جاؤوا من مختلف الدول الأوروبيّة وخصوصا في ظل سهولة تنقل الأوروبيين من دولة أوروبيّة والى أخرى , و تعتبر حركة هجوم الأوروبية atak الرافضة للغرب وقيّمه ولأمريكا والعولمة وراء الكثير من الأحداث التي عرفتها مدينة غوتنبورغ السويدية , وحسب المصادر السويدية فانّ مئات المتظاهرين تمّ نقلهم إلى المستشفيات فيما جرح العديد من رجال الشرطة . وكان المتظاهرون قد استمروا في حركة الاحتجاج الواسعة حيث تدخلت الشرطة السويدية ليل 15 – 06 – 2001 لتفريق المتظاهرين في الساحة المركزية لمدينة غوتنبورغ .

وقد كان القادة الأوروبيون منزعجين من هذه التظاهرات حيث وصف رئيس الوزراء السويدي يوران بيرشون هذه الجماعات المتظاهرة بأنّها جماعات إجرامية . ومهما كانت مواقف الزعماء الأوروبيين من هذه التظاهرات والمتظاهرين فإنّ كل المراقبين في السويد ودول الاتحاد الأوروبي يجمعون على أنّ هناك تيارا بدأ ينبلج بين الشباب الأوروبي ضدّ الأمركة والعولمة

==============

تحديات العولمة

الأحد :2001/06/17

(الشبكة الإسلامية) طهران –وكالات

أشاد رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية في ايران بالنجاح الذي تحقق في مجال التقريب بين السنة والشيعة، مؤكدا ان المساحة المشتركة بين السنة والشيعة تصل الى 95% ولا تتجاوز نسبة الاختلاف 5% وقال ان رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية تبذل جهودا كبيرة لتحقيق التقارب بين المذاهب الاسلامية فقد انشئت مجمعا عالميا للتقريب بين المذاهب وجامعة عالمية لتدريس المذاهب في طهران. ودعا في حواره على هامش مشاركته في المؤتمر الاسلامي الدولي في القاهرة الى

تفعيل دور منظمة المؤتمر الاسلامي والنهوض بها وتعميق العلاقات بين الدول الاسلامية لمواجهة التحديات الثقافية التي تحيط بالأمة.واكد ان المرأة الايرانية تتمتع بالحرية وتساهم في صنع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومختلف المجالات. وقال: انه لا يوجد صراع بين المحافظين والاصلاحيين في ايران، وانما هناك اختلاف في بعض القضايا لا يرقى الى درجة الصراع. * ما أهم الانشطة التي تقوم بها رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية؟ـ الرابطة تشرف على جميع الانشطة الثقافية الايرانية في الخارج وتصدر حوالي سبعين مجلة وتشرف على المستشارين الثقافيين ودور الثقافة الايرانية في دول العالم، وتتولى الرابطة اختيار الوفود التي تشارك في المؤتمرات الدولية وتعمل على ايجاد حلقات للحوار بين المذاهب الاسلامية والاديان الآخرى، وتختص الرابطة ايضا بإرسال العلماء ومسؤولي المراكز الاسلامية وقراء القرآن الى الخارج، فإيران لها اكثر من ثمانية مراكز ثقافية في مختلف انحاء العالم، والرابطة تقدم مساعدات ثقافية لكل المسلمين في العالم ومن ضمن انشطتها العمل على تحقيق التقارب والتفاهم بين المذاهب الاسلامية.* ما الذي استطاعت الرابطة تحقيقه في مجال التقريب بين المذاهب فقد تم انشاء مجمع عالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية على غرار دار التقريب بين المذاهب الاسلامية التي انشئت في الخمسينات بالقاهرة، وهذا المجمع انشأ جامعة عالمية في طهران لتدريس المذاهب الاسلامية وايجاد روح التقارب والتعاون بين المسلمين. وقد عقدت الرابطة عشرات المؤتمرات شارك فيها علماء من مختلف المذاهب. وقد شاركت ـ ممثلة لايران ـ في مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي، وهناك عشرات الكتب التي صدرت عن الرابطة لاشاعة روح التقريب بين المذاهب.* ما مدى النجاح الذي حققته هذه الجهود؟ اعتقد ان نجاحا كبيرا قد تحقق فلا يوجد مؤتمر دولي الا ويدعو الى نبذ الخلافات، وفي المؤتمرات التي يعقدها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية سنويا تكون هناك دعوات عديدة الى نبذ الخلافات وتبني مواقف محددة وموحدة بعيدا عن الاختلافات المذهبية وهو ما يؤكد ان التقريب بين المذاهب يتقدم بشكل طبيعي.* بعيدا عن الندوات والمؤتمرات وما يصدر عنها من توصيات، هل، على المستوى الفقهي، صدرت كتب تجمع الآراء الفقهية وتدرسها

دراسة جيدة ثم تستخلص منها آراء تلائم كل المسلمين؟- هناك اتجاهات طيبة في الجامعات وهناك كتب كثيرة نشرت تحاول ان تتبين المساحات المشتركة بين المذاهب الاسلامية ومن ذلك انني توصلت الى أن 90% من الآراء الفقهية هي من المساحات المشتركة بين السنة والشيعة، اما نسبة الخلاف فلا تتجاوز 5% وهذا خلاف طبيعي ناتج عن حرية الاجتهاد واعتقد ان التقريب بين المذاهب تجاوز مجرد الحديث بين العلماء في الندوات والمؤتمرات وتحول الى اتجاه جماهيري فالمسلمون بدأوا يتناسون الخلافات الماضية والتركيز على المساحات المشتركة.* في الفترة الاخيرة شهدت العلاقات العربية . الايرانية تقاربا ملحوظا، هل هذا التقارب نتيجة لتلك الروح والجهود التي بذلت في مجال التقريب بين المذاهب؟- اعتقد ان مسألة التقارب في العلاقات العربية . الايرانية مبدأ اصيل تتبناه ايران منذ قيام الثورة الاسلامية والحمد لله شهدت هذه العلاقات تقدما كبيرا في الفترة الاخيرة، فعلاقات ايران بالجزائر وبالسعودية ومصر اصبحت جيدة لكن المشكلة ان اعداء الاسلام واعداء الوحدة الاسلامية يتحركون بنشاط لايجاد خلافات وتشنجات، لكن مع مرور الزمن ننتصر على هذه التشنجات والتوترات، وقد عمل الرئيس الايراني محمد خاتمي على جعل هذه الروح التقريبية سياسة عامة ظهر اثرها في انفتاح ايران على الدول العربية وعقدت ندوات ومؤتمرات عديدة تؤكد عمق العلاقات العربية . الايرانية. * كيف تستطيع الدول الاسلامية مواجهة التحديات خاصة في ظل العولمة ومحاولات الدول الغربية فرض هيمنتها علينا؟ اعتقد اننا نستطيع . اذا كنا جادين . مواجهة هذه التحديات من خلال تقوية منظمة المؤتمر الاسلامي ورفع مستوى فاعلية اجهزتها حتى يمكن ان تتحول قراراتها الى قرارات ملزمة للدول الاعضاء وبذلك تستطيع النهوض بامكاناتها الذاتية وتعميق العلاقات بين المسلمين ومواجهة كل انماط الهجوم الثقافي على الامة الاسلامية .

=============

افتتاح مؤتمر تحديات العولمة للمصارف الإسلامية

السبت :2001/05/19

(الشبكة الإسلامية) عمان – قدس برس

قال وزير التخطيط الأردني جواد حديد إن المشاريع الاقتصادية في المنطقة يجب أن تمضي دون الالتفات كثيرا الى الأحداث السياسية الجارية على الأرض، وأوضح الحديد أنه لو تم الالتفات الى هذا الجانب ومنحه أكبر من حجمه "لما تم تقديم أي مشروع اقتصادي أو مبادرة منذ عام 1948" وهو العام الذي أعلن فيه قيام إسرائيل، حيث بدأت الاضطرابات في الشرق الأوسط.

وكان الوزير الأردني يشير في تصريحات لـ "قدس برس" الى إطلاق العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني لمشروع منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة الأسبوع الماضي، برغم الأحداث التي تشهدها المنطقة حاليا.

وافتتح الوزير الأردني يوم السبت في العاصمة عمان مؤتمر "تحديات العولمة للمصارف الإسلامية" الذي تنظمه الأكاديمية العربية للعلوم المصرفية بالتعاون مع المصرف الإسلامي الأردني والمصرف الإسلامي للتنمية في جدة خلال المدة من 19 – 21 أيار (مايو) الجاري.

وأكد الحديد أن المصارف الإسلامية تواجه تحديات كبيرة مع توسع نظم العولمة، ووقوفها وجها لوجه مع عمالقة العمل المصرفي في العالم، وقال إن على المصارف الإسلامية أن تنافس "بالتطوير المستمر لنظمها وأجهزتها المصرفية ومتابعة تطورات ثورة المعلومات ومقدرتها على الاتصال المستمر بعملائها".

وأوضح الحديد أن المصارف الإسلامية برغم كل هذه التحديات، تملك ميزات تنافسية لا تستطيع المصارف التقليدية المنافسة عليها، وهي العمل وفق ضوابط الشريعة الإسلامية "مما يساعدها على اجتذاب شريحة كبيرة من الجمهور الحريص على التعامل وفق تلك المبادئ". لكنه أكد مستدركا ان هذه الميزة الاحتكارية يجب ان تكون دافعا للمصارف نحو بذل المزيد من الجهد للوصول الى درجة رفيعة من التعامل.

وأشار الحديد إلى أن فشل المصارف الإسلامية في ظل العولمة يحمل في طياته أخطار كبيرة "أهمها الإساءة الى التشريعات الإسلامية التي ستبدو انها وقفت عاجزة عن تقديم شيء في ظل التطورات المتسارعة". ووصف المصارف الإسلامية حاليا

بأنها "صناديق استثمار مرتبطة بشكل جوهري في العملية الاقتصادية والتنمية .. مما يعكس الدور المتنامي لهذه المصارف في اقتصاديات المنطقة".

وحول موقفه من عمليات الاندماج المصرفي، لم يخف الوزير الأردني تخوفه من عمليات الاندماج الضخمة، وذلك بسبب الآثار الكبيرة التي ستحدثها هذه المصارف حال تعرضها لأي إخفاق ناتج عن سوء إدارة أو تعثر اقتصادي، وقال إن فكرة الاندماج بين المصارف الإسلامية يجب ان تكون بحجم معقول ومناسب.

وكان وزير التخطيط الأردني قال في الكلمة الافتتاحية لمؤتمر "تحديات العولمة للمصارف الإسلامية" ان الإسلام وضع أسس العولمة وصاغ مبادئها ونواميسها "بل وأثبت تاريخيا إمكانية تنفيذها من خلال قيام الدولة العربية الإسلامية الكبرى التي أسهمت في بناء الحضارة العالمية".

وأوضح أنه بعد تعرض هذه الدولة الى الهجمات والكوارث "واستلاب حضارتها ومنجزاتها وصارت ملكا للآخرين" برزت عولمة جديدة مرتبطا بما حققته الإنسانية خلال القرون الماضية من مستويات اقتصادية وتقنية "واندفعت حركتها (العولمة الجديدة) ليس بالدوافع ذاتها التي أدت لنشوء الدولة العربية الإسلامية الكبرى بدل بدوافع الاستحواذ والهيمنة والسيطرة وفتح الحدود أمام اقتصاديات مازالت غير مكافئة" وفق تقديره.

وأكد ان الشريعة الإسلامية تملك من المرونة ما يجعلها قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان "غير ان قدرة الأمة الإسلامية على صياغة مكونات النظام الاقتصادي الإسلامي المتوافق مع الشريعة الإسلامية والمتفاعل مع التطورات الاقتصادية .. هي مثار الاهتمام نظرا لما تتطلبه من جهود كبيرة تعيد تصميم الحياة الاقتصادية في اطار شريعتنا السمحاء".

من جهة أخرى حذر الدكتور عبد العزيز الخياط رئيس قسم المصارف الإسلامية في الأكاديمية العربية، من مخاطر العولمة على الاقتصاد العربي والإسلامي. وقال في كلمة ألقاها في افتتاح المؤتمر إن العولمة "تعني سيطرة القوى الكبرى الغالبة سيطرة سياسية واقتصادية على الدول والشعوب .. فهي تمثل غزوا لا سيما في حرية

الاقتصاد والتجارة الحرة" وفق تقدير الدكتور الخياط الذي يعتبر أحد أهم المنظرين في الاقتصاد الإسلامي على مستوى المنطقة.

وعدد الخياط بعض النتائج الخطيرة التي يمكن ان تحدث نتيجة تطبيق العولمة الاقتصادية والفكرية، منها ان العولمة أقرت حرية التنقل للبضائع إلا انها أغفلت حرية التنقل للأفراد، كما اعتبر ان للعولمة مخاطر بارزة على الزراعة في الدول النامية، حيث تسيطر أوروبا على الإنتاج الزراعي وتمنع الدول الفقيرة من تصدير منتجاتها الزراعية برغم خصوبة كثير من أراضيها وتوفر عناصر الإنتاج الزراعي بهذه الدول.

وأشار الخياط كذلك الى أن اتفاقات العولمة استثنت صناعة الملابس "لأن بعض الدول (النامية) فاقت الدول الغربية وأمريكا في صناعتها".

وقال الخياط إن المصارف الإسلامية قادرة على مواجهة العولمة "والإفادة منها أحيانا"، إلا أنه استدرك بالقول ان ذلك مشروط بأن "تتسلح هذه المصارف بميراثها الحضاري والفكري والاقتصادي .. ولا تكون في صفوف المنكمشين والانطوائيين على الذات مع مقاومة الذوبان بالرغم من التحديات التي تواجهها".

يذكر أن مؤتمر "تحديات العولمة للمصارف الإسلامية" تم تقسيمه الى ثلاثة محاور أساسية، خصص لكل منها يوم واحد، يعالج الأول منها "مفاهيم العولمة" وكرس المحور الثاني لبحث "الاقتصاد الإسلامي وحل المشكلات الاقتصادية المعاصرة" في حين خصص المحور الثالث لـ "العولمة والمصارف الإسلامية". وستتم تغطية هذه المحاور من خلال 12 جلسة ستخرج بمجموعة من التوصيات الهادفة لبلورة أداء المصارف الإسلامية في ظل العولمة. وسوف يتحدث في الملتقى نخبة من كبار المسؤولين المصرفيين في المنطقة وأساتذة العلوم المصرفية، ومسؤولين أردنيين.

============

عولمة إسلامية لمواجهة الغرب

الأربعاء:2001/05/16

(الشبكة الإسلامية) الشبكة الإسلامية –الدوحه–فريق الأخبار

أكد الدكتور أحمد كمال أبو المجد المفكر الإسلامي المعروف ووزير الإعلام المصري الأسبق أن على المسلمين والعرب أن يسألوا أنفسهم سؤالا صريحا، وأن يكونوا صرحاء في إجابتهم : هل نحن في معركة ضد التطورات المصاحبة للتحول نحو العولمة ؟ وهل لدينا بديل نعرفه يمكن أن يساعدنا في مواجهة العولمة؟ يقول الدكتور أبو المجد : إن المسلمين والعرب لن يدخلوا في معركة مع سنن الله ، فالتطور من سنن الله تعالى ، وأننا لسنا في معركة مع التطور ، ولا حاجة لنا في أن نلوي ذراع بعض نصوص منهجنا واطارنا المرجعي لنصل الى ادانة مسبقة لتطور لا نملك دفعه وهو العولمة . كما أننا لا نملك الدليل على تناقضه مع الثوابت، مشيراً إلى أن موضع العظمة أو الإنجاز في ديننا وثقافتنا يتمثل في هذا الجمع بين عدد من الثوابت التي تكون بنية أساسية لثقافتنا . وأشار إلى أن الحاجة أصبحت ماسة وملحة لتوافق الشركاء الجدد في النظام العالمي الجديد على أساس أخلاقي مشترك .
وقال الدكتور أبو المجد لصحيفة الاتحاد الإماراتية : في الأزمة يندفع الناس إلى أطراف المواقف وأشدها غلوا . فمن المسلمين من تقهره روح الهزيمة، ويفتن فتونا بأمر الأقوياء المنتصرين، حتى ولو كانوا المعتدين عليه، وغاصبي حقوقه، فيلوذ بهم، ويسعى إليهم ، ويكاد ينحرف بالثقة إليهم وفيهم، والاعتماد عليهم، ولا يرى فضلا إلا فضلهم ، ولا مخرجا إلا باتباع أمرهم كله صغيره وكبيره .. صحيحه وسقيمه .. حلوه ومره . وفي الأزمة يندفع آخرون إلى هزيمة أخرى تتمثل في إنكار الواقع، أو المكابرة في شأن الحقائق ، واليأس من الحاضر، والخوف من المستقبل ، ونفض اليد من الدنيا، وسوء الظن بالناس، والفرار إلى الماضي وحده طلبا لقطرات من رحيق الأمل، أو ومضات من نور العزة، والثقة بالنفس . ويتحول الأمر كله إلى فرار كامل إلى تراث الأقدمين ، أو اجترار غير مشروع لعظمتهم، أو انتساب – لا فضل فيه – لأمجاد كانت، واصطناع لأمجاد أخرى لم تكن ، ولكنها – على أي حال– قد تدفع روح اليأس ، وقد تفتح بعض أبواب الأمل . وأحب أن أؤكد أنه لا يقبل من أحد، والحال على ما نعرف ونسمع ونرى، أن يشتغل بما كان عما يمكن أن يكون . كما لا يقبل من أحد أن يفر من تبعات الحاضر إلى رؤى الماضي وأهله، فتلك – بشهادة القرآن الكريم وتعليمه لنا – أمة قد خلت . وأشار أبو المجد إلى أن

أزمتنا الأولى طال الحديث عنها والشكوى منها ، وهي تتمثل – كما سبق أن قلنا وقال أهل الاختصاص في مناسبات عديدة – في أمور منها : أولا : تراجع العطاء الحضاري، وتوقف دفعة العمل والإنتاج ، وتثاقل الخطى في بناء النهضة المادية والأخذ بأسبابها . ثانيا : انقسام الأمة على نفسها، وانشطار الشعوب المسلمة ثقافيا، بين حزب ينطلق من مبادئ الإسلام وأصوله، وتستولي عليه الرغبة الشديدة في بناء النهضة من جوف الحضارة الإسلامية . وهناك حزب آخر، أو جزء آخر من المسلمين ساء ظنه بنفسه، وحضارته، وتاريخه كله، فهو يتجه إلى طرح ذلك كله جانبا، وهو يقول : أنا مع الناس .. ويسعى في رغبة شديدة – كذلك – إلى بناء النهضة على أساس قوانين الحركة والتطور التي أخذ بها الغرب، وسار عليها ، وبنى نهضته على أساسها . وأوضح وزير الخارجية الأسبق أن أزمة المسلمين الخارجية أن العالم من حولنا يتجه الى بناء نسق حضاري جديد، ونظام للعلاقات بين الدول والشعوب جديد كذلك، او يزعمون انه جديد .. والحملة علينا في هذا الوقت ضارية لا تتوقف .. بالحق حينا، وبالكذب والظلم والافتراء ، أحيانا أخرى . وتم تصوير إسلامنا العظيم، الذي أنزل رحمة للناس من رب الناس، على أنه دعوة للجمود، وتعبد بظواهر النصوص، ومصادمة لنواميس الكون، ومصادرة لحقوق الناس، وأن انتشاره أذان بشر وفساد طويل، كما يزعمون كذبا، والعياذ بالله . ويقولون انه بسبب ذلك كله لا مكان لنا، ولا يجوز ان يكون لنا مكان في نظام العالم الجديد•• ولا دور لحضارتنا يمكن ان تؤديه لمعالجة ازمة الحضارة التي يعيشها الانسان• وهو يواجه هذه الايام الآثار الجانبية السيئة والمدمرة لتعاظم الثورات العلمية، والتقنية التي يقفو بعضها أثر بعض . وهي الآثار التي تمثلت في انتشار عبادة المادة، وذيوع روح الاثرة، والنرجسية والانحصار على الذات . كما تمثلت في إهدار كثير من مؤسسات المجتمع كالأسرة، ورابطة الجوار، وكذلك في ظهور موجات من العنف، ومن الصراع الوحشي لا سابقة له في تاريخ الانسان الطويل . وأكد الدكتور أبو المجد أن بين أيدينا نحن المسلمون عناصر أساسية، ومعالم جوهرية لهذا الإسهام في الإصلاح الانساني الحضاري العالمي، وهي تتمثل فيما يلي: اعتماد العقل والوحي مصدرين للمعرفة، وتقدير أنظمة السلوكك ، ذلك أن جزءاً

من تراجع قطاع من الناس يرجع الى تعطيل العقل، وجزا اخر من شرود الناس وحيرتهم وما انتشر بهم من بلاء وضلال يرجع الى انتقاصهم لدور الوحي في المعرفة، وفي ضبط السلوك

=============

الكنائس الأوروبية تقف ضد عولمة السياسيين والاقتصاديين

الأحد :2001/04/29

(الشبكة الإسلامية) لندن

نقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن مصدر كنسي أن اثنين من اتحادات الكنائس الأوروبية وقعتا ميثاقا عالميا لتطوير التعاون بين الكنائس المسيحية على نطاق القارة نقلت الأوروبية وتعهد الموقعون على الاتفاق بمحاربة كل أنواع العداء للسامية واليهودية في الكنيسة والمجتمع ، كما تعهدوا بتطوير الحوار مع بقية الأديان والمذاهب الأخرى.

ووقع الاتفاق رئيس مجلس اتحاد الأساقفة الأوروبيين الكاثوليك ورئيس اتحاد الكنائس الأوروبية التي تضم نحو 100 جماعة بروتستانتية وأنجليكانية وأرثوذكسية ، وجرت مراسم التوقيع على الميثاق في ستراسبورغ بفرنسا.

ويعترف الميثاق، وهو غير ملزم للموقعين عليه، بحرية الأديان ويعارض كل المحاولات الرامية لاستخدام الدين والكنيسة لأغراض عرقية أو قومية. وأعلن الاتحادان عن معارضتهما لكافة أشكال الدعوات القومية التي تؤدي لاضطهاد الآخرين والأقليات العرقية.

يذكر أن هناك خلافا عميقا بين الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية ظل سائدا على مدى سنوات طويلة أدى في بعض الأحيان إلى مواجهات بين الطائفتين.

ويبدو أن هذا الاتفاق جاء على خلفية المادية التي تعيشها أوروبا وتهميش "الدين" الذي فرضته العولمة.

وأكد الكردينال روجيه إيتشيغاري في كلمته بعد توقيع الاتفاق على "واجب المسيحيين الأوروبيين حيال

الشعوب الأخرى في القارات الأخرى، وقال: "إذا انكمشنا على أنفسنا ولم نهتم إلا برعايانا تاركين لكيانات علمانية ومالية وسياسية مسألة اتخاذ المبادرات وتحمل المسؤوليات في تيار العولمة، فقد يؤدي بنا المطاف إلى خيانة الإنجيل".

ويرتكز الاتفاق المسمى بـ"شارتا أوكومانيكا" على الاعتراف "بحرية الدين والمعتقد ومواجهة أي تهميش له في ظل العولمة"، والتعهد بمعارضة "أي محاولة لاستغلال الدين والكنيسة لغايات عرقية أو قومية".

==============

إشكاليات الثقافة العربية في عصر العولمة : آليات وأزمات

الأحد :2001/04/15

(الشبكة الإسلامية) هشام أسامة منور *

- لا يزال مفهوم «العولمة» يثير جدلاً واسعاً ونقاشاً صاخباً بين المثقفين والمفكرين الاجتماعيين والاقتصاديين، بدءاً من تحديد المعنى، ومدى مشروعية الأطروحات في عالم اليوم المتسارع الخطى ، ومروراً بتحليل العولمة كظاهرة تحمل في طياتها أبعاداً متداخلة ذات تأثيرات متباينة على شتى بقاع العالم، وعلى الرغم من التناول الواسع النطاق الذي يجري في العالم وعلى كافة المستويات، إلا أن المفهوم ذاته ما زال يكتنفه الغموض عند البعض، والتشويش عند البعض الآخر، وربما يرجع ذلك في جانب كبير منه إلى التعامل مع تلك الظاهرة بقطع ويقين لا يتناسب وطبيعة تلك الظاهرة المدروسة، فإما أن نرفضها وننبذها بشكل كامل وإما أن يؤيدها ونهلل لها ونبشر بها في محافلنا ومجتمعاتنا، متناسين أن العولمة قد تحولت إلى قوة فاعلة في النظام الدولي المعاصر، بل أصبحت قوة فعلية مؤثرة في حياة البشر، وذلك على إثر التحولات الكبرى التي شهدها العالم أجمع منذ مطلع التسعينات، إذ حدث انقلاب هائل وثورة عارمة غيرت من ثوابت الفكر وتوجهاته واستراتيجيات التنمية والتخطيط على كافة المستويات، وأدى تفكك الاتحاد السوفيتي وإنهاء الحرب الباردة وظهور مقولات (نهاية التاريخ) و(صدام الحضارات) إلى تبلور شكل جديد لنظام دولي لم تتحدد ملامحه بعد، إلا أن ما لا شك فيه أنه «يمثل حركة متسارعة وقوة فاعلة ومؤثرة في العلاقات الدولية»، ولأجل تشخيص الواقع وأزماته كان لابد من تحليل

ظاهرة العولمة، واكتناه ميكانزمات النظام الدولي الجديد، وهو ما حاول الكاتب النهوض بعبئه في هذا الكتاب فهو يصوغ الغاية من هذا الكتاب على صورة تساؤلات تطرح نفسها بقوة وخاصة في دول الجنوب الفقير «ما تأثير العولمة على أوضاع هذه الدول وعلى مستقبلها؟ أين التراث من عولمة الثقافة؟ ما أكثر تجليات العولمة وما هي تحدياتها التي تواجه الدول غير القادرة على المنافسة في ظل حضارة السوق؟ ما الدور الحقيقي الذي تقوم به الشركات العملاقة عابرة القوميات في عولمة اليوم؟ هل يبقى لفقراء العالم مكان على الخريطة الكوكبية الجديدة؟ أين الهوية الوطنية في ظل إعادة صياغة إنسان كوني؟ لماذا وكيف تصبح الثقافة الأمريكية هي الثقافة الكونية على مستوى العالم؟ ما مواطن القوة فيها وما مواطن الضعف في الثقافات الأخرى؟».

يضم الكتاب ست دراسات حول موضوع إشكاليات الثقافة العربية في زمن العولمة، ويبحث الكاتب في الدراسة الأولى ظاهرة العولمة وموقفها من الثقافة الوطنية انطلاقاً من رؤية نقدية فيعالج قضية معايشة الإنسان العربي المعاصر لعالمين متناقضين بحواملهما الثقافية غير المتكافئة «ثقافة تراثية مفعمة بالمواطنة الأصلية وأخرى عولمية تغريبية تسلبه الأولى وتدفعه نحو عصرنة فردية كوكبية مصطنعة». ولا يجد الكاتب بُداً من التساؤل حول ماهية العولمة في ظل نظام عالمي لم تتحدد ملامحه بعد، فيرى أن شعار «جيران في عالم واحد» هو شعار توثيقي لنظام جديد آخذ في التشكل ترتسم فيه معالم طريق يقود الدول إلى تخيل بنائي كقرية كونية صغيرة، فما العولمة إذن سوى نظام قديم في ثوب جديد أكثر إحكاماً «وبرغم أنه يبدو أن العولمة هي دعوة جديدة إلا أنها لا تختلف كثيراً من حيث سياستها وأهدافها وأيديولوجيات الداعين إليها عن السياسات التي ميزت البدايات الأولى للنظام الرأسمالي إبان مرحلة الثورة الصناعية». فالعولمة بهذا المعنى لا تعدو أن تكون عملية تاريخية تحكم تفاعلاتها مجموعة من القيم لدول عظمى في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى بشتى الطرق لتسويق نموذجها الحضاري في الاقتصاد والسياسة والثقافة بمفرداتها المعروفة.

وعلى الرغم من ذيوع مفهوم العولمة وانتشار تداوله بين المثقفين إلا أن الغموض لا يزال يكتنف هذا المفهوم في الخطابات المعاصرة بحيث تعجز تلك الأخيرة عن صياغة فهم دقيق لما يعنيه ذاك المفهوم كعملية ثلاثية الأبعاد والمستويات (اقتصادية وسياسية وثقافية).

بيد أن قراءة وتحليلاً متأنياً لأدبيات الفكر المعاصر سوف يقودنا إلى الاعتقاد بأن العولمة ما هي إلا تعبير عن «أزمات وتناقضات يمر بها النظام الرأسمالي ذاته (أزمة في الداخل) وأزمة الشعور بفقدان الذات المركزية داخل المركز الرأسمالي ذاته وبهذا المعنى فهي صياغة جديدة لإعادة المركزية الرأسمالية في ثوب جديد أو مستحدث، ومحاولة لنشر حضارة السوق المعولمة، وهي بذلك تعبر عن سيادة نمط التشيؤ حيث العمل على تحويل كل شيء إلى سلعة متداولة في السوق لصالح قوى حرة جديدة عابرة للقوميات».

وفي سبيل تحقيق أهدافها لا تتوانى العولمة عن استخدام آليات (ميكانزمات) معينة لتعميق توجهاتها وتأثيراتها في العالم، كربط العولمة بحركة تداول راس المال الاقتصادي وإزاحة العملية السياسية في المجتمعات التقليدية لصالح الفئات الأقدر على توجيه مسارات الإنتاج والمال والتجارة والاستثمار لصالحها، وربط أجزاء العالم على الرغم من تباعدها وانفصالها بروابط عدة حتى تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة، وبلورة ثقافة عالمية تتسم بسمات خاصة تستفيد منها الفئات المسيطرة على العمليات الاقتصادية والسياسية والإعلامية، والعمل على تراجع دور الثقافة الوطنية التقليدية في مواجهة ثقافتها وذلك بالاعتماد على التقنيات الحديثة وبخاصة في مجال تدفق المعلومات، على طريق تشكيل قيادة عالمية تستحوذ النفوذ والقوة وتكون قادرة على توجيه عمليات التحول الاجتماعي المطلوبة.

وفي ظل صراعها مع الهوية الوطنية تسعى العولمة إلى تكريس الثقافة الاستهلاكية وترسيخها في ظل آليات الهيمنة العالمية إذ تحولت تلك الثقافة إلى آلية فاعلة لتشويه البنى التقليدية وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وإدخال الضعف لديه والتشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيديولوجية والدينية وذلك بهدف إخضاعه نهائياً للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية وإضعاف روح النقد

والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائياً إلى واقع الإحباط فيقبل الخضوع لهذه القوى أو التصالح معها».

فللعولمة تجليات متعددة متشابكة الأبعاد والمستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية وتأثيراتها الثقافية هي الأخطر حيث يتم فرض ثقافة خارجية ليست وليدة تفاعلات بين الحضارات والمذاهب المتباينة.

وتطرح الدراسة الثانية قضية أمية المثقف العربي: الإبداع وأزمة الفكر السوسيولوجي، وإذا كان من الصعوبة بمكان تحديد مصطلح الثقافة والمراد منه، فإن مرد ذلك يرجع إلى محاولة المثقفين وضع خصائص ورسم سمات أغلبها مثالية لخصائص ذواتهم في سياق تحديدهم لمفهوم الثقافة والمثقف والمفترض أن تتمحور إسهامات المثقفين والباحثين حول «تحديد الدور الذي يقوم به هذا المثقف في مجتمعه وإن السؤال الذي يجب أن يهتم به من يبحثون في هذا الشأن هو: هل كان إنسان يقوم بدور المثقف». فأزمة الفكر العربي هي «تعبير عن أزمة تشوه اجتماعي كانت لها آثار كبرى في تكديس التخلف في هذا الجزء المهمش من العالم والمجتمع العربي بلا جدال جزء منه» وعليه فإن الاهتمام المتزايد بقضايا الثقافة العربية المعاصرة والمثقف العربي هو أشبه ما يكون بعملية «استعادة للذات المفقودة في إطار الكل الاجتماعي».

وكي نستطيع فهم قضايا الثقافة والوقوف على خصائص المثقف الاجتماعي العربي وأميته المعاصرة، لابد من الربط بين البناء الاجتماعي والنسق المعرفي فنقوم بتحليل خصائص المجتمع العربي وإشكاليات البنى الاجتماعية والثقافية المتناقضة على مستوى الواقع البنائي للمجتمعات العربية، وهو ما صنفه الكاتب في ثلاث مجموعات، بالإضافة إلى مستوى الوعي بقضايا المجتمعات العربية وإشكالياتها، والتي من أهمها إشكالية العلاقة بين المثقف والجماهير وحالة الغياب والانفصال شبه التام بينهما، وإشكالية العلاقة بين الثقافة والسياسة أو المثقف والوالي حيث يلاحظ «تأرجح المواقف الأيديولوجية للمثقفين ورجال الفكر الاجتماعي العربي من النظم الاجتماعية السياسية في هذه المنطقة» في نزعة براغماتية فاضحة، وهناك إشكالية العلاقة بين الاستقلال الوطني والتبعية الاقتصادية، وتباين مواقف المثقفين تبعاً

لتباين أدوارهم وهذا التأرجح في مواقفهم يشير إلى أن «هناك شيئاً أصاب الوعي اسمه التشوه الفكري الاجتماعي مما أدى إلى فقدان ما يسمى بالوعي الجمعي».

وفي كل تلك الحالات نجد الفكر العربي منعزلاً عن واقعه أو متقوقعاً داخل ذاته يجتر ثقافته الموروثة أو يترجم ثقافة غيره.

ويرى الكاتب أن أزمة العلم السوسيولوجي في المجتمع العربي تتلخص في عدم قدرة المتخصصين في هذا المجال على التخلص من تلك الرابطة التي تجمع بين الباحث والنشأة الأكاديمية للعلم الاجتماعي، فنشأة هذا العلم في الغرب مرتبطة بالظروف التاريخية والمصالح الطبقية والصراعات الأيديولوجية التي حكمت الغرب إبان نشوئه، ولعل من أبرز ملامح هذه الأزمة على «مستوى العلاقة الجدلية بين أزمة البناء وأزمة العقل العربي» تتمثل في إشكاليات نظرية، إذ يتعاطى الباحثون أطراً فكرية تقليدية إلى حد كبير، وأخرى أيديولوجية تتمثل في انتماء المتخصصين في هذا المجال إلى الاتجاهات المثالية المحافظة فضلاً عن إشكالية منهجية تكمن في «تبني المنهج التسطيحي في علم الاجتماع بدءاً من اختيار موضوعات تقليدية ومروراً بمداخل منهجية غير واقعية». وبالتالي فإن الدعوة إلى إنشاء مدرسة عربية في علم الاجتماع لا تعدو أن تكون ردة فعل تجاه الأزمات التي تواجهها الثقافة العربية، وبالذات أزمة الأمية في هذا العلم وذلك في سياق استعادة الذات العربية المفقودة.

وتتناول الدراسة الثالثة سجالاً حول ماهية المثقف في المجتمعات العربية ودوره الطليعي، وأزمة التشوه البنائي والفكري الراهن وذلك من خلال استعراض أوضاع المجتمعات العربية والإشكاليات المطروحة، ومن أهمها التبعية الاقتصادية وتشوه الفكر وازدواجيته في النظام العالمي الراهن أو ماأسماه بالتعايش الفارق، وصولاً إلى إمكانية صياغة أيديولوجية واضحة واضعاً في اعتباره أبعاد التاريخ العربي وظروف تكونه وتأتي الدراسة الرابعة حول إشكالية الثقافة العربية ممثلة بأزمة النقد الذاتي لتنطلق من مسلمة مفادها تغافل المثقف العربي عن نقد ذاته وتوجيهه لسهام النقد نحو الآخر، وتحليل تلك الفرضية على أساس أنها تشكل خطوة على طريق فهم العلاقة بين الثابت والمتحول في بنية الفكر العربي ومنهجيته، فتحاول البحث في أعماق الذات للوصول إلى إجابات مقنعة حول العلاقة بين الأنا والآخر وأثرها في

تكون الثنائيات المتداولة والاغتراب ومستقبل الثقافة في عصر الليبرالية الجديدة وتعالج الدراسة الخامسة إشكالية التناقض بين الباحث ومجتمعه من خلال بيان تناقضات الواقع واغتراب الفكر، ودور المثقف والمتخصص الاجتماعي في تكوين الفكر المنهجي وتدعيمه من أجل مواجهة تحديات العولمة.

ويختم الكاتب أبحاثه بدراسة ميدانية عن فقراء مصر في عصر العولمة متخذاً نماذج من الريف والحضر، إذ يناقش أزمة التفاوت المعيشي دولياً وبين الشرائح الاجتماعية على المستوى المحلي، ويطرح بعض الملاحظات المحورية حول ظاهرة الفقر في العالم وأبعاده ومظاهره من خلال استعراض الموجهات النظرية لدراسة الظاهرة، فهو يرأى وجود اتجاهين لتفسير ظاهرة الفقر، أحدهما ذاتي والآخر موضوعي، أما الاتجاه الذاتي فقد صنفه إلى ثلاثة مداخل، أحدها مدخل إعادة إنتاج الفقر وتبناه أوسكار لويس، وهو ما عبر عنه بثقافة الفقر، حيث يرجع تفسير هذه الظاهرة إلى عوامل فكرية ذاتية يتسم بها الفقراء أنفسهم فهم انعزاليون وغير راغبين بالمشاركة في الحياة العامة ويشعرون بالدونية، واللامبالاة، وتتواصل هذه الثقافة في رأي لويس بين الأجيال من خلال إعادة إنتاج الفقر، وثاني هذا المداخل مدخل التخفيف من حدة الفقر: استراتيجيات التعايش، إذ يقول بقدرة الفقراء على التخفيف من حدة الفقر من خلال بدائل ثقافية يفرزونها في محاولة للبقاء والمحافظة على حياتهم، وثالثها: مدخل قمة الفقراء والذي يدعو أصحابه من خلال مؤسسات ومنظمات دولية إلى معالجة مشاكل الفقراء وعولمة الاهتمام بهم، فيما يسقطون في فخ التمجيد للنظام الرأسمالي والدعوة إلى نشره في أنحاء العالم، أما الاتجاه الموضوعي فإنه يعاند الفكر المحافظ «وينطلق من فلسفة نقدية تطورت من الكلاسيكية على يد كارل ماركس ومرت بمراحل مختلفة منها الماركسية المحدثة ومدرسة فرانكفورت وصولاً إلى مدرسة التبعية المعاندة لمدرسة التحديث».

ولعلنا ختاماً نتفق مع الكاتب في النتيجة التي توصل إليها ألا وهي أن المخرج الحقيقي من الأزمة التي تعانيها الثقافة العربية والفكر الاجتماعي العربي يكمن في تخطي «الفجوة الحضارية المستمرة والمتزايدة بين إعادة التقدم في البؤر الرأسمالية وإعادة التخلف وتكريسه في المحيطات التابعة، وما لم نتخط محنة التخلف ستظل

ثقافة المجتمع العربي تابعة منطوية تحت لواء الثقافة «الأم» وسيظل مستوى الوعي الثقافي في مراحله الأدنى من الأمية».

وذلك من خلال استعمال بعض الآليات التي تفيد في وضع الثقافة في خدمة التغيير نحو المشروع العربي والوحدة الفكرية وتعميق التيارات القائمة وإثراؤها بالمعرفة العلمية وبلورة القدرة على نقد الذات وبالتالي فهم أن الصراع الثقافي جزء لا يتجزأ من الابتكار والتجديد. فالعولمة هي عملية غسيل حقيقية للأدمغة كما يرى مارتن ولف، وكوكبنا يخضع لضغط عنيف تفرزه قوتان عظيمتان هما العولمة والتفكك على حد تعبير بطرس غالي.

الكتاب: الثقافة العربية في زمن العولمة

المؤلف: د. أحمد مجدي حجازي

دار النشر: دار قباء للطباعة والنشر . مصر . 2001م

عدد الصفحات: /186/ صفحة.

—

كاتب وباحث فلسطي

=============

ما هو أثر منتديات الدردشة والمواقع الإباحية

تاريخ الاستشارة : ...2006-05-14 11:52:33

الموضوع : ...استشارات ومشاكل الشباب

السائل : ...حاتم محمد

السؤال

ما هو أثر منتديات الدردشة والمواقع الإباحية على شخصية الفرد والمجتمع؟

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل/ حاتم محمد حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،،،

فإن الحياء خلق الإسلام، وإذا لم تستحي فاصنع ما شئت، وأحسن من قال:-

يعيش المرء ما استحيا بخير *** ويبقى العود ما بقي اللحاء
فلا والله ما في العيش خير *** ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ولا شك أن أخطر آثار غرف الدردشة هو ذهاب الحياء، والذي أدى بدوره إلى اختراق حصون العفة والطهر، وذلك لأن الشيطان يستدرج ضحاياه خطوة خطوة، ولذلك نهت هذه الشريعة العظيمة عن اتباع خطوات الشيطان، فقال تعالى: { ولا تتبعوا خطوات الشيطان ... } وكم من حوار ودردشة بدأت بريئة ثم انتهت إلى شرور عظيمة، بل وربما كان دافع بعضهن أو بعضهم إسداء النصائح للجنس الآخر، ثم يدخل الشيطان فيكون الخسران، وقد ساعدت هذه الغرف الخاصة بالدردشة ضعاف النفوس على إظهار أسوأ ما عندهم، وممارسة الخديعة والكذب تحت ستار الأسماء المستعارة، وبحجة الرغبة في المساعدة أو قضاء الوقت، وسرعان ما يتسلل الحب الشيطاني إلى القلوب الفارغة من حب الله، فتكون الآهات والحسرات، ويفقد الإنسان قلبه وأنسه بالله! – والعياذ بالله.

أما المواقع الإباحية والقنوات الفضائية فإن جريرتها أكبر وأخطر، لإننا بكل أسف في عصر عولمة الفساد والشر، وقد تضاعفت الشرور في ظل عدم قيام الأسر بدورها في التوجيه والمتابعة، ولوجود هذه الأجهزة في الغرف الخاصة، وخلف الأبواب الموصدة، وصادف كل ذلك وجود فراغ عاطفي كبير، الأمر الذي دفع ضعاف النفوس إلى البحث عن الإشباع العاطفي مع الأصدقاء الأشرار وفي غرف الدردشة، أو بالوقوع في شراك أهل الفساد.

وقد جلبت غرف الدردشة والمواقع الإباحية شرور لا يمكن حصرها، ومنها ما يلي:-

1- انتقال عادات وثقافات الآخرين السيئة إلى مجتمعاتنا.

2- ميل كثير من الشباب والفتيات إلى التبطل والانطواء.

3- ضياع الأوقات وتدمير مستقبل البنين والبنات.

4- انتشار السعار الجنسي وانصراف الأمة عن مهامها العظيمة.

5- زهد كثير من الشباب والفتيات في الحلال.

6- انتشار الخيانات الزوجية والفضائح الأسرية.

وبالله التوفيق والسداد.

المجيب : ...د. أحمد الفرجابي

==============

#كيف يمكن مواجهة خطر العولمة الثقافية والفكرية

تاريخ الاستشارة : ...2005-07-25 14:28:24

الموضوع : ...استشارات ثقافية وفكرية

السائل : ...الحسن

السؤال

مما لاشك فيه أن الغرب أدرك أن لا جدوى من الحروب لزعزعة إيمان هذه الأمة المسلمة وبالتالي نهج سياسة أخرى أكثر فعالية وبأقل تكلفة، أقصد هنا العولمة، فسؤالي هو كيف يمكن مواجهة هذا الخطر؟

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل/ الحسن حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

فنسأل الله العظيم أن يحفظك ويسدد خطاك، وأن يرزقك العلم النافع والعمل الصالح، وأن يبلغك المنى والمناجح، وأن يلهمنا رشدنا ويعيذنا من شرور أنفسنا.

فحق لأمتنا أن تفخر بشباب يحمل همَّ أمته ويسعى لإبطال كيد عدوه؛ مستعينًا بالله ومتأسيًا برسولنا صلى الله عليه وسلم الذي لم يهادن الباطل ولم يَقْبل بأنصاف الحلول، لكنه أعلنها مدويّة "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".

ولا عجب فنحن أمةٌ قائدةٌ لا مقودة، أمة أخرجها الله لتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وقد سعدت الدنيا قرونًا عديدة بحضارة الإسلام التي حفظت للإنسان حقه، وسعد في ظلالها حتى الحيوان، وشهد بكرمها وعدلها العدو قبل الصديق، ثم خلفت من بعد ذلك خلوفٌ نسيت رسالتها فتولى القيادة الأشرار، وكُنَّا

أول من اكتوى بالنيران، ودفعت الدنيا ثمنًا باهظًا لتأخرنا، وعمَّ الشقاء رغم التطور المادي، وانعدم الأمن مع وجود السلاح.

ولقد أدرك أعداء أمتنا أنها لا تُواجه بالسلاح والقوة؛ لأن ذلك يذكرها بالجهاد ويردها إلى الصواب؛ فعمدوا إلى حرب خفية تسعى لتمييع الأمة قبل حربها، وشغلها بالشهوات وزرع الفتن والشبهات التي تزعزع الثوابت وتشكك في القطعيات، ثم عمدوا إلى زرع العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة، فسهل على العدو أن يتغدى بدولة ويتعشى بأخرى.

ولكن أمتنا . ولله الحمد . تملك عناصر الحياة والبقاء، فإن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، ووعد الله لا يتخلف، قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)، وما هي المواصفات المطلوبة (يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)[النور:55].

ومما يعيننا على إبطال الكيد وبناء المجد ما يلي:

(1) العودة الصادقة للإسلام وترسيخ العقيدة في النفوس.

(2) تنظيم الجهود وتوزيع الأدوار ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

(3) فتح البصائر وإحياء الشعائر.

(4) العمل على وحدة الصف.

(5) فتح قنوات إسلامية على طراز قناة المجد.

(6) إعادة النظر في مناهج التربية والتعليم.

(7) التربية على العقيدة وترسيخ حب القرآن.

والله الموفق.

المجيب : ...د. أحمد الفرجابي

================

#العولمة: الأخطار وكيفية المواجهة

د. غازي التوبة 1427/11/6

2006/11/27

لقد أصبح مصطلح العولمة متداولاً منذ بداية التسعينات، وأصبح علماً على الفترة الجديدة التي بدأت بتدمير جدار برلين عام 1989م وسقوط الاتحاد السوفييتي وتفككه، وانتهت بتغلّب النظام الرأسمالي على النظام الشيوعي، والعولمة ككل ظاهرة إنسانية لها أبعاد متعددة، وسنتناول ثلاثة من أبعادها الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية، ثم سنتحدث عن بعض أخطارها.

1- البعد الاقتصادي: ويتجلى في تعميم الرأسمالية على كل المجتمعات الأخرى، فأصبحت قيم السوق، والتجارة الحرة، والانفتاح الاقتصادي، والتبادل التجاري، وانتقال السلع ورؤوس الأموال، وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات هي القيم الرائجة، وتفرض أمريكا الرأسمالية على المجتمعات الأخرى عن طريق مؤسسات البنك الدولي، ومؤسسة النقد الدولي، وغيرها من المؤسسات العالمية التابعة للأمم المتحدة، وعن طريق الاتفاقات العالمية التي تقرها تلك المؤسسات كاتفاقية الجات وغيرها.

2- البعد السياسي: ويتجلى في انفراد أمريكا بقيادة العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتفكيك منظومته الدولية، ومن الجدير بالملاحظة أنه لم تبلغ إمبراطورية في التاريخ قوّة أمريكا العسكرية والاقتصادية، مما يجعل هذا التفرد خطيراً على الآخرين في كل المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية..الخ

3- البعد التكنولوجي: مرّت البشرية بعدّة ثورات علمية منها ثورة البخار والكهرباء والذرّة وكان آخرها الثورة العلمية والتكنولوجية والخاصة بالتطورات المدهشة في عالم الكمبيوتر، وتوصل الكمبيوتر الحالي إلى إجراء أكثر من ملياري عملية مختلفة في الثانية الواحدة، وهو الأمر الذي كان يستغرق ألف عام لإجرائه في السابق، أما المجال الآخر من هذه الثورة فهو التطورات المثيرة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتي تتيح للأفراد والدول والمجتمعات للارتباط بعدد لا يُحصى من الوسائل التي تتراوح بين الكبلات الضوئية والفاكسات ومحطات الإذاعة والقنوات التلفزيونية الأرضية والفضائية التي تبث برامجها المختلفة عبر حوالي (2000) مركبة فضائية، بالإضافة إلى أجهزة الكمبيوتر والبريد الإلكتروني وشبكات الإنترنت التي تربط العالم بتكاليف أقل وبوضوح أكثر على مدار الساعة، لقد تحولت

تكنولوجيا المعلومات إلى أهم مصدر من مصادر الثروة أو قوة من القوى الاجتماعية والسياسية والثقافية الكاسحة في عالم اليوم.

ما هي أخطار العولمة؟

1- الخطر الأول: الفقر والتهميش:

ستؤدي العولمة إلى تشغيل خمس المجتمع وستستغني عن الأربعة الأخماس الآخرين نتيجة التقنيات الجديدة المرتبطة بالكمبيوتر؛ فخمس قوة العمل كافية لإنتاج جميع السلع، وسيدفع ذلك بأربعة أخماس المجتمع إلى حافة الفقر والجوع، ومن مخاطر العولمة أيضاً قضاؤها على حلم مجتمع الرفاه، وقضاؤها على الطبقة الوسطى التي هي الأصل في إحداث الاستقرار الاجتماعي، وفي إحداث النهضة والتطور الاجتماعي، ومن مخاطرها أيضاً دفعها بفئات اجتماعية متعددة إلى حافة الفقر والتهميش، وتشير الأرقام إلى أن (358) مليارديراً في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه (2.5) مليار من سكان العالم. وأن هناك 20% من دول العالم تستحوذ على 85% من الناتج العالمي الإجمالي، وعلى 84% من التجارة العالمية، ويمتلك سكانها 85% من مجموع المدخرات العالمية. وهذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة؛ إذ تستأثر قلّة من السكان بالشطر الأعظم من الدخل الوطني والثروة القومية، في حين تعيش أغلبية السكان على الهامش، وسيؤدي ذلك إلى نتائج اجتماعية خطيرة، ويمكن أن نمثل بالولايات المتحدة أبرز قلاع الرأسمالية، فالجريمة اتخذت هناك أبعاداً بحيث صارت وباء واسع الانتشار. ففي ولاية كاليفورنيا – التي تحتل بمفردها المرتبة السابعة في قائمة القوى الاقتصادية العالمية – فاق الإنفاق على السجون المجموع الكلي لميزانية التعليم. وهناك (28) مليون مواطن أمريكي، أي ما يزيد على عشر السكان، قد حصّنوا أنفسهم في أبنية وأحياء سكنية محروسة. ومن هنا فليس بالأمر الغريب أن ينفق المواطنون الأمريكيون على حراسهم المسلّحين ضعف ما تنفق الدولة على الشرطة.

ونلاحظ في هذا الصدد أن ظاهرة فتح الأبواب على مصراعيها أمام التجارة الحرة باسم حرية السوق قد رافقتها نسبة مهولة من ازدياد الجريمة، فقد ارتفع حجم

المبيعات في السوق العالمية لمادة الهيروين إلى عشرين ضعفاً خلال العقدين الماضيين، أما المتاجرة بالكوكايين فقد ازدادت خمسين مرة.

2- الخطر الثاني: الأمركة الثقافية:

الأمركة الثقافية أخطر جوانب العولمة، ومما يساعد على الأمركة الثقافية انفراد الولايات المتحدة بالعالم، واعتبارها القطب الواحد الذي انتهت إليه الأوضاع السياسية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وسيكون لهذه الأمركة أثر كبير في تكوين أو تعديل أو إلغاء الهويات الثقافية، ولكن أخطر ما في الأمركة نسبية الحقيقة التي تقوم عليها، وهي التي تتصادم تصادماً مباشراً مع ثوابت الدين الإسلامي المستمدة من النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، لذلك نجد أن معظم الاجتهادات التي نادى بها بعض الكتّاب المعاصرين، وأثارت نقاشاً حاداً تستند إلى الإيمان بنسبية الحقيقة، وتتناول نصوصاً قطعية الثبوت قطعية الدلالة في مجالات: العقائد، والحدود، والميراث، وتشريعات الأسرة: كالزواج، والطلاق الخ...، وبالإضافة إلى ذلك فإن كثيراً من المعارك التي دارت أخيراً هي تجسيد للصراع بين نسبية الحقيقة التي تقوم عليها العولمة وبين ثوابت ديننا الإسلامي، ومن أبرز هذه المعارك ما ذكره نصر حامد أبو زيد عن النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة التي تتناول أموراً عقدية: كالكرسي والعرش والميزان والصراط والملائكة والجن والشياطين والسحر والحسد...الخ فقد اعتبرها ألفاظاً مرتبطة بواقع ثقافي معين، ويجب أن نفهمها على ضوء واقعها الثقافي، واعتبر أن وجودها الذهني السابق لا يعني وجودها العيني، وقد أصبحت ذات دلالات تاريخية، والدكتور نصر حامد أبو زيد في كل أحكامه السابقة ينطلق من أن النصوص الدينية نصوص لغوية تنتمي إلى بنية ثقافية محدودة، تم إنتاجها طبقاً لنواميس تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي، وهو يعتمد على نظرية عالم اللغة (دي سوسير) في كل ما يروّج له، وينتهي الدكتور أبو زيد إلى ضرورة إخضاع النصوص الدينية إلى المناهج اللغوية المشار إليها سابقاً.

ولا يتسع المقام الآن للردّ على كل ما قاله الدكتور نصر حامد أبو زيد بالتفصيل، لكن يمكن التساؤل: لماذا يعتبر الدكتور نصر حامد أبو زيد ألفاظ: الكرسي، والعرش، والملائكة، والجن، والشياطين، والحسد، السحر ألفاظاً ذات دلالات تاريخية؟

فهل نفى العلم بشكل قطعي وجود حقائق عينية لتلك الألفاظ حتى نُعفِي عليها، ونعتبرها ألفاظاً لا حقائق لها وذات وجود ذهني فقط؟ لم نسمع بذلك حتى الآن.

كيف نستطيع أن ندخل العولمة، ونستفيد من إيجابياتها، ونتجنب سلبياتها؟

هناك خطوتان مطلوبتان وملحتان من أجل مواجهة العولمة:

الأولى: تحصين الفرد وتجنيبه التهميش وغائلة الفقر القادمة، وذلك بتفعيل مؤسسات التأمين الاجتماعي والتعويضات والرعاية الاجتماعية من جهة، والتخطيط لإحياء مؤسسات الوقف والتوسع فيها من جهة ثانية، وبخاصة إذا علمنا أن أمتنا ذات تجربة غنية في مجال الوقف، فقد عرفت مؤسسات وقفية متنوعة من أمثال المدارس والجامعات والمستوصفات والمستشفيات والدور والبساتين والخانات...الخ، وساهمت تلك المؤسسات في نشر العلم والمحافظة على الصحة وإغناء المحتاجين ورعاية الحيوانات وتدعيم الاقتصاد وسد الثغرات الاجتماعية...الخ، وقد مثلت تلك الأوقاف ثلث ثروة العالم الإسلامي.

الثانية: تحصين هوية الأمة، وذلك بتدعيم وحدتها الثقافية، فالوحدة الثقافية هي المظهر الأخير الحي الفاعل الباقي من كيان أمتنا بعد التمزق السياسي والتشرذم الاقتصادي الذي تعرضت له خلال القرن الماضي، ولا شك أن هذه الوحدة الثقافية لبنة أساسية في مواجهة العولمة، لذلك يجب الحرص على إغنائها، ووعي ثوابتها، وأبرزها: أصول الدين الإسلامي وأحكامه المستمدة في النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة، واللغة العربية التي تعتبر أداة تواصل ووسيلة تفكير وتوحيد...الخ، كذلك يجب الحرص على الابتعاد عن كل ما يخلخل هذه الوحدة الثقافية ويضعف حيويتها.

============

#نحو عولمة حركيّة وتنظيميّة للكيانات الإسلاميّة السلميّة

ضياء رشوان 1427/10/15

2006/11/06

لاشك أنه ليس هناك من اختلاف اليوم في أي مكان في العالم ولا بين أي فئة من النخب المختلفة من سياسيين وإعلاميين وباحثين وغيرهم، على أن العالم كله يشهد

خلال السنوات الأخيرة تصاعداً ملحوظاً في الوجود الإسلامي الحركي بصوره المختلفة. ويتسم ذلك الوجود الحركي الإسلامي المتصاعد بخاصيتين رئيسيتين من حيث الطبيعة والشكل، وأخرى ثالثة من حيث السياق الجغرافي.

الخاصية الأولى: أنه ينقسم من حيث الجوهر والطبيعة إلى ثلاثة أقسام كبرى:

الأول يشمل الكيانات السياسية – الاجتماعية السلمية التي تضع تطبيق الشريعة الإسلامية في قمة أولوياتها، وتسعى بنشاط فائق من أجل تحقيق ذلك الهدف في المجتمعات التي توجد بها، وهي تتخذ غالباً شكل جماعات وأحزاب سياسية. ويشمل القسم الثاني الكيانات الإسلامية ذات الطبيعة الدينية التي تركز على أولوية تصحيح ما تعتقد أنه خلل في عقائد المسلمين أفراداً ومجتمعات ودولاً، ومعظم تلك الكيانات التي تتخذ عادة شكل جماعات وتنظيمات ذات طابع سري تنحو أكثر باتجاه الممارسات العنيفة التي تضعها تحت لافتة "الجهاد". أما القسم الثالث فهو يشمل الكيانات الإسلامية الأكثر اهتماماً بتنظيم سلوك الأفراد المسلمين والعلاقات الاجتماعية التي تربط بعضهم ببعض، وفقاً لما تعتقد أنه النموذج الإسلامي المثالي المستمد من السلف الصالح، ويتخذ معظم تلك الكيانات شكل الجمعيات والجماعات الأهلية ذات الطبيعة العلنية.

أما الخاصية الثانية لذلك الوجود الإسلامي الحركي الموزع بين الفئات الثلاث السابقة فهي أنه يتخذ– كما سبقت الإشارة ضمناً– أشكالاً تنظيمية مختلفة تتغير حسب طبيعة الكيان الإسلامي ما بين أحزاب سياسية وجمعيات أهلية ونوادٍ ثقافية واجتماعية وجماعات أدبية كلها علنية، غير التنظيمات والجماعات ذات الطابع السري.

وفي ظل هاتين الخاصيتين الرئيسيتين للوجود الإسلامي الحركي المعاصر تظهر الخاصية الثالثة التي تتعلق بالسياق الجغرافي، وهي موضع تركيز السطور الحالية. فمن الملاحظ أنه على الرغم من تواتر القول وشيوع حقيقة اتساع وامتداد الوجود الإسلامي الحركي بصوره المختلفة السابق الحديث عنها خلال الأعوام الأخيرة، فإن هذا الوجود لا يتخذ أشكالاً تنظيمية أو آليات عمل ذات طابع عالمي مشترك أو

موحد حتى بين الكيانات المنتمية لفئة واحدة من الفئات الثلاث السابق الحديث عنها. فالواضح هو أن مختلف الكيانات الإسلامية من الفئات الثلاث لا تتشكل في بلدانها الأصلية سوى بصور تتناسب مع الظروف الخاصة التي يمر بها هذا البلد، ولا تتصل أو تنسق مع الكيانات المماثلة لها في بلدان أخرى سوى في التوجهات شديدة العمومية. وربما يشذ عن تلك القاعدة نوعان من الكيانات الإسلامية، على الرغم من الاختلاف البيّن فيما بينهما.

أولهما هو الحركة العالمية للإخوان المسلمين الذين يمثلون أبرز الكيانات الإسلامية السياسية – الاجتماعية السلمية على مستوى العالم؛ إذ يتوافر لها هياكل قيادية موحدة وخطوط إستراتيجية عامة مشتركة تقوم بإقرارها تلك الهياكل، بينما تملك فروع الحركة الوطنية المختلفة كل الحق في تحديد ما تتبناه من سياسات وتوجهات دونها.

أما الكيان الثاني فهو المعروف اليوم باسم تنظيم أو شبكة القاعدة، وهو الممثل الأبرز لفئة الكيانات الإسلامية الدينية ذات الطابع الجهادي أو العنيف؛ إذ تشترك الفروع أو الجماعات المندرجة ضمنه في كثير من التوجهات العامة والأفكار والممارسات العملية، على الرغم من التباعد الجغرافي بين المناطق والبلدان التي تتواجد فيها. أما الكيانات الإسلامية ذات الطابع الاجتماعي فلا يكاد يوجد بينها أو لها على الصعيد العالمي أي شكل موحد أو آلية للتنسيق فيما بينها.

ويبدو واضحاً أن هذا الوضع لا يعد هو الطبيعي ولا الأمثل للكيانات الإسلامية على المستوى العالمي من حيث القدرة على التنسيق فيما بينها سواء في الأفكار أو الممارسات التي تفضي إلى وجود عالمي مؤثر لها متجاوز أي تناقض أو تعارض فيما بينها في هذا الجانب أو ذاك المحور. وتزداد استثنائية ذلك الوضع وخطورته عند النظر إلى الأوزان المختلفة للفئات الثلاث لتلك الكيانات؛ إذ يبدو واضحاً أن الغالبية الساحقة منها تنتمي للفئتين الأولى السياسية – الاجتماعية والثالثة الاجتماعية المركزة على الطابع السلوكي، في حين تظهر كيانات الفئة الثانية ذات الطابع العنيف والجهادي في وضع هامشي قليل العدد والتأثير بالمقارنة بها، ومع ذلك فهي تبدو أكثر تنسيقاً وتكاملاً على المستوى العالمي من الفئتين الأخريين. كذلك يبدو ذلك الوضع المفتت للفئتين الأكبر والأهم من الكيانات الإسلامية على

الصعيد العالمي، متناقضاً مع ما تطرحه وتعتقده هي نفسها من دور "عالمي" للإسلام لا يبدو في واقع الممارسة العملي أنها تسعى إلى وضعه موضع التطبيق.

من هنا، فلاشك أنه لا يكفي لهاتين الفئتين المهمتين من الكيانات الإسلامية أن تتواجد مؤسسات وكيانات دولية قليلة تعبر عنهما، مثل الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أو مجمع الفقه الإسلامي الدولي، أو الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل، فهما تحتاجان لمزيد من تلك المؤسسات والكيانات ذات الطبيعة الدولية. وفي هذا السياق فلا شيء يمنع من تشكيل دولية إسلامية تضم الأحزاب والجماعات السياسية الإسلامية من مختلف بلدان العالم، وتسير على غرار الدوليات الأخرى القائمة بالفعل اليوم مثل دولية الأحزاب الاشتراكية وغيرها، الأمر الذي يضيف بدون شك قوة أكبر لكل تلك الأحزاب والجماعات في بلدانها، وقوة أخرى لها مجتمعة على الصعيد العالمي. كذلك فمن الممكن تطبيق نفس الفكرة على مستوى الجمعيات الأهلية الإسلامية بمختلف أنواعها الاجتماعية والثقافية والخيرية، بحيث تتشكل اتحادات دولية تضمها معاً، مما يوفر لها القدرة على التنسيق من ناحية، وإبراز الوجود الإسلامي العالمي على ذلك الصعيد من ناحية أخرى

==============

الحركة النسويّة الغربيّة ومحاولات العولمة (2/1)

الحركة النسويّة الغربيّة في طور جديد

د. إبراهيم الناصر * 1426/3/25

2005/05/04

الحركة النسويّة: هي حركة غربيّة عُرفت سابقاً بحركة تحرير المرأة ثم انتقلت إلى عالمنا العربي و الإسلامي من خلال الغزو العسكري والثقافي فشقيت بها الأمة منذ عقود من الزمن، وما زالت هذه الأفكار تُستورد تباعاً، كلما حصل تطورات فكريّة لهذه الحركة في موطنها الأصلي.

وتعريفها باختصار عند أتباعها هي: الفلسفة الرافضة لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل، وإعطاء فلسفة وتصور عن الأشياء من خلال وجهة نظر المرأة.

والمتخصصون يفرقون بين النسويّة والنسائيّة، فالنسائيّة: هي الفعاليّات التي تقوم بها النساء دون اعتبار للبعد الفكري والفلسفي، وإنما بمجرد أنها فعاليات تقوم بها المرأة، بينما النسويّة تعبر عن مضمون فلسفي وفكري مقصود حسب التعريف السابق.

– موجبات وجود هذه الحركة في الغرب هي صورة المرأة في المصادر الثقافيّة الدينيّة الغربيّة أي في التراث اليهودي والمسيحي باعتبار أن الحركة هي نتاج المجتمع الغربي وثقافته، وليست نتاج المجتمعات الأخرى سواء كانت إسلاميّة أو غير إسلاميّة؛ فقد نشأت فيه وانبعثت منه، فمن أهم أسباب وجودها صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي؛ فالمرأة في هذا التراث هي أصل الخطيئة؛ لأنها هي التي أغرت آدم بالخطيئة عندما أكلت من الشجرة كما هو منصوص عليه في كتبهم الدينية المحرّفة، فالرب عندما فعلت هذا الفعل حكم بسيادة الرجل عليها نهائياً، وقد ترتب على هذا الموقف – فيما بعد – أحكام وأوصاف أخرى للمرأة في هذا التراث، فهي شيطانة وملعونة، وليس لها روح تستحق من خلال هذه الروح أن تدخل الجنة بل الأغلب أنها تدخل النار، ولا توجد امرأة لديها فضيلة يمكن أن تدخلها إلى الجنة, هذا أحد موجبات وجود هذه الحركة وأسباب انتشار هذه الأفكار التي تجمّعت عليها هذه الحركة.

الموجب الآخر لهذه الحركة المتطرفة هو موقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من (أفلاطون) الفيلسوف اليوناني المشهور الذي يصنف المرأة في عدد من كتبه ومحاوراته مع العبيد والأشرار ومع المخبولين والمرضى, إلى الفلاسفة المتأخرين مثل (ديكارت) من خلال فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة: فيربط العقل بالذكر ويربط المادة بالمرأة، والفيلسوف (أوغست كنت) أحد أباء الفلسفة الغربية: يصف المرأة بأنها ضعيفة في كافة الاتجاهات بالذات في قدراتها العقلية, كذلك فيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك رسو) يقول: إن المرأة وُجدت من أجل الجنس، ومن أجل الإنجاب فقط إلى (فرويد) اليهودي رائد مدرسة التحليل النفسي وموقفه المعروف من المرأة الذي يتضمن أن المرأة جنس ناقص لا يمكن أن يصل إلى الرجل، أو أن تكون قريبة منه.

هذا الموقف التراثي الديني المنبعث من التحريف الموجود في العهدين القديم والجديد مع موقف هؤلاء المفكرين والفلاسفة هما الموجبان الرئيسان لهذه الحركة النسوية.

فدعاة النسوية يتخذون من هذه الأفكار منطلقاً لنشر الثقافة المضادة عن المرأة التي شكلت مفاهيم وقيم ومبادئ الحركة النسوية الغربية، ثم هم يهدفون أن تكون حركة نسوية عالمية.

ما هي النتائج التي عكسها الموقف التراثي الديني والموقف الفكري الفلسفي حسب رؤية النسويّين؟

قالوا: إن تهميش المرأة, وسيطرة الرجل عليها سبب نشوء جماعات ذكوريّة متطرفة في نظرتها إلى المرأة مسيطرة عليها لا تعطي لها فرصة إثبات وجودها مما تسبب في نشوء تمييز على أساس الجنس أي تمييز ضد المرأة، ولذلك أصبح الحل في نظر الحركة النسويّة الغربيّة: هو التخلي عن المنطلقات التي كوّنت هذه النظرة، وهي العقائد والأعراف الدينية والشرائع السماوية باعتبار أن هذا الوضع للمرأة هو إفراز لتلك النظرة في التراث الديني.

ثم برزت فكرة الصراع بين الرجل والمرأة من أجل أن تنتزع المرأة الحقوق التي سلبها الرجل منها، أي أن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة صراع على الحقوق، لذا كان من أهم الحلول التي طرحتها الحركة النسويّة الغربيّة هو التخلي عن العقائد ورفض الدين؛ فالفكر النسوي قائم على أساس فكري علماني صرف، وهذه حقيقة لا بد أن ندركها؛ لأن هذا الفكر اللاديني تأثرت به معظم المجتمعات الإسلامية.

و في أثناء مسيرة هذا الفكر نشأ تياران داخل الفكر النسوي في المجتمعات الغربية:

التيار الأول:التيار النسوي الليبرالي المعروف بحركة تحرير المرأة، وهو الذي بدأ في العالم الغربي منذ قرن ونصف القرن، ويقوم على مبدأين أساسيين هما: المساواة و الحرية, مبدأ المساواة التماثلية بين الرجل والمرأة ومبدأ الحرية شبه المطلقة, وهذان المبدآن الرئيسان اللذان قامت على أساسهما الحداثة الغربية, كيف نشأ هذان المبدآن؟ هذه قصة فلسفية طويلة لا حاجة للوقوف عندها، لكن العبرة بآثارهما؛ فهما الأساسان اللذان قام عليهما الفكر النسوي كأحد منتجات الحضارة الغربية، وقد تم تكريس هذا الفكر على المراحل الآتية:

1- قامت ثورتان في المجتمع الغربي ترفعان هذين المبدأين وهي الثورة الأمريكية عام 1779م والثورة الفرنسية عام 1789م، ومبادئ هاتين الثورتين ضمنتا في الدساتير التي قامت عليه الدولتان الأمريكية والفرنسية، ثم ترسّخت هذه المبادئ في الفكر الغربي المعاصر.

2- قام التنظيم الدولي المعاصر على هذا الأساس, فمبادئ الأمم المتحدة عندما نشأت عام 1945م ضمنت في وثيقتها رفض التمييز على أساس الجنس، وتحقيق المساواة التماثلية بالمفهوم الغربي الذي يقوم على فكرة الصراع بين الرجل والمرأة من أجل الحقوق التي يسيطر عليها الرجل.

3- صيغت الصكوك والاتفاقات الدولية على أساس هذه المبادئ، وأهم وثيقتين في هذا الصدد هما:

ا - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان(1948) وهو ينص على وجوب الالتزام بهذه المبادئ ويؤكد على عدم التمييز على أساس الجنس وعلى تحقيق المساواة التماثلية بين الرجل والمرأة وعلى حرية الزواج خاصة في المادة السابعة والمادة السادسة عشر.

ب - الوثيقة الثانية وهي الأهم والأخطر من بين هذه الاتفاقيات فيما يخص المرأة اتفاقية (سيداوcedaw) أو (اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة) عام (1979) . وهي اتفاقية مكونة من (30) مادة، وموادها الست عشرة الأولى تؤكد على عدم التمييز وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، وتشجيع الاختلاط بين الجنسين، والمساواة بين الزواج والطلاق.

4- مرحلة عولمة هذا الفكر من خلال الصكوك والوثائق الدولية، و ترويجها من خلال المؤتمرات الأممية التي تنعقد بين الفينة والأخرى في القضايا الاجتماعية مثل مؤتمر السكان في القاهرة عام 1994م، ومؤتمر المرأة في بكين عام 1995م، وهذا الأخير هو أخطرها لأن وثيقته اعتبرت مرجعية في مصاف اتفاقية (سيداو) من حيث الأهمية والمتابعة مع أن وثائق المؤتمرات عبارة عن توصيات وليست اتفاقاً دولياً, لكن النشاط المحموم في متابعة تنفيذ مقررات هذه الوثيقة (وثيقة بكين) يدل على

مرجعيتها، فانعقد عام 2000م في نيويورك اجتماع دولي سُمّي بِـ(بكين 5) لمتابعة تنفيذ ما في هذه الوثيقة، و في فبراير هذا العام 2005م انعقد في نيويورك مؤتمر (بكين10) لمتابعة تنفيذ توصيات نفس الوثيقة، وفي كل هذه الاجتماعات يُطلب من الدول تقديم تقارير توضح مدى التقدم في تنفيذ هذه التوصيات، وما هي العوائق التي تقف في وجه تنفيذ ما لم يُنفذ.

التيار الثاني: الذي أفرزه الفكر النسوي الغربي عبارة عن تيار نسوي متطرف يطالب بتغيير البنى الاجتماعية و الثقافية والعلمية واللغوية والتاريخية باعتبار أنها متحيزة للذكر، وفي داخل هذا التيار نشأت جيوب تدعو إلى دين جديد (الوثنيّة النسويّة). (female paganism) أو دين المرأة الجديد الذي يقوم على أساس تأليه المرأة مقابل الأديان الذكورية التي فيها الإله ذكر، فلا بد للمرأة أن تكون آلهة في الدين الجديد.

أهم مبادئ هذا التيار: - التخلي عن الأفكار التي أخذت صفة القدسية، ويعنون بها نصوص الوحي والتراث الديني وهذا موقف يلتقون به مع التيار الأول فمحاربة الأديان قاسم مشترك بين التيارين.

- التخلي عن الأنوثة باعتبار أن الأنوثة هي سبب ضعف المرأة وسبب هيمنة الرجل عليها، فالأنوثة تقود إلى الزواج، والزواج يقود إلى الأمومة، والأمومة تقود إلى تكوين الأسرة، ففي كل هذه المراحل تكون المرأة الطرف الأضعف، والرجل يكون الطرف المهيمن.

كيف يمكن التخلي عن الأنوثة في نظرية هذا التيار؟

يتم ذلك عن طريق عدد من الإجراءات :

ا- تغيير النظام الأسري الذي يصنع نظاماً طبقياً ذكورياً يقهر المرأة, وهذا لا يتم إلا بتقويض مفهوم الأسرة المعروف وإحلال الأسرة الديمقراطية محلها.

ب- حق المرأة في الإجهاض بحرية حسب الطلب، وتسهيل ذلك.

ج- ممارسة الجنس المثلي (اللواط والسحاق) وهذا يعطي المرأة الحرية في أن تمارس حقها الجنسي بحرية، فلا تبقى بحاجة إلى ذكر في المسألة الجنسية.

د- صياغة نظرية نسويّة لتحقيق المساواة التماثلية بين الجنسين، ولا يتم ذلك إلا بخلخلة الثنائية السيكولوجيّة والاجتماعيّة التقليديّة بين الذكر والأنثى، وإيجاد بديل عنها، وهو مصطلح (الجندر) أو الجنوسة وهو النوع الاجتماعي بدلاً عن مصطلح الجنس.

ما هو مفهوم (الجندر)؟

يقوم هذا المفهوم على أساس تغيير الهوية البيولوجية والنفسية الكاملة للمرأة, و يقوم أيضاً على إزالة الحدود النفسية التي تفرق بين الجنسين على أساس بيلوجي أو نفسي أو عقلي, كذلك يزيل الهويّة الاجتماعيّة التي تحدد دوراً مختلفاً لكل واحد من الجنسين في الحياة وتمايزه عن الجنس الآخر.

سبب التمييز والاختلاف بين الرجل والمرأة حسب تفسير هذا التيار المتطرف للحركة النسوية: أن التنشئة الاجتماعية والأسرية تتم في مجتمع ذكوري، أي أن الأنظمة ذكوريّة والآلهة ذكوريّة حتى عقيدة التثليث المسيحية هي ذكورية فالأب والابن وروح القدس كلهم ذكور يرمز لهم بـ (He) ضمير المذكر وليس (She)ضمير المؤنث.

هذه التنشئة الاجتماعية والأسرية والبيئية التي يتحكم فيها الذكر بالأنثى تحدّد دور المرأة في المجتمع فتنشئ تمييزاً جنسياً, فالأنثى اكتسبت خصائص الأنوثة بسبب التنشئة الاجتماعية و البيئية وبسبب المصطلحات اللغوية التي تميز بين الذكر والأنثى، التي أبرزتها كأنثى, بينما الذات الواحدة يمكن أن تكون مذكراً أو مؤنثاً حسب القواعد الاجتماعية السائدة, فلا توجد ذات مذكرة في جوهرها ولا ذات مؤنثة في جوهرها, هذا الاعتقاد هو الذي قاد إلى فكرة (الجندر) أي النوع الاجتماعي باعتبار أنه إذا بقي الوصف بالجنس (ذكر وأنثى) لا يمكن أن تتحقق المساواة مهما بُذل من محاولات لتحققها فلابد من إزالة صفة الأنوثة لتحقيق المساواة أو تخفيفها على الأقل؛ لتخفيف التمييز وبناء على ذلك لا يُقسم المجتمع على أساس الجنس ولا تقوم الحياة الاجتماعية، ولا تؤسس العلاقات الاجتماعية على أساس الذكر والأنثى، إنما يكون نوع إنساني (Gender), وبذا تتخلخل هذه الثنائيّة الاجتماعيّة المكونة من المذكر والمؤنث.

كيف يمكن إيجاد الأسرة الديمقراطيّة وتكريس مفهوم جديد للأسرة يتوافق مع مبادئ هذا التيار باعتبار أن الأسرة التقليديّة عائق في تحقيق المساواة الكاملة؟

يتم ذلك من خلال إجراءات تحقّق في النهاية خصائص الأسرة الديمقراطية، وأهم هذه الإجراءات:

- إلغاء مؤسسة الزواج لأنه معوق أساس في تحقيق المساواة، وهو في النهاية يوجد طبقية بين الزوجين، ويكرس السيادة للمذكر على المؤنث.
- تحرير المرأة من الحمل والإنجاب وإحلال الحمل، والإنجاب الصناعي لأن الحمل والإنجاب عمليتان استبداديّتان في حق المرأة؛ فلابد من تحرير المرأة منهما.
- إلغاء دور المرأة في تربية الأطفال، ومن القيام بالأعمال المنزلية وإقامة مراكز تربويّة لتربية الأطفال داخل المجتمع وليس بالبيت.

هذه المبادئ تأخذ عند بعض جيوب هذا التيار شكل إنشاء دين جديد وثني يسمونه دين المرأة الجديد أو الوثنيّة النسويّة ((female paganism حسب مصطلحاتهم كما ذكرنا سابقاً, وقد اعتنق مبادئ الوثنيّة النسويّة الجديدة حسب آخر الإحصائيات المتاحة في السبعينيات الميلادية أكثر من مائتي ألف امرأة، ويتوقع أن تزداد هذه النسبة في مرحلة ما بعد الحداثة, لأن مبادئ هذا التيار تتوافق مع مبادئ وأفكار هذه المرحلة مثل التعددية النسبية, رفض المُطلقات والثوابت, ومن غرائب أفكار هذا التيار المتطرف (الوثنيّة النسويّة) أنهم يتهمون العلم الطبيعي المادي بأنه تسبب باغتراب الإنسان عن ذاته وعن الإيمان الروحي، ولذلك تضع هذه الحركة من أهدافها إعادة الروح للإنسان من خلال تأليه الطبيعة, الذي يساعد على إعادة العلاقة بين الطبيعة وبين الإنسان بعد أن دمرها الرجل المستبد المسيطر الذي صنع آلات الدمار فدمر بها الطبيعة؛ فلابد من إعادة العلاقة من جديد بين الطبيعة وبين الإنسان من خلال المرأة؛ لأن هناك علاقة مباشرة بين المرأة والطبيعة، فالطبيعة فيها الجمال والخصب وفيها النماء وتوحي بالسلام، وهكذا هي صفات المرأة، فالمرأة متوافقة مع الطبيعة، فإذا ألّهت الطبيعة ألّهت المرأة فتنشأ علاقة مقدسة بينهما، فالطبيعة هي وجه المرأة، والمرأة هي وجه الطبيعة. وبناء على هذه الأفكار نشأ مذهب داخل هذه الحركة في المجتمع الغربي يُسمّى المذهب النسوي البيئي

((Ecofeminism, يكون الربّ فيه مؤنثاً وأظهروا له تماثيل بشكل المرأة ذات الصدر العالي تُسمّى (الإلهة) (Godess) مؤنثة وليس (إله) ((God مذكر، واسترجعوا تاريخ الوثنيات القديمة التي ألّهت الطبيعة في مجتمعات آسيوية وأفريقية قديمة ليضعوه أحد مسوغات هذا الفكر الجديد بوجهه النسوي المتطرف في العالم الغربي.

ومجمل القول: إن هذا الفكر قائم على أساس تدمير الأديان؛ لأنها قامت على أساس ذكوري من الإله إلى الأنظمة السياسية، إلى المجتمع، إلى الرجل الذي يتحكم بالمجتمع الذكوري، ويستبد به، ويصنع هذه البيئة الذكوريّة على حساب المرأة، كما يقوم هذا الفكر على إزاحة البُنى التي قامت على أساس ذكوري، ونبذ القوالب الثابتة والأفكار الجامدة في إشارة إلى الأفكار المتأثرة بالفكر الديني.

ثم صياغة فكر نسوي يتمثل في الوثنيّة النسويّة أو دين المرأة الجديد يقوم على مفهوم (الجندر)، والأسرة الديمقراطية، ويقوم على عبادة الطبيعة من أجل التوازن البيئي، وربط ذلك بالمرأة لأنها تمثل الجمال والخير والخصب والنماء. والتركيز على المرأة كذات مستقلة عن الرجل وتستغني عنه حتى في الجنس بتشريع السحاق، وباختصار فإن "الفكر النسوي الغربي عبارة عن هجوم على طبيعة الإنسان الاجتماعي، و إلغاء الثنائية الإنسانيّة (الذكر والأنثى) التي يستند إليها العمران الإنساني" كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري.

هناك حركة محمومة في هذا الاتجاه في عدد من البلدان العربية والإسلامية كل مجتمع بحسبه، ولو أخذنا مثالين من المغرب ومصر؛ ففي المغرب حركة قوية جداً في الغارة على ما بقي من أحكام الشريعة الإسلامية في بعض جوانب الأحوال الشخصية تحت شعار إدماج المرأة في التنمية، وأما في مصر فهناك قوانين جديدة للأحوال الشخصية وجدل كبير حول مبادئ النسوية،والجمعيات النسوية الموجودة في مصر من كثرتها يسميها بعض الكتاب الدكاكين النسوية، وهي بالمئات وبعضها تمول تمويلاً أجنبياً للقيام بأنشطة مريبة هناك، فهناك أكثر من خمسين مؤسسة تمويل، أمريكية في الدرجة الأولى ثم كندية ثم أوروبية وأسترالية، ومنها مؤسسات

تابعة للأمم المتحدة، وبعضها مؤسسات رسمية، أو شبه رسمية، ومنها مؤسسات طوعية أهلية ليست على علاقات بالحكومات.

ومن أبرز المشاريع التي مولتها بعض مؤسسات التمويل الغربية في مصر مشروعات لمتابعة تنفيذ مقررات وثيقة بكين في مصر، فهناك أكثر من مؤسسة تمويل دعمت أكثر من جمعية لنفس الهدف.

أما على مستوى التنظيم الرسمي فهناك عدد من المجالس واللجان المعنية بشؤون المرأة، مجالس ولجان عليا تخطيطية ولجان تنفيذية ، كذلك صدر عدد من التشريعات لتتوافق مع مقررات (سيداو: اتفاقية القضاء على كافة إشكال التمييز ضد المرأة) ولتتوافق مع مقررات بكين ومن أهمها موضوع الأحوال الشخصية، والجدل الذي دار في مجلس الشعب المصري لتغيير عدد من مواد قانون الأحوال الشخصية في مصر، وصدور عدد من التشريعات في هذا الاتجاه يحكي الحالة المصرية، كما أن التحفظات المصرية المعتادة على بعض الاتفاقيات الدولية في هذا الصدد بدأت تختفي أو زالت بحكم الواقع ، ولو انتقلنا إلى السعودية التي قاطعت رسمياً المؤتمرات هذه (مؤتمر السكان ومؤتمر بكين) وصدر بيانان من هيئة كبار العلماء مستنكراً أفكار وثيقتي المؤتمرين وحضورهما، لكن في المقابل وقعت المملكة على اتفاقية (سيداو) مع التحفظ المعتاد على ما يخالف الشريعة الإسلامية، لكن المشكلة أن القانون الدولي لا يقبل مثل هذه التحفظات لوجود اتفاقية دولية (اتفاقية جنيف) تنص على أن التحفظ على أي بند في أي اتفاقية دولية لا يكون مقبولاً إلا إذا كان يتعلق في جوهر هذه الاتفاقية، ومعلوم أن مخالفة اتفاقية (سيداو) للشريعة الإسلامية هو في بنودها الموضوعية الجوهرية ، ومن الأشياء التي تُحمد لمجتمعنا في السعودية أن الجمعيات النسائية لم تتورط في هذه الفتنة المتمثلة في هذا الفكر النسوي المنحرف، كما هو الحال في كثير من الجمعيات النسوية في المجتمعات العربية والإسلامية. ومع الأسف أنك تجد أطروحات كثير من هذه الجمعيات في تلك المجتمعات تتوافق مع أطروحات جمعيات الحركة النسوية العالمية، ففي مؤتمر بكين كان من أسوأ الأطروحات ما جاء من بعض الجمعيات النسائية العربية، بينما كانت

الجمعيات النصرانية الغربية خاصة الكاثوليكية أكثر محافظة من بعض الجمعيات العربية النسوية.

ومما يحمد للمجتمع السعودي أنه يمنع الاختلاط في أكثر المجالات ، والاختلاط بين الجنسين في فكر الحركة النسوية العالمية وفي اتفاقية (سيداو) من مظاهر المساواة ومنعه يعتبر تمييزاً في حق المرأة، ولذا فإن هذه الاتفاقية تنص على ضرورة الاختلاط في التعليم وفي العمل، ولكن هذا المجتمع متمسك ومتماسك إلى حد كبير في هذه المسألة عدا بعض الخروقات في بعض مواقع التعليم والعمل مع أن الأنظمة والتعليمات تنص على منع الاختلاط، ونظام العمل والعمال المعمول به الآن ينص على عدم الاختلاط؛ فينبغي المحافظة على هذه القيمة الفاضلة في المجتمع حتى لا نِزل أو نِضل بتشرب هذه الفتن التي ابتليت بها مجتمعات إسلامية وعربية.

وأهم ما ينتقدونه على المجتمع السعودي في اللجان والمؤتمرات هو عدم تمكين المرأة – تمكين المرأة مصطلح نسوي يعني أن تمكن في المجتمع كالرجل تماماً– في تولي الوظائف القيادية والمشاركة في اتخاذ القرار وتولي القضاء، وقد تولت امرأة القضاء في مجلس الدولة في مصر هذه السنة لأول مرة، مع أن الفتوى الشرعية في مصر عدم جواز تولي المرأة للقضاء.

أيضاً ما ينتقدونه على المجتمع السعودي تمييز الرجل عن المرأة في الميراث، وكذلك الشهادة أمام المحاكم، وموقف هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المرأة، والتمييز ضد المرأة بمنع الاختلاط، ومنعها من قيادة السيارة، وعدم حرية التنقل والسفر دون محرم وخاصة السفر الخارجي، وعدم المشاركة في الوفود الرسمية الخارجية.. هذه أهم الانتقادات التي توجه إلى المملكة العربية السعودية، ومعظم هذه القضايا ذوات أبعاد شرعية واجتماعية، وهذه الاتفاقية وتوصيات المؤتمرات تطالب تطبيق بنودها دون اعتبار للأحكام الشرعية والمواقف الثقافية.

كيف نواجه ضغوط الموقف الخارجي:

على المستوى الخارجي:المشاركة الفعالة في هذه اللجان والمؤتمرات ولا أرى أن المقام يتسع للمقاطعة؛ لأن الضعيف إذا قاطع لا يؤبه به – ونحن ضعفاء مادياً وسياسياً في هذه المرحلة – وإنما إذا شارك أثبت حضوره وقرر فكره ونشر مبادئه

بخلاف القوي إذا قاطع فسيكون له أثر، فالولايات المتحدة الأمريكية عندما قاطعت اليونسكو ضعفت اليونسكو بسبب أن الذي قاطع دولة قوية كالولايات المتحدة الأمريكية، لكن إذا أتت بعض الدول الإسلامية وقاطعت مؤتمرات عالمية فإن هذا لا يؤثر كثيراً. فمن الحكمة –والله أعلم– أن نشارك ونطرح وجهة النظر الشرعية والرؤية الإسلامية بقوة ومن دون انهزامية حتى نزاحمهم ونكاثرهم ونثبت في وثائق هذه المؤتمرات وجهة النظر الإسلامية، ونمنع تفرد وجهة نظر النسوية العالمية التي تتبناها السياسة الغربية والأمم المتحدة، والحذر من أن نظهر وكأننا نريد أن نتوافق مع مواد اتفاقية (سيداو) أو مقررات بكين؛ لأننا لا نستطيع أن نستبدل مرجعيتنا الشرعية والثقافية بهذه المقررات، فالله سبحانه وتعالى يقول (فماذا بعد الحق إلا الضلال)، ولأن مجتمعنا سيرفض ذلك تماماً فهذا الخيار غير ممكن، ولذا سنستمر في جدل مع لجان المتابعة ومجاملات لهم توصلنا إلى حال مرتبك، لكن إذا أظهرنا ديننا ومبادئنا وأعلنا ثوابتنا وأن قيم مجتمعنا نشأت على أساس مبادئ وأحكام الشريعة التي قامت عليها شرعية الدولة ونشأ عليها المجتمع؛ فيمكن أن ننفذ بهذه الحجة التي قد لا يقتنعون بها في البداية لكن بعد الإصرار والثبات والعرض القوي الحكيم، ولذا يكون من المناسب أن يتضمن الموقف نقد مفهوم الحرية الغربي ومفهوم المساواة القائم على فكرة التماثل بين الجنسين وظيفياً، ونبين موقف الإسلام من هذه القضايا بحسن عرض وقوة منطق، فنتحدث عن العدل في مقابل المساواة، وأن المساواة ليست دائما تحقق العدل؛ بل تكون أحيانا ظلماً وهذا ما يحصل بالنسبة للمرأة الغربية، فهم يظنون أنهم يحققون لها المساواة وهذا ليس صحيحا لأن التسوية بين المختلفين تكون ظلماً في كثير من الأحيان وفي حالتنا هذه تكون المرأة هي المظلومة.

على المستوى الداخلي:هناك أطروحات ليبرالية داخلية تريدنا أن نبدأ بدرجات السلم الأولى للهبوط من خلال التوافق مع أجندة المؤتمرات أو بعضها مستثمرين ظروف المرحلة. ومواجهة هذه الأطروحات يكون بعمل إيجابي يقوم على حل مشكلات المرأة بالتزامن مع تطوير وتنمية أدائها لوظائفها ودورها الاجتماعي ، ويكون ذلك بالتالي:

أولاً : من خلال تحرير الموقف الشرعي من حقوق المرأة وواجباتها بوضوح، وبيان أن مقتضى كون الشريعة مرجعاً لنا هو قبول هذا الموقف والانقياد له في المجتمع المسلم.

ثانياً: من خلال بيان ما يواجه المرأة من مشكلات؛ فالمرأة تواجه مشكلات كثيرة في أي مجتمع من المجتمعات مثلها مثل غيرها من أفراد المجتمع، فالرجل له مشكلاته، والأطفال لهم مشكلاتهم ، والمعاقون لهم مشكلاتهم وهكذا.. ، ونظراً لأن المرأة لها اعتبار خاص وقضيتها مطروحة الآن وهي مدخل للفتنة في مجتمعنا كما هي فتنة للحضارة الغربية المعاصرة؛ فلا بد أن نواجه هذه القضية بما يكافئها علمياً وعملياً، ومنها أن ننظر في مشكلات المرأة التي تواجهها في المجتمع بنظر شرعي واقعي.

ما هي مشكلات المرأة مع الرجل؟ ما هي مشكلات المرأة في المجتمع؟ ما هي مشكلات المرأة مع الأنظمة؟ ما هي مشكلة المرأة مع المرأة؟ هناك مشكلات تواجهها المرأة مع المرأة يغفل عنها كثير من المهتمين بشأن المرأة ، المرأة كثيراً ما تظلم المرأة، كم تظلم الضرة ضرتها! وكم تظلم زوجة الابن أم الزوج والعكس! كم تظلم العميدة عضوات التدريس! كم تظلم المدرسة الطالبات! وكم تظلم المديرة المدرسات والموظفات! وهكذا...

ثالثاً: اقتراح البرامج العملية لحل هذه المشكلات بأن يبادر أهل العلم والمثقفون والدعاة والمصلحون وأصحاب الغيرة بالتصدي لهذه القضية، ولا تترك للناعقين والمتفيهقين ولمدعي العلم والثقافة ممن في قلوبهم مرض، المستنسخين لفصول من الثقافة النسوية الغربية، مستقوين بفكر العولمة الذي يدعم هذا الاتجاه، ومستغلين ظروف البلاد بعد أحداث سبتمبر عام 2001م.

من المبادرات الجيدة لبعض أهل العلم والدعوة صدور وثيقة تحمل تصوراً شرعياً لقضايا المرأة، سميت بـ (وثيقة حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام) وقعها أكثر من ثلاث مئة عالم وداعية ومفكر ما بين رجل وامرأة، وهذه الوثيقة قسمت إلى أقسام:

أولاً: منطلقات أساسية ذكرت الوثيقة عدداً من المنطلقات التي يجب أن يبنى عليها أي مشروع للمرأة سواء في بيان الموقف الشرعي تجاه المرأة أو عند مناقشة

المشكلات أو في مرحلة طرح البرامج والحلول، وأذكر فقرتين كنموذج لما ورد في باب المنطلقات من هذه الوثيقة المتميزة:

الفقرة الأولى: تقرر الوثيقة أن دين الإسلام هو دين العدل، ومقتضى العدل التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين، ويخطئ على الإسلام من يطلق أنه دين المساواة دون قيد، حيث إن المساواة تقتضي أحياناً التسوية بين المختلفين وهذه حقيقة الظلم، ومن أراد بالمساواة العدل؛ فقد أصاب في المعنى وأخطأ في اللفظ، ولم يأت حرف واحد من القرآن يأمر بالمساواة بإطلاق، وإنما جاء الأمر بالعدل قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فأحكام الشريعة قائمة على أساس العدل؛ فتسوي حين تكون المساواة هي العدل، وتفرّق حين يكون التفريق هو العدل، قال تعالى: (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)، أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام؛ لذا فإن الإسلام يقيم الحياة البشرية والعلائق الإنسانية على العدل كحد أدنى، فالعدل مطلوب من كل أحد مع كل أحد في كل حال، قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

الفقرة الثانية في هذا الباب: في مجال العلائق بين البشر. تعتبر الجاهلية الغربية المعاصرة الفردية قيمة أساسية، والنتيجة الطبيعية والمنطقية لذلك هو التسليم بأن الأصل في العلاقات بين البشر تقوم على الصراع والتغالب لا على التعاون والتعاضد، وعلى الأنانية والأثرة لا على البذل والإيثار، وهذه ثمرة الانحراف عن منهج الله، فصراع الحقوق السائد عالمياً بين الرجل والمرأة هو نتاج طبيعي للموروث التاريخي والثقافي الغربي بجذوره الميثولوجية (الدينية) الذي تقبل أن فكرة العداوة بين الجنسين أزلية وأن المرأة هي سبب الخطيئة الأولى، وهذا الموروث ربما التقى مع بعض الثقافات الأخرى، ولكنه بالتأكيد لا ينتمي إلى شريعة الإسلام ولا إلى ثقافة المسلمين؛ فالحقوق عند المسلمين لم يقرها الرجل ولا المرأة إنما قررها الله اللطيف الخبير.

وفي باب آخر من هذه الوثيقة: تحت عنوان "أصول شرعية في حقوق المرأة وواجباتها" تكلمت الوثيقة عن عدد من النقاط كان منها: التأكيد على موضوع الأسرة وعلى موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة وأنها علاقة تكاملية وليست تماثلية، وقالت

في بند من بنودها: "حفظت الشريعة الإسلامية –المراعية للعدل– أن للمرأة حقوقاً في المجتمع تفوق في الأهمية الحقوق التي تضمنتها وثيقة حقوق الإنسان الصادرة عن الأمم المتحدة القائمة على أساس المساواة التماثلية وتغفل الجاهلية المعاصرة هذه الحقوق ولا تبالي بانتهاكها، مثل: حق المرأة في الزواج حسب الشريعة الإسلامية وأيضاً حقها في الأمومة وحقها في أن يكون لها بيت تكون ربته ويعتبر مملكتها الصغيرة، حيث يتيح لها الفرصة الكاملة في ممارسة وظائفها الطبيعية الملائمة لفطرتها، ولذا فإن أي قانون أو مجتمع يحد من فرص المرأة في الزواج يعتبر منتهكاً لحقوقها ظالماً لها.

ومعلومٌ أن الفكر النسوي ينتهك هذه الحقوق (حق الزواج وحق الأمومة)، فاتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة تدعو الدولة الموقعة أن تدعم تعليم وعمل المرأة ولو على حساب الزواج، وتحارب الزواج المبكر، هذا فضلاً عن موقف التيار النسوي المتطرف المطالب بإلغاء قدسية الزواج!.

وتكلمت الوثيقة أيضاً في باب آخر تحت عنوان رؤى الوثيقة عن نقاط عدة، منها: أن الإسلام بعد تقرير المساواة بين الرجل والمرأة في معنى الإنسانية والكرامة البشرية والحقوق التي تتصل مباشرة بالكيان البشري المشترك والمساواة في عموم الدين و التشريع، يفرق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق والواجبات تبعاً للاختلاف الطبيعي الحاصل بينهما في المهام والأهداف والاختلاف في الطبائع التي جبل عليها كل منهما ليؤدي بها وظيفته الأساسية، وهنا تحدث الضجة الكبرى التي تثيرها المؤتمرات الكبرى الخاصة بالمرأة وروادها، و يثيرها المنتسبون للحركة النسوية العالمية ومقلدوها في العالم الإسلامي المروجون لفكرة المساواة التماثلية بين الجنسين.

إن المساواة في معنى الإنسانية ومقتضياتها أمر طبعي ومطلب عادل؛ فالمرأة والرجل هما شقا الإنسانية، والإسلام قرر ذلك بصورة قطعية لا لبس فيها، أما المساواة في وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها؟ هل في وسع هذه المؤتمرات والحركات النسوية ومنتسبيها من الرجال والنساء بقراراتهم واجتماعاتهم أن يبدلوا طبائع الأشياء؟ وأن يغيروا طبيعة الفطرة البشرية؟

إن مزية الإسلام الكبرى أنه دين ونظام واقعي يحكم في مسألة الرجل والمرأة على طريقته الواقعية المدركة لفطرة البشر؛ فيسوي بينهما حين تكون التسوية هي منطق الفطرة الصحيحة، ويفرق بينهما حين يكون التفريق هو منطق الفطرة الصحيحة، قال تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

وفي فقرة أخرى عللت الوثيقة أسباب التمايز بين الرجل والمرأة في الميراث والشهادة والدية والعمل والتعليم والحجاب وغير ذلك من الرؤى التي تخص المرأة، وفي النهاية تذكر الوثيقة مطالب وتوصيات موجهة للحكام وللمجتمع وللمرأة وأيضاً للناشطين في مجال الحقوق من المسلمين ومن غير المسلمين وتختم الوثيقة مطالبها بالاهتمام بالبرامج العملية التي تقوم على أساسين:

الأول: الثوابت الشرعية من عقائد وأحكام ومقاصد.

والثاني: الملائمة الواقعية لمستجدات الحياة.

ثم تبشر الوثيقة بأن الإسلام هو أكثر الأديان انتشاراً في العالم الغربي وأن أكثر من يسلم في الغرب من النساء... هذه أهم أفكار الوثيقة.

وأرجو أن يتبعها وثيقة أخرى تتكلم عن مشكلات المرأة في المجتمع، ثم ثالثة تطرح البرامج والحلول في المجتمع لتكون مبادرة من أهل العلم والمثقفين وأهل الغيرة والمصلحين لحماية مجتمعهم من هذه الفتنة العاصفة المتمثلة في فساد الفكر الوافد الذي تمثله الحركة النسوية العالمية وإسقاطاتها في المجتمع، وللعناية بالمرأة تربيةً وتنميةً لتقوم بدور فاعل برؤية شرعية واثقة.

============

#عولمة الوباء والتلوّث أيضاً

إبراهيم غرايبة 1426/2/2

2005/03/12

تظهر دراسات وتقارير دوليّة كثيرة جداً أن العولمة الرأسماليّة في حالتها القائمة والسائدة تهدّد على نحو خطير الدول والمجتمعات والبيئة والكون، ويصل حجم هذا التهديد إلى الكارثة والخطر، كما تكشف شبكات جماعات المناهضة للعولمة الرأسماليّة عن معلومات مذهلة حول ما تلحقه الأنشطة التابعة للعولمة الرأسماليّة من

تدمير فظيع يلحق باقتصادات الدول والمجتمعات، وثقافتها ونمط حياتها ومواردها، وأنظمتها الاجتماعيّة والسياسية، والصحة والبيئة والهواء والأنهار والأرض والغابات والصحارى والبحار والمحيطات والجزر وجوف الأرض والموارد العالميّة.

فقد رافق العولمة الاقتصاديّة والإعلاميّة موجات من الأوبئة والمشكلات البيئيّة تسربت وانتشرت في العالم بنفس الآليات والأدوات التي فرضت لتسهيل مرور السلع والأموال، فقد كان للشركات الكبرى التي أُطلق لها العنان في أرجاء العالم دور كبير في تدمير البيئة في العالم ومن أمثلة ذلك: تدمير طبقة الأوزون من خلال إنتاج مبيد "بروميد الميثيل" الذي يساهم في تدمير طبقة الأوزون، ولا تزال هذه الشركات تقف حجرة عثرة أمام تطبيق بنود بروتوكول مونتريال الخاصة بمنع إنتاج هذه المواد.

وتساهم منتجات أخرى أيضا للشركات الكبرى مثل المواد الكيماوية شديدة الخطورة، والتي لا تتحلّل طبيعياً في البيئة، و تؤدي إلى تسمّم الكائنات الحيّة، والمخلفات المشعة، وتقوم كثير من الأنشطة التعدينيّة والصناعيّة على إزالة الغابات.

وتأثرت الزراعة كغيرها من النشاطات الأخرى، تأثرت بسياسات الرأسمالية التجارية والسوق المفتوح، فأصبح قطاع الزراعة مُطالباً بإنتاج مواد غذائية بتكاليف منخفضة، وأهم مظاهر هذه العولمة في الزراعة ظهور الهندسة الوراثيّة.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن الهندسة الوراثيّة ستساعد في تقليل تكلفة الغذاء وإتاحته للفقراء، ومقاومة شحّ المياه والتصحّر في الزراعة، ولكنها أخضعت الدول الفقيرة والنامية لتبعيّة في إنتاج البذور، وقضت في الوقت نفسه على البذور التقليديّة التي كانت مستخدمة، حتى إن البعض سمّى هذه الحالة بِ" الاستعمار الجينيّ".

وعندما طرحت الشركات الأوروبية والأمريكية طعامها المعدل المعالج وراثياً قوبلت الفكرة باستياء كبير وهجوم وصل في بريطانيا لحد الهجوم على مزارع الطعام المعالج وإزالة النباتات من الأرض، ونفس المصير لاقته الشركات الأمريكية التي دفعت ملايين الدولارات لتطوير تلك الأبحاث، ورفض المستهلكون تناول ذلك الطعام، وأعلن الأطباء عن احتمالات إصابة الإنسان بالخلل الجيني، وألزمت إدارة الطعام و الدواء الأمريكية الشركات والمزارعين بعدة إجراءات توضيحيّة قبل بيع ذلك الطعام.

وعندما أرادت تلك الشركات تصديره رفضته أوروبا طبعاً، وكذلك آسيا، فكانت السوق المناسبة والملائمة لهذا النوع من الطعام هو أفريقيا الجائعة، ولكن أفريقيا لا تملك ثمناً لأي طعام، فلماذا لا يُقدّم لهم الطعام كمعونات إنسانية؟ وبذلك تضرب الشركات عصفورين بحجر واحد، فتطعم الجوعى وتختبر طعامها اختباراً مباشراً، و عن طريق غطاء شرعي هو الأمم المتحدة التي تبحث عن أي جهة تقدم عوناً لمئات الآلاف من الأفارقة الذي يعانون من المجاعة و أمراض سوء التغذية.

قدمت الولايات المتحدة الأمريكية للأمم المتحدة كميات من الذرة ومنتجاتها في شكل معونات بقيمة (111) مليون دولار أمريكي، وكان 30% منها عبارة عن ذرة مهجنة وراثياً، ووزّعتها الهيئة الدولية بالفعل على الجوعى في السودان والكونغو وإثيوبيا والصومال وعدة دول أفريقية أخرى، ولم يكن لدى برنامج الغذاء التابع للأمم المتحدة التابع للأمم المتحدة علم بها، بل لم يناقش أحد الأمر.

وبنظرة على الوضع الصحي في العالم في زمن العولمة نكتشف الكثير من الحقائق المؤلمة:

حوالي (11) مليون طفل دون السن الخامسة يلقون حتفهم في البلدان النامية.

أكثر من 40 % من العبء العالمي الناتج عن الأمراض الذي يعود إلى مخاطر البيئة يقع عل كاهل الأطفال دون الخامسة.

يُتوّفى ما يتراوح بين (6–5) ملايين شخص في البلدان النامية سنوياً بسبب الأمراض المنقولة عن طريق المياه و تلّوث الهواء.

تساهم الأحوال البيئيّة المتدنيّة بنسبة 25 % من كافة الأمراض التي يمكن الوقاية منها في العالم اليوم.

أُصيب أكثر من (60) مليون شخص بفيروس نقص المناعة البشرية الإيدز.

يُصاب (8.8) مليون شخص بالسلّ سنوياً و يدفع (1.7) مليون شخص حياتهم ثمناً له.

خسائر الملاريا في أفريقيا تتجاوز (13) مليار دولار أمريكي.

وانتشرت أيضا الأمراض التي تصيب الحيوانات ولها تماسّ مباشر مع البشر.

وتتسبب سبع دول صناعية في إطلاق أكثر من 70% من غاز ثاني أكسيد الكربون في العالم، والولايات المتحدة التي تشكل أقل من 4% من سكان العالم تطلق أكثر من 25% من الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري، وهذا يحتاج إلى جهد عالمي لخفض إطلاق الغازات المسببة للاحتباس الحراري، وكان بروتوكول (كيوتو) الذي رفضت الولايات المتحدة أن توقع عليه التزاماً دولياً عالمياً لمعالجة سخونة الأرض.

واستخدمت التقنية والإرادة السياسية لتحويل طبيعة الأراضي والشعوب في الإنتاج، كما حدث في الصين على سبيل المثال ودول أخرى كثيرة، فتوطّن جماعات الرّحل قسراً، أو تزرع الصحراء بمحاصيل لا تناسبها، أو يُعاد التنظيم الاجتماعي والسياسي لشعوب ومجتمعات درجت على إدارة نفسها بطريقة مختلفة، وفقد الناس تقريباً المعرفة بنظم الزراعة والإنتاج التقليدية، واستخدمت التقنية الحديثة بطريقة غير مناسبة مثل الإسراف في استخدام الأسمدة والمواد الكيماوية مما أدّى إلى مخاطر صحيّة وبيئيّة مكلفة، واعتبر الملايين الذين شُرّدوا أو فقدوا مواطنهم ومصادر رزقهم، بسبب السدود والمشروعات المختلفة مجرد أفراد تضاربت اهتماماتهم مع الاحتياجات التي حددتها الدولة للمجتمع القومي.

وفي جزيرة غينيا الجديدة، حيث يوجد أكبر تنوّع ثقافي وبيولوجي في العالم أدّت مشروعات استخراج النفط والمعادن إلى حرمان الناس من أراضيهم دون تعويض، وجرت صراعات مسلحة مدمرة، وحُوّل معظم السكان إلى حالة بؤس اجتماعي واقتصادي، ولم يستفيدوا شيئاً من مشروعات الذهب والنحاس والنفط، وتلوّثت الأنهار بالسموم والكيماويات، وكذلك السهول الزراعية والغابات، وقُضِي على الأسماك والحياة البريّة من حيوانات ونباتات مختلفة.

وقد دُفعت تعويضات نقدية للسكان أدّت إلى نتائج معقّدة في حياتهم؛ فقد تحوّلت إلى نمط استهلاكي، وازدادت المهور والهجرة إلى المدن واستهلاك الكحول.. وتجاهلت الشركة التي تدير المناجم النتائج البيئية المدمرة لمشروعاتها، واعتبرت أن التعويض النقدي يكفي لإخراجها من المسؤولية.

وأظهرت تقارير منظمة الأغذية والزراعة الدوليّة أن العولمة والتحرّر الاقتصادي تزيد من التصحّر والتلوّث، وبخاصة من الأنشطة القائمة على قطع الأشجار، كما يحدث على نطاق واسع في المناطق الاستوائية، والاعتداء على الأراضي الزراعيّة، ويمكن باتّباع سياسات عادلة أن تضبط عمليات تصنيع وتجارة الأخشاب دون الإضرار بالاقتصادات القائمة عليها.

وهذا غيض من فيض، فمتابعة الكتب والتقارير والدراسات حول أخطار العولمة الرأسمالية والاقتصادية تكاد تفوق قدرة الباحث المتخصص والمتفرغ.

==============

#في"العولمة": ملاحظات ضروريّة

أ. د. عماد الدين خليل 1425/12/18

2005/01/29

ابتداءً يجب التأكيد على أن (العولمة) بصفة عامة، تنطوي على طبقتين: التقنيات والخلفيّات الرُّؤيويّة أو الفكريّة.

فأما التقنيات فهي معطيات محايدة لا تشكّل أيّ تقاطع مع قيم التصوّر الإسلامي وثوابته العقديّة أو التشريعيّة أو السلوكيّة، إلاّ أن توظيفها في حمل الخلفيات الرّؤيويّة والفكريّة، وإرغام الآخر على قبولها والتسليم بها والانخراط في نسيجها هو الذي يتقاطع، وبكل

تأكيد...

ذلك أن العولمة بوضعها الراهن تستهدف اختراق العالم وفرض النموذج الغربي والمصلحة الغربية، المتمركزيْن في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وانسحاب المركزية الأوربية إلى الساحة الأمريكية.

أما النموذج الغربي الذي تُسخّر له العولمة الثقافية والسياسية، فهو نموذج ماديّ علمانيّ يتقاطع . ابتداء . مع المنظور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، ولوظيفة الإنسان في الأرض. وأما المصلحة الغربية التي تُسخّر لها العولمة الاقتصادية والاستراتيجية والعسكرية والسياسية، فهي تستهدف تفكيك الدول، وابتزاز الأمم والشعوب، وتسمين "العجل الذهبي" الأمريكي.

ها هنا في السياقين الثقافي والاقتصادي، بآلياته العسكرية والسياسية، يكون التقاطع، ليس فقط مع العقيدة الإسلامية، وإنما مع عالم الإسلام الذي يتعرض الآن، لواحدة من أبشع عمليات التفكيك والتدمير والابتزاز في تاريخ البشرية.

إن العولمة، لو أتيح لها أن تتحقق في عالم تحكمه قطبيات شتى، لكان الحال غير الحال، ولربما استطاع عالم الإسلام أن يجد ممّرات ممكنة للتوظيف والإفادة من ظاهرة اختزال الكرة الأرضية إلى قرية صغيرة، يُمارس فيها التناقل السريع المدهش على كل المستويات.

ولكن الذي يحدث هو أن النظام العالمي الجديد ذا القطبية الأُحاديّة، يقود بالضرورة إلى تحويل الظاهرة إلى أداة ناجزة لخدمة القطب الأُحادي الأمريكي، وجعل ضِرع العالم يدرّ في فمه؛ لكي يزيده غنى وتحكّماً وجبروتاً، بينما العالم الثالث –وليس عالم الإسلام وحده– يئن من الجوع والتخلّف والابتزاز، ويخضع لواحدة من أبشع عمليات إفراغ الأمم والشعوب والدول من حيثيّاتها وخصوصيّاتها، بل من الحدود الدنيا لمصالحها كذلك!

ومخطئ من يقول: "بامكان قبول الإسلام للعولمة وتسليمه بمقولاتها"، ذلك أنها – بوضعها الراهن– الذي تُوَظّف فيه لرؤية ومصلحة النظام الدولي الجديد القائم على القطبية الأُحاديّة، والذي تتحكم فيه – عبر المَدَيات الزمنية الراهنة على الأقل – الولايات المتحدة الأمريكية.

هذه العولمة تريد أن تختزل العالم، تضغطه، تسحبه، بعد إعادة صياغته، ليكون ساحة طيّعة لمطالب الرؤية الثقافية والمصلحية للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا واضح تماماً فيما يحدث على الأرض (في الميدان كما يقولون)، فلا يتطلب جدلاً أو نقاشاً لتأكيد حضوره.

أما الإسلام فهو نظام عالمي .. شريعة أُمميّة .. تمضي لخطابها التحريري إلى الإنسان في العالم كلّه: تحرّره من كل صيغ الاستلاب والصنميّة، وتمنحه حرية الاعتقاد دونما قسر أو إكراه .. هذا إلى أنها لا تصادر خصوصيات الشعوب وثقافاتها، بل تمنحها الفرصة للتحقق والعطاء.

إن حضـارة الإسـلام هـي حضـارة (الوحـدة والتنـوع)، وقـد قدّم التـاريخ الإسـلامي فـي نسيج فعالياته الحضارية نموذجاً حيوياً على التناغم بين هذين القطبين اللذين ارتطما وتناقضا في العديد من الحضارات الأخرى، ووجدا في الإطار الإسلامي فرصتهما للتلاؤم والانسجام.

فالحضارة الإسلاميّة هي – من ناحية – حضارة الوحدة التي تنبثق عن قاسم مشترك أعظم من الأسس والثوابت والخطوط العريضة بغض النظر عن موقع الفعالية في الزمن والمكان، وعن نمطها وتخّصصها. وهي – من ناحية أخرى– حضارة الوحدات المتنوعـة بـين بيئـة ثقافيـة وأخـرى فـي إطـار عـالم الإسـلام نفسـه، بحكـم التراكمـات التاريخية التي تنتج خصوصيات معينة لكل بيئة تجعلها تتغاير وتتنوع فيما بينها في حشود من الممارسات والمفردات.

إنها جدليّة التوافق بين الخاص والعام، تلك التي أكّدها القرآن الكريم في الآية (يا أيها النـاس إنـا خلقنـاكم من ذكر وأنثـى وجعلنـاكم شـعوباً وقبائـل لتعـارفوا ...)، وهـو يتحدث عما يمكن تسميته بالأمميّة الإسلاميّة التي تعترف بالتمايز بين الجماعات والشعوب والأمم، ولكنها تسعى لأن تجمعها في الوقت نفسه على صعيد الإنسانية. وهي محاولة تختلف في أساسها عن الأممية الشيوعية التي سعت . ابتداء . وبحكم قوانين التنظير الصارمة، إلى إلغاء التنوع ومصادرته، وإلى تحقيق وحدة قسريّة، ما لبِثت أنْ تأكّد زَيْفُها وعدم القدرة على تنفيذها تاريخياً بمجرد إلقاء نظرة على خارطة الاتحاد السوفياتي (المنحلّ) حتى قبل حركة

(البريسترويكا)، والرفض المتصاعد الذي جُوبهت به الأمميّة الشيوعيّة من قبل حشود الأقوام والشعوب التي تنتمي إلى بيئات ثقافية متنوعة، ومقارنة هذا بما شهده التاريخ الإسلامي من تبلور كيانات ثقافية إقليمية متغايرة في إطار وحدة الثقافة الإسلامية وأهدافها المشتركة، يتبين مدى مصداقية المعالجة الإسلامية لهذه الثنائية.

إن ما فعله الاتحاد السوفياتي في فرض أُمَميّته على الشعوب التي خضعت لمقولاته الماركسية، تفعله أمريكا اليوم، مع تغاير زاوية الرؤية .. ولكن المغزى هو نفسه .. والسؤال هو: هل بمقدور هذه الحالة (الاستثنائية) القائمة على الاحتواء القسريّ أن تدوم؟

على أية حال، فإن البنيان التحتيّ للعولمة الراهنة يقوم على الماديّة، ورفْض الغيب، والتنكر لمعطيات الوحي، وإقامة جدار عازل بين السماء والأرض، بينما في الإسلام يلتقي الوحي بالوجود، والله سبحانه بالإنسان، والروحي بالمادي، ويصير التعامل مع الكتلة، وتنميتها وتطويرها، مُهِماً وضرورياً كالصلاة والصيام.

إن عالمية الإسلام، كما يرى العديد من مفكري الغرب أنفسهم (مارسيل بوازار وروم لاندو ورجاء جارودي وموريس بوكاي وغيرهم) هي الجواب الوحيد لإعادة التوازن إلى الإنسان والعالم .. وربما إعادة بناء العولمة نفسها، بما يجعلها في خدمة البشرية على امتدادها، وليس حكراً على الإمبراطورية الأمريكية المتجبّرة وحدها.

إن المشكلة " كونيّة " كما يقول جارودي في (وعود الإسلام)، ولابدّ للجواب أن يكون كونياً.

أما تقنّيات العولمة فأمرها يختلف، وبخاصة في مجالي المعلوماتيّة والإعلاميّة، حيث الانفجار الأسطوري في آليات التواصل السريع وتناقل المعلومات، ورفع الخطاب الإعلامي إلى ملايين الناس عبر اللحظة الواحدة.

ونحن نشهد دقيقة بدقيقة، من خلال الزائر اليومي المتربّع في دورنا ومؤسساتنا ودوائرنا ومنتدياتنا ومقاهينا، ما يمكن للفضائيات والإنترنت أن يفعلاه.

إنهما يفعلان الكثير، ويقدمان الكثير، وهذا . بحدّ ذاته . يمثل تحدّياً لكلّ المعنيّين بالهمّ الإسلامي: وهو أن يُحسنوا التوظيف، وأن يبذلوا قُصارى جهدهم لتغطية ساعات

أكثر من الزمن التلفازي، لكي يطردوا بعملتهم الجيدة، العملات الرديئة التي تغطي معظم القنوات، والتي تنفث سرطانها المسموم، على كل المستويات وفي كل دار، وتدمّر بدقائق معدودات، ما يمكن أن يبنيه الجهد التربويّ في أشهر وسنوات.

نعم .. مرة أخرى .. فليس أمامنا خيار، وإن لم نُحسن التوظيف، خسرنا ما تبقّى من قيمنا وثوابتنا .. وبالعكس، فإن إدارة الصراع الثقافي بشكل جيد، وفي المساحة الواسعة المتاحة لنا– يمكن أن يحقّق الكثير.

=============

 # الفكر الإسلامي في زمن العولمة 2/1

معالم الصراع الفكري في العالم العربي
محمد سليمان أبورمان 1424/9/4
2003/10/29

يعد سؤال الهوية من الأسئلة المحورية في الفكر العربي المعاصر، وقد شغل هذا السؤال كثيرًا من مداولات وسجالات المفكرين العرب، وأدخلهم إلى ميادين الصراع الفكري، وقسّمهم إلى فئات متنازعة حول الأصول الفكرية والمعرفية التي ينبغي أن تحكم مسيرة النهضة والتنمية، والخروج من كهف التخلف ومن ظلمات التيه.

وأخذ الصراع الفكري أشكالاً متعددة ، ومر بمراحل مختلفة في العالم العربي في فترة العصور الحديثة ، لكنه وصل اليوم مع العولمة إلى مرحلة متقدمة جدًا تمتاز بوجود أمريكي مهيمن على العالم، وحداثة غربية تنتقل وتسود بشكل كبير – مع تطور ثورة الانفوميديا –.

و يجد الفكر الإسلامي اليوم نفسه أمام تحديات كبيرة في عدة مستويات: مستوى نقد الحداثة الغربية، ومستوى مواجهة ظواهر التشدد والانغلاق والجمود الفكري في الداخل، ومستوى صوغ استراتيجية فكرية تدفع بالإنسان والمؤسسات في العالم العربي إلى المضي بفعالية و قوة في مشروع النهضة والتنمية وتجاوز مرحلة الانكشاف الحضاري السافر الذي وصلنا إليه أمام الآخر، والخروج من الفجوة الكبيرة بين حالتنا الحضارية ورصيدنا الحضاري الكبير..

المدرسة الإصلاحية:

بدأت أولى الجدالات حول مسألة الأصالة والمعاصرة ، ودور الفكر الإسلامي في مواجهة التحديات الكبرى مع الحملة الفرنسية على مصر ، وعودة الطلاب العرب الدارسين في الغرب ، وجاءت أبرز المساهمات الرائدة في هذا المجال مع رحلة رفاعة الطهطاوي والذي سجّل ملاحظاته ورؤيته و استنتاجاته حول الحضارة الغربية في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " .

ثمّ كانت أبرز المحاولات الفكرية في مواجهة التحدي الحضاري الغربي – و ما وصل إليه من فلسفة وعلوم ومعرفة وما صاحب ذلك من تقدم وتطور تكنولوجي – من قبل ما عرف بالمدرسة الإصلاحية (جمال الدين الأفغاني، عبد الرحمن

الكواكبي ، محمد عبده ، رشيد رضا ، علال الفاسي ، ابن عاشور ، ابن باديس) ، وقد تمركزت مجهودات هذه المدرسة في :

- الإطلاع على المعرفة والثقافة الغربية، وهضم أصولها، ودراستها دراسة نقدية.
- رصد الجوانب الإيجابية في المعرفة والثقافة الغربية، والعمل على الإفادة منها في المشروع النهضوي الإسلامي.
- رصد جوانب الخلل في المفاهيم الحاكمة في هذه الحضارة، وتنبيه المسلمين إليها، وإلى خطورة الوقوع فيها، خاصة الفلسفة المادية في النظر إلى الوجود والحياة.
- إعادة تفسير الإسلام ومصادره المعرفية وفق أسس جديدة تتناسق مع الأصول الفكرية والمقاصد الشرعية للإسلام، وتكون قادرة على الدخول إلى العصر بروح إسلامية متقدمة ومتجددة.
- تجديد الفعالية الحضارية و النهضوية الإسلامية ، والعمل على استنهاض الشعوب للمساهمة والمشاركة في عملية التنمية والتحديث في العالم الإسلامي.

وكان للمفكر الجزائري مالك بن نبي مقاربة متميزة في فهم شروط النهضة و أسس التنمية المطلوبة، وكذلك في فقه الصراع الفكري في العالم العربي، خاصة في كتابه " الصراع الفكري في البلاد المستعمرة"، ولعل أبرز ما قدّمه ابن نبي –بالإضافة إلى نظريته في شروط النهضة – هو مفهوم " القابلية للاستعمار " ؛ والذي يقوم على فرضية أن الاستعمار هو محصلة ونتيجة منطقية للحالة الثقافية والفكرية وليس سببًا لها ، والمشكلة هي في جمودنا وكسلنا وغياب الفعالية الحضارية، وليس الاستعمار والغرب.

الفكر الإحيائي

وتلا المدرسة الإصلاحية والمحاولات المبكرة في هضم الثقافة الغربية، وتجديد الخطاب الإسلامي، مرحلة جديدة ظهر فيها الانقسام الفكري على أشده، وجاء أغلب النتاج الفكري والمعرفي لهذا الصراع الفكري قبيل الاستعمار، وفي المرحلة المبكرة من الاستقلال السياسي وظهور الأنظمة العلمانية في العالم العربي، وبدأ مع هذه المرحلة حالة الاستنزاف الشديد للفكر العربي في هذا الصراع والجدال الحاد حول هوية الدولة والمجتمع، وأثّر ذلك على مناهج الثقافة والتعليم والفن والأدب .

واجه الفكر الإسلامي هذا التحدي والصراع الجديد من خلال مجهودات ركزت على نقد الأسس الفكرية والمعرفية للحداثة الغربية وتصوراتها العامة في كافة مجالات الحياة، وبرزت في هذا السياق مساهمات أبي الأعلى المودودي في أغلب كتبه، وأيضًا الشهيد سيد قطب ، وأخيه الأستاذ محمد قطب خاصة كتبه : " مذاهب فكرية معاصرة " ، " الإنسان بين المادية والإسلام " ، " جاهلية القرن العشرين " ، وكُتب يوسف القرضاوي ومنها " الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا " ، وكُتب الشيخ محمد الغزالي .

وقد أكّد الفكر الإسلامي في هذا النتاج المعرفي والفكري على عدة قضايا:

– التمييز في الحضارة والفلسفة الغربية بين البعد الفلسفي والبعد التقني والعلمي المحض، والدعوة إلى تجاوز الفلسفة الإلحادية والإفادة من التطورات العلمية التطبيقية.

– نقد الأسس المادية للحداثة الغربية، ولمناهجها العلمية والإنسانية، ومفاهيمها الحاكمة، ورصد آثارها المدمرة على الأمن الاجتماعي المبني على سيادة القيم والحفاظ على رأس المال الاجتماعي، الذي يستند على الدين الناظم لكل القيم الروحية والأخلاقية التي تحمي الإنسان من الفساد والانحطاط.

– عرض الفلسفة الإسلامية المقابلة للفلسفة الغربية، وبيان حالة التفوق الكبير للإسلام في تجاوز الخبرة الغربية أثناء التجربة المسيحية، وحالة الصدام بين العلم والدين والاستبداد الديني لرجال الكنيسة، وفساد التصورات المعرفية الكونية والاجتماعية للكنيسة.

وأغلب ما يميز المدرسة الإصلاحية / النهضوية السابقة عن المدرسة الإحيائية في مواجهة النظم العلمانية؛ أنّ المدرسة الإصلاحية لم تشهد صعود التيار العلماني بشكله الفض والرافض للقبول بالمنطلقات الإسلامية في السياسة والمجتمع و المعرفة والثقافة، وكذلك لم يشهد الفكر الإصلاحي الصراعات السياسية الحادة على هوية الدولة بين الحركات الإسلامية والنظم السياسية القائمة، الأمر الذي تطوّر إلى معارك دموية وحالة أمنية متعسرة واضطراب سياسي شديد، مما جعل الفكر الإحيائي أكثر تشددًا في مسألة الانفتاح، و أقل حرصًا على التجديد والتفاعل مع الحضارة

الغربية، ودفع بالبعد الأيدلوجي . السياسي إلى الأمام، على حساب البعد المعرفي في محاولة الإجابة عن سؤال النهضة في الفكر و معضلة التخلف في الواقع العربي الحديث والمعاصر.

العولمة و الانكشاف الحضاري

مع انتهاء الحرب الباردة و أفول نجم الاتحاد السوفيتي و تضعضع مكانة ومصداقية المذهب الشيوعي؛ تأثر الفكر العربي بشكل كبير، وضعف بالتبعية الفكر الاشتراكي العربي، وأخذ عدد كبير من فلول المفكرين اليساريين يبحثون عن أيدلوجيا جديدة يتدثرون غطاءها بعد انكشاف عورتهم الفكرية و الفلسفية التي كانوا يجادلون عنها سنين طويلة، و لبس عدد كبير منهم ثوب الديمقراطية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان عندما وجدوه بضاعة رائجة في سوق المعونات والرشوة الأمريكية للمثقف العربي والمسلم، كما يرصد ذلك بموضوعية عزمي بشارة في كتابه " المجتمع المدني ".

كما صدرت قراءات مستقبلية حول المرحلة القادمة من الصراع الفكري العالمي ، كان أبرزها كتاب فوكوياما " نهاية التاريخ " والذي يزعم فيه أن التاريخ البشري قد وصل إلى نهاية كدحه الطويل؛ بحثًا عن الفلسفة الفكرية التي تحقق سعادة الإنسان و تكون القول الفصل في الجدال الإنساني الطويل في الفكر والفلسفة، وطبقًا لفوكوياما فإن الليبرالية والديمقراطية الغربية هي ذروة الفكر الإنساني ومحور خَلاصه وسعادته.

أما القراءة الثانية؛ فقد كانت للمفكر السياسي المعروف صموئيل هانتنجتون في كتابه "صدام الحضارات"، والذي يرى فيه أن المرحلة القادمة من الصراع العالمي ستكون مرحلة صراع ثقافي، وبالتحديد بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وجوهر كل منهما المتركز حول الدين.

لقيت القراءتان السابقتان اهتمامًا كبيرًا في العالم، وكان لهما صدى واسع في العالم العربي، و أثارتا جدالاً كبيرًا، بيد أن المهم في الموضوع أن الفكر الإسلامي وجد نفسه أمام تحد واضح وكبير مرة أخرى، وهو مواجهة الحداثة الغربية، وقد جاءت هذه المرحلة بقوة وغزارة شديدة ترتدي ثوبًا جديدًا يطلق عليه "العولمة".

مفهوم " العولمة " – إذًا – ليس مفهومًا محايدًا؛ بل هو مفهوم محمّل ومثقل بالمضامين المعرفية والحضارية للحداثة الغربية، وخطورة العولمة أنها وسيلة قوية جدًا ومتطورة لنقل الحداثة والمشروع الغربي إلى أنحاء العالم، كما أنها تحمل قِناعًا تجميليًا فائقًا يقدمها في إطار من الإغراء الشديد للدخول والولوج إليها، وتصل محاولة تجنب التفاعل مع العولمة إلى درجة الاستحالة الحقيقية، إلاّ إذا اختارت أمة أو مجموعة أن تدخل كهفًا من الكهوف، وتعزل نفسها عن العالم وصولاً إلى الخلاص الروحي!.

ومما يزيد من صعوبة وخطورة تحدي العولمة أمام الفكر الإسلامي المواجهة العسكرية والسياسية بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة ، والتي تفجّرت بشكل كبير مع أحداث 11 أيلول وما تلاها من تحديات ، وظهور التيار الجهادي ، مما يجعل من مهام الفكر الإسلامي – بالإضافة إلى التحاور مع العولمة– مواجهة حالة الإحباط والتشدد الذي تنتاب كثيرًا من أبناء الأمة الإسلامية في غضبهم الشديد، وحنقهم على الحالة السياسية الحرجة التي آلت إليها الأمور من تسلط وهيمنة خارجية أمريكية وتدفعهم إلى الغلو في رفض الآخر، والميل إلى الانغلاق الفكري حرصًا على التأكيد على الهوية والذات أمام روح التبعية والهزيمة التي تنتاب فئات كبيرة من المفكرين والساسة.

ومن دواعي استنفار الفكر الإسلامي – في هذه المرحلة – انكشاف الحالة الحضارية للعرب والمسلمين عن درجة عالية من الفشل في المشاريع التنموية، وعن فساد كبير في الممارسة السياسية العربية، وحالة متقدمة من خطورة الأوضاع الاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي، وما يرتبط بذلك من فقر شديد و بطالة ونسب مرتفعة من الحرمان، و الأمية وغياب الإنتاج العلمي ، وضعف تدفق المعلومات ، وإهدار كبير للثروات ، ناهيك عن الأوضاع السياسية البائسة المرتبطة بالديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات العامة.

ويمكن الإشارة إلى جزء من هذه الحقائق المخيفة التي تكشف الحالة الحضارية في تقرير التنمية الإنسانية – بعيدًا عن تحفظات كبيرة حوله – ، وفكرة مبادرة الشراكة

الأمريكية . الأوسطية ، وكل هذا وذاك من الأرقام والوقائع والإحصائيات يؤكد الفجوة الكبيرة بين الرصيد الحضاري الكبير و بين الحالة الحضارية الحالية.

إن الملاحظات السابقة تضع أمام الفكر الإسلامي العديد من المسؤوليات والمهام في هذه المرحلة، أبرزها:

- مجهود التعامل مع العولمة وما تستبطنه من قيم و معرفة، وبناء الخطاب الحضاري الإسلامي بما يستبطنه أيضًا من أسس ومفاهيم وقيم تميزه عن الخطاب الغربي، والتي تستند على الاعتراف بالوحي كأحد أبرز وأهم مصادر التنظير الإسلامي.

- مواجهة التفلت الفكري في الداخل سواء اتجاهات الغلو العلماني والانجراف الفكري أم جماعات الغلو الفكري والتشدد الديني، وبناء الرؤية الحضارية الإسلامية في الفقه العام للتدين، ودور الدين في الممارسة السياسية، و العلاقة بين الشعب والسلطة..إلخ.

- بناء الرؤية الاجتهادية الإسلامية في التعامل الواقعي مع المشاكل والقضايا الداخلية التي تعاني منها الشعوب العربية، ومنها: الفقر والبطالة والفساد السياسي والتخلف العلمي والأمية وفشل المشاريع التنموية وإهدار الثروات والمعضلات الاقتصادية ..إلخ

يأتي في إطار مهام الفكر الإسلامي اليوم تحدٍ رئيس، وهو مواجهة العولمة التي تستند إلى الحداثة الغربية وتقوم عليها، وتوظف ما وصلت إليه التقنيات البشرية خاصة ثورة الانفوميديا في هذا المجال بشكل فاعل وكبير.

ومواجهة الحداثة أو فرضية تفوق الحضارة والعلوم والقيم الغربية تتطلب قراءة معرفية عميقة للحداثة الغربية ورصد مساحات الخلل وكشف الفجوات الكبيرة في بنيتها المفاهيمية الحاكمة، وتقديم الأسس الفلسفية والفكرية للخطاب الحضاري الإسلامي في مواجهة ذلك، وبيان أدوات ومناهج التعامل مع العولمة ومعطياتها وفيضانها الكبير على العالم الذي وصل إلى درجة كما يصفها هوفمان "إن أزمة القيم الغربية تحظى حاليا بالقلق داخل بقية العالم؛ لأنّ الثقافة في وقتنا الحالي ليست ثقافة مكان بعينه، بل هي ثقافة وقت بعين ".

في هذا السياق من مهام الفكر الإسلامي يأتي كتاب مراد هوفمان المفكر الألماني المسلم، الذي كتب قبل هذا الكتاب عدة كتب تبين أسباب دخوله الإسلام وتحاول تقديم الأصول الفكرية للرؤية الإسلامية التي تتجاوز التناقضات والفراغات المعرفية الكبيرة في الفلسفة والثقافة الغربية الحديثة.

وليس كتاب هوفمان ببدع من الكتب التي تقدم نقدًا للفكر الغربي المستند على معطيات الحداثة، أو تتحدث عن الآفات المترتبة على النزعة المادية والمرتبطة أيضًا بالفلسفة الفردية الليبرالية الحديثة، فهناك على سبيل المثال كتاب الفوضى لأحد أبرز المنظرين الأمريكان بريجنسكي، لكن الجديد في كتاب هوفمان أنه ينقد الخبرة المعرفية والفلسفية الغربية الحديثة في شتى العلوم والمجالات الحيوية من خلال فكره الإسلامي الذي يصدر عن فهم يصل إلى قاع النظرية المعرفية الإسلامية التي تقوم على الاعتراف بمصادر المعرفة وحدود كل منها: الوحي و العقل والحس، أو الموائمة بين العقل المؤيد والعقل المسدد – على حد تعبير الإمام محمد عبده رحمه الله ..

يحمل كتاب هوفمان عنوان "خواء الذات: العقول المستعمرة" (دار الشروق الدولية، القاهرة، 2002)، ويأخذ جزءًا من العنوان من عبارة للدكتورة نادية مصطفى – أستاذة العلوم السياسية في جامعة القاهرة – إذ تقول: "عملية الاختراق المسماة بالعولمة ، لا تتعلق باختراق حدود جغرافية ، ولكن بالسيطرة على العقول" ، فاستعمار العقول الذي تشير إليه مصطفى من أكبر التهديدات والحروب التي تشن على المسلمين اليوم وهي حروب من نوع جديد – كما يصفها محمد حسنين هيكل في كتابه "حرب من نوع جديد"–، وبما أنها تستهدف العقل والوعي و تدفع إلى الهزيمة الفكرية والنفسية؛ فهي إذًا أخطر من الحروب العسكرية والهيمنة السياسية. وهذه الملاحظة يشير لها الخبير الأمريكي جوزيف ناي في كتابه مفارقة القوة عندما يتحدّث عن القوة الناعمة والمرتبطة بالنموذج الثقافي الاستهلاكي الأمريكي الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تعميمه على العالم.

ما يريد هوفمان إذًا قوله في هذا الكتاب هو: أن الحداثة الغربية – التي تستند عليها العولمة كمضمون فكري وثقافي ومعرفي يجري تسويقه وكأنه العلم بعينه، و أنه آخر

ما وصل له العقل البشري من إبداع، وأنه الإنتاج المعرفي والثقافي الذي يحقق الخير والسعادة للإنسانية –، أنها – أي الحداثة – مليئة بالثغرات والتناقضات، وقد وصلت إلى أزمة حقيقية اليوم أنتجت ما يسمى بمدرسة " ما بعد الحداثة ".

وبالتالي على العقل المسلم أن يتحرر من التبعية الخطيرة للفكر الغربي، وأن يشق طريقه في المعرفة والعلم والتفكير انطلاقًا من الرؤية الإسلامية الناصعة التي تنظر إلى الكون والوجود والحياة بشكل شمولي متكامل ولا تختزل أي جزء لحساب الآخر، كما هو الحال في الفكر الغربي والذي يختزل الحياة في بعدها الفيزيقي المادي المحسوس، الأمر الذي يصيب الإنسان باضطراب شديد في مسيرته الحديثة، كما يوضح ذلك كتاب هوفمان وكما يشرح الأمر بشكل مفصل للغاية محمد مزريان في كتابه القيم " البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية".

وإذا كان كتاب هوفمان يتآلف بشكل رئيس من ثلاثة أجزاء، فإن الجزء المهم و المساهمة الفكرية الرئيسة في الكتاب هو ما يرتبط بنقد الحداثة الغربية، ويدل على هذه الملاحظة أيضًا تقسيم صفحات الكتاب؛ إذ يشمل الجزء المتعلق بنقد الحداثة تقريبا 60 صفحة من صفحات الكتاب البالغة 111 صفحة، بينما يقع الجزء الأول المرتبط بالشيوعية في 15 صفحة تقريبًا، أما الجزء الثالث حول الرؤية الإسلامية فيقع في 25 صفحة.

زيف الحداثة

يتتبع هوفمان المادية العلمية التي صبغت البحث العلمي في شتى حقول المعرفة الإنسانية في مدرسة الحداثة؛ ليصل إلى نتيجة أن العلم لم يصل إلى إرواء غليل الإنسان في القضايا الكبرى التي تشكل دومًا مصدر اهتمامه و محور تفكيره: الوجود و العدم، الله والكون، غائية الحياة.. بل صار العلم اليوم أكثر استعدادًا لتقبل فكرة صياغة أسئلة لا يستطيع الإنسان الإجابة عنها؛ لأنها تقع خارج قدرة المعارف الإنسانية.

وساهمت أزمة الحداثة الغربية في ظهور مدرسة ما بعد الحداثة التي تعبر عن ذروة التخبط في العلم الحديث، و تعيد نبش المطلقات الفلسفية والمعرفية التي انطلقت منها الخبرة العلمية المعاصرة، التي بنيت على فرضية التناقض مع الدين، وفرضية

أن العقل البشري قادر على الوصول إلى المعرفة المطلقة بمفرده دون أية وصاية خارجية.

بدا واضحا اليوم أنّ هناك تطورًا دائمًا في العلوم، وأن النظريات العلمية تنقد بعضها، وأن ما يثبته العلم اليوم ينفيه غدًا، كما أن هناك فرضيات أساسية شكلت نموذجًا سائدًا في حقول علمية شتى ثبت اليوم عدم صحتها، الأمر الذي يصل ببول فييرانبد إلى القول – في كتابه ترجمتي – : "لقد وصلت إلى الاقتناع أن الأمر كله ليس إلاّ فوضى مجنونة"، وأصبح علماء الأنسنة أقرب إلى الشعراء منهم إلى العلماء إذ يقولون: " لماذا نتباحث اليوم فيما سوف يتغير غدًا على أي الأحوال؟!".

هذا القلق و الاضطراب في عدم القدرة على الوصول إلى الحقيقة من خلال مناهج البحث الحداثية أنتج محاولات عديدة للخروج من هذا النفق، وبات عدد كبير من العلماء يشعر بالحاجة إلى الحكمة الشرقية و فلسفة الروح لإنقاذ العلم من متاهته المعاصرة، الأمر الذي حدث فعلاً مع فريتوف كابرا – أحد أفراد مدرسة ما بعد الحداثة – الذي قام في كتابه بالدمج بين الفيزياء والتصوف الشرقي، وكما في التصوف يتوقع كابرا أن ترفع فيزياء العصر الحديث – ما بعد الحداثة – كل المتناقضات، وتصل إلى نقطة يندمج فيها الملاحِظ والملاحَظ في وحدة واحدة: وحدة صوفية تتجاوز الفيزياء الحديثة.

الله أو الدمار

يمكن استعارة عنوان كتاب المفكر الإسلامي سعد جمعة " الله أو الدمار" في قراءة نقاش هوفمان لأخطار وآفات الحداثة على الخبرة الغربية الحديثة والمعاصرة في شتى مجالات الحياة..

1- العلم والأخلاق: حاول العديد من المفكرين والعلماء وضع أساس جديد للأخلاق بدلاً ؛ إلاّ أنهم فشلوا في ذلك فشلاً ذريعًا، وأدى العلم إلى مشكلة أخلاقية حقيقية في الغرب؛ إذ لم يتظاهر العلم فقط بوجود برنامج دون مبرمج، لكنه تصرف و كأن العلم وحده هو المعول عليه. وأصبح الغرب وفقا لفاسلاف هافيل أول حضارة ملحدة في التاريخ أي تنكر دور الدين ابتداءً.

2- العلم والحضارة: الميراث من العلم، والعلم الزائف في القرن التاسع عشر والقرن العشرين بدأ يثمر مجتمعًا لا إداريًا، نفعيًا، استهلاكيًا، موغلاً في الفردية، وليبراليًا، بما يعني حضارة تنشد المتعة حتى النخاع.

3- اللذة كأسلوب للحياة: كان جينو – المفكر الفرنسي المسلم – ذا إدراك عظيم عندما حدد أن المفهوم الجوهري للحركة الإنسانية الذي صيغ خلال فترة النهضة الأوروبية، يلخص مقدمًا البرنامج الذي ستأتي به الحضارة المعاصرة، كل شيء سوف يختزل إلى المستوى البشري، وإلى المقاييس البشرية، لذلك كان من الممكن التنبؤ أن الحضارة المعاصرة سوف تصل في النهاية إلى الغوص مرحلة تلو الأخرى، إلى مستوى أدنى الرغبات البشرية.

4- دين ما بعد الحداثة: أقام الغرب بنيانه الاجتماعي المعاصر بعيدًا عن الدين، وعلى الرغم من حضور الدين في المناسبات العامة، فهو لا يعدو أن يكون فلكلورًا أو تقليدًا عاريًا عن القوة.

لكن المشكلة هي أن الدين الذي خرج من الباب الأمامي في المجتمعات الغربية عاد من الباب الخلفي من خلال الإقبال الشديد للشباب ولفئات من المجتمع على أديان جديدة وغريبة؛ كجماعات العهد الجديد التي تتعبد داخل الأهرامات، والانبعاثيون الذين يعيدون عبادة إخناتون للشمس، وبالتساوي في مكان الصدارة إلى الآن أديان عبادة القمر، العلموية والتنجيم، والملائكة، والشيطان.

هذه الموجة الجديدة من التدين تستمد قوتها من الحنين إلى التوحد العضوي، والبحث عن المعنى، الغائبين بشدة في الحياة المعاصرة.

5- ثورة القيم: اعتبر الغربيون أن الخروج على الدين و على قيم العصور الوسطى التقليدية ثورة في القيم، واستبدلوها بالقيم الرأسمالية العملية. لكن طبقًا لتحليل عالم الاجتماع دانييل بيل في كتابه " التناقضات الثقافية للرأسمالية"؛ فإن المشكلة في العالم الغربي تكمن في أن نجاحه الاقتصادي يدفع إلى تدمير القيم الجوهرية التي قام عليها.

وداخل المسار الجديد للعلم والقيم العملية النفعية أصبح الناس غير معتادين على حقائق الحياة كالحوادث والمصائب الشخصية والمرض والكهولة والموت، إلى حد

أنهم أصبحوا غير قادرين على التواؤم مع هذه الحوادث من غير مساعدة مستشاري الأحزان.

6- السلام الخيالي: لم يقدم عونًا لإحلال مدرسة ما بعد الحداثة محل الحداثة مثلما فعلت لا عقلانية الحروب المتواصلة داخل ما يفترض أنه العالم المستنير، وقد تنبأ بذلك تولستوي في رواية الحرب والسلام أن الحياة مستحيلة في اللحظة التي يظن فيها الإنسان أنه يستطيع أن يقودها ويمارسها وفقا لتوجيهات العقل الخالص.

ولم يعد المجتمع الغربي ينعم بالسلام حتى على المستوى الداخلي، فقد وصل مستوى العنف في المدارس الأمريكية الثانوية حدًا مرعبًا، وهذا لا يمثل سوى قمة جبل الجليد الغاطس؛ إذ يتغذى العنف كل يوم من كمية العنف غير المعقولة التي تشاهد يوميًا في التلفاز، وقد وصلت إلى ألعاب الكمبيوتر بشكل كبير.

7- حافز الربح: أعادت الفلسفة الرأسمالية السائدة في الغرب إنتاج جملة المفاهيم الحاكمة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في الغرب، و تعدلت كثيرًا من المفاهيم لتلائم هذه الفلسفة، فالخير هو النافع والفعال في الحصول على أقصى درجات السعادة عن طريق إنتاج أقصى كمية من البضائع لأكبر عدد من الناس.

في الواقع، النفعية هي التي قادت إلى الغلو الذي أنجب الماركسية، وأدت كذلك إلى تفاوت كبير في دخول الأفراد والدول.

ويصل ريتشارد فولك إلى القول: لم يعد الغرب حيزًا جغرافيًا، بل ظاهرة كونية تدار العولمة بمؤسسات لا تحصى، بالغة الضخامة، ومتعددة الجنسيات، ووصل الأمر إلى الحد الذي تدار به السياسة برأس المال، الأمر الذي يهدد الديمقراطية الاجتماعية بصورتها المعروفة في ألمانيا والدول الاسكندنافية.

8- الإعلام والتسلية (المعلوتسلية): الإنسان الغربي يعاني اليوم من الكم الهائل من المخترعات والأجهزة التي تحرمه من الهدوء والاسترخاء والتأمل أو التفكير بعمق، أو الصلاة بخشوع. في الواقع يجب على الدوام إثارة غرائز الإنسان المعاصر، حتى عطلاته ينبغي تحويلها إلى مغامرات يشرف عليها محترفون بالتسلية.

وعلى الرغم من وجود برامج تلفازيه ذات مستوى رفيع، وأيضًا مجلات إلاّ أن العملة الرديئة تطرد الجيدة من السوق، والمنتجات الإعلامية الهابطة تستحوذ على النصيب

الأوفر من المشاهدين، وكل هذا يعمل بشكل كبير على إفقار روحي للمجتمع وتنمية النرجسية والبعد عن العلاقات الاجتماعية.

في نفس الوقت تجاوزت وسائل الإعلام المعاصر كل الحواجز الموضوعة لحماية الدول ذات الأيدلوجية المغلقة من تأثيرات الأنباء والثقافات الأخرى، وهنا ينبغي على الدول الإسلامية أيضًا تغيير استراتيجيتها لحماية تراثها الإسلامي من خلال تحصين الناس بالعلم النافع لمواجهة الأفكار الضارة، وليس من خلال عزلهم المادي عن التعرض لها.

9- التعليم كأيدلوجيا: تلعب العلمانية دورًا حاسمًا في المعالم العامة للتعليم الغربي، من خلال إبعاد الدين عن المناهج الدراسية وعن صياغة أخلاق الطلاب، ويدرّس الإلحاد بشكل سافر في المدارس من خلال نظريات الحداثة أسسها اللادينية.

10- الثورة الجنسية: ضمن كثير من الثورات التي مرت بالإنسان الغربي في العقدين الماضيين؛ فإن أكثرها ثراءً وأطولها بقاءً هي على الأرجح الثورة الجنسية، وبدا الجنس للوهلة الأولى كأنه البديل الأقوى للدين مكتملاً بأنبيائه الذين يبشرون بالحرية الجنسية.

الآن فإن العادة السرية، والجنس ما قبل الزواج ، تبادل الزوجات ، الجنس في الشرج ، والجنس المثلي ، ومشاهدة العري ، والدعارة ؛ أصبحت كلها مقبولة ، وتتكرر كموضوعات رئيسة من خلال تبادل الحديث ، كما تجتذب الإعلام ، الجنس مع الأطفال هو الوحيد الذي مازال محرمًا . ووصل الأمر إلى السماح لمحترفات البغاء بتكوين نقابات ببعض الدول على أنهن "عاملات جنس"، وفي ألمانيا منذ عام 2001؛ فإن الأزواج الشواذ يحصلون على التسجيل المدني.

11- انحطاط الأسرة: الضحية المباشرة للثورة الجنسية ، والتي هي الأكثر استحقاقًا للأسى هي الأسرة ، انهيار الأسرة الناتج عن الثورة الجنسية هو عنوان الشؤم على قرب انهيار الحضارة الغربية.

ويعرض التلفاز كل ليلة كم هي عالية درجة الجمال في الرجال الآخرين والنساء الأخريات، ويحض الزوجات داخل بيوتهم على الدخول في منافسة مع جميلات التلفاز، وهي منافسة صعبة جدًا، ولا يمكنهم ببساطة الفوز بها، فعندما يصبح

الجنس بضاعة تعرض في السوق، فسوف تتحلل الأسرة، وذلك ما يحدث بمعدلات مخيفة، وأرقام الطلاق تتصاعد في كل مكان، والأسوأ من ذلك المزيد والمزيد من الشباب يقررون عدم الزواج مطلقًا منذ البداية.

12- العدوان على الحياة والإدمان البنيوي: ومن آفات الحداثة إباحة الإجهاض وقتل الجنين غير المرغوب فيه، ومن أثارها الإدمان والكحول و المخدرات، والإدمان ليس مرتبطًا بالمخدرات والخمر، وإنما يصل إلى الإدمان على التكنولوجيا والاستهلاك وشراء الحديث، بما يذكرنا بكتاب هربرت ماركوز المتميز " الإنسان ذو البعد الواحد".

يقول هوفمان: "يطغى ضجيج الإدمان على صوت الضمير الذي قد يذكر الإنسان المعاصر بمصيره الحق، وهو معرفة الله، والدخول تحت عباءة الخضوع له. تعطي أنواع الإدمان معنى زائفًا للحياة، وتبدو على هيئة حلول، بينما هي في الحقيقة تمثل المشكلة الجوهرية.. إنها تحرم الإنسان من الصمت الوجودي والتركيز الذي يحتاج إليه من أجل إقامة الروابط السامية".

الفكر الإسلامي و العولمة

في حوار سابق مع زكي ميلاد حول أحداث أيلول وأثارها على الفكر الإسلامي، قال: إن على الفكر الإسلامي اليوم أن يعيد بناء رؤيته الشمولية للكون وللمفاهيم الكبرى، ويصوغ من جديد استراتيجية الخروج من النفق الحضاري الذي وصلنا إليه.

و يرى الفضل شلق في مقالة له – في مجلة الاجتهاد – أن الهوية الحضارية ليست دورانًا حول الذات، وإنما عملية دؤوبة نحو تحقيق الذات من خلال النمو والتنمية، وعندها ستصبح الهوية الحضارية منجزاً وليس عائقًا.

وبالتالي؛ فإن الفكر الإسلامي في عصر العولمة مسؤول مسؤولية مباشرة عن طرح الرؤية الاجتهادية الإسلامية في التنمية والنهضة والتقدم، وإدارة الصراع الفكري ليكون جدلاً محركًا ومفعلاً لطاقات الأمة وليس كابحًا لها.

والسؤال الذي يجب على الفكر الإسلامي أن يجيب عنه: كيف نسير في مساق التنمية، وننهض انطلاقًا من روح الإسلام ومقاصده العامة؟، كيف نفقه المشروع

الحضاري الإسلامي؛ ليكون طرحًا تنويريًا منفتحًا متقدمًا يمتلك أدوات الموائمة والتوفيق بين مصادر التنظير الإسلامي الوحي و العقل والحس؟ ..

================

#الثقافة الإسلامية في عصرالعولمة(2-1)

سهيلة زين العابدين حمَّاد 1424/9/3

2003/10/28

إنَّ الموضوع الذي نحن بصدده جد خطير وهام؛ إذ لابد من هذه الوقفة مع واقع الثقافة في عالمنا الإسلامي الذي يواجه الآن كل تحديات أنواع العولمة (الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأدبية، واللغوية، والفكرية، والثقافية).

ومما لاشك فيه أنَّ هذه المجالات جميعها تكون عقيدة وفكر وثقافة الأمة التي من خلالها يتحدد سلوك أفرادها، وقرارات قاداتها.

وقراءة منا لواقع الثقافة في عالمنا الإسلامي، وحال مثقفيها نجد أنَّنا –للأسف الشديد– مهيئين تماماً لقبول العولمة، بل والذوبان في الآخر، وهذه ليست نظرة تشاؤمية، ولكن حاضرنا الثقافي هو الذي يشهد بهذا، فنحن منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الراهن كنا فريسة لمخططات الغرب التي أوصلتنا إلى هذه المرحلة، ولابد لنا أن نكون صريحين وواقعين حتى لانخدع أنفسنا ونوهمها بحسن نية الآخر تجاهنا، وحتى لا نعطي للآخر حجماً أكبر من حجمه، أو نستهين بما يخططه ضدنا للتظاهر بأننا لسنا من ذوي نظرية التآمر التي نجح الغرب في أن يجعل عددًا كبيرًا من مثقفينا يعتنقها ليخطط ويحقق أهدافه دون أن توجه إليه أصابع الاتهام، ولنتقبل ما يخطط لنا دون إدراك أبعاد وخطورة هذه المخططات كما هو حاصل الآن، علينا أن نقرأ التاريخ، ونتعرف على حقيقة علاقة الشرق بالغرب، وأبعاد هذه العلاقة وأهدافها، ونتوقف عند علاقة الغرب بالإسلام وموقفه منه، ومخططاته لمواجهته، ونظرته للمسلمين عامة وللعرب بصورة خاصة، وما يفعله الآن معنا.

إنَّ ما يحدث ليس وليد التسعينيات من القرن العشرين ولكنه حصيلة قرون عديدة تصل إلى ما قبل عصور التاريخ، ومما ينبغي علينا أن نحذر من الغرب؛ لأنه يريد طمس هويتنا ومسخ شخصيتنا واقتلاعنا من جذورنا وإحلال ثقافته ودينه وعقيدته

وأمراضه وانحلاله محل ديننا وثقافتنا وقيمنا وأخلاقياتنا، مع فرض هيمنته السياسية والاقتصادية والعسكرية علينا، وحرماننا من حق المعارضة وإبداء الرأي، والدفاع عن حقوقنا الشرعية. وجعلوا منا من أصبح يناهض كل ما هو إسلامي، ويطالب بإلغاء ثوابت الإسلام، وإسقاط الإسلام من دساتير الدول الإسلامية، وقصره على العبادات، ومنا من فقدوا ثقتهم في العقلية الإسلامية، وشككوا في قدرات المسلمين، ونسبة إنجازات المسلمين للغرب، ووصفوا الإسلاميين بسرقة أفكار الغربيين ونسبتها إليهم، بل نجد اللغة الإنجليزية قد أصبحت هي الأساسية في الدراسات الجامعية في جامعاتنا، ليس في العلوم التجريبية فقط، بل أصبحت لغة دراسة الاقتصاد والإدارة أيضاً.

كما نجد الغرب قد نجح في نسبة الإرهاب إلى الإسلام بشرائه لمجموعة من الأفاكين مستغلين حبهم للمال وحاجتهم إليه للقيام بأعمال إرهابية، ونسبتها إلى جماعات إسلامية، هم في الغالب وراء إيجادها وتكوينها، حتى أصبحت الحكومات الإسلامية تخشى من كل ما هو إسلامي.

أليس هذا هو واقعنا الآن؟

قد يقول قائل: الخطأ خطؤنا ونحن أوصلنا أنفسنا إلى ما نحن عليه الآن، وأنا أتفق مع هذا القائل، ولكن لكي نكون واقعيين لابد لنا أن نضع أيدينا على الأسباب التي أوصلتنا إلى الحال هذه، ومن وراءها؛ علَّنا نستطيع تلافيها. وهنا يتطلب منا أن نطرح هذه الأسئلة:

متى تعَّرف الغرب إلى الشرق؟ وماذا كانت طبيعة هذه العلاقة؟ وما أهدافها وغاياتها؟ وكيف كانت نظرة الغرب إلى الشرق؟ وما هو تأثيرها على الثقافة العربية والإسلامية؟

وسأبدأ بالإجابة عن السؤال الأول:

متى تعرَّف الغرب إلى الشرق:

لقد تعرَّف الغرب إلى الشرق عبر قرون طويلة، وعن طريق عدد كبير من الكتَّاب والرَّحالة والجغرافيين والمؤرخين، وقد اختلفت وسائل اتصال أوربا بالشرق باختلاف أهدافها وبواعثها من وراء هذا الاتصال، وقد بدأت بعلاقات تجارية ترجع إلى أيام

الكنعانيين، ثمَّ تلتها علاقات حرب واحتلال في زمن الإسكندر الأكبر في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد الذي وقف علماؤه لدراسة الشرق ليتمكن من غزوه. وهذه تعد البداية الحقيقية للاستشراق.

صورة الإسلام في أوربا من خلال الكنسية وكتابات المستشرقين:

وعندما ظهر الإسلام كثّفت الكنيسة جهودها لمهاجمة الإسلام والنبي محمَّد –صلى الله عليه وسلَّم–، ولقد ظهرت آراء ومواقف فظة ومشوبة بالعصبية في العقيدة الإسلامية، وقد أوضح المستشرق البريطاني ريتشارد سوذرن في كتابه "صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى"، وكذلك نظيره نورمان دانيال في كتابه "العرب وأوربا في العصور الوسطى" تلك المواقف الفظة المشوبة بالعصبية ضد الإسلام ونبيه –محمّد صلى الله عليه وسلم–، وإلحاق فعال وصفات به هو منزه عنها، ولا تمت إلى الحقيقة والواقع بصلة، فقط ليشوهوا صورته وليصرفوا الناس عن الإيمان برسالته وبنبوته، وليفرغوا حقدهم عليه، والمجال لا يتسع لذكر ما نسبوه إليه باطلاً، ولكن يبين لنا هذا أنهم في تعاملهم معنا يخرجون عن جميع مبادئ وأسس الحوار العلمي الموضوعي المنطقي الذي يتظاهر به الغرب في نقاشه وحواره معنا.

قد يقول قائل إن طريقتهم اختلفت مع مشارف القرن العشرين، ولا سيما في العقود الأخيرة منه، وأقول هنا من خلال دراستي للاستشراق، ولبعض المدارس الاستشراقية –وأهمها المدرسة البريطانية والفرنسية والألمانية، وغيرها– وموقفها من السيرة النبوية؛ وجدتها لم تخرج عن الإطار الذي رسمه المستشرقون الأوائل الذين كان معظمهم من رجال الكنيسة، وعند دراستي لمصادرهم وجدت أن كتابات أولئك المستشرقين هي مصادرهم الأساسية، أمَّا المصادر الإسلامية فما هي إلاَّ مجرد إطار لوضع الصورة التي رسمها المستشرقون الأوائل مع تخفيف حدة الهجوم المباشر بتغليفه بغلاف يوحي بالمنهجية العلمية والموضوعية، ولكن عندما تتفحص في المحصلة والنتيجة تجد أنها لا تخرج عن الصورة التي رسمها أولئك المتعصبون الحاقدون على الإسلام ونبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم، وتؤكد ما أقوله أهداف الدراسات الاستشراقية ونتائجها.

أهداف الاستشراق ونتائجه:

نتيجة لكشف بعض الباحثين العرب- في مقدمتهم الدكتور إدوارد سعيد، والأستاذ عبد النبي أصطيف، والدكتور أنور عبد الملك- أمام الرأي العام العالمي أهداف ومناهج المستشرقين مبينين مثالبه وعيوبه فلقد تخلى المستشرقون رسمياً عن مصطلح "مستشرق" في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس صيف عام 1973م، وقال المستشرق الصهيوني البريطاني الأمريكي برنارد لويس: "فلنلق بمصطلح مستشرق في مزبلة التَّاريخ"، لكنهم لم يتخلوا عن مناهجهم، وقد أعلنوا هذا في ذات المؤتمر، واتخذوا من مراكز المعلومات مصطلحاً جديداً للاستشراق الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية لتمارس من خلاله على الشرق ولاسيما الشرق الإسلامي ودول العالم الثالث نوعاً جديداً من الاستعمار، وهو أخطر أنواع الاستعمار ولم يسبق للبشرية أن رأت مثيلاً له، وهذا الاستعمار هو "العولمة".

هذا وللاستشراق أهداف دينية وتنصيرية، وأهداف سياسية، وأهداف استعمارية عسكرية، وأهداف علمية، والحديث عن هذه الأهداف طويلة جدًا، لذا سأوجز الحديث عنها في الحلقتين القادمتين إن شاء الله.

توقفتُ في الحلقة الأولى من هذه المقالة عند أهداف الاستشراق التي سوف أوجزها في الآتي:

أولاً: الأهداف الدينية والتنصيرية:

1- لقد أسهمت الدراسات الاستشراقية في إيجاد الأرضية في كثير من بلاد المسلمين للدعوة التنصيرية، وقد كتب بعض المستشرقين ونظَّروا لكيفية التَّنصير مع المسلمين، مثل ما قام به المستشرق المُنصِّر القس صموئيل زويمر في معهده الذي أنشأه باسمه من قبل المؤتمر التَّنفيذي ليكون مركزاً للأبحاث مهمته إعداد الأبحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين لتعزيز قضية تنصير المسلمين، وكذلك المستشرق البريطاني وليم موير، ويشهد على ذلك كتابه " شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية " فهو كتاب تنصيري في المقام الأول. ومسلسل التنصير لم ينته بعد فلقد أعلن البابا في المجمع المسكوني الثاني الذي عقد عام 1965م خطته لتنصير العالم واقتلاع الإسلام مع قدوم الألفية الثالثة بحيث يتم استقبالها بلا إسلام، ولعل حملات التنصير المكثفة التي شهدتها إندونيسيا تعطينا مؤشراً لذلك، بل الأخطر من هذا

وجود بعض المدارس التنصيرية في بعض دول الخليج العربي، ولعل كتاب " الغزو التبشيري النصراني في الكويت" لأحمد النجدي الدوسري يكشف أبعاد هذا المخطط، أيضاً النشاط التنصيري المكثف في الجنوب السوداني لإيجاد دولة مسيحية سودانية تمهيداً لاقتلاع الإسلام من السودان، وقد شرعوا بالفعل لتنفيذ هذا المخطط، كما نجحوا في تفتيت وحدة إندونيسيا، وقسَّموا تيمور إلى شرقية وغربية، بينما نجدهم وحَّدوا برلين الشرقية والغربية.

إنَّ مخطط تجزئة الدول الإسلامية وشطرها إلى شطرين: مسيحي وإسلامي، أو تقسيمها على أساس مذهبي أو عرقي كما هو مخطط للعراق، وغيرها من دول المنطقة، كل هذا يؤكد أنَّ هدف الغرب القضاء على الإسلام، وأن أساس الصراع بيننا وبين الغرب هو الدين الإسلامي في المقام الأول ويظهر هذا بوضوح في الحروب الصليبية، إذ خشي الغرب من المد الإسلامي، وعندما فشلت هذه الحملات، ولم تحقق أهدافها نشأ الاستشراق الذي ركَّز هجومه على القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، وكذلك دراسة الأدب العربي، والعمل على إحياء الفرق المنحرفة في تاريخ المسلمين كالباطنية، وقضوا السنوات في إخراج كتب ليؤثروا في المفاهيم الأساسية للإسلام، وذلك بثنائهم على البهائية والقاديانية، وقد أوجد الاستعمار البريطاني القاديانية، إذ أشاد بها لأنها –كما زعم– جاءت بآراء حرة مستقلة ووصفها بالعقلانية، والاستنارة والتجديد ليخدع بها بعض المسلمين، وليشوه تعاليم الإسلام، وللأسف هناك أقلية من المسلمين تأثرت بفكر هذه الفرق المنحرفة واعتنقت عقائدها.

كما أسهم المستشرقون بقدر كبير في إحياء القوميات في العالم العربي خاصة في النصف الأول من القرن العشرين، فقد نبَّش المستشرقون في الحضارات الجاهلية القديمة؛ لإحياء معارفها من ذلك: بعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا، والآشورية في العراق، والفارسية في إيران، والطورانية في تركيا، أمَّا الجزيرة العربية فلقد بحثوا في آثار السَّابقين، وأسموا دراستهم " التاريخ الحضاري للعرب قبل الإسلام "، وتعمدوا بذلك إظهار الحضارات القديمة ليطفئوا نور الإسلام، وأنَّ الإسلام ليس وحده هو الذي قدَّم الحضارة الإنسانية، وترتب على مثل هذه الدراسات الآتي:

ا–تحسين سمعة الجاهلية القديمة، وتمجيد رجالها.
ب–بث النعرات الانفصالية في الأمة الإسلامية.
ج–محاولة قطع صلة الأمة الإسلامية بماضيها الحقيقي الذي بدء بظهور الإسلام.
د– تهيئة بعض المسلمين لتقبل قيام حضارة لهم غير مهتدية بهدي الإسلام، كما نشأت في تلك الحضارات القديمة.

– كما سعى المستشرقون في نشر بعض الأيدلوجيات الأجنبية في الأراضي الإسلامية كالشيوعية، فلقد أشاد المستشرق " بندلي جوزي" بالقرامطة، وأدعى أنَّهم والإسماعيلية الشيوعيين الأولون في الإسلام، وذلك في كتابه "من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام "، كما زعم المستشرق الفرنسي "جاك أوستري" أنَّ هناك بعض الشَّبه بين الإسلام والشيوعية من حيث عالميتها وتساميها على القوميات والعنصريات، وقد شبَّه كذلك نظام الدَّولة في الإسلام بنظام الدَّولة في النِّظام الشيوعي، وقد تأثر بهذه الكتابات بعض الكتاب المسلمين، وعملوا على نشرها مثل الكاتب الكبير "توفيق الحكيم" في سلسلة مقالاته التي نشرت في الأهرام "دفتر الجيب"، وذلك في الفترة من 21إبريل حتى 15سبتمبرعام 1981م، وقد قرَّر في هذه المقالات أنَّ الشيوعية تسير على مبدأ الإسلام في قوله تعالى (وفي أموالهم حق معلوم* للسائل والمحروم)، وأراد أن يثبت أنَّ المادة قد طغت على الإسلام عند تطبيقه لنظمه؛ ليجعل الإسلام لا يختلف عن الشيوعية من ناحية طغيان المادة، واتخذ من الإسلام وسيلة للدعوة لتطبيق الاشتراكية، والأخذ بالشيوعية، بل قال في كتابه شجرة الحكم السياسي صفحة 507: " أنَّ الرسول محمَّد صلى الله عليه وسلَّم كان يسارياً هو وسائر الأنبياء " ، ونسمع الآن عن الإسلام اليساري الذي يتزعم دعوته الأستاذ حسن حنفي.

– كما شجَّع الاستشراق على نشر الليبرالية الغربية وتبعيتها في بلاد المسلمين، وقد حاول بعض المستشرقين أن يخدعوا بعض المسلمين، بأنهم إذا أرادوا التقدم واللحاق بركب الأمم الصناعية ما عليهم إلاَّ أن يتبنوا المنهج الأوربي الذي قام وفُرِض بعد نقض كتب العهد القديم والعهد الجديد " ، وهي أقدس كتب لديهم وهم بهذا يريدون من المسلمين التجرؤ على كتاب الله ونقده، وللأسف فقد تأثر بعض الأساتذة

المسلمين بهذه الدعوة في مقدمتهم الأستاذ الدكتور طه حسين، إذ دعا طلبته في كلية الآداب إلى نقد القرآن الكريم بوصفه كتاباً أدبياً، وأثار الشبهات حول كلمة كتاب وقرآن، وقال إنَّ الكتاب غير القرآن، وأنَّه كان موجوداً قبل نزول القرآن، وإنَّ القرآن صورة عربية منه، وأنَّه أخذ صوراً من الكتب التي قبله، ويقول: "إنَّ هناك قرآناً مكياً له أسلوب، وقرآنا مدنياً له أسلوب آخر، وإنَّ القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطق، أمَّا القسم المدني فيمتاز بمناقشة الخصوم بالحجة الهادئة، وهذا القول هو ما يردده المستشرقون، وفي مقدمتهم المستشرق اليهودي البريطاني دافيد صموئيل مرجليوث في كتابه "مقدمة الشعر الجاهلي" الذي ترجمه الدكتور طه حسين ونسبه إلى نفسه، مسمياً كتابه " الشعر الجاهلي"، والذي قال فيه بخلق القرآن، ثمَّ تراجع عن ذلك عندما وجد اعتراضاً على ذلك.

- قيام بعض المستشرقين برصد الحركات الإسلامية المعاصرة، ودراسة أحوالها وأوضاعها ليمكنوا صناع القرار في البلاد الغربية من مكافحتها، وبذل كافة الوسائل لإطفاء نورها، وهناك عدد من المستشرقين مثل: "هاملتون جيب"، و"ميشيل ريتشارد"، و"ألفريد سميث" وغيرهم كتبوا عدة دراسات عن هذه الحركات، ومن أحدث الدراسات عن هذه الحركات أعدها المستشرق الأمريكي جون سبوزيتو عن ظاهرة الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهي على صلة وثيقة بالبيت الأبيض الأمريكي.

إنَّ رجال الحكم الغربيين والإعلاميين حريصون على معرفة الحركات وزعمائها، وفي شهر مايو سنة 1992م صرَّح نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية بولاية ماريلاند "بأنهم في هذا القرن أي القرن العشرين قد أخيفوا بثلاث تيارات: الشيوعية، والنَّازية، والأصولية الإسلامية، وقد سقطت الشيوعية والنَّازية ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية"، فمن أخطر دراسات المستشرقين عن الإسلام وأهله الدراسات التي تحذر الغرب من قدرات الإسلام الكامنة، وتنبيه الغربيين إلى ثروات المسلمين الهائلة ليخطط الغرب مواصلة سيطرته على بلاد المسلمين، ومن أخطر الدراسات الاستشراقية تلك التي أعدها المستشرق الألماني "باول شمتز" باسم "الإسلام قوة الغد العالمية".

إنَّ مقولة نائب الرئيس الأمريكي عن الإسلام في التسعينيات من القرن العشرين تعيد إلى أذهاننا مقولة رئيس الوزراء البريطاني "جلاد ستون" في أواخر القرن التاسع عشر، أي قبل حوالي قرن من الزمان؛ إذ أعلن رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم البريطاني وقد أمسك بيمينه كتاب الله عزَّ وجل، وصاح في أعضاء البرلمان وقال: "إنَّ العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر، أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلاً، بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق وقال: هذه الكعبة ".

أليس هذا أكبر دليل على أنَّ الغرب لم ولن يغير موقفه من الإسلام والمسلمين؟

إنَّ دور المستشرقين لم يتوقف عند هذا الحد، إذ نجدهم مهدوا وساعدوا على الاستعمار منذ عصر الإسكندر الأكبر، ونابليون بونابرت، حتى أواخر القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، سواء كانوا رحالة أو قناصل أو جواسيس، أو منصِّرين.

ثانياً: الأهداف السياسية والاستعمارية والعسكرية:

ممَّا ينبغي التوقف عنده والتأكيد عليه أنَّ نشاط المستشرقين والخبراء الأمريكيين بشؤون الشرق الأوسط يشكل جزءًا رئيساً من نظام التخطيط للعمل الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة العربية، وهذا ينبهنا إلى حقيقة هامة، وهي أنَّ الاستشراق يقوم في عصرنا الراهن على مخطط تحدده المصالح الأمريكية والصهيونية في الشرق الأوسط، كما لعب الاستشراق الأوربي من قبل، والاستعمار الإنجليزي بدور في خدمة الأهداف الصهيونية بإنشاء صندوق اكتشاف فلسطين، وإعلاء شأن اليهود مع التقليل من شأن العرب المسلمين، والذي سهَّل للصهيونية تحقيق أهدافها من خلال الاستشراق وجود أكثر من أربعين يهودي في المدارس الاستشراقية الأوربية والأمريكية، ومن أكبر مستشرقيها مثل: جولد تسهير، وشاخت، وكارل بروكلمان، ولويس ماسينون، ومكسيم ردونسون، ومرجليوث، وبرنارد لويس.

ولا ننسى أنَّ بعض المستشرقين أوجدوا النظرية العرقية ليبرروا الاستعمار، ووصفوا العقلية العربية بأنَّها عقلية ذرية غير قادرة على التجميع والقيادة، وممن قالوا بهذا القول المستشرق البريطاني هاملتون جيب، وملف الاستشراق حافل بهذه المواقف التي تدين الحركة الاستشراقية، والتي بسببها أصبح مصطلح الاستشراق مشبوهاً،

وأعلـن المستشـرقون تخلصـهم منـه ورميـه فـي مزبلـة التـاريخ، واسـتبداله بمراكـز المعلومات التي تقوم بنفس دور الاستشراق القديم، ولكن في ثوب جديد.

ثانياً: الأهداف العلمية والتمهيد للعولمة الثقافية:

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه أن الاستشراق قام بدور كبير في التمهيد للعولمة الثقافية باحتواء كثير من المسلمين ثقافياً عن طريق خدمة المستشرقين للتراث وتحقيقه ونشره وفهرسته، وما إلى ذلك حيث أصبح كل باحث مسلم لا يستغني عن بعض جهودهم في أبحاثه ومكتباته، فيعتمد عليها أو يتناولها بالدراسة، وتأثر بها شعر أو لم يشعر، ويرجع هذا إلى نجاح الاستشراق في السيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد إلاَّ أنها في النهاية، وبكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثَّقافي، وقد نجم عن هذا الاحتواء الآتي:

أ–شعور كثير من المسلمين بضعفهم، ونقص إمكاناتهم، وتأخرهم عن غيرهم في العصر الحديث، ونسبة كل الإيجابيات إلى الغرب.

ب–تبعية كثير من الكتَّاب والباحثين فكرياً لهم، ودفاعهم عن مبادئهم ومناهجهم.

ج– وضع أسس لمنهج البحث والتفكير المادي، فكتبوا وبحثوا ونقدوا في ضوء هذا المنهج، كما نجدهم قد طبَّقوا المناهج الفكرية المادية على كثير من علومنا الإسلامية سواءً في التفسير المادي للتاريخ، أو في كتاباتهم عن القرآن الكريم والرسول –صلى الله عليه وسلَّم– فدَّعموا شهادتهم في هذه الجوانب الفكرية باسم المنهج العلمي، ممَّا أدى إلى رواجها واستسلام كثير من الكتاب لها ودفاع بعض المسلمين عنها.

د– لقد رسَّخ المستشرقون مبدأ العلمانية وصدَّروه إلى عالمنا الإسلامي سواء في الجانب الفكري والسياسي، فأصبح من المسلمين من تبنوا مبدأ العلمانية، بل نجد هناك بعض الدول الإسلامية قد تبنت العلمانية، وأعلنت أنَّها دولة علمانية، أو هناك من المسلمين من ينادي بعلمانية السياسة، ونحن لو رجعنا إلى أصل نشأة هذه الدعوة نجد أنَّ المستشرقين ممن روَّجوا لها ودعوا إليها، ولا ننسى أثر ميكافلي في ترسيخ العلمانية السِّياسية، وتجريد السياسة من معاني الدِّين والأخلاق وتبرير الوسائل باسم الغايات.

هـ-دعوة المستشرقين إلى الحرية الفكرية المزعومة التي دعوا إليها، ولم يلتزموا بها في بحوثهم وكتاباتهم؛ إذ نجدهم صوروا المفكرين الإسلاميين مجرد نقلة للتراث اليوناني الفلسفي بناءً على نظرتهم العنصرية المقسمة للشعوب إلى: ساميين، وآريين. فالساميون ومنهم العرب لا قدرة لهم على التفكير الفلسفي، وتناول الأمور المجردة بخلاف الشعوب الآرية، كما صرَّح بذلك رينان في كتابه " تاريخ اللغات السامية "، وكذلك "جوتيه" في كتابه " المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ".

و-كان الاستشراق وراء طرح ونشر مصطلحات متعددة في الجانبين الأدبي والنقدي مثل "الحداثة" و " البنيوية" و "الأبستولوجيا المعرفية" و "والوجودية" و "النثرية" في مجالات الأدب، ولقد كشفت الباحثة البريطانية فرانسيس ستونور سوندرز في كتابها "بعنوان "التكاليف؟ -الصادر في يوليو عام 1999م- قيام الحكومة الأمريكية عبر وكالة المخابرات المركزية لإيجاد مدارس وتيارات ثقافية كاملة ومنها تيار الحداثة، ودعم مجلة الحوار العربية وغيرها، فتجرأ بعض الأدباء والشعراء على الذات الإلهية، فأدونيس كتب قصائد بعنوان " الإله الأعمى، و " الإله الميت "، ويقول في هذه القصيدة: " وبدلت إله الحجر الأعمى وإله الأيام السبعة بإله ميت "

(1) ، وأعلن كرهه لله، بل ادعى الألوهية في قصيدة " الخيانة "

وأنا ذاك الإله

الإله الذي سيبارك أرض الجريمة

وصلاح عبد الصبور قال في شعره " الشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم "

(2) ، وقال في قصيدة " الإله الصغير" :

ورقصنا وإلهي للضحى خداً...لخد

ثمَّ نمنا وإلهي بين أمواج وورد

ويقول ذات الشاعر في قصيدة " الناس في بلادي ":

كم أنت قاس موحش يا أيها الإله

(3)وأمل دنقل مجَّد الشيطان فقال في قصيدة له :

المجد للشيطان ......معبود الرياح

من قال " لا " في وجه من قالوا " نعم "

من علّم الإنسان تمزيق العدم
من قال " لا " فلم يمت
وظلَّ روحاً أبدية الألم.

والأمثلة كثيرة لا حصر لها، ولكن ما ذكرته يبين لنا سمة الشعر الحداثي، ومقومات الحداثة القائمة على فصل العقيدة عن الفكر والأدب آخذة بمذهب " الفن للفن، متبنية مذاهب فكرية لا تمت للدين الإسلامي بصلة، بل تدعو إلى الإلحاد وإلغاء العقل، وإحياء فكر الفرق الباطنية من دعاة الحلولية والتناسخ، كما أوجد المستشرقون في الساحة مصطلح "الأصولية " و " السلفية " لتغييب اسم الإسلام.

ز –لم يقتصر المستشرقون في بحوثهم على علم واحد، وإنَّما تناولوا مختلف العلوم، وللأسف لم يلتزموا بالحيدة والموضوعية في أغلب بحوثهم، إذ نجدهم سلكوا سبل التحريف والتشويه في دراساتهم عن القرآن الكريم والطعن في مصدره، وكذلك الطعن والتشكيك في السنة المطهرة وصحتها، وامتد التشويه إلى نبي الإسلام محمَّد –صلى الله عليه وسلَّم–، وحسبنا قول المستشرق البريطاني وليم موير: "إنَّ سيف محمَّد والقرآن هي أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية الحقيقية " .

ح–تأليف الكتب والمراجع والموسوعات العلمية في موضوعات مختلفة عن الإسلام ونظمه مع التحريف الخفي، والتزييف المتعمد في الوقائع التاريخية، وفي نقل النصوص من القرآن والسنة، وبيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلَّم، وإصدار النشرات الدورية والمجلات العلمية الخاصة ببحوثهم عن الإسلام والمسلمين، وإلقاء المحاضرات والخطب في الجمعيات العلمية، وفي كل مكان، ونشر مقالات وبحوث في الصحف والمجلات الواسعة الانتشار، وخاصة في أوساط المثقفين، وترجمة كتبهم ومراجعهم وموسوعاتهم إلى اللغة العربية، ويكفي أن نعرف أنَّ هناك وأقسام عديدة مستقلة للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية في الغرب كله، وأنَّ في القارة الأمريكية وحدها حوالي تسعة آلاف مركز للبحوث والدراسات الشرقية عامة، ومنها حوالي خمسين مركزاً خاصاً بالعالم الإسلامي، وأنَّه منذ مئة وخمسين عاماً، وحتى الآن يصدر في أوربا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، فقد صدر ستون

ألف كتاب بين سنة 1800-1950م.أي عبر قرن ونصف، ويصدر المستشرقون الآن ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات في تراث الإسلام، وأنَّ المستشرقين عقدوا خلال قرن واحد ثلاثين مؤتمراً مثل: مؤتمر "أكسفورد" الذي ضمّ تسعمائة عالم.

وما هذا إلاَّ خطة لتهيئة الرأي العام لقبول الغزو العسكري والاقتصادي والثقافي الغربي لبلاد الإسلام من جهة، ولدراسة أحوال العالم الإسلامي، وكل ما يتعلق بشؤونه ليساعدهم ذلك على السيطرة وبسط النفوذ من جهة أخرى.

كل هذا كان إعداداً وتمهيداً لتقبلنا لما هو آت، وهو " العولمة " ، بل لخضوعنا لما تفرضه علينا العولمة، وعدم إعطائنا فرصة للقبول أو الرفض، فنحن ما بين عشية وضحاها وجدنا أنفسنا أمام العولمة الدينية -من خلال فرض الحوار الإسلامي المسيحي- والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية في آن واحد، ووجدنا أنفسنا قد فقدنا القدرة حتى على شجب ما تتعرض له الأمة الإسلامية من عدوان ومحاولات إبادة، بعدما فقدنا القدرة عن المشاركة في القتال للدفاع عن ما يتعرض له المسلمون من غزو، فلقد شوهوا مفهوم الجهاد في الإسلام، فصوروا الجهاد في سبيل الله ومقاومة الاحتلال والعدوان إرهاباً، وقتلوا روح الجهاد في نفوس المسلمين بعد اتفاقية كامب ديفيد، وخداعنا بأسطورة السلام مع الذين لا يعرفون السلام، ولا يحترمون العهود والمواثيق، ولا يلتزمون بها.

أخطار العولمة السياسية

والطَّامة الكبرى أن "العولمة" السياسية سوف تلغي دور الدولة والحكومة، وأنَّ النظام الاقتصادي العالمي الجديد المفروض علينا سوف يجعل البلاد النامية التي نصنف نحن ضمنها مراكز للتلوث الصناعي، إذ يخطط الكبار نقل مصانعهم إلى بلادنا لحماية بيئاتهم من التلوث الصناعي، مع استغلال العمالة في هذه البلاد لرخصها، ولكن دون أن تنقل لنا تقنية الصناعة أو جعلها في أيدينا، وهذا ما تدرسه الآن بريطانيا لطلبتها وتعِدُّهم لتنفيذه، كما أنَّ النظام المالي الجديد سيتيح المجال أمام المضاربين لضرب اقتصادنا كما حصل في إندونيسيا وماليزيا، كما أنَّ النظام الاقتصادي الجديد سوف يفتح باب الاستثمار على مصراعيه، وهذا يعني أن الصهاينة سيدخلون أسواقنا ويتحكمون في اقتصادنا كما دخلوا بيوتنا من خلال

التمويل الأجنبي للجمعيات النسائية الأهلية، والاتفاقيات الدولية –كاتفاقية إزالة أشكال التمييز ضد المرأة التي وقع عليها عدد من الدول الإسلامية–، ومؤتمرات المرأة العالمية، وأصبحوا يفرضوا علينا الخروج عن ثوابت الإسلام مع توعدهم لعلماء الدين إن اعترضوا على ما يفرض علينا من توصيات مؤتمرات المرأة العالمية بسن قوانين دولية تطبق على الجميع، وخاصة القوانين التي تسمح بالانفلات الجنسي تحت مسمى " الصحة الجسدية " أو " الصحة الجنسية"، والتي تتضمن إقرار الإجهاض كوسيلة من وسائل منع الحمل إلى جانب الحرية الجنسية الانفلاتية.

1- ديوان أدونيس : المجلد الأول،ص346 .

2- ديوان صلاح عبد الصبور :قصيدة الحزين، ص 38.

3- قصيدة كلمات سبارتكوس لأمل دنقل

===============

#الإعلام الإسلامي وخطر العولمة

سهيلة زين العابدين حمَّاد 1424/6/8

2003/08/06

للإعلام تأثير جد كبير وخطير على أنماط السلوك وطرائق التفكير، ولا سيما القنوات التلفازية الفضائية والإنترنت، وهذا التأثير قد يكون سلبياً فيسهم في ذوباننا في الآخر، وفي إعدادنا تمام الإعداد لقبول العولمة والتسليم بها كحقيقة مسلم بها، وهذا ما تعمل عليه للأسف أغلب وسائل الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي، من صحف ومجلات، وقنوات فضائية، ومواقع للإنترنت عربية وأجنبية، وأفلام سينمائية.
ومنها ما يكون إيجابياً في تصحيح كثير من المفاهيم، وأنماط السلوك وطرائق التفكير، للحفاظ على هويتنا الإسلامية، ولتكوين رأي عام سليم تجاه قضايا الأمة، والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت التي تسعى لتحقيق هذه الأهداف قليلة قد لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين، في حين نجد الأخرى قد يصل عددها إلى المئة، إضافة إلى القنوات الأجنبية التي تبلغ المئات، وممَّا يؤسف له حقاً ما تقوم به بعض الشبكات التلفازية العربية المتخصصة من شراء مواد سينمائية من بعض القنوات الأمريكية والأوربية التي تبث أفلام الرعب أو الأفلام الإباحية التي تؤثر سلباً على

سلوك وأخلاقيات أولادنا، وهذه الأفلام في الغالب يقوم على إنتاجها وتمويلها اليهود الصهاينة الذين يمتلكون معظم شركات إنتاج الأفلام الأمريكية؛ إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أنَّ أكثر من 90% من العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي إنتاجاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً ومونتاجاً هم من اليهود، وقالت صحيفة " الأخبار المسيحية الحرة " عام 1938م عن سيطرة الصهيونية على صناعة السينما الأمريكية : "إنَّ صناعة السينما في أمريكا يهودية بأكملها، يتحكم فيها اليهود دون أن ينازعهم فيها أحد، ويطردون منها كل من لا ينتمي إليهم أو لا يصانعهم، وجميع العاملين فيها إمَّا من اليهود أو من صنائعهم، ولقد أصبحت هوليود بسببهم سدود العصر الحديث حيث تنحر الفضيلة، وتنشر الرذيلة، وتسترخص الأعراض، وتنهب الأموال دون رادع أو وازع، وهم يرغمون كل من يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الإجرامي تحت ستائر خادعة كاذبة، وبهذه الأساليب القذرة أفسدوا الأخلاق في البلاد، وقضوا على مشاعر الرجولة والإحساس، وعلى المُثل للأجيال الأمريكية"، وختمت الصحيفة قولها: "أوقفوا هذه الصناعة المجرمة لأنَّها أضحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعايتهم المضللة الفاسدة".

كما يمتلك اليهود الصهاينة كبرى شبكات التلفاز العالمية، فبشراء عروض القنوات الأجنبية، والتنافس فيما بينها على ذلك فيه ترويج للفكر الصهيوني وتحقيق أهدافه، وفيه دعم مادي لها.

وهم يسيطرون أيضاً على كثير من وكالات الأنباء العالمية، ومركز المعلومات، ويمتلكون أدوات متقدمة في صناعة الإعلام وفنونه؛ إذ يمتلك الصهاينة أربع وكالات أنباء عالمية من خمس، كوكالة رويتر البريطانية، والأسوشيتد برس واليونايتد برس الأمريكيتيْن، ووكالة هافاس الفرنسية، وهذا يعني أن الذي يتحكم في صياغة وصناعة الخبر هم اليهود الصهاينة، وإعلامنا في عالميْنا العربي والإسلامي للأسف الشديد يتلقى هذه الأخبار من هذه الوكالات.

أسلوب المواجهة

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يتسنى للإعلام في العالم الإسلامي أن يتغلب على إعلامٍ هذه قوته؟

للأسف الشديد؛ فإننا نفتقر إلى إعلام إسلامي بما تحمله هذه الكلمة من معنى، فنحن لا نستطيع أن نعتبر إعلامنا إسلامياً من خلال بعض القنوات الفضائية المحدودة، أو من خلال بعض المجلات الإسلامية، وبعض مواقع الإنترنت الإسلامية، فهذه لا تشكل شيئاً يذكر أمام مئات الصحف والمجلات وعشرات القنوات ومواقع الشبكة العنكبوتية التي تسير في فلك الصهيونية والغرب، وتسهم في تقديم كل ما من شأنه نشر الفساد والانحلال، والسير على نمط السلوك الغربي، وطرز الحياة الغربية، والتي تسلط الأضواء من خلال برامجها على من يتبنون الفكر الغربي بكل ما فيه من إباحية وإلحاد، وجعلت منهم رموزاً أدبية وفكرية لهذه الأمة، ومنحتهم الجوائز والأوسمة في حين نجدها همَّشت حملة الفكر الإسلامي، وعتَّمت عليهم، وأغلقت أبوابها في وجوههم. قد يقول البعض إنَّ هناك مفكرين إسلاميين تسلط عليهم الأضواء، وأقول هنا إنَّهم قلة قلية لا تشكل حقيقة عدد مفكري الأمة وعلمائها، وتسلط الأضواء على هؤلاء حتى لا يوجه إليها نقد بعدم تقديمها لعلماء ومفكرين إسلاميين، وللطلب الملح من القراء والمشاهدين والمستمعين لمعرفة موقف الدين من قضايا العصر، وممّا يواجههم من مشاكل، فللأسف الشديد أنَّ أغلب القائمين على الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي بجميع وسائله من ذوي الفكر العلماني، لذا فهم يروجون لمن يوافق أهواءاهم وتوجهاتهم الفكرية.

فنحن لا نستطيع التغلب على الحملات الصهيونية والغربية الموجهة الآن بضراوة ضد الإسلام والمسلمين، ومحاربة كل ما هو إسلامي في أي مكان في العالم إلاَّ إذا جعلنا القيادات الإعلامية في عالمنا العربي والإسلامي من الوسطيين من حملة الفكر الإسلامي،عندئذ نستطيع القول إنَّ لدينا إعلاماً إسلامياً.

مقترحات إعلامية للمواجهة

عندما يكون لدينا إعلام إسلامي علينا أن ننشئ وكالة أنباء عالمية إسلامية تصيغ الخبر صياغة صحيحة تتوافق مع طبيعة الحدث وملابساته وخلفياته، وأن نقدم برامج تتفق مع قيم ومبادئ ديننا، ولا تخالف أسس العقيدة الإسلامية وأخلاقيات هذا الدين، وتسهم في تكوين رأي عام عالمي سليم تجاه قضايانا، وتعمل على الحفاظ على الهوية الإسلامية، وأن تصدر صحفاً ومجلاتٍ وكتباً بمختلف اللغات الأجنبية إلى

جانب اللغة العربية، وأن تبث قنوات فضائية، ومواقع للإنترنت بمختلف اللغات تعرض قيم ومبادئ الإسلام وتاريخه وفكره وقضاياه، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يستطيع الإعلام في العالم الإسلامي ،وقد دخل فضاء العولمة عبر الأقمار الصناعية ومحطات البث التلفزيوني خارج الحدود أن ينهض بالأمة ويحافظ على هويتها واستقلاليتها؟

وأقول هنا جواباً عن هذا السؤال: إنَّ الإعلام في العالم الإسلامي لا يستطيع النهوض بهذا الدور مالم يكن إعلاماً إسلامياً؛ إذ كيف يستطيع القيام بهذا الدور، ومعظم القيادات الإعلامية فيه علمانية، ولن يكون الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي إعلاماً إسلامياً إلاَّ إذا تولت قيادته قيادات إعلامية ذات توجه إسلامي، والتزمت بميثاق "جاكرتا" للإعلام الإسلامي الذي وقَّعت عليه ما يقرب من 450 شخصية إعلامية إسلامية قبل حوالي 23 عاماً، ومن أهم بنود هذا الميثاق:

1- ترسيخ الإيمان بقيم الإسلام ومبادئه الخلقية.

2- العمل على تكامل الشخصية الإسلامية.

3- تقديم الحقيقة له خالصة في حدود الآداب الإسلامية.

4- توضيح واجباته تجاه الآخرين وبحقوقه وحرياته الأساسية.

5- العمل على جمع كلمة المسلمين، ودعوتهم إلى التحلي بالعقل والأخوة الإسلامية والتسامح في حل مشكلاتهم، مع الالتزام بمجاهدة الاستعمار والإلحاد في كل أشكاله والعدوان في شتى صوره والحركات الفاشية والعنصرية، وبمجاهدة الصهيونية واستعمارها الاستيطاني المدعم بأشكال القمع والقهر التي يمارسها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

6- التدقيق فيما يذاع وينشر ويعرض حماية للأمة الإسلامية وبقيمها ومقدساتها ودرء الأخطار عنها.

7- أداء رسالتهم في أسلوب عف كريم حرصاً على شرف المهنة، وعلى الآداب الإسلامية، فلا يستخدمون ألفاظاً نابية، ولا ينشرون صوراً خليعة، ولا يتعاملون بالسخرية والطعن الشخصي والقذف والسب والشتم وإثارة الفتن، ونشر الشائعات وسائر المهاترات.

8- الامتناع عن نشر كل ما يمس الآداب العامة أو يوحي بالانحلال الخلقي، أو يرغب في الجريمة والعنف والانتحار، أو يبعث الرعب، أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، واليقظة الكاملة لمواجهة الأفكار والتيارات المعادية للإسلام.
9- الامتناع عن إذاعة ونشر الإعلان التجاري في حال تعارضه مع الأخلاق العامة والقيم الإسلامية.
10- الالتزام بنشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالقضايا الإسلامية، والدفاع عنها، وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها ببعض، والاهتمام بالتراث الإسلامي، والتاريخ والحضارة الإسلامية، ومزيد العناية باللغة العربية، والحرص على سلامتها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية، وبالخصوص بين الأقليات الإسلامية.
11- إحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية لاسترجاع السيادة التشريعية للقرآن الكريم والسنة النبوية.
اعتقد أنّ هذا من أهم الوسائل التي تمكِّن إعلامنا من النهوض بالأمة الإسلامية، والمحافظة على هويتها واستقلالها، ولكن أين الإعلام العربي والإسلامي منه

=============

#القشة .. العولمة .. البعير !!

أنور علي العسيري 1423/10/4

2001/12/19

يتلبس العالم اليوم مفهوم جديد يشكل في ذهنه تنظيما مستحدثاًُ لأشكال التعاون بين الدول ، يحاول أصحاب هذا النظام إقناع المجتمعات البشرية بمستقبل يوحد ارثها الحضاري تحت عباءة تجربة حضارية عالمية واحدة تضع نفسها أنموذجاً للتطبيق على الآخرين! فمنتجات العالم الفكرية والتقنية خاصة وسائل الاتصال ستؤدي تلقائياً إلى توحد ثقافات الشعوب واندماجها فيما يحقق عالمية الأهداف والمصالح . هذا الطرح يقود إلى إلغاء خصوصية الضعيف الذي لا يملك ما يروج به منتجه الحضاري... نحو القبول بكونه متلقياً لمفردات الحضارة الجديدة لاصانعا لهاً ، وهنا سيكون متلقياً للتجربة الليبرالية الغربية الممثلة بمركز العالم الجديد ؛ الولايات المتحدة الأمريكية .

دعوات خبيثة تهدف لفصل ثقافات الشعوب وهدم حدودها ومسح هويتها باتجاه الذوبان الكلي في قلب منتج ثقافي لدولة واحدة لا يتذكر التاريخ لميلادها سوى سنين حبو أولية ! من هنا حاولنا وعبر نقاط مختصرة أن نلقي بأدواتنا على حدودها نقرأ واقعاً له مسبباته، مسترشدين بسنة الله في استحالة ثبات الدورة الحضارية للأمم ، لعلنا نستشف شيئاً ما خلف ضجة أبواق الشر الأبيض .

يبدو أن بوش الابن يحاول فرض العولمة التي أصدرها واثقا بوش الأب بعد انتهاء حرب الخليج الثانية وذلك عبر القوى الاقتصادية والسياسية والعسكرية يغلف هذه الحملة الضخمة إعلام أمريكي موجه بشكل جديد من الاستخراب ليس في خانة مواجهة الجيوش أو تصدير الأيديولوجيات ... إنما في تحقيق هدف خلاصته : القبض على زمام الوعي العالمي وتوجيهه بل واستنساخ عواصم غربية مشوهة في مناطق العالم تحمل نماذجها ولا تحمل قوتها!

ما نؤكده رغم آراء أساتذة السياسة الأمريكية وخبراء اقتصادها ومهندسو فكرها في شأن قدرة أمريكا على فرض نمط العولمة الشاذ على الشعوب أن صانع القرار السياسي الأمريكي لم يعر بالا لخصومه لأنه تكلم بلغة فوقية وهذه اللغة هي التي ستفتك بسرير العسل الذي تنام بين أحضانه أمريكا اليوم ولا أدل على هذه اللغة من تجاهلها لتزايد العداء الشعبي العالمي تجاه سياساتها في العالم بيئية كانت أو سياسية أو اقتصادية .

أهداف الأمركة العالمية :

هناك محاور رئيسة يقرأ المتابع من خلالها خريطة الأهداف الأمريكية الموعلمة :

ثقافية : بحيث يتم تذويب كل الثقافات تحت مظلة الثقافة الأمريكية، تلتقط الشعوب فتات نسقها الثقافي المستقبلي من قيم لا تنتمي لها ، ترتدي النساء السترة التي أعجبت بها فتاة أمريكا أولا ! ويشاهد أطفال العالم أفلام الكرتون التي أدهشت أطفال أمريكا أولا.

اقتصادية : بحيث تكون هي مركز العالم المنتج ويتحول العالم إلى غابة متشابكة لا تؤدي سوى دور الخدمة عبر إمداد السيد الأمريكي بحاجته من المواد الخام واستهلاك ما ينتجه بعد ذلك .

سياسية: وهنا تتضح معالم التحيز الأمريكي في العالم ففي حين نجد أمريكا تتدخل في دول بحجة الدفاع عن الديمقراطية فهي في المقابل لا تتحدث عن أبسط انتهاكات حقوق الإنسان في دول أخرى ، فسياسة أمريكا أن تكون هي قطب العالم السياسي وتحول الدول إلى أنظمة سياسية تحت سلطتها عبر دعم إقامة أصاف أو أرباع ديمقراطية في البلدان المختلفة بحسب المصلحة وعبرها تستطيع تمرير عبثها الانتهازي في السيطرة على الشعوب ومقدراتها .

لقد فرضت أمريكا على نفسها وعبر هذه الرؤية للعالم مواجهة من نوع آخر ؛ مواجهة تقف فيه أمام الشعوب . فهل تنتصر أمريكا على شعوب ترفضها ؟

نستطيع القول إن نجاح أمريكا في الضغط على كثير من الأنظمة السياسية في دول العالم البعيد والقريب من خلال التأثير المباشر أو غير المباشر في سلوك متخذ القرار السياسي ودفعه إلى تطبيق سياساتها ؛ لا يعني انتصارها في ميدان الشعوب ، فقد يكون نظام العولمة الجديد القشة التي تقصم ظهر البعير الأبيض ولا أدل على ذلك من مظاهرات المئتين ألف شخص في مدينة جنوة ضد استبداد سيدة الديمقراطية العالمية وأن كانت تلك مجرد خطوة شعبية مزية ألا أنها بداية قوية لرفض نمط من الاستبداد الجديد عبر تزايد التنظيمات الغير رسمية في التأثير، وهذا التطور لهذه التنظيمات مرتبط حتماً بتزايد مسلسل الاستبداد الأمريكي العالمي !

ما قبل سقوط العولمة :

تدور هذه الأيام محاولات جادة للخروج من قفص السيطرة الأمريكية على العالم شكلتها قوى ضغط شعبية في أوروبا أثرت في صانع القرار الأوروبي ، وأخرى شرقية ذات نظام طامح للسيطرة ؛ منها :

الاتحاد الأوروبي : بتكتل واندماج وتسارع وستغلال كل فرصة سنحت لكسب جولة تعينه على التفوق ولو المعنوي على أمريكا!

الصين : تتخذ من ترسانتها العسكرية منافس غير سهل وتعد نفسها للخلافة على الكرسي العالمي من الآن، والتكتل الاقتصادي هو سيد الموقف اليوم فهل تنجح أوروبا في سحب البساط من الجميع ؟ أم تخلط الصين أوراق اللعبة بإيجاد معادلة

تكامل مع روسيا الجديدة ذات النمط الغربي المشوه فتحقق لنفسها ضربة قد تغير خريطة القرار السياسي في العالم أو قد تهز نوافذه على اقل تقدير.

المسلمون والسباق الحضاري :

الوضع الذي تمر به الأمة لا يمكن لإنسان أن يقول فيه إننا قادرون على خطف نتيجة هذا السباق الحضاري حالياً وان كنا نملك مقوماته لكن عصور من التدهور أرهقت كاهل مفرداتنا الفكرية، وكبلتنا بقيود خارجة عن ديننا الحق فألجمت مسيرتنا الحضارية ... فهل يعني هذا الأمر أن ننتظر إلى من يؤول السباق؟

بالطبع لا.. إذا ما الحل ؟

الحل يدور في مجموعة دوائر رئيسة يغلفها الصبر حتى يحين موعد النصر :

* إعداد الأمة وتربيتها على العقيدة الصحيحة وتهيئة العقول الشابة لخوض مراحل الصراع التقني القادم .

*فتح مساحات الحرية في المجتمعات سيحفز قوى الإبداع للقبض على زمام القيادة والنهوض بالأمة من جديد.

*سد الفجوة بين متخذ القرار السياسي ومتخذ القرار الفكري وأصحاب العقول في الأمة للاستفادة من دورهم في ترشيد العمل الإنمائي عبر بحوثهم ودراساتهم وآرائهم .

* الانفتاح الداخلي بين الدول المسلمة وبعث مساحات للتحرك الاقتصادي والسياسي والثقافي بين الشعوب حتى تتشابك المصالح فيتولد وهج القوة الذي نريد .

* الاتجاه الحذر المنضبط نحو فتح العلاقات مع الاتحاد الأوروبي والصين ككتلتين مختلفتين لهما وضعهما في السياسة الدولية والاستفادة من هذه العلاقة في دعم نمونا الذاتي وترشيده .

أخيرا :

يجب أن نعلم أننا أمة أصحاب حضارة قال المفكر الإنجليزي (رو جر بيكون)في القرن الثالثة عشر: أعجب ممن يريد أن يبحث عن الفلسفة والعلم وهو لا يعرف اللغة العربية !!

لذا فان ما يسمى بالنظام العالمي الجديد وان كان في بداياته ومعالم أدواته لم تفرض بعد كامل سطوتها.... فهو يظل مرحلة عابرة ، لأن الاستبداد لا يدوم وما علينا إلا

الإعداد ، فإذا ما بدأنا العمل فهذا يعني أحد أمرين : إما أن ينهار الشر الأمريكي قبل أن ننتهي من بناء ذاتنا وبالتالي سيصعد نجم غيره فنكون قد ضمنا بإذن الله لأنفسنا أخذ زمام الكرسي الثاني والاقتراب من خطف المقعد الحضاري الأول، أو أن تستمر أمريكا في سطوتها لفترة أطول نكون خلالها وصلنا لمرحلة المنافسة والتقدم إلى أن تبدأ الدورة الحضارية الجديدة للعالم ، يقبض فيها المسلمون من جديد على زمام الحضارات يغرسون فيها نور الحق والله اعلم

================

#قضايا المرأة.. من وطنية المنطلقات إلى عولمة الأجندات

أ.د. نادية محمود مصطفى

...

2003/08/04

قضية المرأة والنهوض بأوضاعها لا تنفصل عن البرامج التنموية التي يتم من خلالها تحويل تلك الغاية لواقع ملموس، ولا تنفصل عن التشريعات التي تتغير لتوافق ذلك.

وهناك العديد من العوامل التي تتداخل مع عملية التغيير ومسارها واتجاهها: فهناك مسألة التشريع والدور الذي تلعبه جماعات المصلحة التي تضغط لتغييره، وتشكيل النخب الفاعلة داخل هذه الجماعات (والنخب والجماعات البديلة المحجوبة)، وهناك المصالح الخارجية والاتفاقات الدولية التي تفرض إعادة تشكيل القوانين الوطنية وما يتداخل معها من عملية التفاوض التي تتم عبر الأجهزة الرسمية من أجل المشاركة في صياغة المواثيق الدولية حال صناعتها، وهناك دور المجتمع المدني الأجنبي في دعم توجهات بعينها وبناء شبكات تحالفات دولية في ساحات المجتمع المدني العالمي، وغيرها من هموم صياغة الأنساق الاجتماعية والقانونية، المحلية والدولية.

القضية –بحق– أكبر من حدود مقال أو دراسة، بيد أن إثارة قضية التمويل الأجنبي للبرامج التنموية التي تعيد تشكيل الواقع على أرضية حياة الناس اليومية تستحق تحليلا أوليًا نجتهد في تلمس أبعاده.

ولعل أهم هذه الأبعاد تشابكات السياق العالمي والوطني الذي أفرز قضية التمويل الأجنبي في مجال قضايا المرأة، وعواقب هذا التمويل ودلالاته، وأبعاد المقارنة بين

النموذج التغريبي الذي يحمله التمويل الأجنبي معه ويسعى لفرضه وبين النموذج الحضاري الإسلامي الذي ينبع من واقعنا ورؤيتنا الوجودية، والذي قلما يجد من يدعمه ماليًا، وإذا وجد فما تلبث حسابات التنافس السياسي والتحزب أن تُحجِّم دوره لتلقي السياسة بظلالها على الاجتماع الإنساني، ويصبح التساؤل: ما هي البدائل اللازم توفيرها لتقليص الاعتماد على التمويل الأجنبي وتحقيق تنمية مستديمة ووطنية، وأفق ذلك على أية حال في ظل تضاؤل الهامش الديمقراطي الراهن الذي هو شرط أي مشروع نهضوي مستقل؟.

التمويل وسياسات العولمة

ليس جديدًا القول بأن السياق الذي أفرز التمويل الأجنبي في مجال المرأة هو سياق العولمة، فنحن في مرحلة عولمة قضية المرأة منذ الربع الأخير من القرن العشرين، وذلك بعد أن شهدت القضية -منذ نهاية القرن الـ 19 وبداية القرن الـ 20- مرحلة عصر التحديث ثم عصر ما بعد الاستقلال الوطني، وأثرت طبيعة كل مرحلة على تنوع وتطور خطابات وأفكار تحرير المرأة، وعلى درجة التدخل الخارجي وشكل العلاقة بين الاتجاهات والقوى الاجتماعية والثقافية في عالمنا العربي والإسلامي، ثم صار لمرحلة العولمة أيضًا خطابها، وبرز التأثير الخارجي على قضية المرأة في ظل العولمة، فلقد كان اختراقًا من قبل الكتلة الرأسمالية العالمية التي قادتها الأمم المتحدة، والتي أرادت أن تقنن مذهبها لتلتزم به دول العالم فيما يتصل بتغيير أوضاع المرأة لتتوافق مع احتياجات السوق العالمية، وما ينشده من تفكيك للقيم وللوحدات الاجتماعية التي تدعم الفرد كي يقف وحيدًا أمام السوق، بل ولتصبح المرأة ذاتها سلعة في كثير من قطاعات هذه السوق الخدمية.

ولم يكن التمويل الأجنبي إلا إحدى أهم آليات وسبل هذا الاختراق الخارجي المقنن تحت راية الشرعية الدولية لإعادة رسم خرائط المجتمعات في شتى أنحاء العالم، بما استنفر قوى مناهضة العولمة سواء أستندت لأفكار أيدلوجية أم دينية أم قومية؟.

ولقد تعددت الأجهزة والمؤسسات والوكالات الدولية المانحة المرتبطة بسياسات الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي، وبالمنظمات الإقليمية المتعاونة معها. وكان مجال عملها في هذه الحالة هو الثقافة والمجتمع من خلال مدخل المرأة و"جندرة"

أجندتها إعلاءً للفردية وللسوق الرأسمالية على ما عداه من معايير التحرر. وفي المقابل، لم تعدم الساحة الوطنية – ظهور مراكز قوى ثقافية واجتماعية راغبة وقادرة على التعاون والتمرير لتلك الأجندات ودعمها والترويج لها، ناهيك عن الحكومات ذاتها التي تسعى لتأكيد اندماجها في النظام العالمي، من خلال قبول سياساته العولمية، سواء في التجارة أو حقوق الإنسان أو المرأة. وبذا، لحق بمجموعة مراكز القوى الاقتصادية والمالية التي ارتبطت بالنظام الرأسمالي العالمي منذ موجة سياسات الانفتاح والتحرير والليبرالية التي اجتاحت العالم الثالث منذ أواسط السبعينيات، لحق بها معها مجموعة أخرى من مراكز القوى الثقافية والاجتماعية التي تتحالف بدورها مع مؤسسات دولية تضع وتطبق برامج وسياسات دولية خاصة بتغير أوضاع المرأة. ويتجلى عبر فهم وتحليل هذا الوضع أكثر من دلالة ومغزى وعاقبة.

فالدلالة المعنوية والرمزية لما يتم تشير إلى العجز؛ حيث إنه ليس بمقدورنا أن نغير أوضاعنا الداخلية بدون مساعدة من الخارج، كما يظل لهذا التدخل الخارجي من خلال التمويل الأجنبي آثار أخرى متعددة الجوانب تتلخص وتتمحور في خيط أساسي وهو انطلاق البرامج والسياسات الممولة من الخارج، وتأسيسها على مرجعية وأجندة غربية تربط التنمية والتحديث بالاقتراب من الثقافة والنموذج المادي العلماني الحداثي الغربي والمنظومة المعرفية السائلة للنظام العولمي.

كيف؟

ببساطة نجد أهم خصائص النموذج الغربي الخاص بالمرأة في المظاهر التالية للخطاب النسوي الصاعد:

– الوضعية الفلسفية (فصل الدين عن المجال العام برمته)، تقديم المادي والاقتصادي والفرداني (ونقض المعنوي والقيمي والجمعي).

– الاختزالية الجزئية (الاقتطاع من السياق العمراني الحضاري وعدم اعتبار المرأة ظاهرة اجتماعية إنسانية مركبة).

– العولمة على المثال الغربي (بعيدًا عن خصائص البيئة والتقاليد الثقافية والاجتماعية)... وهذه الخصائص يعبر عنها مضمون مفهومي الحرية والمساواة في تعريف التجربة الغربية.

فعلى سبيل المثال وليس الحصر يمكن تفكيك الخصائص السابقة في التعبيرات التالية التي يعرفها الخطاب العولمي عن المرأة:

- النظر إلى الدين كمعوق لنمو المرأة، فالحجاب بالضرورة تهميش وعزل.

- الفردية المطلقة والحرية الكاملة ورفض توصيف المرأة بنسبةً كونها أمًّا أو زوجةً أو أختًا أو ابنة.

- الحط من دور المرأة في الأسرة أو في "النشاط بدون مقابل مادي نقدي"؛ حيث أضحى العمل خارج المنزل وبأجر هو أساس تأكيد الاستقلالية وأساس المكانة؛ لأن الأبعاد المادية الاستهلاكية هي معيار الفاعلية والإنجاز، ذلك في ظل النسبية المفرطة تجاه القيم الأخلاقية والمعنوية، والوفاء بمسئولياتها عنف وانتهاك ومصادرة لـ"إنسانيتها" التي صارت أسطورة فردانية من غير المقبول مراجعتها.

- ومن ثم أيضًا وفي مقابل الاهتمام بالحلول القانونية لمشاكل المرأة، مثل حق الطلاق والخلع (مع اجتزائهما من الشريعة دون تطبيق أو تفعيل باقي النسق القيمي التي تنبني عليه)، فلا تؤخذ في الاعتبار عواقب الأزمات العائلية التي تتنامى في ظل عمليات التحديث المتسارعة على تماسك المجتمع، بل وتنامي معدلات الانحراف والعنف المجتمعي، كما لا تؤخذ في الاعتبار المسئولية المجتمعية والأسرية المحيطة بعقود الزواج؛ حيث تزايدت الاتجاهات نحو العقود المدنية التي تعكس فقدان الثقة وتراجع الجانب العاطفي المعنوي والأسري أمام الجوانب المادية والطابع الثنائي الضيق.

- المعنى الشكلي لشعار المساواة في المجتمعات الفقيرة، فكيف يمكن أن تتحقق المساواة ومع مَنْ في ظل التخلف وتدهور مستوى الحياة؟

- وبالمثل فإن المشاركة السياسية محل الاهتمام ليست إلا مفهومًا ضيقًا محدودًا، يقصر المشاركة المطلوبة للمرأة على حق الترشيح والانتحاب وتولي المناصب العليا، في حين أن مجتمعاتنا تعاني من أزمة مشاركة سياسية ليست قاصرة على المرأة، ولكن يعاني منها الرجل أيضًا وبالأساس. هذا فضلا عن أن المشاركة يمكن أن تتخذ معنى أكثر اتساعًا يمتد إلى المشاركة في المجتمع المدني والمجال العام بكل مساحاته، وليس في النظام الرسمي فقط.

- ظهور مفاهيم وخطابات جديدة مراوغة ولزجة لم يكن يعرفها الخطاب العربي والإسلامي، مثل الحقوق الإنجابية، الثقافة الجنسية، يتم كشف مغزاها رويدًا رويدًا لتعني حرية الجنس والجسد، ليس فقط للمرأة داخل الأسرة بل للمرأة كفرد، بل للمراهقين أيضًا.

وفضلا عن التعبيرات السابقة للخطاب العلماني وحركته التي تحيط ببرامج التمويل الأجنبي، والتي تعكس خصائص نموذجه المعرفي والقيمي، فإن خبرة هذا القطاع من المجتمع المدني، إنما تقدم دلالات ذات أبعاد سياسية أيضًا، فتشير هذه الأبعاد إلى قدر التحيز وعدم الديمقراطية التي صارت عليها ممارسات المجتمع المدني، وذلك في نفس الوقت الذي من المفترض فيه أن يكون هذا المجتمع المدني من دعائم التحول الديمقراطي المأمول في مجتمعاتنا. بعبارة أخرى فإن التفاعلات حول قضية المرأة وما تظهره من استقطاب حاد بين الاتجاهات والقوى المتنوعة تمثل ساحة هامة لبيان قدر تأثير السياسة على تجربة المجتمع المدني والمفهوم المنقوص عن التحول الديمقراطي والمجتمع المدني؛ حيث يظهر جليا التحيز الذي تعاني منه بعض القوى والاتجاهات، وهو الأمر الذي يمثل في حد ذاته البوصلة التي يتحرك بموجبها التمويل الأجنبي: فلمن يذهب؟ وعمن يعرض ويتحول؟

من ناحية: في مقابل علو الصوت الراديكالي النسوي الذي يلقى المساندة من الحكومات ومن المؤسسات الدولية، يغيب خطاب إسلامي فاعل لانشغاله بالدفاع ضد ما يتعرض له من انتهاكات حقوق الإنسان ولانشغاله بالبحث عن مصادر التمويل اللازمة.

ومن ناحية أخرى: وفي حين يتدعم التحالف بين الرافد النسوي العلماني وبين الحكومات، يظل القطاع المدني من التيار الإسلامي محرومًا من الدعم نظرًا لربطه من قبل النظم الحاكمة بل وأجهزتها الأمنية مع المعارضة السياسية "المحجوبة عن الشرعية" والمتهمة بالعداء للغرب. فعلى سبيل المثال رفض صندوق مؤتمر بكين تمويل جمعيات إسلامية أرادت المشاركة في المؤتمر، ولم يتوافر لها الموارد التي توافرت للدوائر "النسوية"، وكلما تزايد الهجوم على الحركات الإسلامية وحظرها بصفة عامة قلت قدرة القطاع المدني من التيار الإسلامي على المشاركة. ومن ثم تظل

الساحة مفتوحة أمام "النسويات" فقط اللاتي يتصدّرن المواقع، ويشاركن في المؤتمرات الدولية بلا منافس، باعتبارهن المدافعات بمفردهن عن حقوق المرأة في مواجهة "التيارات الظلامية"، ونظرًا لهجومهن الشديد على موقف الإسلاميين من المرأة تتم مكافأتهن بالمناصب السياسية وشبه الرسمية.

وفي المقابل، يتبلور ويتنامى –ولكن بهدوء وبعيدًا عن الأضواء والاهتمام– دور نشط لسيدات مسلمات نشطن على صعيد العمل الأهلي في مجال دعم المرأة وفقًا لمنظور حضاري إسلامي، هو دور لا يرى الحجاب رمزًا للضغط أو القهر أو العزلة أو التهميش، ولكن يمثل وسيلة للتمكين ولحرية الحركة ولتوسيع دائرة النشاط؛ لأن الإسلام في نظرهن إنما يؤكد تحرير المرأة وفعاليتها، كما أن الإسلام بأحكامه وقيمه وسننه وخبرات تاريخه إنما يقدم لهن نموذجًا معرفيًا وإطارًا مرجعيًا ينطلق منه ويتبنين وفقًا له منظورا حضاريا إسلاميا.

وتتلخص أسس هذا المنظور فيما يلي:

*

الوعي بالمرجعية الإسلامية وخصوصيتها من حيث الثابت ومن حيث المتغير.

*

الهوية، والوعي بالذات المرتبط بالأمة دون انفصال عنها.

*

الانفتاح على التفاعل مع الخصوصيات الأخرى دون الاستلاب أو التبعية من ناحية وفي ظل استمرار التواصل مع التراث دون تقليد أعمى أو جمود أو ضغوط.

*

الجماعية كإطار لتوظيف الإبداعات الفردية والذاتية دون إفراط في الحرية الفردية ودون انسحاق في الجماعة.

*

الوسطية بين الإنتاجية المادية وبين القيمة المعنوية الأخلاقية.

وعلى ضوء هذه الخصائص للأصوات الإسلامية النسائية الصاعدة يمكننا:

أولا: أن نستقرئ 4 مستويات مترابطة وفق منظومة من القيم تعرف وتحدد وضع المرأة ككيان إنساني واجتماعي في علاقة حميمة مع: الأمة والمجتمع والأسرة ومع الآخر، تنفي هذه العلاقة المفهومَ التجزيئي الانسلاخي عند تشخيص مشاكل المرأة وتحديد سبل العلاج.

ثانيًا: تعكس هذه الخصائص وتستبطن قيم العدل، والحق المقترن بالواجب، أكثر مما تستبطن مفهومي الحرية والمساواة.

ثالثًا: تقود هذه الخصائص إلى مقاصد الشريعة النابعة من الإطار المرجعي التوحيدي.

رابعًا: يتبلور كل ما سبق في الرؤية الإسلامية التجديدية عن الحجاب، التعليم، المشاركة السياسية، العمل المهني، الأحوال الشخصية، الحرية الشخصية. ففضلا عن الجدال بين المنظور النسوي العلماني والمنظور الإسلامي حول هذه القضايا، وهو الجدال الذي يعكس اختلاف الأطر المرجعية ومنظومة القيم، فإن روافد التيار الإسلامي لا تتطابق في اجتهاداتها حول وضع المرأة. وهو الأمر الذي يستغله التيار العلماني ليضيفه إلى هجومه على مواقف الإسلاميين من المرأة رغم انقسامه هو ذاته بين مدارس أيدلوجية وأجنحة شتى متنازعة ومتنافسة.

إن الجمعيات أو المراكز التي تحمل بذور وثمرات فكر هذا المنظور الحضاري الإسلامي تقوم بدورها على ساحة المرأة دون تمويل أجنبي من المؤسسات الدولية، ودون دعم أو مساندة رسمية وطنية تداني ما تلقاه نظائرها "العلمانية"، ودون أن تقدر على التأثير إلا بصعوبة شديدة، وفي أضيق الحدود (كما حاولت في مؤتمرات القاهرة وبكين وبكين+5)، ودون أن تقدر على الائتلاف والتجمع خوفًا من الاتهامات السياسية، ودون أن تتوافر لها الخطط والكوادر والموارد اللازمة لتفعيل دورها، ودون أن تسلط عليها الأضواء الإعلامية.

من نماذج الريادة للمرأة المسلمة: د. زهيرة عابدين

في مايو 2002 فقد أطباء مصر أمهم الفخرية: أ.د. زهيرة عابدين أم الأطباء والرائدة في مجال العمل الطبي الأهلي والخيري التطوعي في مصر والعالم العربي والإسلامي.

- كانت العالمة المتخصصة البارزة "ذات الحجاب" منذ وقت مبكر لم يكن قد شاع فيه الحجاب بعدُ كما حدث منذ الثمانينيات.
- كانت العالمة التي امتد علمها إلى نطاق عملها الأهلي التطوعي، فحققت الجمع بين قيمتين عظيمتين: العمل الأكاديمي والعمل الأهلي.
- كانت المصرية الوطنية الصادقة دون أن تفقد الصلة مع الأمة، فلقد كان همُّ المسلمين في كل مكان شاغلها الأساسي، بقدر ما كان يشغلها همُّ المصريين.
- كانت المحافظة على تقاليد ثقافتها بقدر انفتاحها على أرجاء العالم، حيث ذهبت هنا وهناك مكرمّة أحيانًا، وخادمة للهدف الإنساني أحيانًا كثيرة.
- كانت الأمَّ لأبنائها وبناتها.. وكانت الأم والمقصد لكل الساعين لتجميع الجهود في مجال العمل الإسلامي المتنوع.
- كانت الإنسانة الداعمة لأعمال الخير التي تلبي الاحتياجات الأساسية للفقراء، وكانت المربية الواعية لأهمية العقل والفكر أيضًا، فكانت المدارس الإسلامية إلى جانب الملاجئ والمستشفيات والمشاغل ثمرةَ سعيها.
- كانت الناشطة في تعبئة الموارد الوطنية والعربية والإسلامية اللازمة لأعمال الخير والفكر والعلم، وكانت الواقفة أموالها لهذه الأعمال داخل وخارج مصر.
- كانت كل هذا، ولم تكن تحت الأضواء التي سلطت على من هن أقل علمًا وفكرًا وحسًا ووطنية وإخلاصًا.

إنها خبرة النموذج الذي نحتته "أم الأطباء" بجدارة وإخلاص في مجال العمل الأهلي. ولا يحضرني فقط رمز المرأة بل أيضًا ما نشهده من نشاط جماعي، مثل جمعية دراسات المرأة والحضارة بالقاهرة برئاسة أ.د. منى أبو الفضل أستاذة كرسي زهيرة عابدين للدراسات النسوية في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بواشنطن.

ولعلي أصل للقول بأن خبرة حياة د. زهيرة عابدين تقدم النموذج لأمرين أساسيين:

الأول: إن المرأة المسلمة مدخل أساسي للتغيير في مجتمعاتها، سواء أكانت فاعلا أو مفعولا أو متفاعلا، ولقد كانت زهيرة عابدين فاعلا أساسيًا سعَى لتجديد طاقات النموذج الحضاري الذي نبت في ظل قيمه وتقاليده، فربطت بين العمل الخيري والعمل الفكري لتؤكد أهمية الربط بين القدرات المادية وغير المادية.

الثاني: إن هذا التجديد اعتمد على الجهود والموارد الوطنية المصرية والعربية والإسلامية. فأثبتت أن الزكاة والصدقة والوقف يجب ألا تتجه إلى الأعمال الخيرية "التقليدية"، ولكن يجب أن يتسع نطاقها ومداها لتمتد للأعمال الإنتاجية، وللأنشطة الفكرية والبحثية، كما أن الجهود يجب ألا تظل فردية، ولكن يجب أن تصبح جماعية، وتتخذ أطرًا مؤسسية.

هذه خواطر أردت منها أن تذكرنا بأن الواقع النسائي الإسلامي ليس راكدًا بل حي متفاعل، وما ضربت إلا نموذجا، والأمثلة كثيرة ومشرفة، لكننا نقصر في دراستها وتقديمها ودعمها بل والترويج والتسويق لها، كما يفعل الغرب ببضاعته وناسه، وليس ذلك عن عجز في الإمكانات أو الكفاءات، بل ربما –أساسا– عن عجز في الهمة، ووهن في التدبير.

===============

#المرأة في الرؤية الإسلامية.. واجبات لا حقوق

...

2001/07/05

في إطار الصراع الإسلامي–العلماني اجتهد الإسلاميون لإظهار الحقوق الكبيرة التي منحها الإسلام للمرأة، سابقًا بذلك أمم العالم المتحضر.

وفي إطار ذلك الصراع خرج المستشار البشري ليعلن رؤيته الخاصة التي ترى أن الإسلام لم يعطِ للمرأة حقوقا.. فليس في الإسلام حيالها سوى واجبات. فهل يرى المستشار البشري أن نظرة الإسلام للمرأة، وجملة الأوامر والنواهي المرتبطة بقضاياها ليست سوى تكليفات بفروض وواجبات تتحملها المرأة؟ أم أنها واجبات لصالحها؟

ويؤكد المستشار البشري أن تحميل قضية المرأة بالواجبات أمر يجعل المرأة في منأى عن الصراع مع الرجل، حيث لا محل لصراع جوهره التراضي الإيماني. فكيف ينشأ التراضي الذي يقصده المستشار البشري في إطار مثل هذه الرؤية؟ وكيف تتعامل المرأة مع هذا الطرح الجديد؟ وهل ترتضيه؟ وهل يرتضيه المجتهدون من العلماء والإسلاميين؟

المرأة في الرؤية الإسلامية.. واجبات لا حقوق

المستشار طارق البشري

تمهيد

موضوع هذه الورقة اشتد حوله الجدل في السنين الأخيرة، أو هو في مجال من أهم مجالات المعارك التي دارت خلال السنوات العشر الأخيرة بين الإسلاميين والعلمانيين، وهي موضوعات: المرأة، والربا، وغير المسلمين، والفنون.

أراد العلمانيون بإثارة هذه الموضوعات إثبات أن شريعة الإسلام متوقفة عن التطور، وأنها أفكار قديمة بالية، وأنها لا تصلح لأيامنا هذه: أيام التقدم والتحضر والنور (يقصدون أيام سيادة نماذج الحضارة الأوربية). وحشد الفكر الإسلامي جهوده للرد على هذه الدفوع، وقام رجال الفكر الإسلامي في هذا الشأن بين مدافع عن أحكام الشريعة مبين صلاحيتها، وبين مجتهد في الأحكام لبلوغ ثوابت التشريع الإسلامي في تفاعلها مع أوضاع الحاضر.

والخطاب الصادر عن الطرف الإسلامي صنفان: خطاب موجه لفصائل إسلامية أخرى يحاول معها ترجيح رأي مجدد، أو التنبيه للتمسك بالنظر التقليدي. والصنف الآخر خطاب موجه للطرف العلماني: مهاجمًا إياه، أو مدافعًا عن نفسه، أو شارحًا وعارضًا ما لديه من جديد، لعل الطرف العلماني يرضى، أو بالأقل يعترف بأن الآخرين لهم الحق في الوجود في هذا العصر الحاضر، "عهد التقدم والتحضر والنور".

أما الخطاب من الطرف العلماني فليس إلا صنفًا واحدًا موجهًا إلى الإسلاميين يريد التأكيد على أن فكر الإسلاميين من فكر الغابرين، وليس له جدارة البقاء.

ولم ألحظ أن حوارًا يجري بين العلمانيين بعضهم وبعض في بلادنا حول الصالح والجيد والرديء في الفكر الإسلامي.

ومن هنا يرجح لديَّ الظن أن الخطاب الإسلامي أكثر جدارة للبقاء، لا من حيث قياسه بمقاييس خارجة عنه بمعايير حضارية أخرى، ولكن من حيث إنه ينطوي على قدرة على التفاعل الذاتي. فالخطاب الإسلامي خطاب نهضة، يتضمن حوارًا داخليًا في إطار الفكر الإسلامي، وليس كخطاب العلمانيين خطابًا مصمتًا، وحيد الجانب، موجها للآخرين فقط، دون أن يتضمن تفاعلاً داخليًا أو حركة ذاتية.

فكرة الحق في الإسلام مقارنة بالفكر الغربي

التصور الإسلامي مبنيٌ في ظني على أساس التكوين الجماعي للمجتمع، وليس على أساس التكوين الفردي، وهو في الغالب الأعم ينظر للفرد في إطار وجوده الجماعي، ومن ثم على أساس التكوينات المؤسسية التي تنظم هذه الجماعات وتتحدث باسمها. ولأن هذا هو التصور فقد قام النسق الحقوقي للفرد في الإسلام مصاغًا في صورة واجبات؛ فحقوق الزوجة في الأسرة تحددها واجبات الزواج، وحق الولد في النفقة من أبيه يحددها واجب إنفاق الأب على ابنه، وحق الجار من واجب الجار الآخر إزاءه...

هذا الأسلوب في صياغة حق الفرد بأنه واجب على الغير إزاءه يتفق مع التكوين المؤسسي الذي يتكون بهذه الطريقة، طريقة بيان ما على أعضاء هذا التكوين من واجبات لغيرهم من الأفراد داخل الجماعة وللجماعة كلها. وهي صياغة توقظ في الفرد دائمًا مثيرات العطاء لا مثيرات الأخذ، كما يُعبَّر أحيانًا في النظرية القانونية الوضعية عن الحق بوصفه التزامًا.

إن الصياغة الليبرالية للفكرة الحقوقية في الغرب، تنظر إلى الفرد كما لو أنه مستقل عن الجماعة في تصوره الأصلي، أي أنه في البدء كان فردًا ثم دخل الجماعة متنازلاً عن بعض حقوقه لتحمي له الجماعة حقوقه الباقية، فظهرت فكرة الحق في تصور فردي. وهذا التصور غير صحيح؛ لأن الفرد لم يكن خارج جماعة قط منذ مولده وحتى وفاته، ولأن اندراجه مع الجماعة لا يفقده حقوقًا فردية له، بل يكسبه هذه الحقوق، والحق "علاقة"، ولا يمكن فهم حق الفرد دون آخرين تقوم معهم هذه العلاقة. كما أن وضع الفكرة الحقوقية بهذا التصور الليبرالي، الذي يؤكد على الحق، إنما أقام الحق في مواجهة الغير، فصار حق الفرد ينتهي عندما يبدأ حق غيره، وحريته تقف عند بدء حرية غيره. وهكذا صار وجود الآخر يشكل قيدًا، وهو نوع من الانتقاص؛ لذلك يصعب فهم الفكرة الحقوقية الغربية بدون مفهوم الصراع.

وقد انسبغ ذلك على وضع المرأة في الغرب، فصيغت حقوقها في مواجهة الرجل على أن كسبها يتأتى من صراعها معه، حتى في العلاقة الزوجية. وغابت عن هذا التصور فكرة المساكنة بين الزوجين التي أوردها القرآن الكريم، وفكرة البناء المشترك

للأسرة كمؤسسة اجتماعية تتولد الحقوق فيها عن التكاتف والتآزر لا الانتقاص من حق الآخر.

وهنا نلمح جزءًا هامًا لخلاف جوهري بين التصور الإسلامي والتصور الغربي. فالخطاب الإسلامي موجه في الأساس للجماعات، والإنسان وسط الجماعة لم يتنازل عن حق، بل ينشأ عنه ذلك الحق وتنشأ معه حريته في إطار الاجتماع، والواجب عليه هو حق الآخرين. وهذا الأمر ينطبق على رؤية حق المرأة في إطار علاقتها بالرجل. فتلك العلاقة الأخيرة ليست صراعية، فلا ينتقص حق طرف من حق الطرف الآخر، بقدر ما إن حق كل طرف لا يتأتى إلا من خلال العلاقة مع الطرف الآخر.

تعليق على الموقف من نقص شهادة المرأة

تشهد قضية شهادة المرأة أهمية متزايدة من جانبين:

الجانب الأول يتعلق بالمصدر العلماني الذي يرى في قضية شهادة المرأة موطنًا لالتماس الطعون على التشريع المستمد من الأصول الإسلامية، من زاوية انطواء هذه الأصول على تمييز سلبي ضد المرأة يفضي بها إلى وضع تنعدم فيه مساواتها بالرجل. كما يشهد – من جانب ثان – تناول بعض الإسلاميين لهذه القضية من زاوية الدفاع عن الإسلام، مع تباين منطلقات فصائل الإسلاميين ومقولاتهم في هذا الصدد.

وعند التعرض لوضع المرأة المستفاد من نقص شهادتها يسارع البعض للتأكيد على أن مساواة شهادة الرجل لشهادة امرأتين، لم ترد إلا في سورة البقرة في آية "الدين"، وأن باقي الشهادات لم يرد في القرآن نص بشأن ارتباطها بشروط الرجولة لصحة الشهادة أو كمالها، إنما قام الشرط في حدود العدالة. وعندما عرضت المقولات التي أسلفنا الإشارة إليها لهذا الأمر، كنت أود أن يُستكمل عرض هذه المقولات بالتعرض لطبيعة الشهادة، فإن ما جرى عليه النظر لدى كثير من الفقهاء أن في الشهادة معنى الولاية، ومن هنا جرى القياس؛ قياس نقص ولاية المرأة بعامة على حكم نقص شهادتها. وهذه النقطة تحتاج إلى تحرير، فهل الشهادة ولاية أم إخبار؟

إن الولاية إذا أردنا أن نُعرّفها في كلمات مُبسطة قليلة، هي إمضاء القول على الغير. وهي تكون ولاية خاصة إن كان إمضاء القول على محصورين معينين،

وتكون ولاية عامة إن كان إمضاء القول على غير محصورين. هذا هو نوع الولاية بصفة مجملة. فالولاية قولٌ نافذٌ على الغير، أي أنها حسب المصطلحات الوضعية الحديثة، هي في صورتها العامة صلاحية إصدار قرارٍ ينشئ مركزًا قانونيًا للغير أو يعدله أو يلغيه.

والمركز القانوني مجموع حقوق والتزامات. والولاية في صورتها الخاصة – بالرؤية الوضعية – هي صلاحية التصرف عن الغير بإنشاء مجموعة من الآثار القانونية – حقوقًا أو التزامات في حق هذا الغير. هذا هو جوهر الولاية بالمعنى الفقهي المقصود هنا.

أما الإخبار فهو التحديث بأمر وقع أو ذكر حادث حدث. وهو ليس الوقوع ولا الحدوث ولكنه القول بذلك. وهو ليس إنشاء الأمر ولكنه إثبات نشوء الأمر. الإخبار هو نقل الوعي بوقوع الأمر من شخص عارف به إلى شخص آخر غير عارف به. والإخبار بهذا الوضع لا ينشئ بذاته مركزًا قانونيًا ولا يُعدِّل منه ولا يلغيه، إنما يقوم به ثبوت أمرٍ قد يُفضي إلى إنشاء مركز قانوني أو تعديله أو إلغائه.

والشهادة في حقيقتها هي إخبار بفعلٍ حدث أو بواقعةٍ نزلت أو بحقٍ لأحد على أحد، ولا يقوم بها بذاتها تقرير ما يترتب على شيء من ذلك من أثر يوجبه الحكم. والشهادة تكون بما وقع تحت بصر الشاهد أو سمعه من فعل أو قول. ومع كون الشهادة من قبيل الإخبار إلا أنها كانت قديمًا أقوى أدلة الثبوت الشرعية التي يُعترف بها أمام القضاء، ولذلك سُميت البينة بحسبانها دليل الثبوت الغالب، لا يقوى عليها إلا الإقرار على النفس، أو اليمين في بعض الأقوال في بعض الأحيان.

وقد قرر الفقهاء أن دليل ثبوت الحق هو ما عليه المعول في معرفة هذا الحق وترتيب آثار قيامه، وإذا لم تكن الكتابة منتشرة وكانت المعرفة بها محدودة، والحصول على وسائل من أدوات وأوراق ليس متوافرًا، وكانت الأمية غالبة، والترحال كثيرا، وحفظ الأوراق لا يجري مجرى العادة ولا تتوافر وسائل ضبطه، إذا كان كل ذلك، كانت الشهادة هي أقوى وسائل إثبات الحقوق، وكانت هي تقريبًا ما عليه المعول في الاعتراف بقيام الحق أو الاعتراف بحدوث النازلة التي تستوجب ترتيب الأثر الشرعي، سواء في مواد المعاملات أو مواد الحدود وغيرها.

ولما كان للشهادة من الحسم في ترتيب ما حجم عن المشهود به من آثار شرعية، جهد الفقهاء في تفصيل أحكامها وتبيان شروطها من حيث التحمل ومن حيث الأداء، وشروط كل من ذلك، ومن حيث أنواع الشهادات وأنواع المشهود به، وشروط الشاهد من حيث عدالته وتجريحه ومراتب الشهود من العدل المبرز إلى غير المبرز إلى من تُتوسم فيه العدالة إلى من لا يُتوسم عدله ولا جرحه إلى من يُتوسم جرحه إلى المعروف بالجرح، ولكل منهم نوع أداء يصلح به بذاته أو بغيره وهكذا. وقد قيل في الأثر: "شاهداك قاتلاك" دلالة على ما ترتبه الشهادة من أثر، كما لو أنه يترتب عليها باللزوم دون فكاك.

ومن هنا قال الفقهاء: إن الشهادة ولاية، يريدون بذلك القول بأن من شهد فكأنما رتب بذاته الأثر المقرر على ثبوت المشهود به، أي أنَّ من شهد كمن قرر وكمن قضى، ويبغون بذلك التوصية بوجوب التشدد وبذل أقصى الجهد في تحقيق شروط الشهادة لما لثبوتها من أثر الترتيب المباشر للحكم، يبغون إقران الشهادة بالولاية من حيث التشديد في الاستيثاق من عدالتها. وشبيه بذلك ما يُقال عن الإقرار بالحق عن النفس.

فالإقرار إخبار بحق للغير على النفس، ولكنه من الحسم في إثبات الأمر المقر به بحيث يعتبر كما لو أنه هو عين التصرف، أو هو عين الفعل المُنشئ للحق على النفس، وهو بهذه المثابة يلزم فيه ما يلزم من أهلية للتصرف رغم كونه إخبارًا في أصل وظيفته. وشبيه بذلك أيضًا ما نعرفه اليوم بالعقد المسجل؛ إذ له من الحسن في ترتيب الحقوق ما وصل ببعض التشريعات إلى اعتباره ركن نشوء للحق. وشبيه به أيضًا ما نسميه اليوم في لغة القانون التجاري من اندماج الحق في الصك، أي أن الحق اندمج في وسيلة إثباته، كـ"الشيك" أو "السهم" أحيانًا.

إن القول بأن الشهادة ولاية هو محض تصور فقهي، وليس حكمًا من أحكام التشريع المنزل. وهو تصور يفيد أهمية الشهادة في ترتيب آثار الأحكام، دون أن يجردها من أصل وضعها الوظيفي، وهو أنها إخبار ووسيلة ثبوت. وأهمية هذا التمييز تظهر حاليًا في زماننا المعيش؛ إذ انتشرت الكتابة تعلمًا وممارسة ووسائل استخدام وعادات استخدام. وهي أثبت وأحفظ، فصارت وسيلة الإثبات الأقوى، وصار الدليل المستفاد

منها آكد وأوثق. وتراجعت الشهادة إلى أن صارت وسيلة إثبات ثانوية، ومن ثم يزايلها وصف الولاية الذي كان مبنيًا لا على طبيعتها ولكن على أهميتها، وكان مستمدًا لا من حقيقة كنهها ولكن من تفردها في الدلالة والثبوت.

يُضاف إلى ذلك أن ظهرت أدلة وأدوات ثبوت جديدة، مثل: المعاينة، والخبرات الفنية لأهل التخصص في كل ميدان، ونتائج المعامل الكيميائية، وهذه كلها إن أدخلها فقهاء الشريعة المحدثون في المعنى العام الواسع للشهادة، فهي من جانب آخر أخص من الدلالة المستفادة من الشهادة قديمًا. وقد تكاثرت هذه الوسائل في الثبوت وتنوعت بحيث لم يعد أي منها وحده مما يلزم القاضي، ويرتب بذاته نزول الأحكام، أي أنها تكاثرت وتنوعت بحيث لم يعد لأي منها وحده من الأهمية ما يبوئه جدارة الاتصاف بأنه ولاية، إلا أن يكون الإقرار على النفس أو حكم القاضي بالثبوت.

ونخلص من ذلك كله إلى:

أولاً: أن القول بأن الشهادة ولاية، هذا القول محض تصور فقهي، وأنه تصور فقهي نتج لا عن كنه الشهادة وطبيعتها من حيث كونها إجراء للأمر على الغير، ولكنه نتج عن أهمية الشهادة كدليل إخبار، وهي الأهمية التي تعلق بها أصل الحق أو الوضع.

ثانيًا: أن المشاهدة فقدت مكانتها المنفردة في إثبات الحقوق والوقائع، وفقدت مكان الصدارة في ذلك كله، فزايلها ما كان لها من أهمية في ترتيب آثار الاعتراف بالحقوق والوقائع، وزايلها ما قامت به جدارتها في اكتساب وصف الولاية.

ثالثًا: أن نقص الشهادة لا يقوم به قياس صحيح من نقص الولاية، لا يقوم به هذا القياس قديمًا؛ لأن الولاية ليست من طبيعة الشهادة ولا يقوم به هذا القياس الآن من باب أولى.

المرأة بين الإفراط في المساواة والإسراف في التمييز

النظر في قضية مساواة المرأة بالرجل قد يشوبه بعض المبالغة من قبل الطرف العلماني، والتأويل أو التهميش في التعامل مع أوجه الاستدلال في نص من النصوص من ناحية الطرف الإسلامي. فالطرف العلماني في المجتمعات العربية والإسلامية يزايد على أنصار المرأة في الغرب، ليحمِّل المرأة ما لا تطيق من أوجه

المساواة – على نحو ما سنرى لاحقاً. كما أن الجانب الإسلامي سعى إما للدفاع عن المثال الإسلامي من دون فحص شامل لتاريخ التعامل مع الظاهرة محل التناول، أو سارع إلى نفي وجود أي تمييز، وهو ما جعله مشاركًا الجانب العلماني – صوريًا – في مسلك تحميل المرأة ما لا تطيق من أوجه المساواة.

والنظر في جوانب النشاط السياسي للمرأة، يوجب النظر في مقتضيات هذا النشاط، وأهم هذه المقتضيات أمران أساسيان جرى الحديث عنهما في عشرات السنين الماضية ولا يزال يدور، وهما مجالا: التعليم، والعمل.

وما دعاني إلى الإشارة إلى هذا الأمر أن مقولات بعض الإسلاميين المتداولة في هذا الإطار كررت حكمها الحاسم بأنه ليس ثمة تقسيم إسلامي للوظائف الاجتماعية بين الرجل والمرأة، وهذه المقولات في هذه النقطة إنما أرادت أن تواجه قول القائلين بقصر وظيفة المرأة على المنزل وتربية الأولاد، وشمول وظيفة الرجل للسعي وراء الرزق وتولي الشئون العامة، وهناك كثيرون يصورون الأمر بهذه الصورة المبسطة.

وأنا أفهم اعتراض الإسلاميين على هذا التصور المبسط، وأتفهم إنكارهم لصحته، وأتفق معهم في أساس نظرهم. ولكني أجد أن إنكار أصل التقسيم الوظيفي كان من الحسم والإجمال والإطلاق بحيث مال بحكمهم إلى درجة من التبسيط. وقد يكون تحرير هذه المسألة وفهمها بغير تبسيط أصدق مع الواقع وأبلغ في تحقيق الأهداف.

وبداية، فإن من نافلة القول الحديث عن مساواة المرأة والرجل في كمال الصلاحية لتلقي الحقوق والالتزام بالواجبات، وفي كمال الشخصية القانونية، سواء في الموقف إزاء التكاليف الدينية أو في الموقف إزاء المعاملات الاجتماعية. ومن نافلة القول أيضًا الحديث عن استقلال شخصية المرأة عن الرجل أمام الله سبحانه وتعالى وأمام المجتمع.

وكل ذلك – حسب الأصل – يقيم منها شخصًا ذا استقلال مساوٍ للرجل في تولي الشئون العامة والخاصة. والتصور الإسلامي ناصع الوضوح فيما قرره للمرأة في كل ذلك. وقد أعطتها أحكام الشريعة الإسلامية من أوضاع المساواة والاستقلال ما لم تعرف تشريعات الغرب أكثره إلا في القرن التاسع عشر، وهو ما يجعل التشريع الإسلامي يباهي الأمم من حيث السبق والوضوح والتكامل.

وفي هذا الإطار لم يقم خلافٌ جذري فيما يتعلق بحق المرأة في التعلم وفي العمل، لا نجد خلافًا ذا شأن يتعلق بهذا الأمر لدى الفقهاء من حيث الحكم الشرعي، إنما قام المشكل بسبب نقطتين:

الأولى: التقسيم الاجتماعي للعمل بين المرأة والرجل.

الثانية: ما قد يُفضي إليه التعليم أو العمل من اختلاط بين المرأة والرجل.

ومن هنا تبدو أهمية مناقشة هاتين المسألتين، لا من حيث الجوانب النظرية الفقهية والاجتماعية التي عرضت لها المقولات محل النظر، ولكن من حيث الأوضاع التطبيقية للمسألتين. وأتصور أنه في هذا الجانب التطبيقي يمكن أن يتلاشى جزء كبير من الخلاف الدائر في صفوف مفكري الإسلام حول هذا الأمر.

أما بالنسبة للنقطة الأولى وهي تقسيم العمل، فنحن نعلم أن من الأعمال ما لا تطيقه المرأة، ومنها ما تطيقه، ومنها ما يسلس لها. ونحن نعلم أن المنادين بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة من غلاة العلمانيين هم أنفسهم ينكرون الصلاحية المطلقة لكل الأعمال لأي من الرجل والمرأة. ونعلم أن الحركات المهتمة بحقوق الإنسان وبحقوق العمال حسبما تفتقت عنها صراعات القرن التاسع عشر في أوروبا، كانت تجهد لتحقيق المساواة بين الجنسين بالأجر الواحد للعمل الواحد، والحقوق العامة كحق تولي الوظائف العامة وحق الانتخاب والترشيح للمجالس النيابية، ولكنها في الوقت والاهتمام ذاته كانت تجهد لأن تحقق للمرأة والطفل حماية خاصة بالنسبة لظروف العمل.

وجرى تمييز المرأة في إطار أوضاع العمل تمييزًا سببه وضعها الطبيعي الخاص، وذلك بمنع النساء من العمل في الأعمال العنيفة أو القاسية: كعمل المناجم أو حمل الأثقال، وإقالتها من العمل في المناطق النائية، وحمايتها من العمل في الأوقات المتأخرة، وكفالة حق المرأة في إجازات إضافية تمنح لها بسبب طبيعتها الخاصة نتيجة الحمل أو الرضاعة أو رعاية الوليد. ونحن نعلم أيضًا أن ثمة أنشطة حسُن عمل المرأة فيها كالتدريس والتمريض، ونوعًا من الصناعات كصناعة الأدوية وغير ذلك.

إن ذلك الموقف التمييزي لا يعني حجرًا على المرأة وحصرًا لها في مثل هذه الأعمال، ولكننا كباحثين في مجال النشاط الاجتماعي ينبغي ألا نغفل عن هذه الخصائص.

وخلاصة ذلك أن موجبات المساواة تفرض تمييزًا للمرأة في بعض الأعمال، وموجبات النظر الاجتماعي تمنع غض النظر عن الخصائص النوعية التي تتفتق عنها الحقائق الاجتماعية. كل هذه الأمور لا تمس الأصل العام الذي يقضي بالمساواة واكتمال الشخصية القانونية للمرأة، ولكنها أمور ينبغي عدم إغفالها في مجال الحرص على تكامل النظر، وفي مجال الحذر من إجمال الحكم وإطلاقه.

وأضيف إلى ذلك أن هذه الأوضاع التي قد تميز بين المرأة والرجل في مجال الأداء الاجتماعي قد تكون متغيرة بتغير الأزمان والأمكنة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإسلاميون عن الوظيفة الجهادية للمرأة؛ إذ أوضحوا صورًا للجهاد هي من متغيرات الزمان، وكان حديثهم بشأنها صائبًا.

وأهم ما أقصد بيانه في هذه العجالة، أن ثمة جوانب تطبيقية لا بد من إثارتها والنظر فيها عند الحديث عن الأوضاع النظرية. وأن التطبيق يفيد فيما يفيد جرد محتويات المفاهيم النظرية وعرض كشوف الحسابات الخاصة بها. وأن ما لا يحسمه الجدال النظري قد يحسمه النظر في مجالات التطبيق، وهو إن لم يحسم الخلاف حسمًا كاملاً، فهو بالأقل يحدد نطاق الاختلاف، ويعين بنوده، وهذا ما يفيد فائدة كبيرة عند حساب "اقتصاديات الاختلاف": أي الأهمية النسبية لكل وجه من وجوه الاختلاف، وترتيب أولويات الجدال والصراعات الفكرية من بعد.

أما النقطة الثانية فتتعلق بالموقف من تعليم المرأة وعملها من ناحية ارتباطها بموضوع اختلاط النساء بالرجال.

إن انسحاب المرأة من المجتمع وفرض العزلة عليها في المراحل المتأخرة من تاريخ الأمة الإسلامية، كان قد جرى من الناحية الفقهية استنادًا إلى باب سد الذرائع. وكانت مقولة الفقه في هذا الصدد تتأسس على أن العمل أو التعليم يفضي إلى الاختلاط، والاختلاط يفضي إلى المعصية، وما يفضي إلى المحرم فهو محرم، وما تنتج عنه المعصية فهو من المعاصي.

وسد الذرائع من مصادر التشريع الإسلامي، وهو باب لا نستغني عنه في ترتيب الأحكام، وهو باب يولد طاقة نمو للتشريع الإسلامي شأنه شأن القياس والاستصحاب وغيرهما. ونحن بلا شك ندين له فيما ندين بما اتسم به البناء الفقهي الإسلامي من رحابة وسعة وشمول، وبما استطاعه من ملاحقة الواقع المتغير ومن امتداد لمظلة الحكم الشرعي لمتغيرات الحياة المتجددة وثوابتها، ولهذا التنوع الهائل الذي شمل الأمصار الإسلامية على هذا المدى الجغرافي العريض، وعلى هذا المدى الزماني الطويل. وسد الذرائع يكمله – كما نعرف – فتح الذرائع بتقرير إن ما يفضي إلى الواجب فهو واجب. نحن نعرف فضل هذا الباب بمصراعيه (السد والفتح) ونفعه، ونعرف لزوم التمسك به.

ولكننا في إعمال هذا المصدر التشريعي، يتعين علينا أن ندقق في آليات إعماله. فالقول بأن ما يفضي إلى المعصية هو معصية، يوجب علينا تقرير أن ثمة فعلاً منصوصًا بأنه معصية. وثمة فعلاً غير منصوص على كونه معصية، ولكن الفعل الثاني يفضي إلى الفعل الأول من قبيل اللزوم أو حسب الغالب من الأحوال، ومن هنا فثمة علاقة بين الفعلين تقيم سببية لا تنفك بينهما أو سببية تجري مجرى الأحوال الغالبة. وبقيام هذه العلاقة بصورتها هذه يأخذ العمل الثاني حكم العمل الأول، وينسبغ حكم معصية الفعل الأول على الفعل الثاني. فثمة معصية منصوصة ومعصية مضافة وعلاقة رابطة بينهما.

وعلينا لإعمال مبدأ سد الذرائع، أن نقف كثيرًا عند تلك الرابطة بين الفعلين، ونتأمل في مدى صدقها ومدى قوتها. وأن نمعن النظر في مدى صواب قيام هذه الرابطة. فهل الفعل المضاف يفضي حتمًا أو غالبًا إلى الفعل المنصوص؟ ونحن هنا لسنا في إطار تفسير النصوص فقط، إننا أمام نظر في الواقع، وتقدير لتداعيات الأحداث ولروابط العلة والمعلول بين فعل هو مقدمة وسبب وفعل آخر هو أثر ونتيجة. نحن هنا نكون في مجال فهم الواقع ورؤية الأحداث، والخلاف بين بعضنا البعض هنا لا يكون في استنباط دلالات النصوص، وإنما هو يرجع أكثر ما يرجع إلى إدراكنا لتداعيات الأحداث، ومدى الصلة اللازمة أو الغالبة بين فعل سبب وفعل نتيجة، بحيث يأخذ الفعل السبب حكم الفعل النتيجة، وينسحب وصف المعصية من الفعل

النتيجة (أي المعصية المنصوصة) إلى الفعل السبب (أي المعصية المضافة أو الملحقة)، وذلك في مجال سد الذرائع، أو ينسحب وصف الواجب من الفعل النتيجة إلى الفعل السبب، أي من الواجب المنصوص إلى الواجب المضاف، وذلك في مجال فتح الذرائع.

وعندما نقول بأن النظر في هذا "الإفضاء" أو هذه العلاقة السببية بين الفعلين المنصوص والمضاف، هو نظر في الواقع وروابط أحداثه وتداعيات نوازله، عندما نقول بذلك نكون قد دخلنا في صلب التحليل لأوضاع الزمان والمكان، ولأدركنا أن الروابط بين الأفعال هي روابط متغيرة بتغير أوضاع الزمان والمكان. وعلاقة الإفضاء هذه بين فعل سبب وفعل نتيجة لا تختلف فقط في تقديرها بالأنظار، ولكنها علاقة متغيرة؛ ومن ثم فإن سد الذرائع أو فتحها، إن قام بين فعلين في مجتمع ما فقد لا يقوم بين هذين الفعلين ذاتهما في مجتمع آخر، أو في زمان آخر، بحكم ما تتغير به أوضاع المجتمعات وعلائق للناس، وما تتغير به وسائط العيش وأساليب الحياة.

وهنا أيضًا يتعين علينا، عند إثارة هذه النقطة المتعلقة بأوضاع الاختلاط الناجم عن العمل أو التعليم، أن نتنبه إلى الجوانب التطبيقية الواجب إثارتها والنظر فيها، عن تلك الصلات بين أفعال المعاصي المنصوصة وأفعال المعاصي المضافة. وأن القائلين قديمًا بصلة غالبة أو غير منفكة بين تعلم المرأة وعملها وبين الاختلاط وبين ما رأوه من معاص تترتب بالحتم أو بالغالب الأعم، إن القائلين بذلك قديمًا قد غالوا في الأمر غلوًا بعيدًا – فيما أرى، ولكن علينا أن نبحث في أوضاع مجتمعاتهم عن الدواعي الاجتماعية التي ألجأتهم لهذه المقالة، وهذا يستدعي القيام بدراسات تاريخية تطبيقية في أوضاع تلك المجتمعات، وتاريخنا الإسلامي العربي غني بالمواد التاريخية السياسية الاجتماعية الحضارية، وهي تنتظر من يعيد قراءة هذه الموسوعات ويلتقط منها مادته.

وعلى كل الأحوال، فإن روابط السببية تلك بين المعاصي المنصوصة والمعاصي المضافة، أيًا كان قيام تلك الروابط في الماضي، فلا شك أن صادفها الكثير من التغيير والتعديل في أوضاع مجتمعات الحاضر. وهذا مجال أيضًا من مجالات البحث التطبيقي يتعين علينا أن نوليه ما يستحق من اهتمام.

==============

يوم المرأة "العالمية".. أم "الغربية"؟

09/03/2003

معتز الخطيب **

تحرير المرأة بمفهوم غربي

"يوم المرأة العالمي" الذي يراه كثيرون في العالم مناسبة للحديث عن "تحرير المرأة" ونضالها، نراه نحن مناسبة للكلام على مفهوم "التحيز" للنموذج الحضاري الغربي الحديث، من خلال استعراض تاريخ بدء الاحتفال وإلقاء الضوء على بعض تداعياته. تعود جذور ما سمي بـ"يوم المرأة العالمي" إلى القرن الـ19، على خلفية "التصنيع السريع" الذي شهدته أمريكا وأوروبا؛ حيث نمت حركات عمالية ونقابية جماهيرية ردًّا على تعميق استغلال العمال. ولم يكن هدف هذه الحركات تحسين ظروف العمل فحسب، بل تحويل العمال والعاملات إلى قوة سياسية؛ لذلك كان التركيز في نضالاتها على "حق الاقتراع للطبقة العاملة". وكون الأغلبية الساحقة من العاملين في فرع النسيج (في أمريكا) من النساء جعل لهن دورًا مهمًا في تحديد ساعات العمل. وكان هذا المطلب الرئيسي الذي تصدّر شعارات الأول من أيار –مايو (عيد العمال الذي يوصف بـ"العالمي") الذي احتُفل به لأول مرة في الولايات المتحدة عام 1886. وكان للمظاهرات دور مهم في طرح "مشكلة المرأة العاملة" على جدول الأعمال اليومية؛ فالمظاهرة الأولى للعاملات كانت في 1857 بنيويورك؛ حيث خرجت عاملات النسيج احتجاجًا على ظروف عملهن. وبعد 50 عامًا من المظاهرات خرج في 8 آذار/مارس 1908 ما يقارب 15 ألف عاملة بمسيرة في نيويورك، تطالب بخفض ساعات العمل ورفع المعاش، ووقف تشغيل الأطفال، وحق الاقتراع. وكان شعار المظاهرات "خبز وورود".

رافق ذلك نمو حركات نسائية (في الولايات المتحدة) من الطبقات الوسطى طالبت بحق المرأة في المشاركة بالحياة السياسية، وأولها حق الاقتراع. وكان اسم هذه الحركات "سوفراجيستس" (souffragists)، وتعود جذورها للنضال ضد العبودية، ومن أجل انتزاع حق الأمريكيين الأفارقة بالمساواة. وحين منعت النساء اللواتي

شاركن في هذه الحركات من الخطاب من أجل "حقوق السود"؛ لكونهن نساء.. قمن بتشكيل حركة نسائية للمطالبة بـ"حقوق المرأة" أيضًا.

غير أن فكرة "الاحتفال" ربما تحسب لائتلاف المنظمات النسائية الذي قرر عام 1908 الاحتفال بيوم المرأة في يوم الأحد الأخير من شهر شباط/فبراير، وكان أول يوم (وطني) للمرأة تم الاحتفال به في 23-2-1909.

لم تكن أوروبا بعيدة عن هذه التغييرات؛ ففي 1910 سافر وفد نسائي أمريكي للمؤتمر الثاني للنساء الديمقراطيات الاشتراكيات في كوبنهاجن (الدانمارك)؛ حيث اقترح تكريس يوم المرأة العالمي، وكان الجو مهيأ لإعلان "يوم المرأة العالمي" بعد نجاح يوم المرأة في الولايات المتحدة. لكن الاحتفال بيوم المرأة العالمي في 8 آذار تم في 1913، وبقي هذا التاريخ رمزًا لـ"نضال المرأة" بحسب المتبنين لهذا اليوم.

وكانت كلارا تسيتكين (رئيسة تحرير مجلة العاملات "مساواة" منذ عام 1892 التابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي) قالت: "إن هذا اليوم يجب أن يكون له مضمون أممي"، وكان المؤتمر النسائي الاشتراكي في ألمانيا عام 1906 قد وجه نداء للنساء الاشتراكيات في كل أنحاء العالم للاحتفال بـ"يوم المرأة العالمي" كل عام.

تحيُّز للنموذج الغربي المادي

بهذه الإطلالة التاريخية المكثفة نفهم السياق الاجتماعي والتاريخي لولادة هذا اليوم، ونفهم أيضًا لماذا يسمى أحيانًا بـ"يوم المرأة العاملة العالمي"، وقضية "عمل المرأة" تختزن كل تحولات الخارطة الاجتماعية الغربية التي استتبعت كل قضايا وحقوق المرأة السياسية وغيرها لتصل إلى "حق ملك الجسد وحرية التصرف فيه" التي نادت بها مؤتمرات الأمم المتحدة. ويعكس هذا الحق الأخير -بعمق- رؤيةَ النموذج الغربي المادي لمفهومي "حقوق" و"حرية" المرأة بما يخرج عن كل المسلّمات الدينية (الإسلامية والمسيحية واليهودية على السواء) ، ويتحدى معتقد الجماهير التي تنادي بحقوقها وحرياتها!!

ويمكن لنا قراءة التحيز للنموذج الغربي المادي من زاوية "عمل المرأة" الذي يتلخص في أن "العمل" هو ذلك الذي تقوم به المرأة خارج بيتها، وتتقاضى عليه مقابلاً ماديًّا، وبهذا تعود لدائرة "الإنتاج الاجتماعي" -كما عبرت إحدى الاشتراكيات- وهي تعني

"الإنتاج الاقتصادي"؛ فهذه الرؤية تعتبر أن الإنسان الذي يستحق الاحترام هو ذلك الاقتصادي الذي ينتج ويستهلك؛ بمعنى أنه جزء من عالم السوق/المصنع. أما رقعة الحياة الخاصة فيتحرك فيها الإنسان، ويقوم بنشاطات إنسانية كثيرة (أبرزها: التربية والرعاية) لكن هذه ليس لها مقابل مادي، ومن ثم فهي لا تدخل في دائرة "الإنتاج الاجتماعي/الاقتصادي"!

وضمن هذه الرؤية يمكن فهم إلحاح البعض على تفسير العلاقة بين الزوجين تفسيرًا اقتصاديًّا تكون فيه تبعية الزوجة للزوج اقتصاديًّا سببًا في خضوعها له وانصياعها لأوامره، ومن ثم تم اعتبار "تحرر المرأة الاقتصادي" المدخل الأساس لحريتها ونيل حقوقها. بل إن "جلال أمين" اتخذ من التفسير الاقتصادي مفتاحًا لقراءة التحولات التي طرأت على المرأة المصرية حتى في تفسير تغيرات الحالة العاطفية بين الزوجين أيضًا (كما يراها هو كاقتصادي)!

إن فكرة "عالمية" حقوق المرأة التي تستدعيها عالمية يوم المرأة، وفق الأجندة المطروحة للأمم المتحدة، تتصل بهذا التحيز، في محاولة لفرض النموذج الغربي المادي (تم إحصاء 40 فقرة تخالف الأديان في مؤتمر السكان والتنمية) من خلال مؤتمرات الأمم المتحدة، وتسخير سلطتها لإعطاء الشرعية للنموذج قانونيًا وسياسيًّا من خلال اتفاقيات تتعهد الدول الأعضاء بالإذعان لها، وتنفيذها عبر لجان ومؤسسات تراقب عملية التنفيذ.

ولعل أبرز تلك المؤتمرات والاتفاقيات: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (1979)، والمؤتمر الدولي للسكان والتنمية (1994)، ومؤتمر بكين (1994)، والتي ركزت على قضايا مركزية في النموذج الغربي، هي: الحرية الجنسية، والإجهاض، ومصطلح الجندر، وحقوق المرأة كفرد وليست كعضو في الأسرة، والمساواة/ المماثلة التامة بين الذكر والأنثى، وإلغاء مفهوم "تمايز" الأدوار، وازدراء "الأمومة"، واعتبار العمل المنزلي "بطالة"؛ لأنه دون مقابل مادي...

هذه المفاهيم كلها تركز على مفهوم "الفردية" (المرأة ككيان منفصل عن الأسرة والزوج) الحداثي لتلك المرأة التي تضحي بكل شيء مقابل ممارسة حريتها المطلقة وتأكيد وجودها، ولو كانت التضحية على حساب العائلة والأولاد؛ فالمرأة الإيطالية –

مثلاً- بدأت "العزوف عن كثرة الإنجاب أو عن الإنجاب كلية أو حتى الزواج، وتطالب بتحول العلاقة بينها وبين الرجل إلى مفهوم المتعة التي يجب أن تتساوى فرصة الرجل والمرأة في الحصول عليها، وبالتالي تفضيل الوظيفة البيولوجية على الوظيفة الاجتماعية" (الحياة 25-5-2002).

العالمية والخصوصية

لكن إذا كنا نعتبر أن "يوم المرأة العالمي" من التحيزات الكثيرة للنموذج الغربي المادي الحديث.. فهل يعني هذا أننا كمسلمين بريئون من تهمة "التحيز"؟ لا ولكن هل يعني هذا شرعية أن تتقوقع كل حضارة داخل نفسها لتشكل بِنية مُصْمَتة بذاتها؟ هذا لا يصح تاريخيا؛ فكل حضارة كانت تتفاعل مع الأخرى، وهذا التفاعل من طبيعته أن يشتمل على تأثر وتأثير (أخذ وعطاء)، كما أن التقوقع لا يتفق مع "عالمية" رسالة الإسلام {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}. وبهذا فنحن لا ندعو إلى خصوصية "صلبة" ترفض الآخر وكل ما يتعلق به كلية بحجة أنه "غير إسلامي" لتصبح "الخصوصية" ذريعة للانعزالية والانكفاء على الذات؛ فتساوي بهذا ذريعة "العالمية" التي تعني في بعض التطبيقات "الارتماء" في أحضان الآخر من دون وعي.

نحن لا نرفض منطق "العالمية" كليةً إذن، ولا ننكر أن هناك مشتركًا إنسانيًّا على مستوى القيم والتصورات يشترك فيه الجميع بوصف كل واحد منهم "إنسانًا"، وإنما تأتي خصوصيتنا من مرجعية "الوحي" التي تضبط القيم والتصورات. ولذلك نشكك في مشروعية القول بعالمية "النموذج الغربي" للمرأة الذي يخرج على ثوابت دينية باتت معروفة، ونرفض جعل تاريخها هو تاريخ العالم، كما نرفض القول: إن مطالب المرأة الغربية هي نفسها مطالب كل امرأة في العالم.

إن تجاهلنا لمشاكل المرأة وغيابها أو تغييبها (بفعل عادات وتقاليد واجتهادات فقهية غير واعية) يجعل من الأولويات صناعة النموذج الإسلامي للمرأة، وإنتاج خطاب نسوي يمكن أن نحاور به الآخر.

==============

#قراءة جديدة في يوم المرأة العالمي

نبيل شبيب

2001/03/22

مرة أخرى.. يحل ما يسمى بيوم المرأة العالمي، في إطار مختلف الجهود المبذولة تحت عنوان "تحرير المرأة"، والذي يعني في الدرجة الأولى- من وجهة نظري- تحرير المرأة في "العالم الثالث" من الإنجاب ومن الحياة الأسرية إذا صح التعبير، وهذا مقابل تشجيع المرأة في الشريط الشمالي من الكرة الأرضية على الإنجاب في حياة أسرية أو غير أسرية على السواء، والسبب الرئيسي من وراء ذلك كامن في الخوف من وقوع الخلل المنتظر على صعيد التأمينات الاجتماعية، والاضطرار إلى جلب مزيد من "الأجانب" إلى المجتمعات الغربية!.

فقبل أيام معدودة من حلول يوم المرأة العالمي (2001/3/8م) نشرت الأمم المتحدة (2001/2/28م) تقريرا جديدا حول التنبؤات المستقبلية لتطوّر عدد سكان العالم، وعدّلت فيه تنبؤاتها السابقة نحو الأعلى؛ فعدد سكان العالم في عام 2050 م، بناء على التقرير الجديد سيصل إلى 9 مليارات و300 مليون نسمة، أي أكثر ممّا كانت تقول به التوقعات السابقة بحوالي 431 مليون نسمة، بزيادة تعادل 50 في المائة من سكان العالم في الوقت الحاضر.

استهلاك طفل أمريكي= منع إنجاب 60 طفلا مصريا

ويبرز التقرير أن سكان الدول الصناعية في حدود مليار و200 مليون نسمة سيبقى على حاله أو يتناقص؛ فالزيادة المتوقعة ستكون في الدول النامية على وجه التخصيص، وهذا- كما ترى المنظمة الدولية- لا يتطلّب العمل خلال وقت طويل متوافر يبلغ خمسين سنة، من أجل تعديل بنية توزيع الثروات العالمية، وإزالة الخلل الكبير فيها، بل يتطلّب الحدّ من الإنجاب في الجنوب، ولو تطلب ذلك إنفاق أضعاف ما ينفق على مشاريع التنمية والتطوير جميعا.

ولو أجرينا عملية حسابية تقارن متوسط ما يستهلكه الإنسان الفرد في الدول الصناعية خلال فترة حياته، من الثروات المتوافرة في الكوكب الأرضي، وما يستهلكه الإنسان الفرد في الجنوب، لوجدنا أنّه من المفروض منع إنجاب ستين طفلاً مصريًّا أو مائة طفل بنجالي، من أجل بقاء ما يكفي من الثروات الطبيعية لاستهلاك طفل واحد أمريكي أو أوروبي!

وكان لهذه الإشارة الصادرة عن الأمم المتحدة، بشأن سكان العالم قبيل حلول يوم المرأة العالمي، صداها المباشر في المواقف التقليدية لزعماء الدول الصناعية والمنظمات غير الحكومية العديدة، المنبثقة بتصوراتها ومنطلقاتها عن المجتمع الصناعي، وإن حملت عناوين دولية أو أعلنت أهدافا تؤكّد في صياغتها عدم التمييز بين إنسان وآخر فيما تقدم من خدمات؛ فكان المحور الرئيسي لتلك المواقف يركّز على الحدّ من الإنجاب، ويعتبر ذلك هو الوسيلة الرئيسية للنهوض بالمرأة، والمقصود هنا المرأة في البلدان النامية؛ فميزانيات دعم إنجاب الأطفال والتشجيع عليه في الدول الغربية تعادل عشرات أضعاف ميزانيات ما يوصف بالمساعدات الإنمائية.

الزواج المبكر.. ما وراء الانحسار

المنظمة الدولية لرعاية الطفولة/ يونيسيف مثلا اختارت قضية "الزواج المبكر" للتركيز عليها في يوم المرأة العالمي، داعية إلى مكافحته عالميا، مع تعداد أمثلة صارخة من النيبال وبنجلادش وسواها، دون أن تتعرّض إلى حقيقة ما تقول به الدراسات الطبية، من أن الإنجاب في سن مبكرة، هو الكفيل برعاية أسرية أفضل للطفل، أو أن المرأة التي تتجب الأطفال بعد بلوغها الثلاثين عامًا، أشدّ عرضة أثناء الحمل والوضع للمشكلات الصحية والنفسانية والاجتماعية..

كذلك لم تتعرّض منظمة رعاية الطفولة لانحسار ظاهرة الزواج المبكر في الدول الغربية، والتي أدت- مع أسباب أخرى- إلى انحسار ظاهرة الزواج نفسها في نهاية المطاف، وإلى انتشار العلاقات الجنسية دون زواج على أوسع نطاق؛ مما هبط بنسبة الزواج إلى نصف ما كانت عليه قبل ثلاثين عاما، ورفع نسبة الطلاق من تلك الزيجات المحدودة العدد من حوالي 30 إلى ما يناهز 50 في المائة حاليا.

ولا غرابة إذن أن يصبح عدد الأطفال غير الشرعيين أكثر من الثلث، وعدد الأطفال الذين يعيشون مع أحد الأبوين فقط أو في الملاجئ أكثر من الثلث، وأن تصل نسبة الجوع بين الأطفال الأمريكيين إلى أكثر من عشرة في المائة، وأن تنتشر ظاهرة "تشرد الأطفال في الشوارع" إلى بلد كألمانيا، هذا فضلا عن ارتفاع نسبة الجرائم ونوعياتها بين الأطفال والناشئة، وانخفاض متوسط أعمار مرتكبيها انخفاضًا مريعا، وانتشار المخدرات على أوسع نطاق..

فكأن رعاية "الطفولة" لا ينبغي أن تضع في حسبانها ذلك كلّه، أو كأن ظاهرة التشريد والفقر والآلام وبيع الأطفال في البلدان النامية، لا يمكن مواجهتها بإنفاق مئات الملايين على التنمية، وفتح الأسواق الاستهلاكية الغربية، ومكافحة الفقر بصورة مباشرة، ولكن بإنفاق مئات الملايين على نشر موانع الحمل بين سكان الدول النامية– وقد وصل إلى أكثر من 600 مليون دولار خلال السنوات الخمس الماضية– جنبا إلى جنب مع تركيز حملات مكثفة، تبنتها معظم المؤتمرات الدولية العملاقة، كما تبنتها برامج "التعاون الاقتصادي" بين الشمال والجنوب؛ حتى أصبحت شروطا رئيسية في اتفاقات إلغاء الديون، وإعادة جدولتها، والاستثمارات الجديدة، والقروض الإنمائية، وغيرها..

حصيلة 150 عاما من "التحرير"

لا نحتاج للتأكيد على أنّ أوضاع المرأة في البلدان الإسلامية، وفي البلدان النامية عموما، أوضاع مرفوضة دينيا وإنسانيا وحضاريا وبمختلف المقاييس المعتبرة. ولقد تدهورت هذه الأوضاع في البلدان الإسلامية على وجه التخصيص جنبا إلى جنب مع تطوّرين تاريخيين حاسمين، أولهما البعد عن الإسلام وانتشار تصوّرات شاذّة سيطرت على كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية وتسرّب بعضها تشددّا وتعنّتا أو تسيبا وتمييعا؛ حتى إلى مواقف الداعين للعودة إلى الإسلام من جديد، والتطور الثاني هو التخلف الحضاري بمختلف ميادينه، وبما يشمل سائر فئات المجتمع، فلم يقتصر على الذكور دون الإناث.

ولكنّ تصوير الحل الناجح على طريق النهوض، وكأنّه يكمن فيما تدعو إليه القوى الغربية والمستغربة عبر مناسبة من قبيل يوم المرأة العالمي، لهو منطق يتنافى مع الحقائق التاريخية المحضة؛ فإذا صحّ ما يقال بشأن عصر التنوير في أوروبا من أنه كان بداية الخروج من حقب الظلمات التاريخية في عصور سابقة، نحو بناء الحضارة المادية الحديثة؛ فلا يخفى على المؤرخين أنّ ذلك لم يبدأ بظاهرة "تحرير المرأة" ليقال الآن إنّ اتباع المنهج الغربي تحت هذا العنوان شرط من شروط النهضة الحضارية في البلدان الأخرى، إنّما قطعت مسيرة النهضة العلمية، فالتقنية، فالإنتاجية أشواطا بعيدة المدى، قبل أن تعرف الدول الغربية دعوات "تحرير المرأة"

والتـي انبثقـت أولاً عـن مسـاعي الفئـة الرأسـمالية المهيمنـة علـى الثـورة الصـناعية لمضـاعفة الضـغوط علـى الحركـة النقابيـة الناهضـة فـي النصـف الثـاني مـن القـرن التاسع عشر الميلادي؛ فبدأ آنذاك- ولأغراض مادية محضة- انتشار شعارات "حق العمل" كمدخل إلى "تحرير المرأة"..

ولقد مضى على أولى الإنجازات المتحققة لصالح المرأة في ميادين العمل والسياسة والتعليم زهاء مائة وخمسين عاما، ومع ذلك فالأمم المتحدة- التي تبنت هذا العام الدعوة إلى مشاركة النساء في البحث عن حلول للأزمات والنزاعات العالمية؛ لأنهن الأشد معاناة من نتائجها- لم تجد عبر أكثر من خمسين سنة مضت على نشأتها، ما يستدعي تخصيص صيغة من صيغ التكريم للمرأة، إلا في هذا العام بمنح جائزة الألفية لقاء "إنجازات نسائية متميزة".. كذلك فجائزة نوبل للسلام التي بدأ منحها عام 1901م، لم تجد من النساء أو من المنظمات النسائية من يستحق الجائزة تكريما أو تشجيعا إلا بمعدل 10 % أي عشر مرات خلال مائة عام.

وقد ذكرت منظمـة العمـل الدوليـة فـي يـوم المـرأة العـالمي أن نسـبة الأيـدي العاملـة النسائية في أنحاء العالم تصل إلى 40 % عالميا، ولكنها لم تبلغ أكثر من 8% في المناصـب التوجيهيـة، ولا يوجـد سـوى 8 نسـاء فـي مناصـب ملكيـة أو رئاسـية أو فـي رئاسة الحكومات من أصل أكثر من 200 دولة، والمرأة موجودة في حدود 14% في المجـالس النيابيـة، الديمقراطيـة والصـورية؛ فهـي نسـب تشـمل الـدول الصـناعية كمـا تشـمل الـدول الناميـة، بـل ربمـا كـان وجـود المـرأة فـي مناصـب سياسـية توجيهيـة فـي الـدول الناميـة أكثـر ظهـورا للعيـان، لا سـيما فـي جنـوب شـرق آسـيا، وكمـا تقـول جـرو هارلم رئيسة منظمة الصحة الدولية بمناسبة يوم المرأة العالمي إن تكافؤ الفرص بين الجنسين لا يتوافر في أي دولة في العالم إطلاقا.

للإباحية أيضًا ضريبتها

وفـي المقابـل؛ نجـد حصـيلة ثلاثـين سـنة مضـت علـى مـا بـدأ بحركـة "ثـورة الطلبـة" وانتشـر باسـم "الثـورة الجنسـية" فـي بلـدان الغـرب، كمظهـر اعتبـر فـي مقدمـة مظـاهر تحريـر المـرأة الغربيـة، كانـت تشـتمل علـى ارتفـاع نسـبة تعرّض النسـاء والفتيـات إلـى الضـرب داخـل البيـوت، مـن معدّل امـرأة كـل سـبع نسـاء إلـى معـدل امـرأة كـل ثـلاث

نساء، حتى أنّ بلدًا كألمانيا شهد في الفترة نفسها ازدياد عدد ما يُسمّى ببيوت إيواء ضحايا الضرب من النساء، إلى ثلاثين ضعفا لما كان عليه، وكان عدد من استقبلتهنّ تلك الدور في عام 2000 م فقط أكثر من 45 ألف امرأة وفتاة.

وليس مجهولا أنّ التعليل الأول لما سمّي الثورة الجنسية كان يؤكّد أن "الكبت الجنسي" هو السبب الرئيسي لارتكاب جرائم الاغتصاب والاعتداء الجنسي، ولكن الإباحية الجنسية أدّت على أرض الواقع إلى ارتفاع نسبة جرائم الاغتصاب والاعتداء الجنسي، رغم سائر مظاهر التحلل، إلى أضعاف ما كانت عليه قبل جيل واحد، وباتت تشمل أكثر من ثلاثين في المائة من سائر الإناث في الدول الغربية، بدءا بسن الطفولة، ناهيك عن الأرقام المفزعة التي انتشرت في السنوات القليلة الماضية عن جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال والناشئة، مع ملاحظة أن 80% منها يقع في نطاق الأقارب، فيما لم يعد يمكن وصفه بالأسرة أو العائلة.

وليس غريبا أن تكون المشكلة الأكبر التي تشكو منها المنظمات النسائية في الدول الشيوعية سابقا، هي أن عدد الوفيات في فترة السنوات العشر التي مضت على انفتاحها أمام النظام الرأسمالي، قد ارتفع ارتفاعا كبيرا بين الفتيات ما بين التاسعة والخامسة عشرة من العمر، وأنّ النسبة الأعظم من أسباب هذه الوفيات المتزايدة كامنة في انتشار المخدرات والرقيق الأبيض، بعد أن أصبحت تلك البلدان مصدرا من المصادر الرئيسية لحركة "استيراد الأجساد" إلى دور الدعارة والحياة الليلية في بلدان الغرب.

نحن مطالبون- في يوم المرأة العالمي بل وفي سائر أيام السنة- بالعمل على نصرة المرأة، وعلى رفض فصل قضية المرأة عن قضية حقوق الإنسان وحرياته، وأن ندرك جميعا أن قيمة الإنسان لا ترتبط بكونه ذكرا أو أنثى، ولكنها تكمن- بعد مكونات شخصيته الذاتية- فيما ينجزه في الموقع الذي هو فيه، وتكمن في مدى قدرته على توظيف ما لديه من كفاءات؛ ليساهم في العطاء على أي صعيد.. ولئن تمايزت الأعمال فيما بينها من حيث "قيمتها الذاتية" لوجب أن تكون الأمومة في المرتبة الأولى، فهي التي جعلها الإسلام بابا إلى الجنة، وجعل الجنة نفسها تحت أقدام الأمهات.

=================

#صورة المرأة.. هل كشفت مأزق الإعلام العربي؟

11/02/2002

عبير صلاح الدين

المنتدى الرابع لمؤتمر قمة المرأة العربية من 2 إلى 3 فبراير 2002

صورة المرأة في الإعلام العربي كانت محورًا لكثير من الندوات واللقاءات في بلادنا العربية خلال الأعوام القليلة الماضية، لكنها أصبحت تأخذ بُعدا مختلفا خلال العامين الأخيرين، وتحديدًا منذ عقد أول قمة عربية للمرأة في نوفمبر 2000م، وما تبع هذه القمة من منتديات عُقدت في تونس والبحرين والأردن، وأخيرًا في الإمارات.

الجديد أن البحث في هذه الصورة لم يعد يتوقف على رصد أبعادها فقط، بل تعداه إلى الأسباب العميقة لهذه "الصورة" و"الصور"، التي تكشف بُعدين رئيسيين لمرتكزات هذه الصورة، هما: وضع المرأة في الواقع العربي من ناحية، ومشاكل إعلامنا العربي من جهة أخرى.

أما ضرورة تغيير هذه الصورة –أو الصور– فلم يعد أمرًا داخليًا –كما جاء في أوراق المشاركين– يمكن التجاوز عنه أو تسويفه أو المماطلة في تحقيقه، بل أصبحت تفرضه المصالح الدولية والعربية.

إعلام رسمي وآخر بديل

كشفت ورقة الدكتور "جابر عصفور" الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر أمام المنتدى مدى تأثير وسائل الإعلام على المتلقين، وكيفية تأثر الإعلام العربي بإعلام الدول المهيمنة القوية؛ فلم تعد وسائل الإعلام هي وسائل الإعلام الرسمية للدولة، سواء كانت صحفًا ومجلات أم إذاعة أو "تليفزيون"، بل هناك وسائل اتصال جماهيري أخرى منها: خطباء المساجد، وصناع شرائط الكاسيت، والمنتديات غير الحكومية التي تضع رسائلها الإعلامية الخاصة عن طريق المشافهة أو الشرائط أو الإنترنت، وبلغ من قوة أدوات الاتصال الجماهيري هذه أن أسهمت بقوة في قلب نظام الشاه في إيران، وأصبح لهذه التقنيات تأثير يفوق تأثير أجهزة الإعلام الرسمية.

وتوضح الورقة أيضًا ذلك التناقض الواضح بين الصورة التي ترسمها وسائل الإعلام الرسمية (في بلد كمصر) للمرأة والتوجهات الرسمية للدولة تجاه المرأة، الذي تعود أسبابه إلى وجود تيارات متعارضة في النظر إلى المرأة داخل بناء الدولة نفسها، أو بسبب توجهات المسئولين عن أجهزة الإعلام التي تكون مخالفة للموقف الرسمي للدولة، وتكون النتيجة ظهور رسائل متناقضة –في رأيه– عن المرأة، فينتج التليفزيون المصري مسلسلاً دراميًا عن (أم كلثوم) السيدة التي تفوقت فنيًا وإنسانيًا على الكثير من الرجال، وفي نفس الوقت ينتج (عائلة الحاج متولي) الذي يظهر المرأة بصورة التابع المستسلم الخاضع.

والأمر لا يختلف بالنسبة لوسائل الاتصال الأخرى التي تتخذ من صورة المرأة التي تقدمها أداة لتثبيت توجهاتها، وتتحكم القدرة المالية التي تنتج أو تشتري المنتجات الإعلامية في الصور التي تريدها للمرأة باعتبارها جزءًا من الرسالة الإعلامية المطلوبة، انطلاقًا من مبدأ (من يدفع للعازف فهو الذي يختار الأغنية) بما يكشف العلاقة بين أجهزة الإنتاج والفضائيات العربية.

لم يعد مأزقا داخليا

الصورة التي نراها في إعلامنا للمرأة إذن –في أغلبها– صورة مصنوعة، ليست لها علاقة (الظل) بالواقع؛ فهي لا تتطابق مع الواقع العربي للمرأة ولا مع النماذج التي أفرزها المجتمع للمرأة، لكن المأزق الآن لم يعد مأزقَ إعلام داخليًّا، لكنه أصبح مأزق (صورة العرب والإسلام) أمام الغرب والعالم منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 الماضية، التي تهدف إلى الإساءة للإسلام، والتي تستخدم صورة المرأة (الطالبانية) –مع اختلاف التفسيرات بشأنها– بكل مشكلاتها وكأنها صورة المرأة العربية أو المسلمة بشكل عام في مجتمعاتنا، وتغيير الصورة في الخارج لن يكون إلا بتغييرها فيما يُبَث أولاً في داخل الوطن العربي؛ إحقاقًا للحق أولاً، ودفاعًا عن صورة الإسلام ثانيًا.

وتشير ورقة الدكتور "عبد الحفيظ الهرقام" –تونس– إلى ظاهرة صحية في تناولنا لما نتلقاه في وسائل الإعلام الآن؛ فقد انتقلنا –جميعًا– من مرحلة الانبهار في التلقي إلى مرحلة الوعي والنقد لما نتلقاه، وهو ما عكسته المناقشات التي دارت بعد إذاعة

حلقات مسلسل (الحاج متولي) التي أذيعت على الكثير من القنوات الفضائية العربية خلال شهر رمضان الماضي؛ فلم تكن مناقشات عمل فني، بل امتدت إلى البيوت والأماكن العامة والنوادي، وخرج الحديث إلى مضامين الأعمال وأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية؛ الأمر الذي أصبح يفرض على كُتاب السيناريو ومُعدي البرامج التليفزيونية والإذاعية المزيد من الحذر عند تناول صورة المرأة –أو بمعنى أدق صورة المجتمع–، وعدم الاعتماد على تصوراتهم الموروثة عن المرأة التي كانوا يتبنونها لا شعوريًا في أعمالهم؛ فأصبحوا مدعوين إلى مراجعة سياستهم البرامجية، خاصة مع الدور القوي الذي تلعبه الآن الاتحادات والمؤسسات النسائية والتوجهات القطرية لرفع شأن المرأة، وكذلك المؤتمرات والاتفاقيات الدولية.

وتوضح ورقة الدكتور الهرقام أنه رغم تباين الصور التي تبعثها وسائل الإعلام من قطر عربي لآخر، أو من بيئة لأخرى داخل القطر الواحد؛ فهناك قاسم مشترك بين هذه الصور جميعها ما زال مسيطرًا على إعلامنا، منها التركيز على الفئات الاجتماعية الميسورة في المدن وبعض المهن التي تمارسها المرأة كالبائعة في المحلات التجارية والموظفة والمعلمة والأستاذة والطبيبة، مقابل حضور محتشم للمرأة الريفية التي تقدم غالبًا في دور العاملة في المزارع أو الشغالة، وانعدام الاهتمام بواقع المرأة في الأحياء الشعبية، واستغلال جمال المرأة ومفاتنها كوسيلة لاستقطاب المشاهد في ظل المنافسة بين الفضائيات العربية، وتكريس لصورة المرأة التي لا يشغلها سوى بيتها وأبنائها، ولا نجد سوى صور قليلة للمرأة العاملة التي تستطيع التوفيق بين بيتها وعملها، وغالبًا ما تظهر وكأنها دُفعت للعمل بسبب اقتصادي أو فرار من روتين البيت، وليس اقتناعًا بقيمة العمل، وهي غالبًا كائن مسلوب الإرادة غير قادر على التفكير السليم.

الصورة أم الأصل؟

من أين نبدأ؛ من الصورة أم من الأصل؟. هذا هو السؤال: نجمل الصورة أم نحسن الأوضاع في الواقع؟

إن نقل صورة مشرقة للمرأة يقتضي السعي لصياغة هذه الصورة في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي؛ فليس المطلوب إعطاء صورة مثالية،

لكن صورة متوازنة تعكس نماذج للمرأة في سموِّها وانحدارها، نجاحها وإخفاقها؛ فمن الخطأ أن يتحدث الإعلام عن المرأة في برامج منفصلة، لكن من خلال كل المواد الإعلامية وبطريقة غير مباشرة، وتحسين الصورة لن يكون فقط بتولي المرأة المناصب القيادية في الإدارات الإعلامية أو بزيادة عددها كما تتطالب الكثير من الأصوات؛ فهذا وإن كان ضروريًا لكنه ليس كافيًا، كما تشير سعاد بكور بن سليم من سوريا.

وتشير ورقة الدكتورة "ماجدة أبو فاضل" –الإمارات– إلى أن البداية يجب أن تكون من النظر إلى طريقة إعلامنا التي تجعلنا نتجه إلى الـ CNN أو الجزيرة عندما تقع كارثة؛ لأن أجهزة إعلامنا تقصر في أداء مهمة توفير أنباء جيدة ودقيقة تركز على ما هو مهم، وقضية المرأة لا تختلف عن أية قضية أخرى؛ فإعلامنا يحتاج إلى تحقيق التوازن بين دقة المعلومات وفهم خلفية الموضوع، ولا يكون ذلك بردود الأفعال كما تعودنا، ولكن بالبدء بالفعل؛ فالنساء يمكن أن يسهمن في الرد على الصورة السيئة للعرب والمسلمين إذا شاركن بمثابرة ودون هجوم بالكشف عما هو غير منسق فيما يقال وما يفعل، ويوثقن كل شيء، ويظهرن تعمقًا فيما يتناولنه من موضوعات.

ولا بد من وجود النساء المتخصصات في الكثير من المجالات العلمية والاقتصادية، ويكن على استعداد للتحدث في البرامج الغربية المتخصصة عن همومهن في هذه المجالات والأرضية المشتركة بينهن وبين أناس من العالم وخاصة نظيراتهن في الغرب. فلكي نحسن صورتنا نحتاج أولاً لأن نحسن أفعالنا ونصلح مناهج تعليمنا، ونلتزم بأخلاقيات الإعلام والشفافية في علمنا، ونستغل ثرواتنا الإنسانية، وندعم دخول المزيد من النساء في الإعلام لتقديم قيادات متوازنة.

وكما تقول الدكتورة "كافية رمضان" من الكويت: ليس المهم في ذلك الفيض من المعلومات التي ينقلها الإعلام، لكن الأهم أن يعمل على تحفيز المتلقين للمشاركة الفعالة، بدلاً من أن يحولهم هذا الكم من المشاهدة إلى أفراد مخدرين، يعرفون الكثير عن القضايا لكن لا يسهمون في حلها، ولا يبدون اهتمامًا فاعلاً تجاهها.

وكما تبين مليكة مالك –المغرب– في ورقتها أمام المنتدى أن مناقشة قضية المرأة والإعلام تجرنا إلى مناقشة قضية الديمقراطية في إعلامنا، بل في مجتمعاتنا، وتكشف قصور إعلامنا الذي يتضح في الجدية في مواكبة اللحظة، لكن افتقاد الاستمرارية في متابعة القضايا، والنتيجة هي سقوط بعض أجهزة إعلامنا في التعامل المبتذل مع الصورة السلبية للمرأة. إن الإشكالية الأعمق هي: هل يمكن أن يتناول إعلامنا حقيقة أوضاع النساء بشكل ديمقراطي، بل وعن الأوضاع السياسية للمرأة والرجل؟ بمعنى آخر: هل يكون إعلامنا سلطة رابعة بالفعل أم خاضعًا للسلطة أو تمويل المنتجين؟!.

===============

#المرأة في مرآة الشعوب

أحمد عبيد

2001/05/2

ما من حديث كثر فيه الكلام وأطلقت فيه الألسن وسطرت فيه السطور مثل الحديث عن المرأة، ذلك المخلوق الضعيف القوي، وتلك الدنيا المليئة بالمتناقضات، فكم جلست على عروش وكم أثارت من فتن وكم ساهمت في بناء وتعمير أو هدم وتدمير، وكم سادت من حضارات أو بادت بسببها، كم نظمت فيها ملاحم، وما زالت مادة خصبة ونبعًا فياضًا لشتى ألوان الفن وضروبه. وتختلف النظرة للمرأة باختلاف زاوية الرؤية وطبيعة الناظر إليها؛ فالفنان يرى فيها ما لا يراه الفيلسوف والفيلسوف قد يرى فيها ما لا يراه غيره، ومن هنا تأتي الطرفة.

وقد كان للمرأة نصيب كبير ووجود فعال في الأمثال الشعبية في شتى شعوب العالم منذ القدم وحتى اليوم، وقد تعددت الآراء وتشعبت المواقف حولها على ضوء الحالات النفسية التي مر ويمر بها الإنسان زوجًا وأبًا وأخًا وعاشقًا. فجاءت الأمثال على ألسنة أربابها منقسمة إلى قسمين أحدهما أحبها وأكرمها ورفعها في أعلى عليين، وآخر أبغضها وظلمها وانهال عليها بوابل من الغضب حتى جعلها شيطانًا بل وجعل الشيطان تلميذًا لها. فلنتعرف على ذلك التناقض عن قرب.

سلاح المرأة

اختلفت الشعوب في أمثالها في تحديد سلاح المرأة؛ فالجورجي يرى أن "سلاح المرأة دموعها"، بينما الفرنسي يرى أن سلاح المرأة لسانها؛ فكيف تدعه يصدأ بعدم استعماله، وفي المثل إشارة ساخرة إلى أن المرأة ثرثارة بطبعها.

أما عن حارس المرأة، فيرى الفرعوني أن "أقوى حارس للمرأة عقلها"، ويرى العربي في أمثاله أن "القبح حارس المرأة"، أي أنها في مأمن من نظرات الأشرار ما دامت قبيحة المنظر.

هي والشيطان

من الغريب أن معظم الشعوب قد ربطت في أمثالها بين الشيطان والمرأة؛ فالألماني يرى "المرأة شيطان الرجل"، بينما نجد في الأمثال البولونية "ابتلع الشيطان امرأة فلم يستطع هضمها"، إشارة إلى ثقل طباع بعض النسوة. ويعود الألماني فيؤكد أن المرأة أقدر من الشيطان، فيقول: "ما لا يقدر عليه الشيطان تقدر عليه امرأة"، ويوافقه الأيرلندي قائلا: "المرأة تغلب الشيطان"، أما الياباني فيرى أنها لا تغلبه فحسب بل هو تلميذ صغير في مدرستها، فيقول: "الشيطان أستاذ الرجل وتلميذ المرأة"، وبعد هذا كله فليس من الغريب أن تقول أمثال لاتيفيا(الشيطان لا يعرف أين تشحذ النساء سكاكينهن).

المرأة في بيتها

أما عن المرأة كزوجة، فقد تعددت فيها الآراء في أمثال الشعوب، فأحدهم يقول: "من له بيت هادئ ليست له زوجة" مثل لاتيني. ويؤيده الألباني قائلا: "لا شجار بلا امرأة"، أما البلغاري فيرد عليهما قائلا: "لا بيت حيث لا امرأة".

وعند السلوفاني "المرأة شر لا بد منه "أما الأوكراني فيوصي قائلا: "لا تثن على زوجتك قبل سبع سنوات"، ولا أدري ما حكمة تحديد السنوات السبع في هذا المثل الغريب، أما الروسي فيبدو محتقرًا للمرأة جدًا؛ حيث يقول في مثل غريب: "اضرب زوجتك قبل الغداء وقبل العشاء"!!.

ومن ناحية أخرى يرى المصري أن بعض النساء ماهرات مدبرات فيقول: "المرة الطهاية تكفي الفرح بوزة"، ومعناه أن المرأة الحاذقة في الطهي تكفي من في العرس بأوزة واحدة، وهي مبالغة تضرب للشخص حسن التدبير.

أما الفرعوني، فهو ينظر للمرأة من وجهة أخرى فيرى أن "امرأة بلا حياء مثل طعام بلا ملح"، أما الهندي فيرى أن "المرأة نعمة، وإذا أرادت كانت نقمة"، إشارة لدورها في إسعاد أو إشقاء الرجل في بيته وحياته. بينما ينفي الصيني كل هذا الكلام الجميل بقوله: "للمرء فرحتان.. فرحة عند زواجه، وفرحة عند دفن زوجته".

أين الحب؟

يتميز قلب المرأة بأنه أقدر على الحب والعطاء من الرجل – غالبًا – ولكن هذا الحب لا يستوي في نظر الشعوب؛ ولذلك انعكس هذا على أمثالهم؛ فالأسباني يرى أن "حب الفتاة ماء في سلة"، أما الياباني فهو صريح وعملي فيركز على العامل الأساسي في حب المرأة قائلا: "إذا أردت أن تحبك النساء فابدأ ببذل المال"، إشارة إلى أن مقياس الحب عند المرأة هو بذل المال من أجلها وتحت قدميها، ويؤيده الهندي في ذلك فيقول: "يختبر الذهب بالنار، وتختبر المرأة بالذهب".

أما الفرعوني ، فيرد عليهما قائلا: "المرأة التي تشتريها بمالك تبيعك بمال غيرك"، ويرى السلوفاكي أن "المرأة الجميلة تحتاج إلى ثلاثة أزواج: واحد ليدفع ديونها، وواحد لتحبه، وواحد ليضربها".

أما الصيني فيرى أن "الحب الحقيقي وهْم، وأن النساء كالحكام قلما يجدن أصدقاء مخلصين"، إشارة إلى أن ما يجذب الرجل للمرأة في الغالب هي المصلحة البحتة تمامًا كعلاقة الحكام بالمحكومين، فإن ولت المصلحة ولى الحب والصداقة.

هي تنحني ولا تنكسر

إذا أردت التعرف على عقل المرأة وفكرها من خلال أمثال الشعوب فإنك ترى عجبًا.. فالمرأة عند الإنجليزي "ذات شعر طويل وعقل قصير"، ويرى الروسي أن "للمرأة سبعة وسبعين رأيا في آنٍ واحد"، تعبيرًا عن شدة ترددها، أما في المثل اللاتيني "عندما تفكر المرأة بعقلها، فإنها تفكر في الأذى"، أي أن من طبيعتها الشر إن هي خرجت عن طور الرحمة والعاطفة.

ويبدو السويدي راضيًا عنها مقتنعًا بفطنتها وحدسها فيقول: "قلب المرأة يرى أكثر من عيون عشرة رجال"، أما الفرعوني فيرى أن "المرأة كالعشب الناعم تنحني أمام النسيم،

ولا تتكسر أمام العاصفة"، وليس هذا بغريب على الفرعوني الذي قدّس المرأة إلى أن جعلها ملكة، وبالغ في تقديسها بجعل بعضهن آلهة.

هل أنصفت الأمثال المرأة؟

وأخيرًا فتلك صورة المرأة في أمثال الشعوب بين عذبها وعذابها، شوقها وشوكها وبطبيعة الحال فلن تكون هذه الأمثال حكمًا صائبًا وعادلاً دائمًا، ولا هي بالقانون الراسخ الذي لا يتغير. وإنما هي على كل الأحوال مرآة صافية تنعكس عليها نفسيات الشعوب ونظرياتهم تجاه المرأة على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم.

وتبقى المرأة تقوم بدور البطولة إلى جانب الرجل في مسرحية كبرى هي الحياة، ويبقى الحديث عنها ما دام القلم يسطر والأفواه تنطق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

==============

#تغريب.. أم تهويد المرأة المسلمة

أحمد زين

ثلة من مثقفي وخبراء الكيان الصهيوني (ضابط مخابرات سابق، ومستشرق وعضوة في منظمة نسائية يهودية) في القناة الثامنة بالتليفزيون الإسرائيلي في ندوة عقدت مؤخرًا تحت عنوان "دور المرأة العربية في الصراع العربي الإسرائيلي"، نص فيها ضابط المخابرات على أنه: كلما توجهت المرأة العربية نحو الغرب شعرنا بالرضا..

وكان ملخص ما دار في الندوة أن المرأة العربية كلما كانت بعيدة عن تراث مجتمعها العربي (ما نسميه نحن مبادئ الإسلام!!) ومقبلة على النمط الغربي في الحياة كان من الأسهل على إسرائيل تفكيك خلايا المقاومة في الوطن العربي!!

أخيراً !! اعترفتم!!!

هكذا وجدتني أصيح وأنا أتنفس الصعداء.. وكأنني أزيح من على كاهلي أعباء سنين، وأنفض عن رأسي حمل البرهنة على البدهيات وما أثقله من حمل!!

كم نادى المنادون.. وبح صوت الإسلاميين وهم يصيحون: يا جماعة تطبيق الأجندة الغربية على المرأة المسلمة كي تنهض أمر فاشل حتماً، وحكم بفشله العقل والنقل معاً، وإذا طبقناها خسرنا قوة أمتنا العربية...

وكم بح صوت الإسلاميين وهم يقولون: لا إصلاح لأوضاع المرأة العربية خاصة والمسلمة عامة إلا بما صلح به الأوائل من النساء.. وإن الإسلام فقط هو الذي يعطي المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة في ذات الوقت الذي يسبغ عليها احترامًا وقدسية ومكانة خاصة لا يمكن أن يعطيها لها الشرق أو الغرب بغير الإسلام، وكذا يضعها في مكانها المناسب في صراعنا ضد الأعداء المتربصين...

وحينما كان الإسلاميون يؤكدون أن المرأة هي المجتمع كله لا نصفه؛ لأنها هي التي تخرج النصف الآخر.. وهي التي تربِّيه كان البعض يضحك على هذا "الإنشاء"!! وهذه "الخطب"!!.

وحين كان الإسلاميون يخطون بأقلامهم وفعالياتهم وأنشطتهم أسطراً تقول:

المرأة مصنع الرجال... ووالدة الأبطال وهي صمام الأمان الإستراتيجي للأمة المسلمة... كان البعض يحلو له السخرية والتسامر على هذه المرأة المسلمة التي "تتعثر" في حجابها، وتتبعثر في "جلبابها"..! وكيف ستقود الأمم بهذه "الخيام" التي ترتديها؟! ويحلمون بامرأة على النمط الغربي، امرأة ترتدي الجينز، والسيجارة الشرهة لا تغادر فمها، وشعرها المنفوش الذي لا يمشط إلا نادرًا يصيب الجالسين حولها بالشفقة عليها دائماً..

هذا النموذج الغربي الذي طالما أعلن الإسلاميون عدم جدواه اكتُشف أخيرًا... أخيرًا أنه دائماً هو الأنسب والأمثل للأمة العربية.. نعم هو الأمثل والأنسب فقط إذا أرادت أن تخور قواها أمام العدو، وتنهزم دائماً داخليًّا وخارجيًّا، وعلى كافة الأصعدة.

أتراني أحتاج إلى كل هذه المقدمات والتعليقات على أمر بدهي كهذا.

المفروض ألا تعليق، ولكن ماذا نفعل والبعض ما زال متحمساً لقضية خاسرة من البداية وهو يزكي النموذج الغربي ولا يرى بديلا عنه ويحقرن ما عداه..!!

والآن بعد أن:

شهد الجميع بفضله حتى العدا والحق ما شهدت به الأعداء

هل يصمت هؤلاء وتسير القافلة..

أبداً والله سيستمرون ...

حتى لو أكد لهم "باراك"، و"نتنياهو" معًا هذا الكلام.

وحلفًا لهم عند حائط المبكى أن النموذج الغربي هذا لا يصنع في بيوت المسلمين إلا أشباه الرجال وأشباه النساء.

ولا ندري هل يصبح تساؤلنا مكرورًا ومملاً حين نقول: مَن صنع جنود حزب الله؟ ومَن ربى أشبال حماس؟ ومَن تلكم التي تزغرد حين يأتيها ابنها مضرجاً في دمائه؟ ومن التي تنذر أولادها دفاعًا عن المقدسات ودحراً للأعداء؟..

ذات الخمار والجلباب التي "تتعثر" فيه؟ أم ذات الجينز والسيجارة والشعر المنفوش؟...

===============

#المرأة الفلسطينية .. من العولمة إلى النموذج الحضاري

غزة – الجيل للصحافة:

أوصي المؤتمر النسائي الثالث الذي ينظمه حزب الخلاص الإسلامي بغزة بضرورة ربط البُعْد الاجتماعي لقضية المرأة بالقضية الوطنية العامة، وطالب بعدم تجاهل حقوق المرأة، والعمل على اعتماد قانون الأحوال الشخصية على أسس الشريعة الإسلامية.

كما طالب المؤتمر الذي عقد في الفترة من 8 –9 أغسطس 2000م تحت عنوان: "المرأة الفلسطينية والتحولات الاجتماعية" بمشاركة العديد من المثقفين ورجال الدين وممثلي الوزارات والمؤسسات والفعاليات والقيادات النسوية المختلفة، بضرورة بلورة أجندة تساهم بالنهوض بواقع المرأة

الأسرة: وظائف ومهام

وتحدث في الجلسة الأولى من المؤتمر د. حمدان الصوفي –المحاضر بكلية التربية بالجامعه الإسلامية– حول وظائف الأسرة المعاصرة قائلاً: إن للأسرة دوراً مهمًّا في تنمية المشاعر الاجتماعية، معتبراً أن من واجب الأسرة إشاعة الأمن والطمأنينة والشورى داخل الأسرة، مشدداً على ضرورة اتفاق الوالدين على أسلوب معاملة الطفل لما لذلك من أهمية بالغة في تحقيق الانسجام في شخصية الطفل، وأكد د. الصوفي على ضرورة اهتمام الأسرة في تنمية الإحساس بالجمال لدى الأبناء، موضحاً أن

الجمال مفهوم شامل يتضمن جمال الطبيعة والأصوات المسموعة وجمال اللغة إضافة إلى جمال الملبس والهيئة.
وأوضحت المحاضرة د. سناء أبو دقة -من الجامعة الإسلامية- أن التأثر بالغرب من شأنه أن يساهم في تفشي الفردية والمظاهر الاستهلاكية، ودعت إلى ضرورة العمل للحفاظ على تمسك الأسرة بأصالتها وقيمها وهي تتعامل مع قضايا العصر.
وأضافت أن التأثر بالغرب تزايد من خلال تفشي الفردية والمظاهر الاستهلاكية؛ لتفقد الأسرة الكثير من مقوماتها وتصبح كياناً ماديًّا بدلاً من أن تكون محضناً للعائلة والأولاد ومدرسة أولى لهم، واعتبرت د. سناء أبو دقة أن صناعة السينما والموضة ومستحضرات التجميل نجحت في التأثير على المرأة من خلال تشكيل نموذج معين للمرأة العصرية يتناقض مع الهوية العربية والإسلامية للمرأة، موضحة أن متابعة هذا النموذج وبسبب التغير المستمر في الصناعة يجعل المرأة في هرولة وقلق مستمرين من أجل أن تصبح متجددة دائمًا ومقبولة، وهذا كله على حساب أمن واستقرار أسرتها. ودعت د. سناء أبو دقة إلى ضرورة العمل للحفاظ على تمسك الأسرة المسلمة بأصالتها وقيمها وهي تتعامل مع قضايا العصر.
وركز د. إحسان الآغا -عميد كلية التربية بالجامعة الإسلامية- في ورقته: "القيم والأمن الاجتماعي" على أهمية الجانب الأمني في عملية التربية، موضحاً أن التربية الأمنية تمثل عملية اجتماعية لإعداد الأفراد.
وتحدث في نفس الجلسة الأستاذ جميل الطهراوي -رئيس قسم علم النفس بالجامعة الإسلامية- حول المشكلات الأسرية المعاصرة، مؤكداً على أن مشكلات الأسرة تنعكس بشكل مباشر على مشكلات المجتمع، موضحاً أن هذه المشكلات تنعكس في صور متعددة سواء على الصعيد النفسي أو الاجتماعي.

المرأة والعولمة

وتمحورت الجلسة الثانية للمؤتمر حول عنوان: "المرأة الفلسطينية وتحديات العولمة"، أوضحت فيها الصحفية دنيا الأمل إسماعيل -خلال كلمتها عن المرأة والتحديات الإعلامية- أن الإعلام يشكل منهجاً تربويًّا متكاملاً ويلعب دوراً بارزاً في المجتمعات، حيث إن التأثير الإعلامي يمتد إلى التربية الاجتماعية والوطنية.

وقالت: "إن أغلب الخطاب الإعلامي موجه إلى نساء النخبة والعاملات في المؤسسات النسوية؛ الأمر الذي يتطلب إيجاد إستراتيجية وطنية للإعلام تلتزم بالثقافة الوطنية وتعمل على حمايتها، وشددت على أهمية الدور المنوط بالنساء العاملات في مجال الصحافة وخطورة افتقادهن للوعي الكافي الذي يقيهن في الوقوع في شبكة الترويج للنمط الاستهلاكي للمرأة".

الجندرة ومفاهيم أخرى

فيما اعتبرت الباحثة عفت الجعبري في ورقة عملها حول: "المرأة ومفهوم الجندرة" أن قضية النهوض بالمرأة لا يمكن أن تتم إلا بالعودة إلى الإطار الحضاري الذي يتلاءم مع طبيعتها واحتياجاتها، مشيرة إلى الأدوار التي تتحدد على أساس تكاملي بين الرجل والمرأة، ودعت إلى إعادة قراءة تاريخ المرأة من جديد؛ لتأسيس نهضتها على أصول ثابتة راسخة، وأوضحت أن المرأة ما زالت تعاني من مشاكل عديدة، وأنها بحاجة إلى حلول للتخلص من الموروثات والعادات الخاطئة التي تحكم سلوك المرأة.

وتحت نفس العنوان تطرقت الكاتبة الصحفية مها عبد الهادي إلى النظرة التقليدية التي ينظرها المجتمع الغربي إلى المرأة المسلمة على أنها ضحية للقهر والاستعباد، موضحة أن النظرة الآن بدأت تتحول إلى أن المرأة أصبحت أكثر مشاركة وفعالية في المجتمع الذي يخطط ويصون لها حقوقها، وأكدت على ضرورة أن تتعامل المجتمعات الإسلامية بمزيد من الإنسانية والعدالة مع المرأة مما يكفل لها حريتها وآدميتها، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم، وطالبت بضرورة تطبيق النصوص القرآنية المتعلقة بشؤون المرأة بشكلها الصحيح، إضافة إلى دراسة الفقه وسياقاته الاجتماعية ومراجعة الآراء الفقهية والفتاوى التي تأثرت بالثقافة المحلية وغلبت عليها.

وأضافت أن الخمسة عشر عامًا الأخيرة شهدت صحوة إسلامية وجهدًا كثيرًا من قبل باحثات إسلاميات للنهوض بمشروع المرأة وإعادة قراءة الأصول واستعراض التراث، مؤكدة أن هناك محاولات للاجتهاد والتجديد بضوابط الإسلام.

كما تحدث في نفس الجلسة الكاتب نهاد الشيخ خليل مستعرضاً مفهوم الجندرة الذي يعني الدور الاجتماعي والسياسي لكل من المرأة والرجل، موضحاً أن هذا الرأي ليس

ثابتاً وإنما يتغير بتغير أوضاع المجتمع، وتعتبر الثقافة هي العامل الأساسي في ترتيب الأدوار وليس الجنس.

وفي الختام أكدت أميرة هارون –عضوة المكتب السياسي لحزب الخلاص– في ورقة عملها المتعلقة بالخطاب النسوي الفلسطيني، على أهمية البعد المعرفي عند تناول الخطاب النسوي بالدراسة والتحليل، مشيرة إلى أن هذا الخطاب يقوم على جملة من المفاهيم، أهمها: المساواة، والنسوية، والحقوق، والجندرة.

وأشارت إلى أن المنهج الإسلامي ينظر للحقوق على أنها ضرورات وواجبات، ودعت إلى الاهتمام بالدراسة المعرفية الإسلامية، مؤكدة أن مثل هذه الدراسات هي المؤهلة لتقديم الحلول المناسبة للتحدي الحضاري ومنها قضية المرأة.

==============

#تشكيل الرأي العام حول قضايا المرأة

هبة التهامي

قامت أ.د. راجية أحمد قنديل أستاذة الصحافة والرأي العام ومديرة مركز بحوث الرأي العام بكلية الإعلام – جامعة القاهرة . بحكم اهتماماتها العلمية بالرأي العام، وممارستها الأكاديمية والمهنية لبحوثه المختلفة ودراساته، لمدة تزيد على 25 عامًا . بالبحث في الموضوع تشكيل الرأي العام حول قضايا المرأة،ورغم أن عنوانه يتكون من ست كلمات، فإن كلاًّ منها يتسع ليتضمن مجموعة من القضايا الخلافية الجدلية التي لم تُحسم بعد، وما زالت تستلزم بذلك الجهد لتوفير الإجابة على عدد من التساؤلات الجوهرية التي تطرحها، وتثيرها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 – طبيعة وحدود الأدوار الوظيفية للاتصال، بشقَّيْها المواجهي الشخصي المباشر، والجماهيري المقروء والمسموع والمرئي في كل من المجالات التالية:

(أ) التنوير والتثقيف الجماهيري، وصياغة الوعي القومي في المجتمعات العربية المعاصرة.

(ب) تشكيل الرأي العام العربي، حول القضايا وعلى رأسها قضايا المرأة في عالمنا المعاصر.

2 – حقيقة التفاعل المتبادل، وعلاقات التأثير والتأثر بين كل من الرأي العام والصحافة المطبوعة المقروءة، والمسموعة والمرئية، ودورها في بناء الصور الذهنية والنمطية، وبناء الأجندة، وترتيب أولويات الاهتمام بالقضايا المحلية والقومية والعالمية، وتبنِّي الأفكار المستحدثة، وتعديل الاتجاهات.

وقامت الباحثة بإجراء دراسة مسحية استكشافية، من أجل رصد الاهتمامات الموضوعية لأعمال الإنتاج العلمي والفكري التي نشرت خلال سنوات العقد الأخير من القرن العشرين، والتعرف على ما سعت إلى تحقيقه من أهداف، وما أسفرت عنه من نتائج، وذلك باستخدام برنامج إحصائي متقدم، ومراجعة دليل المستخلصات للأدبيات الحديثة في مجالات الرأي العام، والصحافة النسائية، وقضايا المرأة في إطار التفاعل والتأثير المتبادل بين الرأي العام والاتصال وأدواره الوظيفية في تكوين الرأي العام وتغييره، وترتيب أولويات اهتمامه.

وقد أسفرت معالجة البيانات ونتائج التحليل الكمي والكيفي لعينة الدراسة الاستكشافية التي تكونت من 86 مفردة: (34 باللغة العربية و52 بالإنجليزية) عمَّا يلي:

أولاً: النتائج الخاصة بالرأي العام والإعلام:

– تبين من مراجعة عينة الدراسة الاستكشافية اعتماد معظم نماذج تحليل الرأي العام، ومحاولات تعريفه، بل وقياسه، على نتائج توصلت إليها نماذج ونظريات التأثير الإعلامي من جهة، وعلى الخبرة التاريخية، والأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية للمجتمعات الغربية الصناعية المتقدمة من جهة أخرى، وخاصة المجتمع الأمريكي مما يدعونا إلى المطالبة بمراجعة التراث العلمي والفكري في مجالات الإعلام والرأي العام، والعمل على بلورة ووضوح ملامح المدرسة المصرية والعربية في هذه المجالات الحيوية الهامة وتخليصها من هيمنة الطابع الأمريكي عليها.

ثانيًا: النتائج الخاصة بقضايا المرأة في الصحافة النسائية العربية:

أسفرت معالجة البيانات الخاصة بأعمال الإنتاج العلمي والفكري، التي شكَّلت عينة الدراسة الاستكشافية من الدراسات التي تناولت بالبحث البيئة الإعلامية للصحافة النسائية العربية وعناصرها الاتصالية، عن ضعف ملحوظ في مستوى الأداء المهني لعدد من الصحف والمجالات النسائية، بالإضافة إلى انخفاض معدلات الجودة، في

بعضها الآخر، يصل أحيانًا إلى حد العجز عن تحمل أعباء القيام بالأدوار الوظيفية الحيوية للصحافة في تشكيل رأي عام نشط وفاعل وواعٍ بقضايا المرأة، وتقديم صور واقعية تعكس إنجازاتها وتناقش همومها ومشاكلها وتعبر عن ذاتيتها، وتقدم مضمونًا يشبع احتياجاتها المعرفية والثقافية والإعلامية ويربطها بقضايا المجتمع.

- فتركز كثير من الصحف النسائية والمجلات اهتمامها على قضايا لا تشكل أولوية للمرأة المعاصرة، ويقتصر الاهتمام في معظمها على المضمون الخفيف، بينما تغيب عن صفحاتها كثير من القضايا الحيوية الهامة.

- تغفل – في أحيان كثيرة – هذه الصحافة خصوصية قضايا المرأة العربية والمرأة المصرية، فتقع في فخ التبعية لأجندة الاهتمامات الغربية المغايرة تمامًا.

- الحيز الأكبر من صفحات الصحف والمجالات النسائية العربية يحوي مضمونًا استهلاكيًّا لا يواكب واقع المجتمع والمرأة والأسرة.

- يتراجع بشدة في الصحافة النسائية المضمون السياسي الجاد، ورسائل التوعية السياسية ونادرًا ما يتم تناول الحقوق السياسية للمرأة على صفحات المرأة في الصحف العامة والمجلات النسائية المتخصصة.

- لا تُولِي الصحافة النسائية اهتمامًا كافيًا بالمرأة الريفية وقضاياها رغم ما تمثله من نسبة النصف من الناحية العددية في المجتمعات العربية، وما تلعبه من دور صناعة القرار على المستوى المحلي وما يمكن أن يكون لها من تأثير وتوجيه، بل تحديد نتائج الاختيار السياسي والبرلماني.

- تهمل هذه المجلات المتخصصة الجوانب الثقافية، وتكاد تحصر المرأة وأنشطتها وأدوارها في نطاق المنزل والاهتمامات الهامشية.

- هناك هُوَّة عميقة بين واقع المرأة وصورتها التي تعكسها الصحافة العربية بصفة عامة والمجلات النسائية بصفة خاصة.

- يتضح التحيز الشديد من جانب الصحافة النسائية إلى شريحة معينة من نساء المدن لا تمثل إلا قلة قليلة، تختلف مشكلاتها واهتماماتها عن الغالبية الواقعية في المجتمع المعاصر.

- كثيرًا ما تتوجه هذه الصحف والمجلات إلى الشرائح العليا اجتماعيًّا، والمستوى الاقتصادي المتميز الذي لا يتمتع به الكثيرون والكثيرات.

- ما زال مضمون الصحافة النسائية العربية يعكس النظرة للمرأة وأدوارها كأنثى وزوجة مع اهمال مشاركتها في المجال العام أو مشكلاته كامرأة عاملة، وكشريك في الإنتاج، أو في اتخاذ القرار السياسي، ومختلف جوانب الخلق والإبداع الفكري والفني، ومن ثَمَّ لا يعكس الرأي العام النسائي، مما يثير تساؤلاً هامًّا: ما دور هذه الصحافة في ترتيب أولويات المرأة العربية؟ وما دورها في بناء أجندة الصحافة النسائية المتخصصة؟

أوضحت المعلومات والبيانات التي تضمنتها كل من النتائج الخاصة بالتناول الصحفي لقضايا المرأة في الصحافة النسائية العربية، ودراسات الرأي العام والإعلام، عن أهمية سرعة اتخاذ خطوات إيجابية نحو مزيد من التفعيل للأدوار الوظيفية للاتصال الجماهيري بصفة عامة، والصحافة بصفة خاصة، وضرورة توفير ضمانات رفع كفاءة الأداء بالنسبة لوظيفة تنمية الوعي الاجتماعي، وربط الأفراد بقضايا المجتمع، وأهمية أن تتجاوز الصحافة إشباع الاحتياجات الإعلامية لجمهور القراء، إلى استهداف تشكيل رأي عام واعٍ مستنير، وتبني أفكار جديدة تسمح بتحسين نوعية الحياة، وإحداث تغييرات في المواقف التقليدية، وإعادة صياغة الصور الذهنية، وترتيب أولويات الاهتمام بالقضايا القومية، وعلى رأسها قضايا المرأة باعتبارها قضايا الرجل والأسرة والمجتمع بأسره،واتباع أساليب التخطيط العلمي في كافة الخطوات والمراحل، ويستلزم أن تكون البداية بحسن استثمار مستحدثات التكنولوجيا في مجال الإعلام والمواصلات والمعلومات والعمل على توفير قاعدة بيانات واقعية معاصرة منظمة؛ لتطوير نموذج مقترح لبرنامج الاتصال الإقناعي، يشكل الرأي العام نحو قضايا المرأة المصرية، يتبع الأساليب العلمية في كافة مراحل التخطيط والتصميم والخطوات التنفيذية كذلك. ويولي أهمية بالغة لضرورة الاعتماد على المعلومات الميدانية الواقعية، والبيانات الدقيقة الحديثة، والحرص على المتابعة المرحلية لاتخاذ القرارات التصحيحية في الوقت المناسب، وقياس رجع الصدى والتقويم المستمر والمنتظم والنهائي.

ويستهدف هذا النموذج المقترح إحداث تأثيرات محددة، على آراء وأفكار واتجاهات وقيم فئات مستهدفة من جماهير الرأي العام وقادته المؤثرين سياسيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا وتعليميًّا

=============

المرأة والإعلام في زمن العولمة

الرباط – حواء وآدم

نظمت منظمة تجديد الوعي النسائي السبت الماضي يومًا دراسيًّا بالمركز الثقافي "ثريا السقاط" بالدار البيضاء حول (المرأة والإعلام في زمن العولمة).

الجلسة الافتتاحية تميزت بكلمة الأستاذة بسيمة الحقاوي الأمينة العامة للمنظمة عبرت فيها عن الحاجة الماسة إلى تنظيم أيام دراسية من هذا النوع، باعتبارها مرحلة أساسية لتوسيع الوعي بالإشكالات وتعميقه، واستعرضت الأسباب التي دفعت المنظمة إلى تنظيم هذا اليوم الدراسي وفتحه للعموم، كالتالي:

فمن جهة فإن الجماهير العريضة هي المستهدفة بالإنتاج الإعلامي بصفة عامة، ومن جهة ثانية فالجمهور مَعْنِيٌّ بالدرجة الأولى؛ لأنه يدفع ضرائب غير مباشرة عن المادة الإعلامية التي يراها، ومن جهة أخرى فإن الإعلام والاتصال يعني أن هناك مُرسِلاً ومُرسَلاً إليه.

صورة المرأة ووعيها

عرضت الأستاذة الحقاوي برنامج اليوم الدراسي الذي تميز بتطور تقني هائل تجلى في الربورتاجات المصورة التي تسبق كل مداخلة، الشيء الذي أغنى البرنامج وساهم في ربط العروض والنقاش بأصل المادة الإعلامية، سواء أكانت مكتوبة أو في الإذاعة والتليفزيون والسينما.

الربورتاج الأول ارتبط حول صورة المرأة في التلفاز في القناتين الأولى والثانية.

وأشار في بدايته إلى ضرورة ارتباط المادة الإشهارية بالمنظومة القيمية لكل مجتمع، التي يجب أن تستحضر فيها وتتم الاستفادة منها في صياغة المادة الإشهارية.

الشيء الذي لا نجد له صدى في المواد المعروضة في التليفزيون المغربي التي يحكمها منطق "الغاية تبرر الوسيلة"، بل يتم أحيانًا استغلال قيم سلبية على حساب

قيم إيجابية في المجتمع، ومن ذلك برامج الجوائز المالية الضخمة التي تشجع على القمار، وأشار الربورتاج إلى استغلال الفتاة مُغلِّبًا نماذج المرأة/ الشيء والمرأة، والجنس على حساب المرأة –الإنسان.

ومضت مداخلة الأستاذة رقية بو عبد السلام أستاذة مادة اللغة العربية (بني ملال) في نفس الاتجاه معتبرة أن المادة الإعلامية تستهدف إقناع المتلقي بالمادة المعروضة دونما إعطاء الاعتبار الكلي لطبيعة الوسائل المستغلة.

وقد جرت العادة في الدول الغربية أن يستثمر كل ما من شأنه تزيين صورة المادة المروج لها، ولو كان ذلك بعرض الأجسام البشرية، وخاصة جسم المرأة بشكل لا تبدو معه أي رابطة ظاهرة بين المرأة عارية مثلاً والإشهار أو الإعلان عن إطارات السيارات.

وقد ساهمت العولمة بشكل كبير في نقل هذه التقنيات إلى تليفزيونات العالم الثالث، والتليفزيون المغربي ليس استثناء، ونجد ذلك دون إعطاء أدنى اعتبار لقيم المجتمع وهوية أفراده، واستباحة كل المقدسات وكشف العورات من أجل الربح، فإن العولمة حولت القيم الغربية المشينة لجسم الإنسان إلى قيم عالمية تسيطر من خلالها على الشعوب؛ من أجل تكريس استعمار جديد تتم به استِحْمار شعوب العالم الثالث وركوبها.

التجارة تفسد الإعلام

المحور الثاني كان حول تخليق الإعلام من أجل تواصل متوازن للأستاذ محمد يتيم رئيس تحرير جريدة التجديد، الذي عاب على بعض وسائل الإعلام تغليبها منطق التجارة على حساب الأخلاق، وتغلب منطق الربح على حساب القيم في استغلال سيئ للحرية، ولو كان ذلك على حساب رسالتهم التربوية والثقافية.

كما أن المفهوم الذي أعطي للمقاولة الصحفية في الصحافة من أجل الربح، وكفى هو بمثابة "إعلان أو قبول بسيطة أو دولاب صغير في الآلة الكبيرة للنظام الإعلامي العالمي"، داعيًا إلى تغليب جانب الصحافة الملتزمة التي لها رصيدها الأخلاقي مضافًا إليه رصيدها الإنساني والإسلامي، وهذا يعني ألا تتبنى الصحافة الملتزمة إيجابيات الصحافة المقاولة في الحصول على أسباب القوة المادية والاقتصادية "فلا

حرج أن تسعى صحافتنا إلى الربح، ولكن بشروط أن يكون ربحًا مشروعًا"، ودعا الأستاذ يتيم إلى إعادة الاعتبار للكلمة، التي هي من أعظم النعم الإلهية على الإنسان، وأن تغدو رسالة مصحوبة من أجل مصداقية هذه الكلمة التي لا تكون إلا بالتحري في نقل الأخبار والتحلي بالموضوعية والإنصاف، وتجنب تجريح الأشخاص والهيئات، والتوجه إلى نقد السياسات والسلوكيات والانفتاح على الرأي الآخر.

كما تدخل الأستاذ عبد العزيز رباح رئيس مصلحة الإعلاميات في محور أبعاد استهلاك صورة المرأة في الإنترنت مستعرضًا أول الأمر التعريف بهذه الشبكة وبدورها في إنتاج المعلومات، وكيف أنها أحدثت عولمة تكنولوجية، حيث بات التحكم ببرامج المعلومات يتيح بالضرورة التحكم في استغلال صور الأشخاص بما فيها صورة المرأة باعتبارها عنصرًا مثيرًا وجذابًا للعري، كما أكد أن مُسْتَغِلِّي الإنترنت كمساهمات المرأة بمركز الفضاء وبالميادين العلمية الخاصة بها، وكذلك العيادة الطبية الخاصة بالنساء، وهذه كلها أمور إيجابية. لكن الربورتاج أوضح أيضًا المواقع السلبية التي تستغل جسد المرأة أبشع استغلال، فأبرز المواقع التي يستعملها الرجال في تنافسهم لاجتذاب النساء، إضافة إلى المواقع التي تَشِي صورة المرأة، سواء تعلق الأمر بتبيان معروضات الموضة أو بمنتجات التجميل، أو بالإشهار لوسائل منع الحمل.

المرأة في السينما والمسرح

وتناول بعد ذلك الكلمة السينمائي حميد باسكيت في محور واقع المرأة في السينما المغربية؛ حيث قدم قراءة لواقع المرأة بها وبدلالات بعض الأسماء (بامو) و(حادة) و(ووشمة)، معتبرًا من جهته أن السينما الوطنية قد لامست قضايا المرأة.

واعتبر محمد أزهر – مهتم ومسرحي – أن فنون المشاهدة التي تناولت مواضيع المرأة في فترة الاستعمار وبعده، كانت تحمل قضايا مواجهة المستعمر، واليوم أصبحت المرأة تستغل صورها في السينما؛ لاستجذاب الجيوب واستمالة المشاهدين.

وأبرز الربورتاج المقدم في هذه الصدد جوانب استغلال صورة المرأة في بعض عناوين الأفلام المغربية كفيلم "حب في الدار البيضاء"، و"البحث عن زوج امرأتي"، إضافة إلى الملصقات الإشهارية الخاصة بمثل هذه الأفلام، حيث اعتبر الربورتاج

أن اقتحام جسد المرأة المتخيل بات مباحًا، انطلاقًا من الملصق إلى اللقطات التي تحيل على الجسد، كما أشار إلى تصوير المرأة في حالة الجدبة مثلاً، وهي حالة تَنُمُّ عن البؤس والضعف، وترتبط عَنوة بشخصية المرأة.

وفي نهاية اليوم الدراسي تَمَّ تكريم المرأة الإعلامية الجادة في شخص السيدة إكرام بناني الرطل.

===============

#المواقف الرئيسية تجاه قضايا مؤتمر المرأة

المواقف الرئيسية تجاه قضايا مؤتمر المرأة

1 – موقع الدين في حياة الإنسان

2 – تحديد الجنس

3 – التثقيف الجنسي

4 – الحرية الجنسية

5 – الأسرة

6 – عمل المرأة

7 – المساواة والتماثل

8 – المشاركة السياسية

9 – مشكلة الفقر

10– العنف ضد المرأة

11– الزواج والمعاشرة الجنسية

12– الإجهاض

1 – موقع الدين في حياة الإنسان

وثائق المؤتمر

الموقف الإسلامي

موقف الفاتيكان

موقف تيار التحرر المطلق

* وردت في فقرة بين قوسين في مشروع الوثيقة إشارة إلى "أهمية الدين في حياة ملايين النساء، والحاجة إلى مناخ أخلاقي يحمي المجتمع من كل أشكال الفساد ومن استغلال المرأة" ووضع الوثيقة للفقرة بين قوسين يدل على كونها محل خلاف وعرضه للتعديل، وقد خلا البيان الختامي من التنويه إلى دور الدين.

...

* استحسان من قبل علماء ومفكرين إسلاميين مستقلين مع التنبيه إلى الحذر من وضع ذلك ضمن الأقواس والتأكيد على أن إطلاقها يعد نقطة إيجابية للمؤتمر.

* وجود مواقف أخرى تؤكد أن المؤتمر دعوة للانفلات من كل الأديان والتقاليد والقيم الإنسانية. (الأزهر، مجلس الإفتاء السعودي، ومواقف أخرى متفرقة).

...* ينوه بدور الدين المسيحي في حياة الإنسان "يدين كافة أشكال التطرف الديني والعلماني التي تترك أثرًا سلبيًّا على المرأة ". ...

* يعتبر أن الأصولية الدينية صاحبة الدور الأكبر في قهر المرأة، وينبغي أن يعاد تفسير تعاليم الديان من قبل منظمات الحركة النسوية.

* يعتبر أن المرأة لم تنل حقوقها قط في ظل الدين والأدوار المنوطة بها هامشية في نصوصه.

* ينتقد وجود تحالف بين الكاثوليك والمسلمين.

2 – تحديد الجنس

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* أطلقت وثائق المؤتمر تسمية (Gender) "جندر" التي تعني "نوع" بدلاً من "جنس"، على اعتبار أن الأولى تعني النوع الإنساني بما يشمل المرأة والرجل معًا وغيرهما من الشواذ. ...* يحذر من خطورة هذه الدعوة وما تتضمنه من أفكار وأهداف ترمي إلى إلغاء الفوارق البيولوجية بين الذكورة والأنوثة. ...* الإعراب عن القلق من هذه الأفكار الحديثة باعتبارها تهدد العالم المسيحي، وانتقد بيان بابوي مصطلح "جندر" ووصفه بالإبهام. ...* صاحب الدعوة إلى هذه الفكرة، فالناس يولدون محايدين والمجتمع يظلمهم بتصنيفهم إلى ذكور وإناث.

3 – التثقيف الجنسي

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* يدعو إلى إشاعة التثقيف الجنسي في المجتمعات لا سيما لمن هم في سن المراهقة وما قبلها عبر وسائل التعليم والإعلام. ...* ينتقد عدم ربط هذه الدعوة بضوابط الدين والخلق، ويرفضها ويحذر منها ويجعلها محصورة في مرحلة عمرية مناسبة على أن يقوم بعملية التثقيف أفراد مؤهلون خلقيًا ودينيًا. ...* يشير إلى حق الوالدين في اختيار نوعية التثقيف المناسب لأبنائهما. ...* يرى ضرورة أن تتلقى الفتيات تعليمًا يقتلع من أعماقهن فكرة المرأة الزوجة أو الأم والأعباء والتقاليد التي حملها المجتمع للمرأة دون غيرها.

4 – الحرية الجنسية

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* تدعو الوثيقة إلى عدم التمييز بين الناس على أساس النوع أو الجنس بما يضفي المشروعية على جميع الأشكال الشاذة من بغاء، سحاق، لواط، وزواج مثيلي (رجل برجل وامرأة بامرأة).

* يعتبر أنها تقع في نطاق الحقوق الأساسية للإنسان.

* لم تشترط الوثيقة صيغة الزواج الشرعي كأساس للعلاقة بين المرأة والرجل، واعتبرت أن "للمرأة الحق في السيادة على جسدها". ...

* يرفض هذه الدعوة ويعتبرها تتناقض مع الإسلام ومع كل القيم الاجتماعية والثقافية وسائر الأديان السماوية، وتهدد شكل الأسرة.

* ينتقد وجود أية علاقة لا تحكمها الصيغة الشرعية التي حددها الدين وهي الزواج. ...* لم يتجاوب الفاتيكان مع المسلمين لاتخاذ موقف موحد تجاه علاقات الشذوذ وعدم اعتبارها شكلاً من أشكال الأسرة. وهو موقف مائع من القضية تحت ضغط الدول الغربية. ...* يعتبر أن الأساس في أي علاقة جنسية مهما كانت هو وجود رغبة مشتركة، ويدعو إلى الاعتراف بالصيغ الشاذة في هذه العلاقات وتوفير الحماية

والمشروعية والرعاية لها ومعاملتها معاملة الأسرة، وأن الدعارة مرفوضة في حالة واحدة هي إكراه المرأة عليها.

5 – الأسرة

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* أشار مشروع الوثيقة بين قوسين إلى أهمية الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع.

* إطلاق التسمية والمفهوم لا يمنع الشواذ من تكوين الأسرة التي أسمتها الوثيقة العائلة. وتعتبر أدوار الأمومة والأبوة أدوارًا نمطية يجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط. ...

* تنويه واستحسان للإشارة إلى أهمية الأسرة مع التنبيه إلى وضعها بين قوسين.

* ينتقد إطلاق هذه الدعوة، ويؤكد على أن مفهوم الأسرة يسري فقط على الزوجين اللذين يجمعهما رابط شرعي. والدعوة إلى غير ذلك دعوة خبيثة تناقض ما يقرره الإسلام والأديان السماوية باعتبار الأسرة مصدر السكن. ...

* ينتقد النظر إلى الأسرة بصورة سلبية، وينتقد ذكر الوثيقة لها بين قوسين على اعتبار أن هذا الوضع يقلل من قدرها ويجعلها فكرة قابلة للنقاش.

* وينتقد كذلك النظر إليها بصورة سلبية، لأن ذلك يجعلها فكرة قابلة للنقاش ويقلل من قدرها ويعطي انطباعًا مغايرًا عن المرأة في العائلة الغربية. ...

* يعتبر فكرة الأسرة هي المصدر الأساسي لقهر المرأة.

* يدعو للخروج عن الأشكال النمطية واستحداث أشكال جديدة ليس شرطًا أن تكون قائمة على الزواج.

6 – عمل المرأة

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* خطاب الوثيقة موجه المرأة الفرد وليست المرأة كعضو في الأسرة أو كأم، ومن ثم فهو موجه بالأساس إلى المرأة الغربية العاملة دون اعتبار للمرأة الأم أو ربة المنزل.

...* يعتقد بمساواة المرأة والرجل في العمل المهني خلال الخبرة الإسلامية، وينوه إلى حقيقة الاختلاف الفسيولوجي وما يمليه من أعباء تحدد طبيعة عمل كل منهما وضوابطه، ويمتدح عمل المرأة لبيتها وزوجها، ويؤكد على مسئولية الرجل في الإنفاق على الزوجة والأسرة ويعفي المرأة من أية مسؤوليات وأعباء مادية تجاه الأسرة. ...

* ينوه بعمل المرأة في بيتها ويدعو إلى إعطائها راتبًا على ما تقوم به من أعباء الأسرة.

* يحذر من كون مشاركة المرأة في الحياة العامة وسيلة دعائية تستخدم في الحملات السياسية فقط.

...* يدعو إلى ضرورة اعتماد النساء على أنفسهن اقتصاديًا، وأن يمارسن أنشطتهن بصورة مستقلة عن الرجال، وينبغي أن تعمل جميع النساء خارج البيت، وأن تلزم الحكومات الأزواج باقتسام الأعمال المنزلية مع زوجاتهم.

7 – المساواة والتماثل

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* تدعو إلى المساواة المطلقة (التماثل) في كل شيء بين الرجل والمرأة، كما تدعو إلى تغيير القوانين لتناسب ذلك بما فيها الميراث. ...* يميز بين المساواة والتماثل، ويرفض الأخيرة ويستنكرها على اعتبار أنها تتصادم مع شرع الله، مع الإقرار بمساواة المرأة والرجل في أصل النشأة وخطابات التكليف الإسلامية. ...* لم يتعرض إلى قضية الميراث ونوه إلى مساواة الرجل والمرأة في الكرامة الآدمية. ...* يدعو إلى المساواة المطلقة (التماثل) في كل شيء على اعتبار أنه لا يوجد أدنى فرق، ويطالب بالتشريعات التي تدعم ذلك.

8 – المشاركة السياسية

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* تدعو إلى زيادة قدرة المرأة على المشاركة في صنع القرار والقيادة، واتخاذ تدابير خاصة لضمان وصول المرأة على أساس المساواة إلى هياكل السلطة واتخاذ القرار ومشاركتها فيها مشاركة كاملة. ...

* اعتبارها مشكلة مجتمع بأسره وليست قضية المرأة وحدها.

* التنويه إلى الدور الذي قامت به المرأة في الخبرة الإسلامية، وذكر الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة بصفة عامة والسياسية بصفة خاصة. ...* تحفظ على استغلال هذه الدعوة في الحملات السياسية والانتخابية فقط. ...* الدعوة إلى إطلاق هذا الحق وفرضه وكسر احتكار الرجل له.

9 – مشكلة الفقر

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* إعادة تنظيم النفقات العامة وتوجيهها، وإتاحة الفرصة الاقتصادية للمرأة بحيث تلبي احتياجاتها الاجتماعية والتعليمية والصحية، وتمكين المرأة من مسكن وتيسير نظام للضمان الاجتماعي.

* الدعوة إلى تخفيض نفقات السلاح وتوجيهها إلى المشاريع التنموية لا سيما مجال النهوض بالمرأة. ...

* يعتبرها جزءاً من أزمة المجتمع ككل وليست خاصة بالمرأة وحدها.

* يدعو لحل المشكلة بكل صورها. ...* استحسان لتنويه الوثيقة لهذا الأمر. ...* تدعو إلى الاستقلال المادي الكلي للرجل عن المرأة، كما تدعو الحكومات إلى تيسير ذلك وحمايته.

10 – العنف ضد المرأة

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* ينتقد العنف المتفشي ضد المرأة بكل صوره الجنسية والنفسية والبدنية.

* انتقد تشويه صورة المرأة وإهانتها في وسائل الإعلام، ويستنكر الاغتصاب والتشريد والمتاجرة بالنساء. ...

* ينتقد أي صورة من صور الإهانة للمرأة باعتباره مخلوقًا مكرمًا له حقوق، ويشير إلى أن الأعمال التي تحط من قيمة المرأة تعد جاهلية يرفضها الإسلام.

* يستحسن موقف المؤتمر ولكن يعتبر مظاهر العنف الجديدة ضد المرأة أحد إفرازات الحضارة الغربية. ...

* ينتقد كل صور العنف الموجه ضد المرأة، ويعتبر عمليات التعقيم والإجهاض أحد صوره، وكذلك إرغام المرأة على تعاطي حبوب منع الحمل.

* تأكيد على خطورة هذه التحديات أو العقبات التي تعاني منها المرأة مثل الحروب، الاغتصاب، زج الشباب في المعتقلات، وتهجير النساء والأطفال. ...

* يستعدي النساء على الرجال، حيث يعتبر أن كل الرجال مهيؤون لممارسة العنف وكل النساء يعشن في خوف، ولا مخرج إلا بإعلان ثورة جنسية شاملة.

* يتوسع في تحديد أشكال العنف لتشمل إلى جانب الأمور المتفق عليها نظرات الدين والمجتمع وما يسميه بالأدوار النمطية التي يدعو للتحرر منها.

11 – الزواج والمعاشرة الجنسية

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* تنتقد الوثيقة زواج المراهقات المبكر، فيما تبيح الحرية الجنسية للمراهقات ولمن دونهن ولا تنتقدها.

* تنتقد الوثيقة ما تسميه بـ"الاغتصاب الزوجي"، أي معاشرة الزوج لزوجته دون رغبتها. ...

* انتقاد للوثيقة وبيان لتناقضها، وتحذير من هذه الدعوة.

* يعتبر أن المعاشرة الجنسية بين الزوجين يحكمها تعاليم الإسلام وآدابه، ولا يعرف الاغتصاب الزوجي. ...* لم يتعرض للزواج المبكر وإن كان أنثى على دور الأم – أية أم– دون أي اعتبار لكونها زوجة أم لا. ...

* يدعو إلى التعرف المبكر على عالم الجنس.

* الأصل في أي علاقة جنسية هو رضا الطرفين.

12 - الإجهاض

وثائق المؤتمر ...الموقف الإسلامي ...موقف الفاتيكان ...موقف تيار التحرر المطلق

* لا تعتبر الإجهاض وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة، إلا أنها ترحب به طالما توفرت فيه شروط الأمانة.

* توصي بإعادة النظر في القوانين التي تفرض إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضًا غير قانوني. ...

* تقابل هذه التوصية بمعارضة علماء المسلمين، مع ترحيب بعدم اعتبار الوثيقة للإجهاض كوسيلة لتنظيم الحلم.

* الإسلام يبيح الإجهاض في حالة الخطر على حياة الأم. ...

* تأكيد على عدم تراجع الكنيسة عن موقفها تجاه الإجهاض.

* يرى أن العقوبات على المرأة التي تلجأ إلى الإجهاض تضاعف من مأساتها، ويعتبر خيارًا مؤلمًا ومصيريًا.

* يؤكد أن الاغتصاب لا يبرر الإجهاض ويصفه بأنه خطيئة مميتة. ...

* يعتبره خيارًا شخصيًا للمرأة الحامل بأي صورة، وللمرأة الحق في إجهاض نفسها متى شاءت كي تتحكم في حياتها كما يفعل الرجل.

* يجب أن تؤمن التشريعات هذا الحق، وأن ترفع أي قيود أو عقوبات على ممارسته.

================

#من يحدد أجندة قضايا المرأة

ريهام محروس–إلينوي

اندلع جدل حاد بين أستاذة علم الأديان – بجامعة "آلينوي" وبين مجموعة من طلاب الجامعة المسلمين عبر الإنترنت، وذلك تعقيبًا على مقال نشرته صحيفة "واشنطن بوست" بتاريخ 8 مايو 2000م، حول قضية قتل الشرف في باكستان.

كاتبة المقالة "باميلا كونستابل" بدأت المقال بعرض قضية فتاة باكستانية – بيرفين – إحدى ضحايا قتل الشرف، حيث اتهمها زوجها بالزنا، وعقابًا لها قام بتشويه وجهها – صورتها، وبعد نجاتها تدلي بشهادتها في المحكمة ضد الزوج، وتُعَقِّب الكاتبة بأن هناك الآلاف من السيدات الباكستانيات شُوِّهْن أو حرقن بواسطة أزواجهن أو آبائهن أو إخوانهن بدعوى جلب العار للأسرة عن طريق الخيانة أو طلب الطلاق أو الفرار مع العشيق أو رفض الزواج من شخص تختاره الأسرة، وهو ما يطلق عليه "قتل الشرف"، وقد أثيرت تلك القضية دوليًّا منذ أبريل الماضي حيث قتلت – رميًا بالرصاص– سيدة باكستانية في مكتب محامٍ لحقوق الإنسان، بسبب طلبها للطلاق من زوجها. وتشير الكاتبة إلى أن القادة الباكستانيين السابقين قد وعدوا باتخاذ إجراءات بصدد "قتل الشرف" لكنه لم يحدث، وشن الجنرال "مشرَّف" حملة قومية لحقوق الإنسان، أشار فيها بشكل خاص إلى "قتل الشرف"، ويعقب أحد الباكستانيين "أن هذا السلوك لا وجود له في ديننا أو قوانيننا؛ لذلك فإن قتل الشرف هو قتل يجب أن يعاقب مقترفه"، وتعقِّب الكاتبة بأن مثل هذه الجرائم قد تحدث في كل أنحاء العالم بسبب الغيرة، لكن الفرق يكمن في تعامل الحكومات معه، حيث يحدث في العديد من الدول الإسلامية دون صيحات احتجاج عالية.

وقد أشارت المقالة إلى حدوث 850 حالة قتل 1998م – 1999م في البنجاب وحده، بالإضافة إلى 560 حالة حرق في نفس الفترة بنفس الإقليم. وتشير المقالة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية على مقترف الزنا بموجب القوانين الباكستانية، لكن صعوبة إثبات الزنا تجعل من الصعب تطبيق ذلك، مما يشجع الرجال على إيذاء زوجاتهن لمجرد الشك دون عقاب. وتتحدث الكاتبة عن إقامة السيدات اللاتي يُتَّهمن بالزنا أو يطلبن الطلاق في ملاجئ حكومية خوفًا من انحرافهن في الخارج، وبالمناسبة فإن إمكانية الزواج للمرة الثانية منهن مستحيلة تمامًا. وفي الختام تقدم المقالة إحصائيات عن مجموعة من الدول التي تنتهك حقوق المرأة باسم "قتل الشرف"، بنجلاديش 1996 – 1998 :هجوم بالحامض على 200 سيدة، مصر: 52 جريمة عام 1997م – بعضها بواسطة الأم. الأردن: 30 قتل شرف عام 1998م – وهناك مطالبة بإلغاء مادة تعفي قاتل الشرف من العقاب. لبنان: 36 قتل

شرف معظمها في القرى بين 1996 – 1998، باكستان: قتل المئات، 300 في السنة، 278 في البنجاب العام الماضي، السلطة الفلسطينية: في قطاع غزة 177 قتل شرف 96 – 1998 من بين 239 جريمة قتل!!

وعقب نشر تلك المقالة اندلع نقاش حاد في المجتمع المسلم في أكبر جامعات ولاية آلينوي بمدينة شامبين، حيث قامت إحدى الطالبات بإرسال المقال بالبريد الإلكتروني إلى المشتركين في قائمة البريد الإلكتروني "لمسجد وسط إلينوي" والمركز الإسلامي ، مع تعقيب مفاده يشير إلى ارتفاع جرائم العنف الأسري في أمريكا حتى بين المسلمين.

وفي تعقيبها ردت "د. فاليري هوفمان" –وتطلق على نفسها زينب،وهي أستاذ مساعد علم الأديان بجامعة "إلينوي"، ومسلمة منذ عام تقريبًا، وأقامت في مصر فترة أثناء إعدادها لرسالة الدكتوراه عن الصوفية في مصر– أشارت في ذلك التعقيب على عدة نقاط:

– أولاً: رغم الإقرار بوجود العنف في الولايات المتحدة فإنه يتخذ ضده إجراءات شديدة، كما أنه لا يقارن بالعنف الموجود في الدول الإسلامية.

– ثانيًا: أن الثقافة و"الدين" معًا قد خلقا جوًّا مشجعًا لوجود العنف ضد المرأة، فعلى سبيل المثال اقرار الآية 34 من سورة النساء لضرب الزوج لزوجته هو تأصيل لذلك العنف(!)، رغم وجود مراحل لذلك، ورغم وجود بعض الاجتهادات التي تضع ضوابط شديد على الضرب بالإضافة لذلك، فبعض الثقافات الإسلامية تعتبر أن ضرب الزوج لزوجته من خصائص الرجولة.

ثالثًا: أنها لم تجد آية في الإنجيل تسمح بضرب الرجل لزوجته أو حتى مطالبة قادة الدين المسيحي بذلك، فهو أمر لا يوجد في المسيحية. وأشارت إلى أنه من غير العدل أن تلصق مشكلات العالم الإسلامي بالمسيحية أو دور الولايات المتحدة.

وتأسيسًا على ما سبق ذكره اشتعل الجدل، واتجه ليأخذ شكل ثلاثة محاور أساسية بين الطلاب المسلمين:

أولاً: اتجاه يدافع عن استمرار الحوار والتواصل مع المعترضين على بعض آيات القرآن مثل الدكتورة – هوفمان – باعتباره ضرورة لشرح العقيدة الصحيحة.

ثانيًا: اتجاه يفرق بين الإسلام كدين يُقِرُّ للمرأة حقوقها، وبين المسلمين الذين لا يطبقون ذلك.

ثالثًا: اتجاه يشرح حقائق عن تدريجية الآيات حتى الوصول لمرحلة الضرب ضمن مراحل عدة لتسوية الخلافات الزوجية.

والواقع أن النقاش اتسم بالعصبية وضعف التواصل بين أستاذة تتحاور أكاديميًّا وتقتصر على التفسيرات التقليدية ولسبب -غير معلوم- تتجاهل ثراء الفقه الواسع (رغم إشارتها إليه) وبين طلاب مسلمين غلبتهم الحَمِيَّة للدين دون علم يكفي لمطارحة الحجة بالحجة. ويعضِّد ذلك كله مقالًا يملك إحصائيات مشبوهة عن دول محددة: السلطة الفلسطينية مثلاً. وتأتي هذه المناقشة في إطار إشكاليات أساسية يعاني منها المسلمون في الولايات المتحدة، أبرزها: النقاش في قضايا دون علم كافٍ وأحيانًا دون ضرورة ملحة، على سبيل المثال تطرح قضايا حجية السنة، وقضايا المرأة وتعالج بشكل مكثف وسطحي،وفرض الإعلام الأمريكي لأولوياته في القضايا المتعلقة بالمسلمين عليهم، وهذا ما أشارت إليه إحدى الطالبات بقولها: إن العديد من القضايا في العالم الإسلامي لم يتم الالتفات إليها إلا بعد طرحها إعلاميًّا في الإعلام الغربي ،فهل سيظل الغرب في فرض أجندته على المسلمين؟ وتبقى المشكلة أن هناك العديد من القضايا مثل التعامل مع المرأة تحتاج إلى اجتهادات تكون عامل جذب لغير المسلمين بدلاً من كونها . أحيانًا . عامل طرد.

===============

#حقل جديد ...ومنظور متميز

القاهرة – هبة محروس

ازداد الاهتمام عالميًا في الآونة الأخيرة بحقل الدراسات النسوية، كحقل ينفتح على مختلف العلوم الإنسانية من خلال رؤية نسوية، وإسهامًا في هذا الحقل تأسست العديد من مراكز الدراسات والأبحاث النسوية. وتقدم "جمعية دراسات المرأة والحضارة" نموذجًا فريدًا في هذا الصدد، فلقد تأسست الجمعية على يد أ.د. منى أبو الفضل –أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، وأستاذ كرسي د. زهيرة عابدين

للدراسات النسوية بجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية، فيرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية.

وتسهم الجمعية من خلال وحدتيها؛ الوحدة الثقافية ووحدة طب المجتمع في حقل الدراسات النسوية على مستويين: الأول تنظيري حيث يتعامل مع قضايا المرأة من خلال "المنظور الحضاري الإسلامي" الذي يضع المرأة في موقعها داخل الأمة الإسلامية المستخلفة، والثاني تطبيقي يتعلق بالتوعية الصحية والنفسية للمرأة والأسرة.

وحاولت حواء وآدم التعرّف على أبرز إسهامات الجمعية من خلال التحاور مع د. أماني صالح – سكرتير "جمعية دراسات المرأة والحضارة بالقاهرة"...

جمعية دراسات المرأة والحضارة ..ما أهم الأنشطة التي تقوم بها؟

* ...جمعية دراسات المرأة والحضارة هي جمعية أهلية تطوعية؛ أُشهرت في مارس من عام 1999 بموجب القانون المصري الساري للجمعيات الأهلية، الجمعية هي مؤسسة أهلية مفتوحة لا تتوخى سوى الأعضاء المؤمنين بأهدافها، والذين يملكون من القدرة والمؤهلات ما يمكنهم من المشاركة بفاعلية في أنشطتها. والجمعية حسب أهداف نشأتها ليست جمعية للخدمات؛ وإنما تعنى بجانب يعاني نقصاً ملموساً في مجتمعنا؛ ألا وهو جانب البحث وإعمال الفكر إسهاماً في مواجهة المشكلات والإشكاليات الكبرى التي تواجهها الأمة –ومن بينها قضية المرأة– من خلال نشاط تطوعي لمجموعة من السيدات والفتيات المعنيات بهموم المجتمع من جانب، وبالبحث العلمي والأكاديمي من جانب آخر. وهى تمارس نشاطها هذا من خلال إجراء ونشر الدراسات والبحوث والندوات والأنشطة التدريبية. وقد انتظمت أنشطة الجمعية في فرعين؛ الأول هو: اللجنة الثقافية. والآخر هو: لجنة طب المجتمع. تُعنى اللجنة الثقافية بالأبعاد الفكرية والتاريخية لقضية المرأة على المدى البعيد والمجرد. أما وحدة طبّ المجتمع فهي تركِّز على الواقع الحالي والمشكلات الاجتماعية الآنية الراهنة والملحة التي تواجهها المرأة والأسرة؛ سواء في أبعادها الاجتماعية أو النفسية أو الصحية.

...تطرح الجمعية رؤية متميزة لدور المرأة في المجتمع المسلم. ما أبعاد هذه الرؤية؟ وما وسائل تفعيل هذا الدور؟

* ...ترى الجمعية أن المرأة ركن أساسي من أركان المجتمع المسلم في مجاليه العام والخاص في حاضره ومستقبله. فالمرأة هي أداة رئيسية لإعادة إنتاج القيم والمبادئ الأساسية للمجتمع المسلم؛ سواء من خلال دورها كأم أو من خلال أدوارها العامة كدورها البارز في العملية التعليمية. والمرأة بحكم قيامها على عملية التنشئة الاجتماعية الأولى ودورها الكبير في البناء الأسرى والاجتماعي هي مدخل عظيم الأهمية للتغيير والإصلاح لا يزال مهدراً حتى اليوم، وطاقة عقلية وعملية هائلة وكامنة يمكن أن تسهم بدور عظيم في عملية البناء المادي والحضاري للمجتمعات المسلمة التي تواجه كلها دون استثناء في هذه اللحظة التاريخية مأزق التخلف المادي والحضاري.

إن تفعيل هذا الدور يتطلب عملية تطوير وإصلاح معقدة، ولهذا الإصلاح شقان: مادي ومعنوي أو فكري. فالمادي مرتبط بتوسيع قاعدة الإنتاج وتنمية الموارد البشرية، بحيث تتسع للمرأة كمكون أصيل وليس طارئاً أو متطفلاً. والبعد المعنوي – وهو لا يقل أهمية– يتطلب إزالة كل ما لحق بالمرأة من غبن تاريخي واجتماعي أُلصق ظلما بالدين، وتنقية ثقافة المجتمع من كل ما ألحق بهذا الجنس البشرى الذي كرّمه الله من الدونية والهوان.

...ما رأيك في المشكلات التي تواجه المرأة المسلمة في المجتمع المعاصر؟

* ...المرأة تواجه كل ما يواجهه مجتمعها من مشكلات اقتصادية واجتماعية وبيئية، بل هي تدفع ثمناً أكبر بحكم اهتماماتها العاطفية البالغة بأحوال أسرتها، فهي تسعى من خلال دورها في الأسرة إلى مواجهة مشكلات هيكلية لا قبل لها بها. يضاف لذلك نوعية أخرى من المشكلات الخاصة بالمرأة مثل مشكلات الأحوال الشخصية الناتجة عن إساءة تفسير أو تطبيق الشرع والانحياز فيه، وهناك الأشكال المختلفة من التمييز أو الأحكام بالدونية التي تلقاها المرأة والتي تتفاقم لدى الفئات والشرائح الاجتماعية الفقيرة والتي تصيب كرامتها الإنسانية في الصميم كبعض الأعراف والعادات الاجتماعية في الزواج وخلافه. وفي هذا الصدد فإن المساواة ليست الحل السحري لكل مشكلات المرأة المعقدة لكنها جزء ضروري وأساسي في الحل. ولا تعني بالضرورة الأجندة الغربية للمساواة، فالمساواة هي مبدأ من المبادئ الإسلامية

الأساسية ، فقد ألزم الخالق –عز و جل– نفسه بألا يضيع عمل عامل منا من ذكر أو أنثى بعضنا أولياء بعض. وتظل المساواة في مبدأ التكليف والمسئولية والحساب ومبدأ الولاية (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) هي الأسس العامة التي ينبغي أن يُبنى عليها.

...تُعنى الجمعية بصورة أساسية بدراسات المرأة والحضارة، فماذا عن تصورها العام للتفاعل بين المرأة والرجل في إطار هذه الحضارة؟

* ...هو تفاعل يستبطن فكرة الاستخلاف بكل ما تمنحه للإنسان بنوعَيْه من كرامة وما تلقيه على كاهله من مسئولية. تفاعل يقوم على الشراكة ويشترك في العوائد بجانبيها المعنوي والمادي على السواء. وهو يقوم في توزيع تلك الأعباء والعوائد ليس على أساس "الطبيعة" بكل ما يحويه هذا المفهوم من التباسات، وإنما سنن الخالق تعالى بمعناها الشامل بدءًا من مبادئه العليا كالحق والعدل وتكريم الإنسان، ومرورًا بما استنبطه الفقهاء من مقاصد للشارع، ومصالح ضرورية للشرع، ثم بالأحكام الشرعية وانتهاء بسنن الخالق الكونية التي أشار إليها في كتابه حين دعانا إلي النظر والتدبر في آياته في الآفاق وفى أنفسنا.

...ما تقييمكم لأنشطة المنظمات الدولية المعنية بالمرأة على مستوى تدعيم مشاركة المرأة الفعالة في المجتمع؟

* ...أرى أن لهذه الأنشطة جانبين، أولهما إيجابي والآخر سلبي. أما الإيجابي فيتمثل في الأنشطة المقدمة في إطار المشترك الإنساني العام مثل دعم المساواة في الفرص المتاحة أمام المرأة في مجالات التعليم والعمل والصحة والمشاركة السياسية والاقتصادية. أما الجانب السلبي فيكمن في جنوح تلك المنظمات في فرض أجندات متكاملة في قضايا المرأة تشكلت عبر التأثير المتزايد للرؤى والقوى النسوية الغربية، والتي تعتمد على الأخذ بمبدأ المساواة الكمية المطلقة، وعلى تفكيك المجتمع والأسرة. وأرى أن مقاومة هذه الاتجاهات لا يكون برفض مشاركة المنظمات الدولية في دعم حركة المرأة، وإنما من خلال السعي إلى التأثير على توجهات تلك المنظمات والمطالبة بفرصة متساوية في تشكيل توجهاتها على قدم المساواة مع الاتجاهات النسوية الغربية ، وكشف الانحيازات المتضمنة في تلك الحزم من الحلول.

...هل تسعى الجمعية لتدعيم الروابط التعاون مع الجمعيات النسائية الأخرى المحلية والدولية؟

* ...الجمعية لا ترفض ذلك من حيث المبدأ ولكنها لا تسعى إليه في الوقت الراهن حتى تستكمل بلورة قواعدها الفكرية والمادية بما يؤهلها للتعاون من منطلق القوة وعلى قدم المساواة وفيما يتفق مع أهداف الجمعية ومبادئها، ويتفق مع القوانين التي تعمل في إطارها.

...ما هي مصادر تمويل الجمعية؟ وما كيفية تفعيل هذه المصادر ؟

* ...جمعية دراسات المرأة والحضارة هي جمعية أهلية يمارس أعضاؤها نشاطهم بشكل طوعي، إلا أن الجمعية كمثيلاتها من المؤسسات الأهلية الطوعية تحتاج إلي مصادر تمويل تغطى ما تقوم به من ندوات وإصدارات وأبحاث، وترتكز مصادر تمويل أنشطة الجمعية حتى الآن على تبرعات الأعضاء. ويسعى أعضاء الجمعية لفتح مجالات أخرى لتمويل نشاطهم في إطار ما يسمح به القانون. وفى هذا الإطار وفى ضوء "الرؤية الحضارية" التي تتبناها الجمعية ينشط أعضاؤها لتفعيل بعض مصادر التمويل الأهلي الأصيلة في حضارتنا والتي طالما أسهمت في دعم النشاط الأهلي واستقلاله: وعلى رأسها إنشاء الأوقاف لصالح الجمعيات والأنشطة الأهلية. وفى هذا السبيل قامت عضوات الجمعية بعمل دراسة حول دور الأوقاف (خاصة أوقاف النساء) في العملية التنموية. وتسعى الجمعية إلى مواصلة نشاطها الداعي إلى إحياء الوقف الخيري بالتعاون مع المهتمين بذلك، حيث إن إنشاء الأوقاف لصالح الجمعيات الأهلية هو البديل الفاعل والإيجابي لمشكلة التمويل الأجنبي التي انزلقت إليها بعض الأنشطة الأهلية

===============

#المرأة في ظل الصحوة الإسلامية فاعلة ونشطة

الشائع في تحليل أدوار النساء في الصحوة الإسلامية المعاصرة الاستناد إلى نموذج ثابت تظهر فيه المرأة كضحية لقهر" ذكوري" وتحيز وقمع ضدها، ويحاول هذا الكتاب الجديد الذي يحوي مقالات و دراسات شتى صدر حديثاً في أكسفورد بانجلترا عن منشورات بيرج لكارين آسك وماريت تيجومسلاند (محررتين) تحت عنوان: "المرأة

والأسلمة: أبعاد معاصرة في العلاقات بين الرجال والنساء" أن يفتح آفاق لتفسيرات حول المشاركة النساء الحالية في التحول للأسلمة والحركات الاجتماعية الإسلامية، بحيث تتجاوز التصنيفات الاستشراقية السائدة عن التحول لضحية للدين ورجاله وتزييف وعيها بحقوقها ،فيبحث الكتاب خلال فصوله المختلفة من خلال بحوث ميدانية محاولاً تحليل و فهم الظواهر التي تقدَّم في الخطاب الغربي –العام والأكاديمي– بشكل مشوه تحت شعار الأصولية الدينية، وتسعى المساهمات المختلفة من خلال بحث عدد متنوع من الممارسات الدينية و الاجتماعية الإيجابية في عدد البلدان الإسلامية إلى وصف و فهم الدين كممارسة تحدث في الحياة اليومية، ولهذا تظهر بفعالية في خبرة المرأة المؤمنة، ولا توجد به أوصاف نمطية للحركات الإسلامية مثل نعتها بالتخلف أو السلطوية أو غياب العقلانية، بل المصطلحات المستخدمة في الكتاب عادة هي الإسلامية والممارسات الإسلامية، وهنا محاولة جادة لتحليل السبل التي تطور بها النساء المسلمات أصواتاً مسموعة ومشاركة ملموسة في عملية الأسلمة.

ترتكز الفصول المختلفة على بحوث ميدانية و مشاركة بين النساء في المجتمعات المسلمة من السنغال في الغرب إلى إيران في الشرق، وتسعى المؤلفات إلى تحديد العلاقة المعقدة بين الإسلام و علاقات الرجال و النساء من خلال تحليل يبرز مكانة المرأة في الاجتهاد والفتوى الدينية في حياة النساء و اكتشاف بعض الروابط بين الممارسات الدينية للنساء وبين الخطاب الديني السائد،وتغطّي الحالات المدروسة في هذا الكتاب نطاقاً واسعاً من انخراط النساء في الحياة الإسلامية المعاصرة، فقد طرحت النساء أسئلة من خلال منظور جديد؛ فعلى سبيل المثال الخمار الشرعي الذي عادة ما يقدم كرمز للقهر لأنوثة المرأة و جسدها يتحول إلى تجسيد للقوة، فركزت النساء الإسلاميات على كيفية استخدامهن العمليّ للحجاب للحصول على مساحة للحركة وتوسيع مساحة مشاركتهن العامة وتعظيم تعبئتهن المستقلة في العمل الاجتماعي خارج الحدود المحلية؛ وهي إستراتيجية تكتسب شرعيتها من الخطاب الشرعي الديني.

في الفصل الأول تناقش "آنا صوفي روالد" انخراط النساء في تشكيل ما على مستوى فكري معقد "علم العقيدة النسوي الإسلامي" ، ورصدت الكاتبة المحاولات المختلفة لإعادة تفسير المصادر الإسلامية التي قامت بها نساء مميِّزة بين المسلمات ذوات المرجعية العلمانية، وبين ظهور أصوات إسلامية نساء و رجال تؤكد على الحرية الكامنة في الإسلام تجاه المرأة.

ولقد اهتمت الكاتبة بكتابات عائشة عبد الرحمن /بنت الشاطئ(من مصر) وأمينة ودود محسن(من أمريكا) وأخريات، محددةً محاور للمقارنة بين هذه المساهمات النسائية في تفسير القرآن ومشيرة للقارئ الغربي للتقاليد المسيحية الموازية في التفاسير النسوية للإنجيل.

في الفصل الثاني درست ثريا دوفال الدور النشط للنساء كزعيمات للجمعيات الدينية، حيث ظهرت إلى الوجود كتعبير محلي عن الأسلمة، ومُثلت مشاركة النساء في حركات دينية يسودها الرجال في الغالب. ولقد تناولت الباحثة في بحثها النساء الإسلاميات في مصر إلى أربع مجموعات مختلفة (السلفية- التبليغ- الإخوان المسلمون- الزهراء) مشيرة لاكتساب النساء مكانة على الساحة العامة لأنفسهن من خلال هذه الجماعات.

في الفصل الثالث كان المحور هو ثلاثة دوافع فردية للنساء تجاه تغيير نمط حياتهن وفقًا لتفسير جديد للإسلام، استعرضت ويلهيلمين جونسون تحت عنوان "هويات متضاربة: النساء والدين في الجزائر والأردن" محاولات النساء في هذين المجتمعين لصياغة مفاهيم جديدة لحقوق المرأة تأسيساً على هويتهن كمسلمات، وناقشت الباحثة في الشق النظري والشق التطبيقي -مستخدمة تحليل لمعلومات جمعت في بحث أنثربولوجي- كيفية التعارض المتواصل بين الهويات المتعددة للأفراد، وأن ذلك لا بد أن يؤخذ في الحسبان لدى نظرية تكوين الهوية.

و كذلك استخدمت مارجو بيتلر في الفصل الرابع مثال الحمامات العامة في المجتمع المغربي لمناقشة ظاهرة عدم اختلاط الجنسين مكانياً التي تسود في ثقافات دول شمال أفريقيا، واستعرضت الكاتبة في جزء كبير من مقالتها الملامح الرئيسية لتنظيم الأماكن العامة وعلاقتها بالمفاهيم المختلفة للخصوصية، فقد أظهرت الباحثة

التناقض داخل الحمامات أكثر – الأماكن العامة خصوصية للنساء، وبحثت تأثير العلاقات الاجتماعية للنساء بعملية التحديث.

في الفصل الخامس أظهرت كاترينا رودفير أنه إزاء تزايد الإسلاميين هناك مسلمون عاديون يتعارضون بقوة ظهور الإسلام في المجتمع، خاصة في الحقل السياسي ،وتركز على نموذج تركيا ،فعلى الرغم من المنع الجزئي لتنظيم العبادة العامة ، وتقييد الحركات الصوفية بشكل خاص، فرغم هذه الظروف المؤسسية غير المشجعة فإن هذا المجتمع يعبر عن فترة من الصحوة حتى داخل التيارات الغير سياسية،ويستند هذا الفصل إلى بحث استطلاعي بين نساء ضواحي إستنبول، مع التركيز على الإستراتيجيات المستخدمة من النساء المرتبطات بالجماعات الصوفية إزاء النهضة الإسلامية في المجتمع التركي المعاصر، وتستكشف الدراسة الآثار المتعددة للإستراتيجيات الدينية من قبل النساء وعديد من المنظمات التي تقدم أطراً مختلفة من الممارسات والشعائر والأزياء..إلخ.

في الفصل التالي ناقشت إيفا إيفانز كيفية أن مساهمة وتأسيس النساء لجمعيات تقليدية ذات أصول صوفية ما زالت مستمرة في ظل الممارسة الشائعة من العبادة، واستندت إلى دراسة النساء في الطريقة المريدية في السنغال. ولقد حللت الباحثة بعناية الممارسات الدينية النسوية في السنغال ، وهذه الممارسات لا تُرى فقط باعتبارها مرتبطة بالمفاهيم والأفكار الدينية السائدة، ولكن أيضا باعتبارها مفسرة لكيفية امتلاك النساء القدرة على مخالفة النظام القيمي بدون تحديه أو حتى الجهر بمحاولة تغييره.

ويستعرض الفصل الأخير كيفية تشجيع النظام الديني في إيران لمشاركة النساء في الجمعيات الدينية ذات الأصول التقليدية العامة، ويوفر لهن تعليماً دينياً رسمياً(في الحوزات) مؤهلاً لتوليهن مناصب قيادية دينية في هذه الجمعيات. فلقد درست زهرة كمالخاني النشاط الديني للنساء في إطار يجمع بين الإسلام التقليدي والتحديث في إيران، وافترضت الباحثة أن الأسلمة المعاصرة تقدم نموذجاً خاصاً من التفاعل مع الحداثة. واستعرضت بعض نتائج هذه العملية على تعبئة النساء سياسيًا واجتماعيًا في إيران حالياً.

لقد عرضت الفصول المختلفة كيف أن الحدود بين التراث والمعاصرة في حياة النساء المسلمات النشطات ترسم الآن بطرق جديدة و مركبة؛ مما يعضد دوراً نسوياً متزايداً، والعديد من الممارسات الإسلامية تبرز بشكل معاصر وتؤكد على مكانة و تفعيل المرأة والاستقلالية من خلال طرق تتحدى الأوضاع التقليدية السائدة و تستند للإسلام في أصوله.

ويبدو واضحًا في مختلف الدراسات كيف أن نتائج انخراط النساء في العمل الاجتماعي تعتبر جزءاً من تعديلهن الفعال لأنماط حياتهن لتلائم احتياجاتهن وتوقعاتهن في الحياة. ولقد أظهرت كل الدراسات اتجاهات متزايدة لدى النساء تجاه المشاركة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية خارج نطاق الحياة الخاصة، وفي مجالات كانت غير متاحة لهن إما عن طريق الوجود المادي الملموس مثل المساجد والهيئات الاجتماعية، أو المجال الفكري مثل تعلم العلوم الشرعية و تدريسها، وأظهرت الفصول المختلفة انخراط النساء المسلمات بصورة فعالة في مجالات المشاركة العامة، وبطرق لم تكن متاحة لهن من قبل، وتحت ظروف يخترنها بأنفسهن بحرية و إرادة، ولقد وصفت العديد من الفصول مدى فعالية النساء في المعاملات؛ حيث يحصلن على قروض ويسعين لتحقيق منافع من أنشطة شرعية.

ويتراوح تأثير النساء الإسلاميات بين المستوى الفكري و السياسي المتميز كما في حالة مصر وإيران وحتى أصوات النساء في الأوساط العامة كما في حالة تركيا والسنغال.

وقد وصفت حالات الدراسة المقدمة في هذا الكتاب كيفية تطوير النساء لأوضاع تدفع نحو تغيير الأنماط التقليدية السائدة في مختلف المجالات باسم رؤية تجديدية إسلامية، وذلك باستثمار أنشطتهن الدينية. ويعد هذا الكتاب إسهاماً متميزاً لفهم ثقافة النساء المسلمات، فقد ركز على دراسة أقل الجماعات الاجتماعية تحليلاً وقابلية للدراسة والتعميم ووضع الصورة الذهنية المسبقة محل نقد ، وقد أضيفت أبعاد أخرى لدور النساء داخل إطار أوسع من عملية الأسلمة، وأظهر تنوعاً ضخماً وثراءً في الثقافة والطبقة والعرق بين المجتمعات الإسلامية، بالإضافة للتنويه لوجود اختلاف بين المجتمعات العربية و سائر الدول الإسلامية في تاريخ الاستعمار والتصنيع

والتحضر والتحديث والعلمنة، وبالتالي رؤية المرأة ودورها وفهم وتفسير النص الديني بشأن قضاياها.

=============

#ثالوث العولمة القاهر: العسكرة والاقتصاد والثقافة

تعرض د. منير شفيق في هذه الورقة لمفهوم العولمة المركب فقد تاهت حقيقة العولمة بين اختلاف المثقفين والخبراء في توصيفها. البعض يرى أن العولمة نتيجة سعي رأس المال نحو تعظيم قيمة هامش ربحه عبر إلغاء الحدود المقيدة لحركته داخل وخارج الدول القومية.

البعض الآخر يرى أنها نتيجة التطور الهائل الذي لف صناعة أجهزة الاتصال، وبخاصة أجهزة الاتصال الجماهيري، فيما سمي بثورة الاتصال، وهو ما أتاح لصاحب السطوة في هذا المجال أن يفرض قيمه ورموزه وأنماط حياته على الآخرين، سواء في ذلك مَن وافقه في الانتماء الحضاري أو من خالفه.

البعض الثالث يرى العولمة نوعاً من أنواع البرامج الحياتية المرتبطة بالهيمنة السياسية التي يسعى الغرب، ومن ضمنه الولايات المتحدة، بصورة قد تكون مستقلة بعض الشيء، إلى فرضها.

كيف يتعامل الأستاذ منير شفيق مع هذه التنويعة من الأفكار؟ وكيف يركب منها تصوره عن جوهر العولمة؟ هذا ما يجيبنا عليه المقال التالي.

الاقتصاد: المحرك الرئيسي للعولمة

الدولار يقهر العملات كما تقهر أمريكا الدول

العولمة ليست العالمية؛ ولهذا يخطئ من يعتبرها العالمية بالرغم من أنها ذات سمة عالمية. فليس كل من يحمل سمة عالمية يحمل المحتوى نفسه أو الشكل نفسه؛ فالعالمية الرأسمالية وهي سمة صاحبت الرأسمالية دائمًا غير العالمية الاشتراكية وغير العالمية الإسلامية وغير العالمية التي مثلتها حركة عدم الانحياز. والعولمة تختلف عن هذه جميعًا، كما أن كل عالمية مختلفة نوعيًا عن العالمية الأخرى.

فالخلط بين العولمة والعالميات آنفة الذكر يفتقر إلى الدقة العلمية. كما قد يحمل تمويهًا لحقيقة العولمة وتدليسًا من أجل تمريرها بدلاً من الغوص في دراسة سماتها،

باعتبارها ظاهرة جديدة لا تزال تتشكل الآن على مستوى العالم بقدر ما أنها على درجة من القوة بحيث تسهم نفسها في تشكيل العالم والتأثير فيه.
العولمة هي نظام رأسمالي عالمي، ولكنها ذات سمات تختلف عن الأنظمة الرأسمالية العالمية السابقة، سواء أكانت تلك التي عُرفت مع بداية ما يُسمّى بعصر النهضة أو التنوير، أو تلك التي عرفها القرن التاسع عشر، أو تلك التي عرفها العالم ما بين الحربين العالميتين أو تلك التي سادت إبان ما سُمي مرحلة الحرب الباردة.
فالتشديد على الأصول والسمات الرأسمالية للعولمة – بالرغم من أهميته وضرورته وصحته– فإنه يجب ألا يطغى على البحث في خصوصية هذه العولمة الرأسمالية المالية التي تحاول الآن فرض سيطرتها على العالم.
يمكن أن يقال الكثير في إبراز السمة الإمبريالية (التوسعية ذات النزعة الاستغلالية) للعولمة، ويجب أنُ يقال هذا الكثير ولكن دون أن يقود إلى اعتبار أننا أمام الحالة الإمبريالية التي عرفتها الحرب الباردة، أو مرحلة الاستعمار المباشر والاستعمار الجديد، أو مرحلة الرأسمالية التجارية النهائية التي عجَّ بها القرن التاسع عشر.
ويكفي أن نلحظ أن الاستغلال الرأسمالي للطبقة العاملة في بلدان المتروبول (عواصم الدول الاستعمارية الرأسمالية)، والذي تحدث عنه ماركس في مؤلفه الشهير "رأس المال" –وعلى التحديد إشكالية التراكم الرأسمالي– لم يعد هو الذي يسود عالم التراكم الرأسمالي في عهد العولمة.. كما أن مرحلة الرأسمالية الاحتكارية –وهي مرحلة الترستات والكارتيلات وتصدير رؤوس الأموال واقتسام العالم وإعادة اقتسامه– اعتبرها لينين أعلى مراحل الرأسمالية وسماها مرحلة الإمبريالية؛ وهو ما أحدث قفزة في التراكم الرأسمالي، وفي السيطرة على العالم وتقسيمه إلى مناطق نفوذ فيما بين الدول الرأسمالية، وهي مرحلة تجاوزت رأسمالية فائض القيمة الناجمة عن العمل في المصنع، علمًا بأن التراكم الرأسمالي الآتي من النهب الخارجي صاحَب الرأسمالية في كل عهودها، بل كان سابقًا لها وسببًا في نشوئها.. والأمر كذلك في المرحلة المتأخرة، والتي أسهمت في ولادة رأسمالية العولمة، وعلى التحديد مرحلة الشركات متعدية الجنسية، خصوصًا مع وبعد مرحلة سيادة رأسمالية البورصة أو قل رأسمالية المضاربة المالية في البورصة.

ويكفي أن نلحظ التجارة العالمية الآن، والتي تحمل الإنتاج البضاعي الفعلي؛ حيث تشكل نسبة ضئيلة مقارنة بحركة انتقال رؤوس الأموال اليوم. فما يجري يوميًا في عالم رأس المال الورقي في المضاربات على العملة وفي الأسهم وما شابه يزيد على ثلاثين ضعف ما يتم في نطاق حركة البضائع. وهي نسبة تتزايد هوتها باستمرار بين التجارة الفعلية والتجارة الورقية.

ومن يقرأ ميثاق منظمة التجارة العالمية يمكنه أن يحدد مجموعة من السمات التي تتصف بها العولمة، ولو نظريًا، فيما يتعلق بالتجارة العالمية وانتقال رؤوس الأموال.

فمثلاً نجد هنا أحكامًا لتكريس ما يُسمّى بالسوق العالمية التي تُزال منها الحدود الجمركية فيما بين الأسواق والدول، وتترك حرية التجارة على غاربها، وتطلق حركة رؤوس الأموال والاستثمارات لتعبر كل الحدود وتخرج منها بلا قيود، بل وتمتع رأس المال الأجنبي بكل الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها رأس المال الوطني.

وتجد أيضًا رفضًا لكل أنواع الحمايات التي تقدمها الدول لسلع معينة أو إنتاج معين، ورفض لأي دعم يقدم للصناعة والزراعة المحلية، أي إطلاق منافسة حرة تقوم على أساس قوة رأس المال الخاص، ونوعية المنتجات، والمقدرة على التسويق، الأمر الذي يعني أن كل تدخل من قبل الدولة في مصلحة رأسمالها الوطني الخاص أو صناعتها أو موادها الخام عمل مرفوض وغير شرعي.

هذا وتقضي أحكام معاهدة منظمة التجارة العالمية ومعاهدة الملكية الفكرية ومعاهدة الملكية الصناعية . أن تكون نصوصها مهيمنة على كل قانون محلي، فعندما تنضم إلى معاهدة منظمة التجارة العالمية تصبح ملزمًا بإخضاع قوانينك المحلية، وبلا مناقشة لأحكام المعاهدات المذكورة، وهذا يعني تدخلا سافرًا في الشؤون الداخلية، وإضعافًا لدور الدولة وانتهاكًا لسيادتها، كما يعني ضربة قاصمة لركن أساسي من أركان الديمقراطية التي قامت عليها الرأسمالية الغربية، فعندما لا يكون بمقدور البرلمانات سن القوانين المتعلقة بالتجارة والجمارك وانتقال رؤوس الأموال، أو مناقشة تلك المعاهدات وتقديم الاعتراضات وإحداث التغييرات، ولا يبقى لها غير الموافقة على المعاهدات المذكورة بالكامل أو رفضها بالكامل، فماذا يتبقى من السيادة؟.

ثم إذا كان الرفض يعني التهميش والحصار والتعرض لكل ألوان الضغوط التي سيمارسها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمات حقوق الإنسان، ناهيك عن الضغط الأمريكي المباشر فسيبقى الخيار الوحيد أمام البرلمان هو إقرار تلك المعاهدات بلا إدخال أي تعديل، ومن ثم حتى بلا قراءة للنص الذي يوافقون عليه، فماذا يبقي للديمقراطية؟ وإذا كان هذا الأمر مستباحا اقتصاديًا، فما معنى أن يطبق الأمر نفسه على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالعائلة والمرأة والطفولة والبيئة والقيم... إلخ.

على أن تطبيق هذه الأحكام التي تبدو من حيث الظاهر حيادية، بمعنى أنها تنطبق على الجميع إلا أنها في الواقع العملي تطبق بمنهج ازدواجية المعايير المحكومة بموازين القوى، فالولايات المتحدة مثلاً تستطيع أن تخرق مبدأ فتح الأسواق أمام التجارة الحرة تحت مختلف الذرائع التي تختارها، سواء أكان ذلك من خلال المقاطعة أو سن القوانين مثل القانون الذي يحرم "إغراق السوق بسلع رخيصة"، أو مثل قانون منع الاحتكار، ولكن الدول الأخرى لا تستطيع سن قوانين مماثلة أو موازية؛ لأنها ستتعرض للضغوط فورًا.

هذا جانب من جوانب الإشكاليات في التطبيق، أما الجانب الآخر الذي لا يقل أهمية فهو عدم التكافؤ الهائل الذي ستبدأ منه المنافسة عندما يصبح العالم سوقًا حرة واحدة. فالعولمة بهذا المعنى جاءت لتفرض قوانين مثل رفع الحمايات بعد أن وصل الإنتاج الأمريكي بالخصوص، وكذلك التكنولوجيا إلى مستوى لم تعد الولايات المتحدة معه بحاجة إلى حماية من أجل نموها وتطورها، بينما لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد ثلاثمائة عام من الحماية المشددة، فالولايات المتحدة من أشهر النماذج التي بنت تطورها وصناعتها على الأنظمة حماية صارمة كأنظمة الدعم من قبل الدولة للزراعة والإنتاج الحيواني، والتي ليس لها من مثيل، وهي ما زالت تمارس ذلك كلما، وحينما، وجدته ضروريًا، وتحت شتى المسميات، فنحن هنا أمام "بلطجة" على المكشوف.

في كلمة، البداية في إطلاق المنافسة الحرة غير المتكافئة من حيث القدرات المالية والإنتاجية والتكنولوجية والعلمية، وغير متكافئة حين يسلب القوي الضعيف من كل

إمكانـات المقاومـة، وحـين يحرمـه مـن الحـد الأدنـى مـن الحمايـة أو الـدعم لصـناعته وزراعته.

وثمة جانب لا يقل أهمية وهو إمكانات التوزيع والتسويق والاحتكار، فقد يكون لديك إمكـان أن تغـزو الـدول المتقدمـة بالبرتقـال أو بالطمـاطم، ولكـن لـيس لـديك إمكانـات التوزيع في بلدانها خصوصًا إذا تدخل القرار السياسي في إغلاق الأبواب في وجهك، وهو قرار موجود دائمًا، فنظريًا يمكن أن تدخل إلى السوق المعنيـة بسلعتك الأفضل والأرخص، ولكن عمليًا لا يمكن أن تجد الموزع عندما تكون هنالك تدخلات من هذا النوع أو ذاك.

ولنقف قليلا لنقرأ في معاهدة باريس أو معاهدة تريبس، والمعاهدة التي نجمت عنها المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية حول حقوق الملكية "الفكريـة"، خصوصًا فيما يتعلق بالملكية الصناعية وملكية الاختراع أو التكنولوجيا.

من خلال الفحص الدقيق لهذه المعاهدة سنجد أن هذه الحقوق ستخلق قيودًا هائلة أمام الوصول إلى التكنولوجيا والعلوم والاكتشافات بالنسبة إلى بلدان العالم الثالث، فما دام كل اختراع وكل تصميم ينجم عن ذلك الاختراع من أجل إنزاله إلى الصناعة أو إلـى ميـدان المعلوماتيـة سيسـجل حكـرًا لصـاحبه، وسيصـاحبه فـي الأغلـب هنـا شركات متعدية الحدود والجنسية، فأنت لا تستطيع أن تفيد منه إلا من خلال المرور بصاحب ملكية الانتفاع به، وهذا يقوم بدوره بفرض شروطه.

وأحسب أن الجميع لحظ ما حدث مثلا في مجال صناعة الأدوية من فضائح في هذا المجـال، وآخرهـا احتكـار إنتـاج الأدويـة المضـادة للإيدز، وهـو مـا راح يتسـبب بمـوت مئـات الآلاف مـن الأطفـال علـى الخصـوص، وهـذا مـا أثـار الاحتجـاج مـن قبـل الجامعـات ومراكـز البحـوث ومؤسسـات الخـدمات، وقـد وصـل الأمـر إلـى أن تمتلـك بـرامج المعلومـات المتعلقـة بـالطقس كملكيـة فكريـة، وهـي البـرامج التـي قـد تعـرض الملاحة أو مناطق بأسرها إلى أخطار التقلبات الجوية، وهو ما أطلق صراعًا عنيفًا حول الحق بملكيتها لمن لم يفعل أكثر من تجميعها وتصنيفها. وقد تم التساهل جزئيًا في حالة انتقال المعلومات لأغراض الدراسة في الجامعات أو البحث العلمي فقط.

والخلاصة أننا هنا أمام احتكار خطير للتكنولوجيا وإنتاجها واستخدامها سيجعل الوصول إليها أصعب من ذي قبل عكس ما يروج له بعض الواهمين حول سهولة الوصول إلى المعلومات، أو ما يُسمّى بالثورة المعلوماتية، وهم لا يتحدثون إلا عما لا يصل إلى التكنولوجيا وإمكان الاقتناع بها، بمعنى إمكان التطور التكنولوجي والصناعي، وليس بمعنى ما يقدم من معلومات عامة أو استهلاكية.

لو بحثنا في الدوافع الفعلية، وفي النتائج الفعلية، لهذه السمات في المجال الاقتصادي للعولمة سنقول بأننا أمام مرحلة جديدة للسيطرة الإمبريالية على مقدرات العالم مما يزيد غنى البلدان الغنية ويزيد فقر البلدان الفقيرة. وعلى صعيد آخر، هناك ثروة تشكلت في البلدان متوسطة النمو وضعيفة النمو خلال الخمسين السنة الماضية يمكن للشركات متعدية الجنسية أن تأخذ ثمارها خلال العشرين السنة القادمة، وهي خبرة العقول، أي أننا أمام موجة جديدة من نهب الثروات العالمية في مصلحة قبضة صغيرة من الشركات والدول، وعلى التحديد في مصلحة الدول الأمريكية والشركات الأمريكية متعدية الجنسية أساسًا.

ولكن الأمر هنا لا يقتصر على بلدان العالم الثالث أو تلك التي يمكن اعتبارها بين العالم الثالث والثاني، مثل البرازيل أو النمور الآسيوية وروسيا والصين والهند، وإنما تتجه المرحلة الجديدة من الرأسمالية من خلال الشركات متعدية الجنسية ومتعدية الحدود، تحت القيادة الأمريكية إلى انتهاب ما تشكل من دسم أو شحم داخل المجتمعات الرأسمالية نفسها، فدولة الرفاهية في الغرب واليابان والتي حققت لمجتمعاتها وللطبقات العاملة والفقيرة مكاسب جمة خلال مرحلة الحرب الباردة أصبحت الآن معرضة للهجوم نفسه من قبل الشركات متعدية الجنسية في بلدها وعلى مستوى الدول الغنية ككل.

فضغوط العولمة الآن تتجه إلى الانقضاض على الضمانات الصحية والاجتماعية والتعليمية، وتلك المتعلقة بالبطالة التي كانت توفرها دولة الرفاهية في الغرب لشعوبها مما سيزيد من الأرباح الهائلة للشركات متعدية الجنسية. فأسلوب المطالبة والضغط للإعفاء من الضريبة التصاعدية على الاستثمارات تحت التهديد بالهجرة، حيث لا ضرائب على الاستثمارات والمضاربات المالية سيزيد من إفقار دولة الرفاهية ودفعها

إلى تعويض ذلك بأشكال أخرى من الضرائب، أو سيقود إلى إلغاء أو إنقاص الالتزامات المتعلقة بالصحة والتعليم والتقاعد والعجز والبطالة.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فقد برز اتجاه التخفيض من تكاليف الإنتاج والخدمات كمدخل أساسي الآن لزيادة الأرباح، وهو ما يعني ارتفاع منسوب البطالة حتى على مستوى النخب والكوادر. فمن أهم دوافع الاندماجات الكبرى التي نسمع عنها بالإضافة إلى امتلاك قدرة أكبر على المنافسة والاحتكار هو تخفيض التكاليف الأساسية وتحويلها إلى أرباح إضافية. فعندما تندمج شركتا طيران تغلق المكاتب الفائضة مثلاً وهكذا.

هذا يفسر القلق الذي راح يجتاح مجتمعات الدول الغنية وفي مقدمتها الولايات المتحدة، وهو ما عبّر به عن نفسه من تظاهرات واحتجاجات في شوارع سياتل وواشنطن ولندن التي شهدت اجتماعات الدورات الجديدة لاتفاقية منظمة التجارة العالمية، وغضب المزارعين والعمال في فرنسا وألمانيا وهولندا وإيطاليا، ولم يخطئ من شبّه ما حدث في سياتل وواشنطن بثورة الطلبة في باريس عام 1968 أو حركات الاحتجاج ضد الحرب الفيتنامية مع الفارق طبعًا.

لقد برزت في تلك الانتفاضات شعارات، مثل "تجارة عادلة بدلا من تجار حرة"، ومطالبة بإلغاء ديون بلدان العالم الثالث وفرض ضريبة على المضاربات المالية في البورصة، وإدانة لوحشية الرأسمالية إزاء العالم الثالث في مرحلة العولمة، وهجوم مباشر على منظمة التجارة العالمية والبنك وصندوق النقد الدوليين: هذا الثالوت المدمر للشعوب الفقيرة، والذي يدمر حتى المجتمعات الغنية بل الإنسان والبيئة كذلك. ومن ثم يجب ألا تقرأ تلك التظاهرات بأنها تعاطف مع العالم الفقير فقط، وإنما أيضًا باعتبارها التعبير عن القلق الذي ينتاب مجتمعات الشركات متعدية الحدود من مخاطر العولمة وما تحمله في حقبتها من ويلات للعالم بأسره.

تبقى نقطة أخرى في هذا المجال تتمثل بالخراب الذي قد يقع على بعض البلدان الرأسمالية المتطورة نتيجة التنافس الذي تقترحه العولمة. فالسوق الحرة لا تدمر الضعاف فقط، بل قد تدمر عددًا من الأقوياء في صراع القوة ضمن قانون الغاب المقترح في معاهدة منظمة التجارة العالمية؛ ليتحقق من خلال العولمة ما كان يحتاج

إلـى حـرب عالميـة اسـتعمارية ثالثـة لتحقيقـه، والـذي كانـت الحربـان الاسـتعماريتان العالميتـان الأولـى والثانيـة تسـتهدفان مثلـه مـن قبيـل إعـادة اقتسـام منـاطق النفـوذ والأسواق.

إلى هنا نكون قد تناولنا سمات العولمة في المجال الأكثر شهرة عند الحديث عنها، وهـو المتعلـق بالنظـام العـالمي الاقتصـادي، والـذي سـينجم عنـه المزيـد مـن الخـراب لاقتصاديات بلدان العالم الثالث، والمزيد من تخلفها في ميادين العلوم والتكنولوجيا، والمزيد من نهب ما تراكم من ثروات داخلها، وهو المصير الذي لن تجد بعض الدول المتقدمـة نفسـها فكاكًـا منـه، الأمـر الـذي سـيفاقم ظـواهر الفقـر والبطالـة والمـرض والجريمة واللجوء إلى العنف الداخلي حتى داخل البلدان التي تتبناها، ناهيك عما أخذ يلـوح فـي الأفـق مـن حـروب أهليـة أو حـروب بـين دول مجـاورة، وإثـارة الانقسـامات الداخلية على اختلافها.

العولمة وثقافة تحميها وتدشنها

كوكا كولا قهرت كل رموز الثقافة حتى ماء زمزم

المجـال الـذي كُتـب عنـه الكثيـر يتمثـل بمـا تحملـه العولمـة مـن ثقافـة تهـدد ثقافـات الشعوب الأخرى، وقد قيل: "من ضاعت ثقافته ضاعت هويته، أو ضاع استقلاله".

ما من نظام اقتصادي إلا ويجب أن يحمل ثقافة تدعمه وتعزِّزه، فهو لا يستطيع أن يعتمد على بندقية الشرطي الذي يحرسه فقط، ولا على النظام السياسي الذي يحميه فقط، وإنما يجب أن تعزَّز قيمه ومبادِئُه، وتصبح ذات شيوع وسطوة وقبول عام، وهنا تأتي الثقافة لتلعب دورها إلى جانب الشرطي والسياسي في تكريس النظام الاقتصادي المعنـي، وقـد راحـت تـزداد أهميـة التكنـوقراط والمثقفـين عـديمي الضـمير للتـرويج للبضـاعة الفكريـة، والثقافيـة، والسياسية للعولمـة مقابـل رواتـب سـخية أو "مسـاعدات" مالية هائلة لمراكز البحوث أو منظمات غير حكومية؛ ولهذا ضربت العولمة جذورها، وقـد راحـت تضـرب تلـك الجـذور فـي أجهـزة الإعـلام ومراكـز البحـث والدراسـات والمنظمـات غيـر الحكوميـة، وفـي الجامعـات، وفـي مجـالات المسـرح والإنتـاج السـينمائي، وبكـل مـا لـه صـلة بـالفكر أو بإعـادة صـياغة العقـل أو النشـاطات الاجتماعية.

وإذا كانت العولمة – اقتصاديًّا – امتدادًا للرأسمالية الاستعمارية العالمية ولرأسمالية الشركات متعدية الجنسية، فهي – ثقافيًّا – امتداد للثقافة التي صاحبت هذه المراحل، وإذا كانت العولمة تمثل مرحلة جديدة في الرأسمالية الإمبريالية العالمية، ويسمِّيها البعض ما بعد الإمبريالية، فإن الثقافة التي تنشرها وتنتشر معها وتُعقد لها السيادة على مستوى عالمي يجب أن تكون متناسبة مع المرحلة الجديدة؛ لتدافع عن سمات السيادة على مستوى عالمي يجب أن تكون مناسبة مع المرحلة الجديدة لتدافع عن سمات النظام العالمي الجديد الذي تحمله العولمة، بما في ذلك إيجاد المسوغات للحروب التي تشنها الولايات المتحدة، ولتؤيد انتهاك سيادة الدول والتدخل في شئونها الداخلية.

فهي من جهة بحاجة إلى أن تشيع ثقافة تنتقل بالثقافة الرأسمالية الغربية إلى الثقافة الرأسمالية العولمية المؤمركة. ، فالعولمة بقيادة الولايات المتحدة تتجِه إلى إخضاع البلدان الرأسمالية الأخرى لسيطرتهم بصورة أشد مما فعلت بعد الحرب الاستعمارية العالمية الثانية؛ ولهذا يشعر قادة غربيون أوروبيون كثيرون، وكذلك يابانيون، ومعهم فئات واسعة من المثقفين أن العولمة المؤمركة تهدِّد ثقافاتهم وهوياتهم، وكما قال الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتيران: إن من يفقد ثقافته وهويته يفقد سيادته أو استقلاله، أما السبيل إلى ذلك فيكمن في الاتجاه العولمي الأمريكي، كما تجلى في مفاوضات الجات، لمعاملة الثقافة ومؤسساتها كمعادلة السلع المادية من الكوكاكولا إلى السيارة إلى المنتجات الزراعية، وهذا ما أسماه البعض بتحويل الثقافة إلى سلعة، وبتحويل المؤسسات الثقافية (مثلاً مراكز الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والمسارح وسائر دور النشر) إلى البيع والشراء في السوق لكل من شاء، سواء أكان مواطنًا أم كان من رعايا بلد آخر، وهذا يعني رفع الحماية المحلية عنها لكي يسهل بيعها للمؤسسات المالية العالمية التي تضعها في خدمة العولمة المؤمركة، أو حتى تخرجها من السوق ليبقى الميدان خاليًا تمامًا لألاعيبها.

إذن نحن أمام إشاعة الثقافة العولمية ذات الطابع المؤمرك والمتجهة إلى إقصاء الثقافات الأخرى، وتذويب الهويات تحت شعارات مثل: "المواطنية العالمية"، و"القرية العالمية"، و"القيم الكونية"، وذلك ليس من خلال قيمتها الثقافية أو منافستها الثقافية،

وإنما من خلال قوتها المالية وقدرتها على التوزيع، وعلى إنتاج ثقافة الغرائز أو الثقافة المعلَّبة السطحية، كما على شراء ما في السوق أو إزاحته من المنافسة حين ترفع الحماية، ويصبح المعيار هو البقاء للأقوى والأغنى، ولمن يملك الطائرة، والدبَّابة، والصاروخ قبل كل شيء.

إذن نحن أمام خطر تحويل الثقافة نفسها ومؤسساتها إلى سلعة، أو كما يقول البعض "تسليعها"، فثقافة الجنس، والعنف، والإعلان، والتلاعب بالتاريخ، واللاقيمة، واللاأخلاقية واللامعنى، وثقافة تمجيد القوة والمصالح والسيطرة وازدواجية المعايير، وفي بلدنا على الخصوص ثقافة الصهينة هي التي يُراد لها أن تصبح ثقافة العالم وهوية الشعوب المختلفة.

ومن هنا فإن المعركة في المجال الثقافي سواء أكان من جانب العولمة وأبواقها أم من جانب معارضيها ستحتدم أكثر فأكثر مع تغلغل العولمة ومحاولتها السيطرة على المراكز الثقافية والإعلامية والتعليمية، ومن هنا نجد أولى طلائع هذه المعركة أخذت تبرز في مجال الهجمات الشعواء ضد الإسلام، وضد الهوية العربية، وضد شعارات الاستقلال، والتحرر، والوحدة، وضد كل القيم التي تحافظ على العائلة، والأخلاق، وتعارض دعوات الانحلال والتفسخ، فما معنى الصدق، وما معنى الاستقامة، وما معنى الكرامة أو الشرف، وما معنى الاستقلال والثوابت الوطنية، وما معنى الحفاظ على الخصوصية والهوية، وما معنى حقوقنا في فلسطين، وما معنى التضامن العربي أو الوحدة العربية؟ وما معنى الدين، وقيم الدين، وتعاليم الدين، وما معنى العائلة، والأخلاق، والالتزام، فكل ذلك بلا معنى، فهنالك فقط قانون المنافسة في السوق، قانون الغاب الذي يكرس مبدأ البقاء "للإصلاح" بمعنى الأقوى، وهنالك قانون المصلحة في أشد أشكالها فظاظة، مجردًا من أية مبادئ، فالكل "يسعى لمصلحته، وكل مصلحة مثل المصلحة الأخرى، الذئب يأكل الغنم وهذه مصلحته، وإذا كانت الغنم لا تستطيع أن تحافظ على مصلحتها فلتذهب إلى جوف الذئب".

إن الثقافة التي تحملها العولمة المؤمركة الآن قد أخذت تمتزج بصهينة، ضمن نسب أعلى بكثير مما كانت عليه الثقافة الإمبريالية قبل بضعة عقود من الزمن، وذلك بسبب تعاظم النفوذ الأمريكي الصهيوني داخل الإدارة الأمريكية والكونجرس

الأمريكي، وهو ما سيضاعف أكثر النفوذ الصهيوني في مجالات الإعلام والسينما والثقافة.

ويخطئ من يظن أن ثقافة العولمة ستكون ثقافة تُعلي حقوق الإنسان أو الديمقراطية والمبادئ الليبرالية؛ لأن الاتجاه الذي أخذ يقلق منه أشد القلق كثير من المثقفين في أوروبا والولايات المتحدة نفسها يتمثل بإضعاف قوة البرلمانات لحساب اتفاقات تقرر "عالميًّا"، وتفرض لتصبح القوانين المهيمنة على البلد المعني، وما على برلمان البلد المعني إلا الموافقة عليها كلية، أو رفضها كلية، إن اتفاقات منظمة التجارة العالمية والمنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية وافقت عليها جلّ البرلمانات دون حق إدخال أي تعديل عليها، وأصبحت ملزمة للمشرِّع المحلي. وهذا النهج أخذ يتوسع ليشمل الكثير من الاتفاقات والمعاهدات التي تتجه العولمة إلى فرضها على شعوب العالم.

إذن، فأسس المبادئ الديمقراطية التي قامت عليها الديمقراطيات الغربية أخذت تهتز أمام زحف العولمة. أما حقوق الإنسان فإن الولايات المتحدة التي تقود العولمة عاملتها دائمًا بازدواجية معايير، وسوف تعاملها بمثل هذا الازدواجية أكثر حين تتعرض العولمة إلى موجات الاحتجاج والمقاومة، خصوصًا مع ما تحمله من إشاعة للبطالة، والفقر، والجريمة، وضرب الصناعات المحلية، والهيمنة على اقتصاديات البلدان الأخرى، فالعولمة ستعطي، بالضرورة دورًا أكبر لأجهزة القمع في الولايات المتحدة نفسها كما في بقية بلدان العالم.

أية ديمقراطية وأي حق من حقوق الإنسان سيبقى إذا ألغيت قوانين العمل والحقوق المكتسبة للعمال، وأعيد النظر بالضرائب والجمارك بما يخدم الشركات متعدية الحدود؟ وأية ديمقراطية وأي حق من حقوق الإنسان سيبقى مع انتهاك سيادة الدول، وامتلاك حق التدخل، وإخضاع اقتصاديات العالم إلى قانون السوق الواحدة؟

وأية ديمقراطية وأي حق من حقوق الإنسان سيبقى إذا أصبحت الشركات متعدية الجنسية تمتلك أجهزة الإعلام على المستويين العالمي والمحلي، وتتحكم في الجامعات ومراكز البحوث، وفي المؤسسات الثقافية، وفي أغلب المنظمات غير الحكومية، وبالسوق عمومًا، ومن ثَم التمكن من شراء ذمم أعداد متزايدة من المثقفين والنخب والتكنوقراط، وذلك حين تصبح هذه الشركات المصدر الرئيسي للتشغيل،

والشهرة، وتأمين الرفاهة لجحافل من المثقفين، ولمن سيتساقطون في الطريق، وكانوا في الأمس لا يبيعون أنفسهم ولا يخدعونها، ولا يسوغون ذلك بالاضطرار أمام صعوبة العيش وتأمين مستقبل الأطفال؟ فما معنى الديمقراطية إن لم تكن هنالك معارضة لا تُشترى، أو كانت هنالك معارضة، ولكن محرومة من كل وسائل الإعلام والتعبير؛ بسبب السيطرة الهائلة التي تمارسها الشركات الديناصورية متعدية الجنسية، ومن هنا يروق لكثيرين ممن يوافقون من حيث المبدأ أو من طرف اللسان على نقد العولمة، ولكن يقولون بأنها تشق طريقها لا محالة، ولا مجال لمقاومتها، أو لإيجاد بديل لها غير "التكيف".

ويحمل التكيف هنا معان كثيرة، ويمكن أن يذهب بصاحبه إلى آخر الشوط.

على أن السمة التي هي الأهم بين سمات العولمة، والتي تشكِّل القاعدة التي يقوم عليها البناء الاقتصادي والبناء الثقافي للعولمة، إنما هي المتعلقة بميزان القوى العسكري العالمي وميزان القوى السياسية العالمي.

العولمة تتأسس على ميزان القوى العسكرية

القهر العسكري كفل حماية القهر الاقتصادي

هنالك رأي قديم أصبح اليوم أكثر قوة يعتبر أن التطور الاقتصادي هو الذي قرَّر النظام العالمي أو النظام السياسي في هذا البلد أو ذاك، والبعض يسمِّيه قانون المصلحة الاقتصادية؛ ولهذا هنالك من يركِّزون على الثورات التي حدثت في السنوات العشرين الأخيرة في مجالات الاتصالات المعلوماتية والتقنيات، باعتبارها السبب الرئيس أو الأول الذي دفع إلى تشكل نظام العولمة أو حوَّل عالمنا إلى "قرية صغيرة"، وهنالك من يعتبرون أن القوة الاقتصادية لكل دولة هي التي تحدد موقعها في عالم العولمة الآتي.

ولكن لو أمعنَّا النظر في السنوات العشر الأخيرة سنجد أن ما حدث من تغير في ميزان القوى العالمي جاء بعد تفكك المعسكر الاشتراكي وانهيار الاتحاد السوفييتي، وبروز الولايات المتحدة الدولة الأقوى في ذلك الميزان، وهو ما استتبعه تلويحها بإقامة نظام عالمي جديد أحادي القطبية، يتحكم بدول العالم قاطبة، وهو الذي سيضع الأنظمة الحاكمة لتفاعلات هذه الدول ويحدِّد مصائرها، وقد رافق عملية

انتهاء الحرب الباردة استعراض القوة الذي استخدمته الولايات المتحدة ضد العراق في حرب الخليج، الثانية ثم حرب إقليم كوسوفا، فضلاً عن سلسلة من استعراض للعضلات بأشكال متعدية في مناطق متعدية؛ من أجل تكريس نظرية القطب الواحد في المجالين العسكري والسياسي.

لنتذكر جيدًا أنه ما من نظام اقتصادي عالمي أو محلي يمكن أن يعمل يومًا واحدًا إذا لم يكن هنالك قوة عسكرية تحميه وقوة سياسية تقوده، أو على الأقل تدعمه وتعطيه الشرعية.

ولهذا فإن النظرية التي نطرحها هنا تقول بأولوية ما يحدث من تغيير في ميزان القوى العسكرية والسياسية، على ما حدث من تغييرات على المستوى التكنولوجي والمعلوماتي والاتصالاتي في عملية أو مشروع تشكل العولمة، بما في ذلك جانبها الاقتصادي نفسه.

بل إن إطلاق ثورات الاتصالات والمعلوماتية والتكنولوجية في السنوات الأخيرة كان بسبب التطور الذي حدث في ميزان القوى العسكري والسياسي، فكل من لا يعرف عليه أن يعرف أن أهم الاكتشافات التكنولوجية، والمعلوماتية، والاتصالية ولدت وترعرت في أحضان المؤسسة العسكرية، أو كانت تحت مراقبتها، وبرهن إشارتها لعشر أو عشرين سنة سابقة قبل السماح بإنزالها إلى السوق التجاري المدني، بل إن ما بأيدينا الآن متخلف خمس أو عشر سنوات عما هو في أيدي المؤسسة العسكرية الأمريكية، فقد كان الأمر كذلك دائمًا في مرحلة الحرب الباردة وعلى ضفتيها وقبلها، وسيظل كذلك إلى أن يحسم الصراع الدولي، أو بالأحرى يتلاشى، وهو الأمر الذي من الصعب تصوره في الأمد المنظور.

المهم أن تسليط الأضواء على ما يحدث في المجال المعلوماتي والتكنولوجي أو ما يحدث في المجال الاقتصادي في فهم العولمة يظل قاصرًا وسطحيًّا ما لم تسلط الأضواء على حالة ميزاني القوى العسكري والسياسي باعتبارهما الأساس في المشروع العولمي الراهن، وباعتبارهما الأساس في تقرير مستقبل العولمة، وفي تحديد الأشكال والسمات التي ستأخذها في قابل السنوات القريبة، بما في ذلك الانتقال إلى

مرحلة مختلفة في العلاقات الدولية، من حيث النظام الاقتصادي أو موازين القوى العسكرية والسياسية العالمية.

إن من تابع نقاشات "اتفاقية الجات"، ثم منظمة التجارة العالمية، ثم مختلف المعاهدات التي أخذت تطرح خلال السنوات العشر الماضية، سيجد أن الدول هي التي تدير تلك النقاشات، وأن الولايات المتحدة قد وضعت ثقلها العسكري والسياسي، وثقلها في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي للوصول إلى اتفاقية منظمة التجارة العالمية والمعاهدات الأخرى، وإذا كان هنالك ما يعتبر قيد الإنجاز أو قيد المراجعة والتغيير، فيرجع إلى ما نشأ مؤخرًا من ميزان قوى سياسي لم يَعُد يسمح للولايات المتحدة أن تتصرف كما كانت تفعل قبل بضع سنوات، وهو الذي يفسِّر فشل مؤتمر وزراء منظمة التجارة العالمية في سياتل، وما واجه منتدى دافوس في سويسرا أو مؤتمر الأنكتاد في تايلاند، وما تبع وسيتبع ذلك من مؤتمرات؛ بسبب ما نشأ من صراعات بين الدول، ويجب أن نضيف هنا تعاظم أهمية الدور الشعبي العالمي في الاحتجاج على الثالوث (النكد) الذي يتشكل من: منظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وهو الذي راح يدفع القيادة الأمريكية وبلسان كلينتون رئيس الجمهورية الأمريكية، وعدد من قادة الدول بما في ذلك قادة الثالوث المذكور، إلى الانحناء أمام العواصف التي راحت تهب ضد العولمة، وإن كان الانحناء لامتصاص النقمة وليس تراجعًا عن المضي بها حتى النهاية، الأمر الذي سيجعل السنوات القادمة حُبلى بالصراعات فيما بين الدول الكبرى، كما فيما بين الولايات المتحدة وشعوب العالم بما في ذلك فئات من شعبها، كما فيما بين الثالوث المذكور وغالبية الدول التي فرض عليها الدخول في منظمة التجارة العالمية أو خضعت – قسرًا – لتعليمات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

بكلمات أخرى يجب ألا تُفهم العولمة بأنها ولادة طبيعية لتطور العلوم أو لثورات التكنولوجيا أو لتشكل الشركات متعدية الحدود، بالرغم من أن هذه جميعًا تشكل أركانًا من أركانها، وإنما هي في الأساس نتاج ميزان قوى عالمي تشكَّل بعد انتهاء الحرب الباردة متمثلاً بمحاولة الولايات المتحدة فرض نظام القطب الواحد على العالم، وهو ما يسمح بدورة جديدة من النهب العالمي. وهذا النهب هو ما سمح

للاقتصاد الأمريكي أن يتعافى – ولو مؤقتًا – من الأزمة التي كانت تطحنه أواخر الثمانينيات، سواء أكانت ذلك بسبب الديون الخيالية الداخلية والخارجية أم كان بسبب المنافسة الاقتصادية اليابانية والألمانية، فحرب الخليج والانتقال إلى القطبية الأحادية، ثم حرب كوسوفا نقلت الاقتصاد الأمريكي إلى مرحلة النمو والازدهار، ولا ننسى هنا مئات البلايين التي نُهِبت جهارًا نهارًا من دول الخليج، ولا ننسى الضغوط التي مورست ضد الاقتصادين الياباني والألماني خلال هذه الفترة، ولعل ما أحدثته حرب كوسوفا بالنسبة إلى "اليورو" لشاهد بليغ على ما تقدم.
إذا كنا نريد قراءة مستقبل العولمة في المدى القريب، وإذا كان الموضوع آنف الذكر حول أولوية ميزان القوى العسكري والسياسي صحيح، فإن قراءة مستقبل العولمة في المدى القريب والمتوسط والبعيد سيتوقف على قراءتنا لتطورات ميزان القوى العسكري والسياسي حاليًا ومستقبلاً.

وعلى الرغم من التغيير الذي حدث في ميزان القوى العسكري والسياسي بعد حرب الخليج الثانية، وانهيار الاتحاد السوفييتي، وخروج الولايات المتحدة قوة كبرى متفوقة تحاول أن تقيم نظامًا عالميًّا جديدًا على أساس القطبية الأحادية. فقد واجهت الولايات المتحدة خلال الخمس سنوات الماضية ألوانًا من المقاومة والمعارضة من الدول الكبرى الأخرى، وما زالت سواء أكان من روسيا على المستويين العسكري والسياسي، أم من أوروبا، واليابان، والصين، على المستويين الاقتصادي والسياسي. كما واجهت معارضة راحت تتصاعد من قبل دول العالم الثالث. وكان الموقف من قضية العولمة التي تريدها الولايات المتحدة واحدًا من نقاط الخلاف، وما جرى في المؤتمر الوزاري لمنظمة التجارة العالمية في سياتل، وفي قمة مجموعة الـ77 في هافانا، وفي قمة المجموعة الـ 15 في القاهرة، إلى جانب تصريحات أوروبية، خصوصًا فرنسية وأخرى روسية وصينية؛ لتصحيح أو تعديل شروط العولمة، إلا دليل على تعمق الخلافات مع الولايات المتحدة. كما يشكِّل ذلك دليلاً أيضًا على أن الولايات المتحدة ما زالت بعيدة عن إمكانية التفرد والانفراد في تقرير كل شيء، وهذا ما جعل العولمة لا تزال في مرحلة انتقالية وعرضها لعدد من الصدمات، وربما

النكسات، ومن ثَم ضرورة إحداث التعديلات الضرورية عليها، والأهم أن بريقها قد خبا، وراحت سلبياتها تتضح أكثر فأكثر.

يمكن القول: إن العالم يعيش الآن في مرحلة صراع بين اتجاهين رئيسين: اتجاه يريد إقامة نظام القطب الواحد، واتجاه ثانٍ يسعى إلى نظام متعدد القطبية. وبالرغم من الفروق القائمة بين القوة الأمريكية من جهة، وكل قوى أخرى على حدة، فإن تجمع القوى بشكل موضوعي يفرض تضييق تلك الفروق بالضرورة، ولا يترك يد الولايات المتحدة تتحرك بلا حسيب أو رقيب، ومن ثَم يجعل العولمة حالة تحت (التعديل) إن لم يُدخلها في طريق مسدود في حالة نشوء ميزان قوى عسكري وسياسي يختلف عما هو قائم الآن، فالأوضاع العالمية حبلى بالتطورات والمتغيرات في الاتجاهين كما يُقال.

إذا لم تستطع الولايات المتحدة أن تبني الغطاء الصاروخي المضاد للصواريخ، فإن كل ما يقال عن تفردها وتحكمها سيظلُّ عرضة للانتكاسة والأزمة؛ ولهذا راح الروس والصينيون يعارضون بشدَّة مخططات التصعيد العسكري الذي طرحته إدارة كلينتون مجددًا لتطوير الغطاء أو الجدار الصاروخي، كما أظهر الأوروبيون انزعاجًا شديدًا من هذا المشروع. لاحظوا أين تدور المعركة الحقيقة للعولمة الآن؟ إن من لا يدرك خطورة أن تمتلك أو لا تمتلك، الولايات المتحدة هذا الغطاء لا يستطيع أن يتحدث في السياسية أو الاقتصاد.

بكلمة أخرى إن المعركة حول العولمة بطبعتها الأمريكية أو بطبعتها المعدلة تدور أساسًا في المجال العسكري والسياسي (السياسي أخذ يتعاظم دوره)؛ لأن حسم الموضوع هنا هو الذي يقرر مصير النظام الاقتصادي العالمي في الوقت نفسه.

ومن هنا يجب أن نرى جوهر العنف السافر وراء العولمة المؤمركة ومشروعها منذ عشر سنوات، وكذلك مشروعها المستقبلي. كما يجب أن نرى معادلة ميزان القوى العسكري وميزان القوى السياسي في فهم العملية العالمية المعقدة الجارية الآن في محاولة الانتقال إلى العولمة بمفهومها الأمريكي أو بمفهومها "المعدل" أو توقع الأزمات والصراعات الحادة.

نحو برنامج لمواجهة العولمة

البرنامج لابد وأن يكون شاملا

أ – الاهتمام بالبعدين السياسي والعسكري:

يجب الاعتراف بأن العولمة نظام راح يُفرض بالقوة وممارسة الضغوط المختلفة، سواء مباشرة من جانب الإدارة الأمريكية، أم من خلال البنك وصندوق النقد الدوليين، وليس نظامًا راحت تفرضه التطورات الاقتصادية أو الثورات العلمية والتقنية والمعلوماتية بطريقة الانسياب السهل.

وهي ليست نظامًا "ديمقراطيًا عالميًا" تقرره أغلبية الدول، أو يترك لها الخيار بشأنه.

فعلى سبيل المثال إن الذين يؤكدون أن الانغلاق في وجه العولمة يؤدي إلى التهميش لا يلحظون أنهم يلوحون بالتهديد ويجعلون دخول العولمة عملية قسرية بالضرورة، ولا يلحظون أن الأسباب والعوامل التي تجعل عدم الدخول في العولمة تؤدي إلى التهميش ستظل فاعلة بعد دخول العولمة: أي ستبقى فاعلة في إعادة صياغة بلدك ضمن ما تريده العولمة الأمريكية منك.

أما الذين يلطفون هذه العملية بالحديث عن التكيف الإيجابي، ويجعلون الكرة في "ملعبك"، ويقولون: انزل إلى الميدان، وستحصل على مكاسب بمقدار اجتهادك، فإنهم بضربة واحدة يحولونك إلى قوة فاعلة وهمية قادرة – بنظرهم – على تجاوز الضغوط التي كانت قبل حين أمرًا لا يقاوم.

صحيح أن هنالك اقتراحًا قويًا بخصوص التفاعل الإيجابي مع العولمة أو التكيف الإيجابي، وهو التأكيد على السوق العربية المشتركة، ومن ثم مواجهة العولمة وضغوطها من خلال هذه السوق، وهو اقتراح يجب أن نتمسك به ونضغط باتجاهه، ولكن يجب أن ندرك محدودية إمكانات تنفيذه وعلى التحديد؛ بسبب موازين القوى العسكرية والسياسية التي قامت العولمة على قواعدها، وبسبب الأسباب والعوامل التي فرضت علينا الدخول في العولمة؛ لأن إمكان تحقيق السوق العربية المشتركة عليه أن يواجه ضغوط الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، سواء أكان كل دولة منفردة أم مجتمعة.

من هنا ليس من الممكن مواجهة العولمة أو التكيف مع العولمة أو المراهنة عليها أن يتحقق في الميدان الاقتصادي البحت ما لم ينظر إلى العولمة في بعدها العسكري .

السياسي؛ ذلك لأن أي تكيف معها أو مواجهة أو مراهنة في بُعدها الاقتصادي فقط سيدخل بنا في الدائرة المفرغة وينتهي إلى الفشل الذريع.

يمكن القول بأن ما فعلته تظاهرات سياتل وواشنطن أو الاحتجاجات التي اندلعت في عدد من العواصم العالمية تؤشر إلى شكل هام وأساسي من أشكال مقاومة العولمة ومحاولات فرض التعديلات والتنازلات عليها، إن لم يكن إعادة النظر فيها من حيث الأساس، أما تركها تفعل ما تريد دون فضحها سياسيًا وثقافيًا وفكريًا ودون شن النضال الشعبي ضدها، فلن يساعد على وقف وحشية الشركات متعدية الجنسية متعدية الحدود ونهمها غير المحدود للأرباح وامتصاص الدماء.

إن الدفاع عن الإنسان والبيئة، وعن احترام إرادة الشعوب المهددة، وعن الديمقراطية والثقافة التي يراد تحويلها إلى سلعة، وعن القيم والمبادئ، وعن مراعاة مصالح الأمم وحقوقها والعدالة العالمية، كل هذه تدخل ضمن العمل السياسي الذي يجب أن تواجه به العولمة.

أما على مستوى الدول، وهي منخرطة في منظمة التجارة العالمية، وهي تحاول "التكيف"، فيجب أن تشكل جبهات ضغط لإحداث التغييرات الضرورية في اتفاقية منظمة التجارة العالمية، وفي اتفاقية حقوق الملكية الفكرية وفي سائر الاتفاقات المشابهة، الأمر الذي يتطلب استعادة دور مجموعة الـ 77، وتشجيع مجموعة الـ 15 وحركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية، والمجالس الإقليمية، على ممارسة الضغوط السياسية والمعنوية والأدبية لكبح جماح العولمة بطبعتها الأمريكية.

وهذا كله يحمل مفهومًا غير مفهوم، هو مفهوم "التكيف الإيجابي" المدعو لأخذ مكان في المنافسة الاقتصادية. فإذا كان من الصعب رفض هذا المفهوم الشائع، أو إقناع الكثيرين بعبثيته فإن من الضروري مجابهته بما يحمله من أوهام، وانعدام واقعية، وتخدير للأوجاع، وخداع للنفس؛ لأنه انخراط في منافسة غير متكافئة من كل الأوجه، ولأن الدخول في قوانينها بمثابة الدخول للعبة عمياء يحدد قواعدها الآخر صاحب المصلحة المادية المستبدة، ويتحكم فيها بما في ذلك من تكبيل ليديك

وقدميك لن يوصل إلى تحقيق الحد الأدنى من التنمية أو التطور، بل في الأغلب سيزيد التدهور الاقتصادي والاجتماعي والتبعية السياسية.

ب – مراقبة الصعيد الاقتصادي:

إن العلة الأساسية في عدم نجاح التنمية منذ خمسين عامًا تكمن في النظام الدولي الاقتصادي الظالم، الذي أقام الهوة الكبيرة بين أسعار التكنولوجيا والسلع المصنعة من جهة، والمواد الخام والمنتجات الزراعية من جهة أخرى. هذا فضلاً عن النظام السياسي الدولي الظالم الذي يسمح بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول وبالعدوان لمن هو قادر عليه. ولهذا، فإن مشكلات الفقر والتخلف الاقتصادي لا تحلها العولمة، وإنما تبدأ المعالجة بإحداث التغييرات الضرورية في النظام العالمي السائد عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا وإعلاميًا وثقافيًا.

فالمطلوب تضامن عالمي واسع النطاق لإقامة عالمية سياسية واقتصادية أكثر عدالة بديلاً للعولمة الأمريكية التي ورثت كل سيئات العالمية الإمبريالية السابقة، وأضافت إليها وحشية رأسمالية القرن التاسع عشر.

والمطلوب عند التركيز على إقامة السوق العربية المشتركة أن يركز على التضامن العربي والبعد السياسي للعلاقات العربية . العربية والخروج من التبعية، وإلا بقي مشروع السوق المشتركة بلا ظهير ولا سند.

جـ – البعدين: الثقافي والسياسي:

ثم يجب أن يعالج البعد الثقافي في العولمة وما يشكله من تهديد لهويتنا الثقافية، أو للبعد الإعلامي وما يشكله من خطر على شراء إعلامنا المحلي في قابل الأيام، حين يُفرض على الإعلام أن يخصخص بكل فروعه، ويصبح سلعة معروضة للشركات الخارجية، أو حين تفتح حدود البلاد لمن شاء من مؤسسات الإعلام العالمية، وهو ما سينطبق على مؤسسات التعليم والثقافة ومراكز البحوث والجامعات والمنظمات غير الحكومية كذلك.

د – مواجهة العولمة في بعدها الصهيوني:

وأخيرًا يجب التنبه بصورة خاصة إلى الجوانب المتعلقة بعلاقة العولمة بالمشروع الصهيوني في بلادنا العربية.

فنحن نجد هنا توءمة بين العولمة المؤمركة، والمشروع الصهيوني، وهو أمر يظهر العلاقة العضوية بين العولمة في جانبيها الاقتصادي والتقني، والعولمة في بعدها العسكري والسياسي، واعتبار الثاني الأساس الذي تقوم عليه.

ومن هنا، فإن كل ما أشير إليه من إشكالات حول العولمة عمومًا، سواء أكان في أبعادها الاقتصادية أم أبعادها العسكرية والسياسية أم الاجتماعية والثقافية يجد ترجمة له هنا ضمن خصوصية العلاقة بينها وبين المشروع الصهيوني في المنطقة العربية، الأمر الذي سيعطي خصوصية مقابلة للصراع أو المواجهة أو "التكيف" بيننا وبين العولمة؛ إذ يدخل العنصر الصهيوني هنا سمة عضوية فيها قبولاً ورفضًا، تكيفًا أو مواجهة سياسية، الأمر الذي سيخلق بدوره صعوبات إضافية أشد أمام إقامة التضامن العربي والسوق العربية المشتركة باعتبارهما من وسائل مواجهة العولمة، والخروج من عبثية أي معالجة قطرية منفردة في التعامل وإياها.

فالولايات المتحدة والدولة العبرية ستجعلان الحيلولة دون إقامة سوق عربية مشتركة معركتها الكبرى، هذا مع ضرورة تولية عناية خاصة لمحاولات إثارة الانقسامات الداخلية حيثما كان هنالك اختراق يمكن إحداثه، الأمر الذي يتهدد أكثر من دولة قطرية عربية بمخاطر الحرب الأهلية أو الانقسامات التي تؤدي إلى المزيد من التفتيت.

=============

#العولمة من منظور إسلامي

د. محسن عبد الحميد

أستاذ التربية بجامعة بغداد – كاتب ومفكر إسلامي

...

2001/7/22

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: إن العولمة أداة لهيمنة دول الشمال على دول الجنوب، وبخاصة الدول الإسلامية، وإنها توجه كل اهتمامها لمحاربة الإسلام ليس كعقيدة فقط، بل كدول واقتصاديات وقيم.

وإذا كان هنتنجتون صاحب مشروع صدام الحضارات قد أكد على أن الحرب القادمة ستكون بين الغرب من ناحية والإسلام والكونفوشيوسية من ناحية ثانية، فإن د. محسن ينضم إلى المفكرين الذين يؤكدون على أن الطابع المادي للديانات الشرقية غير الإسلامية والمتمثل في تشخيص الدين (بوذا وكونفوشيوس وتماثيلهما) وتمثيل رموزه بالحياة الحيوانية.. سيؤدي إلى سرعة تحول هذه الحضارات نحو الرؤى المادية الغربية، على نحو ما حدث بالفعل في اليابان الذي سقط في الفلسفة الليبرالية متمردا على خلفيته الكونفوشيوسية، ليبقى الإسلام وحيداً في ساحة المواجهة.

كيف تحارب العولمة العالم الإسلامي اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً؟ وكيف يتسنى للإسلام مقاومة تسلطها من خلال الفكر الاقتصادي والاجتماعي والتربوي؟ هذه الأسئلة تجيب عنها الصفحات التالية.

===============

#العالمية والعولمة: تعريف وتمييز

الفقر

هنالك فرق كبير بين المصطلحين العالمية والعولمة. فالمصطلح الأول يعني أن أبناء هذا العالم بمختلف قبائله وشعوبه ولغاته وملله ونحله، يعيشون على هذه الأرض، فلا بد أن يتفاهموا فيما بينهم، تمهيداً للتعاون الدائم على خير الجميع، ولا مانع من أن يأخذ بعضهم من بعض. ولا يجوز أن يفرض بعضهم على بعض لغته أو دينه أو مبادئه أو موازينه. فالاختلاف في هذا الإطار طبيعي جداً، والتعاون ضروري أبداً، لمنع الصدام والحروب والعدوان.

وهذه العملية العالمية قد تُسمى بالتثاقف الحضاري بين الشعوب والأمم، وهي واقع البشرية منذ أقدم العصور إلى اليوم، فاللغات تلاحقت والمجتمعات تعاونت والحضارات عبرت من مكان إلى مكان.

والحروب والمظالم التي قامت ويمكن أن تقوم بين أبناء البشرية، تستنكرها العقول السليمة، ومبادئ الأديان الحقة، والمصالح المشتركة. لأن سعادة البشرية مطلوبة لذاتها، والتعاون فيما بينها على الخير من أعظم الفضائل التي تقرها وتشجع عليها القيم الفاضلة، التي أجمع عليها البشر في هذه الحياة.

وأوضح مثال على ذلك الإسلام، فعندما جاء خاتمًا للأديان وهداية للعالمين، دعا الناس إلى عقيدته وشريعته وقيمه الأخلاقية، من خلال الدعوة الوادعة، والجدال الحسن، دون إكراه لأحد، ومعترفًا بواقع الخلاف الموجود في الأرض، منطلقًا من القرآن الذي يقول: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (1) وقوله تعالى: { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ} (2). وقوله: { وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ} (3)، وقوله: { لاَ يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (4).

وقد بُنيت هذه التوجيهات الربانية على قوله تعالى: { الحمد لله رب العالمين} ولم يقل ربّ المسلمين فحسب. لماذا ؟ لأن هذه الدار دار عمل للجميع وليست دار جزاء، وإنما الجزاء يكون في الآخرة. قال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ} (5).

وهذا تاريخ البشرية عامة، وتاريخ الإسلام خاصة، لم يرد فيه دليل على أن المسلمين رسموا للبشرية طريقًا واحدًا ووجهة واحدة وحكمًا واحدًا ونظامًا واحدًا وعالمًا واحدًا بقيادة واحدة بالإجبار والإكراه.

بل اعترفوا كما ذكرنا بواقع الأديان واللغات والقوميات، عاملوها معاملة كريمة، بلا خداع ولا سفه ولا طعن من الخلف؛ ولذلك عاش في المجتمع الإسلامي اليهودي والنصراني والصابئي والمجوسي وسائر أهل الشرك بأمان واطمئنان(6).

وأما الأمم التي كانت تعيش خارج العالم الإسلامي، فقد عقدت الدولة الإسلامية معها مواثيق ومعاهدات في قضايا الحياة المتنوعة. ومن الممكن مراجعة ذلك في الكتب التي تتحدث عن العلاقات الدولية في التشريع الإسلامي(7).

والتوجيه الأساس في بناء العلاقات الدولية في الإسلام قوله تعالى { يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (8).

أما العولمة التي هي الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية Globalization فهي مصطلح يعني جعل العالم عالمًا واحدًا، موجهًا توجيهًا واحدًا في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبة(9).

يقول الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي عن العولمة: "نظام يُمكّن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق"(10).

ويثبت هانس بيترمارتن وهارالد شومان، صاحبا كتاب فخ العولمة أن العولمة هي عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد في التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد(11).

ويقول جيمس روزانو، أحد علماء السياسة الأمريكيين عن العولمة: "إنها العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيديولوجيا، وتشمل: إعادة الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود، وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة"(12).

ويقول أحد الكتاب الفرنسيين عن النظام الرأسمالي الأمريكي: فكلما ازداد هذا النظام الرأسمالي الجشع إمعانًا وانتشارًا بالعو لمة، ازدادت الانتفاضات والحروب العرقية والقبلية والعنصرية والدينية للتفتيش عن الهوية القومية في المستقبل. وكلما تَفَشَّت المعلوماتية والأجهزة التلفزيونية والسلكية واللاسلكية، تكبلت الأيدي بقيود العبودية، وازدادت مظاهر الوحدة والانعزال والخوف والهلع دون عائلة ولا قبيلة ولا وطن. وكلما ازداد معدل الحياة سوف تزداد وسائل القتل، وكلما ازدادت وسائل الرفاهية سوف تزداد أكثر فأكثر جرائم البربرية والعبودية(13).

وإذا رجعنا فألقينا نظرة على دراسات المفكرين العرب عن العولمة نجد أنهم جميعًا يعرفون العولمة في إطار المقولات الآتية التي تلتقي على بيان حقيقة واحدة.

يقول الدكتور حسن حنفي: "العولمة لصالح الآخر على حساب الأنا (أي الذات) وقوة الآخر في مقابل ضعف الأنا وتوحيد الآخر في مقابل تفتيت الأنا"(14).

ويقول: "هي حضارة المركز (أي حضارة الدول الغربية التي لقوتها تقع في مركز

العالم وبقية الدول هوامش تابعة) وتبعية الآخر (أي الدول غير الغربية غير الصناعية التي يصطلح على تسميتها دول الجنوب)، وهي مركزية دفينة في الوعي الأوربي تقدم على عنصرية عرقية، وعلى الرغبة في الهيمنة والسيطرة"(15).

ويقول الدكتور سيار الجميل: إنها عملية اختراق كبرى للإنسان وتفكيره، وللذهنيات وتراكيبها، وللمجتمعات وأنساقها، وللدول وكياناتها، وللجغرافيا ومجالاتها، وللاقتصاديات وحركاتها، وللثقافات وهوياتها، وللإعلاميات وتداعياتها(16).

ويشبه الدكتور نجيب غزاوي إمبراطورية العولمة بالإمبراطوريات التي سادت في العصر الأخير فيقول: الإمبراطورية التي عمدت على فرض مبادئها ونظمها في الحكم وأنماط حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية بالقوة وكذلك حال الإمبراطوريات الحديثة، مثل: بريطانيا في مستعمراتها ثم في الكومنولث، وفرنسا في مستعمراتها ثم الفرانكفونية. وفي نهاية الحرب العالمية الثانية برزت عولمة الشيوعية متمثلة بالاتحاد السوفيتي وعولمته(17).

وأما الدكتور مصطفى محمود فيقول: "العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلاّ خادم للقوى الكبرى(18).

والعولمة عند الدكتور محمد عابد الجابري تستهدف ثلاثة كيانات، الدولة والأمة والوطن، ويسميها أيضاً بثقافة الاختراق، اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها ودولها وأوطانها وأديانها(19).

وتنتهي الدكتورة نعيمة شومان إلى أنه في ظل العولمة "تسلم البلاد الفقيرة لا إلى فقدان الاستقلال السياسي وإنما إلى العبودية، فكأن البلدان مدينة وكافة البلدان متوقفة عن تسديد الديون ولا تملك الخيار أو الرفض للمشاريع المعروضة عليها(20).

ويُجمع أطراف الندوة التي كانت بعنوان: طوفان العولمة واقتصادياتنا المسلمة والتي نشرت في مجلة البيان على هذه المعاني التي مرت والخطورة الكبيرة للعولمة على اقتصاديات العالم الإسلامي خاصة(21).

وأخيرًا يعرف محمد فهيم يوسف العولمة بأنها "الغرض الانفرادي لفهم يستند إلى مرجعية تخص حضارة معينة، باعتباره المفهوم الأسمى لحقوق الإنسان الذي ينبغي أن يسود العالم"(22).

لقد سقت آراء مفكرين، غربيين وعربًا درسوا العولمة دراسة علمية شاملة، من أجل أن أقول للقارئ بأن قضية العولمة ليست مسألة آراء فردية مناهضة، وإنما اتفاق الرأي العام العلمي المنصف على حقيقة العولمة وآفاقها، لظهورها ووضوحها ونتائجها التي شملت الكرة الأرضية، من دون أن يكون هنالك أدنى شك في المقولات المقررة حول حقيقة العولمة وطبيعتها المستغِلة المهيمنة. والدليل على ذلك النتائج الرهيبة التي بدأت تظهر في العالم أجمع والتي يجمع عليها الباحثون أيضًا. ومن هذه النتائج:

أولاً: لقد قضى حوار الشمال والجنوب نحبه، كما قضى نحبه صراع الشرق والغرب. فقد أسلمت فكرة التطور الاقتصادي الروح، فلم تعد هنالك لغة مشتركة، بل لم يعد هناك قاموس مشترك لتسمية المشكلات. فالمصطلحات من قبيل الجنوب والشمال والعالم الثالث والتحرر لم يبق لها معنى(23).

ثانياً: من وجهة مُنظري العولمة: إن المجتمعات العاجزة عن إنتاج غذائها أو شرائها بعائد صادراتها الصناعية مثلاً، لا تستحق البقاء وهي عبء على البشرية أو على الاقتصاد العالمي يمكن أن يعرقل نموها الذي يحكمه قانون البقاء للأصلح. ولذلك يجب إسقاطها من الحساب. ولا ضرورة بالتالي لوقوف حروبها الأهلية أو مساعدتها أو نجدتها(24).

ثالثاً: عاد الاستعمار الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي من جديد في صورة العولمة بالاقتصاد الحر واتفاقية الجات والمنافسة والربح، والعالم قرية واحدة، والتبعية السياسية، وتجاوز الدولة القومية، ونشر القيم الاستهلاكية، مع الجنس والعنف والجريمة المنظمة(25).

رابعاً: غدا العالم الذي خضع للعولمة، بدون دولة، بدون أمة، بدون وطن، لأنه حوّل هذا العالم إلى عالم المؤسسات والشبكات، وعالم الفاعلين والمسيرين، وعالم آخر، هم المستهلكون للمأكولات والمعلبات والمشروبات والصور والمعلومات والحركات والسكنات التي تفرض عليهم. أما وطنهم فهو السيبرسبيس: أي الواقع الافتراضي

الذي نشأ في رحاب الإنترنت وسائر وسائل الاتصال، ويحتوي الاقتصاد والسياسة والثقافة(26).

ودراسة كتاب: فخ العولمة تثبت النتائج الآتية:

1.
زيادة البطالة.

2.
انخفاض الأجور.

3.
تدهور مستوى المعيشة.

4.
تقلص الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة.

5.
إطلاق آليات السوق.

6.
ابتعاد الحكومات عن التدخل في النشاط الاقتصادي وقصر دورها في حراسة النظام.

7.
تفاقم التفاوت في توزيع الثروة بين المواطنين.

يقول رئيس وزراء ماليزيا: مهاتير محمد الذي عانت بلاده من آثار العولمة في السنوات الأخيرة: "إن العالم المعولم لن يكون أكثر عدلاً ومساواة، وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة. وكما أدى انهيار الحرب الباردة إلى موت وتدمير كثير من الناس، فإن العولمة يمكن أن تفعل الشيء نفسه، ربما أكثر من ذلك، في عالم معولم سيصبح بإمكان الدول الغنية المهيمنة فرض إرادتها على الباقين الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل أولئك الأغنياء"(27).

وقد تسأل قارئي الكريم عن مدى علمية وموضوعية الذين كتبوا في العولمة، سواء أكانوا أجانب أم عربًا؟

ويجيبنا على ذلك الدكتور نجيب غزاوي فيقول: "إن آراء دعاة العولمة فيها الكثير من التقريرية والتعميم والاستعجال والبعد عن الروح العلمية. أما آراء خصوم العولمة فيغلب عليها الطابع العلمي الموضوعي، فهي تستقرئ ملامح العولمة في مختلف مجالات الحياة وترصدها وتحللها إلى ما فيها من خطر على الهوية والكيان والسلاح والأمن العالميين(28).

تابع معنا بقية محاور المقال:

*

مقدمة

*

جذور العولمة

*

تفاصيل فلسفة العولمة ونتائجها

*

معارضة العولمة

*

الفكر الإسلامي في مواجهة العولمة

*

نحو ميثاق إسلامي لمواجهة العولمة

عودة

(1) المائدة: 48.

(2) البقرة: 256.

(3) آل عمران: 20.

(4) الممتحنة: 8.

(5) آل عمران: 85.

(6) يراجع في سبيل إثبات هذه الحقيقة كتاب ((الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)) لآدم متز، وكتاب الدعوة إلى الإسلام لأرنولد توينبي، وكتاب ((مذهبية الحضارة الإسلامية)) للمؤلف.

(7) راجع على سبيل المثال ((أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام)) للدكتور عبد الكريم زيدان، والإسلام والعلاقات الدولية لعلي علي منصور، والعلاقات الدولية في الإسلام للدكتور محمد عبد الله دراز.

(8) الحجرات: 13.

(9) مقاربتان عربيتان للعولمة، ياسر عبد الجواد، المستقبل العربي ص2 عدد 252 شباط 2000م.

(10) العولمة المزعومة – الواقع – الجذور – البدائل، روجيه جارودي ص17 تعريب الدكتور محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء 1998م.

(11) فخ العولمة – هانس بيتر مارتين – هارالدشومان ص55–58، ت: عدنان عباس على مراجعة وتقديم أ.د. رمزي ركى، جمادى الآخرة 141 تشرين الأول 1998 عالم المعرفة ع238.

(12) العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة – نعيمة شومان، ص40، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1418هـ – 1998م.

(13) ما العولمة – محمد جلال العظم – وحسن حنفي، ص20.

(14) المصدر نفسه: ص42.

(15) المصدر نفسه.

(16) العولمة والمستقبل – استراتيجية تفكير – سيار الجميل، ص32 – الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان.

(17) العولمة – الخطر على الهوية والكيان، د. نجيب غزاوي، مجلة المعرفة، سنة 38 عدد 432 تشرين الأول 1999م.

(18) إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، أحمد مصطفى عمر، المستقبل العربي، ص72، نقلاً عن مجلة (الإسلام وطن)، عدد 138، حزيران، 1998، ص12.

(19) قضايا في الفكر العربي المعاصر ، د. محمد عابد الجابري، ص147، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م.

(20) العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة ، ص20، مرجع سابق.

(21) وهم الأستاذ يوسف كمال، أستاذ الاقتصاد الإسلامي غير المتفرغ بكلية التجارة جامعة عين شمس والدكتور عبد الرحمن يسري رئيس قسم الاقتصاد الإسلامي بجامعة الإسكندرية والدكتور عبد الحميد الغزالي أستاذ الاقتصاد في جامعة القاهرة والدكتور رفعت العوضي أستاذ الاقتصاد في جامعة الأزهر. أنظر: مجلة البيان في 15 ربيع الأول 1421 هـ – يونيو 2000م، ص60.

(22) حقوق الإنسان في ضوء التجليات السياسية للعولمة، محمد فهيم يوسف، مجلة البيان، السنة 13، عدد 132، شعبان 1419هـ ديسمبر 1999م.

(23) فخ العولمة، ص61، مرجع سابق.

(24) الصناعة العربية في مواجهة العولمة، د.زكي حنوش، ص13، عدد99، جمادى الأولى 1420هـ.

(25) ما العولمة، ص17، مرجع سابق.

(26) قضايا في الفكر العربي المعاصر، ص148، مرجع سابق.

(27) من محاضرة ألقاها في كوالا لامبور، في 24 يوليو 1996، نقلاً عن ((الدين والعولمة)) للدكتورأحمد بن عثمان التويجري، ص19، من مجلة الإسلام اليوم، من عدد 16، 17، السنة 17، 1421هـ/2000م.

(28) العولمة – الخطر على الكيان والهوية، ص46، مرجع سابق.

==============

#جذور العولمة

يتساءل الباحثون: هل العولمة بنت هذا الزمان المتأخر أم لها جذور ضاربة في التاريخ الأوربي القديم؟ فيذهب البعض إلى أن العولمة ليست ظاهرة جديدة، بل بداياتها الأولى ترجع إلى القرن التاسع عشر، مع بدء الاستعمار الغربي لآسيا وأفريقيا والأمريكيتين، ثم اقترنت بتطور النظام التجاري الحديث في أوربا، الأمر الذي أدى إلى ولادة نظام عالمي متشابك ومعقد عرف بالعالمية ثم العولمة(1).

وآخرون يذهبون في هذا الإطار إلى أن مصطلح النظام العالمي كان مستخدمًا منذ مؤتمر فيينا عام 1815م الذي قاده مترنيخ رئيس وزراء النمسا، وجدده بسمارك الألماني في سبعينيات القرن التاسع عشر، ثم تجدد ثانية على يد كلمنصو الفرنسي في مؤتمر فرساي عام 1919م، ثم تجدد في يالطا على يد الحلفاء في الحرب العالمية الثانية(2).

والحق أن الباحث الذي يدرس التاريخ منذ أقدم العصور التي ظهرت فيها الإمبراطوريات إلى اليوم، يلاحظ أن قوة عظمى تريد أن تنفرد دائمًا بحكم العالم، وإخضاعه إلى مبادئها، فاليونان والرومان والفرس والتتار والإمبراطوريات الحديثة، كلها كانت تتجه هذا الاتجاه في الهيمنة والسيطرة. وأوربا الحديثة ذات التاريخ الاستعماري هي النموذج الجلي. في محاولة السيطرة والهيمنة؛ لأن الحضارة الحديثة تعد نفسها حضارة عالمية مركزية؛ فهي عالمية في أفكارها ومنتجاتها، وهي مركزية لأنها تدور حول نفسها في قيمها المبعثرة. ولذلك فإنها حضارة لا تعترف بغيرها من الحضارات، ويصل الأمر بقادة هذه الحضارة إلى أن ينكروا أي حدث مهم وقع في العالم قبل عصر هذه الحضارة.

يقول الأستاذ مالك بن نبي: "هذه الأقوال هي التي خلقت ثقافة الإمبراطورية الغربية التي تقوم على أساس السيادة العنصرية والاستعمار"(3).

وأرى أن هيمنة العولمة على العالم اليوم بمواصفاتها الشاملة نتيجة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلمية، تمشي مع طبيعة الأشياء في تاريخ الغرب الحديث، وتمثل المرحلة الأخيرة في محاولة الحضارة الغربية للسيطرة على العالم ومحو الآخر.

ويعارض باحث آخر هذه النظرة ويذهب إلى أن العولمة ليست تطوراً عن الاستعمار الأوربي أو ظاهرة الثورة الصناعية، وإنما هي نظام كوني شامل جديد، مواصفاته لا تشبه مواصفات الإمبراطوريات السابقة(4).

وهناك باحثون يرجعون بدايات العولمة الحالية إلى السياسات التي ارتأت أمريكا أن تسيطر بها على العالم، غير أن الحرب الباردة بينها وبين الاتحاد السوفيتي، أجلّت تلك الهيمنة إلى سنة 1989م؛ حيث ضعف الاتحاد السوفيتي وظهرت فيها نتائج

سياسة البيريسترويكا التي حمل لواءها السكرتير العام الأخير للحزب الشيوعي السوفيتي ميخائيل جورباتشوف.

ويرجع صاحبا كتاب فخ العولمة البداية الحقيقية للعولمة إلى عام 1995م؛ حيث وجّه الرئيس السوفيتي السابق جورباتشوف الدعوة إلى خمسمائة من قادة العالم في مجال السياسة والمال والاقتصاد في فندق فيرمونت المشهور في سان فرانسيسكو لكي يبنوا معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين. وقد اشترك في هذا المؤتمر المغلق أقطاب العولمة في عالم الحاسوب والمال وكذلك كهنة الاقتصاد الكبار، وأساتذة الاقتصاد في جامعات ستانفورد وهارفرد وأكسفورد. واشترك فيها من السياسيين، الرئيس الأميركي جورج بوش الأب، ووزير خارجيته شولتز، ورئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر ورئيس وزراء مقاطعة سكسونيا وغيرهم(5).

والمشروع السياسي للنظام العالمي الجديد الذي انتهى إلى العولمة هو تفتيت الوحدات والتكوينات السياسية إلى كانتونات ودويلات صغرى ضعيفة ومهزوزة، ومبتلاة بالكوارث والمجاعات والصراعات والأزمات(6)

تابع معنا بقية محاور المقال:

*

مقدمة

*

العالمية والعولمة: تعريف وتمييز

*

تفاصيل فلسفة العولمة ونتائجها

*

معارضة العولمة

*

الفكر الإسلامي في مواجهة العولمة

*

نحو ميثاق إسلامي لمواجهة العولمة

عودة

(1) إعلام العولمة، ص70، مرجع سابق.

(2) المصدر نفسه، ص72.

(3) وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ص27-28.

(4) العولمة واستراتيجية التفكير، ص34، مرجع سابق.

(5) فخ العولمة، ص22- 23، مرجع سابق.

(6) العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط – مفاهيم عصر قادم، سيار الجميل، ط1، بيروت، 1997، ص57.

===============

#تفاصيل فلسفة العولمة ونتائجها

1 - عولمة الاقتصاد:

يرى جمع من الباحثين أن عولمة الاقتصاد العالمي بدأت بقيادة أمريكا منذ عام 1944م، والتي انبثق منها الصندوق الدولي ليقوم حارساً على النظام النقدي الدولي والبنك الدولي ليعمل على تخطيط التدفقات المالية، طويلة المدى، وإنشاء منظمة التجارة العالمية التي أدت إلى اتفاقية الجات والتي حوّلت السياسة التجارية للدول المستقلة إلى شأن دولي وليس عملاً من أعمال السيادة الوطنية، من خلال النظام النقدي العالمي والتحكم في حركة رؤوس الأموال، ومن خلال الشركات المتعددة الجنسيات التي لأمريكا فيها نصيب الأسد.

ولقد أخذ البنك الدولي بتوجيه من الولايات المتحدة الأمريكية بإجبار كثير من الدول الإسلامية، باعتبارها إحدى مكونات مجموعة دول الجنوب، على إعادة هيكلة اقتصادياتها، وفقاً لهذه السياسة الإمبريالية، فاتجهت هذه الدول إلى الخارج لجذب رؤوس الأموال الأجنبية، وتبني مفهوم القطاع الخاص، من خلال استخدام آليات السوق الحرة، وما يتطلبه ذلك من التقليص الواضح للملكية العامة وزيادة الفوارق الاجتماعية، ورهن أجيال المستقبل بالديون الخارجية(1).

ولقد تقررت هذه السياسة الاقتصادية الأخيرة نهائياً عندما اجتمع طائفة من المُنظرين الأمريكيين وقدموا قضايا لتثبيت السيطرة الأمريكية على العالم، هذه القضايا هي:

1) استعمال السوق العالمية كأداة للإخلال بالتوازن في الدول القومية.

2) السوق مجال للمنافسة، أي فتح المجال لسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات العملاقة، لغرض فرض نمط اقتصادي معين على البلدان الأخرى، دون أي اعتبار لمصالح الكادحين.

وتلك الشركات العملاقة تكونت بالدرجة الأولى من الشركات الأمريكية، ثم الأوربية ثم اليابانية متكاتفة متعاونة(2).

ويمكن هنا أن نعرض إحصائية أولية لقوة تلك الشركات المتعددة الجنسيات. فهناك 350 شركة كبرى لتلك الدول تستأثر بما نسبته 40% من التجارة الدولية. وقد بلغت الحصة المئوية لأكبر عشر شركات في قطاع الاتصالات السلكية واللاسلكية 86% من السوق العالمي، وبلغت هذه النسبة 85% من قطاع المبيدات وما يقرب من 70% من قطاع الحاسبات و60% في قطاع الأدوية البيطرية و35% من قطاع الأدوية الصيدلانية و34% في قطاع البذور التجارية(3).

ولا شك أن هذه الاحتكارات ستؤدي إلى إقامة الحواجز بين الشعوب، وسيصبح وسيلة للسيطرة والهيمنة على مصادرها.

وهذه الشركات العملاقة هي في حدود (15) شركة، هم السادة الفعليون الذين يطبقون نظرية: إنتاج أكثر ما يمكن من السلع والمصنوعات بأقل ما يمكن من العمال، من أجل تركيز الثروة العالمية في أيدي الرأسماليين الجشعين من أصحاب تلك الشركات الأمريكية وحلفائها(4).

ونتيجة لهذه السياسة، تنتهي العولمة الاقتصادية إلى فتح الأسواق العالمية أمام المنتجات الغربية بدون عائق أو ضوابط، وعليه فلن تستطيع المنتجات المحلية مواجهة المنتجات المستوردة ومنافستها، مما يعني تعثر العديد من الأنشطة الاقتصادية الوطنية. ويكون البديل المتاح هو إما الاقتصار على الاستيراد، وهذا البديل قصير الأمد؛ حيث ستنضب أرصدة السيولة المالية، ويزيد التضخم نتيجة للركود الاقتصادي، وبيع الأصول الاقتصادية إلى الشركات العالمية بحجة الإصلاح الاقتصادي. وهو المطلوب؛ لأنه سيؤدي إلى الاستسلام النهائي لسياسات الإمبريالية الأمريكية(5).

إن هذه الشركات تعد الأرض كلها سوقًا كبيرًا لها، بما فيها ومن فيها بحيث تتنافس في اقتسام هذه الأراضي دون أي اعتبار لقيم أو أخلاق(6).

وهي نادرًا ما تدخل في شكل استثمارات مباشرة طويلة الأمد، وإنما تدخل بما يعرف بالأموال الطائرة، في استثمارات قصيرة الأجل وسريعة الفوائد والتي تحقق لها عوائد هائلة، دون أن يكون لذلك مردود على التنمية المحلية. وإن حدث وقدمت استثمارات مباشرة، فإنها قبل ذلك تأخذ ما يكفيها من التسهيلات والضمانات السياسية والاقتصادية التي لا تحظى بها رؤوس الأموال المحلية، وهو ما يعرقل الاقتصاد المحلي، زيادة على ذلك، فإن معظم أنشطتها تقتصر على السلع الاستهلاكية ذات العائد الأسرع نتيجة للنمط الاستهلاكي السائد.

وخلاصة الأمر أن هذه الشركات تقوم بامتصاص الفوائض المالية لدى المستهلكين عن طريق الإغواء والإغراء الاستهلاكي(7).

ومن هنا فإن نسبة كبيرة من الفساد المنتشر في دول العالم الثالث هي من صنع الشركات المتعددة الجنسيات التي تتركز مقارها في الدول الصناعية، وتعمل على تقديم الرشاوى الكبيرة لمسؤولي الدول المختلفة من أجل الفوز بالصفات دائماً(8).

وبهذا يتحول العالم كله إلى سوق استهلاكية لمنتجات الدول الصناعية وعلى رأسها أمريكا، فهي تمثل عصا استعمارية بيد حكومة عالمية خفية لها مؤسساتها: كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، واتفاقية التجارة الحرة(9).

وعلى ذلك، فإن النتيجة المباشرة لفخ العولمة هي اللامساواة، وهذا يعني أن البؤس والشقاء وغياب الديمقراطية وضياع كل حلم بالرفاه ستكون بمثابة علامة فارقة لنظام العولمة في البلاد التي وقعت في فخها(10).

والكارثة التي يمكن أن تحدث لأي بلد تغزوه العولمة، انتشار الفقر وفقدان العمل البشري لقيمته، وتوجيه هدام يقضي على فرص العمل، فتنتشر البطالة، وينقسم المجتمع إلى مجتمع أغنياء طفيليين خدام للشركات الكبرى المتعددة الجنسيات، وأكثرية مسحوقة سرقت خيراتها كي تدخل في جيوب رأسمالي العولمة المتوحشين الذين يملك (358) منهم في الغرب ما يملكه (2.5) مليار من سكان المعمورة؛ لأن

النظام المعولم سيخفض نسبة الحاجة إلى العمال إلى 20% أي سيظل 80% منهم عاطلون. وهذا هو الذي يسميه دعاة العولمة بمجتمع الخمس(11).

والنتيجة التي يستخلصها المختصون هي: إذا كان النمو الاقتصادي في الماضي يخلق مناصب الشغل، فإن النمو الاقتصادي في إطار العولمة يؤدي إلى تخفيض عدد مناصب الشغل، لأن بعض القطاعات في مجال الإلكترونيات والإعلاميات والاتصال وهي من القطاعات الأكثر رواجًا في العالم لا تحتاج إلاّ إلى عدد قليل من العمال. فالتقدم التكنولوجي يؤدي في إطار العولمة إلى ارتفاع البطالة، وهو ما سيؤدي حتمًا إلى أزمات سياسية(12).

ومحصلة القول: إن العولمة الموجهة توجيهًا مباشرًا من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من اليهود والأوربيين، تريد عن طريق المخلب الاقتصادي أن تتمكن من الشعوب عن طريق استغلال حاجياتها الاستهلاكية وقتل المبادرات الوطنية، وتوجيه ثرواتها وهيكلة اقتصادها بتدخل مباشر من المؤسسات المالية والتجارية الخاضعة لها، والتي تغرقها بالديون وفوائد الديون التي لا تتخلص منها ومن ويلاتها، يساعد في ذلك مخططان آخران يمشيان جنبًا إلى جنب بجانب المخطط الاقتصادي، وهما مخطط إخضاع الدولة الوطنية واستلاب الفكر والثقافة عن طريق الفضائيات الكونية التي تبثها مئات الأقمار الصناعية.

2 – العولمة والدولة الوطنية:

يقول الفيلسوف الفرنسي جارودي: "والتيار المهيمن في صفوف الاقتصاديين الرسميين والسياسيين هو الدفاع عن الليبرالية بدون حدود، والداعي إلى اختفاء الدولة أمام السلطة المطلقة للسوق، وحتى لا يبقى أي عائق أمام الاحتلال الاقتصادي"(13). لأن العولمة تحتاج إلى السيطرة على الدولة الوطنية وإخضاع قوانينها لحركتها وحريتها في العمل. وبذلك تؤدي العولمة المعاصرة إلى حرمان الدول من حق السيادة المطلقة وصولاً إلى مفهوم جديد للسيادة يركز على العالم أجمع بصفة الوحدة السياسية التي تحل محل الدولة التقليدية المعتادة(14). ومن هنا فإن سيادة الدولة بمعناها الأساسي يتم إعادة تعريفها الآن في الأقل بوساطة قوى العولمة والتعاون الدولي.

والسيادة في هذا التعريف هي الإدارة الدولية التي ترسم خريطة جديدة للعالم تتوافق مع التصورات العالمية، وهذه الخريطة الجديدة، لن يكون فيها حدود خاصة بكل دولة، بل سيصبح العالم كتلة واحدة متعاونة متكافئة متراضية مسالمة آمنة! كما يقولون زورًا وبهتانًا تخالف الواقع الذي تسيطر عليه العولمة ومخالبها(15).

وقد يسأل باحث فيقول: وهل تبقى الدولة الوطنية في ظل العولمة؟ نقول: نعم تبقى الدولة في ظل العولمة، كأنها إدارة عامة جديدة، أي أنها تتحول إلى حكومة أعمال. وهو ما يترتب عليه وهن الدولة وشرعيتها. ومبعث ذلك يتمثل في أن هذه الدولة تسعى لنيل ثقة الأسواق العالمية على حساب مهامها الأخرى(16).

ولكن ما مهامها الأخرى؟!.

يجيبنا صاحبا كتاب فخ العولمة فيقولان: "إنهم يهددون بهروب رؤوس أموالهم: أي الشركات المتعددة الجنسيات، ما لم تستجب الحكومات لمطالبهم، وهي مطالب عديدة، مثل منحهم تنازلات ضريبية سخية، وتقديم مشروعات البنية التحتية لهم مجانًا، وإلغاء وتعديل التشريعات التي كانت تحقق بعض المكاسب للعمل والطبقة الوسطى، مثل: قوانين الحد الأدنى للأجور، ومشروعات الضمان الاجتماعي والصحي وإعانات البطالة، وبما يقلل مساهماتهم المالية في هذه الأمور وخصخصة المشروعات، وتحويل كثير من الخدمات العامة التي كانت تقوم بها الحكومات، لكي يضطلع بها القطاع الخاص، وإضفاء الطابع التجاري عليها(17).

ومجمل القول: إنه في ظل العولمة، تتحول الشركات المتعددة الجنسيات إلى دول حقيقية تقوم بتفكيك الدول وإعادة بنائها من جديد، وجعلها تتنازل تحت ضربات الرأسمالية الاحتكارية عن حقوقها وحدودها الجغرافية وواجباتها تجاه مجتمعاتها، كي تقيم دولة عالمية، قادتها ورؤساؤها رؤوس الاحتكارات العالمية الجشعة من اليهود وغيرهم من الأمريكان وخلفائهم الخاضعين لتوجيهاتهم، كي تمتص دماء الكادحين في المجتمعات الإنسانية، وتقضي على شعورهم الوطني الذي هو شعور بدائي عند الاقتصادي المعولم الشهير ليندبيرج، ولكل هذا اختار عبارة "نهاية الدولة القومية" عنوانًا لكتابه الذي ألفه عام 1995م(18).

3 – عولمة الفضاء الكوني:

ويصح أن نسميها إمبراطورية الفضاء الكوني؛ لأن مجالها الكرة الأرضية كلها، وما حولها كما قيل إلى قرية واحدة عن طريق مئات الأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء الأرضي، وترسل البرامج المنوعة في كل يوم إلى كل عائلة من عوائل بلدان العالم، لتستقبلها أجهزة التلفاز والإنترنت، لتشكل في النهاية سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تعترف بالحدود الوطنية أو الفضائية أو البحرية، تقودها شبكات اتصالية معلوماتية من خلال سياسة العولمة واقتصادها وثقافتها وأفكارها وأنظمتها الاجتماعية، كي تقيم عالمًا جديدًا تتسلل دون استئذان إلى عقول وقلوب ونفوس البشر جميعًا دون استثناء من دون رقيب من دولة أو أمة أو دين أو وطن.

وهذه الشبكات يعود معظمها إلى قادة العولمة من الرأسماليين الاحتكاريين الأمريكيين وغيرهم ممن يدورون حولهم، لكي يمحوا ذاكرة الشعوب ويفرغوها من انتماءاتهم وأصالتهم وثقافتهم وأنظمتهم الاجتماعية، كي يقعوا صرعى أمام مغريات الحياة الرأسمالية الأمريكية وأنماطها الاجتماعية والأخلاقية في التفكير واللبس والأكل والترفيه ودغدغة الأحلام والقيم والوعي، بحيث يسهل تكريس نوع معين من السلع الخدمات والأفكار، والذي يخضع إلى النظام المعولم الذي يُراد له أن يسود العالم أجمع(19).

ولأهمية هذا المجال الرهيب في عالم العولمة تم عقد أربع مؤتمرات دولية لبحث قضاياه (جنيف 1992، بوينس أيرس 1994، بروكسل 1995، جوهانسبرج 1996)، نجح خلالها الأمريكيون من تسويق فكرتهم حول مجتمع المعلومات العالمي والضغط لفتح حدود أكبر عدد ممكن من البلدان أمام تدفق المعلومات.

يقول العالم الأمريكي المعروف ناعوم تشومسكي: "إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام، تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف، أي على العالم كله"(20). إن هيمنة أمريكا ناتجة من أن 65% من مجمل المواد والمنتجات الإعلامية والإعلانية والثقافية والترفيهية تحت سيطرتها، ومن إنتاجها. هذا الأمر الذي أدى إلى توجس بعض الدول الغربية وخوفها على أجيالها.

وختامًا، فإن المجال الإعلامي أكثر أوجه العولمة سلبية؛ إذ يسيطر أصحاب المصالح التجارية والاقتصادية على الإعلام، عبر التوظيف المالي والسيطرة الإدارية

والفنية، ويستخدمونه في تشويه معرفتنا بالعالم ووعينا بأنفسنا ومعرفة الآخرين ووعيهم بأنفسهم وقضاياهم(21).

وأخيرًا، فإن عولمة الفضاء الكوني بكل أبعاده، من أخطر القضايا التي تمس العالمين العربي والإسلامي معًا، بسبب سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام والاتصالات، وما يرافق ذلك من تشويه الحقائق وطمس معالم الحضارة العربية الإسلامية، وصورة العربي المعاصر وتراثه لدى الرأي العام العالمي(22).

4 - العولمة الاجتماعية:

لما كان المبدأ الذي ينطلق منه عالم العولمة من جعل العالم قرية كونية واحدة تخضع للتوجيهات الأمريكية اليهودية، إذن فالوصول إلى مجتمع واحد، ذي ملامح واحدة، وأنظمة اجتماعية واحدة وأخلاق وعوائد واحدة سيكون من أولويات العولمة؛ لأن صياغة المجتمع صياغة واحدة، مما يسهل مهمة الأجنحة الهدامة الأخرى للعولمة في إفساد المجتمع وتفريغه من القيم الأصيلة، والأخلاق الحميدة النابعة من الأديان السماوية، والفطرة الإنسانية العقلية، حتى لا تقوم له قائمة من الرجولة والشهامة والكرامة أمام مخطط العولمة الرأسمالية الأمريكية اليهودية الجشعة.

لقد دفعت العولمة الأمم المتحدة التي تسيطر عليها وعلى مقرراتها، ولا سيما في عقد التسعينيات إلى عقد مؤتمرات بعناوين متعددة لتغيير النظام العام في المجتمعات، ولا سيما نظام الأسرة.

1 - في عام 1950 حاولت الأمم المتحدة عقد الدورة الأولى لمؤتمراتها حول الأسرة والمرأة بعنوان: تنظيم الأسرة في القاهرة، لكن الحكومة المصرية يومئذ لم توافق على ذلك.

2 - وفي عام 1975 عقدت الأمم المتحدة مؤتمر المكسيك دعت فيه إلى جريمة الإجهاض للمرأة والحرية الجنسية للمراهقين والمراهقات وتنظيم الأسرة لضبط السكان في العالم الثالث، وأخفق هذا المؤتمر أيضًا.

3 - عُقد في نيروبي عام 1985م مؤتمر بعنوان إستراتيجيات التطلع إلى الأمام من أجل تقديم المرأة.

4 – مؤتمر السكان والتنمية الذي عُقد في القاهرة عام 1994م، ودعا فيه إلى قضايا تغيير حياة المرأة والأسرة من الناحية الدينية.

5 – مؤتمر بكين عام 1995 تحت عنوان المساواة والتنمية والتنظيم.

6 – مؤتمر السكان والتنمية والتنظيم في إسطنبول عام 1996م.

وتتضمن القرارات المقترحة أمورًا، مثل: فرض حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، ومن ثم الاعتراف رسميًا بالشواذ والمخنثين، والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان، ومنها حقهم في الزواج وتكوين الأسر والحصول على أطفال بالتبني أو تأجير البطون، وتطالب وثيقة القرارات بحق الفتاة والمرأة في التمتع بحرية جنسية آمنة مع من تشاء. وتطالب بحق المراهقات الحوامل في مواصلة التعليم دون إدانة لهذا الحمل السفاح.

وقد أفصح جارودي عن نوايا مقررات مؤتمر القاهرة في الرسالة التي وجهها للمؤتمر ونشرتها صحيفة الشعب في القاهرة بعددها 1994/9/16م(23).

والغريب أن رئيسة جمعية الأمهات الصغيرات في أمريكا تحذر المسلمين في مؤتمر القاهرة فتقول: "لقد دمّروا المجتمع الأمريكي وجاؤوا الآن بأفكارهم للمجتمعات الإسلامية حتى يدمروها ويدمروا المرأة المسلمة ودورها فيها"(24).

وقد عُقد في نيويورك مؤتمر المرأة لعام 2000م، وقدمت فيه الدول المعولمة على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية المقررات السابقة وطلبت فرضها على العالم. والدول التي تُوقِّع على هذه المقررات ستكون ملزمة بتغيير قوانينها بما ينطبق على تلك القرارات الإباحية التي تؤدي إلى هدم الأسرة وإطلاق الحرية الجنسية وإقرار الشذوذ وشل سلطة الأبوين وحرية الإجهاض وإلغاء نظام الميراث(25).

وفي سبيل دفع تلك المقررات إلى الأمام دفعت حكومات العولمة الدوائر المالية العالمية المؤيدة إلى الدعم المالي من أجل الإسراع بتنفيذ تلك القرارات الإباحية والمحطمة للنظام الديني في رعاية الأسرة وتنشئتها(26).

ولتنفيذ مخططاتهم في هدم كيان المجتمع الإسلامي من خلال المرأة لأهمية دورها في بناء كيان الأسرة والمجتمع ساروا في ثلاثة مسارات في آن واحد، وهي:

1 – التمويل الأجنبي الأمريكي للجمعيات الأهلية النسائية، غير الإسلامية، من أجل تنفيذ مخططات إخراج المرأة المسلمة من الأخلاق الإسلامية.

2 – الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان وإزالة آثار كافة أشكال التمييز ضد المرأة (كذا بالنص)، وإلزام الدول الإسلامية بالتوقيع عليها مقابل إعفائها من بعض الديون التي عليها.

وإذا قرأنا البحوث التي تُلَقى في المؤتمرات التي تُعقَد في بعض البلاد الإسلامية، وجدناها جميعها تريد إخراج المرأة المسلمة من النظام الاجتماعي الإسلامي الذي ينظر إلى المرأة من خلال فطرتها واستعداداتها وكرامتها.

وهنالك محاولات لتضليل الرأي العام وإيهام المرأة المسلمة أن القهر كله واقع عليها، وأن هذه الاتفاقية سترفع عنها الجور والظلم، وأن الأمم المتحدة ستحررها من سطوة مجتمعها مع أنها تريد هلاكها وهلاك مجتمعها(27).

3 – مؤتمرات المرأة التي تحدثنا عنها قبل قليل والتي يقصد بها هدم المجتمعات البشرية، ولا سيما المجتمعات الإسلامية.

وملخص القول: إن العولمة تعني نهاية التاريخ، وهو مفهوم يعني سيطرة النموذج الرأسمالي على العالم بعد انتهاء الشيوعية. كما تعني نهاية الجغرافية، وهي تعني اختراق الشركات المتعددة الجنسيات لحدود الدول. كما تعني نهاية الدول عن طريق التحرك تحت مظلة الشرعية الدولية للتدخل المباشر في شؤونها. وتعني أيضًا نهاية الهوية، أي القضاء على الخصوصية. كما أنها أخيرًا تعني نهاية الأيديولوجيا والتي تعني بدورها القضاء على الدين والأخلاق والقيم(28).

تابع معنا بقية محاور المقال:

*

مقدمة

*

العالمية والعولمة: تعريف وتمييز

*

جذور العولمة

*

تفاصيل فلسفة العولمة ونتائجها

*

معارضة العولمة

*

الفكر الإسلامي في مواجهة العولمة

*

نحو ميثاق إسلامي لمواجهة العولمة

عودة

(1) العولمة – السوق العربية المشتركة، سيف بن علي الجروان، المستقبل العربي، ص142–143، السنة 22 عدد 249، تشرين الثاني 1999.

(2) العولمة، نجيب غزاوي، مرجع سابق، ص43.

(3) نهاية الجغرافية، البيان، ص102، مرجع سابق.

(4) قضايا الفكر العربي، ص142، مرجع سابق.

(5) العولمة . حلقة في تطور آليات السيطرة، خالد أبو الفتوح، البيان السنة 13، عدد 136 في ذي الحجة 1419هـ، أبريل، نيسان 1999م.

(6) نهاية الجغرافية، ص103، مرجع سابق.

(7) المصدر نفسه. أنظر أيضاً: طوفان العولمة واقتصادياتنا المسلمة، البيان، عدد 151، ص72، والعولمة في النظم التكنولوجية الحديثة، مرجع سابق.

(8) العولمة بين منظورين، د. محمد امخرون، ص124، البيان، السنة 14، العدد 145، رمضان 1420، كانون 1999/1م.

(9) المصدر نفسه، ص122.

(10) تأملات في عصر العولمة، تركي علي الربيعو– نزوى، ص73، العدد 22، أبريل 2000م.

(11) فخ العولمة، ص28، مرجع سابق.

(12) قضايا في الفكر المعاصر، ص143، مرجع سابق.

(13) العولمة والمستقبل، ص46، مرجع سابق.

(14) السيادة في عصر العولمة، جريدة الشرق الأوسط، تركي محمد، عدد 7439 في 1419/12/25هـ.

(15) سيادة الدولة أم سيادة العولمة، البيان، ص94، مرجع سابق.

(16) نهاية الجغرافية، ص95، مرجع سابق، والعولمة – مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل، مهيوب محمد، المستقبل العربي، ص65، عدد 256 في 2000/6م.

(17) فخ العولمة، المقدمة، ص10، 15، 16.

(18) العولمة – المفهوم – المظاهر، المسببات، أحمد عبد الغفور، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 26، عدد1.

(19) إعلام العولمة، المستقبل العربي، ص 76، مرجع سابق، ومستقبل العولمة، 17، مرجع سابق.

(20) العولمة بين منظورين، البيان، ص125، مرجع سابق.

(21) العولمة والخطر على الهوية والكيان، مجلة المعرفة، ص43، مرجع سابق.

(22) المصدر نفسه.

(23) أنظر: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، رؤية شرعية، د. عبد الحسين سلمان جاد، كتاب الأمة 53، ص55–70.

(24) سقوط الحضارة الغربية، رؤية من الداخل، أحمد منصور، دار القلم، دمشق، ط1، في 1418هـ/ 1998م.

(25) وثيقة برامج عمل المؤتمر الأول للسكان والتنمية بمصر، من 5–15/ 1994، الفصل السابع، الفقرات 1، 2، 3، 4، 5، والعولمة بين منظورين، ص127، والمرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة، سهيلة زين العابدين حماد، المنهل، ص84، شوال، ذو القعدة، 1420 يناير، فبراير 2000م، والمجتمع الكويتية، عدد 1404 و1406، يونيو 2000م.

(26) المجتمع الكويتية، عدد 1406، في 25 ربيع الأول، 1421هـ.

(27) أنظر تفاصيل هذه المؤامرة العالمية في المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة، المنهل، ص84-87، مرجع سابق.
(28) طوفان العولمة، ص64، مرجع سابق.

===============

#معارضة العولمة

آلاف المتظاهرين الأوروبيين ضد العولمة

لن تمر العولمة في ترتيباتها الاقتصادية وسيطرتها الثقافية على أرض موطدة، وإنما ستصطدم بفطرة تكوين المجتمع الإنساني من لغات متعددة وأديان متباينة وثقافات متنوعة. وفي هذا الاختلاف قال الله تعالى في كتابه الكريم:{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} (1) وقال في آية أخرى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} (2).

واستقراء التاريخ الإنساني يدل دلالة قاطعة على أن محاولة إخضاع البشرية لطريق واحد وحضارة واحدة أمر مستحيل في حدّ ذاته؛ لأن تلك المحاولة ستفجر المجتمعات الإنسانية من الداخل، ويبدأ الصراع ثم الحرب في ظل القانون الإلهي: { وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} (3).

وعلى الرغم من أن العولمة ظهرت منذ عهد قريب، فإن طلائع المعارضة لها بدأت تظهر في أنحاء العالم، وإن لم تكن اليوم قويةً كاسحةً؛ لأن القضية لا تزال في بدايتها.

إن طغيان الإعلام والثقافة الأمريكيتين في القنوات الفضائية دفع وزير العدل الفرنسي جاك كوبون أن يقول: "إن الإنترنت بالوضع الحالي شكل جديد من أشكال الاستعمار، وإذا لم نتحرك فأسلوب حياتنا في خطر، وهناك إجماع فرنسي على اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة لحماية اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية من التأثير الأمريكي"(4).

بل إن الرئيس الفرنسي جاك شيراك عارض قيام مطعم ماكدونالدز الذي يقدم الوجبات الأمريكية، مسوغًا ذلك أن يبقى برج أيفل منفردًا بنمط العيش الفرنسي(5).

كما شن وزير الثقافة الفرنسي هجومًا قويًا على أمريكا في اجتماع اليونسكو بالمكسيك، وقال: "إني أستغرب أن تكون الدول التي علّمت الشعوب قدرًا كبيرًا من الحرية، ودعت إلى الثورة على الطغيان، هي التي تحاول أن تفرض ثقافة شمولية وحيدة على العالم أجمع. ثم قال: إن هذا شكل من أشكال الإمبريالية المالية والفكرية، لا يحتل الأراضي، ولكن يصادر الضمائر ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش"(6). وتبعًا لهذه السياسة قررت فرنسا أن تكون نسبة الأفلام الفرنسية المعروضة باللغة الفرنسية من التلفزيون 60%(7).

وفي المقاطعات الكندية بلغت الهيمنة الأمريكية في مجال تدفق البرامج الإعلامية والتلفاز إلى حد دعا جمعًا من الخبراء إلى التنبيه إلى أن الأطفال الكنديين، أصبحوا لا يدركون أنهم كنديون لكثرة ما يشاهدون من برامج أمريكية(8).

كما أن النرويج عارضت اتفاقية ماستريخت؛ لأنها ترفض الاندماج بالهوية الأوربية، وتحفظت سنغافورة على شبكة الإنترنت خشية على القيم الكونفوشيوسية(9).

ويقول جون جراي في كتابه: الفجر الكاذب – أوهام الرأسمالية العالمية: "إن الظروف الحالية في العالم تنذر بكارثة محققة، لأن فرض السوق الحرة الأنجلوسكسونية على العالم يمكن أن يؤدي إلى انهيار شبيه بانهيار الشيوعية العالمية، وأن الاتجاه نحو فرض الأسواق الحرة سيفجر الحروب ويعمق الصراعات العرقية ويفقر الملايين. وقد تحول بالفعل الملايين من الفلاحين الصينيين إلى لاجئين. كما سيؤدي إلى استبعاد عشرات الملايين من العمل والمشاركة في المجتمع حتى في الدول المتقدمة. وقد تفاقمت الأوضاع في بعض الدول الشيوعية السابقة لتصل إلى الفوضى العامة وشيوع الجريمة المنظمة، كما أدت إلى تزايد تدمير البيئة"(10).

وكتاب فخ العولمة السابق ذكره صرخة ألمانية ضد العولمة.

وفي سياتل حيث عُقد المؤتمر الوزاري الثالث لمنظمة التجارة العالمية، ثار المؤتمرون ضد انفراد أمريكا بزعامة العالم، حيث أصرت الدول النامية ودول الاتحاد الأوربي واليابان وكوريا الجنوبية على رفض الخضوع لقاعدة الرضا الأمريكي باعتبارها القاعدة الحاكمة – من الناحية الفعلية – لصدور القرارات في نطاق منظمة

التجارة العالمية(11). والمظاهرات التي جرت في أثناء المؤتمر والتي هزت العالم، كان بين شعاراتها:

1 – العالم لن يتحول إلى سلعة يتداولها الأقوياء.

2 – الناس والشعوب قبل الأرباح.

3 – لا نريد تجارة حرة بل نريد تجارة عادلة(12).

وجُل المفكرين المختصين في مجالات الاقتصاد والاجتماع يعارضون بشدة طغيان العولمة، وقد لخصت الباحثة "ثناء عبد الله" وجوه هذه المعارضة بالنقاط الآتية:

1– اعتبار ما تملكه منظمة التجارة العالمية من سلطة تفوق سلطة الدولة متناقضًا مع متطلبات السيادة الوطنية. وهو ما يؤثر في قدرة الدول على سن التشريعات والقوانين والقواعد التي تلائم خططها وتوجيهاتها.

2– اتهام الشركات المتعددة الجنسيات باستغلال العمالة في الدول النامية عن طريق تشغيلهم بأجور زهيدة.

3– معارضة فتح الأسواق الأمريكية لما يمكن أن يترتب عليه من دخول سلع دون المواصفات البيئية والصحية السليمة.

4– معارضة تشغيل الأطفال.

5– اتهمت الجماعات الداعية للحفاظ على البيئة منظمة التجارة العالمية بأنها ستدمر البيئة(13).

وهنالك حقيقة لا بد من ذكرها وهي أن الرأسمالية التي تعتمد عليها العولمة ليست منهجًا واحدًا في كل بلد، فالرأسمالية الأمريكية والبريطانية لا ترى أي دور للدولة، بينما الرأسمالية اليابانية والآسيوية تلعب السياسة الصناعية وتوجهات الدولة دوراً كبيراً فيها، أما الرأسمالية الفرنسية فتخطيط الدولة يضع مؤشرات للقطاع الخاص، بل تدخل بنفسها منتجاً. أما رأسمالية الدول الاشتراكية السابقة، فما زالت في طور التحول. وأما الاشتراكية الديمقراطية فقد تجمع قواها وتأتي بأفكار جديدة لمحاربة الرأسمالية أو لتقليل شرورها أو مساوئها(14). ولا شك في أن السبب في ذلك أن هذه الدكتاتورية الدولية تتناقض ومصالح الأغلبية العظمى من دول العالم، بما في ذلك

الدول الكبيرة والمتوسطة، وهو ما يفرض صياغة الإجراءات المضادة للخروج من هذه الدكتاتورية(15).

ومجمل القول، فإن مقاومة العولمة بالصيغة الأمريكية الرأسمالية الصهيونية، ستقاومها البشرية شيئاً فشيئاً في ضوء قانون السيرورة الكونية: قانون التحدي والاستجابة. فروسيا ولغتها ودينها وعنجهيتها القيصرية وذكرياتها السوفيتية وقدراتها التدميرية، والصين وأعماقها الكونفوشيوسية، والهند وخلفياتها البوذية، واليابان ومصالحها الاقتصادية الهائلة وذكرياتها مع هيروشيما وناجازاكي وألمانيا وفلسفتها العرقية التي ما زالت كامنة في اللاشعور، كل هذه المقدمات ستحول دون وصول العولمة إلى أهدافها النهائية. وهكذا شعوب العالم التي تنتمي إلى تواريخ وحضارات لا يمكن أن تتحول إلى أموات بين يدي غاسل العولمة الأمريكية الصهيونية. فإذا كان هذا وضع العالم وشعوبه، فيا ترى.. ما هو موقفنا نحن في العالم الإسلامي حيال العولمة؟

هل نرفض العولمة؟

العولمة ليست فلسفة محدودة أو ثقافة ضيقة أو مذهباً اقتصادياً محصوراً، أو قناة تلفازية ذات اتجاه واحد. العولمة – من خلال ما شرحنا – ظاهرة عالمية كونية شاملة، تغمر كرتنا الأرضية، وهي أكبر حقيقة واقعية في عصرنا الراهن في ظل ثورة أحالت الكرة الأرضية إلى كرة من المعلومات تدور في الاتجاهات كلها(16). إن العولمة غزت الدنيا كلها، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتعليم والثقافة والإعلام والآلات العسكرية. وهنالك ما يزيد على خمسمائة قمر صناعي تدور حول الأرض مرسلة إشارات لاسلكية تكرس العولمة، فبوساطة الصور المتحركة على شاشات أكثر من مليار جهاز تلفزيوني، تتشابه الصور وتتوحد الأفكار والأحلام والأماني والأفعال، بحيث قيل عن هذا الإعلام بأنه إعلام بلا وطن في فضاء بلا حدود(17).

إذن فلا يمكن أن يدَّعي عاقل أننا نستطيع أن نضع الأمة الإسلامية في علبة ونغلق عليها الباب(18). وحتى إذا استطعنا فإن هذا ليس في صالحنا، ولا صالح أجيالنا القادمة، ولا في صالح بناء حضارتنا الإسلامية الجديدة، ولا في صالح البشرية

التائهة التي تنتظر منقذاً يقدم إليها القيم الفاضلة، والأخلاق النبيلة، والأخوة الإنسانية الحقيقية، التي تربط بين البشر جميعاً.

ولقد صدق أحد الباحثين من المسلمين عندما قال: "والخطر لا يكمن في العولمة ذاتها بقدر ما يكمن في سلبية المتلقي، وفي التوظيف الأيديولوجي للعولمة، ونجاح العولمة في الهيمنة والاختراق والتأثير لا يتعلق بإمكانيات وقدرات الدول المتقدمة الفاعلة المصدرة للعولمة بقدر ما يتعلق بقوة وضعف الدول الأخرى المتلقية"(19).

نعم.. فالأمم الضعيفة في مواجهة العولمة، هي التي تخسر كل شيء. وأما الأمم القوية التي تواجه العولمة وتندمج بها وتتفاعل معها، فهي التي تربح معركة المنافسة الحضارية مع العولمة.

إن التعامل مع دنيا العولمة لا يعني أن العولمة قدر مفروض يكسب الرهان دائماً، ولا يعني أنه استسلام ذليل، وإنما التعامل القوي يعني التعايش معها، وتوظيف بُعدها التكنولوجي والحضاري والاستفادة منه لمواجهة الهيمنة باسم العولمة.

ولا بد لنا أن نقرر هنا أنه ليست هنالك حضارة أو ثقافة أو قيم أو دين على وجه الأرض ستتأثر بالعولمة، كما سيتأثر بها الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي. وإن جاء باحث ودرس العولمة بأبعادها كلها دراسة متفحصة وادَّعى بأن تدمير المسلمين جميعاً هو المقصود الأهم والشاغل الأكبر للعولمة الأمريكية الرأسمالية الصهيونية، ما بالغ في رأي الكثيرين في ذلك(20).

ويتحدث المفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي عن هذه العولمة الأمريكية الصهيونية فيقول: "هذه الوحدة التي أسسها الحكام الأمريكان، واللوبي الصهيوني "الآيباك" AIPAC، وساسة دولة إسرائيل، تقوم اليوم – أكثر من أي وقت مضى – على وحدة الهدف الذي هو محاربة الإسلام وآسيا اللذين يعدان أهم عقبتين في وجه الهيمنة العالمية الأمريكية والصهيونية"(21).

ويقول باحث آخر: "ومن المؤكد أن المستهدف بهذا الغزو الثقافي هم المسلمون. وذلك لعاملين:

أ – ما تملكه بلادهم من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات طبيعية أخرى.

ب – ما ثبت لهم عبر مراكزهم وبحوثهم وجامعاتهم ومستشرقيهم إن هذه الأمة مستعصية على الهزيمة، إذا حافظت على هويتها الإسلامية، ومن ثم فالطريق الوحيد لإخضاعها يتمثل في القضاء على تفرد شخصيتها وإلغاء دينها الذي يبعث فيها الثورة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة(22).

وأزيد أنا على هذين العاملين مسألتين أخريين:

جـ – الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي، وهو من أهم أهداف العولمة في بلاد العرب والمسلمين.

د – الحضارة الإسلامية بعقيدتها وشريعتها ونظام أخلاقها وإنجازاتها التاريخية هي النقيض الوحيد الشامل لفلسفة العولمة ودينها وأنظمتها وقيمها الهابطة في هذه الدنيا التي نعيش فيها.

ماذا يمكن أن تفعل العولمة بالمسلمين؟

أولاً: العولمة تستند استناداً مباشراً إلى الحضارة الغربية المعاصرة التي توجهها المبادئ اللادينية الوضعية التي لا تؤمن بوجود الله أو لا تسأل عنه أساساً؛ ولا تعترف بالعقائد الدينية الأخرى من الإيمان بالنبوات العامة وبنبوة النبي محمد ، ولا باليوم الآخر ولا بالغيبيات الثابتة في النصوص القاطعة من كتاب الله وسنة رسوله . ومن هنا تنشر الحياة المادية والإلحادية عبر شبكاتها الكونية بأساليب في غاية الإغراء والتأثير في النفس الإنسانية، فتؤثر في مئات الملايين من المسلمين مباشرة أو بصورة غير مباشرة، فتؤدي إلى الإنكار والتشكيك أو اللامبالاة بالعقيدة، أي أنها تفقد الإنسان المسلم كيانه عقلاً وقلباً وروحاً ونفساً وتفرغه من أصول الإيمان.

ثانياً: إن الأجهزة العولمية الكونية التي تلف حول العالم في كل لحظة، وتتسلل إلى البيوت على وجه الأرض كلها دون استئذان وتلعب بكيان الأفراد جميعاً، تثير في أنشطتها الشهوات الجنسية، وتزين عبادة الجسد وتشيع أنواع الشذوذ، وتحطم قيم الفطرة الإنسانية الرفيعة، فتتناقض بذلك مع النظام الإسلامي الاجتماعي والأخلاقي الذي أراد الإسلام في ظله أن يبني أُسراً مؤمنة عفيفة فاضلة ملتزمة.

ثالثاً: إن هذه الهجمة الإلحادية الإباحية الشرسة التي تلعب بالإنسانية الرفيعة وتحط بها من عليائها، وتقود أبناءها إلى الحياة البوهيمية اللامسؤولة، وتبذر في نفوسهم

اليأس والحيرة، وتحدث فيها خواءً روحياً رهيباً لتلحق بالمسلمين أفدح الأضرار وتحولهم من أمة شاهدة مجاهدة حرة لا تيئس من رحمة الله إلى أمة خاوية، تكتفي بشهوات النفس في حيوانيتها الهابطة وتفتقد الأهداف النبيلة التي تسعى إليها.

رابعاً: إن نتيجة ذلك المخطط إلغاء شخصية المسلمين، وإلحاقهم بحضارة وثقافة غيرهم، وتفقدهم أصالتهم وتقعدهم عن طلب المعالي ومحاولة بناء حضارتهم الإسلامية الإنسانية المتوازنة، كي ينقذوا أنفسهم من السقوط ويرشدوا غيرهم لينتشلوهم مما هم فيه من الحياة الحيوانية.

خامساً: إن العولمة الأمريكية لا تكتفي بواقع التجزئة العربية والإسلامية الآن، بل تحاول إحداث تجزئة داخلية في كل بلد عربي أو إسلامي، حتى ينشغلوا بأنفسهم وينسوا تماماً أنهم أمة عربية واحدة، وينتمون إلى جامعة إسلامية واحدة.

سادساً: إنهم في هذه الحالة، لا يستيقظون من غفلتهم ولا يحققون مصالحهم المادية، ويتنازلون عن ثروات بلادهم لتمتصها تلك الشركات العولمية الرأسمالية الجشعة، فينتشر فيهم الفقر وتفتك بهم البطالة، لتظهر الأمراض الاجتماعية والجرائم المتنوعة التي تودي بحياتهم من حال البأس والقوة إلى حال الضعة والذلة والهوان. بينما أراد لهم الإسلام القوة والوحدة والعزة وعدم التفريط بأموال المسلمين وثرواتهم ومصالحهم.

سابعاً : إن العولمة الأمريكية الصهيونية تخطط للتدخل العسكري وإعلان الحرب في أية بقعة من العالم، تفكر بالخروج على سيطرتها وتحكمها، لأن العالم يراد له أن يقع تحت براثن الاستبداد الأمريكي والقانون الأمريكي والقوة العسكرية الأمريكية. وهو أمر يكشفه تقريران خطيران كانا سريين للغاية، ثم نُشرا بعد ذلك، وهما تقريرا جريميا وولفوفتيز (23). ولا شك في أن نصيب العالم الإسلامي سيكون كبيراً في ضوء تلك السياسة الغاشمة.

ثامناً: في ظل العولمة زاد التفرق بين الدول الإسلامية، وضرب العالم الإسلامي في السلع الاستراتيجية كالبترول وغيره(24)، بسبيل تكريس واقع الفقر في هذه الدول.

وأمام هذه الكارثة الكبرى، لا يمكن أن نتحرك لتقليل أضرارها أو الوقوف أمامها بأوضاعنا الحالية التي تعم العالم الإسلامي للأسباب الآتية:

– نمر بمرحلة ضعف الإيمان، ونفتقد إلى معرفة العقيدة الإسلامية الصحيحة، ونتمزق مذهبياً وطائفياً وعنصرياً، وتتمكن منا العقلية اللاسببية والنظرة التواكلية.

– غفلنا عن تسخير سنن الله في الكون والحياة، بل جهلناها، لعدم فهمنا كتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وسلم) ، الأمر الذي أدى إلى تأخرنا الحضاري الذي أخرجنا من دائرة الصراع الحضاري والحوار الحضاري في الوقت نفسه، فتقدم علينا واستعمر بلادنا وحرف أجيالنا عبر المنهج الدنلوبي (25) المعروف، ونشر فينا المبادئ اللادينية، لتحدث أزمة كبيرة بين مثقفينا تجاه الإسلام(26).

– نسينا بأن الله تعالى ربّ العالمين وليس ربّ المسلمين فحسب، فظننا أن مجرد كوننا مسلمين جغرافيين يكفى لإنجاز وعد الله لنا بالنصر، في حين أن الله سبحانه وتعالى يقول: } إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ{ (27)، فهل نحن نصرنا الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه؟

– لم نتمسك بأعظم شريعة ارتضاها الله تعالى لنا، تنظم حياتنا، وتربي أجيالنا، وتبصرنا بحقائق الحياة، وتدخل السلام والأمن في دواخل نفوسنا وأعماق أسرنا، وجنبات مجتمعنا، وتنشئ أمة موحدة مؤمنة مجاهدة، تتحرك في اتجاهات الحياة كلها، تريد البناء والتغيير والتجديد دائماً.

– ولما ضعف إيماننا وانحسر التزامنا، انهارت أخلاقنا الفاضلة وقيمنا الرفيعة، فتخلخل سلوكنا وانتشرت بيننا السلبية والانهزامية والنفاق والأنانية.

– افتقدنا القدوات الصالحة، ونسينا أن نربي أجيالاً تقتدي برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأهل بيته الطاهرين وصحابته الأكرمين والعلماء العاملين والدعاة الصادقين. فانحرفت أجيالنا إلى الاقتداء بصعاليك الشرق والغرب من التافهين والتافهات والساقطين والساقطات، فتخرج عليهم أجيالٌ تافهة تعبد الشهوات وتركن إلى حياة الدعة والمجالس الفارغة الخالية من الرجولة والشهامة والفضيلة والصدق.

– لم نستفد من إمكانات العالم الإسلامي المادية والمعنوية وثرواته المتنوعة الهائلة، كي نحدث تنمية حضارية واجتماعية شاملة، نستطيع أن نقاوم التآمر العالمي علينا ونحفظ شخصيتنا المعنوية وكياننا المادي.

- اعتمدنا في ضروريات حياتنا على أعدائنا، سواء في السلاح أم في التقنيات أم الغذاء، التي لا تتمشى مع خصائص عناصرنا الإنتاجية حتى نظل تابعين للغرب، وبذلك نبقى مهمشين في صناعات ناقصة غير ذات جدوى.
- لدينا فائض يتجاوز 800 مليار دولار في بنوك الغرب، ومع ذلك نقترض منهم قروضاً مجحفة تعيق التنمية؛ لأن الفوائد التي ندفعها تبلغ أضعاف أصل الدين بمرور الزمان.
- معظم حكوماتنا لمناهجها العلمانية ارتبطت بالاقتصادات الغربية، بلا ضوابط أو فهم دقيق لاتجاهاتها أو مضامينها، وبغير مطابقتها لمتطلبات التنمية الحقيقية التي تحتاج إليها مجتمعاتنا، ولما لم تصح المنطلقات كانت النتائج سيئة جداً.
- لم نستطع أن نبني المؤسسات الشورية، حتى تنتهي من حياتنا مظاهر الاستبداد، التي زرعت في أمتنا بعد معركة صفين الطغيان خلافاً لما أراده الإسلام لنا، من بناء الحُكم على أساس المشاورة، كي تبني الأمة حياتها، وتقرر القضايا الخطيرة التي تتصل بمستقبلها. ومن هنا فقد انفرد الحكام في تاريخنا دائماً ببناء حياتنا كما كانت تفرضه عليهم أهواؤهم ومصالحهم. لا سيما حكام المسلمين في العصر الحديث الذين بتفرقهم وخلافاتهم واستبدادهم بالرأي كله ضيعوا على الأمة فرصاً تاريخية كبيرة، ومكنوا الأعداء من حياة الأمة الواحدة، وأرضها وكرامتها، ولا سيما الصهاينة الطغاة الذين سلبوا أرض فلسطين مستغلين هذا الواقع الأليم.
ولذلك صدق من قال: "السياسة هي مركز العصب في الحياة الاجتماعية العربية العامة. وهي في الوقت نفسه مركز العطب في عموم الحركة الاجتماعية"(28).
- لقد سحق أمتنا الجهل والجوع والمرض، نتيجة للمخططات الظالمة التي طبقت في مجتمعاتنا الإسلامية. إن هم الإسلام الكبير كان تمكين أبناء الطبقات المسحوقة بالعيش الكريم الذي يحفظ إنسانيتهم وكرامتهم. وهذا معلوم بالضرورة لكل من يدرس تشريعات الإسلام للقضاء على الفقر والأمية والمرض.
- لم نستطع أن نقضي على البيروقراطية والروتين والاستهانة بالزمن في حياتنا. ومن هنا ارتفعت معدلات البطالة، ولم نستطع أن نطور نمو ثرواتنا فاحتجنا إلى الوقوع تحت المديونيات الثقيلة للمؤسسات المالية العولمية.

لقد كانت نتيجة العولمة خطيرة في حياتنا الاقتصادية، فضلاً عن الجوانب الأخرى حصرها بعض الاقتصاديين العرب بالنقاط الآتية:

1- إنهاء دور القطاع العام وإبعاد الدولة عن إدارة الاقتصاد الوطني.

2- عولمة الوحدات الاقتصادية وإلحاقها بالسوق الدولية لإدارتها مركزياً من الخارج.

3- العمل على اختراق السوق العربية من قبل السوق الأجنبي.

4- إدارة الاقتصادات الوطنية وفق اعتبارات السوق العالمية بعيداً عن متطلبات التنمية الوطنية.

5- العمل على إعادة هيكلة المنطقة العربية في ضوء التكتلات الدولية(29).

إن العولمة ليست ظاهرة مؤقتة، ولا هي قضية محدودة، وإنما هي مؤامرة عالمية كبرى على البشرية، تقف وراءها دول قوية، وأموال جبارة وخبرة علمية تقنية عالية ومخططات ذكية للسيطرة رهيبة. فلا يمكن والحالة هذه أن نحمي أنفسنا منها ونتعامل معها بقوة واستقلالية وذكاء إلاّ إذا غيرنا حياتنا منطلقين من قوله تعالى: } إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ{ (30).

وتغيير حياتنا لا يتم إلاّ باتباع الحقائق الآتية:

أولاً: نزل الإسلام دينا خاتماً كاملاً شاملاً على قلب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، فواجه الجاهليات العالمية، ونقل العباد من عبادة الأنداد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وأنشأ لهم مجتمعاً إنسانياً عابداً عالماً عادلاً عاقلاً، قضى على الشرك والخرافة واللاسببية واللاعقلانية في المجتمع الإسلامي. وكان نظام المجتمع هو الشريعة الإسلامية التي أمرت بالمعروف والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهت عن الفحشاء والمنكر والبغي. وسببت قيام أعظم تنمية حضارية في المجتمع الوسيط(31)، قامت على التجربة والعلم، فأنشأت المدارس والجامعات والمستشفيات. وحكم القضاء الإسلامي بالقسطاس المستقيم بين الناس، وعرف الإنسان المسلم أن له نصيباً من كل اسم من أسماء الله الحسنى، فتمسك به، وأدب نوازع نفسه الأمارة بالسوء، فكانت حياته موازنة دقيقة بين تلك الأنصبة التي أدت إلى نشر القيم الإسلامية الرفيعة التي كانت تتحرك في دائرة الإسلام ودائرة الأديان ودائرة الإنسانية جميعاً.

ثانيًا: لقد غير الإسلام حياة الإنسان تغييراً شاملاً، فكانت سلسلة حركة وجهاد في مناحي الدنيا كلها. وانتشر الإسلام من الصين حتى الأندلس، ومن أواسط آسيا إلى مشارف جنوب أفريقيا، وهدى الله به أعيناً عميا وآذاناً صما وقلوباً غلفا. وقامت عليه مجتمعات ودول حققت انتصارات ساحقة على البغاة والطغاة والمعتدين، وتربت أجيال كانت تحب الموت في سبيل الله، كما كان المشركون يحبون الحياة في سبيل الشيطان.

وأوجد الإسلام أمة موحدة راحمة، تتكافأ دماء أبنائها ويقوم بذمتهم أدناهم وكانوا يداً على من سواهم، جنسيتهم الأولى كانت هي الإسلام. ذابت فيها فوارق القوميات واللغات والأوطان. ثم أصاب المسلمين ما أصابهم من الضعف الإيماني في القرون الأخيرة كما ذكرنا قبل صفحات.

تابع معنا بقية محاور المقال:

*

مقدمة

*

العالمية والعولمة: تعريف وتمييز

*

جذور العولمة

*

تفاصيل فلسفة العولمة ونتائجها

*

الفكر الإسلامي في مواجهة العولمة

*

نحو ميثاق إسلامي لمواجهة العولمة

عودة

(1) هود، آية 118- 119.

(2) الروم، آية 23.

(3) آل عمران، آية 140.

(4) مستقبل العولمة بين منظورين، المستقبل العربي، ص21.

(5) العولمة أمام عالمية الشريعة الإسلامية، د. عمر الحاجي، ص51، ط1، دار المكتبي ، دمشق، 1420هـ/ 1999م.

(6) المصدر نفسه، ص50.

(7) العولمة والهوية، نجيب غزاوي، ص46، مرجع سابق.

(8) مستقبل العوملة بين منظورين، ص21.

(9) العولمة والهوية، ص46، مرجع سابق.

(10) العولمة بين القبول والرفض، ثناء عبد الله، ص106، المستقبل العربي 256 في 2000/6م.

(11) المصدر نفسه، ص90.

(12) منتدى دافوس والعولمة وعالم ما بعد سياتل/ محمود أبو الفضل، جريدة الحياة، عدد 13473 في 1420/10/24هـ.

(13) قضايا العولمة بين القبول والرفض، ص101، المستقبل العربي، مرجع سابق.

(14) العولمة – المفهوم، المظاهر، المسببات، ص72، مرجع سابق.

(15) النظام العالمي الجديد – منير شفيق، ص16، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1420هـ - 1992م.

(16) إعلام العولمة، ص89، مرجع سابق.

(17) المصدر نفسه، ص75.

(18) العولمة في المستقبل، مجلة الإسلام اليوم، العدد 16-17، ص11، 1421هـ/2000م.

(19) العولمة بين منظورين، ص21، مرجع سابق.

(20) العولمة – استراتيجية تفكير، ص22، مرجع سابق.

(21) المصدر نفسه، ص214.

(22) العولمة بين منظورين، ص126-127، وأيضاً: العولمة في الإعلام، د. مالك بـن إبـراهيم بـن أحمـد، البيـان، ص114، ذو الحجـة 1420/ آذار 2000م، العـدد 114.

(23) النظام العالمي الجديد، ص18-22، مرجع سابق.

(24) البيان، عدد 152، ص70، مرجع سابق.

(25) دنلوب هو القس الإنجليزي الذي جاء بـه المحتل الإنجليزي إلـى مصر بعد الاحتلال البريطاني، ليقود نظام التربية والتعليم في مصر من عام 1899 إلى عام 1919م.

(26) راجع كتاب ((أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث)) للمؤلف.

(27) سورة محمد، آية 7.

(28) العرب والعولمة – المستقبل العربي، ص68، مرجع سابق.

(29) الاقتصـاد العربـي فـي مواجهة تحديات النصف الثاني من عقد التسعينيات – مجلة آفاق عربية ، ص2، في 1995/2/1م، والسوق الشرق اوسطية – آفاق عربية، عدد12/11، 1995، ص4.

(30) الرعد، آية 10.

(31) راجع كتاب ((الإسلام والتنمية الاجتماعية)) للمؤلف.

==============

#الفكر الإسلامي في مواجهة العولمة

شرطة الغرب تخلت عن حقوق الإنسان الغربي

منذ أكثر من قرن ونحن نبتعد عن هذا الدين بقصد وتخطيط، سواء أكان التأثير في ذلـك داخليًا أم خارجيًا، داخليًا فـي قابليتنـا للسـقوط وخارجيًا فـي هجمـة التبشـير والاستشراق والتغريب والاستعمار علينا.

عودتنا هذه المرة إلى إسلامنا، والانطلاق منه إلى عصرنا يقتضي منا إعادة النظر في الأمور الآتية:

الفكر الإسلامي:

- لا بد لنا أن نؤكد على أصول العقيدة الثابتة القاطعة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وفصلها من فروعها، والتأكيد على الأصول، وترك الفروع التي اختلف حولها العلماء حتى لا نتمزق من جديد.
- عد تيارات الفكر الإسلامي القديم تيارات اجتهادية جابهت الفلسفات والتيارات الفكرية في زمانها فأصابت وأخطأت، وليس من المصلحة إحياؤها اليوم وإدارة صراعات جديدة عليها.
- مواجهة الأفكار الجديدة بأسلوب جديد ومادة معرفية جديدة، منطلقين من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- .
- تبني المنهج الشمولي في فهم الإسلام الذي يجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والحركة والبناء الحضاري، من خلال منهج عقلي أصولي سليم.
- الإيمان بأن الفقه الإسلامي، فقه متجدد لا يقف عند زمن معين ولا مذهب معين ومواجهة مشكلات العصر من خلال مقاصد الشريعة وقاعدة الأيسر وليس الأحوط.
- دراسة الأنظمة العامة والمبادئ الكلية في الشريعة الإسلامية بمواجهة ما عند الغرب من مبادئ ونظريات قانونية كلية.
- دراسة السنن الكونية دراسة علمية موضوعية والاستفادة منها في الدخول إلى العصر الحضاري الإسلامي الجديد.
- محاربة مظاهر البدع والخرافة والتواكلية التي أخرت تقدم الأمة وقيامها عبر العصور الأخيرة.
- الرد على الغزو الثقافي العولمي الأمريكي الصهيوني من خلال المنهج السابق في الفكر الإسلامي، بجميع الوسائل التي يعتمد عليها، سواء من خلال الأنماط الفكرية أم الفنية أم الأدبية التي يعرضونها من خلال أفكارهم المناقضة للإسلام.

الفكر السياسي:

لا بد من القيام بنقد تاريخي شامل لنظام الحكم في المجتمعات الإسلامية من بعد معركة صفين وإلى اليوم، وإثبات أن الاستفراد بالحكم والاستبداد فيه الذي كان سائدًا في تاريخنا، سواء أكان في الدولة الأموية أم العباسية أم العثمانية أم في دول الأندلس، وغيرها من الدول والدويلات التي حكمت العالم الإسلامي عبر القرون،

وكذلك في الدول الحديثة والمعاصرة على تنوع أنظمتها العلمانية أو ادعائها تبني الإسلام والتطبيق المزيف أو المنقطع المجزأ بالكتاب والسنة منهج استبدادي مخالف لنظام الحكم الشوري في الإسلام مخالفة أكيدة، وإنه جلب على الأمة الإسلامية عبر العصور مآس جمّة وخرابًا شاملاً، وإنه من أعظم أسباب سقوط المجتمع الإسلامي وأزماته قديمًا وحديثًا.

إن نظام الشورى في الإسلام كما طبّقه الرسول –صلى الله عليه وسلم– وخلفاؤه الراشدون y ، وكما يمكن أن يلجأ اليوم إلى الآليات والأساليب المعاصرة المنسجمة مع روح الإسلام لتحقيق مقاصد الشورى، هو الذي يحقق كرامة الإنسان المسلم، ويعيد إليه حقه في المعارضة والتعبير عن آرائه بحرية أخلاقية منضبطة.

إن بقاء النظام السياسي في المجتمع الإسلامي إلى لحظة كتابة هذه الكلمات نظامًا تسلطياً فرديًا استبداديًا، لن يكون إلاّ في مصلحة قادة العولمة، وأعداء هذه الأمة. إن الصدام بين الشعوب وحكامها لن يكون إلاّ في صالحهم. ولذلك نجد أن العولمة تشجع بقاء الأنظمة الظالمة في بلاد الإسلام، مع أنها تدعي أنها تريد الديمقراطية والحرية في العالم.

إن العقلاء جميعًا متفقون على أنه ما من مصيبة من مصائب هذا القرن، قد حلت بالإسلام والمسلمين إلاّ كانت نتيجة مباشرة لصراعات الحكام فيما بينهم واستبدادهم بالرأي، ومحاربتهم لأهل الرأي السديد وعدم سماعهم قول الحق وعدم رجوعهم إلى موازين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا. فضلاً عن ارتباط كثيرين منهم بأعداء الأمة والدين.

إن معظم حكام المسلمين في القرن الأخير قد أحدثوا فرقة كبيرة بين المسلمين، أو لم يهيئوا صفوف الأمة للجهاد والحركة والتغيير والبناء، وضيعوا ثروات الأمة على مباذلهم وقصورهم، وعلى حياة البذخ والفخفخة الفارغة، أو على حروب خاسرة لم يخططوا لها ولم تكن لهم فيها إرادة للقتال أصلاً.

إن نتيجة تلك السياسات هي التي أدت إلى طغيان الصهيونية واستيلائها على أرض فلسطين، وهي التي تؤدي اليوم إلى خطر طغيان العولمة الشرسة علينا.

إنني أكاد أجزم مع الجازمين أن أي إصلاح لا يمكن أن يجري على أصوله الصحيحة في بلاد الإسلام، ما لم تتغير طبيعة النظام السياسي في بلاد الإسلام، من الاستبداد إلى الشورى، ومن مصادرة الرأي إلى الحرية في الرأي والمعارضة، ومن مصالح الأفراد والأسر إلى مصالح الأمة من حيث هي كل لا يتجزأ ومن حكم الحكام إلى حكم المؤسسات الدستورية.

وهذا هو سر حرص أمريكا واليهودية العالمية ومن شاكلهما من دول الطغيان على إبقاء الوضع السياسي في العالم الإسلامي على ما هو عليه؛ لأنه يجلب لهم الأمن والأمان والسكوت على جرائمهم بحق الإسلام والمسلمين.

الفكر الاقتصادي:

لقد استنبط الاقتصاديون الإسلاميون النظام الاقتصادي الإسلامي المعاصر من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن معالجات الخلفاء الراشدين واجتهادات الفقهاء المجتهدين عبر العصور. وزادوا على ذلك ما استجد من قضايا الاقتصاديات المعاصرة والتي تتلاءم مع روح الإسلام. وأستطيع أن أزعم أن التوجه الإسلامي في بناء الاقتصاد هو الذي ينقذ الأمة من التخلخل الاقتصادي، ويقضي على التفاوت الظالم في الثروات، ويعيد التوازن إلى المجتمع الإسلامي، ويحدد وظيفة الدولة الاقتصادية من خلال ذلك التوازن.

لماذا؟!!.

- لأن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد مرن لا يعين معالجة واحدة في كل حالة زمانية أو مكانية، وإنما يقرر الأصول ويفتح حرية الحركة أمام الاقتصاديين، لحل المشكلات الاقتصادية حسب الظروف المختلفة.
- منع الاستغلال والاستلاب للقضاء على سوء توزيع الثروات والحيلولة دون قيام المجتمع الظالم.
- التملك مشروع ولكنه محاط بسياج من القيود حتى لا يؤدي إلى التعسف في استعمال حق الملكية، ويشرع الإسلام مع الملكية الفردية الملكية العامة وملكية الدولة.

- لا بد من وجود التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي؛ لأنه هو الذي ينتهي إلى التوازن.

- تكافؤ الفرص أمام الجميع وعدم تعطيل الطاقات الإنسانية.

- تغليب الاتجاه الجماعي في الاقتصاد الإسلامي لتغليب مصالح الأكثرية الكادحة.

- حرمة الكنز وحبس الثروات، وتوظيفها لأداء وظيفتها الاجتماعية.

- الدولة لها الحق في التدخل في الحياة الاقتصادية، كلما رأت الضرورة في تحقيق مصالح العباد.

- العمل هو المعيار الأساسي، وهو نابع من فكرة الاستخلاف، ويلتزم المجتمع بإيجاد عمل لكل قادر.

- المحافظة على رأس المال وإنماؤه وعدم إضاعته، ولذلك شرع الإسلام مبدأ الحجر على أموال السفهاء.

- في ظل الاقتصاد الإسلامي تكفي الموارد؛ لأنه ليس اقتصاد ترف. كل تنظيم اقتصادي معاصر، يزيد في الثروة ويحقق مقاصد الإسلام في إسعاد الناس، هو من الاقتصاد الإسلامي، من منطلق القاعدة الشرعية، حيثما كانت مصالح العباد، فثمة شرع الله.

- من الواجب أن يتعاون الجهد الإنساني في أجنحته كافة في تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة.

هذه هي بعض الملامح العامة لمذهبية الاقتصاد الإسلامي المتميز عن باقي الأنظمة الاقتصادية المعروفة اليوم تمام التميز، لا بد أن يؤدي عند تطبيقه إلى طريق جديد للتنمية في المجتمع الإنساني، طريق ليس آلياً يبغي الربح وحده أو الكفاية الاقتصادية وحدها، إنما هو طريق إنتاج اقتصادي أخلاقي إنساني، يفي حاجة الإنسان وضروراته وشيئًا من كمالياته، إن أمكن ذلك(1).

يقول الاقتصادي الفرنسي جاك أوستروي: "إن طريق الإنماء الاقتصادي ليس مقصورًا على المذهبين المعروفين، الرأسمالي والاشتراكي، بل هنالك مذهب اقتصادي ثالث راجح، هو المذهب الاقتصادي الإسلامي، ويقول: "إن هذا المذهب سيسود عالم المستقبل؛ لأنه أسلوب كامل للحياة"(2).

فإذا انطلق المسلمون من مذهبية الاقتصاد الإسلامي التي تتفرع من مذهبية الإسلام العامة في الكون وخالقه والمجتمع والإنسان، فاستفادوا من إمكانية المسلمين الاقتصادية الضخمة المتنوعة، وكانوا أقوياء الأداء في جانب التشييد والمعادن والزراعة(3) وقابلوا العولمة المركزية الأمريكية الصهيونية، بعالمية عربية وإسلامية وشرقية(4)، وتعاملوا مع الاقتصاد العالمي من خلال تبادل المنافع، وخططوا للتنمية تخطيطاً ذاتيًا جيدًا، مستفيدين من خبرات وتنظيمات الحضارة الغربية وأقاموا سوقًا إسلامية مشتركة، ونقلوا أرصدتهم الضخمة إلى العالم بعد إعادة الثقة إلى وحدة الأمة وأخوة أبنائها، فإنهم يستطيعون في هذه الحالة أن يقللوا كثيرًا من أخطار العولمة عليهم؛ لأن العولمة كالذئب لا يأكل إلاَّ من الغنم القاصية.

الفكر الاجتماعي الإسلامي:

لا بد من التأكيد على النظام الاجتماعي الإسلامي في الأمور الآتية:

1- يقوم المجتمع الإسلامي على جهود الرجال والنساء، يكمل بعضهم بعضًا.

2- ليست هنالك مفاضلة في أصول الخلقة ولا مفاضلة لجنس على آخر في أصل الخلقة، بل كل جانب يفضل الآخر فيما كلف به من واجبات شرعية.

3- أقر الإسلام في تشريعاته بإنسانية المرأة واستقلال شخصيتها وعدها أهلاً للتدين والعبادة، وأقر حق المبايعة لها كالرجل ودعوتها إلى المشاركة في النشاط الاجتماعي المنضبط بضوابط الأخلاق، وقد سمح لها بالأعمال التي تتفق مع طبيعتها، وشرع لها نصيبها في الميراث وإشراكها في إدارة شؤون الأسرة وتربية الأولاد، وأوجب معاملتها بالمعروف واحترام آدميتها كما أنه ساوى بينها وبين الرجال في الولاية على المال والعقود، وأقر لها شخصيتها القضائية المستقلة(5).

ومن هنا فإنه لا بد أن نجتاز بالمرأة المسلمة عصور التخلف والجهالة وسوء التأويل لتشريعات الإسلام لحياة المرأة، والاعتراف الكامل بكونها نصف المجتمع، ولا بد من إعادة النظر في مشكلاتها الاجتماعية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية العامة ومقاصدها الحكيمة وغاياتها في الحياة لتحديد مسؤوليتها الأسرية والاجتماعية والدعوة إلى ترك الاجتهادات الماضية التي تمثل عصورها وأعرافها، والتي قيدت المرأة في التربية والتعليم، والاشتراك في مضامير الحياة المتنوعة التي تتفق مع

فطرتها وتكوينها ومصلحتها ومصلحة مجتمعها، دون الانجراف وراء مغريات الحياة الإباحية التي انتهت إليها الحضارة الغربية.

4- يقوم المجتمع الإسلامي على القاعدة الإيمانية التي تجمع بين المسلمين جميعًا دون الالتفات إلى اختلافات اللغة أو اللون أو العرق.

5- أهل الأديان جميعًا لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين إلاّ فيما يخص القضايا التشريعية الخاصة بكل طرف.

6- البشر جميعهم كرامتهم مصانة في إطار المجتمع الإنساني.

7- المجتمع الإسلامي يقوم على أساس نابع من قيم الإسلام والقيم العامة التي اجتمع عليها الإسلام.

8- لا بد أن تحقق العدالة المطلقة في المجتمع الإسلامي للجميع، ولا فرق في ذلك بين المسلمين وغير المسلمين.

9- الأسرة في المجتمع الإسلامي تقوم على القواعد الإسلامية في المحافظة على العفاف والفطرة والابتعاد عن الفوضى الجنسية، وخرق نظم الأخلاق التي يقرها الإسلام.

10- تكافؤ الفرص أمام الجميع لإظهار القدرة والاستعداد لبناء المجتمع والحضارة.

الفكر التربوي الإسلامي:

أمام هجمة الفضائيات العولمية وتخطيطها العلمي والفني الذكي في عرض أفكارها بطرق متنوعة مؤثرة، عبر الأنماط الفنية من المسلسلات والأفلام والتعليقات والتقارير التي تدخل يوميًا مئات الملايين من أجهزة التلفزيون والإذاعة والإنترنت على وجه الأرض، لا يمكن الحفاظ على الذات والأصالة والخصوصية الدينية والفكرية، إلاّ بتربية أبناء الأمة تربية مخططة تشعرهم بأنهم أبناء أمة التوحيد والإيمان وتنشئتهم نشأة إسلامية، وتحصنهم فكريًا وأخلاقيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، بحيث يعلمون بيقين كامل أنهم متميزون عما يشاهدون. وبذلك يستطيعون أن يكتشفوا الباطل من الأقوال والأفعال والسلوك. وإن لم نفعل ذلك ونتعاون عليه في العالم الإسلامي كله، فسنجابه فتنة كبيرة وفسادًا عظيمًا وذوبانًا تدريجيًا مؤكدًا في طغيان إعلام العولمة الرهيب.

ويكون ذلك بما يأتي:

1- الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة وتثقيف أفرادها وتوجيههم من خلال أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن خلال المساجد وخطب الجمعة والدورات التربوية القرآنية المستمرة أو المؤقتة والمواعظ والمحاضرات العلمية والتوجيهية.

2- ومن خلال المناهج الرصينة في التربية الدينية، وكتب اللغة العربية، وكتب التاريخ والجغرافية والثقافة العربية والوطنية العامة، وحتى الكتب العلمية الصرفة.

3- ومن خلال الكتب والمجلات والجرائد والدوريات الخاصة والعامة.

4- ومن خلال المخيمات الشبابية الصيفية في القطر الواحد أو الأقطار العربية أو الإسلامية.

5- ومن خلال المهرجانات العامة والمؤتمرات التي يجب أن تقام بين حين وآخر في القطر الواحد أو الأقطار المتنوعة.

6- ومن خلال العروض المسرحية والأفلام في المسارح ودور العرض السينمائية.

وغلى غير ذلك من الوسائل التي تشترك جميعًا في تكوين أجيال تشعر بانتمائها الإسلامي وانتسابها الحضاري للأمة العربية والإسلامية(6).

7- ومن خلال وحدة المعرفة التي قامت عليها التربية الإسلامية التي تبغي صياغة الفرد صياغة إسلامية حضارية، وإعداد شخصيته إعدادًا كاملاً من حيث العقيدة والذوق والفكر والمادة، حتى تتكون الأمة الواحدة المتحضرة التي لا تبقى فيها ثغرة تتسلل منها الإغراءات العولمية اللادينية الجنسية الإباحية.

إننا نحتاج في بلاد الإسلام كلها إلى أن نقوم بحملة إسلامية شاملة عبر مخطط حضاري معاصر، تشترك فيها الدول والمؤسسات الرسمية والشعبية والجمعيات والأحزاب جميعاً. لأن مواجهة العولمة من الخطورة بحيث يجب أن نتعامل معها من مواقع قوية تشهد على وحدة الأمة، وغاياتها النبيلة في هذه الحالة لخيرها ولخير البشرية جميعًا.

نحو وحدة الأمة

إن أوضاع البلاد الإسلامية المتأخرة في القرن الأخير شجعت المستعمرين على التقدم نحو احتلال بلاد الإسلام، ولم تفد المقاومة غير الموحدة وغير الحضارية في

منع وقوع ذلك الاحتلال. فبذل هؤلاء الأعداء المحتلون جهودًا ثقافية إعلامية تربوية كبيرة في سبيل نشر مبادئهم في الوسط الإسلامي. فآمن البعض بالمبادئ الرأسمالية الفردية، وآخرون آمنوا بالشيوعية، وجماعة ثالثة آمنت بالقومية ورابعة بالوطنية الديمقراطية وأخرى بالاشتراكية الثورية، وهكذا دون رجوع إلى محور إلهي ثابت يتحاكم إليه الجميع.

وتقبل الأفكار المفرقة للأمة في أسسها لم يأت فقط عن طريق الفرض الاستعماري فحسب، وإنما ظهر أيضًا نتيجة للاحتكاك الحضاري، بين أمة متأخرة جامدة غير منتجة للفكر والعلم والمدنية، وبين أمم استعمارية غربية قوية دخلت في العصر الحضاري الجديد، فأبدعت في التنظيم وبناء الحياة المادية أيما إبداع. فحصلت من هنا الكارثة الكبرى في بلاد الإسلام، حيث قانون تقليد المغلوب للغالب قد عمل عمله، وسقطت أجيالنا المتلاحقة أمام الأفكار المغرية التي أتتهم من الغرب، دون أن تكون لهم بها قوة في الوعي والتمييز والتمحيص والاختيار.

وقد ظهر ردّ الفعل الإسلامي المسالم أو العنيف على هذه الأوضاع المزرية في التشرذم والفرقة والصراع والصدام. فدعا الإسلاميون إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– . ومن هنا حدث صدام فكري ودموي بينهم وبين أصحاب تلك المبادئ اللادينية المناقضة لأسس الإسلام، والذين مكنتهم القوى الاستعمارية من حكم البلاد الإسلامية. واستمر الحال قرابة قرن كامل من الزمان، بحيث ألحق ذلك الصراع أضرارًا فادحة بمجمل حركة التطور الإسلامي إلى الأمام، لأن القوميين العلمانيين والوطنيين اللادينيين، والوجوديين الملاحدة، والشيوعيين الماديين، لم يكونوا على استعداد أن يلتفتوا إلى الإسلام أي التفات، بل عدّوا الإسلام ومن يؤمنون به وينادون بالاحتكام إليه أعداء حقيقيين لهم وللبلاد؛ فالصقوا بهم التهم الباطلة، واتهموهم بإعاقة تقدم الأمة وأدخلوهم في محن طويلة من السجون والتشريد والقتل، وانفردوا هم بحكم البلاد وتدبير أمور السياسة قرابة قرن كامل من أخصب زمان الأمة.

وبدا العقلاء شيئًا فشيئًا يتساءلون: يا تُرى ماذا فعل الحكام اللادينيون الذين كانوا يحكمون بلاد الإسلام، والذين كانوا ينتمون إلى القومية والوطنية والماركسية؟

هل قدّموا المجتمع إلى الأمام؟ هل وحّدوه؟ هل بنوا مجتمعًا متماسكًا؟ هل قادوا تنمية ناجحة؟ هل أسسوا فيها قضاءً عادلاً؟ هل بنوا فيها تعليمًا منسجمًا وتربية محصنة؟ هل حافظوا على كرامة الإنسان المسلم؟ هل كانوا يحكمون بشورى حقيقية؟ هل سخّروا المنافقين من الكتاب والأدباء والشعراء وأهل الصحافة لمصالح الجماهير المخدوعة أم لمصالحهم الطاغوتية؟ هل قضوا على الفقر؟ هل أوجدوا اقتصادًا قنوعًا في العالم الإسلامي؟ أم ضيّعوا ثروات الأمة في رغبات النفس الأمارة بالسوء، وبناء القصور وتزيينها، والمحافظة على استمرارهم في الحكم والسلطان والطغيان؟!.

ألم يأن لهؤلاء أن يعترفوا أنهم مسخوا الأمة بالتقليد، وصنعوا لها الكوارث تلو الكوارث، وأوقعوها راكعة ذليلة أمام الطغيان الأمريكي والصهيونية العالمية.

ألم يأن لهم أن يلتفتوا إلى إسلامهم، فيحاسبوا أنفسهم ماذا جنوا بحقه؟ ويتساءلوا بينهم: هل فهموا حقائقه؟ ألا يجب عليهم أن يجربوه تجربة أصولية عصرية ليعلموا كيف تكون النتيجة؟

- لو ربوا الأجيال على الإيمان والإخلاص والابتعاد عن الذنوب عامة وخاصة، ماذا سيحصدون؟

- لو عادوا إلى استشارة الأمة استشارة ملزمة، ماذا ستكون العاقبة؟

- لو طبّقوا الأنظمة العامة في الشريعة الإسلامية الثابتة بالوحي الإلهي من أجل إحداث تنمية شاملة، ماذا ستنتهي إليه الأمة؟

- لو رجعوا إلى نظام التربية والتعليم نصيب كل إنسان في أسماء الله الحسنى، كيف ستنمو القيم، ويتوحد الشعور ويبدع العقل المنتج وتنطلق الحركة المغيرة؟

ثم ألم يأن للإسلاميين أيضًا أن يقوموا بمساءلة أنفسهم ماذا يجب أن يفعلوا مع أنفسهم؟ هل أفادهم خلط الوحي الإلهي بآراء رجال استنبطوا لعصرهم وفكروا من خلال واقعهم؟

ألا يجب عليهم أن يفصلوا الوحي الإلهي عن التاريخ الذي هو صنع آبائهم وأجدادهم بكل ما فيه من حلو ومر.

- ألا يجب عليهم جميعًا أن يدخلوا في العصر الحديث ليبنوا مستقبل الأمة، فيقللوا الحديث عن الماضي المفرق أحيانًا.

– هل من الإخلاص لله ولرسوله أن نرجع إلى واقعنا الجديد صراعات السلفية والصوفية والأشعرية والمعتزلة والحنبلية والجهمية، والسنة والشيعة، تلك الأفكار التي ذهبت مع صراعات عصرها، ولنا اليوم عشرات المعضلات الحضارية الحديثة التي تنتظر الجواب السديد.

هل يفيدنا في مواجهتنا الحضارية الحديثة لبناء أمتنا الحلول الجزئية المرحلية الماضية التي أكل عليها الدهر وشرب؟.

ألا يجب على الإسلاميين حتى يقنعوا أهل الأفكار الغربية الممزقة بأحقية الحل الإسلامي، أن يعودوا إلى المنهج الشمولي في فهم الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكًا بأسلوب جديد ومنهج واع، يعتمد العلم والعقل لا غيرهما.

إن أمتنا تواجه اليوم العولمة الطاغية الباغية، وهي ساقطة متأخرة بينها وبين أهل الحضارة المسيطرة شأو بعيد.

فهل من المعقول أن نسمح بأن يستمر الانحدار، ويتمكن التأخر، وتزداد الهوة بيننا وبين العصر الحديث.

ألا نحتاج في هذه المواجهة التاريخية الكبرى لتوحيد أمتنا وتقويتها، وبنائها على أصالتها وخصائصها الذاتية والإنسانية إلى محور ثابت أصيل متوازن، يعود الجميع إلى الاحتكام إليه وينسون صراعاتهم وخصوماتهم من أجل الانطلاق إلى بناء أمتنا المجيدة من جديد؟

وهل سنجد هذا المحور الثابت الأصيل المتوازن في غير ديننا الخالد، الإسلام الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟.

وهذا الإسلام يشكل المعادلة الأساسية الجوهرية في حياة الأمة، وأعداء الإسلام اليوم بوسائلهم الخبيثة كلها يريدون أن يضربوا هذا الأساس المتين، كي تضيع وحدة الأمة، فتستسلم إلى التبعية الذليلة وتتخلى عن العزة والوحدة والحقوق الأساسية(7).

إن تجربة قرن كامل في قيادة المجتمعات الإسلامية بمعزل عن النظام الإسلامي أثبتت للعلمانيين أنفسهم أنهم كانوا مخطئين في عزل الإسلام عن الحياة، فبدءوا يلتفتون شيئًا فشيئًا إلى دينهم الإسلامي بدرجات متفاوتة، ويدعون إلى عقد ندوات حوارية بينهم وبين الإسلاميين، وهذا في حدّ ذاته حالة صحية مطلوبة؛ لأن الأخطار

التي تهدد الأمة من العولمة الصهيونية في بلاد الإسلام كلها لا سيما في فلسطين تستدعي اللقاء والحوار والتقارب، حتى يصل الجميع إلى صيغة تجمع الكل على القضايا الجوهرية الواحدة في مواجهة تلك الأخطار، وإلا فالعدو بالمرصاد، ويمكن أن يسد علينا نوافذ الضياء جميعًا.

إن تعاون الجميع في إطار حكم شورى والاتفاق على قضايا مصيرية عليا سيعيد التوازن إلى كيان الأمة والأمل إلى الأجيال الجديدة، فيشعرون بلذة التعاون والوحدة، ويتحركون بمنتهى المسؤولية، وحينئذ يمكن أن يقود هذا إلى بداية قوية في أحداث تنمية حقيقية شاملة، تخرج الأمة من ظلمات القرون الأخيرة إلى نور الخطوط المخلصة من أجل القيام والنهوض والتقدم إلى الأمام.

وقد يسأل باحث: ما القضايا الجوهرية التي يمكن أن يتفق عليها الإسلاميون والقوميون والوطنيون في هذه الفترة الانتقالية التي تهدد بلادهم فيها أمريكا ومن ورائها اليهودية العالمية.

____

(1) الإسلام والتنمية الاجتماعية.

(2) النظام الاقتصادي الإسلامي – مبادؤه وأهدافه، لأحمد محمد العسال وفتحي عبد الكريم، ص13-14، ط2، مطبعة الاستقامة – القاهرة، 1977م.

(3) العولمة، مهيوب، ص66-67، المستقبل العربي، مرجع سابق.

(4) ما العولمة، د. حسن حنفي، ص241، مرجع سابق.

(5) راجع ((حقوق المرأة في الإسلام)) لمحمد رشيد رضا، و((حقوق المرأة في الإسلام)) للدكتور علي عبد الواحد وافي، و((المرأة بين الفقه والقانون)) للدكتور مصطفى السباعي، و((الإسلام والمرأة المعاصرة)) للأستاذ البهي الخولي، و((المرأة في القرآن)) للأستاذ عباس محمود العقاد.

(6) العولمة والمستقبل، ص99، مرجع سابق.

(7) النظام العالمي الجديد، ص51.

==============

#نحو ميثاق إسلامي لمواجهة العولمة

يمكن أن يتفق الجميع على ميثاق عام لمواجهة العولمة، وتفصيله على الوجه الآتي:

– المحافظة التامة على استقلال الأمة السياسي، وعدم السماح بتدخل القوى الأجنبية الغاشمة لإضعافه بشكل مباشر أو غير مباشر.

– المحافظة على ثروات الأمة من الضياع والهدر والسرقة، ووضع الخطوات الكفيلة بمنع ذلك.

– الوقوف الموحد أمام الحكام، ومحاولة منعهم من الانفراد والظلم والتجاوز، ونصحهم الدائم عبر الوسائل الإعلامية من دون عنف وثورة وسفك دماء؛ لأن ذلك لا يأتي بخير، ولا سيما في ظروف أمتنا الحاضرة.

إن الضغط الجماعي المستمر على الحكام من شأنه أن يعيدهم إلى صوابهم، وأن يقوي مواقفهم التفاوضية في قضايا العلاقات الخارجية.

– الوقوف مع الحكام مهما كانوا ظالمين، عندما يُداهم البلد غزو أجنبي، ونسيان كل خلاف معهم. فمصالح الأمة العليا والحفاظ على استقلالها وأرضها وشرفها مقدّم على كل اختلاف داخلي حتى لو وصل إلى درجة الصراع.

– الاتفاق على كل ما يعيد الروح في أي مظهر من مظاهر الوحدة العربية أو التضامن العربي أو التضامن الإسلامي، وعدّ ذلك من أهم الثوابت التي لا يجوز النقاش فيها.

– عدم الخروج على الثوابت القاطعة، التي ثبتت بالوحي الإلهي، والتي لا يكون المسلم مسلماً موحداً إلاّ بها، وعدم السماح بمخالفتها في الثقافة والتربية والإعلام.

– رفض مخططات الصهيونية، وعدم الاعتراف بأية تسوية معها على حساب أرض فلسطين المقدسة، واللجوء إلى إعداد الأمة للجهاد ضدها، والإيمان الكامل بأن ما أُخذ بالقوة في فلسطين بالذات، لا يمكن أن يسترد إلاّ بالقوة، ولو طال الأمر عشرات أخرى من السنين، باعتبارها قضية العرب والمسلمين الأولى.

– رفض كل جماعة أو هيئة أو حزب لا تنبع أفكارها من مقدسات الدين والوطن وأرضه وتاريخه وحضارته، وعدّ ذلك عمالة لقوى أجنبية سرية أو علنية.

– تداول السلطات سلميًّا بين التيارات السياسية المذكورة، لابد أن يكون قانوناً عاماً في المجتمع؛ حتى لا تهدم أركانه الصراعات السياسية، التي أضرت بمصالح الأمة في القرن الأخير ضرراً بالغاً، ولا سيما في النصف الأخير من القرن العشرين.

– الاتفاق على أسس عامة في إعمار البلاد عبر خطط متنوعة، يتفق عليها أهل الخبرة العلمية من الأطراف جميعاً، وهي خطط علمية محايدة.

– عدم فرض الرأي الواحد أو الاتجاه الواحد في القضايا الخطيرة التي تتعلق بها مصلحة البلاد والعباد، والإيمان بأن تنازل كل طرف عن شيء من رأيه أو خططه سيؤدي إلى وضع مشترك يريح الجميع.

– اتفاق الجميع على أن يبقى الجيش سوراً قوياً للوطن، ولا يستعمل أبداً في اللعبة السياسية، وإنما يتوجه به إلى حياة الجندية والتدريب والتسلح؛ استعداداً فورياً لقطع دابر المعتدين الباغين من الصهاينة ومَنْ وراءهم من المجرمين الاستعماريين.

– الاتفاق على قيم أخلاقية عُليا، نابعة من دين الأمة وأصالتها وحضارتها الشامخة؛ حتى تتربى الأجيال على الحد المشترك الذي يُرضي الجميع في هذه المرحلة الحرجة، التي نحتاج فيها إلى الأخلاق النبيلة لبذر بذور المحبة والتراحم والتواد بين أبناء الأمة الواحدة.

– إن هذا يستدعي الاتفاق على رفض النظام الاجتماعي الذي يبيح الشذوذ الجنسي والحرية الجنسية للرجال والنساء، وكذلك رفض الإلحاد والردة عن الدين.

– الاتفاق على وضع الخطط للقضاء على الجهل والجوع والمرض بين أبناء الأمة الواحدة، وهي خطط دنيوية عامة.

– الاتفاق على عدم اتباع اللاأخلاقيات التي يتبعها الديمقراطيون الغربيون في صراعات الأحزاب والانتخابات، وفضح بعضهم بعضا بالحق والباطل في سبيل المنافسة والتقدم في الانتخابات أو إسقاط الحكومات.

– الحوار الدائم بين الأطراف المذكورة من شأنه أن يقارب بين العقول والقلوب؛ تمهيداً لإذابة الجميع في مفهوم الأمة الواحدة، أخوة في الدين والقوم والوطن، وتأليف لجان دائمة مشتركة من الخبراء، تبحث القضايا الكبرى، وتعد الخطط والبيانات في أنشطة الحياة المتنوعة.

- زرع هذه المعاني العليا- كل من جهته- بين جماهير الأمة العربية والإسلامية؛ كي تتحول إلى اقتناع عميق لا يتزحزح، مهما تغيرت الظروف والأحوال، حتى تقوم بواجبها في الوقوف الجماعي الكاسح أمام هذه العولمة الأمريكية اليهودية. فعزل الجماهير في العقود الماضية وعدم السماح لها بصنع حاضرها ومستقبلها من لدن الحكام المستبدين، قد ألحق بحركة الأمة ووحدتها نكسات كبيرة.

ففرض الطريق الواحد على العلماء والمثقفين والسياسيين والأدباء والإعلاميين والفنانين وغيرهم عن سبيل الإرهاب والتعذيب والسجن والاغتيال والإعدام، كان طامة كبرى في حياة هذه الأمة المظلومة، بِيَد أولياء أمورها قبل أعدائها، فقد أدى إلى هدر طاقات الأمة وحسها الفطري في الوحدة؛ لأن الشعوب إذا أخذت المبادرة فلن تختلف، بينما الحكام الذين يقوم حكمهم على غير القواعد الشعبية يختلفون، واختلافهم دائماً في صالح الأعداء- لا سيما الصهيونية- وتدمير الأمة في مجالات الحياة كافة().

إن الطريق الوحيد أمام العولمة الأمريكية الصهيونية، مواجهتها في إضعاف الإيمان بالانطلاق من عقيدة الأمة والتضامن بين العرب والمسلمين في مجالات الحياة كافة، والوقوف وقفة موحدة أمام السياسات العولمية الغاشمة.

أما التفرق والخضوع فلن يخدم أحداً، وسيؤدي إلى مزيد من النكسات والسقوط أمام الغطرسة الأمريكية والطغيان الصهيوني.

إن العولمة الأمريكية لن تركع إلاّ أمام إرادة أربع وخمسين دولة عربية وإسلامية، حين يتبعون سياسة واحدة في المواجهة السلمية وحتى الحربية.

إن أمريكا لها مصالحها الضخمة في العالم الإسلامي، وستضطر إلى التفاهم حين تجد نفسها أمام إرادة عربية واحدة أو إسلامية واحدة.

إن العرب والمسلمين، لابد أن يصبوا جهدهم في تحقيق الوحدة في العالم العربي والإسلامي. لا أقول وحدة الدولة، فهذا عسير جداً في عالمنا المعاصر، وإنما وحدة العقول والقلوب والمصالح والتضامن الكامل في إطار جامعة إسلامية واحدة أو في إطار المؤتمر الإسلامي الحالي، والذي تتولد منه سياسة واحدة، على أساس وحدة الأمة الواحدة.

والوحدة العاطفية لا تكفي أيضاً، إلاّ إذا عرفت هذه الوحدة: كيف تدخل في العصر الجديد، وكيف تستفيد من الفرص المتاحة، ومن خلال حسن الاختيار؛ كي تصل إلى أفضل النتائج.

إن الغرب الصليبي بدوافع الأحقاد التاريخية المتأصلة ضد الإسلام وأهله، لن يسمح بقيام المسلمين ونهضتهم ووحدتهم ودخولهم في عصر التقنيات العالية.

وإن اليهودية العالمية ستبذل المستحيل للحيلولة دون قوة ووحدة الأمة العربية خاصة والإسلامية عامة.

لكن إذا أخلصت الأمة مع ربها، وانطلقت إلى بناء الحياة من ذاتها، فإنها- بإذن الله- ستصل إلى ما تريد، دون مساعدة الأقوياء. وأمامنا اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فقد رفضتا المساعدة الخارجية المقيدة المشروطة، وواجهتا قدريهما بنفسيهما، ووصلتا اليوم إلى ما وصلتا إليه من القوة والحصانة.

يقول الاقتصادي المصري "رفعت العوضي": "مسألة التكامل الإسلامي، وكيف يمكن للدول الإسلامية اليوم أن تكمل في إطار هذا التكامل في ظل الظروف الراهنة، ليس بمقدور أي دولة إسلامية أن تخرج عن الإجماع العولمي الذي تمليه الدول السبع الكبار عبر المؤسسات والمنظمات الدولية، ومن ثم فإن المتنفس أمام الدول الإسلامية يبدأ عبر الساحة الإسلامية ذات الامتداد الجغرافي والإستراتيجي والسكاني والمادي، بدءاً بالتكامل، وانتهاءً بالتوحد عبر سياسات منضبطة.

العالم الإسلامي يمتلك مخزوناً جباراً من رؤوس الأموال ومن الثروات الحيوية والمعدنية، بالإضافة إلى التلاحم الجغرافيين، والتكامل في الموارد؛ ولهذا لو قامت تجارة فعلية بين العالم الإسلامي لأمكننا الاستغناء عن العالم الخارجي- على الأقل- في الاحتياجات الإستراتيجية.

وهنا يبرز دور مؤسسات التكامل؛ سواء على مستوى الإطار الإسلامي العام كمنظمة المؤتمر الإسلامي، أو حتى على المستوى الإقليمي كالاتحاد المغربي ومجلس التعاون الخليجي، أو اتحاد جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، أو على المستوى الوظيفي كمجموعة الدول الثمانية الإسلامية. لكن المثير للعجب أن دور

هذه المؤسسات لم يزل مقصوراً على الدور الاستشاري، ولا يحمل أي صورة من الإلزام"().

إننا بحاجة إلى بناء الإنسان المسلم بناء إيمانياً قوياً راشداً، معتزاً بذاته، مغيراً لظروف حياته، عارفاً بظروف الأمم الأخرى، قادراً على نهوض حقيقي في مواجهة أخطار العولمة.

والشرط الأساس أن نعيد إليه الاعتبار، ونخلصه من الاستلاب السياسي الذي تعرض له خلال القرون الأخيرة؛ كي يخطط لمشروعه الحضاري المتكامل، ليخدم نفسه ويخدم غيره.

إن الغرب الآن ليس بحاجة إلينا في التقنيات المتقدمة، بل نحن الأحوج إلى ذلك كثيراً، ولكن الغرب يحتاج إلى قيمنا كما نحتاج إليه. ولو أخذنا بوسائل العولمة الحديثة التي يستعملها للتدمير، ووجهناها من خلال قيمنا وأخلاقنا إلى التعمير، لخدمناه وخدمنا البشرية جميعاً، وخدمنا- قبل ذلك- أجيالنا، وحصنّاهم؛ كي لا يقعوا فريسة سهلة أمام مغريات العولمة الأمريكية الصهيونية اللادينية الإباحية.

يقول الدكتور "عبد الحميد الغزالي": "بعد سقوط الاشتراكية وتبني جورباتشوف البيريسترويكا، التي أراد من خلالها أن يبحث عن طريق غير الرأسمالية؛ لأنه أعلم بمشاكلها- أرسل وفداً ليدرس النظام الإسلامي للاستفادة منه، وشكلت لجان في مركز الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الأزهر من المتخصصين، وعكفت هذه اللجان على صياغة برنامج متكامل للنظام الإسلامي في شكل بنود وفقرات، قدمنا فيه نظاماً اقتصادياً تشغيلياً، يبدأ بفلسفة النظام والعمل والأجور، ونظام الملكية المتعددة، والاستهلاك، والاستثمار، والادخار، والشركات، وصيغ الاستثمار، والسياسة النقدية، والسياسة المالية.... إلى آخر مكونات النظام الاقتصادي الفاعل.

وعندما قدّمنا هذا النظام للوفد، تساءل رئيسه الوزير "بافلوف": "لديكم مثل هذا النظام، وأنتم على هذه المسألة من التخلف؟". وأسندت أمانة المؤتمر الردّ إليّ، فكان ردّي: "لأننا بعيدون تماماً عن هذا النظام".

ولكن توالت أحداث تفكك الاتحاد السوفيتي، ولم تُعِد القيادة الروسية الفرصة للاستفادة من هذا المشروع، الذي أصرَّ الوفد الروسي على مناقشته تفصيلاً في جولة ثانية في موسكو.. إلاّ أن الجولة المقترحة لم تتم بسبب هذه الأحداث

==============

#هل من رد إسلامي معاصر على العولمة؟!

ترجمة: عبدالله جاد

بقلم/ د. إبراهيم أبو ربيع

لم يحقق الفكر الإسلامي المعاصر كل إمكاناته الفكرية، فباستثناء انطباعات ودراسات فردية قليلة؛ لم يقدم هذا الفكر منظورًا شاملاً للعديد من القضايا والمسائل التي تواجه العالم الإسلامي، وهذه الثغرة أكثر وضوحًا في مسألة الحداثة والعولمة، ومن ثم يثير الكاتب بعض الملاحظات النقدية حول حالة الفكر الإسلامي المعاصر، منطلقًا من ثلاث مقدمات أساسية تتصل بطرق معالجة الفكر الإسلامي لقضية العولمة، ثم يحاول رصد عدد من التضمينات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية لمفهوم العولمة؛ خاصة فيما يتصل بوضعية العالم الثالث فيما بعد الحرب الباردة أو في ظل النظام العالمي الجديد وانعكاساتها على مفهوم الاستقلال الثقافي في ظل العولمة، كما يهتم برصد تداعيات العولمة على قضية المسلمين المركزية (القضية الفلسطينية)، من خلال استكشاف آفاق وأبعاد العلاقة بين الصهيونية والعولمة. ويرى الكاتب أن المجتمع المسلم في الغرب موقع مثالي لفهم طبيعة العولمة وما تنتجه وما تفرضه من تحديات على العالم الإسلامي بما يثير قضية عولمة الإسلام الأمريكي، وينتهي إلى أفكار ختامية حول طرق معالجة التحولات المعرفية والأخلاقية التي أحدثتها العولمة مؤخرًا، كما يحتوي البحث على عدد من الهوامش والإحالات المرجعية.

=============

#ملاحظات نقدية استهلالية

الليبرالية الجديدة، كنسق عالمي، حرب جديدة لغزو مناطق جديدة، فلا تعنى نهاية الحرب العالمية الثانية أن العالم قد تغلب على الثنائية القطبية، أو أنها أفضت مرة

أخرى إلى الاستقرار تحت سيطرة المنتصر، فعلى حين كان ثمة جانب مهزوم، وهو المعسكر الاشتراكي، فإنه يصعب تحديد الجانب الفائز هل هو الولايات المتحدة ؟ أم الاتحاد السوفيتي؟ أم اليابان؟ أم الثلاثة معاً؟ فبفضل الكمبيوتر والأسواق المالية ومن منطلق تجارى، ووفقاً لرغباتها، تفرض الليبرالية الجديدة قوانينها ومبادئها على الكوكب، فلا تعدو العولمة أكثر من امتداد شمولي لمنطقها إلى كل جوانب الحياة، والولايات المتحدة التي كانت حاكمة الاقتصاد سابقًا، أصبحت الآن محكومة عن بُعد بحركية القوة المالية الفائقة "التجارة الحرة"، وقد استفاد هذا المنطق من خاصية النفاذ الناتجة عن تطور الاتصالات؛ ليتولى أمر كل جوانب النشاط في النطاق الاجتماعي، وكانت النتيجة أن أصبح الجميع بمنأى عن الحرب (1). لقد كانت الثقافة في الخمسينيات والستينيات . وهى إحدى مراحل تاريخ العالم الثالث التي يأمل مؤيدو العولمة في تهميشها واغتيالها – تتشكل من نوعين من الثقافة : الثقافة الاستعمارية المهيمنة والثقافة الوطنية التحررية، ويرغب أولئك المتأثرون بأيديولوجية العولمة في ابتداع ضرب جديد من الثقافة : ثقافة الانفتاح والتجدد وثقافة الانسحاب والركود (محمد عابد الجابرى) (2).

"أخبرونا أن العالم ينكمش، وتلاشت المسافات الشاسعة بالحاسبات الآلية والفاكس، وأن الأرض أصبحت الآن " قرية عالمية" أصبحنا فيها مترابطين على نحو غير مسبوق، ومع ذلك فثمة شعور بنقيض ذلك تماماً: شعور بأن التنائي والانفصال يشكلان الحياة الحديثة، وإن كان ثمة شئ تقلَّص فهو اكتمال الذات الذي عانته الذات الحديثة، ويقرر علماء النفس أن مستويات الإحباط والقلق عالية، وأن شبكة الأصدقاء وأفراد الأسرة المقرَّبين وعلاقات الجماعة انكمشت . بالنسبة لأغلب الناس . إلى جزء صغير مما عايشته الأجيال السابقة" (شارلين سبرتناك) (3).

إن المعرفة التي كانت مجانية ومفتوحة للراغبين فيها ولصالح المجتمع، أصبحت الآن متملَّكة وخصوصية ولصالح النشاط المادي، وبعد أن كان أهل العلم يحرصون على استقلالهم العلمي؛ ها هم الآن، يخططون المناهج العلمية وفقاً لما يتم الاتفاق عليه مع مؤسسات الأعمال الممولة، وأصبح الأساتذة الذين كانوا يدرسون مقيدين في قوائم رواتب الشركات التي يقومون لها – في مختبرات الجامعات– بأبحاث يمكن

تسويقها بينما تدفع الجامعات رسوماً مخفضة لإحلال الأساتذة المساعدين، أما رؤساء الجامعات الذين كانوا قادة الفكر لمؤسسات المجتمع فقد أصبحوا الآن يتمثلون بالتجار المتجولين (جون هاريس) (4).

يستحيل تقريباً تقديم تعريف بسيط لمصطلح العولمة نظراً لأنه يحمل عدداً من التضمينات في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأيديولوجية والفكرية، وتنصب اهتماماتي في هذا المقال على إثارة عدد من الأسئلة النقدية حول هذه التضمينات؛ خصوصاً في علاقتها بالعالم الإسلامي المعاصر، وتقديم بعض الملاحظات النقدية حول حالة الفكر الإسلامي المعاصر، واقتراح طرق معالجة التحولات المعرفية والأخلاقية التي أحدثتها العولمة مؤخراً، وبداية أودُّ القول: إن مؤيدي العولمة لم يأخذوا بجدية المنظور الإسلامي في الاقتصاد والمجتمع أساساً، لعدم وجود تقدير ونقد إسلامي نظامي لهذه الظاهرة. صحيح كانت ثمة حركات مفاجئة ضد الحداثة الغربية؛ كان أبرزها في إيران والسودان ومصر، إلا أن رد المثقفين المسلمين على الإشكاليات المتولدة عن العولمة قاصر وتجاوزه الزمن.

وبغض النظر عن الاتجاهات المعرفية المعقدة المستبطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، فإن هذا الفكر لم يحقق كل إمكاناته الفكرية، لأنه أخفق في معالجة أكثر القضايا نقدية في زماننا؛ أين النقد والفهم الإسلاميان للقومية الحديثة والديمقراطية والحداثة والدول القومية، بل وحتى للاستعمار والاستعمار الجديد؟ فباستثناء دراسات وانطباعات فردية قليلة، لم يقدم الفكر الإسلامي المعاصر منظوراً شاملاً -ناهيك عن أن يكون مقنعاً- للعديد من القضايا والمسائل التي تكتنف العالم الإسلامي المعاصر. وهذه الثغرة أكثر وضوحاً في مسألة الحداثة والعولمة.

يجب لإلقاء الضوء على طبيعة الفكر الإسلامي الحديث، التمييز بين الفكر الإسلامي من ناحية والفكر العربي أو الباكستاني من ناحية أخرى؛ فقد يعني المرء بالفكر العربي الحديث الإنتاج الفكري للمفكرين الدينيين والعلمانيين العرب في المائة عام الأخيرة، بعبارة أخرى، يجب عدم تسوية الفكر العربي بالفكر الإسلامي؛ لأن الفكر العربي يشمل كل نزعات واتجاهات وأنماط الفكر التي تعكس الأسئلة والقضايا المحيرة التي تشغل الفكر العربي الحديث (5)، ومن ناحية أخرى، فإن للفكر

الإسلامي مركزًا إلهيًّا، وإطارًا فكريًّا مرجعيًّا، يحدده الوضع المحوري للقرآن الكريم في الحياة والفكر الإسلاميين.

تستدعي الملاحظات السابقة التساؤل حول طبيعة الحضور الإسلامي في الغرب بصورة عامة، فمن المغالطة المحاجة بأن العالم الإسلامي خارج منفصل عن الغرب، وأن الحضور الإسلامي في الغرب ليس مهماً للعالم الإسلامي؛ لأنه تنقصه الأصالة، فمع هجوم الحداثة وهجرة المثقفين المسلمين والمهندسين والأطباء والمهنيين للغرب منذ بداية القرن العشرين، أصبح من المهم إثارة الأسئلة حول طبيعة واتجاه الإسهامات الفكرية الإسلامية في الغرب، وإجمالاً لم يُنتج المجتمع الإسلامي في الغرب – باستثناء قلة من الجامعيين – مفكريه الذين يستطيعون مساعدة المجتمع الإسلامي في إدراك المشاكل التي تكتنف حضوره في بيئة غير إسلامية . وإن كانت متسامحة دينياً . بما يعكس المعاناة النفسية والاجتماعية للمسلمين في وسط غربي.

إن المجتمع الإسلامي موقع مثالي لإمعان النظر من الداخل ومن ثم للحديث عن طبيعة العولمة، وإرشاد العالم الإسلامي لفهم المخاطر الناشئة عن الليبرالية الجديدة، وقوى السوق الجديدة، ومن المستحيل التهرب من الاستنتاج بأن المجتمع الإسلامي في الغرب مضطر لتطبيق قيمه على وقائع العالم الجديدة التي لا تقر أية رؤية توحيدية للعالم بل رؤى العالم الاستهلاكية والتنافسية.

نتيجة للعوامل السابقة ثمة هاجس يتعلّق بقضية التراث وكيفية الحفاظ عليه في عالم قاسٍ سريع التغير، ولا يعني هذا أن قضية التراث لم تعد ملائمة ولا مهمة، إلا أنه يبدو لي أنه حان الآن وقت تجاوز الصياغات المفاهيمية لمفكري القرن التاسع عشر المسلمين من أمثال: محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والسيد أحمد خان، وذلك من خلال ابتكار أسلوب إسلامي جديد للتفكير، يستجيب بشكل مبدع للقواعد الصارمة للفكر الفلسفي والأخلاقي، فلا يمكن لأي فكر أن يسبر غور إشكاليات العولمة ما لم يتماش بصورة كاملة مع الاتجاهات الحديثة في النظرية النقدية والفكر الاجتماعي والاقتصادي وتضميناتها للفكر الديني في العالم الإسلامي والغربي، وكذا الرد الأخلاقي الذي يجب على الفكر الإسلامي المعاصر أن يقدمه لتأكيد حيويته وملاءمته.

يجب على الفكر الإسلامي أن يسعى للاستعانة بالأدوات النقدية، إلى جانب أدوات الوحي لتقديم إجابات شافية لمشاكل العالم الإسلامي المعاصر

==============

#ثلاث مقدمات ومناظرات عديدة

يجب على الفكر الإسلامي الحديث لكي يستعيد حيويته أن يعيد تفسير المبادئ المعيارية والدينية الأساسية للإسلام، بطريقة تعارض الطبيعة الشمولية للنظم السياسية والتربوية الحاكمة في العالم الإسلامي المعاصر، والدعم الذي تلقَّته مع انقضاض العولمة على السوق العالمي والنفس الإنسانية، فإذا ما قبل المرء بأن المساواة بين البشر هي صلب الرؤية الإسلامية ، توجب عليه أن يخلص إلى أنه يلزم لاتباع المثاليات الإسلامية معارضة أشكال القهر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري التي تبدو حالياً مسيطرة على العالم الإسلامي، بعبارة أخرى يجب علينا تعزيز رؤية إسلامية للعالم ذات طبيعة تحررية، وأن تكون ذات معنى للإنسان العادي وهذه هي المقدمة الأولى.

أما القاعدة الرئيسة الثانية: فهي تاريخية إلى حد ما وتتصل بالأساس، بالتغيرات الاجتماعية الاقتصادية الهائلة الجارية في الغرب الرأسمالي الحديث وتأثيراتها السياسية والفكرية على العالم والفكر الإسلامي المعاصر عموماً، ومن السذاجة افتراض أن الفكر الإسلامي يتبع حركيات داخلية معينة ليس لديها ما تقدمه إزاء الطفرات المعقدة في الفكر الغربي الحديث، أو أن الفكر الإسلامي الحديث يرفض الاستعارة من مصادر خارجية.

إن إدراك طبيعة التحولات الاقتصادية والسياسية والفلسفية في العالم الغربي الحديث يعني التعامل بجدية مع مجمل تاريخ الفكر الغربي من الماركسيين وما بعد الماركسيين إلى الرأسماليين والعولمة وتجلياتها الأخيرة، وقد يحاجُّ البعض بأن تاريخ الغرب، وبالأخص الأمريكيّ والأوروبيّ، شهد تحوُّلات رئيسة في رؤيته للعالم وآخرها العولمة، ولا تزال الإشكاليات الناتجة من الحداثة تعجز الفكر الإسلامي عن التقدم.

تبدو العولمة لأغلب المفكرين في العالم الإسلامي، بدءاً من المنادين بالتغير الجذري إلى المحافظين، ظاهرة محتومة، ومن الصحيح بمعنى من المعاني أن مصير العالم

الإسلامي متداخل أشد التداخل مع الرأسمالية الغربية المنتصرة بسبب الطفرات التاريخية والسياسية والفكرية في الغرب الحديث، ومع ذلك تبقى أسئلة عديدة تنتظر الإجابة : فماذا تعني العولمة في سياق عالم ما بعد الاتحاد السوفيتيّ وما بعد الحرب الباردة والعالم ما بعد الحديث وفي سياق الرأسمالية الغربية المهيمنة والعدوانية ؟ ما مصير الدول القومية المنشأة خلال عصر الحرب الباردة في ظل العولمة؟ كيف تغيَّر المجتمع المدنيّ في العالم الإسلامي في العقد الماضي؟ وهل انهيار الاقتصاد والمجتمع الإندونيسيّ مؤخراً نتيجة مباشرة لتجاوزات العولمة؟ (6) وما دور المفكرين المسلمين في عصر التحوُّل الحاد ؟ كيف يمكن الحفاظ على الملامح الأساسية للهوية الإسلامية في السياق السالف، خاصة إذا كانت هذه الملامح قد تم الإعراب عنها في مرحلة ما قبل العولمة ؟ وإذا ترجمت المحافظة على أنها آلية دفاعية، فما الأدوات المفاهيمية التي يجب ابتداعها لإعادة الحيوية للفكر الإسلامي الحديث حول العولمة؟ وأخيراً لما كانت صناعة الإجماع في المجتمع المعاصر تقوم على الأفكار، ويجرى تعليم الأفكار الرأسمالية الموجهة في المدارس الخاصة والجامعات في أنحاء العالم الإسلامي فأين تكمن المصلحة العامة للشعب؟

القاعدة الثالثة مشتقة من السؤال الأخير: فالعالم الإسلامي يمر بعملية مثيرة من التغير في أنساقه التعليمية، والتعليم الأفضل هو تعليم خصوصي، وللمحافظة على أبناء النخبة، وهى النخبة نفسها التي شنت ثورة فكرية صامتة ضد الجماهير في العقود القريبة، ويظهر انتشار المؤسسات التعليمية الخاصة ومراكز التعليم عن بعد في تركيا ومصر والأردن وماليزيا، بشكل لا تخطئه العين، إن التعليم سلعة غالية الثمن تباع لمن يعرض أعلى سعر (7) ولم تعد ثمة حاجة للانزعاج من "ثورة الجماهير" أو التوليفات الليبرالية للتعليم.

وبينما استمرت قدماً خصخصة التعليم وإكسابه طابعاً نخبوياً وغربنته وأمركته أمور لها دلالتها في العديد من أقطار العالم الإسلامي كان الناس العاديون قد سُلبوا كبرياءهم التقليدي ، وعمَّ وعى جديد على أساس من الفارق الطبقي التعليمي والتمايز الاجتماعي الاقتصادي، ويصح تطبيق الملاحظة التالية عن رجال القبائل في شمال شرق الهند على العالم الإسلامي:

لا يمكن إنكار قيمة التعليم الحقيقي في اتساع وإثراء المعرفة، لكن التعليم أصبح اليوم في العالم الثالث أمراً مختلفاً تماماً، فهو يعزل الأطفال عن ثقافتهم وعن الطبيعة، ويدربهم عوضاً عن ذلك، على أن يصبحوا متخصصين بشكل دقيق في بيئة حضرية مغربنة، وهذه العملية لافتة على وجه الخصوص في "لاداخ" حيث يجرى التعليم بشكل عمياني مانعاً الأطفال من رؤية المحيط الذي يعيشون فيه، فيتركون المدرسة غير قادرين على استخدام مواردهم الخاصة أو العمل في عالمهم الخاص (8).

ففي العالم الثالث يتم التضحية بالقدرة الداخلية على الإبداع لحساب التخصص الدراسيّ العلميّ الذي يعد بمكاسب مالية (9)

===============

العالم الثالث فيما بعد الحرب الباردة

أو النظام العالمي الجديد

العولمة ليست ظاهرة جديدة، فقد ظهرت مع انتصار رأسمالية "دعه يعمل" في عصر ما بعد الثورة الصناعية، والتوسع الاستعماري الأوربيّ، بعبارة أخرى، أنشأ الاستعمار الأوربيّ المنتصر تحوُّلات عميقة سياسية واقتصادية وثقافية ودينية في ما يدعى العالم الثالث، وأدت هذه التحولات إلى تفاعل دائم بين الشمال والجنوب (10)، وكانت السيطرة الاستعمارية ذات حدين : فأدت إلى تحديث بعض المؤسسات والقطاعات الرائدة في العالم المستعمَر كالجيش وقوات البوليس والنسق التعليمي، ولكنها خلقت أيضاً اختلالاً في التوازن الاجتماعي والاقتصادي، من قبيل الفجوات الأساسية بين الريف والحضر التي أدت إلى هجرة ريفية إلى المدينة، والنخبة الفكرية الداخلية القلقة ومزدوجة اللغة (11).

لقد كانت استجابة الدولة القومية لتغلغل رأسمالية الطبقة الوسطى والبرجوازية تؤكد على الاستقلال الوطني الاقتصادي والثقافي، وتسعى لإنشاء بنى وأسس جديدة للدولة الجديد لتجاوز الاستقلال التقليديّ عن الاستعمار، ومنح وجود الاتحاد السوفيتي والحرب الباردة الدول القومية الجديدة حيزاً للمناورة، ومع ذلك فقد حوّل حدثان رئيسان التوازن في السبعينيات والثمانينيات لصالح الغرب الرأسمالي : فتح الرأسمالية

الأمريكية السوق الصينية الضخم (12)، وانهيار النظام السوفيتي وما تلاه من انتهاء الحرب الباردة، التي كانت علامة بارزة على انتصار الغرب الرأسمالي على الشرق الاشتراكي (13) ، وترك هذان الحدثان الرئيسان -منقطعا النظير تاريخياً- الدول القومية عرضة لتحديات، وأخطار حقائق النظام العالمي الجديد الاقتصادية والجغرافية السياسية (14).

يدلل التغير السالف مرة أخرى على أهمية القرارات الاقتصادية في تحديد اتجاه السياسة العالمية والمستقبل، فبدأت الرأسمالية التنافسية المدفوعة بدافع الربح حملة جديدة : غزو الفضاء بعد غزو الأراضي (15)، وانضمت إليها الشركات متعددة الجنسية التي ترى مستقبل الرأسمالية في غزو فضاء جديد وأقاليم غير مادية جديدة، وتسعى . للنجاح في ذلك . لإنشاء مناخ عالمي يسمح بالتنافسية بدون اليد المتحكمة للدولة. إن اتجاه الرأسمالية العدوانية هذا اندفاع جنوني، أو لنقل أنه الأكثر خطورة بسبب غياب نظام سياسي واقتصادي دولي متعدد، ولاحظ أحد المؤلفين أنه في ظل نظام الليبرالية الجديدة الأحادي فإنه "في عصر اللبرلة واسعة الانتشار، فإن الشركات الخاصة، بالتنسيق مع الدول والهيئات الدولية المسئولة عن مساعدتها مفوَّضة في تعزيز الوفرة والرفاهة الإنسانية، وتنتج هذه المشروعات السلع، وبشكل متزايد الخدمات، ويُتجاهل أكثرها فعالية الحدود، والربح هو علة وجودها ومحركها الوحيد والحقيقة أنه ثمة فجوة كبيرة تفصلها عن القدرة على الوصول لأهدافها، وحتى لو لم نضع في خلفية تفكيرنا هذه الشركات التي أخفقت في الغرب، فإنه يجب التأكيد على أنه لا أمل للجنوب (16).

لقد كان لإنشاء مناخ معولم سهل الانقياد لنمط جديد من الربح الدولي آثار سلبية على الاقتصادات المحلية الداخلية ، فأنشأ مجموعة جديدة من قواعد الرشاد والقيم لا تأتلف مع تقاليد وثقافات وتواريخ شعوب البلاد الأصلية والدول القومية، إن منطق الرأسمالية ليس الحفاظ على إنماء نظم اجتماعية اقتصادية سليمة بل جنى الربح بأسرع ما يمكن (17).

تستدعي الفكرة الأخيرة التساؤل حول العلاقة الجديدة بين الشركات متعددة الجنسية والدولة القومية، من حيث دور الدولة في المجتمع، والتغيرات العميقة في علاقات

القوة، ليس بين الشمال والجنوب فحسب ، بل بين دول الجنوب أيضاً، وطبيعة المجتمع المدني، وتضمينات هذا للديمقراطية في العالم الثالث (18).

تتحدى العولمة الدولة القومية لتفتح فضاءها وحدودها لنمط جديد من التنافس المتحرر من أية سيطرة (19)، ويتوقع من نخب الدولة القومية السياسية أن تتعاون بشكل كامل مع المشروعات الاقتصادية ، وغالبا ما تكون مراكمة رأسمال وطني مستحيلة، لأن العديد من دول العالم الثالث مثقل بديون كبيرة للمؤسسات المالية الدولية، وهنا تتغير قواعد اللعبة، فالتنمية الوطنية والنمو في العالم الثالث مقيدان بتراكم رأس مال على نطاق دولي.

كانت العولمة في الخمسينيات والستينيات –وفقاً لرؤية سمير أمين– محكومة إلى حد ما بثلاثة عوامل دولية : تدخل الدولة الرأسمالية في عملية التراكم، والمشروع السوفيتي لإقامة اقتصاد اشتراكي، ومشروع باندونج من أجل عالم غير منحاز يتشكل تحت رعاية سوكارنو ونهرو وناصر (20).

ومع انتشار الخصخصة في بلاد هؤلاء القادة الراحلين، وصل المشروع الوطني الاشتراكي للاكتفاء الذاتي وتمكين الفقراء إلى حد التوقف المميت، ففي العالم العربي على سبيل المثال، اقتطع المركز منطقة الخليج جبراً من بقية العالم العربي، وكثّف هيمنته اقتصادياً وعسكرياً في أعقاب الهزيمة العسكرية للعراق في حرب الخليج الثانية، ويعني ذلك –وفقاً لرؤية سمير أمين– أن دول الخليج "أصبحت الآن محميات مجردة من أية حرية للمناورة اقتصادياً أو سياسياً" (21) أو بتعبير والرشتين "كسب العالم الثالث المعركة السياسية في الخمسينيات والستينيات حيث تم التخلص من الاستعمار في كل مكان تقريباً ، وحان وقت الخطوة الثانية وهى التنمية الوطنية، ولم تنجز هذه الخطوة في أغلب المواطن (22) ، ففي عصر اللبرلة والاندماج لا تسمح العولمة للاقتصادات المحلية بأن تحيا مستقلة بنفسها" (23).

إن إخفاق الاقتصادات الوطنية في أقطار مثل: إندونيسيا والهند ومصر والجزائر دليل انتصار التكنولوجيا العقلانية في الغرب المتقدم، ومع ذلك، فكما أشار بعض الاقتصاديين لا يمكن أن يتحدد انتشار اللبرلة المالية والعولمة التكنولوجية بعوامل تكنولوجية فقط، فللسياسة عملها في انتشار العولمة والتكنولوجيا العقلانية، والرغبة

السياسية للمركز وراء إخضاع كل الدول القومية – مع استثناء محتمل لإسرائيل – لمقتضيات السوق الرأسمالي (24).

يتصور مؤيدو العولمة نوعا من اقتصاد القرية العالمية يسهل انتشار التحديث والترشيد التكنولوجي في العالم، ويشيرون إلى العولمة أدت إلى إدماج المجتمعات التي جرى إفقارها وتهميشها حتى الآن في السوق العالمي، ولم تؤدِّ العولمة في رؤيتهم إلى خلق ملايين الوظائف العديدة وتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للفقراء فقط، بل وأدَّت أيضًا لانفتاح الحيز الثقافي والفكري للأمم الفقيرة (25)، وحتى لو قبل المرء مثل هذه الرؤى – وهو ما أصبح أمرًا لا يمكن تجنبه في العديد من أقطار العالم الثالث – فإن عليه أن يتحول ببصره إلى العمليات الأخرى المصاحبة لها والتي لا تقل دلالة عنها ، وهى أن النظم المتعولمة أشد رسوخاً مما كانت عليه النظم الشمولية في الأعوام الماضية (26)، فقد خلق قمع الدول القومية الشامل طرقاً جديدة تقمع بها الدولة القومية . المقموعة هي أيضاً . المجتمع المدني، وقوّض هذا القمع التماسك الاجتماعي في العالم الثالث، وقلَّص الحيز الديمقراطي في المجتمع، واختنق المجتمع المدني نتيجة للتحولات العديدة في حدود القوة في المجتمع، وأصبحت حرية التعبير سلعة نادرة (27)، وكما لاحظ مؤلف ألمعي فإنه "بينما كانت الدول المصنعة تظهر تدريجياً، كان النظام العالمي الجديد الذي فرضه الاقتصاد المعولم يعنى للجميع سباقاً نحو القاع، فتم خفض الوظائف باسم التنافس العالمي، واعتلت الشركات عابرة القوميات مستوى من القوة يعلو أية حكومة، وحتى في دولة مثل الهند حيث يؤلف عشرة في المائة من أصل تسعمائة وثمانين مليوناً من السكان طبقة وسطى جديدة ، تستفيد من الحضور العالمي للشركات عابرة القوميات فإن التسعين في المائة الأخرى ليسوا مدرجين في خطة المستقبل المبهر، ويشكل العشرة في المائة، بدخولهم المتاحة، سوقاً واسعة بدرجة تكفي لإسالة لعاب اللاعبين العالميين، وأصبحت الهند قصة نجاح عظيم (28).

استمر الحيز الديمقراطي في الدولة القومية العديدة في الثمانينات والتسعينيات عرضة لتحديات في الصميم ، فربما يتوقع المرء أن يقوم المركز المتقدم حامل لواء الديمقراطية لأمد طويل بتعزيز ديمقراطية حقيقية في الجنوب، إلا أن هذا بعيد عن

الحقيقة، فقد تشكلت في ظل العولمة علاقة جديدة بين النخبة السياسية والقوى الاقتصادية، وبالأخص الشركات متعددة الجنسية (29)، ويعني هذا في العالم الإسلامي أن الدولة القبلية شبه الدستورية، التي سيطرت عليها العائلة أو العشيرة نفسها كسبت قوة قمعية إضافية، وعانى المجتمع المدني من الخسارة الإضافية للحرية، وجرى استضعاف العمال والمرأة.

إن تغلغل الشركات متعددة الجنسية في اقتصاديات العالم الثالث – بعيداً عن أن يقضي على الفقر أو يخفف بؤس فقراء الريف – أدى إلى ثلاث ظواهر متضافرة : زيادة عدد الناس المتعطلين والفقراء ، وتركيز الثروة في أيدي النخبة السياسية، وزيادة قمع الدولة (30). وإندونيسيا مثال بارز على هذا، فمع قدوم التقنيات الحديثة في زي العولمة ، أُعيد التأكيد على الرسالة الغربية القديمة أو الرسالة الحضارية في ظل آلهة النفوذ والتكنولوجيا والاستثمارات والرخاء القديمة / الجديدة.

لقد تحولت صورة نخبة الفكر في العالم الثالث جذرياً في عصر العولمة، ففي عصر الاستعمار قامت نخبة الفكر المحلية بدور قائد في كل من الاستقلال السياسي والثقافي على الرغم من أنها كانت وفق رؤية "بندكت أندرسون " نخبة فكرية وحيدة مزدوجة اللغة يركبها القلق" (31) إلا أنها عكست هموم ومعاناة شعبها، وحاربت من أجل الاستقلال عن سادتهم المستعمرين ومدارسهم التي درسوا فيها، أما نخبة فكر "عولمة العالم الثالث" فلا تشاركها هذا القلق" ، فالعلماء والفنيون والمهندسون والباحثون يجمعهم الانشغال بالأعمال والاستثمارات، وكلهم يعبرون عن أنفسهم بأسلوب جديد من اللغة الإنجليزية، وهو أسلوب مدرسة لندن للاقتصاد، أو مدرسة هارفارد للأعمال، وبتعبيربيير بورديو يميل هؤلاء الفنيون الجدد لتفضيل الربح الاقتصادي على حساب اختلال وضعهم الفكري والاجتماعي في مجتمعات العالم الثالث، ويدعم الفنيون ما يسميه بورديو " العنف الهيكلي " في هذه المجتمعات أي زيادة عدد المتعطلين والمهمشين في المجتمع (32).

تنهض اللغة الإنجليزية، وتحديداً الإنجليزية الأمريكية، بدور رائد في عصر العولمة فلا يمكن أن يكون الفني ناجحاً دون إتقان أسرار إنجليزية الأعمال الأمريكية، وإذا صح أن الإنجليزية الأمريكية تطورت من رحم الإنجليزية البريطانية خلال القرون

السابع والثامن والتاسع عشر، فمن الصحيح بالدرجة نفسها أن الإنجليزية الأمريكية كانت تستجيب خلال هذه الفترة بشكل خلاق للظروف الاجتماعية والاقتصادية للعالم الجديد، فقد طور الأمريكيون في معركتهم ضد السيطرة البريطانية مرجعية لغوية لا تشترك في القواعد القديمة مع إنجليزية الملكة، فعزز "نوح وبستر" اللغوي الأمريكي البارز في القرن التاسع عشر الفهم بأنه "من المستحيل إيقاف تقدم اللغة فهي أشبه بمجرى الميسيسيبي الذي يتدفق وإن دقت أحيانا ملاحظة حركته"(33).

لقد أخفقت النخبة السياسية الأمريكية خلال الحرب الباردة 1945–1989 في نشر اللغة الإنجليزية في مواجهة أعدائها، أساساً ، لأن الإنجليزية الأكاديمية كانت حكرًا على المفكرين اليساريين الذين تخلوا عن وصاية الكتب العظيمة، والقيم التقليدية، وأفسدوا النظام الاجتماعي (34) ومع ذلك، فقد اتخذت إنجليزية الأعمال مع انهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة وضعا هجومياً، وتبنى التكنوقراط الجدد في الشمال والجنوب نمطاً رسمياً من الإنجليزية أكثر مساعدة لعالم المال والأعمال منه لعالم الإنسانيات.

إن زيادة البؤس والفقر الاقتصادي ليست حكرًا على العالم الثالث وحده (35) فتنتشر هذه الظاهرة نفسها في المركز كما في فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة، فالتحلل الحضري بادٍ في مدن المراكز الرئيسة، وهو في معناه العميق عرض لنقص الرفاه الاجتماعي والتعليمي بين الفقراء، ويدل تعاطى المخدرات وانتشار الجريمة المحلية على أن نسبة لها دلالتها من المجتمع في المركز المتقدم تم تهميشها، بعبارة أخرى، كسبت الرأسمالية في سعيها لمراكمة رأس المال المزيد والمزيد من الربح،

ولكن على حساب نشر الدمار في القطاعات الضعيفة من المجتمع داخلياً وفيما وراء البحار، وكما يوضح أحد المؤلفين "تلد الرأسمالية الرخاء والفقر معا في الوقت نفسه" (36) .

وكما سلف لم يظهر النظام العالمي الجديد من فراغ، فقد أصبح العالم الثالث مع سقوط النظام السوفيتي في أوائل التسعينيات، بعد عقود من النضال الحاد، ضحية سهلة للهيمنة الأمريكية (37) وبغض النظر عما إذا كان العراق هدف بغزو الكويت سنة 1990 تحدي السيطرة الغربية عموما، وسيطرة الولايات المتحدة خصوصا، فقد

بثَّ تجميع القواعد الغربية تحت لواء الأمم المتحدة موجات صادمة عبر العالم الإسلامي، وحافظت . إن لم تكن عززت . الهزيمة العسكرية للعراق على مصالح الغرب القومية التي قوَّت . في مفارقة تاريخية واضحة . نظم الخليج السياسية التسلطية، ومنعت أية فرصة حقيقية لتحقيق الديمقراطية لأعوام عديدة قادمة.

أثار هذان الحدثان – بالإضافة إلى إبراز التحولات الرئيسية في الأحلاف العالمية، وشهود ظهور الولايات المتحدة كقوى عظمى وحيدة – بشكل أكثر حدة قضية الهيمنة الثقافية الغربية مرة أخرى، وخصوصاً الأمريكية، وآثارها على ثقافات العالم الثالث، فمحدودية التأثير الأمريكي على العالم الإسلامي ، في عصر ما بعد الحرب الباردة ، بالمسائل الاقتصادية والسياسية أمر أبعد ما يكون عن الصحة؛ لأن هذا التأثير فكري ومفاهيمي في المقام الأول؛ ولأن النخب الإسلامية الحاكمة تبنت الأفكار الرأسمالية العملية كأنماط مثالية لها (38).

ونظراً لتشابك الغرب مع العالم الإسلامي منذ أوائل القرن التاسع على الأقل، فإن الغرب كظاهرة لا يزال يحير الفكر الإسلامي الحديث، ومع ظهور الاستعمار في أوائل القرن التاسع عشر تساءل المفكرون المسلمون " ما الغرب ؟" وفرض الغرب تحدياً أساسياً على العقل العربي الإسلامي الحديث، وهذا التحدي هو الذي أرغم الفكر الإسلامي الحديث على نقد الماضي، ومحاولة انتحال روح الغرب العلمية الحديثة، ومع ذلك بقى الغرب مصطلحاً غير محدد في الفكر الإسلامي الحديث هل يمثل الاستعمار ؟ أم الليبرالية ؟ أم المسيحية ؟ أم الرأسمالية ؟ أم الاشتراكية ؟ وعادة ما اتخذ الغرب –ككيان علمي ثقافي اجتماعي– وضعاً هجومياً باستمرار.

لقد كان مفكرو النهضة في العالم العربي والمفكرون الليبراليون في الهند المسلمة في القرن التاسع عشر (39) تأسرهم الإمكانات المختلفة التي يقدمها العقل الغربي، والعلم الغربي، وكانوا واعين بالركود العميق لمجتمعاتهم، وأن هذا الركود ينتهك مبدأ إسلامياً رئيساً وهو "المصلحة العامة"، وسَعوْا لتحسين الأوضاع بإحياء هذا المبدأ وربطه بالحاجة للعلم الغربي ، بعبارة أخرى، فإن العلم الغربي ومبدأ المصلحة العامة لا يلتئمان في فكر نخبة الفكر في عصر النهضة، وعلى النقيض من ذلك ، يجب للوفاء بالمبدأ الإسلامي تبنى منطق الحداثة (مثلاً العلم) (40) وهكذا رأى رفاعة

الطهطاوي ومحمد عبده وسيد أحمد خان وأقرانهم أنه يمكن حل هذا التوتر (الركود مقابل العلم) فقط، إذا ربطت نخبة الفكر في زمانهم فلسفتها المذهبية بمنطق الفلسفة والعلم الغربيين أي بتأييد التقدم، وهو المفهوم المحوري لحداثة القرن التاسع عشر الأوربية. ومع ذلك، فقد وضح أثناء محاولة حل هذا التناقض تناقض آخر: تناقض العلم والاستعمار وكلاهما من معطيات الغرب.

كان مفكرو القرن التاسع عشر المسلمون واعين بشكل جيد أن الغرب لا يعنى ببساطة العلم، بل والسيطرة العسكرية والسياسية أيضاً .

حددت التوترات المزدوجة بين الركود الإسلامي والعلم الغربي وبين العلم الغربي والهيمنة الغربية مُعلّمات التحديات الرئيسية التي واجهت العقل المسلم منذ القرن التاسع عشر، وأصبح هذا الاستقطاب المزدوج أكثر تعقيداً في منتصف الخمسينيات بعد نهاية الاستعمار الرسمي في أغلب الدول الإسلامية، وسعت الدولة القومية الجديدة للتحديث دون التضحية بالمصلحة العامة، سواء أكانت مشتقة من الفكر الإسلامي أو من الفكر القومي، وسعت للاستقلال الاقتصادي والاجتماعي عن الغرب الذي كانت لا تزال تعتمد عليه، وعندما بدأت العولمة تضع بذورها الاقتصادية في أوائل السبعينيات مع الغزو الاقتصادي للصين، ثم أثمرت مع انهيار النظام السوفيتي في التسعينيات، أصبح العالم الإسلامي واقعاً في شرك شبكة الغرب الرأسمالي ، وبدأت الفجوة في القوة بين العالم الإسلامي والغرب في الاتساع إلى درجة أن دولة مثل سوريا كانت تستخدم الاتحاد السوفيتي لدعم مركزها، استرضت الغرب بإرسال قواتها لمحاربة العراق، وتحققت النظم السياسية الإسلامية توًّا أنه من الانتحار تحدى السلطة الأمريكية، وكان لهذا التباين الأساسي في القوة آثاره العميقة على عمل المجتمعات الإسلامية داخلياً، وأدى إلى فجوات أوسع بين الأثرياء والفقراء داخل العالم الإسلامي، ووطَّد التحول الدولي المصاحب له في قوة النخب السياسية والعسكرية المسلمة

=============

 # الاستقلال الثقافي في ظل العولمة

ورثت الدولة القومية الإسلامية الحديثة عالما من التناقضات، فعلى حين كانت تسعى للتحرر من الاستعمار الثقافي السياسي بعد الاستقلال، بدأ الاستعمار الجديد يتجلى بصورة مباشرة بصياغة علاقات اقتصادية وسياسية، تمنح المركز اليد العليا في التعامل مع الشئون الدولية والاقتصادية لتوابعه السابقة، وفي رأى العديد من المفكرين العرب، فإن العولمة هي المرحلة الأخيرة من الاستعمار الجديد "إنها ذروة نجاح المشروع الرأسمالي العالمي النطاق" (41).

فقد سمح الاستعمار الجديد للمركز بالحفاظ على أسواقه ونفوذه الثقافي وأحياناً قواته بأقل كلفة، وعلى حين يمكن قياس وتقدير كم العوامل الاقتصادية، يصعب قياس الثقافة بنفس الطريقة، فقد خلفت نهاية الاستعمار الرسمي ركاماً ثقافياً معقداً لا يمكن التغلب عليه بين عشية وضحاها، ووجدت نخبة الفكر في النظام القديم التي حاربت الاستعمار السياسي دون الثقافي نفسها في مركز مسيطر، واقعة بين الثقافة الغربية التي تبنتها وثقافة البلد الأصلية ودعم الذين آثروا التعريب .كما في شمال أفريقيا . التنوع الثقافي والاستقلال عن ثقافة الغرب المسيطرة.

إن ما بعد الاستعمار – توأم الاستعمار الجديد الذي ظهر منه – نتاج النظام العالمي الجديد (42). وغالباً ما يستتبع الاستعمار كحدث تاريخي ذي أهمية قصوى احتلال قطر (أوربي) لقطر آخر عسكرياً، والسيطرة المباشرة على الموارد الطبيعية، بما يخلق نوعاً من التمايز بين المصالح الاستراتيجية للمستعمر. لقد سعت النخبة السياسية للدول القومية العديدة لتحديث بلادها من خلال التقليد الأعمى للغرب، واستفادت من الحماية السياسية والعسكرية التي أسبغها الغرب عليها.

فعلى سبيل المثال لم يثر الغرب في هذه الأقطار قط مسألة حقوق الإنسان، ولا غياب الديمقراطية؛ لأن مجمل اهتمامه كان موجهاً للحفاظ على مصالحه، وتأسس الاستعمار الجديد على شكل جديد من السيطرة الاقتصادية يسمح بظهور الأشكال المتمايزة الأخرى من الهيمنة أي السياسية والفكرية والثقافية.

لقد شعرت أقطار العالم الثالث، إلى حد ما، بالتخفف خلال الحرب الباردة من ضغط الغرب السياسي والثقافي ؛ لأن توازن القوى العالمي سمح لها بالعمل بحرية، ومع ذلك تغير الوضع القائم بانهيار النظام السوفيتي والهزيمة العسكرية للعراق، وترك

هذان الحدثان العالم العربي والثقافة العربية بلا دفاعات في وجه الهيمنة الأمريكية، وبظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة، اتهم المركز . ولا يزال . عددًا من الدول مثل كوبا وسوريا وليبيا بدعم الإرهاب.

لم يزل الهامش يعتمد على المركز منذ عصر الاستعمار، وأسس انتشار الأفكار عبر الأقمار الصناعية علاقة جديدة بين العالم الإسلامي والغرب، ويمارس الغرب ما يمكن دعوته بـ "ثقافة إمبريالية " مهيمنة (43)، ويلفت معظم المفكرين المسلمين الذين شبوا في ظل الاستعمار أنظارنا إلى الاستنتاجات الرئيسة للمفكرين الأوروبيين، وحتى الأمريكيين، حول صعود الولايات المتحدة في الأعوام الأخيرة ، وتأثيره الثقافي العالمي، حتى داخل أوربا، ويقولون: "إن"الإمبراطورية الأمريكية هي الوحيدة في العالم وهى المتقدمة بشكل مطلق، ولأول مرة في التاريخ الإنساني تظل هذه الظاهرة الغريبة باقية" (44).

إن الولايات المتحدة إمبراطورية فريدة، فهي المنتج الرئيس لكل أنواع السلع وهى أيضا مستهلك شره، وتاريخها مميز من بدايته الأولى بميل متطرف إلى التوسع: "إن التاريخ الأمريكي بكامله موسوم باتجاه دائم نحو التوسع، الظمأ للأراضي، الظمأ للقوة ، والظمأ للجدة شأنها شأن العديد من الحاجات التي يتوجب إشباعها " (45) ووفقا لرأي الناقد الأدبي الأمريكي ذائع الصيت "إدموند ويلسون" لم يكن التوسع الأمريكي فيما وراء البحار في أعقاب هزيمة ألمانيا النازية محض مصادفة: "كنا نعتقد أننا نحرر أوربا ونناضل استعمار اليابان الإقطاعية، ولكننا ظهرنا فجأة بعد الحرب (العالمية الثانية) محتلين أو مسيطرين على الأقطار الأجنبية في كل من أمريكا وأوربا وآسيا والشرق الأوسط دون ترحيب أحيانا، كما كان الفرنسيون في الجزائر، أو البريطانيون في قبرص، أو الروس في أوربا الوسطى، وبعد أن صدمنا استعمار الآخرين لسنوات طويلة طورنا نوعًا جديدًا خاصًا بنا، ووجدنا أنفسنا نعبس في وجه الاتحاد السوفيتي، وننفق المليارات على أسلحة موجهة ضده، وعلى أسلحة كان مجرد تجريبها خطرا على سكان بلدنا ودون أية استفزازات حقيقية لنا، ولكن لسبب محدود المعقولية وهو أن نتحدى الروس السوفيت للسيطرة على أجزاء واسعة من العالم" (46).

إن الأمركة المنتصرة –في رأى العديد من مفكري العالم الثالث– هي التجلي الحديث للعولمة، وتؤيد الأمركة نوعا جديدا من النماذج الاقتصادية والثقافية " فالعولمة إلى جانب كونها نسقا اقتصاديا فإنها أيديولوجية تخدم هذا النسق فالأمركة والعولمة متضافرتان بشكل بالغ" (47).

يحتاج العالم الإسلامي في سعيه للتنمية العلم والتكنولوجيا الغربيين، ومع ذلك لا يمكن استيراد العلم الغربي دون القيم الأخلاقية التي أنتجته، وقد استخدم الغرب في طوره الاستعماري الثقافة والأفكار لاستعمار العالم الثالث، ولهذا ازدهر الاستشراق وبعثات التبشير والأنشطة المشابهة، وجرى استبقاء الاستعمار التقليدي بالحضور المادي لقوات البلد الأم في ما وراء البحار، فقد تعاون الغزو المادي والفكري آخذاً كل منهما بيد الآخر، إلا أن الموقف مختلف إلى حد ما في عصر الاستعمار الجديد بتقدمه السريع في التكنولوجيا، وتعرض التكامل الفكري والثقافي للأمم الصغيرة للخطر، فكان غرض الاستعمار إنشاء نخبة ثقافية داخلية بقيم غربية، وغرس نظم التعليم والفكر الغربية في العالم الثالث، وكانت ثقافة الاستعمار أيديولوجية بطبيعتها، واليوم أدى الغزو الثقافي من خلال التقنية المتقدمة إلى النتيجة التالية :

سعت الثقافة الغربية – إضافة إلى كونها أيديولوجية بطبيعتها – إلى قهر وسائل النقد والعقلانية في العالم الإسلامي، وفي حالتنا استهدفت العقل العربي والإسلامي محاولةً جعله ينسى ماضيه المتفرد والمجيد.

إن إحدى حقائق عالم اليوم التي يؤسف لها أنه ليس ثمة من يمكنه منافسة الهيمنة الاقتصادية والفكرية الأمريكية، فهذا البلد يمتلك موارد اقتصادية ضخمة وتقنية متقدمة، والمهارة العسكرية والإرادة لغزو العالم بكامله فكرياً (48)، ولذا أعيد صياغة السؤال الأول إلى: ماذا يجب عمله لتحقيق نهضة ثقافية وسياسية واجتماعية عقلانية في العالم الإسلامي المعاصر؟ إن الفكر الإسلامي لا يمكنه تجنب التضمينات الكاملة لتحدّي الغرب الثقافي المعاصر وبالأخص تحدى الولايات المتحدة في سياق النظام العالمي الجديد.

أصبح النظام العالمي الجديد الذي تدشن في أعقاب الهزيمة العسكرية للعراق ظاهرة سياسية شاملة، وعلى سبيل المثال سلم رد القوميين على الغرب بتكييف أساسي مع

الأوضاع بعد نهاية الحرب الباردة، وفقد معظم الدول الاهتمام بالوحدة العربية، وما قاله عابد الجابري الأيديولوجي المغربي الرائد مناسب في هذا الصدد: إن الوجود العربي حي، وأظهرت الحرب القريبة التي شنها الحلفاء على العراق، بجلاء، حيوية العروبة ، وحضورها المصان في روح الجماهير العربية التي احتشدت لتأييد العراق وغالباً ضد رغبات حكوماتها، ومما له دلالته أيضاً في هذا الصدد الموقف العربي القومي الذي اتخذه مفكرو الفرانكفون المغاربة الذين حُرم العديد منهم من تعلم العربية في طفولتهم، وإضافةً لحشد تأييدهم وراء العراق فقد عبروا عن فزعهم وإحباطهم من الموقف الأوربي من العراق (49).

كان الغرض الأساسي للمشروع القومي العربي خلال عصر الاستعمار تحقيق استقلال العالم العربى، وساعد استقلال الجزائر على تحقيق هذا الهدف، ولكن حرب عام 1967 كانت نكسة رئيسة بمنعها الوحدة والتضامن العربيين من أن يمدا جذورهما الفكرية والتنظيمية في المجتمع.

إن ظهور الدولة الإقليمية كحقيقة سياسية دولية وكوضع نفسي اجتماعي / اقتصادي لا يمكن تجاوزه، وضع مزيداً من العقبات في طريق المشروع القومي العربي، فالعالم العربي منقسم الآن بشكل يفوق أي وقت مضى، وعلى العالم العربي أن يأخذ في الاعتبار . إضافة إلى التحدي الثقافي والانقسام السياسي . المشروع الصهيوني والتغيرات الحادة في طبيعته في سياق النظام العالمي الجديد.

ويمكن القول –تأسيسًا على الحجج السالفة– إن المهمة العاجلة للعالم الثالث هي السعي للتحرر الاقتصادي والسياسي من هذه الهيمنة الجديدة ، وأحد العوامل الحاسمة في ذلك التخلص من الاستعمار الثقافي؛ لأن الهدف الأساسي لما بعد الاستعمار هو الهيمنة الثقافية وبث القيم الغربية في العالم الثالث (50)، ويرفض الشمال إجراء نقاش شامل حول القيم الثقافية مع الجنوب، مفترضا أن قيمه الخاصة هي المعيار أي أنها قيم عالمية، وأن تبنيها سيحل مشكلات العالم الثالث الاقتصادية والاجتماعية (51)، وبغض النظر عن قدرات الغرب العسكرية والنووية الفائقة فإن ما بعد الاستعمار سلاح يهدف لتدمير التنوع الثقافي في عالم اليوم(52) وخلق ثقافة عالمية متجانسة واحدة هي " الثقافة التغريبية" (53).

ليس مصادفة أن معظم المناطق الدولية الساخنة تقع في العالم الإسلامي، والسبب الرئيس في ذلك رفض الغرب التوصل إلى تفاهم مع أي نسق للقيم سوى نسقه، ومع ذلك فإن العوامل الخارجية ليست وحدها سبب المشكلة، فالعالم الإسلامي . شأنه شأن أغلب دول العالم الثالث . يعانى من غياب الديمقراطية، وأزمة في حقوق الإنسان، ونقص القنوات الديمقراطية التي يمكن للناس أن يعبروا عن آرائهم خلالها بحرية، و لم ينتج عن هذا الوضع أي احتجاج من الغرب، فإنتاج السلاح في ازدياد في ظل العولمة، ومستهلكوه الأساسيون في الجنوب، في إفريقيا والشرق الأوسط وأفغانستان، الحروب الأهلية في ازدياد، بصفة أساسية، في الجنوب ، فقد تعلم الغرب درساً هاماً بعد الحرب العالمية الثانية وهو ألا تنشب أية حروب في أوربا والشمال، وتسبب هذا كله في غياب حوار ثقافي جاد بين الشمال والجنوب، ومن ناحية أخرى جازف غياب الاتصال والتسامح الثقافي بتعريض السلام للخطر لأعوام قادمة.

إن المعضلة الرئيسة التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر تتمثل في حماية التنوع الثقافي العالمي و التعددية في وجه الهيمنة الأمريكية المتصاعدة، وتكمن الإجابة في تحقيق تغير رئيس في تفكير كل من الشمال والجنوب، فعلى الشمال أن يعترف بالتنوع الثقافي، وعلى الجنوب تأكيد استقلاله الثقافي، ووفق رأي أحد إسلاميي شمال إفريقيا فإن" التحرر من الاستعمار الثقافي مهمة أجيال عديدة" (54).

بدأت الولايات المتحدة في تصعيد الحرب ضد أعدائها العالميين الجدد في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي، وجرى التعبير عن هذا بوضوح في مقولة "صمويل هنتجتون " (55) وأصبح الغرب مشغولا بخطر الإسلام أو الإرهاب الإسلامي أو الأصولية، وجرى اختزال العالم الإسلامي وتفتيته، بكل تركيبه الثقافي والعرقي ، إلى هذه الكلمات، وجرى تجاهل حقيقة أن أغلب المسلمين يعيشون في أقطار تحكمها نظم تسلطية يدعمها الغرب وديمقراطياته (56). إن التحرر من الاستعمار يبدأ في الواقع عندما تعتمد النخب الفكرية في العالم الثالث وفي الغرب جديا أطروحة أن التحديث لا يجب أن يعنى التغريب وأن ثمة طرق غير غربية للتحديث.

إن إحدى الظواهر الأخاذة التي تسم الحضارة الحديثة هي التحول العميق الذي حدث لدى تحول الحضارة من ثقافة الإنتاج إلى ثقافة المعلومات والمعرفة العلمية، وقد

أمكن هذا بسبب الطفرات الجذرية في العلم والتقنية، وبسبب تفوق الغرب العلمي أصبحت فجوة المعلومات بين الشمال والجنوب لا يمكن تخطيها، بل واستمرت في الاتساع يوما بعد يوم. فعلى سبيل المثال كانت الولايات المتحدة تملك 56 % من إجمالي بنوك المعلومات في العالم، وخصوصا بنوك البحث والعلم بينما تمتلك الجماعة الأوربية 28 % منها، واليابان 12%، والعالم الثالث 1 % .

توافقت الفجوة المعلوماتية بين الشمال والجنوب في عصر العولمة هذه مع "القوة الرخوة" التي تعرف على أنها قوة التحكم والاتصال، وبداية الحرب التكنولوجية عن بعد ووفقا لرتشارد فولك من جامعة برنستون فإن اعتقاد النخبة الأمريكية والغربية الحالي هو أن إمكانات علم التحكم والاتصال غير محدودة.

إن بعض الاستراتيجيين في الولايات المتحدة يحلمون بأخذ قيادة شبكات التحكم والاتصال والثروة الأسطورية الناتجة عن الصناعات الفكرية للتعلم والمعرفة، ويريدون بناء إمبراطورية العصر الإلكتروني الجديدة التي سيصبح السوق العالمي واهنًا في مركزها بفضل تقنيات المستقبل (57).

إن بلدًا بقوة شباب الولايات المتحدة لا يزال مفتتنًا بغزو المهاجرين المروج الأمريكية الداخلية، وفي البداية كان كم الأراضي التي يجرى غزوها غير محدود، ولكن مع نهاية القرن التاسع عشر توقف هذا التوسع الإقليمي، وكان على العقل الأمريكي أن يتمسك بحدود جديدة، وحدود النظام العالمي الجديد هي غزو الفضاء، الذي يعني النفاذ الكامل إلى موارد السيبرنت ، ومع استمرار نزيف العقول من الأفكار الصغيرة، وهجرة العديد من خبراء التقنية العالمية من الاتحاد السوفيتي، امتلكت الولايات المتحدة موارد تكنولوجية هائلة، وبدأت العولمة الأمريكية بشكل جاد (58) مع ملاحظة أن المركز المتقدم شجع هجرة الفنيين المهرة من العالم الثالث، وأنه بدأ سن القوانين التي تجعل الهجرة أصعب كثيرًا للمهاجرين من غير المهنيين (59).

لقد أدى هذا إلى تفوق الغرب السياسي والاقتصادي ، وانتشار الأفكار الغربية من خلال اكتساب التقنيات الغربية، ونزيف العقول من العالم الثالث إلى المركز، والتسرب التدريجي للقيم الفكرية والثقافية والعلمية للعالم الثالث، وتسبب هذا كله في

غياب حوار ثقافي جاد بين الشمال والجنوب، ومن ناحية أخرى جازف غياب الاتصال والتسامح الثقافي بتعريض السلام للخطر لأعوام قادمة (60).

وعلى الرغم من التفوق المعلوماتي الذي يبديه الغرب، فلا يزال شعبه لا يعلم إلا أقل القليل عن شعوب العالم الثالث والتحديات التي تواجهه، فالإعلام الجماهيري الحالي في المركز المنتصر لا يفضل نظيره منذ عشرين سنة ؛ إذ لا يزال يشن حربًا من التجاهل للمشاكل الحقيقية المؤثرة في الجنوب، ويصبح هذا الوجه المزدوج للعولمة (معلومات كثيرة عن العالم الثالث ومعرفة قليلة جدا عن مشاكله) أكثر خطورة عندما تتغلغل القوى الرأسمالية الجديدة في كل ركن من العالم، وتصوغه وفقا لمتطلبات الاقتصاد العالمي الجديد (61)، ويستخدم الغرب تقنياته البحثية المتفوقة لجنى أرباح أكثر على حساب العالم الثالث، وبالأخص مع استمرار الظروف غير المتكافئة بين الشمال والجنوب (62).

عجّلت العولمة أيضا نزيف العقول من العالم الثالث إلى المركز المتقدم، ويفضل العديد من مهنيي ومفكري العالم الثالث الإقامة في الولايات المتحدة، وأُطلق على هذه العملية عن حق، "النزف الفكري" لأنها تستنفد الخبراء من الأقطار الفقيرة التي تحتاجهم أشد الاحتياج في كل الحقول العلمية.

ولا يسعى العديد من المهاجرين لمستويات اقتصادية واجتماعية أفضل فقط، بل يهاجرون أيضًا لأن العملية الإنمائية في أقطارهم الأصلية ينقصها الرؤية السليمة لإدماجهم بشكل خلاق، ويكمل ذلك غالبا التقليد الأعمى للشمال الحديث بما يؤدي لنقل التكنولوجيا دون أي إسهام خلاق من الجنوب، بعبارة أخرى يمكن للجنوب أن يشترى التكنولوجيا، ولكن يجب عليه أن يبتدع أشكاله الخاصة من الحداثة والتحديث، ولا يمكن إبداع هذه الأشكال إذا ما استمر رحيل المهنيين المهرة، وكان من تداعيات هذا الوضع التعس معاناة العالم الإسلامي، وبقية العالم الثالث من المشاكل المتداخلة من أمية، وغياب البحث العلمي الصارم، ونقص القيم الديمقراطية.

إن نزيف الموارد الفكرية ظاهرة تنذر بالخطر، إلا أنها أدت إلى نتائج إيجابية، وبالأخص، في المركز المتقدم حيث يدور الحوار حول القيم الدينية والثقافية

المتنافسة بين أناس من جماعات دينية وثقافية مختلفة (63) وإضافة إلى ذلك يحتاج الشمال عمال العالم الثالث، فتستورد أوربا العمالة الماهرة وغير الماهرة من العديد من أقطار العالم الثالث، وأبرزها المغرب والجزائر وتونس وتركيا وباكستان، وتكشف هذه الهجرة الجماعية المستمرة عن التخلف المستمر لهذه الأقطار، فالتخلف هو عدم القدرة على إبداع واستخدام الموارد الإنسانية الماهرة ببراعة وعقلانية (64) ، ولا يرحل المهاجرون المهرة عن أقطارهم للأسباب المالية وحدها، بل لأن البلد الذي يتبناهم يقدم فرصة أفضل للحصول على تعليم أعلى في مهنتهم وفرصاً أكبر للتقدم.

إن المعرفة العلمية معلم رئيس على التنمية والتقدم في المجتمع المعاصر، ونظراً للتقدم السريع في العلم والتكنولوجيا فإن عالم المعرفة سيضاعف معلوماته العلمية في العقد القديم أو قريبا من ذلك، وهذا قدر هائل بالنظر إلى حقيقة أننا نتعلم في عقد أكثر مما كان أسلافنا يتعلمونه في ألف عام إلا أن الغرب واليابان يتحكمان بأغلب هذه المعرفة، بينما تستمر أفضل عقول العالم الثالث في الهجرة إلى المركز، ويتسبب هذا في فجوات معرفية أساسية بين الشمال والجنوب تجعل . بتزاوجها مع إحساس الشمال بسموه الثقافي . من الصعب تأسيس اتصال ثقافي فعال بين الشمال والجنوب " فمسألة التمركز العرقي حول الذات هي التي تجعل من الصعب تأسيس اتصال ثقافي حقيقي" (65) . إن الغرب الذي يشكل الآن 22% من سكان العالم، 16% فقط بعد ثلاثين عاما يستهلك 70% من إجمالي موارد العالم وتسيطر عليه ثلاثة هواجس: الاتجاهات السكانية للعالم الثالث، والأخلاق المسيحية اليهودية، واليابان (66). يواجه العالم تحدي التعددية الثقافية، ويحمل المستقبل مشهدين مستقبليين (سيناريوهين) ممكنين: إما إعادة تعزيز نسق دولي أحادي، كما يبدو اليوم في النظام العالمي الجديد المتميز بالتفوق الأمريكي، أو الحفاظ على التنوع الثقافي، وهي القيمة التي يجب على العالم الدفاع عنها ، وبدون هذا الدفاع لن يحقق العالم الثالث تحرره الثقافي الكامل واستقلاله.

إن الغرب يعيد خلق التاريخ المنصرم في شكل جديد من إعادة الاستعمار، وهو ما بعد الاستعمار، و تنشئ العولمة نظاماً عالمياً جديداً سيبدو بعد عقود قليلة مختلفاً جداً، فقد بدأت التحولات الرئيسة تأخذ مجراها بالفعل من انهيار الاشتراكية، وانتشار

الخصخصة في أقطار مثل: الصين والهند ومصر، وصعود القوى الإقليمية كالجماعة الأوربية على إثر التفوق الأمريكي، واتساع الفجوات الاقتصادية والاجتماعية بين الفقراء والأثرياء داخل الأقطار وفيما بينها، وعولمة الاستغلال كتداعٍ طبيعي للخصخصة، والاستثمار متعدد الجنسية، وصعود القومية المغالية، والتطهير العرقي، ومشكلات اللاجئين الجديدة، وإضفاء الطابع الدولي على الجريمة، وخاصة ذات الصلة بالمافيا واختلال استقرار الدولة القومية، وخلق أعداء دوليين جدد (67)

==================

#الصهيونية والعولمة

اضطلع المشروع الصهيوني في ما بعد الاستعمار بدور جديد تموله وتدعمه معنوياً الولايات المتحدة، وساعدت الأقطار الاستعمارية السابقة في العبور من الاستعمار إلى ما بعد الاستعمار وأقرته الأمم المتحدة، وسعى المشروع الصهيوني – إزاء هذا السياق – لاعتراف الدول العربية الرئيسة به. أعاد المشروع الصهيوني ، الذي بدأ في الوقت نفسه مع المشروع القومي العربي ابتكار نفسه في ظل حكومة الليكود، بالتشبث العنيد بثنائيات التحضر ضد الهمجية، والرحمة مقابل الإرهاب، والديمقراطية مقابل الشمولية، وإسرائيل الديمقراطية مقابل العرب والمسلمين المتخلفين.

إن ما سيجرى للمشروع الصهيوني في المستقبل مسألة هامة، فعلى سبيل المثال، يستحيل تقريباً توقع ما ستكون عليه إسرائيل بعد خمسين عاماً بدقة تامة، ولكن مع بدء العولمة مد جذورها في الاقتصاد العالمي والثقافة، سيصبح الشرق الأوسط عموما وإسرائيل خصوصا أقل أهمية مما هو عليه الآن بالنسبة لاستراتيجيات المركز الرأسمالي العسكرية والسياسية فالبترول "العربي" والصهيونية ، أو أي شكل من أشكال القومية في الشرق الأوسط، سيتوجب عليهما تغيير سماتهما بشكل حاد في مقابلة التغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية العميقة الناجمة عن العولمة، ويعنى هذا أنه يستحيل رؤية مصير إسرائيل بعد خمسين عاماً دون الأخذ في الحسبان أهمية الشرق الأوسط ككل في الفترة نفسها.

شهد عام 1948 ذروة انتصار المشروع الصهيوني بإنشاء دولة إسرائيلية قوية هدفها .كما هو مفترض . أن تقدم ملاذاً آمناً لمواطنيها، وبصورة محتملة للشعب اليهودي

في العالم، وبعدها بنحو خمسين عاماً، ظهرت إسرائيل كأقوى دولة عسكرية في الشرق الأوسط بفضل الهزيمة الكاملة للناصرية عام 1967، وتدمير قدرات العراق العسكرية في حرب الخليج الثانية وما أعقبها، وعلى الرغم من اجتذاب إسرائيل سكاناً مختلفين من أركان العالم (على سبيل المثال العالم العربي وأوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق وأثيوبيا)، فإن أغلبية يهود المركز في غرب أوروبا وأمريكا الشمالية لم يبدوا حتى الآن أي اهتمام حقيقي بالهجرة إلى إسرائيل أو العيش فيها، وترك ذلك المشروع الصهيوني، المبالغ في تقديره بمعنى من المعاني غير منجز، ومن ثم مبتوراً، على الرغم من التضحيات المالية الضخمة التي تكبدها يهود المهجر لصالح إسرائيل، و يكره يهود المركز الذين استمروا في طليعة العولمة . بطبيعتهم . الجوهر القومي والمحدود للصهيونية، وبرغم أنهم أكبر مؤيديها في هذه المرحلة من التاريخ فقد يعادونها في المستقبل، وقد منع العديد من العوامل الهجرة الجماهيرية ليهود المركز إلى إسرائيل منها : طبيعتها العسكرية، فقد دخلت إسرائيل عدة حروب رئيسية منذ عام 1948، وطبيعة المشكلة الفلسطينية التي ظهرت في أعقاب تأسيس إسرائيل، فعلى حين يجرى تفهم الفلسطينيين كأمة مجروحة بشكل عميق منذ 1948، يقل التأكد شيئاً فشيئاً في العالم الغربي حول المعتقدات المحورية للصهيونية، وبالأخص في ظل حكم الليكود.

وفي رأي ستكون الخمسون سنة القادمة في عمر إسرائيل مختلفة نوعاً عن الخمسين الماضية، فثمة استياء بين العديد من الإسرائيليين ويهود ما وراء البحر من الطبيعة العسكرية للدولة، وتقدير أكبر متزايد لمعاناة الفلسطينيين، وتفهم عميق –حتى من أكثر اليهود صهيونية– لعدم قدرة الاقتصاد الإسرائيلي البقاء بشكل دائم على المساعدات الأجنبية، سواء كانت أمريكية أو أوروبية أو حتى يهودية. إن مصير الفلسطينيين والإسرائيليين سيصبح أكثر تضافراً نظراً لعوامل ثقافية وسكانية: فعلى الجانب السكاني، يشير معدل مواليد السكان اليهود والفلسطينيين الحالي إلى أن الفلسطينيين، الذين يحملون المواطنة الإسرائيلية في إسرائيل، والذين يقدر عددهم الآن بثمانمائة وخمسين ألفاً سيصلون إلى حوالي اثنين ونصف مليون بعد خمسين عاماً، مع استبعاد أولئك الموجودين في الضفة الغربية وقطاع غزة الذين يقدر عددهم

بعد خمسين عاماً بحوالي 5 – 6 مليون ، ومن المشكوك فيه أن يزيد عدد السكان اليهود في إسرائيل بعد خمسين عاماً عن تسعة ملايين. ثانياً : وعلى المستوى الثقافي سيكون لليهود المهاجرين من العالم العربي كلمة أكبر في الشئون السياسية والثقافية في المجتمع الإسرائيلي ، وسيؤيدون . بغض النظر عن ميولهم السياسية المحافظة . تقارباً ثقافياً عربياً إسرائيلياً، وهذا أمر عادى بالنظر إلى أن العديد منهم يحاولون إعادة اكتشاف هويتهم الثقافية والدينية التي تم بناؤها خارج نطاق الحدود الإسرائيلية /الفلسطينية القائمة .

سيساعد كل ما سبق في إضعاف الطبيعة العسكرية القوية لإسرائيل، وسيخلق مجتمعاً إسرائيلياً أكثر إنسانية واتجاهاً نحو الشرق الأوسط، مجتمع يرى استمرار بقائه في التوافق مع بيئته شرق الأوسطية، والثقافة العربية الإسلامية على العموم

==============

#عولمة الإسلام الأمريكي

أود أن ألمس نقطة رئيسة أخيرة تتعلق بحياة المجتمع المسلم في الولايات المتحدة، فيعتقد الكثير من المسلمين الأمريكيين أن هذا البلد وحده هو الذي تتاح فيه للمسلمين فرصة حقيقية لتشكيل هوية إسلامية أصيلة، ووعى ورؤية إسلامية للعالم، وهذا الوضع مبنى على ما يلي:

يتسامح الحيز الثقافي والديني الأمريكي ، كما تطوّر عبر الزمن، مع تكوين هويات دينية وثقافية جديدة.

ولما كان التكوين الثقافي للمجتمع الأمريكي المسلم في غاية التنوع، فإن هذه البلد إحدى المناطق القليلة في العالم التي يمكِّن المسلمين الآتين من خلفيات ثقافية وعرقية متنوعة من الاختلاط والتمازج مع بعضهم بعضاً، وهكذا مهد الطريق لتكوين ثقافة إسلامية عالمية . ذات سمات أمريكية فريدة . ضمن حدود العلمانية، بعبارة أخرى يتمسك البعض بالرؤية القائلة بأن المسلمين في قلب الغرب المتعولم يملكون فرصة أفضل لبناء مجتمع إسلامي عالمي مما لو كانوا في أي قطر آخر، وهذه أطروحة جذابة تتطلب تفكيرًا عميقًا.

إن الأحداث الداخلية في حياة مجتمع المسلمين الأمريكيين والمهاجرين وأهل البلد معاً، والتغيرات الخارجية القريبة في النظام العالمي، وبالأخص انهيار الاتحاد السوفيتي والتورط الأمريكي في شئون العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية، حولت المجتمع المسلم من مجموعة غريبة وأحياناً مروعة من الناس إلى مجتمع بارز ومتفتح، فلا يستطيع المسلمون الحفاظ على ابتعادهم عن الحياة الدينية الأمريكية، والتحديات الحقيقة التي تفرضها العلمانية على العقل الموحد (68) .

لا يزال المجتمع الأمريكي المسلم يضع أسسه الفكرية (أي الدين) والمؤسسية باللجوء إلى التراث الإسلامي المحوري الذي تطور في القلب الإسلامي في الشرق الأوسط عبر قرون عديدة ، وبالتفاوض . وإن كان بشكل واهن وبرؤية غير واقعية أحياناً . مع الحداثة الأمريكية على مكان للإسلام في هذه الثقافة، ويعلم المسلمون أنه لا بد للبقاء في هذا البلد، وللحفاظ على هويتهم من ظهور مجموعة من نخبة الفكر ، لتعيد تفسير التراث الإسلامي العريض في موقف جديد، في الوقت الذي تقوم فيه بتحليل تعايش المجتمعات الدينية الأخرى مع النظام السياسي والاجتماعي الراهن.

على المسلمين أن يعترفوا بأنهم يعيشون في مجتمع تعدديّ الثقافات ومتنوع دينياً، وأن بعض الصياغات القانونية التقليدية كدار الحرب ودار السلام لا تناسب وضعهم في المجتمع الأمريكي، وأخيراً يجب على المسلمين صياغة مفاهيم قانونية ودينية جديدة للتعبير عن الطبيعة الفريدة لمجتمعهم، وتفاعله مع المجتمعات الدينية الأخرى، وتسامحه مع العديد من الرؤى والفلسفات المتنوعة، بعبارة أخرى يجب على المسلمين الرد على النقد التالي الذي يشترك فيه بعض مراقبي الإسلام في المشهد الأمريكي:

إن المسلمين الذين يأخذون دينهم بجدية لا يمكنهم الإيمان بالفصل بين الدين والدولة، والتعددية الدينية مفهوم غريب على المجتمع الإسلامي المثالي، ويجب إذن السماح للمسلمين في الولايات المتحدة بممارسة دينهم، ولكن ليس إلى الحد الذي يهدد أو يمنع حرية الآخرين الدينية، وتأكيداً ليس إلى درجة ممارسة الحرب المقدسة ضد غير المسلمين(69) .

تأتى هذه الصياغة من مراقب معادٍ ، ولكن الأسئلة الأهم هي كيف يمكن للمسلمين تفسير تهديدات العولمة الأمريكية الجديدة لكل من العالم الإسلامي والجماهير الفقيرة في الولايات المتحدة ، وهل استخدم المسلمون الأمريكيون كأدوات في أيدي العولمة لإفقار العالم الثالث؟ إن أحد طرق تشكيل إجماع إسلامي حول هذه الأسئلة تحقيق درجة من التفهم الحقيقي بين المجتمعين الكبيرين اللذين يشكلان الإسلام الأمريكي: المهاجرون وأبناء البلد الأصليين. ويواجه كلا المجموعتين تحدياً مشتركاً ألا وهو كيفية بيان وعى إسلامي يمكن إدراك المعتقدات المحورية لكل من الحداثة والعولمة، ويعي آثارهما على العالم الإسلامي المعاصر. يمكن علاوة على ذلك إثارة السؤال عن كيفية تقديم طبقة مفكرة أمريكية مسلمة أصيلة في انتمائها لتراثها الإسلامي الأوسع، ومنهمكة بشكل قوى في الأسئلة والقضايا التي تواجه قطاعات المجتمع المسلم المتنوعة، هذه القطاعات التي تمثل نطاقاً واسعاً من الطموحات والخلفيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة. إن المسلمين الأمريكيين في وضع أفضل من غيرهم من المسلمين يمكنهم من تنوير العالم الإسلامي عن مدى ومخاطر العولمة وتحل بذلك بعض المسائل المحورية التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر

=============

أفكار ختامية

يتمحور العقل الغربي، الذي شكل أوضاع العالم منذ الثورة الصناعية، حول مفهوم التقدم (70) ويبدو للبعض أن إمكانات التقدم غير محدودة (71) ، فقد كانت ثمة مناطق في العالم الثالث، مادية وفكرية، لاحتلالها واستعمارها، ووفقاً لرأي أحد الكتاب فإنه في رؤية العالم الحديث "يضع معنى الخلاص في مفهوم التقدم والتوسع الاقتصادي والابتكار التكنولوجي في بؤرة الأهمية"(72) وفرضت ظاهرة التقدم تحدياً رئيساً على الثقافات التقليدية، وأسسها الاجتماعية الاقتصادية، ورؤاها الأخلاقية للعالم، ولم تتخل العولمة عن التقدم ولا حتى عن الأشكال الأشد تدميراً منه، كتلك التي تؤدى إلى شكل جديد من الاستعمار، فالمفهوم التقليدي للتقدم –وفقاً لرؤية حنا أرنت– أدى لعملية لا تنتهي من مراكمة القوة الضرورية لحماية المراكمة التي لا

تنتهي لرأس المال التي حددت الأيدلوجية التقدمية لأواخر القرن التاسع عشر، وكانت إيذاناً بصعود الاستعمار(73) .

وتعود العولمة إلى نوع جديد من الاستعمار أكثر تدميراً وخفاءً من نظيره التقليدي، إضافة إلى ذلك خلقت العولمة . التجلي الأخير للعقل الحديث . تشويشًا حول "ما هم المهم في الحياة" وجرى استبدال المفاهيم الجديدة لما تعنيه الحياة بالمفاهيم التقليدية للترابط والرخاء وبناء المجتمع.

كانت نخبة الفكر الدينية في العالم الإسلامي ، قبل بزوغ القرن العشرين ، تعتبر التقدم الأوربي مجرداً من أي أساس أخلاقي، ومع ذلك حاجج البعض بأن الغرب كان لديه العزم على مدى قرون طويلة على بناء أسس أخلاقية لا تتفق مع أسس الوحي التوحيدي.

شجعت أخلاقيات العقل الغربي في ظل العولمة التراكم السريع للثروة وما يصحبها من قوة، فالنزعة الاستهلاكية المتطرفة هي القاعدة ، وفي رأى رتشارد فولك فإن تداعيات عولمة النفوذ الثقافي الغربي حالياً المتضمنة التزامها بالتحديث هي التي تسببت في أزمة النظام العالمي متعددة الأبعاد من نزعات التسلح النووي والتصنيع والمادية والاستهلاك(74)

لقد تطور وعي شعبي لفهم ومقاومة النزاعات السلبية للعولمة بسبب تداعياتها الهائلة، ويجب على العالم الإسلامي أن يكدَّ لإحياء أخلاقيات الإسلام الاجتماعية والمالية والاقتصادية كظاهرة توحيدية لمقاومة هذه الانحرافات الخطيرة، ومن المهم إحياء مفهوم المجتمع الذي يقاوم هجمات النزعة الفردية التي أصبحت القاعدة اليوم في المجتمعات الصناعية المتقدمة وتوابعها في العالم الثالث، ومع تزايد الفجوة بين الشمال والجنوب، والفجوات بين الريف والحضر داخل معظم أقطار الجنوب، ومع العدد المتزايد من المهمَّشين والفقراء في المدن لا مفر من إحياء الخلق الإسلامي الجماعي الذي "يأمر بالخير وينهى عن المنكر" (75) .

ومن المهم تذكُّر أنه لا بد لإبقاء رؤى العالم والفلسفات التقليدية حية من تقديم حلول على أساس رؤية تقليدية للعالم، ويجب أن تأخذ هذه الحلول في الحسبان الخراب النفسي والاجتماعي الذي أحدثته العولمة في العالم الإسلامي (76) ، بعبارة أخرى

كيف يمكننا صياغة إجابات إسلامية على المشكلات الاقتصادية والثقافية والتشوش الناتج عن العولمة وحلفائها في العالم الإسلامي، ولا ننسى مثال إندونيسيا الملائم، هذا البلد الذي استهلّ برنامجاً جسوراً للتحديث مع أواخر الستينيات، وانهار اقتصاده فجأة أوائل 1998، وإن المرء ليعجب ما الخطأ الذي جرى في هذا البلد! ومن المدهش أن تساوي ثروة الرئيس السابق سوهارتو وعائلته القرض الذي وافق صندوق النقد الدولي على منحه لإندونيسيا تقريباً، لذا فإن السؤال هو كيف نجحت النخب السياسية والعسكرية في العالم الإسلامي في جمع هذه الثروة غير المعقولة تحت حماية العولمة؟

الهوامش والإحالات المرجعية

1 ...– ... Sub- commmandant Marcos,"La 4e guerre mondiale a commence,"Le monde diplomatique (Augst 1997),P1

2 ...– ...محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)، ص 144

3 ...– ... Charlene Spretnac, The resurgence of the real: Body, nature,and place in a Hypermodern world (New york:Addison - Wesley, 1997),P.11

4 ...– ...جون هارس صحفي كندى وهذا الاقتباس في :

Maude Barlow and Heather -Jane Robertson," Homogenization of Education ," in "The case against the Global Economy : And for a Turn Toward the local, Edited by Jerry Mander and Edward Goldsmith, (San Fransisco :Sierra Club books, 1996), 62–63

5 ...– ...انظر الفصل الأول من

Ibrahim M. Abu- Rabi`,Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the modern Arab world (Albany: State University of New York Press, 1996)

6 ...– ...لقيت إندونيسيا مؤخراً تغطية إعلامية كبيرة في الغرب ،راجع المقالات التالية:

V.S.Naipul."Indonesia: The man of the moment ,"Th New York ; Noam Chomsky," 45−40), 1998June 11Reviewof Books (L`Indonesia atout maitre du jeu Amércain, Le monde .(1998diplomatique (June

7 ...− ...انظر

Gerard De Selys, Tableau noir , appel a la resistance contre la (1998privatisation de l `enseignement (Bruxelles: EPO,

8 ...− ...انظر

Theodore Roszak, The Cult of information: The Folklore of computers and the True Art of Thinking (New York:Pantheon); Vandana Shiva, Mono - Cultures of Mind: 1986Books, Biodiversity, Biotechnology and The Third World (Penang, (1993Malaisia: Third World Network,

9 ...− ...في حالة الهند على سبيل المثال انظر

R. Mukhrjee,The Rise and Fall of The East India Company (.1958(Berlin: Veb Duetscher Verlag der Wissenschaften,

10 ...− ...انظر

Edward Shils, The Intellectuals and the Powers and Other (1972Essays (Chicago: The University of Chicago Press,

و بالأخص الفصل الثالث "Intellectuals in Underdeveloped Countries"

11 ...− ...انظر:

H. Kissinger, Years of Upheaval (Boston: Little, Brown and), and The White House years (Boston: Little, 1982Company, .(1979Brown and Company,

12 ...− ...حول الآثار الداخلية للحرب الباردة على الولايات المتحدة انظر:

1945James T. Paterson, Grand Expectatins: The United States, (1996(New York: Oxford University Press, 1974-

13 ...− ...انظر

J. Decornyon, "Capital Prive , Development du Sud et Solidarite Mondiale: Les Multinationales, omnipresentes et … 9−8), 1988impuissantes." Le Monde diplomatque (November

14 …− …انظر

.9Decornoyn, " Capital Prive,"

15 …− …أمين ، في مواجهة أزمة عصرنا، مرجع سابق، ص.ص.20 − 21.

16 …− … Z. Laidi and et al., L`order mondial relache (Paris:

.(1994Presses de la Fondation Nationales des Sciences,

17 …− …انظر:

S. Strange, The Retreat of the State: The Diffusion of power in the World Economy (Cambridge :Cambridge University Press, (1998

18 …− …انظر

Samir Amin , Les defis de la mondialisation (Paris : L` .(1996Harmattan / Forum du tiers - monde,

19 …− …انظر: أمين، في مواجهة أزمة عصرنا، مرجع سابق ص.133

20 …− …انظر:

Immanuel Wallerstein, After Liberalism (New York : The New .15),1995Press,

21 …− …انظر:

Daniel T. Griswold, " Blessings and Burdens of Globalization," .35−30): 1998The World and I (April

22 …− …انظر:

P. Bairoch snd E. Hslleiner, States Against Markets : The Limits .(1996of Globalization (London : Routledge,

23 …− …انظر:

Peter Martin , " La mondialisation est -elle Inevitable? Une ".14),1997obiligation morale" Le Monde Diplomatque (June

24 …− …انظر:

Ignacio Ramonet, "Régimes globalitaires" le monde .1),1997diplomatique (January

25 ...− ...انظر:

Paul Hirst and Graham Thompson, Globalization in Question : The International Economy and the Possibilities of Government .(1996(Cambridge: Polity press,

26 ...− ... Spretnak, Resurgene of the Real, ... .34

27 ...− ...انظر:

C. de Brie, " Le couple Etat-nation en instance de divorce" Le .(1989Monde Diplomatique (May

28 ...− ...انظر:

Nancy Birdsall, "Life is Unfair : Inequlity in the World" Foreign 113−95): 1998Policy (Summer

29 ...− ...انظر:

Benedict Anderson, Imagined communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism (London : Routledge, .140)1991

30 ...− ...انظر:

Pierre Bourdieu, "L` essence du ?eolibrealisme," Le .3),1998Diplomatique (March

31 ...− ...انظر:

H.L.Mencken,Tge American English: An Inquery into the development of English in the United States(New York:Alfred .25),1955A. Knopf,

32 ...− ... Richard Ohman "English and the cold war", in "The cold war and the University:Toward an Intellectual History of the cold war years, edited by noam chomsky etal, (New York: .73),1997the New Press,

33 ...− ...انظر:

E. J. Perkins, The World Economy the Twentieth Century (Cambridge : Schenkman, 1983).

34 ...– ...مزيد من التفصيل في هذا الموضوع انظر:

M. Beaud, "Jamais Tant de Richesses, Jamais tant de Misère …Sur les causes de la Pauvrete des nations et des hommes dans le monde contemporain." Le Monde Diplomatique (Novembre 1997),11.

35 ...– ...انظر:

Chalres Wiliam Maynes, " the Perils of an Imperial America," Foreign policy (Summer 1998):36–49.

36 ...– ...انظر الفصل الثاني في:

Zbignew Brzezinski, The Grand Chess Board: American Primacy And It's Geostrategic Imperatives (New York: Basic Books, 1997)

37 ...– ...انظر:

A. Ahmad, Islamic Modernism in India and Pakistan (London : Oxford University Press. 1967).

38 ...– ...لمناقشة مفصلة لهذا الموضوع انظر:

Ibrahim M. Abu- Rabi`,Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the modern Arab world(Albany : State University of New York Press, 1996).

39 ...– ...عبد الإله بلقزيز،العولمة والهوية الثقافية ،المستقبل العربي (مارس 1998)،ص.92.

40 ...– ...لمزيد من التفاصيل انظر في:

Mahdi El Mandjra, La Decolonization Culturelle: Defi Majeur Du Ziéne Siecle (Morocco): Editions Walili, 1996, And Paris: Futuribles, 1996 208).

41 ...– ...انظر على سبيل المثال:

محمد عابد الجابري، قراءة نقدية للفكر الغربي، (كازبلانكا 1995) وكذلك مشروع مركز دراسات الوحدة العربية حول النهضة العربية، 1996.

42 ...− ... Paul-Marie de la Gorce, le dernier empire (Paris: Grasset, 1996), 16.

43 ...− ...انظر:

Claude Julien, L`empire américaine (Paris: Grasset, 1986), 25 . The same ideas are presented by Jean-Jcqus Servan- Schreiber in, Le Défi americain (Paris: Denoel, 1967).

44 ...− ...انظر:

Edmund Wilson, The American Earthquake: A Chronicle of the Roaring Twenties The Great Depression and the Dawn of the New Deal (New York: Da Capo Press, 1996),569.

45 ...− ...انظر، محمد عابد الجابري، العولمة نظام وأيديولوجيا، في المجلس القومي للثقافة العربية، العرب وتحديات العولمة، (الرباط: في المجلس القومي للثقافة العربية 1997) وعادل حسين، الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية (دار المستقبل العربي،1986).

46 ...− ...انظر:

Ignacio Ramonet , " L`empire americain" Le Monde Diplomatique (February 1997) 1.

47 ...− ...محمد عابد الجابري، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، 1998) ص 16.

48 ...− ... Elmandjra, La Decolonisation Culturelle , 214

49 ...− ... Mahdi. Elmandjra, Retrospective desfuturs (casablanca: ouyoun, 1992), 164

50 ...− ... Elmandjra ,La Decolonisation Culturelle , 215.

51 ...− ...المهدي المنجرة ،الحرب الحضارية الأولى (الدار البيضاء:عيون،1994)ص 21−22.

52 ...− ... Elmandjra, La décolonisation culturelle, 15.

53 ...− ...انظر:

.Samuel Huntingdon, The Clash of Civilizations

54 ...− ... Brian Coodwin, How the leopard Cahnged Its Spots: The Evolution of Complexity (New York : Charles Scribner`s 1994Sons ,); Mitchell M. Waldrop , Complexity : the Emerging Science at the Edge of Order and Chaos (New York : Simon and 1992Schuster ,).

55 ...− ... Richard Falk , " Vers une domination mondiale de nouveau type" Le Monde Diplomatique (May 1996), 16.

56 ...− ...انظر:

Joseph Nye et William Owens , " America`s Information Edge" Foreign Affairs (March -April 1996).

57 ...− ...انظر:

S. Sassen , Losing Control ? Sovereignty in an Age of Globalization (New York : Columbia University Press, 1996).

58 ...− ...انظر:

J. Nye and W. Owens "America`s Information Edge" 29−30.

59 ...− ...انظر:

William Greider , One World , Ready or Not : the Manic Logic of Global Capitalism (New York : simon and Schuster, 1997); A. Gresh , " Les Aleas de l`internationalisme" Le Monde Diplomatique (May 1998), 12.

60 ...− ...انظر:

Richard Banet and John Cavanagh, Global Dreams : Imperial Corporations and the New World Order (New York : Simon and schuster , 1994): M. I. Bouguerra , Le Recherche contre le Tiers Monde (paris : PUF, 1993-).

61 ...− ...لمناقشة مفصلة لهذا الموضوع راجع:

Claude liauzu, Race et civilisation : L`Autre dans la culture .(1992occidentale (paris: Syros,

62 ...− ...انظر:

175Elmndjra. La Decolonisation culturelle,

63 ...− ...المرجع السابق ص.188.

65 ...− ...المرجع نفسه.

66 ...− ...انظر في هذا مقالة طريفة :

e guerre mondiale a 4Le Sous -Commandant Marcos, "La .(1997commence," Le Monde Diplomatique (August

Zeev Sternhell, The Founding Myths of Isreal: ... −... 67 Nationalism, Socialism and the Macking of the Jewish state (1988(Princeton: Princeton university press,

Dinesh D`Souza"Solving America`s Multi-cultural ... −... 68 .35)p.1996dilemma,"The world and I (January

Ibrahim M.Abu Rabi,"Beyond the post modern Mind" ... −... 69 −235): 1990American Journal of Islamic social science (sept., .56

70 ...− ...انظر:

.2Spretnak, Resurgence of the Real,

71 ...− ...انظر:

Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism (cleveland : .143), 1963Meridian Books,

Richard Falk, Expolratons at the edge of time: The ... −... 72 Prospects for World order (Philadelphia: temple University .48),1992Press,

73 ...− ...انظر:

David R. Griffin and Huston Smith, Primordial Truth and Postmodern Theology (Alpany : State University of New York .(1989Press,

وانظر كذلك:

Hans Kung, A Global Ethic for Global Politics and Economics (New York : Oxford University Press, 1998), خاصة الفصل الثاني.

74 ... – ...انظر :

Akbar S. Ahmed, Postmodernism and Islamic : Predicament and); Akbar S. Ahmed and 1992Promise (London: Routledge, Donnan Hastings (eds.). Islam, Globalization and Postmodernity); Walden Bello, New Third World : 1994(London : Routledge , Strategies for Survival in the Global Economy (London : 1990Eathscan,

=====================

#المجتمع الإسلامي

منظمة العفو: أمريكا حولت العالم إلى ساحة حرب بدعوى مقاومة الإرهاب

انتقد التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية الذي نشر يوم الأربعاء 23-5-2007م الولايات المتحدة لانتهاكها حقوق الإنسان والتعامل مع العالم على أنه "ساحة معركة كبيرة" في حربها على ما تسميه "الإرهاب"، معتبرة أن احتلال العراق، وجو الخوف الذي نشرته إدارة جورج بوش في العالم أجمع زاد من الانقسامات الدولية.

واتهمت المنظمة واشنطن بازدواجية خطابها حول حقوق الإنسان من خلال تصوير نفسها على أنها بطلة الدفاع عن هذه الحقوق ودولة القانون من جهة، وتطبيق سياسات تنسف أبسط مبادئ القانون الدولي في الوقت ذاته.

وقالت المنظمة إنه في أواخر 2006 المجتمع كانت الولايات المتحدة لا تزال تحتجز آلاف الأشخاص من دون إدانة أو محاكمة في العراق وأفغانستان وقاعدة جوانتانامو في كوبا.

وقالت الأمينة العامة للمنظمة "إيرين خان": إنه لا شيء يعبر عن عولمة انتهاكات حقوق الإنسان أكثر من برنامج الترحيل الخاص في إشارة إلى نقل "مئات الأشخاص" بصورة غير شرعية إلى دول مثل سورية والأردن ومصر.

وتابعت خان: خلال هذه الممارسة غير المحدودة لسلطة تنفيذية اعتباطية تتعامل الحكومة الأمريكية مع العالم باعتباره ساحة معركة كبيرة في حربها على الإرهاب، فهي تخطف أشخاصاً تشتبه بهم أو تعتقلهم أو تحتجزهم أو تعذبهم، إما مباشرة أو عبر دول بعيدة كل البعد عن بعضها البعض، مثل باكستان وغامبيا وأفغانستان والأردن.

وأوضحت أن واشنطن غير نادمة على إنشاء شبكة واسعة قائمة على انتهاك حقوق الإنسان باسم محاربة الإرهاب، معتبرة أن نتائج هذه السياسة هو تراجع السلطة المعنوية للولايات المتحدة إلى مستواها الأدنى في العالم أجمع في حين أن انعدام الأمن مستشر أكثر من أي وقت مضى.

============

#"ائتلاف المنظمات الإسلامية" في مواجهة الأمم المتحدة

د.منال أبو الحسن

في الأسبوع الأول لاجتماع مركز لجنة المرأة (51) بالأمم المتحدة الذي عقد في فبراير مارس 2007م، استعرضت وفود الدول الإسلامية ضمن باقي الوفود الدولية إنجازاتها على مدار العام الماضي وما سبقه.. من مقررات مؤتمرات المرأة والسكان.. من قبيل تقوية خدمات الصحة الإنجابية، وتنفيذ منهاج عمل مؤتمر بكين، التسوية بين الجنسين في سن الزواج، التوسع في نشر بيوت الحماية (الإيواء)، السعي لتثبيت سن الزواج على 18 كحد أدنى للزواج... إلخ.

والملاحظ أن الخط الذي تسير عليه الدول لا ينطلق من الميراث الديني، ولا من ظروف كل دولة، ولا من احتياجات التنمية الحقيقية، ولا من خلال المشكلات الواقعية في الدول، وإنما تنطلق من الواقع الدولي للمشكلات المصنوعة والمفروضة من قبل الغرب، فيتم تفصيل النتائج والأبحاث بناءً على الخطط والبنود الدولية.. فيما تبقى المشكلات الأسرية والمجتمعية الحرجة، مثل العنوسة والطلاق دون حل، بل ينظر إليها كوسائل لحل المشكلات من وجهة النظر الدولية.

فالعنوسة مثلاً يتم تدعيمها من خلال البنود التي تتيح للمراهقين حرية الممارسات الجنسية، وتوفر للشواذ وسائل متعتهم، بدعوى الصحة الإنجابية.

كما يتم حل مشكلة الطلاق من خلال سرعة البت في قضايا الطلاق، وتدعيم الفردية، وتمحور المرأة حول نفسها، وإعطائها حقوقاً غير محدودة بحريات وحقوق الآخرين، والدفاع عن حقوقها من وجهة النظر الفردية البحتة، التي لا تسمح لها بالعيش في أمان واطمئنان في الأسرة.

وما تدمى له الأعين.. عدم الدفاع عن أي قيم دينية، وكأن هذه الوفود جاءت محملة بالمشكلات والقضايا التي لم تجد لها علاجاً في الدين، بل على العكس فإن الدين عندما يدخل ضمن الأسباب التي تنشئ هذه المشكلات لا تجد من يدافع عنه أو يشير إليه من قريب أو بعيد.

ائتلاف المنظمات الإسلامية: ولمواجهة انتكاسات الفطرة الإنسانية التي تتبناها الأمم المتحدة والقوى الغربية، تلعب اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، منسق ائتلاف المنظمات الإسلامية دوراً أساسياً؛ من خلال إقناع الوفود الرسمية والأهلية بتبني رؤى نابعة من المرجعية الإسلامية، التي يقدمها العلماء والمختصون في قضايا المرأة والأسرة..

كما تقوم بتنقية كل البنود الحرجة، التي تخالف الدين والفطرة السليمة، وأثبت تطبيقها العديد من المشكلات على النطاق الدولي..

وأثناء انعقاد المؤتمرات يقوم "ائتلاف المنظمات الإسلامية" بمتابعة عمل الوفود واستجاباتهم لمثل هذه البنود الحرجة، ثم يقدم التقارير التوضيحية لبيان خطورتها، وتوزيع فتاوى دينية ونصائح طبية واجتماعية، لكي تتضح الرؤية ويسهل تعامل الدول الإسلامية مع هذه الأمور..

كما يتفاعل أعضاء الائتلاف مع وسائل الإعلام العالمية بشرح الرؤى الإسلامية لإصلاح الأسرة، من خلال العديد من الورش التي تتاح للمنظمات غير الحكومية، مما يدعم موقف الائتلاف على النطاق الدولي والشعبي والمنظمات غير الحكومية.

الوفود الرسمية: أما عملية إقناع الوفود الرسمية فإننا نجد العجب بهذا الشأن، فالبعض يفهم المصطلح من وجهة نظره، ويوقع عليه من وجهة النظر الدولية،

فيتظاهر بأن الأمور أبسط مما نبرزها، وأن مصلحتنا كدول عربية ألا نظهر مخالفين للمجتمع الدولي، وأن نأخذ الأمور كما هي ثم نطبقها بأسلوبنا..

ونحن نرى أن هذه النظرة لا تؤدي إلى احترام أنفسنا أمام المجتمع الدولي، فينظر إلينا كأننا دول خاوية بلا هوية، بل الأدهى والأمر أن ديننا هو السبب في مشاكلنا!

خطيئة عولمة المشكلات الاجتماعية

ومع ذلك، يجب أن نعترف بوجود المشكلات، ولكن يجب أن تكون رؤيتنا لها من الواقع الفعلي لكل مجتمع ولكل دولة..

فعلى سبيل المثال فإن مشكلة الطلاق تختلف أسبابها في مصر من محافظة إلى أخرى، وكذلك تختلف في العالم العربي من دولة إلى أخرى، تبعاً لاختلاف الأسباب المؤدية لها.. فلا يجب على الإطلاق عولمة المشاكل الاجتماعية..، فقد تكون بسبب زيادة المهور في دولة ما، وقد تكون بسبب خروج المرأة للعمل في دولة أخرى، وقد تكون بسبب سوء استخدام تكنولوجيا الاتصال في مكان ما، وقد ترجع إلى أسباب اقتصادية..

ومن ثم فحلول المشكلات الاجتماعية لا تتأتى في شكل قوالب جاهزة، تعدها لنا الأمم المتحدة وتصر على حلها على النحو الذي تراه، وبنفس الآليات المطروحة.. ولكن لنا مشاكلنا ولدينا القدرة على إصلاح أحوالنا فنحن أصحاب الدين القيم.

==============

#تقنين الزنا والإجهاض وتقويض القيم الدينية بدعوى مكافحة التمييز

15 بنداً تهدم الأسرة المسلمة في وثيقة 16 مارس

القاهرة – محمد جمال عرفة

منظمة الأمم المتحدة

منظمة الأمم المتحدة

رغم أن "تقرير الخبراء" الذي طرحه "مركز المرأة" بالأمم المتحدة للنقاش والتوقيع في الجلسة 51 للجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة في الفترة من 26 فبراير حتى 9 مارس 2007م، تحت عنوان "القضاء على جميع أشكال العنف والتمييز ضد الطفلة الأنثى". نقول: رغم أن هذا التقرير تضمن 15بنداً تشكل تهديداً صارخاً لمؤسسة

الأسرة وتعاليم الإسلام.. مررته الأمم المتحدة تحت عنوان "وثيقة 16 مارس 2007"، ووافقت عليه الحكومات العربية والإسلامية بلا وعي!

ومع أن ائتلاف المنظمات الإسلامية الذي يضم عدداً من المنظمات الأهلية النسائية من عدد من الدول الإسلامية، والذي شارك في هذا المؤتمر من أجل التواصل مع الوفود العربية والإسلامية الرسمية للتصدي لهذه البنود الخطيرة، على غرار ما حدث في مؤتمرات وثيقة بكين السابقة، فقد جاءت النتيجة مخيبة للآمال، وفشل الوفد كما أكد بعض أعضائه ل"المجتمع" في تخفيف حدة هذه البنود الشيطانية، خصوصاً أن البعثات الدبلوماسية للدول العربية والإسلامية المشاركة في المؤتمر لم تبد حماسه تذكر في الاعتراض، بدعوى أن هذه وثيقة دولية لا يجوز رفضها!

15 بنداً مخالفاً للدين: فالوثيقة الأصلية التي قُدمت للمناقشة تضمنت 15 بنداً تتعارض مع الدين، وتدور حول قضايا الحرية الجنسية للفتيات والجنس الآمن والصحة الإنجابية ومحاربة الزواج المبكر، واعتبار المهر عنفاً ضد المرأة، كما تحارب قوامة الرجل داخل الأسرة، فضلاً عن السعي الحثيث لهدم الأسرة المسلمة والمساواة التامة في الميراث بينهما.

فعلى حد قول المهندسة (كاميليا حلمي) منسق ائتلاف المنظمات الإسلامية ورئيس اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل التابعة للأزهر: "تمت إضافة بنود إضافية لم تكن موجودة بالمسودة، مثل تقديم خدمات الصحة الإنجابية للمراهقين، وتعليمهم كيفية توقي الحمل غير المرغوب فيه، وكذلك الأيذز، والعمل على تقنين الإجهاض، وجعله عاماً ومباحاً قانوناً، بالإضافة إلى بند تحقيق استقلالية الفتيات المادية عن الأسرة، وإدماج الفتيات المصابات بالأيدز في المجتمع، بغض النظر عن سبب الإصابة الذي غالباً ما يكون بسبب ممارسة الزنا في هذه المرحلة العمرية".

وأرجعت "حلمي" سبب خروج الوثيقة النهائية (وثيقة 16 مارس) بهذه الصورة التي تزيد من البنود التي تتعارض مع قسم الأسرة المسلمة إلى ما أسمته: "تخاذل الدول العربية التي كان من الممكن أن تتكتل وتصر على فرض تحفظاتها"، فضلاً عن عدم اهتمام الدبلوماسيين العرب أصلاً بالحضور أو المشاركة وترك الأمر لغير

المختصين، فضلاً عن حرص منظمي المؤتمر في أمريكا على إبعادهم كمنظمات أهلية عن جلسات المؤتمر لعدم تأثيرهم على آراء الأطراف المشاركة في المناقشات.

عولمة الانحلال: وقد أكدت المهندسة كاميليا حلمي أن جميع وثائق الأمم المتحدة التي أقرتها المؤتمرات الدولية، إنما هي سلسلة متصلة هدفها النهائي عولمة نمط الحياة الاجتماعية بالمفهوم الغربي، لذا فهي تبدو متشابهة في بنائها الفلسفي. وتبعاً لذلك فإن الإطار الفلسفي لهذه الوثيقة يعتبر محدداً مسبقاً. وبالرغم من إعطاء الدول الحق في المناقشة والتعليق على اللغة المتفق عليها، إلا أن الأساس الفلسفي للوثيقة غير مطروح للنقاش.

قوانين تمييزية ضد المسلمين

ويقول أعضاء في ائتلاف المنظمات الإسلامية إن خطورة تلك الاتفاقيات أنها تدعو إلى إلغاء القوانين وتغيير التقاليد والثقافات وحتى القيم الدينية التي تعتبر من منظورها قوانين تمييزية، بما يجعلها هي قوانين "تمييزية" ضد المسلمين أنفسهم.

حيث تفرض الاتفاقية رؤية واحدة، ومنهجاً واحداً في الحياة هو المنهج الغربي، بل وتفرض أيضاً مصطلحات ومفاهيم لا يمكن إدراك معانيها الحقيقية إلا من خلال سياقها الأصلي بالرجوع إلى الوثائق الصادرة باللغة الإنجليزية.

فتعبير "العنف"Violence على سبيل المثال، إنما يعني القسوة والوحشية والتعذيب والتصرفات السادية ضد الفتيات، بينما يستخدم هذا المصطلح للتعبير عن الكثير من السلوكيات التي لا تعد عنفاً كالمهر، والزواج قبل الثامنة عشرة، مما يصرف الانتباه عن السلوكيات التي تعد عنفاً حقيقياً ضدها.

وكذلك مصطلح "التمييز Discrimination " الذي تدور حوله المسودة، صُك كمصطلح قانوني له تداعياته وآثاره الاجتماعية. ولفظة (التمييز) في لغتها الأصلية تعبر عن واقع الظلم والإجحاف أكثر مما تعبر عن واقع التفرقة، كما احتوت الوثيقة على مجموعة من المصطلحات التي تفتقر إلى تعريفات محددة، مع الإبقاء على نفس المنظور الفلسفي، مثل مصطلح "الجندر Gender"، والذي لم يُعرف في فهارس الأمم المتحدة UN Glossary حتى هذه اللحظة، ومع ذلك تُطالَب الدول بمراعاة منظور الجندر Gender Perspective في تناولها قضايا المرأة والطفلة.

أخطر البنود: وتعدد حلمي البنود الأخطر في تلك الوثيقة:

1 ما ورد في الفقرة 115 من تقرير "خبراء الأمم المتحدة" النص على "حق الطفلة (أقل من 18 سنة) في تحديد متى وكيف تصبح "ناشطة جنسياً" sexually active على حد تعبير التقرير، كما أوصى في الفقرات 27، 82، 130 بتوفير "معلومات الصحة الجنسية sexual health للطفلة، وتوفير "احتياجات الصحة الإنجابية للمراهقين" reproductive health لتعليمهم ما أسماه التقرير في الفقرة 124 "ممارسة الجنس الآمن"to promote safe sex ، مما يصب في صالح تشجيع الممارسات الجنسية خارج الإطار الشرعي "الزواج".

2 توصية تقرير خبراء الأمم المتحدة، بتوفير معلومات الصحة الجنسية للطفلة وتوفير احتياجات الصحة الإنجابية للمراهقين لتعليم الأطفال والمراهقين كيفية ممارسة العلاقة الجنسية مع توقي الحمل والأخطار المرضية أثناء ذلك، ويدعو لضرورة تعليمهم بتوزيع وسائل منع الحمل في المدارس خاصة للفتيات، لتكون ممارسة الجنس الحر عندهن أيسر؛ ومن ثم توفير خدمة الإجهاض بشكل معلن وقانوني باسم "الإجهاض الآمن"!

3 اعتبار "الزواج المبكر early marriage أقل من 18 سنة) شكلاً من أشكال العنف ضد الفتاة، وشدد على المطالبة بسن قوانين صارمة لتجريمه، مما يعد نوعاً من حظر ما يتوافق مع الشريعة الإسلامية وإباحة ما حرمه الإسلام.

4 الفقرة 96 من التقرير تحت عنوان "الفتيات السحاقيات Lesbian girls أكدت ضرورة الحفاظ على حق الشذوذ وما أسمته ب "حق تحديد الهوية الجنسية للفتيات" sexual identity، و"مراعاة حق الشاذات في التعبير عن آرائهن حول الشذوذ وحقهن في الحصول على شركاء مثليي الجنس لهن"!

5 هاجمت الفقرة 49 بشكل مباشر الدين وخاصة في الدول التي يعتبر فيها أساساً للتشريع والمقصود به دول العالم الإسلامية، حيث ذكرت أنه (الدين): "يقيد ويحد من فرص المساواة ويزيد من العنف".

6 طالب تقرير خبراء الأمم المتحدة "7 مرات" بضرورة نقد وتحدي وتغيير ما أسماه "القوالب الجندرية النمطية gender stereotypes .." إشارة إلى قيام المرأة بدور

الزوجة والأم، التي يراها التقرير من الأسباب الرئيسة للعنف والتمييز ضدها؛ سعياً وراء تعميم نموذج المرأة الغربية وفرضه على العالم العربي والإسلامي.

7 تحدثت الفقرة 50 من التقرير عما أسمته ب"الهياكل الطبقية في إدارة البيت hierarchies within households (إشارة إلى الفهم الخاطئ للقوامة)، زاعمة أنها تمنح الحقوق والقوة للرجل أكثر من المرأة، ما يجعل النساء والفتيات "ذليلات تابعات للرجال".

8 اعتبرت الفقرة 48 التركيز الشديد على عذرية الفتاة وخصوبتها "كبتاً جنسياً" repression of female sexuality وزعمت أنه شكل من أشكال التمييز ضد الطفلة الأنثى!

9 تحت عنوان "مساعدة الصبية boys) على "تحدي التقاليد الاجتماعية" قدم التقرير نموذجاً لحملات أقيمت لما سمي "توعية الصبية بحقوق الفتيات" ومن ضمنها "الحديث مع الصبية عن أسباب التخوف من الجنس المثلي Homophobia وتشجيعهم عليه وهو الشذوذ بعينه".

10 اعتبر التقرير في الفقرة 49 "مهر الزوجة dowry شكلاً من أشكال العنف ضد الفتاة؛ وأسماه (ثمن العروس) bride price، وقال إنه "يحول الفتاة إلى سلعة تباع وتشترى"، وطالب بسن قوانين تمنع المهر!

وفي السياق ذاته طالب التقرير في البنود 49، 166، 50 بإزالة ما أسماه ب"جميع أشكال التمييز ضد الفتاة حتى لو كانت نابعة من الدين أو العرف كمسائل المهر والميراث".

============

#كاميرا الموبايل و"يوتيوب" والمدونات

ثورة إعلامية شعبية تخترق المحظورات

غلاف العدد 1737

غلاف العدد 1737

عندما أعدم صدام حسين، كانت (كاميرا الموبايل) هي التي كشفت وفضحت بالصور والفيديو ما جرى خلال لحظات الإعدام الأخيرة فأحدثت دوياً كبيراً على كل

المستويات.. وحينما وقعت أحداث تحرش أو ما سمي "سعاراً جنسياً" في وسط القاهرة ليلة عيد الفطر الماضي، كانت الفضائية الإعلامية (الشعبية) الأولى التي نقلت الحدث بالصوت والصورة، ونقلت عنها لاحقاً الصحف والفضائيات الرسمية، هي كاميرا موبايل لشاب مصري يمتلك مدونة صغيرة نشر عليها التفاصيل والصور التي التقطها بالموبايل!

أيضا قضايا التعذيب الكبرى التي تحقق في بعضها النيابة المصرية ضد ضباط متهمين بتعذيب مواطنين، وانتهاك آدميتهم، كل تفاصيلها لم تُعرف أو تُنشر ولم تتحرك وزارة الداخلية أو النيابة للتحقيق فيها سوى عبر كاميرات الموبايل والمدونات (البلوجرز) الشبابية ومنها انتقلت لصفحات الصحف.

أيضاً مظاهرات القضاة في مصر، واعتصامات طلاب الجامعات، والتعذيب في أقسام الشرطة، والانتهاكات العديدة التي وقعت ضد صحفيات وناشطات في مناسبات مختلفة للمطالبة بالحريات أو مناصرة قضاة مصر.. كلها تم تصويرها ونشرها والكشف عنها عبر كاميرات الموبايل والفيديو الشعبية ومنها نقلت للمدونات عبر مواقع الفيديو المجانية التي تمثل ثورة بدورها، خصوصاً موقع "يوتيوب" www.youtube.com على الإنترنت والذي بلغت أهميته حد اختيار مجلة (تايم) الأمريكية له كأهم "اختراع" لعام 2006م لدوره في إعطاء الفرصة لزواره مجاناً لإنتاج وعرض مواد فيلمية على الموقع الإلكتروني!

والحقيقية أن هذا الثلاثي الخطير (كاميرا الموبايل المدونات موقع يوتيوب) قد لعب أدواراً غير مسبوقة في الأشهر القليلة الماضية في إحداث ثورة إعلامية اخترقت ثوب العولمة ذاتها، بحيث لم تعد هناك أي قيود أو حدود من أي نوع على الكلمة أو الصورة أو الفيديو، وأصبح كل شيء مباحاً للنشر وبحرية بعيداً عن أي قيود اجتماعية أو حكومية أو سياسة أو أخلاقية، بحيث بات كل مواطن يحمل كاميرا موبايل يشكل بذاته وكالة أنباء خاصة بلا قيود، وأصبح هو الصحفي أو الإعلامي الذي يفضح أي تجاوزات حكومية، ويكشف أي خبايا أو أسرار تسعى وسائل الإعلام الحكومية أو الحكومات لإخفائها، ما سوف يشكل مستقبلاً انقلاباً في معايير الإعلام المتعارف عليها!

فقبل سنوات كان العديد من الانتهاكات أو السلبيات أو الأسرار يقع ويمر دون أن يجرؤ أحد على رصده إعلامياً في وسائل الإعلام الرسمية أو الفضائيات الخاضعة لضغوط الحكومات المختلفة، وكانت الانتهاكات ضد حقوق الإنسان أو التعذيب داخل السجون، أو الاحتجاجات ضد الحكومات أو الأحداث الساخنة التي تناهض حكومات أو مراكز نفوذ أو مسؤولين فاسدين، يجري وأدها بصورة فعلية، عبر تجاهل الإعلام الرسمي لها.. أما الثورة الجديدة التي أحدثتها كاميرا الموبايل في الجانب الإيجابي لاستعمالها فتمثلت في تحول كل شخص يحمل كاميرا موبايل لمخبر صحفي وإعلامي خطير قادر على اقتناص سبق صحفي وإعلامي غير مسبوق لا يمكن التشكيك في مصداقيته لأنه ببساطة بالصورة والصوت!

وحتى الزمن الذي كان يتعرض فيه هذا "السبق الصحفي الشعبي" أو "الخرق العولمي" لمحظورات الصحافة والإعلام يتعرض للإهمال، ولا يجد طريقه للنشر والوصول للجمهور.. هذا الزمن انتهى بعدما ظهرت المدونات الشعبية الشبابية كمنافذ إخبارية وإعلامية ومنتديات للتواصل الإعلامي (تضاعف عددها في مصر من ألف إلى خمسة آلاف في غضون عام واحد)، وأصبح بإمكان حامل كاميرا الموبايل بسهولة أن يضع الصور أو الفيديو الذي التقطه عبر الكاميرا على موقعه الخاص ويرسله لعشرات المواقع الخاصة مثله، ويخترق حجب الإعلام الرسمي وينفرد بفضح ما يراد إخفاؤه.

وجاء اكتمال منظومة هذا الثلاثي الإعلامي الشعبي الخطير في صورة مواقع إنترنت عالمية مجانية مثل موقع (يوتويب) تقدم خدمة إنتاج أو عرض أي أفلام فيديو مجاناً وبلا محظورات أو حدود أو قيود لنفاجأ بعرض صور لعمليات تعذيب داخل السجون أو صور إعدام صدام حسين بالكامل، وتفاصيل الحوارات والشتائم التي جرت بينه وبين جلاديه قبل إعدامه، وغيره الكثير والكثير، ليثير علامات استفهام حول كمّ الأسرار التي باتت من الماضي.

بل إن الغيرة التي انتابت العديد من الصحف العربية ووسائل الإعلام من هذه "الخبطات الصحفية الشعبية" دفعت بعض هذه الوسائل الرسمية في مصر لاستثمار

هذا الإعلام الجديد الشعبي، بتخصيص زوايا تكنولوجية خاصة تطالب عبرها القراء بإرسال ما لديهم من صور أو فيديو ملتقطة عبر كاميرا الموبايل تصور مفارقات أو اعتداءات مخالفة لحقوق الإنسان أو مواقف نادرة وغيرها. وينتظر أن تثير هذه المساحات الجديدة للنشر قضايا أخرى لا تلقي الصحافة الرسمية أو الإعلام العام الضوء عليها.

الإعلام الجديد بلا قيود!

هذه الثورة الإعلامية الجديدة التي تبيح المحظورات وتتخطى أي قيود أو تجاوزات، يطلق عليها خبراء دعاية وإعلام ومحللون اجتماعيون لفظة "المساحات الجديدة" أو"اللاعبون الإعلاميون الجدد" من غير الصحفيين الذين أصبحوا يشكلون تحدياً كبيراً للإعلام العام، إذ إن هؤلاء النشطاء على الإنترنت وحاملي الموبايلات ذات الكاميرا أو كاميرات الفيديو الخاصة من الشباب أصبحوا منافسين خطيرين وأكثر تأثيراً من الإعلام الرسمي؛ لأنهم يعملون "بدون رقابة" بعكس الوسائل الرسمية، ويمكنهم تصوير أي شيء وبثه "بلا ضوابط أو حساسيات أو محاذير".

فالدكتور خالد منتصر الإعلامي المصري يقول: إن الموبايل وكاميراته أحدث نوعاً من "عولمة الفضيحة"، ويقول إنه مع الموبايل اختفى شعار (اكفِ على الخبر ماجور) بمعنى استحالة نشره وتحول الشعار إلى (اكشف الجريمة بمحمول)!

ويضيف أن الموبايل كان هو بطل عام 2006م، حيث تم بدؤه بتصوير مظاهرات القضاة، وانتهى بتسجيل إعدام صدام، وفضح التعذيب في السجون، وصدمنا بحفلة التحرش الجنسي في وسط البلد، وأنه بضغطة زر على كاميرا الموبايل تحول الطاغية صدام حسين إلى ضحية وزرعت الفتنة الطائفية، وارتفعت نغمة التشفي والانتقام، وأن كاميرا الموبايل جعلت حتى القتل والإعدام "وجبة شهية" يتناولها الناس عبر الإنترنت!

ويقول إن بطل ما سمي (كليبات التعذيب) التي انتشرت في مصر وتصور عمليات تعذيب عبر انتهاكات جنسية، والتي تحقق النيابة في بعضها هو كاميرا المحمول التي فضحت هذه الكليبات، وحتى الأفلام السينمائية كانت تصور بالموبايل من داخل السينمات وتعرض في الأسواق قبل أن تباع "دي في دي" أو فيديو!

وأضاف: "الموبايل عولم الفضيحة وعلمنا أصول السرعة، وهو ليس مجرد تكنولوجيا متقدمة فقط، ولكنه أيضاً سلوك اجتماعى يستجيب ويتفاعل مع الواقع، ويسحب منه ويضيف إليه"، مشيراً إلى أن الموبايل علمنا أيضاً عادات سلبية.

ويؤكد د.أحمد عبد الله الخبير النفسي أن هناك اهتماماً كبيراً من قبل جماعات وهيئات ومؤسسات اجتماعية وبحثية غربية برصد وتفسير هذه "المساحات الإعلامية الجديدة" أو الظاهرة الشبابية الخاصة بالإبداع الشبابي واستخدامات الهاتف الخلوي والمدونات بين الشباب؛ بغرض التواصل الحضاري بين الشرق والغرب، واستشراف أشكال المستقبل العربي في ظل هذه المساحات الجديدة.

ويضيف أنه ضمن هذه الجهود الأوروبية عقد مؤتمر في الفترة من بين 1918 يناير 2007م في مدريد بإسبانيا نظمته مؤسسة "البيت العربي"، وهي مؤسسة ثقافية إسبانية، دعي إليه عدد من الفنانين والكتاب والأدباء ومحللي هذه الظاهرة من العرب، وأن هذا يأتي ضمن مبادرة من رئيس الوزراء الحالي "خوزيه لويس ثاباتيرو" للانفتاح والحوار مع الحضارات.

ويشير "عبد الله" إلى أن هذه الثورة المعلوماتية جعلت كل مواطن يحمل كاميرا محمول عادية، بمثابة مخبر صحفي لديه القدرة على فضح أي تجاوزات أمنية أو سياسية أو اجتماعية، بل وبثها عبر الإنترنت بالصوت والصورة، وأن الصورة هنا هي معيار المصداقية الجديد الذي يصعب تكذيبه، وأن هذا الأمر سوف يترتب عليه نتائج خطيرة مستقبلاً، مع توالي كشف تكنولوجيا اتصالات حديثة، وأنه أشبه ما يكون بثورة صناعية جديدة، مع ما يترتب على هذه الثورة الثانية مثل الثورة الأولى من تداعيات اجتماعية وسياسية.

الموبايل والمدونات كشفا التعذيب

ولعل من أهم تداعيات هذا الإعلام الجديد أن التصوير بالهاتف الخلوي (الموبايل) وعرض الفيديو عبر "المدونات" أو "البلوجرز" التي يدشنها نشطاء الإنترنت المصريون، هذا الثنائي التكنولوجي الإعلامي الحديث نجح في إثارة قضية ما أسمته الصحف "التنظيم السري للتعذيب" في مصر على يد ضباط بوزارة الداخلية، ما أدى

إلى صدور قرار من النيابة بحبس ضابط وأمين شرطة متهمين بانتهاك عرض سائق.

ففي أعقاب بث العديد من المدونات الشبابية المصرية مؤخراً صوراً لما أسمته "فيديو التعذيب" التي يظهر فيها شاب متوسط العمر معلقاً من قدميه، ونصفه الأسفل عار، وصوراً أخرى لأقدام من يعتقد أنهم ضباط ومساعدو شرطة، وهم يضحكون ويهددون الضحية ببث هذا الفيديو المصور بالموبايل لعملية انتهاك عرضه بعصا غليظة، بغرض إهانته، فضلاً عن صور لفتاة معلقة بين كرسيين ومربوطة ويجري استجوابها لاتهامها في قضية قتل، نشرت صحيفة "الفجر" المستقلة تفاصيل الحدث، ما أدى لتدخل منظمات حقوقية عرضت قضية التعذيب على النيابة المصرية.

ومع أن الهدف الرئيس من تصوير المتهمين بالتعذيب للضحية بالموبايل حسبما قالوا في الصوت المصاحب للفيديو المنشور على مواقع البلوجرز هو إهانته وازدراؤه من جانب كل من يعرفه من زملائه السائقين وردع الآخرين، فقد تحول هذا الفيديو وال"CD المسجل عليه هذا الفيديو إلى "دليل إدانة قوي" ضد المتهمين؛ خصوصاً أن صوتهم مسجل عليه رغم إنكار الضابط وأمين الشرطة تورطهما في تعذيبه، وتأكيدهما أن الضحية تراجع عن أقواله التي يتهمهما فيها بتعذيبه؛ بحجة أنه لم يتعرف على وجوه من قاموا بهتك عرضه.

ورغم أن هذه ليست المرة الأولى في مصر التي يتم فيها حبس مسؤولي شرطة بتهمة التعذيب، فقد أسهم الدور الذي لعبته الوسائل التكنولوجية الحديثة أو ما يسمى "المساحات الإعلامية الجديدة" غير الرسمية، وغير الخاضعة للرقابة الرسمية، في إثارة هذه القضية على نطاق واسع والتحقيق فيها.

اهتمام المنظمات الدولية

وحول الآثار العولمية السريعة لنشر صور الموبايل عن التعذيب كمثال، يقول مدونون تولوا نشر تفاصيل عملية التعذيب الجنسي الأخيرة للسائق المصري على مدوناتهم: إن الموضوع انتقل بفضل النشر من زاوية البث عبر مواقع فيديو لصور الموبايل على شبكة الإنترنت إلى الصحف فمسؤولي النيابة المصرية، وتطور ليصل إلى اهتمام المنظمات الدولية.

فلم يقتصر الأمر على إصدار منظمة "هيومان رايتس ووتش" ومنظمات أخرى تقارير تدين هذه الواقعة وغيرها، ولكن الأمر أثير وفق مدونة "الشرقاوي" في لقاء مندوبة منظمة العفو الدولية في شمال إفريقيا مع مسؤول إدارة حقوق الإنسان بوزارة الخارجية المصرية التي سألت عن ضمانات عدم التعذيب في قانون الإرهاب الجديد الذي تعده مصر بديلاً عن حالة الطوارئ.

العالم بين أناملك في التو واللحظة!

وما ساعد على انتشار صور الموبايل والفيديو.. ظهور مواقع فيديو على الإنترنت تسمح بالمجان بإنتاج وبث هذه الصور والفيديو المصورة ونقلها في التو واللحظة بدون أي عناء ليشاهدها الجميع.

وقد اختارت مجلة "تايم" الأمريكية موقع "يوتيوب" www.youtube.com على الإنترنت كأهم "اختراع" لعام 2006 لدوره في إعطاء الفرصة لزواره مجاناً لإنتاج وعرض مواد فيلمية على الموقع الإلكتروني. وقالت المجلة إن اختيار الموقع الإلكتروني "يعكس أهمية الدور الذي يلعبه الإنترنت في صياغة موازين القوى في الإعلام سواء عن طريق المدونات أو صور الفيديو أو منتديات الحوار عبر الإنترنت". وامتدحت المجلة جمهور الموقع لأنهم بادروا إلى تولي "دفة الإعلام الجديد الذي لا يعرف أي حواجز أو عوائق جغرافية، وتقديم المواد الضرورية لعرضها في الموقع".

ويقول تقرير كتبته (كارا بانتلي) في "تقرير واشنطن" Washington report – إنه بنقرة واحدة على فأرة (ماوس) الكمبيوتر، والضغط على لوحة المفاتيح مرات قليلة أصبح من الممكن أن يصبح العالم بين أناملك في التو واللحظة، بعدما أتاحت تكنولوجيا الإنترنت فرصاً لانهائية لنمو الأعمال، وانتشار الأفكار الإبداعية، والاتصال السهل المريح.

وتضيف أن موقع المشاركة بالفيديو (يوتيوب)، والتي يستطيع الكثيرون من خلاله التعبير عن أنفسهم بطريقة فريدة ومميزة، والاتصال بالعالم الخارجي، أصبح هذا الموقع والعديد من المواقع الأخرى جزءاً مؤثراً في الثقافة الشعبية المعاصرة بصورة متزايدة في الولايات المتحدة وعبر الكرة الأرضية.

و(يوتيوب) هي شركة إعلامية خاصة بجمهور الإنترنت تسمح لهم بمشاهدة مقاطع فيديو والمشاركة فيها، عبر شبكة المعلومات الدولية دون مقابل. وعن طريق هذا الموقع الشهير للمشاركة بالفيديو يستطيع الناس في جميع أنحاء العالم الدخول إلى مواقع الفيديو كل على حسب اهتماماته.

ويحمل الموقع يومياً العديد من تلك المقاطع التي تعرض صوراً لم تعرض من قبل للأحداث الجارية، وعروضاً حية، وشرائط الفيديو المنزلي الخاصة، وقد تحولت شركة يوتيوب، التي تأسست في العام 2005م كخدمة مشاركة بالفيديو إلى موقع ترفيهي واسع الشعبية يتم مشاهدة أكثر من 70 مليون شريط عليه يومياً، وقد اشترت شركة بحث الإنترنت الرائدة (جوجل) شركة يوتيوب الشهر الماضي بمبلغ 1.65 مليار دولار.

وتتمتع يوتيوب بأكبر جمهور من المهتمين بترفيه فيديو الأون لاين، حيث يستطيع المستخدمون: "تحميل، وتبادل مقاطع الفيديو وتسميتها في جميع أنحاء العالم، وتصفح ملايين المقاطع الأصلية التي قام بتحميلها المستخدمون الأعضاء، والعثور على جماعات فيديو والالتحاق بها وتسهيل الاتصال مع من لديهم نفس الاهتمامات، كذلك تخصيص التجربة عن طريق الاشتراك في خدمة تبادل مقاطع الفيديو المقصورة على الأعضاء، وحفظ المقاطع المفضلة، ووضع قوائم تشغيل المقاطع، ودمج مقاطع الفيديو الخاصة بيوتيوب مع مواقع الشبكة التي تستخدم تقنيات حديثة مثل أي بي آي.

وأيضاً جعل مقاطع الفيديو عامة أو خاصة حيث يستطيع المستخدمون اختيار عرض مقاطعهم بشكل عام أو بمشاركة أصدقائهم وعائلاتهم فيها بصورة خاصة عند التحميل.

وقد أثار عرض مشاهد لاعتداءات وأعمال عنف على موقع يوتيوب جدلاً. وبالرغم من اعتراض يوتيوب على تحميل مثل تلك المواد، إلا أنها لم تتخذ إجراءً صحيحاً للسيطرة عليها، ومنها مشاهد إعدام صدام بالكامل وتعذيب مقززة.

وبالرغم من عدم سماح يوتيوب بعرض المشاهد الإباحية أو الخطرة أو أعمال العنف أو غير القانونية على الموقع، يجد مراقبو الشبكة صعوبة كبيرة في تحديد وإزالة المواد غير الملائمة، خاصة مع إضافة ما يقرب من 70,000 مقطع فيديو إلى الموقع يوميا.

وزاد من تحدي البث الإعلامي أن تم توقيع اتفاق بين شركتي (فاريزون) للتليفون المحمول و(يوتيوب) الشهر الماضي يسمح بإتاحة محتوى الفيديو المعروض على موقع يوتيوب عبر شبكة فاريزون للتليفون المحمول وخدمتها التلفزيونية، بحيث أصبح باستطاعة مستخدمي تليفون فاريزون المرئي مشاهدة مختارات من هذه المقاطع الفيلمية بشكل حصري من خلال هواتفهم المحمولة لمدة محددة، كما سيستطيع المستخدمون أيضاً إرسال مقاطع فيلمية من هواتفهم بطريقة أيسر.

أيضاً وقع اتفاق مشابه بين إن بي سي ويوتيوب العام الماضي يسمح بشراكة إستراتيجية بين الشركتين بإتاحة مشاهدة مقاطع من عروض إن بي سي على موقع يوتيوب. ومن خلال الاتفاق، سوف تنشأ قناة إن بي سي رسمية على موقع يوتيوب، يتم فيها الترويج لبرامج جديدة والبرامج الموجودة بالفعل.

ترى إلي أين يؤدي بنا هذا التحالف الإعلامي الشعبي الجديد (كاميرا الموبايل المدونات ويوتيوب)؟ وما الآثار الخطيرة التي تظهر كلها بعض لهذا التحالف الإعلامي سواء على الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الأخلاقي؟ الأمر المؤكد أننا دخلنا عصر المساحات الإعلامية الجديدة التي لا تعرف الأسرار أو الكتمان أو النسيان، وهو تطور ستكون آثاره المباشرة أكبر في البلدان العربية والنامية!

==============

#نبينا الحبيب وهجمة العولمة: لا يكفي الغضب الانفعالي

عبد الرحمن فرحانة

الرسوم الكاريكاتورية الأوروبية التي مست شخص الرسول الحبيب { ليست عملاً معزولاً، ولن تكون الأخيرة إذا لم يحدث ما يردعها. فضلاً عن أن بدايتها لم تكن قريبة زمنياً، فقد بدأت منذ عدة أشهر في أوروبا، وسبقتها تعديات في أمريكا على المقدس الديني للمسلمين تمثلت بإهانات وجهت للكتاب الخاتم مباشرة القرآن الكريم

ووجهت كذلك إهانات وقحة للرسول { من قبل رموز أمريكية مهمة في الوسط الديني بل ومن شخصيات رسمية في دائرة القرار السياسي.

أكثر من ذلك جرى الحديث عن أن بعض الأوساط الأمريكية تعكف على إعداد "قرآن جديد" بمسمى "الفرقان الجديد"؛ تجري صياغته برؤية أمريكية!

المدهش أن الأمة أفاقت متأخرة، والأعجب أنها غضبت للإهانة الأوروبية؛ بينما ابتلعت الإهانة الأمريكية. ولعل مرد هذه الغضبة المضرية الانتقائية يعود إلى أن ذنب "الإمبراطورية المنفلتة" مغفور، ذلك لأن عصا الإمبراطور غليظة. ومع ذلك فإن فضيلة الإفاقة المتأخرة للنخوة أفضل، على كل حال، من سبات الكرامة.

ولكن لماذا هذا الهجوم على المقدس الديني للأمة؟

ثقافة التنميط

بعد الحادي عشر من سبتمبر تكرست إستراتيجية غربية أمريكية في جوهرها وهي من سياقات العولمة؛ مفادها أن ثقافة التنميط التي تفرضها العولمة لم تنجح في المشرق بسبب حصانة المقدس الديني ؛ لذا لابد من تعميم ثقافة الخوف وسيادة الرعب في ظل الحملة التي تسمى "محاربة الإرهاب" لتشكيل معتقدات جديدة ومنظورية مصالح حديثة متوافقه معها؛ بحجة أنها سباحة شرعية في الفضاء المعرفي ل"اللبرلة" المفرطة التي يقتضيها عصر ما بعد الحداثة الذي لا يحترم الثوابت بما فيها المقدس الديني. . معنى ذلك أنه على من يخضع للإرهاب الغربي المقنن بصوره المختلفة أن يخضع لسياقات العولمة الجديدة؛ وليس له أن يغضب إذا تعرض شخص نبيه للإهانة؛ لأن ذلك حق تكفله الحرية المنفلتة التي تسوقها عولمة الغرب العلماني سياسياً الصليبي ثقافياً.

الامبريالية والعولمة

يصف د. تيزيني العولمة بأنها "الإمبريالية في مرحلة سقوط التعددية القطبية القائمة على التناقض والتضاد في الأنماط الاقتصادية والاجتماعية أولاً، وهي ثانياً الإمبريالية في عصر المعلوماتية والتقنية وما بعد المعلوماتية، أي في عصر نواجه فيه تحولات جديدة في أشكال الاستغلال والاغتراب الرأسماليْين، من ذلك الموقع يبرز "السوق الكوني" بوصفه التجسيد العميق والشامل عالمياً ل"العولمة".

إن السوق الكوني يراد لها أن تبتلع كل الانتماءات والهويات والقيم، أو يراد لهذه الانتماءات والهويات والقيم أن تمر عبرها، وهنا سنواجه آلية واحدة وحيدة تحدد نمط ما يجب أن يكون وما لا يكون".

إذن الرداء الإمبريالي للعولمة واضح وفقما أسلف؛ وبالتالي هدفها مدرك وليس غامضاً. فهي هي بمفرداتها وآلياتها؛ "الحرب على الإرهاب" أو الضربة الاستباقية؛ أو الفوضى البناءة وأداتها الدمقرطة المبطنة، كلها تسبح في الفضاء "المعولم".

هذا الخطر العارم الذي يتهدد الهوية الثقافية للأمة بما فيها أقدس مقدساتها، ومن ضمنها الحملة الأوروبية الجديدة التي تستهدف شخص رسولنا الكريم {، لا يكافئها حملة غضب انفعالية؛ وإن كانت من متطلبات التعبير الوجداني عن محبته { باعتباره الشخص الذي ينبغي أن يحَب بعد الله عز وجل، وهو أحق من يغار عليه في هذه الدنيا، إنما المطلوب أن تنهض الأمة وفق خطة مدروسة للدفاع عن كرامة نبيها، من خلال فرض أصول مفردات المقدس الديني كأحد سياقات الأجندة السياسية العربية والإسلامية، وعليه فيجب على الدول العربية والإسلامية أن تنسق حملة سياسية دبلوماسية إعلامية كهجوم معاكس لهذه الحملة التي تتدثر بالحرية، بهدف المطالبة بضرورة الاعتذار الأوروبي عن هذه الخطيئة العظيمة، وإجبار الاتحاد الأوروبي ودوله على أن تسن قوانيناً لتجريم من يمس بمقدسات الغير لمنع تكرار مثل هذه الخطايا الكبيرة. وكذلك ينبغي أن تتحرك منظمة المؤتمر الإسلامية وجامعة الدول العربية بكل قوة لدعم هذه الخطة؛ وليس كتنفيس لثورة الجماهير المسلمة.

حجة الحرية

ولا يمكن القبول من المستوى الرسمي الأورووبي بالحجج التي تساق بأن قوانين الدول الأوروبية لا تخولها التدخل في شؤون صحفها بحجة الحرية، لأن ذلك نفاق بيِّن، إذ إن هنالك عشرات الأمثلة التي تدخلت فيها دول الغرب في الحد من حرية صحفها، ولعل من آخر أمثلتها منع الحكومة البريطانية صحيفة بريطانية من نشر الوثيقة التي تتضمن حديثاً بين بوش وبلير حول قصف مقر الجزيرة في الدوحة بحجة أنها تضر بالمصالح القومية لبريطانيا.

وعلى مؤسسات المجتمع المدني أن تشارك في صياغة حركة الجماهير في تحرك برامجي منظم ممتد زمنياً حتى تتحقق أهداف الحملة، حتى لا تنطفئ شحنة الغضب الجماهيري الانفعالية. ولا يحتقرن أحد جهده، فكلٌّ قدر طاقته.. إنه محمد الحبيب "الشفيع" الذي أول ما تنشق عنه الأرض يوم القيامة ينادي: أمتي يارب.. فهل نستحق شرف الانتماء إليه؟ إذا كنا كذلك فلندافع عن كرامته!!

==============

#السنوات القادمة .. تحمل تغيرات وتقلبات خطيرة

د: فتحي يكن

فتحى يكن

فتحى يكن

في زحمة القراءات الشخصية والرسمية والحزبية، المحلية والإقليمية والعالمية، للتطورات الراهنة، نحن مدعوون إلى قراءة ما يجري قراءة جيدة:

مدعوون إلى أن نقرأ بأنفسنا لا أن يُقرأ علينا.

والقراءة الصحيحة لا يمكن أن تكون من خلال مناظير الآخرين أمريكياً صهيونياً أوروبياً روسياً صينياً، ولا عبر الأبواق والمنابر الإعلامية التي تملكها وتتحكم فيها الأنظمة والحكام والحكومات والأحزاب والفئات والتيارات المختلفة. إن كل هؤلاء يؤخذ منهم ويرد عليهم، كما أن لهؤلاء حساباتهم ومصالحهم الخاصة.

(1)

ولكي تكون القراءة صحيحة يجب أن تكون بمنظور إسلامي، قبله هذا الفريق أو رفضه، لأن الخيا رهنا خيار رباني، دليله قول الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى" يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (65)(النساء) وحجته قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر (النساء59).

القراءة من منظور إسلامي تقتضي إنزال المقروء على السنن الالهية: "سنة التدافع".

وأن تكون موضوعية لا سطحية أو مزاجية.

شاملة كلية بعينين اثنتين لا بواحدة.

أن تحقق المصلحة العليا لا المصالح الشخصية والفئوية.

(2)

يجب أن نفرق في قراءتنا بين ما هو وسيلة وما هو غاية، بين ما هو ظاهر وما هو خفي. مثال: "لماذا الحرب على أفغانستان"؟ "لماذا الحرب على العراق؟ لماذا اغتيال الرئيس الحريري"؟

إن معرفة الأداة لا تغني عن معرفة الهدف والغرض.

قد تكون الأداة مستأجرة من جهة لديها مشروعها وقضيتها وكشفها هو الأهم.

في عهد النبوة قام رجل اسمه "وحشي" بقتل حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، استأجرته هند بنت عتبة لتنتقم لزعامة قريش وآلهتها وتكسر شوكة الاسلام.

وفي خلافة عمر رضي الله عنه قام رجل اسمه "أبو لؤلؤة المجوسي" بطعن الفاروق عمرَ بن الخطاب حتى الموت وهو يصلي انتقاماً من الإسلام وانتصاراً للمجوسية.

وفي عصرنا هذا، العديد من المافيات المعدة لتنفيذ الانقلابات وعمليات الاغتيال "مثل كارلوس" لقاء مبالغ يتفق عليها. إن معرفة "لماذا"؟ أهم بكثير من معرفة "من"؟.

قد يكون جميل السيد وريمون عازار ورستم غزالة وغيرهم قام بتنفيذ جريمة اغتيال السيد رفيق الحريري، إضافة الى الجرائم الأخرى.. ويبقى كل هؤلاء منفذين إن ثبتت التهمة عليهم، لقاء ثروات ضخمة طمعوا بها.. من المهم أن نعرف من نفذ، ولكن الأهم من كل ذلك إن نعرف لماذا تمت العملية ونظمت الصفقة.. من دفع المال؟ ولماذا دفعت المليارات من الدولارات؟ أللخلاص من شخص على قدره وقيمته أم للإجهاز على بلد برمته؟؟

بعد الحادي عشر من أيلول- سبتمبر وتفجير مركز التجارة العالمي، شنت الولايات المتحدة الأمريكية حرباً مدمرة على أفغانستان. فهل كانت الحرب من أجل التخلص من بن لادن أم أن لها أغراضاً أكبر وأهم؟

بعد ذلك كانت الحرب الأمريكية على العراق، فهل رأس صدام حسن كان هو الهدف من هذه الحرب؟

إن علينا أن نقرأ وأن نقرأ..

(3)

ولقراءة صحيحة للمرحلة الحاضرة يتحتم قراءة ما سبقها:
في مطلع القرن الماضي وقعت مؤامرة إلغاء الخلافة الإسلامية.
تبع ذلك اقتسام العالم الاسلامي واحتلاله من قبل دول التحالف الغربي، عبر مؤتمر سايكس بيكو.
وفي مطلع هذا القرن بدأت المؤامرة الثانية التي تستهدف شخصية الأمة وهويتها العربية والإسلامية، في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول، وبذريعة منها.
(4)
من ملامح هذه المرحلة
قول الأمين العام السابق لحلف شمال الأطلسي: "لم يبق لنا من عدو بعد سقوط الشيوعية الحمراء إلا الإسلام".
طرح بوش لمشروع: "الإسلام المعدل".
العمل على تغيير مناهج التعليم والمقررات الدراسية في المعاهد والكليات الشرعية.
تنفيذ الشرق أوسطية بزعامة الكيان الصهيوني وتفوقه العسكري والنووي. بإنشاء "شرق أوسط" تنخرط فيه الدولة العبرية ويرجع أساسها إلى آباء الصهيونية الأوائل: هرتزل (الذي دعا لضرورة قيام كومنولث شرق أوسطي يكون لدولة اليهود فيه شأن فاعل، ودور اقتصادي قائد)، وبن جوريون (الذي اقترح على الرئيس الأمريكي أيزنهاور إقامة سد منيع ضد التيار القومي العربي، يضم إسرائيل وتركيا وإيران وإثيوبيا، وذلك في الرسالة التي وجهها إليه عام 1958).
الحيلولة دون قيام جبهة عالمية معارضة أو موازية لأمريكا من "الصين والهند وايران وتركيا وسوريا وغيرها".
(5)
السيناريوهات المقترحة
وسط هذا العالم الهائج المتقلب، يمكننا تخيل أشكال عالمية عديدة على امتداد الخمسة عشر عاماً القادمة يتمحور معظمها حول تحدي نظام الدولة القومية من ناحية، وإرساء عولمة أكثر استفحالاً وتشعباً من ناحية ثانية.

وفي دراسة استراتيجية وثيقة الصلة بالقوى العالمية الفاعلة عنوانها "الخريطة المتوقعة للمستقبل Mapping the Global Future- تقدم أربعة سيناريوهات، من شأنها أن تعكس المستقبل المتوقع للعالم الذي سنعيش فيه عبر العقدين القادمين؛ وهي تتضمن الآتي:

عالم دافوسDavos World يقدم تصوراً عن عالم تقوده الصين والهند؛ تحققان فيه نماءً اقتصادياً لا مثيل له من الضخامة والقوة؛ وهو ما يعيد تشكيل حركة العولمة، فيجعلها أكثر اتجاهاً لما هو غير غربي.

سلام أمريكاPax Americana يقدم تصوراً عن مدى قدرة الولايات المتحدة على إثبات هيمنتها؛ بالرغم من كل التحديات العالمية، وقدرتها على تشكيل نظام عالمي جديد.

خلافة جديدةA New Caliphate يرشح ذلك العالم الذي سينقاد من قبل حركة إسلامية عالمية، تغذيها الهوية الدينية "الراديكالية" التي ستشكل تحديًا للمعايير والقيم الغربية التي يقوم عليها النظام العالمي.

حلقة من الخوفCycle of Fear يتخيل ذلك العالم الذي ستسوده المخاوف من انتشار أسلحة الدمار الشامل؛ فتصير الاحتياطات الأمنية مكتسحة لجميع بقاع الأرض لمنع حدوث أي هجمات مدمرة.

ومن الجدير بالذكر، أن العقدين القادمين سيحملان في طياتهما تغيرات وتقلبات مستمرة، على عكس الوضع المستقر نوعاً ما الذي شهدته الساحة الدولية عبر عقود الحرب الباردة. وفي النهاية، فإن هذه السيناريوهات الأربعة تحمل البعض من التكهنات والتصورات لمستقبل العالم في ظل العقدين القادمين.

(6)

احتمالات عدة لمستقبل المنطقة: وتشير دراسة أمريكية موثقة مطلعة إلى الاحتمالات المستقبلية وهي:

الاحتمال الممتاز

في هذا السيناريو، تتحوّل المنطقة إلى الديموقراطيّة تنسحب أمريكا عسكريّا من المنطقة. تُحلّ القضيّة الفلسطينيّة، وقضيّة اللاجئين. تتحوّل المنطقة إلى منطقة آمنة

على غرار الاتحاد الأوروبي. تُحلّ قضايا الحدود بين دول المنطقة وهي كثيرة. وتعتمد دول المنطقة شعار "الديموقراطيّات لا تقاتل بعضها البعض" ويصبح "الإرهاب" هو العدو المشترك لكلّ دول المنطقة. (بصرف النظر عن مفهوم الارهاب ومعناه لدى الادارة الامريكيين والاوروبيين).

الاحتمال الوسطي

يقوم على أساس استمرار الوضع على ما هو عليه. لا حلّ للمشكلة الفلسطينيّة. لا حلّ لمشكلة الإرهاب. استمرار صراع الدول الكبرى على المنطقة وثرواتها، مع تقدّم نوعي للولايات المتحدة على غيرها من الدول. تستمرّ إسرائيل كعدو لبعض الدول، وصديق للبعض الآخر. تتحوّل أمريكا لدعم الأنظمة الدكتاتوريّة، فقط لأن هذه الأنظمة تعتبر قادرة على التعاطي مع الإرهاب، والتراجع فيما يتعلق بحقوق الإنسان والحريّات. تواصل إيران سعيها للحصول على السلاح النووي. كما تستمرّ مشكلتها مع أمريكا وأوروبا. تحاول الدول الكبرى خاصة الصين وروسيا إزعاج أمريكا في المنطقة عبر دعم ومحاولة تبنّي بعض الدول العربيّة الممانعة للمشروع الأمريكي.

الاحتمال السيّئ

حيث تصبح كلفة البقاء الأمريكي في المنطقة كبيرة جدّاً. يتحوّل العراق إلى ساحة صراع في كلّ الأبعاد: الدينيّة، المذهبيّة، ومن ثمّ الإثنيّة. تحاول الدول المحيطة بالعراق التدخّل فيه لحماية أمنها ووحدتها الجغرافيّة. تتحوّل إسرائيل إلى تنفيذ عمليّة الترانسفير الأكبر عبر طرد الفلسطينيّين إلى الدول المجاورة وخاصة العراق.

إن هذه الاحتمالات وإن بدت بعيدة الحصول في المدى القصير، إلا أنها تستدعي التفكير والتأمل الجاد بغية التماس معالم الطريق للمرحلة القادمة.

(7)

وبالعودة الى لبنان

يتضح أن لبنان بعد تنفيذ القرار 1559 بدأ يسير تدريجياً نحو التغريب والتدويل..

أعاد إلى الأذهان مسلسل المحاولات الهادفة الى فك ارتباط لبنان بالواقع العربي: بيار إده وقولته إن العرب استعمروا لبنان ريمون إده ودعوته الدائمة إلى تدويل لبنان كميل شمعون ومحاولاته ربط لبنان بالأحلاف الأجنبية كالنقطة الرابعة وحلف بغداد

أمين الجميل واتفاق السابع عشر من أيار الخِياني دعوات البعض اليوم إلى التدويل من زاوية التحقيق في جريمة اغتيال الحريري.

(8)

إن إصرارنا وحرصنا على دعم انتماء لبنان إلى محيطه العربي، وعلى رفض أي خيار آخر، لا يعني بالضرورة تقديم براءة ذمة إلى النظام الأمني اللبناني أو السوري، قبل الانتهاء من التحقيقات الجارية أو التي ستجري.. إنه قد يخطئ النظام، وقد تتورط الأجهزة إنما لا يجوز أن يدفع هذا إلى تبديل الانتماء الوطني والقومي، والارتماء في أحضان العدو الأمريكي والإسرائيلي.

ليس هنالك ما يشدنا ويربطنا بالمشروع الأمريكي الصهيوني، ولكن هنالك الكثير الذي يربطنا بالمشروع العربي والإسلامي إذ هو مشروعنا، وفيه تتشكل شخصيتنا وتتضح معالم هويتنا. إنه قد يخطئ أخي معي ويسيء إساءات بالغة، ولكن لا يصح أن يكون ذلك ذريعة لأن لأتعاون مع الشيطان أو العدو على أخي لأقتله.

(9)

ما المطلوب منا كلبنانيين أولاً، ثم كعرب ومسلمين، وما مشروعنا؟

أن نكون على وعي كامل ورؤية واضحة لما يجري.

ألا نبقى متفرجين، وأن يكون لنا دور في ساحة الصراع.

أن يكون دورنا كمسلمين أولاً، وكلبنانيين تالياً، موحداً مميزاً غير متفكك أو منقسم حيال فهمنا لمشاريع الآخرين وخططهم، وحيال معالجتنا للقضايا اللبنانية الداخلية وبخاصة الاقتصادية والسياسية والأمنية.

أن يتحرر مبدأ السيادة من أطروحات التدويل والتغريب والصهينة والأمركة.

أن تكون المقاومة بكل أشكالها، وعلى امتداد التركيبة اللبنانية وتعدداتها الطائفية والمذهبية، كما على المستويين الرسمي والأهلي، الخيار المعتمد ما بقي لبنان وبقيت المنطقة في دائرة التجاذبات والصراعات الإقليمية والدولية.

مطلوب لبننة المقاومة وشرعنتها وتفعيلها وليس تفكيكها وإلغاءها، والذي أعتبره مشروعاً تفوح منه الرائحة الأمريكية والصهيوني

============

#هل تحقق الأمة وحدة مرجعيتها في الحج؟

علاء سعد حسن

جبل عرفات

جبل عرفات

يتجدد موسم الحج في حياة الأمة الإسلامية كل عام منذ فرض الله تعالى فريضة الحج على المسلمين إلى قيام الساعة.. ومن قبل ذلك منذ أمر تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج..

وأمة الإسلام هي أمة الحج، فإذا كان الحج فريضة على المسلم المستطيع من استطاع إليه سبيلاً مرة في العمر، فإنه فريضة سنوية على الأمة في مجموعها العام، فهي أمة تحج كل عام.

وموسم الحج هو مؤتمر المسلمين الشعبي الأول، ولعله المؤتمر الشعبي العالمي الأوحد الذي يتكرر بنفس العدد وحجم التجمع وكيفية اللقاء وقدسيته، وهو مؤتمر شعبي حقيقي حاشد تُخرج فيه الشعوب سفراءها لتتلاقى وتجتمع وتتعارف وتتآخى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا (الحجرات:13)، فتُخرج له الشعوب من كل ألف نسمة فرداً واحداً على المستوى الرسمي المسموح به، بينما يتضاعف هذا الرقم مرة على الأقل عند الحصر الفعلي لعدد الحجاج السنوي.

وهو مؤتمر عالمي موسع لا يقتصر على إقليم جغرافي دون إقليم أو قارة دون قارة، يحضره سفراء الشعوب من كل قارات العالم ودوله ويمتد التمثيل الشعبي فيه ما امتدت رقعة الإسلام في كل بقاع الأرض.

فليس الحج عبادة فردية يخرج فيها كل مسلم متجردا إلى ربه يؤدي المناسك ثم يعود من حيث أتى.. ولكنه عبادة جماعية واجتماعية كبرى ومناسبة ضخمة للتجمع.

ولعل هذا الاجتماع الفريد المتجدد واحد من تلك المنافع الكبرى للحج التي ذكرها المولى عز وجل في قوله تعالى: ليشهدوا منافع لهم) (الحج 28)، لتشمل كل منفعة كبرى تعود على الأمة وعلى الحجاج فرادى وجماعات.

بين التوحيد والوحدة

موسم الحج ومؤتمره الحاشد الجامع مناسبة مركزة لإعلان التوحيد.. هو موسم التوحيد الخالص شعاره الخالد (.. لبيك لا شريك لك لبيك..)، موسم تلتقي فيه الأرض قاطبة على التوحيد عبر ممثليها المحتشدين بالمشاعر المقدسة وعبر ذويهم المعلقة قلوبهم بتلك المشاعر وبإخوانهم الذين سبقوهم إليها.

ما أروعه من موسم وما أجملها من أيام تلك التي تنطلق فيها الألسنة من كل حدب وصوب تعلن كلمة التوحيد، وترتبط فيها القلوب بإله واحد، وتتطلع فيها العيون إلى السماوات العلا.

ويجب أن يكون موسم التوحيد الخالص هذا موسم التوحد محققاً لمعادلة قرآنية ن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون 92 (الأنبياء)

لقد ربط الله تعالى بين وحدانيته وبين وحدة الأمة، فالأمة المسلمة أمة واحدة عمادها الأول توحيد الرب تعالى وإفراده بالعبادة.. والأمة التي تجتمع على أسمى معنى تلتقي عليه الإنسانية، بل يلتقي عليه أقطاب الكون جميعاً من ملائكة وجن وإنس ودواب وشجر وحجر.. وهو معنى توحيد الله وإفراده بالعبادة: وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (الإسراء: 44)، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون 56 (الذاريات)، هي أمة يجب أن توحدها عظمة الغاية وشرفها امتثالاً لأمره تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا (آل عمران: 103)، وأن تحقق معنى الأخوة الإنسانية الإسلامية تحقيقاً لقوله تعالى: إنما المؤمنون إخوة (الحجرات:10).

والوحدة والأخوة الإسلامية العالمية تتجلى في أبرز صورها وأعظم مظاهرها في فريضة الحج.

وقد حققت الأمة وحدتها العاطفية فكيف تحقق وحدتها المرجعية؟

لقد تحققت لأمة الإسلام وحدتها العاطفية وأخوتها الإسلامية، حققها لها المولى عز وجل دون جهد منها ولا مشقة، فهل تستفيد الأمة من النعمة الربانية الكبرى وتنطلق من الوحدة العقائدية والوحدة العاطفية إلى وحدة المرجعية؟

وحدة المرجعية التي نقصدها أن تتوحد الأمة في أهدافها العليا وغاياتها الكبرى وإطارها العام بحيث يؤمن الناظر إلى الأمة المسلمة على اختلاف حدودها وامتداد جغرافيتها أنه أمام أمة واحدة القصد والهدف والتوجه والمصير والمصلحة، لا يمكن

ضرب وحدتها ولا تضاد مصالحها ولا اختلاف منهج التلقي الأول لديها ولا تحويل أصولها وثوابتها ولا ضرب بعضها ببعض، لأنها تسير في مسار واحد نحو هدف واحد وإن تعددت السبل وكثرت المنافذ واختلفت الوسائل..

ووحدة المرجعية هي المقدمة الطبيعية للوحدة السياسية والخلافة العالمية. لقد ضعفت الدولة العباسية لما انتشرت فيها الدعوة الشعوبية فكانت من أسباب انهيارها وسقوطها.. ولا تستطيع الأمة الإسلامية أن تحقق وحدة الدولة والكيان تحت راية واحدة قبل أن تحقق وحدة الهدف ووحدة المصير ووحدة الشعور ووحدة الاقتصاد ووحدة الشعوب ووحدة المصالح.

ويوم تحقق الأمة وحدتها الفكرية ورباطها القائم بعد وحدة العقيدة والشعور على وحدة المصالح والمصير تستطيع أن تحقق بذلك عودة الخلافة الفكرية والاجتماعية للأمة وبالتالي أستاذية العالم وهي خلافة أهم وأعمق بكثير من الخلافة السياسية الرمزية التي ترمز في النهاية إلى وحدة الكيان الإسلامي.

وهو دور تستطيع أن تنجزه الأمة من خلال شعوبها وعلمائها وكوادرها الفاعلة في مختلف المجالات وإن اختلفت أهواء الساسة ومشاربهم.. وليس هناك مناسبة أضخم من موسم الحج لتحقيق هذا الأمل، فالأمة باعتبارها الكيان المدني الذي يقابل السلطة أو ما يعرف في العصر الحديث بمصطلح مؤسسات المجتمع المدني هي وحدها المؤهلة للقيام بهذا الدور.

وليعذر بعضنا بعضا في الخلاف فيما دون الأصول.

هناك ملمح آخر مهم من ملامح فريضة الحج وهو أن يعذر بعضهم بعضاً فيما تباينوا فيه أو اختلفوا فيما دون الأصول والثوابت المقررة شرعاً.. كان هذا الأمر واضحاً جداً في فقه النبي صلى الله عليه وسلم في الحج، فلقد كان فقهه صلى الله عليه وسلم أن يوسع ضيقاً لا أن يضيق واسعاً، حتى يمكن أن نتخذ شعاراً فقهياً في الحج "التوسيع والتيسير على المسلمين" ومن دلائل ذلك من هديه صلى الله عليه وسلم:

1 ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قُدم ولا أُخر إلا وقال: افعل ولا حرج .

2 لما وقف وظهره للصخرات بعرفة قال: وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف.

3 اختلاف أنواع الإحرام نفسها بين التمتع والقران والإفراد دلالة على هذه التوسعة وهذا التيسير.

والتماس العذر للناس بعضهم بعضاً هو أحد أعمدة وحدة المرجعية العامة مع ترك التفاصيل الدقيقة لظروف كل مجموعة وطبيعتها والمؤثرات التي تؤثر عليها..

التعددية والتنوع الثقافي واللغوي

مظهر بارز من مظاهر سفراء الشعوب المسلمة في الحج وهو إفراز طبيعي لامتداد دين الإسلام رقعة وانتشاراً، وقبول هذا التعدد والتنوع الثقافي ركيزة أساسية من ركائز تحقيق وحدة المرجعية، عندما يؤمن كل شعب إيماناً جازماً أنه غير مطالب بالتنازل عن تفاصيل حياته اليومية وعن خصوصيته الثقافية لتحقيق الانصهار في بوتقة وحدة الإسلام العالمية، وإنما يترك له الإسلام مساحة واسعة من الحفاظ على الإرث الثقافي فيترك له لغته ولسانه الذي ولد به ولهجته التي درج عليها، وطريقته في المأكل والمشرب والملبس، ووسائله وأدواته الخاصة في الحياة ما لم يتعارض كل ذلك مع المبادئ والآداب الإسلامية، ويبقى الإسلام الإطار العام الذي يؤطر حياته كلها..

إن أكبر معوقات الوحدة النفسية عند الشعوب هي شعور الشعوب بأنها خاضعة لثقافة الفئة المنتصرة أو الغالبة وأنها منصاعة لتلك الثقافة البيئية لا للدين، أي الخضوع لأعراف أرضية لا لقوانين سماوية، والإسلام لم يفرض على الناس لغة قريش ولا لهجتها ولا طرائق معيشتها لأنه نزل على نبي عربي قرشي.. لقد راعى الإسلام الفوارق الثقافية والتنوع البيئي بين الشعوب فتعددت قراءات القرآن الكريم أقدس كتاب في حياة البشر بتعدد اللهجات العربية الكبرى.. وعندما تحرك المسلمون الأوائل للفتح الإسلامي المبارك لم يصدروا ثقافاتهم البيئية ولم يفرضوها على الشعوب فرضا ولم يعمدوا إلى عولمة ثقافية يخضعون لها الشعوب ماحين إرث كل شعب وتراثه.. ومن هنا نرى الناطقين بالعربية لا يتجاوزون ربع تعداد المسلمين في عالم اليوم، رغم مكانة اللغة العربية وفضلها كونها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلوم الإسلامية المرتبطة بهما.

لم يفرض الإسلام على الناس تغيير لغتهم وهي الوعاء الثقافي الأهم في حياة الناس، فهل يفرض على الناس ما دون ذلك من عادات وتقاليد بيئية في المأكل والمشرب والملبس!.

هذا التنوع وتلك التعددية الثقافية والبيئية هي التي تعطي لأمة الإسلام زخمها وقوتها وحيويتها، وهما صمام أمان لوحدة مرجعية إسلامية كبرى تتجاوز التفاصيل وتركز على الأصول الثابتة.

فهل تعي الأمة واحداً من أهم دروس فريضة الحج الكبرى، فتسعى لتوحيد مرجعيتها كما يحقق حجاج بيت الله أخوتهم الإسلامية في الحج؟

================

#الحملة ضد التيار الإسلامي تزامنت مع إقرار البرلمان إياه

قانون جديد يكرس عولمة المرأة ويفتح الباب أمام الشواذ!

نواكشوط : سيد أحمد ولد باب

@maktoob.com89Sid

أثار القرار الأخير الذي اتخذه البرلمان الموريتاني بشأن المصادقة على الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن حقوق المرأة في إفريقيا، انتقادات واسعة من طرف نواب المعارضة وبعض نواب الحزب الحاكم لمخالفته الصريحة للنصوص الشرعية المعمول بها في البلاد وضرره الواضح بمصلحة المجتمع.

إذا كان البرلمان قد أقر قانون المساجد في صيف 2003م إبان الحملة الشرسة التي شنتها أجهزة الأمن الموريتانية ضد التيار الإسلامي فقد تم إقرار البرلمان للقانون الجديد، في وقت ينشغل فيه الرأي العام الوطني بحملة الاعتقالات الأخيرة وما صاحبها من توتر أمني تعيشه البلاد، وقد اعتبر وزير الشؤون الخارجية الموريتاني مخالفة البروتوكول للشريعة أمراً مبالغاً فيه ودعاية رخيصة من قبل بعض المتزمتين، رافضاً أي اقتراح بتعديل القانون. ولكن الاتفاقية المصادق عليها من قبل البرلمان تتجاوز خطورتها ما ورد فيها من مواد غامضة إلى إلزامها للدول بتعديل أنماطها الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة من خلال التعليم العام واستراتيجيات الإعلام والتعليم والاتصال بغية تحقيق هذه الاتفاقية لأهدافها المعلنة في البروتوكول

(الفقرة 1 المادة 2) وإدخال مصطلح مساواة المرأة بالرجل في الدستور وإدخال منظور (الجنـدر) فـي قـرارات الـدول المتعلقـة بسياسـاتها وتشـريعاتها وخططهـا وبرامجهـا وأنشطتها الإنمائية وكذلك في جميع ميادين الحياة الأخرى (الفقرة 3 المادة 2).

بروتوكول مشبوه!

فـي الصـفحة الخامسـة (المـادة الثانيـة) تقـول الفقـرة الثانيـة بـالحرف: (تلـزم الـدول الأطراف بتعديل أنماطها الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة من خلال التعليم العام واسـتراتيجيات الإعـلام..) هـذه الفقرة تـذكرنا بخطـر المنظمـات المتطرفـة التـي أصـبحت تتسـلل إلـى الهيئـات الرسـمية مثـل الأمـم المتحـدة ويبـدو أنهـا تسـللت إلـى الاتحـاد الإفريقـي. هـذا البروتوكـول تشـم فيـه رائحـة أهـداف تلـك المنظمـات المتطرفـة الشـاذة التـي لا تريـد لأمـة أن تبقـى لهـا قيـم ولا ثوابـت ولا حضـارة ولا ديـن ولا انتمـاء، وهذا صـريح فـي الفقرة السـابقة، فإلى أين نحـن سـائرون إذا مـا قضـينا علـى أنماطنـا الاجتماعيـة والثقافيـة ومـا البـديل عنهـا؟ سـؤال طرحـه أبـرز نـواب المعارضـة (النائـب محمد محمـود ولد لمات) معترضـاً علـى أهـداف الحكومـة مـن مثـل هـذه الاتفاقيات لكن وزير الخارجية الذي مثلها أختار التهجم عليه وعلى الإسلاميين بدل الجواب عليه.

وفي المادة الرابعة (الفقرة د) تقول بالحرف الواحد: التعزيز الفعال لتعليم السلام من خـلال المنـاهج الدراسـية والاتصـال الاجتمـاعي مـن أجـل القضـاء علـى عناصـر المعتقدات والممارسات والأنماط الثابتة التقليدية. هذه الفقرة أكثر تفصيلاً من السابقة وأعم منها لأنها تتطرق للمعتقدات والممارسات الثقافية، وبالإضافة إلى خطرها وعدم دستوريتها لأنها تخالف الدستور الذي ينص صراحة على أن دين الشعب والدولة هو الإسلام فإنها تخالف صراحة المقتضيات القانونية التي تنص على أنه لا يجوز لأي موريتـاني أن يبدل دينـه، كمـا أنهـا متناقضـة فـي ذاتهـا لأنهـا تقـول "تقضـي الشرعية"، فـالأمر عنـدما يكـون شـرعياً فإنـه شرعي وبالتـالي فـإن إلـزام الـدول بنـزع الشرعية عـن معتقـدات أو ممارسـات فـإن تلـك الـدعوة صـريحة وواضـحة فـي دعوتهـا للفاحشـة والتسيب والميوعة الدينية والدنيوية.

أما (الفقرة هـ) من نفس المادة فتقول: "يختار الزوج والزوجة نظام زواجهما". وإذا كان للمصطلحات مكان ما فإن هذه العبارة توحي بأنه يمكن للزوجين أن يختارا نظام زواجهما هل يكون زواجاً مؤقتاً أم أبدياً أم زواجاً دينياً أم مدنياً.

كما أن المادة السابعة (الفقرة أ) تقول بأن الطلاق يكون بأمر قضائي فقط. وتقول الفقرة التالية بتساوي الحق في الطلب أمام القضاء من أجل استصدار ذلك الأمر وبالتالي فإنه طبقاً لهاتين الفقرتين لن يكون الطلاق بيد الرجل، وذلك مخالف للقوانين والشريعة، فالطلاق بيد الرجل لكن يجب على الرجل أن يراعي فيه كل المتطلبات التي تمليها الشريعة والتي دونتها مجلة الأحوال المدنية. كذلك (الفقرة ج) من نفس المادة تتناقض مع مبدأ أساسي وحق أساسي للمرأة وهو حق الحضانة ما لم تقدم على ما يزيل ذلك الحق، وبالتالي فإن هذه الفقرة تمس بحقوق المرأة مساساً بيناً.

مساواة المرأة!

وفي الصفحة 11 المادة التاسعة (الفقرة ب) تقول إنه يجب تمثيل المرأة على قدم المساواة وجوباً مع الرجل في قوائم الانتخابات والمرشحين، وهذا أمر قد يكون مجحفاً وقد يكون مستحيل التطبيق لأنه يرغم النساء على أمر قد يفقدهن حريتهن الاختيارية.

أما الصفحة 12 المادة العاشرة (الفقرة 3) تقول بأنه يجب على دول الأطراف في هذا البروتوكول أن تخفض النفقات العسكرية لصالح المرأة. والسؤال المطروح: كيف يمكن تطبيق هذه الفقرة في ظل سياسات التخطيط المملاة على بلادنا من طرف صناديق وهيئات التمويل الأجنبية؟ وتنص المادة الثانية عشرة بالحرف الواحد على أنه (يجب القضاء على أنواع الإشارات الموجودة في الكتب المدرسية والمناهج الدراسية ووسائل الإعلام والأنماط الثابتة التي تؤدي إلى دوام مثل هذا التمييز) وهو تدخل في المناهج التربوية بطريقة صريحة، الهدف منها فتح الباب أمام هذه المنظمات المتطرفة الشاذة التي تريد التدخل في كل صغيرة وكبيرة وبالأخص في المناهج التربوية. وللأسف الشديد ها هي تجد اليوم غطاءً وأرضية صالحة من طرف القائمين على الاتحاد الإفريقي والذين يتولون إعداد مشاريعه القانونية وبروتوكولات الاتفاقية، وها هي الحكومة الموريتانية تتبنى هذا النهج وفي الوقت الذي تقدم فيه هذا

النوع من البروتوكولات بمنهجه ومضامينه تقوم بحملة شرسة، قمعية، إعلامية، سياسية، ضد المصلحين والعلماء.

===============

#العولمة".. تجويع للشعوب وإفقار للدول

23% من سكان العالم ونصف العرب يعيشون تحت خط الفقر

في الوقت الذي تُشغل فيه أجهزة الإعلام الرأي العام العالمي بخطر "الإرهاب" والحرب عليه،، فإن هذه الأجهزة لا تكاد تلتفت إلى المشكلات الحقيقية التي تعاني منها البشرية مثل الفقر والجوع والأمراض وانتشار الأوبئة والحروب والتي يسقط بسببها ملايين الضحايا سنوياً، بل إن هناك تعتيماً إعلامياً مقصوداً على ضحايا هذه الأزمات ماداموا ينتمون إلى الدول النامية.

فعلى سبيل المثال وبحسب تقديرات الأمم المتحدة يموت نحو 13 مليون طفل دون سن الخامسة كل عام بسبب سوء التغذية، فيما يموت 52 مليون شخص على مستوى العالم بسبب الأمراض والحروب.

عولمة الفقر

يتوسع انتشار الفقر في العالم يوماً بعد آخر، ونتيجة طبيعية له يقع الناس في براثن الجوع والمرض، وتقول الإحصاءات إن نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر العالمي المحدد دولياً بأقل من دولار واحد في اليوم وصلت إلى 23% من سكان العالم، أي نحو 1.4 مليار شخص، فيما يعيش نصف السكان بأقل من دولارين في اليوم. كما ارتفع عدد الدول الأقل نمواً في العالم من 25 دولة عام 1971م إلى 48 دولة عام 1999 المجتمع ، ليصل عددها اليوم إلى نحو 86 دولة، كما أن 33 % من الأشخاص في الدول النامية يعتبرون من الفقراء، و50 % من سكان القارة الإفريقية يعيشون تحت خطر الفقر. هذا بالإضافة إلى أنّ انتشار الفقر يساهم في الإصابة بالأمراض وزيادة عدد الوفيات المبكرة، وخفض الإنتاجية، وضعف الاقتصاد، وانعدام الخدمات الضرورية.

إذاً، فالمعادلة العالمية مختلة وتسير باتجاه المزيد من الكوارث، حيث تؤكد البيانات أن 20% من سكان العالم يحصلون على 85% من الدخل العالمي، ويستهلكون ما

مقداره 80% من الموارد. ولإدراك مدى هذا التراجع وخاصة في الدول النامية، فإن دخل الفرد فيها عندما تم تأسيس منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية في الستينيات، كان يصل إلى 212 دولاراً سنوياً، وفي الدول الغنية إلى 11400 دولار. وبعد 40 عاماً، ورغم ما شهده العالم من تقدم وازدهار، لم يرتفع متوسط الدخل الفردي في الدول النامية إلا إلى 267 دولاراً، بينما ارتفع متوسط الدخل الفردي في الدول الغنية إلى أكثر من ثلاثة أضعاف ليصل إلى 32400 دولار.

وأكدت دراسة صدرت عن منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) أنه بحلول عام 2005 ستضم المدن بين جنباتها أكثر من نصف سكان العالم يعيشون تحت خط الفقر.

إرهاب الجوع

يعتبر الخبراء أن الجوع أحد إفرازات الفقر المدقع الذي ينتشر في أغلب الدول النامية، وهو يفتك بضحاياه بصمت ودون ضجيج؛ مادام لا يسبب ازعاجاً للدول الغنية أو لرعاياها. وفي العديد من الحالات وجدت الدول الغنية في المجاعات التي تضرب الدول النامية، وخاصة في إفريقيا، فرصة للتدخل وتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية على حساب مأساة الشعوب، كما حدث حينما تدخلت الولايات المتحدة في الصومال لإنقاذ الجياع تحت عملية إعادة الأمل.

أما بالنسبة لحجم مشكلة الجوع، فلا توجد إحصاءات دقيقة ولا خريطة تفصيلية لها، وما تقدمه تقارير منظمة (الفاو) في هذا السياق لا يعبر عن الواقع بشكل دقيق.

لكن الظاهرة في تفاقم، حيث كشف آخر تقرير لمنظمة (الفاو) عن ارتفاع عدد الجياع في العالم من 800 مليون شخص عام 2002م إلى 864 مليون شخص عام 2003 المجتمع أي ما يقرب من 14.4 % من عدد سكان العالم، وأن أعداداً كبيرة من الأطفال يموتون بسبب الجوع.

أسباب تفاقم الأزمة

على الرغم من وجود مجموعة من الأسباب الموضوعية التي تقف وراء ظواهر الفقر والجوع وانتشار الأمراض في الدول النامية، إلا أن العديد من الخبراء والدارسين لهذه الظواهر يؤكدون أن الدول الغنية هي المسؤولة بشكل مباشر عن هذه المشكلات

ووصولها في كثير من المناطق إلى حدود الكارثة الإنسانية، وأن المعالجات الدولية كانت وما تزال قاصرة في التعامل مع هذه الكوارث الإنسانية السائرة في طريق الانفجار، ويمكن تحديد الأسباب فيما يلي:

أولاً: الحروب: كانت الدول النامية والفقيرة ولفترات طويلة ساحات حرب أهلية وأحياناً خارجية مدمرة تغذيها الدول الغنية وأطماعها في ثروات هذه الدول.

ثانياً: تفاقم ظاهرة المديونية الخارجية في الدول النامية، والتي وصلت إلى مستويات خطيرة تهدد نموها الاقتصادي وتلتهم ثمار التنمية. فقد ارتفعت قيمتها أربعة أضعاف في 20 سنة، وتستنزف خدمات هذه الديون فقط القسم الأعظم من إنتاج الدول النامية السنوي.

ثالثاً: إهمال عمليات الإصلاح الاقتصادي التي رعاها وأشرف عليها كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للبعد الاجتماعي في العديد من الدول، مما فاقم من ظواهر الفقر والجوع والبطالة وغيرها.

رابعاً: الفساد: تمثل ظاهرة الفساد في الدول النامية القوة الخفية التي تستنزف الموارد المالية بطريقة عجيبة، وتؤكد دراسة مختصة في هذا السياق أن كل عصابات الفساد السياسي في العالم الثالث والعالم الثاني (الدول الاشتراكية سابقاً) وجدت في عمليات الإصلاح الاقتصادي ملعباً واسعاً لتحقيق أعلى الأرباح، وكمثال على حجم الفساد قال أحد خبراء البنك الدولي إن أكثر من 100 مليار دولار تمثل خمس إجمالي القروض التي قدمها البنك الدولي في تاريخه ضاعت بسبب فساد الحكومات التي تحصل عليها.

خامساً: تدمير القطاع الزراعي في البلدان النامية، ومنعها من تصدير منتجاتها بسبب السياسات الحمائية التي تطبقها الدول المتقدمة، فعلى سبيل المثال بلغ الدعم المباشر المقدم للمزارعين في البلدان المتقدمة 235 مليار دولار في عام 2002 المجتمع ، وهو رقم يزيد بمقدار 30 ضعفاً عن المبالغ المقدمة لدعم التنمية الزراعية في البلدان النامية.

سادساً: تراجع إنتاج الغذاء وبالتالي انخفاض المخزون العالمي من الحبوب، فقد أفادت منظمة (الفاو) في نشرتها الدورية بعنوان "توقعات الأغذية في العالم" أن

مخزونات العالم من الحبوب قد تتراجع في الفترة ما بين 2004 و2005 المجتمع من الموسم التسويقي وهو الانخفاض السنوي الخامس على التوالي.

سابعاً: تزايد مشكلة التصحر في العالم وفقدان الأراضي الزراعية، وهو ما ينعكس بشكل مباشر على أصحاب هذه الأراضي وبالتالي على إنتاج وتوفير الغذاء لهم، وتقول البيانات الإحصائية إن 135 مليون شخص يواجهون خطر النزوح من أراضيهم بسبب هذه المشكلة.

ثامناً: ضعف المساعدات التنموية والإنسانية التي تقدمها الدول الغنية للبلدان النامية، فقيمتها لم تتجاوز 0.7 % من ناتجها القومي.

تاسعاً: زيادة الإنفاق العسكري في الدول النامية إذ تخصص هذه الدول ميزانيات كبيرة للدفاع وشراء الأسلحة والمعدات الحربية، وبلغ إنفاق الدول النامية على التسلح خلال العام الماضي نحو 125 مليار دولار.

تلك بعض بثور العولمة: الجوع والفقر والأمراض وانتشار الحروب، وطبعاً لم ينج العرب من هذه التداعيات، حيث تشير البيانات إلى أن هناك أكثر من 50% من العرب يعيشون تحت خط الفقر، وتوجد أربع دول عربية ضمن الدول ال25 الأشد فقراً في العالم، فيما تتفاقم المشكلات والأزمات الأخرى وفي مقدمتها مشكلة البطالة التي وصلت إلى 15% من مجموع الأيدي العاملة حسب التقديرات المتفائلة.. فأين خطر الإرهاب وضحاياه من هذه الكوارث الإنسانية الكبرى؟

وكالة قدس برس

===============

#الأمم المتحدة تتبنى ترويج الإباحية وتدمير الأسرة في مؤتمر:

"عولمة المرأة"

ماجد بن جعفر الغامدي
mmjaafr*otmail.com

الشكل النهائي لوثيقة بكين الجديدة التي يراد فرضها على العالم

شهدت دهاليز الأمم المتحدة انعقاد المؤتمر الدولي، احتفالاً بمرور عشر سنوات على وثيقة بكين الخاصة بالمرأة، وهي الوثيقة التي تدعو إلى فتح الطريق على

مصـراعيه للإباحيـة الجنسـية وإطـلاق الحريـة التامـة للحمـل خـارج إطـار الـزواج والإجهاض وزواج المثليين، وهدم الأسرة بأركانها الفطرية.

وهـذا المـؤتمر يعـد دعـوة متبجحـة للانحـلال والفوضـى ومـؤامرة دنيئـة علـى العفـة والفضيلة، وهو إلى جانب ذلك يمثل حلقة متقدمة من حلقات التآمر على الإسلام وطعن القيم والأخـلاق فـي مقتـل، ويمثـل البـذرة الأولـى لمرجعيـة أيديولوجيـة المـرأة الجديدة التي طرحت موضوع الأسرة، وقضايا المرأة قضايا عالمية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكن ضجيج القضايا السياسية والاقتصادية في دول العالم الثالث في هذا الوقت غطى على الجانب الاجتماعي والثقافي المتصل بالأسرة والمرأة والأحوال الشخصـية؛ فمنـذ عـام 1950م حاولـت الأمـم المتحـدة عقـد الـدورة الأولـى لمؤتمراتهـا الدولية حول المرأة والأسرة بعنوان: "تنظيم الأسرة" لكن الحكومة المصرية في العهد الملكي قاومته بقوة، وأخفق المؤتمر الذي كان يترأسه ماركسيٌّ صـهيوني، ثم عاودت الأمم المتحدة مرة ثانية تطلعها في بناء المرجعية النسوية الجديدة، فعقدت مؤتمراً في المكسـيك عـام 1975م، ودعـت فيـه إلـى حريـة الإجهـاض للمـرأة والحريـة الجنسـية للمراهقين والأطفال، وتنظيم الأسرة لضبط عدد السكان في العالم الثالث، وأخفق هذا المـؤتمر أيضـاً، ثـم عقـد مـؤتمر فـي "نيروبـي" عـام 1985م بعنـوان: "اسـتراتيجيات التطلع إلى الأمام من أجل تقدم المرأة"، ثم كان مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية الذي عقد في سبتمبر 1994م، وأخيراً كان مؤتمر المرأة في بكين الذي عُقد عام 1995م تحت عنوان: "المساواة والتنمية والسلم"، وهو المؤتمر الذي ختمت به الأمم المتحدة القرن الماضـي، وانتهـت إلـى الشـكل النهـائي للمرجعيـة الجديـدة والبديلـة التـي يـراد فرضها على العالم والتي تهدف بكلمة واحدة إلى "عولمة المرأة".

وتعتبر المؤتمرات السابقة كلها إرهاصات حقيقية لما يصبون إليه من رسم أيديولوجية موحدة للمرأة في جميع أنحاء العالم.. ثم كانت الولادة لطفلهم الأشقر (مؤتمر بكين) الـذي طالمـا حلمـوا بـه، وهـا هـم فـي طـور الاعتنـاء البـالغ بـه حتـى يكبـر ويترعـرع ويفرضوا سيادته على العالم.

وبإطلالة سريعة على نص الوثيقة الختامية لمؤتمر بكين والوثيقة المعدّة لمؤتمر بكين والتـي تقـع فـي 177 صـفحة و362 مـادة نجـد الوثيقـة تـدعو إلـى نزعـات متعـددة،

وتتضمن هذه النزعة فرض فكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية (من ذكر إلى أنثى ومن أنثى إلى ذكر أو أن يختار أن يكون بينهما لأن الوثيقة تقر الاعتراف بالشواذ). ولك أن تتخيل ما يتبع ذلك من تغيير في الأدوار المترتبة على الفرد.

وتطالب الوثيقة بحق المرأة والفتاة في التمتع بحرية جنسية آمنة مع من تشاء وفي أي سن تشاء وليس بالضرورة في إطار الزواج الشرعي، بتقرير متبجح للإباحية الجنسية وإلزام جميع الدول بالموافقة على ذلك، مع المطالبة بسن القوانين التي يعاقب بها كل من يعترض على هذه الحرية، حتى ولو كان المعترض أحد الوالدين، وهذا استدعى كذلك الدعوة إلى تقليص ولاية الوالدين وسلطتهما على أبنائهما، حتى لو كانت تلك الممارسات في داخل البيت الذي تعيش فيه الأسرة، فللفتاة والفتى أن يرفع الأمر إلى السلطات التي ستلزم بسن قوانين تعالج أمثال هذه الشكاوى، فالمهم هو تقديم المشورة والنصيحة لتكون هذه العلاقات (الآثمة) مأمونة العواقب سواء من ناحية الإنجاب أو من ناحية الإصابة بمرض الإيدز.

كما تطالب الوثيقة، الحكومات بالاهتمام بتلبية الحاجات التثقيفية والخدمية للمراهقين ليتمكنوا من معالجة الجانب الجنسي في حياتهم معالجة إيجابية ومسؤولة، وتطالب بحق المراهقات الحوامل في مواصلة التعليم دون إدانة لهذا الحمل السِّفَاح، فالوثيقة تدعو إلى سن قوانين للتعامل مع حمل السفاح، لتكون وثيقة دخول الحامل للمستشفى، كونها حاملاً دون أدنى مساءلة حول حملها بغير زوج، ثم تخيير الفتاة بين رغبتها في الإجهاض، أو إن شاءت أن تبقيه فتلزم سلطات الرعاية الاجتماعية برعايتها، وإن لم ترد تربيته فتدفع به لدور الرعاية.

وبالتأمل والتحليل لبعض ألفاظ الوثيقة نجد كلمة: "الأمومة" لم ترد سوى ست مرات، بينما كلمة: "جندر" والتي تعني "نوع" جاءت ستين مرة، وجاءت كلمة "جنس" في مواضع كثيراً جداً، وأما كلمة "الزَّوج" فلم تذكر بالمرة، لأن الوثيقة لا تعترف بالزواج وتعتبره (جناية)! على المرأة وتسمي العملية الجنسية بين الزوجين ب (الاغتصاب الزوجي)، وذُكر بدلاً من "الزوج" كلمة أوسع وأعم وهي "Partner" أي الزَّميل أو الشَّريك، فالعلاقة الجنسية علاقة بين طرفين تدين لكل منهما استقلاليته الجنسية، والحقوق الإنجابية حقوق ممنوحة للأفراد والمتزوجين على السواء.

والمثير أن تستخدم الوثيقة كلمة (المساواة) للتعبير عن إزالة الاختلافات بين الرجل والمرأة حتى ولو كانت اختلافات بيولوجية، وتستخدم (التنمية) للتعبير عن الحرية الجنسية والانفلات الأخلاقي، وتستخدم كلمة (السلم) لمطالبة الحكومات بخفض نفقاتها العسكرية، وتحويل الإنفاق إلى خطط التخريب والتدمير للأيديولوجية النسوية الجديدة.

ومن المؤسف أن هذه المفردات الجديدة والمقررات التي يسعى النظام العالمي الجديد إلى فرضها أيديولوجية كونية على العالم، تستهدف ضرب مَواطن القوة في الحضارات المختلفة معه.

ومن العجيب أن المجتمعات الغربية التي شرعت مسبقاً في تنفيذ هذه القوانين الشاذة عاد ذلك بالنكبات المتتابعة عليها وزادها تمزقاً وفرقة، وهنا لغة الأرقام تتحدث، فالإحصاءات والبيانات التي تصدر تباعاً من داخل المجتمعات الغربية تؤكد ذلك، وعلى سبيل المثال لا الحصر تقول بعض المصادر الأمريكية إن هناك حوالي مليون فتاة أمريكية من المراهقات يحملن كل عام (خارج الزواج) وأن حوالي 300 ألف منهن دون سن الخامسة عشرة، وأن 400 ألف منهن يقدمن على الإجهاض.

كما تؤكد الدراسات العديدة الصادرة عن أشهر ثلاثة باحثين أمريكيين في السلوك الجنسي وهم (كنزي وجونسون وماستر) أن 50% من الذكور الذين تمت دراسة حالتهم قد مارسوا الجنسية المثلية، كما تؤكد دراسات أخرى أن 1.5 مليون امرأة وفتاة يمارسن السحاق.

ولذلك فإن الأيديولوجية الجديدة تستمد جذورها الفكرية من "الماركسية الحديثة"، حيث تعتبر أن خطأ الماركسية القديمة هو اللجوء إلى الأساليب الاقتصادية لبناء مجتمع لا طبقي، بينما ترى الأيديولوجية الحديثة أن اللجوء إلى الأساليب الاجتماعية هو السبيل الوحيد لمجتمع خالٍ من الطبقات والميول الطبقية، ولذا فإن "الأسرة" والأمومة في نظر "الماركسية الحديثة" تمثل السبب وراء نظام طبقي جنسي يقهر المرأة لا يرجع إلا لدورها في الحمل والأمومة.

ومن يتأمل في تلك المقررات بعين العقل والبصيرة فإنه لا يكاد يصدق أنه يوجد شخصان من البشر يقرانها لشناعتها وخطرها، بل لو حُدثنا عن أنها في أمة سابقة

لاعتبرناها أمراً عجباً، والمرء يعجب أعظم العجب عندما يتيقن أن تلك المقررات والدعوات تتداعى دول عدة لإقرارها، وتتفاقم الطامة عندما نعلم أن وثيقة بكين التي أصبحت "مقررات بكين" وقّعت عليها 183 دولة لتصبح أساس المرجعية الكونية البديلة، دولٌ نالت حظاً كبيراً من فهم السنن الكونية في هذه الحياة، وهاهم يشاهدون أعظم العبر وأبلغ النذر في خطئهم، وخطرهم في دعواتهم الإباحية، بما رأوه من الأرقام المتصاعدة لصرعى الأمراض الجنسية التي أُعيوا أن يجدوا لها طباً أو شفاءً، فكيف تعمى بصائرهم عن وهاد السفاح ومزالق مخالفة الفطرة!

ولكن ذلك العجب يتلاشى حين نتأمل قول أصدق القائلين وأحكم الحاكمين والخبير بما في صدور العالمين: إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (44) (سورة الفرقان). وإنه لعارٌ على الإنسانية إلى قيام الساعة أن يكون فيهم من تُبجل إنجازاتهم وتعدد مخترعاتهم بما فتح الله به عليهم، ثم ينتكسون تلك الانتكاسة الكبرى في هدم الأخلاق وإلغاء الكرامة الإنسانية وإهدار معالمها.

=============

#د. رضا الخليفي في حوار صريح عن: ظاهرة أسلمة البنوك الربوية

الفكرة مستمدة من مبدأ التوبة والإقلاع عن الربا

أجرى الحوار :صادق عبدالله

برز في العصر الحديث "الاقتصاد الإسلامي" كنظام له أصوله ومبادئه وقواعده ومؤسساته التي تميزت عن غيرها بفلسفتها وأساليبها الاستثمارية وأدواتها المالية التي تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية السمحة، كما أصبحت المؤسسات المالية الإسلامية محل اهتمام العالم كله، إلى جانب النمو المتسارع لأعداد المؤسسات المالية الإسلامية بأنواعها محلياً وإقليمياً وعالمياً، ففي الإحصاء الصادر عن المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية (سبتمبر 2003م) بلغ عدد المؤسسات المالية الإسلامية (267) بنكاً ومؤسسة مالية إسلامية منتشرة في 48 دولة، بحجم أعمال يزيد على 250 مليار دولار.. طموحاً تسعى إليه عامة البنوك التقليدية، فما حقيقة هذه الظاهرة؟ وما أسباب بروزها، وهل الدوافع من وراء التحول دوافع دينية أم ربحية، وما الحكم الشرعي للتعامل معها، وما موقف البنوك المركزية من ظاهرة

أسلمة البنوك.. وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها كان هذا الحوار مع الدكتور رياض منصور الخليفي مدير عام مكتب المستشار الشرعي الدولي في الكويت.

نريد توضيحاً لماهية ظاهرة أسلمة البنوك التقليدية "التحول المصرفي"؟

فكرة تحول البنك الربوي إلى المصرفية الإسلامية مستمدة من مبدأ التوبة والرجوع إلى الله والإقلاع عن كبيرة التعامل بالربا، أخذاً أو إعطاء، فهذا هو الأصل الشرعي في التحول، ويقصد بمصطلح التحول أو أسلمة البنك أن توجد لدى البنك التقليدي "الربوي" رغبة صادقة في التوبة إلى الله والإقلاع عن كبيرة الربا، وذلك من خلال إيقاف الخدمات المالية والمصرفية وكافة المخالفات الشرعية، وطرح البدائل الشرعية مكانها والمتمثلة في تقديم الخدمات المالية والمصرفية طبقاً لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية الغراء، والحقيقة أن ظاهرة أسلمة البنوك تعتبر إعلاناً صريحاً بنجاح المصرفية الإسلامية، وأن الأدوات المصرفية الإسلامية في مجالي التمويل والاستثمار باتت تمثل الأدوات الأكثر كفاءة ونمواً في الاقتصاديات الحديثة، الأمر الذي دفع البنوك التقليدية إلى أن تساير هذه النجاحات من خلال تبني الفكر المصرفي الإسلامي بصورة كلية أو على مستوى المنتجات وصيغ التمويل الإسلامية، ولذلك وجدنا أن ظاهرة تحول البنوك التقليدية وأسلمة عملياتها تأخذ أحد أسلوبين رئيسين:

الأول: أن يتحول البنك بشكل كلي بجميع أعماله وعملياته ويسمى "التحول الكلي" بحيث يبدأ البنك فعلياً بأسلمة جميع عملياته المالية على صعيد كل من الموارد والاستخدامات المصرفية، ويلتزم البنك في هذه الحالة بنمط هيكلي من الأعمال يختلف جذرياً عما كان عليه قبل الأسلمة، ويقوم بتشكيل هيئة رقابة شرعية تمارس دور الإفتاء الشرعي بشأن كل أعمال البنك وعملياته، وللهيئة الشرعية منع أي معاملة لا تجتاز الاختبار الشرعي وفق منهجية الفقه الإسلامي.

الثاني: التحول بشكل جزئي وخاص ويسمى "التحول الجزئي"، وقد يطلق على التحول الجزئي مصطلح "النوافذ الإسلامية في البنوك التقليدية" وصورته أن يكتفي البنك التقليدي بالإضافة إلى أعماله الربوية طرح بعض صيغ التمويل والاستثمار الإسلامية كالمَحافظ والصناديق الإسلامية، ومثله أيضاً أن يفتح البنك الربوي فرعاً

خاصاً أو أكثر للمعاملات الإسلامية، والشرط الأساسي في كلا الأسلوبين أن يكونا مطابقين لمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية الغراء.

ما الأسباب التي تدفع البنوك التقليدية "الربوية" إلى هذا التحول؟

في الواقع هناك العديد من الأسباب الفنية وهي:

1 أسباب قانونية فنحن نعلم أن البنوك التقليدية مقيدة وفق القوانين المنظمة لها في مختلف الدول بأن تلتزم مساراً واحداً فقط في العمل وهو الوساطة المالية، حيث تدير عملية انتقال الأموال بين كفتي الفائض والعجز وفق أداة استراتيجية هي الإقراض والاقتراض بالربا، في حين نجد أن قوانين البنوك الإسلامية قد اعترفت بالطبيعة الخاصة للعمليات المصرفية الإسلامية والتي تمارس نشاط الاستثمار المباشر إلى جانب الوساطة المالية، الأمر الذي يعد قيمة استراتيجية مضافة إلى أداء البنوك التقليدية، فالبنوك الإسلامية تستثمر بشتى أنواع الاستثمار المباشر لنفسها أو للغير فهي بنوك تاجرة أو بنوك شاملة، ولذا فإن البنوك التقليدية ترغب في الاستفادة من هذه الميزة الاستراتيجية وهي الاستثمار.

2 ارتفاع عوائد عمليات التمويل الإسلامي مقارنة بعوائد التمويل الربوي، حيث شهدت الأخيرة تراجعاً ملحوظاً في معدلاتها بصورة متدنية شجعت البنوك التقليدية على طرق النوافذ الإسلامية، وربما التحول الكلي نحو المصرفية الإسلامية.

3 الإقبال الكبير والرضا العملي من قبل الأفراد والمؤسسات والحكومات كنتيجة للنجاحات الملحوظة التي حققتها المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، سواء من حيث معدلات الربحية، أو على صعيد الاقتصاد القومي، أو على الصعيد الاجتماعي الوطني، وقد أدرك المسؤولون في الدول الإسلامية وفي العالم أجمع أثر إسهام المصرفية الإسلامية في دفع عجلة التنمية، ذلك أن البنك الإسلامي يملك العديد من المنتجات والأدوات الاستثمارية المتنوعة والفاعلة، الأمر الذي يفسر لنا تسارع الدول بإقرار قوانين البنوك الإسلامية، وذلك في مقابل أحادية الاستثمار في البنوك "الربوية" وفق عملية "الإقراض والاقتراض" أو ما يسمى "المتاجرة بالديون".

4 تنامي الوعي الديني لدى الجماهير المسلمة بتحريم التعامل بالربا وأنه من أكبر الكبائر في الشريعة الإسلامية، كأثر من آثار الصحوة الإسلامية في تصحيح

المفاهيم، مما أدى إلى تحول شرائح كبيرة من العملاء في اتجاه البنوك الإسلامية، وهذا بدوره قد بات يشكل خطراً حقيقياً باتجاه تراجع الطلب على منتجات البنوك "الربوية".

5 تزايد أخطار عولمة الصناعة المصرفية والمتوقع أن يكون لها الأثر السلبي البالغ على أداء البنوك التقليدية.

لكن.. كيف سيكون للعولمة أثرها السلبي على البنوك التقليدية، وهل البنوك الإسلامية ستتضرر هي الأخرى بالعولمة؟

يرى خبراء المال والاقتصاد أن الاقتصاد الإسلامي بما يمتاز به من أدبيات ومبادئ رشيدة، بما في ذلك خاصية تحريم الربا يعد الملاذ الآمن والبديل الاستراتيجي لما هو متوقع من أخطار الاختراق العالمي لأسواق الائتمان المحلية والإقليمية، إذ إن مقتضى اتفاقيات تحرير التجارة العالمية أن يتم فتح الحدود للمنتجات الخارجية لتنافس المنتجات المحلية، ولا شك أن هذا الاختراق سيشمل القطاع المالي والمصرفي ومؤسساته المتمثلة في البنوك التقليدية المحلية والإقليمية القائمة على مبدأ الفائدة الربوية. وبطبيعة الحال فإنه في ظل هذه الاتفاقية ستجد البنوك التقليدية العالمية "الربوية" فرصة جيدة لمنافسة تلك البنوك المحلية الضعيفة نسبياً، لا سيما وأن البنوك العالمية تملك المراكز المالية القوية والخبرة الفنية والسمعة العالمية، كما تملك أفضل أنماط الخدمات المصرفية، كما يرى الخبراء أن هذه المنافسة غير العادلة وفقاً لسياسة الاقتصادات كبيرة الحجم ستؤثر سلباً على الحصة السوقية لشريحة عملاء البنوك التقليدية "الربوية"، حيث سيجد العملاء التباين الكبير في المزايا المقدمة ما بين البنوك المحلية والبنوك العالمية، مما سينعكس على انصرافهم وتخليهم عن تلك البنوك المحلية إلى البنوك العالمية، وحينئذ ستضطر البنوك المحلية إلى مواجهة أحد ثلاثة احتمالات.

الاحتمال الأول: الإغلاق تجنباً للخسائر الفادحة المتوقعة، أو الإفلاس.

الاحتمال الثاني: الاندماج مع بعض البنوك المحلية أو الإقليمية أو العالمية.

الاحتمال الثالث: التحول في اتجاه أسلمة معاملاتها والتزام أحكام قوانين البنوك الإسلامية.

ويرى الخبراء أيضاً أن المؤسسات المالية الإسلامية ممثلة في البنوك الإسلامية وشركات الاستثمار وشركات التأمين الإسلامية لن تتأثر بالمنافسة الأجنبية التقليدية "الربوية"، بل يتوقع الخبراء، على العكس من ذلك، أن الطلب على المعاملات الإسلامية سيزداد نتيجة تزايد معدلات التحول نحو أسلمة البنوك الربوية لمعاملاتها كاستراتيجية آمنة.. مقارنة بما يمكن أن تؤول إليه المؤسسات المالية التقليدية.

ما الفترة الزمنية اللازمة التي يستغرقها البنك التقليدي ليتحول إلى إسلامي؟

الحديث عن المدة الزمنية يقترن بالتحول الكلي وليس التحول الجزئي، والحقيقة أنه لا يمكن تحديد مدة زمنية محددة كأجل لأسلمة كامل عمليات البنك، ذلك أن تحديد الفترة الزمنية اللازمة للتحول تختلف بالنسبة لكل بنك، بحسب معطيات البنك وظروفه المالية وبيئته القانونية، إلا أن التجارب العملية للتحول تتفق على مبدأ المرحلية والتدرج في التحول كأساس استراتيجي، كما تتفق أيضاً على أن أسلمة أعمال البنك التقليدي بالكامل تستغرق في العادة مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، حتى يتسنى للبنك أن يطهر أعماله وأمواله ويلتزم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وعلى الرغم مما ذكرناه إلا أن الملاحظ من خلال تجارب التحول بمنطقة الخليج أن جميع البنوك الربوية التي تحولت نحو المصرفية الإسلامية، قد قفزت عوائدها بشكل كبير، كما تراجعت أخطارها التمويلية نتيجة تفوق آلية الضمانات وفق الصيغ الإسلامية، بل واستطاعت البنوك المتحولة بأدواتها التمويلية الجديدة والقائمة على مبدأ المشاركة في الربح والخسارة أن تلبي حاجات المستثمرين والمشروعات الجادة نظير أخطار متدنية مقارنة بأخطار التمويل الربوي الذي لا يراعي ظروف المستثمر فيما لو تعثر مشروعه لظروف خارجة عن إرادته، الأمر الذي عزز مصداقية البنوك الإسلامية والبنوك المتحولة نحو المصرفية الإسلامية.

كيف تمتد الفترة إلى هذا الوقت الطويل؟! أليس المفروض أن يتم التحول فوراً وبشكل مباشر؟

هذا صحيح من حيث أصل فكرة التحول فهي كما ذكرنا أصلها التوبة إلى الله والإقلاع عن كبيرة الربا، فقرار التحول يجب أن يكون فوراً بلا شك لأنه توبة والتوبة من الربا لا يجوز معها التراخي، لكن الأمر من الناحية الواقعية والعملية يستغرق

أجلاً طويلاً، وذلك نظراً لوجود عدد من الظروف والأحوال والإجراءات الفنية والقانونية التي لايمكن للبنك التقليدي أن يتخطاها إلا خلال عدة سنوات، بل إن محاولة تجاوزها فوراً قد يترتب عليه انهيار البنك بالكامل، ولذلك وجدنا المعيار الشرعي رقم (6) الصادر عن المجلس الشرعي بهيئة المحاسبة والمراجعة الإسلامية قد نص على "ضرورة الأخذ بمبادئ وقواعد السياسة الشرعية في التحول بما لا يؤدي إلى انهيار البنك بالكامل"، وبالتالي فإن تصور أن يتحول البنك الربوي إلى إسلامي بالكامل خلال شهر أو شهرين أو ثلاثة هو أمر غير واقعي ويتعذر تطبيقه عملياً.

ولنوضح ذلك فنقول: البنك الربوي مرتبط بالعديد من التعاملات مع الغير فيكون في بعضها دائناً بالربا ويكون في بعضها الآخر مديناً بالربا، وهو ما يعرف بالحقوق والالتزامات الربوية أو المتاجرة بالديون، وهي بطبيعة الحال علاقات قانونية مالية تخالف الشريعة الإسلامية، فإذا عرفنا أن البنك الربوي يعقد في اليوم الواحد آلاف العمليات ذات الصيغ والأشكال المتعددة، والتي تترتب عليها حقوق والتزامات وآثار قانونية ربوية بآجال مختلفة، فلا شك أن أسلمة هذا الكم الكبير من العمليات الربوية ذات الآجال والأشكال المختلفة سيستغرق وقتاً ومعالجة تمتد في بعض تطبيقاتها إلى ما يزيد على العشر سنوات، وذلك مثل التزامات البنك ومديونياته طويلة الأجل.

ماذا عن موقف الفقه الإسلامي المعاصر من قضية تحول البنوك الربوية وأسلمة أعمالها؟ وهل موقفه فيها واضح وصريح؟

بحمد الله تعالى، أثبتت الشريعة الإسلامية بثوابتها ومرونتها أنها قادرة على استيعاب كل متطلبات الحياة المالية والتجارية وبجدارة، والحقيقة أن هناك العديد من الأبحاث والدراسات الأكاديمية والحالات الميدانية التي عالجت قضية التحول نحو المصرفية الإسلامية، ولعل من أجودها وأشملها الرسالة العلمية بعنوان: "تحول البنوك الربوية إلى بنوك إسلامية" لسعادة أخي الدكتور سعود عبدالعزيز الربيعة... أستاذ الاقتصاد الإسلامي في جامعة الكويت، كما توجد بعض الأبحاث الموجزة التي رصدت بعض التجارب الميدانية مثل ورقة د.سعيد مرطان في تجربة التحول الجزئي للبنك الأهلي التجاري في المملكة العربية السعودية، هذا على الصعيد البحثي الفردي، وأما على صعيد الإسهامات المجمعية فقد أصدر المجلس الشرعي بهيئة المحاسبة والمراجعة

الإسلامية في مملكة البحرين المعيار الشرعي رقم (6) والذي يختص بالتحول الكلي، وهو معيار جيد إلا أنه مختصر جداً وخاص بالتحول الكلي فقط ويحتاج إلى تطوير وتفصيل.

وأما على الصعيد المهني المصرفي فقد قام مكتب المستشار الشرعي الدولي في دولة الكويت مؤخراً بإعداد استراتيجية عامة لإدارة متطلبات التحول نحو المصرفية الإسلامية باستيعاب المتطلبات الشرعية والفنية، كما تم تسجيل حقوق هذالمنتج ضمن برنامج حقوق الملكية في دولة الكويت.

وماذا عن التحول الجزئي؟

التحول الجزئي، يعرف باسم "النوافذ الإسلامية في البنوك الربوية" wendos وأول ما عُرفت هذه النوافذ بجمهورية مصر العربية وعرفت آنذاك باسم: "الشبابيك الإسلامية" التي كان البنك يخصصها داخل الفرع لتلبية حاجة العملاء الراغبين في هذا النوع من التعامل المتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، حيث يقدم البنك التقليدي خطوط تمويل وخدمات مصرفية واستثمارية وفق أحكام الشريعة الإسلامية، واليوم نجد أن النوافذ الإسلامية في البنوك الربوية قد أخذت صوراً متعددة، فمنها المحافظ والصناديق الإسلامية التي يطرحها البنك الربوي، ومنها أن يتفح البنك الربوي حسابات استثمارية وحسابات توفير تدار وفقاً لأحكام الشريعة، ومنها أن يخصص البنك فروعاً خاصة للمعاملات المصرفية الإسلامية.

لكن ما الحكم الشرعي لمثل هذه النوافذ الإسلامية، خاصة أنه في نهاية المطاف يمكن أن يختلط فيها الحلال مع الحرام؟

لا شك أن هذا التساؤل وجيه وفي محله، وفي نظري أن ممارسة العمل المصرفي الإسلامي في داخل البنك الربوي لا تخلو في كثير منها من التلاعب والتحايل والتضليل واستغلال الشعار الإسلامي، ولذلك ظهرت آراء فقهية معاصرة تحرم التعامل مع هذه النوافذ للأسباب التي أشرتم إليها، بل وجدنا بعض الفقهاء المعاصرين يطلق على هذه النوافذ اسم "نوافذ الضرار" قياساً على مسجد الضرار الذي بناه المنافقون تضليلاً وتحايلاً في زمن النبي {، في حين ذهب فقهاء آخرون إلى إباحة هذه النوافذ لأن فيها توسيعاً لدائرة المعاملات الحلال داخل البنك وتضيقاً

لدائرة الربا والمعاملات المحرمة، ولأن تكاثر المعاملات الحلال داخل البنك التقليدي ستثبت كفاءتها في الأجل الطويل بما يحمل البنك على التحول الكلي نحو الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية بالكامل.

ولكن ما رأيكم الشخصي في حكم التعامل مع هذه النوافذ؟

في الحقيقة أن الخبرة الاستشارية بمكتب المستشار الدولي قامت بدراسة هذه النازلة الفقهية المعاصرة دراسة فاحصة "وهي: حكم التعامل مع النوافذ الإسلامية بالبنوك التقليدية" وأخذت بعين الاعتبار كافة الجوانب القانونية والمالية والفنية إلى جانب النواحي الشرعية، وتوصلت إلى أن الحل الشرعي العملي لضبط هذه الممارسة ومنعها من الانحراف يكمن في تعزيز الجانب الرقابي الذي من شأنه جلب المصالح ودرء المفاسد تبعاً لسياسة الشريعة الإسلامية في المعاملات المالية، وانتهت الخبرة الشرعية بمكتبنا إلى أنه لا يجوز التعامل مع هذه النوافذ إلا إذا توافرت فيها ثلاثة شروط:

1 وجود رقابة شرعية على النافذة الإسلامية تتحقق من سلامة تنفيذ الأعمال وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

2 وجود رقابة مالية وفصل محاسبي تام لئلا يختلط الحلال بالحرام.

3 وجود رقابة مصرفية من البنك المركزي تحول دون التلاعب والتضليل واستغلال الشعار الإسلامي.

هل هناك تجارب سابقة تحولت فيها بنوك ربوية إلى بنوك إسلامية؟

نعم هناك العديد من تجارب التحول بنوعيه الكلي والجزئي حدثت بمنطقة الخليج والمنطقة العربية عموماً، بل حتى على الصعيد المصرفي الدولي، فمن تجارب التحول الكلي في منطقة الخليج تحول بنك الشارقة الوطني إلى بنك الشارقة الإسلامي، وتحول بنك أبوظبي، وتحول بنك الشرق الأوسط في الإمارات أيضاً، وأما تجارب التحول الجزئي "النوافذ الإسلامية"، فهي بحمد الله كثيرة جداً، بل نلاحظ حالياً أن البنوك الربوية في العالم الإسلامي تتسابق في طرح خدمات إسلامية جزئية تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، ولست أبالغ حين أقول إنه لا يوجد بنك ربوي اليوم لا يفكر بجدية في طرح منتجات إسلامية،

وأما على الصعيد الدولي فقد رأينا كيف أن البنوك العالمية اليوم باتت تتسابق في مجال ممارسة العمل المصرفي الإسلامي، مثل "سيتي بنك جروب" الذي قام بتأسيس فرع إسلامي خاص في مملكة البحرين، ومؤخراً تم تأسيس البنك الإسلامي البريطاني وهو حالياً قيد الاكتتاب... وهناك تحضيرات لعمليات تحول ما زالت قيد الدراسة.

لكن ما الدوافع الحقيقية من وراء التحول نحو المصرفية الإسلامية؟ هل هي دينية أم تجارية ربحية؟

بطبيعة الحال فإن دوافع التحول ليست بالضرورة دينية بحتة في جميع تطبيقاتها، بمعنى أن البنك حين يتخذ قراره بالتحول ليس بالضرورة أن يكون ذلك مستمداً من استشعاره معنى التوبة إلى الله والإقلاع عن تعاطي كبيرة الربا امتثالاً للشريعة الإسلامية، وإن كنا لمسنا سلامة هذا التوجه في عدد من النماذج المشرقة في هذا المجال، إلا أن الغالب أن تكون هذه الدوافع ذات أبعاد ربحية وتجارية بحتة بغض النظر عن الأبعاد الشرعية، وعموماً فإننا نعتقد أن الاعتبار الأهم في هذه الحالة هو مشروعية التعامل في ذاته بغض النظر عن نية المتعاملين، لأن آثار هذا التعامل تنعكس مباشرة على الاقتصاد والمجتمع، ولذلك تعامل النبي { مع غير المسلمين ولم يمنع ذلك مادام التعامل يتم طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، بل مات رسول الله { ودرعه مرهونة عند يهودي، هذا مع توافر الصحابة الذين يفدونه بأنفسهم وأموالهم، مما يدل على أن المعاملة وافقت الشرع في ذاتها، فالأصل صحتها ولا عبرة بالمتعاملين بها.

تحدثت عن التحول على الصعيد الخليجي والعالمي، ولكن ماذا عن التحول في السوق المصرفي الكويتي؟

الحقيقة أن تجارب التحول في السوق المصرفي الكويتي محدودة وضيقة، وقد حاولت بعض البنوك الربوية المحلية طرح منتجات إسلامية في صورة صناديق إسلامية، ويبدو أن معظمها قد تعثر لأسباب فنية لم أقف عليها حتى الآن، كما توجد بنوك كويتية متخصصة طرحت خطوط تمويل إسلامية بالتعاون مع بنوك إسلامية، إلا أن تجارب التحول في السوق المصرفي الكويتي لا يمكن الاعتماد عليها في تقييم التجربة لسبب بسيط وهو عدم توافر البيئة القانونية الملائمة، حيث إن بنك الكويت

المركزي قد اتخذ سياسة مصرفية حاسمة تقضي بمنع كافة أشكال الازدواجية في ممارسة العمل المصرفي إلا في حدود ضوابط وإجراءات مشددة تحافظ على مصداقية الخدمات الإسلامية وتمنع سوء استغلالها.

ولذلك فإن البنك العقاري سلك طريق التحول الكلي نحو المصرفية الإسلامية ما تقييمكم لهذا التحول؟

أحب أن أسجل تقديري الكامل للجهود الحالية المبذولة داخل البنك العقاري بهدف تحويله إلى بنك إسلامي، وأسأل الله أن يوفق القائمين على هذه التجربة الرائدة في دولة الكويت، فإننا نعتقد أن تنامي أعداد البنوك الإسلامية بمنزلة بوابة الأمن الاقتصادي والتنمية الحقيقية في أي اقتصاد يتطلع إلى مستقبل زاهر، وقد ثبت اليوم للحكومات الإسلامية والعربية أن الاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية هما الملاذ الآمن من أخطار العولمة الاقتصادية.

كما أنني أؤكد بأن الاقتصاديين التقليديين أنفسهم باتوا يشككون في جدية تحقيق البنوك الربوية للتنمية الاقتصادية المزعومة، بل على العكس من ذلك فإن العمل المصرفي التقليدي يعمل على تحقيق التخلف الاقتصادي الشامل كنتيجة حتمية ومباشرة لتعطيل التوظيف الأمثل لموارد الإنتاج، واحتباس المال عن الحركة الطبيعية في الاقتصاد.

وأما الحديث عن تقييم تحول البنك العقاري الكويتي، فإنه يجب التأكيد ابتداء على أن البنك رسمياً حتى الآن لم يتحول إلى بنك إسلامي، وإنما يقوم حالياً بالتحضير والاستعداد للتحول كمرحلة تمهيدية وفق خطة إجرائية معتمدة من قبل البنك المركزي، والمفترض أن تنتهي الخطة التحضيرية مع حلول أبريل 2005م.

=============

#هل العلمانية تتناقض مع الإسلام؟

محمد إبراهيم مبروك

هل العلمانية تتناقض مع الإسلام؟

هل من الممكن التوافق بين العلمانية والإسلام؟.

لو ذهبنا إلى أي فيلسوف من فلاسفة الغرب وقلنا له: هل من الممكن أن تتفق العلمانية التي تقتصر مرجعيتها على العقل وخبراته مع الإسلام الذي يجعل مرجعيته تبعاً للنصوص المقدسة لله والرسول؟

ترى ماذا سيكون رأيه فينا؟

ألا يكون السؤال بالنسبة له مشابهاً عن مدى اتفاق الليل والنهار، والعسل والسم، والشيوعية والرأسمالية، والمسيحية واليهودية، وأفلاطون وأرسطو، وابن تيمية وابن عربي، ومن في الداخل ومن في الخارج، والشرق والغرب، والشمال والجنوب، والموجب والسالب، والجمع والطرح، وكل ما هو متناقض في هذا العالم.

وماذا لو كررنا عليه السؤال؟ ألا يشك حينذاك في قوانا العقلية؟

وهل يوجد مفكر غربي واحد يزعم أن الإسلام يتفق مع العلمانية؟

أم أن أعاظم مفكري الغرب من أمثال هنتجتون، وفوكوياما، وبرنارد لويس يتفقون جميعاً على أن مشكلة الإسلام الأساسية مع الغرب هي في تناقضه مع العلمانية.

وإذا كانت المسألة واضحة كل تلك الوضوح بالنسبة لهم فكيف من الممكن أن تحتاج إلى فقه، أو اجتهاد، أو إفتاء بالنسبة لنا؟ أليس الأمر أشبه ما يكون بأن الواحد والواحد مجموعهما اثنان، وأن النقيضين لا يجتمعان، فالعلمانية بأي معنى من المعاني التي توردها المعاجم الغربية مثل معجم أكسفورد (الذي يورد من بين تعريفاتها: ينتمي إلى هذا العالم الآني والمرئي، أو يهتم بهذا العالم فحسب) أليس فحواها الذي لا يختلف عليه أحد أنها تجعل من العقل وخبراته مرجعيتها الوحيدة.

فهل من الممكن أن تتفق مع الإسلام الذي يقرر بما لا يقبل الجدل أن مرجعيته الأساسية هي في "قال الله وقال الرسول"، أليس تناقض هذا مع ذاك بديهة من البديهيات، لكن هذه المعاني الواضحة التي يتم طرحها بكل صراحة في الغرب يتم الالتفاف حولها بكل الأشكال والصور في الشرق، حتى إنه يمكن القول: أن الجانب الأساسي من تاريخ الحياة الفكرية في عالمنا الإسلامي في القرنين الأخيرين هو في الحقيقة يمثل تاريخ الاحتيال الفكري في ادعاء عدم التناقض بين العلمانية والإسلام، وكل الحوارات المفتعلة بين المسميات المختلفة مثل التراث والتجديد، أو الأصالة والمعاصرة، أو الإسلام والحداثة؛ ما هي في حقيقتها سوى تخريجات احتيالية لتمييع

الحدود الفارقة بين الإسلام والعلمانية، وهي تستهدف في الأساس تفكيك الإسلام من ثوابته ومقوماته وقواعده الأساسية، وإحالته لمجرد تراكم كمي من الأحكام يخضع للحذف والتعديل، والتأويل والتشكيل المتجدد بحسب المتغيرات العلمانية.

يا سادة إما أن يكون هناك منطق مشترك بين عقول الناس عليه يتفاهمون، أو لا يكون، فإذا كان هذا المنطق موجوداً وهو البديهة فإنه يقول أن الأساس دين شمولي لا يقبل التجزؤ أو التبعض على الإطلاق، وأي محاولة لفعل ذلك هي بمثابة الخروج منه تماماً، وذلك بحكم الآيات: ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم))، ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً))، ((أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تفعلون))، ((إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)).

أي أن العلمانية التي يطرحها أهلها الآن سواء بمعنى فصل الدين عن الدنيا، أو حتى فصل الدين عن الدولة؛ هي بمثابة دعوة لتجزيء الإسلام أو تبعيضه، ومن ثم فهي خروج عن الإسلام تماماً، وهذا ما حدا بالمفكر الإسلامي الراحل محمد البهي إلى أن يكتب كتاباً عن العلمانية عنوانه (العلمانية وتطبيقها في الإسلام: إيمان ببعض الكتاب، وكفر بالبعض الأخر).

وللدكتور محمد البهي على وجه الخصوص أهمية حاسمة في هذا الموضوع (موضوع موقف الإسلام من العلمانية) لأن الرجل يجمع بين الصفات المثلى لما قد تتطلبه جوانبه المختلفة (هذا على الفرض الوهمي الذي يفرضه البعض أن الموضوع يتطلبها، وإن كنا من جهتنا نرى أن الموضوع أقرب إلى البديهة التي لا تحتاج إلى أدنى تفكير) فالدكتور محمد البهي من الجانب الفلسفي حاصل على الدكتوراه من ألمانيا التي تمثل قمة الفلسفة الغربية في القرون الأخيرة، ومن الجانب الإسلامي هو عالم من علماء الأزهر الذين تدرجوا في مناصبه العليا حتى عين وزيراً للأوقاف في

عهد عبد الناصر، وهو من هذه الناحية أيضاً أحد رجال المؤسسة الرسمية الذين لا يمكن اتهامهم بالتطرف، ويضاف إلى ذلك أيضاً ما عرف عنه أيضاً من صلاح وحزم، ومن ثم فلا يمكن اتهامه بالموالاة لأحد، وأخطر صفاته التي تتعلق بالحديث الذي نحن بصدده أنه كان أحد أبناء مدرسة محمد عبده الفكرية التي يعول عليها العلمانيون كثيراً في تمييع العلاقة بين العلمانية والإسلام.

يقول الدكتور محمد البهي في كتابه هذا بعد أن عرض لشمولية الإسلام في جميع جوانب الحياة، وعدم قابليته للتجزؤ أو التبعض: "وبما عرضناه هنا من مبادىء الإسلام كما تذكرها آيات القرآن الكريم نجد أن الإسلام نظام شامل لحياة الإنسان، ومترابط في مبادئه، وفي تطبيقه، لا يقبل التجزئة بحال، وقصر التطبيق على جانب مثلاً في حياة الإنسان، أو على جانبين فأكثر من جوانب هذه الحياة دون باقي الجوانب الأخرى، معناه إفساح مكان لهوى الإنسان بجانب ما يطبق من مبادىء القرآن"، وشتان بين هوى الإنسان ووحي الله، "إن إخلاء مكان لهوى الإنسان في حكم الإنسان المسلم في مجتمع الإسلامي بجانب تطبيقه مجموعة من مبادىء القران في جانب أو في عدة جوانب من حياة الإنسان هو كفر ببعض الكتاب وهو القرآن، فيما أفسح فيه المجال للهوى...، وإيمان ببعضه الآخر فيما يطبق فيه القرآن.

فلو قصر تطبيق القرآن على أداء العبادات أو كما يقال على حياة المسجد، وأبعد عن مجالات الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية مثلاً كان إبعاد القرآن عن مجالات الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية كفر بمبادىء القرآن في هذه المجالات.

وكان حكم الإنسان المسلم في المجتمع الإسلامي يخضع للهوى أو للشيطان في المجالات التي يبعد فيها عن القرآن"(ص 19: 20).

ويقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه "الشورى لا الديمقراطية": "العلمانية فصلٌ للدين عن الدولة: كفر صريح"

ويقول الدكتور يحيى هاشم فرغل (رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالأزهر سابقاً) في كتابه (حقيقة العلمانية بين التخريب الخرافة): "إن العلمانية بمفهومها (المتسامح) والذي يكتفي بالفصل بين الدين والحياة قد لا تعنى الإلحاد في

العقيدة المسيحية، ولكنها تتطابق معه فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية سواء أخذناها بمفهومها المتسامح أو بمفهومها المتشدد - الذي يصر على القضاء على الدين -، غاية ما في الأمر أننا لا نحكم به - الإلحاد - على معتنق العلمانية مطلقاً، ولكننا نحكم به على أولئك الذين يصرون عليها بعد تعريفهم بهذا التطابق.

وهذا أيضاً ما صرحت به رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، حيث جاء في بيان لها عن نواقض الإيمان في فقرة خاصة موجهة إلى العلمانيين:

من اعتقد أن هدي غير النبي - صلى الله عليه وسلم - أكمل من هديه، أو إن حكم غيره عنده أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر ومن ذلك:

* اعتقاد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الله.

* أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين.

* أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى.

* القول بأن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر.

* اعتقاد أنه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله في المعاملات الشرعية أو الحدود أو غيرها، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمور، والربا والحكم بغير شريعة الله؛ فهو كافر بإجماع المسلمين.

ويقول الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني في كتابه (القصيبي والمشروع العلماني):

لا شك أن الإسلام يعتبر العلمانية كفراً وشركاً بالله - سبحانه وتعالى -، والسبب في ذلك هو كما يلي:

1- إن الإسلام هو دين التوحيد بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وهو يرفض الشرك في كل صورة من صوره، بل يرفض ذرائعه ووسائله ومن ثم فمبدأ العلمانية:

"دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله" مرفوض في الإسلام الذي ركنه الأساسي "لا إله إلا الله".

2- أن مفهوم العبادة في الدين الإسلامي أنها كل قول وعمل ظاهر أو باطن يتقرب به إلى الله - سبحانه وتعالى - كما قال - سبحانه -: ((قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)).

فالعبادة تشمل النشاط الإنساني بكل ما فيه، فلا يخلو شيء منه عن الأحكام الخمسة، حتى المباح يمكن أن يصبح قربة مأجور عليها بالنية الصالحة، أما العلمانية فتجعل أكثر شئون الحياة مما لا علاقة للدين به.

3- يجعل الإسلام العلمانية شركاً في الطاعة والاتباع، حيث أنها تعلن التمرد الكامل على تحكيم الشرع في شئون الحياة بعضها أو كلها، وهذا مفرق الطريق بينها وبين الإسلام قال - تعالى-: ((أفحكم الجاهلية يبغون))، وقال سبحانه: ((أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)).

4- يقول - سبحانه -: ((اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)) فاتخاذ الأولياء شرك بالله - سبحانه وتعالى -.

ومع كل ما سبق فإنهم يبتدعون دائماً شبهات جديدة تثار حول الموضوع قد نناقش بعضها في مقالات قادمة.

من أهم كتب المؤلف:

- الإسلام الليبرالي.
- الصراع بين الإسلام والغرب الأمريكي.
- موقف الإسلام من الحب بين الرجل والمرأة.

المصدر:http://www.islamicnews.net

===========

#العلمانية والدولة اليهودية ... عناق وإتفاق

أسامه إبراهيم سعد الدين
@yahoo.com444osamas

توجد علاقة وطيدة بين دخول العلمانية بلادنا وبين الاستيطان اليهودي في أرضنا، ولعل لهذه العلاقة مظاهرها

(1) العلمانية فكرة غربية غريبة عن العقل والفكر الإسلامي والكيان اليهودي نبته غريبة عن تربة بلادنا فهما أشبه بمرض السرطان حيث العلمانية ورم سرطاني أصاب مخ الأمة فأضعف مناعتها ومهد للإصابة بورم سرطاني آخر أصاب جسم الأمة(الكيان الصهيوني)

(2)الإرتباط الوثيق لكل منهما مع القوى الصليبية الغربية.

(3) وجود مرحبين ومشجعين للفكرتين من العالم الإسلامي وهذه العلاقة قديمة قدم العلمانية في بلادنا، ولعل أسباب تلك العلاقة هي أن العلمانية هي المسئولة عن تغييب الوعي الإسلامي الصحيح وإبعاده تماما عن إدراك خطورة قبول اليهود كشريك شرعي في أرضنا (فلسطين)، ولتوضيح ذلك نوجز تاريخ العلمانية في العالم الإسلامي والذي إرتبط به تاريخ الدولة اليهودية ونشأتها فقد مرت العلمانية بثلاث مراحل:

(1) الولادة (منشأ الفكرة وبدايات التطبيق)

(2) الفتوة والشباب (الاستعمار في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الاستقلال في الدول الإسلامية) (3)الشيخوخة والاحتضار (الحملة الصليبية الأخيرة على العراق).

المرحلة الأولى الولادة (منشأ الفكرة وبدايات التطبيق): يرجع كثير من الباحثين بدايات فكرة العلمانية إلى الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا فهو من وضع الفكرة (فكرة الغزو الفكري)، ثم جاء لويس الرابع عشر بعد أربعة قرون من الزمان ليجعل من تلك الفكرة هدفا قابلا للتحقيق، فعمل هو ووزيره كولبير على تجنيد العديد من الجواسيس من رهبان وقساوسة وسفراء بهدف دراسة أحوال المجتمعات الإسلامية ودراسة الفكر الإسلامي وبخاصة (فكر الإرجاء وفكر التصوف)، وبعد ظهور الفكرة وتحديد الهدف وتعبيد الطريق لتنفيذه ومروره، نرى بدايات التطبيق على يد "نابليون بونابرت " في حملته الصليبية الغاشمة على مصر وبلاد الشام فيما عرف في كتب التاريخ "الحملة الفرنسية "وقد كانت تلك الحملة متعددة الأهداف والغايات:

(1) التوسع الإمبراطوري الفرنسي وإستغلال خيرات الشرق.

(2) نقل المدنية الغربية (العلمانية) إلى البلاد الإسلامية وكسر الطوق العثماني عن بلاد مصر والشام.

(3) إحداث صدمة نفسية لدى المسلمين من رهبة شديدة من العسكرية الغربية إلى رغبة عاتية في تلك المدنية التي كانت سببا في قوة الآلة العسكرية.

(4) توطين اليهود فلسطين وهو ما عمل لأجله نابليون، فقد أراد خدمة يهود أوروبا بتوطين يهود الشرق فلسطين. ثم جاء بعد ذلك "محمد على وأبناؤه" وواصلوا مسيرة التغريب والعلمانية بطريقة أكثر مما كانت في عقل نابليون، وجاء الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882م كنتيجة طبيعية لسياساتهم الخاطئة.

(2) الفتوة والشباب: كانت الحملات الصليبية (الإستعمار) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أكثر وعيا وأوفر حظا عن سابقتها:

(1) ضعف الحمية والغيرة في نفوس المسلمين وإحساسهم بالإنكسار والهزيمة النفسية.

(2) غياب قيادات ربانية تعمل لصلاح الأمة ونصرتها.

(3) إقصاء الشريعة من الحكم.

(4) القدرة على تغريب التعليم والثقافة ووجود طبقة من المثقفين والأدباء تدعو لذلك.

(5) القدرة على إنهاء الخلافة الإسلامية نهائيا ذلك الرابط الذي يجمع المسلمين كوحدة واحدة من مشارق الأرض إلى مغاربها. وفى ظل هذا اللمعان والتوهج العلماني نرى "وعد بلفور" المشئوم والذي جعل من فلسطين موطنا لليهود، ومرة أخرى نرى القوى الغربية الصليبية الداعمة لتغريب وعلمانية بلادنا هي من تدعم الوجود اليهودي على أرضنا الإسلامية الطاهرة. ثم حاربت الجيوش العربية ذلك الوجود اليهودي المزعوم والمدعوم من القوى الغربية وذلك سنة 1948م وكانت الهزيمة المريرة للأمة لأنها حاربت بعيدة عن عقيدتها منتهجة نهجا علمانيا جاهليا هو "القومية العربية ". ثم رحل الإحتلال الصليبي العلماني عن بلادنا بعد أن وطد ومكن لليهود في فلسطين. وبعد أن تمكن من إعداد أتباعه وعملائه لقيادة البلاد فكان هذا التابع "وريث فى الحكم، شريك في العلمانية والتغريب" وسارت الأمة

خطوات وخطوات وأوغلت في وحل العلمانية والتغريب وهذه المرة تحت شعار آخر "القومية العربية" ولم تستطع إزاحة هذا الوجود اليهودي اللعين وإخراجه من أرضها، وكيف لها ذلك وهى تحاربه بعلمانية هي في الأصل توأم هذا التواجد اليهودي فهما" صنوان لا يفترقان بل زاد الطين بله وأصبح هذا الوجود اليهودي دولة ذات سيادة وسط بلادنا وهرولت الدول العربية والإسلامية لهذا الكيان لتقيم معه علاقات وإتفاقيات تقوى من شأنه وتعلى من قدره كل ذلك والعلمانية تستشري في بلادنا تحت مسميات عديدة (ليبرالية قومية وطنية) وكلها مسميات جاهلية بالية لم تحرك ساكنا، وخلال تلك الفترة رأينا قسوة الكيان الصهيوني معنا وإستباحته المعهودة لأموالنا ودمائنا وأبنائنا وأعراضنا وإعراضه عن كل المواثيق التي عقدناها معه، ورأينا تلك العلمانية الخبيثة عجزت عن تقديم الحل لنا بعد أن غيبت عقلنا وحرفت فكرنا عن ديننا فظللنا نتقلب في ظلمات جهلها سنين وسنين.

(3) الشيخوخة والإحتضار: مرت علينا خمسون عاما منذ رحيل الحملات الصليبية ضللنا فيها الطريق عن ديننا والذي هو غاية أمرنا، فعجزنا عن النصر ووقفنا مدهوشين تائهين يتخبط بعضنا بعضا، ننظر لحصاد تلك السنين بحسرة وأسى، إلى أن جاءت الحملة الصليبية الأخيرة على أفغانستان والعراق، ووجدناها حرب دينية قبل كل شيء أعادت لنا ماضينا وذكرتنا بمآسيه كما ذكرتنا بأن خلاصنا ونهضتنا في ديننا والتمسك به والعمل لأجله، ولأن الحرب دينية فقد خرصت ألسن العلمانيين بعد أن كانوا يبررون للحرب بدعاوى واهية كنشر الديمقراطية وإخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل.

2007-05-15

المصدر : http://www.islamselect.com

===========

#القاهرة تحاور أريك كاوفمان:

العلمانية أنهكت نفسها ولم تعد قادرة على إلهام أنصارها

6 /2/ 2007 م

أثار المقال الذي نشره الدكتور أريك كاوفمان في مجلة "روسبيكت" البريطانية ثم في مجلة "نيوزويك" الأمريكية حول نهاية العلمانية في أوروبا؛ الكثير من الجدل حول تفسيره المبنى على علم الديمغرافيا، والذي يركز على الدور الذي ستلعبه الصحوة الدينية، وعواقبها الديمغرافية من ميل المتدينين لإنجاب عدد أكبر من الأطفال في انحسار العلمانية في منتصف القرن الحادي والعشرين.

أهمية هذا المقال تكمن في مواكبتها لأحداث تشير بالفعل إلى نشاط اليمين الديني في أوروبا الغربية والولايات المتحدة، مما يثير العديد من التساؤلات حول ظاهرة تراجع العلمانية في هذه المجتمعات، والتي كانت تحديداً المهد الذي نشأ فيه الفكر الليبرالي العلماني، وسوف تنشر القاهرة ترجمة المقال في العدد القادم.

حول هذا المقال وهذه التساؤلات التي أثارها أجرت جريدة القاهرة هذا الحديث مع الدكتور أريك كاوفمان:

• أنت محاضر في العلوم السياسية وعلم الاجتماع لماذا اخترت حصرياً التفسير الديمغرافي لما تسميه بظاهرة انحسار العلمانية؟

ـ أغلب نظريات الدين والعلمنة لا تعطي الاهتمام الكافي لعلم وصف السكان أو الديمغرافيا، ولكنني أعتقد أنه في غاية الأهمية خاصة الآن، ونحن نرى أن العلمانية تفقد بعض ديناميكيتها في العديد من الدول الغربية عندما تتوقف عملية التغير الاجتماعي تصبح الديمغرافيا أكثر أهمية.

• مقالك الذي نشر في مجلة "بروسبيكت" بعنوان التناسل من أجل الله، وفي مجلة نيوزويك بعنوان عودة الإيمان، وفي حديث مع هيئة الإذاعة البريطانية بعنوان نهاية العلمانية يتحدث عن صحوة التدين لأسباب ديمغرافية، ما هو تعريفك للتدين والدين؟

ـ التدين تعريفه هنا هو الإيمان الخاص والمعتقدات الشخصية أكثر منه التدين بمفهوم ممارسة الطقوس الدينية السؤال الذي طرح في استطلاع الرأي الذي قمت به كان بالتحديد هل أنت إنسان متدين؟ وحصرت الإجابات بين "نعم"، "لا" أو أنا ملحد.

• هل تنطبق أطروحتك على المجتمعات غير الغربية والتي ما زالت تعمل من أجل التحديث وبها شريحة من المثقفين والمفكرين الذين يدعون إلى العلمانية؟

. إذا كانت العلمانية هنا تشير إلى علمنة المعتقدات الخاصة وليس فصل الدين عن الدولة؛ ففي هذه الحالة أعتقد أن أطروحتي تنطبق على المجتمعات غير الغربية، وبشكل ما أعتقد أن أطروحتي تنطبق أكثر على هذه المجتمعات، فعلى مدار فترة طويلة من الزمن كان الناس الأكثر ثراء، والأكثر حداثة؛ يكونون أسراً كبيرة نظراً لقدرتهم المادية والتي تؤهلهم للزواج في سن مبكرة، ونظراً لانخفاض معدل الوفيات بين أطفالهم، يبدو أن هذا الاتجاه انعكس تماماً في القرن العشرين عندما ينجب هؤلاء الناس الأكثر حداثة عدداً أقل من الأطفال، فإن عملية الحداثة بالتالي تواجه مأزقاً، وسيكون عليها أن تعمل جاهدة على تعويض هذه الخسارة الديمغرافية، ولذلك نرى أن هذه الظاهرة تؤدي إلى نمو المجتمعات السكانية التقليدية، والأكثر تديناً، ونرى هذا بالفعل يحدث في تركيا وإسرائيل ومصر.

العلمانية أنهكت نفسها:

•تحدثت عن الردة الدينية بين أبناء الشرائح المتدينة، وتوقعت أن تصل العلمانية إلى قمة نموها بين عامي 2035 و2045, ولكنك توقعت أن تكسب الصحوة الدينية المعركة في النهاية: لماذا تحديداً منتصف القرن الحادي والعشرين؟

ـ هذه التوقعات خاصة بفرنسا ومجتمعات أوروبا البروتستانتية، وهما المركز الذي بدأت منه العلمانية، وهما أيضاً الأكثر تقدماً بين الدول الغربية، سبب توقف عملية العلمنة سيكون 25% ديمغرافي، بمعنى أن الشرائح المتدينة ستستمر في إنجاب عدد أكبر من الأطفال عن الشرائح العلمانية، ولكنه سيكون 75% اجتماعي بمعنى أن عدد أقل من الناس المتدينين المنتمين لأجيال ما بعد 1945م ستختار اتجاه العلمانية، وحتى إن كان تدينهم تديناً في إطار عام وليس في إطار الممارسة الفعلية للشعائر الدينية فإنهم سينقلون هذا التدين إلى أولادهم، هذا وينبغي أن نلاحظ أن الديمغرافيا ستزداد أهميتها عندما نضيف عامل الهجرة، فالواقع يشير إلى أن عدد السكان في أوروبا الغربية ينخفض بالفعل بدون أن تأخذ في الاعتبار أعداد المهاجرين، وانخفاض عدد السكان سيزداد، حيث أن معدل الإنجاب انخفض في الثلاثين عاماً الأخيرة 2.1 إلى 1.5 طفل لكل امرأة.

عدد سكان أوروبا الغربية حالياً يحوي 5% من ذوي الأصول غير الأوروبية، ولكن هذه النسبة ستصل إلى ما بين 15 إلى 25% نحو عام 2050، وهذه الزيادة ستنعكس بشكل سكان أكثر تديناً من السكان الأصليين لأوروبا، وهو بالتالي الأمر الذي سيرفع نسبة التدين في أوروبا بشكل عام.

• البعض انتقد أطروحتك اعتقاداً منهم بأن التفسير الديمغرافي وحده لا يكفي لشرح انحسار العلمانية أنه لا بد من مراعاة عوامل أخرى، ما تعليقك؟

. أتفق على أن لديهم وجهة نظر جزء مما يحدث هو أن القوى الديمغرافية تغيرت في القرن العشرين لصالح الشرائح المتدينة، ولكن ما يحدث أيضاً هو أن العلمانية أنهكت نفسها، لقد أصبحت كفكرة قديمة يجب أن تبرر نفسها، ولا يبدو أنها لا تزال قادرة على إلهام متبعيها، إذا نظرنا إلى ما يكتبه المفكرون الليبراليون ستجد أن العديد منهم يوجهون النقد العلني للعلمانية لأنها أصبحت تمثل نسخة قديمة وعقيمة، وستجد أن هؤلاء يفضلون على سبيل المثال التعددية الثقافية والتي تتعامل بتسامح أكبر مع التنوع الديني، والتعدد الأخلاقي؛ لأن هذا التسامح أكثر حيوية.

قد يكون هناك أيضاً جزء خاص بوجود حدود سيكولوجية لدرجة العلمنة التي يمكن أن يتوصل إليها البشر، فالبشر في النهاية في حاجة إلى الاستمرارية والأمان الوجودي، والخلود وتحقيق معنى... إلخ.

• لقد أشرت إلى ظاهرة ازدياد عدد المورمون عن اليهود في الولايات المتحدة كمثال للخصوبة الدينية أو التناسل من أجل الله، هناك مثل مشابه في ازدياد عدد الفلسطينيين عن اليهود في الأراضي المحتلة، هل ترى أن هناك وجهاً للمقارنة بين الحالتين؟

ـ نعم ففي كلتا الحالتين تلعب القوى الديمغرافية دوراً سياسياً، حيث إن الأعداد لها وزنها وخاصة مع وجود الديمقراطية، هناك فرق واحد يجب أن أشير إليه وهو أن حافز الفلسطينيين لزيادة الخصوبة سياسي في المقام الأول، بينما أن حافز طائفة المورمون فهو حافز ديني.

الإسلام الأوروبي:

تلعب الهجرة دوراً مهماً في تفسيرك لانحسار العلمانية، ولكن يبدو لي أنها تلعب دوراً أقل أهمية من الصحوة الدينية لدى السكان البيض، ألا تخشى أن يساء فهم أطروحتك على أنها تدق ناقوس الخطر ضد نمو الإسلام الأوروبي؟

ـ التأثير الرئيسي على المدى البعيد سيكون للدور الذي سيلعبه السكان البيض، حيث سيعكس المسيحيون ارتفاعاً في معدلات إنجابهم لأسباب دينية، أعتقد أيضاً أن نمو الإسلام الأوروبي سيكون قوة لها وزنها وأهميتها، ما أريد أن أقوله هو أن القوتين معاً ستؤديان إلى زيادة تيار التدين، وأنه إذا انضم المسيحيون البيض إلى المسلمين المتدينين فإنه من الممكن أن يحدثوا تغيراً اجتماعياً مشابهاً لما حدث في الولايات المتحدة عندما انضم المسيحيون الإنجيليون البروتستانت مع الكاثوليك التقليديين، واليهود المحافظين، ووحدوا قواهم في الثمانينات والتسعينيات لزج أجندة دينية على طاولة الحزب الجمهوري لا يمكن أن ننسى أن هذه الطوائف كانت من القوى المعارضة السابقة، وبالتالي لم يكن عرضاً أن يشغل جون كينيدي منصب أول رئيس كاثوليكي للولايات المتحدة عام 1960م بعد قرابة المائتي عام على تأسيسها.

• كيف ترى الدور الذي يلعبه الإسلام الأوروبي فيما يخص انحسار العلمانية؟ هل يمكن مقارنته بالدور الذي يقوم به المسيحيون الإنجيليون؟

ـ لا أعتقد أن الإسلام الأوروبي سيتزعم القوى المؤدية إلى انحسار العلمانية، ولكن المسلمين الأوروبيين من الممكن أن يكونوا حلفاء مؤثرين للمسيحيين المتدينين الذين يعملون لمجابهة المدى العلماني، وأتذكر أنني سمعت ذات مرة في مناظرة إسلامية في بريطانيا واحداً من المسيحيين الإنجيليين يطالب شباب بريطانيا المسلمين بالنهوض والإدلاء بأصواتهم لمن يعملون على مقاومة القوى العلمانية، لا ينبغي لنا أن نقلل من أهمية الحدة التي يرفض بها المسيحيون المتدينون العلمانيين إلى الدرجة التي تجعلهم مستعدين لضم قواهم السياسية مع الجماعات الإسلامية.

• هل ترى أن هناك صراعاً بين الدين والعلمانية أم أن انحسار العلمانية سيحدث تدريجياً بسبب التغيرات الديمغرافية؟

ـ أعتقد أن الديمغرافيا ستسبب أزمة للعلمانية الليبرالية، المجتمع الحالي الذي نعيشه والذي يجمع بين تسامح رسمي تجاه التنوع الديني والثقافي، وبين علمانية متضمنة

سيظهر متناقضاته عما قريب، العلمانية ستضطر لإيجاد لغة مجتمع مشترك، ومعنى يمكن أن يلهم الناس بنفس الطريقة التي يلهمهم بها الدين، فيما مضى كانت الوطنية المنافس الرئيسي للدين، ولكن الليبرالية الآن تخلت عن مفهوم القومية، وتبنت التعددية الثقافية، لا أعتقد أن الأمور ستستمر كثيراً على هذا الحال.

فكر ثقافي محافظ:

• تحدثت عن التحالفات بين الطوائف المختلفة فيما يخص القيم والأفكار المحافظة هل ترى أي أمل لهذه التحالفات الآن في ظل الأزمات السياسية في الشرق الأوسط والحرب الشاملة على الإرهاب؟

ـ الإمكانية موجودة لأن المناخ العام اليوم يسمح بمناقشة الدين بشكل أوسع من مناقشة القوميات والعرقيات، الليبراليون لن يرحبوا بفكرة أن يقوم المحافظون ببناء تحالفات طائفية على أسس دينية، ولكنهم سيرون أنه هذه سياسة أكثر تقدمية من الحركات المحافظة المبنية على أسس قومية تعبئ المسيحيين والليبراليين ضد الآخر غير الأوروبي.

ولذلك أعتقد أن الضغط الاجتماعي سيؤدي إلى فكر ثقافي محافظ من أجل تعبئة المجتمع على أسس دينية، لقد حدث هذا في السياسية الأمريكية عندما اتحد اللاتينيون، والبروتستانت البيض، والكاثوليك البيض، واليهود في ائتلاف ديني على الرغم من الفروقات الواضحة بينهم، جزء من السبب يرجع إلى أن الأمريكيين الليبراليين كانوا غاية في الفعالية في وصف الحركات العلمانية القومية التي تتمركز حول البروتستانت البيض بالعنصرية، نرى هذا يحدث الآن من خلال الحزب الجمهوري، حيث إن نخبة الحزب تحاول أن تحافظ على رؤيتها الدينية، وعلى رغبتها في اجتذاب الأمريكيين من الأصول اللاتينية عن طريق تجاهلها للدعوات المنادية إلى الحد من الهجرات اللاتينية إلى الولايات المتحدة.

• كيف ترى مستقبل نظريات العلمانية السائدة والتي لها ثقلها الأكاديمي على مدى حقبة طويلة من الزمن؟

. أعتقد أن العلمنة ستستمر في الدول الأكثر تديناً مثل الولايات المتحدة، توجد زيادة في عدد السكان العلمانيين في نفس الوقت الذي يحدث فيه ازدياد في نمو الشرائح

المتدينة مما يؤدي إلى تضاؤل الشريحة الوسطية، بالإضافة إلى ذلك سينتهي الحال بالشرائح العلمانية بالتضاؤل التدريجي بسبب الانخفاض الديمغرافي، مما يرجح كفة المتدينين على المدى البعيد.

في أوروبا الكاثوليكية ستستمر العلمنة بشكل يفوق النمو الديمغرافي للمتدينين لبعض الوقت، لكن هذا الاتجاه سيصل إلى منحدر في وقت ما من القرن الحادي والعشرين، يبدأ بعده في التراجع، في العالم غير الغربي أتوقع أن تستمر محاولات التنمية والتحديث، والنمو الحضري والتعليم، ولكن هذا لن يستطيع مواكبة النمو المتزايد للمجتمعات السكانية المتدينة، أراهن على أن عدد العلمانيين سيزداد، ولكن في الوقت نفسه سيزداد عدد المتدينين المناهضين للعلمنة التي سيتم وصفها كأحد واردات المجتمعات الغربية، ولذلك سيتحول القرن الحادي والعشرين إلى قرن يهد صحوة دينية أكبر مما شهده القرن العشرين.

المصدر:http://www.alrased.net

=============

#العلمانية

إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي

التعريف:

العلمانية SECULArISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل(*) ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين(*). وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر. أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة (*). وهذا واضح فيما يُنسب إلى السيد المسيح(*) من قوله: "إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله". أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [سورة الأنعام: آية: 162].

التأسيس وأبرز الشخصيات:

• انتشرت هذه الدعوة في أوروبا وعمت أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي. وقد أدت ظروف كثيرة قبل الثورة (*) الفرنسية سنة 1789م وبعدها إلى انتشارها الواسع وتبلور منهجها(*) وأفكارها وقد تطورت الأحداث وفق الترتيب التالي:

– تحول رجال الدين إلى طواغيت (*) ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الإكليروس(*) والرهبانية(*) والعشاء الرباني(*) وبيع صكوك الغفران.

– وقوف الكنيسة (*) ضد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيلها لمحاكم التفتيش واتهام العلماء بالهرطقة، مثل:

1– كوبرنيكوس: نشر سنة 1543م كتاب حركات الأجرام السماوية وقد حرمت الكنيسة هذا الكتاب.

2– جرادانو: صنع التلسكوب فعُذب عذاباً شديداً وعمره سبعون سنة وتوفي سنة 1642م.

3– سبينوزا: صاحب مدرسة النقد التاريخي وقد كان مصيره الموت مسلولاً.

4– جون لوك طالب بإخضاع الوحي(*) للعقل(*) عند التعارض.

ظهور مبدأ العقل والطبيعة(*):

فقد أخذ العلمانيون يدعون إلى تحرر العقل وإضفاء صفات الإله(*) على الطبيعة.

– الثورة(*) الفرنسية:

نتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة(*) من جهة وبين الحركة الجديدة من جهة أخرى، كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة 1789م وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب. وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم.

– جان جاك روسو سنة 1778م له كتاب العقد الاجتماعي الذي يعد إنجيل الثورة، مونتسكيو له روح القوانين، سبينوزا (يهودي) يعتبر رائد العلمانية باعتبارها منهجاً(*) للحياة والسلوك وله رسالة في اللاهوت(*) والسياسة، فولتير صاحب القانون الطبيعي كانت له الدين(*) في حدود العقل وحده سنة 1804م، وليم جودين 1793م له العدالة السياسية ودعوته فيه دعوة علمانية صريحة.

– ميرابو الذي يعد خطيب وزعيم وفيلسوف الثورة الفرنسية.

– سارت الجموع الغوغائية لهدم الباستيل وشعارها الخبز ثم تحول شعارها إلى (الحرية(*) والمساواة والإخاء) وهو شعار ماسوني و"لتسقط الرجعية" وهي كلمة ملتوية تعني الدين وقد تغلغل اليهود بهذا الشعار لكسر الحواجز بينهم وبين أجهزة الدولة وإذابة الفوارق الدينية وتحولت الثورة(*) من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه.

– نظرية التطور: ظهر كتاب أصل الأنواع سنة 1859م لتشارلز دارون الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب وقد جعلت الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها. وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد(*) وقد استغل اليهود هذه النظرية بدهاء وخبث.

– ظهور نيتشة: وفلسفته التي تزعم بأن الإله(*) قد مات وأن الإنسان الأعلى (السوبر مان) ينبغي أن يحل محله.

– دور كايم (اليهودي): جمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظرية العقل الجمعي.

– فرويد (اليهودي): اعتمد الدافع الجنسي مفسراً لكل الظواهر. والإنسان في نظره حيوان جنسي.

– كارل ماركس (اليهودي): صاحب التفسير المادي للتاريخ(*) الذي يؤمن بالتطور الحتمي(*) وهو داعية الشيوعية ومؤسسها الأول الذي اعتبر الدين أفيون الشعوب.

– جان بول سارتر: في الوجودية وكولن ولسون في اللامنتمي: يدعوان إلى الوجودية والإلحاد.

– الاتجاهات العلمانية في العالم العربي والإسلامي نذكر نماذج منها:

1– في مصر: دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون بونابرت. وقد أشار إليها الجبرتي في تاريخه الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر وأحداثها بعبارات تدور حول معنى العلمانية وإن لم تذكر اللفظة صراحة. أما أول من استخدم هذا المصطلح العلمانية فهو نصراني يُدعى إلياس بقطر في معجم عربي فرنسي من تأليفه سنة 1827م. وأدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي سنة 1883م، وكان هذا الخديوي مفتوناً بالغرب، وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا.

2– الهند: حتى سنة 1791م كانت الأحكام وفق الشريعة الإسلامية(*) ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة بتدبير الإنجليز وانتهت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر.

3– الجزائر: إلغاء الشريعة الإسلامية(*) عقب الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

4– تونس: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة 1906م.

5– المغرب: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة 1913م.

6– تركيا: لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة(*) واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك، وإن كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة.

7– العراق والشام: ألغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيهما.

8– معظم أفريقيا: فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الاستعمار(*).

9– أندونيسيا ومعظم بلاد جنوب شرقي آسيا: دول علمانية.

10– انتشار الأحزاب(*) العلمانية والنزعات القومية: حزب البعث، الحزب القومي السوري، النزعة الفرعونية، النزعة الطورانية(*)، القومية العربية.

11- من أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: أحمد لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، عبد العزيز فهمي، ميشيل عفلق، أنطون سعادة، سوكارنو، سوهارتو، نهرو، مصطفى كمال أتاتورك، جمال عبد الناصر، أنور السادات صاحب شعار "لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين"، د. فؤاد زكريا. د. فرج فودة وقد اغتيل بالقاهرة مؤخراً، وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات:

• بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً.

- وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

• الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل(*) والتجريب.

• إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة(*)، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

- فصل الدين(*) عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

- تطبيق مبدأ النفعية Pragmatism على كل شيء في الحياة.

- اعتماد مبدأ الميكيافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق(*).

- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الإجتماعية.

- أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفضل الاستعمار(*) والتبشير فهي:

- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة(*).

- الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

- الزعم بأن الفقه (*) الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.

- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

- تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات(*) الهدامة في التاريخ الإسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح.

- إحياء الحضارات القديمة.

– اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

– تربية الأجيال تربية لا دينية.

• إذا كان هناك عذر ما لوجود العلمانية في الغرب فليس هناك أي عذر لوجودها في بلاد المسلمين لأن النصراني إذا حكمه قانون مدني وضعي(*) لا ينزعج كثيراً ولا قليلاً لأنه لا يعطل قانوناً فرضه عليه دينه وليس في دينه ما يعتبر منهجاً للحياة، أما مع المسلم فالأمر مختلف حيث يوجب عليه إيمانه الاحتكام إلى شرع الله. ومن ناحية أخرى فإنه إذا انفصلت الدولة عن الدين بقى الدين النصراني قائماً في ظل سلطته القوية الفتية المتمكنة وبقيت جيوشها من الرهبان(*) والراهبات والمبشرين والمبشرات تعمل في مجالاتها المختلفة دون أن يكون للدولة عليهم سلطان بخلاف ما لو فعلت ذلك دولة إسلامية فإن النتيجة أن يبقى الدين(*) بغير سلطان يؤيده ولا قوة تسنده حيث لا بابوية له ولا كهنوت(*) ولا أكليروس(*)، وصدق الخليفة الثالث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – حين قال: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

الجذور الفكرية والعقائدية:

• العداء المطلق للكنيسة(*) أولاً، وللدين ثانياً أيًّا كان، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه.

• لليهود دور بارز في ترسيخ العلمانية من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

• يقول ألفرد هوايت هيو: "ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين" وهذا القول إن صح بين العلم واللاهوت(*) في أوروبا فهو قول مردود ولا يصح بحال فيما يخص الإسلام حيث لا تعارض إطلاقاً بين الإسلام وبين حقائق العلم، ولم يقم بينهما أي صراع كما حدث في النصرانية. وقد نقل عن أحد الصحابة قوله عن الإسلام: "ما أمر بشيء، فقال العقل(*): ليته نهى عنه، ولانهى عن شيء، فقال العقل: ليته أمر به". وهذا القول تصدقه الحقائق العلمية والموضوعية وقد أذعن لذلك صفوة من علماء الغرب وأفصحوا عن إعجابهم وتصديقهم لتلك الحقيقة في مئات النصوص الصادرة عنهم.

- تعميم نظرية (العداء بين العلم من جهة والدين من جهة) لتشمل الدين الإسلامي على الرغم من أن الدين الإسلامي لم يقف موقف الكنيسة ضد الحياة والعلم بل كان الإسلام سباقاً إلى تطبيق المنهج(*) التجريبي ونشر العلوم.

• إنكار الآخرة وعدم العمل لها واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات.

• لماذا يرفض الإسلام العلمانية:

- لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتباره مكوناً من جسم وروح فتهتم بمطالب جسمه ولاتلقي اعتباراً لأشواق روحه.

- لأنها نبتت في البيئة الغربية وفقاً لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية وتعتبر فكراً غريباً في بيئتنا الشرقية.

- لأنها تفصل الدين(*) عن الدولة فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية.

- لأنها تفسح المجال لانتشار الإلحاد(*) وعدم الإنتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والانحلال.

- لأنها تجعلنا نفكر بعقلية الغرب، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على أخلاقيات المجتمع ونفتح الأبواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة، وتبيح التعامل بالربا وتعلي من قدر الفن للفن، ويسعى كل إنسان لإسعاد نفسه ولو على حساب غيره.

- لأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي من إنكار الحساب في اليوم الآخر ومن ثم تسعى لأن يعيش الإنسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة للغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة وتنازع البقاء ويصبح صوت الضمير عدماً.

- مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتُهمل أمور الغيب من إيمان بالله والبعث والثواب والعقاب، وينشأ بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص.

الانتشار ومواقع النفوذ:

• بدأت العلمانية في أوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة(*) الفرنسية سنة 1789م. وقد عمت أوروبا في القرن التاسع عشر وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار(*) والتبشر.

يتضح مما سبق:

• أن العلمانية دعوة إلى إقامة الحياة على أسس العلم الوضعي والعقل(*) بعيداً عن الدين الذي يتم فصله عن الدولة وحياة المجتمع وحبسه في ضمير الفرد ولا يصرح بالتعبير عنه إلاَّ في أضيق الحدود. وعلى ذلك فإن الذي يؤمن بالعلمانية بديلاً عن الدين ولا يقبل تحكيم الشرعية الإسلامية(*) في كل جوانب الحياة ولا يحرم ما حرم الله يعتبر مرتداً ولا ينتمي إلى الإسلام. والواجب إقامة الحجة عليه واستتابته حتى يدخل في حظيرة الإسلام وإلا جرت عليه أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة.

مراجع للتوسع:

- جاهلية القرن العشرين، محمد قطب.
- المستقبل لهذا الدين، سيد قطب.
- تهافت العلمانية، عماد الدين خليل.
- الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين.
- العلمانية، سفر بن عبد الرحمن الحوالي.
- تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبد الله عنان.
- الإسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب.
- الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.
- الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية، محمد المبارك.
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي.
- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، د. يوسف القرضاوي.
- العلمانية: النشأة والأثر في الشرق والغرب، زكريا فايد.

- وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية للخروج من دائرة الكفر الاعتقادي، د. محمد شتا أبو سعد، القاهرة، 1413هـ.
- جذور العلمانية، د. السيد أحمد فرج دار الوفاء المنصورة 1990م.
-علماني وعلمانية، د.السيد أحمد فرج بحث ضمن المعجمية الدولية بتونس 1986م.
المصدر : http://saaid.net

============-

#العلمانية وسيلة الغرب لتمكين الطائفية في العالم العربي

د. محمد يحيى

28جمادى الآخرة 1427هـ الموافق له 24 يوليو 2006م

تتزعم جهات مرتبطة بأوروبا وأمريكا حركة العلمانية والعلمنة في العالمين العربي والإسلامي، وتعمل هذه الجهات على نشر العلمانية، والترويج لها بأساليب يكاد يعجز المتابع عن ملاحقتها، مع تعددها وتشعبها.

فمراكز الأبحاث والدراسات تخرّج يومياً الكثير من الأوراق والأبحاث تحبّذ العلمانية كبديل عن الإسلام, والتي تحبذ علمنة الإسلام بإفراغ محتواه الديني أو المقدس - كما يسمى -، وتحويله إلى مجرد كم ثقافي وضعي هو بحاجة ماسة إلى نقل الفكر الليبرالي الغربي البراجماتي المسيطر في أشكاله الراهنة كي يستطيع مواكبة العصر، ومجرد البقاء، وتضخ أموال ما يسمى بالمعونات والمساعدات الغربية لتشجيع أصوات ونخب محلية على الترويج للعلمانية، كما يستخدم النفوذ الغربي - وبالذات الأمريكي - لتشجيع أو إجبار الحكومات والأنظمة القائمة على إرساء العلمانية في كل نواحي الحياة في بلادهم، والتحول إليها، مع التغريب في المجالات القانونية والدستورية كمدخل إلى سائر النشاطات الحياتية والاجتماعية على مستوياتها المختلفة، وتكثر الكتابات والمواد الإعلامية الموجهة لدعم العلمانية، وطرح الالتزام بها باعتبارها العلاج والحل السحري لشتى قضايا ومشكلات المجتمعات... إلخ.

ولكن في خضم هذا الطوفان القادم من الغرب - وعلى الأخص الأوروبي الذي يدعو إلى العلمانية - نجد مصاحباً له زخماً آخر لا يقل قوة يصب في اتجاه الطائفية, بمعنى تشجيع ودعم الهوية الدينية للأقليات غير المسلمة على امتداد العالم

العربي والإسلامي, حيث أصبحت الجهات الغربية – وبالذات الأمريكية – تلح على قضية ما يسمى بالأقليات الدينية في العالم العربي، تصر على طرح هذه القضية دينية الطابع، والقائمة على توكيد الهوية والانتماء الديني على كل أجندات العمل في المنطقة, بل وفرضت هذه القضية على أجندات العمل الداخلية للأنظمة، والنخب المؤثرة والثقافية في العالم العربي.

ولما كان طرح هذه القضية يقوم بشكل بحت على التأسيس الديني المحض للهوية، ومفهوم الطائفة؛ فإننا نجد أنفسنا مواجَهين بتناقض جوهري لا يبدو أن الغرب أو أحداً في المنطقة العربية الإسلامية يهتم بمناقشته, ناهيك عن أن ينتقده ويكشفه.

الرسالة الموجهة من الغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي إلى العالم الإسلامي الآن تقوم على أساس وجوهر هو تنحية الدين 'أي الإسلام' وإقصاؤه عن كافة نواحي الحياة تحت مسمى شامل هو العلمانية, ومن خلال عملية شاملة هي العلمنة بمراحلها ودرجاتها، ولكن في نفس الوقت يوجه رسالة أخرى إلى العالم الإسلامي – وعلى وجه الخصوص إلى الأقليات الدينية –, بل وبعض المذاهب داخل الدين الإسلامي الواحد مفادها توكيد الهوية الدينية، وإبرازها وإعلاؤها، واتخاذها عامل تأسيس للكيان الموحد وللقومية، وللوجود المدني والاجتماعي والسياسي في مقابلة الكيانات الأخرى.

وفي الحالتين يتم تبرير الرسالة الموجهة على أساس أن الطريق المنصوص عليه فيها هو السبيل الأوحد والأنجح والأضمن لتحقيق قيم جوهرية مثل: العدالة والمساواة والحرية، والديمقراطية والاستنارة والعقلانية، والتقدم والحداثة وما شابه، وهكذا فإن السبيل الأوحد للوصول إلى هذه الأهداف العليا وغيرها يمر في الواقع وحسب الرسالة أو الخطاب الغربي المزدوج عبر سبيلين في آن واحد؛ أولهما: هو إقصاء الدين عند الأغلبية, والآخر هو إعلاء الدين عند الأقلية، فعند الأولين يطلب تأسيس الكيان على غير الدين إن لم يكن على ضده، وعند الآخرين يطلب تأسيس الكيان على الدين.

والمشكلة هي أن النخب الخارجية والمحلية التي تقوم الآن على الترويج لهذا الخطاب الغربي المزدوج لا تشعر بوجود أية مشكلة فيه, بل ولا تقبل أي صوت

يرتفع لكي ينتقد هذا الخطاب أو الإشارة إلى ذلك التناقض، ولعل أفدح نموذج لهذا الوضع برمته هو ما يحدث الآن في مصر 'وليست العراق ببعيد, ولكن ربما يتسع المجال لها في وقت آخر', حيث نجد أن قطاعاً مؤثراً أو بالأصح ذا نفوذ نتيجة للالتصاق بالسلطة يبشر بعلمنة المجتمع، وفرض العلمانية في كل شيء، بينما يزيد على الجانب الآخر التعامل مع ما أصبح يسمى بالمشكلة القبطية المسيحية على أساس طائفي ديني بحت.

فمن ناحية تطلب هذه النخبة من المسلمين وهم غالبية المصريين أن يتخذوا العلمانية بمعنى إقصاء الدين عن الدولة، وعن القانون، وعن المجال العام الاجتماعي والثقافي والسياسي.. إلخ نبراساً لهم كهدف أسمى للإصلاح المزعوم، ومن الناحية الأخرى تتفاعل هذه النخبة مع الأقلية المسيحية في مصر على أنها كيان قوي منفصل أساس تكوينه هو العقيدة والدين, كما أن مفتاح التعامل معه يكون في الاعتراف بقيادة ممثّلة له ومجسّدة له ومعبرة عنه هي الكنيسة الأرثوذكسية القبطية, وإضافة إلى ذلك فإن النخبة ترى أن أساس تدشين ذلك الكيان ونهضته هو التمسك بكل أمور الدين وإحيائها، وبناء ثقافته وهويته، ومحددات نشاطه عليها، ولا يشعر أحد من هذه النخبة 'وهذا طبيعي فهم ينقلون عن الغرب، وهم يؤدون دوراً محدداً' بأي تناقض هنا.

والواقع أنه من وجهة نظر معينة فلا يوجد تناقض على الإطلاق, بل يوجد تناغم وانسجام، ووجهة النظر الوحيدة هذه هي المصلحة الغربية العليا التي تريد أن تقضي على الإسلام في بلاده، وتتخذ من العلمانية الأداة الكبرى في سبيل تحقيق ذلك، ونفس وجهة النظر أو المصلحة القريبة 'وهي كذلك مصلحة وكلاء الغرب وعملائه' تقضي بأن يجري تحفيز ودفع قوى داخل البلاد الإسلامية تعمل كقوى مواجهة مع الهوية الإسلامية.

وقد وقع الاختيار في بعض البلاد الإسلامية على الأقليات غير الإسلامية لأسباب تتراوح من الحجم إلى التاريخ والإمكانية، ولكن لكي تقوم هذه الأقليات بدور المواجهة مع الوطن الإسلامي كان لا بد من حدوث أمرين أساسيين؛ أولهما هو نزع هذه الأقليات من الاندماج والولاء الذي دخلت فيه في الوطن الإسلامي، وتحويل هذا

الولاء إلى الغرب, والأمر الثاني المتصل به هو تحديد هوية وكيان قوي لهذه الأقليات يمكن الإشارة إليه لرفض الوطن الإسلامي ومواجهة هويته, وكان الشيء الذي طرح نفسه بسهوله لهذا الكيان هو تحديد الهوية على أسس دينية لاستغلال وجود كيانات مؤسسية قائمة بالفعل مثل الكنائس وهيئاتها ومنظماتها، وفي هذه الحالة يستخدم الكيان القوي الجديد المؤسس على الهوية الدينية العقيدية كأداة مواجهة ضد الأغلبيات الإسلامية, حيث يشار إليه كحجة لعدم رفع أية أسس أو هويات أو مكونات إسلامية داخل الوطن ذي الغالبية الإسلامية؛ لأن ذلك من شأنه أن يثير الكيانات الأخرى الموجودة داخل ذلك الوطن, والتي لا تجعله بالفعل إسلامياً. وفي هذه الحالة لا يتحدث أحد عن أن هذه إمكانيات خلقت خلقاً بمعنى إعلاء هويتها المدنية إلى مرتبة الهوية القومية، واتخاذها العامل الوحيد لتمديد الكينونة والوجود.

بهذا وحده يمكن القول: إن الغرب والنخب العميلة له لا يميزون تناقضاً في خطاب العلمانية والطائفية المزدوج الموجه للعالم العربي، فالسبب في رفع التناقض عندهم هو مصلحة ضرب الإسلام المهيمنة على فكر صانع القرار.

المصدر:http://www.islammemo.cc

============

#البناء العلماني وبداية السقوط

سعد بن عبد المجيد الغامدي

يتشكل البناء العَلْماني في البدء.. من أبنية عدة ترتبط فيما بينها بعلائق بنائية، وتشكل كل ذي فكر لا ديني كالماركسي الهالك أو الرأسمالي المتهالك، والحداثي الماسوني وما بعده من ضروب الفكر الفوضوي الآخذ في التداعي البطيء نحو حتمية النهاية المُريعة، نهاية كل فكر زائف مزيف.

ويلوح ذلك البناء بأفكاره وطروحاته وأنظمته، لصاحب العقل المُستعْمَر – بتسكين العين وفتح الميم – والنفس الانهزامية، يلوح بناءً متماسكاً، وهاجساً حضارياً يبعث على التوثب والانعتاق.

وهو لذي عقل رباني متحرر من علائق التبعية لكل فكر لا إسلامي دنيوي، بناءٌ مادي موضوي – نسبة إلى الموضة – يتبدل تبدل الموضة وعروض الأزياء المرهونة بطقوس الفصول الأربعة وجلبة القطعان الُمغرمة ببريق المظهرية الجوفاء.
ويتبدى له أيضاً، عبر خطابه الفوسفوري، بناءً مشعاً..
بيد أن شعاعه زائف سرعان ما ينطفئ لأنه يستمد لمعته من شعاع الآخرين! وهو بناء يحمل في تجويفاته وأحشائه بذور التداعي والسقوط المتمثلة في (الجهل بحقيقة الألوهية واتباع غير ما أنزل الله)، واستعباد البشر والجناية على أدمغتهم..
يأخذ هذا البناء في النمو وتنمو في ذات الوقت تلك البذور، وتتجذر عروقها، وتمتد أغصانها في ثنايا البناء وتحل به لاحقاً سنّةّ الهلاك، ويسقط سقوطاً مدوياً..
ولنا في سقوط البناء الشيوعي – مُحَطِّم الإرادات ومعطِّل العقول، وهو أحد منظومات البناء العلماني – خير بشير ونذير.
وتباعاً..
فإن ثوابت هذا البناء الوضعي الجاهلي اللافطري ثوابت هزيلة ترتعد فرائصه وتتهاوى لبناته أمام ثوابت البناء الإسلامي الرباني الخالد، رغم الحصار الإبليسي المضروب حوله! والخطوة الأولى نحو تقزيم البناء العلماني على طريق الصراع الحضاري تكمن في تكثيف الخطاب الإسلامي الخالد وتوسيع دائرته ليشمل نواحي الحياة كلها، وذلك في ظل غياب الخطاب الشيوعي الماركسي.
ثم تعرية الخطاب العلماني وكشف زيفه وتناقضاته الفجة مع أبجديات الحرية وألف باء الحياة الكريمة التي تحفظ للإنسان إنسانيته وإرادته المستقلة.
وهذا منهج – شريطة الاستمرارية – قمين بأن يُعيد للبناء العلماني مكانته الطبيعية كما لا بد أن يكون قابعاً في مزابل التاريخ وأزقة الحضارة.
ويعود البناء الإسلامي الخالد، عبر عقيدة التوحيد وثورة فكرية ربانية تملآن الفراغات وتحلاّن بديلاً عن منظومات المنطق المادي الكسيح، يعود كما كان وكما لا بدّ أن يكون شامخاً في سماء الحضارة، ومناراً للأمم، وصانعاً للتاريخ، مصداقاً لقول الحق خالق الخلق (والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

أجل! تلك سنة الله التي خلت في الأولين، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، والحمد لله رب العالمين.

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

============

#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (3-1)

أ. بلال التليدي

لم يعد مقبولاً في حقل الثقافة والتاريخ أن تستقدم مفهوماً معيناً دون أن يكون لـه إلى التراث الإسلامي انتساب، أو على الأقل أن تجد لـه نوعا من السند والمشروعية من داخل إسهامات العقل العربي الإسلامي، وهذا لا يجد تفسيراً له في محدودية الإمكان المعرفي داخل الثقافة الإسلامية كما يذهب بعض المفكرين، وإنما يجد تفسيره فيما أتصور في جدل الأنساق الثقافية، فالعلمانية كمفهوم باختلاف الدلالات المعرفية التي أعطيت له، وبالبحث في تاريخيته لم يكن بدعا من ذلك، فبانتماء هذا المفهوم إلى نسق ثقافي مغاير، وبتطوره داخل تجربة تاريخية محكومة بشروطها وملابساتها التاريخية والحضارية، صار من العسير أن يكون لـه وجود داخل النسق الثقافي الإسلامي إلا بتأسيس يعتمد حقل التاريخ وحقل الأصول وحقل المعرفة.

فالتاريخ باعتبار ثراء معطياته واختلاف التفسيرات التي تعطى لأحداثه يبقى هو الحقل الخصب لسحب هذا المفهوم على الثقافة الإسلامية، ولعل الدارس المتفحص يدرك لماذا يحظى حدث الفتنة بكتابات كثيرة يغلب على جلها التأكيد على العمق الدنيوي في السياسة كخطوة أولى في اتجاه نفي التدين عن حقل السياسة، بل ويدرك أيضا لماذا التركيز على بحث علاقة الفرق الكلامية بمسألة السلطة. ولا يغيب عن الناقد البصير الخلفية التي تؤطر مثل هذه الكتابات، فالتأسيس لمفهوم العلمانية داخل التجربة التاريخية الإسلامية بنفس خلفيات ودلالات التجربة الغربية ومقاييسها أمر لا يخلو من تعسف خصوصاً إذا تأملنا المنهج الدارس الذي في كثير من الأحيان ما يكون قائما على الانتقاء والتطويع والتأويل فضلا عن ضعف التوثيق وعدم الانضباط إلى منهجية البحث العلمي في التعامل مع المصادر التاريخية.

والواقع، إن تتبع التأسيس لمفهوم العلمانية من داخل حقل التاريخ قد حظي بنوع من الاهتمام لسهولة كشف تناقضاته، غير أن الأمر الذي لا نجد له كثير تتبع وتعقب هو التأسيس للعلمانية من داخل حقل الأصول أو حقل المعرفة عموماً، ولعل ذلك يرجع بالأساس إلى:

قلة مشاريع التأسيس للعلمانية من داخل الحقل الأصولي والمعرفي.

دقة المفاهيم الأصولية وعدم تيسر تحصيلها لكل دارس.

ضرورة خضوع التأسيس لنوع من النسقية كي يتجنب التناقض أو على الأقل الإيرادات التي تفقده تماسك المفهوم والمشروع.

لماذا التأسيس من داخل الحقل الأصولي المعرفي؟

لم يكن هناك مسوغ يدعو العلمانيين إلى بحث ونخل التراث الإسلامي للبحث عن تأسيس أصولي معرفي لمسألة العلمانية. فعالمية المفهوم وكونيته وجاذبيته كافية في نظر العلمانيين لجعل المفهوم مقبولا داخل البيئة الإسلامية. غير أن المفهوم في معركة الصراع الثقافي لا يكفي فيه العالمية والكونية، فهو يستلزم أن يصير عنصرا طبيعيا داخل الثقافة الإسلامية، وهذا لا ينال طبعا بالاستنبات القهري، وإنما ينال بالتجذير، وتجذير المفهوم معناه البحث عنه وعن أصوله، والتأسيس له من داخل الحقل الأصولي المعرفي.

ولهذا فالدارس لتطور مفهوم العلمانية في الوطن الإسلامي لا يستغرب كثيراً في الاضطرابات التي رافقت المقاربات الفكرية لمسألة العلمانية بحيث إنها وصلت إلى حد التناقض. فمن راديكالية المفهوم والهجوم على التراث باعتباره مادة التخلف والانحطاط، إلى محاولة تمثل هذا التراث والتأسيس من داخله لفكرة العلمانية. وهذا لا يجد تفسيره في فهم فكرة العلمانية ودلالتها، وإنما في تكييف المفهوم ومرونة تنزيله في الواقع. فالأمر بكلمة، ليس مراجعة معرفية لمفهوم العلمانية، ولكنه التكيف مع معطيات الواقع وموازين القوى الثقافية السائدة فيه أو بمعنى آخر: إنه العلمانية حين تأخذ معاني مختلفة وأشكالاً متنوعة بحسب اعتبارات الموقع والتكتيك السياسي.

والحاصل، إن تجذير فكرة العلمانية لم يكن ليتم في غياب استيعاب للتراث الإسلامي بمجمل إسهاماته، والبحث عن تأسيس معرفي لهذه الفكرة.

فالقصد من التعامل مع التراث الإسلامي لم يكن معرفيا، وإنما كان إيديولوجيا وسياسيا، ولهذا لا تخلو الكتابات العلمانية الدارسة لتراثنا الإسلامي من انتقاء مخل، أو تطويع متعسف، أو تأويل متكلف. وقلما تجد هذه الكتابات تهتم ببحث المنهجية المعرفية التي أنتجت هذا التراث. فالباحث الذي يتأثر بالثورة الكنطية، ويرى ضرورتها لتطوير التجربة الإسلامية، ولا يكون همه بحث جوانب المنهجية الإسلامية والإفادة منها، وإنما الذي يشغله بشكل أكبر هو البحث عن جوانب قصور العقل العربي الإسلامي عن تمثل التجربة الحضارية الغربية حتى تراه كثيراً ما يجنح إلى فترات من السياق الحضاري الإسلامي ليتخذ منها نموذجاً للحكم، وبهذا الخصوص يمكن أن نسجل بعض الملاحظات بخصوص بعض المقاربات العلمانية:

ولوع التفكير العلماني بالنماذج.

التركيز على مراحل معينة من تاريخ الإسلام.

التأكيد على تاريخية المفهوم، وعلاقته بساحة الصراع السياسي.

فإذا اتضح كما رأينا المقصد العام الذي دفع العلمانيين للتأسيس لفكرة العلمانية من داخل الحقل الأصولي المعرفي زال الغموض عن الدوافع التي تجعلهم ملتزمين بما ذكرنا من ملاحظات.

فالولوع بالنماذج أمر يعطي للتأسيس مشروعية ويعطيه أيضاً مصداقية القانون العام، فالنموذج المدروس ببعض تفاصيله وحيثياته تعمم النتائج التي توصل الباحث إليها بخصوصه على كل الظواهر. ولهذا لا نستغرب كثيراً عندما ننتقل إلى الحقل الأصولي فنجد التركيز الكبير على نموذج " نجم الدين الطوفي" وجعله الأكثر عقلانية داخل التراث المعرفي الأصولي الإسلامي، أما إذا ما جئنا إلى حقل المناظرات العقدية والكلامية فكثيراً ما نجد نموذج " القرامطة" يتناول بكثير من البحث عند فئات من الباحثين العلمانيين، كما نجد نموذج " المعتزلة" عند طائفة أخرى من الباحثين، بينما لا تحظى نماذج أخرى بأدنى دراسة علمية كاشفة عن المنهجية المعرفية التي كانت تنتظم إسهاماتها. فإذا انتقلنا إلى الحقل العرفاني السلوكي نجد الوله بنموذج "ابن عربي" أو الولوع بتفصيل مذهب التصوف الغنوصي كما لو أن تراثنا الإسلامي يخلو من كل لون من ألوان التصوف السلوكي السني!!

هذه بعض الأمثلة التي تؤكد هذه الملاحظة، وكثيراً ما تقترن هذه الملاحظة بانتقاء فاضح يفقد النموذج جوهره، فنموذج "ابن خلدون " غالبا ما ينظر إليه كرائد للعقلانية الإسلامية وصاحب الرؤية التاريخية، وبالماركسي الذي سبق ماركس وبنعوت يطول ذكرها. فهذا النموذج مثلا يتعامل معه بانتقاء، فتتحول عباراته المبثوثة في مقدمته إلى عبارات فاقدة لمضمونها الحقيقي، وتنتزع الأفكار من سياقاتها الحقيقية، حتى إن الدارس حين يطلع على إسهامات ابن خلدون وحين ينظر إلى ما كتب حوله من طرف هؤلاء يتصور أنهما شخصيتين في تاريخ الإسلام، فالانتقاء والاجتزاء لازمان من لوازم المنهج العلماني في التعاطي مع تراثنا المعرفي. وهكذا فالاهتمام بالنموذج إلغاء للنماذج الأخرى، واختزال بعض المفاهيم واجتزاء بعض العبارات وإفراغها من مضمونها الحقيقي إلغاء للمنهجية التي أطرت تفكير هذا النموذج المتخذ موضوعا للدراسة ومعيارا للحكم على باقي الظواهر.

وإذا انتقلنا إلى الملاحظة الثانية، نجد العلمانيين لا يهتمون بالتاريخ الإسلامي في تطوره بجميع حيثياته وتفاصيله وسياقاته، فتراهم يشغبون أنفسهم بالبحث في مرحلة معينة من مراحله، وخصوصاً الإسهامات الأصولية والمعرفية التي كانت سائدة فيها، وهذا يجعلهم أكثر قدرة على تجذير مفهوم العلمانية انطلاقا من خلق التماثل بين السياق العربي والإسلامي أقصد مرحلة من مراحله والسياق الغربي، فإذا نجح العلماني في خلق هذا التماثل في وعي القارئ هان عليه بعد ذلك تجذير المفهوم بالإحالة على التجربة الحضارية الغربية الحالية وعوامل قيامها. والدارس اللبيب لا يعدم وجود مفارقات عميقة بين السياقين لا تكاد تخفيها الدراسات العلمانية المولعة بشحذ كل آليات المنهجية المعرفية لخلق عنصر التماثل بين التجربتين.

أما الملاحظة الثالثة فمأخذها عميق، فالتأكيد على تاريخية المفهوم وعلاقته بساحة الصراع السياسي أمر بقدر ما يحتاج إلى تدقيق فهو يحتاج أيضا إلى إعمال النظر في الخلفية العامة التي تؤطر هذا المنهج. فتاريخية المفهوم لا تعني سوى الظروف والحيثيات التي أنتجته، وعلاقته بساحة الصراع السياسي لا تعني سوى استخدام السلطة المصلحي لكل مفهوم، أو قل للدقة: الضرورة التي تدعو السلطة إلى إنتاج المفاهيم العامة لتأكيد سيطرتها. وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه: " زمنية المفهوم"

وفيه قدر كبير من الخطورة، ذلك أن كثيرا من المفاهيم نشأت بحكم قداسة النص ابتداء، أو من دقة الاجتهاد وانضباطه لأصول النظر المعتبر، فإذا أخذنا هذا المعطى بعين الاعتبار فإننا ندرك الخلفية الجاثمة وراء هذه المقاربة العلمانية، فالقصد هو نفي القداسة عن كل المفاهيم، وربطها بعنصر الزمن، وهذا ما يجعل القارئ المتشبع بهذه الكتابات يتجرأ على بعض المفاهيم العقدية القطعية باعتبارها مفاهيم زمنية منتجة داخل سياق حضاري مشروط بظرفيته الزمنية، وتكفي دعوى تطور الحيثيات والمعطيات التاريخية لإعمال هذه الجرأة وتعميمها على جميع إسهامات العقل المسلم..

هذه عموماً بعض الملاحظات عل كتابات العلمانيين، وهي مفيدة تجعل القارئ على بصيرة بالمنهجية التي يلتزمها العلماني في الكتابة، وعلى وعي بالخلفية العامة التي تؤطر تفكيره. وحتى لا نبقى في مجال التعميم، نحاور نموذجا نعتقد أنه أخصب نموذج وأكثر استيعابا وأقدر على شحذ المفاهيم وتحليل بنيات التفكير، والتأسيس الذكي لمفهوم العلمانية، وسنختار نموذج محمد عابد الجابري من خلال ما يلي:

مفهوم العقل.

وجهة نظر حول المعيارية.

نقد مقولة: الأعرابي صانع الحضارة العربية

النظم المعرفية والحظوظ الإيديولوجية: التهميش والإقصاء.

وهذه الأفكار سوف نناقشها في الحلقة القادمة بإذن الله من هذا المقال التحليلي.

1427/1/13

المصدر : http://www.almoslim.net

=============

#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (3-2)

مناقشة نموذج محمد عابد الجابري

أ. بلال التليدي

حاولنا في الحلقة الأولى من هذا البحث التحليلي، معرفة أهمية أن ينطلق التأسيس للعلمانية من داخل الحقل الأصولي والمعرفي، ونذكر هنا مثالاً عن محمد عابد الجابري، لنستعرض مجموعة من الأفكار حوله، منها:

حول مفهوم العقل:

يرى الجابري أن النهضة لا يمكن أن تتصور من دون نقد للعقل، النقد الذي يعني مراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراته، وقبل أن نمضي في مقاربة مفهوم العقل، يجدر بنا أن نشير إلى ملاحظة نراها جد ضرورية. إن ربط مشروع النهضة بالعقل ونقد آليات اشتغاله ومفاهيمه وتصوراته يحيلنا على التجربة الغربية وتاريخ الثورات النقدية، ولعل الثورة (الكنطية) التي أشرنا إليها من قبل تأتي في هذا السياق. فالبحث عن عنصر التماثل بين السياقين الحضاريين الإسلامي والغربي حاضر بكل قوة في هذه المقدمة التي صدر بها الجابري مشروعه النقدي، ولعلنا نراها بوضوح أكبر في تفصيلنا لمفهوم العقل.

يستعين الجابري، بل ينطلق من التمييز المشهور الذي أقامه (لالاند) في معجمه الفلسفي بين العقل المكون بكسر الواو والعقل المكون بفتحها، أي بين العقل الفاعل والعقل السائد. والعقل العربي الذي يقصده الجابري هو العقل المكون أي جملة من القواعد والمبادئ التي تقدمها الثقافة العربية للمنتمين إليها كأساس لاكتساب المعرفة، أو التي تعرضها عليهم كنظام معرفي.

ويستعين مرة أخرى بمنهجية المقاربة بين مفهوم العقل في الثقافة اليونانية والأوربية وبين مفهومه في الثقافة العربية ليخلص في نهاية العرض والتحليل إلى ثابتين يحددان بنية العقل الإغريقي والأوربي:

- اعتبار العلاقة بين العقل والطبيعة علاقة مباشرة.
- الإيمان بقدرة العقل على تفسيرها والكشف عليها.

فالثابت الأول يؤسس وجهة نظر في الوجود، والثابت الثاني يؤسس وجهة نظر في المعرفة.

أما مفهوم العقل العربي في الثقافة العربية فهو يرتبط أساسا بالسلوك والأخلاق، فهو بهذا الاعتبار تحكمه النظرة المعيارية إلى الأشياء، وهي لا تعني سوى ذلك الاتجاه

الذي يبحث للأشياء عن مكانها وموقعها في منظومة القيم التي يتخذها التفكير مرجعا له ومرتكزا.

والناظر إلى هذه الخلاصة يظهر له الميزة الموضوعية للعقل الإغريقي والأوربي الذي يبحث في الأشياء عن مكوناتها الذاتية، ويحاول الكشف عما هو جوهري فيها، في حين تظهر الميزة الاختزالية المعيارية التي تختصر الشيء في قيمته. فالعقل الإغريقي والأوربي عقل موضوعي تحليلي تركيبي في حين إن العقل العربي عقل معياري أخلاقي قيمي اختزالي. والجابري حينما يقرر مثل هذه الخلاصة لا يعوزه أن يستأنس ببعض معاجم اللغة وببعض تحديدات العلماء القدامى، فقد التمس نصا للجاحظ وآخر للشهرستاني، وقد اعتذر عن إيراد نصوص أخرى حتى لا يسقط في تجميع وثائق عديدة فيسقط نفسه في النزعة المعيارية.

غير أن ما ذهب إليه الجابري لا يسلم من جهات متعددة نحب أن نفصلها في المآخذ التالية:

المأخذ الأول: يبدو أن هناك تسرعا يجانب إلى حد كبير قواعد المنهج العلمي خصوصا في إطلاق مثل هذه الأحكام التي تحتاج إلى دراسة علمية مدققة. ذلك أنه من التعسف أن نتحدث عن مفهوم العقل من داخل الثقافة الإسلامية دون أن نرصد دلالات هذا المفهوم من مصدر هذه الثقافة. فقواعد المنهج العلمي تلزم باستقراء مصطلح عقل بجميع مشتقاته وتصريفاته من داخل الثقافة العربية الإسلامية، تلك في ما أتصور أول خطوة ومنطلق للعلم والبحث المنهجي. ثم إننا لو سلكنا نفس المنهج الذي التزم به الجابري لما عدمنا وجود نصوص إغريقية أو أوربية عبر التاريخ الطويل يستعمل فيها العقل للدلالة على الجانب الأخلاقي القيمي، وذلك لا يكون بحال مسوغا للحكم عليه بالنزعة المعيارية.

المأخذ الثاني: إن الحديث عن الميزة الموضوعية للعقل الإغريقي والأوربي يستبطن منطلقا واختيارا حضاريا يفرض علينا نوعا من التمايز والاختلاف. فكون العلم في التصور الغربي لا يؤمن بمصدر آخر للعقل وقواعده غير الواقع، يجعلنا في وضع يسمح لنا بالقول: إن الجابري يكاد يربط بشكل كبير بين الموضوعية التي تعني النزوع نحو التحليل والتركيب، وبين العقل كأداة وحيدة لفهم الواقع وتحليله. ومعلوم

أن التصور الإسلامي يجعل الوحي والكون الذي يعني الواقع الموضوعي كعنصرين متلازمين مشكلين للمعرفة. وإذا كان القصد من نقد العقل العربي هو تخليصه من نزعته المعيارية وذلك بتمحور العلاقات على محور واحد قطباه: العقل والطبيعة، فإن هذا الطرح يستبطن اتهاما للوحي باعتباره مساهما ومحددا لمعيارية العقل العربي. وهذا طبعا غير ظاهر في كتابات الجابري، إلا أن المتفحص لهذه الكتابات يجد مثل هذه الإشارات الدقيقة والخطيرة والتي تحتاج إلى تعقب وتوقف.

المأخذ الثالث: ونقصد به ما أكدناه في حلقة سابقة من مركزية التجربة الغربية ونموذجيتها. ولعل المقارنة التي استعان بها الجابري كانت قاصدة، وإن ألغت السياق التاريخي، فالمشروع نقدي، والعقل بآلياته وتصوراته يحتاج إلى مراجعة شاملة. فالميزة التحليلية والتركيبية للعقل لا تعني سوى تمثل نفس السياق الغربي وإعلان الثورة الكنطية من داخل الثقافة العربية الإسلامية بما يعني إقصاء كل من يساهم في إضفاء الطابع المعياري على العقل، ولا يتحقق ذلك سوى بإبعاد الوحي من ساحة تشكيل العقل وبناء قواعده ووسائل اشتغاله. من هنا تظهر خطورة التأسيس المعرفي للعلمانية الذي يسعى الجابري عبر الإيبستمولوجيا إلى إثباته.

المأخذ الرابع: إن مقاربة العقل العربي لا يمكن أن تتم بذكر النصوص الشارحة لمادة (ع. ق. ل). أتصور أن هناك منهجان لتحديد مفهوم العقل:

الأول: استقراء دلالات العقل من داخل مصادر المعرفة العربية الإسلامية ابتداء من القرآن والسنة...

الثاني: اشتغالية العقل العربي نفسه، ذلك أن مفهوم العقل العربي لا يمكن معرفته من خلال التحديدات المعجمية، وبعض السياقات الكلامية، وإنما من خلال صور اشتغال العقل وتجليات النشاط الذهني.

وبهذين المنهجين يمكن أن نخلص إلى ما يمكن من خلال رصده وتحليله إطلاق الأحكام عليه.

وجهة نظر حول المعيارية:

يبدو أن مسألة المعيارية تحتاج إلى نوع من التحديد، فكثيرا ما يكون الاختلاف في الدلالات باعثا على الاختلاف في الأحكام. فالجابري يرى أن النظرة المعيارية نظرة

اختزالية تختصر الشيء في قيمته، وهي عنده ذلك الاتجاه في التفكير الذي يبحث للأشياء عن مكانها وموقعا في منظومة القيم الذي يتخذها ذلك التفكير مرجعا له ومرتكزا. وإذا شئنا أن نعلق تعليقا بسيطا على هذا التحديد، لا ينبغي أن نلغي التحديد الآخر للنزعة الموضوعية التي وسم بها الجابري العقل اليوناني والعقل الأوربي. فقد استعان بهذا التقابل أو التضاد والتمايز كأداة منهجية لبيان مفارقات العقلين. وإذا كانت النزعة الموضوعية هي التي تبحث في الأشياء عن مكوناتها الذاتية، وتحاول الكشف عما هو جوهري فيها، فالنزعة المعيارية لا تهتم بهذا الموضوع، بل كبير همها هو البحث في قيمة الشيء. وقبل أن نسجل بعض المآخذ على هذا المنهج وهذه الأحكام نضع أمام القارئ مقدمتين نستعين بهما:

المقدمة الأولى: قد يبدو للقارئ من خلال التدقيق في المقابلة الواردة في تحديد الجابري أنه لا تعالق ولا ارتباط البتة بين البحث في قيمة الشيء وبين البحث في مكوناته الذاتية للكشف عما هو جوهري فيه، كما أنه لا توافق البتة بين النزعة الموضوعية والنزعة المعيارية.

المقدمة الثانية: الفكر العربي في نظر الجابري ينطلق من الأخلاق إلى المعرفة، بينما العقل الإغريقي والأوربي ينطلق من المعرفة إلى الأخلاق. ففي حالة الفكر العربي لا ينصب التفكير حول اكتشاف العلاقات التي تربط بين ظواهر الطبيعة بعضها ببعض، وبالتالي اكتشاف نفسه من خلالها، وإنما مهمة التفكير ووظيفته وعلامة وجوده هي حمل صاحبه على السلوك الحسن ومنعه من إتيان القبيح.

والظاهر أن المسألة لا بد فيها من توضيح لطبيعة التصور الإسلامي. فخلق الإنسان ومعرفة الغاية من وجوده أمران محددان لطبيعة التفكير داخل التصور الإسلامي. فمن خلال العلاقة بين أصل الوجود وغاية الوجود تبرز صفة التسخير وقضية الاستخلاف. فالكون كله مسخر للإنسان، ولا استخلاف ولا عمارة دون معرفة هذا الكون بظواهره، ومعرفة العلاقات التي تحكمها ومحاولة تفسيرها لاستثمارها في اتجاه الغاية الاستخلافية، وبناء على هذا التصور، فالمعيارية لا تعني سوى غائية محفزة للتفكير في اتجاه عمارة الأرض والاستخلاف فيها، فهناك تعالق وارتباط كبير

بين الوجود والمعرفة والقيم. فتفسير أصل الوجود وغايته يبعث على المعرفة، والقيم محفزة للتفكير ومحددة لأخلاقه وضوابطه.

إن السياق الحضاري الغربي وخلفية الصراع التاريخي الذي تحكمت في تطور العقل الأوربي جعلت من مسألة الطبيعة منطلقا لاكتساب كل المعارف بما فيهل الأخلاق نفسها، والقيم لا يمكن تلمسها من بحث قوانين الطبيعة، ذلك أن الطعن في مصداقية الدين المسيحي لم يكن له من معنى سوى إعادة النظر في جميع مفاهيمه وتصوراته التي تشكل العقل الغربي وفقاً لها وعلى قاعدتها، وحيث إن أصل الوجود وغايته ومسألة القيم والأخلاق قضايا لا يمكن الاستغناء عن إعطاء أجوبة بصدددها، فلم يعد هناك من مصدر لتلمسها في التجربة الغربية سوى الطبيعة نفسها ما دام الدين قد خرج من ساحة الصراع السياسي منهزما أمام المد التحرري اللائكي. أما في التصور الإسلامي، فالتفسير الذي يعتمده القرآن لمسألة أصل الوجود وغايته يبعث الإنسان على التأمل والتفكير في المسخرات لامتلاك معرفة بالكون تسمح بحسن الاستثمار والعمارة لأداء وظيفة الاستخلاف الرباني. والقيم الأخلاقية هي ذلك الباعث على التفكير أولا، المحدد لأدائه، الضابط لمساره واتجاهه. أما منهج التفكير فشيء ملتمس من المسخرات. أما النصوص فلا تقدم سوى المقدمات والمبادئ والتوجهات العامة المفروض الانضباط لها.

ولعل استقراء آيات القرآن ونصوص الحديث، ورصد صور اشتغال العقل العربي يؤكد هذا المعنى. ولهذا فالحكم الذي قرره الجابري، والمقابلة التي أجراها تعتبر غير ذات معنى في غياب التأكيد على سياق التطور التاريخي للعقل الغربي، وخلفية الصراع قبل عصر النهضة.

نعم هناك مجال واسع يشتغل فيه العقل العربي الإسلامي، ويكون فيه التفكير منصبا على حمل الإنسان على السلوك الحسن ومنعه من السلوك القبيح، وهذا المجال له موقعه داخل حقل التفكير الإسلامي، وداخل الرؤية الإسلامية وداخل التصور الإسلامي. فمهمة الاستخلاف بقدر ما تحتاج إلى إعمال العقل لاكتشاف الكون وظواهره ومعرفة العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها بقدر ما تحتاج أيضا إلى تزكية الإنسان وحمله على الالتزام بقيم الدين. فنظام الحياة لا يستقيم فقط بالمعرفة، ولكنه

أيضاً يتقوم بالأخلاق والقيم. والتصور الإسلامي لا ينفي وجود منهج أصيل ومؤصل يستعين بالكون لمعرفة أصل الوجود ولمعرفة القيم أيضا. غير أن هذا المنهج هو منهج واحد إلى جانب مناهج كثيرة ينبغي أن تكون كلها متضافرة تسهم كلها في بناء المعرفة. وهذه هي طريقة القرآن عند التأمل والنظر، إذ لا يقصر المعرفة على طريق واحد مادامت المسالك صحيحة، والبراهين داعمة.

والخلاصة التي انتهينا إليها بعد هذه المآخذ أنه لا يمكن بحال تحديد العقل العربي في غياب تحديد منطلقات التصور الإسلامي والرؤية العامة التي يشتغل داخل سقفها العقل العربي الإسلامي.

والجابري محكوم كما سبق الإشارة بمركزية التجربة الغربية، ونموذجية الاختيار الحضاري الغربي، ولهذا فقد غيب الإطار العام الذي يشتغل فيه العقل العربي الإسلامي، وهذا التغييب هو الذي دفعه إلى إلغاء مجال كبير لاشتغال العقل العربي الإسلامي: مجال النظر في الكون والكشف عن ظواهره والعلاقات التي تحكمها وتفسيرها، وأيضا مجال النظر في التجربة الإنسانية عبر التاريخ والنظر في النفس البشرية لاكتشاف قوانين التاريخ والاجتماع والنفس. أعتقد هذا مجال واسع، بل مجالات تم تغييبها، وهي عند النظر والتأمل والدراسة تكشف عن الطابع الموضوعي التركيبي للعقل العربي الإسلامي.

نتابع في الحلقة القادمة بإذن الله، الحديث عن مقولة "الأعرابي صانع الحضارة"، لنتناولها بشيء من النقد والتحليل، ونذكر ملاحظاتنا على التأسيس الأصولي للعلمانية.

1427/1/21

المصدر : http://www.almoslim.net

===============

#في مؤتمر "إعلام الشرق الأوسط وتحديات العمل الإنساني":

تتناول محاولات التدخل الدولي لاحتواء العمل الإنساني

شهدت العاصمة اللبنانية بيروت فعاليات مؤتمر "إعلام الشرق الأوسط وتحديات العمل الإنساني" الذي نظمته منظمة الصليب الأحمر وحضره أكثر من 34 من

الصحفيين ومراسلي القنوات الفضائية والإذاعات وعدد من خبراء الصليب الأحمر. ناقش المؤتمر على مدى يومين عدداً من القضايا المشتركة بين الإعلام والأنشطة الإنسانية ومنها "القضايا والتحديات التي تواجه العمل الإنساني المستقل والمحايد، وعلاقة القانون الدولي الإنساني بالتغطيات الإعلامية وأسلوب عمل اللجنة الدولية للصليب".

وقد شاركت مجلة المجتمع في هذا المؤتمر بمداخلة للزميل شعبان عبدالرحمن مدير التحرير تحت عنوان "استغلال العمل الإنساني لأهداف سياسية" جاء فيها:

يمثل العمل الإغاثي واحدة من أرفع القيم الإنسانية لأنه يتوجه للإنسان في أحرج لحظات حياته لانتشاله من الكوارث والنكبات وإنقاذه من نيران الحروب. والقائمون عليه يجسدون قيمة إنسانية رفيعة عبر خوضهم غمار الأخطار باختلاف درجاتها لإغاثة الإنسان. ومن هنا فإن العاملين في هذا المضمار يستحقون التقدير بل وتبوؤ المكانة الرفيعة التي يستحقونها في المجتمع الدولي.

وحيث إن رسالة العمل الإغاثي على هذا القدر الرفيع من الأهمية فإنه يستحق الاهتمام والدعم من المجتمع الإنساني بكل مؤسساته الحكومية والمدنية، وينبغي أن يظل بعيداً عن الصراعات السياسية الدولية واستخدامه من بعض الدول كورقة للضغوط والمساومات وأحياناً الابتزاز. ينبغي أن يظل العمل الإغاثي إنسانياً أولاً وأخيراً.. وأن تكون السياسة وكل الإمكانات في خدمة رسالته لا تطويعه لخدمة أغراضها..

التدخل السياسي

تتعدد صور التدخل السياسي في العمل الإغاثي. ويمكن الحديث عنها بشكل موجز في صورتين:

الأولى: الاستغلال السياسي غير المباشر :

1 المتاجرة بالعمل الإغاثة ومحاولة التربح منه.. ويعد ذلك من صور الاستغلال السياسي الفج؛ إذ تقوم بعض الدول تحت شعار "المساعدة الإنسانية" بشحن أغذية غير صالحة للمناطق المنكوبة، وقد حدث هذا عدة مرات..

يقول جراهام هانكوك في كتابه "سادة الفقر": "إن الغذاء المقدم من المجموعة الأوروبية كهدية عادة ما يصحبه كثير من الشكاوى من المنتفعين، وذلك بناء على عضو البرلمان الأوروبي ريتشارد بالف الذي قال إنه من غير المقبول تماماً أن نقوم بتصدير غذاء لا نأكله نحن أنفسنا".

في عام 1979 1980 إبان المجاعة الكبرى في كمبوتشيا قامت منظمة (الغذاء للجوعى) الأمريكية بشحن 91طناً من الغذاء والدواء.. وثبت بعد ذلك أن الغذاء الذي رفضوا تقديمه لحيواناتهم، والدواء كانت صلاحيته منتهية قبل خمس عشرة سنة (نفس المصدر).

شحنت منظمات الإغاثة 800 حقيبة من أغذية الأطفال الفاسدة إلى معسكرات اللاجئين في هندوراس و51 ألف طن من الأغذية الأوروبية إلى موزمبيق و62 ألف طن من الذرة الشامية للنيجر.. و بعد فحصها تبين أنها غير صالحة للحيوانات.

منظمة أطباء بلا حدود تؤكد أن 60% من الأدوية التي أرسلت للبوسنة والهرسك خلال الحرب لم تكن صالحة، والأخطر أن المتبرعين بها ربحوا 25مليون دولار هي نفقات التخلص منها في بلادهم، وكانت قيمتها في الكشوف الرسمية 17 مليار دولار (حسب تقديرات منظمة أطباء بلا حدود).

2 جاء في بيان للمفوض الأعلى للاجئين (ومنظمة: أنقذوا الأطفال) الخيرية البريطانية: (أن أطفالاً ولاجئين آخرين في غينيا وليبيريا وسيراليون شاهدوا 70 شخصاً من بينهم جنود لحفظ السلام بالأمم المتحدة وتابعين ل40 منظمة للمساعدات الإنسانية متورطين في عمليات استغلال جنسي للاجئين في المخيمات).

وقالت المتحدثة باسم الأمم المتحدة ماري أوكابي : (إن عنان طلب اتخاذ المبادرات الملائمة بهدف تعزيز حماية النساء والأطفال كلما اقتضت الضرورة ذلك).

وليس بخافٍ ما جرى للاجئين في البوسنة من اعتداءات فاضحة على أيدي منظمات إغاثية إنسانية غربية في حماية جنود الأمم المتحدة، بل إنه ثبت تورط بعض جنود الأمم المتحدة في ذلك!

3 لسنا في حاجة لأن نسوق أمثلة على استخدام الإغاثة في تغيير المفاهيم والمعتقدات.. فالمسألة واضحة.

الثانية: التدخل السياسي المباشر :

قبل بيان التدخل السياسي المباشر في العمل الإغاثي الإنساني أتوقف قليلاً عند المناطق المنكوبة في العالم وهي ميدان التدخل الأول؛لنرى أن الدراسات تجمع على أن 90% من المناطق المنكوبة بالكوارث والحروب والفقر وانهيار المستوى الصحي في العالم هي مناطق إسلامية.

ويكون من الطبيعي أن تتوجه إلى مناطق الكوارث منظمات إنسانية إسلامية كغيرها من المنظمات. فمد يد الغوث للمنكوب فريضة إسلامية ومعلم رئيس من معالم الإسلام ليس للإنسان فحسب بل للحيوان والجماد.. نعم إغاثة الحيوان، من معالم الإسلام، والجور على ذلك الحيوان بقتله أو تعذيبه داخل في باب الحرام.

ففي الحديث "أن رجلاً وجد كلباً يلهث من شدة العطش فحمل خفه ونزل بئراً وملأه وسقى الكلب فشكر الله له".

وفي الحديث المشهور "أن امرأة دخلت النار في هرة "قطة" حبستها لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض".

وفي الحديث أيضاً "إذا قامت الساعة على أحدكم وفي يده فسيلة فليغرسها" أي لا يتركها تذبل وتجف بل يجب أن ينتفع بها المجتمع...

وجل عمل المنظمات الإسلامية من الطبيعي أن يكون بين منكوبين مسلمين لأن معظم المنكوبين في العالم هم من المسلمين. ومن البدهي أن المؤسسات الإنسانية لا تدخل منطقة حرب أو كارثة إلا بإذن من السلطات.

وهنا نصل إلى صلب التدخل السياسي المباشر في العمل الإنساني، ونسجل أن العمل الإغاثي الإسلامي وحده دون بقية المؤسسات يتعرض للضغوط السياسية التي تسعي لشله عن رسالته أو تعويقه أو طرده من مناطق عمله، وسط حملات إعلامية تلقي عليه بتهم الارهاب وغيرها؛ مع أن المنظمات الإغاثية الإسلامية كغيرها تعمل في مناطق عملها تحت إشراف السلطات وتؤمّن موادها من أسواقها وتسيَّر حملاتها عبر وسائل مواصلات منها، بل وتصل إلى مناطق عملها تحت حماية قوات من الدول المعنية.. أي أن عمل هذه المنظمات يقوم على الشفافية وتحت سمع وبصر الدولة.

في بداية الحرب الصربية ضد البوسنة عام 1991م، كنت شاهداً من خلال وجودي في مناطق الحرب على وجود منظمات إنسانية إسلامية عديدة من مصر والسعودية والكويت، كان دخولها شرعياً بموافقة الحكومة الكرواتية، وكانت تتخذ من زغرب العاصمة الكرواتية مقراً لها، وكانت المواد الإغاثية التي تقدمها للمنكوبين المسلمين تُشترى من السوق الكرواتي ومن شركات كرواتية، وكان توزيعها يتم تحت حماية الجيش الكرواتي المتحالف مع المسلمين في البوسنة في ذلك الوقت، وقد قامت تلك المنظمات بدور كبير في تقديم الدعم للمنكوبين المسلمين في البوسنة بما لقي ثناء الحكومة البوسنية، ثم كانت المفاجأة.. وهي إخراج هذه المنظمات والتضييق عليها بفعل تدخل السياسة الدولية، بل ومطاردة رجالها، بينما بقيت المنظمات الأخرى تمارس نشاطها.

في حرب الشيشان الأولى (1994م 1996م)، والحرب الثانية (2000م حتى الآن) تحركت منظمات إغاثة إسلامية لإغاثة شعب الشيشان.

ودخلت هذه المنظمات تحت إشراف روسيا وبإذن منها لإغاثة اللاجئين والمهجَّرين، وكانت تشتري موادها الإغاثية من روسيا، وبإذن من أنجوشيا... لكننا فوجئنا بإغلاق معظم المنظمات الإغاثية على الأراضي الروسية ولم يسمح إلا لمنظمة الإغاثة الإسلامية فقط (مقرها لندن).

ومن يتقصَّ السبب يجد أن السياسة الدولية وراء ذلك... لماذا؟ لا ندري؟!

ويبقى السؤال مطروحاً: لماذا يتم التضييق فقط على المنظمات الإسلامية التي تقدم إغاثة لشعوب إسلامية وحدها التي يضيق عليها وتصادر وتمنع، بينما يسمح لآخرين من كل الملل والدول!!.

في هذا الجو المشحون ضد العمل الاغاثي الإسلامي نجد حملات تشويه لهذا العمل بغية إخراجه من الساحة تماماً.

ففي 19-2-2000م كتبت جوديث ميللر صاحبة كتاب "لله تسعة وتسعون اسماً" مقالاً في صحيفة "نيويورك تايمز" تحذر فيه من مؤسسات العمل الإغاثي الإسلامي..

ولا نـدري إن كـان إغـلاق المؤسسـات الخيريـة الإغاثيـة فـي الأراضـي الفلسـطينية بضغوط دولية يسير مع رسالة العمل الإغاثي الإنسانية.. بينما بلغت المساعدات الأمريكية لإسرائيل خلال 30 سنة، واحداً وستة من عشرة مليار دولار (صحيفة الوطن السعودية 3-10-2002 وصحيفة ذي نيشن الأمريكية 7-10-2002).

عولمة العمل الإنساني

وأود هنا أن أشير إلى نقطة مهمة، وهي أن عملية إخراج العمل الإنساني الإسلامي من الساحة الإغاثية والتي تجري على قدم وساق هي مقدمة لعولمة العمل الإنساني ودمجه في مشروع العولمة الاستعماري، وحرمان هذا العمل الدولي الإنساني من الاستقلالية التي يتمتع بها وتحويله إلى أداة يتم تحريكها في الوقت والمكان المناسبين وليكون تحت سطوة الجيوش يخدِّم على مشاريعها الاستعمارية بدل التخديم على الرسالة الإنسانية. وذلك خطر يبدو في الأفق على الصليب الأحمر وغيره من المنظمات الإنسانية المستقلة.

الخاتمة :

نحن مع تطوير العمل الإغاثي بصفة عامة وتصحيح أخطائه إن وجدت، وأن يتم توجيهه إلى وجهته الإنسانية فقط ومنعه من الانحراف بها إلى أي وجهة أخرى.

ومع منع التدخل السياسي والضغوط الحكومية لتوجيه العمل الإنساني نحو وجهة معينة تستغل في منافع سياسية أو كأوراق للمساومة والضغوط.

ونحن مع رفع الجهات والحكومات أيديها عن العبث في العمل الإغاثي.

ومن هنا أطالب بأمرين:

أولاً: أن تنهض منظمة الصليب الأحمر بالتعاون مع المنظمات الإنسانية الإسلامية وغيرها بعقد مؤتمر جامع للهيئات والمنظمات الإغاثية بصرف النظر عن مسمياتها لوضع لائحة تضم مقاييس وبنوداً واضحة للعمل الإغاثي تذلل العراقيل أمامه بما يقوي من نشاط العمل الإنساني.

ثانياً: يجب أن يتعدى دور المنظمات الإغاثية.. تقديم الإغاثة عند وقوع الكارثة إلى دور وقائي ينذر بوقوع الكوارث ويقدم أدوات الدعم للحيلولة دون وقوعها، أو على الأقل يقدم دعمه، وعونه قبل وقوع الكوارث أو الحروب المتوقعة، إن هذا الدور

الإغاثي يخفف كثيراً من وقع الكوارث ويوفر الكثير من الجهد على المنظمات ويقلل من الخسائر.

=============

#50 ألف مغربي تظاهروا ضد سياسات واشنطن

تبدأ اليوم السبت 11-12-2004م في المغرب فعاليات "منتدى المستقبل"، المقرر تنظيمه تحت الرئاسة الفعلية لوزير الخارجية الأمريكي المستقيل كولن باول ونظيره المغربي محمد بن عيسى، في الوقت الذي حشدت فيه العديد من القوى السياسية المغربية قواها، لإعلان رفضها لاحتضان المغرب هذا اللقاء، الذي رفضت عدة دول عربية احتضانه.

وتعتبر قطاعات واسعة من النخبة والرأي العام المغربي المنتدى خطوة مهمة لتحقيق المشروع الأمريكي المتعلق بما أصبح يعرف بمشروع "الشرق الأوسط الكبير وشمال إفريقيا". ويقول العديد من المعارضين السياسيين إنه يرمي لتمكين الكيان الصهيوني من المزيد من الهيمنة في المنطقة العربية، باعتبارها "البلد الديمقراطي الوحيد في الشرق الأوسط"، حسب التصنيفات الأمريكية.

ورغم أن المغرب نجح في استبعاد حضور الوفد الصهيوني، حسب قول مصادر رسمية، فإن الرفض الشعبي مازال متواصلاً.

كان أكثر من 50 ألف متظاهر مغربي قد خرجوا إلى شوارع مدينة الرباط الأسبوع الماضي ومنذ 10 أيام تقريباً للتنديد بانعقاد المنتدى وبالمشاريع الأمريكية في المنطقة، مثلما هاجموا الاعتداءات الأمريكية والصهيونية على الشعبين العراقي والفلسطيني.

من جهتهم دافع المسؤولون المغاربة عن انعقاد "منتدى المستقبل"، مؤكدين أن المشاركين في هذا اللقاء، سيتدارسون طرق وسبل تقوية التزام بلدان المنطقة بالعمل على تحقيق تنمية مشتركة بناءة، وشراكة ترمي إلى تعزيز مسلسل الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشكل متناسق.

وقال السفير يوسف العمراني مدير العلاقات الثنائية في وزارة الشؤون الخارجية: إن "منتدى المستقبل" يعتبر "فضاءً للحوار الهادئ المنفتح والمنتظم، الذي يروم تعزيز

الديمقراطية، وإشراك المجتمع المدني، وترسيخ دولة القانون وحقوق الإنسان، وبناء اقتصاد عصري ومندمج في عولمة متحكم فيها".

وأشار العمراني إلى أن "منتدى المستقبل" سيكون مناسبة لتجديد التأكيد علناً على التزام بلدان المنطقة بمواصلة الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحالية، أو المبرمجة، خصوصاً ضمن سياق تفعيل إعلان القمة العربية المنعقدة في تونس.

==============

#قطار عولمة المرأة وصل لجزائر

الجزائر : فاروق أبو سراج الذهب
@maktoob.com11siraj

يبدو أن الحكومة الجزائرية أو بعض المتنفذين في النظام الجزائري من بقايا دعاة العلمنة والتغريب، جد مهتمين بموضوع التكيف الاختياري مع فقرات ومضامين مشروع الشرق الأوسط الكبير في بنده المتعلق بتمكين المرأة، طبقاً لمقررات وتوصيات مؤتمر بكين ومؤتمر التنمية والسكان، وقد ظل ملف تعديل بل إلغاء قانون الأسرة بلغة هؤلاء التغريبيين مفتوحاً منذ عقود لأن مرجعيته الأساسية هي الشريعة الإسلامية، وقد عملت الدوائر العلمانية من خلال الجمعيات النسوية باستمرار لإحداث القلاقل حول هذا القانون كلما سنحت الفرصة، ولكن يقظة القوى الوطنية والإسلامية وقفت لكل هذه العمليات بالمرصاد، حيث خرجت نساء الجزائر في مسيرة مليونية سنة 1989 رافضة تلك التعديلات المخالفة لشريعة الإسلامية.

وفي الآونة الأخيرة انتعش العلمانيون على وقع مضامين مشروع الشرق الأوسط الكبير المتعلقة بالمرأة وراحوا يطرحون الإلغاء ثم التعديل، وفي سياق تعديل المنظمات المتعلقة بالتربية والأسرة درس مجلس الوزراء في اجتماعه يوم الأربعاء 18 أغسطس 2004 المشروع التمهيدي لقانون يعدل ويتمم القانون رقم 11 لسنة 1984 الخاص بالأسرة.

بنود القانون

وقد كشفت بعض الصحف الجزائرية النسخة الأصلية لمشروع القانون قبل أن تصدر الحكومة بياناً جاء فيه: "أن المشروع التمهيدي لقانون الأسرة أعد وفقاً لتوجيهات رئيس الجمهورية السيد عبدالعزيز بوتفليقة، وفي ظل احترام أحكام الدستور ومبادئ الشريعة الإسلامية، مع اللجوء إلى الاجتهاد متوخياً في ذلك صون حقوق الزوجين، وضمان استقرار الخلية الأسرية ومصالح الأطفال ويدخل أحكاماً جديدة مهمة منها:

1 توضيح الوضع القانوني لعقد الزواج على أنه عقد رضائي يتم تجسيده بالضرورة بتحرير عقد.

2 إلغاء الزواج بالوكالة.

3 توحيد سن الزواج بالنسبة للرجل والمرأة وتحديده ب19 سنة، ويمكن للقاضي أن يرخص بتزويج القُصّر لضرورة أو لمصلحة مؤكدة.

4 إلغاء شرط الولي بالنسبة لزواج البنت البالغ عمرها 19 سنة، ويمكن للمرأة الراشدة أن تفوض طوعاً هذا الحق لوليها.

5 وجوب تقديم وثيقة طبية لكلا الزوجين لتحرير عقد الزواج.

6 إخضاع تعدد الزوجات للشروط التالية:

ترخيص القاضي بالزواج.

تأكد القاضي من موافقة الزوجة السابقة والمرأة التي ترغب به.

إثبات المبرر الشرعي وتأكد القاضي من قدرة الزوج على توفير العدل والشروط الضرورية للحياة الزوجية.

7 إقرار المساواة في الحقوق والواجبات بين الزوجين من خلال:

حق الزوجين أن يشترطا في عقد الزواج أو في عقد لاحق كل الشروط التي يريانها ضرورية لاسيما فيما يتعلق بتعدد الزوجات وعمل المرأة، على ألا تتنافى الشروط مع أحكام القانون.

إقرار حق الزوجة في رفع دعوى التطليق لجملة من الأسباب العشرة الوارد ذكرها في نص مشروع القانون.

إلزام الزوج في حالة الطلاق بأن يوفر للأم الحاضنة مع أولادها سكناً ملائماً وإن تعذر عليه ذلك دفع أجرته، ويحق للأم الحاضنة للأولاد البقاء في المسكن العائلي ما لم تتم الاستجابة لهذا الشرط.

تغيير ترتيب الحق في ممارسة حضانة الأطفال بتقديم الأب مباشرة بعد الأم.

منح الولاية للأم الحاضنة للأطفال من الزوجين المطلقين، وزيادة على ذلك وفي غياب الأب أو في حالة عجزه تسند للأم الولاية على الأطفال.

وأخيراً اعتبار النيابة العامة طرفاً أصلياً في الدعاوى التي ترمي إلى تطبيق قانون الأسرة من قبل الجهات القضائية، وكذا تعزيز صلاحيات رئيس المحكمة في مجال حق الحضانة وحق الزيارة والحق في المسكن، ودفع النفقة الغذائية.

رفض إسلامي

هذا وقد رفض ثمانية وزراء ينتمون إلى حركة مجتمع السلم وجبهة التحرير الوطني تبني المصادقة على المشروع التمهيدي لقانون الأسرة الذي أعدته لجنة "52عضواً"، وإن كان البيان الرسمي لم يشر إلى التحفظات والاقتراحات التي أبداها وزراء حركة مجتمع السلم الأربعة وبعض الوزراء من جبهة التحرير الوطني وعلى رأسهم وزير الخارجية عبد العزيز بلخادم، ونفت مصادر حكومية أن يكون أعضاء الحكومة قد صادقوا بالإجماع على هذا المشروع العلماني التغريبي، وأكدت المصادر ل المجتمع أن النقاش كان جد واسع، إلى درجة أن بلغ عدد المتدخلين 28 وزيراً في الاجتماع رغم أنه في العادة لا يتجاوز عدد المتدخلين سبعة أو ثمانية وزراء، كما تحفظ ثلث الجهاز التنفيذي أي حوالي ثمانية وزراء على المصادقة على المشروع الذي غاب عن جلسته ثلاثة وزراء.

الخلاف داخل الحكومة عكس الرفض الشعبي الواسع لإلغاء شرط الولي في عقد الزواج، وأظهر هذا الخلاف داخل الحكومة تيارين، تيار يرفض هذه التعديلات وتتزعمه حركة مجتمع السلم وبعض وزراء جبهة التحرير الوطني، وتيار يؤكد على التعديلات ويدعو إلى تبني مقررات اللجنة، ويمثل هذا التيار جزءاً من وزراء التجمع الوطني الديمقراطي وبعض الوزراء الذين لا يمثلون إلا أنفسهم والجهات التي اقترحتهم في الطاقم الحكومي.

النقاش في مجلس الحكومة اقتصر على المادتين اللتين تنصان على "إلغاء شرط الولي بالنسبة لزواج البنت البالغ عمرها 19سنة"، وكذلك الشروط التي يخضع لها تعدد الزوجات، ولاسيما ضرورة ترخيص القاضي.

أما عن ردود الفعل الحزبية الشعبية، فقد اعتبرت حركة مجتمع السلم عن طريق تصريحات رئيسها الشيخ أبو جرة سلطاني والقيادات المركزية أن مشروع التعديلات استجاب لمطالب فئة لا صلة لها بالمجتمع الجزائري، وأنه لا يستجيب للغالبية الساحقة من المجتمع، كما أن قضية المرأة في الجزائر لايمكن أن تلخص في الولي وضبط تعدد الزوجات في مقابل معدلات الفقر الواسعة والعنوسة التي تقدر بالملايين، كما رفضت حركة مجتمع السلم الحجج المقدمة لإلغاء شرط الولي لاسيما تلك المتعلقة بفتوى أبي حنيفة رحمه الله ودعت إلى الاستفتاء إذا كان إلغاء شرط الولي مطلباً شعبياً.

وقالت الحركة في بيان رسمي لها: "إن الحركة تعتبر أن أي مساس بانسجام وتماسك الأسرة ووحدتها هو بداية انزلاق حقيقي لمستقبل المجتمع وقيمه المبنية على الإسلام وتسجل:

1 أن حركة مجتمع السلم ليست ضد التعديل.

2 ضبط التعديل بالمرجعية الإسلامية التي لا يتنكر لها أحد.

3 التعديل لا تمليه جهات خارجية ولا نساء الصالونات، إنما تمليه الجزائر العميقة ونساء القرى.

4 رفض استغلال القانون للوصول إلى علمنة المجتمع عبر علمنة الأسرة.

5 الحفاظ على كرامة المرأة، وكرامة الرجل وتماسك الأسرة.

6 عدم استناد التعديل لأي دراسات اجتماعية أو إحصائية تعبر عن توجه المجتمع أو مفاسد حقيقية تقتضي التعديل.

7 إن من أسباب اللبس الواقع في بعض المصطلحات من خلال فهمها باللغة الأجنبية مثل LE TUTUEL التي تعني: "مطلق الوصاية".

وأضاف البيان أن الحركة درست التعديلات المقترحة خاصة ما يتعلق بالولاية في الزواج وحق المرأة في طلب الخلع وقضايا تعدد الزوجات والطلاق والنفقة، مشيرة إلى

أن الشريعة الإسلامية وضعت الضوابط الواضحة لهذه الأمور بما يضمن حقوق الطرفين وسلامة المجتمع، ودعت الحركة العلماء والفقهاء والأئمة لتوضيح مدى شرعية التعديلات المقترحة وانسجامها مع الشريعة الإسلامية نصاً ومقصداً، كما دعت النواب أن يولوا اهتماماً كبيراً لدراسة هذه التعديلات وأن يلتزموا بالقيم الأصيلة للمجتمع الجزائري الذي يمثلونه.

كما تشكلت جبهة واسعة للدفاع عن الأسرة الجزائرية تحمل مشروع "ميثاق العائلة الجزائرية"، فيما انتظم في المقر المركزي لحركة مجتمع السلم ندوة وطنية لمناقشة قانون الأسرة حضرها العلماء الفقهاء والنواب ورجال القانون والأئمة والإعلاميون وعبر الكل عن رفضه لهذه التعديلات، واقترحوا بنوداً بديلة وكشفوا المؤامرة على الأسرة الجزائرية والثوابت الوطنية، فيما دعا عالم الجزائر الشيخ عبدالرحمن شيبان، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إلى ضرورة التعبئة الإسلامية والوطنية للوقوف ضد هذه التعديلات، فيما دعا آخرون إلى ضرورة تحريك فتوى المجلس الإسلامي الأعلى الذي يعمل تحت إشراف رئيس الجمهورية، إلى قول رأيه في عدم شرعية هذه التعديلات، ووصفوا بيان الحكومة بأنه دعوة إلى الزنا والفساد.

في الوقت نفسه أصدر أئمة العاصمة والزوايا الدينية بياناً اعتبروا فيه التعديلات الجديدة مناقضة لأحكام الشريعة الإسلامية.

وأضاف البيان أن الذين أسسوا لجنة تعديل قانون الأسرة وقعوا في خطأ كبير عندما أقصوا الأئمة من عضوية اللجنة باقتراح تعديلات تؤدي إلى منعهم من حضور عقد الزواج.

وطعن البيان في اختصاص أعضاء لجنة تعديل القانون، مشيراً إلى "أن الأمر أسند إلى جهات غير مختصة"، موضحاً أن رئيس اللجنة صرح بأن الولي مجرد عُرف وعادة، وليس ركناً من أركان الزواج.

كما أن التعديلات بحسب البيان "تستند إلى مرجعية غربية، ولهذا اصطدمت مع مبادئ الشريعة الإسلامية، والعرف الاجتماعي الجزائري الصحيح، خاصة عندما تجاوزت تلك التعديلات الإجماع في قضايا التعدد، وسن الزواج، وتجاوز النص الشرعي في قضية الولي".

واعتبر البيان أن تعديل قانون الأسرة جاء وفقاً ل"رؤية أحادية ذات توجهات تغريبية تمثل حلقة من المسلسل العلماني في مسخ هوية المرأة المسلمة الفكرية والأخلاقية".

وأكد أهمية شرط الولي في الزواج، قائلاً: "إن الزواج ليس ارتباطاً بين رجل وامرأة فقط، بل هو ارتباط بين الأسر والعائلات في الشرف والرفعة".

وجاء موقف الزوايا الدينية متوافقاً مع الأئمة؛ حيث رفضوا بدورهم تعديلات قانون الأسرة؛ باعتبارها مناقضة لمبادئ الشريعة الإسلامية.

ورفضت هيئات أخرى تعديلات قانون الأسرة وعلى رأسها نقابتا القضاة والمحامين، وجمعيات مدنية ذات توجه إسلامي، فضلاً عن بعض الأحزاب الإسلامية، مثل حركة الإصلاح الوطني التي دعا رئيسها الشيخ عبد الله جاب الله إلى تشكيل جبهة رفض التعديل.

تفاعلات قانون الأسرة لا تزال في بداياتها خاصة أن المشر وع سيناقش في البرلمان وسيخضع لتوقيع رئيس الجمهورية في النهاية، وستعرف مع الوقت تفاعلات أكبر، وقد أسرت إلى المجتمع بعض المصادر من اللجنة الوطنية التي أشرفت على التعديلات أنها لم تنه أشغالها ولم تصادق على تقريرها النهائي لكن تم استعجال الأمر من قبل السلطات وتم عرض الموضوع على مجلس الحكومة.

فإلى أي اتجاه ستتطور الأحداث في الجزائر... هل ستأخذ المسار الذي أخذه القانون في كل من الأردن وتونس والمغرب أم أن الجزائر ستشذ عن هذا السياق؟ يبدو أن السياق الجزائري سيختلف جذرياً عن السياقات المجاورة. ومجرد المقارنة بداية الطريق الخطأ.

===========

#المغتصِبون المُقْتَلَعُونَ من غزة.. الجد والحفيد

د. نزار عبد القادر ريَّان(*

@hotmail.com1959nezar

ثم تأتي السنة بعد؛ لتكمل الصور وتضفي عليها ألوان التطبيق البشري "ليهود"، فيغنيك اليهودي بشخصه عن اختباره، فيبرح الخفاء، ويحصحص الحق، ويبين اليقين.

والصهاينة المغتصبون في الدولة المسخ (إسرائيل)، كأنما قُدّوا من أديم جدودهم، قد سلكوا طريق آبائهم، فنزعوا نزعهم.
ونحن المسلمين؛ يعلم الله تعالى، أوسع الناس دارًا، وأكرم الناس مَحْتِدًا، قد اتسعت نفوسنا والبلاد، واقتسمنا اللقمة على حُبٍ وفاقة حتى مع اليهود، وبذلنا وَقْتَ بَخِلَ الناس، وَشَحُّوا، وصار سَمْتُ صدورنا استيعاباً، وقت قام الناس في كل البلاد والنجاد على اليهود، وما حديث الأذفونش السادس(1) بسِرٍ.
أما المغتصبون اليهود؛ فهذه شواهد المقال، تنبيك عن طباعهم العتيقة الدفينة المطمورة في التاريخ، وهذه شواهد الحال، تفضح لك الصورة حتى تقول: ما أشبه الغراب بالغراب.
وإن تعجب، فَمِمَّ العجب؟ وأنت تعلم أن ربنا سبحانه أحب لنا أن نرى الحقيقة بأصبارها، بهية جلية، لا تخفى منها خافية، والعاقل من أخذ الأمر بقوابله وهواديه، فكما كان الجَد، يكون الحفيد، فشاس الأول هو شارون الآخر، ويهود خيبر والنضير، هم يهود نتساريم أو إيلي سيناي، ولا اعتبار للزمن، فالدخائل عَيْنُها والدفائن، وكذا مُخَبَّآتُ الصدور، فَمِمَّ العجب إذن، والقوادم تَشِي بالذيول وتحكيها! بالأمس الغابر كان بنو النضير يتحصنون بحصونهم، ويمتنعون بدورهم وبيوتهم، فسلطهم الله على هذه الدور والبيوت، يخربونها بأيديهم، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجَاف بابه يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين (الحشر:2) في صورة موحية، وحركة مصورة، فتسقط الحصون بفعلهم هم، ثم يزيدون فيخربونها بأيديهم، وأيدي المؤمنين.
تلك صورة "يهود" أمس، يوم لم تكن الحضارة قد أخذت من الشعوب مأخذها، ولم تعرف الإنسانية المعاني التي عرفها الناس اليوم، فلا مساواة، ولا إخاء، ولا إيثار، أو عولمة، يزعمون!
وبعصرنا، يُخْرَجُ اليهود من مغتصبة "يميت" في سيناء، في سني الثمانينيات، فيدعونها قاعًا صفصفًا، أو كالصريم؛ لا دار ولا حجر، ولا ماء ولا شجر، ولا طريق سابلة، فكل ما تركوه شاهد أنه: من هنا مر اليهود.

من هنا مرت وجوه كالحة؛ من جنين، من رفح، من حي الزيتون، من بيروت، من صبرا وشاتيلا، فمن كل مكان مر "يهود"، تركوا أثرًا يشهد، وعلامة تشير، تنشر الموت وتبقي الأرض قحلاً، تنزع نخل سيناء من أرضه، وتزرعه زينة في طرقات فلسطين المغتصبة، ولا تجد من ينكر عليها.

هؤلاء هم اليهود، فهل ينشق الثوب عن غير صاحبه، وهل كان الحفيد غير جده، فإن كان أحد يُمني نفسه بأن يخرج الصهاينة تاركين وراءهم غنيمة يغنمها المسلمون، فهو واهم، سيبيدون كل أخضر وطائر، لن يبقوا حجراً أو شجراً، لن يتركوا أثراً غير دمار الأرض وحرق الكون، ودفن المخلفات الكيماوية والنووية في مغتصبات القطاع، أما آبار الماء التي استنزفت مياه غزة ثلاثين سنة، فأُراهن قبل الهدم يتم التلويث، إنه الكيان الصهيوني؛ واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط!

تقول يهود: "علينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري"(2) للأمن المزعوم مثلاً، لإشباع غريزة سفك الدماء على فطير صهيون، للخضوع لرغبات إرهابيي المغتصبين، لئلا يفرح الفلسطينيون ساعة بنصر الله وتوفيقه المجاهدين، لئلا يقال: إن حجر "فارس عودة"(3) الطفل الشهيد، صار دارًا محررةً ووطنًا، وأنَّ المقاومة تقلع عين المحتل وتَجزُّ قلبه. فلتخربوا بيوتكم، ولتدمروا القرميد الأحمر المصبوغ بدماء "إيمان حجو"(4) ابنة الشهور الأربعة، فسنعيد القحل بعد البور زرعًا يانعًا، وسنحرث من الأرض بقاياكم المُتَبَّرة، ونغرس مكانكم أبناء الشهداء والأسرى؛ فسائل نصرنا الآتي، ونسمي مغتصبة "كفار داروم"(5) "مدينة الشهيد محمد سلطان"(6) من أهل الشرقية بمصر، الاستشهادي الذي فجر نفسه على أسلاك مغتصبة كفار داروم(7)، ونبني فيها مسجدًا باسم الشهيد "بهاء الدين أبو السعيد"(8) ونعلي مآذنه والمنارات؛ كي نرى في بئر السبع وعدًا قطعه على أنفسهم المجاهدون، أن يُسمعوا الفيافي والقفار صوت حدائنا: عائدون عائدون؛ إننا لعائدون.

عائدون كالغيث والندى، عائدون كالمطر، عائدون كالقمر، عائدون كالزَّهَر، كالبِشْرِ عائدون كالأمل.

عائدون برغم كيد العِدا؛ برغم دباباتهم، برغم طائراتهم، نحن الذين نبتنا من جراحات آبائنا، نحن الذين نبتنا من دماء أجدادنا، نحن الآمال المحبوسة في المآقي الدامعات، إننا لعائدون. نحن طلاب حق؛ دورنا في يافا والمرابع حالمات غانيات، تنتظرنا المساجد في بيسان وصفد وطبريا، أن نعلي فيها التكبير.

نحن طلاب حق؛ مزارع أجدادنا الباسقات في روبين تنتظر، وسوافي الرمل في عسقلان تنتظر، والناس كل الناس للحق الذي قد ضيعوه تنتظر، فمن يجني الزَّنْبَقَ يا عسقلان، ومن يتنسم عبيره الفواح! نحن طلاب حق؛ والكيان الصهيوني رائد الباطل والشر، ورأس محوره المبتور، وهو يقول: "إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير، ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غاياتنا"(9). هذه دولة الصهاينة، فهل نحتاج بعد كتاب الله وصفًا يصفها، ليبين المعالم العظام للطريق، طريق الحق الذي ضيعه زنادقة العلمانية في تيه التجارب.

الهوامش

(1) في الأندلس حين ضاق الأمر بالمسلمين ولوحق اليهود، فاتسعت البلاد العربية لليهود أهل ذمتنا، رغم شدة الأسبان آنذاك.

(2) بروتوكولات حكماء صهيون ص:116 ترجمة محمد التونسي ط:4 .

(3) الشهيد الطفل فارس عودة، قتله يهود بدم بارد وهو يقف في وجه الدبابة يحمل حجرًا ليقاوم!

(4) قصفتها الدبابة بقذيفة واحدة فقط، فلم تمت؛ إذ "الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون".

(5) إحدى المغتصبات شرق دير البلح.

(6) ينبغي على أبناء فلسطين من الآن، أن يطلقوا هذا الاسم على مغتصبة كفار داروم، وأن تنادى في كل خطاباتنا وأدبياتنا بهذا الاسم الحبيب؛ مدينة الشهيد محمد سلطان.

(7) المجاهد الشهيد محمد سلطان؛ من مصر، من محافظة الشرقية ، زحف على بطنه حاملاً لغمًا هائلاً، وهدفه أحد مراكز الحراسة في المغتصبة، فانتبه له حارس

وهو على بعد خطوات من هدفه، فأصابه في ذراعه، فتحامل وزحف حتى بلغ هدفه وفجره رحمه الله، فكان الاستشهادي الثاني في هذه المعركة المظفرة فجر 14-4-1948م.

(8) كان المجاهد الشهيد بهاء الدين أبوالسعيد قد اقتحم مغتصبة كفار داروم، وقاتل فيها المغتصبين وقتلهم، واستشهد رحمه الله بداية انتفاضة الأقصى، فكان أول من غزا مغتصبة كفار داروم في هذه الانتفاضة.

(9) بروتوكولات حكماء صهيون ص:118 ترجمة محمد التونسي ط:4.

==============

#الصحافة المأجورة والكتاب العملاء

دأبت القوى الاستعمارية ومازالت على تجنيد طبقة من الكتاب في البلاد الإسلامية للقيام بالتشكيك في الإسلام ومحاولة ضرب ثوابته، وتشويه العاملين في الحقل الإسلامي وترويج الأكاذيب ضد الدعاة إلى الله.

وأصبح معلوماً في عالم الإعلام أن هناك مؤسسات إعلامية وكتاباً باعوا أنفسهم للاستعمار وارتضوا أن يكونوا خدماً لمشاريعه التغريبية، نظير ثمن بخس وعرض زائل من الدنيا فأصبحت كل مهمتهم الدس الرخيص على العمل الإسلامي والتحريض المتواصل على الصحوة الإسلامية وأبنائها.

وقد استغل أولئك العملاء والسماسرة تصاعد الحملة الأمريكية الغربية على الإسلام والمسلمين والعمل الإسلامي، فأوغلوا في العمالة وقدموا أنفسهم وأقلامهم وفكرهم بل وشرف مهنتهم بضاعة رخيصة وحولوا صحفهم ومؤسساتهم إلى سهام مسمومة ضد كل ما هو إسلامي، فانضموا إلى الحملة الغربية الصهيونية الرامية إلى تجفيف منابع التعليم الإسلامي وإغلاق العمل الخيري الإسلامي، ومحاولة تأميم المساجد وشل الدعوة الإسلامية والترويج في نفس الوقت إلى الإباحية الغربية تحت شعارات الحرية والدعوة إلى عولمة المرأة والإسهام في نشر الرذيلة، والعادات الهابطة على أوسع نطاق.

وينتهز أولئك العملاء والسماسرة كل حدث صغر أم كبر محاولين الصيد في الماء العكر... محرضين على العمل الإسلامي كله، ومطالبين بضربه والقضاء عليه.

والملاحظ أن أولئك العملاء يكشفون بين الحين والآخر عن حقد دفين يملأ قلوبهم حيال ما يحققه العمل الإسلامي والصحوة الإسلامية ورجالها من نجاحات كبرى بفضل الله في شتى الميادين الاجتماعية والخيرية والتعليمية والسياسية في مقابل الفشل المتواصل لدعاواهم، والإفلاس البين لأفكارهم، والعجز الصارخ لحركاتهم بين الناس حتى صاروا في حال مزرية، الأمر الذي طيّر عقولهم فصرفوا وقتهم وكرسوا أقلامهم تارة لإشعال الفتن بالتطاول على مقدسات الإسلام، وتارة بالاجتراء على علماء الإسلام وتارة أخرى بتحريض الحكومات وأجهزة الأمن ضد العمل الإسلامي.

وقد خيل لهم خيالهم المريض أنهم يمكن أن يحققوا ما يريدون.. ولكن هيهات..

وعلى أولئك أن يراجعوا التاريخ ليعتبروا..

فقد تعرض الإسلام وقادة الصحوة الإسلامية إلى حروب أشد ضرواة على أيدي الأنظمة الثورية العميلة، ولكن هذه الأنظمة تحللت وسقطت بزعاماتها وأيديولوجياتها وبقى الإسلام شامخاً، وظلت الصحوة الإسلامية تواصل انطلاقتها.

ألم يتذكروا بعد ما فعله النظام الناصري العميل بقوته البوليسية القمعية وآلته الدعائية بالدعاة إلى الله؟.. وهل تناسوا ما فعله الطاغية العميل صدام حسين ونظامه البعثي بالإسلام والمسلمين؟

وهل يتعامون عما تقوم به بقية الأنظمة الثورية العميلة التي مازالت متربعة على كراسي الحكم بدعم غربي في محاربة الإسلام ومطاردة الدعاة إلى الله وسجنهم وتعذيبهم وقتلهم؟

ألا يؤوب أولئك النفر من الكتّاب، وتلك الصحف والمؤسسات إلى رشدهم؟.. ألا يعلمون أن الكلمة أمانة ومسؤولية إما تضع قائلها في مصاف الشرفاء، أو تلقي به في خندق العملاء المأجورين؟

ألا يعملون ليوم يقول الله سبحانه وتعالى فيه: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (24) (النور) وصدق رسول الله {: "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".

===============

#منتدى بيروت يقيّم مدى التزام العرب بعولمة المرأة

بيروت: م

عندما عارض الكثيرون ومنهم الإسلاميون مؤتمر القاهرة الدولي للسكان عام 1994 ومن بعده "وثيقة بكين" باعتبارها مدخلاً لتغيير هوية الأمة عبر بوابة المرأة، وأكدوا خبث الأهداف من وراء تلك المؤتمرات، هاجمهم البعض حينئذ. لكن بمضي الوقت تكشفت المخططات الغربية لتغيير هوية الأمة، جاعلة المرأة إحدى أدوات ذلك التغيير بدعوى الدفاع عن حقوق المرأة أو مناقشة أوضاعها والنهوض بها، بل إن مبادرة الشرق الأوسط الكبير التي أطلقها الرئيس الأمريكي جورج بوش أواخر العام الماضي وتبنتها قمتا الثماني والناتو خلال الشهر الماضي، جعلت المرأة أحد بنودها الرئيسة.

منتدى بيروت: هذه المرة كانت العاصمة اللبنانية بيروت مقراً لأعمال منتدى إقليمي عربي بعنوان "عشر سنوات بعد مؤتمر بكين.."، وهو المؤتمر الذي نظمته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا "إسكوا"، التابعة للأمم المتحدة لتقييم وضع المرأة العربية بعد عشر سنوات على انعقاد "مؤتمر المرأة الدولي في بكين" عام 1994 والذي جاءت مقرراته مخالفة، في كثير، منها للشريعة الإسلامية الغراء.

إسكوا أكدت أن "أهمية هذا الحدث تكمن في القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة بعدم عقد مؤتمر للمرأة عام 2005، واستعاضت عنه بإعطاء أهمية قصوى للمؤتمرات التي سوف تنظمها لجان الأمم المتحدة الإقليمية الخمس، بما فيها "إسكوا"، تحضيراً للدورة التاسعة والأربعين ل"لجنة وضع المرأة" التي ستنعقد في نيويورك في شهر آذار (مارس) المقبل".

الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان أكد في كلمته الافتتاحية للمنتدى التي ألقتها نيابة عنه ميرفت التلاوي الأمين التنفيذي ل"إسكوا" أن هدف المؤتمر "تمكين المرأة"، وجعله شرطاً أساسياً لمكافحة الفقر والجوع والمرض ولتحقيق تنمية مستديمة، إضافة إلى حلّ النزاعات!!

بمعنى آخر، فإن عنان ربط بين أي تنمية في المنطقة والتمكين للمرأة وهو نفس ما قاله الرئيس بوش في مبادرته عن الشرق الأوسط الكبير، من اشتراط تقديم المساعدات الاقتصادية لدول الشرق الأوسط بالاستجابة للمطالب الأمريكية ومنها عولمة المرأة.

و"التمكين للمرأة" يعني طبقاً لأدبيات الأمم المتحدة ومقرراتها، خاصة وثيقة بكين، وغيرها: المساواة التامة بين المرأة والرجل في كل الحقوق والواجبات في الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ثم تسليم زمام القيادة لها في كل شئون الحياة.

ميرفت التلاوي.. رغم إشادتها بالإنجازات التي تحققت للمرأة العربية منذ بكين 94، إلا أنها ذكرت أنه مازالت هناك العديد من التحديات التي تقف أمام النهوض الفعلي بالمرأة في المنطقة ومنها التمييز في بعض القوانين مثل: قانون جرائم الشرف، والعنف ضدّ المرأة والبطالة والأمية، والعادات والتقاليد الخاطئة والتفسير الخاطئ للتعاليم الدينية"، ويلاحظ أن التلاوي خلطت بين بعض المطالب المشروعة للمرأة وتلك المرفوضة ووضعتها في سلة تحديات واحدة، كما غلفت رفضها للتعاليم الدينية التي تضبط حياة المرأة وفق شريعة الإسلام، بعبارة التفسير الخاطئ للتعاليم الدينية وكأن الأمم المتحدة والغرب هم المعنيون بتقديم التفسير الصحيح لتلك التعاليم، وفاقد الشيء لا يعطيه!

أهداف المنتدى

وقد تركز الهدف الأساسي في منتدى بيروت الإقليمي الأخير على إعداد تقارير وطنية لكل دولة عربية على حدة حول مدى الالتزام بتنفيذ وثيقة بكين 94 وما تم إنجازه المعوقات والمقترحات وذلك لإعداد تقرير إقليمي تقييمي للدول العربية يتم تقديمه ل"لجنة وضع المرأة" في هيئة الأمم المتحدة التي ستعقد اجتماعها في مارس 2005 لاستعراض تنفيذ وثيقة بكين.

وباستعراض وثيقة بكين التي وقعت عليها 180 دولة نجد أنها أكدت على عدد من المطالب على جميع الدول بما فيها الإسلامية والالتزام بها ومنها تمكين المرأة (empowerment of woman) تم ترجمتها بمعنى "تمكين" والترجمة الحرفية تعني "تسلط أو تسيُّد".

ووضعت الوثيقة قاعدة العمل على أساس الجندر النوع الاجتماعي وليس الجنس.
بمعنى المساواة الكاملة بين الذكر والأنثى وعدم مراعاة أي فروق بينهما، ومن ثم فإن مناط التكليفات والواجبات هنا هو النوع الاجتماعي وليس الجنس الإنساني وما يستتبعه من المساواة الكاملة في شئون الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وياحبذا طبقاً لترجمة المصطلح الأجنبي لو تم تسييد المرأة سياسياً واقتصادياً! وهذا ليس بمستبعد، ففي مؤتمر إقليمي آخر تم تنظيمه تحت رعاية الأمم المتحدة في إمارة دبي يوم 8 مارس 2004 كان عنوانه (المؤتمر السادس للسيدات: القيادة الطريق الوحيد لنجاح السيدات)، خرج المشاركون والخبراء بعدد من التوصيات من أبرزها:
تمكين المرأة في المؤسسات السياسية والعلمية والثقافية والاستفادة من طاقات الشابات وتوسيع فرص العمل في المستويات الإدارية والقيادية.
واعتماد استراتيجية خليجية للنهوض بالمرأة ودعوة الحكومات والمؤسسات ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات النسائية إلى وضع سياسة عامة، والدعوة إلى إنشاء مركز خليجي لإعداد القيادات النسائية.
ومن المقرر أن تتم محاسبة الدول العربية والإسلامية على مدى الالتزام ببنود وثيقة بكين التي لا تقتصر على جوانب تمكين تسيُّد المرأة فقط بل امتدت إلى قضايا أخلاقية واجتماعية تخالف أحكام الشريعة الإسلامية صراحة والنظام الاجتماعي الإسلامي، فكي يتم تغليب جانب الجندر أو النوع وفق ما تدعو إليه الوثيقة ينبغي:
فتح الطريق أمام الحرية الجنسية، والإجهاض، وإلغاء مفهوم "تمايز" الأدوار، وازدراء "الأمومة"، واعتبار العمل المنزلي "بطالة"؛ لأنه دون مقابل مادي... أو كما تقول إحدى الناشطات الإسلاميات في مجال المرأة: إن الهدف من بعض بنود الوثيقة هو "رفع سن زواج الفتاة وخفض سن ممارسة الجنس" وضمان حق الإجهاض الآمن، وتدمير الأسرة كأساس يقوم عليه المجتمع الإنساني بالسماح بحرية الشواذ جنسياً والاعتراف بزواجهم وتكوين أسر لهم تقوم على التبني، وغيرها من البنود.
واستطاعت الأمم المتحدة بالفعل أن تجيش منظماتها المختلفة للوصول إلى تلك الأهداف كلاً في تخصصه، ففيما يتعلق بالأسرة مثلاً جعلت المنظمة الدولية لرعاية

الطفولة "يونيسيف" محاربة "الزواج المبكر" قضيتها الرئيسة، داعية إلى مكافحته عالمياً ورفعت سن الطفولة إلى سن 18 سنة للذكر والأنثى.

التزام عربي

هذه البنود والمقررات الدولية التي تحولت من توصيات لم يكن أحد يتوقع أن تلتزم بها الدول العربية والإسلامية لمخالفتها الشريعة الإسلامية تحولت خلال السنوات القليلة الماضية إلى حقائق وقوانين تم تشريعها فعلياً في بعض الدول العربية والإسلامية العلمانية المارقة، وتم سحب تشريعات الإسلام من آخر حصونه وهو "الأحوال الشخصية" أو "قوانين الأسرة" التي كانت الدول العربية والإسلامية مازالت متمسكة به، بعد أن تم تغريب القوانين في جميع مجالات الحياة، إلا أن الضغوط الدولية وآخرها مبادرة الشرق الأوسط الكبير استطاعت تحويل تلك التوصيات إلى أوامر يجب تطبيقها وسيتم مراجعتها ومحاسبة الدول عليها في مارس2005 المقبل، ومن ثم سيتم معاملة الدول على أساس مدى التزامها بتطبيق تلك الأوامر، وسيتم الربط بين تقديم المعونات الاقتصادية ومدى التقدم في الالتزام بتطبيق تلك المقررات.

ومن ثم فإن الدعوات الأخيرة في بعض الدول العربية من قبل العلمانيين المارقين أو التغير في القوانين في بعض الدول الأخرى، يجب أن يفهم في هذا الإطار بل إن الهجوم الضاري على كل ما هو إسلامي وعلى رأسه الحركة الإسلامية ومناهج التعليم وقوانين الشريعة والقيم الإسلامية، يجب أن تفهم كلها في هذا الإطار باعتبارها تشكل العائق الأكبر أمام تنفيذ مقررات بكين.

ومن هنا فإن تغير قوانين الأحوال الشخصية في دول مثل مصر والمغرب والأردن والضغوط على دول أخرى، هو من قبيل التزام تلك الدول طوعاً أو كرهاً بوثيقة بكين وغيرها من القرارات الدولية في هذا الشأن. وعلى سبيل المثال تأسيس مجالس رسمية للمرأة مثل "المجلس القومي للمرأة" في مصر الذي أنشئ بموجب قرار جمهوري في شهر فبراير 2000م، والذي دعا مؤخراً بصورة رسمية إلى تجريم تعدد الزوجات، وطالب برفع سن زواج الفتاة إلى 16 سنة في مصر وهناك مطالب برفعه إلى 18 وشروع الحكومة المغربية فعلياً في تطبيق تلك المقررات تحت اسم "الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية" وما يترتب عليها من رفع سن زواج الفتاة من 15 إلى 18

في المغرب وتقاسم الممتلكات في حالة الطلاق النموذج الأمريكي وإلغاء تعدد الزوجات، وإضفاء الاختيارية على وجوب حضور ولي أمر المرأة عند الزواج.

الأمر الآخر أن هذه المقررات تأتي في إطار منظومة متكاملة وصفقة شاملة بين بعض النظم العربية والإسلامية من جانب والغرب الذي سخر الأمم المتحدة لتحقيق ذلك، من جانب آخر تقوم على استثناء بند الإصلاح السياسي من مبادرة الشرق الأوسط الكبير مقابل الالتزام بتغيير ثقافة وهوية المجتمعات العربية والإسلامية عبر الانقلاب في مجالات ثلاثة وهي: التعليم والقضاء والمرأة، وعلى الدول العربية والإسلامية رفض هذا التوجه الخاطئ الذي يعد خروجاً عن تعاليم الإسلام الحنيف وما جاء به القرآن الكريم. وأن أي دولة إسلامية تطبق حصيلة تلك المؤتمرات المشبوهة التي يقف وراءها تخطيط صهيوني وصليبي حاقد تخرج نفسها من دائرة الإسلام.

================

#نحو مشروع للنهضة في الوطن العربي

بدعوة من مركز دراسات الوحدة العربية اجتمعت لجنة صياغة "المشروع الحضاري النهضوي العربي" في لبنان لمدة يومين؛ بغرض مراجعة المخطط الأولى للمشروع المقترح ومناقشته وتوزيع أعباء العمل من أجل إعداد المسودة الأولى للمشروع. كانت أولى الملاحظات التى استجابت لها اللجنة اختيار عنوان آخر حيث تعددت الانتقادات للاسم المذكور في متن الموضوع أعلاه؛ فكان الاختيار هو "نحو مشروع للنهضة فى الوطن العربى".

كان مركز دراسات الوحدة العربية قد دعا لندوة كبرى عقدت فى فاس بالمغرب (نشرت مجلة المستقبل العربي كافة أوراقها فى عددها لشهر يوليو الماضي وليتها تنشر التعقيبات التى قدمها المشاركون حول الأبحاث، كما سيصدر إن شاء الله كتاب شامل لكل المناقشات والحوارات).

وقد تعددت الاستجابات بين المفكرين والباحثين والسياسيين لمبادرة إعداد مشروع للنهضة العربية، فهناك من رفض قيام مركز وحيد بمثل هذا العمل، بل هناك من رفض الفكرة من أصلها، بينما كان موقف البعض الآخر إيجابياً مع بعض

الانتقادات، وهناك من اعتبر أن العرب خرجوا من التاريخ وأنه لا أمل فى نهضة عربية فى هذه الآونة.

وحرصاً على أن يدور حوار يثري الإعداد للمشروع المقترح، وحتى تتواصل الأفكار والمقترحات، وليشارك أكبر عدد ممكن من المهتمين، فإننى أضع حصيلة المناقشات حول مخطط المسودة المقترحة بين يدي القراء:

فى البداية لابد من التذكير بموقف مبدئي شخصي ينطلق من موقعي الفكري والسياسي كمسلم ينشط فى إطار حركة الإخوان المسلمين، فقد رحبت بدعوتي مع آخرين من نفس الموقع للمشاركة فى الندوة، ثم كنت الوحيد المنتمي للتيار الإسلامي في لجنة الصياغة التى ستوالي أعمالها بعد 5 شهور يستغرقها إعداد المسودة الأولى.

يلتبس على كثير من الناشطين الإسلاميين الموقف من الوحدة العربية ومن القومية العربية وعلاقة ذلك بالوحدة الإسلامية والخلافة الإسلامية.

ومنذ ظهور فكرة "الإخوان المسلمين" كان ذلك الموقف واضحاً محدداً، حيث قال الإمام حسن البنا فى "رسالة المؤتمر الخامس": إن الإسلام نشأ عربياً، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه بلسان عربي مبين، واتحدت الأمم باسمه على هذا اللسان وقد جاء فى الأثر: "إذا ذل العرب ذل الإسلام"، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه، وأحب هنا أن أنبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبى ص فيما يرويه ابن كثير عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه: "ألا إن العربية اللسان..ألا إن العربية اللسان"، ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية".

إذن هنا موقف واضح محدد، جسده حسن البنا فى مشاركته النشيطة فى الإعداد لميثاق جامعة الدول العربية التى رحب بقيامها، وقدم لعبدالرحمن عزام باشا الأمين الأول للجامعة كل الدعم بدءاً من صياغة الميثاق، ثم تجسد التعاون فى اللجنة العليا

لإنقاذ فلسطين ووجود غطاء سياسى لكتائب الفدائيين الذين جندهم الإخوان لمقاومة عصابات الصهاينة فى أرض فلسطين ورووها بدمائهم الزكية.

جرت بعد ذلك أحداث خطيرة باعدت بين الإخوان وبين دعاة القومية والوحدة العربية، وسالت فى الصدامات دماء غزيرة وسجن وشرد الآلاف فى معظم الأقطار العربية، ساهم ذلك كله فى الالتباس الذى مازال قائماً فى أذهان الشباب المسلم حول الموقف المبدئي الذي يجب ألاَّ يختلط بالمواقع السياسية والصراعات اليومية.

ولقد نجح التياران أو العقلاء منهما على الأقل والمتسامحون فى تقريب وجهات النظر ثم إنشاء المؤتمر القومى الإسلامى ثم المشاركة فى دعم الجهاد فى فلسطين والعمل على تحرير الإرادة العربية والدفاع عن حقوق الإنسان، ويأتى إعداد مشروع للنهضة فى الوطن العربى فى هذا السياق، رغم المشاركة المتواضعة للتيار الإسلامي.

وهناك نقطة فارقة فى توجه كل من التيارين، فبينما موقف التيار الإسلامي (الإخوان المسلمون تحديداً) واضح من الوحدة العربية، نجد أن موقف التيار القومى العروبي من الوحدة الإسلامية مازال غامضاً ً وملتبساً بل وأحياناً معارضاً بحدة أو بهدوء، وقد ظهر هذا عند إعداد ومناقشة أبحاث المشروع المقترح، حيث أصر البعض على أن هوية المشروع عربية رداً على اقتراح باعتماد هوية مفتوحة تسمح بعد ذلك بهوية إسلامية.

إن موقف الإخوان من الوحدة الإسلامية قاطع ومحدد، وواقعي فى الوقت نفسه حيث يعملون على ما سماه البنا "إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية: بتحرير أوطانها، وإحياء مجدها، وتقريب ثقافاتها، وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة"، وهم يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابد منها فى خطوات:

لابد من تعاون ثقافي واجتماعي واقتصادي تام بين الشعوب الإسلامية كلها.

يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد (قديماً كان المؤتمر البرلماني الإسلامي لقضية فلسطين، ودعوة وفود الممالك الإسلامية إلى لندن للمناداة بحقوق العرب في الأرض المباركة ظاهرة طيبة

وخطوتين واسعتين في هذا السبيل.وحديثاً كانت "منظمة المؤتمر الإسلامى" ثم "مجموعة الدول الثماني" التى دعا إليها وساهم فى إنشائها الزعيم التركى نجم الدين أربكان نموذجاً يمكن البناء عليه مع تواضع الأهداف والإنجازات.
والملاحظ أن فلسطين هى التى تجمع العرب والمسلمين حول قضية مركزية ثم جاء التخلف الاقتصادى والتفرق والتجزئة فى عالم التكتلات الكبيرة حافزاً للتعاون).
يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية أو هيئة الأمم الإسلامية أو الولايات المتحدة الإسلامية.
حتى إذا تم ذلك للمسلمين يمكن أن ينتج إجماع على إمام واحد.
وهذا كله يأخذ عقوداً من الزمن، ومن هنا ومن منطلق الإسلام كان العمل من أجل الوحدة العربية واجباً، ولكى تتحقق الوحدة العربية لابد من إحياء شامل ونهضة كبيرة تعم الأمة العربية، ولذلك كان العمل الدؤوب من أجل إعداد مشروع للنهضة في الوطن العربي.
يمكننا من منطلق العروبة نفسها بل والوطنية القطرية ذاتها بل ومن المصالح الخاصة للشعوب والأفراد العرب أن نلتمس ضرورة إعداد مشروع للنهضة، حيث إن الواقع يشهد أن هناك نزوعاً دائباً نحو تحقيق نهضة عربية؛ إلا أن هذه المشاريع ترصد مصير التجارب السابقة التى نجحت حيناً وفشلت أحياناً فقد تحطمت مشاريع محمد على باشا (فى معاهدة لندن 1840م) ومشاريع الخديوى إسماعيل بخلعه ونفيه خارج مصر (1879م) وتحطم مشروع عبد الناصر فى نكسة 1967م ومشاريع حزب البعث العربى التى تعثرت، وتنازع فرعان للحزب حكم سوريا والعراق، ومن المهم دراسة هذه التجارب لوضع اليد على العلل الكامنة وراء الإخفاق المتكرر منذ قرنين من الزمان، ولا يكفى أبداً أن نلقي التبعة على الرفض الخارجى والمؤامرات الواضحة لأننا نستطيع أن نتصدى لهذه المؤامرات إذا توفرت العزيمة وصحت الإرادة ووضحت السبيل.
ثم إن هناك الواقع العربى الراهن الذى يهدد استمراره هوية الأمة العربية بل وجودها نفسه خشية تمزقها إلى أشلاء متناثرة متناحرة، وتمثل الحاجة إلى تحقيق كيان اقتصادي عربي عبر تنمية مستقلة فى عالم لا يعترف الآن إلا بالكيانات الكبيرة

والعرب كتلة سكانية (280 مليونا) وتزخر بلادهم بإمكانات هائلة متنوعة هذه الحاجة الملحة تمثل حافزاً آخر لإعداد مشروع لنهضة العرب.

عوائق في الطريق

هناك عوائق فى وجه هذا المشروع من داخل الأمة العربية نفسها مثل التخلف وقلة اكتساب المعرفة فضلاً عن إنتاجها، والبطالة المتفشية والفقر المدقع وسوء توزيع الثروات وغياب الديمقراطية الذى غيب الجماهير وأهمل الأمة، والأمن المهدد المكشوف، كما أن هناك عوائق خارجية أهمها المشاريع المضادة التي تهدف إلى منع حصول أي نهضة عربية وذلك فى سياق الصراع العربي الصهيوني ومشروع السوق الشرق أوسطية الذى روج له العدو الصهيونى فترة من الزمن ثم تأجل إلى حين تحقيق تسوية بأي وضع لكي ينطلق من جديد.

كما أن هناك أفكاراً مطروحة لإلحاق شمال إفريقيا كله بالمنظومة المتوسطية التي مازلت تراوح مكانها، وإلحاق عدد آخر ناطق بالفرنسية أو غيرها بالفرانكوفونية التي تتزعمها فرنسا، ومشروع العقيد القذافى لإنشاء اتحاد إفريقي بعد أن يئس من الوحدة العربية.

كل هذه مشاريع مضادة تهدف إلى تمزيق الأمة العربية، وأي مشروع للنهضة في الأمة العربية سيكون مهدداً لها، فلذلك تقف ضده كما أن السياق العالمي يتجه نحو عولمة تهدف إلى الهيمنة الأمريكية وتحطيم سيادة الدول القطرية فضلاً عن منع قيام كيانات إقليمية مناهضة لفكرة العولمة أو مناقضة لها، لأن نهضة عربية ستكون مقدمة لنهضة إسلامية وهذه عولمة أخرى ضد العولمة الأمريكية.

وفي ظل غياب أى مشروع عربي معاصر فعال لتحقيق النهضة العربية فإن إعداد مشروع كهذا في ضوء رؤية بديلة مضيئة آملة متفائلة بمستقبل أفضل تتجاوز الحال الراهن يمثل ضرورة ملحة.

وهذا المشروع لابد أن يتضمن محاور أساسية تطرح للنقاش: مبدءاً وفكرة، ضرورة وأهمية، وسيلة وأسباباً، ومن ذلك، على سبيل المثال ودون ترتيب:

1) الوحدة.

2) الديمقراطية.

3) التنمية.

4) العدالة الاجتماعية.

5) الاستقلال.

6) التجدد الحضارى.

مع ضرورة وضع آلية لتضافر هذه المحاور وضمانات لنجاح المشروع كما أنه يهمنا تحديد القوى الفاعلة فى الأمة التى يمكن أن تتبنى المشروع ثم كيف يمكن لنا أن نجسد هذا المشروع بعد الاتفاق عليه في الواقع الراهن، وهذا حديث آخر.

============

#استراتيجية التعامل مع

ثقافة العولمة وإعلامها

د0أحمد بن راشد بن سعيد في حوار مع المجتمع

التطورات المثيرة التي تشهدها تكنولوجيا الاتصال أدت إلى بروز ظاهرة العولمة التي اعتبرها كثير من المثقفين في دول الجنوب امتداداً لهيمنة دول الشمال وتتويجاً لنفوذها الثقافي والسياسي. لكن هذه الآراء لم تضع في اعتبارها صلابة الهوية المحلية، والخصوصية الثقافية لدول الجنوب سيما العالم العربي والإسلامي، وأغفلت الدور الحيوي الذي تقوم به الشعوب في التعامل مع تكنولوجيا الاتصال تعرضاً واستخداماً وتفسيراً. فإرادة الشعوب، ومنظومتها الثقافية، وسياقاتها الاجتماعية، وتقاليدها المتجذرة في التاريخ تشكل موانع طبيعية ضد الاختراق. كما أن استخدام العولمة مفهوم القرية الكونية من أجل بسط هيمنتها الثقافية أدى إلى ارتفاع أسهم الخصوصية، والنزوع إلى المحلي.

لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع كان لنا هذا الحوار مع الدكتور أحمد بن راشد بن سعيد أستاذ الاتصال بجامعة الملك سعود بالرياض.

أثارت التطورات المتسارعة في ميدان تكنولوجيا الاتصال تفاؤلاً مشوباً بالحذر، وأحيت النقاش مجدداً حول (الهيمنة الثقافية)... في رأيك ما الجذور التاريخية لمفهوم الهيمنة الثقافية ومراحل تطوره؟

<< في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن سادت رؤية براجماتية مؤداها أن وسائل الاتصال الجماهيري يمكن تسخيرها لنقل أنماط التقدم التكنولوجي الغربي، وتحطيم البنى التقليدية التي تعوق التنمية في الدول حديثة الاستقلال. وقد فرضت هذه الرؤية نفسها على البحوث الأكاديمية والتعليم، وتم الأخذ بها في سياسات الاتصال والاقتصاد في الدول الغربية والعالم الثالث واليونسكو على حد سواء. ترتب على ذلك أن تدفقت صادرات تكنولوجيا الاتصال الغربية، والأمريكية على وجه الخصوص إلى دول العالم الثالث. ولم تقتصر هذه الصادرات على الأجهزة، بل شملت المضامين والخبرات.

ثم ظهر نموذج الهيمنة الثقافية الاتصالية وانتشرت أكثر الكتابات حول الهيمنة الثقافية من أواسط الستينيات إلى أواخر السبعينيات، وهي الفترة التي شهدت التوسع الاقتصادي الكبير للشركات متعددة الجنسيات. وكانت أمريكا اللاتينية المحضن الخصب لهذه الكتابات، حيث تم الربط بين التوسع الاقتصادي للرأسمالية الأمريكية والتصدير واسع النطاق للمنتجات الثقافية وتكنولوجيا الإتصال الأمريكية، و في أواخر السبعينيات خفت الحديث عن الهيمنة الثقافية الاتصالية لاصطدامها بعاملين: الإنتاج المحلي للبرامج الإعلامية الذي قلل الاعتماد على البرامج الأمريكية، ثم التفسيرات المحلية للرسائل الإعلامية الوافدة.

مع مطلع التسعينيات وتزايد عولمة الثقافة والاتصال عاد الحديث بقوة عن الهيمنة. أصبحت المنتجات الثقافية الغربية أكثر حضوراً من ذي قبل. تطورت تكنولوجيا الإتصال تطوراً مدهشاً، وخرجت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة وحرب الخليج الثانية بانتصار دراماتيكي توجهاً القوى العظمى رقم 1. هذا الانتصار السياسي صاحبته طروحات وكتابات جعلت منه انتصاراً أخلاقياً وحضارياً. فاندثار الاتحاد السوفييتي، والتوجه الدراماتيكي نحو الديمقراطية واقتصاد السوق في أوروبا الشرقية خلقا جواً من النشوة والزهو، ودفعا بعض المفكرين إلى القول بنهاية التاريخ وانتصار القيم الليبرالية الغربية.

هنا أصبح حديث الهيمنة طاغياً وعالمياً أكثر من ذي قبل. لم يكن هناك خلاف في أي وقت من الأوقات حول وجود هيمنة غربية ثقافية على الشعوب الأخرى، لكن

الخلاف كان حول حدود هذه الهيمنة ومدى تأثيرها. في السنوات الأخيرة إزداد الحضور الأمريكي في ميدان الثقافة والاتصال: أصبحت الثقافة الشعبية أكثر السلع الأمريكية تصديراً بعد الطائرات. الأفلام الأمريكية شكلت40% من سوق الأفلام الأوروبية وربع سوق التلفزيون. أكثر من نصف الأفلام التي تعرضها محطات التلفزيون الأوروبية تم إنتاجها في الولايات المتحدة. المسلسل الأمريكي باي ووتش تم عرضه في 114 بلداً وأخبار السي إن إن وأفلام ليون كنج وموسيقى مايكل جاكسون ومادونا إلى الوجبات السريعة ماكدونالدز وبيتزاهات، وهكذ يتبدى عصر العم سام ويحبس العالم أنفاسه أمام ظاهرة ثقافية متفجرة.

إذا كانت الهيمنة الثقافية الاتصالية تعني الاختراق وتهميش التقاليد المحلية وتعزيز القيم الرأسمالية، فماذا تعني العولمة؟ وهل هناك فرق بينها وبين مفهوم العالمية التي يدعو إليها الإسلام؟

<< تعددت تعريفات العولمة، فهناك من يعرِّضها بأنها: تشكيل وبلورة للعالم كله بوصفه مكاناً واحداً، وظهور لحالة إنسانية عالمية واحدة. وهناك من قال إنها تعني في جوهرها: رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية الاقتصادية والإعلامية والثقافية كي تمارس أنشطتها بوسائلها الخاصة، وتحل محل الدولة في ميادين المال والاقتصاد والثقافة والإعلام. والهيمنة الثقافية هى إحدى آليات العولمة، حيث تعمل جنباً إلى جنب مع الشركات متعددة الجنسيات ومنظمة التجارة العالمية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي لنسج خيوط العولمة. بيد أنها تعتبر أخطر هذه الآليات لأنها تمهد الطريق أمام تيارات العولمة الأخرى عبر الترويج للنمط الاستهلاكي، وتفتيت القيم المحلية السائدة، وردع أو تثبيط أي محاولة للنهوض الاقتصادي أو التفرد الثقافي. وانطلاقاً من هذه الرؤية فإن العولمة هي تتويج للنظام الرأسمالي والقيم الليبرالية الغربية على مستوى الكون، ما يفسح المجال لهيمنة ثقافية وأشكال أخرى من الهيمنة.

أما عالمية الإسلام وإن اتفقت مع العولمة في بعض جوانبها من حيث أنها تهدف إلى تشكيل وبلورة العالم كله بوصفه مكاناً واحداً وظهور لحالة إنسانية عالمية واحدة إلا أنه يرفع راية التسامح ويشدد على مفهوم: لا إكراه في الدين (البقرة:256)، ولا

يحاول سلب الخصوصيات القومية، بل ينفتح على كل ما هو كوني وجميل وصالح بغرض إثراء الحضارة الإنسانية تحت راية التوحيد وهذا ما جعل الشعوب والدول التي دخلت في الإسلام تتمسك به وتتبنى الدعوة إليه والجهاد في سبيله لا أن تقاومه وتعمل على محاصرته مثلما يحدث الآن مع دعوى العولمة التي هي:احتواء للعالم وفعل إرادي يستهدف اختراق الآخر.. وسلب خصوصيته الثقافية.

قلت إن الهيمنة الثقافية هي أخطر آليات العولمة.. كيف ؟

<< يمكن ملاحظة الهيمنة بجلاء في انتشار النعوت والمصطلحات التي تطلقها الدوائر السياسية والصحفية الغربية على الأشخاص والجماعات والأحداث. من أمثلة ذلك التمويه، أو تلطيف القبيح، أي استخدام عبارة ملطفة وغير مباشرة لوصف شيء بغيض ومنفر مثل وصف الإبادة الجماعية لمسلمي البوسنة وكوسوفا ب: التطهير العرقي، وغزو لبنان عام 1982م ب: سلام الجليل، وتسمية حدوث إصابات مدنية في الحروب ب: الضرر المصاحب، والهدف كما يقول أحد الباحثين هو جعل الحقيقة السيئة مقبولة لغوياً كما يطلق المركز الغربي أوصافاً تخدم مصالحه أو مصالح حلفائه، كإطلاق اسم: يوم الغفران على حرب رمضان 1973م، واسم: جبل المعبد على المسجد الأقصى، ووصف القدس الشرقية بأنها: متنازع عليها بدلاً من محتلة، ووصف الغارات الصهيونية على لبنان عبر السنين بأنها:انتقام أو دفاع عن النفس. ويدخل في ذلك أيضاً وصف الجزء الذي تحتله الهند في كشمير بأنه: الجزء الذي تديره الهند، وصف المقاتلين الشيشان بأنهم إرهابيون، أو جيش تحرير كوسوفا بأنهم انفصاليون. هذه النعوت ليست وصفية مجردة، بل أيديولوجية صادرة عن رؤية حضارية وموقف ثقافي معيَّن. فالشيشانيون إرهابيون ليس لأنهم كذلك فعلاً، بل لأن المركز الغربي يقول إنهم إرهابيون. والخطورة أن هذه التسميات لا تتوقف عند مجرد الكلام، بل تقود إلى عمل. فوصف (الإبادة الجماعية) لمسلمي البوسنة ب (حرب أهلية) يعني عدم التحرك، ورفض التدخل بين أطراف متناحرة أو جماعات يقتل بعضها بعضاً منذ مئات السنين. أما وصف الأمر بأنه إبادة أو اعتداء فيقتضي ذلك حسب القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة التدخل لردع المعتدي وإنقاذ الضحية. ووصف شعب كوسوفا بأنه (انفصالي) يعني ضمناً رفض مطالبه بالاستقلال، فكيف

ينفصل الطفل عن أمه، أو كيف ينفصل عضو من الأعضاء عن باقي الجسد. هذه المصطلحات تمثل شكلاً من أشكال الهيمنة التي فرضتها عولمة الثقافة والاتصال والنفوذ السياسي لدول المركز الغربي.

هل ترى أن هذه الهيمنة بلا حدود وتجعل شعوب عالمنا العربي والإسلامي مسلوبة الإرادة لا تملك سوى الاستجابة لمنبهات مركز العولمة؟

<< بالطبع لا. من الخطأ التسليم بقدرتها على إذابة التقاليد المحلية وصهرها في بوتقة واحدة. إن ذلك يتجاهل إرادة الجماهير وما تملكه من وعي ذاتي وقدرة على الاختيار أو التفادي والدور النشط الذي تقوم به في التعامل مع تكنولوجيا الاتصال تعرضاً واستخداماً وتفسيراً بناء على ما تحققه من إمتاع وإشباع.

فكثيراً ما تقوم الشعوب بتطويع تكنولوجيا الاتصال لخدمة الثقافة المحلية أو الاتجاهات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات ويسخرها لأهداف لم ترد في فكر صانعيها ولم يصمموها لها أصلاً. إن تكنولوجيا الاتصال تسمح للجماعات المتوافقة فكرياً والمتباعدة جغرافياً بالاندماج في نشاطات مشتركة، وتشكيل جبهة ضاغطة على مستوى العالم مما يحقق لجهودها التكامل والتأثير. ثبتت فاعلية وسائل الاتصال الإلكترونية الشخصية في مجالات عديدة أبرزها مجال المعارضة السياسية، ومقاومة الاحتلال وطلب الاستقلال فصورة الشهيد محمد الدرة شكلت جبهة كونية ضاغطة لمصلحة الشعب الفلسطيني المطالب بحريته، كذلك استخدام فيلم عن مذبحة صبرا وشاتيلا وإعادة عرضه بعد انتخاب شارون رئيساً للوزراء ساهم في تذكير العالم بأن جزار وسفاح صبرا وشاتيلا لن يكون رجل سلام، ومن قبل استخدم آية الله الخميني الكاسيت الصوتي لإشعال لهيب المعارضة ثم الثورة ضد الشاه، والجمهور يقبل على هذه البدائل في ظل ضعف وسائل الإعلام الرسمية وغلبة السمة الدعائية عليها وافتقارها إلى التثقيف والمعالجة الشاملة والموضوعية للأحداث، فيلجأ الجمهور إلى التسهيلات التي تقدمها تكنولوجيا الاتصال الشخصية بحثاً عن طرح مختلف، أو نافذة للرأي الآخر.

ويمثل الإنترنت مع أنه ظاهرة جديدة ومتنامية دليلاً حيوياً على نشاط الجماهير وقدرتها على تطويع تكنولوجيا الاتصال. في العالم العربي ينمو الوعي بأهمية الشبكة

العالمية وضرورة الاستفادة منها لتدعيم القيم، ونشر المعلومات، والإسهام الإيجابي في حركة العولمة.

هناك الآن آلاف المواقع الإسلامية والعربية على الشبكة أقامت معظمها الاتحادات والمنظمات الإسلامية في طول العالم وعرضه ويوجد تنسيق مستمر بين معظم هذه المواقع إزاء القضايا الحيوية مثل قضية فلسطين، والتمييز العنصري الذي يتعرض له المسلمون في الغرب (يشمل ذلك إعداد ملفات توثق الممارسات العدائية والجرائم وأشكال الإقصاء التي يتعرض لها المسلمون. وهناك مواقع عديدة للقرآن الكريم بلغات مختلفة، ومواقع تحتوي على أوقات الصلوات وعناوين المراكز الإسلامية ومعلومات عن الحج والعمرة وحساب المواريث وترجمات للحديث النبوي وخدمات إخبارية وترفيهية منوعة).

إن الإنترنت يفتح آفاقاً واسعة للجمهور النشط ليقوم بخدمة ثقافته المحلية وهويته الخاصة. ويشير بعض الدراسات عن استخدام تكنولوجيا المعلومات في الكويت إلى أن الشركات الكويتية لا تستخدم الإنترنت لالتماس صفقات تجارية عالمية، بل لتعزيز الهوية المحلية ونشر القيم الإسلامية المحافظة، وهو ما لا تدركه الآن خطابات الهيمنة في عصر المعلومات التي تشدد على الهيمنة. ولاحظت نمواً لثقافة إنترنت نشطة ونمط ثابتاً من المعرفة والممارسة المحلية شكل استجابة الكويت لعصر المعلومات. وتصف الدراسة عملية بناء ثقافة عالمية بأنها تشكيل لفرقة موسيقية غير متناغمة ثقافياً: الآلات ليست سواء، هناك أكثر من قائد، وليس كل الموسيقيين إذا وجد أحد أصلاً يريد أن يعزف اللحن نفسه. النتائج يمكن أن تكون موسيقى جميلة أو رديئة حسب الظروف.

حيوية الجماهير

ومما يدلل أيضاً على حيوية الجماهير هو أنها ليست متجانسة في قراءتها للرسائل الإعلامية، وأنه لا يوجد معنى كوني أو مطلق للنص حتى وإن كانت هناك أيديولوجية مهيمنة عليه. تصاغ الرسائل الإعلامية بحذر لتحمل معنى موجهاً، لكن ذلك قد يصطدم بالقدرة التفسيرية للجمهور الذي قد لا يتشرب المعنى المراد. فتحاول الجماهير استيعابه وقراءته بطريقة تفاوضية، أو مقاومته وقراءته بطريقة معارضة.

الرسائل الإعلامية إذن حبلى بالمعاني، وعملية استخلاص المعنى تتأثر بعوامل ثقافية واجتماعية محلية. ولهذا يبدو من البساطة القول إن أفلام هوليودو ستقود مشاهديها في أنحاء العالم إلى اعتناق قيم الرأسمالية الاستهلاكية، والتحرر على الطريقة الأمريكية.

اختلاف التلقي والفهم للأفلام والبرامج ومواد التسلية الغربية لا يعني عدم شعبيتها، فالعواطف والدموع ومشاعر النصر والفرح والحزن، وقيام العلاقات وذبولها كل هذا الخليط الدرامي يشحذ الاهتمام ويغري بالمتابعة. لكنها متابعة تقود إلى استهلاك الصور لا المعاني بالضرورة، فالناس يستخدمون معايير ثقافية مختلفة لتفسير الرسائل بطريقة قد تتناقض مع ما يهدف إليه القائم بالاتصال. هذا السلوك يحد كثيراً من تأثير الهيمنة.

إذن نظريات الاستعمار الثقافي التي تقول إن الهيمنة تغلف في لوس أنجلس، وتشحن إلى القرية الكونية، ثم تفتح في العقول البريئة". نظريات غير صحيحة، فالنتيجة عكس ذلك: (عقول بريئة قليلة جداً، وتشكيلة من القرى) ؟!!

<< بالضبط.. عندما ابتكر مكلوهان مفهوم القرية الكونية كان يتخيل عالماً بلا حواجز يمتلك فيه الناس فرصة إبداء آرائهم وإسماع أصواتهم على قدم المساواة. اعتبر مكلوهان وسائل الإتصال الإلكترونية نقطة تحول في التاريخ الإنساني تفرض علينا كما قال: الالتزام والمشاركة، إذ أصبحنا مشتبكين معاً، ومسؤولين عن بعضنا بطريقة يتعذر إلغاؤها. لكن هذه الرؤية لم تتحقق من حيث بقاء ملكية وسائل الاتصال الجماهيري والتحكم في مضامينها بأيدي الدول الغنية، وتحويل القرية العالمية إلى ساحة تتبارى فيها شبكات الإعلام العنقودية التي تحركها اعتبارات الكسب المادي لا الدوافع المعرفية والثقافية. لقد ربطت العولمة القرية الكونية بعجلتها لتنساب فيها المعلومات والمنتجات الثقافية بلا قيود، ويمطر الملايين من سكانها بحملات الإعلان للشركات متعددة الجنسيات. خذ مثلاً إن إعلان فندق إنتركونتننتال الذي يقول: عالم واحد، فندق واحد، إنتركونتننتال.. إنه إعلان لا يجسِّد واقع عالمنا الحقيقي، بل يهدف إلى تحقيق أعلى الأرباح من خلال ترويج أيديولوجية الهيمنة. كم من سكان القرية الكونية لديهم القدرة على استئجار غرفة في فندق إنتركونتننتال؟

الأمر نفسه ينطبق على استخدام تكنولوجيا الاتصال الذي يتطلب مالاً، سواء لشراء الأجهـزة مثـل: التلفزيـون، الراديـو، الحاسـوب أو المنتجات:الكتـب، التسـجيلات، الأقراص المكتنزة..

الأطباق اللاقطة

وماذا عن الأمية والمرض والفقر الذي تعاني منه شعوب كثيرة؟ إن هناك أجزاء من العالم لا تعرف الأطباق اللاقطة ولا الإنترنت. إن الولايات المتحدة وأوروبا واليابان تنفق مثلاً تسعة أضعاف باقي دول العالم على الموسيقى، مع أن شعوب هذه الدول تشكل أقل من سبع سكان الأرض. وفي عام 1991م كان هناك جهاز تلفزيون واحد لكل 1.2 من الأمريكيين، بينما وجد جهاز واحد لكل 32 صينياً ولكل 56 باكستانياً. في الوقت نفسه يتزايد التشبث بالهوية المحلية، ويجري إحياؤها والدفاع عنها. في تركيا مثلاً واجه أنصار حزب الفضيلة فنادق العولمة بإنشاء فنادق إسلامية تقدم خدمات (خمس نجوم) لكي تتفادى ما يخالف تعاليم الإسلام. عدد من المؤسسات الإعلامية العربية شرعت في إنتاج برامج للأطفال تحتوي على (رموز) بديلة وأسلوب مختلف للتسلية. ورغم أن هذه المحاولات تشق طريقها بصعوبة إلا أنها تمثل شكلاً من أشكال المقاومة يتم من خلالها توليد رموز خاصة بالجمهور ومستوحاة من ثقافته وكما يقول أحد الباحثين: قد تهيمن هوليوود وأوروبا بشكل أصغر على التدفق الدولي للأخبار وبرامج التسلية. لكن لا يوجد دليل قوي على اندفاع كوني لشعبية الأمم الغربية وقيمها. الهيمنة في المجال الاقتصادي قد لا تنتج بالضرورة الهيمنة المرادفة في الحقل الثقافي.

لكننا لسنا مخلوقات محصنة ضد التأثير الخارجي.. أليس كذلك؟

<< بالتأكيد.. لكن فوبيا العولمة أمر مبالغ فيه، ويذكرنا بالنزعة الإنسانية التي ترى في كل جديد خطراً، وفي كل وافد شراً مستطيراً. لسنا بالتأكيد مخلوقات محصنة ضد التأثير الخارجي، سيما وسائل الإعلام، لكننا أيضاً لا نقف فاغري الأفواه أمام بعبع يهم بالتهامنا وتذويبنا. إن القول بنشاط الجمهور لا يعني استقلاله الكامل ولا ينفي أن لتكنولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام تأثيراً كونياً. كما أن الحذر من العولمة بوصفها نظاماً للاختراق والنفوذ لا يعني الوقوف منها موقف المصدوم الذي لا يفتح فمه، أو

المصاب الذي يفتح فمه ولكن بالصراخ واللعن. في الحقيقة، ربما كان الاحتكاك بالعولمة مفيداً للتقاليد المحلية التي قد تنهض وتنتعش وتقوى باتصالها بأنماط أخرى للحياة. في هذا الإطار لابد من تفاعل خلاق يقدم برامج ورؤى ومصطلحات ورموزاً مستمدة من تجاربنا وثقافتنا الخاصة. يمكن لنا أن نبادر بطرح رؤيتنا لقضايا كونية ملحة: تدفق الاتصال والمعلومات، حقوق المرأة، الانفجار السكاني، انتهاك الأطفال، أوضاع الأقليات، التمييز العنصري.. إلخ. يمكن أن نحدد مفهوم الإرهاب وأنه لا يعني الكفاح من أجل تحرير الأوطان، ونوضح المقصود بحرية التعبير وأنها لا تشمل تجريح المقدسات. نستطيع أن نرفض ترديد عبارات مثل: سلام الجليل والحزام الأمني والتطهير العرقي والملاذات الآمنة وغيرها من العبارات الأيديولوجية، ونقدم تعريفاتنا المستقلة للأحداث. يمكن أن نستخدم بفاعلية أشمل تكنولوجيا الاتصال لا لتدعيم ثقافتنا المحلية فحسب، بل لمد جسور الحوار و تبادل المعلومات مع الثقافات الأخرى. إن الإنسان عدو ما يجهل ومراكز العولمة التي تتبنى خطاباً أحادياً فوقياً ربما تجهل الكثير عن حضارات الآخرين وثقافتهم وتاريخهم. يجب إذن أن نبدع خطاباً تبادلياً يتحدث عن خصوصيتنا الثقافية في الوقت الذي يتلمس فيه أرضية مشتركة، ويشيد بالتنوع كظاهرة حضارية جميلة تخدم الاستقرار والتعايش على مستوى الكون.

=============

#ديون الدول الفقيرة "سلة" السموم القاتلة

في أحدث تقريرين دوليين عن المخدرات :

مع تزايد معدلات انتشار الفساد المالي "المعولم" تبقى تجارة السموم أكثر إغراء لمافيا المال لكونها الأكثر ربحية بعد تجارة السلاح، والأقل خطراً وتكلفة من هذا الأخير.. هذا من جانب، ومن جانب آخر تظل هذه التجارة ملاذاً قذراً لبعض دول العالم الثالث لتسد من خلالها ديونها للدول الكبرى التي لا ترحم.

تقارير عديدة تصدر دورياً تكشف عن تفاصيل جديدة في هذا الشأن كان آخرها: تقريرين.. أحدهما صادر عن الوكالة الدولية لمحاربة المخدرات التابعة للأمم المتحدة، والآخر صادر عن المرصد الدولي الجيو سياسي.

بالرغم من أن تقرير الوكالة الدولية يسجل حصيلة إيجابية لبعض الدول في مجهوداتها للحد من إنتاج وزراعة النباتات المخدرة إلا أن التقرير يثبت أن هناك حوالي 180 مليون شخص من سكان العالم يدمنون اليوم على استهلاك هذه السموم القاتلة.

جغرافية المخدرات عبر العالم

يشير التقرير إلى البرنامج الذي قدمته الأمم المتحدة للمراقبة الدولية على المخدرات ووضح أن هناك استقراراً في الأسواق الرئيسة للمخدرات، ويؤكد حصول تقدم نسبي في آسيا لمساعدة الدول المنتجة للخشخاش والأفيون لإيقاف إنتاجها، فيما تبقى كولومبيا في أمريكا اللاتينية التي تعتبر المسؤولة عن ثلثي الإنتاج العالمي من أوراق الكوكا، وحوالي 20% من تصنيع الكوكايين. في المقابل، قامت البيرو بتخفيض إنتاجها من أوراق الكوكا إلى النصف، وبوليفيا بنسبة 78% من مساحات زراعة الكوكا، بعد تنفيذ برنامج "مخطط الكرامة" الذي انطلق سنة 1997م في إطار برنامج الحد من انتشار زراعة النباتات المخدرة. وفي جواتيمالا توقف إنتاج الأفيون بشكل شبه نهائي، أما لبنان فقد تمكن من تطهير سهل البقاع من إنتاج نبات الخشخاش، بينما تمكنت مصر من القضاء على مظاهر إنتاج هذه النبتة التي ازدهرت في منتصف التسعينيات.

ومن ضمن الدول التي تمكنت من إنجاز برنامج تصفية إنتاج المخدرات، يشير التقرير إلى تقلص نسبة المستهلكين للمخدرات في الولايات المتحدة وأوروبا، وبخاصة بريطانيا وإسبانيا، بينما سجلت جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق وآسيا الوسطى ارتفاعاً في مستوى الطلب على المخدرات بجميع أنواعها.

هذه المعطيات التي أوردتها الوكالة الدولية لمحاربة المخدرات التابعة للأمم المتحدة تظل نسبية ومحدودة قياساً إلى التقرير الأخير الذي أعده المرصد الجيو سياسي للمخدرات وتضمن رصداً شاملاً لوضعية تجارة واستهلاك السموم البيضاء خلال العام 2000م، ونشر مؤخراً.

وبالمقارنة بين التقريرين، يتضح لنا أن تقرير برنامج الأمم المتحدة للمراقبة الدولية على المخدرات يشكو من الهواجس السياسية بشكل كبير، ويظل محدوداً فيما يتعلق

بالرصد الدقيق لهذه الظاهرة الخطيرة، فتقارير هذه الهيئة الأممية التي تصدر سنوياً تعتمد بالأساس على مجمل التقارير الوطنية المقدمة من طرف البلدان الأعضاء، وواضح أن هذه الأخيرة يكون هدفها حجب الكثير من الحقائق، إذا علمنا أن بعض هذه الدول المسؤولة عن تجارة المخدرات على نطاق عالمي تتوزع السلطة فيها بين الحكم والمافيا، كما هو الشأن في بعض دول أمريكا اللاتينية، وبعضها يعتمد في ميزانيته الداخلية على ما تدره هذه التجارة الرابحة، وبعضها الآخر يسعى إلى تلطيف الأوضاع في الداخل لنيل وسام التهنئة، وكل هذه العوامل تجعل من الرصد الدقيق لظاهرة المخدرات قضية متشابكة ومعقدة، مضافاً إليها أن الدول الغربية تحرص على أن تكون هذه التقارير مخففة لإبعاد نفسها عن دائرة الإدانة والاتهام كسوق رئيس وأساسي للمخدرات، وبعض جوانب هذه القضية يبسطها تقرير المرصد الدولي للمخدرات بشكل صريح.

تقرير المرصد الدولي

تقرير المرصد الدولي الجيو سياسي للمخدرات يشير إلى أن تجارة المخدرات أفادت كثيراً من العولمة، فاستمر ترويج المخدرات وتبييض فوائدها في الازدهار، وخاصة خلال الفترة بين عامين 1998 1999م، موضحاً أن إنتاج هذه المادة ما فتئ في التزايد في البلدان المنتجة الكبرى، على الرغم من مخططات مكافحتها، والخطابات المتحمسة، ومن ضمن هذه البلدان التي ذكرها التقرير تأتي في المقدمة : كولومبيا (الكوكايين) والمغرب (القنب).

وفي السنوات الأخيرة، أصبح فضاء "شينجن" الأوروبي "أهم سوق للمخدرات في العالم"، ولعبت إسبانيا دور النقطة الأهم من أجل دخول الحشيش والكوكايين بسبب قربها من المناطق الشمالية للمغرب التي تشهد زراعة المخدرات، ومثلت تركيا القاعدة الخلفية لتحويل الهيروين القادم.. قبل توزيعه في أوروبا الغربية عبر البلقان.

وقد ارتفعت معدلات تبييض الأموال الناتجة عن المخدرات في السنوات الأخيرة بسبب عولمة التدفق المالي، كما ارتفع الاعتماد على الأموال الناتجة عن تجارة المخدرات في مختلف الأنشطة السياسية، وأصبحت المخدرات عنواناً ل"تجريم عالم السياسة".

ويؤكد التقرير أن إسبانيا أصبحت من أهم مراكز غسل الأموال اعتماداً على النشاط السياحي كواجهة، وتحويلات البنوك الإسبانية إلى أمريكا اللاتينية، وتقول تقديرات "بنك إسبانيا" والبرنامج الوطني لمحاربة المخدرات إن الأموال التي يتم غسلها بإسبانيا تتراوح بين 6 مليارات و12 مليار دولار. كما يشير التقرير إلى أن منظمة "إيتا" الانفصالية في إقليم الباسك تعتمد بدورها على تجارة المخدرات لتمويل نشاطاتها، وقدر هذه المبالغ بحوالي 2,5 إلى 3 مليار بسيطة يتم تخصيص أغلبها لتمويل "أنشطتها القانونية" ومساعدة أعضائها على الهروب إلى فرنسا ودول أخرى بأمريكا اللاتينية.

وقد أصبحت ظاهرة غسل الأموال الناتجة عن المخدرات على رأس أجندة المؤسسات والأنظمة في السنوات الأخيرة، وشرعت أوروبا والولايات المتحدة في الآونة الأخيرة في البحث عن السبل الكفيلة لمحاربة هذه الظاهرة، كما انعقد في تونس في شهر يوليو من العام الماضي مؤتمر جمع مسؤولي محاربة المخدرات في العالم العربي للاتفاق على مشروع قانون موحد لمحاربة غسل الأموال الناتجة عن تجارة المخدرات في العالم العربي، وفي شهر مايو 2000م انعقد في أبو ظبي اجتماع حول الوقاية من الأموال القذرة.

عجز السياسات المضادة

إزاء هذه المعطيات الخطيرة الماضية في التفاعل، تكشف المقاييس التي وضعتها المنظمات الدولية بهدف تفعيل شفافية القنوات المستعملة عن قصورها وعدم فاعليتها جراء الانعدام التام للإرادة السياسية عند التطبيق، ويقدم المرصد الجيو سياسي للمخدرات نموذج الحكومة الروسية في قضية الأموال التي حصلت عليها من صندوق النقد الدولي وتم تحويلها إلى بنوك أمريكية، والتي اتهمت بأنها قامت بتغطية الترويج المحظور، وغسل الأموال.

وينتقد المرصد السياسات الأوروبية المتعلقة بمحاربة تجارة المخدرات، فهذه السياسات تخضع لمقاييس غير مستقرة وتتغير كلما تعلق الأمر بزبائن أو حلفاء جيو سياسيين، فقد أغمض الاتحاد الأوروبي عيونه على الممارسات الإجرامية المرتبطة بالمخدرات في تركيا التي أصبحت أول منتج للهروين في أوروبا، أما الولايات المتحدة فقد

تسترت على علاقات الحاكمين في أمريكا اللاتينية مع مافيا المخدرات لإراحة حلفائها السياسيين والاقتصاديين. ويؤكد المرصد باستمرار، سواء في تقاريره السابقة أو في تقريره الحالي، أن التقارير التي تصدرها الإدارة الأمريكية تعكس مصالح واشنطن بالأساس، وتتماشى مع "شواهد حسن السلوك" التي تمنحها الإدارة الأمريكية أو تمنعها عن مختلف الدول في ضوء تقارير خاصة، ويرتبط هذا بالمساعدات الاقتصادية الأمريكية.

إن تجارة المخدرات تظل مع كل ما تشكله من خطر على الاقتصاد العالمي، إحدى وسائل الابتزاز في يد أوروبا والولايات المتحدة، وهذا ما يكشف فشل السياسات المتبعة منذ الستينيات للقضاء على هذه المواد السامة، بل إن هذه السياسات ذاتها ما هي إلا وسيلة لإبقاء الظاهرة، لأنها تسعى إلى القضاء على زراعات تدر أرباحاً هائلة على دول فقيرة دون تقديم بدائل اقتصادية وزراعية حقيقية، بسبب التجاهل الغربي المقصود لمقومات هذه الدول، فعبارة "الزراعة البديلة" التي تتبناها المنظمات الدولية لمحاربة زراعة المخدرات كشفت باستمرار عن صعوبة في التطبيق العملي لها، بسبب افتقاد الدول المنتجة للبنيات التحتية الكفيلة بإنجاح زراعات تعوض زراعة المواد المخدرة، كما أن مشكلة الديون التي تثقل الدول النامية وبخاصة في القارة الإفريقية، والمستحقة للمؤسسات المالية الغربية الربوية، تجعل من زراعة هذه المواد المخرج الوحيد لأداء ما بذمتها وسداد الديون ذات الفوائد العالية.

من هنا فإن الدول الغربية مطالبة، إن هي أرادت الحصول على نتائج إيجابية في صراعها ضد المخدرات، بإسقاط ديونها المستحقة على الدول الفقيرة التي تعتبر سلة للسموم القاتلة بفعل التقسيم الدولي الاستعماري للعمل، والقبول بدفع أسعار تشجيعية للإنتاج الزراعي المحلي، ورفع القيود الاقتصادية والتجارية والفلاحية المفروضة على تلك الدول من قبل المؤسسات التمويلية الغربية وتوصياتها الاقتصادية الخادعة. وإذا أخذنا مثالاً واحداً فقط، فإن بوليفيا تعتمد على ورقة الكوكا المخدرة لتحسين ميزان مدفوعاتها وتجنب الكوارث الاقتصادية، فزراعة الكوكا تتيح لها دخلاً سنوياً يقدر بمليار دولار.

ومهما يكن شأن السياسات المضادة للمخدرات، فستظل مسؤولية أوروبا قائمة باعتبارها السوق الرئيس، وقد عبر الرئيس الكولومبي الأسبق عن هذه الحقيقة حين قال: "مادام هناك حكومات لا تعمد جدياً إلى مواجهة موجة الاستهلاك في دولها، فنحن أيضاً لا نستطيع بمفردنا حل هذه المشكلة".

=============

#العولمة.. تبشير بالرأسمالية الأمريكية

يثير مصطلح العولمة (1) Globalization ومفاهيم الشراكة وعروض التعاون والتبادل الدولي الجماعي والثنائي والمتعدد الأطراف وطروحات النظام العالمي الجديد كافة جدلاً واسع النطاق، وأسئلة لا أول لها، ولا آخر، ويعبِّر عن اختلافات نظرية وعملية عميقة تصل حد التناقض والتصادم بين مختلف الأطراف الدولية، كما يُثير إشكالات Problematiques لا حصر لها لا تتصل بأبعاد وأهداف الفكرة في حد ذاتها، بل بما تعكسه من نماذج هيمنة لا تبدو مقنعة خلف صراع المصالح المستعر، وبما تفرضه كذلك من تبعية مباشرة لقطب دولي قوي.

ولعل أكثر وأهم الإشكالات تلك التي تتجاوز غموض الفكرة وتعدد مصطلحات التعبير عن الظاهرة، والخلافات التفسيرية الناشئة عنها إلى حكم حاد مُسبق عليها نتيجة تصورات مُسبقة كذلك، تضع في اعتبارها نتائج وسياقات التطور التاريخي المؤلم للصراعات الناشئة في أكثر الأحيان عن خلافات أيديولوجية وتصادم مصالح، كما لا تهمل تعسفية الغرب الخاصة بمسألة القوة وبمسألة الاحتواء Containment في الاقتصاد والسياسة الدولية والتي في مقدمتها: شرط اقتصاد السوق.

إن أطروحة العولمة تشمل كل مجالات النشاط التبشيري، فرغم طابعها الاقتصادي، إلا أنها لم تتم بمعزل عن تحولات السياسة والثقافة واللغة والفن... إلخ، التي تشكل روافد تصب في الرأسمالية، بمعنى أنها تقوم على فكرة أساسية "رأسمالية" في الأصل، وفي صورة إمبريالية جديدة ذات صفات وأبعاد حضارية وإنسانية ترتكز على دعاوى "الحرية"، و"الديمقراطية"، و"حقوق الإنسان"، و"الأمن الدولي"، و"المشروعية"...إلخ لتحصيل مصالحها دون أدنى مصادمة حتى تقوّض أسباب رفض المشروع برمته، وتفوّت فرصة اصطدامه بالثقافات المحلية والتناشز المعرفي

وكذلك بالثقافات القومية والمصالح المترتبة والناشئة Cogintive Dissonance عنها التي تشكل جهة الرفض حتى هذه اللحظة.

السيطرة تحت ستار السلام: والغرب هو الخاسر الوحيد إذا حدث هذا الصدام أو الرفض الدولي، باعتباره تربى على ترف اقتصادي وسلوك معيشي تميّز بالبحبوحة على حساب تعاسة وفقر واحتياج أغلبية سكان الأرض، وهو ترف حققته الآلة العسكرية في حُقبة تاريخية محددة بالاستعمار المباشر وحققته الشركات المتعددة الجنسية(2)، عقب انحسار ذلك الاستعمار وتشكيل الحكومات الوطنية ومشاريع التنمية الرأسمالية، وهو الآن مهدد بفعل تنامي الوعي الوطني والقومي الذي يجتاح الأرض، وبفعل زيادة معدلات النمو الاقتصادي بأنماط غير رأسمالية، وهو ما جعل الغرب يُقدّم فكرته في طبق السلام والتعاون والشراكة والمصالح المتبادلة والأمن الدولي... إلخ، حتى يحقق مصالحه ويحافظ على امتيازاته دون أدنى مصادمة تجعل سعر فاتورة المواد الخام أكثر مما هو قائم بحساب اقتصاد الربح الرأسمالي الذي يضع في اعتباره شبح حروب التحرير الشعبية في فيتنام وكوريا والجزائر... إلخ، وما يمكن أن تثيره صدامات المستقبل من أزمات للنظام الرأسمالي برمته تجعله يفقد أسواقاً قائمة، ويواجه أزمات خطيرة.

وليس من شك من أن تطور الاقتصاد البرجوازي الغربي ونشوء الرأسماليات التجارية والصناعية الحديثة في شكل رساميل ولوبيات وإمبراطوريات، قامت على أكتاف سكان الجنوب، وهذه الحقيقة لا يمكن أن تنكرها أوروبا محل ولادة ظاهرة الاستعمار، حتى وإن فقدت سيطرتها ووزنها السياسي وثقلها الدولي لمصلحة أمريكا كقوة منتصرة منذ الحرب العالمية الثانية وأنتج ثقلها البشري والاقتصادي والتقني، "فمشروع مارشال" مثلاً لإعادة إعمار أوروبا لم يقطف ثماره سوى الأمريكان الذين أعادوا الإعمار بوصفات التبعية والهيمنة، هذا التحليل يُفسر إلى حد بعيد مسألة الوحدة الأوروبية، فأوروبا اضطرت تحت ضغط مطالب المستقبل وضغط المصالح إلى إعلان الاتحاد الأوروبي والسوق الأوروبية المشتركة والعملة النقدية الموحدة "اليورو" وإزاحة كل الفواصل، رغم ما يفصل بينها من عوازل الطبيعة وفواصل الجغرافيا السياسية وما يُفرِّق بينها من لغات وأديان وأجناس وإرث نفسي وثقافي مليء

بالمواجهات والمشكلات، أفرزتها الحروب والتطاحنات والثارات التي لا تخفى على أحد من المطلعين على تاريخ تحولات أوروبا، لكنها اختارت صيغة الوحدة والتقارب والتعاون "الأوروبي الأوروبي"، واستبدلتها بصيغة الحروب القومية "وفكرة المجال الحيوي"، والصراع على المستعمرات ومناطق النفوذ، حتى تفلت من طوق الكماشة الأمريكية الجديدة التي تمثلها فكرة العولمة، وحتى لا تكون ضحية مشروع مارشال أمريكي جديد.

ورغم ما يُميِّز التحالف التقليدي "الأوروبي الأوروبي" على الصعيد الدولي من كونه أقوى التحالفات وأكثرها تأثيراً على الساحة الدولية، إلا أن الأوروبيين ينظرون إليه كأداة مشاركة دولية بمعنى أنه يجب أن يتم خارج ساحة أوروبا، واكتشفوا أنه لا حلف لأوروبا إلا مع نفسها، وحتى تبقى أوروبا للأوروبيين، فإن الاتحاد الأوروبي يعني بكل المقاييس قفل باب أوروبا أمام أطروحة العولمة وأمام الحليف الأمريكي بالتحديد، الذي عليه أن يرتع كما يشاء، وأينما يشاء، ولكن بعيداً عن المراعي الأوروبية.

الهوامش

(1) إن لفظة "العولمة" هي إحدى المقابلات العربية لكلمة Globalization الإنجليزية، ولمثيلاتها في اللغات الأوروبية، ومن الباحثين العرب من اختار لفظة "الكونية" في مقابل كلمة Mondialization أو "الكوكبية" في مقابل كلمة Plonetavixation، ولكن لفظة "العولمة" أصبحت الأشيع والأروج من غيرها، وهي كلمة لها مثيلات من حيث الصيغة الصرفية في اللغة العربية، فمن نظائر عولمة: حوقلة "بمعنى الضعف"، وعومرة: بمعنى الاختلاط والجلبة وجمع الناس وحبسهم في مكان، وكوكب وكوكبة: أيضاً بمعنى الجماعة، ونورج ونورجة، وكثر هذا الوزن في كلام المحدثين، فقالوا: قولبة وبلورة وحوسبة.

(2) تكوَّنت بعض هذه الشركات في القرن السادس عشر، واليوم أصبح بيدها الحلّ والربط بعد أن أصبحت ذات حجم أكبر من الحكومات نفسها، ولقد أوجدت من خلال نفوذها الهائل والمؤسسات المالية التي تدور معها في المدار نفسه نظاماً تستطيع من خلاله تغيير التشريعات لتتلاءم مع مصالحها حتى ولو اقتضت

الإجـراءات تفكيـك وإلغـاء وتقلـيص الخـدمات الاجتماعيـة مثـل العـلاج الطبـي، والمسـاعدات الطبيـة والمنـافع الاجتماعيـة، واليـوم نجـد مائـة شـركة فـي الفضـاء الاقتصادي العالمي وهي تتحكم ومنذ عام 1995م في عملية العولمة عبر وسائل الإنتاج والترويج السلعي.

==============

#بين الصدام والحوار

اختير عام 2001م عاماً لحوار الحضارات، تلك التي تقترب نحو الصدام كلما قلت المسافات الجغرافية بينها.. حيث الشعوب الضعيفة هى الضحية الأولى لهذا الصراع والمعرضة لذوبان الهوية، إلا إذا بادرت بالحصول على أداة دفع تضمن بها بقاءها، وتواكب عصره، وتتقن في الوقت نفسه لغة الحوار.

تعدد الحضارات : منذ أن انتشر الإنسان على وجه الأرض وذهب مذاهب شتى، أخذت تتعدد الحضارات، بل تنافرت بعد أن ضلت طريقها وخرجت عن منهج الله القويم.. وتلونت بطبيعة الحال الثقافات، تصادمت تارة نتيجة تضارب المصالح، وعاشت بعضها بجوار البعض بسلام في أحيان أخرى. وقد أشير إلى صدام الحضارتين الفارسية والرومية في القرآن الكريم. إلا أنه لم تكن التصادمات في قديم الزمن كثيرة كماً وكيفاً، لأسباب أهمها اتساع المسافات الجغرافية بين البلدان وندرة الاصطكاك بين الشعوب.

ثم تحول العالم إلى قرية صغيرة وتقاربت أكنافه منذ مطلع القرن العشرين بفضل اختراع وسائل اتصالات حديثة كالطائرة والهاتف والمذياع والتلفاز وغيرها. ومع ذلك بقي شيء كبير من الحواجز المصطنعة بين الشعوب، مما ضمن الاستقلال لكثير من الشعوب، فضلاً عن وجود معسكرات فكرية عالمية متضاربة كالشيوعية والرأسمالية خلقت أقطاباً استنجد بها شطر من الضعفاء للحفاظ على هويته.

بيد أن عصر الثورة المعلوماتية الذي حل في عقد الثمانينيات، غيّر كل هذه المعايير؛ حيث اتسعت دائرة الاتصال بين الشعوب المختلفة.. وذلك بظهور الفضائيات؛ لتفسح المجال للتأثير والتأثر إيجاباً وسلباً في أكثر من إطار، ثم انهار الاتحاد السوفييتي الذي أدى غيابه لافتقاد التوازن السياسي الدولي لصالح المعسكر

الرأسمالي وإفساح المجال للغرب لفرض ثقافته عملياًً على الشعوب الأخرى عنوة. وظهر دور صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ليأخذا في التحكم على مصائر الدول المقترضة سياسياً واقتصادياً وحتى ثقافياً، ثم ظهرت منظمة التجارة الحرة؛ ما أتاح الفرصة للدول المستكبرة للهيمنة على الدول المستضعفة، وأخيراً ظهرت شبكة الإنترنت العالمية فاخترقت الحواجز الثقافية والأمنية والتجارية والمعلوماتية كافة، وحلت ظاهرة "العولمة" الشاملة، فحصل في آخر المطاف احتكاك غير مسبوق بين الحضارات المتضاربة.

دواعي التصادم

أولاً: دوافع حضارية :

تنبأ "صموئيل هينتنجتون" السياسي الأمريكي المعروف وأستاذ العلاقات الدولية، وطارح نظرية "تصادم الحضارات" في مقاله في صيف (1993م) باندلاع صراعات مستقبلية سوف تتركز على معايير ودوافع ثقافية وحضارية، وأن الصراع على وجه التحديد سيكون بين الحضارة الغربية من ناحية، وتحالف إسلامي كونفوشي من ناحية أخرى؛ وأيضاً بين الحضارة الغربية، ومجموعة الحضارات الأخرى الهندوسية والبوذية واليابانية، وحضارة أمريكا اللاتينية؛ أي أن المستقبل سيشهد مواجهة بين الغرب وبقية العالم. وبذلك تكهن أن العالم سيتوجه نحو التقسيم إلى ثمانية أقطاب رئيسة: الصين، واليابان، وشبه القارة الهندية، والعالم الإسلامي، والغرب المتمثل في أوروبا وأمريكا الشمالية وروسيا، وإفريقيا وأمريكا اللاتينية. وأوضح هانتنجتون أن أحسن نموذج للتصادم بين الثقافات هو التصادم بين الإسلام والغرب.

وبعد ثلاث سنوات من مقالته الشهيرة أصدر هاينتنجتون كتاباً بعنوان "صراع الحضارات: إعادة صنع النظام الدولي" انتهى فيه إلى القول: إن صِدام الحضارات هو الخطر الأكثر تهديدًا للسلام العالمي، وأن الضمان الأكيد ضد حرب عالمية هو نظام عالمي يقوم على الحضارات. وأدخل في إطار "الحضارة" الآداب والتقاليد، والديانة والثقافة، وركز على دور المذهب بهذا الصدد.

ثانيا: دوافع اقتصادية :

ويرى هاينتنجتون أن العامل الثاني للتصادم هو: الدوافع الاقتصادية؛ نتيجة النقص في الموارد الغذائية، وكثرة السكان، والاضطراب السكاني، وتضارب المصالح الاقتصادية، وحول ملكية المعادن، ومصادر المياه والبحار؛ بصورة أشد فتكاً وشراسة.. وبالطبع تناسى أن يذكر ظلم الإنسان لأخيه كعنصر جوهري في النقص في الموارد الغذائية. وذكر أن زمام الاقتصاد سيفلت بمرور الوقت من أطر البلاد والقوميات، ليستقر بأيدي الشركات المتعدية الجنسية. وهكذا تفاقمت أسباب الصدام، في زمن تساعد التقنية المتطورة في تقليل المسافات بين الحضارات المتضاربة المتنافرة، في عصر العولمة..

ظاهرة العولمة

وبرغم أن كثيراً من الشعوب لا يرحب بنظرية "العولمة" ويعتبرها لعنة الحضارة الحديثة، وهم على جانب كبير من الحق ولا سيما فيما يتعلق ب"عولمة الثقافة".. إلا أن خبراء الاقتصاد يرون أن "عولمة الاقتصاد" من متطلبات الاقتصاد الحديث، الأمر الذي لا مفر منه. إذ البقاء حسب أحدث النظريات الاقتصادية للشركات التي تخرج من الإطار الوطني لتمر بمرحلة الإطار الإقليمي ثم لتدخل الإطار الدولي. فتوسيع إطار السوق يعني تخفيض الأسعار، وجذب الاستثمارات، والتمكن من استخدام المبتكرين والموهوبين في مجال الاقتصاد. ولنا في الاتحاد الأوروبي، ومنظمة "آسيان" في جنوب شرق آسيا، و"إيكو" في بلاد جنوب ووسط آسيا ومنظمات اقتصادية أخرى في أمريكا اللاتينية.. أمثلة لشراكات إقليمية تعمل خارج نطاق البلد الواحد.

وقد أجريت دراسات على خمسة وعشرين ألف شركة عالمية في غضون (1996م) إلى (1999م) اختيرت من بينها (مائتا) شركة نالت وسام "أحسن الشركات"، على خلفية التطورات التي حصلت بها، وعلى أساس الزيادة في المكسب المادي بنسبة ثلاثة عشر ضعفاً أكثر من نظيراتها من بين سائر الشركات، وزيادة عشرة أضعاف في مجال إيجاد فرص الوظائف، وزيادة تسعة أضعاف في مجال ارتفاع أسعار الأسهم. وأوضحت الدراسات أن مبادرة هذه الشركات لشراء الشركات الصغيرة أو الاندماج معها، بهدف التمكن من التنافس، كانت أحد أهم عناصر نجاحها.

وأوضحت الدراسات أيضاً أنه لا توجد شركة آسيوية بين هذه الشركات المائتين، وقد احتلت الشركات الأمريكية رأس القائمة، تليها الشركات الأوروبية، وكان أهم أسباب نجاح الشركات الأمريكية وجود قوانين وفرت مناخاً ثقافياً واقتصادياً ملائماً لهذا التطور الاقتصادي، بالإضافة إلى استخدامها بصورة موسعة جداً شبكة الإنترنت لتسهيل نشاطاتها التجارية.

الكفاءات: المستهدف الأول

ويرى خبراء الاقتصاد أن التجارة المستقبلية الدولية ستتركز على مجالات التقنية المعلوماتية، وتجارة الخدمات، وصناعة وتصدير البرمجيات، تلك التي تعتمد على العلم والتقنية أكثر مما تتكئ على رؤوس الأموال. ومن هذا المنطلق فالأدمغة وأصحاب الكفاءات العلمية التي تدير هذه التجارات تعتبر رؤوس أموال غالية.

وقد تنزح الأدمغة بالملايين من العالم الثالث لدوافع متعددة اقتصادية واجتماعية وسياسية، متجهة إلى البلاد الغربية.. لتكون بذلك ضحايا العولمة بصورة حادة. ويواكب ذلك قيام الدول الكبرى بجذب ذوي الكفاءات من العالم الثالث، وعلى رأس قائمة هذه الدول الولايات المتحدة. وقد قام الكونجرس الأمريكي مؤخراً بإعداد لائحة قانونية تسمح للشركات التي تعمل في مجال "التقنية المتطورة" بإحضار 600 ألف خبير في مجالات مختلفة إلى الولايات المتحدة خلال السنوات الثلاث المقبلة. وقد صوَّت مجلس النواب الأمريكي لصالح هذه اللائحة بعد إبداء الدكتور "جري بيكر" الخبير الاقتصادي الأمريكي الحائز على شهادة نوبل في الاقتصاد وجهة نظره بخصوص منافع عملية اجتذاب الأدمغة.

وقد قال الدكتور بيكر في مقاله: "...لم يعد تطور البلد رهين الآليات وتوافر السيولة والأرض؛ وإنما وجود أكبر عدد ممكن من المختصين المهرة والخبراء، الذين هم أحسن رأس مال في هذا العصر، وهو أهم عوامل التطور في عصر تقنية المعلومات المتطورة، وإن أنفع وأحسن استثمار هو الاستثمار في قطاع تدريب الخبراء والكفاءات ذات الاهتمام والابتكار والتجربة".

وفي هذا الصدد.. أنشئت مؤسسات أمريكية لدراسة سبل الاستفادة من الأدمغة الهاربة من دول العالم الثالث. فقد كتب "ريتشارد بو" الخبير الأمريكي في شؤون

روسيا كتاباً في 305 صفحة، بعنوان: "كيف نستفيد من الخبراء الروس القادمين" يستفيد منه رؤساء الشركات الأمريكية المعنية كخير دليل. وكتب "بو" في كتابه يقول: "إن الذي قدم "إستفان باتشيكوف" اللاجئ الروسي في مجال التقنية المتطورة للولايات المتحدة قدّم لنا خدمة كبيرة بالغة الأهمية، وإنه بعد عشرين عاماً من إنجازه عثرت الولايات المتحدة على تقنية عالية ومن جرائها حصلت على مليارات الدولارات.

أهمية الحوار

وهكذا يتضح أن صدامات من أجل المصالح قادمة من شتى الجهات، وإن مستقبل البشر حافل بالأخطار التي قد تكون على صورة حرب عالمية ثالثة مدمرة. وإنه يجب على المسلمين الذين لايشكلون تكتلاً سياسياً أو اقتصادياً قوياً، ويعانون من ظروف عسرة ويواجهون تداعيات من الهوان وانتهاكات لحقوقهم في أكثر من مكان عدم الإهمال في القيام بإعداد العدة من القوة العسكرية والثقافية والاقتصادية ما استطاعوا للمواجهة والدفاع عن كيانهم، وبجانب ذلك معرفة مبادئ الحوار كخيار بديل للصدام، ومن هذا المنطلق تتبلور أهمية الحوار.

يقول أحمد أبو حسن زرد الباحث في الشؤون السياسية : يشكل حوار الحضارات أحد الاهتمامات الإنسانية في عصر العولمة؛ حيث تعقد الندوات والمؤتمرات على المستويات المحلية والإقليمية والدولية كافة لاستشراف المستقبل بشأن هذه المسألة، والبحث بصفة أساسية عن القواسم المشتركة بين الحضارات الإنسانية؛ وذلك من أجل احتواء كل العوامل التي قد تفضي إلى حدوث صراع حضاري قد تكون له عواقبه الوخيمة على مسيرة التقدم الإنساني".

ويرى خبراء العلاقات الدولية الإسلامية أن التعاون والتفاهم والتعايش هي سمات أساسية للعلاقات الخارجية الإسلامية ليس هذا فحسب، بل إنَّه لا توجد صعوبات في العمل مع الأطراف الدولية كافة لتطوير قواعد القانون الدولي ووضع أسس نظام دولي جديد أكثر عدلاً واستقراراً يحظى بالقبول من الجميع.

اختيار خيار لغة الحوار لا يعني بالضرورة الشعور بالخذلان والضعف فتاريخ المسلمين وهم في قمة الهيمنة السياسية حافل بالحوارات مع غيرهم. ففي ذروة

الفتوحات الإسلامية (750–632م) كانت هناك علاقات سلمية بين الدولة العباسية وبيزنطة، وحدثت صلات وثيقة بين "أكس لاشابيل" عاصمة "شارلمان" ملك الفرنج وبين بغداد عاصمة الرشيد.

وبعد انتهاء الحروب الصليبية أبرِمت معاهدات الصداقة والتحالف بين السلطان المملوكي "الأشرف خليل" سلطان مصر وسورية و"دون جيم" ملك الأرجون، والتي نصت على أن يكون الأخير صديقاً للأشرف خليل وعدواً لأعدائه، ثم توثقت العلاقات الدبلوماسية بين السلطان المملوكي وعدد من الدول الأوروبية.

موقف العالم من الحوار

حين طرح الرئيس الإيراني محمد خاتمي نظرية حوار الحضارات في سبتمبر عام 1997م خلال كلمة ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، لقيت الفكرة إقبالاً، وعليه حدد عام 2001م عام حوار الحضارات ليكون الحوار معياراً للعلاقات الدولية. يقول خاتمي عن وجهة نظره: "..إن نظرية حوار الثقافات ليست مجرد شعار فارغ عن المضمون، وإنما حاجة البشر الملحة.. يدل على ذلك إقبال الشعوب عليها، وإن الحوار يجب أن يحتل منعطفاً جديداً في العلاقات الدولية.."

وقال "كوفي عنان" الأمين العام للأمم المتحدة في كلمته خلال افتتاح قمة الألفية بهذا الصدد" من الممكن أن يحل الحوار محل الصدام والنزاع. وإنه الحوار لأحسن أداة أخلاقية ودينية" وعين كوفي عنان "جياندو دومينكو بيكو" مندوباً خاصاً لمتابعة موضوع الحوار، وكلفه بأن يتصل بالمثقفين من البلاد المختلفة لتحديد إطار يجب أن يحدث الحوار فيه ليقدم لائحة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وقد بذلت إيران جهداً كبيراً في تكريس هذه الفكرة، منها على سبيل المثال انعقاد المؤتمر الثاني لحوار الحضارات الذي تم في طهران في نوفمبر الماضى بحضور ممثلين للحضارات الأربع القديمة: مصر، وإيران، واليونان، وإيطاليا (روما القديمة) التي بإمكانها لعب دور مهم في حل قضايا يعاني منها البشر، على رأسها قضية الفقر المدقع، والظلم الاجتماعي، وتهريب وإدمان المخدرات، والأزمات الأسرية والأخلاقية، والجرائم المنظمة وغير المنظمة، وتلوث البيئة، وعشرات من القضايا

الأخرى ذات الصفة الدولية خارج إطار الحدود الجغرافية والعرقية والدينية، وضرورة استمرار حوار الحضارات، وقبول مبدأ تنوع واختلاف العادات والحضارات.

وكذلك أبدت منظمة المؤتمر الإسلامي اهتماماً بهذا الشأن. فمنذ عام (1997م) تدعو المنظمة إلى إجراء حوار بين الإسلام والغرب. ونصت في ميثاقها على أن أحد أهدافها الأساسية هو إيجاد المناخ الملائم لتعزيز التعاون والتفاهم الدوليين"، وأكدت "أن الحضارة الإسلامية تقوم بشكل ثابت عبر التاريخ على التعايش السلمي والتعاون والتفاهم المتبادل بين الحضارات، وكذلك على التحاور البنَّاء مع الديانات والأفكار الأخرى.

أهداف الحوار

ولعل الرئيس الإيراني أراد بطرح نظرية الحوار إنجاز أهداف أهمها:

أولا: إجراء الحوار بين المسلمين بمختلف حضاراتهم قبل انعقاده مع غيرهم بهدف التقريب بينهم. ونلاحظ أن فكرة تشكيل "سوق إسلامي مشترك"، وتعزيز السياحة بين الدول الإسلامية من أجل التقريب بين الأمة الإسلامية من حصيلة هذه المحاولة. وقد تبنت إيران شعار "السياحة ذريعة لإبلاغ رسالة السلام والتعرف على الثقافات" في مجلس وزراء السياحة لأعضاء المؤتمر الإسلامي في شهر أكتوبر الماضى، حيث يرى الخبراء أن السياح خير سفراء لبلادهم لحل المآزق الثقافية العالقة بين الشعوب المختلفة.

ثانياً: فتح باب الحوار مع الغرب ومواجهة العولمة الثقافية والحضارية، بصورة إيجابية فاعلة وبناءة، ذلك تحاشياً لضغوط وابتزازات يمارسها الغرب على غيرهم من الشعوب بصورة مباشرة وغير مباشرة وبشتى الوسائل.

ثالثاً: الاعتراف بما أسماه خاتمى ب"الديموقراطية العالمية"، تلك التي ترسخ مبدأ السيادة والإرادة الحرة لكل الشعوب. فمن ثمرات الحوار المرجوة الاعتقاد أن لكل شعب حقه في الاحتفاظ بثقافته المحلية، ذلك الذي يعتبر من صميم الديموقراطية، وهو ما تحبذه الشعوب. ويتساءل خاتمي: "إن الثقافات هي أداة التعارف والتفاهم، فكيف يحاول الغرب محوها ؟" ويضيف: "لماذا يركز على أبعاد التصادم ويجري

تكبيرها بينما بوسعنا الحوار مستعينين بثقافاتنا.. وإن تعدد الثقافات لا يؤدي بالضرورة إلى التخاصم والتصادم..

ويعتقد خاتمي أن نظرية الحوار سوف تؤدي إلى تحسين العلاقات السائدة بين الشعوب، إذ..في غياب ثقافة حوار الثقافات، تعطي البلاد التي تتمتع بقوة اقتصادية وتفوق في مجال التقنية العسكرية لنفسها الحق في فرض إرادتها على الشعوب الأخرى. وإن نظرية الحوار تريد تعديل هذه القاعدة الجائرة، وهذا الأمر يخلف ديموقراطية دولية على غرار الديموقراطيات الموجودة على مستوى الشعوب والدول. فكما أن للأفراد في المجتمع حقوقاً متساوية، فهكذا الشعوب، وهذه الديموقراطية الدولية تتضمن رسالة السلام الدولي للعالم. وإذا ما اعترفنا بهذه القاعدة يكون الحوار لا الصدام أداة العلاقات بيننا. وعندئذ يستقر السلام الدائم. ويجب أن تساهم الشعوب والأمم كافة في ذلك.. وهنالك يمكن أن يسود السلام..".

من يحاور ؟

أولاً: صناع القرار من السياسيين الذين لهم دور كبير في تكليل فكرة الحوار بالنجاح.

ثانياً: علماء الدين وبرغم أن العالم المعاصر يتأثر بنوع ما بالنظام المادي الغربي، إلا أن الغرب نفسه يعترف أنه لايزال للدين مكانته في قلوب الشعوب في حسم النزاعات الدولية. ومن هذا المنطلق فقد قامت الأمم المتحدة بإنشاء مجلس استشاري للأديان لإعطاء النصح والكلمة حول دور الدين في تحقيق رسالة السلام.

ثالثاً: المثقفون إن حوار الحضارات أو الثقافات يعني حوار المثقفين قبل غيرهم. وتقوم نظرية الحوار على أرضية عدم حصر الشؤون العالمية بأيدي السياسيين، وإنما هناك دور للمثقفين والجامعيين والصحفيين وأصحاب الفنون الأخرى يجب أن يلعبوه وأن يشاركوا في تشييد جسر العلاقات بين الشعوب.

لكن هل أفسح المجال عملياً للمثقفين ليقوموا بلعب أدوارهم ؟

نلاحظ ترحيب الكتاب والمثقفين بالحوار، بيد أنهم يعجزون عملياً عن شق طريقهم إلى لعب دور، نظراً لأن ما أفسدته السياسة ليس باليسير، من ذلك إبعاد المثقفين من ساحة صناعة القرار. ويعتقد المثقفون أن الجانب السياسي لا البعد الثقافي له دور اكبر في منع الحوار. ومن هذا المنطلق، ولكي يتمكن المثقفون من القيام

بمهمتهم يجب توفير إمكانات معنية لهم. ويكاد يتفق السياسيون أنفسهم ألا معنى لحوار الحضارات والثقافات دون مشاركة المثقفين.

رابعاً: أصحاب الفنون الأخرى، وتشير الدراسات إلى أن أصحاب الفنون الأخرى لا يزالون بمعزل عن لعب دور في حقل تبادل الثقافات.

ويقول "محسن دامادي" كاتب الأفلام الإيراني: "إن الفنون تقارب بين الشعوب، حيث إن الثقافة والفن هما اللذان يهيئان مناخ السلام بين الشعوب. بيد أن بحث حوار الحضارات يصطبغ بصبغة سياسية أكثر منها ثقافية. ومن هذا المنطلق يمكن أن تتكلل نشاطات الحوار بالنجاح إذا ما خرجت من صبغتها السياسية".

ويبقى التساؤل بشأن ما مدى جدوى التحاور؟

يرى الخبراء أن من مبادئ التحاور التفاهم السلمي، لا فرض القيم أو غزو المعتقدات، وأنه لن ينفع الحوار بين الطرفين الشرق والغرب إلا في وضع يكون فيه كلا الجانبين المتحاورين متساويين. في ظل هذا المناخ يصبح تبادل قيم الحضارات بين الشعوب ممكناً. فلكي يستطيع المسلمون أن يقوموا بحوار إيجابي، يجب أن يكونوا متساوين مع منافسيهم، ويشكلوا تكتلاً إسلامياً موحداً. وبعبارة أخرى يجب أن تتحقق مكملات الحوار. فليس معنى قبول مبدأ الحوار، التقليل من أهمية الإعداد الشامل عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، وإهمال أخطار الأعداء. إذ يجب أن تستعد الأمة الإسلامية لمواجهة ظاهرة العولمة الثقافية التي تفرض تأثيرها على الشعوب، كما يجب تربية الأجيال لتكون مستعدة لمواجهة الثقافات الغربية ولا سيما الأمريكية بصورة فاعلة وإيجابية.

وما لم يدرك المسلمون أن عليهم أن يسلكوا سبيل الوحدة الإسلامية، فلن يكون لديهم أي أمل بالاستقلال السياسي، وسيكونون أيضاً تابعين اقتصادياً، وسيبقون تحت سيف هيمنة القوى الخارجية الكبرى.

وعلى صعيد آخر، لا يجب التهويل من الهيمنة العسكرية الأمريكية وقوتها الاقتصادية، بالشكل الذي يثبط عزيمة المسلمين. يقول أسعد صقر أستاذ الفلسفة السوري: ".. التاريخ يعلمنا أن الهيمنة لا تستطيع أن تستمر؛ لأنها تخلق دائماً القلق والثورات والتمرد. ذلك إن الاقتصاد الأمريكي يجد صعوبة كبيرة في التناسب مع هذه

القوة العسكرية الهائلة للسيطرة على العالم، فضلاً عن وجود مشكلات كثيرة داخل المجتمع الأمريكي، ومنها مشكلة الصراع العرقي الذي لا يبدو الآن ظاهرًا بشكل كبير، ولكنه بين الحين والآخر يعبر عن نفسه بأشكال شديدة العنف والقسوة. فلن يمكن القول إن هذا النظام يحمل في طياته تحديات كبيرة سوف تعيد إلى العالم نوعاً من توازن القوى، وإن المستقبل سيكشف هذا.. قد يكون تحالفاً أوروبياً – آسيوياً، أو تحالفاً أوروبياً متوسطياً.

العولمة تشهد تحديات كبيرة في أوروبا وفي اليابان وفي قلب الولايات المتحدة نفسها، علاوة على العالم الثالث الذي يشكل الجزء الأكبر من البشرية، فلا نستطع أن نهمل أو نتجاهل هذه الدول التي لن تبقى خائفة أو مجرد كم مهمل أمام الهيمنة الأمريكية. وإذا ما آمن المسلمون بأن المستقبل للإسلام، وأخذوا حذرهم وأعدوا عدتهم الأمر الذي يعتبر بمثابة عنصر مكمل للحوار عندئذ يثمر التحاور، وتحتل الأمة الإسلامية مكانة سامية بين الأمم في عصر العولمة بإذن الله تعالى.

===============

#تقسيم العالم العربي بين مشروعي الشرق أوسطية الأمريكية والبحر متوسطية الأوروبي

حتى تضمن الأمة عنصر وحدتها وإرادتها في الاختيار والقرار

على الرغم من مظاهر الاتفاق والتعاون المكثفة بين الولايات المتحدة وأوروبا في المجالات السياسية والاقتصادية، إلاّ أن حدة التنافس بين الطرفين تظهر بشكل حاد في السباق الاقتصادي والتجاري وامتلاك النفوذ الأوسع في حركة الاقتصاد العالمي. ويظهر الوطن العربي من بين أبرز مناطق التنافس.. فأوروبا كمجموعة تحاول جذب الوطن العربي إلى مشروع تعاوني في إطار سياسة عولمة الاقتصاد، يسمى مشروع "البحر متوسطية"، حيث عقد لهذا المشروع مؤتمر في "برشلونة" بقصد تأسيس مشاريع تعاونية أوروبية متوسطية مع الدول العربية الواقعة على البحر المتوسط في مقابل كل دول أوروبا، وفي ذلك تسعى أوروبا لإبعاد الولايات المتحدة عن الدخول في هذه المشاريع.

بالمقابل تسعى الولايات المتحدة لإقامة "السوق الشرق أوسطية" لتتأكد من خلالها السيطرة والحضور الأمريكيين لما لهذه السوق من تأثيرات على التكتلات الدولية أو الإقليمية الأخرى.

ولا تريد الولايات المتحدة وفقاً لمنطق مصالحها وأهدافها المرغوبة التفريط بالمنطقة التي ورثتها وفق منطق الهيمنة عن الاستعمار البريطاني والأوروبي في آسيا وإفريقيا منذ نهاية الخمسينيات.

على هذا الأساس، فإن دول المجموعة الأوروبية تدرك أبعاد الاستراتيجية الأمريكية فلم تكن متحمسة لقمة عمَّان في إطار "مشروع الشرق أوسطية" ذلك لأنها ستضع إمكاناتها المالية في خدمة المصالح الأمريكية دون منافع، فجاء رد الفعل الأوروبي لأجل مواجهة التنافس الأمريكي بعد أقل من شهرين من عقد مؤتمر "عمّان".

ويبدو الموقف الأمريكي مصمماً على تحقيق السبق بالاستفادة من المشكلات الاقتصادية والسياسية التي لا يزال الاتحاد الأوروبي يواجهها.. ذلك لأن التفكير الأمريكي رغم التظاهر بالتأييد للاندماج الأوروبي، إلا أنه يسعى في إطار الشرق أوسطية إلى احتواء أوروبا ومنعها من التحول إلى قوة عالمية قادرة على إعادة الحركة لمبدأ توازن المصالح والقوى الذي أصابه الجمود بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق.

ورُبَّ سائل يسأل : ما المظاهر والسياسات التي يُقاس فيها على قضية السعي الأمريكي لاحتواء الاندماج الأوروبي؟

إن هذه المظاهر تبرز بشكل جلي في تعمد الولايات المتحدة تهميش الدور الأوروبي في عملية التسوية، وفي الطريقة التي تعاملت بها مع قضية البوسنة والهرسك، وإيرلندا بناء على مبادرات أمريكية، والتوصل إلى اتفاقات تحت الإشراف الأمريكي علماً بأن الأخيرتين أزمتان في القارة الأوروبية.

إذن فالهدف من الوجود العالمي الأمريكي وخصوصاً في أوروبا إنما هو رسالة للأوروبيين بأن الولايات المتحدة هي القوة العالمية القادرة على ضمان الأمن والسلام العالميين : ليس في منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط فحسب ولكن في أوروبا أيضاً.

وبشكل عام، فإن الأنظار الأوروبية الطامحة نحو الجنوب في كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا تحاول جعل النشاط الأوروبي مع العالم الخارجي يتجه نحو الجنوب وليس شرق أوروبا، فالتفكير الأوروبي يتجه نحو تشكيل سوق لدول البحر المتوسط مع الاتحاد الأوروبي تشمل كل دول أوروبا بالانفتاح على الأقطار العربية "لبنان، سورية، فلسطين، مصر، تونس، ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا، والأردن".

وقد عبَّر عن الشعور بحدة التنافس الأوروبي الأمريكي وزير الخارجية الفرنسي في قمة "برشلونة" حيث قال: إن ثقل الولايات المتحدة جعل المتوسط بحراً خاضعاً للنفوذ الخارجي وللمرة الأولى.

لذلك تسعى أوروبا جاهدة لإقناع مجموعة من الأقطار العربية لتشكيل مؤسسات السوق تحت المظلة الأوروبية التي تضم بلدان الاتحاد الأوروبي الخمس عشرة بلداً ومعها شركاء المتوسط الاثنا عشر بلداً، والعولمة الاقتصادية لإمكانات الدول الداخلة في المشروع "البحر متوسطية"، حسب المنطق الأوروبي، فهي منطقة تجارة حرة لأربعين دولة ب(800) مليون نسمة، إضافة إلى معالجة شؤون الأمن والهجرة و"الإرهاب"، وانتشار أسلحة الدمار الشامل وتنظيم شؤون التجارة ومشاريع النفط والغاز ودعم "الديمقراطية"، ودعم "حقوق الإنسان" بحيث ينتظم ذلك كُلُه في ميثاق ومؤسسات على شاكلة "مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي".

وعموماً فإن الرغبة الأوروبية مازالت تصطدم ببعض العراقيل التي من شأنها أن تجعل المشروع مجرد دعاية ودعوة إعلانية، وذلك بسبب صعوبة تحديد الإطار الجغرافي الذي يشمل الأطراف المعنية بالمشروع، فأحياناً يُفهم أن المشروع موجّه إلى دول الاتحاد المغاربي "المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، وموريتانيا"، في مقابل إسبانيا وفرنسا وإيطاليا ومالطا والبرتغال من أوروبا، وأحياناً يشمل المشروع كل الأقطار العربية فضلاً عن كون المشروع لم يبلغ من التفاعل والاتصالات سوى تبادل الآراء، كما لا توجد أي من القوى الأوروبية الكبرى تدعمه بعكس المشروع الشرق أوسطي المدعوم من قبل الولايات المتحدة وعدد مهم من دول المنطقة.

خفايا مشروعات الشراكة الدائمة

وتحاول أوروبا إقناع الأقطار العربية لتحويل التعاون الثنائي المشتت إلى شراكة ثابتة ومنظَّمة في إطار هيكلي يقوم على التبادل الحر، ورغم أن تأثيرات هذا التبادل سلبية على الأقطار العربية في المرحلة الأولى، ولكن حسب الرؤية الأوروبية وعلى المدى البعيد سيسمح هذا التبادل بتخفيف أسعار وكلفة المواد المستوردة، خصوصاً في مجال التصنيع، وتُرغِّب أوروبا الأقطار العربية بفتح الباب أمام الاستثمارات الأوروبية التي تؤدي إلى النمو الاقتصادي، وتحاول تبعاً لذلك إغراء الأقطار العربية بتقديم مبلغ بالعملة الأوروبية، يوازي سبعة بلايين دولار كمساعدات مجدولة على خمس سنوات ل(12) دولة تضم (تركيا، الكيان الصهيوني، قبرص، ومالطا، إضافة إلى الأقطار العربية)، ومبلغ آخر يوازي المبلغ المذكور كقروض يحددها البنك الأوروبي، وهذه العملية تهيئ لأوروبا استعادة دورها المفقود في المنطقة وتحويل الشراكة الاقتصادية لاحقاً إلى شراكة سياسية وأمنية.

ومن خلال التمعن والمقارنة بين "الشرق أوسطية" و"البحر متوسطية" نجد بوضوح حدة التنافس القائمة بين الولايات المتحدة وأوروبا.. وفي نتيجتها النهائية وأهدافها بعيدة المدى فإن تلك المشاريع تؤدي إلى تشكيل وضع جديد في خريطة الوطن العربي، بحيث ينفصل المغرب العربي عن عمقه في أقطار المشرق العربي.

وسواء كانت صيغة العَوْلَمة الاقتصادية للمنطقة بتأسيس التكتلات العالمية الاقتصادية نوعاً من التنافس أو نوعاً من الاقتسام، فإنها تستهدف بلا أدنى شك النظام العربي الإسلامي وتحويله من نظام قائم على الركائز الحضارية والثقافية والدينية إلى مجرد نظام يتحور وفق النظريات الاقتصادية، وبالتالي تحويل شعبه إلى مجرد ناطقين باللغة العربية.

إن سياسة "العولمة" الاقتصادية في المنطقة تظهر بوسائلها التشطيرية التي تجزئ الوطن العربي بأشكال جديدة "فوق ما هو عليه الآن!" بحيث يصعب على المدى البعيد إعادتها في إطار التوحد والاندماج على المستوى العربي والإسلامي، وبذلك فإن فلسفة المشاريع هذه تؤدي إلى انقسام العرب بين مركزين متنافسين هما: المركز الأوروبي الذي يضع تحت جناحيه الأقطار في المغرب العربي، والمركز الأمريكي الذي يسيطر على أقطاب المشرق العربي، وبذلك تصبح الأقطار العربية في الجزء

الغربي منافسة للأقطار العربية في الجزء الشرقي.. في إطار التنافس الدولي الأوروبي الأمريكي.. مما يعني وعلى المدى البعيد استهداف كل ما تبقى من عناصر قوة هذه الأمة وتشتيت طاقاتها وإمكاناتها.

حاجتنا إلى استراتيجية إسلامية جديدة

إننا بحاجة إلى المشروع العربي الإسلامي النهضوي الذي يعتمد المصالح الشاملة العليا، وينطلق من أرضية الحد الأدنى للمرونة الواقعية التي تؤكد على الثوابت العقائدية، وتتمسك بمتطلبات الحد الأدنى من الحضور والنهوض العربي الإسلامي المشترك.

إننا بحاجة إلى استراتيجية جديدة قوية نستطيع بفضلها أن نصل إلى مستوى جديد من القدرة على أن نسوس التغيير.. وفق عقيدة تؤمن بأن الصعوبات "والتحديات" يجب أن تحفزنا على التحدي لا أن تصيبنا الشلل والفتور!.

إننا بحاجة إلى تخطي حالة الإحباط وتفجير عناصر القوة في مجتمعنا العربي المسلم، وفي عقلنا المركب لتجاوز المعوقات "الذاتية والموضوعية" من غير انضواء تحت هذه الخيمة أو تلك "لا شرقية ولا غربية" ولنصمِّم مشروعنا الريادي الآن في سويعات الأيام المتبقية أمامنا.. للعمل الموحد بعد ما نؤمن تماماً بأهمية الابتعاد المطلق عن دوائر التنافس الدولي المتسارعة اليوم، وبأهمية انبثاق التعاون العربي الإسلامي وبأسرع ما يمكن، ذلك لأن عملية التكافؤ في المصالح لا يمكن ضمانها إلا في إطار ذلك التعاون والذي يمكن أن يظهر بصيغة "سوق عربية إسلامية" قادرة على المنافسة وفرض المطالب التنافسية في المجالات الخارجية والتكتلات الاقتصادية.

وبذلك تضمن الأمة عنصر وحدتها وإرادتها في الاختيار والقرار.

=============

#في دراسة علمية البروفيسور عبد القدير خان يرسم

قضى البروفيسور عبدالقدير خان جل حياته في معامل الأبحاث، وقد وضع لنفسه هدفاً.. هو الوصول إلى أخطر التقنيات العلمية وأكثرها سرية.. وهي تقنيات التفجير

النووي.. وقد نجح بعد سنوات من البحث والاجتهاد في أن يصبح أبو القنبلة النووية الإسلامية التي أنتجتها بلاده.. باكستان.

د.خان أسس مركزاً علمياً باسم "معامل الدكتور عبدالقدير خان البحثية" في روالبندي في باكستان، كما وضع خطة لبناء معهد للتكنولوجيا الحيوية في جامعة كراتشي الباكستانية.

الدراسة التالية أعدها د.عبدالقدير خان للاجتماع الأول للجنة الاستشارية للبنك الإسلامي للتنمية حول العلوم والتكنولوجيا التي انعقدت في شهر أكتوبر الماضي، وهي دراسة تتناول الواقع الإسلامي المتعثر كما ترسم معالم النهضة الحضارية المنشودة .

في ظل استراتيجية النهضة تستطيع البلاد الإسلامية تطوير الأفكار الجديدة وأن تراعي احتياجات مواطنيها مع الحفاظ على القدرة التنافسية

الألفية الجديدة هي بداية التقدم من الكيمياء الحيوية.. ولذا فإن تطوير التكنولوجيا سيؤدي حتى لرخاء العالم الإسلامي

تعتبر الانطلاقة الدولية نحو العولمة وتحرير التجارة قوة دافعة لظهور إطار اقتصادي جديد، وقد نشأ هذا الإطار . الذي أصبح وجوده أكثر سهولة بسبب التقدم في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات . من الحاجة إلى وجود قدرة تنافسية لكسب حصة كبيرة في السوق الدولي، ويتحدى هذا الإطار الاقتصادي الجديد نموذج النمو الاقتصادي في الماضي الذي اعتمد فيه التوسع الاقتصادي على زيادة مقومات العملية الإنتاجية وبخاصة الموارد الطبيعية والأيدي العاملة، كما كانت الإنتاجية في نموذج النمو الاقتصادي في الماضي تعتمد غالباً على التوسع في استثمار رأس المال.

وقد ازداد النمو الاقتصادي في العالم الإسلامي من خلال النسبة العالية للاستثمار في رأس المال الذي تم تمويله بصفة أساسية من خارج المنطقة، وبسبب استمرار الزيادة في تكلفة الإنتاج وهبوط نسبة العائد تدريجياً فقد تلاشت حوافز الاستثمار في المنطقة بسرعة مما نتج عنه خروج رأس المال من العالم الإسلامي عام 1995م، مما أزال المحرك الرئيس للتوسع الاقتصادي.

والأزمة الاقتصادية التي تعاني منها دول العالم الإسلامي . إلا القليل منها . جعلتها تدرك فجأة أهمية التركيز على استراتيجية النمو وتولي اهتماماً كبيراً بدعم المحتوى التكنولوجي في اقتصادها، فيجب علينا أن نضع استراتيجية لزيادة الإنتاجية والانتقال إلى أنشطة اقتصادية لها قيمة مضافة أعلى، ومن خلال الدعم الفني ستزيد العودة إلى رأس المال ومن ثم سيتم جذب الاستثمارات مرة أخرى إلى العالم الإسلامي. وقد ذكرت التقارير في الولايات المتحدة أن نصف نموها الاقتصادي في الخمسين عاماً الماضية يعود إلى التقدم التكنولوجي، والأمر نفسه ينسحب على أوروبا حيث ساهمت التكنولوجيا بنسبة كبيرة في نموها الاقتصادي، فعلى سبيل المثال إن 76% من النمو الاقتصادي في فرنسا يعود إلى التكنولوجيا، وهذه النسبة تصل إلى 78% في ألمانيا الغربية و73% في المملكة المتحدة، أما في آسيا فإن 55% من النمو الاقتصادي لليابان يرجع إلى التكنولوجيا.

أما في هذه الألفية (الجديدة) فإن الإمكانات والقدرات التكنولوجية هي التي ستحدد قدرة الأمم على التنافس، ويعتمد التطور التكنولوجي واكتساب مهارات تكنولوجية جديدة بدرجة متزايدة على المعرفة العلمية والهندسية والتكنولوجية وهي سياسة يجب أن نتبناها في الحال، فيجب أن تتخذ القرارات من قبل الخبراء الفنيين وليس من قبل البيروقراطيين، ويجب أن يشرف هؤلاء الخبراء على البيروقراطيين في العالم الإسلامي لأن نظام الإدارة الحالي قد فشل فشلاً ذريعاً، ويجب إعادة ترتيب الفوضى الحالية الموجودة في مستويات الحكم في العالم الإسلامي في الحال بواسطة الخبراء والسياسيين.

يهيئ كل من العلم والهندسة والتكنولوجيا أجواء للتنمية الاقتصادية الوطنية ترفع من شأن البلد الذي يستخدمها في العالم الحديث، ولذلك فإن أهم أهداف سياسة العلم والهندسة والتكنولوجيا هو تحقيق نتائج تدعم في المستقبل القريب عملية التحول الاجتماعي والاقتصادي، وعلى المدى البعيد تحقق هذه السياسة النمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي المطلوبين للبلد من خلال تخصيص أكثر الموارد للبحث العلمي والتنمية.

لقد ظلت المعرفة لفترة طويلة تُعرَّف بأنها تؤدي دوراً مركزياً في تكوين الثروة وتحسين مستوى الحياة، وطبقاً لبيتر دراكر فإن ظهور النظام الاقتصادي الرأسمالي الغربي في القرن الثامن عشر والذي كان يعتمد على المصانع والآلات قد كون المرحلة الأولى من التطور المعرفي إذ تم تطبيقه على الأدوات وسير العمل والمنتجات، أما المرحلة الثانية من التطور المعرفي فهي تشير إلى تطبيق المعرفة على العمل الإنساني مما نتج عنه تنظيم خط الإنتاج والميكنة وإدخال النظم الآلية.

إن الرغبة في تدعيم القدرة الإنتاجية للاقتصاد هي التي أدت بدرجة كبيرة إلى تطبيق التطور المعرفي في النظام الاقتصادي، كما أن التطور المعرفي قد تأثر بدوره بالبيئة الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

منذ أواسط الثمانينيات تعاظم الاتجاه نحو عولمة الاقتصاد العالمي بدرجة كبيرة، فقد زاد حجم التجارة العالمية إلى أربعة تريليونات دولار أمريكي، وهناك ثلاث عمليات تقود الاتجاه إلى العولمة هي تحرير التجارة وإزالة الحواجز من أمام تنقل رأس المال عبر الحدود وخفض تكلفة العمليات الاقتصادية بسبب التقدم في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخطوط المواصلات.

عوامل مهمة

في ظل الاقتصاد العالمي . عندما يكون رأس المال متحركاً . تتوافر المواد الخام والطاقة، وتصبح الخبرة الفنية للأيدي العاملة الماهرة ومستوى التكنولوجيا عوامل مهمة في تحديد حالة الاقتصاد الوطني، ومن المعروف أن المعرفة تزيد من الإنتاجية الهامشية النسبية لرأس المال من خلال التعليم وتدريب العمالة والتقدم التكنولوجي الذي يتم عن طريق البحث والتطوير، كما أن المعرفة أيضاً تزيد من خلال الهياكل الجديدة للتنظيم والإدارة، ومن ثم فإن المعرفة هي المحرك الذي يقود الاقتصاد القومي نحو الرخاء في المستقبل.

أوجد الإعلان الذي صدر في ختام الاجتماع الوزاري لمنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي في شهر يونيو من عام 1990م رغبة ملحة ومفاجئة لدى الدول لتحسين إدراكها بالدلالات الاقتصادية للتغير التكنولوجي، وقد اتفق الوزراء المجتمعون على أن التغير التكنولوجي هو مصدر أساسي للنمو الاقتصادي في الدول الأعضاء

بمنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي، إن التسليم بأن التغير التكنولوجي يسهم في النمو الاقتصادي يعد ركيزة لمحاولات كثير من الدول الصناعية تطوير أطر سياساتها للتحديث كبداية للقيام بعمليات مستمرة للتغيير الفني في اقتصاداتها، والمعرفة هي العنصر الرئيس في قيادة التحول في كثير من الاقتصادات الصناعية.

خصائص الاقتصاد القائم على المعرفة

هناك دلالة واضحة على أن المعرفة موجودة بكثافة في جميع قطاعات الاقتصاد القائم على المعرفة، وتشير الدراسات إلى وجود علاقة مباشرة بين المعرفة الفنية وأداء المؤسسات.

فعلى مستوى المؤسسات يوجد اتجاه متنام نحو العولمة، مما يعرض هذه المؤسسات باستمرار إلى المنافسة الشديدة، ومن ثم تقوم بتعديل أوضاعها من خلال تحسين الإنتاجية، وفي هذا الصدد تستثمر أموالاً طائلة في مجال المعرفة الفنية والمهارات بما فيها تبني تكنولوجيا جديدة وتطبيقها حتى تصبح أكثر استعداداً للتحديث.

إن القدرة على إيجاد المعرفة الفنية واستخدامها ليست هي العنصر المحدد للثروة فحسب وإنما هي أساس الميزة المقارنة، فالمعرفة عامل أساسي لتحسين كفاءة الإنتاج والتوزيع وتحسين المنتجات كماً ونوعاً وزيادة عدد المنتجات والخدمات.

والمعرفة هي العنصر الرئيس في قيادة التحول في كثير من الاقتصادات الصناعية.

وقد أحدث التطور في تكنولوجيا الاتصالات العالمية ثورة في أسلوب حياتنا وأعمالنا بل ولعبنا أيضاً، كما أنه نظم مجتمعاتنا بشكل أثر فينا.

وبخلاف الثورات السابقة التي تركزت حول الطاقة والمادة فقد تضمن هذا التغيير الرئيس خبراتنا المتعلقة بالوقت والفضاء والمسافات والمعرفة، وعلى الرغم من أن طبيعة ثورة المعلومات هذه لم تحدد بعد فإننا نشعر بقوة بدلالاتها العالمية التي لا يمكن الهروب منها، وتعد القدرة على استخدام المعلومات أقصى استخدام أهم العوامل في تحديد مدى القدرة التنافسية للدول وقدراتها على تمكين مواطنيها من استخدام المعلومات.

مواجهة تحديات الاتجاه نحو تطبيق العلم
والهندسة والتكنولوجيا في عالمنا الإسلامي

لأن الدول تسعى إلى تعبئة أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية للاستفادة من إسهامات العلم والهندسة والتكنولوجيا فإن الحاجة ملحة إلى التأكد من أن نظام نقل العلم والهندسة والتكنولوجيا قادر على تحقيق ذلك، ويجب أن يكون هناك إطار يمكّن العلم والهندسة والتكنولوجيا من دعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد، وفي هذا الصدد يجب أن ينشأ "نظام التحديث القومي" في إطار نظام العلم والهندسة والتكنولوجيا الحالي، ففي ظل نظام التحديث القومي تستطيع البلاد من خلال تطوير الأفكار الجديدة والمنتجات وترتيب المؤسسات وسير العمل أن تراعي بصورة أفضل احتياجات مواطنيها مع محافظتها على القدرة التنافسية، ويجب أن يكون لنظام التحديث القومي مقياس حساس للتفاعل الاستراتيجي الخلاق بين مقوماتها، فتطوير نظام تحديث قومي كإطار للسياسة الاجتماعية والاقتصادية يزيد من احتمالات تفاعل جميع أجزاء النظام مع بعضها البعض مما يفيد أولئك الذين ينتفعون بالتكنولوجيا ويساعد في رقي الأهداف القومية، ولأن التحديث أصبح قضية حيوية مهمة فإن الدولة التي تريد تحقيق الرخاء لمواطنيها ينبغي ألا تتعامل معه على أنه مجرد اختيار، فالتحدي الذي يواجه الساسة الآن هو ايجاد بيئة ينمو فيها هذا التحديث، ولقد اتضح أن التحديث لا يبزغ تلقائياً ولكنه يجب أن يولد ويُنمى من خلال مجهودات الناس، فهو نابع من الأشخاص ومن المجتمعات التي تتفاعل مع بعضها البعض، ولذلك فعلى حكومات العالم الإسلامي أن تعمل بجد لإيجاد بيئة تساعد على هذا التحديث.

ويتطلب ذلك أيضاً من المنتفعين بالتكنولوجيا أن يدركوا أنهم شركاء يتعاونون نحو تحقيق هدف عام ومن ثم يوجدون نظاماً يكون فيه التعاون والمشاركة النشطة من خصائص المجتمع، وتلك هي بادرة ظهور نظام التحديث القومي والمجتمع الخلاق.

الطريق نحو التقدم .. مبادرة العالم الإسلامي

لأن العالم الإسلامي أمة نامية فهو يعيد توجيه اقتصاده بطريقة تدريجية من كونه اقتصاداً يعاني من مستوى معرفي منخفض وقلة رأس المال وزيادة عدد الأيدي العاملة في الصناعات المختلفة إلى كونه اقتصاداً يعتمد على وفرة رأس المال وزيادة المستوى المعرفي كي يقود المرحلة التالية من النمو الاقتصادي، فمقومات العلم

والهندسة والتكنولوجيا ستبرز بدرجة كبيرة في مرحلة النمو الاقتصادي هذه، وإنه لمن الضروري مراجعة سياسة العلم والتكنولوجيا القومية في إطار خطة تنعش الاقتصاد القومي ويزيد فيها استخدام المعرفة في الاقتصاد.

فعلى سبيل المثال يكون التعاون الوثيق بين المؤسسات الحكومية والصناعية والبحثية مطلباً أساسياً للمشروعات المخطط لها أن تسهم في النمو والتطور طبقاً للأهداف القومية، وسوف يمتد التنسيق بين استراتيجيات التجديد داخل نظام التحديث القومي إلى ما وراء الحدود لأن الضرورات الإقليمية تتنامى بصورة كبيرة.

إن تطوير النظام القومي للتحديث في العالم الإسلامي يجب أن يأخذ في الاعتبار التطورات الاقتصادية والاجتماعية في الدول الإسلامية بهدف تطوير نظام إقليمي للتحديث يضمن ولفترة طويلة استقرار المنطقة.

في هذه البيئة الاقتصادية الجديدة يجب أن تتحول الحكومات إلى نموذج جديد، والدور الأساسي للحكومات هو التأكد من أن البلاد لديها القدرة والإمكانات على استخدام المعرفة في مجالات الإنتاج لتحقيق أهداف التنمية.

يجب على الحكومات أن تلعب دوراً أساسياً في إيجاد بيئة يزدهر فيها العلم والهندسة والتكنولوجيا لدعم القدرة التنافسية للبلاد والأهداف التنموية القومية الكبرى.

وفي هذا الصدد فإن استراتيجية تطبيق العلم والهندسة والتكنولوجيا التي تستمد قوتها من المقومات المختلفة للمجتمع الإسلامي سيتم بناؤها بما يتماشى مع التحديات المعقدة الناتجة عن التغيرات الدولية والاجتماعية والاقتصادية، ومن هذه المقومات ما يلي:

1 . ضخ أعلى مستوى من المعرفة إلى الصناعات التقليدية والناشئة.

2 . تكثيف توليد المعرفة واكتسابها ونشرها:

. بيئة خلق المعلومات واكتسابها.

. دعم القاعدة العلمية.

. تطوير نظام العلم والهندسة والتكنولوجيا إلى ما يسمى نظام التحديث القومي.

3 . تحديث القطاع الخاص وقدرته التنافسية:

في مستوى الصناعة- مؤسسة . يجب البحث عن الصناعة . تحسين التكنولوجيا، اكتساب- خلق التكنولوجيا.

4 . تحديث نظام التعليم والتدريب:

توجد قضية أخرى يجب أن نتناولها وهي تعليم الأيدي العاملة تعليماً فنياً وتدريبها مدى الحياة في البلاد الإسلامية، فعملية التعلم هي نتيجة جوهرية للتغيرات الديناميكية في الاقتصاد العالمي، وهذه النتيجة ضرورية لتمكن العمالة التي أصبحت زائدة في ظروف معينة خلقتها هذه التغيرات من الاستمرار في الإسهام إسهاماً فعالاً وخلاقاً في الاقتصاد الوطني وفي حياتها الخاصة ومجتمعها، ومن ثم نحتاج إلى تطوير مداخل جديدة للتعليم والتدريب تمكن الباحثين من العمل بطريقة أكثر فاعلية في مجتمع خلاق، ويتطلب ذلك مناهج جديدة وبرامج تدريب شاملة جامعة مرنة وليست ضيقة النطاق، ويجب ألا يحصر التعليم والتدريب . في مجتمع خلاق . الناس في تخصصات ضيقة وإنما يجب أن يمكنهم من المشاركة في القضايا الاجتماعية والاقتصادية وطرق حل المشكلات التي تواجهها داخل التخصص الواحد وفيما بين التخصصات المختلفة.

5 . نشر المشاركة والممارسات الذكية:

في هذه البيئة التنافسية يجب خلق شكل جديد من أشكال المشاركة يساهم فيه القطاع العام والصناعة والأكاديميون، وتضمن هذه المشاركة القيام بأنشطة البحث والتطوير لتفي بمتطلبات السوق، ويتطلب الأمر أيضاً خلق أطر لربط الجامعات بالمؤسسات العلمية والهندسية والتكنولوجية والقطاع الخاص بقصد المشاركة في الأخطار والموارد فيما يتعلق بالبحث الأساسي.

6 . التنسيق والتعاون الدوليان :

التكنولوجيا هي أهم محرك للاقتصاد العالمي الحر، ولكي تكون للعالم الإسلامي قدرة تنافسية على المستوى الدولي يجب عليه أن يطور البرامج القومية لاستمرار تدفق المعرفة العلمية والهندسية والتكنولوجية، وعلى البيروقراطيين في العالم الإسلامي أن يتدربوا على اتباع السياسات التي يرسمها العلماء والخبراء الفنيون.

مشروعات مقترحة للتمويل في العالم الإسلامي

1 . تعاون الدول الإسلامية لحماية البيئة:

في هذه الألفية يجب أن ندرس كيفية القيام بجهود مكثفة للتعاون بين الدول الإسلامية في مجال حماية البيئة، وفي ظل مبدأ التطوير الذي يوازي بين حماية البيئة والتحكم في التلوث الصناعي يجب على الدول الإسلامية أن تتعاون تعاوناً وثيقاً للسيطرة على ما يدمر البيئة.

ومن أكبر التحديات في القرن الحادي والعشرين تطوير أدوات الإنتاج الصناعي بصورة فعالة ومستمرة لتلبية احتياجات المجتمع الإنساني بطريقة أفضل مع التقليل في الوقت نفسه من التأثير البيئي السلبي لهذا الإنتاج على السكان وكوكب الأرض. ولا تعتمد طبيعة التلوث البيئي وجسامته ومن يتعرض له على عوامل علمية وتكنولوجية فحسب وإنما تعكس أيضاً تأثيرات اقتصادية وسياسية واجتماعية أخرى كثيرة، وأثناء القيام بما يفيد المجتمع اجتماعياً واقتصادياً يتسبب الإنتاج الصناعي في وجود فاقد خطر وملوثات كيميائية تؤثر سلبياً على الحياة، وفي العقد الماضي أعطيت أولوية كبيرة لقضية العدالة البيئية على المستوى الدولي ولكنها لم تكتسب أقصى تأييد في العالم الإسلامي بعد.

إن ميزانية البنك الإسلامي للتنمية لهذا المشروع المهم سوف تسهل هذه العملية، كما أن الخبرات والموارد المطلوبة للقيام بمراحل مختلفة خاصة بحماية البيئة في الدول الإسلامية متاحة في هذه البلاد غير أنها تتطلب تكريساً للجهود، وعلى الدول الإسلامية أن تكافح من أجل إبرام اتفاقيات ثنائية تتعلق بحماية البيئة أو الوصول إلى مذكرات تفاهم في هذا الصدد، وفي مجال التعاون متعدد الأطراف يجب على الدول الإسلامية أن تتبع سياسة المشاركة الفعالة وأن تحسن سياستها الداخلية وأن تفي بالتزاماتها التي وقعت عليها في إعلان ريو دي جينيرو وأن تدعم مسئوليات هيئات حماية البيئة على المستويات كافة من خلال المشاركة النشطة، وعند التعاون حول التكنولوجيا المتعلقة بالبيئة يجب على الدول الإسلامية أن تقوم بجهود لتوفير الأموال والتكنولوجيا المطلوبة لذلك من خلال تطوير علاقات التعاون مع البنك الإسلامي للتنمية والحكومات في المنطقة، ولتسهيل هذه العملية يجب زيادة قنوات التبرع غير الحكومية لتحقيق تقدم كبير في الحد من التلوث وبناء بنية تحتية بيئية.

ويجب أن نولي اهتماماً كبيراً للتعاون بين دول العالم الإسلامي في مجالات التحكم في تلوث المياه والتحكم في ثاني أكسيد الكبريت والتحكم في انبعاث الغازات من عادم المركبات في المدن ونظام المعلومات البيئية وتطوير قاعدة بيانات المعلومات البيئية لإعطاء أولوية للبرامج وتحقيق نتائج ملموسة من خلال التعاون الوثيق لتوفير رؤوس الأموال والتكنولوجيا، والبداية تكون من رصد نوعية الهواء في المدن ودراسات المطر الحمضي.

ويمكن القول إنه إذا لم نكن على علم بالنظام الإيكولوجي فإن تغيير أحد المتغيرات أو تقديم عامل جديد قد يؤدي إلى نتائج لم تكن في الحسبان، وهذه هي النتيجة اللازمة للقانون المركزي للبيئة حيث تكون جميع المعاملات في النظام البيئي مرتبطة بعضها ببعض فيكون تغيير عامل واحد فقط كافياً لحدوث التغيير في بقية العوامل، أي يكون تغيير بقية العوامل تابعاً لتغيير العامل الأول، وإذا تم تحديد نظام جيد يطابق المعايير الموضوعة فإنه يمكننا التنبؤ بالتغيرات التابعة، أما إذا لم يتم تحديد النظام جيداً فلن نتمكن من التنبؤ بالتغيير.

كيف يمكننا تحقيق هذا الهدف في العالم الإسلامي؟

على الرغم من أن المعلومات وقواعد البيانات غير كافية إلى الآن فإنه من الملاحظ أن الجور والظلم المتعلقين بالخطر البيئي قائمان ويجب أن نتعامل معهما، ومن المنظور البيئي ينبغي دراسة أهم توصيات إعلان ريو دي جينيرو دراسة جادة لوضع حد لتدمير البيئة، وهذا الأمر يتطلب تعبئة الجهود والموارد والخبرات للتدخل بشكل مؤثر وفي وقت مناسب لإنقاذ أنظمتنا البيئية والقضاء على التلوث، ويجب أن نتبنى بالإجماع مداخل للبحث والبرامج التعليمية، كما يجب تطوير المشاركات بين المجتمعات وفي الصناعة وبحوث العلوم الأساسية وبين القائمين على الشؤون الصحية، وأعتقد أن استخدام المعرفة المحلية بين أبناء المجتمع الواحد في تكوين المشروعات البحثية سوف يحسن من نوعية العلوم البيئية في الدول الإسلامية.

إن الجهود التي تتعامل مع أي تدمير أساسي للنظم الأيكولوجية نتيجة لعوامل بيئية وما يسبب الأمراض يجب أن ترتكز على بيانات صحيحة وعلى فهم صحيح للتفاعل

بين البيئة والإنسان، ولايمكن التغلب على التعقيدات المصاحبة للتفاعل بين الإنسان وبيئته باستخدام المعرفة في مجالات علم الأحياء الحديث وعلم الأوبئة.

وعند دراسة احتياجات البحث وفرصه يجب أن نركز على مجالات المعرفة الأساسية والقضايا العملية المتعلقة بفهم دور البيئة في تحديد أسباب الأمراض، فما الذي يسبب . على سبيل المثال . الربو أو الالتهاب الكبدي الوبائي في كثير من المجتمعات؟ إن التقدم الملحوظ في فهمنا لعلم الوراثة في الإنسان يقدم لنا فرصة غير مسبوقة لتحديد أسباب هذه الأمراض في العالم الإسلامي، أما في المجال الاجتماعي فإن العمل في القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان ودور المرأة في المجتمع يقف على الدرجة نفسها من الأهمية، كما أن الفشل في الدخول إلى مجالات واعدة للبحث سيؤدي إلى ضياع فرصة الحد من الأمراض الخطرة في العالم الإسلامي وتدمير النسيج الاجتماعي.

ويشتمل بعض مجالات البحث والمشاورات المستقبلية على ما يلي:

. دراسة التفاعل الوراثي مع الأخطار البيئية.

ـ دراسة المجموعات الحساسة والأكثر عرضة لملوثات البيئة (الأطفال وكبار السن والحوامل).

. تطوير مداخل جديدة لاختبار خصائص السموم.

. تطوير استراتيجيات لمنع التعرض للمواد الخطرة.

. دراسة مدى تأثير خلط المواد الكيمائية على الصحة.

. القيام بدراسات طبية واختبارات عن التعرض للمواد الخطرة والسميات.

تتحدد سلامة القرارات بمدى سلامة الأسس التي ترتكز عليها، وهذه الأسس تشمل: البيانات والنموذج المستخدم في تقدير الأخطار والافتراضات التي تتم في غياب الحقائق، والمبدأ الذي ينبغي أن نسير عليه هو وجود علم جيد كي نتخذ قرارات جيدة، ويجب أن يتم تطوير ورقة عمل لتتناول حالة البيئة في الدول الإسلامية.

2 . تقنيات التحكم في التصحر:

التصحر هو أحد أهم المشكلات التي تعاني منها الدول الإسلامية، ويجب أن نطور تقنيات التحكم في التصحر مثل زرع نباتات تثبيت الرمال وحواجز من الغابات في

مناطق التيارات الهوائية وحواجز الغابات في المناطق الجرداء وشبه الجرداء وزرع أشجار في مناطق الرمال المتحركة وتقنيات مقاومة الرمال على خطوط السكك الحديدية والطرق السريعة، ويجب تعبئة الجهود للتحكم في الرمال بدرجة كبيرة في منطقة الشرق الأوسط.

إن تقنيات الصين في التحكم في التصحر ومقاومته أثبتت فاعليتها، فقد استضافت الصين ورش عمل دولية عدة للمعلومات والتدريب، ولذلك فإن التعاون مع الصين في هذا المجال سيكون مفيداً جداً.

3 . موقع على الإنترنت للإسهامات التاريخية لعلماء المسلمين :

يجب تدريس إسهامات علماء المسلمين في جميع مناحي العلوم في المناهج التعليمية بالعالم الإسلامي، وقد تجاهل كثير من المؤرخين الغربيين هذه الحقيقة، غير أن التطورات الحديثة في العلم والتكنولوجيا أدت إلى الاعتراف بأهمية الإسهامات الإسلامية.

كما يجب أن نقوم بجهود نشطة ومكثفة لتدريس وجهات النظر العلمية لعلماء المسلمين في المدارس والكليات والجامعات، ويمكن أن نؤسس موقعاً على شبكة الإنترنت تحت اسم "الإسهامات الإسلامية في العلم" يتضمن تفاصيل كافة إسهامات هؤلاء العلماء، فهناك حاجة ملحة كي نسترد هذه الإنجازات ويجب على ورثة هؤلاء العلماء أن يرفعوا راية العلم عالية في المستقبل.

إنني أؤيد تخصيص ميزانية كبيرة لهذا المشروع.

4 . التصنيع من خلال المشاركة:

إذا ما نظرنا حولنا فسوف نلحظ أن الأموال التي نكتسبها بشق الأنفس تذهب إلى البلاد الأجنبية من خلال شراء سيارات النقل وسيارات الركوب وأجهزة الكمبيوتر وبرامجه والأدوات المنزلية والبضائع الهندسية وغير ذلك، إذ إننا نستورد كل هذه الأشياء مما ينتج عنه تحويل أموال طائلة من الدول الإسلامية إلى الدول المنتجة، كما أن الأجهزة الكهربائية التي تستخدم في الرفاهية والتسلية والأجهزة التي يتم استخدامها في المطبخ قد تم استيرادها أيضاً، وإذا ما تجولنا في المحلات الكبيرة فسنجد أن البضائع والمنتجات الأجنبية تملأ الأرفف مما يدل على عدم اهتمامنا بأننا

نستورد كل هذه المنتجات وبأننا أصبحنا مستهلكين للبضائع التي تنتجها الدول المتقدمة، ويجب علينا أن نغير هذا الاتجاه وأن نخطط جدياً لتصنيع المنتجات والمواد التي نريدها على أرضنا، فنحن يمكننا القيام بذلك إذا ما وحدنا مواردنا وخبراتنا في العالم الإسلامي، والجودة هي معيار تسويق المنتجات والبضائع التي نصنعها في أوطاننا، ومن ثم يجب أن يكون البحث والتطوير جزءاً من التخطيط الصناعي.

وأعتقد بمنتهى التواضع أننا يجب أن نشمر عن سواعدنا ونستعد للقيام بالثورة الصناعية في العالم الإسلامي، ومن أجل الحصول على الإمكانات الصناعية المثلى يجب أن نضع سياسة واستراتيجية طويلة المدى للقيام بمشاريع مشتركة واتفاقيات مشاركة مع الدول المتقدمة، وإن أي استيراد في المستقبل من الدول المتقدمة يجب أن يتصل بنقل التكنولوجيا كي ننتج البضائع محلياً بالاشتراك مع المورد، والبنك الإسلامي للتنمية سيقدم تمويلاً للموارد الفنية والأيدي العاملة لتأسيس صناعة خفيفة وثقيلة في البلاد، ومن ناحية أخرى يمكننا تقديم قروض لبعض الدول الإسلامية لاستهلاك أو شراء مثل هذه البضائع والمنتجات من الدول الصناعية الناشئة في الأمة الإسلامية، ومن ثم عند استهلاكنا المنتجات النهائية وشرائها داخل العالم الإسلامي يمكننا ملء الفجوة بين البحث والتطوير ودعم نمونا الاقتصادي.

5 . البحث والتطوير:

يجب أن نعي أن العلم قوة والتكنولوجيا نمو اقتصادي، والأمة التي تتخلف عن ركب العلم والتكنولوجيا لن تتمكن من تحقيق الاستقرار الاقتصادي في هذا العصر، فيجب إعطاء أولوية للعلم والتكنولوجيا مع وجود سياسة قومية قائمة على البحث والتطوير، فهذا هو الاستثمار المطلوب للتنمية والنمو في المستقبل في العالم الإسلامي.

يجب أن يتم إعداد الأجيال القادمة من خلال نظام تعليمي قادر على التحدي ويمكنها من مجابهة المشكلات الوطنية، والبحث والتطوير يعدان عاملاً مهماً في التقدم والنمو الاقتصاديين، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف يجب أن نمول مشروعات البحث في المجالين الأساسي والتطبيقي، كما يجب عدم إغفال البحث الأساسي على حساب البحث التطبيقي إذ إن البحث التطبيقي يتطلب تطويراً تكنولوجياً وهذا يقتضي

وجود مرافق تجريبية على مستوى المصانع لتحديد الجدوى الاقتصادية لعمليات عدة، ومن الواضح أن هذا أيضاً يقتضي التفاعل بين علماء التكنولوجيا والاقتصاديين لتحقيق الحد الأمثل من عملية الإنتاج، ويمكننا أيضاً تطوير الأيدي العاملة إذا أردنا النجاح، فالنمو المرتكز على المعرفة يجب أن يكون هو القوة الدافعة للتطور.

ويجب أن نطور جامعاتنا ومعاهدنا البحثية لنصل إلى قمة التقدم المعرفي والتكنولوجي والبحثي من خلال تأسيس هيئة تمويلية ووضع سياسة ثابتة للبحث والتطوير في العالم الإسلامي.

والوجه الآخر للبحث والتطوير يتطلب سياسات حكومية وآليات لتشجيع أصحاب المشروعات على الاستثمار في المنتجات المصنعة محلياً.

وباتباع سياسة البحث والتطوير أولاً في العالم الإسلامي يمكننا وضع حجر أساس للعلم والتكنولوجيا كي نعتمد عليهما ذاتياً في المستقبل، ومن المثير للسخرية أن أكثر من مليار مسلم في العالم يعتمدون بدرجة كبيرة على استيراد التكنولوجيا والمنتجات النهائية من الدول الصناعية.

6 . تكنولوجيا المعلومات:

لقد ازدهرت ثورة تكنولوجيا المعلومات في جميع أنحاء الكرة الأرضية، ولأننا نعيش في عالم باهر من التقدم العلمي والطفرات التكنولوجية فقد أصبح الإنسان يشعر أن العلم يتقدم بخطوات متسارعة وأن العالم قد انضغط سريعاً ليصبح قرية كبيرة يمكن الاتصال بأبعد أطرافها في التو واللحظة، فهناك انفجار في دنيا المعلومات في جميع أنحاء العالم، ولكي نواجه هذا التطور السريع في التكنولوجيا فإن على العالم الإسلامي أن يقر سياسات مؤثرة لتعزيز وتسهيل نمو صناعة تكنولوجيا المعلومات في أقطاره المختلفة.

إن عدد أجهزة الكمبيوتر في الولايات المتحدة في الوقت الحالي أكبر من عدد السيارات، وإذا نظرنا إلى شبكات الكمبيوتر في الولايات المتحدة . التي سبقت مثيلاتها في العالم في هذا المجال . سنجد أن عدد أجهزة الكمبيوتر المتصل بالشبكة قد ارتفع من نسبة 10% إلى 90% في السنوات العشر الأخيرة، وأن عدد مستخدمي شبكة الإنترنت قد ارتفع ارتفاعاً كبيراً من 3 ملايين مستخدم عام 1984م إلى 300

مليون عام 2000م، وعدد الصفحات التي يمكن الدخول إليها وصل إلى مليار صفحة، كما أنه تضاف 3 ملايين صفحة جديدة كل شهر للشبكة، أما الاستثمارات والفوائد الاقتصادية من تكنولوجيا المعلومات فقد ارتفعت قيمتها من 250 مليار دولار أمريكي عام 1975م إلى 500 مليار دولار عام 1999م، وعدد المليارديرات في هذه الصناعة أكبر من عددهم في أي صناعة أخرى.

أما المشكلة الكبرى التي تواجه هذه الصناعة في جميع أنحاء العالم فهي نقص الأيدي العاملة المدربة تدريباً جيداً، فطبقاً للتقديرات سوف تحتاج هذه الصناعة في العقد القادم إلى مزيد من الأيدي العاملة المدربة تدريباً جيداً من مهندسين وعلماء ومحللين، ومن ثم يجب على العالم الإسلامي أن يبدأ في تدريب الأيدي العاملة في هذا المجال، فيجب أن نبدأ في عملية تدريب جماعية للشباب في الجامعات والمعاهد التعليمية، ومن أجل تحقيق أهدافنا علينا أن نوفر الاشتراكات على شبكة الإنترنت وأن نشجع أصحاب المشروعات على الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات.

فعلى البنك الإسلامي للتنمية أن يتبنى سياسة لتأسيس روابط تجارية مع الشركات التي تستخدم برامج الكمبيوتر الموجودة داخل العالم الإسلامي وخارجه حتى يمكننا تصدير ما يتم تطويره من البرامج واستخدامه بطريقة مناسبة.

7 . التكنولوجيا الحيوية:

ستعرف هذه الألفية بأنها بداية التقدم في الكيمياء الحيوية والتكنولوجيا الحيوية إذ بدأ العالم في الاستفادة من الجينوم الوراثي، وهذا التطور فتح الباب لأوجه كثيرة من البحث والتطوير في مجالات أخرى كثيرة مثل المنتجات الزراعية والدوائية، فالتطوير في التكنولوجيا الدوائية وتكنولوجيا زراعة أنسجة النباتات اعتماداً على الجينات سوف يؤدي بالتأكيد إلى رخاء اقتصادي في العالم الإسلامي.

عند وضع سياسة "للبحث والتطوير في مجال التكنولوجيا الحيوية" في العالم الإسلامي يجب أن تتشاور الجامعات والمعاهد التي تعمل في هذا المجال مع بعضها البعض للقيام بالأبحاث التي تخدم الاحتياجات القومية، ولقد قمت بوضع خطة لبناء معهد للتكنولوجيا الحيوية في جامعة كاراتشي، وقد بدأ البناء بالفعل وسيتم

خلال سنتين، وأدعو جميع الدول الإسلامية إلى الاشتراك في هذا المشروع لتدريب العلماء.

علينا أن نسعى بقوة لنقف على قدم المساواة مع العالم في التطور العلمي والتكنولوجي، ويجب أن نقوم بدراسة استراتيجية للاستثمار بجدية في هذا المجال حتى يمكننا أن نسعى للمعرفة، فقد دخلنا طي النسيان بسبب الإهمال وحالة اللامبالاة التي نعيشها، إنني أدعو العالم الإسلامي إلى أن يبحث بكل فخار وعظمة عن العلم والتكنولوجيا، وعلى البنك الإسلامي للتنمية أن يشجع التطوير في مجال العلم والبحث والمشروعات التنموية من خلال تمويل هذه المشروعات، وإنني أختم توصياتي هذه بكلمات تنبأ بها البروفيسور ألفرد نورث وايتهيد من أكثر من نصف قرن مضت وأرجو ألا يهمل العالم الإسلامي هذه الكلمات أو يتجاهلها هذه الأيام: "في ظل الحياة الحديثة التي نعيشها تكون القاعدة التالية مطلقة، فالجنس الذي لن يقدر الذكاء المدرب حق التقدير سوف يلقى مصيره، فاليوم نحن نتحكم في أنفسنا، أما غداً فإن العلم هو الذي سيتحكم فينا ولن يكون هناك استئناف ضد ذلك الحكم الذي سيصدر على الجهلاء".=>

==============

#والصراع الاستراتيجي في آسيا الوسطى والقوقاز

اللعبة الكبرى..

صراع دولي كبير تدور رحاه حول آسيا الوسطى، ورهانات متنوعة وخطيرة تتداخل لتشكيل محور ذلك الصراع. وبما أن المنطقة لا تزال تعاني من الهشاشة، ولكونها تمر بفترة انتقالية تاريخية، فإن دولها حديثة العهد بالاستقلال تعيش في وضع حرج بين تثبيت بيتها الداخلي وإعادة ترتيبه، ومواجهة تحديات وطموحات القوى المعنية بالمنطقة، تلك الطموحات التي يحركها الموقع الجيوبولتيكي، والارتباطات التاريخية والحضارية وأيضاًً الحسابات الجيواستراتيجية الشاملة.

موقف الأطراف المتصارعة:

ثمة كتلة من الدول تعتبر أن منطقة آسيا الوسطى منطقة مهمة أو حيوية بالنسبة لها على الصعد الجيواستراتيجية.. الجيواقتصادية والحضارية، الثقافية. تأتي في مقدمة

هذه الدول: روسيا . الخارجة من تحت عباءتها السوفييتية . الدول المكونة لمنطقة آسيا الوسطى والقوقاز، تليها الولايات المتحدة بناء على نفوذها الدولي ومكانتها الجيواستراتيجية والجيواقتصادية في العالم. والتي يهمها أن تزاحم روسيا على خيرات المنطقة وتحجم دورها التوسعي في المنطقة. كما يهمها صد الدور الإيراني والحيلولة دون اكتمال صورة "أممية أصولية" بزعامة إيران في المنطقة.

وعلى صعيد القوى الإقليمية تتوزع إيران وتركيا وباكستان الأدوار، الأولى بفعل موقعها الجيوبولتيكي وامتداداتها الثقافية الحضارية، والثانية للأسباب نفسها فضلاً عن لعب دور الصراع بالوكالة لصالح الحلف الأمريكي الأطلسي، والأخيرة (باكستان) تشكل آسيا الوسطى بالنسبة لها حلماً طالما انتظرت تحقيقه وهي تعتقد أنها قريبة من الهدف في حال استمرار طالبان في الزحف على كامل التراب الأفغاني.

ونتناول دور كل دولة من هذه الدول بالتفصيل..

أولاً روسيا:

1 . مفهوم "الجوار القريب" :

ظهر التوجه الروسي إلى إعادة هيمنة موسكو على جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق في وقت مبكر جداً ولإضفاء شرعية على هذا التوجه قدم المسؤولون الروس مبررات عدة، في مقدمتها الأمن القومي الروسي والصراعات الإثنية في دول الجوار القريب وخطر امتدادها إلى داخل روسيا والدفاع عن مصالح الأقليات الروسية هناك. لكن ما لم يقله المسؤولون الروس ويرفضون الاعتراف به، هو أن موسكو كان لها دور كبير في تأجيج الصراعات في أطراف الاتحاد السوفييتي السابق تمهيداً لتدخلها دبلوماسياً وعسكرياًً، وبالتالي لإعادة هذه الدول إلى دائرة نفوذها. ففي جورجيا على سبيل المثال، دعمت روسيا على التوالي الأبخاز ضد حكومة تبلسي، والرئيس الجورجي إدوارد شيفرنادزة ضد خصمه زياد غامسا غورديا، الأمر الذي أتاح لها فرض وصايتها على جورجيا والتي تجسَّدت أولاً من خلال انضمام هذه الأخيرة مكرهة إلى كومنولث الدول المستقلة التي تتزعمها روسيا، ثم من خلال اتفاق الصداقة والتعاون الموقع بين البلدين مطلع شهر فبراير 1994 والذي حصلت روسيا

بموجبه على ثلاث قواعد عسكرية في جورجيا. أما فيما يتعلق بالصراع الأرمني ـ الأذري، فقد ساعدت روسيا أرمينيا، مسرعة بذلك إطاحة الرئيس الأذري السابق أبي الفضل التشيبي، ذي الميول التركية، ثم اقترحت أخيراً، خطة لحل الأزمة بين البلدين تنص على إقامة خمس قواعد عسكرية روسية على طول الحدود بين أذربيجان وأرمينيا وقد حصلت على الموافقة على ذلك.

ولم تقتصر الضغوط الروسية على دول "الجوار القريب" على المجال العسكري، إذ إن روسيا مارست ضغوطاً سياسية واقتصادية على كل من أوكرانيا (فيما يخص جزيرة القرم) وكازاخستان ودول البلطيق الثلاث وروسيا البيضاء، وضغوطاً دبلوماسية على الجميع لإعادة هذه الدول إلى الحظيرة الروسية، وإذا كانت روسيا قد نجحت إلى حد كبير في تحقيق أهدافها، على الرغم من الممانعة الهشة التي تبديها دول البلطيق الثلاث وأوكرانيا وأذربيجان وكازاخستان وأوزبكستان، فإن هذا النجاح يعود في جزء كبير منه إلى لامبالاة الغرب عموماً والولايات المتحدة خصوصاًً، وكذلك إلى غياب طرف إقليمي قادر على الوقوف في وجه روسيا. فالغربيون لا يريدون التورط بشكل مباشر أو غير مباشر في الصراعات الدائرة في أطراف الاتحاد السوفييتي، ويقرون لروسيا بدور إقليمي مهيمن في المنطقة، ربما باستثناء دول البلطيق الثلاث.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن المساعي الروسية الرامية إلى تأكيد الهيمنة على دول الجوار، اتسمت بالحزم والصلابة، وذلك لأن جميع التيارات السياسية تتفق على اعتبار "الجوار القريب" دائرة نفوذ روسية. وفي هذا الصدد، نشرت صحيفة "إزفستيا" الروسية وثيقة صادرة عن هيئة الشؤون الدولية لمجلس السوفييت الأعلى جاء فيها "بصفته وصياً معترفاً به دولياًً على الاتحاد السوفييتي السابق، ينبغي على الاتحاد الروسي أن يستند إلى مبدأ يقوم على أساس إعلان المجال الجيوسياسي للاتحاد السوفييتي بأسره دائرة نفوذ حيوية، وينبغي على روسيا أن تحصل من المجتمع الدولي على الاعتراف بدورها الضامن للاستقرار السياسي والعسكري في أراضي الاتحاد السوفييتي السابق. ومن المناسب الحصول من بلدان "مجموعة السبع" على المساعدة للقيام بهذه المهمة، وحتى لتمويل قوات التدخل الروسية"(1)

2 . تجليات ووسائل "التوسع الروسي":

اعتماداً على وسائل شرعية في مقدمتها الدستور المعدل على إثر قنبلة البرلمان المتمرد في أكتوبر 1993م، ووسائل قهرية مؤسساتية في مقدمتها الجيش الآخذ نفوذه في التصاعد، ووسائل ثقافية في مقدمتها المزاج النفسي . الثقافي الروسي الذي يرفض أنصاف الحلول في حل المشكلات، ووسائل اجتماعية . اقتصادية ضد الجمهوريات العنيدة، تطبق روسيا منذ 1993م استراتيجية توسعية عنيفة وشاملة قوامها التدخلات العسكرية والسياسية والاقتصادية في دول "الجوار القريب" داخل فدرالية روسيا (الشيشان، داغستان..) وخارجها (جورجيا، أرمينيا، طاجيكستان..).

كما استخدمت روسيا ذريعة "الأقليات الروسية" في الجمهوريات المستقلة، كسيف مصلت على رقاب حكامها. وكان العنوان الكبير لهذه التدخلات هو صد أي خطر أو تهديد على الأمن الاستراتيجي الروسي وهذا الأمن الاستراتيجي يتكون من مفردتين (المصالح الروسية والاستقرار الإقليمي).(2)

لقد اتبعت الخطة الروسية محورين المحور الأول يتمثل في الكبح التدريجي لمحاولات التحرر الاقتصادي للجمهوريات من القبضة الروسية، والثاني يتمثل في وضع اليد على أي محاولة من محاولات البناء الذاتي للقوة العسكرية المستقلة، المحور الأول يقوم على بث قناعة مفادها أنه لا مناص من الاندماج الاقتصادي بالشروط الروسية في منظومة كومنولث الدول المستقلة في سبيل أي تطلع نحو العافية الاقتصادية؛ والمحور الثاني يقوم على قناعة مفادها؛ ضرورة الخضوع للقيادة الروسية والاكتفاء بقوات عسكرية وطنية اسماً ورمزاً؛ ولم تسلم من المحور الثاني للخطة سوى أوكرانيا التي استطاعت أن تقف عسكرياً على قدميها بالاستقلال عن روسيا.

الإجراءات المعتمدة يمكن تلخيصها في الآتي:(3)

. إقامة ميثاق أمن جماعي أعطى روسيا سلطة الرقابة على الحدود الدولية لكومنولث الدول المستقلة.

. اتفاقية حفظ السلام (استخدمت كآلية للتدخل في الأزمة الطاجيكية).

. منطقة روبل جديدة كإطار نقدي إقليمي (الغاية منه تخويل البنك المركزي الروسي دوراً حاسماً في الشؤون النقدية والمالية).

وقد آتت الخطة الروسية أكلها في كل من روسيا البيضاء التي أصبحت في حالة شبه إلحاق وجورجيا وطاجيكستان اللتين تحولتا عملياً إلى محميتين روسيتين، وذلك تحت غطاء تقديم الوساطة السياسية بين المتنازعين.

3 . الموقف الرسمي الروسي:

سنعتمد في قراءة الموقف الروسي من المنطقة، ومن خلاله التصور السياسي الدولي لروسيا، على ثلاثة مصادر أندريه كوزيف وزير خارجية روسيا السابق(4). يفجيني بريماكوف مدير المخابرات آنذاك 1994م(5)، وقسطنطين شوفالو(6) سفير روسيا لدى الأمم المتحدة 99 . 2000م.

يعتقد الأول أن روسيا بتدخلاتها السابقة الذكر إنما "تنهض بدور (مشروع) كشريك حقيقي في تدبير الشؤون الدولية" وأنها تريد من خلال عرض عضلاتها على جيرانها الأقربين . أن تبعث برسالة إلى شركائها الأبعدين بأنها، أي روسيا، "ترفض فكرة أنها أصبحت رجل أوروبا أو آسيا المريض". ويفهم من هذا القول إذا وضعناه في سياقه الدولي آنذاك أنها تضطلع بدورها كشرطي إقليمي، في الوقت الذي بلغت فيه العربدة الأمريكية والغربية أوجها في كل من الصومال وهاييتي.

أما يفجيني بريماكوف، وهو أكاديمي معروف بثقافته الشرقية الواسعة، فيؤكد من خلال التقرير الاستراتيجي الروسي لسنة 1994، الذي أشرف على إعداده أن روسيا إنما تقوم بواجب مشروع من الوجهة الاستراتيجية في وقت تتهددها فيه مهددات أمنية جيواستراتيجية ثلاثة

1 . عدم الاستقرار الناتج عن الأزمة الأفغانية وتبعاته على استقرار آسيا الوسطى (استمرار هاجس الأفغنة).

2 . التدخل الإيراني التركي والتخوف من تأسيس دولة فارسية أو تركية كبرى.

3 . "الأصولية" الإسلامية.

وينتهي التقرير بالتوصية بضرورة إقامة مجال دفاعي مشترك في المنطقة موضوع البحث تتولى روسيا تزعم رعايته وحمايته.

أما الرؤية التي يؤسسها السفير شوفالو فتقوم على رفض عولمة الدور العسكري للناتو كآلية للتدخل بعيداً عن شرعية الأمم المتحدة، ومن هنا فإن روسيا لا يمكن أن تقبل عدم الاستقرار في جوارها حتى لا يستخدم كذريعة لتمدد واتساع أنشطة الناتو المرفوضة في البلقان؛ إلى مجال يعتبر في العقيدة الجيواستراتيجية الروسية مجالاً حيوياً غير قابل للاختراق؛ وتزداد المخاوف الروسية عندما يتنادى بعض النخب الحاكمة في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز طالبة مزيداً من الالتزام الغربي بأمن واستقرار المنطقة.

مخاوف روسيا وأهدافها

تتخوف روسيا أساساً من إمكان وجود خطة يمينية متطرفة في الإدارة الأمريكية قوامها احتواء روسيا عسكرياًً من خلال مد ولاية الناتو العسكرية إلى المنطقة؛ واقتصادياًً من خلال تحجيم النفوذ الاقتصادي الروسي على دول المنطقة وتجاهل المصالح الروسية في موضوع إبرام العقود والصفقات الكبرى المتعلقة بالطاقة، خصوصاً طاقة أذربيجان الضخمة؛ كما تتخوف روسيا من وجود مخطط أممي أصولي إسلامي من شأنه تهديد الأمر الواقع الحدودي، وكذا بث الكراهية "والروسيافوبيا" في المنطقة في أوساط السكان اعتماداً على وقائع الحرب في الشيشان.

وقد تدعمت هذه المخاوف عندما أعلنت الإدارة الأمريكية عن عزمها إرسال قواتها إلى المنطقة تحت غطاء قوات حفظ السلام في شريط ناجورنو قارباخ وتحت إشراف منظمة الأمن والتعاون الأوروبي وبمشاركة قوات روسية.(7)

ولذا تسعى روسيا إلى القيام بكل ما من شأنه جعل دورها لا غنى عنه، بدءاً برعاية الحلول السلمية الإقليمية في جورجيا مع أبخاريا؛ وحل المشكلات الثنائية العالقة مع جورجيا فيما يتعلق بتقسيم أسطول البحر الأوسط التي أثارت مشكلة تجاهلها والاكتفاء بالحصة الأوكرانية في الأسطول وقد تم حل المشكلة في أكتوبر 97 بمنح جورجيا أربع سفن حربية(8) كما نجحت روسيا بمشاركة أمريكية وغربية في الحفاظ على السلام فيما يخص مشكلة ناجورنو كاراباخ.

مع ذلك تظل الشكوك والاتهامات قائمة بين روسيا وكل من أمريكا والغرب فيما يتعلق بالرغبة في الهيمنة على المنطقة على حساب مصالح الطرف الآخر، ولذا ما فتئت روسيا تتحمل مالياً وعسكرياً النصيب الأوفر في التكاليف الناجمة عن عمليات حفظ السلام في المنطقة (طاجيكستان، جورجيا، ناجورنو كاراباخ) إلا أن المجموعة العسكرية المشتركة بين كازاخستان وقرغيزستان وأوزبكستان المستقلة عن روسيا وبمشاركة قوات أمريكية التي حطت بالقرب من الحدود الروسية لم تكن لتروق للمسؤولين الروس خصوصاً عندما يصرح قائد القوات الأمريكية المشاركة في التدريبات العسكرية مع المجموعة المذكورة سابقاً "لا يوجد أي بلد فوق أرض البسيطة لا يمكن أن نذهب إليه".(9)

ولذلك تبذل روسيا جهوداً مضنية بالاعتماد على مظلة الكومنولث في سبيل إحراز نجاحات مماثلة لنجاحاتها في حفظ السلام في البؤر المتوترة المذكورة سالفاً، ولكن استمرار وتقدم النجاحات رهين بإرادة الأطراف المتنازعة نفسها كما هو رهين إلى حد ما بتعاون القوى الدولية والإقليمية المنافسة لروسيا.

الرهانات الروسية في المنطقة : تأسيساً على كل ما سبق يمكن إجمالاً تلخيص الرهانات الروسية في العناصر الآتية

1 . تأمين الأمن والاستقرار في المنطقة نظراً لحساسية الجوار الجيوبولتيكي.

2 . خلق مناخ ملائم للتجارة والأنشطة والمبادلات الاقتصادية.

3 . خلق مناخ غير عدائي، بل صديق ومتعاون.

4 . الحيلولة دون وقوع أي بلد من بلدان كومنولث الدول المستقلة في حظيرة الهيمنة التابعة لأي قوة دولية أو إقليمية ثالثة.

5 . منع أي تحرك أو عمل عدائي موجه ضد روسيا من داخل أي دولة من دول الكومنولث.

6 . توفير وضمان القدرة اللازمة والسريعة للتدخل بهدف الحفاظ على سلامة حدود دول الكومنولث.

7 . حماية الأقليات الروسية المنتشرة في الدول المعنية.

8 . الحيلولة دون تصاعد أنشطة تهريب المخدرات والأسلحة والهجرة غير المضبوطة للأفراد.

9 . مقاومة المد الأصولي الإسلامي، ومحاصرته إعلامياً وأيديولوجياً واستراتيجياً بالتعاون مع الدول المعنية ومن خلال تحييد العامل الإيراني.

ثانياً أمريكا:

1 . الأصول النظرية :

لفهم أبعاد السياسة الأمريكية في المنطقة من المناسب التذكير بالأصول النظرية للسياسة الخارجية الأمريكية على نحو مختصر. وذلك لربط الجوانب المبدئية الأساسية في التصور الدولي للولايات المتحدة بسلوكها السياسي والاستراتيجي في منطقة كانت إلى عهد قريب جزءاً من التراب الوطني لخصمها التاريخي الاتحاد السوفييتي السابق.

"تقوم السياسة الخارجية الأمريكية على مبادئ أساسية متعارف عليها وأخرى خاصة بطبيعة المجتمع السياسي والاقتصادي الأمريكي؛ وهذه المبادئ هي

أولاً المحافظة على الاستقلال والأمن.

ثانياً السعي نحو التأمين والمحافظة على المصالح الاقتصادية (خصوصاً مصالح المجموعات الاقتصادية ذات النفوذ داخل الولايات المتحدة).

ثالثاً سياسة المساعدات الاقتصادية ذات الأهداف المتعلقة بالمصالح السياسية والاقتصادية والأيديولوجية. أي المصالح المرتبطة بإشاعة وتوسيع الدعاية السياسية والأيديولوجية الوطنية داخل الدول الأجنبية من خلال تدعيم وسائل وأشكال التبادلات الثقافية والعلمية التي من شأنها الإسهام في بلوغ الأهداف ذات العلاقة"(10).

وهكذا فإن هذا البعد الثالث هو البعد الأبرز في السلوك السياسي الأمريكي إزاء المنطقة على الأقل، هذا ما يؤكده نائب وزير الخارجية الأمريكي في خطاب هو الأشمل حول الموضوع حسبما نبَّه إلى ذلك مركز آسيا الوسطى والقوقاز الذي ألقى في إطار أنشطته ذلك الخطاب(11)، يقول ستروب تالبوت "منذ اعتلى فريق كلينتون سدة الحكم في الولايات المتحدة كان خطابه واضحاً إزاء دول المنطقة بقدر تقدم تلك

الدول في اتجاه الحريات السياسية والاقتصادية، وفي اتجاه المصالحة الوطنية والدولية ستكون الولايات المتحدة إلى جانبها".(12)

2 . أبعاد الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة :

وحسب تحليل تالبوت فإن للاستراتيجية الأمريكية في المنطقة أربعة أبعاد:

أ . تطوير الديمقراطية.

ب . خلق اقتصادات السوق الحرة.

ج . احتضان السلم والتعاون داخل وبين دول المنطقة.

د . إدماج دول المنطقة في منظومة المجتمع الدولي.

أ . تطوير الديمقراطية :

بخصوص البعد الأول فإن المصطلح والمفهوم يبدوان جديدين تمام الجدة على دول ظلت عقوداً تحت نير نظام شمولي في كل شيء، ثم إن فجائية الاستقلال والحاجة إلى مرحلة انتقالية لتثبيت أسس الدولة الوطنية وضعت تلك الدول أمام تحديات كبرى بفعل ضحالة الثقافة السياسية الديمقراطية من جهة، وحساسية التكوينات الديمو . إثنوجرافية للمجتمعات من جهة ثانية.

إن تلك الدول لم تكن مستعدة أو كانت استعداداتها سيئة على الأصح لتقبل فضائل العملية الديمقراطية، بل إن الديمقراطية نفسها أصبحت حسب تالبوت "عقبة أمام الانتقال الديمقراطي".

وإن كان نموذج انتخابات جورجيا على عهد شيفرنادزة كذبت تلك التوقعات. غير أن الصورة في الدول الأخرى "مختلطة" بتعبير "تالبوت" فعلى الرغم من تنظيم قرغيزستان لانتخابات تعددية فإنها شنت متابعات جنائية ضد نقادها ومعارضيها بينما جرت خروقات كثيرة لحقوق الإنسان في الدول الأخرى. وقد قامت الولايات المتحدة في سبيل تطوير الديمقراطية وحقوق الإنسان بالتوجه نحو مؤسسات المجتمع المدني والسياسي من منظمات حقوق إنسان ومنظمات محامين..وكذا نحو الأحزاب لإبرام عقود شراكة وتعاون بهدف تقديم الخبرة والمشورة والتدريب، وأعلنت أنها تعتبر الديمقراطية والسوق الحرة "شرطين" للتطور الاقتصادي، أي أن إقامة حكم القانون هو الذي من شأنه جذب الاستثمار الأجنبي.

ب . البعد الاقتصادي :

بخصوص هذا البعد، فإن الولايات المتحدة اتجهت إلى أرمينيا وجورجيا (الدولتين المسيحيتين ضمن مجموعة دول آسيا الوسطى والقوقاز) والحجة أنهما تقدمتا أكثر من غيرهما في جهود الإصلاح الاقتصادي والضريبي والتخصيص. وتأتي بعدهما قرغيزستان وكازاخستان، أما الدول الأخرى فإنها تواجه صعوبات في الطريق نحو اقتصادات السوق الحرة.

"وقد أنفقت الولايات المتحدة بين 1992م و1997م حوالي 2.2 مليار دولار من المساعدات لدول القوقاز وآسيا الوسطى خصصت معظمها لسد الحاجات الإنسانية، وكذا دعم استيعاب ومساعدة اللاجئين في المنطقة".

كما تعمل الولايات في إطار منظمات سياسية ومالية مختلفة كمنظمة أوروبا للأمن والتعاون وصندوق النقد الدولي في سبيل ما تسميه تطوير ودعم الإصلاحات الديمقراطية والاقتصادية، وذلك من خلال دعم سياسات الإصلاحات الضريبية وبربط اقتصادات دول المنطقة ضمن برامج واستراتيجيات البنك الدولي. ومجلس أوروبا والاتحاد الأوروبي؛ وقد تجسَّد ذلك أيضاًً في تشجيع انخراط كل من أرمينيا وجورجيا وقرغيزستان وكازاخستان في حظيرة منظمة التجارة العالمية نهاية 1998م.

وقد قدمت أمريكا . حسب تالبوت . مساعدات تقنية ومالية لتمكين دول آسيا الوسطى والقوقاز من تجاوز الآثار الكارثية الناجمة عن مشكلة بحر الآورال البيئية. وتستهدف السياسة الأمريكية إزاء المنطقة محاربة انتشار الأسلحة وتهريب المخدرات والجريمة المنظمة وذلك ضمن إطار مقاربات إقليمية لمقاومة تلك الآفات العابرة للحدود. وهو ما يقودنا إلى البعد الثالث للسياسة الأمريكية.

ج . البعد الأمني الاستراتيجي :

تسمى الإدارة الأمريكية تدخلها في المجال الأمني الاستراتيجي في منطقتي آسيا الوسطى، والقوقاز "التزاماً" وقد تجلى هذا الالتزام في مشاركة القوات الأمريكية ضمن المجموعة العسكرية المتعددة الجنسيات من المنطقة. وتتلخص المساعدة الأمريكية في تقديم خبرات مسح الألغام وتوزيع المساعدات الإنسانية وحفظ السلام. وتنفي الولايات المتحدة خوض أي منافسة مع القوى الإقليمية فيما يتعلق بالرهانات

الجيواقتصادية المتمثلة أساساً بالبترول والموارد الطبيعية الأخرى التي تزخر بها المنطقة وعلى رأسها أذربيجان؛ ولئن حاول تالبوت نفي هذه الحقيقة من خلال تركيزه على المستقبل (القرن 21) بدل الماضي (القرن 19.. مفهوم اللعبة الكبرى ظهر في نهاية القرن19 وهناك عدد من الباحثين يطلق هذا الوصف على الصراع الجيواستراتيجي حول ثروات المنطقة) وقد عززت تلك الحقيقة سلوكات الولايات المتحدة إزاء إيران وإلى حد ما روسيا .

وقد تدخلت الولايات المتحدة فيما يتعلق ببؤر النزاع في ثلاثة نزاعات :

النزاع الأرميني الآذري حول ناجورنو كاراباخ من خلال منظمة الأمن والتعاون الأوروبية وعبر مؤتمر مينسك ومن خلال أيضاً إرسال مبعوث أمريكي هو لين باسكو.

إلا أن التدخل الأمريكي كان لصالح أرمينيا التي لها جماعة ضغط في أوساط الكونجرس نجحت في سن قانون رقم 907 عنوانه قانون دعم الحرية؛ يمنع بموجبه على الإدارة الأمريكية تقديم أي دعم لحكومة أذربيجان مع العلم أن هذه الأخيرة هي المتضررة من الصراع وهي التي فقدت 15% من أراضيها وهجر حوالي 11% من سكانها أي ما يعادل 800 ألف أذري.

وقد اعترف تالبوت في خطابه بمساوئ القانون الذي حد من قدرة أمريكا على التأثير في صياغة القرار الأذري في أواسط التسعينيات (القانون صدر سنة 1992م إثر الحصار الأذري لأرمينيا ورداً على غزو هذه الأخيرة لأراضيها (إلا أننا نستدرك هنا أن أذربيجان برئاسة حيدر علييف عاودت الاتصال والتنسيق مع الولايات المتحدة؛ معتمدة على ثرواتها كوسيلة جذب.

النزاع الجورجي . الأبخاري دعمت أمريكا التسوية التي رعتها الأمم المتحدة وشجعت . حسب تالبوت . الرئيس شيفرنادزة على التشبث بالطرق الدبلوماسية في حل النزاع.

النزاع الطاجيكي ساهمت الولايات المتحدة بشكل غير مباشر في رعاية الأمم المتحدة للتسوية التي أثمرت عدة اتفاقيات وتفاهمات انعقدت في كل من كابل وطهران وموسكو.

وفي مجال التعاون الإقليمي تدعم الولايات المتحدة التوجهات التركية المتمثلة في الاستثمارات الاقتصادية في كل من أذربيجان وتركمانستان وفي ربط صلات شاملة ثقافية وسياسية وثيقة تحت لواء النموذج العلماني ضد النموذج العقدي الذي تحمله طهران وتناضل من أجله الحركات الإسلامية الموجودة في جميع دول المنطقة بما فيها القوقاز الشمالي الخاضع للولاية الجغرافية لروسيا.

غير أن الملاحظ يستنتج أن هذا التحالف التركي الأمريكي أنتج تحالفاً مقابلاً هو التحالف الروسي . الإيراني بسبب حذر روسيا من تغلغل تركيا في المنطقة وهو ما توافقها عليه إيران.

وبخصوص السياسة الأمريكية إزاء روسيا وتخوفاتها فإن الولايات المتحدة تعتقد أن التخوفات الروسية مردها لروسيا ذاتها نظراً لهويتها التاريخية وللحالة النفسية الانتقالية التي تمر بها؛ ولعقيدتها الجيواستراتيجية التي تحدد قوتها وسلطانها الإقليمي مع ضعف واهتزاز ودونية الدول الأخرى الإقليمية إزاءها.

وفي هذا الاتجاه تنحو السياسة الأمريكية نحو ترسيخ وتعميق النزعات الاستقلالية والاعتماد الذاتي لدول مجموعة كومنولث الدول المستقلة وتعتقد أمريكا أن على روسيا أن تعيد تحديد مكانتها ودورها كقوة عظمى بالنظر إلى المستقبل وليس بالنظر إلى ما كانت عليه في الماضي؛ وذلك بالتمييز والمقارنة الإيجابية بين ثنائيات "الوطنية والتوسعية . الاعتزاز الوطني بالذات والإضرار الوطني بالآخرين . الجار الكبير والجار الحسن".

هـ . الاندماج في المجتمع الدولي:

إن سياسة الولايات المتحدة مع دول المنطقة بما فيها روسيا تستهدف الإدماج في المجتمع الدولي، لكن ليس أي إدماج؟ إنه الإدماج وفق تصور الإدارة الأمريكية، إدماج دول مسؤولة عالمياً وإقليمياً ووطنياً، وهذه المسؤولية تتحدد وفق التوصيف الأمريكي في المصالحة والإصلاح والاستقرار الإقليمي؛ بما فيها العلاقات في إطار كومنولث الدول المستقلة. فأمريكا ضد استخدام الكومنولث حصان طروادة للاستقواء على الآخرين وبالأخص أمريكا نفسها.

وتعتبر الولايات المتحدة وجودها ونفوذها في المنطقة ضمانة الإدماج الإيجابي لدول المنطقة في حظيرة المجموعة الدولية. وفي هذا الاتجاه فإن الولايات المتحدة تفضل التدخلات الاقتصادية والحقوقية والإغراءات المالية في إطار منظمات غير حكومية ومجموعات رجال الأعمال والمستثمرين. ومن جهتنا نلاحظ أن الولايات المتحدة اتخذت مساراً متغايراً ومتدرجاً في التزامها إزاء المنطقة فقد التزمت الصمت على سياسات روسيا في جوارها القريب بموجب تفاهم جيواستراتيجي (الشراكة من أجل السلام) ثم أخذت في النصف الثاني من التسعينيات تتدخل بشكل أكبر يدل على ذلك حضورها العسكري وكذا تصاعد ضغوطها السياسية والإعلامية على بعض دول المنطقة، كما أنها نهجت نهجاً متناقضاً في بعض الحالات فهي ضد الدكتاتورية وفي الوقت نفسه لم تفعل شيئاً ضد حكومة أوزبكستان السلطوية، وفي الوقت نفسه تقول إنها ترعى المصالحة والاستقرار والاندماج وحرية التجارة مع أنها تحاصر إيران وتضغط على شركاتها من أجل رفض خيار أنبوب النفط الذي يمر عبر الطريق الإيرانية رغم أنه الأمثل اقتصادياً والأفضل أمنياً ومالياً..

ثالثاً القوى الإقليمية الأخرى :

كما تعلمنا الصورة الأفغانية التي تتسم بكون مواقف الدول الإقليمية (باكستان، إيران، روسيا) جزءاً لا يتجزء من المشهد الأفغاني بالنظر للرهانات الكامنة وراء مسألة "من يحكم أفغانستان؟" وهي رهانات تتراوح بين الأمني والاستراتيجي والاقتصادي، فإن دول آسيا الوسطى المستقلة ومعها دول القوقاز الثلاث تشكل موضوعاً لتنافسات ومناورات القوى الأقليمية الأخرى المتمثلة أساساً في إيران وتركيا وباكستان.

1 . إيران وتركيا :

بسبب العوامل الجغرافية والتاريخية والثقافية توجد إيران في موقع متميز إزاء آسيا الوسطى، فهي متاخمة لأذربيجان وتركمانستان. كما أن لإيران صلات ثقافية ضاربة في التاريخ خلال ما يقرب من ألفي عام، بحيث كان لإيران "الدور الثقافي الرئيس في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، وكان بعض أنحاء هذه المنطقة موضع نزاع بين الفرس والأتراك (القرن 16) ثم بين الفرس والروس (القرن 18 و 19) كما كانت شعوب المنطقة تتحدث اللغة الفارسية قبل أن يتم تتريكها، لكن بقي التراث الفارسي

عميقاً في المنطقة، كما تشترك إيران ديموجرافياً في إحدى القوميات، حيث يوجد بإيران نحو تسعة ملايين إيراني أذري لا يمكن تمييزهم عن ستة ملايين يمثلون القومية السائدة في جمهورية أذربيجان. وكذلك فإن قطاعاً من شعب أفغانستان كان قد فصل عن روابطه الطبيعية مع آسيا الوسطى السوفييتية (سابقاً) عبر نهر آموراديا، الذي يكون معظم الحدود بين أفغانستان والاتحاد السوفييتي (السابق).(13)
ورغم أن تركيا لاتملك حدوداً مباشرة مع الشعوب المنحدرة من أصل تركي الواسعة الانتشار في آسيا الوسطى والقوقاز، فقد عوضتها أوزبكستان الجمهورية الاكثر نمواً من حيث العامل الديموجرافي (ما يزيد على 20 مليون) والتي تشكل نوعاً من "الجامع التركي" بين شعوب المنطقة. ولئن كان لإيران مصالح جيوسياسية وثقافية مفهومة وهي تعمل جاهدة لترسيخها برغم العداء الأمريكي التركي، والحذر من بعض النخب العلمانية القومية، فإن تعاونها مع روسيا من جهة أكسبها موطئ قدم في طاجيكستان، كما أن تحولها السياسي الأيديولوجي التدريجي يعطيها من جهة ثانية موقع جذب جديد للنخب التواقة إلى التوفيق بين الأصالة التاريخية والثقافية من جهة والمعاصرة المتمثلة في التجديد السياسي الديمقراطي وإشاعة مفاهيم المجتمع المدني وحكم القانون من جهة أخرى. ناهيك عن كون إيران تتوافر على مقومات مد أنابيب النفط والغاز من بحر قزوين إلى الشرق الأوسط وأوروبا.
ومع أن طبيعة السياسة الإيرانية السابقة مضافاً إليها الحملة الإعلامية والأيديولوجية المنسقة بين أمريكا وتركيا والكيان الصهيوني عرقلت إلى حد ما استراتيجيات إيران في المنطقة فإن حتميات الجغرافيا والثقة المتصاعدة في النظام الإيراني يضعها في موقع الممر الضروري ضمن رهانات المنطقة الجيواستراتيجية والجيواقتصادية.
أجل إن إيران تواجه عوائق مذهبية (جل المسلمين في المنطقة موضوع البحث سنيون) وعوائق القدرة المالية على الاستجابة لتطلعات دول المنطقة في التنمية وتدفق الاستثمارات والخبرة التقنية. وهناك أيضاً مخاوف من عدم الاستقرار العرقي في أفغانستان ومضاعفاته الأمنية على التوازنات الإيرانية كما أن هناك خشية من تطلع القوميين الأذريين إلى أذربيجان كبرى تجمع جمهورية أذربيجان باشقائهم في العرق في محافظة أذربيجان الإيرانية.(14)

أما تركيا فإنها تقدم نفسها كنموذج حداثي متجه نحو أوروبا ومتحالف مع أمريكا التي تتطلع إليها دول المنطقة كقوة حماية ومساعدة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية؛ إلا أن لتركيا قيداً من جنس عنصر الجذب الذي تتمتع به إنه العامل العرقي التركي الذي يثير حذر الجمهوريات من سيطرة وتمدد تركيين في المنطقة تحت عباءة "الجامعة التركية".

إن القرب الجغرافي والتماثل العرقي كما هو عنصر تفضيلي فإنه أيضاً عنصر تنفيري أو أقله تهديدي، وتتمتع إيران بعلاقات قوية مع كل من روسيا وطاجيكستان وأرمينيا (التي دعمتها مع أنها مسيحية لفك حصار أذربيجان المسلمة عليها) وتركمانيا (قامت بعقد اتفاقيات تعاون اقتصادي بما فيها عقد مد أنابيب النفط التركماني عبر إيران) حرصت إيران منذ البداية على تأمين حصتها في بحر قزوين.

وأبرمت إيران تحالفاً قوياً مع روسيا ودعت الجمهوريات السوفييتية إلى الإبقاء على روابط الاتحاد السوفييتي والتنسيق مع روسيا(15). كما أن إيران لا تؤيد انفصال الشيشان عن روسيا؛ ولا تقوم بأي عمل من شأنه تهديد مصالح روسيا في المنطقة وخاصة لجهة الامتناع عن تدعيم الحركات الإسلامية المقاتلة؛ وهو ما تقابله روسيا باستمرار بمواصلة تعاونها العسكري مع إيران من جهة، وإبداء التحفظات على التورط التركي في المنطقة من جهة ثانية. وهو ما عبر عنه السفير الروسي في تركيا بقوله: "إننا نود أن تكون علاقة تركيا مع الجمهوريات علاقة الشقيق، وليس المثير لنزعات عنصرية"(16).

إلا أن إيران بدورها تواجه الضغط الأمريكي المتجه إزاء روسيا من جهة وإزاء الجمهوريات من جهة أخرى، فهي (أي أمريكا) تخيفهم مما تسميه النموذج الثيوقراطي، وتستخدم الوعيد والتهديد ضد الدول التي ترغب في التقرب مع دولة "خارجة عن القانون، تدعم الإرهاب وتصدر الأصولية المتطرفة وتسعى للتزود بالأسلحة المحرَّمة عن طريق التهريب والإغراء الموجه للجمهوريات وخصوصاً تجاه المهندسين النوويين المنتمين إلى المنطقة".

وللرد على ذلك فإن إيران تعتمد استراتيجية(17) تقوم على صيانة المثلث الاستراتيجي الأمن، الطاقة، القوة التسليحية؛ وتقديم صورة مغايرة للدعاية التركية

الغربية والأمريكية أولاً من خلال عرض التطور السياسي الذي تشهده إيران بكونه يمثل نموذجاً للديمقراطية والمشاركة بعيداً عن الإملاءات الغربية وفي الوقت نفسه تقديم دورها في حل نزاعات آسيا الوسطى عربون حُسن نية، كما تعتمد إيران خطاً سياسياً يستند إلى الجيوبولتيك وليس دائماً إلى الأسبقيات العقائدية كما يدل على ذلك موقفها المدهش من حصار أذربيجان المسلمة لأرمينيا المسيحية حيث ساهمت في فك الحصار عن الثانية وهو عمل قدم دعاية مضادة للدعاية الغربية عن الطابع الأصولي المتطرف للسياسات الإيرانية.

كما أن إيران تدافع على وضعية البحر المشترك بالنسبة لقضية قزوين الذي تشاطئه دول أخرى؛ وهي موزعة بفعل موقعها الجغرافي المتميز بين أمن آسيا الوسطى والقوقاز وأمن الخليج، "لأن لإيران أيضاً منافع حيوية في الخليج، وبالتالي يتمتع بأهمية فائقة بالنسبة إليها، وإن أي نزاع يجري يبعث القلق في نفسها وتكمن أفضل صورة للخليج في نظر إيران، في جعله ممراً مائياً دولياًً لجميع البلدان"(18).

ولعل هذا ما سيفتح الطريق جنباً إلى جنب مع دور إيران في آسيا الوسطى لبحث إمكانات ومحاولات استكشاف آفاق التطبيع بين أمريكا وإيران وهو ما تحاوله إدارة كلينتون منذ 1999م من خلال جملة من الإشارات قاعدتها "لقاء المصالح" بين الدولتين في كل من آسيا الوسطى والقوقاز من جهة وفي الخليج من جهة ثانية

ويمكن القول إن إيران فرضت وجودها كوسيط ولاعب أساسي في المنطقة، فهي لا تتدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول ولم تقدم مساعدات مادية أو لوجستيكية للحركات الإسلامية المقاتلة، يقول أحد زعماء حركة النهضة الإسلامية الطاجيكية: "سمعت كثيراً عن تورط إيران في حركة الإسلام السياسي في آسيا الوسطى ولكنني لم أعثر على أي علامة أو أثر مع الأسف، إن إيران ترفض عموماً التدخل في شؤون آسيا الوسطى"(19) وقد استفادت إيران من سلوكها هذا في تكثيف علاقاتها مع تركمانستان التي تجمعها بها علاقات إثنية وتاريخية فقد كانت أول سفارة فتحت لإيران في آسيا الوسطى في تركمانستان في حين لعبت إيران دوراً نشيطاً في أذربيجان لصد أي توجه طوراني.

إن الحديث عن خطر إسلامي أصولي تسانده إيران وينطلق من طاجيكستان هو عبارة عن "أسطورة تروجها أقلام غير قليلة من الكتاب والصحفيين على الرغم من الحقائق"(20).

2 . باكستان :

إن الحلم الذي ظل يداعب أذهان ومخيلات صناع القرار في إسلام أباد ردحاً من الزمن دون تحقيقه يتمثل في "طريق الحرير بين الصين وآسيا الوسطى" ولعل هذا الحلم هو الذي يشكل قاعدة فهم التشبث المستميت بالدور الأساسي في الساحة الأفغانية ومن ثم كسب مفتاح الطريق . الحلم، لكن الفشل في حل الأزمة الأفغانية يعطل تحقيق هذا الحلم.

ويمكننا بعد هذا العرض أن نلخص مواقف الأطراف المعنية في النقاط التالية:

1 . بالنسبة لروسيا فإن من الواضح أنها لا تريد أن تعطي انطباعاً بكونها "رجل أوروبا أو آسيا المريض"، وهي تحاول بكل الوسائل أن تبقي على مكانتها الدولية إزاء الولايات المتحدة والحلف الأطلسي من خلال إبداء الممانعة إزاء تمدد هذا الأخير، وفي الوقت نفسه فإنها تستميت في محاولاتها منع تحول الاستقلال الحديث للدول التي تعتبرها داخلة في منطقة نفوذ حيوية بالنسبة لها، إلى استقلال فعلي حقيقي، وتحرر واسع قد تعتبره مقدمة لفتح باب التغلغل الأطلسي للاقتراب من حدودها في الوقت الذي تعمل فيه جاهدة لمواجهة "عربدة" الحلف الأطلسي في البلقان وتوسعه المتواصل في أوروبا الشرقية.

2 . بالنسبة للولايات المتحدة، فإنها اتبعت استراتيجية متدرجة ومرنة، هي مهمومة بمشكلة "من يحكم روسيا؟" أولاً، وهذا محدد أساسي بالنسبة لاستراتيجيتها، وهي ثانياً أخذت تتغلغل تدريجياً ودون إثارة غضب روسيا في المنطقة، وهي ثالثاً حاربت الدور الإيراني وتعمل على فك الارتباط الاستراتيجي بينه وبين الدور الروسي، أقله على مستوى التسليح العسكري الاستراتيجي.

إن الولايات المتحدة تريد تحويل تغلغلها الاقتصادي ومساعداتها "الأمنية" إلى وجود استراتيجي "مرضي عنه" من قبل الجميع بمن فيهم روسيا. ولكنها تواجه تحدياً إيرانياً قوياً، تحاول تحييده ولاتزال بالترهيب والترغيب.

3 . بالنسبة لتركيا وإيران فقد لاحظنا أن المراهنة الأمريكية الأطلسية على تركيا لم تحقق نجاحاً كبيراً ليس فقط بسبب عدم قدرة الأولى على لعب الدور الموكول لها، الذي لايخدم بالضرورة مصالحها القومية بل لأن إيران نفسها ساعدت على إحراج ذلك التحالف وإفراغه من مضمونه الجيواستراتيجي.

4 . أما بالنسبة لباكستان فإن طموحاتها في المنطقة مرتبطة إلى حد بعيد بالطريقة والنهاية التي ستنتهي إليها الأزمة الأفغانية؛ ففي الوقت الذي تعتبر فيه أفغانستان معبراً باكستانياً إلى آسيا الوسطى والقوقاز فإن تسوية الأزمة شرط ضروري، ولكن هذه التسوية تتأخر بفعل عدم تعاون أو رفض الأطراف الأخرى المعنية (روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى المجاورة . إيران)، القبول بهيمنة باكستانية على القرار الأفغاني.=>

الهوامش

(1) جوني (علي) "اتجاهات"؛ نشرة "شؤون الأوسط"، عدد 27، مارس 1994، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، لبنان. ص105 . 111.

(2) Brzezinski Zbigniew the premature partnership Foreign affairs, March april 1994. p 73.

(3) Ibid pp 73 -74.

(4) Kozeyrev (Andrei) Rossyskaya Gazeta, December 7, 1993.

(5) Russian Strayegic report, Moscow, 1994.

(6) Shuvalou (Konstantin) the role of russia in a changin world, International instituta for caspian studies, september, 1 1999 . Causasus www virtual library. Australian national university.

(7) Nezvisimaya gazeta october 21, 1997.

(8) postfactum october 22, 1997.

(9) وكالات الأنباء الدولية، 14–16 سبتمبر 1997.

Sapin (Burton M) The Making of united states forgein (10)
. 1966policy, New york praegor for the brookkings institution,
,48p

Talbot (Strobe) American policy in the Caucasus and (11)
central Asia Adress delivered at the central asian institue the
.1997. 21johns hopkins university, july

Ibid (12)

Fuller (Graham E) the emeregence of central Asia. foreign (13)
.51- - 42, pp 1990, Spring 78Policy, N

(14) مجلة مستقبل العالم الإسلامي، الملف، مرجع سابق، ص 227-231.

(15) صرح نائب وزير الخارجية الإيراني سنة 1991 بما مفاده "كنا نهتف بالموت للاتحاد السوفييتي، واليوم بعد سقوط الشيوعية لانطلب له الموت، بل نحن حريصون على وحدته إلى أقصى حد"، جريدة "السفير"، بيروت 26-10-1991م.

.1991. 27The conormist september (16)

La strategie Iraninne en Asie ز .Orientص Les Cahiers de L (17)
.1998 /12 /30 سcentrale

(18) حول سياسة إيران الإقليمية في الخليج تراجع الدراسة المتميزة للأكاديمي الأمريكي البارز من أصل إيراني هوشنك أمير أحمدي "سياسة إيران الإقليمية" مجلة اطلاعات الإيرانية سبتمبر 1993م، مترجم إلى العربية في "شؤون الشرق الأوسط"، عدد 27. مارس 1994م، ص 6 . 20.

Karam (patrick) Liran en Asie centrale Real Politique (19)
.contre Messianisme islamique les cahiers de lorient

.Ibidem(20)

===========

#خطر صرف المرأة عن دورها داخل بيتها

أعتقد أننا بحاجة إلى إعادة ترتيب أوراق المرأة المسلمة لتحديد الأولويات فيما يُراد منها.

إن طاقات المرأة يجب أن تفرغ كاملة للدور العام المنوط بها في إعداد أجيال النصر المنشودة، بلا تشتيت أو تعطيل، فإذا كان للمرأة قدرات خاصة، وملكات تتميز بها عن غيرها فيمكن هنا أن نوجه للمرأة خطاباً خاصاً للقيام بعبء خاص ومسؤولية خاصة دون عموم النسوة، وبالمتابعة والمخالطة يمكن توجيه هذا الصنف من النساء لمهمات أكثر بحيث يمكنه الاضطلاع بها دون عناء، أما أن نتعسف في إكبارنا لدور المرأة، ونظرتنا إليها فنفتح أمامها مجالات وميادين للمشاركة في مسيرة الأمة، وتكون كل امرأة معنية بها، فهذا من الخلط الذي يأتي نتيجة طبيعية للتعميم عند التوجيه.

ليس معنى ما ذهبت إليه أنني أحجم المرأة أو أستصغر شأنها، ولكني أستشعر خطر صرف المرأة عن دورها داخل بيتها، وإشغالها عنه بأدوار ثانوية قد لا تتطلبه المرحلة التي تعيشها الأمة، وتعيشها المرأة.

ولماذا نهوِّن من شأن البيت بما فيه من زوج وولد؟ وقد أصبح هذا البيت هدف عولمة تريد تقويضه أولاً ثم تأهيل النفوس على إلغائه فلا تقوم له قائمة من الأساس؟ وإذا كانت كل مؤتمرات المرأة في عالم اليوم تحاول إثناءها عن الاستجابة الفاضلة عزيزة الأنوثة، والنزوع إلى زوج وولد في بيت له تقديره وتقديسه، كما تحاول التهوين المستمر من شأن هذا البيت، وإمكان التحلل منه وتصويره أو إلغاء تصوره مكاناً طبيعياً لممارسة الأمومة والزوجية.

أليست كل هذه المحاولات الخبيثة جديرة بأن نعيد المسلمة إلى تصور صحيح منضبط بضوابط الشرع لما يجب أن تقوم به من دور عظيم تستفرغ له طاقاتها وقدراتها؟ بعيداً عن التعسف في إيجاد أدوار لها خارج بيتها، تجنح بها عن فطرة سوية وغريزة طبيعية يجب مراعاتها؟.=>

ماجدة شحاته

============

#المرأة في فكر مالك بن نبي

يعتبر المفكرالإسلامي الجزائري مالك بن نبي واحداً من رجالات القرن العشرين العالم الذين شغلوا أنفسهم بقضايا أمتهم، وسعوا إلى بلورة الحلول والاقتراحات الكفيلة بإخراج الأمة المسلمة من تخلفها الشامل المركب، ودفعها إلى معانقة العصر بفاعلية. فقد قدم مالك بن نبي . رحمه الله . مشروعاً فكرياً متكاملاً في وقت كان فيه العالم الإسلامي يعارك فلول الاستعمار أو يعيش مخلفاته التي كبلت حركته وسممت أجواءه الثقافية والفكرية بإفراز نخبة منه حاولت إفهام الرأي العام المسلم بأن القوة في اتباع سبل الغرب وتقليد نموذجه الحضاري، وقد وقف مالك بن نبي ضد هذه الدعوات اليائسة والمضللة وصاغ مقولة "القابلية للاستعمار"، مقتنعاً بأن الهزيمة الحقيقية للجيل المسلم الذي جايله، وكل جيل استوفى شروطه نفسها، هي هزيمة نفسية لا تزول إلا بتغيير ما بالنفس مصداقاً لقوله تعالى: >> إنَّ اللَّهّ لا يٍغّيٌَرٍ مّا بٌقّوًمُ حّتَّى"يٍغّيٌَرٍوا مّا بٌأّنفٍسٌهٌمً << (الرعد: 11).

و في إطار مشروعه الفكري العام وتحديد نوعية وطبيعة المشكلات التي يواجهها المجتمع الإسلامي، وقف مالك بن نبي عند قضية المرأة التي تعرضت لكثير من التشويه، خصوصاً مع اتساع دائرة التأثر بالنموذج الحضاري الغربي وموقع المرأة الأوروبية فيه.

تحديد طبيعة المشكلة

ينبغي القول بادئ ذي بدء إن قضية المرأة عند مالك بن نبي تندرج ضمن منظومته الفكرية العامة التي حددها في مشكلة الحضارة، بأبعادها الشاملة، السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية. فمشكلة الحضارة عنده قضية لا تتجزأ، وأي تجزيء لها يقود حتماً إلى طرح المشكلات طرحاً خاطئاً ومن ثم تحديد وسائل خاطئة للعلاج. إن مالكاً يعتبر أن العالم الإسلامي أضاع وقتاً طويلاً، وجهداً كبيراً بسبب عدم التحديد المنهجي الصحيح للمرض الذي يتألم منه منذ قرون عدة، وذلك عائد إلى التجزيئية التي عزلت القضايا عن بعضها ونظرت إلى كل واحدة على حدة.

من هنا وقف مالك من قضية المرأة موقفه من القضايا الأخرى، وقد أطلق على هذه القضية تسمية "مشكلة المرأة" في كتابه "شروط النهضة"، وذلك انسجاما مع منظومته الفكرية التي تدور حول مشكلة الحضارة عموماً من ناحية، وللتدليل على مقدار

التضخيم الذي كان من نصيب موضوع المرأة في العالم الإسلامي سواء من أنصار التحرر الذي يصل بالمرأة إلى درجة التحلل، أو من أنصار التزمت الذي يغلق بصره أمام حقائق الإسلام.

اعتبر مالك بن نبي أن ليست هناك مشكلة للمرأة معزولة عن مشكلة الرجل، فالمشكلة واحدة، هي مشكلة الفرد في المجتمع، فقد حاول الكثيرون، بوحي من الفكر العربي التجزيئي، النظر إلى قضية المرأة كقضية مستقلة، ومن ثم خلقوا معركة مفتعلة بين أفراد المجتمع الواحد ووضعوا المرأة في مواجهة الرجل، وهذه قمة التجزيئية وتشويه حقيقة الصراع الحضاري، لأنه يضع الزوجة في مواجهة الزوج، والبنت في مواجهة الأب والأخت في مواجهة الأخ وهلم جرا، فيتحول الصراع من صراع المجتمع ضد التخلف الحضاري والاغتراب إلى صراع داخل المجتمع نفسه، مما يلهيه عن التصدي للتحديات في بناء متماسك.

وتقود هذه الطريقة في تشخيص المشكلات وتحديد معالمها إلى منظور كمي، ذلك أن وضع جدار فاصل بين المرأة والرجل يؤدي ضرورة إلى البحث عما يفرق ويجمع بينهما وبعد ذلك إلى إيجاد ما ينقص المرأة إزاء الرجل، وهل هي أكبر أو أصغر منه، أو تساويه في القيمة. ويعتبر مالك أن هذه الأحكام ما هي إلا افتئات على حقيقة الأمر ومحض افتراء(1).

موقفان ودافع مشترك

ميز مالك بن نبي بين موقفين متقابلين من قضية المرأة : موقف المتمسكين بإبعاد المرأة عن المجتمع وإبقائها في وضعها التقليدي الذي كرسته التقاليد، وموقف الداعين إلى أن تخرج المرأة في صورة تلفت إليها الغرائز، ويرى أن موقفي هذين الفريقين يصدران عن دافع واحد هو الغريزة.

وهذان الموقفان لا يساهمان في حل المشكلة، بل ربما زادا الطين بلة. وإذا كان موقف الداعين إلى التحرر على النمط الغربي واضح الأخطار على المجتمع الإسلامي بسبب ما يؤدي إليه من ترسيخ للتبعية وتبليد للحس الإسلامي وضرب للهوية الخاصة للأمة، فإن الموقف الثاني قد يكون أشد خطراً لأنه يعطي لأعداء

الأمة المبررات للخوض في سمعة الإسلام والتشكيك فيه، ويجعل المرأة حين تفكر في الحرية لا تجد أمامها إلا النموذج الغربي الحاضر أمامها.

من أجل ذلك يستبعد مالك هذين الموقفين لأنه "لا أمل لنا أن نجد في آرائهما حلاً لمشكلة المرأة"(2)، ويقول: "إن إعطاء حقوق المرأة على حساب المجتمع معناه تدهور المجتمع وبالتالي تدهورها، أليست هي عضواً فيه؟ فالقضية ليست قضية فرد، وإنما هي قضية مجتمع"(3).

موقفه من تقليد المرأة الأوروبية

إن تقليد المرأة الشرقية المسلمة للمرأة الأوروبية لا يحل المشكلة عند مالك، وإنما يزيد من تعقيدها بعد أن كانت بسيطة، لأن انتقال المرأة من امرأة محجبة إلى امرأة سافرة لم يحل المشكلة، فهي لاتزال قائمة، وكل الذي فعلناه أننا نقلنا المرأة من حالة إلى حالة، وسنرى عما قريب أن انتقالها هذا عقد المشكلة بعد أن كانت بسيطة"(4)، فحال المرأة الأوروبية ليست بالتي تحسد عليها، فقد رتب خروجها في صورة تخاطب غريزة الفرد الحيوانية أخطاء جديدة، حيث وصلت مشكلة النسل إلى حالة تدعو إلى الرثاء، وفقد المجتمع تنظيمه الاجتماعي المتماسك الصلب، وامحت المعاني الحقيقية التي تحترم العلاقات الجنسية، وأصبحت هذه العلاقات تسلية للنفوس المتعطلة، وبذلك فقدت هذه العلاقات وظيفتها من حيث هي وسيلة لحفظ الأسرة وبقاء المجتمع. فالمطلوب إذن عند مالك هو التخلص من نظرة الإعجاب التي ينظر بها أنصار تحرر المرأة في العالم الإسلامي إلى المرأة الأوروبية، لأن هذه هي الخطوة الأولى نحو التشخيص الصحيح للمشكل ومكامن الخلل. ومالك لا يضع أيضاً أزمة المرأة الأوروبية في معزل عن أزمة الحضارة الغربية عامة لأن المنظور الحضاري عنده هو إطار كلي للتفسير يتم رد جميع المستويات والجزئيات إليه في سياق كلي شامل، تأتي بعدها الخطوة الثانية وهي ضرورة التخلص من النظرة الجامدة إلى التقاليد التي علقت بالممارسة والوعي الديني لدى الفرد المسلم.

وإذا كانت التغييرات الاجتماعية والاقتصادية قد دفعت بالمرأة إلى عالم الشغل والمصنع والخروج من البيت، فينبغي في رأي مالك بن نبي أن توضع أزمة العاملة الأوروبية في نظر الاعتبار. فقد كانت المرأة في أوروبا ضحية هذا الخروج لأن

المجتمع الذي حررها قذف بها إلى المصنع وإلى المكتب وقال لها: "عليك أن تأكلي من عرق جبينك" في بيئة مليئة بالأخطار على أخلاقها، وتركها في حرية مشؤومة، ليس لها ولا للمجتمع فيها نفع، ففقدت . وهي مخزن العواطف الإنسانية . الشعور بالعاطفة نحو الأسرة، وأصبحت بما ألقي عليها من متاعب العمل صورة مشوهة للرجل دون أن تبقى امرأة".

وعلى هذا الأساس يدعو مالك بن نبي إلى أن توضع قضية تحرر المرأة المسلمة في إطارها الحضاري الإسلامي الطبيعي، وفي إطار الخصوصيات الحضارية والثقافية للأمة: "ينبغي أن تطبع حركتنا النسائية بطابعنا لا بطابع ما يصنع في الخارج"(5).

مشكلة الزي

من اللافت للانتباه أن يخصص مالك بن نبي . رحمه الله . فصلاً خاصاً في كتابه "شروط النهضة" لقضية الزي بعد الفصل الذي خصصه لقضية المرأة، وقد جعل عنوان هذا الفصل في صيغة إشكالية تحت عنوان "مشكلة الزي" وبعد الفصل الخاص بالمرأة مباشرة، ليدل على الترابط بين القضيتين.

لقد ركزت الدعوات الأولى لتحرر المرأة أهدافها على الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة قبل أي جانب آخر، مما يدل على أن مسألة الزي أو اللباس ليست مسألة جانبية أو شكلية كما يريد الكثيرون تصويرها، بل مسألة لصيقة بالنموذج الحضاري والاختيار الثقافي للفرد والمجتمع.

إن مالكاً يرى أن الزي أحد عوامل التوازن الأخلاقي الرئيسة، بل اكثر من ذلك يعتبره ذا روح خاصة: (ليس اللباس من العوامل المادية التي تقر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب، بل إن له روحه الخاصة به، وإذا كانوا يقولون: "القميص لا يصنع القسيس" فإني أرى العكس من ذلك، فإن القميص يسهم في تكوين القسيس إلى حد ما، لأن اللباس يضفي على صاحبه روحه)(6). فلم يكن مصطفى كمال الذي قضى على الخلافة العثمانية حين نزع الطربوش واستعاض عنه بالقبعة يريد فقط تغييراً شكلياً واستبدال زي بآخر، بل لأنه كان يدرك أنه يرمز إلى تاريخ قائم بذاته، وحضارة وسلوك اجتماعي معين، لذلك جاءت القبعة بمثابة القنبلة التي انفجرت في ذلك المجتمع.

فالزي ليس مجرد ديكور خارجي خال من المعاني والمضامين الكبرى في حياة الأمة، بل تعبير عن هوية، فهو يسهم في تمييز المجتمعات عن بعضها ويعطيها خصوصيتها المتفردة، ويجعل الفرد يشعر بانتمائه إلى ثقافته وحضارتة الخاصة، ويعطيه الشعور بالتكاليف الاجتماعية التي يضعها عليه لباسه المميز. أما بالنسبة للمرأة فإن الزي يمثل حقيقتها التي تميزها عن حقيقة نساء المجتمعات الأخرى، ويضفي عليها معاني الحضارة التي تعيش في قوالبها وأشكالها وطقوسها، فلباس المرأة الأوروبية مثلاً الذي كشفها وفضح جسدها يدل على تسخير المرأة لأغراض هي غير الأغراض الحقيقية المعلن عنها، أغراض التحرر والاختيار والحضور الفاعل في المجتمع، وهو يعبر عن طبيعة الحضارة الغربية المادية وثقافتها الساعية إلى تقديس مبدأ اللذة، يقول مالك بن نبي: "غير أنها أصبحت اليوم . أي المرأة الأوروبية . تلبس اللباس الفتان المثير، الذي لا يكشف عن معنى الأنثى، فهو يؤكد المعنى الجسدي الذي يتمسك به مجتمع ساده الغرام باللذة العاجلة".

ويسوق مالك نموذجاً حياً لتكييف المرأة مع الاختيار الثقافي والحضاري والسياسي عن طريق الزي، وهو نموذج المرأة اليهودية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي لهذا البلد، والتي كانت تتهيأ للهجرة من الجزائر نحو فلسطين لتندمج في حياة دولة "الصهاينة" الجديدة. فقد كانت هذه المرأة تأتي من أطراف الواحات الصحراوية الجزائرية بأزيائها البلدية لتتحول إلى "مواطنة يهودية" منذ أن تصعد الباخرة، حيث تترك المفلحة والكحل وترتدي الأزياء التي تناسب طبيعة المجتمع الجديد. ويرى مالك أن هذا التغيير الشكلي في حقيقته هو مجرد خطوة أولى في سلسلة تطورية تصل إلى حد التغيير النفسي والفكري بعد أن تكون المرأة اليهودية قد ألقت عن جسدها اللباس القديم الذي كان يربطها بالمجتمع منذ قرون، واستعدت لإعادة بناء شخصيتها وتشكيل وعيها في المحيط الجديد(7).

دور المرأة في إعادة البناء الحضاري

إن دور المرأة المسلمة عند مالك بن نبي يكتسي أهمية خاصة في إعادة البناء الحضاري للأمة من جديد، فهي عماد الأسرة التي تقوم بتشكيل الأفراد وتنشئتهم على

معاني الحضارة وإعداد الأجيال لحمل الرسالة، ولذلك يضع مالك علاقة متينة بين شخصية المرأة التي يريدها المجتمع وبين قضية بناء حضارة المجتمع.

يقول ابن نبي: "الواجب أن توضع المرأة هنا وهناك حيث تؤدي دورها خادمة للحضارة، وملهمة لذوق الجمال وروح الأخلاق، ذلك الدور الذي بعثها الله فيه أماً وزوجة للرجل".

ونظراً لخطورة المهمة الحضارية وتشعب مسالكها وتعدد المداخل إليها وتوزع الاختصاصات، فإن حل مشكلة المرأة هو الآخر كجزء من هذه المهمة لا يمكن أن ينهض به . في نظر مالك . قلم كاتب في مقال أو كتاب لأن "هذه المشكلة متعددة الجوانب ولها في كل ناحية من نواحي المجتمع نصيب"، لذلك يقترح عقد مؤتمر عام تحدد فيه مهمة المرأة بالنسبة لصالح المجتمع يشارك فيه إلى جانب علماء الشريعة الأطباء وعلماء النفس والاجتماع وعلماء التربية، حينئذٍ يمكن القول . بحسب مالك . إننا وضعنا المنهج الأسلم لحياة المرأة "ولسوف يكون هذا التخطيط حتماً في صالح المجتمع، لأن علماءه والمفكرين فيه هم الذين وضعوه"، وينبغي أن تكون مقررات هذا المؤتمر العام "دستوراً لتطور المرأة في العالم الإسلامي".

وإذا كان اقتراح مالك بن نبي بعقد مثل هذا المؤتمر يبدو بمقياس الفترة التي كتب فيها غريباً رغم الحاجة إليه، فإنه يظهر اليوم ضرورة منطقية بعد أن أصبحت المؤتمرات الدولية الساعية إلى عولمة النموذج الغربي للمرأة الأوروبية وهدم الأسرة في العالم الإسلامي تعقد باستمرار، ويقوم الإعلام الغربي والعلماني التابع له في ديارنا بالنفخ في قراراتها وتوصياتها، وتقوم المؤسسات الدولية النافذة بالضغط على الشعوب المسلمة لتنفيذ تلك المقررات وتطبيقها في تشريعاتها الداخلية.

وما يملي عقد مؤتمر للمرأة المسلمة عند مالك بن نبي هو أن المرأة في العالم الإسلامي تتطور أوضاعها بطريقة غير مرسومة الأهداف وبدون غاية محددة، أي بعيداً عن أهداف البناء الحضاري للأمة، مما يقتضي ضرورة التخطيط لهذا التطور لتحديد الأهداف المتوخاة منه، بشكل لا تتعارض فيه مع الأهداف العليا للأمة الإسلامية.

وبسبب هذا الوعي الحضاري لدى مالك بن نبي، فإنه لا يتحدث عن تحرر المرأة أو عن حريتها، ربما لكي لا يقلب المفاهيم ويسقط في شراك المصطلح الغربي، بل يتحدث عن "الحضور"، ليربط قضية المرأة بالقضية الشاملة للأمة، وهذا الحضور . المشتق من معاني الحضارة، والذي يعني الفاعلية . يرتبط في مدلوله العام بمصطلح الشهود الحضاري للأمة، حتى تظل الأمة المسلمة خير أمة أخرجت للناس، شاهدة عليهم، وهو شهود باق إلى يوم القيامة.=>

الهوامش

(1) مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين. دار الفكر . بيروت، الطبعة الثالثة 1969 ص 174 .

(2) نفسه ص 176 .

(3) نفسه ص ص: 177 . 178 .

(4) نفسه ص 179 .

(5) مالك بن نبي: بين التيه والرشاد، ص 58 .

(6) شروط النهضة ص 188 .

(7) مالك بن نبي: في مهب المعركة، إرهاصات الثورة، ص:137 . 138 .

=============

#سينما هوليوود في خدمة "البيت الأبيض"

دعوات المقاطعة الشعبية للسلع والخدمات الأمريكية ليست مجرّد دعوة لدعم الانتفاضة، بل هي وسيلة أصبحت ملحّة ولا ينبغي الاستهانة بأهميتها للتحرر من الهيمنة الأمريكية. وإنّ العرب والمسلمين، لاسيما الجيل الشاب، الناشئ في ظلّ هيمنة العولمة بهوية أمريكية أو عولمة الهيمنة الأمريكية بحملات جديدة، إنّما يدينون بهذا المنظور لحدث الانتفاضة، وللوعي الشعبي الذي عبّرت عنه، والذي يحقق التضامن المطلوب من وراء سائر الحدود والحواجز، ولا ريب في أنّ المقاطعة شكل من الأشكال الحاسمة والفعّالة للوعي الشعبي والتضامن العربي والإسلامي، ومن أسباب تفعليها بيان الأضرار الكبرى التي ينشرها الارتباط التبعي بالولايات المتحدة في مختلف الميادين، العسكرية والسياسية والاقتصادية وكذلك الفكرية

والاجتماعية التي قد تكون أخطر من سواها، نظراً لما تساهم فيه من صياغة الأفكار والأذواق والأحاسيس، وهذا ممّا تلعب الصناعة السينمائية الأمريكية فيه دوراً رئيساً.
يتصاعد البخار في مطابخ أفلام هوليوود من كثرة الطبخات التي تعَدّ فيه، فالتشكيلة واسعة ومتنوّعة: من قصة الحب السماوي إلى المعركة الزوجية الجهنمية.. ومن فيلم الرعب المفزع إلى الكوميديا الفكاهية الممتعة.. من أفلام الكاوبوي المغبّرة إلى أفلام الفضاء المستقبلية.. تقدَّم لجماهير السينما والتلفاز حسب الأذواق كأطباق خفيفة ذات روائح شهية، أو كأطباق مُبهّرة حادّة من الأفلام الأمريكية. أما العرض المغري على لائحة الطعام الذي يطلبه المشاهد الشاب فهو فيلم المشاهد السريعة الحركة، والذي يدعى action movie وهو في العاده مليء بالعمليات الإجرامية والاقتتال.
يتم إخراج هذا النوع من الأفلام من قِبَل كبار طبّاخي الأفلام الأمريكية مثل رولاند إمّريخ وولفجانج بيترسون وجيمس كامرون باستمرار. وتحصل أفلام (الأكشن) على طابعها الخاص باستخدام أدوات فنية مثيرة وأصوات غريبة ومشاهد مُبالغ فيها وتتميَّز بقصة رهيبة تجذب الانتباه التام خلال مشاهدة الفيلم حتى النهاية، وهذه القصص يجب النظر فيها للكشف عن السر الموجود خلف الوصفة الإنتاجية لهذه الأفلام.
حين ننظر لمنتجات سينما هوليوود في السنوات الماضية نلاحظ أن قصصها في الكثير من الأحيان ليست مأخوذة من الخيال فحسب، وإنما هي مستوحاة من أرض الواقع القائم، وهي أكثر من مجرد أفلام للتسلية، وتكون السياسة مِحور القصة والحدَث في أكثر الأحيان. ولكن أي نظرية تُقدَّم للمشاهدين في كل أنحاء العالم، بالصوت المجسّم وعلى الشاشة الكبيرة؟
القائمة طويلة والاختيار واسع
هناك تشكيلة رهيبة من المقبلات، ومنها مثلاً فيلم بموضوع كلاسيكي، يتحدث عن اختطاف طائرة من قبل إرهابيّين إسلاميّين متعصّبين (كالمعتاد).. يختطفون طائرة جامبو مليئة بالركاب ويهدّدون من موقعهم هذا واشنطن بقنبلة غازية مدمرة للأعصاب.(1996Executive Decision, USA)

ونتناول في الوجبة الرئيسة فيلماً موضوعه قضية تهريب أسلحة حيث تُسرَق قنبلة نووية من مخزن نووي روسي ويتم بيعها مع ثمان أخر للعراق، فيتمكن مجرم صربي من تهريب واحدة منها إلى نيويورك، كي يفجّر بها مركز الأمم المتحدة (The 1997Peacemaker, USA).

ونختم الوجبة بتحلية فنختار فيلماً جاسوسياً خفيفاً، وقصته أن قنابل روسية (كالعادة) تقع بأيدي إرهابيين عرب (كالعادة) يهدّدون بتفجيرها لتخليص المعتقلين من جماعتهم من السجون الأمريكية (1999True Lies, USA).

وجبات تتوافق تماماً مع أذواق الحكام في واشنطن، لأنها تحتوي على الشرّيرين (bad guys) الذين يوقعون الدنيا في حالة خوف وفزع، ولا يقدر عليهم سوى الأبطال الأمريكان (good guys) والذين يقضون عليهم باسم السلام العالمي وأمن الدولة.

ويرسم المخرجون في هوليوود مشاهدهم المرعبة فيصورون فيها موضوعات تشغل السياستين الداخلية والخارجية الأمريكية ومنها خطر انتشار الأسلحة وخاصّةً أسلحة الدمار الشامل وخطورة التجارة بالمخدرات والأخطر: الإرهاب الدولي، الذي يجب اتخاذ إجراءات وقائية منه، حسب خطة وزارة الخارجية. فمن هم الأعداء في سياسة واشنطن ليحصلوا على أدوار الشريرين في أفلام هوليود؟

في ظلّ التطورات على الساحة الدولية هم الآن إرهابيون خطيرون دوافعهم دينية أو أيديولوجية ومن المفضل أن يكونوا من "الشرق الأوسط" أو من أنحاء مجهولة في العالم الثالث المتخلّف الفوضوي.. وهؤلاء الآن الذين يعزّون هوليود في "حزنها" على افتقاد العدو الشيوعي المفضل، إلا أنها ترجع لإحيائه عند اللزوم في بعض الأفلام.

ليس من باب "الصدفة" أن يتم إعداد الأفلام على أساس عملي وحقيقي، وأن يكون هدفها في كثير من الحالات نشر تصوّرات ومصالح أمريكية، وهى تشرح وتثبت في رؤوس الناس ضرورة قيام الولايات المتحدة بدور أساسي في النظام الدولي لحماية الشعوب، وخاصّةً شعبها، مما تعتبره عدواناً.

ميمي ليدر (Mimi Leder) . وهي مخرجة فيلم (Project Peacemaker) . ترغب كما تقول في "أن يستمتع زائرو السينما بمشاهدة أفلامها، ولكن في الوقت

نفسه أن تذكرهم بأن الأشياء التي يرونها هي وقائع، تقوم الحكومة الأمريكية مع حكومات أخرى بمعالجتها".

وزميلها ولفجانج بيترسون يعلق على فيلمه حيث يقول إن هناك "حقيقة وجود الإرهاب الذي أصبح شيئاً تقبّلناه كجزء من الحياة الحديثة.. فنحن خلقنا مشهداً لنوضح للجمهور كيف أنّ عملية إرهابية واحدة يمكن أن يكون لها أثر على العالم كله".

ظاهر أن مخرجي هوليوود اختاروا لأنفسهم خدمة حكومتهم باستخدام أفلامهم السينمائية كجهاز لتسويق سياسة الولايات المتحدة دولياً وتبريرها، وبالمقابل فإن البلد الأم وحكومته بالذات لا ترحّب بهذا العمل فقط وإنما تقوم بتمييز هؤلاء المخرجين الذين يتمتعون بالآداب السياسية الصحيحة، فهي تساعدهم في مشاريعهم السينمائية، مثلاً بتزويدهم بمعدّات وأدوات، أو توفير أماكن للتصوير، يتضح ذلك في فيلم (Air Force One) كمثال، والذي تقوم فيه جماعة خطيرة من الإرهابيين الشيوعيين باختطاف طائرة الرئيس الأمريكي وترافقه على متنها زوجته وابنته.

في هذا الفيلم يقوم الممثل المشهور هاريسون فورد بدور الرئيس الأمريكي، الذي يظهر كرجل شجاع ونبيل، حسيب نسيب، ورجل فعل لا رجل كلام فقط.. فهو وحده يتمكن من إنقاذ نفسه وعائلته ووطنه ويقضي على الأعداء بذكائه.

في مرحلة التحضير لتصوير الفيلم سُمِح لأعضاء الإنتاج أن يدخلوا طائرة الرئيس رغم القوانين الأمنية المتشددة التي لا تسمح لأحد بدخولها، وجاء هذا التصريح بعد مأدبة عشاء دعا إليها الرئيس الأمريكي كلينتون الممثلين الرئيسين ومخرج الفيلم، وسادها جو لطيف داخل البيت الأبيض. هذه الحركة الإيجابية لم تأت جواباً على طلب أو رجاء من قِبل صانعي الفيلم، فجنرال طائرة الرئيس الأمريكي المسماة (Air Force One) واسمه رون سكونيرز يقول في تصريح له : "في هذه المرة نحن الذين اتصلنا بالمنتجين لنسألهم إن كانوا بحاجة لمساعدة القوات الجوية.. وسمحنا لهم باستخدام قواعد القوات الجوية والمعدات التي لا نقدمها لهوليوود عادةً". ومن المعدات التي قدمها الجيش الأمريكي أيضاً ستة طائرات حربية من قاعدة القوات الجوية في فلوريدا، ومروحيتان من نوع (69Blackhawk UH)، كما تمّ تشغيل 250 رجلاً من الجيش الأمريكي لتشغيل تلك المعدات. كذلك فقد تلقى المسؤولون

عن الفيلم مساعدة وزارة الدفاع، والوحدات العسكرية المحلية لولاية أوهايو وكاليفورنيا، لكي يبدو التصوير واقعيا للغاية.

وبذا أصبح هذا الإنتاج من أنجح الأفلام، وجمع صانعوه ثروة إضافية، وأصبح الرئيس الأمريكي بطلاً مشهوراً في أنحاء العالم.. يا لها من نهاية سعيدة!..

إنّ الأسلاك بين هوليود وواشنطن ساخنة باستمرار.. وتستمتع الحكومة بتحقيق ما تريد، وتدفع ثمنه بتعاونها الإيجابي.

وماذا عن المشاهد الذي ينفق ماله ووقته على مشاهدة هذه الأفلام؟

سيصاب أولاً بمغص شديد بعد تلك الوجبة، وثانياً.. سيتلقى عملية غسل دماغ مرتبة، كي يفهم حياته بصورة أفضل، عبر المنظار الأمريكي لها. وثالثاً سيستوعب لماذا تهاجم الولايات المتحدة حتى الآن وتضرب بطائراتها الحربية في العراق مثلاً، وهو المُدمَّر اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً إذ سيتذكر المشاهد ذلك المشهد المثير في فيلمٍ للبطل آرنولد شوارزنجر، عندما استعدّ رئيس المجموعة الإرهابية لإطلاق أربع صواريخ نووية على أمريكا.

ويبقى أن يستلقي المشاهد على مقعده مستريحاً، وأن يطمئن ويقول لنفسه: أمريكا ستقوم بحل المشكلات كلها.. على طريقتها المفضلة!.=>

=============

#العولمة والهوية الثقافية

&&إبراهيم بوغضن &&&

ما العولمة؟ العولمة تعني . لغة . تعميم شيء ما وتوسيع دائرة انتشاره ليشمل العالم كله. وكما ورد في معجم ويبسترز: "إكساب الشيء طابع العالمية وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالمياً".

ومعناها في المجال الاقتصادي إزالة الحواجز والحدود أمام حركة التجارة وإتاحة الحرية الكاملة لتنقل السلع ورؤوس الأموال.

ومعناها في المجال السياسي . الثقافي: العمل على تعميم نمط حضاري معين على بلدان العالم أجمع والنمط المقصود تحديداً هو النمط الحضاري الأمريكي. ويمكن

انطلاقاً من هذا المفهوم أن نقول عن العولمة إنها : أمركة العالم (amricanisation du monde).

ما الفرق بين العولمة والعالمية؟

يقع كثير من الدارسين في خلط كبير حينما يجعلون العولمة رديفة للعالمية.

فالعولمة قمع وإقصاء للخصوصيات، هي نوع من العدوان الثقافي تمارسه الثقافة الأمريكية على سائر الثقافات الأخرى. إنها رديف الاختراق الثقافي الذي يجري بالعنف . المسلح بالتكنولوجيا . فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات الأخرى.

إنها أخيراً نزعة رجعية ظلامية تقوم على احتواء الآخر ونفيه والهيمنة عليه وإقصائه.

أما العالمية (universalit) فهي طموح إلى الارتفاع بالخصوصي إلى مستوى عالمي، فهي طموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء.

يقول تعالى: >> يَا أَيّهَا النَّاسِ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى" وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا << (الحجرات:13)، ويقول أيضاً: >> وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ << (الروم: 22)، إنها آيات قرآنية صريحة في الإقرار بالتعددية الحضارية وحق الاختلاف.

أما العولمة، فهي تنطوي على الاستعلاء والمركزية الذاتية بما يتلازم معهما من إكراه وعدوان واستبعاد للغير والادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة ومحاولة فرضها على بقية البشر.

هل هي

ظاهرة مستحدثة؟

ما من شك في أن مصطلح العولمة مصطلح حديث، لكنه يطلق على واقع ضارب في القدم. ذلك أن الرغبة في عولمة حياة الناس وتنميط سلوكهم اتجاه قديم قدم حياة البشر.

فكتابات الفلاسفة عبر العصور كان الهدف منها أن يلتزم بها البشر كل البشر.

والإسلام في تحريره للإنسان . أي إنسان . هو دعوة للعالمين جميعاً. يقول الله تعالى: >> وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ =>107<= << (الأنبياء)، فدعوته إذن دعوة

عالمية، لا تحدها حدود الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة أو التاريخ أو الجغرافيا، أو أي اعتبار آخر، من هذه الاعتبارات الدنيوية الزائلة.

إلا أن الإسلام . خلاف العولمة المتوحشة .: "لا يقيم مجتمعاً نمطياً، بل إن الناس تستوي في الحقوق وتستوي في الإنسانية لكنها تتفاضل في الطاقات والملكات، والإسلام يزكي التنافس كما يدعو إلى التعاون لكي يتكامل الناس ولكي يتنافسوا في الوقت نفسه في الخير والبر والمعروف، >> $ّفُي ذّلٌكّ فّلًيّتّنّافّسٌ الًمٍتّنّافٌسٍونّ=>26<= << (المطففين)، وبذلك تتوازن الحقوق والواجبات وعلاقات الفرد والجماعة، فليس في الإسلام تطرف نحو الفردية ولا تطرف نحو الجماعية ولا تطرف في التسلطية الشمولية، والإنسانية العالمية تعين الناس على التواصل وعلى التعاون في اقتسام الطيبات حتى يكون العالم كله سوقاً للعمل وسوقاً للإنتاج، ومجالاً للتبادل والتداول.

وتتميز نظرة الإسلام حول التعددية والاختلاف الثقافي بأن ليس هناك شعب معين مختار ومفضل على جميع الشعوب الأخرى، فالأفضلية يكتسبها شعب ما في القيم التي يعيش بها، وعليها تدار نظمه ومؤسساته، والإسلام بهذا المعنى لا يقر كل واقع، ولا يحترم كل اختلاف، ولا يقبل كل القيم . أياً كانت هذه القيم . بل وضع أسساً معيارية على ضوئها تتفاضل الثقافات فيما بينها، وعلى رأسها قيم الحق والخير والجمال والعدل.

والإمبراطوريات القديمة . كالرومان مثلاً . استخدمت قوتها لبسط نفوذها ونشر قيمها في أكبر رقعة ممكنة من العالم، إنها رغبة في العولمة . العالمية، ولاتزال القيم والسلوك وأنماط الحياة والعيش الفرنسية سائدة في الدول التي استعمرتها فرنسا في العصر الحديث. والشيء نفسه حدث للمستعمرات الإنجليزية، وعلى أثر كل حرب تحاول الدول المنتصرة احتواء العالم ووضعه تحت سيطرتها وصبغه على شاكلتها.

فبعد الحرب العالمية الثانية وجدت أيديولوجيتان تتقاسمان العالم، كل منهما يحاول عولمة العالم وفرض قيمه الأيديولوجية عليه، وعاش العالم في ظل حرب باردة ما يقرب من نصف قرن إلى أن حدث انهيار شامل للمنظومة الاشتراكية وسقط جدار برلين، ووقع تفكك مريع لما كان يسمى الاتحاد السوفييتي، وتوحدت الألمانيتان في

دولة واحدة رأسمالية ديمقراطية، ويلاحظ هنا أن هاتين الأيديولوجيتين، رغم حربهما الباردة، فإنهما تنتميان إلى منظومة حضارية واحدة هي الحضارة الأوروبية.

وبعد غزو العراق للكويت، ووقوع "عاصفة الصحراء"، دعا الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش إلى إقامة نظام عالمي جديد، أحادي القطبية.

ومنذ ذلك التاريخ والخطاب حول العولمة يتسع ويحث الدول تصريحاً أو تلميحاً على الانخراط في المنظمات الدولية التي تقف وراء وحدة "السوق" كالجات، و"منظمة التجارة العالمية"، والمؤتمرات الدولية التي تستهدف عولمة الفكر والثقافة والقيم كمؤتمر "البيئة" و"مؤتمر السكان" والمؤتمرات المعنية بقضايا المرأة.

والحقيقة أن الشركات المتعددة الجنسيات التي بسطت سيطرتها على كل أنحاء المعمورة هي التي تقف وراء هذا السعي الحثيث للارتقاء بأشكال وحدة السوق العالمية، وتمول النظريات التي تدعو باسم الحرية والليبرالية إلى حرية تنقل المنتجات والبضائع والرساميل والمهارات والتقنيات والأنواع المختلفة من المنتجات الاستهلاكية الموجهة إلى القارات التي تسكنها غالبية سكان العالم مستهدفة بذلك إدخالها بعنف إلى دوامة الاستهلاك، استهلاك نتاج هذه الشركات العملاقة.

وكون هذه الشركات متعددة الجنسيات لا يعني بتاتاً أنها ملك للإنسان . أي إنسان . على هذه الأرض، بل هي ملك للأغنياء، أغنياء أوروبا وأمريكا تحديداً.

أرقام ناطقة

ما من شك أن لوسائل الاتصال دوراً متقدماً في عولمة القيم والسلوك وتوحيد نمط العيش والتأثير في أذواق الناس وميولهم وخلق نفسية الاستهلاك لديهم وجعلهم أسرى منتجات الشركات متعددة الجنسيات، كما أن مما لا شك فيه أن لوسائل الاتصال الأكثر حداثة أكبر الدور في الترويج لقيم العولمة ويأتي في قمتها . أي الوسائل . شبكة الإنترنت، هذه الأخيرة تكاد تقع بالكامل تحت سيطرة الإنتاج الأمريكي واللغة الأمريكية، فحسب عدة دراسات تبين أن 88% من خدمات شبكة الإنترنت تبث باللغة الإنجليزية و2% فقط للغة الفرنسية.

كما أن أضخم وكالتين للأنباء في العالم أمريكتان وهما: "أسوشيتدبريس" و"يونايتدبريس".

80% من واردات التذاكر في دور السينما البريطانية تأتي من عرض أشرطة أمريكية، ونسبتها في فرنسا تبلغ 60%، أما الإنتاج السينمائي الأمريكي فقد فاق 75% من الإنتاج العالمي.

وتسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على المنظمات الدولية بشكل شبه كامل، مثل البنك الدولي و"صندوق النقد الدولي" و"المنظمة العالمية للتجارة"، بل وحتى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، كما بيَّن ذلك عديد من الوقائع، فهذه المنظمات جميعها "أمريكية الأصول أو النفوذ" بتعبير الأستاذ منير شفيق.

وفي عقد التسعينيات برز إلى الوجود ما يسمى بـ"المؤسسات التقييمية" وهذه المؤسسات عبارة عن جهاز شرطة يقف بالمرصاد لمن يتمردون على نظام العولمة، وذلك بالقيام بعمليات التأديب الاقتصادية، وإعطاء إشارات المرور أمام حركة الأموال والاستثمارات، ونجد على رأس هذه المؤسسات: موديز . أبيكا . ستاندر آنبورز.

إن هذه الوكلات ما هي إلا نوع "أجهزة مخابرات" جديدة تمارس عملية التغريب والترهيب وتقوم بالدور نفسه الذي كانت تقوم به أجهزة المخابرات التقليدية.

من أجل مقاومة فاعلة

إن الخطر . الذي أوضحنا طرفاً منه فيما سبق . الذي تمثله العولمة على الهوية الثقافية لدول العالم بصفة عامة وللعالمين العربي والإسلامي بصفة خاصة ليحث ذوي الضمائر على تنظيم مقاومة فاعلة لهذه العولمة . الأمركة.

1 . إن الوعي بالخطر هو الخطوة الأولى من أجل مقاومته، فما لم أعلم بأن هنالك خطراً يتهددني لا يمكنني أن أنخرط في المقاومة، ومن ثم فإن الخطوة الأولى على درب المقاومة هو نشر الوعي على أوسع نطاق، وبين أوسع الفئات الاجتماعية حول خطورة العولمة، وما تمثله من تهديد للقيم والدين والأسرة والحضارة وتدمير للإنسانية جمعاء. والخطباء والدعاة والمفكرون والصحفيون ورجال الفكر والثقافة، جميعهم مدعوون . كل حسب طاقته . للمساهمة في نشر الوعي حول ما يحيق بالعالم.

2 . المبادرة الذاتية: إن الوعي بخطورة العولمة سيؤدي حتماً إلى أشكال من المقاومة الشعبية، وسيكون لها أثر كبير في الصراع، فالفرد المسلم الواعي مثلاً يستطيع أن "يأخذ قراراً ذاتياً بأن يقاطع بضاعة الدولة التي يرى أنها تجاوزت الحد في الإساءة

إلى مصالح الأمة" "إنه الإنسان العادي الذي عبَّر وهو يعلق على الأخبار أو حين يسمعها عن استيائه من هذا الموقف أو ذاك، فالمطلوب أن يتبع قراره ذلك بقرار ذاتي، أن يفعل شيئاً قد يبدو أنه فردي ومعزول ولا قيمة له وغير مؤثر، لكنه إذا ما أصبح نهجاً يمارسه الكثيرون، بل حتى القلة النسبية فيصبح عملاً مؤثراً يضرب في عصب الدولة المعنية، ولاتستطيع أن تتجاهله مهما كانت قوية وغنية وتجارتها رائجة"، والمشكلة هنا أن يقتنع الفرد بفاعلية خطوته حتى ولو لم تأخذ شكلاً جماعياً مادام ذلك متعذراً، فعندما يقتنع أفراد قليلون بأن يمارسوا المقاطعة ويتسموا بالنفس الطويل، ستبدأ الفكرة بالانتشار حتماً"(1).

3 . تنسيق الجهود بين دول الجنوب: إن على الدول العربية والإسلامية . ودول الجنوب بصفة عامة . أن تسعى لتنظيم نفسها استعداداً للانخراط في المقاومة، مقاومة الهيمنة الأمريكية بعولمتها المتوحشة، بل "يجب أن تتحول الجمعية العامة في هيئة الأمم المتحدة مسرحاً للصراع حول هذه المسائل. وينبغي لهذه الدول أن تستعيد مرة أخرى مبادرات جماعية كما كان الحال مع لجنة (77) ومؤتمرات حركة عدم الانحياز، وربما كان ما حدث في مؤتمر السكان بالقاهرة وفي مؤتمر الأرض ومؤتمر المناخ ومؤتمر المرأة إرهاصات لتطوير صوت عالمي مقابل من أجل نظام عالمي غير ذلك الذي تريده أمريكا بمشروعها التدميري"(2)

4 . إن على طلائع النهضة . الحركة الإسلامية . العبء الأكبر في المقاومة لأنها جزء لا يتجزأ من الأمانة التي أخذتها على عاتقها، ومنها تستمد مشروعيتها، ألا وهي مقاومة الظلم والظالمين المستكبرين وإغاثة الضعفاء والمستضعفين، قال تعالى: >> كِنتِمً خَيًرّ أِمَّةُ أِخًرٌجّتً لٌلنَّاسٌ تّأًمٍرونّ بٌالًمّعًرٍوفٌ $ّتّنًهّوًنّ عّنٌ الًمٍنكّرٌ << (آل عمران:109)، ولعل السيطرة على شعوب العالم، وامتصاص ثرواتها وتدمير ثقافاتها بدعوى الحداثة والعولمة، لهو من أكبر المنكر الذي يجب على الحركة الإسلامية أن تنهض لمقاومته، والله غالب على أمره.=>

الهوامش

(1) ص 85 كتاب منير شفيق "في الحداثة والخطاب الحداثي" نشر المركز الثقافي العربي.

(2) المرجع نفسه ص 82.

==============

#حروب أهلية.. مذابح عرقية.. انقلابات عسكرية

إفريقيا السمراء بدماء حمراء!

إفريقيا إلى أين في ظل حروبها ونزاعاتها التي لاتنتهي؟ وهل تكمن أسباب هذه النزاعات والحروب في عوامل داخلية أم في عوامل خارجية؟ وما الحل في مواجهتها.. من أجل وقف نزيف الدماء بين أبنائها وهي تعبر إلى الألفية الثالثة؟

هذه الأسئلة وغيرها، تناولتها بالبحث والتحليل، ومحاولات الإجابة، ندوة "الصراعات والحروب الأهلية في إفريقيا" التي نظمتها منظمة تضامن الشعوب الإفريقية . الآسيوية بالتعاون مع المركز العربي للبحوث والدراسات الإفريقية والتوثيق، واختتمت أعمالها في القاهرة مؤخراً، وشهدت مشاركات ومداخلات ثلة من الخبراء والمختصين بشؤون القارة السمراء.

في البداية أشار الدكتور مراد غالب . رئيس منظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية . إلى الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية الإفريقية مع بداية دخول إفريقيا الألفية الثالثة، مركزاً على المذابح، والطموحات القبلية والعرقية المقيتة السائدة في القارة، وهي تدخل هذه الألفية بوجه تملؤه الكدمات، مشيراً إلى ظاهرة القيادات التي نصبت نفسها في القيادة بقوة السلاح، واستولت على الحكم في الكثير من بلدان القارة.

ثم تساءل: هل تستطيع إفريقيا أن تدخل في مرحلة توازن، واستقرار، وسلام يؤهلها لتعويض ما فقدته، وأن تبدأ مرحلة جديدة تتناسب مع التغييرات الهائلة التي حدثت في هذا العالم من ثورة علمية، وتكنولوجية جعلت من كوكبنا قرية كونية صغيرة إلى "العولمة" التي انطلقت بقوتها وزحفها الكاسح المهيمن؟

وأكد غالب أن إفريقيا تواجه عناصر خارجية مؤثرة إلى حد كبير على مجريات الأمور وكذلك تواجه منافسة وصراعاً مريراً للسيطرة على مقدراتها، كما أن المنافسة والصراع الشرس بين الأنجلوفونية، والفرانكوفونية على أشدهما بين المستعمرين القدامى والمستعمرين الجدد.

الأبعاد الخارجية

ثم تحدث الأستاذ حلمي شعراوي . مدير المركز العربي للبحوث والدراسات العربية والإفريقية والتوثيق . مثيراً تساؤلاً مهماً وهو: هل هذه الحروب وتلك الصراعات سمة إفريقية عبر التاريخ القديم والحديث؟

وقدم شعراوي ورقته عن "الأبعاد الخارجية للصراع الإفريقي الداخلي" مشيراً إلى تعدد صور الصراعات الإفريقية كما تتعدد أسبابها وضرورة التساؤل عن البعد الخارجي والداخلي لهذه الصراعات بناء على ذلك التعدد.

واعتمد في ورقته على الافتراضات الآتية:

أولاً: لم تكن إفريقيا دائماً ساحة لمثل هذه الصراعات المدمرة قبل اتصالها بالظاهرة الرأسمالية الاستعمارية منذ خمسة قرون، بل عرفت . مثل أوروبا وآسيا . الإمبراطوريات والممالك المستقرة على أرض غانا، وبنين، ومالي، وكانم، والزولو، وزيمبابوي، ومصر، والمغرب الأقصى.

وأكد أن إفريقيا شهدت بعض الصراعات هنا وهناك أثناء فترة بناء الدولة ، فلم يصل ذلك لمثل الصراع الرأسمالي الأوروبي في حربين عالميتين مضحياً بنحو خمسين مليون نسمة في ثلاث قارات على الأقل، كما أن إفريقيا لم تقم نهضتها التاريخية الإفريقية على أشلاء البنى الاقتصادية الاجتماعية والسياسية لغيرها من الشعوب كما تم مع الأمريكتين، أو خلال الفترة الاستعمارية لإفريقيا كأكبر عامل خارجي في حياة القارة.

ثانياً: مرت إفريقيا بفترة الاستقلال السياسي، ومحاولات بناء الدولة مرة أخرى بعد الحرب الأوروبية الثانية في ظروف أنماط مستوردة للدولة، وكذلك حدود موروثة من عصر التكالب الأول دون اقتران ذلك بمثل هذه الصراعات المدمرة، اللهم إلا بعض الأزمات الحدودية، والخلافات السياسية المتوقعة فيما سماه جوليوس نيريري رئيس تنزانيا الأسبق . أمراض التكالب الثاني حول إفريقيا.

ثالثاً: عمدت المراكز الكبرى العالمية إلى تهميش أطرافها حيث انتعشت الرأسمالية العالمية بثروات النفط وبتطور الآليات الرأسمالية المالية عالمياً حتى غرقت مشروعات الدولة الوطنية في الانقلابات والديون، وانهارت أسعار المواد الخام

والمحاصيل الزراعية، ويلاحظ أنه بالرغم من تطلع إفريقيا إلى آفاق التنمية الحقيقية التي سبق أن استعرنا أنماطها أيضاً من المراكز . إن لم نقل إنها فرضت بدورها . فإن منتج الثمانينيات والتسعينيات أصبح هو هذا الحجم من القروض والديون وبرامج التكيف الهيكلي مع مخططات المؤسسات المالية الدولية لإزاحة دور الدولة الوطنية تدريجياً!.

رابعاً: مع الضجيج السائد حول الحروب والصراعات الإفريقية فإنه لايركز الكثير أيضاً على الجهود الذاتية الإفريقية لتفعيل إمكاناتها الداخلية الاقتصادية منها والسياسية في أنحاء القارة، وذلك برغم مظاهر التكالب الثالث السائد، والمحاولات المستمرة لاستيعاب الثروة بعد استيعاب الاستقلال السياسي من قبل في ظل تجاهل الإعلام الدولي الذي يتحدث عن المذابح والحروب، ولايذكر شيئاً عن الشركات الدولية، وإدارات المراكز للعب بثروات الماس، والبترول، وتجارة السلاح... إلخ، الأمر الذي يجعل المسكوت عنه أكثر خطراً من المعلن عنه في عملية تشويه مقصودة وغير مبررة إلا بواقع الاستغلال الخارجي.

خامساً: أصبحت العوامل الخارجية أكثر تشابكاً وبنيوية مع الواقع الإفريقي إزاء تطور النظام المركزي في العالم من الدولي إلى العولمة اقتصادياً وتشريعياً، وذلك مع استفحال دور المؤسسات المالية والشركات عابرة الدول والحكومات، ومع عسكرة القطب الأوحد لآليات الهيمنة.

ثم التفت الباحث نحو التاريخ بحثاً عن إجابات حول الواقع المدمر الذي تعيشه القارة، وذلك لمحاولة الخروج من المأزق، ودائرته المأساوية بسبب التاريخ الاستعماري لإفريقيا كعامل خارجي فرض بنية اقتصادية تقوم على محاصيل نقدية عدة في أنحاء مختلفة تحاصر عملية تقسيم العمل، وتنسيق الإنتاج وتحاصر عملية التكامل الاقتصادي، وتحرم الشعوب من أوليات الاكتفاء الذاتي الغذائي، حيث خصصت إفريقيا لتمد السوق "العالمية" بالقطن والبن والكاكاو والفول السوداني والشاي على سبيل المثال برغم أن هذه المحاصيل لاتمثل استجابة لحاجة غذائية مباشرة لشعوب القارة، ومثل ذلك يقال عن تعدين الذهب، والماس، والبترول... إلخ، وكذلك واقع البنية التحتية في البلدان الإفريقية، إذ تم نتيجة لذلك عملية دمج كاملة

لمصير الشعب الإفريقي بالسوق العالمي منذ قرنين على الأقل، وفي مواقع من القارة منذ خمسة قرون نتيجة الاستيطان في الجنوب الإفريقي كله.

ثم تساءل الباحث: فأي سياسة يمكن تصورها الآن بعد هذا الإلحاق؟

وأجاب قائلاً: لا نتصور إلا صراعات حول لقمة العيش البسيطة أو صراعات النخبة من أجل أنماط الرفاهية المستوردة.

الفساد.. والثروات

ثم انتقلت الورقة إلى الحديث عن بنيوية العامل الخارجي في الصراعات والحروب الأهلية في عدد من الدول الإفريقية ومدى ارتباطه بالبنية الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن السياسية، وعن علاقة الانهيار الصومالية بادئاً بالحرب الباردة حول إثيوبيا ووصولاً للحاجة إلى مناطق لدفن النفايات الذرية امتداداً إلى الأسباب الأولى لصراع ليبيريا وسيراليون، ثم الإشارة إلى دور الشركات البترولية الفرنسية والأنجلو أمريكية في الصراع حول الكونغو ثم الماس والذهب في منطقة البحيرات العظمى، وأخيراً: الأرض والصراع في زيمبابوي، وجذور هذه المشكلات في دعم النظم العنصرية (والأبارتهايد) لقرون عدة لأسباب اقتصادية عالمية أكثر منها محلية، مروراً بحالات الانفصال في كل من إقليم كاتنجا بزائير سابقاً، وبيافرام بجنوب نيجيريا، فتساءلت الورقة عمن يدعم هؤلاء اللوردات، وأمراء الحرب، والصراعات أو من يشكل لهم بيئة التعامل، والاستقرار على ما هم عليه من مواقف التصارع؟

كما أشارت الورقة أيضاً إلى أن عملية الاتجار في الماس أدخلت أطرافاً ليست عالمية بطبعها، لكن تركز ضدها التقارير التي تمتد من الكيان الصهيوني حتى التوجو، وساحل العاج ولبنان أيضاً.

وركزت الورقة أيضاً على ظاهرة عولمة الفساد، وقالت: إن كثيراً من آليات الفساد أصبحت مؤسسات فساد إذ حولت مؤسسات عسكرية كبيرة إلى مؤسسات اجتماعية تتسم أساساً بالفساد، كما حولت أحزاباً وقيادات لقطاع الدولة أو القطاع العام إلى كبار المفسدين، وكلها اعتبارات داخلية لاتنكر، ولكن يجذب النظر أن معظم مظاهر الفساد بهذه الحرية في الحركة للخارج أكثر من كونها مجرد ظاهرة اجتماعية داخلية محدودة أو تتعلق بأحكام التنظيم الاقتصادي الوطني.

ثم تساءل: كيف أصبحت الودائع الفردية الإفريقية بالبنوك الأوروبية تزيد على 300 أو 400 مليار دولار، ومن دولة واحدة أحياناً . أكثر من 50 ملياراً؟ وكيف صار بعض الأفراد يملك بالخارج أكثر من عشرة مليارات وليست كل إفريقيا بترولية أو منتجة للماس والذهب؟!

وأكدت الورقة أن إفريقيا مطالبة بصياغة مفاهيمها الخاصة حول ما هو "دولي" وما هو "عولمي" قبل أن تمضي وقتاً طويلاً في الطريق الصعب للاندماج كما يصفه بعض منظري العولمة.

أزمة الاندماج الوطني : ثم تحدث الدكتور إبراهيم نصر الدين . أستاذ العلوم السياسية وخبير الشؤون الإفريقية بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة . عن تفسير ظاهرة الحروب الأهلية في إفريقيا ذاكراً بعض الأسباب وأهمها:

1 . العوامل ذات الطبيعة الداخلية الاقتصادية، مثل: ارتفاع معدل النمو السكاني والتزايد السريع في عدد الشباب الوافد إلى سوق العمل، ونقص الأرض الصالحة للزراعة، وعدم عدالة التوزيع في الدخول.

2 . في مواجهة المقولة السابقة والتي ترد أسباب الحروب الأهلية إلى عوامل داخلية، ظهرت مقولة أخرى تردها إلى عوامل دولية ومفادها: أن انتهاء الحرب الباردة كان بمقدور كل معسكر أن يقدم العون لحلفائه لتحقيق الاستقرار ولو بالقوة لتحقيق مصالحه، كما أن كل معسكر كان قادراً على ضبط سلوك حلفائه بشكل لايسمح لهم بتصعيد الصراع الداخلي إلى الحد الذي يقود إلى مواجهة بين القوى الكبرى أو يقود إلى حرب أهلية طاحنة، وما إن انتهت الحرب الباردة لم تعد هناك حاجة لمساندة الحلفاء في دول العالم الثالث فوجدت الأنظمة التسلطية نفسها دون سند دولي من جهة ودون ضابط يضبط إيقاع سلوكها من جهة أخرى، فغالت في استخدام القمع ضد المعارضة أفراداً أو جماعات.

وفي المقابل فإن حركات المعارضة بات بإمكانها الحصول على السلاح من السوق العالمي بتمويل من مبيعات المخدرات أو العاج أو الماس في المناطق التي تسيطر عليها في كل من (ليبيريا . سيراليون . أنجولا) أو من خلال المعونات التي يقدمها

أنصارها المهاجرون بالخارج أو بعون من الدول المجاورة، وكل هذا وغيره أدى إلى زيادة عدد الحروب الأهلية، واشتداد ضراوتها ووحشيتها.

ويرى نصر الدين أنه من الأهمية بمكان إعادة البحث عن المصدر الأصيل الذي تنسب إليه هذه الحروب، ويمكن رد ظاهرة الحروب الأهلية في إفريقيا إلى أزمة الاندماج الوطني التي تعيشها الدول الإفريقية منذ الاستقلال التي جعلت من الصعوبة بمكان على النظم الحاكمة بناء الدولة ناهيك عن بناء أمة فضلاً عن مشكلة التعددية في المجتمعات الإفريقية، ودرجة تعقيداتها الكبرى، وفشل معظم أنظمة الحكم الإفريقية في التعامل مع هذه المشكلة إما لفساد هذه النظم وتحيزاتها لصالح جماعة إثنية على حساب غيرها، وإما لعدم قدرتها على الإكراه والإغراء نتيجة اتساع مساحة أقاليم غالبية الدول الإفريقية، وسيادة الطابع الغابي عليه.

ثم أشارت الورقة إلى تجارب نظم الإدارة الإفريقية في إدارة هذه الأزمة بواحد أو أكثر من الأساليب الثلاثة الآتية:

أ . أسلوب الاستبعاد أو الفصل: وهو الأسلوب الذي طبقه النظام العنصري في جنوب إفريقيا (أبارتهايد) قد فشل هذا الأسلوب بانهيار النظام العنصري برمته.

ب . أسلوب الاستيعاب أو الاندماج الطائفي الإكراهي: مثل تجربتي إثيوبيا (هيمنة الأمهرا) ولكنه فشل هو الآخر في تحقيق الاستقرار.

جـ . أسلوب الاندماج الوظيفي الرضائي، عن طريق تقاسم السلطة والثروة بين الجماعات المختلفة في الدولة، أو بمنح الحكم الذاتي للأقاليم والجماعات المختلفة أو الأخذ بالشكل الفيدرالي للدولة أو بمنح حق تقرير المصير والاستقلال، فإن هذا الأسلوب قد فشل في تحقيق غاياته، الأمر الذي يفصح عن أن اللجوء إليه كان بمثابة عملية تكتيكية ومرحلية، للعودة مرة أخرى إلى الاندماج الطائفي الإكراهي، وهو ما دفع بالأقاليم والجماعات المضطهدة إلى رفع رايات حق تقرير المصير والاستقلال باعتباره الحل الأخير أمامها، وباعتبار المساندة الفكرية الغربية الراهنة والدعم المادي الغربي لهذا التوجه مع ما يحمله في طياته من أخطار جمة على استقرار القارة الإفريقية.

وتوصل الباحث إلى نتيجة مفادها: إذا بقيت المشكلة الرئيسة وهي: أزمة الاندماج الوطني دون حل سلمي مقبول يسمح بالاشتراك في السلطة وتقاسم الثروة واحترام التنوع الثقافي والاجتماعي، فإن ظاهرة الحروب الأهلية ستستمر في القارة، وسيتسع نطاقها ليطول دولاً أخرى بشكل يفتح المجال أمام التدخلات الأجنبية من جهة، وشيوع حالة التخلف في القارة من جهة ثانية، ووأد مشروعها الوحدوي في إطار الجامعة الإفريقية من جهة ثالثة مادام توجه الفكر الغربي الراهن إلى القبول بتمزيق الدول الإفريقية إلى كيانات إثنية ضعيفة.

العسكرة.. والدمقرطة

وأكد آريو ا.س . الوزير بسفارة نيجيريا بالقاهرة . في ورقته عن "العسكرة والدمقرطة" أن النزاعات والحروب الأهلية ليست ظاهرة إفريقية فقط، لأنه في المجتمع الإفريقي وقبل قدوم الاستعمار ودخول نظام الحكومة الأوروبية كانت المؤسسات الإفريقية . بالرغم من الطابع الأبوي . تتسم بقدر كبير من الديمقراطية، ولم يعرف هذا المجتمع أي حالة من حالات العسكرة أو أي نظام للحكم من تلك الأنظمة الملكية والإمبراطورية المختلفة.

وأكد الباحث أن هناك مسؤولية استعمارية تتلخص في تفريق بعض المجموعات العرقية إلى أمم مختلفة على يد رسامي الخرائط الاستعماريين إذ قامت القوى الاستعمارية بمحاولات مدروسة لتفضيل مجموعة عرقية معينة لتوريثها السلطة، وعندما شعروا أن عليهم أن يغادروا إفريقيا على هذا النحو وضعوا بذور النزاعات والحروب الأهلية في إفريقيا.

وأشار إلى صور عدة تؤكد الجانب المحلي من المسؤولية وهي:

1 . سوء فهم الوطنيين الأفارقة لجوهر الحكم، فلقد حكم الوطنيون الإفريقيون ومازالوا يحكمون بلدانهم المستقلة لصالح أنفسهم وليس لصالح بلدانهم، بل لصالح أوروبا وآسيا وأمريكا ونتيجة لانتشار الفساد أخفوا أموال الشعب بعيداً في البنوك الأجنبية.

2 . الهيمنة العرقية: التي قام بها العديد من المجموعات العرقية التي وجدت نفسها في وضع أغلبية في مختلف البلدان الإفريقية التي خلقتها القوى الاستعمارية للسيطرة على أو حتى ابتلاع المجموعات العرقية الصغيرة.

3 . الثروات الطبيعية: كانت من أسباب اشتعال بعض النزاعات بين الأمم والدول الإفريقية من خلال الرغبة في التحكم في البحيرات والأنهار والأراضي والثروات المعدنية.=>

=============

#الأسلمة في مواجهة العولمة

تعليقاً على ما نُشر في العدد (1406) ص16 في باب "المجتمع الإسلامي" تحت عنوان "الإيسيسكو تُحذر من فرض العولمة بالقوة"... حيث أكد الدكتور عبدالعزيز التويجري "أن فرض العولمة بقوة الهيمنة الاقتصادية والاستقطاب السياسي يتعارض مع قواعد القانون الدولي".

ونقول إن القانون الدولي أصبح نصوصاً بلا روح.. يصيح وينادي به من وضعوه من الغرب حينما يستخدمونه لخدمة مصالحهم فقط، أما في غير هذا فيضربون به عرض الحائط.

ولو حاولنا إحسان الظن بهذا القانون الدولي وأنه يتعارض حقاً مع فرض العولمة بالقوة.. فهل يُمكننا إحسان الظن بالوسائل التي ما أُنشئت إلا لحماية ما ينادون به من عولمة الاقتصاد لصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، وقوانين الاستثمار الأجنبي... إلخ.

إن التعارض الحقيقي هو بين سلبيات هذه العولمة "لأنها لاشك تحمل إيجابيات لو أحسنا التعامل معها".. وبين ما شرعه ديننا الحنيف منذ أربعة عشر قرناً، حيث لم يلغ التعددية ولا الشعوبية ولا القبلية.. بل أقرها واعترف بوجودها وحقوقها.

قال تعالى: ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين (22) (الروم)، وقال تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى" وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير 13 (الحجرات).

"إن العالم الذي يتطلع اليوم إلى صياغة رأي عام متماسك يقف في وجه العدوان على الهوية ويسعى من أجل الحفاظ على التعددية..." لن يجد هذا العالم مهما كد في البحث ما يحقق تطلعاته إلا بالتوجه للإسلام، حيث لن يجد مجرد آراء عامة

متماسكة... ولكنه سيجد قوانين مُحكمة تُراعي حاجات البشر وتحارب الهيمنة الاقتصادية.. فالأصل في المال التدويل، فليس هناك احتكار ويعم النفع الجميع: كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (الحشر:7)، وتُضبط المعاملات الاقتصادية، فالغرم بالغرم، ولا ضرر ولا ضرار (أخرجه أحمد)، وتؤدي الزكاة، ولكل فقير مدقع حق مفروض من مال المسلمين... وفي أموالهم حق للسائل والمحروم 19 (الذاريات).

سيجدُ العالم قوانين تؤصل لحياة سياسية منضبطة بشرع الله الحكيم لا استبداد فيها بالضعيف من قِبَلِ القوي مهما بلغت قوته، حياة تُراعى فيها حقوق الراعي والرعية، فلا دكتاتورية ولا تعسف ولا انتخابات تصل فيها نسبة النجاح إلى 99.9%... ولكن وأمرهم شورى" بينهم (الشورى)... كل هذا على سبيل المثال لا الحصر من سمات العالم الذي يُحكم بشرع الله وقوانين الإسلام.

===========

#الاقتصاد الماليزي.. بعيداً عن إيقاع العولمة

ألقى الدكتور محاضير محمد ـ رئيس وزراء ماليزيا ـ محاضرة مهمة بجامعة القاهرة مؤخراً، لدى زيارته العاصمة المصرية، وذلك على هامش أعمال مؤتمر الدول الخمس عشرة، تحت عنوان: "المنهج الماليزي للتعامل مع الأزمة المالية الآسيوية والدروس المستفادة بالنسبة لأثر العولمة على الدول النامية".

في بداية اللقاء ـ الذي نظمه مركز الدراسات الآسيوية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالجامعة ـ أكد د.مفيد شهاب ـ وزير التعليم العالي والبحث العلمي المصري ـ أن ماليزيا تعد رمزاً للدول والشعوب الإسلامية في مجال التنمية، بعد أن استطاع الشعب الماليزي تحقيق إنجازات تنموية واضحة، ونجح في أن يجعل من بلاده بلداً متقدماً وقوة اقتصادية كبرى ليست في آسيا وحدها، ولكن على المستوى العالمي.

وأضاف : إنه إذا كان معدن الشعوب يظهر فى الأزمات فقد استطاع شعب ماليزيا الوقوف إلى جانب حكومته أثناء الأزمة الاقتصادية التي ضربت دول شرق آسيا منذ بضع سنوات، ونجحت الحكومة الماليزية بفضل هذه الوقفة الجادة في أن تعيد ترتيب البيت من الداخل، وتنطلق من جديد.

وقال شهاب: إن العديد من الدارسين يرون أن الإسلام أدى دوراً محورياً في التنمية الماليزية، وأن التصور الماليزي للإسلام يعد مسؤولاً . إلى حد بعيد . عن تلك التنمية، وأضاف: إن التجربة الماليزية في إقامة أول سوق نقدية إسلامية تُعد تجربة رائدة، وأنها لاتزال مجهولة بالنسبة للكثيرين ولم تلق بعد ما تستحقه من اهتمام، داعياً الباحثين إلى ضرورة إماطة اللثام عن هذه التجربة الرائدة في تطوير حركة العمل المصرفي الإسلامي وكيفية نجاحها في الوصول إلى ما عجزت عنه التجارب الأخرى، التي تم فيها تحويل النظام المصرفي للعمل وفق الشريعة الإسلامية بقرار سياسي، كما هو الحال في باكستان وإيران والسودان.

%%قصة نجاح آسيوية%%%

الدكتور محمد السيد سليم . مدير مركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة . أشار في كلمته إلى ما حققته ماليزيا من طفرة تنموية كبرى، تعد واحدة من إحدى قصص النجاح القليلة في ميدان التنمية الاقتصادية في إفريقيا وآسيا.

وقال: إن ماليزيا استطاعت خلال العقود الثلاثة الماضية أن تجمع بين النمو السريع والمستمر والمستوى العالي للعدالة في توزيع الدخل، مؤكداًَ أن دخل الفرد في ماليزيا قد تضاعف أربع مرات منذ الاستقلال حتى عام 1992م، إذ تطور هذا الدخل من 450 دولاراً في عام 1972م إلى 1900 دولار عام 1982م، ثم إلى 2790 دولاراً عام 1992م، وإلى 3440 دولاراً عام 1995م، كذلك فقد تراجع الفقر وحققت مؤشرات التنمية الاجتماعية تطورات كبيرة.

وأوضح أن النمو في ماليزيا بعد أن كان يرتكز في الستينيات على الإنتاج الزراعي بصفة أساسية، إذ كان يمثل 40% من الناتج في الوقت الذي كان فيه إسهام القطاع التصنيعي أقل من 10% من هذا الإنتاج، فقد أدى النمو المعجل في الاستثمار والإنتاج الصناعي إلى زيادة نصيبه في الناتج المحلي الإجمالي الآن لأكثر من 30%، كما يمثل 70% من إجمالي الصادرات، بل وأصبحت المنتجات الكهربائية والإلكترونية تمثل الآن وحدها 40% من هذا الإجمالي.

وعن صادرات السلع والخدمات أكد سليم أنها حققت طفرة كبيرة وزادت من 1.9 مليار دولار في عام 1972 إلى 3.14 مليار دولار عام 1982م لتصل إلى6.46

مليار عام 1992م، وفي الوقت ذاته زادت نسبة التعليم من 60% عام 1974 إلى 84% عام 1994م وانخفضت نسبة وفيات الأطفال من 75% عام 1974م إلى 12% عام 1994م وارتفع معدل العمر المتوقع من 59 سنة إلى 71 سنة في الفترة ذاتها، كما زادت نسبة السكان الذين تصلهم المياه النقية من 64% عام 1979م إلى 88% عام 1994م، وازدادت أيضاً نسبة الذين تصلهم الكهرباء من 45% عام 1964م إلى 100% عام 1994م.

%%العولمة المطلقة فوضى%%%

في بداية محاضرته أكد رئيس الوزراء الماليزي أن نهج بلاده تجاه العولمة يقوم على أساس أن إيقاع العولمة في ماليزيا تحدده ماليزيا ذاتها بناء على ظروفها وأولوياتها، وأن الحرية المطلقة تقود إلى الفوضى، وكذلك العولمة المطلقة قد تقود أيضاً إلى الاضطراب، وهو ما اتضح في الأزمة المالية الأخيرة، موضحاً أن العولمة لا يمكن أن تُرى كهدف، وإنما كوسيلة لتحقيق هدف، وهو الوصول إلى حياة أفضل لشعوبنا وضمان التحرر من الهيمنة الأجنبية.

وأشار محاضير محمد إلى ما تواجهه بلاده اليوم من قبل قوى العولمة بما فيها صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والولايات المتحدة، مؤكداًً أنه لو كان الأمر بيد هذه القوى لحاولوا بدأب شديد أن يؤكدوا فشل التجربة الماليزية في التنمية.

وأوضح أن الهدف الأساسي لصندوق النقد الدولي هو فتح الأسواق الماليزية كي تتمكن الشركات الأجنبية من القدوم والاستيلاء على إدارة الأعمال المحلية، في ظل القدرة التنافسية المحدودة للشركات المحلية وعدم قدرة المواطنين على المشاركة في الخصخصة، وقد قلت كلفة هجمات أولئك المفترسين الأجانب، لأنه بعد سحب رؤوس الأموال قصيرة الأجل من البورصة انخفضت أسعار الأسهم إلى مستوى متدن، وقد قاوم بعض الدول ولكن البعض الآخر فقد كل ما لديه من شركات وبنوك ذات كفاءة بما في ذلك شركات المنافع التي تم خصخصتها، إذ إن الخصخصة تم تشجيعها من قبل صندوق النقد الدولي، لأن المواطنين لم يكونوا قادرين على المشاركة بفاعلية فيها، في حين أن الأجانب كانوا يختارون لأنفسهم أحسن ما يمكن.

%%إبعاد المستغلين الأجانب%%%

وقال: ولأن ماليزيا لم تكن في حاجة إلى صندوق النقد، فإننا كان بإمكاننا إبعاد هؤلاء المستغلين الأجانب، ولكننا الآن نتعرض للهجوم من اتجاه آخر هو العولمة والتجارة الدولية، فهذه القوى الجديدة تجعل كثيراً من الشركات المحلية غير تنافسية، وقد يؤدي فشلها إلى سيطرة أجنبية، ونحن نحاول إيجاد طريقة لكيفية مواجهة هذه الهجمات الجديدة.

وأضاف: إنه على الرغم من الاتهامات بأن ماليزيا بالغت في البذخ والإنفاق على المشروعات العملاقة، فإن ماليزيا كانت ولاتزال قوية من الناحية المالية، فلا الحكومة ولا القطاع الخاص اقترض أكثر من المصادر الأجنبية، والحاجة إلى الاقتراض الأجنبي لإعادة دفع الديون كانت غير لازمة، إذ إن القوة الأكبر لدينا تمثلت في معدلات الادخار العالية التي بلغت نحو 40% من الناتج المحلي الإجمالي لعام 1999م.

وعن أخطار السوق المفتوحة أكد رئيس الوزراء الماليزي أن "علينا أن نتجنب طغيان حرية السوق، حيث لا تأتي القوة من استخدام البندقية، وإنما من فرض قائمة اشتراطات، وأضاف: إن حجم رأس المال اليوم لا يمكن تصديقه، وأن حجم الإتجار في العملة أصبح يوازي أكثر من 20 ضعف حجم التجارة العالمية موضحاً أن مثل هذا الحجم الضخم من الأموال يؤدي إلى اضطراب الأعمال أينما تتوجه هذه الأموال، وأن استخدامها في بيع العملات وشرائها يؤدي إلى إثراء المضاربين، وإفقار الأمم وإغراقها في الفتن والعنف والحروب وقلب نظم الحكومات، وإشاعة الفوضى".

وأوضح أن السوق الحرة لم تعد أكثر من اسم جديد للرأسمالية، وأن الأسواق وجدت لكي تمكن المستثمرين من كسب المال وتعظيم الأرباح، وليس من أجل صياغة حاجة الشعوب أو رفاهية المجتمع، وأن رجال الأعمال ليسوا منتخبين من جانب الشعب لكي يهتموا برفاهيته، ولو أنهم انتخبوا فإن ذلك يحدده مالكو الأسهم الذين يهتمون فقط بعوائدهم، وأنصبتهم، والمكاسب المالية التي يحققونها، وقال: إنه من غير الصحيح الاعتقاد أن السوق الحر سوف ينظم أداء الحكومة بهدف بناء أمة أو مجتمع فاضل.

وانتقد محاضير آلة الدعاية الغربية وقدرتها على جعل كل شخص يشعر بالذنب إذا لم يوافق على الأفكار والأيديولوجيات الجديدة التي ابتكرها الأغنياء لإعطائهم المزيد من المزايا.

وأضاف: إن الديموقراطية، والسوق الحر، وعالم بلا حدود، والحقوق الليبرالية للعمال، وعمالة الطفل وغيرها، قد تم إنضاجها في الدول الغنية، وبعد ذلك فرضت على الفقراء الذين لا يمكنهم القبول بها كما هي، لأنها سوف تؤدي إلى عدم الاستقرار وتضعهم تحت رحمة الأغنياء.

وحذر محاضير محمد . في ختام محاضرته . من أن محاولة قوى العولمة إغواء الدول النامية بكل الطرق ليست أكثر من كلمات معسولة، ووعود وشعارات ونظم وأيديولوجيات جديدة، مؤكداًً أن ماليزيا لن تعود إلى الاقتصاد المركزي المخطط الذي ساد في ظل الاشتراكية، إلا أنها لن تسمح في الوقت ذاته لأحد بأن يبيع لها أفكاراً وأيديولوجيات قبل أن تتفحصها جيداً، خاصة أن ماليزيا جربت عولمة رأس المال، وكادت تُدمر بسببها.

============

#الخطر الزاحف.. العولمة والتطبيع

بعيداً عن التعريفات الأكاديمية التي تطرحها مختلف المدارس الفكرية العربية لمصطلحي العولمة والتطبيع، فإنه يجب علينا أن نجهد أنفسنا وعقولنا في الإجابة عن جملة من التساؤلات التي تطرح نفسها بإلحاح في واقعنا اليوم :

1 . هل التطبيع مع الكيان الإسرائيلي بالنسبة للدول العربية بات اليوم جزءاً من حقيقة العولمة الزاحفة على المنطقة؟

2 . وهل العولمة وما أفرزته وما ستفرزه من إلغاء للحدود والحواجز والكثير من مظاهر سيادة الدول والشعوب على أوطانها، ستستخدم كوسيلة فاعلة في جر ما بقي من الدول إلى التطبيع مع العدو الصهيوني، آخذين في الاعتبار ما أشار إليه . إيهود باراك . في حواره مع جريدة الخبر الجزائرية 9-3-2000م، حين ذكر في حديثه عن الدول العربية التي ترفض التطبيع إلى اليوم مع إسرائيل قائلاً: "إن العولمة ستغير الكثير لأنها الحقيقة القائمة حالياً"؟

هل التطبيع الإرادي أو المفروض من قبل القوى العظمى كائن مستقل في حد ذاته لا يلتقي العولمة إلا في كونه من التحديات التي تتعرض لها فسيفساء الوطن العربي، والتي ستزيد وتضاعف من حجم معاناته ومشكلاته، لأنها كالعولمة ستهدد بنيانه الاقتصادي وتوجهاته السياسية ونسيجه الفكري والاجتماعي كذلك؟

إن كل الاختصاصيين يؤكدون على أن العولمة هي: "القدر" الزاحف على العالم خاصة على الدول المتخلفة بسلبياتها و"إيجابياتها" إذ إنها تمثل مرحلة القسر والاجتياح في تطور الحضارة الغربية بعد مرحلة الاختيار التي عرفها العالم في زمن تعدد الأقطاب.

إنها تعني أمركة العالم. فإذا كانت العولمة هكذا فهل التطبيع ومد جسور التعاون والتبادل مع الكيان الإسرائيلي قدر "زاحف" محتوم على الدول العربية؟ وهل لابد عليها أن تنصاع لعملية أمركة العالم طوعاً أو بالضغط والإكراه وحتى التهديد.

مع منتصف التسعينيات، بدأت تكثر الكتابات حول العولمة وتأثيراتها الواضحة في المجال الاقتصادي، غير أن الحديث عن التطبيع ظل إلى وقت قريب في كثير من البلدان العربية هو الحقيقة المغيبة، والواقع السري المسكوت عنه، لأن التطبيع بمفهوم ربط علاقات من قبل الساسة العرب مع إسرائيل يعود إلى نشأة هذا الكيان، وإن كان في دوائر ضيقة حتى برز بصفة رسمية معلنة في توقيع اتفاقية كامب ديفيد في 18-9-1978م، والتي عرضت مصر آنذاك إلى مقاطعة عربية وصلت إلى حد نقل مقر الجامعة العربية منها إلى تونس.

واليوم تهاوت اللاءات العربية وتكسرت صخرة المقاطعة، وأصبحت بلدان عربية متعددة، تقيم علاقات واتصالات مع إسرائيل، وامتدت حمى التطبيع حتى إلى جل دول المغرب العربي.

إن أكثر المدافعين عن اتجاه التطبيع هم في الواقع وكلاء مكاتب للاستيراد الفكري المعلب وممن سماهم المفكر الجزائري . مالك بن نبي . في كتابه . نحو التغيير . بالتخدانيات "حشرة كثيرة الأرجل"، والذين يعدون بشرق أوسط جديد ستحقق فيه الدول العربية الكثير من التطور الاقتصادي والاستقرار السياسي والاجتماعي، بعد الانفتاح على إسرائيل وهي نغمة ما سئموا من ترديدها والعزف على أوتارها.

ولكن تجارب الدول المطبعة مع إسرائيل ماثلة أمامنا، وهي لم تحقق "جنة التطبيع" الموعودة، بل ظهرت سلبياتها وأضرارها على أكثر من مستوى، وكمثال، فإن الصناعة النسيجية المصرية قد تضررت بخسائر كبرى من جراء عمليات التهريب المنظمة للبضائع الإسرائيلية النسيجية إلى الأسواق المصرية، مما أدى إلى غلق العديد من المصانع، ولقد وصل الأمر إلى ما هو أخطر من ذلك، فكلنا يذكر أنه في أواخر الثمانينيات قدمت السفارة الإسرائيلية بمصر احتجاجاً شديداً تطالب فيه الحكومة المصرية التدخل لوقف برنامج للشيخ متولي الشعراوي . يرحمه الله . كان يفسر فيه سورة البقرة فاضحاً خبث اليهود، ومكرهم وغدرهم، رابطاً ذلك بالواقع المعاصر لليهود وخاصة منذ نشأة كيانهم على ثرى فلسطين، أما اليوم فإن إسرائيل تطالب الكثير من الدول العربية بإجراء تعديلات تطبيعية حتى على برامجها ومقرراتها التعليمية والدراسية منها حذف الفقرات التاريخية المقررة في البرامج الدراسية، والتي ترشد إلى صحوة الأمة من كبوتها، وتجدد الأمل في نهوضها وخاصة تاريخ صلاح الدين الأيوبي. بل إن هذه المطالب وأمثالها يطالب بها الكثير من دجالي التطبيع وأشباه المثقفين، حتى أن منهم من تجرأ على تاريخنا في علاقته مع اليهود، وراح يصفه بالمخيال والذاكرة العدائية لليهود، وهي مطالب ترفع مرة باسم الإنسانية والحوار الحضاري وأخرى باسم التواصل مع الواقع الميداني، وطبعاً ما يُقال عن مصر يقال عن غيرها.

واليوم . تنادي القوى الشعبية والسياسية والفكرية في مصر والأردن وبلدان الخليج العربي، وتطالب حكوماتها بالوقف الفوري لعملية الهرولة غير المتزنة نحو التطبيع، لأن التسوية السلمية في الواقع العربي الهزيل والمنهار اليوم لن تؤدي إلا إلى فرض الواقع السياسي والعسكري القائم وهو لصالح إسرائيل. خاصة في ظل مشهد الهرولة التطبيعية التي ألغت المقاومة كورقة الضغط في أثناء التفاوض كما حدث ويحدث على المسار الفلسطيني. إن شباك التطبيع المنصوبة والتي تدفع إليها الأنظمة العربية دفعاً ستؤدي إلى تطويع اقتصاداتها للنفوذ والمال اليهودي الكبيرين.

وإذا كانت العولمة قد أسهمت في تهميش المنظمات العالمية والدولية وحولتها إلى هيئات إغاثة للاجئين والمشردين من المجاعات والحروب كما هو حال الأمم المتحدة

اليوم، فإن التطبيع مع الكيان الصهيوني سيؤدي . كما هو مخطط له . إلى تغييب الأسس الحضارية لهذه الأمة ومرتكزاتها التاريخية، من خلال تهميش فاعلياتها السياسية والفكرية والشعبية الداعية إلى إحياء ورقة المقاطعة لهذا الكيان كسلاح استراتيجي.

الآن وقد بات واضحاً ما تمثله العولمة والتطبيع المعولم من تحد للوطن العربي، شعوباً وأنظمة، فإنه من الأولى أن نسعى إلى إحداث عولمة عربية إسلامية، بانفتاح الدول العربية والإسلامية على بعضها البعض وإلغاء الحدود والحواجز وتسهيل تنقل الأفراد والبضائع والأموال وتقريب وجهات النظر باستنساخ التجارب الناجحة، وقبل أن نلهث وراء التطبيع مع الكيان الصهيوني إرضاء لأمريكا أو غيرها علينا أن نلهث ونسعى نحو تطبيع الأجواء والعلاقات العربية العربية، والعربية الإسلامية، إرضاء للشعوب وانسجاماً مع سيرورة التاريخ وسعياً لمستقبل أفضل.

=============

#عولمة الاستثمار التجاري في مصر

سينسبري شركة بريطانية نشاطها الأساسي التجارة والتوزيع والتسويق، وقد أنشئت في عام 1869م، كشركة تمثل متجراً متخصصاً في بيع الألبان ومنتجاتها، وتطورت مع رواج التجارة باعتبار الألبان من أهم احتياجات كل منزل، وقد تطورت إثر ذلك لتعتبر أكبر شركة للسوبر ماركت في بريطانيا، ولم يقف التطور بها عند هذا الحد، بل قامت بتعديل نشاطها من عام 1975م بالدخول إلى السوق الفرنسي، الذي سيطرت على 75% منه في سنوات قلائل، واجتاحت بعد ذلك دول أوروبا.

ولسنسبري قرابة 1000 فرع على مستوى العالم، يعمل بها حوالي 170 ألف عامل، وتخدم قرابة 12 مليون عميل أسبوعياً، وتعد شركة سينسبري من أكبر شركات السوبر ماركت العالمية، وهي في ذلك تنافس خمس مجموعات كبرى تعمل في المجال نفسه هي: مترو، وجانتيس، وكارفور، وسيفواي، وهذه الشركات . شركات السوبر ماركت . والتي تطور اسمها في الدراسات الاقتصادية إلى "هايبر ماركت" تسيطر على 75% من مجمل السوق في أوروبا والولايات المتحدة.

بدأت سينسبري تدخل السوق المصري وتدرسه منذ مارس 1999م، وقد ترددت قبل الدخول لفترة قاربت على العام، بسبب قرابة العهد بحادثة معبد الدير البحري في عام 1998م، إلا أنها قررت الدخول إلى السوق، وقد دخلت من خلال مشاركة مع رجلي الأعمال هشام وعمرو النشرتي، وهما مالكا شركة "إيدج" للتوزيع والتجارة عبر تمويل شراء 80% من أسهم شركة إيدج، وقد استثمرت سينسبري في مصر قرابة نصف مليار جنيه، وبلغت خسائرها بسبب سياستها العمدية الإغراقية في الأشهر الأربعة الأخيرة 50 مليون جنيه . حسب تقارير صحفية.

وتقوم فلسفة النشاط التجاري لسينسبري على ثلاثة أركان:

1 . استثمار التناقض بين المنتجين والمستهلكين، والذي قوامه سعي المستهلكين للحصول على السلع بأرخص الأسعار وسعي المنتجين لتحقيق زيادة في هامش الربح.

2 . السيطرة على أهم احتياجين لأي بيت، وهما منتجات الألبان ومنتجات التنظيف، ومن هنا كان سعيهم لاحتكار جل صنوف إنتاج كل من "إنجوي" و"جهينة" على صعيد منتجات الألبان، و"برسيل" و"بروكتور آند جامبل" على صعيد أدوات النظافة، وهكذا تتمكن الشركة من استيعاب ما لا يقل عن 40% من احتياجات العملاء.

3 . كسب المزيد من العملاء من خلال خفض أسعار هذه السلع إلى حد يصل بها إلى ممارسة سياسة الإغراق، وهي في ذلك كشركة عالمية على استعداد لتحمل مثل هذه الخسارة لمدة قصيرة تصل إلى عام، وهي مستعدة في هذا الإطار لخسارة في أول عام تصل إلى 500 مليون جنيه، وهي طبعاً بسبيل تعويض هذه الخسارة، وذلك لأن خسارتها تحسب في الأمد القصير وحسب، وفي هذا الإطار تعتمد على نجاح سائر فروعها العالمية، ثم تعوض هذه الخسارة بعد سيطرتها على خطوط الإنتاج، وسحق المؤسسات المنافسة، سواء الصغيرة أو المتوسطة.

كان ذلك تعريفاً عاماً بسينسبري ، والآن ننتقل للحديث عنها سياسياً وثقافياً واقتصادياً.

ثقافياً : في الإطار الثقافي نتحدث عن سينسبري وفق منطلقين:

أولهما: عولمة الاستغلال والتنميط.

وثانيهما: الثقافة الاستهلاكية.

على الصعيد الأول: صعيد عولمة الاستغلال والتنميط، تمثل سينسبري نوعاً من امتداد رأس المال الغربي للهيمنة على أسواق العالم الثالث المستقرة، وتحويل الفائض إلى المصارف التي يتعامل معها رأس هذه المجموعة، ويأتي استغلالها من كونها تحول فائض ربحها هذا (100% من رأس مال متاجر سينسبري، و80% من رأس مال متاجر إيدج) إلى الخارج، وأما عن تنميطها أو قولبتها للمجتمعات التي تغزوها فتتمثل في عملية الإلحاق التي تصنعها في السوق الذي تدخله، إذ تلحقه بنمط الدولة التي اجتاحتها من قبل، بحيث تصير هي إحدى صور هذا النمط الذي يتجاهل الخصوصيات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات التي دخلتها، وصورة القولبة هنا تتمثل فيما يعرف بظاهرة "الفرنشايز" التي تعم كل دول العالم الثالث التي بها قدر معقول من الفائض الاقتصادي، ومن بينها مصر، والمتمثلة في انتشار الماركات العالمية في مجال المشروبات والمطاعم والكافتيريات.. المشروبات مثل "كوكاكولا" والمطاعم مثل "ماكدونالدز" والكافتيريات مثل "سايبر كافيز" حتى ذهب البعض إلى تسمية عملية العولمة أو القولبة والتنميط باسم هذه المؤسسات، مثل مفهوم الكوكلة، والهمبورجرية، المعروفة باسم "المكدلة"، وإن كان المفهومان الأخيران يخصان العولمة أو القولبة وفق النمط الأمريكي، وإن كانت شركة كوكاكولا أمريكية أيضاً.

وقد سبق للكاتب فهمي هويدي أن كتب مقالاً يحمل اسم "كوكلة العالم" في إشارة لعملية التنميط الحضاري هذه، وفي مؤتمر العولمة الذي عقد بالمغرب في أواخر 1998م ذكر أن ثمة مقولة تتردد في الغرب مفادها أن معرفة مدى استقرار منطقة ما سياسياً ولحاقها بالغرب يتوقف على معرفة ما إذا كانت ماكدونالدز قد افتتحت فيها سلسلة مطاعمها أم لا، وعن تجاهلها للخصوصية في إطار التنميط المشار إليه، نجد سينسبري وأخواتها تسحق الخصوصية ولا تتجاهلها فحسب، فعن "ماكدونالدز" و"كنتاكي" و"تكا" و"باسكن وروبنز" للحلويات و"سب واي" نجد أنها تعمل على تنميط الطعام، حيث يصير صنف الطعام واحداً في كل أنحاء العالم، متجاهلة خصوصيات اختلاف الأذواق وأصناف الطعام المحلية، أما سينسبري وأخواتها فإنها

تدمر كل منافس محلي، ولذا يحاول البعض . من هذا المنطلق . الخروج بها عن نطاق اقتصادات الفرينشايز ذات الميول التوسعية غير التدميرية، ولاشك في سلامة هذا المنطق، ولكننا نميل إلى تصنيف الفرينشايز إلى مؤسسات تنميط إيجابية (تضيف ولا تهدم) ومؤسسات تنميط سلبية (تضيف وتهدم في آن واحد، حيث تضيف الجديد، وتهدم القديم)، ولذلك قد يحلو للبعض استيعاب ماكدونالدز وأخواتها، في جانب نطاق العالمية التي تعمل على بناء حالة مشترك إنساني عامة، بينما تصنف سينسبري وأخواتها على أنها ملحق بحالة العولمة التي تتجاهل أي إضافة غير غربية، وتجتاح كل مظاهر الخصوصية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تقابلها.

وأما عن جانب الثقافة الاستهلاكية فهو جانب أصيل، أو بالتعبير الأكاديمي، جانب هيكلي يتعلق بطبيعة المؤسسة التي نتحدث عنها، فهي مؤسسة تسويق وتوزيع سلع استهلاكية، ومن الطبيعي أن يكون هدفها تعميق ثقافة الاستهلاك في مقابل ثقافة الادخار، أو ثقافة الإنتاج، وهاتين الأخيرتين وجهان لعملة واحدة وفق المنظور الإسلامي مع توافر الاشتراطات الأخرى، ويحاول الفكر الليبرالي أن يقصي قيمة الإنتاج ليحل محلها قيمة الاستثمار، لتصبح هي الوجه الآخر للادخار، ولكن ليس كل الاستثمار إنتاجاً، فبعض الاستثمار استهلاكي، وبعض الاستثمار ذو أغراض اقتصادية مركزية كالتعامل في الأوراق المالية، وتتفادى نظريات التنمية الاقتصادية العالمثالثية ذات التوجه الليبرالي الحديث عن النشاط الإنتاجي إلا في إطار التعاون مع الشركات متعدية الجنسية، باعتبارها الضامن لعدم اجتياح معايير التجارة الدولية لصناعتنا، وذلك باستثمارات قليلة لا يمكن اعتبارها التيار الأساسي في هذه النظريات.

ومن هنا يتعمق الطابع الاستهلاكي في المجتمع، وهو من الخطورة بحيث يجب الالتفات إليه بوعي، وقد كان التيار الإسلامي أول من لفت الانتباه للثقافة الاستهلاكية باعتبارها أحد مظاهر الغزو الفكري، وتحاول الحكومة المصرية في هذه الآونة حفز التصدير ليقينها بسلامة هذه الفكرة، فهي . أي فكرة . من إضافات التيار الإسلامي لرصيد الفكر القومي.

سياسياً : فيما يتعلق بسينسبري سياسياً لم نجد سوى إشارة واحدة في مصادر المعلومات التي وجدناها حول هذه الشركة تشير إلى أن ثمة تأكيدات بسيطرة اليهود على رأس مالها، وهذه الإشارة جاءت في صورة مانشيت في صحيفة "الأسبوع"، ولم يتضمن تقرير الصحيفة أي معلومة عن كونها محل سيطرة اليهود، أي كانت الإشارة في العنوان دون المتن، ولم تشر أي مصادر أخرى لقضية علاقة اليهود بسينسبري، وصحيفة الأهالي اليسارية في عدد 8- 3- 2000م، ومن هنا يصعب على الباحث المدقق التعويل على مثل هذه الإشارة، بالإضافة إلى أن المصادر الغربية التقليدية للمعلومات لن تحاول الإشارة لصلة الدين بالاستثمار، وفي إطار التبعية المعلوماتية يصعب الجزم بهذا لأن الوسائل المعلوماتية المصرية لن تجد ما تقوله في هذا الصدد سوى الإشاعات، ما لم تكن ثمة جهة لديها معلومات ذات درجة مقبولة من التوكيد تمكن من بناء مقولات، علمية وسياسية، في هذا الإطار.

وحيال قضية ندرة المعلومات هذه لا يكون أمامنا سوى مسلكين للتصرف حيالها، أولهما افتراض صحة هذه المقولة، وثانيهما الانصراف عن الإشاعة لتقرير مبدأ نظري يعالج هذه المشكلة وفق الرؤية التاريخية، ومنها ما يتعلق بتاريخ اليهود القديم، وحتى المعاصر.

أما المسلك الأول : وهو افتراض صحة هذه المقولة فيدفعنا للقلق حيال مستقبل مصر، لأن مثل هذه المتاجر ستعمل على تدمير مصر من خلال آليات عملها المعتادة، فهي تسحق المنافسين، وتحتكر السوق، وتربط خطوط الإنتاج في المصانع بمتاجرها، وتعمل على تحويل أرباحها إلى الخارج، وهذا من أكثر أضرارها، وسنعرض لهذه الملامح بالتفصيل في الجانب الاقتصادي من هذا التقرير، فتحويل أرباحها إلى الخارج يعني عجزاً في ميزان المدفوعات، واستمرار التحويل يعني مزيداً من الضغط على النظام فيما يتعلق بقيمة العملة، كما يعني مزيداً من الإفقار للمجتمع، هذا فضلاً عما ستتسبب فيه من سحق المنافسين التجاريين الضعفاء والمتوسطين، بل والكبار المحليين أيضاً، وهو ما سنراه بالتفصيل في الشق الاقتصادي، هذا فضلاً عن أن انسحابها من السوق سيؤدي إلى ضرب الصناعات التي تعاقدت معها، وهو ما سيفرض على الدولة ضغطاً أكثر، وفي هذا الإطار

نشير إلى أن المناخ المناسب لوجودها، كما لوجود غيرها من المؤسسات الأجنبية، هو مناخ التسوية مع إدارة الاحتلال الصهيوني.

حالة يهودية

وأما المسلك الثاني فيتمثل في الإشارة للقضية محل النظر من وجهة نظر معالجة تنظيرية تضاف للرصيد النظري الإسلامي والوطني بصفة عامة، وتتمثل في حديثنا عن "حالة اقتصادية يهودية" وهي رؤية مستمدة من تعقب تاريخ اليهود في المجتمعات التي عاشوا فيها، فاليهود في اجتماعاتهم واقتصاداتهم لم يمارسوا نشاطاً إنتاجياً، إلا في القليل النادر، وكان جل نشاطهم إما طفيلياً كالمرابات، أو النشاط الخدمي والرمزي كإدارة المصارف والمضاربة في الأوراق المالية، أو النشاط التجاري والمالي، والسيرة التاريخية لهم تشير إلى أنهم كانوا يكتنزون الأرباح إلى حساباتهم بالخارج، وكلا الأمرين باستثناء الحالة المصرفية لم يكن يعود على المجتمع بفائدة، بل كان يسهم في إضراره، ويمكن أن نقول في آثار هذه "الحالة الاقتصادية اليهودية" كل ما قلناه عن تأثير الشركات اليهودية، مع اختلافات طفيفة في حجم الإضافة بالغة الدلالة، في حجم التأثير سواء على صعيد مصر أو على صعيد العالم، حين يمتد نشاطهم إلى الحيز الإعلامي.

اقتصادياً : في هذا الإطار نود أن نتحدث عن شيئين: أولهما سينسبري كجزء من العولمة الاقتصادية، وثانيهما سينسبري في مصر.

أما عن سينسبري كجزء من عملية العولمة، ففيها نتحدث عن شقين أولهما عن حالة الهايبر ماركت، وكلمة هايبر في اللغة الإنجليزية معناها مفرط أو بإفراط، أو متجاوز، حيث قد تستخدم كلمة هايبرفيزيك بنفس معنى استخدام ميتافيزيك أي متجاوز للطبيعة المادية، وكلمة هايبر ماركت استخدمت لتصف الجيل الثالث من شركات التوزيع والتجارة، فالجيل الأول هو الجيل التقليدي المتمثل في المحال التجارية البسيطة، والجيل الثاني يتمثل في اتساع هذه المحال والمتاجر بصورة كبيرة على المستوى المحلي دون تجاوزه إلى المستوى العالمي، وهي المرحلة التي عرفت باسم السوبر ماركت غير أنه منذ الثمانينيات بدأت دراسات الاستثمار متعدد الجنسية تعرف مصطلح "هايبر ماركت" وهو مصطلح يعبر عن حالة نمو المتاجر وتضخم

رؤوس أموالها إلى حد دفعها لاستيعاب السوق المحلية وتجاوزها إلى السوق الدولي، وهذا يرتبط بالعولمة من حيث كون أحد أبعاد تلك الأخيرة على الصعيد الاقتصادي يتمثل في عولمة رأس المال، أو تحرير رأس المال من قيود الدولة القومية وضوابطها، ويتحدث عنها المنظرون باعتبارها عولمة لثلاثة عناصر، هي: عولمة المستهلك، وعولمة التاجر، وعولمة المنافسة، ويدخل ما تحدثنا عنه من عولمة رأس المال في إطار الحديث هنا عن عولمة التاجر، حيث إن حرية التجارة تختلف عن عولمة التاجر، فالأولى تعين إزالة القيود أمام انتقال السلع، أما عولمة التاجر فتعني إزالة القيود أمام انتقال مؤسسات التجارة نفسها، كما أن مصدر التفرقة الآخر يتمثل في أن التجارة تعني نشاطاً داخلياً وخارجياً في آن، بينما التاجر يرتبط بالمستهلك المباشر، وهو أمر أكثر تخصصاً من التجارة بالمعنى الخارجي، وإن شئنا الدقة نستبدل عولمة الموزع بعولمة التاجر، كما أن المنافسة المقصودة في عولمة المنافسة هي منافسة التاجر المحلي لتاجر عبر قومي موجود في الخارج والداخل في آن، وهذا من قوالب العولمة، وأما عولمة المستهلك فلا تعني سوى تعامل المستهلك مع موزع عالمي بما لهذه العلاقة من دلالة استفادة المستهلك من القدرة التنافسية للتاجر العالمي.

وأما الشق الثاني من سينسبري كجزء من العولمة فهو يعبر عن حالة خاصة من حالات المنافسة التي فيها يواجه رأس المال المحلي برأس المال العالمي، وتكون المواجهة غير عادلة حين لا توجد أرضية قانونية تحمي رأس المال المحلي من الاحتكار والإغراق، والمشكلة في حالة مصر أن هذه الأرضية القانونية غير متوافرة حالياً، وحتى تتوافر في الأمد المنظور ستكون شركة سينسبري قد تمكنت من ربط مجموعة من خطوط الإنتاج بها، وهذه قد تتأثر سلباً إن غادرت السوق والحل أن يصدر هذا القانون سريعاً، حتى يحفظ سياسات هذه الشركة في حدها الأدنى من خفض الأسعار ويمنع الإغراق.

شراء المجمعات الاستهلاكية

وأما البعد الثاني من أبعاد الحديث عن سينسبري على الصعيد الاقتصادي فيتمثل في أوضاع سينسبري في مصر، وقد دخلت سينسبري إلى مصر بالمشاركة مع

شركة إيدج للتوزيع والتجارة، حيث اشترت 80% من أسهمها، وقد كان ما يميز شركة إيدج فيما دعا سينسبري للمشاركة فيها أن الأولى "إيدج" كانت قد ارتبطت من قبل مع وزارة التموين بعقد مشروع تطوير المجمعات الاستهلاكية، ولهذا ارتبط اسم شركة سينسبري بإشاعات عن عزمها شراء بعض شركات التجارة الداخلية والجمعيات الاستهلاكية المملوكة لقطاع الأعمال العام والمعروضة للبيع حالياً، وأن هذا هو سر هدوء الحكومة في التعامل مع شكاوى التجار من سياستها، وتباطؤها في إيجاد حلول، كما قامت سينسبري بشراء مجموعة ABC للسوبر ماركت والتي تنتشر في الأحياء التي تسكنها الطبقة العليا، والشريحة العليا من الطبقة الوسطى كمصر الجديدة والزمالك والمهندسين (من أبرز الأحياء الراقية مادياً في القاهرة).

ومن أهم ملامح عمل مؤسسة سينسبري في مصر أنها في علاقتها بالموردين لا تحصل على السلعة من باب المصانع كما يفعل غيرها من المتاجر، بل تعمل على شراء خطوط إنتاج بكاملها من خلال تعاقدات مع المنتجين، وحتى تاريخ كتابة هذه السطور وقعت سينسبري مع كل من شركتي بروكتور آند جامبل وإنجوي، في حين رفضت شركات أخرى التوقيع معها مثل شركة برسيل وجهينة، والشركات الأربع من شركات منتجات الألبان أو المنظفات الصناعية التي تمثل محل التركيز الأول عند شركة سينسبري.

كما تعمل شركة سينسبري وفق إطار سياسة إغراقية تسمى سياسة "حرق الأسعار" إذ هبطت سينسبري بأسعار منتجات الألبان إلى النصف تقريباً، فتقارير مجلة الأهرام الاقتصادي تشير إلى أن سينسبري تعاقدت على الحصول على منتجات الألبان من شركة إنجوى بسعر 180 قرشاً بدلاً من 275، بينما سعر التكلفة الحقيقية 250 قرشاً، كما حصلت من شركة بروكتور آند جامبل على المنظفات الصناعية بأسعار تقل عن أسعار البيع المنافسة بحوالي 30% مع إغراء كلا الشركتين بالدفع النقدي، ولا تميل وجهة النظر المدققة لتصديق هذه الأقوال، فلماذا تتحمل الشركات تكلفة تفوق تكلفة البيع، حتى ولو كانت الشركة المنتجة هي شركة تابعة لسينسبري نفسها، كما أن خطاب التوضيح الذي أرسلته شركة بروكتور آند جامبل يشير إلى أن شركة سينسبري قد تساوت في عروض البيع مع غيرها من الموزعين، بل إنها حصلت

على سعر أعلى لأنها طلبت الشراء بتمويل آجل لمدة 14 يوماً، وعلى الرغم من عدم ميلنا لتصديق إداريي شركة بروكتور آن جامبل، أو حتى المستندات التي أرفقوها، لأنها مستندات ورقية يمكن التلاعب فيها بالتضامن، إلا أننا نشير باطمئنان إلى أن سينسبري اشترت بأسعار أقل من غيرها، ولكن ليست أسعار إغراق، بل أسعار قليلة بصورة طفيفة لضخامة حجم التعاقد، أما فارق السعر أمام المستهلك، فتتحمل هي وحدها آثاره، طالما كانت شركة مستقلة، وقد تجلى هذا التحمل فيما ذكره تقرير الأهرام الاقتصادي نفسه من أنها خسرت في أول شهر 22 مليون جنيه، وأنها مستعدة لتحمل خسارة تصل إلى نصف مليار جنيه خلال العام الأول،. حتى تكتسب زبائن غيرها من المنافسين، وتشير التقارير إلى أن سينسبري لن تكتفي بحرق أسعار منتجات الألبان والمنظفات الصناعية، بل لديها قائمة تضم 70 سلعة تسعى لحرق أسعارها.

وقد ترتب على سياسة سينسبري أن أغلقت 25 من المتاجر أبوابها فعلاً تمهيداً للبيع أو تغيير النشاط بعد إشهار الإفلاس، ومن المتوقع خلال السنوات الثلاث القادمة إغلاق 10 آلاف متجر، كما ذكر تقرير الأهرام الاقتصادي أن رجل أعمال مصري "محترم" له نشاط في مجال السوبر ماركت تقلصت مبيعاته خلال شهر يناير بنسبة 55% بسبب متاجر سينسبري ومترو.

ولاتزال محاولات العلاج قيد الإعداد وسط هدوء في الأوساط الحكومية، وهو الهدوء الذي يعبر إما عن موافقة، أو رغبة في توريط سينسبري أكثر حتى تبقى لتعوض ما أنفقته، أو رغبة في إحراج المعارضة التي توقعت منها أن تولول فتقوم بإصدار القانون بعد ذلك لإحراجها، وربما كان البديلان الثاني والثالث مقترنين لديها، وإن كانت كل البدائل محتملة حتى إشعار آخر.

============

#عولمة الفقر

نعيش في عصر الفقر العالمي مع ظهور المجاعات على نطاق واسع وعودة الأوبئة الفتاكة وانهيار القطاعات الإنتاجية في البلدان النامية وضمور برامج الرعاية الصحية والاجتماعية.

وللأسف فإن هناك محاولات من الوكالات الدولية الكبرى الثلاث "البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية" لتشويه الحقائق والتلاعب بالبيانات وبمعايير الفقر من أجل تقديم صورة أفضل للعالم. بدأت عولمة الفقر في العالم الثالث متزامنة مع حدوث الهجمة العنيفة لأزمة الديون، وقد امتدت منذ التسعينيات لتشمل جميع المناطق الأساسية في العالم. كما انتشرت المجاعة وطالت جانباً كبيراً من السكان في العالم، فحسب تقدير الأمم المتحدة فإن 23 مليون إنسان في القرن الإفريقي فقط معرضون في الواقع لخطر المجاعة.

يقول مايكل تشوسادوفسكي: تتفق الدول السبع الكبرى والمؤسسات الدولية بما فيها البنك الدولي على إنكار المستويات المتزايدة للفقر العالمي الناشئ عن عمليات الهيكلة الاقتصادية، ويتم إخفاء الحقائق الاجتماعية والتلاعب بالإحصاءات الرسمية، كما تُقلب المفاهيم الاقتصادية رأساً على عقب.

يحدد البنك الدولي وبعيداً عن المفاهيم والمناهج التقليدية الاقتصادية المتعارف عليها لقياس الفقر بشكل اعتباطي عتبة الفقر بدولار في اليوم، ويصنف فئات السكان ذات الدخل الفردي الذي يزيد على دولار واحد في اليوم على أنها غير فقيرة.

إن مقياس دولار في اليوم لا يستند إلى أساس منطقي، ففئات السكان في البلدان النامية التي يصل دخلها الفردي إلى دولارين أو ثلاثة دولارات أو حتى خمسة دولارات في اليوم، مازالت تعاني الفقر، وعدم القدرة على تغطية النفقات الأساسية للغذاء والمأوى والصحة والتعليم.

عندما تتحدد عتبة الفقر بدولار في اليوم يصبح تقدير مستويات الفقر العالمي والوطني مجرد مسألة حسابية، وتحسب مؤشرات الفقر بطريقة آلية ابتداءً من فرضية الدولار في اليوم، ومن ثم تدرج المعلومات ضمن جداول جذابة تبين تراجعاً في مستويات الفقر العالمي.

وهذه التنبؤات المتعلقة بالفقر تستند إلى نسبة مفترضة من النمو في الدخل الفردي الذي يتضمن انخفاضاً مساوياً له ومتماشياً معه في مستويات الفقر.

لقد ابتعد الإطار الذي بني على فرضية دولار في اليوم عن دراسة وقائع الحياة الفعلية، فمع غياب دراسة النفقات المنزلية على الطعام والمأوى والخدمات الاجتماعية

والصحية، يصبح تقدير مؤشرات الفقر في الإطار الذي وضعه البنك الدولي مجرد مسألة حسابية، كما أسلفنا.

بيد أن تقديرات برنامج الأمم المتحدة للفقر البشري تعتبر نموذجاً أكثر تشويهاً من ذلك النموذج الذي قدمه البنك الدولي، ذلك أن تقديرات البرنامج لا تتوافق مع الحقائق المتعلقة بمستوى البلد المعني، والتقديرات الوطنية للفقر.

إن المعايير المزدوجة هي المشكلة الواضحة في عملية قياس الفقر، فمعيار البنك الدولي بمقدار دولار في اليوم ينطبق فقط على الدول النامية، حيث لا يعترف البنك الدولي وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية بوجود الفقر في أوروبا وأمريكا.

وأكثر من هذا، فإن مقياس دولار في اليوم يناقض أصول البحث الثابتة التي تستخدمها الحكومات الغربية والمنظمات الحكومية في تعريف الفقر في البلدان المتطورة وقياسه، حيث تعتمد طرق قياس الفقر في الغرب على المستويات الدنيا للنفقات المنزلية المطلوبة للإنفاق على الطعام والملبس والمسكن والصحة والتعليم.

وحقيقة الأمر، فإن برنامج الأمم المتحدة للتنمية والبنك الدولي للإنشاء والتعمير لا يقومان بمقارنة مستويات الفقر بين الدول المتطورة والدول النامية.

إن الانخفاض العالمي في مستويات المعيشة ليس نتيجة ندرة الموارد الإنتاجية، كما كانت في فترات تاريخية سابقة، ففي الواقع حصلت عولمة الفقر خلال فترة تقدم تقني وعلمي سريعين.

ففي حين أسهم التقدم العلمي في زيادة الطاقة الكامنة للنظام الاقتصادي لإنتاج السلع والخدمات الأساسية، فإن المستويات الواسعة للإنتاجية لم تترجم إلى تخفيض مماثل في مستويات الفقر العالمي.

وختاماً أقول: إن التلاعب بأرقام الفقر العالمي تعيق المجتمعات الوطنية عن فهم نتائج المسار التاريخي الذي ابتدأ في بداية الثمانينيات مع هجوم أزمة الديون.. وقد غزا هذا الوعي الخاطئ جميع ميادين الحوار والنقاش، وبدورها فإن قلة التبصر الفكرية لعلم الاقتصاد والسائد تعيق فهم الأعمال الحقيقية للرأسمالية الكونية وأثرها المدمر على سبل عيش ملايين الناس.=>

==============

أكذوبة تحرير المرأة.. وسجل حافل بالمآسي والشعارات الخادعة

تستعد الأمم المتحدة لعقد مؤتمرها الدولي الثامن للسكان وهو المؤتمر الذي يأتي ضمن سلسلة المؤتمرات التي تنظمها الهيئة الدولية حول السكان منذ عام 1975م حين عقدت مؤتمرها الأول في المكسيك ثم نيروبي عام 1985م ومؤتمر القاهرة عام 1994م، وبكين عام 1995م وإسطنبول عام 1996م ونيويورك عام 1999م وانتهاء بمؤتمر "بكين + 5" بعنوان "المرأة عام 2000م".

ورغم أن العنوان المعلن لهذه المؤتمرات هو "السكان" إلا أن حقيقة برامجها ووثائقها وأهدافها تمحورت حول نقطة واحدة فيما يخص "المرأة" وهي الإلحاح على الدعوة لإطلاق الإباحية الجنسية ومنح المرأة كامل التصرف في جسدها، بما في ذلك حق الإجهاض دون تدخل من أحد، والدعوة لإلغاء نظام الميراث الذي أقره الإسلام بزعم المساواة، والمطالبة الصريحة بشل سلطة الأبوين على الأبناء، بل وصل الأمر إلى الدعوة إلى هدم الأسرة وإلغائها ليبقى كل فرد هائماً على وجهه.

وقد أثبتت وثائق وفاعليات وبيانات تلك المؤتمرات على امتداد أكثر من ربع القرن أنها أبعد ما تكون عن إنصاف المرأة وحمايتها وإحقاق حقوقها وصون آدميتها؛ وإن كانت الشعارات التي ترفعها تتغنى بذلك كذباً وزوراً.

والحقيقة الثابتة التي ينطق بها تاريخ تلك المؤتمرات أنها تأتي في إطار المشروع الغربي الكبير لعولمة العالم، فكما أن الآلة السياسية والعسكرية الغربية تسعى لدمج العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً في منظومة غربية واحدة، تأتي تلك المؤتمرات التي ينظمها الغرب ومنظماته وأجهزته، ممتطياً المنظمة الأممية الدولية، لإكمال مخطط العولمة الكبير بعولمة البشرية ودمجها في أتون النمط الغربي الاجتماعي الفاشل حيث الإباحية المطلقة والدمار الأسري والانهيار الأخلاقي، والمستهدف من وراء ذلك كله المرأة المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم الذي يمتلك بفضل الإسلام ثروة عظيمة من القيم والمبادئ والأخلاق التي صانت عفاف المرأة وأقامت بنيان الأسرة على أساس متين وأبدعت مجتمعاً متماسكاً متكافلاً.

ومن هنا واستباقاً للحملة الدعائية الكبرى التي ستصاحب عقد المؤتمر الجديد حول السكان نؤكد الحقائق التالية:

أولاً: لقد بات واضحاً وبما لا يدع مجالاً للشك أن الغرب وسماسرته في البلاد الإسلامية من المؤسسات والمنتديات والأقلام العلمانية المتطرفة أصبحوا يمتلكون خبرة شيطانية في التلاعب بقضايا المرأة من خلال الشعارات الخادعة نحو تحقيق مكاسب سياسية رخيصة حيناً أو استخدامها كورقة ضغط على الدول والشعوب أو كورقة إرهابية لابتزاز الأفراد والجماعات حيناً آخر، وقد نجحت للأسف تلك الضغوط في إحداث تغييرات بقوانين الأسرة في المغرب والأردن ومصر بما يصب في تحقيق بعض من مخطط عولمة الأسرة المسلمة.

ثانياً: أن النموذج والتجربة الغربية فيما يسمى بتحرير المرأة والذي يروج له سماسرة الاستعمار بافتتان وإلحاح على تطبيقه في بلادنا، نموذج حافل بالفشل ومليء بالمآسي ومتخم بأنات وصرخات النساء، ولا نقول ذلك من نسج خيالنا وإنما نقوله من واقع السجلات والبيانات والوثائق والدراسات التي صدرت في الغرب وعلى ألسنة النساء الغربيات وبما يلقم المتخرصين حجراً تلو حجر. ووقفة سريعة أمام البيانات والوثائق تؤكد ما نقول:

1 اكتشفت المرأة الغربية التي خرجت إلى ميادين العمل بلا ضوابط أو حدود تحت شعار المساواة بالرجل وإثبات الذات أنها ساقطة بين أنياب غول من الشهوانية المريضة التي تفترسها من جهة وواقعة تحت مطارق الاستعباد والابتزاز من جهة أخرى. ففي استطلاع لجامعة كورفيل الأمريكية بين العاملات في الخدمة المدنية ثبت أن 70% منهن قد تعرضن إما لمضايقات أو اعتداءات جنسية.

وفي دراسة تم رفعها مؤخراً إلى وزيرة الشؤون النسائية الكندية تبين أن 40% من النساء العاملات تعرضن إما للضرب أو الاغتصاب.

2 لقد بلغ الانحدار والإسفاف أن أصبحت المتاجرة بالأعراض وتبادل صفقات الاستغلال الجنسي من أكثر الأسواق رواجاً في العالم، وهذا ما يحاولون تصديره إلينا عبر مؤتمرات السكان التي تنادي بالحرية الجنسية الإباحية.

وقد كشفت دراسة حديثة صادرة عن جامعة بنسلفانيا الأمريكية أن حوالي 325 ألف أمريكي تقل أعمارهم عن 17 عاماً يتعرضون سنوياً للاستغلال الجنسي، وهو ما

وصفه واضع الدراسة البروفيسور ريتشارد ايستيس بأنه "أخبث أشكال المعاملة السيئة التي تنزل بالأولاد في الولايات المتحدة وأمريكا الشمالية".

3 أن المجتمعات الغربية ذاتها صارت تضج بالشكوى من الإباحية وأصبحت تئن تحت سعارها. ففي دراسة أمريكية أخرى ثبت أن 80% من الأمريكيين باتوا يعتقدون أن أسباب انحدار القيم الأخلاقية لدى الشباب يكمن في التغيير الذي طرأ على المجتمعات خلال الثلاثين عاماً الماضية بسبب الحرية المفتوحة، وقال 87% من عينة الدراسة: "لو عادت عجلة التاريخ لاعتبرنا المطالبة بالمساواة بين الجنسين مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة".

وقد أثبتت الدراسات في ألمانيا أن الحياة الإباحية تنتج كل عام سبعة آلاف طفل ينتسبون لغير آبائهم.

كما بثت وكالة رويترز للأنباء مؤخراً نبأ محاكمة مارك دمولان عضو الجمعية الوطنية الفرنسية بتهمة الاعتداء الجنسي على ابنة أخيه القاصر.

إن السجل حافل ومتخم بالحقائق الدامغة التي تكشف زيف الشعارات والدعاوى التي تطلقها مؤتمرات الأمم المتحدة عن المرأة والسكان، وتكشف في الوقت نفسه بلاهة الببغاوات العلمانية ممن يطلقون على أنفسهم اسم مناصري حقوق المرأة. ولو أن الجميع وقفوا قليلاً وبتجرد أمام الحقيقة لتحركوا نحو إنقاذ المرأة ولسارت خطط المؤتمرات وحملات الإعلام نحو إنقاذ المرأة والأسرة وفق منهج الإسلام الحكيم.

فقد كرم الإسلام المرأة تكريماً حقيقياً وصان حقوقها وحفظ كرامتها وشرفها وإنسانيتها أماً وزوجة وابنة، ويجدر بنا التأكيد في هذا الصدد على أنها كانت دوماً درة المجتمع الإسلامي وحصنه الحصين في إقامة بنيان الأسرة وحفظ تماسكه، ولذا كان إصرار الغرب والمشروع الغربي الاستعماري على استهدافها واستخدامها كسلاح لإفساد مجتمعاتنا.

وقد أعلن ذلك قبل قرنين من الزمان رئيس الوزراء البريطاني جلادستون قائلاً: إن بلاد الشرق لا يمكن أن تتقدم في نظره إلا بأمرين: الأول: برفع الحجاب عن المرأة المسلمة والثاني: أن يغطي الحجاب القرآن. وذلك ما يحاولونه حتى اليوم، ويعينهم عليه تهاون بعض الأنظمة وتحركات الطابور الخامس من المتغربين.

لكن الصحوة الإسلامية المباركة التي عادت بالناس إلى كنف الإسلام استطاعت عرقلة كل تلك المخططات متخذة المرأة المسلمة العامل الأهم نحو الإصلاح الشامل، وإنها لمنتصرة بإذن الله.=>

=============

#الصحوة المعرفية والحاجة للتخلص من الاستبداد والتبعية للغرب

القاهرة: علي عليوه

جاء تقرير "التنمية الإنسانية" الصادر عن الأمم المتحدة لعام 2003 والخاص بالمنطقة العربية بمثابة جرس إنذار للشعوب والحكومات بسبب ما تضمنه من أرقام وإحصاءات تشير بوضوح إلى تدهور الأوضاع المعرفية، وتزايد الفجوة في هذا المجال، بين البلدان العربية والبلدان المتقدمة، وقد أسهم في ذلك مناخ عام طارد للعلماء والخبراء، فيما يسمى بهجرة العقول، إلى جانب غياب الحريات والمناهج الدراسية التي تثير لدى المتعلم الرغبة في إنتاج المعرفة. رابطة المرأة العربية عقدت بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ندوة لمناقشة التقرير، شاركت فيها نخبة من الخبراء والمهتمين بالدراسات والبحوث التنموية في المنطقة العربية.

ويرى الدكتور حسن الببلاوي أن التقرير يركز على مثلث التنمية الذي يقوم على ثلاثة أضلاع: المعرفة، والمرأة، والحرية، وهو مثلث مهم في حركة التنمية والنهضة، وأهم ما فيه ربط المعرفة بالحرية، وللأسف فإن كثيراً من البلدان العربية يعاني من غياب الحرية، وبالتالي غياب المناخ الذي يساعد على الإبداع والابتكار، وإنتاج المعرفة، وأنه لا معرفة في ظل شيوع مناخ لا يراعي حقوق الإنسان.

وانتقد الببلاوي البعد الثقافي الذي يغلّب مفاهيم عتيقة تقوم على السلبية واللامبالاة، وعدم تقديس قيمة الوقت وإتقان العمل وهي تعيد صياغة التخلف وتعمل على تكريسه، وقد عششت داخل الإنسان العربي، وعرقلت اكتساب وإنتاج المعرفة، ولذلك فالحاجة ماسة لإعادة النظر في تلك المفاهيم.

عسكرة العولمة

وترى الدكتورة عواطف عبد الرحمن رئيسة قسم الصحافة بكلية الإعلام بجامعة القاهرة: أن التقرير يعرض مفهوماً للحرية من المنظور الغربي، ولم يسع لوضع

مفهوم يناسب دول العالم الثالث، ويركز على حرية المواطن ويهمل حرية الوطن، ففي ظل الاحتلال الأمريكي للعراق كيف يمكن أن يكون هناك مواطن عراقي حر في وطن محتل؟ وكيف يكون المواطن حراً في ظل غياب العدالة في توزيع الناتج القومي على مستوى الوطن العربي، وشيوع مناخ الاستبداد السياسي وهيمنة العولمة التي أصبحت عولمة عسكرية بعد تحول الولايات المتحدة إلى قوة استعمارية تفرض هيمنتها بقوة السلاح.

وتطرق الدكتور نبيل علي خبير الحاسوب إلى الأخطار التي تتهدد اللغة العربية في عصر العولمة الذي يسعى لفرض اللغة الإنجليزية على شعوب العالم، وأدت تلك العولمة إلى اختفاء أكثر من ستة آلاف لغة تحت وطأة الغزو اللغوي، ومع تعاظم دور ثورتي المعلومات والاتصالات، فإن التنوع اللغوي مهدد بالانقراض لصالح اللغة الإنجليزية، مما يتطلب عناية أكبر بمقررات اللغة العربية، وتعريب مناهج التعليم الجامعي، حتى تعود للغة العربية سيادتها على أرضها، وتعود كما كانت في عصر الحضارة العربية الإسلامية لغة العلم والمعرفة.

وأكد أن السعي وراء تعليم أبنائنا اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية لغة القرآن الكريم لن يجعل من هؤلاء الأبناء مبدعين أو منتجين للمعرفة، فالحقيقة العلمية تشير إلى أن الإنسان لا يكون مبدعاً أو مفكراً أو منتجاً للمعرفة، إلا من خلال لغته القومية، لا من خلال لغة الآخرين، وإن كان تعلم اللغات الأجنبية أمراً مطلوباً ومهماً للاتصال بالعالم والانفتاح على ثقافاته، ومن هنا تظهر أهمية الترجمة، ومن المؤسف أن ما تم ترجمته منذ عصر المأمون حتى الآن لا يزيد على 10آلاف كتاب، وهو ما قامت أسبانيا بترجمته في عام واحد.

وتساءل السفير الدكتور أحمد عبد الحليم سفير السودان في القاهرة: كيف نغير أوضاعنا التعليمية والاجتماعية لنصبح مجتمعاً منتجاً للمعرفة في ظل التدخلات السافرة للغرب في شؤوننا، ورغبته الحثيثة في إلغاء مبدأ السيادة، وفرض سياسة التبعية ثقافة وسلوكاً وأنماط حياة، وبالتالي القضاء على مفهوم التنوع الثقافي واللغوي الذي طالما تشدق به الغرب؟ وهذا الوضع الدولي يفرض على شعوبنا وضع

استراتيجيات متكاملة للتصدي للغزو الثقافي الغربي، وفي الوقت نفسه إحياء قيم وتعاليم عقيدتنا وتفعيلها في واقع الحياة حتى نصبح مجتمعاً منتجاً للمعرفة.

وينبه الدكتور نادر فرجاني رئيس فريق الباحثين، الذي وضع تقرير "التنمية الإنسانية العربية" لعام 2003 إلى أن مفهوم التنمية الإنسانية يعني أن الإنسان العربي له حق أصيل في العيش الكريم مادياً ومعنوياً، وأن الأوضاع منذ صدور التقرير الأول لعام 2002 لم تتحسن في اتجاه حقوق الإنسان والحريات، بل شهدت تلك الحقوق انتكاسة بسبب تداعيات أحداث سبتمبر بزعم (الحرب على الإرهاب)، وتجاوزت هذه الحرب الخطوط الحمر، وأدت إلى تآكل الحريات المدنية والسياسية في أقطار عدة من العالم، خاصة الولايات المتحدة، وانتقص ذلك من رفاه العرب والمسلمين، وضيق فرص اكتسابهم للمعرفة والمساهمة في إنتاجها.

وأضاف فرجاني أن تداعيات أحداث 11سبتمبر أعطت "إسرائيل" الفرصة لارتكاب المذابح والمجازر في حق الشعب الفلسطيني، وللولايات المتحدة احتلال العراق وأفغانستان، ووجد العرب أنفسهم أمام تحد جديد لا يمكن الخروج منه إلا بتحرير العراق، والتصدي للمشروع الصهيوني التوسعي، وأن تكون هناك استراتيجية تبلورها النخب العربية تهدف إلى تحقيق الإصلاح الداخلي المتأسس على نقد رصين للذات باعتبار ذلك البديل الصحيح لمواجهة مخاطر إعادة تشكيل المنطقة التي تقوم بها الولايات المتحدة، وأن يتضمن الإصلاح إفساح المجال أمام الحريات، وتداول السلطة، والمشاركة الشعبية، والشفافية، وهذا كله من شأنه تهيئة المناخ للإبداع والابتكار وتحقيق مجتمع المعرفة.=>

=============

#ربانية الأمة.. سر قوتها وخلودها

شريف قاسم

للدخول في ميدان هذا الموضوع، تتعدد الأبواب، وتتنوع الطروحات سيما وأن انكشاف عورة العولمة، فضح أسرار الهجمة الشرسة على الإسلام، وعلى الأمة المسلمة، ومحاولة طمس الهوية المتلألئة بأنوار القيم الربانية، منذ ظهور الإسلام في جزيرة العرب المباركة، ولعل التحدي الأكبر هو تجميع الدول الاستعمارية منذ عقود

لليهود في أرض فلسطين، وإقامة كيانهم اللعين بقرار التقسيم عام 1947م، وتسليح هذا الكيان وحمايته من قبل تلك الدول نفسها، حيث وجد اليهود الصهاينة ضالتهم التي حشدوا لها أوهامهم التاريخية، وأباطيلهم الدينية، فالدخول من هذا الباب يكشف ما أعد الله لهؤلاء اليهود من هوان وذلة، وما ألبسهم من ثياب اللعنة الأبدية، مهما رسموا من خرائط، ومهما بنوا من جدران، ومهما وسعوا من أحياء ومستوطنات حول القدس، وغيرها من البقاع الطاهرة غرب النهر، فوجود اليهود في القدس خاصة، وفي سائر الأرض الفلسطينية عامة، هو التحدي الأكبر حقيقة للأمة الإسلامية.

ولقد قال بن جوريون: "لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل". أما الحاخام شلومو جورين فقد قال بكل قوة وجرأة: "إن حركة رابطة الدفاع اليهودي ستخوض صراعاً حاداً من أجل استعادة الهيكل، وإزالة المساجد، بما فيها المسجد الأقصى" وهذا الحقد وهذا العداء ليس بجديد، ولكنه ممتد منذ القدم، فلقد وقف زعيم اليهود حيي بن أخطب وأخوه ينظران في مقدم النبي يوم وصوله مهاجراً إلى المدينة المنورة، فقال أبو ياسر لأخيه حيي: أهو؟ قال حيي: نعم والله. قال أخوه: أتعرفته وتثبته؟ قال: نعم، فقال أبو ياسر: فما في نفسك منه؟ قال اللعين: "عداوته ما بقيت"، فاليهود هم اليهود في عهدهم القديم، وفي تلمودهم البابلي وفي الآخر الأورشليمي، وهم هم في كل طوائفهم المتعددة والمتناحرة.

فأمتنا اليوم تواجه معركة مصيرها، وليست المعركة معركة مصطلحات، أو بيانات ولقاءات، وإنما هي معركة الأمة في الدفاع عن عقيدتها الإسلامية، وعن وجوب حضورها لأداء مهمتها بين الناس، إن كل طبول المصطلحات المحدثة صناعة غريبة عنا، وعن قيمنا، صاغتها الدوائر المغلقة من صهيونية وصليبية، وأعدتها على شكل مشاريع لتغري بها المسلمين، ولقد استهوت بعض المسلمين الذين تعلقوا بذراع ما يسمى بالتقدمية أو الثورية، فلطخوا أفكارهم، وزينوا رؤاهم بأنواع المساحيق المستوردة، ونظروا إلى خطوط هويتهم الجديدة في مراياهم الخاصة فأعجبتهم، وكانت خسارتهم باهظة، وانعكست على أمتهم بهذا الانحدار المريع، حيث تقف الأمة اليوم في حالة من الوجوم يتشح وجهها بغبار النكبات والانتكاسات المتلاحقة، وتعلق على صدرها المحطم أوسمة الزيف المياسة، وتغشي قيمها السامية سحب

احتقان آلام المساءات الحزينة بدموع الثكالى وأنين اليتامى، وهي تنظر بأسف وحسرة في حركة تسويق الشعارات بأسماء الشهداء والأبرياء، وحيناً ترنو بابتسامات اليأس التي تدرها أشداق الموغلين في إرهاقها ببريق قسوة سيوف القهر والإذلال، وأحياناً تسخر إذا اختلطت صيحات الذئاب الأهلية بتهدج سبحات الفجر الساطع بالأمل والرجاء، وحيث تتوهم أنيابها الآثمة أنها تحمي حضور التقهقر المرير من فضيحة بدت عارية، ولتعود تقطع أسيجة الفطرة الضاربة في سواد العيون المؤمنة، وفي أعماق الأحناء الطاهرة.

لقد ساخت حكايا عنترياتهم المملة في مستنقعات قذارة أفكارهم ورؤاهم وسلوكهم، التي ملأت سلالها المتعفنة بالحشف، ولم يمل ميزان عتوهم المضحك من سوء الكيل، يوم ملأت ديباجات أكاذيبهم شهادات الامتياز بحروف الزور الباهتة، لا بأحرف المجد الظليلة، ولا ببهاء قناديل الفتح التي أوقدتها أمتنا بربانيتها عبر العصور.

إن جمهور الطغاة يمتد في فراغ وهمهم، جمهوراً عريضاً طويلاً، ولكنه بلا مشاعر، وامتداده نتيجة لنهوض أسياده بتوسيع مساحات الفراغ، فلا عقيدة ولا قيم ولا أخلاق، فالمكان أخلوه إلا من حضارة الشيطان، فهو جمهور لم يعرف الالتزام بقيم القضايا المقدسة عند الأمة الثاكلة، تلك الأمة الربانية التي يجندها الوعي والإيمان فلا تعرف إلا نجاوى المقربين، وميادين الجهاد، وهي مطمئنة لوعد الله بالفتح والتمكين، وهذا هو الانتماء الرباني لها، ولا مكان ولا قيمة عندها لكل الفلسفات المتناقضة، التي تجتر عداءها لأنصار الدعوة الإسلامية، ولا اهتمام لديها لكل المفردات والنصوص الاصطناعية التي صاغها أعداء الله، ورددها الأغبياء من أبناء جلدتنا: رجعية.. تقاليد بالية.. إرث محنط.. إلى آخره، وتلتها المفردات المبتكرة حسب الطلب أصولية.. إرهابية.. مع تلميع المصطلحات الباهتة من: حداثة.. معاصرة.. علمنة.. عولمة.. إلى آخر شريط العبارات الجوفاء المزيفة، التي يحاول مبتكروها ومصنعوها بواسطتها تصويح نضارة الأمة التي تحميها ربانيتها الحقة، وتجفيف منابعها الثرة.

ولقد شارك مع الأسف أبناء جلدتنا العدو الحاقد في هذه العمليات الصعبة، التي باءت بالفشل بفضل الله تبارك وتعالى، من خلال حربهم على دينهم وبني قومهم، بالقتل تارة وبالسجن تارة أخرى، وبالنفي والتضييق، وبالمقابر الجماعية.. وغيرها من

أنواع التنكيل والإرهاب والاستهزاء، فهل لهؤلاء الأبناء الأعداء أن يؤوبوا إلى رشدهم، وتدركهم رحمة الله؟ قال تعالى: أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى" إنما يتذكر أولوا الألباب (19) (الرعد).

وهل لهم أن يعلموا أن هذه الأمة باقية وخالدة بخلود كتاب ربها، وأن الأعداء مهما كانت قوتهم سينهارون ويتقهقرون، تلك سنة الله في خلقه من أيام قوم نوح وهود وصالح، ومن زمن الجاهلية الأولى التي جاءها نبيٌّنا ص؟ يقول الحق عز وجل: ولقد \استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب 32 (الرعد)، فأعداء الله جنَّدوا عساكرهم لحرب النبوة وما جاءت به من خير وسعادة للبشر، ولقد هلك قدار الذي عقر ناقة الله، وهلك أبوجهل فرعون هذه الأمة، وتقهقر الروم والفرس، وباء المغول والتتار والصليبيون بالذل والعار والانكسار، وبقيت الأمة الربانية لأنها رفضت كل هزائم الآثمين في الصراعات غير المتكافئة، وصبرت ورجعت إلى الله، وتابت واستغفرت، وهي تكفر اليوم بالاستعمار الجديد الذي جاءها بأثواب العلمنة والعولمة، وبأسفار اللعنة من طرب وغناء وتمثيل وموسيقى الغرب، وبكلِّ أنواع الثقافة والأيديولوجيات التي يحملها سيل الأعداء زبداً وغثاءً، وبقيت الأمة المسلمة وهي باقية بمشيئة الله لأن دينها الحنيف يرفض ذلك الزبد والغثاء والضياع، ولأنه رسالة الخالق للخلق، وله مهمة مقدسة حملها الأنبياء وأتباعهم، لإرشاد الآخر المعاند، وكان النصر للمؤمنين، وهو كائن إلى يوم الدين.

روى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ص: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس".

أجل... إلا ما أصابهم من لأواء، ومن شدة وحصار وقتل وسجن وإرهاب وتدمير، وما وهنت الطائفة المؤمنة وما استكانت، وتلك عقيدتها مهما أصابها من سوء، وصدق الله القائل: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما \استكانوا والله يحب الصابرين 146 وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا \اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

147 (آل عمران). والسِّير تعيد أفعالها الحميدة بأيدي المؤمنين الصابرين في فلسطين وفي الشيشان وفي أفغانستان وفي جنوب الفلبين واليوم في بغداد العراق، وفي كلِّ أرض يُحارَب فيها أنصار دين الله، إن حضور الأمل بصلاح الأمة، وإعادة توجهها إلى الله، بدأ يحلُ محلَّ الغفلة المظلمة، وربانية هذه الأمة تؤكد قدرتها على تخطي العقبات، وعلى معالجة ما أنتجته حضارة الآخرين، وعلى تقويم وتصويب مسيرة الحضارة الإنسانية على مراقي السمو والأمن، ولتسقط إلى الأبد مذاهب الانتكاسات والنكبات التي حملها للأمة أتاتورك وطه حسين، وأهل الحداثة والتغريب، وأتباع طغاة الغرب وأهل القبعات وتربية الكلاب.

ولحضارة الآخرين المعاصرة مزايا، ولكن سوءاتها ومثالبها أكثر وأكبر وأخطر، وسعيهم للقضاء على الإسلام والأمة المسلمة لم يعد خافياً، وإن أسباب العافية لأمتنا الربانية موجودة بين أيدي أبنائها، رغم تعدد الآفات، وتنوع الأمراض، ولقد أصيبت من قبل بابتلاء وشقاء، وهبَّت قوية عزيزة بما وهبها الله من أسباب النهوض من كبوتها، فهي الأمة المستخلصة، وهي أمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقيم الإسلام في الأخلاق والمعاملات، وقيمه في التربية والتنشئة، وقيمه في إيجاد الوعي، وتفعيل القدرات، وتوجيه الطاقات الروحية والمادية، وقيمه في قيادة عملية التغيير... تمنح الأمة الأداة ذات الطَوْل والتأثير للتغلب على المفاسد والخلل، وتغذيها بمناهج المعالجات البصيرة للتشوهات التي أصيب بها جسدها، وثمرة ذلك مواجهة الأباطيل، ودحر شوكة الأذى، وكبح جماح الأعداء الذين ملكوا القدرات الهائلة من القوة العسكرية ومن وسائل أخرى لا تقل خطورة عن الأولى في الثقافة أو الاقتصاد أو الفساد.

في حاضر أمتنا غيابٌ لروح النهج الذي كان عليه الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، أعني مجاهدة النفس وبناء الذات، فلقد قال رسول الله ص: "المجاهد من جاهد نفسه في الله" أخرجه الترمذي وابن حبان.

فتربية النفس المسلمة وتزكيتها بالعبادات، وبالصفات المحمودة، وتوجيه طاقاتها في مسارات الولاء لله والوفاء لأهل دينه، وشحن رؤاها بالشوق إلى الله وتذوق حلاوة الإيمان، واسترخاص النفس في ميادين الجهاد ودرب الاستشهاد، كلٌّ ذلك يرفعها

فوق مراتع الابتذال في حياة اللهو بل ويسمو بها على المستنقعات الوثنية الشيطانية في هذا العصر، ويجعل لها الوسيلة الطاهرة، والهدف الأسمى، ويمتد بفطرتها التوَّاقة إلى الخير لتلتقي بصدقها ويقينها بمسؤولياتها في مجتمع الأمة المسلمة التي تدين لربانيتها بمعاني الأخلاق ومعاليها، وكره سفسافها، وتعيش بجمال التزامها بدينها الحق ولغتها الأثيرة لغة القرآن العظيم، وتصوراتها الفينانة بسعادة البشرية.. وخصائصها في النصرة والإيثار والتضحيات، ومن التثبت في أدائها، وإتقان ترجمتها إلى سلوك يومي، فيه التوازن والتواؤم بين متطلبات أبناء المجتمع، وهذا ما يولِّد البناء الرصين لجسد الأمة الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، أي بالنصرة والتفاعل، وهذا ما يولد القدرة على استنهاض الهمم، والمنافسة والإقبال على رضوان الله في الميادين التي نوَّهنا بها من قبل.

ويشهد لهذه الأمة حتى أعداؤها، وهم صاغرون، لأن نور الشمس لا تحجبه يدٌ باغية، ولا ثوب بال، ولا لعبة قذرة، فأمتنا بربانيتها وخلودها هي التي تستطيع توحيد الخلق تحت راية فطرتهم قبل أن يدنسها شياطين الإنس والجن، يقول دينون في كتابه "العواطف كأساس للحضارة" بعد حديث عن حال الناس آنذاك:

"كانت المدنية في القرنين الخامس والسادس كشجرة ضخمة فارعة امتد ظلها إلى العالم كله، وهي واقفة تترنح، وقد تسرَّب إليها العطب حتى اللباب، وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحَّد العالم جميعه". ولد الإسلام في جزيرة العرب... ديناً ليس بحاجة إلى القيام بتجربته في حياة الناس، ولا إلى انتظار ما ينقصه في حالة التطبيق، وليس بحاجة إلى محللين أو ناقدين أو منظِّرين، لأنه دين الله العليم بخلقه، الخبير بكلِّ احتياجاتهم ومشاعرهم ونوازعهم، أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون 83 (آل عمران)!!، فأوامر الإسلام ونواهيه جعلها الله لتقويم السلوك والسمو بالنفس، وتوجيهات الإسلام ووصاياه الربانية جاءت لصياغة الإنسان المؤهل لخير الدنيا، والفوز بنعيم الآخرة، فلا مكان لظلم أو اعتداء بين الناس أفراداً أو دولاً، بل لا مكان للشح والحسد والحقد في النفوس المطمئنة بثواب ربها، والرفعة والكرامة والمكانة للناس إنما تكون بقدر التزامهم بمنهج هذا الدين، وبعبارة أدق بمقدار تقواهم لله، فلا يسخر قوم من قوم، ولا

ينهب قوم حقوق الآخرين، وهنا تسقط شركات المكر والكيد، ومواقف المصالح المبنية على حساب الناس، كما نرى اليوم في حياة الغزاة والمحتلين، الذين استحلوا لحوم العباد فقطعوها، ودماءهم فشروبها، وخيراتهم فنهبوها، ولقد تلاشت صيحات المصلحين والمفكرين في العرب والشرق، أمام همجية وتترية أباطرة المال، وحوش غابة العولمة الدولية، وهم يطالبون بالحرية ومحاربة الفقر والعوز والمرض والجهل، وتهيئة البيئة الصالحة لإيجاد بستان الإخاء الإنساني.... ولكن!!

لا يسمع الصمُّ صوتاً بات يزعجهم

وحسبهم قولهم: في أذْنهم صمم

إن أمتنا الربانية ستبقى رغم كلِ المؤامرات، ورغم قسوة الهجمة الشرسة على قيمها وأبنائها لأن رسالتها السماوية أغنتها بكلِ أسباب البقاء والسيادة، وما حقوق الإنسان التي يطالب بها المصلحون إلا من بعض القيم والتعليمات التي نادت بها شريعة الله، كحماية المجتمع من الجهل والمرض، وتأمين حاجاته الصحية والمعاشية، وتحريم الاستغلال في العمل، والنهي عن أكل حق الأجير، وحفظ حق الأمومة، وحق الإنسان في التكريم وفي بناء أسرة، وفي التعبير والعدالة والمساواة وغيرها من حقوق رعاها الإسلام وحفظها وتوعَّد من استهان بها أو عمل على إلغائها.

والأمة أصلح الله أمرها حين نأت عن أفياء ربانيتها، ادلهمت فوقها سحب الهموم، واستأثرت بها عواصف الأوجاع الاجتماعية، وصاحبتها الرزايا واستأسدت عليها الثعالب، بل والكلاب، فاكتوت بجمر الحسرات على مرأى السجون الملأى بالأبرار، وأحرقت كبدها غياهب القبور الجماعية وقد مضغت الهزائم، واستمرأت جلد الإهانة، وراحت تلهث خلف صدى أنين تتكره أصالتها، فروحها تمرَّدت على التصحُّر، وانطلقت على صهوات القيم، تصرخ في آذان اللاهين المغرورين، وتحدثهم عن القادم الميمون، والغائب الحاضر الذي يزيل بعون الله حالات التجهم والتشاؤم التي تغطي مساحات وجوه لا يستهان بمكانة أصحابها من أبناء هذه الأمة، فهي بحاجة إلى توقُّد حرارة العودة إلى الله، والتمكين لمعاني الصبر والرجاء، وإشعال جُذى العزائم في النفوس من أجل التغلب على قسوة الاسترخاء والفتور التي أُصيبت بها الأمة، ومن أجل أن تدخل مرحلة التغيير بوعي وقوة، وهي لم تفرِّط بهويتها الإسلامية التي

طبع جلال محياها وجمال سمتها عصر النبوة منذ أربعة عشر قرناً، وهذا ليس ضرباً في الخيال، أو زرعاً في قاع البحار، وإنما هو الحقائق، وبشائر النبوة، وحتمية التغيير والمداولة على وجه المعمورة.

وربانية هذه الأمة هي المظلة الوارفة لكل المسلمين في آمالهم المنشودة، من خلال تعبئة شاملة لكلِّ قواهم الروحية والمادية، ولكلِّ قدراتهم الفائقة في عالم النهضة والإنجازات والمآثر، وهم والله أهل لذلك، ولانطلاقة باهرة تخلو من كل سلبيات أمم الكفر والاستكبار والعدوان، التي شاركت بقوة وحقد في قتل ملايين البشر خلال حربين عالميتين، مستعملة كل أنواع الأسلحة ذات التدمير المحلي والشامل، فأهلكت الحرث والنسل، وروَّعت حتى الطيور الآمنة في أعشاشها الربيعية.

إن حرب هؤلاء الأعداء ما برحت قائمة على أمة الإسلام، وما برح الغزاة يخططون لهدم شموخ هذا الدين، ألم يقل لورنس براون: "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"(1)؟ ألم يقل جلادستون رئيس وزراء إنجلترا السابق: "مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق"(2)؟!، ألم تكتب إحدى الجرائد الشيوعية بالخط العريض على صفحتها الأولى: "من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائياً"؟!(3). أما بن جوريون الصهيوني فقد قال: "إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد"(4)، وتضيق الصفحات بما قاله أعداء الإسلام لو تعمَّدنا نقل عباراتهم الموثقة في الكتب المطبوعة وفي وسائل الإعلام.

صحَّت نبوءة اليهود بظهور نبيّ هذه الأمة، وناصبوه العداء، فهل تصح نبوءة هؤلاء الأعداء في هذه الأيام حيث يقول إلبر مشادور: "من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون من السماء لغزو العالم ثانية وفي الوقت المناسب"! ثم يقول: "لست متنبئاً لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها، إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: هأنذا، إنني لم أمت ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيِّرها العواصم الكبرى ومخابراتها"(5)، ولعلها هي بقرآنها وسنة نبيها، بقيمها وعدلها ورحمتها، الأمة الربانية بقوتها الدائمة، وبازدياد صحوة أبنائها، وبحبِّ الناس لهذا الإسلام الذي تكمن فيه

السعادة الأبدية لكل من اعتنقه، وبالروح الاستقلالية التي تتمتع بها الأمة، فما ذابت شخصيتها رغم جحيم الاستعمار، وأوار المكائد الذي ما انطفأ في يوم من الأيام.
أجل هي الأمة الربانية التي تفتح آفاق الإنسانية على هدى الله، وتعالج بطريقتها المتميزة مساوئ هؤلاء وأولئك، ولن ترضى بالتبعية العمياء المضلة في مسيرتها المباركة، لأنها مسيرة نحو النجاة ونحو الحياة الكريمة يقول الله تبارك وتعالى: يا أيها الذين آمنوا \استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون 24 (الأنفال:24).
وحين لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وحين يكون الخير فيها إلى قيام الساعة، وحين يبعث الله على رأس كل قرن من يجدد لها أمر دينها، وحين تهاوت المذاهب والملل بكلِّ شعاراتها وممارساتها، وأطروحاتها الخائبة، سيعود الإسلام بهذه الأمة الربانية، حيث انبعاثها من جديد بثبات أبنائها على الحق، وتمسكهم بالقرآن الذي تعهد الله بحفظه إلى قيام الساعة، والقرآن أعظم أثراً وأكبر قوة، وهو روح التألق للقلوب ومعراج السمو للنفوس، وهو يبني إذا هدم الطغاة والغزاة، وهو يبشر إذا استشرى اليأس بين المتعبين، وهو يترجم معاني الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى سلوك ذي يقظة ووعي في حياة المسلمين وبناء المجتمع الإسلامي، وهو يردُّ بالحجة والبرهان تشكيك الملحدين والحاقدين، وهو يصنع الأبطال لحمل راية الحق، وهذا كائن، وإن أسوأ الأيام وأشدها ظلمة وكرباً هي الأيام التي تحتاج إلى صيحة الفتح والنصر. قال تعالى: ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز 40 (الحج).
الهوامش

(1) كتاب: التبشير والاستعمار.

(2) كتاب: الإسلام على مفترق الطرق.

(3) كتاب: الإسلام والتنمية الاقتصادية.

(4) جريدة الكفاح الإسلامي العدد الثاني شهر نيسان- أبريل 1955م.

(5) كتاب: لِمَ هذا الرعب كله من الإسلام.؟!

==============

#عولمة مقاييس الجمال من خلال بث مشاهد

منكرة لفتيات ذوات مواصفات خاصة

هوس "الجمال" عند بعض الأزواج والزوجات.. لماذا؟!

القاهرة : ناهد إمام

كيف تؤثر وسائل الإعلام في مفهوم الجمال ومقاييسه لدى الزوجات والأزواج في المجتمعات العربية والإسلامية؟ وما أكثر عناصرالجمال جذباً للرجل تجاه المرأة؟ وهل تغيرت نظرة الأزواج تجاه جمال زوجاتهم؟ وأخيراً: بماذا تحدثهم أنفسهم عن ذلك؟!

أسئلة كثيرة تدور في أذهاننا حول هذا الموضوع، دنيا العولمة تتجه نماذج الجمال المنحوتة فيها خطوات إلى الخلف لتصبح بلا لون ولا شكل ولا هوية.. فتقتحم على دنيا الازواج والزوجات في منطقتنا العربية والإسلامية حياة كانت هانئة لتضعها على مسارات أخرى صاخبة وليتم ذلك وفي كثير من الأحيان رغما عن الزوج والزوجة!

من خلال عينة قوامها مائة من الأزواج والزوجات استطعنا الحصول على إجابات صريحة وأخرى دبلوماسية حرصاً على السلامة الزوجية!

اعترافات صريحة

اعترافات صريحة للرجال أكدت تأثرهم الواضح بنماذج الجمال المعروضة من خلال وسائل الإعلام تمثل ذلك في مقارنتهن بالزوجة تارة (9%) أو مطالبة الزوجة بالتغيير مثلهن وإلا! وهؤلاء مثلوا 25% من العينة.

أما نسبة 5% من العينة فكان لديهم الاستعداد بالتضحية بكل شيء حتى تكون زوجاتهم ال "top" حسب تعبيرهم في مستوى التأنق والجمال بينما أكد الباقون 22% أنهم يريدون كل شيء بمعنى أن تهتم الزوجة بتجملها وكل ما عليها من أدوار داخل البيت وربما..خارجه أيضاً.

39% كانت نسبة المقتنعين بأن الجمال ليس مادياً فحسب وهؤلاء يرون شريكات حياتهم أجمل ممن يرونهم على شاشات الفضائيات وأماكن العمل..الخ.

أما الزوجات فقد أكدت 55% منهن وقوعهن تحت ضغوط نفسية كبيرة لمحاولتهن مماثلَة style الجمال الذي يطالبهن أزواجهن بأن يكنّ عليه وهؤلاء عرضن أنفسهن لإجراء كل شيء حتى العمليات التجميلية للمقتدرات منهن مادياً.

35% من العينـة لا يعـانين كثيراً من إحداث التوافق بين مستوى جمالهن ومطالب أزواجهن، ويرجعن الأسباب في ذلك إلى نضج تفكير أزواجهن و"تعشيش" الحب على حياتهم.

10% من الزوجات مصابات باللامبالاة ولا يلقين بالاً للتغيرات الطارئة على أذواق أزواجهن أو مطالبهم!

نماذج وآراء

من بين تلك الآراء نعرض لأبرزها كما وردت:

تقول نادية طه (35سنة) متزوجة منذ عشر سنوات: لكثرة تشبعه بما يرى تقصد زوجها فإنه لا ينظر إليّ عندما نتحدث، نعم! إنه يغض بصره تماماً عني قد ينظر إلي الجدار أو التلفاز أو الاولاد أما أنا فلا، برغم أني لا أهمل زينتي وهندامي ولكنني مهما فعلت فلن أصل إلي مستوى تأنق وجمال فتيات الفيديو كليب وليس أمامي حيلة بعد أن استنفدت كل ما في وسعي.

أما منى (30سنة) فتقول: أعاني الويلات بسبب الفضائيات العربية فقد لا تصدقين أن زوجي لا يفعل شيئاً إذا ما دخل البيت سوى مطاردة المذيعات والمسلسلات والفيديو كليبات العربية على شاشة التليفزيون وقد يئست من حالته التي تنعكس سلباً على حياتنا كلها.

أما ماهر (45سنة) فهو زوج ذو ذوق تركي!.. تقول زوجته بكل أسى: بعد أن سافر إلى تركيا بحكم طبيعة عمله الصحفي في مهمة لم تستغرق سوى أشهر قليلة عاد منبهراً بجمال المرأة التركية وتوليفتها العربية الأوروبية وبدأت نظرته إليّ تتغير فلم يعد يبدي إعجاباً ولا إطراءً كأن نظراته الحادة تتكر علي ملامحي.

وليد (زوج في الثلاثين من عمره) يعترف بأنه بالفعل ظل ولفترة متأثراً بنماذج الجميلات من خلال وسائل الإعلام لذا مكث طويلاً في البحث عن فتاة تتوافر بها المواصفات نفسها لكي يتزوجها، وبسؤاله عن رأيه في شريكة حياته التي طال بحثه عنها الآن رد قائلاً: لا بأس!

أما عبد الرحمن (36 سنة) فهو يرى أن الجمال الشكلي ليس كل شيء فهو إن توافر الآن يزول غداً وتبقى مواطن أخرى للجمال في المرأة لا تزول، وعن مدى تأثره

بوسائل الإعلام في تحديد مقاييس جمال المرأة لديه يقول: مقدار التأثر يحدث كنتيجة لقابلية الشخصية لذلك، وأنا شخصياً وضعت معايير الجمال التي تروقني بعيداً عن المؤثرات.

رؤية خبيرة

ولأن صالونات تجميل السيدات أحد أهم المواقع التي ترتبط مباشرة بالموضوع، فقد التقينا بالسيدة هدى زكي خبيرة التجميل بأحد الصالونات بحي المهندسين أحد أحياء القاهرة الراقية تقول: نعم تأتي إلى الصالون كثير من السيدات وتكون مطالبهن غريبة لإرضاء أذواق أزواجهن، فهناك من تصر على صبغ شعرها باللون الأشقر كلما نبت سنتيمتر واحد من شعرها الأسود لأن زوجها يحب ذلك، وأغلبهن يستشرنني في كيفية عمل الرجيم القاسي للنحافة، وحتى قصات الشعر والمكياج فهذه تطلب قصة شعر أنغام أو ماكياج باسكال والمبرر "أصل زوجي يحب ذلك"!.. زمان لم يكن الأمر هكذا، فالعميلة كانت تطلب مني أن أصنع لها ما يليق لها، وكان للأزواج آراء مستقلة غير متأثرة بشكل المغنية فلانة أو.. أو..الخ!

لا تنسي نفسك

ويعلق الدكتور سيد صبحي أستاذ الصحة النفسية على ما سبق فيقول: كل شيء يكون جيداً ما دام في حدود المقدرة والطاقة، ومقولة أن الجمال الحقيقي هو جمال الروح حقيقة وليس من كلام الفلاسفة، ونحن لا نناقش مسلّمة أهمية تجمُّل الزوجة لزوجها فهو أمر مفروغ منه إلا أن الإسراف في التشبه بالأخريات أمر مرهق نفسياً يجعل الزوجة تفقد معه جمالها الطبيعي وخصوصيتها وشخصيتها التي تميزها عن كل امرأة أخرى، بل ويدخلها ذلك في دوامة صراع مع ذاتها وعدم رضاء عنها، وذلك كله بالطبع.. مرفوض.

وتتفق الدكتورة نجوى عبد السلام الأستاذ المساعد بكلية الآداب بقسم الإعلام بجامعة عين شمس مع ما سبق وتضيف: ببساطة شديدة تسبب وسائل الإعلام الإحباط للمرأة وتبهر الرجل وتصيبه هو الآخر بالإحباط لأنه لا يظفر بما يراه على شاشات الفضائيات من أجساد شقراء راقصة.. إلخ من مقاييس نموذج الجمال الذي ترغّب فيه وتروج له تلك الوسائل، فعولمة مقاييس الجمال تتم من خلال بث مشاهد لفتيات

ذوات أداء حركي ولون بشرة وتكوين جسم ومستوى جمال متماثل في كل عروض الفيديو كليب والإعلانات..الخ.. لا فرق في ذلك بين فضائيات عربية أو أجنبية فالكل نسخة واحدة.

ومن هنا يأتي الخطر إذ تُعتبر وسائل الإعلام أهم أدوات ثقافة العولمة، ثقافة سمعية بصرية تصنع ذوق المشاهد وتصيغ رؤية خاصة للإنسان والمجتمع، وهناك اتجاه عالمي يهدف إلى توحيد القيم حول كل شيء ومن تلك الأشياء المرأة وما يتعلق بها من جمال.. والمحك الحقيقي أن يلقى ذلك الاستجابة أو "لا".

وتنصح الدكتورة نجوى الأزواج والزوجات فتقول: على الزوج أن يفكر قبل أن ينساق وراء عوامل الجذب والكاميرات المتحركة إلى حد الجنون التي تبذل جهدها بسرعة إيقاعها وتوليفاتها البصرية لإقناعه وإبهاره بما يرى، وعليه أن يرفض مقارنة شريكة الحياة بهؤلاء، وعليها هي أيضاً أن ترفض ذلك، فنموذج الجمال الذي يراه لا يوجد إلا في دنياهن لأنهن ببساطة لا يؤدين في حياتهن غير هذا الدور الذي وبكل أسف يحرم كثيراً من الأزواج والزوجات من الاستمتاع بالحياة، وبالجمال الحقيقي.=>

============

#مشاريع الدعوة صناعة داخلية

الشيخ سلمان بن فهد العودة ل المجتمع : المجتمع

الداعية الإسلامي الشيخ سلمان العودة هو أحد الدعاة المعروفين بسعة العلم، فقد تلقى العلم الشرعي على أيدي علماء أجلاء بالمعهد العلمي في منطقة "بريدة" بالمملكة العربية السعودية، وهي المنطقة التي ولد بها. وأتاحت له الدراسة فرصة الجلوس بين أيدي هؤلاء العلماء والاستزادة من علمهم وفضلهم ، ثم واصل الدراسة بعد ذلك في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم ونال درجة الماجستير في موضوع "غربة الإسلام وأحكامه في ضوء السنة النبوية".

قام بالتدريس في المعهد العلمي وكلية الشريعة ثم تفرغ للدعوة من خلال دروسه وكتاباته في التفسير والأخلاق والتربية والإصلاح وأخرج إلى المكتبة ست كتب إضافة إلى ما يقرب من الخمسين رسالة، كما يشرف على الموقع الإسلامي المعروف "الإسلام اليوم".

م التقته وأجرت معه الحوار التالي:
ينادي أعداء الإسلام بتغيير المناهج التعليمية، بحجة أنها تُفرِّخ الإرهاب... ما تعليقكم؟

<< لمناهج التعليم أثر هائل في صياغة الجيل، وأيُّ خلل فيها يظهر في الطلاب الذي هم نتاج تلك المناهج.

تطوير المناهج التعليمية هو قضية سيادة يُحتكم فيها إلى المصالح العليا للأمة، ويبتُّ فيها من ائتمنتهمالأمة على عقولها، وثقافتها، وتراثها.

ولذا: فإن دخول العامل الخارجي على الخط ليس عاملاً إيجابياً بأي حال، بل هو عاملُ هدمٍ وإحباط.

وإنني أدعو إلى تغيير المناهج الدراسية، وذلك بتكثيف المقرر الشرعي، وتحويله من متن مختصر، إلى تقرير مُوسَّع يحول دون نقص الفهم، ويؤكد على ولاء المسلم لدينه وتاريخه وأمته وبلاده، ويعمِّق الخصوصية الإسلامية لدى الأجيال، ويربي على نضج التفكير وسلامة التصور.

كما أدعو إلى غرس روح الإيمان الصادق في المقررات العلمية، لتحاشي الازدواجية في التعليم، وبناء العقيدة الصادقة المنبعثة من داخل النفس، والمنسجمة مع الكون والحياة.

الشيء المدهش أن الأسماء التي يتم تداولها إعلامياً، ليس لها علاقة بالتعليم الشرعي... فهل سيطالب هؤلاء بإغلاق الجامعات المدنية، ومنع تدريس الطب أو الهندسة، أم سيدركون أن التعليم الشرعي السليم هو أهم ضمانة لحماية الأجيال من الاندفاع وراء نوازع النفس، وتحقيق الوسطية والاعدال وضبط المسار وفق نظام الشريعة؟!!.

إن الغضب العربي الإسلامي على أمريكا، ليس مُنطَلَقه التعليم الديني، وإلا فلماذا لم يكن هذا الغضب موجهاً ضد الصين أو اليابان مثلاً مع أنها بلاد وثنية، والمسلم يتعلم أن أهل الكتاب أقرب إليه من الوثنيين؟!! ولكن منطلقه نفاد الصبر من الانحياز الأمريكي لصالح اليهود، وضد قضايا العرب والمسلمين، وغمس أمريكا

يدها في البلدان الإسلامية بأسلوب متغطرس لا يراعي مشاعر الشعوب، ولا يقيم لها وزناً.

هناك هجمةٌ شرسةٌ على الجمعيات الخيرية بالحجة ذاتها؟

<< مادامت الولايات المتحدة جعلت نفسها القاضي، والشاهد، والجلاد في الوقت ذاته، فكل شيء ممكن.

ومادام العالم الإسلامي بهذه الحالة من التشرذم والشتات، والانهماك في الصراعات الداخلية، فلن يكون لديه القدرة على المقاومة.

ولقد شهد تاريخ الولايات المتحدة ما كان يعرف بالمكارثية وهو مصطلح يتعلق بتوجيه التهم على نطاق واسع، والتي شملت الإدارة الأمريكية نفسها، وشملت الجيش ذاته بتهم تتعلق بمناصرة الشيوعية في وقت الحرب الباردة، ومع أفول نجم الاتحاد السوفييتي، والتحدي الشيوعي يبدو أن العملية ذاتها صارت تُدار ضد كل ما هو إسلامي وعربي، والإعلام مسؤول إلى حد كبير عن نشر التهم، وترويجها دون أدلة أو وثائق، وفي فترة المكارثية الأولى وضعت لوائح سوداء لأشخاص وهيئات، وها نحن نشهد اليوم الأمر ذاته فيما يتعلق بالعرب والمسلمين.

وإذا كانت المكارثية الآن عاراً يستحي منه الأمريكيون، فإنهم يمارسونها بطريقة مشابهة... والله وحده يعلم إلى متى يتوجب علينا الانتظار، لتصبح المكارثية الجديدة، عاراً آخر يلحق بالتاريخ الأمريكي؟ وهل ثمَّة استعداد لمراجعة الجمعيات المنطلقة من الغرب نفسه تحت هذا الشعار؟!.

إن الجمعيات الإسلامية هي إحدى الواجهات الإنسانية المشرقة التي يتفيَّأ ظلالها مئات الآلاف من الجياع، والفقراء، والمتعلمين، والمعوزين، وإذا كان الكثير من الجمعيات الغربية معزولة بأنانيتها وعنصريتها عن التجاوب الصادق والبريء مع هؤلاء... فهل وصل الحال إلى حد حرمان هؤلاء من اليد الحانية التي تواصلهم بالغذاء والكساء والدواء والكتاب؟ وبات من الصعب أن نستوعب اعتراف الغرب بالإسلام كدين يحكم شعوباً اختارته، وصناعة التصنيف التي يتكلم عنها حتى في المشاريع الخيرية ذات الدور الإنساني الضروري.

إن اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة يمارس ضد هذه الجمعيات، وضد الوجود العربي والإسلامي مكارثية جديدة، ومع الأسف فقد صارت الإدارة الأمريكية وأجهزتها الأمنية والعسكرية سنداً ودعماً لهذا التحيز السافر، والعدوان المقيت.

بعد أحداث 11 سبتمبر، مَارَسَ الغربُ صوراً من التعذيب والسجن للعرب والمسلمين، بماذا تفسرون ذلك؟

<< الغربُ وتحديداً الولايات المتحدة يمارس ما يظنه دفاعاً عن الأمن القومي، من خلال الاعتداء على الأمن المدني.

وإذا كانت الحرية هي أغلى قيمة يتغنى بها الأمريكيون، فإن ضرورات الأمن المزعومة صادرت هذه الحرية، وسجن آلاف الأبرياء بغير تهمة، ورحل الآلاف بغير سبب، ومارست أجهزة الأمن في المطارات وغيرها عنصرية مكشوفة.

لقد كان يُقال عن الولايات المتحدة: إنها بلد الحرية، ووصفها جون كنيدي بأنها "أمة من المهاجرين"، ومعظم الإبداعات والإنجازات قام بها أجانب، ولهذا اتخذت الإدارة الأمريكية ذاتها عدداً من الوسائل لاستقطابهم، ومن ذلك السحب العشوائي الذي تقوم به وزارة الخارجية، وتمنح بموجبه راغبي الإقامة ما يسمَّى ب"البطاقة الخضراء".

وها نحن نرى تحولاً خطيراً يصبح بموجبه هؤلاء الأجانب في موضع الشك، ولا يأمنون على أنفسهم أو ممتلكاتهم، ويتعرضون للاعتداء والقتل أحياناً.

وانتقل الأمر من مجرد الممارسات الخاصة، أو الخاطئة، أو الاستثنائية، ليحظى بدعم الجهات التشريعية، حيث أقر مجلس النواب جملة قوانين تعطي السلطات الفيدرالية إمكانيات واسعة للمراقبة والقمع، وخففت القيود على التنصت الهاتفي، والتوقيف الاحتياطي للأجانب، وهكذا تطورت الأمور ليكون تحقيق الأمن قائماً على حساب الحريات المدنية.

ولقد قال جون كنيدي: إن الأمة التي تقدم أمنها على حريتها لا تستحق البقاء.

يكثر في وسائل الإعلام طرح مصطلح "التطرف"، فما مدى صحة هذا المصطلح، وما رأيكم في مدلوله؟

<< ربما كانت كلمة "التطرف" من أكثر الألفاظ إلحاحاً على ألسن الكتبة والإعلاميين والساسة في هذا الوقت، وهي كلمة مولدة غير أصيلة، ويفترض أنها تعني عند من يطلقها: وقوف الإنسان في طرف بعيد عن مركز الوسط.

والتطرف في الإطار الإسلامي: هو تعبير عن فهم منحرف، أو تطبيق منحرف للتعليمات الشرعية، وإن كان قد يتكئ على حجج شرعية مفترضة، أو ينطلق من غيرة دينية، كما في أول وأقسى نموذج في التاريخ الإسلامي، وهو نموذج الخوارج، الذين لم يقنعوا بمستوى فهم وتطبيق الصحابة حتى انشقوا عن نسيج الأمة، ووجهوا سهامهم إلى نحورها، بل كان أصلهم يمت إلى صاحب النفس المريضة الذي اعترض على النبي ص في عدله، وخاطبه قائلاً: اعدل يا محمد! فكانت تلك نواة الشريحة التي تصطفي نفسها، وتستشعر صدقها وطهارتها وإخلاصها، وتزن الآخرين بالجور أو الحيدة عن الصراط السوي.

لكن من الخطأ أن يتم تقديم هذا الأنموذج دائماً على أنه صورة التطرف، حتى يقع في نفوس الكثيرين أن التطرف بضاعة إسلامية، بينما يتم التغافل والتجاهل للتطرف اليهودي، الذي تمثله أحزاب وجماعات رسمية كبيرة تتبجح بغلوها، ولا تستحي من الجهر بمطالباتها الصارمة إزاء خصومها، دع عنك الغلو المرسّم المبرمج الذي أصبح جزءاً من السياسة اليهودية، وغدا قاسماً مشتركاً لدى جميع الأطراف.

ومثله التطرف المسيحي الممثل في الجماعات والمنظمات الكثيرة في الولايات المتحدة، والتي تجاوز عددها المائة، ويقدر أتباعها بعشرات الملايين.

ولقد كانت الأحداث الأخيرة فرصة لهؤلاء، ليكشفوا عن مكنوناتهم ضد الإسلام والمسلمين، وكان منهم من يطالب بسحق كل ما هو إسلامي، ومنهم من يطالب بتدمير مقدسات المسلمين، وتعالت أصوات رسمية تتهم الإسلام ذاته، وتعتبره ديناً سيئاً وشريراً.

والتوجه الرسمي الآن الذي يقيم للمسلمين والعرب ديكتاتورية خاصة داخل الولايات المتحدة، ويستثنيهم من النظام العام، ويبخل عليهم بالحقوق التي يتملكها كل من سواهم... هذا التوجه هو نفسه ضرب من التطرف المقيت، كما أن إسراف الحلفاء في غطرسة القوة، وتجاهلهم لأبسط حقوق الإنسانية، وعدوانهم على شعب

أفغانستان، واستهانتهم بالدماء وحقوق الإنسان، لهو صورة صارخة من التطرف البغيض، لكنه تطرف القوي الباطش الذي لا يحتاج إلى برهان على ما يفعل.

إن التطرف يتمثل في مفهوم الفكرة أياً كان منطلقها وليس بالضرورة أن يكون نتاج رؤية دينية، بل حتى نماذج الفكر المعاصر والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الغرب فيها قدر كبير من التطرف.

وهناك التطرف العلماني في العالم الإسلامي الذي يصر على نقل التجربة الغربية، بل على استنساخ المجتمعات الغربية في ديار الإسلام، ويزيد على ذلك اقتباس الجانب الدموي المتعسف من التجربة الشيوعية لملاحقة المتدينين ومحاصرتهم، إعلامياً ووظيفياً واجتماعياً وسياسياً.

إن دائرة ردود الأفعال لا تنتهي، والتطرف يولد التطرف، ولعل أفضل بيئة لتشجيع الفكر المنحرف، هي البيئة التي تحرم الناس من حقوقهم الفطرية والشرعية، وتصادرهم، وتحرمهم من فرصة الهدوء النفسي، والاستقرار العاطفي، وتمتحنهم في أنفسهم وأديانهم وأهليهم وأموالهم.

إن التطرف الذي هو "تجاوز عدل الشرائع السماوية والفطر الآدمية" هو أزمة بحق، وتاريخ الحضارات كلها يكشف عن نماذج كثيرة لهذا التطرف، وتعد رسالة الإسلام الأنموذج الأول والأمثل لمعالجة هذا الانحراف، ولكن مع هذا كله، فلسنا هنا بصدد أن نعيش ردود أفعال، ونتبادل مع الغرب والعالم الأوصاف. إن هذه معركة ربما تكون غير ملحة، وقد لا تصنع شيئاً لصالحنا، لكن المهم أن ندرك أهمية بناء الوعي في أفراد الأمة، لنعرف مواقع التطرف الخارجة عن الإطار الإسلامي، ولعل من حسن الفهم هنا أن ندرك أن الغرب يمارس صناعة التطرف، ويصدرها، وقد يكون بعض الأطراف مستهلكاً لشيء من هذا، لكن لابد أن ندرك أن الأزمة ليست في التطرف يوم يكون حالة تَعْرِض لدى بعض الفئات، لكن يصبح الأمن العالمي مهدداً حقيقة، حينما يكون التطرف قانوناً له شرعيته، كما ترسم ذلك دوائر سياسية ومؤسسات متنفذة في الأوساط الغربية قد يتجاوز تأثيرها إلى دوائر شتى، ولعل الأنموذج اليهودي هو المرشح عالمياً لهذا، لو أعطيت الشعوب حرية الموقف والتعبير.

إننا هنا أمام ضرورة توسيع مساحة التفكير، وألا نسمح للغرب أن يرسم مفهوم التطرف، وأن نعي أن التطرف يتجاوز دائرة القانونية ليتحول إلى رسالة حضارية تُطالبُ عقولٌ في العالم كله، وليس في الغرب أو الشرق أن تستوعبه كحضارة راقية، وهذه معادلة جادة لصناعة الصراع والتوتر في العالم، وتقنين مشاريع الإرهاب المتبادلة بين الأطراف.

هنا ندرك أن الغرب يعيش أزمة، وإن كنا نعيش شيئاً منها، فيجب أن نكون مستعدين لتجاوز مشكلتنا.

وتجاوزها يتم عبر الحفاوة بالاعتدال وترسيمه، وإشاعة المفاهيم الشرعية الصحيحة التي تنهي حالة الاضطراب والتناقض.

ما العوامل التي تسهم في تشكيل اهتمامات الداعية وصياغة تفكيره؟

<< ثمة عوامل تسهم في تشكيل اهتماماتنا وترتيب أولوياتنا سواء كنا أفراداً أو جماعات، أو حتى دولاً وأمماً.

ومن أهم هذه العوامل الماثلة في الوقت الحاضر:

أ حجم المتغيرات الدولية، والمتغيرات الإقليمية والمحلية الناجمة عنها، والتحديات التي تفرزها على كل الصعد.

ب مدى النضج في التجربة العلمية والعملية واكتمالها.

ج مدى الشعور بالمسؤولية عمقاً واتساعاً تجاه ما تقوله أو تعمله وتأثيره ومداه، وطريقة تلقيه.

د قدر المصداقية مع الله، ومع النفس، ومع الناس، والقدرة على التجريد والشفافية، ولو إلى حد ما.

وكل هذه العوامل تؤثر في أي تصور أو تعديل أو تصحيح يقوم به فرد أو جماعة أو مؤسسة أو دولة.

إن الهزيمة النفسية الناتجة عن جلد الذات المجرد، أو عن الرؤية السوداوية لا تنتج عملاً مثمراً للأمة، بل تمكن للمنكر من الرواج والاستقرار دون عناء.

ولابدّ من تفهم فرص التغيير الممكنة في ظل حالة دولية تضع هامشاً ضيقاً للرفض المحض، وهامشاً أوسع للمشاركة والتصحيح.

وهكذا يتعيَّن استثمار المؤسسات القائمة للإصلاح والدعوة والتواصل مع جمهور الأمة الذي له الحق الكثير علينا.

كما يتعين أن نشعر بالانتماء لهذه الأمة بشموليتها واتساعها، وأن تكون أرضها الواسعة الممتدة، وإنسانها المتنوع ميدان حركتنا وتصحيحنا، يستوي في ذلك ملامسة المعاناة المريرة في مناطق الالتهاب كفلسطين والشيشان وكشمير وغيرها، أو التجاوب مع طموحات مثقفيها وعلمائها ودعاتها للنهوض بعلومها وعقولها، أو تحقيق القدر الضروري من العلم الشرعي الذي يثمر صفاء العقيدة وصلاح العمل واستقامة السلوك، أو الدأب في توفير متطلبات العيش الكريم، فإن المشغول بضروراته المادية معذور، وغير قادر على حمل الهم الكبير.

وهذا الانشغال بالأمة يحدث انصهاراً وتوافقاً مع همومها ومشكلاتها وتطلعاتها، ويمنع من الاعتزال عنها، وإن الإحساس بالموقع، وبالمرحلة التاريخية، وتنوع التحديات الدولية والمحلية يملي علينا قائمة متجددة من الإلحاح والعناية بالقضايا والموضوعات والمحاور والبرامج، لا يفترض أن تكون متطابقة في كل وقت، بل يتم تحديثها ومراجعتها كلما دعت الحاجة.

ومن الضرورة بمكان أن تكون آلية المعالجة ولغة الخطاب منسجمة مع الموضوع المطروح، ومع الشريحة المستهدفة.

فإن الخطيب مثلاً يختار الموضوع الملائم للحال والمقام، ثم يختار الزاوية التي سيطرق الموضوع من خلالها، ثم يختار الأسلوب المناسب، فمن مسألة علمية هادئة، إلى وعظ مؤثر، إلى تحذير مندفع، إلى مزيج من هذا وذاك.

ولا يفترض أن يكرر الخطيب نفسه إن كان مبدعاً متجدداً، بل يعمد إلى التنويع المحبب، الذي هو قاعدة كونية وسنة شرعية، والمؤكد أن نوع الاهتمام الذي يمنحه الإنسان لقضية قد يزيد وينقص، ويؤثر هذا في معالجته للقضية سلباً وإيجاباً.

وكلما تعددت الموضوعات وتنوعت توزع الاهتمام بينها، والطاقة تظل محدودة.

وقد يحملنا الخوف على الإحجام عن اكتساب طرق، أو وسائل جديدة للدعوة.

والخوف دافع فطري غريزي، لكنه لابد أن يمزج بغيره ويرشَّد حتى يعتدل وينضبط.

وقديماً قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: يجدُّ للناس من الأقضية بقدر ما يجدُّ لهم من الفجور.

وإذا كان الاجتهاد الصحيح المنضبط الذي لم يتردد فيجمد، ولم يندفع فينفلت هو من أهم الثوابت الشرعية، فهو أيضاً أساس المتغيرات.

ولقد كانت حرب الخليج الثانية دقاً لطبول مرحلة جديدة الملامح والسمات والآليات سموها النظام العالمي الجديد، القائم على أنقاض الحرب الباردة، وكان من الواضح لكل ذي عينين أن هذا النظام الجديد، سيوفر شيئاً من الحريات المتنوعة، ويدعو إلى حقوق الإنسان، إلى حقوق المرأة، إلى عولمة الاقتصاد، وأنماط السلوك.

وكان جديراً أن يتحقق شيء من المبادأة الإسلامية التي تكسر الروتين المعتاد بالتفوق العلماني الذي يقدم نفسه وكأنه نصير حرية التعبير، وحرية الفكر وحرية الإبداع.

وإن مشاركة أولياء الإسلام وتسارعهم في عرض التصور الأمثل للحرية التعبيرية المنضبطة بضوابط الشرع البعيدة عن العدوان على النفس أو على الآخرين... لا يعني بحال أنهم يجب أن يكونوا ضد السلم الاجتماعي الذي لا بقاء للأمة ولا للدعوة إلا به، وهكذا طرح شعار "الكلمة الحرة ضمان..."، وهذا لا يعني بحال تجاهل الانضباط الشرعي الذي يوفر استقراراً للدعوة، وقبله للأمة.

كما أن ثمة خطين أحمرين كنا وما زلنا نعتقد بوجوب الحذر منهما في هذا السياق:

أولهما: الغلو في الدين، فإنما أهلك الناس الغلو في الدين، وفتنة الغلو هي أول فتنة حدثت في الإسلام، وترتب عليها شرخ هائل في كيان الأمة، واستحلال بعضهم دماء بعض وأموالهم.

والثاني: هو نتيجة عن الأول وتفريع عليه، وهو اعتماد أساليب المواجهة والقوة في الدعوة والإصلاح في ظل ظروف وأوضاع تجعل هذا الخيار إلغاء للفرص الضخمة الممكنة، وحرماناً من المشاركة في مؤسسات الأمة القائمة وإمكانياتها الهائلة للتواصل والتغيير والتأثير.

إن المكاسب التي تزخر بها بلاد الإسلام توجب على الدعاة طرح أسلوب المشاركة المتميزة في الواقع العملي، فهو المحكّ والميدان الحقيقي لاختبار القدرة على

الإصلاح، إذ الشعار المجرد لا يكفي، وقد يُرفع أحياناً لمجرد التحدي وإثبات عجز الآخرين.

يقف كثير من الشباب في حيرة من أمرهم، عندما يسمعون الفتاوى من العلماء فترى عالماً في مسألة ما يجيزها، والعالم الآخر يحرمها، فلا يدري الشاب من يتبع!! في نظركم الشخصي كيف يعمل الشاب في هذه الحالة، وهل إذا أفتى العالم برئت ذمة المستفتي؟!

<< الخلاف الفقهي والاجتهادي المبني على النظر والتأمل في الأدلة والوقائع نتيجة طبيعية لتفاوت أنظار المجتهدين وسعة مدركاتهم، ولهذا يجب أن يكون مقبولاً من حيث المبدأ، وألا نضيق به، والأمة اليوم تحتاج إلى تربيتها على قبول التعددية العلمية المبنية على الاجتهاد وليس على الهوى.

وفي تقديري أن المسائل المهمة والكبيرة يجب ألا ينظر فيها إلى أي قول بقطع النظر عن قائله، بل يفترض ألا يخوض فيها إلا أولو الخبرة والبصيرة، وربما أكثر من ذلك أنها تحتاج إلى اجتهاد جماعي مُرسَّم يشارك فيه أهل العلم والتحصيل وأهل الرعاية والعناية بأحوال الأمة ممن لهم فضل وسابقة.

أما عن المتلقين إذا كانوا لا يعلمون فشأنهم كما قال تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (43) (النحل)، فيختارون من الأقوال ما يرونه أصوب وأقرب، أو يختارون من العلماء من يرونه أتقى لله وأفقه في دينه.

ماذا عن العلاقة بين الدعوة والمجتمع بكل أطيافه ومؤسساته؟

<< يفترض أن تكون صناعة مشاريع الدعوة داخلية أي أنها تتحرك داخل المجتمع لصناعة الإصلاح الاجتماعي.

ثمة ضرورة فطرية أن الدين هو سياج الأخلاق والأمن، ومن هنا، فإن الدعوة ليست مفهوماً لملاحقة أخطاء المجتمع فحسب، أو رسم صورة من الصراع بين طرف وآخر، الدعوة مفهوم مبادرة وأولوية في الترتيب الاجتماعي، وحينما نتحدث عن التطور، فإننا بحاجة إلى إدراك حضارية الإسلام حتى نقدم إجابة معقولة لكثيرين يلحون على الذوق الحضاري والنمطية الحضارية، لكنهم قد يمارسون نقلاً لنماذج أو مشاريع من الغرب، هذه مسؤولية تتحرك في التأثير على سيادة الأمة، ويجب أن

تفكر كل المجموعات الاجتماعية بمسؤوليتها، إننا نخطئ حينما نفترض أننا نتسابق لتحقيق مصالح خاصة، إننا أمناء أمام الله والتاريخ على أمتنا، لماذا الغرب جاد في سيادته وحقوق أمته حتى على حساب الآخرين؟

نحن يجب أن نتحرك بعدل وأمانة مع كل أحد لكن يجب أن نقدر أن الدين ضرورة للمجتمع باعتباره رسالة الله لخلقه وباعتباره قاعدة المصالح الآدمية.

ننتقل بالحديث إلى قضية أخرى.. مع وجود الفضائيات، وشبكة المعلومات "الإنترنت" هل ترون أن الشريط الإسلامي، والكتاب انقرض دورهما من الساحة أم أنهما لا يزالان يؤديان رسالتيهما؟

<< من المؤكد أن الوسائل لها حكم الغايات كما يقول الأصوليون، ومن هذا المبدأ يصبح اعتماد أي وسيلة جديدة محتماً إذا كانت فاعلة ومفيدة، ما لم تكن محرمة في ذاتها.

وقد يتفاوت تأثير وسيلة عن غيرها بين وقت وآخر، لكن هذا لا يعني العزوف عن القديم، إن الكتاب من أقدم وسائل الدعوة والتعليم، وهو يظل اليوم حاضراً برغم المزاحمة والمنافسة القوية من الإذاعة، والتلفاز، والإنترنت، والصحافة، وتشهد بهذا معارض الكتب التي تقام في عواصم الدول الإسلامية.

إن دخول عنصر جديد في الميدان لا يستلزم إقصاء غيره، فإن الواقع المشهود أن للشريط الإسلامي دوره الفاعل، ويكفي أن المادة الواحدة ينسخ منها الآن ملايين الأشرطة، ويستفيد منها الإنسان في السيارة والمنزل وغيرهما، وينتفع منها القارئ وغير القارئ.

ولعل من المفيد أن يكون ثمة تنافس شريف يحدو إلى الإبداع والتجديد والتطوير، لأن ركود الوسيلة يقلل من ثمرتها وفاعليتها، وتقديمها للمتلقي بأسهل الطرق وأبخس الأثمان.

=============

#في التعامل مع التيار الأمازيغي والإسلاميين يجتهد المغرب في مخالفة موقف الجزائر تجاه القضيتين

"الأسلوب المغربي" وسياسة المخالفة.. للحالة الجزائرية

مرت قضية الأمازيغية في المغرب بتحولين بارزين في مسارها، الأول كان بعد مرحلة الاستقلال عن فرنسا حينما بدأت الدولة المغربية تنهج أسلوب الإدماج بالدفع نحو خلق أحزاب سياسية تقود القبائل الأمازيغية، أما التحول الثاني فهو الذي ظهر في الثمانينيات والتسعينيات حين بدأت بعض الجمعيات الأمازيغية في الظهور على مسرح الأحداث بتأثير عوامل داخلية وخارجية عديدة ليس هنا مجال التفصيل فيها، فظهر خطاب جديد لدى الحركة الأمازيغية يريد الابتعاد عن هيمنة الدولة والأحزاب ذات التوجه الأمازيغي معاً، وطرح نفسها طرفاً مستقلاً يتبنى مطالب جديدة ويتخذ أسلوباً سياسياً وثقافياً يتسم بالتراشق الايديولوجي والصراع السياسي، وبين هذين التحولين البارزين وبالتوازي معهما أيضاً، كانت هناك أنشطة أكاديمية في الجامعات تسعى إلى تأسيس قاعدة لغوية ولسانية للأمازيغية والبحث عن جذور اللغة والثقافة الأمازيغيتين في تاريخ المغرب. وكان اعتراف الجزائر مؤخراً باللغة الأمازيغية كلغة رسمية قد ألقى بظلاله بلا شك على القضية الأمازيغية في المغرب، مشكلاً ضغطاً لصالح تلك القضية.

وقد شكلت بداية التسعينيات منعطفاً بارزاً في مسار دعاة الأمازيغية في المغرب بتوقيع عدد من الجماعات الأمازيغية عام 1991 على ما يسمى "ميثاق أغادير" الذي تضمن للمرة الأولى مجموع مطالب هذا التيار وأهدافه الثقافية واللغوية والسياسية، ومنذ ذلك التاريخ بدأت المواجهات الصامتة بين الدولة وهذه الحركة، لكن الموقف المغربي الرسمي ظل يتسم بطابع الحذر تجاه مطالب الاتجاه الأمازيغي وأنشطته، وتراوح بين المنع والسماح المقيد لشتى تعبيراته في الساحة الثقافية والسياسية، دون أن يصل الأمر إلى حد المواجهة التي تبشر بالقطيعة وتؤثر على ما يسميه المراقبون والمسؤولون "الأسلوب المغربي" في التعاطي مع القضايا الساخنة.

وقد ظل النموذج الجزائري في التعامل مع الحركة الأمازيغية يلقي بآثاره على صناع القرار في المغرب، ويفرض على الدوائر الرسمية التقاط الإشارات وفهم الدروس لتجاوز الحالة الجزائرية، سواء فيما يخص العلاقة مع الإسلاميين أو مع التيار الأمازيغي، لتجنب السقوط في "المستنقع الجزائري"، وهو ما تفهمه الدوائر المغربية على أنه هدف للعسكريين الجزائريين لضرب وحدة المغرب البشرية بما ينعكس سلباً

على قضية الصحراء، عنوان المواجهة الأبرز بين الجارتين. لذلك ظل المغرب يرى في تعاطي الجزائر مع الملفات الشبيهة نموذجاً ينبغي عدم تكراره، ولعل الإطار التاريخي للمغرب يمثل أحد العوامل التي ساعدت على نجاح "الأسلوب المغربي" في التعامل مع تلك الملفات، بسبب تجذر الملكية والصلاحيات التي يمنحها الدستور للملك، هذه العوامل كانت تمنع الصراعات السياسية الداخلية من اتخاذ النظام هدفاً للرهانات السياسية، بخلاف الجزائر، حيث كانت الصراعات تقوم على أساس التشكيك في شرعية النظام وطابع الحكم.

من التكريس إلى التسييس

ساعدت العوامل الإقليمية والعالمية في نهاية التسعينيات على نمو الحركات الأمازيغية وخطابها السياسي والأيديولوجي والثقافي، مع اتساع مفهوم عولمة حقوق الإنسان وحقوق الأقليات والإثنيات، ووجوب إيجاد مراكز للانطلاق منها لضرب قوة الحركات الإسلامية والحد من نموها ونفوذها، وقد كان مؤتمر حقوق الإنسان في فيينا عام 1993م أول منبر دولي لطرح القضية الأمازيغية على مستوى عالمي وترويج أطروحاتها السياسية والثقافية باعتبارها تعبيراً عن أقليات مقموعة ومهضومة الحقوق!! وطرحت في ذلك المؤتمر مسألة إيجاد تنظيم عالمي يضم جميع التيارات الأمازيغية في بلدان المغرب العربي وإفريقيا الساحل وشمال إفريقيا، وهو الذي تأسس عام 1998م تحت اسم "الكونجرس الأمازيغي العالمي".

ورغم الخلافات الحادة داخل هذا الكونجرس العالمي التي عرقلت سيره وأدخلته في نفق مسدود، فإن الإعلان عنه في حد ذاته كان قوة جديدة دافعة لهذه التيارات لتصعيد مواقفها ورفع الصوت بمطالبها.

وبعد إنشاء هذا الكونجرس العالمي بسنتين اتخذت الأطروحة الأمازيغية بعداً أكبر بتقديم وثيقة خاصة عرفت ب "البيان الأمازيغي"، قادها محمد شفيق أحد الوجوه البارزة في البحوث الأكاديمية حول اللغة الأمازيغية، وصاحب أول معجم أمازيغي عربي، وسميت الوثيقة التي تتألف من سبع وعشرين صفحة ب "بيان من أجل ضرورة الاعتراف الرسمي بأمازيغية المغرب"، ونشطت حركة جمع التوقيعات

للناشطين الأمازيغيين المؤيدين لمضمون البيان وبنوده، فوقع عليه أكثر من أربعمائة شخص من الجمعيات الأمازيغية والناشطين الأمازيغيين المستقلين.

وقد استعرض البيان برؤية تاريخية ثمانية وثمانين سنة من تاريخ المغرب وأوضاع البربر خلال هذه الحقبة، كاشفاً عما أسماه بالتهميش الذي كانوا ضحيته، ودعا إلى رفع "الحصار" عن المناطق البربرية وتنميتها اقتصادياً واجتماعياً، مع الحفاظ على خصوصياتها وجذورها، وتضمن البيان بعد جرد تاريخي طويل تسعة مطالب لحل مشكلة الأمازيغية في المغرب، تتمحور حول فتح حوار وطني في الموضوع، وإدماج الأمازيغية في الدستور كلغة رسمية إلى جانب العربية، وإعطاء الأسبقية في التنمية الاقتصادية للمناطق التي يسكنها "أمازيغون"، وفرض تعليم الأمازيغية، والكف عن تعريب الأسماء الأمازيغية للأماكن والشوارع، وجعل الإعلام في خدمة الأمازيغية.

وكان دافع محمد شفيق إلى وضع هذا البيان هو البحث عن حل وسط بين الحل السياسي والحل الثقافي اللغوي للقضية الأمازيغية، مستأنساً في نفسه القدرة على التأثير بالنظر إلى وزنه التاريخي والفكري والسياسي، وصرح بأنه يريد إيجاد إطار للعمل يشتغل بصيغة وسطى بين الاتجاهين.

غير أن البيان تحول عن وجهته الأصلية وتعرض لنوع من الاستغلال من قبل جهات الحركة الأمازيغية المتنافرة التي تجمع بين اليمين واليسار والوسط المعتدل والمتطرف، وظهرت أطروحة مغايرة تريد تحقيق كسب سياسي، مستغلة في ذلك الثقل الرمزي والمعنوي للبيان، وسعت إلى تأسيس حزب سياسي، يجعل لها موقعاً في القرار السياسي خارج القوي الحزبية الموجودة التي يتهمونها بالعروبة أو التأسلم أو النزعة المشرقية. وشهد الملف الأمازيغي تصعيداً جديداً، الأمر الذي دفع محمد شفيق إلى التواري عن الأنظار والركون إلى الصمت، حتى تم الإعلان عن إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بقرار من الملك محمد السادس في شهر أكتوبر المنصرم.

المعهد الملكي: سياقه وأهدافه

ومن الواضح أن الإعلان عن إنشاء "المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية" يرمي إلى وضع حد للنقاشات الدائرة حول ملف الأمازيغية، كما يرمي لأن يكون صيغة رسمية

لحل وسط، ونوعاً من الاعتراف بمشروعية الثقافة الأمازيغية، والجماعات المشتغلة في هذا الموضوع بشكل خاص، لكن سياقه السياسي يتمثل في كونه يأتي عقب أحداث البربر في منطقة القبايل الجزائرية قبل أشهر، وما أسالته تلك الأحداث من حبر داخل المغرب، وما تركته من انعكاسات سياسية، تمثلت على الخصوص في إسراع جزء من النخبة الأمازيغية المغربية إلى التضامن مع رديفتها في الجارة الجزائر، وتنظيم وقفة احتجاجية، وتصعيد المطالبة بالترخيص للحزب السياسي الأمازيغي، والإعلان المسبق عن تنظيم مسيرة كبرى لم يتم تحديد موعدها بعد، وتهديد البعض تحويل المسيرة في حالة المنع إلى مواجهات دموية على غرار ما حدث في الجزائر، وبدا أن الأمر يتجه نحو الكارثة والتأزم، وتوريط النظام.

وقد أراد الملك أن يقدم بإنشاء المعهد إشارة قوية، حين أعلن عن ذلك في منطقة "أجدير" في الجنوب المغرب ذي القاعدة السكانية البربرية والتاريخ المشهود في المقاومة البربرية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي (1912 1956م) كما أن الملك حرص على أن يكون الإعلان في حضور شخصيات دينية وسياسية وحزبية وثقافية وأمازيغية، الأمر الذي أعطى لإنشاء المعهد طابعاً رمزياً قوياً يشير إلى حصول الإجماع حوله.

وتتحدد أهداف المعهد في إدراج الأمازيغية ضمن مناهج التعليم، وتسهيل تدريسها وتعلمها وانتشارها، والحفاظ على الثقافة الأمازيغية في كافة المجالات، وتدوين كتابتها، ويعمل المعهد على النهوض بهذه الأهداف بالتشارك والتعاون مع الجهات الحكومية.

يدير المعهد مجلس إدارة وعميد يعين من طرف الملك، ويتمتع بالاستقلال الإداري والمالي، وهو يجتمع مرتين في السنة في دورة عادية، كما يمكنه عقد دورات استثنائية إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ويرفع المعهد تقريراً سنوياً مفصلاً إلى الملك عن أنشطته المنجزة وبرامجه المستقبلية، وتم تعيين محمد شفيق عميداً له.

بين القبول والرفض والانتظار

أثار الإعلان عن إنشاء المعهد الملكي ردود فعل متعددة اختلفت من جهة لأخرى، بحسب المنطلقات والمواقع الايديولوجية والسياسية لأصحابها، وإن كانت أغلب

الردود والمواقف اتجهت إلى اعتبار المعهد لبنة كبرى غير مسبوقة في سياق الاعتراف الرسمي بالأمازيغية. هكذا اعتبرت صحيفة "أكراو أمازيغ" أن قرار الملك "رفع رؤوس الأمازيغ من الوحل وزرع في قلوبهم الأمل"، وقالت إنه "عمل جريء، ولا يسع التاريخ إلا أن ينحته على أعلى وأصلب صخرة في جبال تامزغا"، بينما اعتبره آخرون خطوة مهمة في طريق رفع الحظر عن اللغة الأمازيغية، في الوقت الذي رحبت فيه جميع الأحزاب السياسية وجمعيات المجتمع المدني والشخصيات الفكرية والثقافية بالمعهد، ورأت فيه بلورة للتعددية الثقافية واللغوية التي لم تكن أبداً محل مزايدات سياسية أو إيديولوجية.

غير أن هناك من اعتبر المعهد محاولة من القصر لاحتواء التيار الأمازيغي وتدجينه، وتشتيت مكوناته الثقافية والسياسية المتنوعة التي ستجد نفسها بعد تنصيب المعهد وانطلاق أشغاله وإنجاز تصوراته النهائية منقسمة بين المؤيدين والمعارضين لمخططاته وطرائق عمله وكيفية تعاطيه مع المشكلة الأمازيغية، وبذلك سينتقل الصراع إلى داخل البيت الأمازيغي بعد أن كان صراعاً بين هذا الأخير والنظام. ويرى هؤلاء أن صياغة الظهير المؤسس للمعهد جاءت لتخدم الأهداف الرسمية، حيث إن قرار التأسيس يشير إلى ضرورة رفع تقرير سنوي عن أنشطة المعهد وبرامجه إلى الملك، مما يعني أن الملك يحتفظ بحقه في توجيه المعهد الوجهة التي يريدها. ويلحق القرار ميزانية المعهد بالميزانية العامة للقصر الملكي، وهو ما سيقود في نظر الرافضين والمتشككين إلى افتقار المعهد لأية استقلالية في أعماله، وقال البعض إن المعهد ليس هو ذلك الوارد في ميثاق أغادير الذي وقعته مجموعة من الجمعيات الأمازيغية في 1991، وضمنته مطالبها المختلفة ومن جملتها تأسيس معهد مستقل عن السلطة والحكومة في اختصاصاته وبرامجه، وشكل الميثاق المذكور منذ ذلك الوقت إطاراً للتحرك بالنسبة للأمازيغيين الذين تكاثرت جمعياتهم منذ ذلك التاريخ إلى الآن.

ومن الواضح أن المعهد لم يرض الكثيرين ممن كانوا يريدون الدفع بالمسألة الأمازيغية إلى مدى أبعد، خصوصاً لجهة المطالبة بالاعتراف باللغة الأمازيغية في نص الدستور المغربي بشكل صريح، جنباً إلى جنب مع اللغة العربية التي تعد اللغة

الرسمية للبلاد. ويتخوف هؤلاء من أن يكون المعهد إيذاناً بإغلاق هذا الملف نهائياً، وسد الطريق على الراغبين في تسييس القضية أكثر من اللازم، وإدخال البلاد في أتون المجابهات القاتلة التي تغذيها العصبيات القومية واللغوية، كما أن هناك تياراً آخر يسعى إلى نزع الاعتراف من الدولة بإنشاء حزب سياسي أمازيغي يجمع الأمازيغيين في إطار سياسي واحد. ويدعي أنصار هذا التيار الراديكالي أن الأحزاب المغربية القائمة في الساحة السياسية وفي الحكومة والبرلمان لا تمثل الأمازيغ، وترتبط بثقافات "شرق أوسطية" أو "أندلسية" كما قال أحدهم، رغم أن هناك حزبين يعتبران نفسيهما أمازيغيين هما الحركة الوطنية الشعبية التي يتزعمها "المحجوبي أحرضان" منذ تأسيسها في الخمسينيات، والحركة الوطنية الشعبية التي يقودها "أمحند" العنصر المنشق عن الحركة الأولى في الثمانينيات، وهما معا أمازيغيان.

لكن هذا الاختيار يعتبر في نظر النظام تحدياً قوياً لا يمكن السماح به، لأن من شأنه أن يشجع الإسلاميين أكثر على الضغط لتأسيس أحزاب سياسية على أساس إسلامي، وهو ما يتفادى النظام المغربي السماح به.

ورغم أن المعهد لم ينتقل إلى طور العمل، ومازال بدون مقر رسمي، فإن هناك فئة من الأمازيغيين تفضل الانتظار والتريث في الحكم، دون أن يمنعها ذلك من طرح التساؤلات بشأن احتمالات النجاح والفشل في مهماته، خاصة وأن فتح ملف الأمازيغية ومباشرة مشكلاته ليس بالأمر السهل إذا تم الانتقال من مرحلة التنظير والشعار إلى مرحلة التنفيذ والممارسة.

مشكلات معقدة وطروحات متباينة

لقد استبق محمد شفيق الذي عينه الملك محمد السادس قبل ثلاثة أسابيع عميداً للمعهد هذه التخوفات ليعلن أن المعهد لن يقدم حلولاً نهائية للقضية الأمازيغية، وربما كانت التخوفات من الإخفاق في مهمة المعهد هي ما دفع شفيق إلى أن يطلب من الملك حسب مصادر وثيقة أن يكون عميداً مؤقتاً للمعهد لمدة عامين فقط، بدل أربع سنوات، وألا يتقاضى أجراً على مسؤوليته تلك، حتى يظهر أنه يعمل بشكل تطوعي ولا يسعى إلى جني مكاسب مادية أو سياسية، وأن يحافظ على صورته الأولى كرجل

الحلول الوسط وصفته كباحث أكاديمي يخدم القضية الأمازيغية من بعيد دون أن يغوص في صراعاتها وتياراتها المتباينة.

ومنذ تعيين الملك لجنة خماسية قبل أيام للبت في تشكيلة المجلس الإداري (35 عضواً) لاحت أولى مشكلات المعهد، فهذه اللجنة تتكون من خمس شخصيات بعضهم من غير ذوي الأصول الأمازيغية، الأمر الذي جعل الأمازيغيين يقولون إن المجلس الإداري للمعهد لن يكون أمازيغياً خالصاً، وأن عدداً من أعضائه سيكون ممن يسمونه "العروبية الرسمية" أي أن المعهد في نظر هؤلاء سيكون عبارة عن خليط من الأمازيغيين والعروبيين الذين سيمثلون عائقاً أمام سيره، ولن يكون منتدى للأمازيغيين بل واجهة أخرى للتعريب.

المشكلة الثانية التي مازالت تعترض تأسيس المعهد هي المعايير التي سوف يتم اعتمادها في اختيار أعضاء مجلس الإدارة، ذلك أن هناك ثلاثة معايير مختلفة: معيار الانتماء السياسي، ومعيار الاشتغال الأكاديمي، ثم معيار الأصول الجهوية. ويتجه الاختيار فيما يبدو حتى الآن إلى اعتماد المعيار الأخير على أساس أن اللهجات الأمازيغية الأربع توجد في أربع مناطق من المغرب، واعتماد هذه اللهجات جميعاً داخل المعهد يدفع إلي اختيار المنتمين إليها على التساوي، وهذه المناطق هي سوس والأطلس ومنطقة الريف في الشمال والصحراء، والتي بها اللهجات الأربع: تاريفيت، وتاشلحيت وتامازيغت، والحسانية. وقد ظهرت بعد الإعلان عن المعهد عدة لوائح لجمعيات أمازيغية مختلفة تضم أسماء ترشحها هذه الجمعيات لعضوية مجلس الإدارة، وصلت إلى حد التضارب والمزايدات الشخصية والسياسية.

غير أن أخطر المشكلات التي ستجابه المشرفين على المعهد وبالخصوص عميده المعين محمد شفيق تتمثل في قضيتين جوهريتين، تشكلان معاً آلية اختبار لقدرة المعهد على تصفية مشكلة الأمازيغية في المغرب.

القضية الأولى تهم الخط الذي سيتم اعتماده في كتابة اللهجات الأمازيغية الأربع، والثانية تخص موضوع تدريس الأمازيغية في التعليم، وهما قضيتان شائكتان ليس الحسم فيهما بالأمر الهين.

خط الكتابة

تعتبر قضية الخط في كتابة الحروف الأمازيغية وتدوين ثقافتها قضية حاسمة بالنسبة للتيار الأمازيغي في المغرب، فهذا التيار يرى أن الخط ليس مسألة شكلية بل تعبير عن الهوية التي يريدها لنفسه، وهو ينطلق في البحث في هذا الموضوع من ضرورة قيام قطيعة مع اللغة العربية وحروفها، التي يعدها لغة الغازي المحتل، خصوصاً وأن اللغة العربية في أعين دعاة الأمازيغية تحيل إلى الدين الإسلامي، وهو هوية دينية مخالفة للهوية الأمازيغية التاريخية حسب اعتقادهم.

من هنا فإن مهمة المعهد ستكون صعبة، وسيؤدي اختياره لخط معين إلى إثارة خلافات ربما قد تؤدي به إلى الفشل منذ البداية. فهناك ثلاثة اختيارات: الخط العربي والخط اللاتيني، وخط تيفيناغ الذي يعتبره الأمازيغيون الخط الرسمي الأول الذي كتبت به اللهجات الأمازيغية في القرون السابقة لظهور الإسلام.

ونظراً لكون الدولة في المغرب دولة عربية مسلمة حسب الدستور، وكون اللغة العربية اللغة الرسمية للبلاد، فإن اختيار المعهد سيقع بدون أدنى شك على الخط العربي، لأن اختيار أي خط آخر سوف يعني تخلي الدولة عن سياسة التعريب التي تنهجها منذ الاستقلال، وسيوقعها في تناقض مع المبادئ الدستورية المحددة لهوية الدولة، وبالتالي مع موقفها الرافض لدسترة الأمازيغية، إذ ما دامت الدولة مستعدة للتخلي عن مبدأ التعريب وبالنسبة لجزء من المغاربة، فإن رفض الاعتراف بالأمازيغية إلى جانب العربية في الدستور سوف يصبح بدون أساس معقول، وسيمنح ذلك مشروعية أكبر للمطالبين بالدسترة، وبذلك تكون الدولة نصبت لنفسها فخاً. وعلاوة على هذا فإن اختيار غير الخط العربي، وليكن اللاتيني أو تيفيناغ، سيعني اعترافاً رسمياً بوجود هويتين لغويتين، وتشجيعاً لأي نزاعات انفصالية في المستقبل وتهديداً لوحدة المغرب.

والمشكلة القائمة اليوم هي صعوبة إقناع التيار الغالب في الحركة الأمازيغية باستعمال الخط العربي، إذ يرفض هذا التيار توظيف الخط المذكور لما يعنيه ذلك من تكريس لسياسة التعريب التي يرفضها من الأصل، ولا يتردد البعض عن نعت اللغة العربية بأنها لغة الغزاة والمحتلين!.

ومقابل رفض الخط العربي، ينقسم هذا التيار إلى اتجاهين، اتجاه يدعو إلى تبني الخط اللاتيني، واتجاه يدعو إلى بعث خط تيفيناغ، ولكل واحد أسبابه. فالاتجاه الأول يرى أن الخط اللاتيني المتمثل في اللغة الفرنسية يعطي الأمازيغيين بعداً دولياً ويوفر لهم حليفاً قوياً هو فرنسا، والقسم الأكبر من أصحاب هذا الاتجاه معروف بولائه للأوساط الثقافية والسياسية الفرنسية، وبثقافته الفرنسية، قراءة وكتابة، وقد ظهر هذا الاتجاه مع الاحتلال الفرنسي للمغرب والسياسة البربرية الشهيرة في الثلاثينيات من القرن الماضي، إذ برزت دعاوى تاريخية تقول بأن جذور البربر تعود إلى القارة الأوروبية، وأن الحضن الطبيعي لهم هو فرنسا، والفرنسية هي لغتهم الأم، وقامت المؤسسات الأكاديمية الفرنسية التي يعمل بها أمازيغيون مغاربة وجزائريون بإجراء دراسات وتجارب لغوية لتوحيد اللهجات الأمازيغية وفق الخط الفرنسي، لكن دون نجاح.

أما خط تيفيناغ الذي تقول النخبة الأمازيغية إنه أول خط رسمت به الحروف الصوتية الأمازيغية قبل الإسلام، فهو يطرح عدة مشاكل وصعوبات، أبرزها أن القلة من الأمازيغيين هي التي تعرفه اليوم، وأن عدد حروفه لا يتجاوز 24 حرفاً، وقد حاول البعض تطويره، فأوصله إلى 32 حرفاً وأوصله آخرون إلى 40 حرفاً، لكن الخلافات السياسية والحزازات الشخصية حالت دون اكتمال مشروع التطوير هذا.

تدريس الأمازيغية

المشكل الآخر الذي يعرقل مهمة المعهد، ويعتبر جزءاً من المشكلة الأمازيغية عامة سواء في المغرب أو في الجزائر، يخص طبيعة التعدد الذي تتميز به اللهجات الأمازيغية، مما يصعب معه إيجاد لغة موحدة ذات قواعد مضبوطة يمكن تدريسها والتدريس بها. ذلك أن ما يسمى باللغة الأمازيغية لدى التيار الأمازيغي هو في الواقع أدوات لغوية متعددة ومختلفة وغير متجانسة، وتختلف من منطقة لأخرى، ويصعب جمعها في لغة واحدة. فهناك خياران اثنان: إما السعي إلى التوحيد اللغوي، وإما تدريس جميع اللهجات في وقت واحد. في حالة الخيار الأول، فإنه إضافة إلى أنه غير ممكن بحسب الباحثين اللغويين واللسانيين الذين درسوا هذه القضية فإن المشكلة هي كيفية نشر هذه اللغة الواحدة بعد خروجها من المختبرات اللغوية بين

ملايين الأمازيغيين، أما الأخذ بالخيار الثاني، أي تدريس جميع اللهجات، فإن ذلك سوف يؤدي إلى "بلقنة" المغرب وتهديد الوحدة الوطنية، لأنه سيخلق التنافس في خدمة التجزئة حسب أحد الباحثين، ولا يمكن بعدها العودة إلى الأمازيغية الأم، كما يستحيل حالياً رجوع اللغات الأوروبية على اللاتينية الأم، كما أن ذلك سيؤثر على التواصل بين جميع الجهات. ولكن الأخطر من ذلك هو أن هذا الأمر سيفتح المجال أمام الناطقين بالدارجة المغربية للمطالبة بالاعتراف الدستوري بها، وسيصبح آنذاك لزاماً على الدولة المغربية الاعتراف بأكثر من خمس لغات في الدستور، وهو أمر لا يوجد في أي دستور في العالم.

خلاصة الأمر أن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سيكون أمام تحديات ضخمة قد تعصف به في منتصف الطريق، وقد يعيد تجربة المفوضية العليا للأمازيغية الجزائرية التي فشلت في مهمتها قبل ست سنوات، ودلت على ذلك أحداث منطقة القبايل الأخيرة، والسؤال هو هل يفلح المغرب فيما أخفقت فيه الجزائر؟ أم أن حاضر الجزائر هو مستقبل المغرب؟ سؤال كبير وجارح، ولكن الوقائع على الأرض تفرضه.=>

============

#ظلال الديجولية تخيّم على مواقف السياسيين الفرنسيين

فرنسا.. وأمريكا.. والحملة الدولية

بعد أحداث سبتمبر الأمريكية، كان الرئيس الفرنسي جاك شيراك أول رئيس أوروبي يزور الولايات المتحدة للتعبير عن تضامن فرنسا العميق مع الشعب الأمريكي من باب الاعتراف بجميل الأمريكيين الذين وقفوا خلال الحرب العالمية الثانية إلى جانب الشعوب الأوروبية مع الشعب الفرنسي خصوصا لدحر النازية. وتوالت مواقف السياسيين الفرنسيين في مختلف مواقعهم تؤكد نفس التوجه التضامني العام. لكن خارج هذا الإطار، برزت أصوات عديدة تدعو إلى عدم الانجرار إلى الاستراتيجية الأمريكية بكل تفاصيلها والحفاظ على السيادة الوطنية في اتخاذ القرار، بما يذكّر بمواقف السياسي الفرنسي الشهير شارل ديجول أيام حكمه.

ولمزيد من فهم مواقف الطبقة السياسية الفرنسية، نتوقف عند مداولات المجلس الوطني (البرلمان الفرنسي) لمناقشة أحداث أمريكا وتداعياتها بحضور السلطتين التنفيذية والتشريعية.

في جلسة يوم الأربعاء 3-10، قدم الوزير الأول ليونال جوسبان خطاباً باسم الحكومة عقبه نقاش من النوّاب. في خطابه، عبّر جوسبان عن تضامن فرنسا مع الشعب الأمريكي وعن الشعور بالحزن الشديد المشفوع بشعور القلق معللاً ذلك بأنّ "هذه الأعمال الإرهابية تمثل تحدياً مباشراً لقيمنا الأكثر ترسّخاً: احترام الحياة، الديمقراطية، الحرية". وكأنّ مثل هذه القيم خاصة بالحضارة الغربية وليست ملكاً للجميع، ولعلّ الإشارة إلى أنّ هذه الأعمال تمثل أيضاً تحدّياً لكل الأمم والمجتمع الدولي يستدعي أجوبة واضحة وحازمة، هو من باب تعويم هذه "الخاصية" الغربية في الإطار الدولي. واعتبر أنّ الهدف من مناقشة هذا الموضوع داخل البرلمان هو إشراك النوّاب في إصرار فرنسا على انخراطها في مقاومة ما أسماه ب "الإرهاب الدولي".

وتساءل: "هل غيّر يوم 11-9 شيئاً في تاريخ العالم؟"، وتوقف عند مصطلحين اقترنا بهذه الأحداث وهما: الحرب وصراع الحضارات. ولم يشر الوزير الأول صراحة في خطابه إلى انتماء القائمين بالتفجيرات في الولايات المتحدة إلى الإسلام وإنما ضمنياً من خلال موقف من يقولون بالصراع الحضاري، مفسراً موقفهم هذا بأن "الإرهابيين يعتقدون في قدرتهم على إبلاغ الإسلام أو بالأحرى رؤيتهم الخاصة المنحرفة عن الإسلام، من أجل تبرير ما لا يمكن تبريره، وجلب أتباع أو أنصار". أو من خلال الإشارة إلى الهدف الذي وضعته الإدارة الأمريكية لتحركاتها على
انفراد أو في إطار تحالف، وهو "النجاعة مع طول النفس من أجل تفكيك منظمة بن لادن والشبكات التي تنعت بأنها تنتمي إلى حركة الإرهاب الإسلامي".

وفي تفسيره لظاهرة الإرهاب، يرى جوسبان من ناحية أنّ الصراعات وكل مظاهر عدم المساواة المنتشرة في العالم لا تفسّر الإرهاب، في الوقت نفسه الذي يعتبر أن الفقر والشعور بالدونية والظلم، كلها تولّد الكراهية. وكأنّه يقول بأنّ الكراهية يجب ألا تتجاوز الخط الأحمر، أي استعمال العنف. ولكن بين ما يجب أن يكون وبين الواقع،

فرق شاسع. فقد أثبتت أحداث 11-9 أن الخطر سائد ما دامت أسبابه متجذرة خاصة ما يتعلّق بالفوارق الكبيرة في مستوى العيش بين شعوب ما يسمّى بالشمال وما يسمّى بالجنوب، وما يتعلّق بسياسة المكيالين في معالجة القضايا الحسّاسة. وفي خطاب الوزير الأول اعتراف بوجود إشكاليات حقيقية معقّدة تحتاج إلى حوار واسع، حيث قال إنّ: " هذه الأزمة تقودنا إلى أسئلة أساسية بشأن الوضع الحالي للعالم". وتساءل: "كيف نردّ على أصناف التطرّف التي لدينا إحساس عميق بانتشارها حتّى في عالمنا المتقدّم؟ كيف نتجنّب تشكّل فراغات في المجال السياسي لا يملؤها سوى العنف، في عالم يشهد عولمة اقتصادية؟". وأضاف: "لكنّي مقتنع بأنه يجب ألا يكون التهديد الإرهابي سبباً في تحوّل القضايا العالمية الملحّة مثل حلّ النزاعات؛ خاصة في الشرق الأوسط واحترام حقوق الإنسان والتقدّم الديمقراطي والتنمية إلى قضايا ثانوية في أذهان صانعي القرار وفي الترتيبات الزمنية على مستوى الدول".

وفي انتظار هذا الحوار وتنزيل القناعات على أرض الواقع، فإنّ العالم اليوم يشهد مأساة إنسانية يعيشها الشعب الأفغاني. في هذا الصدد، أشار رئيس الوزراء الفرنسي إلى حضور فرنسا عبر منظماتها غير الحكومية والمشاركة في إطار مساعدة أوروبية تقدر ب27 مليون أورو لفائدة المدنيين الأفغان، وتقديم مشروع عمل للمجلس الأوروبي يضمن حق الشعب الأفغاني في تقرير مصيره، والمشاركة في الجهد الدولي لإرساء الحوار بين مكوّنات المجتمع الأفغاني من أجل مساعدته على تحقيق التصالح والسلم المدني.

واعتبر جوسبان أنّ مقاومة الإرهاب "أولوية مشتركة لكل الديمقراطيات ويجب أن تكون كذلك بالنسبة لبقية الأمم". ولكي تنجح "يجب أن توحّد الأمم والشعوب والأديان ولا تفرّقهم". بيد أنّه أوضح أنّ هذه الوحدة المرجوة على مستوى عالمي لن تقضي على التوترات في العالم، ولا تهدف إلى أن تفرض على الشعوب التي تعاني التخلي عن معاناتها ولا التنازل عن هويتها من أجل الانصهار في مقاومة أحادية التوجه والقطبية".

وعرّج على الدور الفرنسي في مقاومة الإرهاب مؤكداً سيادة القرار الفرنسي، فهو يرى أنّ ما يتم اليوم يندرج في إطار التضامن الدولي مع الشعب الأمريكي الصديق

لفرنسا، ومع الولايات المتحدة "التي نتقاسم معها المثال الديمقراطي"، ولكنّها "ليست حرباً لطرف آخر منجرّون إليها، وإنما هو عمل ضروري ومنهجي نضع فيه كل جهودنا بكلّ حرّية" و"بالطريقة التي تناسبنا"، وذلك "ليس بهدف القضاء على الإرهاب فحسب، وإنما أيضا لإصلاح التصدعات والحدّ من المظالم التي تذكي العنف وتضعف رسالة الديمقراطيات".

أما فيما يتعلق بالحلف الأطلسي، فإن التضامن بين أعضائه الذي ينصّ عليه الفصل الخامس من اتفاقية المنظمة تجسّد على المستوى الفرنسي في فتح المجال الجوي للطائرات الأمريكية والمشاركة بحاملة طائرات والإشارة إلى إمكانية إرسال الفرق التابعة للقوات العسكرية والمختصة في العمليات الدقيقة العاملة في الإطار العسكري. وركّز الوزير الأول الفرنسي على أهمية الدور المخابراتي الذي تقوم به فرنسا في تقديم المعطيات والمعلومات لنجاح الضربات المحدودة الأهداف وكذلك العملية طويلة المدى، مستخدمة في ذلك شبكة علاقاتها الدولية وخبرتها الطويلة بتعقيدات الواقع الإسلامي والتيارات الإسلامية العاملة في الساحة الغربية. وفي ذلك، إشارة إلى أنّ ما تقوم به فرنسا من دور في المجال المخابراتي لا يستهان به ولا يقل أهمية عن الدور البريطاني العسكري المباشر. ويتضمّن هذا الخطاب رسالة للولايات المتحدة بأن فرنسا قدمت إلى هذا الحد ما يفي بالتزاماتها في إطار الأطلسي، وهي رسالة أيضاً إلى الرأي العام الفرنسي السياسي والشعبي في عمومه المتأثّر بالديجولية من حيث التحفّظ إزاء الاستراتيجية الأمريكية، بأن الدور الفرنسي بقي في إطار هذا الحدّ. ولهذا اشترط جوسبان في حال طلب الولايات المتحدة من فرنسا المشاركة العسكرية المباشرة على ساحة المعركة، أن يكون بلده "مشاركاً كلياً في تحديد الأهداف وفي التخطيط للعمليات" ووعد باستشارة البرلمان في ذلك، وإطلاع النواب ومن خلالهم الرأي العام على التطورات في هذا الجانب. في نفس الوقت عبّر عن اعتراض السياسة الرسمية الفرنسية على اتخاذ الموقف الناقد لمسؤوليات الولايات المتحدة في التاريخ المعاصر كمبرّر للتنصل من الانخراط في مقاومة الإرهاب، علماً بأنّ خطاب الرئيس الفرنسي شيراك الموجّه للشعب تضمّن تلميحات لتطوّر المشاركة العسكرية الفرنسية تدريجياً.=>

==============

#نحو مشروع للنهضة في الوطن العربي(2)

محاور المشروع.. وعوامل النجاح

لن يختلف أحد حول أهم المحاور التي ينبغي أن يتضمنها أي مشروع للنهضة في الوطن العربي. قد يحدث جدل حول أيها يجب أن يقدم أو يؤخر، أو حول الأهمية النسبية لأحد هذه المحاور، وهذا الخلاف اليسير في مظهره مثل أحد الأسباب الرئيسة للأسف الشديد لعدم تعاون القوى السياسية والفكرية الفاعلة على الساحة العربية منذ بداية القرن الميلادي المنصرم، حتى في إطار الاتجاه الفكري والسياسي الواحد.

فقد جرى جدل عقيم حول قضايا من قبيل: هل نحقق الوحدة العربية ولو بالقوة أم نسعى إلى ازدهار وتقدم الدولة القطرية أولا؟ ومازالت تحضرنا مقولة الزعيم المصري سعد زغلول عندما أجاب على من دعاه إلى العمل على وحدة العرب بقوله: وما الفائدة إذا جمعنا أصفارا؟ ستكون الحصيلة بالقطع صفرا كبيرا!

ومثله جدل آخر حول: أيهما أولى بالعناية والرعاية: تحقيق الديمقراطية وتطويرها والحفاظ عليها أم التنمية الاقتصادية والعدل الاجتماعي بصورة أو بأخرى؟ وكانت النتيجة هى غياب كليهما معاً، حتى بين الفصائل القومية نفسها الطامحة إلى تحقيق أهداف قومية، كان الخلاف شديداً بين الاتجاه الناصري الذي تبنى شعاراً عربياً قومياً بترتيب جديد، وبين حزب البعث العربي الاشتراكي الذى كان له قبل ذلك ترتيب آخر للشعارات (حرية اشتراكية وحدة).

الحقيقة أنه لا يختلف أحد حول أهمية تحقيق أحلام الأمة العربية في التقدم والازدهار وفي الحرية والديمقراطية وفي الوحدة والتكتل، وفي الاستقلال الحقيقي إلا أن التحدي الحقيقي هو في كيفية إنجاز هذه الأحلام على أرض الواقع و الطريقة التي بها تقتنع كل الأطراف والقوى الفاعلة في الأمة بأهمية الالتقاء على كلمة سواء للخروج من المأزق العربي والاتفاق على الحد الأدنى من القضايا لكى ننجز مشروعاً تنفيذياً ببرامج محددة لتحقيقها ثم الانطلاق إلى ما بعدها، وبعث الحمية والحماسة في أفراد الأمة العربية جميعاً أو على الأقل في الطاقات الحيوية مثل الشباب والنساء

والقوى النقابية، عمالية ومهنية، والطبقة الوسطى التي تمثل أهم رافعة لتحقيق الانطلاق والنهضة المرجوة.

تحديات العصر والاستجابة لها

تمثل تحديات العصر وكيفية الاستجابة لها أهم محاور مشروع النهضة: فالعالم يشهد تحولات نوعية وكيفية كتلك التي لا تخطئها العين: التكتلات الكبرى والكيانات العظمى، الشركات عابرة القارات ومتعددة الجنسيات، صعود نجم شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان، عولمة مخيفة للبعض حالمة عند البعض الآخر إلا أنها صارت واقعاً يحتاج للتعامل معه، تقنية عالية جداً في الاتصالات أتاحت نمواً هائلاً للمعارف وإنتاجاً غزيراً للمعرفة، لذلك جاءت محاور المشروع التى قد تبدو للبعض ترديداً لشعارات قديمة إلا أنها في الحقيقة تمثل استجابة للتحديات المطروحة.

ففي عالم بات لا يعترف إلا بالكيانات العملاقة تمثل الوحدة العربية ضرورة بقاء للأمة العربية وليس مجرد حلم طوباوي أو أملاً قد يتحقق أو لا يتحقق، فضلاً عن أن النتائج التى ترتبت على تمزيق العرب إلى كيانات جزئية وإثارة النزاعات الحدودية الدامية فيما بينها كانت كارثة بكل المقاييس، وجاءت التهديدات التي تحملها العولمة لبقاء الدولة القطرية وتقليص سيادتها إلى حد خطير، جاءت لتهدد ما تبقى من استقلال شكلي هزيل.

إلا أن تحقيق الوحدة العربية أصبح رهناً بعدة عوامل منها ما يعد في عرف الاتجاه القومي صعباً وعسيراً مثل "احترام الدولة القطرية، وتحقيق الوحدة الوطنية أولا كمدخل إلى الدولة القومية الموحدة"، وكذلك تعيين الطريق إلى الوحدة بعد التجارب الوحدوية الفاشلة وبعد الغزو العراقى المرير لبلد عربي شقيق هو الكويت بادعاء تحقيق وحدة القطر العراقي، خاصة بعد أن جاءت ورقة د. سعدون حمادي في الندوة التى عقدت في فاس ورسمت مسارين لتحقيق الوحدة العربية: الأول من خلال الأنظمة وهو على ما يبدو طريق مسدود، والثاني مسار الثورة وبالتالى يفتح الطريق إلى القوة لتحقيق الوحدة وهو ما فعله العراق عند غزو الكويت، وقد اعترض كل المعقبين والمتداخلين والمحاورين على فرض الوحدة العربية بالقوة.

لذلك كان من الضروري أن يتضمن محور الوحدة في المشروع المقترح بنوداً من أهمها:

ضرورة المصالحة مع الدولة القطرية.

الطريق الديمقراطي هو السبيل إلى الوحدة العربية.

البناء المؤسسي التدريجي لدولة الوحدة العربية.

تبني أكثر من خيار لتحقيق الوحدة: بين عدد محدود من الأقطار العربية (مجموعة نواة) خيار الكونفدرالية خيار الاتحاد الفيدرالى.

أهمية تفعيل دور الجامعة العربية، ومؤسسات العمل العربي المشترك وتطويرها.

العمل الشعبي والمؤسسات الشعبية الأهلية عبر القطرية مثل الاتحادات المهنية العربية والعمالية وغيرها.

التحول نحو الديمقراطية

أما التحدى الثانى الذى يواجه أى نهضة عربية مرجوة فهو التحول نحو الديمقراطية، لقد أصبحت الديمقراطية (بما تحمله من معاني إطلاق الحريات العامة وحرية التعبير والتداول السلمي على السلطة الخ) ضرورة لبناء النهضة فضلا عن كونها شرط استمرار لأى نهضة حقيقية حيث لا يمكن لشعوب مقهورة أن تنهض أو تحافظ على نهضتها أو تحقق الوحدة المنشودة بينها، إذن هناك حاجة لأن يتضمن المشروع المقترح كيفية التغلب على المعوقات الداخلية والخارجية التي تمنع التحول الديمقراطي.

كما أن خصوصية الثقافة العربية الإسلامية تفرض تناول علاقة الديمقراطية بالشورى، كما جاء بها الإسلام والتي تسمح بالمشاركة الشعبية لعموم الناس وتلزم الحاكم وتحترم تعدد الآراء وتسمح بالحق في التنوع والاختلاف وتحترم إرادة الأمة فى اختيار حكامها وكيفية عزلهم، هذه الشورى هى حالة راقية وصورة أكثر تقدماً من صور الديمقراطية، فلسنا في حاجة إلى تبني خيار محدد (وستمنستر مثلا أو الفرنسي أو الأمريكي الرئاسي)، بل يمكن لنا في ظل تحقيق القواعد الكاملة، أن نتبنى خياراً خاصاً ينسجم مع عقيدة وهوية الأمة العربية ويتناسب مع ثقافتنا ويسهل

علـى الشـعوب أن تهضـمه وأن تتبنـاه، بـل يمكننـا هنـا أن نضـيف لبنـة إلـى البنـاء الديمقراطي العالمي من الناحية الفلسفية والمنهجية بل وفي وسائل العمل كذلك.

إن أي مشروع للنهضة ينبغي أن يحقق تثبيت دعائم الشورى والديمقراطية في البيئة العربية بدءاً من التنشئة والتربية لتعزيز قيم المواطنة والمساواة وتكافؤ الفرص، مروراً بتوفير الحريات العامة مثل حرية الرأى والتعبير والتنظيم وكذلك احترام التعددية في الفكر والممارسة والحق في المشاركة السياسية في ظل نظام دستوري يعتمد التمثيل النيابي ويعمل بآلية التداول السلمى للسلطة، في ظل استقلال حقيقي للهيئة القضائية وفصل بين السلطات الثلاث، هذا كله مع الأخذ في الاعتبار أن بناء الشورى والديمقراطية عملية صعبة طويلة الأمد وبغير ذلك فإن الجهود المبذولة قد لا تثمر.

ويظن البعض أن تحقق انطلاقة ديمقراطية قبل إرساء أسس قوية ومتينة ثقافياً وفكرياً وعبر ممارسات مستقرة شرط كاف لتحقيق نهضة عربية، إلا أن ذلك غير صحيح لأن الديمقراطية شرط ضروري ولكنه ليس شرط كفاية، فلابد من العمل على بقية محاور مشروع النهضة، وستكفل آليات الديمقراطية ضبط المسار وتصحيح الأخطاء وحشد الطاقات والكفاءات فضلا عن أن الإرادة الشعبية المحترمة هى التي ستحسم الخيارات الحضارية للأمة وتقف في وجه المخططات المعادية (لذلك تصر أمريكا على دعم الديكتاتوريات، ويظل العدو الصهيونى يتشدق بأنه وحده واحة الديمقراطية وهو يعلم أن تطبيق الديمقراطية سوف يأتى إلى الحكم بأكثر القوى معاداة للمشروع الصهيوني).

التنمية

مع الشورى والديمقراطية والوحدة لابد من تنمية مستقلة متكاملة لبناء اقتصاد عربي قوي يحقق آمال الأمة في رخاء وازدهار يؤهلها للقيام بدورها الحضاري في العالم كله.

وهذه التنمية تتطلب اكتساب المعارف وبناء نظام تعليمى جديد ودعم البحث العلمى والتعليم المستمر والتطوير الثقافي.

كما أن التنمية تحتاج إلى حفز للادخار والاستثمار لبناء قدرة إنتاجية تنافسية لخلق فرص عمل للشباب والعاطلين عن طريق مزاوجة بين قطاع خاص كفء ومنضبط ومسئول اجتماعياً مع دولة قادرة ومبادرة وانفتاح متوازن على العالم.

وهنا لابد من البحث عن دور النفط العربى ووسائل الطاقة في بناء تنمية مستقلة والاهتمام بالبيئة والآثار الخطيرة التى تترتب على التنمية غير المنضبطة بيئياً ويستحسن دراسة التجارب التنموية في شرق وجنوب شرق آسيا خاصة الصين وماليزيا.

وحتى يكون للتنمية المستقلة عائد حقيقي على مشروع يحقق نهضة الأمة جميعًا ولا تصب في صالح طبقة واحدة أو شريحة ضيقة من المجتمع فلابد من العمل على إنجاز واقعي يحقق أكبر قدر من العدالة الاجتماعية.

وفى هذا المجال المهم ، الذى كان لليسار الصوت العالي المدوي في تبينه، لابد أن يتصالح التيار القومي مع أركان ومعالم الإسلام ومنجزات حضارته العظيمة على مدار القرون السالفة، حيث يمكن الاعتراف بأنه كان هناك فقر في بلادنا إلا أنه لم يكن هناك تمييز طبقي أو أن المحاولات انعدمت من أجل إيجاد علاج لمشكلة الفقر.

وهنا تبرز أهمية إعادة الاعتبار لركن مهم وخطير وأساسي من أركان الإسلام ألا وهو الزكاة، لا كفريضة فردية فقط، بل كمؤسسة تكافل اجتماعي تقوم الدولة برعايتها.

وهناك مؤسسة الوقف التى لم تكن فقط لرعاية المحتاجين بل أمدت المجتمعات الإسلامية بأسباب النهضة ودعمت مشاريعها في التعليم والعلاج والرعاية الاجتماعية وغيرها.

ليس المطلوب مساعدة الفقراء فقط بل العمل على القضاء على الأسباب التي تؤدي إلى إعادة إنتاج الفقر عن طريق بناء القدرات البشرية وتوفير مناخ يؤدي إلى خلق فرص عمل جديدة للفقراء.

ومن المهم الأخذ في الاعتبار البعد القومي للثروة العربية وتحقيق العدالة في توزيعها ليس عن طريق اقتسامها كما يحلو للبعض أن يزايد بل عن طريق توظيفها في المنطقة العربية لتنميتها وخلق فرص عمل جديدة وتحقيق تنمية مستقلة.

الاستقلال الوطني والقومي

وإذا تحققت المحاور السابقة متضافرة ومتداخلة فإن الاستقلال الوطني والقومي يكون قريب المنال متحققاً في الواقع، وحينئذ ستقل التدخلات الخارجية في شؤون الأمة ، وسيكون الأمن الوطني والقومي مكفولاً كما الأمن المائي والغذائي، كما التماسك الوطني والقومي، وحينئذ وفي ظل بنية أساسية متوفرة يمكن تحقيق الأمن الثقافي في المجالين المدني والعسكري كما سيسهل بناء قدرة قتالية عربية في سياق بناء قدرة استراتيجية شاملة لاتقتصر فقط في مجال إنتاج السلاح، ولعل ذلك كله سيصب في صالح مواجهة المشروع الصهيوني المضاد لأي نهضة للأمة العربية كما سيكون بالإمكان مواجهة الهيمنة الأجنبية حيث ستتوفر إمكانات لبناء قدرات تفاوضية جيدة من موقع القدرة والقوة والوحدة لا على المستوى السياسي فقط، بل أيضا،وهو أهم، على المستويين الاقتصادي والثقافي مع مؤسسات النظام العالمي الجديد والشركات متعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية، وإذا استطعنا أن نحقق نهضة شاملة في الأمة العربية فإنها ستتطلع إلى القيام بدور حضارى على مستوى العالم (سماه حسن البنا من قبل: أستاذية العالم) وهذا يحتاج إلى رسالة للأمة العربية تريد نشرها كما للأمم الأخرى، فاليوم تواجهنا عولمة أمريكية برسالة عالمية تدور ظاهراً حول الإنسان وتزعم أنها تريد تحقيق أكبر قدر من الحرية له عن طريق حفظ حقوقه وتمكينه من إرساء الديمقراطية إلا أن ذلك كله يخفي مطامع ومصالح تتحطم أمامها كل الشعارات البراقة، وليس هذا موضوعنا الآن لكن المهم أن تحديد هذه الرسالة يحتاج إلى ما يسميه المشروع "التجدد الحضارى" لأنه من غير المعقول أن يتبنى مفكرون غربيون نظرية "صِدام الحضارات" باعتبار وجود فعال للحضارة الإسلامية بينما نحن لم نستأنف إعادة بناء حضارتنا الإسلامية بعد، ولا يمكن بناء حضارة إسلامية حقيقية إلا على أساس وحدة عربية ونهضة عربية لأن العرب هم معدن الإسلام وحملة رسالته الحضارية قديماً وحديثاً.

مصالحة

لذلك كله كان لابد من مصالح تاريخية بين التيار القومي و التيار الإسلامي ثم العمل على إحياء الثقافة العربية المشتركة وإعادة الاعتبار إلى اللغة العربية مع الاهتمام بالحرف العربي الذى يكتب به قرابة 300 مليون نفس من غير العرب.

وفي ظل تخوفات مشروعة من الانعزال والتقوقع لابد من الاهتمام بأمرين:

الأول: التنوع الثقافي داخل الأمة واعتباره مصدر ثراء وغنى وليس مصدر فرقة وشتات.

الثانى: الانفتاح على العالم بترجمة المعارف الأحدث على نطاق واسع والاستفادة بتجارب الآخرين.

وهذا سيحقق للأمة اعترافاً ذكيًّا من الدوائر الحضارية الأخرى بل والإسهام في بناء حضارة عالمية إنسانية تحترم التنوع وتلتزم التعددية الحضارية وتحقق التفاعل بين الحضارات عن طريق حوار متكافيء لا صِدام، كل ذلك سيكون مشعل هداية للإنسان، عموم الإنسان، وهذا ما يريده الإسلام.

إننا بحاجة إلى بناء نسق قيمي متوازن يحدد للمواطن العربي دوائر العمل المطلوبة منه على مستوى الفرد والجماعة الصغيرة والمجتمع والدولة والأمة ودولة الوحدة .

نحتاج كما يقول مالك بن نبي إلى مزج العناصر التى تكون الحضارة: الإنسان والوقت والتراب لننطلق من نير البقاء فى أسر التبعية والذيلية إلى أفق الحضارة والنهضة.

وهذا دور الطليعة الفاعلة من أفراد ومفكرين وسياسيين وأدباء وجماعات مصالح وقوى سياسية واجتماعية التي يقع عليها عبء استنهاض همم الأمة لتحقيق الإقلاع بمشروع النهضة.

نحتاج إلى علاقة طبيعية بين هذه القوى الفاعلة وبين نظم الحكم فإن لم تتبن مشروع النهضة وهذا حلم ليته يتحقق ولو جزئيا فلا تتخذ من الإجراءات ما يقوضه ويعطله.

دعونا نفكر ونعمل وليس فقط نتأمل ونحلم.

=============

#عولمة المهرجانات الفنية

بعد عولمة المهرجانات الرياضية في العالم، وفرضها على عالمنا العربي تأتي مرحلة عولمة مهرجانات الفن الرخيص بكل أشكاله.

فضمن إطار فرض الميوعة واللهو الماجن، وعولمة الفن الإباحي وتمجيد نجومه، تأتي صرعة إلهاء الشعوب في عملية منظمة، وتيار جارف يتميز بعقد المهرجانات والاحتفالات الجماعية المختلطة بكثافة، وتأتي هذه المهرجانات متتابعة بصورة متجددة لم تشهد لها الإنسانية مثيلاً من قبل.. كل ذلك تحت شعار الثقافة والتنمية والانفتاح!

وربما بلغت هذه الظاهرة أوجهها في السنوات الأخيرة تمهيداً لدخول الألفية الثالثة..

ففي أرض الكنانة "مصر" تعقد مهرجانات فنية وسينمائية وشعبية في مدن عدة، مثل مهرجان الإسماعيلية للفنون الشعبية، والذي بدأ أعمال دورته الثانية عشرة أمس 24 أغسطس بمشاركة 33 دولة، وفي صيف عام 1998م استخدمت خمس شاشات عملاقة في الشوارع والميادين الرئيسية لإتاحة الفرصة للناس لمشاهدة فعاليات المهرجان في الطرقات! هذا عدا مهرجانات القاهرة والإسكندرية التي تقام سنوياً خلال فصل الصيف.

وفي فلسطين التي ما زالت جراحها تنزف بغزارة تقام مهرجانات الفن الرخيص تحت رعاية وزارة الثقافة التابعة للسلطة الفلسطينية لإلهاء جيل الانتفاضة، وتعميم الفساد، وتحقيق ما لم يستطع اليهود تحقيقه، مثل مهرجان رام الله الذي أطلق عليه سنة 1998 "ليالي صيف 98"، ولاننسى مهرجان "الغناء الإسرائيلي" الذي أقيم في نابلس، والذي أحيته المغنية اليهودية "زهافابن" باللغتين العربية والعبرية.

أما الأردن فمهرجان جرش خير شاهد، فهو بالرغم مما يعرض فيه من اللهو والعبث والغناء والرقص المبتذل، وبالرغم من الخسائر المادية التي تتحملها الدولة في استضافتها لمئات الفرق من شتى الدول، فإنه ظل ينعقد حتى في أحلك الظروف التي منها حرب الخليج الثانية، حيث تم بالرغم من المعارضة الشديدة من قبل كافة الأوساط السياسية والاجتماعية!

بل إن الأمر تعدى ذلك المهرجان لتُقام على غراره مهرجانات أخرى في الفحيص والبتراء ومأدبا والبحر الميت، ومهرجان شبيب في مدينة الزرقاء.

ولم تكن سوريا بمنأي عن هذه الظاهرة، إذ يقام سنويا في أغسطس على شواطيء مدينة اللاذقية مهرجان "المحبة" الذي تشارك فيه فرق للغناء والرقص من دول عربية وأجنبية مختلفة، وتقدم في المهرجان عروض مختلفة ومتنوعة بعيداً عن الحشمة والحياء.

ومن أغرب التعليقات على هذا المهرجان ما صدر عن الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة سنة 1998م حيث قالت: ".. المحبة في تجذرها الأصيل تهزم البغض، فالحقيقة تهزم الباطل أبداً، لأن الباطل كان زهوقاً، وهذا من التنزيل الإلهي لقوم يعقلون"!

ولست أدري كيف وصلت إلى هذا التأويل، وكيف صارت مهرجانات الابتذال والتقاء الجنسين على الخنا حقاً يهزم الباطل، ولا أعلم المراد بالباطل في اعتقادها!

أما في العراق التي تعيش حالة من الفقر والبؤس لم تصل لمثلها من قبل، فهناك مهرجان بابل الثقافي الذي بدأ عام 1987، وهنيئاً لشعب العراق بملهاته التي ستخفف كثيراً من معاناته في ظل حكامه المغاوير.

وللقاريء أن يتساءل عن حجم الإنفاق على مثل هذا المهرجان، في الوقت الذي يشيع الناس هناك كل يوم عشرات من الأطفال الذين يموتون نتيجة سوء التغذية، وانعدام الحليب، وندرة الأطعمة.

أما مهرجانات لبنان فحدث ولاحرة، حيث المهرجانات الفنية في بعلبك وشواطيء بيروت بمشاركة عشرات الفرق العربية والأجنبية، وما يتخللها من عروض وغناء ورقص.

ومن أشد هذه المهرجانات غرابة مهرجان دير القمر، الذي يعدونه احتفالاً صوفياً نغمياً مشرقياً تحت عنوان "سماع من بشارة مريم" ينطلق من نصوص من القرآن، والإنجيل والأحاديث القدسية، ونصوص صوفية من "آفرام السرياني، ومكسيموس المعترف، وابن عربي، وابن الفارض، والمعلم إيكهارت"، أي من الإسلام والمسيحية في خلطة عقدية وتخبط فكري لم يعرف مثله من قبل، حيث يزعمون أنه "حفل تصوفي يقارب السرّ الذي بُشرت به مريم العذراء، ويتخذ منه نموذجاً للنفس البشرية

المتلطفة التي تتوق إلى الاتحاد بنور الله" أي عقيدة الحلول والاتحاد الفاسدة وقد تمت فعاليات المهرجان لأول مرة يوم 13 أغسطس 1999م.

والغريب في بلادنا أن هذه المهرجانات تعد إنجازات حكومية عظيمة لايمكن التراجع عنها مهما ألمَّ بالأمة من مصائب، ومهما لحق بها من هزائم، والهزيمة الحقيقية في اعتقادهم تكمن في إلغائها استجابة للعلماء والدعاة الحريصين علي مصلحة البلاد والعباد.

ولم يقتصر الأمر على عقد مثل هذه المهرجانات في بلادنا فحسب، بل تعداه لإرسال فرق "الفن العربي" لأوربا وأمريكا والكيان الصهيوني، وذلك لتحقيق الانفتاح بشكله المطلوب، ولتنفيذ مخطط عولمة الفن ... حيث تفخر فرقنا الفنية الراقصة بالمشاركة في مهرجانات عالمية، تعلم من خلالها الأوربيين الرقص الشرقي. والمضحك المبكي أن ذلك يتم بحجة إطلاع الأمم والشعوب على مميزات ثقافتنا ومعالم حضارتنا الفنية!.

ومن هذه التجمعات مهرجان لشبونة العالمي، ومهرجان شاطيء كوستا دا كابريا العالمي في البرتغال، حيث تقام الحفلات الغنائية والراقصة التي تقدمها فرق من 123 دولة، ويحدث خلال العروض ما تمجه النفوس السليمة، ولا ترضى به العقول السوية.

وهناك عشرات المهرجانات العالمية في الولايات المتحدة، وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا.. وغيرها.

وكل ذلك بحجة إزالة الحواجر وإذابة الفوارق، ولكن الحقيقة تكمن في أنهم يخططون لإزالة العقبات أمامهم للهيمنة على دولنا، وقسرها على التبعية للغرب في كل مفاسده، ليسهل بعد ذلك تحقيق مبدأ النظام العالمي الموحد الذي سيهيمن عليه اليهود.

إضافة إلى ذلك فإن هذه المهرجانات تحدث في الوقت الذي يقيم فيه الكيان الصهيوني وحلفاؤه استعراضات ومناورات عسكرية ضخمة في جبهات شتى، ليختبر قوته وإمكانيات الزحف لديه، ويجرب الأسلحة الحديثة المتطورة استعداداً لمراحل جديدة، وخطوات مقبلة لإحكام السيطرة على المنطقة.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الفهرس العام

الباب الثالث 2
العولمة 2
#العولمة.. مقاومة وتفاعل 2
#الشرعي من العولمة 3
#صفقة موانئ دبي . . عولمة باتجاه واحد ! 8
#دورة الألعاب الأولومبية . . وثنية معاصرة في ثياب (العولمة)............11
#عولمة العدالة: الطاقة النووية نموذجاً 12
#ثلاث اوجه للعولمة..20
#حتى الجامعات غمرتها العولمة !...................................26
#الثقافة الإسلامية في عصر العولمة (1– 2)..........................29
#الثقافة الإسلامية في عصر العولمة (2 – 2)..........................33
#العولمة الاقتصادية..42
#هذه صورة للعولمة 43
#دول أم كتل ؟ 50
#نوادي نخب العولمة...52
#تأثير العولمة على وضعيات المرأة المسلمة.................................58
#سياسة مواجهة تحديات العولمة ضد المرأة والمجتمع 1 – 2 79
#سياسة مواجهة تحديات العولمة ضد المرأة والمجتمع 2 – 2 87
#العولمة 1 – 2 89
#العولمة 2 – 2 94
#أربعة آراء في العولمة 100

#(1) دردشة ثقافية .. نهاية العولمة ؟.................................. 106
#دردشة ثقافية .. نهاية العولمة ؟ (2)................................. 107
#دردشة ثقافية .. نهاية العولمة ؟ (4)................................. 109
#قيادة العولمة.. 111
العولمة من خلال رؤية إسلامية 114
كي لا نسقط في الهاوية.. 133
أبناؤنا في ظل الواقع المفتون 148
ظاهرة الهجوم على منهج السلف (2–1).................................. 154
أطفالنا في خطر 166
أورام البناء الثقافي 168
قلق من انخفاض عدد اليهود في العالم وخطر الحركات الاسلامية 172
السعوديات قابضات على الجمر!!!................................... 175
منظمة التجارة العالمية 181
غزَّة وابن تيمية والنشيد الوطني الصهيوني.............................. 214
آهات الطبيبات ..بين أروقة المستشفيات 221
المبادرة.. 231
غزوٌ من الخارج أم من الداخل ؟ 238
المجاعةُ في النيجر..مسؤولية من؟...................................... 244
الغزو الفكري وآثاره على الأفراد والمجتمعات 1 / 2 250
مفهوم السياحة ومخاطرها 258
القرآن الكريم في غوانتناموا تدنيس أم تكريس ؟ 265
مبررات منع المرأة من قيادة السيارة...................................... 271
من فقه الائتلاف... 308
أسس الانتصار على الأعداء 314
صور الأسرى العراقيين... 318
لا عزة لنا إلا بالإسلام 322

القوامة .. دكتاتورية وتسلط أم تهذيب وتبسط؟.................. 324
البديل الإسلامي بين الانضباط والتسيب 336
كيف نستثمر المعركة؟.. 351
#نور الإسلام ...الآن أيهم أشد عداوة 356
الحرب والمصارعة على الطريقة الأمريكية......................... 362
#العولمة الإعلامية.. 364
#الطروحات النسوية العولمية تجليات للاستعمار الجديد 368
العولمة ومستقبل العالم الإسلامي 376
#عولمة الوباء والتلوث أيضا 387
#التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة............................... 391
#حقيقة الدعوة إلى المجتمع المدني، وما وراءها من أهداف........... 393
#الصين.. العملاق الاقتصادي القادم 401
#عن العولمة... 405
#المستقبل وأمريكا 411
#نهاية العولمة 415
#علي بوخمسين.. 419
#الإصلاح من الداخل ؟ !.. 425
#وثيقة أمريكية ترسم ملامح الشرق الأوسط الجديد 429
#نص مشروع الشرق الأوسط الكبير.................................. 435
#قوة أمريكا العسكرية وهبوطها الاقتصادي ومرض الدولار المزمن 448
#الاستحواذ على العقول .. أخطر من احتلال الأرض.................... 452
#تحت تأثير اللوبي اليهودي المحلي:................................ 457
(إسرائيل) تغزو كازاخستان اقتصادياً، والتعاون يشمل النواحي العسكرية 457
#الإنترنت والعولمة (1)... 463
#الإنترنت والعولمة (2)... 471
#الإنترنت والعولمة (3)... 480

#رمضان يتحدى العولمة 489
#في محاولة لنقد خطاب العولمة 493
#الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في العالم 498
#"الحرة".. اكتمالاً للهيمنة!! 512
#العولمة الأمريكية 515
#مشروع " الشرق الأوسط الكبير " بالمطلوب الأمريكي ..؟! 518
#'أوجد له البديل' 524
#تنامي الاحتجاجات ضد العولمة 530
هل تدفع الأغنياء لمواقف أكثر عدلا ؟؟ 530
#العولمة خيارات مرة للدول الفقر وطوفان قادم لا مفر منه ! 531
#تحدي العولمة كيف يمكن لاقتصاديات العالم الإسلامي أن تواجهه ؟ 541
#في رأس السنة تحسسوا رؤوسكم 549
#إنهم يخافون الإسلام ! 550
#تجارة البشر في عصر العولمة (2/1) 552
#تجارة البشر في عصر العولمة (2 / 2) 557
#حملة صليبية وليست غزوة حضارية 563
#الثقافة الإسلامية وعولمة الثقافة 567
#العولمة والسنن 572
#من أنماط العولمة الاقتصادية 576
#صونوا السفينة قبل أن تغرق! (1) 580
#صونوا السفينة قبل أن تغرق (2) 585
#صونوا السفينة قبل أن تغرق(3) 590
#كيف نصون السفينة – واجب العلماء 598
#كيف نصون السفينة – واجب الحكام 614
#الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة 659
#الخليج ليس نفطاً 670

#الفكر الإسلامي في زمن العولمة (1) 673
#الفكر الإسلامي في زمن العولمة (2) 679
#الانترنت تسبب أزمات نفسية للشباب.. 687
#لماذا يأكلون الطعام الرديء المغشوش؟ 689
#الفقر خيط من عنكبوت العولمة.. 691
#العولمة في الإعلام 693
#الإسلام الديمقراطي 701
#عالمنا ليس للبيع أو الدمار 705
#العولمة وصراع الحضارات 716
#الطفل ومخاطر العولمة 729
#منظمة التجارة العالمية والعولمة الاقتصادية 732
#العولمة:... 758
جدل العدوان والمقاومة الثقافيين 758
#العولمة الثقافية 761
#العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشرى 766
#العولمة... 771
#العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة 774
#العولمة .. ملاحظات نفسية 796
#هذه غابة العولمة.. وتلك وحوشها! 799
#العولمة وغياب المشروع الحضاري العربي.................................. 802
#العولمة الفكرية الإسلامية... 809
#العولمة اللغوية.. 818
#فخ العولمة 834
العولمة: مرحلة متطورة في الامبريالية* 837
#العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق 843
#"العولمة" نوع من الغزو الجديد.. 852

#موقف الإسلام من العولمة 858
#العولمة وثقافة الإثم! 874
#خطر العولمة الثقافية.. 875
#وحدة العمل الإسلامي في مواجهة أعاصير العولمة............................ 886
#عولمة الثراء وفقر العولمة 905
#عولمة الثقافة 909
الاختراق بعد إسقاط عناصر المقاومة الحضارية 909
#عولمة المراة 913
قراءة في الايديوليجية النسوية الجديدة.................................. 913
#عولمة الجمال في زمن الوجوه الناعمة 917
#العولمة الإعلامية تمثل قيمة اقتصادية متنامية 919
#المرأة وغاية عولمة طموحاتها اللافطرية 925
#ابو يعرب المرزوقي.. 928
#الإسلام والعولمة.. صراع أم حوار؟! 930
#الإسلام والعولمة.. صراع أم حوار؟! 932
#من كابل إلى لندن بحثا عن الأمان أم الدعوة؟ 942
#الدكتور محمد عمارة في حوار معه: 946
#الإسلام والعولمة.. صراع أم حوار؟! 956
#مستقبل الأحوال العربية فى منظور غربي/سيد يوسف........................ 963
#هل تحل التكنولوجيا محل المعلمين؟!................................ 971
#رحلة بابا الفاتيكان من عشق المسرح إلى عولمة الكنيسة................... 998
#عندما جاءت العولمة :....................................... 1000
#التقدم العلمي في ظل العولمة والنموذج الاسلامي لتفاعل الحضارات 1004
#طبيعة الإسلام العالمية... 1014
#العولمة: جدل العدوان والمقاومة الثقافيين............................. 1021
#أسئلة عقلية حول هيمنة العولمة! 1024

#العولمة التبادلية خيار الاتفاق بين الأمم........................ 1033
#مفهوم العولمة وماذا تعني؟.. 1038
#مناهضة العولمة الإمبريالية: الفرص والإمكانيات 1044
عولمة الإعلام.. والدور الإسلامي المنتظر............................ 1050
مفكرون بمنتدى الدوحة يحثون على المعرفة لمواجهة العولمة 1053
سوريون يشكلون أول حركة عربية مناهضة للعولمة....................... 1055
#النظام العالمي الجديد والعولمة والتكتلات الاقليمية وأثرها 1057
العولمة والتكتلات الاقتصادية.. 1060
العولمة والخصوصية الثقافية 1064
مناهضو الحرب والعولمة قالوا : 1072
(مؤتمر) تراثنا في ظل العولمة: الواقع والمستقبل 1073
الإبداع الثقافي في مواجهة العولمة 1077
مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل العولمة 1080
مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية 1088
اللغة العربية أمام تحديات العولمة 1098
تحت ضغط العولمة سويسرا تنضم إلى الأمم المتحدة........................ 1100
عولمة المرأة 1103
ثقافة العولمة.. 1110
منتدى العولمة يبدأ أعماله في نيويورك 1111
العولمة وصراع الحضارات.. 1113
المهمات الجديدة في منظومة العولمة 1125
متظاهرو العولمة يشيدون بموقف قطر 1128
العولمة والعولمة المضادة 1130
تحضيرات مكثفة لمناهضة العولمة في بيروت................................ 1133
الحفاظ على الهوية العربية يستلزم التصدي للعولمة............................ 1135
#شباب أوروبا ضد العولمة.. والأمركة 1138

تحديات العولمة.. 1139
افتتاح مؤتمر تحديات العولمة للمصارف الإسلامية.................. 1141
عولمة إسلامية لمواجهة الغرب 1144
الكنائس الأوروبية تقف ضد عولمة السياسيين والاقتصاديين 1147
إشكاليات الثقافة العربية في عصر العولمة : آليات وأزمات 1148
ما هو أثر منتديات الدردشة والمواقع الإباحية........................ 1154
#كيف يمكن مواجهة خطر العولمة الثقافية والفكرية 1156
#العولمة: الأخطار وكيفية المواجهة................................ 1157
#نحو عولمة حركيّة وتنظيميّة للكيانات الإسلاميّة السلميّة 1161
الحركة النسويّة الغربيّة ومحاولات العولمة (2/1)........................ 1164
#عولمة الوباء والتلوّث أيضاً.. 1178
#في"العولمة": ملاحظات ضروريّة 1182
الفكر الإسلامي في زمن العولمة 2/1 1185
#الثقافة الإسلامية في عصرالعولمة(2-1)................................ 1199
#الإعلام الإسلامي وخطر العولمة 1211
#القشة .. العولمة .. البعير !! 1215
#قضايا المرأة.. من وطنية المنطلقات إلى عولمة الأجندات.................. 1219
#المرأة في الرؤية الإسلامية.. واجبات لا حقوق............................ 1227
يوم المرأة "العالمية".. أم "الغربية"؟.. 1239
#قراءة جديدة في يوم المرأة العالمي.. 1242
#صورة المرأة.. هل كشفت مأزق الإعلام العربي؟........................... 1248
#المرأة في مرآة الشعوب 1252
#تغريب.. أم تهويد المرأة المسلمة 1255
#المرأة الفلسطينية .. من العولمة إلى النموذج الحضاري.................... 1257
#تشكيل الرأي العام حول قضايا المرأة...................................... 1260
المرأة والإعلام في زمن العولمة 1264

#المواقف الرئيسية تجاه قضايا مؤتمر المرأة.................... 1267
#من يحدد أجندة قضايا المرأة.. 1274
#حقل جديد ...ومنظور متميز 1277
#المرأة في ظل الصحوة الإسلامية فاعلة ونشطة........................ 1281
#ثالوث العولمة القاهر: العسكرة والاقتصاد والثقافة.................... 1286
#العولمة من منظور إسلامي 1305
#العالمية والعولمة: تعريف وتمييز.................................... 1306
#جذور العولمة.. 1314
#تفاصيل فلسفة العولمة ونتائجها..................................... 1317
#معارضة العولمة... 1328
#الفكر الإسلامي في مواجهة العولمة.................................. 1340
#نحو ميثاق إسلامي لمواجهة العولمة 1351
#هل من رد إسلامي معاصر على العولمة؟!............................ 1357
#ملاحظات نقدية استهلالية.. 1357
#ثلاث مقدمات ومناظرات عديدة...................................... 1361
العالم الثالث فيما بعد الحرب الباردة 1363
الاستقلال الثقافي في ظل العولمة 1370
#الصهيونية والعولمة 1379
#عولمة الإسلام الأمريكي 1381
أفكار ختامية 1383
#المجتمع الإسلامي 1393
#"ائتلاف المنظمات الإسلامية" في مواجهة الأمم المتحدة 1394
#تقنين الزنا والإجهاض وتقويض القيم الدينية بدعوى مكافحة التمييز 1396
#كاميرا الموبايل و"يوتيوب" والمدونات................................ 1400
#نبينا الحبيب وهجمة العولمة: لا يكفي الغضب الانفعالي................. 1408
#السنوات القادمة .. تحمل تغيرات وتقلبات خطيرة 1411

#هل تحقق الأمة وحدة مرجعيتها في الحج؟ 1417
#الحملة ضد التيار الإسلامي تزامنت مع إقرار البرلمان إياه 1421
#العولمة".. تجويع للشعوب وإفقار للدول 1424
#الأمم المتحدة تتبنى ترويج الإباحية وتدمير الأسرة في مؤتمر: 1427
#د. رضا الخليفي في حوار صريح عن: ظاهرة أسلمة البنوك الربوية 1431
#هل العلمانية تتناقض مع الإسلام؟............................. 1440
#العلمانية والدولة اليهودية ... عناق وإتفاق.............................. 1445
#القاهرة تحاور أريك كاوفمان: 1448
#العلمانية.. 1454
#العلمانية وسيلة الغرب لتمكين الطائفية في العالم العربي 1462
#البناء العلماني وبداية السقوط...................................... 1465
#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (3-1) 1467
#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (3-2) 1471
#في مؤتمر "إعلام الشرق الأوسط وتحديات العمل الإنساني": 1477
#50 ألف مغربي تظاهروا ضد سياسات واشنطن 1483
#قطار عولمة المرأة وصل لجزائر 1484
#المغتصِبون المُقْتَلَعُونَ من غزة.. الجد والحفيد 1489
#الصحافة المأجورة والكتاب العملاء.................................. 1493
#منتدى بيروت يقيِّم مدى التزام العرب بعولمة المرأة.......................... 1495
#نحو مشروع للنهضة في الوطن العربي................................ 1499
#استراتيجية التعامل مع... 1504
#ديون الدول الفقيرة "سلة" السموم القاتلة 1512
#العولمة.. تبشير بالرأسمالية الأمريكية 1517
#بين الصدام والحوار 1520
#تقسيم العالم العربي بين مشروعي الشرق أوسطية الأمريكية والبحر متوسطية الأوروبي.. 1529

#في دراسة علمية البروفيسور عبد القدير خان يرسم 1533
#والصراع الاستراتيجي في آسيا الوسطى والقوقاز 1548
#خطر صرف المرأة عن دورها داخل بيتها 1566
#المرأة في فكر مالك بن نبي 1567
#سينما هوليوود في خدمة "البيت الأبيض"........................... 1574
#العولمة والهوية الثقافية 1578
#حروب أهلية.. مذابح عرقية.. انقلابات عسكرية.................... 1584
#الأسلمة في مواجهة العولمة 1591
#الاقتصاد الماليزي.. بعيداً عن إيقاع العولمة........................ 1592
#الخطر الزاحف.. العولمة والتطبيع 1596
#عولمة الاستثمار التجاري في مصر 1599
#عولمة الفقر 1607
#الصحوة المعرفية والحاجة للتخلص من الاستبداد والتبعية للغرب......... 1613
#ربانية الأمة.. سر قوتها وخلودها 1615
#عولمة مقاييس الجمال من خلال بث مشاهد 1624
#مشاريع الدعوة صناعة داخلية 1627
#في التعامل مع التيار الأمازيغي والإسلاميين يجتهد المغرب في مخالفة موقف الجزائر تجاه القضيتين.................................... 1637
#ظلال الديجولية تخيّم على مواقف السياسيين الفرنسيين 1647
#نحو مشروع للنهضة في الوطن العربي(2)......................... 1651
#عولمة المهرجانات الفنية 1657